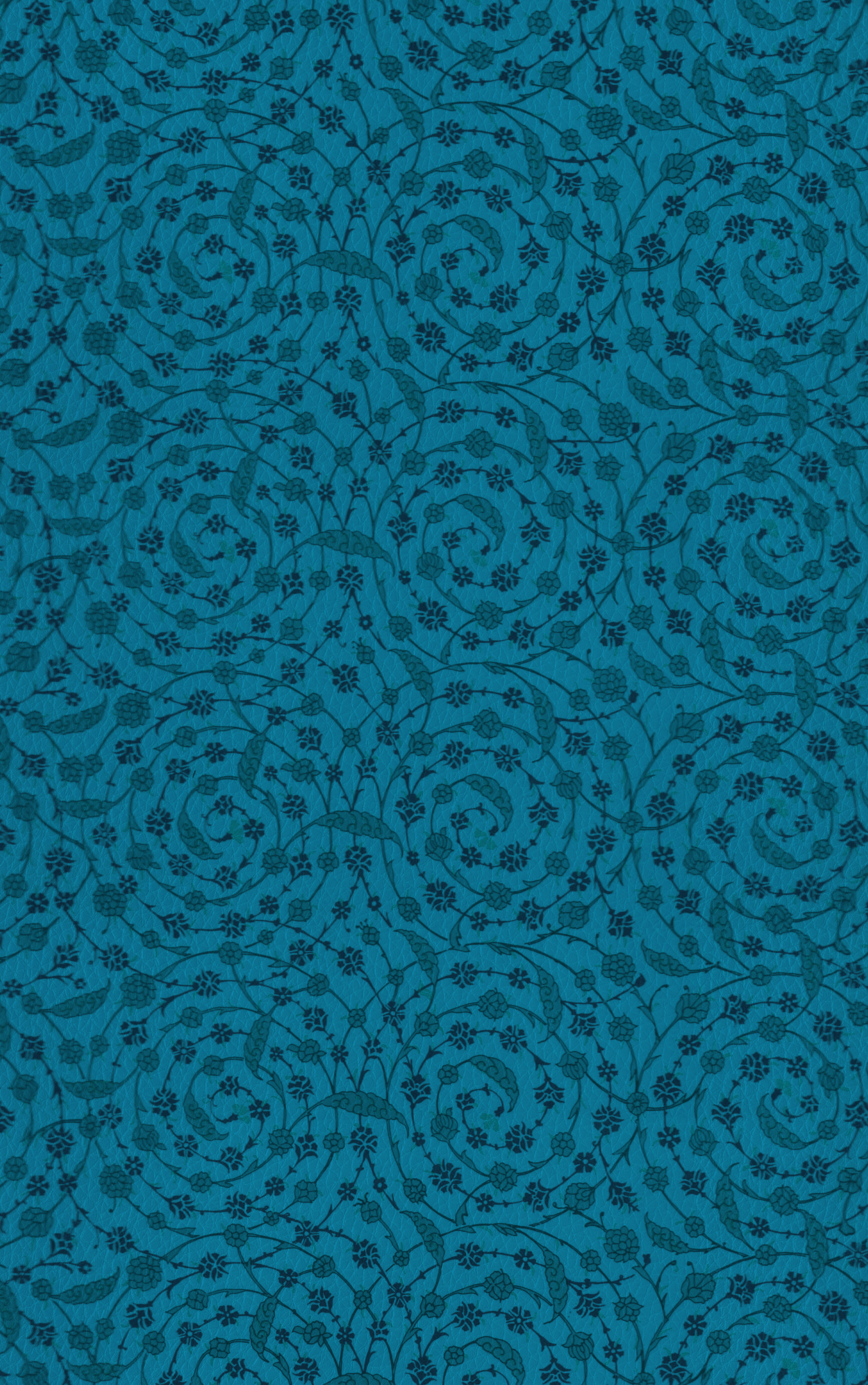
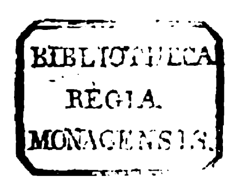

تفسير روح البيان
الطبعة البولاقية الأولى 1848 م
للإمام إسماعيل حقي البروسوي
عليه سحائب الرحمة والرضوان
١
بهاء الدين عمر جرار

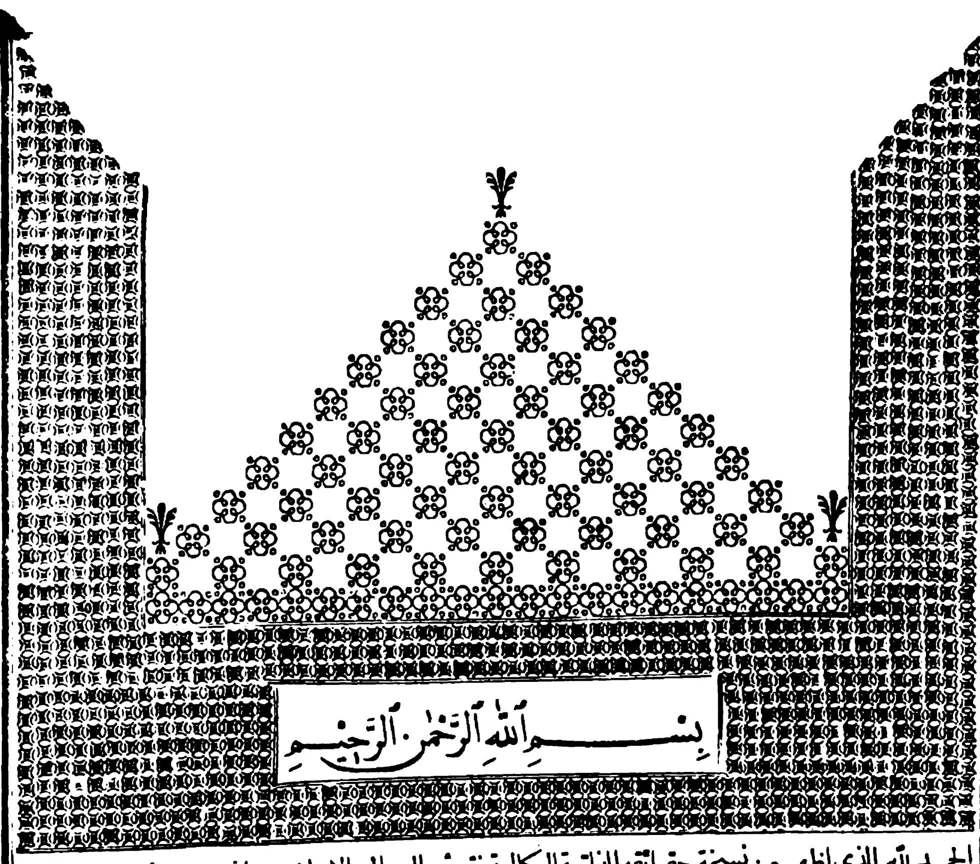



BIBLIOTHECA
REGIA
MONACENSIS

فهرست الجزء الاول من روح البيان

الجزؤ الاول من كتاب تفسير القرءان
المسمى بروح البيان للفاضل
الكامل الشيخ
اسماعيل حقى
افندى

٢



الحمد لله الذى اظهر من نسخة حقائقه الذاتية الكمالية نقوش العوالم والاعلام * واخرج من نون الجمع الذاتى انواع الحروف والكلمات والكلام * انزل من مقام الجمع والتنزيه قرءآنا عربيا غير ذى عوج * وجعله معجزة باقية على وجه كل زمان ساطعة البراهين والحجج * والصلاة والسلام على من هو فاتح باب الحضرة فى العلم والعين واليقين * سيدنا محمد الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين * وعلى آله واصحابه المتخلقين بخلق القرءآن * ومن تبعهم باحسان الى آخر الزمان (وبعد) فيقول العبد الفقير سمى الذبيح الشيخ اسماعيل حقى الناصح المهاجر * كلأه الله من فتن الغدايا والعشايا والهواجر * لما اشار الى شيخى الامام العلامه * واستاذى الجهبذ الفهامه * سلطان وقته ونادرة زمانه * حجة الله على الخلق بعلمه وعرفانه * مطلع انوار العناية والتوفيق * وارث اسرار الخليفى على التحقيق * المشهود له بسر التجديد فى رأس العقد الثانى من الالف الثانى * معدن الالهام الربانى السيد الثانى * الشيخ الحسيب النسيب سمى ابن عفان نزيل قسطنطينيه * امده الله وامدنا به فى السر والعلانيه * بالنقل الى برج الاولياء مدينة بروسا * صينت عن تطاول يد الضراء والبوسى * فى العشر السادس من العشر العاشر من العقد الاول من الالف الثانى * ولم اجد بدا من الوعظ والتذكير * فى الجامع الكبير والمعبد المنير الشهير * وقد كان منى حين اثنوآء الاقامة ببعض ديار الروم * بعض صحائف ملتقطة من صفحات التفاسير وادوات العلوم * مشتملة على ما زيد على آل عمران * من سور القرءآن * لكنها مع الاطناب الواقع فيها كانت متفرقة كايادى سبا * جزء منها حوته الدبور وجزء منها حوته الصبا * اردت أن ألخص ما فرط من الالتقاط * واخلص الاوراق المتفرقة من مسامحات الالفاظ والحروف والنقاط * واضم اليها نبذا مما سنح لى من المعارف * واجعله فى سمط ما انظمه من اللطائف * واسرد بانملة البراعه * وان كنت قليل البضاعة قصير الباعه * ما يليه الى آخر النظم الكريم * ان امهلنى الله العظيم الى قضاء هذا الوطر الجسيم * وابيض للناس قدر ما حررته بين الاسابيع والشهور * وأفرزته بالتسويد اثناء السطور * ليكون ذخرا للآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون * وشفيعا الى حين لا يجدى نفعا غير الصاد والنون * واسأل الله تعالى ان يجعله من صالحات الاعمال وخالصات الآثار * وباقيات الحسنات الى آخر الاعمار * فانه اذا اراد بعبد خيرا حسن عمله فى الناس * وأدله لخيرات هى بمنزلة العين من الراس * وهو الفياض (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) اعلم ان الحكمة فى التعوذ الاستئذان وقرع الباب لان من اتى باب ملك من الملوك لا يدخل الا باذنه كذلك

من

من اراد قرآءة القرءآن انما يريد الدخول فى المناجاة مع الحبيب فيحتاج الى طهارة اللسان لانه قد تنجس بفضول الكلام والبهتان فيطهره بالتعوذ قال اهل المعرفة هذه الكلمة وسيلة المتقربين واعتصام الخائفين وعتبى المجرمين ورجعى الهالكين ومباسطة المحبين وهو امتثال قول رب العالمين فى سورة النحل فاذا قرأت القرءان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فالاستعاذة مقدمة على القرآءة عند عامة المسلمين وقولهم الجزآء متأخر عن الشرط فيلزم ان يؤخر الاستعاذة قلنا المعنى اذا اردت القرآءة وهو تأويل شائع جار مجرى الحقيقة العرفية ثم المختار قول الجمهور وهو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو اثبت رواية وفى الحديث هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ وان كان أستعيذ بالله اوفق دراية لمطابقته المامور به فى قوله فاستعذ واول ما نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الاستعاذة والبسملة وقوله تعالى اقرأ باسم ربك (اعوذ) بمعنى التجيء پناه ميخواهم اواستعصم نكاهداشت ميخواهم اواستجير امان ميخواهم اواستعين يارى ميخواهم اواستغيث فرياد ومدد ميخواهم والعوذ والعياذ مصدران كاللوذ واللياذ والصوم والصيام وقول القائل اعوذ اخبار عن فعله وهو فى التقدير سؤال الله عز وجل من فضله اى أعذنى يارب وفى العدول الى لفظ الخبر فائدة التفاؤل بالوقوع كانه وقع الاعاذة فيخبر عن مطاوعه وسره ما فى التفسير الكبير ان بين الرب وعبده عهدا قال الله أوفوا بعهدى اوف بعهدكم فكانه يقول انا مع نقص البشرية وفيت بعهد عبوديتى وقلت اعوذ بالله اواستغفر الله فأنت مع كمال الكرم والفضل اولى ان تفى بعهد الربوبية وتعيذنى (بالله) مذهب اهل الحقائق فيه عدم الاشتقاق لانه لا سبيل الى كنه معرفته ولذا قال السعد التفتازانى فى حواشى الكشاف اعلم انه كما تحيرت الاوهام فى ذاته وصفاته فكذا فى اللفظ الدال عليه من انه اسم اوصفة مشتق اوغير مشتق علم اوغير علم الى غير ذلك قال مولانا جلال الدين قدس سره * ذات اورا در تصور كنج كو * تادرآيد در تصور مثل او * واعلم ان كلمات الاستعاذة ثلاث صفاتية وافعالية وذاتية كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك فاختير اسم الجلالة الجامع لتتناول عبارة الاستعاذة انواع الاستعاذة قال فى التفسير الكبير الشرور اما من الاعتقاديات ويدخل فيها جميع المذاهب الباطلة وعقائد فرق الضلال الاثنتين والسبعين فرقة واما من الاعمال البدنية فمنها ما يضر فى الدين وهو منهيات التكاليف وضبطها كالمتعذر ومنها ما ضرره لا فى الدين كالامراض والآلام والحرق والغرق والفقر والعمى والزمانة وغيرها من البلايا والنوازل ويقرب ان لا يتناهى فأعوذ بالله يتناول الاستعاذة من كلها فعلى العاقل اذا اراد الاستعاذة ان يستحضر هذه الاجناس الثلاثة وانواعها المتناولة فاذا عرف عدم تناهيها عرف ان قدرة الخلق لا تفى بدفعها فحمله عقله ان يقول اعوذ بالله القادر على كل المقدورات من جميع المخاوف والآفات قيل كل العلوم فى الكتب الاربعة وعلومها فى القرءآن وعلومه فى الفاتحة وعلومها فى البسملة وعلومها فى الباء ففى التفسير الكبير لان المقصود من العلوم وصول العبد الى الرب فباء الالصاق فى بالله تلصقه اليه وسيجئ اسرار الباء فى البسملة ان شاء الله تعالى (من الشيطان) اى المبعد من رحمة الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنه لما عصى لعن وصار شيطانا فدل على انه انما سمى بهذا الاسم بعد لعن الله له واما قبله فاسمه عزازيل أونائل وانما لم يقيد المستعاذ منه بشئ من قبائحه ومضاره كالهمز واللمز واللمس والوسوسة والنزغة وغيرها لتذهب الهمة كل مذهب ليستعاذ من شره عموما قال فى روضة الاخيار الشياطين ذكور واناث يتوالدون ولا يموتون بل يخلدون والجن ذكور واناث يتوالدون ويموتون والملائكة ليسوا بذكور ولا اناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون فثبت بهذا ان للشيطان والجن حقيقة ووجودا ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة والاطباء ونحوهم (حكى) ان الامام الغزالى محيى السنة كان مفتى الثقلين فسألهم يوما عن الحوادث قالوا ان الزمخشرى صنف كتابا فى التفسير وبلغ الى النصف فطلب منهم ان يأتوا به فاتوه فكتب جميع ما ألفه ثم وضعوا النسخة فى مكانها فلما جاء الزمخشرى اليه أراه اياه فتعجب الزمخشرى وتحير وقال ان قلت هو لى وانا خبأته وما اطلع عليه احد غيرى فمن اين جاء هذا وان هو لغيرى فالتوارد فى اللفظ والمعنى والوضع والترتيب فى هذا القدر من الكتاب لا يقبله العقل قال الامام هو لك وقد وصل الينا من ايدى الجن وكان الزمخشرى ينكر الجن فاعترف فى مجاسه ولا يلزم من هذا علم الجن بالغيب كما لا يخفى قال تعالى تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ثم حقيقتهم

عند من لم يقل بالمجردات هى اجسام هوآئية وقيل نارية قادرة على التشكل باشكال مختلفة كصور الحيات والعقارب والكلاب والابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير والطير وبنى آدم لها عقول وافهام تقدر على الاعمال الشاقة كما كانوا يعملون لسليمان عليه السلام المحاريب والتماثيل والجفان والقدور وعند من قال بها مجردات ارضية سفلية وذلك لان المجردات اعنى الموجودات الغير المتحيزة ولا الحالة فى المتحيز اما عالية مقدسة عن تدبير الاجسام وهم الملائكة المقربون ويسميها المشائيون عقولا والاشراقيون انوارا عالية قاهرة اومتعلقة بتدبيرها ويسميها المشائيون نفوسا سماوية والاشراقيون انوارا مدبرة واشرفها حملة العرش وهم الآن اربعة ويوم القيامة ثمانية ثم الحافون حوله ثم ملائكة الكرسى ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم ملائكة كرة الاثير والهوآء الذى فى طبع النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم ملائكة البحار ثم الجبال ثم الارواح السفلية المتصرفة فى الاجسام النباتية والحيوانية وهذه قد تكون مشرقة الهيئة خيرة وهى المسماة بصالحى الجن وقد تكون كدرة شريرة وهى الشياطين كذا فى تفسير الفاتحة للفنارى والظاهر ان المراد بالشيطان ابليس واعوانه وقيل عام فى كل متمرد عات مضل عن الجادة المستقيمة من جن وانس كما قال الله تعالى شياطين الانس والجن (الرجيم) اى المرمى من السموات بالقاء الملائكة حين امن اوالمرمى بشهب السماء اذا قصدها وهذه صفة مذمومة للشيطان وله فى القرءآن اسماء مشئومة وصفات مذمومة فاجمع مساويه هو الرجيم لانه جامع لجميع مايقع عليه من العقوبات فلذلك خص به الابتداء من بين تلك الاسماء والصفات يقال ظهور حقيقة الاستعاذة لايمكن بمجرد القول بل لابد من حضور القلب وموافقة القول بالحال والفعل وان لايقول لسانك اعوذ بالله وفعلك وحالك اعوذ بالشيطان وذلك بمشاركة النفس مع الشيطان فى ارتكاب المعاصى والطغيان واستعاذة العارف من رؤية غير الله تعالى وحجاب الكثرة فان الشيطان يهرب من نور العارف (حكى) ان أبا سعيد الخراز قدس سره رأى ابليس فى المنام فاراد ان يضربه بالعصا فقال يا اباسعيد انا لا اخاف من العصا وانما اخاف من شعاع شمس المعرفة اذا اطلعت من سماء قلب العارف فلو انى الاستعاذة من الشيطان اظهار الخوف من غير الله وهو مخل بالعبودية قلنا اتخاذ العدو عدوا تحقيق للمحبة والفرار من غير الله الى الله تتميم للعبودية والامتثال لامر الله تقديم للطاعة والخوف ممن لايخاف الله اظهار للمسكنة كما قيل اخاف من الله اى من عذابه وغضبه واخاف ممن يخاف الله اى من سوء دعائه واخاف ممن لايخاف اى من سوء افعاله قال المولى جلال الدين قدس سره * آدمى راد شمن پنهان بسيست * آدمى باحذر عاقل كسيست *
وفى التفسير الكبير ان اعوذ بالله رجوع من الخلق الى الخالق ومن الحاجة التامة لنفسه الى الغنى التام بالحق فى تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ففيه سر ففروا الى الله وفيه دلالة ان لاوسيلة الى القرب من حضرة الرب الا بالعجز والعجز منتهى المقامات قال الحسن من استعاذ بالله على وجه الحقيقة وهو ما يكون بحضور القلب جعل الله بينه وبين الشيطان ثلاثمائة حجاب كل حجاب كما بين السماء والارض وعن ابن عباس رضى الله عنه قال خرج النبى عليه الصلاة والسلام ذات يوم من المسجد فاذا هو بابليس فقال له النبى ما الذى جاءبك الى باب مسجدى قال يا محمد جاءبى الله قال فلماذا قال لتسألنى عما شئت فقال ابن عباس رضى الله عنه فكان اول شئ سأله الصلاة فقال له يا ملعون لم تمنع امتى عن الصلاة بالجماعة قال يا محمد اذا خرجت امتك الى الصلاة تأخذنى الحمى الحارة فلا تندفع حتى يتفرقوا وقال عليه السلام لم تمنع امتى عن العلم والدعاء قال عند دعائهم يأخذنى الصمم والعمى فلا يندفع حتى يتفرقوا وقال عليه السلام لم تمنع امتى عن القرءآن قال عند قرآءتهم اذوب كالرصاص قال لم تمنع امتى عن الجهاد قال اذا خرجوا الى الجهاد يوضع على قدمى قيد حتى يرجعوا واذا خرجوا الى الحج اسلسل واغلل حتى يرجعوا واذا هموا بالصدقة توضع على رأسى المناشير فتنشرنى كما ينشر الخشب والشيطان مسلط على طبيعة بنى آدم بالاكل والشرب فاذا تركهما الانسان فقد اجتهد فى قطع شهوة البطن وشهوة الفرج فلا يكون اذا مداخلة للشيطان اصلا واما النفس فسبب اصلاحها هو الصلوات الخمس لان فرضيتها الاصلاح النفس لان فيها تذللا لاشتات طبقات بعقد اليد بين يدى الملك الاعظم وبالركوع له وبالسجود فالنفس تصلح بالخضوع والخشوع والتذلل قال وهب بن منبه لما خرج نوح من السفينة جاء ابليس عليه اللعنة فقال نوح يا عدو الله اى اخلاق بنى آدم أعون لك ولجنودك على ضلالتهم وهلاكهم

قال ابليس اذا وجدنا من بنى آدم شحيحا حريصا حسودا جبارا عجولا تلقفناه تلقف الاكرة فان اجتمعت فيه
هذه الاخلاق سميناه شيطانا مريدا لان هذه الاخلاق من اخلاق رؤوس الشياطين وفى الخبر ان ابليس عليه
اللعنة يرفع الدنيا كل يوم فى يديه فيقول من يشترى ما يضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره فتقول اصحاب الدنيا
نحن فيقول لا تعجلوا فانها معيوبة فيقولون لا بأس بها فيقول ثمنها ليس بدراهم ولا دنانير انما ثمنها نصيبكم من
الجنة وانى اشتريتها باربعة اشياء بلعنة الله وغضبه وعذابه وقطيعته وبعت الجنة بها فيقولون يجوز لنا ذلك
فيقول اريد أن تربحونى على ذلك وهو بان توطنوا قلوبكم على ان لا تدعوها ابدا فيقولون نعم فيأخذونها
فيقول الشيطان بئست التجارة (قال الحافظ) مجو درستى عهد از جهان سست نهاد * كه اين عجوزه
عروس هزار داماد است (قال الشيخ سعدى) برمرد هشيار دنيا خس است * كه هر مدتى جاى ديكر كس است *
منه بر جهان دل كه بيكانه ايست * كه مطرب كه هر روز در خانه ايست * نه لايق بود عشق با دلبرى *
كه هر بامدادش بود شوهرى * وسئل النبى عليه السلام عن وسوسة الشيطان فقال عليه السلام السارق
لا يدخل بيتا ليس فيه شئ فذلك من محض الايمان وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه الفرق بين صلاتنا
وصلاة اهل الكتاب وسوسة الشيطان لانه فرغ من عمل الكفار لانهم وافقوه والمؤمنون يخالفونه ويحاربونه
والمحاربة تكون مع المخالفة (حكى) ان رجلا من اهل خراسان خرج نحو العراق وكان يتردد الى عالم من علمائها حتى
علم اربعة آلاف حديث من الحكمة فلما اراد الانصراف الى وطنه استاذن من استاذه فقال له الاستاذ أعلمك
كلمة خير لك من احاديثك قال وما هى قال هل يكون فى خراسان ابليس قال نعم قال وهل يوسوسكم قال نعم
قال وما تصنعون فى وسوسته قال نرده قال ان وسوس ثانيا قال نرده قال اذا آذاكم عدو الله وشغلكم عن الطاعة
فلا تشتغلوا برد وسوسته ولكن كونوا معه كالغريب مع كلب الراعى واستعيذوا بالله وانه كلب من الكلاب
عصمنا الله واياكم من كيده وشره (بسم الله الرحمن الرحيم) الاصح المقبول عند متأخرى الحنفية ان البسملة
آية فذة ليست جزأ من سورة انزلت للفصل والتبرك بالابتداء كما بدئ بذكرها فى كل أمر ذى بال وهى مفتاح
القرآن واول ما جرى به القلم فى اللوح المحفوظ واول ما نزل على آدم عليه السلام وحكمة تأخرها عن الاستعاذة
تقدم التخلية بالمعجمة على التحلية والاعراض عما سوى الله على الاقبال والتوجه اليه (بسم الله) كانت الكفار
يبدأون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات والعزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل
بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل فلذلك قدر المحذوف متأخرا اى باسم الله اقرأ او اتلوا وغير ذلك مما جعلت
التسمية مبدأ له قالوا واودع جميع العلوم فى الباء اى بى كان ما كان وبى يكون ما يكون فوجود العوالم بى وليس
لغيرى وجود حقيقى الا بالاسم والمجاز وهو معنى قولهم ما نظرت شيأ الا ورأيت الله فيه اوقبله ومعنى قوله عليه
السلام لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله فان قلت ما الحكمة والسر فى ان الله تعالى جعل افتتاح كتابه بحرف
الباء واختارها على سائر الحروف لاسيما على الالف فانه اسقط الالف من الاسم واثبت مكانه الباء فى بسم
فالجواب ان الحكمة فى افتتاح الله بالباء عشرة معان احدها ان الالف ترفعا وتكبرا وتطاولا وفى الباء انكسارا
وتواضعا وتساقطا فمن تواضع لله رفعه الله وثانيها ان الباء مخصوصة بالالصاق بخلاف اكثر الحروف خصوصا
الالف من حروف القطع وثالثها ان الباء مكسورة ابدا فلما كانت فيها كسرة وانكسار فى الصورة والمعنى وجدت
شرف العندية من الله تعالى كما قال الله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى ورابعها ان فى الباء تساقطا
وتكسرا فى الظاهر ولكن رفعة درجة وعلو همة فى الحقيقة وهى من صفات الصديقين وفى الالف ضدها اما رفعة
درجتها فبانها اعطيت نقطة وليست للالف هذه الدرجة واما علو الهمة فانه لما عرضت عليها النقط ما قبلت
الا واحدة ليكون حالها كحال محب لا يقبل الا محبوبا واحدا وخامسها ان فى الباء صدقا فى طلب قربة الحق لانها لما
وجدت درجة حصول النقطة وضعتها تحت قدمها وما تفاخرت بها ولا يناقضه الجيم والياء لان نقطهما فى وضع
الحروف ليست تحتهما بل فى وسطهما وانما وضع النقط تحتهما عند اتصالهما بحرف آخر لئلا يشتبها بالخاء
والتاء بخلاف الباء فان نقطتها موضوعة تحتها سواء كانت مفردة او متصلة بحرف آخر وسادسها أن الالف
حرف علة بخلاف الباء وسابعها أن الباء حرف تام متبوع فى المعنى وان كان تابعا صورة من حيث ان موضعه
بعد الالف فى وضع الحروف وذلك لان الالف فى لفظ الباء يتبعه بخلاف لفظ الالف فان الباء لا يتبعه والمتبوع

فى المعنى اقوى وثامنها ان الباء حرف عامل ومتصرف فى غيره فظهرلها من هذا الوجه قدر وقدرة فصلحت للابتداء بخلاف الالف فانه ليس بعامل وتاسعها ان الباء حرف كامل فى صفات نفسه بانه للالصاق والاستعانة والاضافة مكمل لغيره بان يخفض الاسم التابع له ويجعله مكسورا متصفا بصفات نفسه وله علو وقدرة فى تكميل الغير بالتوحيد والارشاد كما اشار اليه سيدنا على رضى الله عنه بقوله انا النقطة تحت الباء فالباء له مرتبة الارشاد والدلالة على التوحيد وعاشرها ان الباء حرف شفوى تنفتح الشفة به ما لا تنفتح بغيره من الحروف الشفوية ولذلك كان اول انفتاح فم الذرة الانسانية فى عهد ألست بربكم بالباء فى جواب بلى فلما كان الباء اول حرف نطق به الانسان وفتح به فمه وكان مخصوصا بهذه المعانى اقتضت الحكمة الالهية اختياره من سائر الحروف فاختارها ورفع قدرها واظهر برهانها وجعلها مفتاح كتابه ومبدأ كلامه وخطابه تعالى وتقدس كذا فى التأويلات النجمية واسم الله ما يصح ان يطلق عليه بالنظر الى ذاته اوباعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس او الثبوتية كالعليم اوباعتبار فعل من افعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء كما فى شرح المشارق لابن الملك ثم المختار ان كلمة الله هو الاسم الاعظم فان سال سائل وقال ان من شرط الاسم الاعظم انه ان دعى الله به اجاب واذا سئل به اعطى فنحن ندعو به ونسأل فلم نر الاجابة فى اكثر الاوقات قلنا ان للدعاء آدابا وشرائط لا يستجاب الدعاء الا بها كما ان للصلاة كذلك فاول شرائطه اصلاح الباطن باللقمة الحلال وقد قيل الدعاء مفتاح السماء واسنانه لقمة الحلال وآخر شرائطه الاخلاص وحضور القلب كما قال الله تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين فان حركة الانسان باللسان وصياحه من غير حضور القلب ولولة الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح اما اذا كان حاضرا فالقلب الحاضر فى الحضرة شفيع له قال الشيخ مؤيد الدين الجندى قدس سره ان للاسم الاعظم الذى اشتهر ذكره وطاب خبره ووجب طيه وحرم نشره من عالم الحقائق والمعانى حقيقة ومعنى ومن عالم الصور والالفاظ صورة ولفظا اما حقيقته فهى احدية جمع جميع الحقائق الجمعية الكمالية كلها واما معناه فهو الانسان الكامل فى كل عصر وهو قطب الاقطاب حامل الامانة الالهية خليفة الله واما صورته فهى صورة كامل ذلك العصر وعلمه كان محرما على سائر الامم لما لم تكن الحقيقة الانسانية ظهرت بعد فى اكمل صورته بل كانت فى ظهورها بحسب قابلية كامل ذلك العصر فحسب فلما وجد معنى الاسم الاعظم وصورته بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم اباح الله العلم به كرامة له (الرحمن) الرحمة فى اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا هو التفضل والاحسان اوارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد أو القريب فان اسماء الله تؤخذ باعتبار الغايات التى هى افعال دون المبادى التى هى انفعالات فالمعنى العاطف على خلقه بالرزق لهم ودفع الافات عنهم لا يزيد فى رزق المتقى لقبل تقواه ولا ينقص من رزق الفاجر لقبل فجوره بل يرزق الكل بما يشاء (الرحيم) المترحم اذا سئل اعطى واذا لم يسأل غضب وبنى آدم حين يسأل يغضب واعلم ان الرحمة من صفات الذات وهو ارادته ايصال الخير ودفع الشر والارادة صفة الذات لان الله تعالى لو لم يكن موصوفا بهذه الصفة لما خلق الموجودات فلما خلق الخلق علمنا ان رحمته صفة ذاتية لان الخلق ايصال خير الوجود الى المخلوق ودفع شر العدم عنهم فان الوجود خير كله قال الشيخ القيصرى اعلم ان الرحمة صفة من الصفات الالهية وهى حقيقة واحدة لكنها تنقسم بالذاتية والصفاتية اى تقتضيها اسماء الذات واسماء الصفات وكل منهما عامة وخاصة فصارت اربعا ويتفرع منها الى ان يصير المجموع مائة رحمة واليها اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان لله مائة رحمة اعطى واحدة منها لاهل الدنيا كلها وادخر تسعا وتسعين الى الاخرة يرحم بها عباده فالرحمة العامة والخاصة الذاتيتان ما جاء فى البسملة من الرحمن الرحيم والرحمة الرحمانية عامة لشمول الذات جميع الاشياء علما وعينا والرحيمية خاصة لانها تفصيل تلك الرحمة العامة الموجب لتعيين كل من الاعيان بالاستعداد الخاص بالفيض الاقدس والصفاتية ما ذكره فى الفاتحة من الرحمن الرحيم الاولى عامة الحكم لترتبها على ما افاض الوجود العام العلمى من الرحمة العامة الذاتية والثانية خاصة وتخصصها بحسب الاستعداد الاصلى الذى لكل عين من الاعيان وهما نتيجتان للرحمتين الذاتيتين العامة والخاصة انتهى كلامه قالوا لله تعالى ثلاثة آلاف اسم ألف عرفها الملائكة لا غير وألف عرفها الانبياء لا غير وثلاثمائة فى التوراة وثلاثمائة فى الانجيل وثلاثمائة فى الزبور وتسعة

وتسعون فى القرءآن وواحد استأثر الله به ثم معنى هذه الثلاثة آلاف فى هذه الاسماء الثلاثة فمن علمها
وقالها فكأنما ذكر الله تعالى بكل اسمائه وفى الخبر ان النبى عليه السلام قال ليلة اسرى بى الى السماء عرض
علىّ جميع الجنان فرأيت فيها اربعة انهار نهرا من ماء ونهرا من لبن ونهرا من خمر ونهرا من عسل فقلت يا جبريل
من اين تجيئ هذه الانهار والى اين تذهب قال تذهب الى حوض الكوثر ولا ادرى من اين تجيئ فادع الله
تعالى ليعلمك اويريك فدعا ربه فجاء ملك فسلم على النبى عليه السلام ثم قال يا محمد غمض عينيك قال فغمضت عينى
ثم قال افتح عينيك ففتحت فاذا انا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب احمر وقفل لو أن جميع
ما فى الدنيا من الجن والانس وضعوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل فرأيت هذه الانهار الاربعة
تخرج من تحت هذه القبة فلما اردت ان ارجع قال لى ذلك الملك لم لا تدخل القبة قلت كيف ادخل وعلى بابها قفل
لا مفتاح له عندى قال مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من القفل وقلت بسم الله الرحمن الرحيم انفتح
القفل فدخلت فى القبة فرأيت هذه الانهار تجرى من اربعة أركان القبة ورأيت مكتوبا على اربعة اركان
القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ورأيت نهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر
يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل من ميم الرحيم فعلمت ان اصل هذه الانهار الاربعة من البسملة فقال الله عز
وجل يا محمد من ذكرنى بهذه الاسماء من امتك بقلب خالص من رياء وقال بسم الله الرحمن الرحيم سقيته
من هذه الانهار وفى الحديث لا يرد دعاء اوله بسم الله الرحمن الرحيم وفى الحديث ايضا من رفع قرطاسا من
الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يدنس كان عند الله من الصديقين
وخفف عن والديه وان كانا مشركين وذكر الشيخ احمد البونى فى لطائف الاشارات ان شجرة الوجود تفرعت
عن بسم الله الرحمن الرحيم وان العالم كله قائم بها جملة وتفصيلا فلذلك من اكثر من ذكرها رزق الهيبة عند العالم
العلوى والسفلى وكتب قيصر ملك الروم الى عمر رضى الله عنه ان بى صداعا لا يسكن فابعث الىّ دواء ان كان عندك
فان الاطباء عجزوا عن المعالجة فبعث عمر رضى الله عنه قلنسوة فكان اذا وضعها على رأسه سكن صداعه واذا
رفعها عن رأسه عاد صداعه فتعجب منه ففتش فى القلنسوة فاذا فيها كاغد مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الاكبر فى الفتوحات اذا قرأت فاتحة الكتاب فصل بسملتها معها فى نفس واحد من غير قطع وعن محمد
المصطفى صلى الله عليه وسلم حالفا عن جبريل عليه السلام حالفا عن ميكائيل عليه السلام حالفا عن اسرافيل
عليه السلام قال الله تعالى يا اسرافيل بعزتى وجلالى وجودى وكرمى من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة
بفاتحة الكتاب مرة واحدة فاشهدوا علىّ انى قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات
ولا احرق لسانه بالنار واجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب يوم القيامة والفزع الاكبر وتلقانى قبل
الانبياء والاولياء اجمعين

(سورة فاتحة الكتاب)

وجه التسمية بفاتحة الكتاب اما لافتتاح المصاحف والتعليم وقرآءة القرءآن والصلاة بها واما لان الحمد فاتحة
كل كلام واما لانها اول سورة نزلت واما لانها اول ما كتب فى اللوح المحفوظ واما لانها فاتحة ابواب المقاصد
فى الدنيا وابواب الجنان فى العقبى واما لان انفتاح ابواب خزآئن اسرار الكتاب بها لانها مفتاح كنوز لطائف
الخطاب بانجلائها ينكشف جميع القرءآن لاهل البيان لان من عرف معانيها يفتح بها أقفال المتشابهات ويقتبس
بسناها انوار الايات وسميت بام القرءان وام الشئ اصله لان المقصود من كل القرءآن تقرير امور اربعة اقرار
بالالوهية والنبوة واثبات القضاء والقدر لله تعالى فقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم يدل على الالوهية
وقوله مالك يوم الدين يدل على المعاد وقوله اياك نعبد واياك نستعين على نفى الجبر والقدر وعلى اثبات ان الكل
بقضاء الله تعالى وسميت بالسبع المثانى لانها سبع ايات اولان كل آية منها تقوم مقام سبع من القرءآن فمن قرأها
اعطى ثواب قرآءة الكل اولان من فتح فاه بقرآءة آياتها السبع غلقت عنه ابواب النيران السبعة هذه وجوه
التسمية بالسبع واما بالمثانى فلانها تثنى فى كل صلاة او فى كل ركعة بالنسبة الى الاخرى او المراد تشفع فى كل
ركعة سورة حقيقة اوحكما اولان نزولها مرتين مرة فى مكة ومرة فى المدينة وسميت بسورة الصلاة وسورة
الشفاء والشافية واساس القرءآن والكافية والوافية وسورة الحمد وسورة السؤال وسورة الشكر وسورة الدعاء

لاشتمالها عليها وسورة الكنز لما روى ان الله تعالى قال فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشى (الحمد لله) لامه للعهد اى الحمد الكامل وهو حمد الله لله أو حمد الرسل اوكل اهل الولاء اوللعموم والاستغراق اى جميع المحامد والاثنية للمحمود اصلا والممدوح عدلا والمعبود حقا عينية كانت تلك المحامد اوعرضية من الملك اومن البشر اومن غيرهما كما قال تعالى وان من شئ الايسبح بحمده والحمد عند الصوفية اظهار كمال المحمود وكماله تعالى صفاته وافعاله وآثاره قال الشيخ داود القيصرى الحمد قولى وفعلى وحالى اما القولى فحمد اللسان وثناؤه عليه بما اثنى به الحق على نفسه على لسان انبيائه عليهم السلام واما الفعلى فهو الاتيان بالاعمال البدنية من العبادات والخيرات ابتغاء لوجه الله تعالى وتوجها الى جنابه الكريم لان الحمد كما يجب على الانسان باللسان كذلك يجب عليه بحسب كل عضو بل على كل عضو كالشكر وعند كل حال من الاحوال كما قال النبى عليه السلام الحمد لله على كل حال وذلك لا يمكن الا باستعمال كل عضو فيما خلق لاجله على الوجه المشروع عبادة للحق تعالى وانقيادا لامره لا طلبا لحظوظ النفس ومرضاتها واما الحالى فهو الذى يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات العلمية والعملية والتخلق بالاخلاق الالهية لان الناس مأمورون بالتخلق باخلاق الله تعالى بلسان الانبياء عليهم السلام لتصير الكمالات ملكة نفوسهم وذواتهم وفى الحقيقة هذا حمد الحق ايضا نفسه فى مقامه التفصيلى المسمى بالمظاهر من حيث عدم مغايرتها له واما حمده ذاته فى مقامه الجمعى الالهى قولا فهو ما نطق به فى كتبه وصحفه من تعريفاته نفسه بالصفات الكمالية وفعلا فهو اظهار كمالاته الجمالية والجلالية من غيبه الى شهادته ومن باطنه الى ظاهره ومن علمه الى عينه فى مجالى صفاته ومحال ولاية اسمائه وحالا فهو تجلياته فى ذاته بالفيض الاقدس الاولى وظهور النور الازلى فهو الحامد والمحمود جمعا وتفصيلا كما قيل

لقد كنت دهرا قبل ان يكشف الغطا * اخالك انى ذاكر لك شاكر

فلما اضاء الليل اصبحت شاهدا * بانك مذكور وذكر وذاكر

وكل حامد بالحمد القولى يعرف محموده باسناد صفات الكمال اليه فهو يستلزم التعريف انتهى كلامه والحمد شامل للثناء والشكر والمدح ولذلك صدر كتابه بان حمد نفسه بالثناء فى لله والشكر فى رب العالمين والمدح فى الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ثم ليس للعبد ان يحمده بهذه الوجوه الثلاثة حقيقة بل تقليدا ومجازا اما الاول فلان الثناء والمدح بوجه يليق بذاته اوبصفاته فرع معرفة كنههما وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علما وما قدروا الله حق قدره واما الثانى فكان النبى عليه السلام لما خوطب ليلة المعراج بان أثن على قال لا احصى ثناء عليك وعلم ان لابد من امتثال الامر واظهار العبودية فقال انت كما اثنيت على نفسك فهو ثناء بالتقليد وقد امرنا ايضا ان نحمده بالتقليد بقوله قل الحمد لله كما قال فاتقوا الله ما استطعتم كذا فى التأويلات النجمية (قال السعدى رحمه الله) عطاييست هرموى ازو برتنم * چگونه بهر موى شكرى كنم *

وذكر الشيخ الامام حجة الاسلام الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين ان الحمد والشكر آخر العقبات السبع التى لابد للسالك من عبورها ليظفر بمبتغاه فاول ما يتحرك العبد لسلوك طريق العبادة يكون بخطرة سماوية وتوفيق خاص الهى وهو الذى اشار اليه صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم بقوله ان النور اذا دخل قلب العبد انفتح وانشرح فقيل يارسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها فقال التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فاذا خطر بقلب العبد اول كل شئ ان له منعما بضروب من النعم وقال انه يطالبنى بشكره وخدمته فلعله ان غفلت يزيل نعمته ويذيقنى نقمته وقد بعث الى رسولا بالمعجزات واخبرنى بان لى ربا عالما قادرا على ان يثيب بطاعته ويعاقب بمعصيته وقد امر ونهى فيخاف على نفسه عنده فلم يجد فى طريق الخلاص من هذا النزاع سبيلا سوى الاستدلال بالصنعة على الصانع فيحصل له اليقين بوجود ربه الموصوف بما ذكر فهذه عقبة العلم والمعرفة استقبلته فى اول الطريق ليكون فى قطعها على بصيرة بالتعلم والسؤال من علماء الآخرة فاذا حصل له اليقين بوجود ربه بعثته المعرفة على التشمر للخدمة ولكنه لا يدرى كيف يعبده فيتعلم ما يلزمه من الفرائض الشرعية ظاهرا وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرائض انبعث للعبادة فنظر فاذا هو صاحب ذنوب كما هو حال اكثر الناس فيقول كيف اقبل على الطاعة وانا مصر متلطخ بالمعاصى فيجب ان اتوب اليه ليخلصنى من اسرها واتطهر من اقذارها فاصلح للخدمة فيستقبله

ههنا عقبة التوبة فلما حصلت له اقامة التوبة الصادقة بحقوقها وشرائطها نظر للسلوك فاذا حوله عوائق من العبادة محدقة به فتأمل فاذا هي اربع الدنيا والخلق والشيطان والنفس فاستقبلته عقبة العوائق فيحتاج الى قطعها باربعة امور التجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان والنفس وهي اشدها اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة كالشيطان اذ هي المطية والآلة ولا مطمع ايضا في موافقتها على الاقبال على العبادة اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعها له * نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه با نفس وشيطان برآيد بزور * مصاف پلنكان نيايد زمور * فاحتاج الى ان يلجمها بلجام التقوى لتنقاد فيستعملها في المراشد ويمنعها عن المفاسد فلما فرغ من قطعها وجد عوارض تعترضه وتشغله عن الاقبال على العبادة فنظر فاذا هي اربعة رزق تطلبه النفس ولا بد واخطار من كل شيء يخافه او يرجوه او يريده او يكرهه ولا يدري اصلاحه في ذلك ام فساده والثالث الشدائد والمصائب تنصب عليه من كل جانب لا سيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضارة النفس والرابع انواع القضاء فاستقبلته ههنا عقبة العوارض الاربعة فاحتاج الى قطعها باربعة بالتوكل على الله في الرزق والتفويض اليه في موضع الخطر والصبر عند الشدائد والرضى بالقضاء فاذا قطعها نظر فاذا النفس فاترة كسلى لا تنشط ولا تنبعث لخير كما يحق وينبغي وانما ميلها الى غفلة ودعة وبطالة بل الى سرف وفضول فاحتاج الى سائق يسوقها الى الطاعة وزاجر يزجرها عند المعصية وهما الرجاء والخوف فالرجاء في حسن ما وعد من الكرامات والخوف من صعوبة ما اوعد من العقوبات والاهانات فهذه عقبة البواعث استقبلته فاحتاج الى قطعها بهذين الذكرين فلما فرغ منها لم ير عائقا ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا فعانق العبادة بلزام الشوق فنظر فاذا بدا وبعد كل ذلك افتان عظيمتان هما الرياء والعجب فتارة يرائي بطاعته الناس وتارة يستعظم ذلك ويكرم نفسه فاستقبلته ههنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة فاذا قطعها بحسن عصمة الجبار وتأييده حصلت العبادة له كما يحق وينبغي ولكنه نظر فاذا هو غريق في بحور نعم الله من امداد التوفيق والعصمة فخاف ان يكون منه اغفال للشكر فيقع في الكفران وينحط عن تلك المرتبة الرفيعة التي هي مرتبة اغذية الخالصين فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر فقطعها بتكثيرهما فلما فرغ منها فاذا هو بمقصوده ومبتغاه فيتنعم في طيب هذه الحالة بقية عمره بشخص في الدنيا وقلب في العقبى ينتظر البريد يوما فيوما ويستقذر الدنيا فاستكمل الشوق الى الملأ الاعلى فاذا هو برسول رب العالمين يبشره بالرضوان من عند رب غير غضبان فينقلونه في طيبة النفس وتمام البشر والانس من هذه الدنيا الفانية الى الحضرة الالهية ومستقر رياض الجنة فيرى لنفسه الفقيرة نعيما وملكا عظيما (قال الشيخ سعدي قدس سره) عروسى بود نوبت ماتمت * كرت نيك روزى بود خاتمت (قال خسرو عند وفاته) زدنيا ميرود خسرو بزير لب همى كويد * دلم بكرفت از غربت تمناى وطن دارم (رب العالمين) لما نبه على استحقاقه الذاتي بجميع المحامد بمقابلة الحمد باسم الذات اردفه باسماء الصفات جمعا بين الاستحقاقين وهو اى رب العالمين كالبرهان على استحقاقه جميع المحامد الذاتي والصفاتي والدنيوي والاخروي والرب بمعنى التربية والاصلاح اما في حق العالمين فيربيهم باغذيتهم وسائر اسباب بقاء وجودهم وفي حق الانسان فيربي الظواهر بالنعمة وهي النفس ويربي البواطن بالرحمة وهي القلوب ويربي نفوس العابدين باحكام الشريعة ويربي قلوب المشتاقين باداب الطريقة ويربي اسرار المحبين بانوار الحقيقة ويربي الانسان تارة باطواره وفيض قوى انواره في اعضائه فسبحان من اسمع بعظم وبصر بشحم وانطق بلحم واخرى بترتيب غدائه في النبات بحبوبه وثماره وفي الحيوان بلحومه وشحومه وفي الاراضي باشجاره وانهاره وفي الافلاك بكواكبه وانواره وفي الزمان بسكونك وتسكين الحشرات والحركات المؤذية في الليالي وحفظك وتمكينك من ابتغاء فضله بالنهار فيا هذا ربيك كأنه ليس له عبد سواك وانت لا تخدمه او تخدمه كأن لك ربا غيره والعالمين جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه قال وهب لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء وقال الضحاك ثلاثمائة وستون ثلاثمائة منهم حفاة عراة لا يعرفون خالقهم وهم حشو جهنم وستون عالما يلبسون الثياب مر بهم ذو القرنين وكلمهم وقال كعب الاحبار لا يحصى لقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان الله تعالى خلق الخلق اربعة

اصناف الملائكة والشياطين والجن والانس ثم جعل هؤلاء عشرة اجزآء تسعة منهم الملائكة وواحد الثلاثة الباقية ثم جعل هذه الثلاثة عشرة اجزآء تسعة منهم الشياطين وجزء واحد الجن والانس ثم جعلهما عشرة اجزآء فتسعة منهم الجن وواحد الانس ثم جعل الانس مائة وخمسة وعشرين جزأ فجعل مائة جزء فى بلاد الهند منهم ساطوح وهم اناس رؤسهم مثل رؤس الكلاب ومالوخ وهم اناس اعينهم على صدورهم وماسوخ وهم اناس آذانهم كاذان الفيلة ومالوف وهم اناس لايطاوعهم ارجلهم يسمون دوال باى ومصيركلهم الى النار وجعل اثنى عشر جزأ منهم فى بلاد الروم النسطورية والملكانية والاسرآئيلية كل من الثلاث اربع طوائف ومصيرهم الى النار جميعا وجعل ستة اجزآء منهم فى المشرق يأجوج ومأجوج وترك وخاقان وترك حدخلج وترك خزر وترك جرجير وجعل ستة اجزآء فى المغرب الزنج والزط والحبشة والنوبة وبربر وسائر كفار العرب ومصيرهم الى النار وبقى من الانس من اهل التوحيد جزء واحد فجزأهم ثلاثا وسبعين فرقة اثنتان وسبعون على خطر وهم اهل البدع والضلالات وفرقة ناجية وهم اهل السنة والجماعة وحسابهم على الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وفى الحديث ان بنى اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين فرقة وتفرق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار الا فرقة واحدة قالوا من هى يارسول الله قال من هم على ما انا عليه واصحابى يعنى ما انا عليه واصحابى من الاعتقاد والفعل والقول فهو حق وطريق موصل الى الجنة والفوز والفلاح وما عداه باطل وطريق الى النار ان كانوا اباحيين فهم خلود والا فلا (الرحمن الرحيم) فى التكرار وجوه احدها ما سبق من ان رحمتى البسملة ذاتيتان ورحمتى الفاتحة صفاتيتان كاليتان والثانى ليعلم ان التسمية ليست من الفاتحة ولو كانت منها لما اعادهما لخلو الاعادة عن الفائدة والثالث انه ندب العباد الى كثرة الذكر فان من علامة حب الله حب ذكر الله وفى الحديث من احب شيأ اكثر ذكره والرابع انه ذكر رب العالمين فبين ان رب العالمين هو الرحمن الذى يرزقهم فى الدنيا الرحيم الذى يغفر لهم فى العقبى ولذلك ذكر بعده مالك يوم الدين يعنى ان الربوبية امابالرحمانية وهى رزق الدنيا وامابالرحيمية وهى المغفرة فى العقبى والخامس انه ذكر الحمد وبالحمد تنال الرحمة فان اول من حمد الله تعالى من البشر آدم عطس فقال الحمد لله واجيب للحال يرحمك ربك ولذلك خلقك فعلم خلقه الحمد وبين انهم ينالون رحمته بالحمد والسادس ان التكرار للتعليل لان ترتيب الحمد على هذه الاوصاف امارة علية مأخذها فالرحمانية والرحيمية من جملة الدلائل اعلى انه مختار فى الاحسان لا موجب وفى ذلك استيفاء اسباب استحقاق الحمد من فيض الذات برب العالمين وفيض الكمالات بالرحمان الرحيم ولاخارج عنهما فى الدنيا وفيض الالوهية لطفا والاجزية عدلا فى الآخرة ومن هذا يفهم وجه ترتيب الاوصاف الثلاثة والفرق بين الرحمان والرحيم امابا ختصاص الحق بالاول او بعمومه او بجلائل النعم فعلى الاول هو الرحمن بما لا يصدر جنسه من العباد والرحيم بما يتصور صدوره منهم فذا كما روى عن ذى النون قدس سره وقعت ولولة فى قلبى فخرجت الى شط النيل فرأيت عقربا يعدو فتبعته فوصل الى ضفدع على الشط فركب ظهره وعبر به النيل فركبت السفينة واتبعته فنزل وعدا الى شاب نائم واذا افعى بقربه تقصده فتواثبا وتلادغا وماتا وسلم النائم (ويحكى) ان ولد الغراب اذا خرج من القشر يكون كلحم احمر ويفر الغراب منه فيجتمع عليه البعوض فيلتقمه الى ان ينبت ريشه فعند ذلك تعود الام اليه ولهذا قيل يارازق النعاب فى عشه واما على ان الرحمن عام فقيل كيف ذلك وقلما يخلو أحد بل حالة له عن نوع بلوى قلنا الحوادث منها مايظن انه رحمة ويكون نقمة وبالعكس قال الله تعالى فعسى ان تكرهوا شيأ الآية فالاول كما قال

ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء اى مفسده

وكل منها فى الظاهر نعمة والثانى كحبس الولد فى المكتب وحمله على التعلم بالضرب وكقطع اليد المتأكلة فالابله يعتبر بالظواهر والعاقل ينظر الى السرائر فما من بلية ومحنة الاوتحتها رحمة ومنحة وترك الخير الكثير للشر القليل شر كبير فالتكاليف لتطهير الارواح عن العلائق الجسدانية وخلق النار لصرف الاشرار الى اعمال الابرار وخلق الشيطان لتميز المخلصين من العباد فشأن المحقق ان يبنى على الحقائق كالخضر عليه السلام فى قصة موسى عليه السلام معه فكل مايكره الطبع فتحته اسرار خفية وحكمة بالغة فلولا الرحمة وسبقها للغضب لم يكن وجود الكون ولما ظهر للاسم المنعم عين واما على ان الرحمن لجلائل النعم فانما اتبعه بالرحيم لدفع

توهم ان يكون طلب العبد الشئ اليسير سوء ادب كما قيل لبعضهم جئتك لحاجة يسيرة قال اطلب لها رجلا يسيرا فكأن الله يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت عني ولكني رحيم فاطلب مني حتى شراك نعلك وملح قدرك (قال الشيخ السعدي قدس سره العزيز) محالست اكر سربرين درنهي * كه بازآيدت دست حاجت تهي * قال اهل الحقيقة الحضرات الكلية المختصة بالرحمن ثلاث حضرة الظهور وحضرة البطون وحضرة الجمع وكل موجود فله هذه المراتب ولا يخلو عن حكمها وعلى هذه المراتب تنقسم احكام الرحمة في السعداء والاشقياء والمتنعمين بنفوسهم دون ابدانهم كالارواح المجردة وبالعكس والجامعين بين الامرين وكذا من اهل الجنة من هم سعداء من حيث نفوسهم بعلومهم دون صورهم لكونهم لم يقدموا في جنة الاعمال ما يستوجبون به النعيم الصوري وان كان فتزر يسير بالنسبة الى من سواهم وعكس ذلك كالزهاد والعباد الذين لا علم لهم فان أرواحهم قليلة الحظ من النعيم الرحاني لعدم المناسبة بينهم وبين الحضرات العلمية الالهية ولهذا لم تتعلق هممهم زمان العمل بما وراء العمل بل ظنوه الغاية فوقفوا عنده واقتصروا عليه رغبة فيما وعدوا به ورهبة مما حذروا منه واما الجامعون بين النعيمين تماما فهم الفائزون بالحظ الكامل في العلم والعمل كالرسل عليهم الصلاة والسلام ومن كملت وراثته منهم اعني الكمل من الاولياء (قال المولى جلال الدين قدس سره) هر كبوترمي برددرمذهبي * وين كبوترجانب بي جانبي (مالك يوم الدين) اليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت لعدم الشمس ثم اي مالك الامر كله في يوم الجزاء فاضافة اليوم الى الدين لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب ويوم الفتح وتخصيصه اما للتعظيم وتهويله او لبيان تفرده باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية ففي ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجاز غيره واصل الملك والملك الربط والشد والقوة فلله في الحقيقة القوة الكاملة والولاية النافذة والحكم الجاري والتصرف الماضي وهو للعباد مجاز اذ ملكهم بداية ونهاية وعلى البعض لا الكل وعلى الجسم لا العرض وعلى النفس لا النفس وعلى الظاهر لا الباطن وعلى الحي لا الميت بخلاف المعبود الحق اذ ليس لملكه زوال ولا لملكه انتقال وقراءة مالك بالالف اكثر ثوابا من ملك لزيادة حرف فيه (يحكى) عن ابي عبد الله محمد بن شجاع الثلجي رحمه الله تعالى انه قال كان من عادتي قراءة مالك فسمعت من بعض الادباء ان ملك ابلغ فتركت عادتي وقرأت ملك فرأيت في المنام قائلا يقول لم نقصت من حسناتك عشرا اما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن كتب له بكل حرف عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات فانتبهت فلم اترك عادتي حتى رأيت ثانيا في المنام انه قيل لي لم لا تترك هذه العادة اما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم اقرأوا القرآن فخما مفخما اي عظيما معظما فاتيت قطربا وكان اماما في اللغة فسألته ما بين المالك والملك فقال بينهما فرق كثير اما المالك فهو الذي ملك شيأ من الدنيا واما الملك فهو الذي يملك الملوك قال في تفسير الارشاد قرأ اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين انتهى ولكل وجوه ترجيح ذكرت في التفاسير فلتطالع ثمة والوجه في سرد الصفات الخمس كانه يقول خلقتك فانا اله ثم ربيتك بالنعم فانا رب ثم عصيت فسترت عليك فانا رحمن ثم تبت فغفرت فانا رحيم ثم لا بد من الجزاء فانا مالك يوم الدين * وفي التأويلات النجمية الاشارة في مالك يوم الدين ان الدين في الحقيقة الاسلام يدل عليه قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والاسلام على نوعين اسلام بالظاهر واسلام بالباطن فاسلام الظاهر باقرار اللسان وعمل الاركان فهذا الاسلام جسداني والجسداني ظلماني ويعبر عن الليل بالظلمة واما اسلام الباطن فبانشراح القلب والصدر بنور الله تعالى فهذا الاسلام الروحاني نوراني ويعبر عن اليوم بالنور فالاسلام الجسداني يقتضي اسلام الجسد لاوامر الله ونواهيه والاسلام الروحاني يقتضي استسلام القلوب والروح لاحكام الازلي وقضائه وقدره فمن كان موقوفا عند الاسلام الجسداني ولم يبلغ مرتبة الاسلام الروحاني وهو بعد في سير ليلة الدين متردد ومتحير فيرى ملوكا وملاكا كثيرة كما كان حال الخليل عليه السلام فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ومن تنفس صبح

سعادته وطلعت شمس الاسلام الروحانى من وراء جبل نفسه من مشرق القلب فهو على نور من ربه واضح فى كشف يوم الدين فيكون ورد وقته اصبحنا واصبح الملك لله فيشاهد بعين اليقين بل يكاشف حق اليقين ان الملك لله ولا مالك الا مالك يوم الدين فاذا تجلى له النهار وكشف بالمالك جهارا يخاطبه وجاها ويناجيه شفاها اياك نعبد واياك نستعين ومن لطائف مالك يوم الدين ان مخالفة الملك تأول الى خراب العالم وفناء الخلق فكيف مخالفة ملك الملوك كما قال الله تعالى فى سورة مريم تكاد السموات يتفطرن منه والطاعة سبب المصالح كما قال تعالى نحن نرزقك والعاقبة للتقوى فعلى الرعية مطاوعة الملوك وعلى الملوك مطاوعة ملك الملوك لينتظم مصالح العالم ومن لطائفه ايضا ان مالك يوم الدين يبين ان كمال ملكه بعدله حيث قال ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ فالملك المجازى ان كان عادلا كان حقا فدرت الضروع ونمت الزروع وان كان جائرا كان باطلا فارتفع الخير (يحكى) ان انوشروان انقطع فى الصيد عن القوم فانتهى الى بستان فقال لصبى فيه اعطنى رمانة فاعطاه فاستخرج من حبها ماء كثيرا سكن به عطشه فاعجبه واضمر اخذ البستان من مالكه فسأله اخرى فكانت عفصة قليلة الماء فسأل الصبى عنه فقال لعل الملك عزم على الظلم فتاب قلبه وسأله اخرى فوجدها اطيب من الاولى فقال الصبى لعل الملك تاب فتنبه انوشروان وتاب بالكلية عن الظلم فبقى اسمه مخلدا بالعدل حتى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تفاخر فقال ولدت فى زمن الملك العادل قال الفنارى فى تفسير الفاتحة بل لعله تفاخر بزمنه النورانى حتى ولدفيه مثله وذكر انوشروان دليلا على نورانية زمانه حيث لا يتصور فى الكافر المسلط احسن حالا من العدل انتهى قال الامام السخاوى فى المقاصد الحسنة حديث ولدت فى زمن الملك العادل لا اصل له ولا صحة وان صح فاطلاق العادل عليه لتعريفه بالاسم الذى كان يدعى به لا الوصفية بالعدل والشهادة له بذلك اووصفه بذلك على اعتقاد المعتقدين فيه انه كان عادلا كما قال الله تعالى وما اغنت عنهم آلهتهم اى ما كان عندهم آلهة ولا يجوز ان يسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحكم بغير حكم الله عادلا انتهى كلام المقاصد * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل الا زال عن مكانه فان كان مطيعا لله فى عمله مضى فيه وان كان عاصيا لله انخرق به الجسر فيهوى فى جهنم مقدار خمسين عاما كذا فى تذكرة الموتى للامام القرطبى (قال السعدى)

مهازورمندى مكن برجهان * كه بريك نمط مى نماند جهان * نماند ستمكار بد روزگار * بماند برولعنت پايدار

(اياك نعبد) بنى الله سبحانه اول الكلام على ماهو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى اسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وتأثير سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهوان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر وفيه اشارة ايضا الى ان العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت منه بل من حيث انها نسبة شريفة ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسب اليه ولذلك فضل ما حكى عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معى ربى سيهدين وتقديم المفعول لقصد الاختصاص اى نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك والعبادة غاية الخضوع والتذلل وعن عكرمة جميع ما ذكر فى القرءآن من العبادة التوحيد ومن التسبيح الصلاة ومن القنوت الطاعة وعن ابن عباس رضى الله عنه ان جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اياك نعبد اى اياك نوحد ونرجو لا غيرك والضمير المستكن فى نعبد وكذا فى نستعين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة اوله ولسائر الموحدين ادرج عبادته فى تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب ولهذا شرعت الجماعة قال الشيخ الاكبر والمسك الاذفر قدسنا الله بسره الاطهر فى كتاب العظمة اذا كنى العبد عن نفسه بنون نفعل فليست بنون التعظيم واذا كنى عن الحق تعالى بضمير الافراد فان ذلك لغلبة سلطان التوحيد فى قلب هذا العبد وتحققه به حتى سرى فى كلمته فظهر ذلك فى نطقه لفظا كما كان عقدا وعلما ومشاهدة وعينا وهذه النون نون الجمع فان العبد وان كان فردا فى الطيفة وحدانى الحقيقة فانه غير وحدانى ولا فردانى من حيث لطيفته ومركبها

وهيكلها وقالبها ومامن جزء في الانسان الا والحق تعالى قد طالب الحقيقة الربانية التي فيه ان تلقى على هذه الاجزاء مايليق بها من العبادات وهي في الجملة وان كانت المدبرة فلها تكليف يخصها ويناسب ذاتها فلهذه الجمعية يقول العبد لله تعالى نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد واياك نعبد وامثال هذا الخطاب ولقد سألني سائل من علماء الرسوم عن هذه المسألة وكان قد حار فيها فاجبته باجوبة منها هذا فشفى غليله والحمد لله اه كلام الشيخ قدس سره وانما خصص العبادة به تعالى لان العبادة نهاية التعظيم فلا تليق الا بالمنعم في الغاية وهو المنعم بخلق المنتفع وباعطاء الحياة الممكنة من الانتفاع كما قال تعالى وكنتم امواتا فاحياكم الاية وخلق لكم ما في الارض جميعا ولان احوال العبد ماض وحاضر ومستقبل ففي الماضي نقله من العدم والموت والعجز والجهل الى الوجود والحياة والقدرة والعلم بقدرته الازلية وفي الحاضر انفتحت عليه ابواب الحاجات ولزمته اسباب الضروريات فهو الرب الرحمن الرحيم وفي المستقبل مالك يوم الدين يجازيه باعماله فصالحه في الاحوال الثلاثة لا تستتب الا بالله فلا مستحق للعبادة الا الله تعالى ثم قوله نعبد يحتمل ان يكون من العبادة ومن العبودة والعبادة هي العابدية والعبودة هي العبدية فمن العبادة الصلاة بلا غفلة والصوم بلا غيبة والصدقة بلا منة والحج بلا اراءة والغزو بلا سمعة والعتق بلا اذية والذكر بلا ملالة وسائر الطاعات بلا آفة ومن العبودة الرضى بلا خصومة والصبر بلا شكاية واليقين بلا شبهة والشهود بلا غيبة والاقبال بلا رجعة والايصال بلا قطيعة واقسام العبادة على ما ذكره حجة الاسلام في كتابه المسمى بالاربعين عشرة كما ان الاعتقادات التي قبلها عشرة فالمعتقدات الذات الازلية الابدية المنعوتة بصفات الجلال والاكرام الذي هو الاول والآخر والظاهر والباطن اى الاول بوجوده والآخر بصفاته وافعاله والظاهر بشهادته ومكوناته والباطن بغيبه ومعلوماته ثم التقديس عما لا يليق بكماله اويشين بجماله من النقائص والرذائل ثم القدرة الشاملة للممكنات ثم العلم المحيط بجميع المعلومات حتى بدبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء وما هو أخفى منه كهواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر ثم الارادة بجميع الكائنات فلا يجري في الملك والملكوت قليل او كثير الا بقضائه ومشيئته مريد في الازل لوجود الاشياء في اوقاتها المعينة فوجدت كما ارادها ثم السمع والبصر لا يحجب سمعه بعد ولا رؤيته ظلام فيسمع من غير اصمخة وآذان ويبصر من غير حدقة واجفان ثم الكلام الازلي القائم بذاته لا بصوت ككلام الخلق وان القرآن مقروء ومكتوب ومحفوظ ومع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى وان موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله من غير شكل ولا لون ثم الافعال الموصوفة بالعدل المحض فلا موجود الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله اذ لا يضاف لغيره ملكا ليكون تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه فعل فكل نعمة من فضله وكل نقمة من عدله ثم اليوم الآخر والعاشر النبوة المشتملة على ارسال الملائكة وانزال الكتب واما العبادات العشرة فالصلاة والزكاة والصوم والحج وقراءة القرآن وذكر الله في كل حال وطلب الحلال والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة والتاسع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعاشر اتباع السنة وهو مفتاح السعادة وامارة محبة الله كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قال المولى الجامي يانبي الله السلام عليك * انما الفوز والفلاح لديك كر نرفتم طريق سنت تو * هستم ازعاصيان امت تو * مانده ام زيربار عصيان پست * افتم از پاى اكر نكيرى دست * وجاء في بيان مراتب العباد المتوجهين الى الله ان الانسان اذا فعل برا ان قصد به امرا ما غير الحق كان من الاحرار لا من العبيد وان لم يقصد امرا بعينه بل يفعله لكونه خيرا فقط اولكونه مأمورا به لا مطلقا بل من حيث الحضور منه مع الآمر فهو الرجل فان ارتقى بحيث لا يقصد بعمله غير الحق كان تاما في الرجولية فان كان بحيث لا يفعل شيأ الا بالحق كما ورد في قرب النوافل صار تاما في المعرفة والرجولية وان انضم الى ما سبق حضوره مع الحق في فعله بحيث يشهده بعين الحق لا بنفسه من حيث اضافة الشهود الى الله والفعل والاضافة اليه لا الى نفسه فهو العبد المخلص الخاص عمله فان ظهرت عليه غلبة احكام هذا المقام والذي قبله وهو مقام فيه يسع غير متقيد بشئ منها ولا بمجموعها مع سريان حكم شهوده الاحدى في كل مرتبة ونسبة دون الثبات على امر بعينه بل ثابتا في سعته وقبوله كل وصف وحكم عن علم صحيح منه بما اتصف به وما انسلخ عنه في كل وقت وحال دون غفلة وحجاب فهو الكامل في العبودية والخلافة والاحاطة والاطلاق كذا

فى تفسير الفاتحة للصدر القنوى قدس سره قال فى التأويلات النجمية فى قوله اياك نعبد رجع الى الخطاب من الغيبة لانه ليس بين المملوك ومالكه الا حجاب ملك نفس المملوك فاذا عبر من حجاب ملك النفس وصل الى مشاهدة مالك النفس كما قال ابو يزيد فى بعض مكاشفاته الهى كيف السبيل اليك قال له ربه دع نفسك وتعال فللنفس اربع صفات امارة ولوامة وملهمة ومطمئنة فامر العبد المملوك بان يذكر مالكه باربع صفات بالصفة الالهية والربوبية والرحمانية والرحيمية فيعبر بعد مدح الالهية وشكر الربوبية وثناء الرحمانية وتمجيد الرحيمية بقوة جذبات هذه الصفات الاربع من حجاب ممالك الصفات الاربع للنفس فيتخلص من ظلمات ليلة رين نفسه بطلوع صبح صادق مالك يوم الدين فيبقى العبد عبدا مملوكا لا يقدر على شئ فيرحمه مالكه ويذكره بلسان كرمه على قضية وعده فاذكرونى اذكركم ويناديه ويخاطب نفسه يا أيتها النفس المطمئنة ثم يجذبه من غيبة نفسه الى شهود مالكية ربه بجذبة ارجعى الى ربك فيشاهد جمال مالكه ويناديه نداء عبد خاضع خاشع ذليل عاجز كما قرأ بعضهم مالك يوم الدين نصبا على نداء اياك نعبد واعلم ان النفس دنيوية تعبد هواها الدنيوى لقوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه والقلب اخروى يعبد الجنة لقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والروح قربى يعبد القربة والعندية لقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر والسر حضرتى يعبد الحق تبارك لقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام الاخلاص سر بينى وبين عبدى لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل فلما انعم الله على عبده بنعمة الصلاة قسمها بينه وبين عبده كما قال تعالى على لسان نبيه عليه السلام قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فتقرب العبد بنصفه الى حضرة كماله بالحمد والثناء والشكر على صفات جماله وجلاله وتقرب الرب على مقتضى كرمه وانعامه كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا بنصفه الى خلاص عبده من رق عبودية الاغيار باخراجه من ظلمات بعضها فوق بعض من هوى النفس ومراد القلب وتعلق الروح بغير الحق الى نور وحدانيته وشهود فردانيته فاشرقت ارض النفس وسموات القلب وعرش الروح وكرسى السر بنور ربها فامنوا كلهم اجمعون بالله الذى خلقهم وهو مالكهم وملكهم وكفروا بطواغيتهم التى يعبدونها واستمسكوا بالعروة الوثقى وجعلوا كلهم واحدا وقالوا اياك نعبد واياك نستعين كرر اياك للتنصيص على اختصاصه تعالى بالاستعانة ايضا والاستعانة طلب العون ويعدى بالباء وبنفسه اى نطلب العون على عبادتك او على ما لا طاقة لنا به او على محاربة الشيطان المانع من عبادتك او فى امورنا بما يصلحنا فى ديننا او دنيانا والجامع للاقاويل نسألك ان تعيننا على اداء الحق واقامة الفروض وتحمل المكاره وطلب المصالح وتقديم العبادة على الاستعانة ليوافق رؤس الاى وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واياك نعبد لما اورثه العجب اردف اياك نستعين ازالة له وافناء للنخوة ففى الجمع بينهما افتخار وافتقار فالافتخار بكونه عبدا عابدا والافتقار الى معونته وتوفيقه وعصمته وفيه ايضا تحقيق لمذهب اهل السنة والجماعة اذ فيه اثبات الفعل من العبد والتوفيق من الله كالخلق ففيه رد الجبرية النافين للفعل من العبد بقوله اياك نعبد ورد المعتزلة النافين للتوفيق والخلق من الله بقوله اياك نستعين ثم تحقيقهما من العبد ان لا يخدم غير الله ولا يسأل الا من الله (حكى) عن سفيان الثورى رحمه الله انه ام قوما فى صلاة المغرب فلما قال اياك نعبد واياك نستعين خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له فى ذلك فقال خفت ان يقال لم تذهب الى ابواب الاطباء والسلاطين وفى تخصيص الاستعانة بالتقديم اقتداء بالخليل عليه السلام فى قيد النمرود حيث قال له جبريل عليه السلام هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا فقال سله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى بل زدت عليه فان الخليل قيد رجلاه ويداه لا غير فاما انا فقيدت الرجلين فلا اسير واليدين فلا اسركهما وعينى فلا انظر بهما واذنى فلا اسمع بهما ولسانى فلا اتكلم به وانا مشرف على نار جهنم فكما لم يرض الخليل بغيرك معينا لا اريد الا عونك فاياك نستعين وكانه تعالى يقول فنحن ايضا نزيد حيث قلنا ثمة يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم واما انت فقد نجيناك من النار واوصلناك الى الجنة وزدنا سماع الكلام القديم وامرنا نار جهنم تقول لك جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى (قال المولى جلال الدين قدس سره) آتش عاشق ازين روای صفى * ميشود دوزخ ضعيف ومنطفى * كويدش بكذر سبك اى محتشم * ورنه ز آتشهاى تو مرد آتشم * (اهدنا الصراط المستقيم) بيان المعونة المطلوبة كأنه قيل كيف اعينك فقالوا اهدنا الصراط

المستقيم

المستقيم وايضا ان التعقيب بالدعاء بعد تمام العبادة قاعدة شرعية قال فى التيسير اياك نعبد اظهار التوحيد واياك نستعين طلب العون عليه وقوله اهدنا لسؤال الثبات على دينه وهو تحقيق عبادته واستعانته وذلك لان الثبات على الهداية اهم الحاجات اذهو الذى سأله الانبياء والاولياء كما قال يوسف عليه السلام توفنى مسلما وسحرة فرعون توفنا مسلمين والصحابة وتوفنا مع الابرار وذلك لانه لا ينبغى ان يعتمد على ظاهر الحال فقد يتغير فى المآل كالابليس وبرصيصا وبلعم بن باعورا (قال المولى جلال الدين قدس سره) صد هزار ابليس وبلعم درجهان * همچنين بودست پيدا ونهان * اين دورا مشهور كردانيد اله * تاكه باشند اين دو برباقى كواه * اين دو دزد آويخت بردار بلند * ورنه اندر قهر بس دزدان بدند * وفى تفسير القاضى اذا قاله العارف الواصل الى الله عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشى ابداننا لنستضيئ بنور قدسك فنراك بنورك قال المولى الفنارى ومبناه ان السير فى الله غير متناه كما قال قطب المحققين ولا نهاية للمعلومات والمقدورات فادام معلوم اومقدور فالشوق للعبد لا يسكن ولا يزول واصل الهداية ان يعدى باللام اوالى فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومه والصراط المستقيم استعارة عن ملة الاسلام والدين الحق تشبيها الوسيلة المقصود بوسيلة المقصد اولمحل التوجه الروحانى بمحل التوجه الجسمانى وانما سمى الدين صراطا لانه الله سبحانه وان كان متعاليا عن الامكنة لكن العبد الطالب لابد له من قطع المسافات ومس الافات وتحمل المجافاة لكرم بالوصول والموافاة ثم فى قوله اهدنا الصراط المستقيم مع انه مهتد وجوه الاول ان لابد بعد معرفة الله تعالى والاهتداء بها من معرفة الخلط المتوسط بين الافراط والتفريط فى الاعمال الشهوية والغضبية وانفاق المال والمطلوب ان يهديه الى الوسط والثانى انه وان عرف الله بدليل فهنالك ادلة اخرى فمعنى اهدنا عرفنا ما فى كل شئ من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وافعالك والثالث ان معناه بموجب قوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما طلب الاعراض عما سوى الله وان كان نفسه والاقبال بالكلية عليه حتى لوامر بذبح ولده كابراهيم عليه السلام اوبان ينقاد للذبح كاسمعيل عليه السلام اوبان يرمى نفسه فى البحر كيونس عليه السلام اوبان يتلمذ مع بلوغه اعلى درجات الغايات كموسى عليه السلام اوبان يصبر فى الامر بالمعروف على القتل والشق بنصفين كيحيى وزكريا عليهما السلام فعل وهذا مقام هائل الان فى قوله صراط الذين انعمت عليهم دون ان يقول صراط الذين ضربوا وقتلوا تيسيرا تما وترغيبا الى مقام الانبياء والاولياء من حيث انعامهم ثم الاستقامة الاعتدالية ثم الثبات عليها امر صعب ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود واخواتها حيث ورد فيها فاستقم كما امرت فان الانسان من حيث نشأته وقواه الظاهرة والباطنة مشتمل على صفات واخلاق طبيعية وروحانية ولكل منها طرفا افراط وتفريط والواجب معرفة الوسط من كل ذلك والبقاء عليه وبذلك وردت الاوامر ونطقت الايات كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الخ حرضه على الوسط بين البخل والاسراف وكقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله مستشيرا فى الترهب وصيام الدهر وقيام الليل كله بعد زجره اياه ان لنفسك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا فصم وافطر وقم ونم وهكذا فى الاحوال كلها نحو قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ولم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ومازاغ البصر وماطغى ولما رأى صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه يقرأ رافعا صوته سأله فقال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال عليه السلام اخفض من صوتك قليلا واتى ابابكر رضى الله عنه فوجده يقرأ خافضا صوته فسأله فقال قد اسمعت من ناجيت فقال عليه السلام ارفع من صوتك قليلا وهكذا الامر فى باقى الاخلاق فان الشجاعة صفة متوسطة بين الهوروالجبن والبلاغة بين الايجاز المجحف والاطناب المفرط وشريعتنا قد تكفلت ببيان ميزان الاعتدال فى كل ترغيب وترهيب وحال وحكم وصفة وخلق حتى عينت للمذمومة مصارف اذا استعملت فيها كانت محمودة كالمنع لله والبغض لله والمستقيم على اقسام منها مستقيم بقوله وفعله وقلبه ومستقيم بقلبه وفعله دون قوله اى لم يعلم احدا ولهذين الفوز والاول اعلى ومستقيم بفعله وقوله دون قلبه وهذا يرجى له النفع بغيره ومنها مستقيم بقوله وقلبه دون فعله ومستقيم بقوله دون فعله وقلبه ومستقيم بقلبه دون قوله وفعله ومستقيم بفعله دون قوله وقلبه وهؤلاء الاربعة عليهم لا لهم وان كان بعضهم فوق بعض وليس المراد بالاستقامة بالقول ترك الغيبة والنميمة وشبههما فان الفعل يشمل ذلك انما المراد بها

ارشاد الغير الى الصراط المستقيم وقد يكون عريا عما يرشد اليه مثال اجتماعها رجل تفقه فى امر صلاته وحققها
ثم علمها غيره فهذا مستقيم فى قوله ثم حضر وقتها فاداها على ما علمها محافظا على اركانها الطاهرة فهذا مستقيم
فى فعله ثم علم ان مراد الله منه من تلك الصلاة حضور قلبه معه فاحضره فهذا مستقيم بقلبه وقس على ذلك
بقية الاقسام وفى التأويلات النجمية ان اقسام الهداية ثلاثة الاولى هداية العامة اى عامة الحيوانات الى جلب
منافعها وسلب مضارها واليه اشار بقوله تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله وهديناه النجدين والثانية
هداية الخاصة اى للمؤمنين الى الجنة واليه الاشارة بقوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم الآية والثالثة هداية
الاخص وهى هداية الحقيقة الى الله بالله واليه الاشارة بقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وقوله انى
ذاهب الى ربى سيهدين وقوله الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب وقوله ووجدك ضالا فهدى اى
كنت ضالا فى تيه وجودك فطلبتك بجودى ووجدتك بفضلى ولطفى وهديتك بجذبات عنايتى ونور هدايتى
الىّ وجعلتك نورا فاهدى بك الىّ من اشاء من عبادى فمن اتبعك وطلب رضائك فخرجهم من ظلمات الوجود
البشرى الى نور الوجود الروحانى ونهديهم الى صراط مستقيم كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى
به الله والصراط المستقيم هو الدين القويم وهو ما يدل عليه القرآن العظيم وهو خلق سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم فيما قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ثم هو اما الى الجنة وذلك لاصحاب اليمين كما قال تعالى والله
يدعو الى دار السلام الآية واما الى الله تعالى وهذا للسابقين المقربين كما قال تعالى الى صراط مستقيم
صراط الله وكل ما يكون لاصحاب اليمين يحصل للسابقين وهم سابقون على اصحاب اليمين بما لهم من شهود
الجمال وكشف الجلال وهذا خاصة لسيد المرسلين ومتابعيه كما قال تعالى قل هذه سبيلى ادعو الى الله على
بصيرة انا ومن اتبعنى (قال الشيخ قدس سره) بر آتش فشانند سجاده ات * اگر جز بحق ميرود جاده ات *
(صراط الذين انعمت عليهم) بدل من الاول بدل الكل والانعام ايصال النعمة وهى فى الاصل الحالة التى
يستلذها الانسان فاطلقت على ما يستلذه من نعمة الدين الحق قال ابو العباس ابن عطاء هؤلاء المنعم عليهم هم
طبقات فالعارفون انعم الله عليهم بالمعرفة والاولياء انعم الله عليهم بالصدق والرضى واليقين والصفوة والابرار
انعم الله عليهم بالحلم والرأفة والمريدون انعم الله عليهم بحلاوة الطاعة والمؤمنون انعم الله عليهم بالاستقامة
وقيل هم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون كما قال تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين واضيف الصراط هنا الى العباد وفى قوله وان هذا صراطى مستقيما الى ذاته
تعالى كما اضيف الدين والهدى تارة الى الله تعالى نحو افغير دين الله وان الهدى هدى الله وتارة الى العباد
نحو اليوم اكملت لكم دينكم وبهداهم اقتده وسره من وجوه الاول بيان ان ذلك كله له شرعا ولنا نفعا كما قال
تعالى شرع لكم من الدين والثانى انه له ارتضاء واختيارا ولنا سلوكا وائتمارا والثالث انه اضافه الى نفسه
قطعا لعجب العبد والى العبد تسلية لقلبه والرابع انه اضافه الى العبد تشريفا له وتقريبا والى نفسه قطعا لطمع
ابليس عنه كما قيل لما نزل قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين قال الشيطان ان لم اقدر على سلب عزة الله
ورسوله اسلب عزة المؤمنين فقال الله تعالى فلله العزة جميعا فقطع طمعه كذا فى التيسير وتكرار الصراط
اشارة الى ان الصراط الحقيقى صراطان من العبد الى الرب ومن الرب الى العبد فالذى من العبد الى الرب
طريق مخوف كم قطع فيه القوافل وانقطع به الرواحل ونادى منادى العزة لاهل العزة الطلب رد والسبيل سد
وقاطع الطريق يقطع على هذا الفريق لاقعدن لهم صراطك المستقيم الآية والذى من الرب الى العبد طريق
آمن وبالامان كائن قد سلم فيه القوافل وبالنعم محفوف المنازل يسير فيه سيارته ويقاد بالدلائل قادته
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية اى انعم الله على اسرارهم بانوار العناية وعلى ارواحهم باسرار الهداية
وعلى قلوبهم بآثار الولاية وعلى نفوسهم فى قمع الهوى وقهر الطبع وحفظ الشرع بالتوفيق والرعاية وفى مكايد
الشيطان بالمراقبة والكلاية والنعم اما ظاهرة كارسال الرسل وانزال الكتب وتوفيق قبول دعوة الرسل
واتباع السنة واجتناب البدعة وانقياد النفس للاوامر والنواهى والثبات على قدم الصدق ولزوم العبودية
واما باطنة وهى ما انعم على ارواحهم فى بداية الفطرة باصابة رشاش نوره كما قال عليه السلام ان الله خلق الخلق
فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطأه فقد ضل فكان فتح باب صراط الله

الى العبد من رشاش ذلك النور واول الغيث رش ثم ينسكب فالمؤمنون ينظرون بذلك النور المرشوش الى مشاهدة المغيث و ينتظرون الغيث ويستعينون (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) بجذبات ألطافك وفتحت عليهم أبواب فضلك ليهتدوا بك اليك فأصابوا بما اصابهم بك منك كذا فى التأويلات النجمية قال الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى الفكوك فى تأويل الحديث المذكور ولاشك ان الوجود المحض يتعقل فى مقابلته العدم المضادّله فان للعدم تعينا فى التعقل لامحالة وله الظلمة كما ان الوجود له النورانية ولهذا يوصف الممكن بالظلمة فانه يتنور بالوجود فيظهر فظلمته من احد وجهيه الذى يلى العدم وكل نقص يلحق الممكن و يوصف به انما ذلك من احكام النسبة العدمية واليه الاشارة بقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليه من نوره فظهر وخلق ههنا بمعنى التقدير فان التقدير سابق على الايجاد ورش النور كناية عن افاضة الوجود على الممكنات فاعلم ذلك انتهى كلام الشيخ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بدل من الذين على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال وكلمة غير على ثلاثة اوجه الاول بمعنى المغايرة وفارسيته جز قال الله تعالى لتفترى علينا غيره والثانى بمعنى لا وفارسيته نا قال تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد والثالث بمعنى الا وفارسيته مكر قال تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وصرفها ههنا على هذه الوجوه محتمل غير ان معنى الاستثناء مخصوص بقرآءة النصب والغضب ثوران النفس عند ارادة الانتقام يعنى انه حالة نفسانية تحصل عند غليان النفس ودم القلب لشهوة الانتقام وهنا نقيض الرضى اوارادة الانتقام اوتحقيق الوعيد اوالاخذ الاليم اوالبطش الشديد اوهتك الاستار والتعذيب بالنار لان القاعدة التفسيرية ان الافعال التى لها اوآئل بدايات واواخر غايات اذا لم يمكن اسنادها الى الله باعتبار البدايات يراد بها حين الاسناد غاياتها كالغضب والحياء والتكبر والاستهزآء والغم والفرح والضحك والبشاشة وغيرها والضلال العدول عن الطريق السوى عمدا اوخطأ والمراد بالمغضوب عليهم العصاة وبالضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليهم هم الجامعون بين العلم والعمل فكان المقابل لهم من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمدا وغضب الله عليه ولعنه والمخل بالعلم جاهل ضال كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اوالمغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى فى حقهم من لعنه الله وغضب عليه والضالون النصارى لقوله تعالى فى حقهم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وليس المراد تخصيص نسبة الغضب باليهود ونسبة الضلال بالنصارى لان الغضب قد نسب ايضا الى النصارى وكذا الضلال قد نسب الى اليهود فى القرءآن بل المراد انهما اذا تقابلا فالتعبير بالغضب الذى هو ارادة الانتقام لامحالة باليهود أليق لغاية تمردهم فى كفرهم من اعتدآئهم وقتلهم الانبياء وقولهم ان الله فقير ونحن اغنياء وغير ذلك فان قلت من المعلوم ان المنعم عليهم غير الفريقين فما الفائدة فى ذكرهما بعدهم قلت فائدته وصف ايمانهم بكمال الخوف من حال الطائفتين بعد وصفه بكمال الرجاء فى قوله الذين انعمت عليهم قال عليه السلام لووزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا واعلم ان حكم الغضب الالهى تكميل مرتبة قبضة الشمال فانه وان كان كلتا يديه المقدستين يمينا مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الاخرى فالارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه فلليد الواحدة المضاف اليها عموم السعدآء الرحمة والحنان وللاخرى القهر والغضب ولوازمهما فسر حكم الغضب هو التكميل المشار اليه فى الجمع بين حكم اليدين والوقاية ولصاحب الاكلة اذا ظهرت فى عضو واحد وقدر أن يكون الطبيب والده اوصديقه اوشقيقه فانه مع فرط محبته يبادر لقطع العضو المعتل لما لم يكن فيه قابلية الصلاح والسر الثالث التطهير كالذهب الممزوج بالرصاص والنحاس اذا قصد تمييزه لابد وان يجعل فى النار الشديدة والضلال هو الحيرة فمنها ماهى مذمومة ومنها ماهى محمودة واما ثلاث مراتب حيرة اهل البدايات وحيرة المتوسطين من اهل الكشف والحجاب وحيرة اكابر المحققين وأول مزيل للحيرة الاولى تعين المطلب المرجح كرضى الله والتقرب اليه والشهود الذاتى ثم معرفة الطريق الموصل كملازمة شريعة الكمل ثم السبب المحصل كالمرشد ثم ما يمكن الاستعانة به فى تحصيل الغرض من الذكر والفكر وغيرهما ثم معرفة العوآئق وكيفية ازالتها كالنفس والشيطان فاذا تعينت هذه الامور الخمسة حينئذ تزول هذه الحيرة وحيرة الاكابر محمودة لاتظن ان هذه الحيرة سببها قصور فى الادراك ونقص مانع من كمال الجلاء هنا والاستجلاء لما هنالك بل هذه حيرة يظهر حكمها بعد كمال

التحقق بالمعرفة والشهود ومعاينة سر كل وجود والاطلاع التام على احدية الوجود وفى تفسير النجم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين هم الذين اخطأهم ذلك النور فضلوا فى تيه هوى النفس وتاهوا فى ظلمات الطبع
والتقليد فغضب الله عليهم مثل اليهود ولعنهم بالطرد والتبعيد حتى لم يهتدوا الى الشرع القويم ووقعوا عن
الصراط المستقيم اى عن المرتبة الانسانية التى خلق فيها الانسان فى احسن تقويم ومسخوا قردة وخنازير صورة
اومعنى اولما وقعوا عن الصراط المستقيم فى سد البشرية نسوا ألطاف الربوبية وضلوا عن صراط التوحيد
فاخذهم الشيطان بشرك الشرك كالنصارى فاتخذوا الهوى الها والدنيا الها وقالوا ثالث ثلاثة نسوا الله
فنسيهم هذا بحسب اول الحال وفيه وجه آخر معتبر فيه عارض المآل وهو ان يراد بغير المغضوب عليهم بالغيبة
بعد الحضور والمحنة بعد السرور والظلمة غب النور نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من الرجوع الى النقصان
بعد الزيادة ولا الضالين بغلبة الفسق والفجور وانقلاب السرور بالشرور ووجه ثالث يعبر فى السلوك الى ملك
الملوك وهو غير المغضوب عليهم بالاحتباس فى المنازل والانقطاع عن القوافل ولا الضالين بالصدود عن المقصود
(آمين) اسم فعل بمعنى استجب معناه يا الله استجب دعاءنا اوافعل يارب بنى على الفتح كأين وكيف لالتقاء
الساكنين وليست من القرآن اتفاقا لانها لم تكتب فى الامام ولم ينقل احد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
رضى الله تعالى عنهم انها قرآن لكن يسن ان يقول القارئ بعد الفاتحة آمين مفصولة عنها لقوله عليه السلام
علمنى جبريل آمين عند فراغى من قرآءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وزاده على رضى الله عنه توضيحا
فقال آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده فسره ان الخاتم كما يمنع عن المختوم الاطلاع عليه والتصرف فيه
يمنع آمين عن دعاء العبد الخيبة وقال وهب يخلق بكل حرف منه ملك يقول اللهم اغفر لمن قال آمين
وفى الحديث الداعى والمؤمن شريكان يعنى به قوله تعالى قد اجيبت دعوتكما قال عليه السلام اذا قال الامام
ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقولها فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وسره ما مر
فى كلام وهب اما الموافقة فقيل فى الزمان وقيل فى الاخلاص والتوجه الاحدى واختلف فى هؤلاء الملائكة
قيل هم الحفظة وقيل غيرهم ويعضده ماروى انه عليه السلام قال فان من وافق قوله قول اهل السماء ويمكن
ان يجمع بين القولين بان يقولها الحفظة واهل السماء ايضا قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة ان الفاتحة
نسخة الكمال لمن اخرج للاستكمال من ظلمة العدم والاستهلاك فى نور القدم الى انوار الروحانية ثم بواسطة النفخ
الى عالم الجسمانية ليكمل مرتبة الانسانية التى بجمعيتها مظنة الانانية فاحتاج الى طلب الهداية الى منهاج
العناية التى منها جاء ليرجع من الوجود الى العدم بل من الحدوث الى القدم فيفقد الموجود فقدانا لا يجده ليجد
المفقود وجدانا لا يفقده ولما حصل لهم رتبة الكمال بقبول هذا السؤال كما قال ولعبدى ما سأل فأضافه الى
نفسه بلام التمليك ثم ختم اكرم الاكرمين نسخة حالهم بخاتم آمين اشارة الى ان عباده المخلصين ليس لاحد من
العالمين ان يتصرف فيهم بان يفك خاتم رب العالمين ولهذا ايس ابليس فقال الا عبادك منهم المخلصين وعدد آيات
سورة الفاتحة سبع فى قول الجمهور على ان احداها ما آخرها انعمت عليهم لا التسمية اوبالعكس وعدد كلماتها فى
التيسير انها خمس وعشرون وحروفها مائة وثلاثة وعشرون وفى عين المعانى كلماتها سبع وعشرون وحروفها
مائة واثنان واربعون وسبب الاختلاف بعد عدم اعتبار البسملة اعتبار الكلمات المنفصلة كتابة او المستقلة
تلفظا واعتبار الحروف الملفوظة او المكتوبة اوغيرهما وسئل عطاء اى وقت انزلت فاتحة الكتاب قال انزلت
بمكة يوم الجمعة كرامة اكرم الله بها محمدا عليه السلام وكان معها سبعة آلاف ملك حين نزل بها جبريل على محمد
عليهما السلام وروى ان عيرا قدمت من الشام لابى جهل بمال عظيم وهى سبع فرق ورسول الله واصحابه ينظرون
اليها واكثر الصحابة بهم جوع وعرى فخطر ببال النبى صلى الله عليه وسلم شئ لحاجة اصحابه فنزل قوله تعالى
ولقد آتيناك سبعا من المثانى اى مكان سبع قوافل لابى جهل لا تنظر الى ما اعطيناك مع جلالة هذه العطية فلم
تنظر الى ما اعطيته من متاع الدنيا الدنية ولما علم الله ان تمنيه لم يكن لنفسه بل لاصحابه قال ولا تحزن عليهم وامره
بما يزيد نفعه على نفع المال فقال واخفض جناحك للمؤمنين فان تواضعك أطيب لقلوبهم من ظفرهم بمحبوبهم
ومن فضائلها ايضا قوله عليه السلام لو كانت فى التوراة لما تهود قوم موسى ولو كانت فى الانجيل لما تنصر قوم
عيسى ولو كانت فى الزبور لما مسخ قوم داود عليهم السلام وأيما مسلم قرأها اعطاه الله من الاجر كأنما قرأ القرآن

كله وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ومن فضائلها ايضا ان الحروف المعجمة فيها اثنان وعشرون واعوان النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوحي اثنان وعشرون وان ليست فيها سبعة احرف ثاء الثبور وجيم الجحيم وخاء الخوف وزاي الزقوم وشين الشقاوة وظاء الظلمة وفاء الفراق فمعتقد هذه السورة وقارئها على التعظيم والحرمة آمن من هذه الاشياء السبعة وعن حذيفة رضي الله عنه انه عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في المكتب الحمد لله رب العالمين فيسمعه ويرفع عنهم بسببه العذاب اربعين سنة وقد مرّ ماروي من ايداع علوم جميع الكتب في القرءآن ثم في الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير الكل ومن قرأها فكأنما قرأ الكل قال في التفسير الكبير والسبب ان المقصود من جميع الكتب علم الاصول والفروع والمكاشفات وقد علم اشتمالها عليها قال الفناري وذلك لما علم ان اوائلها الى قوله تعالى مالك يوم الدين اشارة الى العقائد المبدئية المتعلقة بالالهيات ذاتا وصفة وفعلا لان حصر الحمد يقتضي حصر الكمالات الذاتية والوصفية والفعلية ثم بالنبوات والولايات لانهما اجلاء النعم اواخصاؤها ثم الى العقائد المعادية لكونه مالكا للامر كله يوم المعاد واوسطها من قوله اياك نعبد واياك نستعين الى اقسام الاحكام الرابطة بين الحق والعبد من العبادات وذلك ظاهر من المعاملات والمزاجر لان الاستعانة الشرعية اما لجلب المنافع اولدفع المضار وآخرها الى طلب المؤمنين وجوه الهداية المرتبة على الايمان المشار اليه في القسم الاول والاسلام المشار اليه في القسم الثاني وهي وجوه الاحسان اعني المراتب الثلاث من الاخلاق الروحانية المحمودة ثم المراقبات المعهودة في قوله عليه السلام أن تعبد الله كأنك تراه ثم الكمالات المشهودة عند الاستغراق في مطالع الجلال الرافع لكاف التشبيه الذي في ذلك الخبر والدافع لغضب تنزيه الجبر وضلال نسبة القدر وهذه هي المسماة بعلوم المكاشفات والله اعلم باسرار كتابه المبطنات

(سورة البقرة مدنية وآياتها مائتان وسبع وثمانون)

ان قلت اي سورة اطول واّيها أقصر واي آية اطول وأيها اقصر قلت قال اهل التفسير اطول سورة في القرءآن البقرة واقصرها الكوثر واطول آية آية الدين واقصرها آية والضحى والفجر واطول كلمة فيه كلمة فاسقيناكموه فان قلت ما الحكمة في ان سورة البقرة اعظم السور ماعدا الفاتحة الجواب لانها فصلت فيها الاحكام وضربت الامثال واقيمت الحجج اذلم تشتمل سورة على ما اشتملت عليه ولذلك سميت فسطاط القرءآن قال ابن العربي في احكام القرءآن سمعت بعض اشياخي يقول فيها ألف امر وألف نهي وألف حكم وألف خبر ولعظم فقهها اقام ابن عمر رضي الله عنه ثماني سنين على تعلمها كذا في اسئلة الحكم قال الامام في التفسير الكبير اعلم انه مرّ على لساني في بعض الاوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن ان يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة فاستبعد هذا بعض الحساد وقوم من اهل الجهل والغي والعناد وحملوا ذلك على ما ألفوه من انفسهم من التصلفات الفارغة عن المعاني والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على ان ماذكرنا امر ممكن الحصول قريب الوصول انتهى وانما سورت السور طوالا واوساطا وقصارا تنبيها على ان الطول ليس من شرط الاعجاز فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزة اعجاز سورة البقرة ثم ظهرت لذلك التسوير حكمة في التعليم وتدريج الاطفال من السور القصار الى مافوقها تيسيرا من الله تعالى على عباده وفي ذلك ايضا ترغيب وتوسيع في الفضيلة في الصلاة وغيرها كسورة الاخلاص من القصار تعدل ثلث القرءآن فمن فهم ذلك فاز بسر التسوير فان قلت ما الحكمة في تعدد مواطن نزول القرءآن وتكرر مشاهده مكيا مدنيا ليليا نهاريا سفريا حضريا صيفيا شتائيا نوميا برزخيا يعني بين الليل والنهار ارضيا سماويا غاريا مانزل في الغار يعني تحت الارض برزخيا مانزل بين مكة والمدينة عرشيا معراجيا مانزل ليلة المعراج آخر سورة البقرة الجواب الحكمة في ذلك تشريف مواطن الكون كلها بنزول الوحي الالهي فيها وحضور الحضرة المحمدية عندها كما قيل سر المعراج والاسراء به وسير المصطفى في مواطن الكون كلها كأن الكون والعرش والجنان يسأل كل موطن بلسان الحال ان يشرفه الله تعالى بقدوم قدم حبيبه وتكتحل اعين الاعيان والكبار بغبار نعال قدم سيد السادات ومفخر موجودات الولاة ماشم الكون رائحة الوجود ومابدا من حضرة الكمون لمعة الشهود كما ورد بلسان القدس لولاك لولاك لما خلقت الافلاك

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) ان قلت ما الحكمة في ابتداء البقرة بالم والفاتحة بالحرف الظاهر المحكم الجواب قال السيوطي رحمه الله
في الاتقان اقول في مناسبة ابتداء البقرة بالم انه لما ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل احد بحيث لا يعذر
في فهمه ابتدئت البقرة بمقابله وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل ليعلم مراتبه للعقلاء والحكماء ليعجزهم
بذلك ليعتبروا ويدبروا آياته كذا في خواتم الحكم وحل الرموز وكشف الكنوز للعارف بالله الشيخ المعروف بعلي
دده واعلم انهم تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة
اي من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى
وفائدة ذكرها طلب الايمان بها او الالف الله واللام لطيف والميم مجيد اي انا الله اللطيف المجيد كما ان قوله تعالى
الر انا الله ارى وكهيعص انا الله الكريم الهادي الحكيم العليم الصادق وكذا قوله تعالى ق اشارة الى انه القادر
القاهر ون اشارة الى انه النور الناصر فهي حروف مقطعة كل منها مأخوذ من اسم من اسمائه تعالى والاكتفاء
ببعض الكلمة معهود في العربية كما قال الشاعر قلت لها قفي فقالت ق اي وقفت وقيل ان هذه الحروف
ذكرت في اوائل بعض السور لتدل على ان القرآن مؤلف من الحروف التي هي ا ب ت ث فجاء بعضها مقطعا
وبعضها مؤلفا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم
فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لأتوا بمثله هذا ما جنح اليه اهل التحقيق
ولكن فيه نظر لانه يفهم من هذا القول ان لا يكون لتلك الحروف معان واسرار والنبي عليه السلام اوتي علم
الاولين والآخرين فيحتمل ان يكون الم وسائر الحروف المقطعة من قبيل المواضعات المعميات بالحروف بين
المحبين لا يطلع عليها غيرهما وقد واضعها الله تعالى مع نبيه عليه السلام في وقت لا يسعه فيه ملك مقرب
ولا نبي مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبريل عليه السلام باسرار وحقائق لا يطلع عليها جبريل ولا غيره
يدل على هذا ما روي في الاخبار ان جبريل عليه السلام لما نزل بقوله تعالى كهيعص فلما قال كاف قال
النبي عليه السلام علمت فقال ها فقال علمت فقال يا فقال علمت فقال عين فقال علمت فقال صاد فقال علمت
فقال جبريل عليه السلام كيف علمت ما لم اعلم وقال الشيخ الاكبر قدس سره في اول تفسير الم ذلك الكتاب
واما الحروف المجهولة التي انزلها الله تعالى في اوائل السور فسبب ذلك من اجل لغو العرب عند نزول القرآن
فانزلها سبحانه حكمة منه حتى تتوفر دواعيهم لما انزل الله اذا سمعوا مثل هذا الذي ما عهدوه والنفوس من
طبعها ان تميل الى كل امر غريب غير معتاد فينصتون عن اللغو ويقبلون عليها ويصغون اليها فيحصل المقصود فيما
يسمعونه مما يأتي بعد هذه الحروف النازلة من عند الله تعالى وتتوفر دواعيهم للنظر في الامر المناسب بين حروف
الهجاء التي جاء بها مقطعة وبين ما يجاورها من الكلم وابهم الامر عليهم من عدم اطلاعهم عليها فرد الله بذلك
شرا كبيرا من عنادهم وعتوهم ولغوهم كان يظهر منهم فذلك رحمة للمؤمنين وحكمة منه سبحانه انتهى كلامه
قال بعض العارفين كل ما قيل في شرحها بطريق النظر والاعتبار فتخمين النظر من قائله لا حقيقة الا ان
كشف الله له عن قصده تعالى بها يقول الفقير جامع هذه المعارف واللطائف شكر الله مساعيه وبسط اليه
من عنده اياديه قال شيخي الاكمل في هامش كتاب اللائحات البرقيات له بعد ما ذكر بعض خواص الم على طريق
الحقيقة زلق في امثال هذا المتشابه اقدام الزائغين عن العلم وتحير عقول الراسخين في العلم وبعضهم توقف تأدبا
مع الله تعالى ولم يتعرض بل قالوا آمنا به كل من عند ربنا وبعضهم تأولوا لكن بوجوه بعيدة عن المرام والمقام بعدا
بعيدا الا انها مستحسنة شرعا ومقبولة دينا وعقلا وما يذكر اي بالمقصود والمرام على ما هو عليه في نفسه
في الواقع الا اولوا الالباب لكن بتذكير الله تعالى والهامه واطلاعه تخصيصا لهم وتمييزا لهم عما عداهم
اختصاصا الهيا ازليا لهم من عند الله لا بتفكر انفسهم ونظر عقولهم بل بمحض فيض الله والهامه انتهى كلامه
الشريف قدس سره اللطيف وقال عبد الرحمن البسطامي قدس سره مؤلف الفوائح المسكية في بحر الوقوف
ثم ان بعض الانبياء علموا اسرار الحروف بالوحي الرباني والالقاء الصمداني وبعض الاولياء بالكشف الجلي النوراني
والفيض العلي الروحاني وبعض العلماء بالنقل الصحيح والعقل الرجيح وكل منهم قد اخبر اصحابه ببعض اسرارها
اما بطريق الكشف والشهود او بطريق الرسم والحدود والصحيح ان الله تعالى طوى علم اسرار الحروف عن اكثر

هذه الامة لما فيها من الحكم الالهية والمصالح الربانية ولم يأذن للاكابر ان يعرفوا منه الابعض اسراره التى يشتمل عليها تركيبها الخاص المنتج انواع التسخيرات والتأثيرات فى العوالم العلويات والسفليات الى غير ذلك انتهى كلام بحر الوقوف وفى التأويلات النجمية هيئة الصلاة التى ذكرت فى القرءآن ثلاث القيام لقوله تعالى وقوموا لله قانتين والركوع لقوله تعالى واركعوا مع الراكعين والسجود لقوله تعالى واسجد واقترب فالالف فى الم اشارة الى القيام واللام اشارة الى الركوع والميم اشارة الى السجود يعنى من قرأ سورة الفاتحة التى هى مناجاة العبد مع الله فى الصلاة التى هى معراج المؤمنين يجيبه الله تعالى بالهداية التى طلبها منه بقوله اهدنا ثم اعلم ان المتشابه كالمحكم من جهة اجر التلاوة لما ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم الف حرف ولام حرف وميم حرف ففى الم تسع حسنات (ذلك الكتاب) الم مبتدأ على انه اسم القرءآن على احد الوجوه وذلك خبره اشارة الى الكتاب فيكون الكتاب صفة والمراد به الكتاب الكامل الموعود انزاله فى الكتب المتقدمة وانما اشار بذلك الى ماليس ببعيد لان الكتاب من حيث كونه موعودا فى حكم البعيد قالوا لما انزل الله تعالى على موسى التوراة وهى ألف سورة كل سورة ألف آية قال موسى عليه السلام يارب ومن يطيق قرآءة هذا الكتاب وحفظه فقال تعالى انى انزل كتابا اعظم من هذا قال على من يارب قال على خاتم النبيين قال وكيف تقرأه امته ولهم اعمار قصيرة قال انى ايسره عليهم حتى يقرأه صبيانهم قال يارب وكيف تفعل قال انى انزلت من السماء الى الارض مائة وثلاثة كتب خمسين على شيث وثلاثين على ادريس وعشرين على ابراهيم والتوراة عليك والزبور على داود والانجيل على عيسى وذكرت الكائنات فى هذه الكتب فأذكر جميع معانى هذه الكتب فى كتاب محمد وأجمع ذلك كله فى مائة واربع عشرة سورة وأجعل هذه السور فى ثلاثين جزأ والاجزآء فى سبعة اسباع ومعنى هذه الاسباع فى سبع آيات الفاتحة ثم معانيها فى سبعة احرف وهى بسم الله ثم ذلك كله فى الالف من الم ثم أفتتح سورة البقرة فاقول الم ولما وعد الله ذلك فى التوراة وأنزله على محمد عليه السلام جحدت اليهود لعنهم الله ان يكون هذا ذلك فقال تعالى ذلك الكتاب كما فى تفسير التيسير ولهذه الآية وجوه اخر من الاعراب ذكرت فى التفاسير فلتطلب ثمة (لاريب) كائن (فيه) فقوله ريب اسم لا وفيه خبرها وهو فى الاصل من رابنى الشئ اذا حصل فيك الريبة وهى قلق النفس واضطرابها سمى به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفى الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوآئبه وفى التفسير المسمى بالتيسير الريب شك فيه خوف وهو اخص من الشك فكل ريب شك وليس كل شك ريبا والشك هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لاحدهما على الآخر عند الشاك ولم يقدم الظرف على الريب لئلا يذهب الفهم الى ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه فان قلت الكفار شكوا فيه فلم يقرؤا بكتاب الله تعالى والمبتدعون من اهل القبلة شكوا فى معانى متشابهه فأجروها على ظاهرها وضلوا بها والعلماء شكوا فى وجوهه فلم يقطعوا القول على وجه منها والعوام شكوا فيه فلم يفهموا معانيه فما معنى نفى الريب عنه فالجواب ان هذا نفى الريب عن الكتاب لا عن الناس والكتاب موصوف بانه لا تمكن فيه ريب فهو حق صدق معلوم ومفهوم شك فيه الناس اولم يشكوا كالصدق صدق فى نفسه وان وصفه الناس بالكذب والكذب كذب وان وصفه الناس بالصدق فكذا الكتاب ليس مما يلحقه ريب او تمكن فيه عيب ويجوز ان يكون خبرا فى معنى الامر ومعناه لا ترتابوا كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج والمعنى لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا كما فى الوسيط والعيون (هدى) اى هو رشد وبيان (للمتقين) اى للضالين المشارفين التقوى الصائرين اليها ومثله حديث من قتل قتيلا فله سلبه وفى تفسير الارشاد اى المتصفين بالتقوى حالا اومآلا وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون بآثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس اى كلهم بيانا وهدى للمتقين على الخصوص ارشادا قال فى التيسير وكذلك يقال فى كل من انتفع بشئ دون غيره انه لك على الخصوص اى انت المنتفع به وحدك وليس فى كون بعض الناس لم يهتدوا واما يخرجه من ان يكون هدى فالشمس شمس وان لم يرها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه الممرور والمسك مسك وان لم يدرك طيبه المأنوف فالخيبة كل الخيبة لمن عطش والبحر زاخر وبقى فى الظلمة والبدر

زاهر وخبث والطيب حاضر وذوى والروض ناضر والحسرة كل الحسرة لمن عصى وفسق والقرآن
ناه آمر وفارق الرغبة والرهبة والوعد متواتر والوعيد متظاهر ولذلك قال تعالى وانه لحسرة على الكافرين
والمتقى اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة قال البغوى هو مأخوذ من الاتقاء واصله
الحاجز بين الشيئين ومنه يقال اتقى بترسه اى جعله حاجزا بين نفسه وبين ما يقصده وفى الحديث كنا اذا احمرّ البأس
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اى اذا اشتدّ الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدوّ فكأنّ المتقى يجعل
امتثال امر الله والاجتناب عمانهاه حاجزا بينه وبين العذاب والتقوى فى عرف الشرع عبارة عن كمال التوقى
عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى من الكفر وعليه قوله تعالى
وألزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف
بالتقوى فى الشرع وهو المعنىّ بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره
عن الحق عزوجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقية المأمور بها فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته وأقصى مراتب هذا النوع من التقوى ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام حيث جمعوا رياستى
النبوّة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق
عن الاستغراق فى شؤن الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة
لارباب هذه المراتب اجمعين فهداية العام بالاسلام وهداية الخاص بالايقان والاحسان وهداية الاخص
بكشف الحجب ومشاهدة العيان وفى التأويلات النجمية المتقون هم الذين اوفوا بعهد الله من بعد ميثاقه
ووصلوا به ما امر الله ان يوصل به من مأمورات الشرع ظاهرا وباطنا يدل على هذا قوله تعالى واوفوا بعهدى
اوف بعهدكم الى قوله واياى فاتقون اى اذا انتم اقررتم بربوبيتى بقولكم بلى يوم الميثاق اوفوا بعهدى الذى
عاهدتمونى عليه وهو العبودية الخالصة لى اوف بعهدكم الذى عاهدتكم عليه وهو الهداية الىّ وفى الرسالة القشيرية
والمتقى مثل ابن سيرين كان له اربعون حبا سمنا فاخرج غلامه فأرة من حب فسأله من اى حب اخرجتها فقال
لا ادرى فصبها كلها ومثل ابى يزيد البسطامى اشترى بهمذان جانبا من حب القرطم فلما رجع الى بسطام رأى فيه
نملتين فرجع الى همذان ووضع النملتين (وحكى) ان ابا حنيفة رحمه الله كان لا يجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول
فى الخبر كل قرض جر نفعا فهو ربا وقيل ان ابا يزيد غسل ثوبه فى الصحراء مع صاحب له فقال له نعلق الثوب فى
جدار الكروم فقال لا نضرب الوتد فى جدار الناس فقال نعلقه فى الشجر فقال انه يكسر الاغصان فقال نبسطه
على الارض فقال انه علف الدواب لا نستره عنها فولى ظهره حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر
(الذين يؤمنون بالغيب) الجملة صفة مقيدة للمتقين ان فسر التقوى بترك مالا ينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية
على التخلية والتصوير على التصقيل وموضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل
الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية
والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصى غالبا الا ترى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام والايمان هو التصديق بالقلب لان المصدّق
يؤمن المصدّق اى يجعله آمنا من التكذيب او يؤمن نفسه من العذاب بفعله والله تعالى مؤمن لانه يؤمن
عباده من عذابه بفضله واستعماله بالباء ههنا لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير
ذا امن وطمانينة قال فى الكواشى الايمان فى الشريعة هو الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل
بالاركان والاسلام الخضوع والانقياد فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق
فقد يكون الرجل مسلما ظاهرا غير مصدّق باطنا ولا يكون مصدّقا باطنا غير منقاد ظاهرا قال المولى
ابو السعود رحمه الله فى تفسيره هو فى الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم كالتوحيد والنبوّة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف فى ذلك اولا بد من انضمام الاقرار
اليه للتمكن منه الاول رأى الشيخ الاشعرى ومن شايعه والثانى مذهب ابى حنيفة رحمه الله ومن تابعه
وهو الحق فانه جعلهما جزأين له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة
امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد

وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا عندنا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة والغيب مصدر سمى به الغائب توسعا كقولهم للزائر زور وهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذى اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الاحكام والشرائع واليوم الآخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة الايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا عن الوثوق وهو واقع موقع المفعول به وان جعلت الغيب مصدرا على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل اى يؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اى غائبين عن النبى صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة ويدل عليه انه قال حارث بن نغير لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه نحن نحتسب لكم يا اصحاب محمد ما سبقتمونا به من رؤية محمد صلى الله عليه وسلم وصحبته فقال عبد الله ونحن نحتسب لكم ايمانكم به ولم تروه وان افضل الايمان ايمان بالغيب ثم قرأ عبد الله الذين يؤمنون بالغيب كذا فى تفسير ابى الليث واما عن الناس اى غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم فالباء حينئذ للآلة وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه احد منا فاقبل حتى جلس بين يدى رسول الله عليه السلام وركبته تمس ركبته فقال يا محمد اخبرنى عن الاسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا فقال صدقت فتعجبنا من سؤاله وتصديقه ثم قال فما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره فقال صدقت ثم قال فما الاحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت ثم قال فاخبرنى عن الساعة فقال ما المسئول عنها باعلم من السائل قال صدقت قال فاخبرنى عن اماراتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى العراة الحفاة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان قال صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثالثة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر هل تدرى من الرجل قلت الله ورسوله اعلم قال ذاك جبريل اتاكم يعلمكم امر دينكم وما اتانى فى صورة الا عرفته فيها الا فى صورته هذه وفى التأويلات النجمية يؤمنون بالغيب اى بنور غيبى من الله فى قلوبهم نظروا فى قول محمد صلى الله عليه وسلم فشاهدوا صدق قوله فآمنوا به كما قال عليه السلام المؤمن ينظر بنور الله واعلم ان الغيب غيبان غيب غاب عنك وغيب غبت عنه فالذى غاب عنك عالم الارواح فانه قد كان حاضرا حين كنت فيه بالروح وكذرة وجودك فى عهد ألست بربكم واستماع خطاب الحق ومطالعة آثار الربوبية وشهود الملائكة وتعارف الارواح من الانبياء والاولياء وغيرهم فغاب عنك اذ تعلقت بالقالب ونظرت بالحواس الخمس اى بالمحسوسات من عالم الاجسام واما الغيب الذى غبت عنه فغيب الغيب وهو حضرة الربوبية قد غبت عنه بالوجود وما غاب عنك بالوجود وهو معكم اينما كنتم انت بعيد منه وهو قريب منك كما قال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد انتهى كلام الشيخ نجم الدين قدس سره (قال الشيخ سعدى)

دوست نزديكتر از من بمنست * وين عجبتر كه من از وى دورم * چه كنم با كه توان كفت كه او * دركنار من ومن مهجورم

(ويقيمون الصلاة) الصلاة اسم للدعاء كما فى قوله تعالى وصل عليهم اى ادع لهم والثناء كما فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون والقرآءة كما فى قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك اى بقرآءتك والرحمة كما فى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم والصلاة المشروعة المخصوصة بافعال واذكار سميت بها لما فى قيامها من القرآءة وفى قعودها من الثناء والدعاء ولفاعلها من الرحمة والصلاة فى هذه الاية اسم جنس اريد بها الصلوات الخمس واقامتها عبارة عن المواظبة عليها من قامت السوق اذا نفقت او عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او عن ادائها فان قول المؤذن قد قامت الصلاة معناه اخذوا فى ادائها عبر عن ادائها بالاقامة

لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح اوعن تعديل اركانها وحفظها
من ان يقع فى شئ من فرائضها وسننها وادآئها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله وهو الاظهر لانه اشهر
والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن
وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذينهم عن صلاتهم ساهون
قال ابراهيم النخعى اذا رأيت رجلا يخفف الركوع والسجود فترحم على عياله يعنى من ضيق المعيشة
وذكر ان حاتما الزاهد دخل على عاصم بن يوسف فقال له عاصم يا حاتم هل تحسن ان تصلى فقال نعم قال كيف
تصلى قال اذا تقارب وقت الصلاة اسبغ الوضوء ثم استوى فى الموضع الذى اصلى فيه حتى يستقر كل عضو منى
وارى الكعبة بين حاجبى والمقام بحيال صدرى والله فوقى يعلم ما فى قلبى وكأن قدمى على الصراط والجنة
عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت خلفى واظن انها آخر الصلاة ثم اكبر تكبيرا باحسان واقرأ قراءة بتفكر
واركع ركوعا بالتواضع واسجد سجودا بالتضرع ثم اجلس على التمام وأتشهد على الرجاء واسلم على السنة
ثم اسلمها للاخلاص واقوم بين الخوف والرجاء ثم اتعاهد على الصبر قال عاصم يا حاتم أهكذا صلاتك قال كذا
صلاتى منذ ثلاثين سنة فبكى عاصم وقال ماصليت من صلاتى مثل هذا قط كذا فى تنبيه الغافلين (قال السعدى)
كه داند چو در بند حق نيستى * اگر بى وضو در نماز ايستى * قال فى تفسير التيسير المذكور فى الآية
اقامة الصلاة والله تعالى امر فى الصلاة باشياء باقامتها بقوله واقيموا الصلاة وبالمحافظة عليها وادامتها بقوله
الذينهم على صلاتهم دآئمون وبادآئها فى اوقاتها بقوله كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وبادآئها فى جماعة بقوله
واركعوا مع الراكعين وبالخشوع فيها بقوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون وبعد هذه الاوامر صارت الناس
على طبقات طبقة لم يقبلوها ورأسهم ابو جهل لعنه الله قال الله تعالى فى حقه فلا صدق ولا صلى وذكر مصيرهم
فقال ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين وطبقة قبلوها ولم يؤدوها
وهم اهل الكتاب قال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف وهم اهل الكتاب أضاعوا الصلاة وذكر مصيرهم فقال
فسوف يلقون غيا وهى دركة فى جهنم هى اهيب موضع فيها تستغيث الناس منها كل يوم كذا وكذا مرة
ثم قال الله الا من تاب اى من اليهودية والنصرانية وآمن اى بمحمد وعمل صالحا اى حافظ على الصلاة وطبقة
ادوا بعضا ولم يؤدوا بعضا متكاسلين وهم المنافقون قال الله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وذكر ان مصيرهم ويل وهو واد فى جهنم لو جعلت فيه جبال الدنيا لماعت
اى سالت قال النبى صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة حتى مضى وقتها عذب فى النار حقبا والحقب ثمانون سنة
كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون قالوا وتأخير الصلاة عن وقتها كبيرة واصغر الكبيرة
ماقيل انه يكون كانه زنى بامه سبعين كما فى روضة العلماء وطبقة قبلوها وهم يراعونها فى مواقيتها بشرآئطها
ورأسهم المصطفى صلى الله عليه وسلم قال تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل وقال تعالى قل ان صلاتى
ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين الآية واصحابه كذلك فذكرهم الله تعالى بقوله قد افلح المؤمنون الذينهم
فى صلاتهم خاشعون وذكر مصيرهم فقال اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وهو ارفع موضع فى الجنة
وابهاه ينال المؤمن فيه مناه وينظر الى مولاه قال الحكماء كن نجما فان لم تستطع فكن قمرا فان لم تستطع فكن
شمسا اى مصليا جميع الليل كالنجم يشرق جميع الليل اوكالقمر يضئ بعض الليل اوكالشمس تضئ بالنهار
معناه فصل بالنهار ان لم تستطع بالليل كذا فى زهرة الرياض واعلم ان الجماعة من فروض الكفاية وفيها فضل
وليست بفرض عند عامة العلماء حتى اذا صلى وحده جاز وفاته فضل الجماعة وقال احمد بن حنبل ان الجماعة
فرض وليست بنافلة حتى اذا صلى وحده لم تجز صلاته عنده وان لم تكن فريضة عندنا فالواجب على المسلم
ان يتعاهدها ويحفظها قال تعالى يا قومنا اجيبوا داعى الله قال بعضهم المراد من الداعى المؤذنون الذين يدعون
الى الجماعة فى الصلوات الخمس وتارك الجماعة شر من شارب الخمر وقاتل النفس بغير حق ومن القتات ومن
العاق لوالديه ومن الكاهن والساحر ومن المغتاب وهو ملعون فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان وهو
ملعون على لسان الملائكة لا يعاد اذا مرض ولا تشهد جنازته اذا مات قال النبى عليه الصلاة والسلام تارك
الجماعة ليس منى ولا انا منه ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا اى نافلة وفريضة فان ماتوا على حالهم فالنار

اولى بهم كذا فى روضة العلماء وقال فى نصاب الاحتساب قال عليه السلام لقد هممت ان آمر رجلا
يصلى بالناس وانظر الى اقوام يتخلفون عن الجماعة فأحرق بيوتهم وهذا يدل على جواز احراق بيت الذى
يتخلف عن الجماعة لان الهمّ بالمعصية لا يجوز من الرسول عليه السلام لانه معصية فاذا علم جواز احراق البيت
على ترك السنة المؤكدة فما ظنك فى احراق البيت على ترك الواجب والفرض وما ظنك فى احراق آلات المعصية
انتهى كلام النصاب هذا وعن ابن عباس رضى الله عنه بعث الله نبيه عليه السلام بشهادة ان لا اله الا الله
فلما صدق زاد الصلاة فلما صدق زاد الزكاة فلما صدق زاد الصيام فلما صدق زاد الحج ثم الجهاد ثم اكمل لهم الدين
قال مقاتل كان النبى عليه السلام يصلى بمكة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشاء فلما عرج به الى السماء امر
بالصلوات الخمس كما فى روضة الاخيار وانما فرضت الصلاة ليلة المعراج لان المعراج افضل الاوقات واشرف
الحالات واعز المناجاة والصلاة بعد الايمان افضل الطاعات وفى التعبد احسن الهيئات ففرض افضل العبادات
فى افضل الاوقات وهو وصول العبد الى ربه وقربه منه واما الحكمة فى فرضيتها فلانه صلى الله عليه وسلم لما
اسرى به شاهد ملكوت السموات باسرها وعبادات سكانها من الملائكة فاستكثرها عليه السلام غبطة وطلب ذلك
لامته فجمع الله له فى الصلوات الخمس عبادات الملائكة كلها لان منهم من هو قائم ومنهم من هو راكع ومنهم من هو
ساجد وحامد ومسبح الى غير ذلك فاعطى الله تعالى اجور عبادات اهل السموات لامته اذا اقاموا الصلوات الخمس
واما الحكمة فى ان جعلها الله تعالى مثنى وثلاث ورباع فلانه عليه السلام شاهد هيا كل الملائكة تلك الليلة اى
ليلة الاسرآء اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع فجمع الله ذلك فى صور انوار الصلوات عند عروج ملائكة الاعمال
بارواح العبادات لان كل عبادة تتمثل فى الهيا كل النورانية وصورها كما وردت الاشارات فى ذلك بل يخلق
الملائكة من الاعمال الصالحة كما ورد فى الاحاديث الصحيحة وكذلك جعل الله اجنحة الملائكة على ثلاث مراتب
فجعل اجنحتك التى تطير بها الى الله موافقة لاجنحتهم ليستغفروا لك واما الحكمة فى كونها خمس صلوات فلانه
عليه السلام بعد سؤاله التخفيف ومراجعته قال له الله تعالى يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة
عشر حسنات فتلك خمسون صلاة وكانت خمسين على من قبلنا فحطت ليلة المعراج الى خمس تخفيفا وثبت جزاء
الخمسين تضعيفا وحكمة اخرى فى كونها خمس صلوات انها كانت متفرقة فى الامم السالفة فجمعها سبحانه لنبيه
وامته لانه عليه السلام مجمع الفضائل كلها دنيا وآخرة وامته بين الامم كذلك فاول من صلى الفجر آدم والظهر
ابراهيم والعصر يونس والمغرب عيسى والعشاء موسى عليهم السلام فهذا سر القرار على خمس صلوات وقيل صلى
آدم عليه السلام الصلوات الخمس كلها ثم تفرقت بعده بين الانبياء عليهم السلام واول من صلى الوتر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لذلك قال زادنى ربى صلاة اى الوتر على الخمس او صلاة الليل فافهم واول من بادر
الى السجود جبريل عليه السلام ولذلك صار رفيق الانبياء وخادمهم واول من قال سبحان الله جبريل والحمد لله
آدم ولا اله الا الله نوح والله اكبر ابراهيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم كل ذلك فى كشف الكنوز وحل الرموز وذكر فى الحكم الشاذلية وشرحها انه لما علم الحق منك وجود الملل
لوّن لك الطاعات لتستريح من نوع الى نوع وعلم ما فيك من وجود الشره المؤدى الى الملل القاطع عن بلوغ
الامل فحجرها عليك فى الاوقات اذ جعل فى اليوم خمسا وفى السنة شهرا وفى المائتين خمسة وفى العمر زورة
ولكل واحدة فى تفاصيلها وقت لا تصح فى غيره كل ذلك رحمة بك وتيسير العبودية عليك وقد قيد الله الطاعات
باعيان الاوقات كيلا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع الوقت عليك كى تبقى صفة الاختيار (قال المولى
جلال الدين) كرنباشد فعل خلق اندرميان * پس مكوكس راچرا كردى چنان * يك مثال اى دل
پى فرقى بيار * تابدانى جبررا از اختيار * دست كان لرزان بود از ارتعاش * وانكه دستى را
تو لرزانى زجاش * هردو جنبش آفريده حق شناس * ليك نتوان كرد اين باآن قياس * وفى
التأويلات النجمية بداية الصلاة اقامة ثم ادامة فاقامتها بالمحافظة عليها بمواقيتها واتمام ركوعها وسجودها
وحدودها ظاهرا وباطنا وادامتها بدوام المراقبة وجمع الهمة فى التعرض لنفحات ألطاف الربوبية التى هى
مودعة فيها لقوله عليه السلام ان لله فى ايام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها فصورة الصلاة صورة التعرض
والامر بها صورة جذبة الحق بان يجذب صورتك عن الاستعمال لغير العبودية وسر الصلاة حقيقة التعرض

ففي كل شرط من شرآئط صورتها وركن من اركانها وسنة من سننها وأدب من آدابها وهيئة من هيئاتها سر يشير الى حقيقة التعرض لها ومن شرآئط الصلاة الوضوء ففي اكل ادب وسنة وفرض منه سر يشير الى طهارة يستعد بها لاقامة الصلاة ففي غسل اليدين اشارة الى تطهير نفسك عن تلوث المعاصي وتطهير قلبك عن تلطخ الصفات الذميمة الحيوانية والسبعية والشيطانية كما قال تعالى لحبيبه عليه السلام وثيابك فطهر جاء في التفسير اى قلبك فطهر وغسل الوجه اشارة الى طهارة وجه همتك من دنس ظلمة حب الدنيا فانه رأس كل خطيئة ومن شرآئط الصلاة استقبال القبلة وفيه اشارة الى الاعراض عما سوى طلب الحق والتوجه الى حضرة الربوبية لطلب القربة والمناجاة ورفع اليدين اشارة الى رفع يد الهمة عن الدنيا والآخرة والتكبير تعظيم الحق بانه اعظم من كل شئ في قلب العبد طلبا ومحبة وعظما وعزة ومقارنة النية مع التكبير اشارة الى ان صدق النية في الطلب ينبغي ان يكون مقرونا بتكبير الحق وتعظيمه في الطلب عن غيره فلا تطلب منه الا هو فان من طلب غيره فقد كبر وعظم ذلك المطلوب لا الله تعالى فلا تجوز صلاته حقيقة كما لا تجوز صلاته صورة الا بتكبير الله فان قال الدنيا اكبر او العقبى اكبر لا يجوز حتى يقول الله اكبر فكذلك في الحقيقة وفي وضع اليمنى على اليسرى ووضعهما على الصدر اشارة الى اقامة رسم العبودية بين يدى مالكه وحفظ القلب عن محبة ماسواه وفي افتتاح القرآءة بوجهت اشارة الى توجهه للحق خالصا عن شرك طلبه غير الحق وفي وجوب الفاتحة وقرآءتها وعدم جواز الصلاة بدونها اشارة الى حقيقة تعرض العبد في الطلب لنفحات ألطاف الربوبية بالحمد والثناء والشكر لرب العالمين وطلب الهداية وهي الجذبات الالهية التي توازى كل جذبة منها عمل الثقلين وتقرب العبد بنصف الصلاة المقسومة بين العبد والرب نصفين والقيام والركوع والسجود اشارة الى رجوعه الى عالم الارواح ومسكن الغيب كما جاء منه فاول تعلقه بهذا العالم كان بالنباتية ثم بالحيوانية ثم بالانسانية فالقيام من خصائص الانسان والركوع من خصائص الحيوان والسجود من خصائص النبات كما قال تعالى والنجم والشجر يسجدان فللعبد في كل مرتبة من هذه المراتب ربح وخسران والحكمة في تعلق الروح العلوى النورانى بالجسد السفلى الظلمانى كان هذا الربح لقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام خلقت الخلق ليربحوا على لا لاربح عليهم ليربح الروح في كل مرتبة من مراتب السفليات فائدة لم توجد في مراتب العلويات وان كان قد ابتلى اولا ببلاء الخسران كما قال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الآية فبنور الايمان والعمل الصالح يتخلص العبد من بلاء خسران المراتب السفلية ويفوز بربحها فبالقيام في الصلاة بالتذلل وتواضع العبودية يتخلص من خسران التكبر والتجبر الذى من خاصته ان يتكامل في الانسان ويظهر منه انا ربكم الاعلى ويفوز بربح علو الهمة الانسانية التي اذا كملت في الانسان لا يلتفت الى الكون في طلب المكون كما كان حال النبي عليه السلام اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى فاذا تخلص من التكبر الانسانى يرجع من القيام الانسانى الى الركوع الحيوانى بالانكسار والخضوع فبالركوع يتخلص من خسران الصفة الحيوانية ويفوز بربح تحمل الاذى والحلم ثم يرجع من الركوع الحيوانى الى السجود النباتى فبالسجود يتخلص من خسران الذلة النباتية والدناءة السفلية ويفوز بربح الخشوع الذى يتضمن الفلاح الابدى والفوز العظيم السرمدى كما قال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فالخشوع اكمل آلات العروج في العبودية وقد حصل في تعلقه بالجسد النيرانى وليس لاحد من العالمين هذا الخشوع وبهذا السر أبت الملائكة وغيرهم ان يحملن الامانة فاشفقن منها لان الاباء ضد الخشوع وحملها الانسان باستعداد الخشوع وكمل خشوعه بالسجود اذ هو غاية التذلل في صورة الانسان وهيئة الصلاة ونهاية قطع تعلق الروح من العالم السفلى وعروجه الى العالم الروحانى العلوى برجوعه من مراتب الانسانية والحيوانية والنباتية وكمال التعرض لنفحات ألطاف الحق وبذل المجهود وانفاق الموجود من انانية الوجود الذى هو من شرط المصلين كقوله تعالى ويقيمون الصلاة (ومما رزقناهم ينفقون) الرزق في اللغة العطاء وفي العرف ما ينتفع به الحيوان وهو يتناول الحلال والحرام عند اهل السنة والقرينة تخصصه ههنا بالحلال لان المقام مقام المدح وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهى عنه وصيغة الجمع في رزقنا مع انه تعالى واحد لا شريك له لانه خطاب الملوك والله تعالى مالك الملك وملك الملوك والمعهود من كلام الملوك اربعة اوجه

الاخبار

الاخبار على لفظ الواحد نحو فعلت كذا وعلى لفظ الجمع فعلنا كذا وعلى مالم يسم فاعله رسم لكم كذا واضافة الفعل الى اسمه على وجه المغايبة امركم سلطانكم بكذا والقرآن نزل بلغة العرب فجمع الله فيه هذه الوجوه كلها فيما اخبر به عن نفسه فقال تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا على صيغة الواحد وقال تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر على صيغة الجمع وقال فيما لم يسم فاعله كتب عليكم الصيام وامثاله وقال فى المغايبة الله الذى خلقكم وامثاله كذا فى التيسير ويقول الفقير جامع هذه اللطائف سمعت من شيخى العلامه ابقاه الله بالسلامه ان الافراد بالنظر الى الذات والجمع بالنظر الى الاسماء والصفات ولا ينافى كثرة الاسماء والصفات وحدة الذات اذ كل منها راجع اليها والانفاق والانفاد أخوان خلا ان فى الثانى معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هى شقيقتها واختها وهى الصلاة وقد جوز أن يراد به الانفاق من جميع المعادن التى منحهم الله اياها من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال فى تفسير الآية ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون والاظهر ان يقال المراد من النفقة هى الزكاة وزكاة كل شئ من جنسه كما روى عن انس بن مالك زكاة الدار ان يتخذ فيها بيت للضيافة كما فى الرسالة القشيرية قالوا انفاق اهل الشريعة من حيث الاموال وانفاق ارباب الحقيقة من حيث الاحوال (قال المولى جلال الدين قدس سره) آن درم دادن سخى را لايق است * جان سپردن خود سخاى عاشق است * وانفاق الاغنياء من اموالهم لا يدخرونها عن اهل الحاجة وانفاق العابدين من نفوسهم لا يدخرونها عن وظائف الخدمة وانفاق العارفين من قلوبهم لا يدخرونها عن حقائق المراقبة وانفاق المحبين من ارواحهم لا يدخرونها عن مجارى الاقضية والاقصر أن يقال انفاق الاغنياء اخراج المال من الجيب وانفاق الفقراء اخراج الاغيار من القلب ثم ذكر فى الآية الايمان وهو بالقلب ثم الصلاة وهى بالبدن ثم الانفاق وهو بالمال وهو مجموع كل العبادات ففى الايمان النجاة وفى الصلاة المناجاة وفى الانفاق الدرجات وفى الايمان البشارة وفى الصلاة الكفارة وفى الانفاق الطهارة وفى الايمان العزة وفى الصلاة القربة وفى الانفاق الزيادة وقيل ذكر فى هذه الآية اربعة اشياء التقوى والايمان بالغيب واقامة الصلاة والانفاق وهى صفة الخلفاء الراشدين الاربعة ففى الآية بيان فضلهم التقوى لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى والايمان بالغيب لعمر الفاروق رضى الله عنه قال الله تعالى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين واقامة الصلاة لعثمان ذى النورين رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية والانفاق لعلى المرتضى رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية وعند القوم اى الصوفية السخاء هو الرتبة الاولى ثم الجود بعده ثم الايثار فمن اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وأبقى لنفسه شيا فهو صاحب جود والذى قاسى الضرورة وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار وبالجملة فى الانفاق فضائل كثيرة وروى عن ابى عبد الله الحارث الرازى انه قال اوحى الله الى بعض انبيائه انى قضيت عمر فلان نصفه بالفقر ونصفه بالغنى فخيره حتى اقدم له ايهما شاء فدعا نبى الله عليه السلام الرجل واخبره فقال حتى اشاور زوجتى فقالت زوجته اختر الغنى حتى يكون هو الاول فقال لها ان الفقر بعد الغنى صعب شديد والغنى بعد الفقر طيب لذيذ فقالت لا بل اطعنى فى هذا فرجع الى النبى عليه السلام فقال أختار نصف عمرى الذى قضى لى فيه بالغنى ان يقدم فوسع الله عليه الدنيا وفتح عليه باب الغنى فقالت له امرأته ان اردت ان تبقى هذه النعمة فاستعمل السخاء مع خلق ربك فكان اذا اتخذ لنفسه ثوبا اتخذ لفقير ثوبا مثله فلما تم نصف عمره الذى قضى له فيه بالغنى اوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان انى كنت قضيت نصف عمره بالفقر ونصفه بالغنى لكنى وجدته شاكرا لنعمائى والشكر يستوجب المزيد فبشره انى قضيت باقى عمره بالغنى (قال المولى جلال الدين قدس سره) هركه كارد كردد انبارش تهى * ليكش اندر مزرعه باشد بهى * وانكه در انبار ماند وصرفه كرد * اسپش وموش حوادثهاش خورد (قال الحافظ) احوال كنج قارون كايام دادبرباد * باغنچه باز كوييد تازرنهان ندارد * وفى التأويلات النجمية ومما رزقناهم ينفقون اى من اوصاف الوجود يبذلون بحق النصف المقسوم من الصلاة بين العبد والرب فاذا بلغ السيل

زباه والتعرض منتهاه ادركته العناية الازلية بنفحات ألطافه وهداه الى درجات قرباته فكما كان جذبة الحق للنبي عليه السلام فى صورة خطاب ادن لجذبة الحق للمؤمن تكون فى صورة خطاب واسجد واقترب فنى التشهد بعد السجود اشارة الى الخلاص من حجب الانانية والوصول الى شهود جمال الحق بجذبات الربانية ثم بالتحيات يراقب رسوم العباد فى الرجوع الى حضرة الملوك بمراسم تحفة الثناء والتمنى الى اللقاء وفى التسليم عن اليمين وعن الشمال اشارة الى السلام على الدارين وعلى كل داع جاهل يدعوه عن اليمين الى نعيم الجنات اوعن الشمال الى اللذات والشهوات وهو فى مقامات الاجابات والمناجاة ودرجات القربات مستغرق فى بحر الكرامات مقيد بقيد الجذبات كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فاهل الصورة بالسلام يخرجون من اقامة الصلاة واهل الحقيقة بالسلام يدخلون فى ادامة الصلاة كقوله والذين هم على صلاتهم دآئمون فقوم يقيمون الصلاة والصلاة تحفظهم كما قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون بمالهم فى الغيب معدّ بقوله اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * فعلوا ان ماهو المعدّ لهم لاتدركه الابصار ولا الآذان ولا القلوب التى رزقهم الله وليس بينهم وبين ماهو المعدّ لهم حجاب الا وجودهم فاشتاقوا الى نار تحرق عليهم حجاب وجودهم فآنسوا من جانب طور صلاتهم نارا لان صلاتهم بمثابة الطور لهم للمناجاة فلما اتاها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين فجعلوا مارزقهم الله من اوصاف الوجود حطب نار الصلاة ينفقونه عليها ويقيمون الصلاة حتى تؤذوا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ومن لم يكن له نار تحرق فى نار جهنم الصلاة حطب وجوده ووجود كل من يعبد من دون الله فلا بد له من الحرقة بنار جهنم الاخرة فالفرق بين النارين ان نار الصلاة تحرق لب وجودهم الذى هم به محجوبون عن الله تعالى ويبقى جلد وجودهم وهو الصورة والحجاب من لب الوجود لا من جلده وهذا سر عظيم لايطلع عليه الا اولوا الالباب المحترقة ونار جهنم تحرق جلودهم ويبقى لب وجودهم لاجرم لاترفع الحجب عنهم كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لان اللب باق والجلد وان احترق بقى اللب كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها فمن أنفق لب الوجود وما تبدى منه له الوجود من المال والجاه فى سبيل نار الصلاة والقربة الى الله فينفق الله عليه وجود نار الصلاة كما قال لحبيبه عليه السلام أنفق عليك فبقى بنار الصلاة بلا انانية الوجود فتكون صلاته دآئمة بنور نار الصلاة يؤمن بما انزل على الانبياء عليهم الصلاة والسلام (والذين يؤمنون) نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وماقبله الى قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون نزلت فى مؤمنى العرب (بما انزل اليك) هو القرآن باسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضى مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر اولتنزيل مافى شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما فى قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا اسمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وفى الكواشى لان القرآن شئ واحد فى الحكم ولان المؤمن ببعضه مؤمن بكله انتهى ثم معنى ما انزل اليك هو القرآن الذى يتلى والوحى الذى لايتلى فالمتلو هو هذه السور والآيات وغير المتلو ما بين النبى عليه السلام من أعداد الركعات ونصب الزكوات وحدود الجنايات قال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى والانزال فى هذه الآية بمعنى الوحى ويكون بمعنى الاعلاء وهو النقل من الاسفل الى الاعلى وان حمل على الانزال الذى هو من العلو الى السفل فمعناه انزال جبريل لتبليغه كما قال تعالى نزل به الروح الامين يعنى ان الانزال نقل الشئ من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها فنزول ماعدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم (وما انزل من قبلك) التوراة والانجيل وسائر الكتب السالفة والايمان بالكل جملة فرض عين وبالقرآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان فى وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش قال فى التيسير الايمان بكل الكتب مع تنافى احكامها على وجهين احدهما التصديق ان كلها من عند الله والثانى الايمان بمالم ينسخ من احكامها (وبالآخرة) تأنيث الآخر الذى يقابل الاول وهو فى المعدودات اسم للفرد اللاحق وهى صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهى من الصفات الغالبة وكذا الدنيا والآخر

بفتح الخاء الذى يلى الاول وسميت الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا
(هم يوقنون) الايقان اتقان العلم بالشئ بنفى الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لايسمى علمه تعالى
يقينا وكذا العلوم الضرورية اى يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام
التى من جملتها زعمهم ان الجنة لايدخلها الا من كان هودا اونصارى وان النار لم تمسهم الا اياما معدودات
واختلافهم فى ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا اولا وهل هو دائم اولا فقال فرقة منهم يجرى حالهم
فى التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها فى الدنيا وقال آخرون ان ذلك انما احتيج اليه فى هذه
الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم
والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب
وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته فان اعتقادهم فى امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا
عن الوصول الى مرتبة اليقين فدل التقديم على التخصيص بأن ايقان من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك
مقصور على الآخرة الحقيقية لايتجاوز الى ما اثبته الكفار بالاقرار من اهل الكتاب قال ابو الليث رحمه الله
فى تفسيره اليقين على ثلاثة اوجه يقين عيان ويقين خبر ويقين دلالة فاما يقين العيان فهو انه اذا رأى شيأ زال
الشك عنه فى ذلك الشئ واما يقين الدلالة فهو ان يرى الرجل دخانا ارتفع من موضع يعلم باليقين ان هناك نارا
وان لم يرها واما يقين الخبر فهو ان الرجل يعلم باليقين ان فى الدنيا مدينة يقال لها بغداد وان لم ينته اليها فههنا يقين
خبر ويقين دلالة لان الآخرة حق ولان الخبر يصير معاينة عند الرؤية انتهى كلامه ويقال علم اليقين ظاهر الشريعة
وعين اليقين الاخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها والعلم اليقين هو العلم الحاصل بالادراك الباطنى بالفكر
الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية الا بمناسبة الارواح القدسية
فاذا يكون العلم عينا ولا مرتبة للعين الا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة الا بزوال حجاب
الاثنينية فاذا يكون العين حقا وزيادة هذه المرتبة اى حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده وعينه للاولياء وحقه
للانبياء وهذه الدرجات والمراتب لاتحصل الا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الاكل والذكر والسكوت بالفكر
فى ملكوت السموات والارض وباداء السنن والفرائض وترك ماسوى الحق والغرض وتقليل المنام والعرض
واكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه الى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة كذا فى شرح
النصوص المسمى باسرار السرور بالوصول الى عين النور ثم ثمرة اليقين بالآخرة الاستعداد لها فقد قيل عشرة
من المغرورين من ايقن ان الله خالقه ولا يعبده ومن ايقن ان الله رازقه ولا يطمئن به ومن ايقن ان الدنيا زائلة
ويعتمد عليها ومن ايقن ان الورثة اعداؤه ويجمع لهم تو با خود ببر توشۀ خويشتن * كه شفقت نيايد
زفرزند وزن * ومن ايقن ان الموت آت فلا يستعد له ومن ايقن ان القبر منزله فلا يعمره ومن ايقن ان الديان
يحاسبه فلا يصحح حجته ومن ايقن ان الصراط ممره فلا يخفف ثقله ومن ايقن ان النار دار الفجار فلا يهرب منها
ومن ايقن ان الجنة دار الابرار فلا يعمل لها كما فى التيسير قال ذو النون المصرى اليقين داع الى قصر الامل
وقصر الامل يدعو الى الزهد والزهد يورث الحكمة والحكمة تورث النظر فى العواقب قال ابو على الدقاق
رحمه الله فى قول النبى عليه السلام فى عيسى بن مريم عليهما السلام لو لم يزدد يقينا ما مشى فى الهوآء اشار بهذا
الحديث الى حال نفسه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لان فى لطائف المعراج انه قال رأيت البراق قد بقى
ومشيت وقال ابو تراب رأيت غلاما فى البادية يمشى بلا زاد فقلت ان لم يكن معه يقين فقد هلك فقلت يا غلام أتمشى
فى مثل هذا الموضع بلا زاد فقال يا شيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله تعالى فقلت الآن فاذهب حيث شئت
قال ابراهيم الخواص طلبت المعاش لاكل الحلال فاصطدت السمك فيوما وقع فى الشبكة سمكة فاخرجتها
وطرحت الشبكة فى الماء فوقعت اخرى فيها ثم عدت فهتف بى هاتف لم تجد معاشا الا ان تأتى الى من يذكر الله
فتقتلهم فكسرت القصبة وتركت كذا فى الرسالة القشيرية وذكر فى التأويلات النجمية ان من تخلص من ذل
الحجاب الوجودى بجد عزة الايقان بالامور الاخروية وكان مؤمنا بها من وراء الحجاب فصار موقنا بها
بعد رفع الحجاب كما قال امير المؤمنين على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لان من كشف عنه
غطاء الوجود لايحجبه غطاء المحسوسات الدنيوية عن الامور الاخروية فبكشف الحجب يتخلصون من مرتبة

الايمان الى مرتبة الايقان كما قال تعالى وبالآخرة هم يوقنون ولكن هذا خاص اى يوقنون بالآخرة دون ما انزل على الانبياء من الكتب فانهم لا يتخلصون من مرتبة الايمان بالله وكتبه ابدا وهذا امر عظيم ومارأيت احدا فرق بين هاتين المرتبتين وذلك لانه لا يمكن للانسان ان يشاهد الامور الاخروية كلها بطريق الكشف فى الدنيا واما بطريق المشاهدة فى العقبى فيصير موقنا بها بعد ما كان مؤمنا كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فاما ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته فلا يمكن لاحد ان يشاهده بالكلية لانه منزه عن الكل والجزء فأرباب المشاهدة وان فازوا بشهادة شهود صفات جماله وجلاله عين اليقين بل حق اليقين ولكن لم يتخلصوا من مرتبة الايمان بما لم يشاهدوا بعد ولا يحيطون به علما الى ابد الآباد بل ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء (اولئك) الجملة فى محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك اجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستئناف لا محل لها فكأنه نتيجة الاحكام السابقة والصفات المتقدمة واولاء جمع لا واحد له من لفظه بنى على الكسر وكافه للخطاب كالكاف فى ذلك اى المذكورون قبله وهم المتقون الموصوفون بالايمان بالغيب وسائر الاوصاف المذكورة بعده وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وجل (على هدى) خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كأنه قيل على هدى اى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم فى ملابستهم بالهدى بحال من يقبل الشىء ويستولى عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس فى العمل يعنى اكرمهم الله فى الدنيا حيث هداهم وبين لهم طريق الفلاح قبل الموت (من ربهم) متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اى على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هداياته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ثم فى هذه الآية ذكر الهدى للموصوفين بكل هذه الصفات وفى قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا الى قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ذكر لهم الهداية بالاقرار والاعتقاد بدون سائر الطاعات بيانا لشرف الايمان وجلال قدره وعلو امره فانه اذا قوى لم يبطله نفس المخالفات بل هو الذى يغلب فيرد الى التوبة بعد التمادى فى البطالات وكما هدى اليوم الى الايمان يهدى غدا الى الجنان قال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم وذلك ان المطيعين يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وهم على مراكب طاعاتهم والملائكة تتلقاهم قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وتتلقاهم الملائكة وتبقى العصاة منفردين منقطعين فى متاهات القيامة ليس لهم نور الطاعات ولا فى حقهم استقبال الملائكة فلا يهتدون السبيل ولا يهديهم دليل فيقول الله لهم عبادى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ان اهل الجنة من حسن الثواب لا يتفرغون لكم واهل النار من شدة العقاب لا يرحمونكم معاشر المساكين سلام عليكم كيف انتم ان كان اشكالكم سبقوكم ولم يهدوكم فانا هاديكم ان عاملتكم بما تستوجبون فاين الكرم كذا فى التيسير (قال السعدى) نه يوسف كه چندان بلا ديد و بند * چو حكمش روان گشت وقدرش بلند * گنه عفو كرد آل يعقوب را * كه معنى بود صورت خوب را * بكردار بدشان مقيد نكرد * بضاعات مزجاتشان رد نكرد * ز لطف همين چشم داريم نيز * برين بى بضاعت ببخش اى عزيز * بضاعت نياوردم الا اميد * خدايا ز عفوم مكن نا اميد (واولئك هم المفلحون) تكرير اولئك للدلالة على ان كل واحد من الحكمين مستبد فى تميزهم به عن غيرهم فكيف بهما وتوسط العطف بينهما تنبيه على تغايرهما فى الحقيقة وفائدة الفصل بين المبتدأ والخبر الدلالة على ان ما بعده خبر لا صفة وان المسند ثابت للمسند اليه دون غيره فصفة الفلاح مقصورة عليهم لا تتجاوز الى من عداهم من اليهود والنصارى ولا يلزم من هذا ان لا يكون للمتقين صفة اخرى غير الفلاح فالقصر قصر الصفة على الموصوف لا العكس حتى يلزم ذلك والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والتركيب دال على معنى الشق والفتح والقطع ومنه سمى الزارع فلاحا لانه يشق الارض

وفى

وفى المثل الحديد بالحديد يفلح اى يقطع والمعنى هم الفائزون بالجنة والناجون من النار يوم القيامة والمقطوع لهم
بالخير فى الدنيا والآخرة وحاصل الفلاح يرجع الى ثلاثة اشياء احدها الظفر على النفس فلم يتابعوا هواها والدنيا
فلم يطغوا بزخارفها والشيطان فلم يفتنوا بوساوسه وقرناء السوء فلم يبتلوا بمكروهاتهم والثانى النجاة من الكفر
والضلالة والبدعة والجهالة وغرور النفس ووسوسة الشيطان وزوال الايمان وفقد الامان ووحشة القبور
واهوال النشور وزلة الصراط وتسليط الزبانية الشداد الغلاظ وحرمان الجنان ونداء القطيعة والهجران
والثالث البقاء فى الملك الابدى والنعيم السرمدى ووجدان ملك لازوال له ونعيم لا انتقال له وسرور لاحزن
معه وشباب لاهرم معه وراحة لاشدة معها وصحة لاعلة معها ونيل نعيم لاحساب معه ولقاء لاحجاب له
كذا فى تفسير التيسير وقد تشبثت الوعيدية بالآية فى خلود الفساق من اهل القبلة فى العذاب ورد بأن المراد
بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لاعدم الفلاح لهم رأسا كما فى تفسير
البيضاوى قال الشيخ نجم الدين دايه قدس سره ذكر هدى بالنكرة اى على كشف من كشوف ربهم ونور
من انواره وسر من اسراره ولطف من ألطافه وحقيقة من حقائقه فان جميع ما انعم الله به على انبيائه واوليائه
بالنسبة الى ماعنده من كمال ذاته وصفاته وانعامه واحسانه قطرة من بحر محيط لايعتريه القصور من الانفاق
ابدا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم يمين الله ملأى لا ينقصها نفقة سحاء الليل والنهار وفيه اشارة لطيفة وهى انهم
بذلك الهدى آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون واولئك هم المفلحون الذين تخلصوا
من حجب الوجود بنور نار الصلاة وشاهدوا الآخرة وجذبتهم العناية بالهداية الى مقامات القربة وسرادقات
العزة فما نزلوا بمنزل دون لقائه وما حطوا رحالهم الا بفنائه فازوا بالسعادة العظمى والمملكة الكبرى ونالوا
الدرجة العليا وحققوا قول الحق وان الى ربك الرجعى انتهى كلام الشيخ فى تأويلاته (قال المولى جلال الدين
قدس سره) كرهمى خواهى كه بفروزى جوروز * هستىء همچون شب خودرا بسوز * هستيت
درهست آن هستى نواز * همچومس دركيميا اندركداز (ان الذين كفروا) لما ذكر خاصة عباده وخالصة
اوليائه بصفاتهم التى اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لاينفع فيهم الهدى ولا يغنى عنهم
الآيات والنذر وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابى لهب وابى جهل والوليد بن المغيرة
واحبار اليهود أو للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لايرعوى بعده وغيرهم فخص منهم غير المصرين
بما اسند اليه والكفر لغة الستر والتغطية وفى الشريعة انكار ماعلم بالضرورة مجيئ الرسول صلى الله عليه وسلم به
وانما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم لايكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لاداعى اليه كالزنى وشرب الخمر لانه كفر فى نفسه
والكافر فى القرءآن على اربعة اوجه احدها نقيض المؤمن قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
والثانى الجاحد قال تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين اى جحد وجوب الحج والثالث نقيض الشاكر
قال تعالى واشكروا لى ولا تكفرون والرابع المتبرى قال تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض اى يتبرأ بعضكم
من بعض كذا فى التيسير وقال فى البغوى الكفر على اربعة اوجه كفر الانكار وهو ان لايعرف الله اصلا
ولا يعترف به وكفر الجحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس قال الله تعالى فلما جاءهم ماعرفوا
كفروا به وكفر العناد وهو ان يعرف بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر ابى طالب حيث يقول

ولقد علمت بان دين محمد * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة اوحذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وكفر النفاق وهو ان يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الانواع سوآء فى ان من لقى الله بواحد منها لايغفر له
انتهى كلام البغوى لكن الكلام فى ابى طالب سيجيئ عند قوله تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم (سوآء عليهم) اى
عندهم وهو اسم بمعنى الاستوآء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سوآء بيننا
وبينكم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى (ءأنذرتهم) يا محمد (ام لم تنذرهم) مرتفع على الفاعلية لان
الهمزة وأم مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق معنى الاستوآء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهى لذلك
عن معنييهما فى قوله عزوجل استغفر لهم اولا تستغفر لهم وحرف الندآء فى قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة

عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم
اخوه وابن عمه واصل الانذار الاعلام بامر مخوف وكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا كما فى تفسير ابى الليث
والمراد ههنا التخويف من عذاب الله وعقابه على المعاصى وانما اقتصر عليه لما انهم ليسوا باهل للبشارة اصلا
ولان الانذار أوقع فى القلوب واشد تأثيرا فى النفوس فان دفع المضار أهم من جلب المنافع فحيث لم يتأثر وابه
فلأن لا يرفعوا للبشارة رأسا اولى وانما لم يقل سوآء عليك كما قال لعبدة الاصنام سوآء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون لان انذارك وترك انذارك ليسا سوآء فى حقك لانك تثاب على الانذار وان لم يؤمنوا فاما فى حقهم
فهما سوآء لانهم لا يؤمنون فى الحالين وهو نظير الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فانه يثاب به الآمر
وان لم يعمل به المأمور وكان هؤلاء القوم كقوم هود الذين قالوا لهود عليه السلام سوآء علينا اوعظت ام لم
تكن من الواعظين وقال تعالى فى حق هؤلاء سوآء عليهم الخ ويقال لهم فى القيامة اصلوها فاصبروا
اولا تصبروا سوآء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون واخبر عنهم انهم يقولون سوآء علينا اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص فلما كان الوعظ وتركه سوآء كان صبرهم فى النار وتركه سوآء وجزعهم فيها وتركه سوآء وانت
اذا كان عصيانك فى الشباب والشيب سوآء وتماديك فى الصحة والمرض سوآء واعراضك فى النعمة والمحنة سوآء
وقسوتك على القريب والبعيد سوآء وزيغك فى السر والعلانية سوآء اما تخشى ان تكون توبتك عند الموت
واصرارك عند النزع وسكوتك سوآء وزيارة الصالحين لك وامتناعهم سوآء وقيام الشفعاء بامرك وتركهم
سوآء كذا فى تفسير التيسير (لا يؤمنون) جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه
الاستوآء فلا محل لها من الاعراب ثم هذا تخفيف للنبى عليه السلام وتفريغ لقلبه حيث اخبره عن هؤلاء
بما اخبر به نوحا صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء فى الانتهاء فانه قال تعالى لنوح عليه السلام بعد طول الزمان
ومقاساة الشدآئد والاحزان انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فدعا بهلاكهم بعد ذلك وكذلك سائر الانبياء
وفى الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهى من المعجزات الباهرة
وفى الآية اثبات فعل العباد فانه قال لا يؤمنون وفيه اثبات الاختيار ونفى الاكراه والاجبار فانه لم يقل
لا يستطيعون بل قال لا يؤمنون فان قلت لما علم الله انهم لا يؤمنون فلم امر النبى عليه السلام بدعائهم قلت
فائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة كما ان الله تعالى بعث موسى الى فرعون ليدعوه الى الاسلام وعلم
انه لا يؤمن قال الله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك فان قلت لما اخبر الله رسوله انهم
لا يؤمنون فهلا اهلكهم كما اهلك قوم نوح بعد ما اخبر انهم لا يؤمنون قلت لان النبى عليه السلام كان رحمة
للعالمين كما ورد به الكتاب وقد قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون ثم ان الاخبار بوقوع الشئ او عدمه لا ينفى القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره
فلا يلزم جواز تكليف ما لا يطاق قال الامام القشيرى من كان فى غطاء صفته محجوبا عن شهود حقه فسيان
عنده قول من دله على الحق وقول من اعانه على استجلاب الحظ بل هو الى داعى الغفلة أميل وفى الاصغاء اليه
ارغب وكما ان الكافر لا يرعوى عن ضلالته لما سبق من شقاوته فكذلك المربوط باغلال نفسه محجوب عن
شهود غيبه وحقه فهو لا يبصر رشده ولا يسلك قصده وقال ايضا ان الذى بقى فى ظلمات دعاويه سوآء عنده نصح
الراشدين وتسويلات المبطلين لان الله تعالى نزع من احواله بركات الانصاف فلا يصغى الى داعى الرشاد كما قيل
وعلى النصوح نصيحتى * وعلى عصيان النصوح وفى التأويلات النجمية ان الذين كفروا اى جحدوا ربوبيتى
بعد اقرارهم فى عهد ألست بربكم باجابة بلى وستروا صفاء قلوبهم برين ما كسبوا من اعمالهم الطبيعية النفسانية
وافسدوا حسن استعدادهم من فطرة الله التى فطر الناس عليها باكتساب الصفات البهيمية والسبعية
والشيطانية كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وذلك بان ارواحهم النفيسة لما نظروا بروزنة
الحواس الخمس الى عالم الصورة الخسيسة حجبت عن مألوفاتها ومحابها ثم ابتليت بصحبة النفوس الحيوانية
واستأنست بها ولهذا يسمى الانسان انسانا لانه انيس فبمجاورة النفس الخسيسة صار الروح النفيس خسيسا
فاستحسن ما استحسنت النفس واستلذ ما استلذ به النفس واستمتع من المراتع الحيوانية فانقطع عنه الاغذية

الروحانية ونسى حظا ثرالقدس وجوار الحق فى رياض الانس ولهـذا سمى النـاس ناسا لانه ناس فتاه فى أودية الخسران واستهوته الشياطين فى الارض حيران ولما نسوا الله بالكفران نسيهم بالخذلان حتى غلب عليهم الهوى وأوقعهم فى مهالك الردى فاصبحوا بنفوس احياء وقلوب موتى سوآء عليهم ءأنذرتهم بالوعد والوعيد وخوفتهم بالعذاب الشديد ام لم تنذرهـم لايؤمنون بما اخبرتهم ودعوتهم اليه وأنذرتهم عليه لان روزنة قلوبهم الى عالم الغيب منسدة بقساوة حلاوة الدنيا وقلوبهم مغلوقة بحب الدنيا وشهواتها مقفول عليها بمتابعة الهوى كما قال تعالى افلا يتـدبرون القرءآن ام على قلوب أقفالها فما تنسموا روآئح الانس من رياض القدس بل هب عليهم صرصر الشقاوة من مهب حكم السابقة وأدركهم بالختم على اقفالهـا كما قال تعالى ختم الله الآية انتهى مافى التأويلات ومن امثال الانجيل قلوبكم كالحصاة لاتنضجها النار ولا يلينها الماء ولاتنسفها الريح (قال السعدى) چون بود اصل جوهرى قابل * تربيت رادروا ثرباشد * هيچ صيقل نكونداندكرد * آهنى راكه بد كهرباشد (ختم الله على قلوبهم) لما ذكر هؤلاء الكفار بصفاتهم وحالاتهم الحق به ذكر عقوباتهم فهو تعليل للحكم السابق و بيان مايقتضيه والختم الكتم سمى به الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه لانه كتم له و بلوغ آخره ومنه ختم القرءآن نظرا الى انه آخر فعل يفعل فى احرازه ولا ختم على الحقيقة وانما المراد به ان يحدث فى نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لايؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا وسمى هذه الهيئة على الاستعارة ختما وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم وبالاغفال فى قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء فى قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهى من حيث ان الممكنات باسرها مسندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه تعالى ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية الكريمة ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم فالختم مجازاة لكفرهم والله تعالى قد يسر عليهم السبل فلوجاهدوا لوفقهم فسقط الاعتراض بانه اذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم فنعهم عن الهدى فكيف يستحقون العقوبة قال الشيخ فى تفسيره واسناد الختم الى الله للتنبيه على ان اباءهم عن قبول الحق كالشئ الخلقى غير العرضى انتهى وقال فى التيسير حاصل الختم عند اهل الحق عقوبة من الله تعالى لا تمنع العبد من الايمان جبرا ولا تحمله على الكفر كرها بل هى زيادة عقوبة له على سوء اختياره وتماديه فى الكفر واصراره يحرم بها من اللطف الذى سهل به فعل الايمان وترك العصيان يدل عليه انهم بقوا مخاطبين بالايمان بقوله تعالى آمنوا بالله ورسوله وملومين على الامتناع عنه لقوله تعالى فما لهم لا يؤمنون ولو صاروا مجبورين وعن الايمان عاجزين لزال الخطاب وسقط اللوم والعتاب كما فى الختم على الافواه يوم الحساب لما عجزوا به حقيقة عن الكلام لم يبق الخطاب بالكلام وتحقيق المذهب اثبات فعل العبد وتخليق الله تعالى والقلوب جمع قلب وهو الفؤاد سمى قلبا لتقلبه فى الامور ولتصرفه فى الاعضاء وفى تفسير الشيخ القلب قطعة لحم مشكل بالشكل الصنوبرى معلق بالوتين مقلوبا والوتين عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه ويقال له الابهر وفى تفسير الكواشى القلب قطعة سوداء فى الفؤاد وزعم بعضهم انه الشكل الصنوبرى المعلق بالوتين مقلوبا وفى تعريفات السيد القلب لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسمانى الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الايسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان (قال المولى الجامى) نيست اين پيكر مخروطى دل * بلكه هست اين قفص طوطى دل * كر توطوطى زقفس نشناسى * بخدا ناس نه نسناسى * والمراد بالقلب فى الآية محل القوة العاقلة من الفؤاد وقد يطلق و يراد به المعرفة والعقل كما قال ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب (و) ختم الله (على سمعهم) اى على آذانهم فجعلها بحيث تعاف استماع الحق ولا تصغى الى خير ولا تعيه ولا تقبله كأنها مستوثق منها بالختم عقوبة لهم على سوء اختيارهـم وميلهم الى الباطل وايثارهم والسمع هو ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا لانه اشد مناسبة للختم وهو المختوم عليه اصالة وفى توحيد السمع وجوه احدها انه فى الاصل مصدر والمصادر لا تجمع اصلا لانها تقع على الواحد والاثنين والجماعة قال تعالى انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فان قالوا فلم جمع

الابصار والواحد بصر وهو كالسمع قلنا انه اسم للعين فكان اسما لا مصدرا فجمع لذلك والثانى ان فيه اضمارا اى على مواضع سمعهم وحواسه كما فى قوله تعالى واسأل القرية اى اهلها وثبت هذا الاضمار دلالة ان السمع فعل ولا يختم على الفعل وانما يختم على محله والثالث انه اراد سمع كل واحد منهم والاضافة الى الجماعة تغنى عن الجماعة وفى التوحيد أمن اللبس كما فى قوله كلوا فى بعض بطنكم اى بطونكم اذ البطن لا يشترك فيه والرابع قول سيبويه انه توسط جمعين فدل على الجمع وان وحد كما فى قوله يخرجهم من الظلمات الى النور دل على الانوار ذكر الظلمات وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل فى عدم الايمان وتقديم حال السمع على حال ابصارهم للاشتراك بينه و بين قلوبهم فى تلك الحال قالوا السمع افضل من البصر لانه تعالى حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التى تتلقف من اصحابها (وعلى ابصارهم) جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضوين وهو المراد ههنا لانه اشد مناسبة للتغطية (غشاوة) اى غطاء ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بها احداث حالة تجعل ابصارهم بسبب كفرهم لا تجتلى الآيات المنصوبة فى الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المتبصرين وتصير كانها غطى عليها وحيل بينها و بين الابصار ومعنى التنكير أن على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهى غشاوة التعامى عن الآيات قوله غشاوة مبتدأ مؤخر خبره المقدم قوله وعلى ابصارهم ولما اشترك السمع والقلب فى الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذى يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار مما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة قال فى التيسير انما ذكر فى الآية القلوب والسمع والابصار لان الخطاب كان باستعمال هذه الثلاثة فى الحق كما قال تعالى افلا تعقلون افلا تبصرون افلا تسمعون (ولهم عذاب عظيم) اى عقوبة شديدة القوة ومنه العظم والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشئ اذا امسك عنه وسمى العذاب عذابا لانه يمنع عن الجناية اذا تأمل فيها العاقل ومنه الماء العذب لما انه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اى يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب يعنى الفرات وهو الماء العذب مأخوذ من الرفت وهو قلبه وقيل انما سمى به لانه جزاء ما استعذبه المرء بطبعه اى استطابه ولذلك قال فذوقوا عذابى وانما يذاق الطيب على معنى انه جزاء ما استطابه واستحلاه بهواه فى الدنيا والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير قال فى التيسير عظيم اى كبير أو كثير أو دائم وهو التعذيب بالنار ابدا ثم عظمه باهواله وبشدة احواله وكثرة سلاسله واغلاله فتكون هذه الآية وعيدا وبيانا لما يستحقونه فى الآخرة وقيل هو القتل والاسر فى الدنيا والتحريق بالنار فى العقبى ومعنى التوصيف بالعظيم انه اذا قيس سائر ما يجانسه قصر عنه جميعه ومعنى التنكير أن لهم من الآلام نوعا عظيما لا يعلم كنهه الا الله عزوجل فعلى العاقل ان يجتنب عما يؤدى الى العذاب الاليم والعقاب العظيم وهو الاصرار على الذنوب والاكباب على اقتراف الخطيئات والعيوب قيل فى سبب الحفظ من هذه العقوبة التى هى الختم على الكيس فلا يمنعه عن حق ووضع الختم على اللسان فلا يطلقه فى باطل (قال السعدى) بكمراه گفتن نكو ميروى * گناه بزركست وجور قوى * مگو شهد شيرين شكر فايقست * كسى را كه سقمونيا لايقست * قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل وما جلاؤها قال تلاوة القرآن وكثرة ذكر الله وذكر الموت وامهات الخطايا ثلاث الحرص والحسد والكبر فحصل من هؤلاء ست فصارت تسعا الشبع والنوم والراحة وحب المال وحب الجاه وحب الرياسة فحب المال والرياسة من اعظم ما يجر صاحبه الى الكفر والهلاك (حكى) ان ملكا شابا قال انى لا اجد فى الملك لذة فلا ادرى أ كذلك يجده الناس ام انا اجده فقالوا له كذلك يجده الناس قال فماذا يقيمه قالوا يقيمه لك ان تطيع الله فلا تعصيه فدعا من كان فى بلده من العلماء والصلحاء فقال لهم كونوا بحضرتى وبمجلسى فما رأيتم من طاعة الله فأمرونى وما رأيتم من المعصية فازجرونى عنها ففعل ذلك فاستقام له الملك اربعمائة سنة ثم ان ابليس اتاه يوما على صورة رجل وقال له من انت قال الملك رجل من بنى آدم قال لو كنت من بنى آدم لمت كما تموت بنوا آدم ولكنك اله فادع الناس الى عبادتك فدخل فى قلبه شئ ثم صعد المنبر فقال ايها الناس انى اخفيت عليكم امرا حان اظهاره

وهو انى ملككم منذ كذا سنة ولو كنت من بنى آدم لمت ولكنى اٰله فاعبدونى فأوحى الله الى نبى زمانه وقال اخبره انى استقمت له ما استقام لى فتحوّل من طاعتى الى معصيتى فبعزتى وجلالى لأسلطن عليه بخت نصر ولم يتحوّل عن ذلك فسلطه عليه فضرب عنقه وأوقر من خزينته سبعين سفينة من ذهب (قال المولى جلال الدين قدس سره) جز عنايت كى كشايد چشم را * جز محبت كى نشايد خشم را * جهد بى توفيق خود كس را مباد * در جهان والله اعلم بالرشاد * وفى التأويلات النجمية فى الختم اشارة الى بداية سوابق احكام القدر بالسعادة والشقاوة على وفق الحكمة والارادة الازلية للخليقة كما قال تعالى فمنهم شقىّ وسعيد مع حسن استعداد جميعهم بقبول الايمان والكفر ولهذا لما خاطب الحق ذراتهم بخطاب ألست بربكم قالوا بلى جميعا ثم اودع الله الذرات فى القلوب والقلوب فى الاجساد والاجساد فى الدنيا فى ظلمات ثلاث وكانت روزنة القلوب كلها مفتوحة الى عالم الغيب بواسطة الذرات المودعات التى سمعت خطاب الحق وشاهدت كمال الحق الى وقت ولادة كل انسان كما قال عليه السلام كل مولود يولد على فطرة الاسلام فابواه يهوّدانه وينصرانه ويمجسانه وفيه اشارة الى ان الله يكل الاشقياء الى تربية الوالدين فى معنى الدين حتى يلقنوهم تقليد ما ألفوا عليه آباءهم من الضلالة فيضلوهم كما قال تعالى انتم وآباؤكم فى ضلال مبين فكانت تلك الشقاوة المقدرة مضمرة فى ضلالة التقليد والصفات النفسانية الظلمانية والهوى والطبيعة ثم جعل تأثيرها وظلمتها ورينها يندرج الى القلوب فيقسيها ويسوّدها ويغطيها ويسد روزنتها الى الذرات فيعميها ويصمها حتى لا يبصر اهل الشقاوة ببصر الذرات من الحق ما كانوا يبصرون ولا يسمع بسمع الذرات من الحق ما كانوا يسمعون فينكرون على الانبياء ويكفرون بهم وبما يدعونهم اليه فيختم الله شقاوتهم بكفرهم هذا ويطبع به على قلوبهم كقوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فسرّ القدر مستور لا يطلع عليه احد الا الله فيظهر آثار السعادة باقرار السعداء ويظهر آثار الشقاوة بانكار الاشقياء وكفرهم من القدر كالبذر فى الارض مستور فتظهر الشجرة منه وهو فى الشجرة مستور فيخرج مع الاغصان من الشجرة وهو فى الاغصان مستور حتى يخرج مع الثمرة من الاغصان وهو فى الثمرة مستور حتى يظهر من الثمرة فيختم ظهور البذر بالثمرة فكذلك سرّ القدر وهو بذر السعادة او الشقاوة مستور فى علم الله تعالى فتظهر شجرة وجود الانسان منه والسعادة والشقاوة مستورة فيها فتخرج مع اغصان الاخلاق وهى مستورة فيها فتخرج مع ثمرة الاعمال وهى الاقرار والانكار والايمان والكفر فيختم ظهور سرّ القدر وهو السعادة او الشقاوة بثمرة الايمان او الكفر فيظهر سرّ القدر عند الختم بالسعادة او الشقاوة فالذين ختم الله على قلوبهم انما ختم بخاتم كفرهم وان كان نقش خاتمهم هو الاحكام الازلية وسرّ القدر حتى حرموا من دولة الوصال وبه ختم على سمعهم حتى لم يسمعوا خطاب الملك ذى الجلال وعلى ابصارهم غشاوة من العمى والضلال فلم يشاهدوا ذلك الجمال والكمال فلهم حرمان مقيم ولهم عذاب عظيم لانهم منعوا من مرادهم وهو العلىّ العظيم فعظم العذاب يكون على قدر عظمة المراد الممنوع منه انتهى ما فى التأويلات (ومن الناس) لما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بشرح حاله وساق لبيانه ذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اى المنافقون اخبث الكفرة وأبغضهم الى الله لانهم موّهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طوّل فى بيان خبثهم قال القاشانى الاقتصار فى وصف الكفار المصرّين المطبوع على قلوبهم على آيتين والاطناب فى وصف المنافقين فى ثلاث عشرة آية للاضراب عن اولئك صفحا اذ لا ينجع فيهم الكلام ولا يجدى عليهم الخطاب واما المنافقون فقد ينجع فيهم التوبيخ والتعيير وعسى ان يرتدعوا بالتشنيع عليهم وتفظيع شأنهم وسيرتهم وتهجير عاداتهم وخبث نياتهم وسريرتهم وينتهوا بتقبيح صورة حالهم وتفضيحهم بالتمثيل بهم وبطر يقتهم فتلين قلوبهم وتنقاد نفوسهم وتزكى بواطنهم وتضمحل رذائلهم فيرجعون عما هم عليه ويصيرون من المستثنى فى قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين اجرا عظيما والناس اسم جمع للانسان سمى به لانه عهد اليه فنسى قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ولذلك جاء فى تفسير قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اى نساء للنعم ذكار للمحن وقيل لظهوره من آنس اى ابصر لانهم

ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمى الجن جنا لاجتنانهم اى استتارهم عن اعين الناس وقيل هو من الانس الذى هو ضد الوحشة لانهم يستأنسون بامثالهم او يستأنس ارواحهم بابدانهم وابدانهم بارواحهم واللام فيه للجنس ومن فى قوله (من يقول) موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون اى يقرون باللسان والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ وللرأى وللمذهب مجازا ووحد الضمير فى يقول باعتبار لفظ من وجمعه فى قوله آمنا وقوله وماهم باعتبار معناها لان كلمة من تصلح للواحد والجمع واللام فيه للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مرادبها عبد الله بن ابى بن سلول واصحابه ونظراؤه من المنافقين حيث اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا من النبى عليه السلام واصحابه واعتقدوا خلافها واكثرهم من اليهود فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا فى عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثانى (آمنا بالله) اى صدقنا بالله (وباليوم الآخر) والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى مالا يتناهى اى الوقت الدائم الذى هو آخر الاوقات المنقضية والمراد به البعث اوالى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الايام المحدودة اذ لا حد وراءه وسمى بالآخر لتأخره عن الدنيا وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر له ادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم فان ما قالوا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم فكان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر (وماهم بمؤمنين) ما نافية عن ليس ولهذا اعقب بالباء اى ليسوا بمصدقين لانهم يضمرون خلاف ما يظهرون بل هم منافقون وفى الحكم عليهم بانهم ليسوا بمؤمنين نفى ما ادعوه على سبيل البت والقطع لانه نفى اصل الايمان منهم بادخال الباء فى خبر ما ولذا لم يقل وماهم من المؤمنين فان الاول ابلغ من الثانى دلت الآية على ان الدعوى مردودة اذا لم يقم عليها دلائل الصحة قال قائلهم من تحلى بغير ما فيه فضح الامتحان ما يدعيه فان من مدح نفسه ذم ومن ذم نفسه مدح قال فرعون عليه لعنات الله وانا من المسلمين فقيل وكنت من المفسدين وقال يونس عليه السلام انى كنت من الظالمين فقيل له فلولا انه كان من المسبحين (قال الحافظ) خوش بود كر محك تجربه آمد بميان * باسيه روى شود هركه دروغش باشد * (حكى) ان شيخا كان له تلميذ يدعى انه امين والشيخ يعلم منه خلاف ذلك وهو يرد على الشيخ فى ذلك ويدعى الامانة ويطلب منه ان يكشف له سرا من اسرار الله تعالى فأخذ الشيخ يوما تلميذا من اصحابه وخبأه فى بيت وعمد الى كبش فذبحه وألقاه فى عدل ودخل ذلك التلميذ المدعى فرأى الشيخ ملطخا بالدماء والعدل امامه والسكين فى يده فقال له ياسيدى ما شأنك فقال له غاظنى فلان يعنى ذلك التلميذ فقتلته يعنى التلميذ يعنى بقتله مخالفة هواه حتى لا يكذب الشيخ فتخيل التلميذ انه فى العدل فقال الشيخ هذه امانة فاستر على وادفن معى هذا المذبوح الذى فى هذا العدل فدفنه معه فى الدار وقصد الشيخ نكاية ذلك التلميذ وان يفعل معه ما يخرجه وجاء ابو ذلك المخبوء يطلب ابنه فقال له الشيخ هو عندى فمضى الرجل فلما كبر على الرجل نكاية الشيخ مشى الى والد ذلك المخبوء واخبره ان الشيخ قتله ودفنه معه ورفع ذلك الى السلطان فتوقف السلطان فى ذلك الامر لما يعرفه من جلالة الشيخ وبعث اليه بالقاضى والفقهاء واخذ ذلك التلميذ بسبب الشيخ ووقف الشهود حتى حضروا الى العدل فعاينوا الكبش وخرج التلميذ المخبوء وافتضح وندم حيث لا ينفعه الندم كذا فى الرسالة المسماة بالامر المحكم المربوط فيما يلزم اهل طريق الله من الشروط للشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فظهر من هذا ان الاسرار لا توهب الا للامناء والانوار لا تفيض الا على الادباء (قال الحافظ) حديث دوست نكويم مكر بحضرت دوست * كه آشنا سخن آشنا نكه دارد * وفى التأويلات النجمية ومن الناس هم الذين نسوا الله ومعاهدته يوم الميثاق فمنهم من يقول آمنا بالله يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم فان الايمان الحقيقى ما يكون من نور الله الذى يقذفه الله فى قلوب خواصه وباليوم الآخر اى بنور الله يشاهد

الآخرة فيؤمن به فمن لم ينظر بنور الله فلا يكون مشاهدا لعالم الغيب فلا يعلم الغيب فلا يكون مؤمنا بالله وباليوم الآخر ولهذا قال وماهم بمؤمنين اى بالذين يؤمنون من نور الله تعالى وفيه معنى آخر وماهم بمستعدين للهداية الى الايمان الحقيقى لانهم فى غاية الغفلة والخذلان انتهى (يخادعون الله) بيان لقوله فى الآية السابقة وتوبيخ لما هو غرضهم مما يقولون اواستئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل ماهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اى يخدعون وانما اخرج فى زنة فاعل للمبالغة وخداعهم مع الله سبحانه ليس على ظاهره لانه لا تخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد امامخادعة رسوله على حذف المضاف اوعلى ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته فى ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده ففيه رفع درجة النبى صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه واما ان صورة صنعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم من اجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده تعالى اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله تعالى فى اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين فتكون المخادعة بين الاثنين والخدع ان يوهم صاحبه خلاف مايريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب اويوهمه المساعدة على مايريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذى اذا امر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بماصنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى منابذيهم اى يشيعوها الى مخالفيهم واعدائهم وان يدفعوا عن انفسهم مايصيب سائر الكفرة من القتل والنهب والاسر وان ينالوا به نظم مصالح الدنيا جميعا كأن يفعل بهم مايفعل بالمؤمنين من الاعطاء (والذين آمنوا) اى يخادعون المؤمنين بقولهم اذارأوهم آمنا وهم غير مؤمنين وهو عطف على الاول ويجوز حمله على الحقيقة فى حقهم فانه وسعهم كذا فى التيسير (ومايخدعون الاانفسهم) النفس ذات الشئ وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح اومتعلقه وللدم لان قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد ههنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لايتخطاهم الى غيرهم اى يفعلون مايفعلون والحال انهم مايضرون بذلك الاانفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم ومن حافظ على الصيغة قال ومايعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادع الاانفسهم لان ضررها لايحيق الابهم ووبال خداعهم راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون فى الدنيا ويستوجبون العقاب فى العقبى (قال المولى جلال الدين) بازئى ديدى تو اى شطرنج باز * بازئ خصمت ببين پهن ودراز * وقيل يعاملهم على وفق ماعاملوا وذلك فيما جاء انهم اذا القوا فى النيران وعذبوا فيها طويلا من الزمان استغاثوا بالرحمن قيل لهم هذه الابواب قد فتحت فاخرجوا فيتبادرون الى الابواب فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم واعيدوا الى الاباروالتوابيت مع الشياطين والطواغيت قال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا وفى الحديث يؤمر بنفر من الناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى مااعد الله تعالى لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لانصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة مارجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون ياربنا لوادخلتنا النار قبل ان تريناما اريتنا من ثواب مااعددت لاوليائك فيقول ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بى بارزتمونى بالعظائم فاذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس وتظهرون خلاف ماتنطوى قلوبكم عليه هبتم الدنيا ولم تهابونى اجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى يعنى لاجل الناس فاليوم اذيقكم أليم عذابى مع ماحرمتكم يعنى من جزيل ثوابى كذا فى روضة العلماء وتنبيه الغافلين (ومايشعرون) حال من ضمير مايخدعون اى يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم مايحسون بذلك لتماديهم فى الغفلة والغواية جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم فى الظهور كالمحسوس الذى لايخفى الاعلى مؤوف الحواس وهذا تنزيل لهم منزلة الجمادات وحط من مرتبة البهائم حيث سلب منهم الحس الحيوانى فهم ممن قيل فى حقهم بل هم اضل فلايشعرون ابلغ وانسب من لايعلمون والشعور الاحساس اى علم الشئ علم حس ومشاعر الانسان حواسه سميت به لكون كل حاسة محلا للشعور والعظة فيه ان المنافق عمل ماعمل وهو لايعلم بوبال ماعمل والمؤمن يعلم به فاعذره عند ربه ثم فى هذه الآية نفى العلم عنهم وفى قوله

وتكتمون الحق وانتم تعلمون اثبات العلم لهم والتوفيق بينهما انهم علموا به حقيقة ولكن لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا وهو كقوله عز وجل صم بكم عمى فكانوا ناطقين سامعين ناظرين حقيقة لكن لم ينتفعوا بذلك فكانوا كأنهم صم بكم عمى فذو الآلة اذا لم ينتفع بها فهو وعادم الآلة سواء والعالم الذى لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سواء والغنى الذى لا ينتفع بماله فهو والفقير سواء فاثبات العلم للكفار الزام الحجة وذكر الجهل اثبات المنقصة بخلاف المؤمنين فان اثبات العلم لهم اثبات الكرامة وذكر الجهل تلقين عذر المعصية كذا فى التيسير فعلى المؤمن ان يتحلى بالعلم والعمل ويجتنب عن الخطأ والزلل ويطيع ربه خالصا لوجهه الكريم ويعبده بقلب سليم وفى الحديث ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم يجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيرا وانما يقال لهم ذلك لان عملهم فى الدنيا كان على وجه الخداع فيعاملون فى الآخرة على وجه الخداع كذا فى تنبيه الغافلين (قال السعدى) جه قدر آورد بنده نزد رئيس * كه زير قبادارد اندام پيس * وفى التأويلات النجمية الاشارة ان الله تعالى لما قدر لبعض الناس الشقاوة فى الازل أثمر بذر سر القدر المستور فى اعماله ثمرة مخادعة الله فى الظاهر ولا يشعر أن المخادعة نتيجة بذر سر القدر بطريق تزيين الدنيا فى نظره وحب شهواتها فى قلبه كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات الآية فانخدع بزينة الدنيا وطلب شهواتها عن الله وطلب السعادة الاخروية فعلى الحقيقة هو المخادع الممكور كما قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم فعلى هذا وما يخدعون الا انفسهم حقيقة فى صورة مخادعتهم الله والذين آمنوا الانهم كانوا قبل مخادعتهم الله مستوجبين النار بكفرهم مع امكان ظهور الايمان منهم فلما شرعوا فى اظهار النفاق بطريق المخادعة نزلوا بقدم النفاق الدرك الاسفل من النار فابطلوا استعداد قبول الايمان وامكانه عن انفسهم فكانت مفسدة خداعهم ومكرهم راجعة الى انفسهم وما يشعرون اى ليس لهم الشعور بسر القدر الازلى وان معاملتهم فى المكر والخداع من نتائجه لان فى قلوبهم مرضا ومرض القلب ما يفهم من شعور سر القدر (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) زاد يجيئ متعديا كما فى هذه الآية ولازما كما فى قوله تعالى فارسلناه الى مائة الف او يزيدون والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل فى افاعيله ويؤدى الى الموت ومجاز فى الاعراض النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصى وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى الى الهلاك الروحانى لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية الكريمة تحتملها فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه السلام واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد فى اعلاء امره ورفع قدره وان نفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبى عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار وبازدياد التكاليف الشرعية وتكرير الوحى وتضاعف النصر لانهم كلما ازداد التكاليف بنزول الوحى يزدادون كفرا وقد كان يشق عليهم التكلم بالشهادة فكيف وقد لحقتهم الزيادات وهى وظائف الطاعات ثم العقوبة على الجنايات فازدادوا بذلك اضطرابا على اضطراب وارتيابا على ارتياب ويزدادون بذلك فى الآخرة عذابا على عذاب قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب والمؤمنون لهم فى الدنيا ما قال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وفى العقبى ما قال ويزيدهم من فضله * قال القطب العلامة امراض القلب اما متعلقة بالدين وهو سوء الاعتقاد والكفر أو بالاخلاق وهى اما رذائل فعلية كالغل والحسد واما رذائل انفعالية كالضعف والجبن فحمل المرض اولا على الكفر ثم على الهيئات الفعلية ثم على الهيئات الانفعالية ويحتمل ان يكون قوله تعالى فزادهم الله دعاء عليهم فان قلت كيف يحمل على الدعاء والدعاء للعاجز عرفا والله تعالى منزه عن العجز قلت هذا تعليم من الله عباده انه يجوز الدعاء على المنافقين والطرد لهم لانهم شر خلق الله لانه اعد لهم يوم القيامة الدرك الاسفل من النار وهذا كقوله تعالى قاتلهم الله ولعنهم الله (ولهم) فى الآخرة (عذاب اليم) يصل ألمه الى القلوب وهو بمعنى المؤلم بفتح اللام على انه اسم مفعول من الايلام وصف به العذاب للمبالغة وهو فى الحقيقة صفة المعذب بفتح الذال المعجمة كما أن الجد للجاد فى قولهم جد جده ووجه المبالغة افادة ان الالم بلغ الغاية حتى سرى المعذب الى العذاب المتعلق به

(بما كانوا يكذبون) الباء للسببية اوللمقابلة وما مصدرية داخلة فى الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة
لافادة دوام كذبهم وتجدده اى بسبب كذبهم المتجدد المستمر الذى هو قولهم آمنا الخ وفيه رمز الى قبح الكذب
وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده
بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه
والتنفير عنه والكذب الاخبار بالشئ على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ماروى ان ابراهيم عليه السلام
كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض لكن لما شابه الكذب فى صورته سمى به واحدى الكذبات قوله انى
سقيم اى ذاهب الى السقم اوالى الموت اوسيسقم لما يجد من الغيظ فى اتخاذهم النجوم آلهة قاله ليتركوه
من الذهاب معهم الى عيد لهم حتى يخلوا سبيله فيكسر اصنامهم والثانية قوله بل فعله كبيرهم هذا
على الفرض والتقدير على سبيل الالزام كانه قال لو كان الها معبودا وجب ان يكون قادرا على ان يفعله
فاذا لم يكن قادرا عليه يكون عاجزا والعاجز بمعزل عن الالوهية واستحقاق العبادة فكيف حالكم فى العكوف
عليه فهذا القول تهكم بعقولهم وثالثها قوله فى حق زوجته سارة رضى الله عنها هذه اختى والمراد منه الاخوة
فى الدين وغرضه منه تخليصها من يد الظالم لان من دين ذلك الملك الذى يتدين به فى الاحكام المتعلقة بالسياسة
لايتعرض اللذوات الازواج لان من دينه ان المرأة اذا اختارت الزوج فالسلطان احق بها من زوجها
واما اللاتى لا ازواج لهن فلا سبيل عليهن الا اذا رضين * واما قوله هذا ربى فهو من باب الاستدراج وهو ارخاء
العنان مع الخصم وهو نوع من التعريض لان الغرض منه حكاية قولهم كذا فى حواشى ابن تمجيد واعلم
ان الكذب من قبائح الذنوب وفواحش العيوب ورأس كل معصية بها تكدر القلوب ولبغض الاخلاق
انه مجانب للايمان بمعنى الايمان فى جانب والكذب فى جانب آخر مقابل له وهذا كناية عن كمال البعد بينهما
وفى الحديث مالى اراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار كل الكذب مكتوب كذبا لامحالة الا ان
يكذب الرجل فى الحرب فان الحرب خدعة اويكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته ليرضيها
مثل ان يقول لا احد احب الى منك وكذا من جانب المرأة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفى معناها
ما اذا اذا ارتبط بمقصود صحيح له اولغيره كما قيل بالفارسية دروغ مصلحت آميز به ازراست فتنه انگيز *
لكن هذا فى حق الغير واما فى حق نفسه فالصدق اولى وان لزم الضرر (كما قال السعدى) تا نيك ندانى كه سخن
عين صوابست * بايد كه بگفتن دهن از هم نگشايى * گر راست سخن گويى ودر بند بمانى * به زانكه
دروغت دهد از بند رهايى * واعلم ان المراد بالكذب فى الحقيقة الكذب فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية
كالمنافقين ومن يحذو حذوهم ولايصح الاقتدآء بارباب الكذب مطلقا ولا يعتمد عليهم فانهم يجرون الى
الهلاك والفراق عن مالك الاملاك (قال فى المثنوى) صبح كاذب كاروانها را زدست * كه بپوى روز بيرون
آمدست * صبح كاذب خلق را رهبر مباد * كو دهد بس كاروانها را بباد * قال القاشانى فى تأويل
الآية فى قلوبهم حجاب من حجب الرذآئل النفسانية الشيطانية والصفات البشرية عن تجليات الصفات
الحقانية وفى التأويلات النجمية فى قلوبهم مرض وهو التفات الى غير الله فزادهم الله مرضا اى زاد مرض
الالتفات على مرض خداعهم فحرموا من الوصول والوصال ولهم عذاب أليم من حرمان الوصول الى الله تعالى
بما كانوا يكذبون بقولهم انا آمنا بالله فانهم ليسوا بمؤمنين حقيقة والايمان الحقيقى نور اذا دخل القلب يظهر على
المؤمن حقيقته كما كان لحارثة لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت ياحارثة قال اصبحت مؤمنا
حقا قال ياحارثة ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال أعرضت نفسى عن الدنيا اى زهدت وانصرفت
فأظمأت نهارها واسهرت ليلها واستوى عندى حجرها وذهبها وكأنى انظر الى اهل الجنة يتزاورون والى اهل النار
يتضاغون وكأنى انظر الى عرش ربى بارزا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبت فالزم (قال فى المثنوى)
اهل صيقل رسته اند از بو ورنگ * هردمى بينند خوبى بى درنگ * نقش وقشر علم را بگذاشتند *
رايت عين اليقين افراشتند * برترند ازعرش وكرسى وخلا * ساكنان مقعد صدق خدا * علم كان
نبود زهو بى واسطه * آن نپايد همچو رنگ ماشطه * (واذا قيل لهم) اى قال المسلمون لهؤلاء المنافقين
(لاتفسدوا فى الارض) اسناد قيل الى لاتفسدوا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول كقولك

ألف ضرب من ثلاثة احرف والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع والفساد في الارض تهييج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليه وغير ذلك من فنون الشرور فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لا تفسدوا كما يقول الرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وكانت الارض قبل البعثة يعلن فيها بالمعاصي فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع الفساد وصلحت الارض فاذا اعلنوا بالمعاصي فقد افسدوا في الارض بعد اصلاحها كما في تفسير ابي الليث (قالوا انما نحن مصلحون) جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصلح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فانكروا كون ذلك فسادا وادعوا كونه اصلاحا محضا وهو من قصر الموصوف على الصفة مثل انما زيد منطلق قال ابن التمجيد ان المسلمين لما قالوا لهم لا تفسدوا توهموا ان المسلمين ارادوا بذلك انهم يخلطون الافساد بالاصلاح فأجابوا بانهم مقصورون على الاصلاح لا يتجاوزون منه الى صفة الافساد فيلزم منه عدم الخلط فهو من باب قصر الافراد حيث توهموا ان المؤمنين اعتقدوا الشركة فاجابهم الله تعالى بعد ذلك بما يدل على القصر القلبي وهو قوله تعالى (الا) ايها المؤمنون اعلموا (انهم هم المفسدون) فانهم لما اثبتوا لانفسهم احدى الصفتين ونفوا الاخرى واعتقدوا ذلك قلب الله اعتقادهم هذا بأن اثبت لهم ما نفوه ونفى عنهم ما اثبتوا والمعنى هم مقصورون على افساد انفسهم بالكفر والناس بالتعويق عن الايمان لا يتخطون منه الى صفة الاصلاح من باب قصر الشيء على الحكم فهم لا يعدون صفة الفساد والافساد ولا يلزم منه ان لا يكون غيرهم مفسدين ثم استدرك بقوله تعالى (ولكن لا يشعرون) انهم مفسدون للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه قال الشيخ في تفسيره ذكر الشعور بازاء الفساد اوفق لانه كالمحسوس عادة ثم فيه بيان شرف المؤمنين حيث تولى الله جواب المنافقين عما قالوه للمؤمنين كما كان في حق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فان الوليد بن المغيرة قال له انه مجنون فنفاه الله عنه بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون ثم قال في ذم ذلك اللعين ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم اي حلاف حقير عياب يمشي بين الناس بالنميمة بخيل بالمال ظالم فاجر غليظ القلب جاف ومع ذلك الوصف المذكور هو ولد الزنى وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اتخذ به وكيلا على اموره بمقتضى قوله فاتخذوه وكيلا فهو تعالى يكفي مؤونته كما قال اهل الحقائق ان خوارق العادات قلما تصدر من الاقطاب والخلفاء بل من وزرائهم وخلفائهم لقيامهم بالعبودية التامة واتصافهم بالفقر الكلي فلا يتصرفون لانفسهم في شيء ومن جملة كمالات الاقطاب ومن الله عليهم ان لا يبتليهم بصحبة الجهلاء بل يرزقهم صحبة العلماء الادباء الامناء يحملون عنهم اثقالهم وينفذون احكامهم واقوالهم وذلك كما كان الكامل آصف بن برخيا وزير سليمان عليه الصلاة والسلام الذي كان قطب وقته ومتصرفا وخليفة على العالم فظهر منه ما ظهر من اتيان عرش بلقيس كما حكاه الله تعالى في القرآن وفي التأويلات النجمية واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض الاشارة في تحقيق الآيتين ان الانسان وان خلق مستعدا لخلافة الارض ولكنه في بداية الخلقة مغلوب الهوى والصفات النفسانية فيكون مائلا الى الفساد كما اخبرت عنه الملائكة وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الآية فبأوامر الشريعة ونواهيها يتخلص جوهر الخلافة عن معدن نفس الانسان فاهل السعادة وهم المؤمنون ينقادون للداعي الى الحق ويقبلون الاوامر والنواهي واهل الشقاوة وهم الكافرون المنافقون يمرقون من الدين ويتبعون الهوى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض اي لا تسعوا في افساد حسن استعدادكم وصلاحيتكم للخلافة في الارض باتباعكم الهوى وحرصكم على الدنيا قالوا انما نحن مصلحون لا يقبلون النصيحة غافلين عن حقيقتها (كما قال السعدي) كسى را كه پندار در سر بود * مپندار هرگز كه حق بشنود * ز علمش ملال ايد از وعظ ننك * شقايق بباران نرويد ز سنك * فكذبهم الله تعالى بقوله الا انهم هم المفسدون يفسدون صلاح آخرتهم باصلاح دنياهم ولكن لا يشعرون اي لا شعور لهم بافساد حالهم وسوء اعمالهم وعظم وبالهم

من خسار

من خسار حسن صنيعهم وادعائهم بالصلاح على انفسهم كما قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية
(قال المولى جلال الدين قدس سره) اى كه خود را شير يزدان خوانده * سالها شد با سگى درمانده * چون
كند اين سن براى توشكار * چون شكار سن شدستى آشكار * (واذا قيل لهم) من طرف المؤمنين
بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين
الاعراض عما لا ينبغى وهو المقصود بقوله تعالى لا تفسدوا فى الارض والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله
تعالى (آمنوا) حذف المؤمن به لظهوره اى آمنوا بالله وباليوم الآخر أو اريد افعلوا الايمان (كما آمن الناس)
الكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف اى آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية
او كافة اى حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانية العاملون
بقضية العقل او للعهد والمراد به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل بلدتهم اى من
اهل ضيعتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا من شوائب النفاق مماثلا
لايمانهم (قالوا) مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان
(انؤمن كما آمن السفهاء) الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس الكاملين او المعهودين او الى الجنس
باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة عقل وسخافة رأى يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم
والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم فى الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم فى السفاهة
وتماديهم فى الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمى الهدى
لا محالة ضلالا او لتحقير شأنهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالى كصهيب وبلال او للتجلد وعدم
المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله فان قيل كيف يصح النفاق
مع المجاهرة بقوله انؤمن كما آمن السفهاء قلنا فيه اقوال * الاول ان المنافقين لعنهم الله كانوا يتكلمون بهذا الكلام
فى انفسهم دون ان ينطقوا به بالسنتهم لكن هتك الله تعالى استارهم واظهر اسرارهم عقوبة على عداوتهم
وهذا كما اظهر ما اضمره اهل الاخلاص من الكلام الحسن وان لم يتكلموا به بالالسن تحقيقا لولايتهم
قال الله تعالى يوفون بالنذر الى ان قال انما نطعمكم لوجه الله وكان هذا فى قلوبهم فاظهره الله تعالى تشريفا لهم
وتشهيرا لحالهم هذا قول صاحب التيسير * والثانى ان المنافقين كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين
فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك هذا قول البغوى * والثالث قول ابى السعود
فى الارشاد حيث قال هذا القول وان صدر عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم لكن
لا يقتضى كونهم مجاهرين لا منافقين فانه ضرب من الكفر أنيق وفن فى النفاق عريق لانه محتمل للشر كما ذكر
فى تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انؤمن
كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تأمرون بذلك قد خاطبوا به
الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم يقولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز وجل
(الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) انهم هم السفهاء ولا يحيطون بما عليهم من داء السفه والمؤمنون بايمانهم
واخلاصهم هربوا من السفه ورغبوا فى العلم والحق وهم العلماء على الحقيقة والمستقيمون على الطريقة وهذا رد
ومبالغة فى تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف
المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر واعلم ان قوله تعالى وما يشعرون فى الآية الاولى نفى
الاحساس عنهم وفى الثانية نفى الفطنة لان معرفة الصلاح والفساد يدرك بالفطنة وفى الآية الثالثة نفى العلم
وفى نفيها على هذه الوجوه تنبيه لطيف ومعنى دقيق وذلك انه بين فى الاول ان فى استعمالهم الخديعة نهاية
الجهل الدال على عدم الحس وفى الثانى انهم لا يفطنون تنبيها على ان ذلك لازم لهم لان من لا حس له لا فطنة له
وفى الثالث انهم لا يعلمون تنبيها على ان ذلك ايضا لازم لهم لان من لا فطنة له لا علم له فان العلم تابع للعقل (كما حكى)
ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام اتى اليه جبرائيل بثلاث تحف العلم والحياء والعقل فقال يا آدم
اختر من هذه الثلاث ما تريد فاختار العقل فاشار جبريل الى العلم والحياء بالرجوع الى مقرهما فقالا انا كنا فى عالم
الارواح مجتمعين فلا نرضى ان يفترق بعضنا عن بعض فى الاشباح ايضا فنتبع العقل حيث كان فقال جبريل

استقرّا فاستقرّ العقل فی الدماغ والعلم فی القلب والحیاء فی العین (قال المولی جلال الدین قدس سره) * جمله حیوانرا پی انسان بکش * جمله انسانرا بکش از بهر هش * هش چه باشد عقل کل هوشمند * هوش جزئی هش بود اما نژند * لطف او عاقل کند مر نیل را * قهر او ابله کند قابیل را * فلیسارع العاقل الی تحصیل العلم والمعرفة حتی یصل الی توحید الفعل والصفة قال الامام القشیری رحمه الله للعقل نجوم وهی للشیطان رجوم وللعلوم اقمار وهی للقلوب انوار واستبصار وللمعارف شموس ولها علی اسرار العارفین طلوع والعلم اللدنی هو الذی ینفتح فی بیت القلب من غیر سبب مألوف من الخارج وللقلب بابان باب الی الخارج یأخذ العلم من الحواس وباب الی الداخل یأخذ العلم بالالهام فمثل القلب کمثل الحوض الذی یجری فیه انهار خمسة فلا یخلو ماؤه عن کدرة مادام یحصل ماؤه من الانهار الخمسة بخلاف ما اذا خرج ماؤه من قعره حیث یکون ماؤه اصفی واجلی فکذا القلب اذا حصل له العلم من طریق الحواس الخمس الظاهرة لا یخلو عن کدرة وشک وشبهة بخلاف ما اذا ظهر من صمیم القلب بطریق الفیض فانه اصفی واولی وقال الشیخ زین الدین الحافی رحمه الله والعجب ممن دخل فی هذه الطریقة واراد ان یصل الی الحقیقة وقد حصل من الاصطلاحات ما یستخرج بها المعانی من کتاب الله واحادیث رسوله صلی الله علیه وسلم ثم لا یشتغل بذکر الله و بمراقبته والاعراض عما سواه لتنصب الی قلبه العلوم اللدنیة التی لو عاش ألف سنة فی تدریس الاصطلاحات وتصنیفها لا یشم منها رائحة ولا یشاهد من آثارها وانوارها لمعة فالعلم بلا عمل عقیم والعمل بلا علم سقیم والعمل بالعلم صراط مستقیم (قال فی المثنوی) آنکه بی همت چه با همت شده * وآنکه با همت چه با نعمت شده * وفی التأویلات النجمیة واذا قیل لهم ای لاهل الغفلة والنسیان آمنوا کما آمن الناس ای بعض الناسین منکم الذین تفکروا فی آلاء الله تعالی وتدبروا آیاته بعد نسیان عهد ألست بربکم ومعاهدة الله تعالی علی التوحید والعبودیة فتذکروا تلک العهود والمواثیق فآمنوا بمحمد صلی الله علیه وسلم وبما جاء به قالوا ای اهل الشقاوة منهم انؤمن کما آمن السفهاء فکذلک احوال اصحاب الغفلات مدعی الاسلام اذا دعوا من الایمان التقلیدی الذی وجدوه بالمیراث الی الایمان الحقیقی المکتسب بصدق الطلب وترک محبة الدنیا واتباع الهوی والرجوع الی الحق والتمادی فی الباطل ینسبون ارباب القلوب واصحاب الکرامات العالیة الی السفه والجنون وینظرون الیهم بنظر العجز والذلة والقلة والمسکنة ویقولون انترک الدنیا کما ترک هؤلاء السفهاء من الفقرآء لنکون محتاجین الی الخلق کما هم محتاجون ولا یعلمون انهم هم السفهاء لقوله تعالی ألا انهم هم السفهاء ولکن لا یعلمون فهم السفهاء بمعنیین احدهما انهم یبیعون الدین بالدنیا والباقی بالفانی لسفاهتهم وعدم رشدهم والثانی انهم سفهوا انفسهم ولم یعرفوا حسن استعدادهم للدرجات العلی والقربة والزلفی فرضوا بالحیاة الدنیا ورغبوا عن مراتب اهل التقی ومشارب اهل النهی کما قال الله تعالی ومن یرغب عن ملة ابراهیم الا من سفه نفسه فانه من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن عرف ربه ترک غیره وعرف اهل الله وخاصته فلا یرغب عنهم ولا ینسبهم الی السفه وینظر الیهم بالعزة فان الفقرآء الکبرآء هم الملوک تحت الاطمار ووجوههم المصفرة عند الله کالشموس والاقمار ولکن تحت قباب العزة مستورون وعن نظر الاغیار محجوبون (قال فی المثنوی) مهر پاکان درمیان جان نشان * دل مده الا بمهر دلخوشان * کرتو سنک صخره ومرمر شوی * چون بصاحب دل رسی جوهر شوی * انهم تحت قبابی آمنون * جز که یزدانشان نداند زآزمون * (واذا لقوا الذین آمنوا) بیان لمعاملتهم مع المؤمنین والکفار وما صدرت به القصة فساقه لبیان مذهبهم وتمهید نفاقهم فلیس بتکریر ای هؤلاء المنافقون اذا عاینوا وصادفوا واستقبلوا الذین آمنوا بالحق وهم المهاجرون والانصار (قالوا) کذبا (آمنا) کایمانکم وتصدیقکم روی ان عبد الله بن ابی المنافق واصحابه خرجوا ذات یوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضی الله عنهم فقال ابن ابی انظروا کیف ارد هذه السفهاء عنکم فلما دنوا منهم اخذ بید ابی بکر رضی الله عنه فقال مرحبا بالصدیق سید بنی تیم وشیخ الاسلام وثانی رسول الله صلی الله علیه وسلم فی الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلی الله علیه وسلم ثم اخذ بید عمر رضی الله عنه فقال مرحبا بسید بنی عدی الفاروق القوی فی دینه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلی الله علیه وسلم ثم اخذ بید علی رضی الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسید بنی هاشم ما خلا رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فقال له

على رضى الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله فقال له مهلا يا ابا الحسن انى تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابى لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا ما فعلت فأثنوا عليه خيرا وقالوا مازال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت الآية (واذا خلوا) اى مضوا واجتمعوا على الخلوة والى بمعنى مع او انفردوا والى بمعنى الباء او مع تقول خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه (الى شياطينهم) اصحابهم المماثلين للشيطان فى التمرد والعناد المظهرين لكفرهم واضافتهم اليه للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وكل عات متمرد فهو شيطان وقال الضحاك المراد بشياطينهم كهنتهم وهم فى بنى قريظة كعب بن الاشرف وفى بنى اسلم ابو بردة وفى جهينة عبد الدار وفى بنى اسد عوف بن عامر وفى الشام عبد الله بن سوداء وكانت العرب تعتقد فيهم انهم مطلعون على الغيب ويعرفون الاسرار ويداوون المرضى وليس من كاهن الا وعند العرب ان معه شيطانا يلقى اليه كهانته وسموا شياطين لبعدهم عن الحق فان الشطون هو البعد كذا فى التيسير (قالوا انا معكم) انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم واعتقادكم لا نفارقكم فى حال من الاحوال وكأنه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين فى الاتيان بكلمة الشهادة وتشهدون مشاهدهم وتدخلون مساجدهم وتحجون وتغزون معهم فقالوا (انما نحن) اى فى اظهار الايمان عند المؤمنين (مستهزؤن) بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة فنريهم انا نوافقهم على دينهم ظاهرا وباطنا وانما نكون معهم ظاهرا لنشاركهم فى غنائمهم وننكح بناتهم ونطلع على اسرارهم ونحفظ اموالنا واولادنا ونساءنا من ايديهم والاستهزاء التجهيل والسخرية والاستخفاف والمعنى انا نجهل محمدا واصحابه ونسخر بهم باظهارنا الاسلام فرد الله عليهم بقوله (الله يستهزئ بهم) اى يجازيهم على استهزائهم او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الآخرة فبما روى انه يفتح لهم باب الى الجنة وهم فى جهنم فيسرعون نحوه فاذا وصلوا اليه سد عليهم الباب وردوا الى جهنم والمؤمنون على الارائك فى الجنة ينظرون اليهم فيضحكون منهم كما ضحكوا من المؤمنين فى الدنيا فذلك بمقابلة هذا او يفعل بهم ذلك مرة بعد مرة (ويمدهم) اى يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وأمده اذا زاده وقواه لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام كأملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم (فى طغيانهم) متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد فى كل امر والمراد افراطهم فى العتو وغلوهم فى الكفر وفى اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما اشير اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم (يعمهون) اى يترددون فى الضلالة متحيرين عقوبة لهم فى الدنيا لاستهزائهم وهو حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدرى اين يتوجه وفى الآيتين اشارات الاولى فى قوله تعالى انا معكم وهى ان من رام ان يجمع بين طريق الارادة وما عليه اهل العادة لا يلتئم له ذلك والضدان لا يجتمعان ومن كان له من كل ناحية خليط ومن كل زاوية من قلبه ربيط كان نهبا للطوارق ومنقسما بين العلائق فهذا حال المنافق يذبذب بين ذلك وذلك يعنى ان المنافقين لما ارادوا ان يجمعوا بين غيرة الكفار وصحبة المسلمين وان يجمعوا بين مفاسد الكفر ومصالح الايمان وكان الجمع بين الضدين غير جائز فبقوا بين الباب والدار كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وكذلك حال المتمنين الذين يدعون الارادة ولا يخرجون عن العادة ويريدون الجمع بين مقاصد الدارين يتمنون اعلى مراتب الدين ويرتعون فى اسفل مراتع الدنيا فلا يلتئم لهم ذلك قال عليه السلام ليس الدين بالتمنى وقال بعثت لرفع العادات ودفع الشهوات وقال الدنيا والآخرة ضرتان فمن يدع الجمع بينهما فمكور ومغرور فمن رام مع متابعة الهوى البلوغ الى الدرجات العلى فهو كالمستهزئ بطريق هذا الفريق فكم فى هذا البحر من امثاله غريق فالله تعالى يمهلهم فى طغيان النفس بالحرص على الدنيا حتى يتجاوزوا فى طلبها حد الاحتياج اليها ويفتح ابواب المقاصد الدنيوية عليهم ليستغنوا بها وبقدر الاستغناء يزيد طغيانهم كما قال الله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فكان جزاء سيئة تلونهم فى الطلب الاستهزاء وجزاء سيئة الاستهزاء الخذلان والامهال الى ان طغوا وجزاء سيئة الطغيان العمه فيترددون فى الضلال متحيرين لا سبيل لهم الى الخروج

من الباطل والرجوع الى الحق * والاشارة الثانية فى قوله تعالى الله يستهزئ بهم وهى ان ذلك يدل على شرف المؤمنين ومنزلتهم عندالله حيث ان الله هو الذى يتولى الاستهزآء بهم انتقاما للمؤمنين ولايحوج المؤمنين الى ان يعارضوهم باستهزآء مثله فناب الله عنهم واستهزأ بهم الاستهزآء الابلغ الذى ليس استهزآؤهم عنده من باب الاستهزآء حيث ينزل بهم من النكال و يحل عليهم من الذل والهوان مالايوصف به ودلت الآية على قبح الاستهزآء بالناس وقد قال لايسخر قوم من قوم وقال فى قصة موسى عليه السلام قالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فاخبرانه فعل الجاهلين واذا كان الاستهزآء بالناس قبيحا فما جزآء الاستهزآء بالله وهو فيما قال النبى صلى الله عليه وسلم المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه * والاشارة الثالثة فى قوله تعالى ويمدهم فى طغيانهم يعمهون وهى ان العبد ينبغى له ان لايغتر بطول العمر وامتداده ولا بكثرة امواله واولاده والله تعالى يقول فى اعدائه فى حق المعمر ويمدهم وفى حق المال والبنين يحسبون انما نمدهم به من مال وبنين وكان طول العمر لهم خذلانا وكثرة الاموال والاولاد لهم حرمانا ولهم فى مقابلة هذا المد مد قال الله تعالى ونمد لهم من العذاب مدا وقد جعل الله لعدوه فى الدنيا مالا ممدودا ولوليه فى الآخرة ظلا ممدودا وقال الله جل جلاله لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ان من نعمتى على امتك انى قصرت اعمارهم كيلا تكثر ذنوبهم واقللت اموالهم كيلا يشتد فى القيامة حسابهم واخرت زمانهم كيلا يطول فى القبور حبسهم وروى ان الله تعالى قال لحبيبه ليلة المعراج يا احمد لاتتزين بلين اللباس وطيب الطعام ولين الوطاء فان النفس مأوى كل شر وهى رفيق سوء كلما تجرها الى طاعة تجرك الى معصية وتخالفك فى الطاعة وتطيع لك فى المعصية وتطغى اذا شبعت وتتكبر اذا استغنت وتنسى اذا ذكرت وتغفل اذا امنت وهى قرينة للشيطان كذا فى مشكاة الانوار (اولئك) المنافقون المتصفون بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كأنهم حضار مشاهدون على ماهم عليه ومافيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اصل الاشترآء بذل الثمن لتحصيل مايطلب من الاشياء ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره وهو ههنا عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية واشتروا الضلالة وهى الكفر والعدول عن الحق والصواب بالهدى وهو الايمان والسلوك فى الطريق المستقيم والاستقامة عليه مستعار لاخذها بدلا منه اخذا متصفا بالرغبة فيها والاعراض عنه اى اختاروها عليه واستبدلوها به واخذوها مكانه وجعل الهدى كأنه فى ايديهم لتمكنهم منه وهو الاستعداد به فميلهم الى الضلالة عطلوه وتركوه والباء تصحب المتروك فى باب المعاوضة وهذا دليل على ان الحكم يثبت بالتعاطى من غير تكلم بالايجاب والقبول فان هؤلاء سموا مشترين بترك الهدى واخذ الضلال من غير التكلم بهذه المبادلة كما فى التيسير (فما ربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز اى مار بحوا فيها فان الربح مسند الى ارباب التجارة فى الحقيقة فاسناده الى التجارة نفسها على الاتساع لتلبسها بالفاعل اولمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران ودخلت الفاء لتضمن الكلام معنى الشرط تقديره واذا اشتروا فما ربحوا كما فى الكواشى والتجارة صناعة التجار وهو التصدى بالبيع والشرآء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال (وما كانوا مهتدين) اى الى طريق التجارة فان المقصد منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح فى صفقة فربما يتدارك فى صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين الاصل نائين عن طريق التجارة بالف منزل واعلم ان المهتدى هو الذى ترك الدنيا والعادة ثم اشتغل بوظائف الطاعة والعبادة لامن اتبع كل مايهواه وخلط هواه بهداه (حكى) انه كان للشيخ الاستاذ ابى على الدقاق رضى الله عنه مريد تاجر متمول فمرض يوما فعاده الشيخ وسأل منه سبب علته فقال التاجر قمت هذه الليلة لمصلحة التهجد فلما اردت الوضوء بدا لى من ظهرى حرارة فاشتد امرى حتى صرت محموما فقال الشيخ لاتفعل فعلا فضوليا ولا ينفعك التهجد مادمت لم تهجر دنياك وتخرج محبتها من قلبك فاللائق لك اولا هو ذا ثم الاشتغال بوظائف النوافل فمن كان به اذى من رأسه من صداع لايسكن

ألمه بالطلاء على الرجل ومن تنجست يده لا يجد الطهارة بغسل ذيله وكه قال بعض المشايخ من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا غالب فى الخلق الا من عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالاوراد الكثيرة والنوافل العديدة الثقيلة ولا يقوم بفرض واحد على وجهه فعلى العاقل تحصيل رأس المال ثم تحصيل الربح المترتب عليه وذلك بالاختيار لا بالاضطرار وقد أوجب الله على العباد وجود طاعته لما علم من قلة نهوضهم الى معاملته اذ ليس لهم ما يردهم اليه بلا علة وهذا حال أكثر الخلق بخلاف اهل المروءة والصفاء (قال فى المثنوى) اختيار آمد عبادت را نمك * ورنه ميكردد بنا خواه اين فلك * كردش او را نه اجر ونه عقاب * كه اختيار آمد هنر وقت حساب * انتيا كرها مهار عاقلان انتيا طوعا بهار عاشقان * اين محب دايه ليك از بهر شير * وان ذكر دل داده بهران ستير * فاوجب الله عليك وجود طاعته وما اوجب عليك بالحقيقة الا دخول جنته اذ الامر آيل اليها والاسباب عدمية فان تعللت النفس عن التشمير بما هى عليه من الاستغراق فى كل دنى وحقير فاعلم ان من استغرب ان ينقذه الله من شهوته التى اعتقلته عن الخيرات وان يخرجه من وجود غفلته التى شملته فى جميع الحالات فقد استعجز القدرة الالهية وقد قال الله تعالى وكان الله على كل شئ مقتدرا فابان سبحانه ان قدرته شاملة صالحة لكل شئ وهذا من الاشياء وان اردت الاستعانة على تقوية رجائك فى ذلك فانظر لحال من كان مثلك ثم أنقذه الله وخصه بعنايته كابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض وابن المبارك وذى النون المصرى ومالك بن دينار وغيرهم من مجرمى البداية كذا فى شرح الحكم العطائية (قال الحافظ) عاشق كه شد كه يار بحالش نظر نكرد * اى خواجه درد نيست وكرنه طبيب هست * قال القاشانى فى تاويل الاية الهدى النور الثانى فى قوله تعالى نور على نور وهو النور الفطرى الازلى المراد من قول المحققين هو الاستعداد من فيضه الاقدس والضلالة ظلمة النشأة الحاجبة له بسلوك طريق المطالب الطبيعية الفاسدة والمقاصد الهيولانية الفاسقة بهوى النفس وتتبع خطوات الشيطان والربح هو النور الاول المقدس الكمالى المكتسب بالتوجه الى الحق والاتصال بعالم القدس والانقطاع والتبتل الى الله من الغير والتبرى بحوله وقوته من كل حول وقوة حتى يخلص روح المشاهدة من اعباء المكابدة بطلوع الوجه الباقى واحراق سبحاته كل ما فى بقعة الامكان من الرسم الفانى وخسرانهم باضاعة الامرين هو الحجاب الكلى عن الحق بالرين كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وفى التاويلات النجمية الاشارة فى الآية ان من نتيجة طغيانهم وعمههم أن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وأشربوا فى قلوبهم الضلالة وتمكنت فكانت هذه الحال من نتيجة معاملتهم فلهذا اضاف الفعل اليهم وقال اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قال بلفظ الاشتراء لانهم اخرجوا استعداد قبول الهداية عن قدرتهم وتصرفهم فلا يملكون الرجوع اليه فما ربحت تجارتهم لان خسران من رضى بالدنيا من العقبى ظاهر ومن آثر الدنيا والعقبى على المولى فهو اشد خسرانا واعظم حرمانا فاذا كان المصاب بفوات النعيم ممتحنا بنار الجحيم فما ظنك بالمصاب بفقد المطلوب وبعد المحبوب ضاعت منه الاوقات وبقى فى أسر الشهوات لا الى قلبه رسول ولا لروحه وصول لا من الحبيب اليه وفود ولا لسره معه شهود فهذا هو المصاب الحقيقى وما كانوا مهتدين لابطالهم حسن استعداد قبول الهداية (مثلهم) المثل فى الاصل بمعنى النظير ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده اى المضروب كما ورد من غير تغيير ولا يضرب الا بما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال اوقصة اوصفة لها شأن عجيب وفيها غرابة كقوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى اى الوصف الذى له شان من العظمة والجلال ولما جاء الله بحقيقة حال المنافقين عقبها بضرب المثل زيادة فى التوضيح والتقرير فان التمثيل ألطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبى وقمع سورة الجامح الابى كيف لا يلطف وهو ابداء للمنكر فى صورة المعروف واظهار للوحشى فى هيئة المالوف واراءة للمخيل محققا والمعقول محسوسا وتصوير للمعانى بصورة الاشخاص ومن ثمة كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالشاهد ولامر ما أكثر الله فى كتبه الامثال وفى الانجيل سورة تسمى سورة الامثال وفى القرآن ألف آية من الامثال والعبر وهى فى كلام الانبياء عليهم السلام والعلماء والحكماء كثيرة لا تحصى ذكر السيوطى فى الاتقان من اعظم علم

القرآن امثاله والناس فى غفلة عنه والمعنى حالهم العجيبة الشان (كمثل الذى) اى كحال الذين من باب وضع
واحد الموصول موضع الجمع منه تخفيفا لكونه مستطالا بصلته كقوله وخضتم كالذى خاضوا والقرينة ماقبله
ومابعده خلا أنه وحد الضمير فى قوله تعالى (استوقد نارا) نظرا الى الصورة وجمع فى الافعال الآتية نظرا
الى المعنى والاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها والنار جوهر لطيف مضئ
محرق حار والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة اى أوقد فى مفازة فى ليلة مظلمة نارا عظيمة خوفا
من السباع وغيرها (فلما أضاءت) الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء
والقمر نورا اى انارت النار (ماحوله) اى ماحول المستوقد من الاماكن والاشياء على ان مامفعول اضاءت
ان جعلته متعديا وحول نصب على الظرفية وان جعلته لازما فهو مسند الى ما والتأنيث لان ماحوله اشياء
واماكن واصل الحول الدوران ومنه الحول للعام لانه يدور وجواب لما قوله تعالى (ذهب الله بنورهم) اى
اذهبه بالكلية واطفأ نارهم التى هى مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود
بالاستيقاد واسناد الاذهاب الى الله تعالى امالان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفى أو امر
سماوى كريح اومطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب
والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله تعالى فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك
عدل عن الضوء الذى هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور فى الجملة لعدم
استلزام عدم القوى لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى (وتركهم فى ظلمات
لا يبصرون) فان الظلمة هى عدم النور وانطماسه بالمرة لاسيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على
بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمى ومابعده من قوله لا يبصرون لا يتحقق الابعدان لا يبقى من النور عين
ولا أثر وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب اى
صيرهم فى ظلمات لا يبصرون ماحولهم فعلى هذا يكون قوله فى ظلمات وقوله لا يبصرون مفعولين لصير بعد
المفعول الاول على سنن الاخبار المتتابعة للمخبر عنه الواحد وان حمل معناه على الاصل يكونان حالين
من المفعول مترادفين اومتداخلين والمعنى ان حالهم العجيبة التى هى اشتراؤهم الضلالة التى هى عبارة عن ظلمتى
الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدى بالهدى الذى هو الفطرى النورى المؤيد بماشاهدوه من دلائل الحق
كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفأها الله تعالى وتركه فى ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار
وفى التيسير والعيون ان المنافقين اظهروا كلمة الايمان فاستناروا بنورها واستعزوا بعزها وأمنوا بسببها فناكحوا
المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على اموالهم واولادهم فاذا بلغوا الى آخر العمر كل لسانهم عنها
وبقوا فى ظلمة كفرهم ابد الابد وعادوا الى الخوف والظلمة (صم) اى هم صم عن الحق لا يقبلونه واذا لم يقبلوا
فكأنهم لم يسمعوا والصمم انسداد خروق المسامع بحيث لا يكاد يصل اليها هواء يحصل الصوت بتموجه (بكم) خرس
عن الحق لا يقولونه لما ابطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا وهو آفة فى اللسان لا يتمكن بها ان يعتمد
مواضع الحروف (عمى) اى فاقدوا الابصار عن النظر الموصل الى العبرة التى تؤديهم الى الهدى وفاقدوا
البصيرة ايضا لان من لا بصيرة له كمن لا بصر له فالعمى مستعمل ههنا فى عدم البصر والبصيرة جميعا وهذه صفاتهم
فى الدنيا ولذلك عوقبوا فى الآخرة بجنسها قال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما
فلا يسمعون سلام الله ولا يخاطبون الله ولا يرونه والمسلمون كانوا سامعين للحق قائلين بالحق ناظرين الى الحق
فيكرمون يوم القيامة بخطابه ولقائه وسلامه (فهم لا يرجعون) اى هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة
لا يعودون عن الضلالة الى الهدى الذى تركوه والآية فذلكة التمثيل ونتيجته وأفادت انهم كانوا يستطيعون
الرجوع باستطاعة سلامة الآلات حيث استحقوا الذم بتركه وان قوله تعالى صم بكم عمى ليس بنفى الآلات
بل هو نفى تركهم استعمالها (قال السعدى) زبان آمد ازبهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش حق
شناس * كذركاه قرآن وپندست كوش * به بهتان باطل شنيدن مكوش * دوچشم ازپى صنع
بارى نكوست * زعيب برادر فروكير ودوست * ثم ان الله تعالى ندب الخلق الى الرجوع بالائتمار

باصرهم والانتهاء بنهيه بقوله تعالى وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون فمن لم يرجع اليه اختيارا رجعوا
اليه بالموت والبعث كما قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون ومن رجع اليه فى الدنيا بفعله وحقق
ذلك بقوله انا لله وانا اليه راجعون كان رجوعه اليه بالكرامة ويخاطب بقوله يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى
الى ربك راضية مرضية (حكى) ان جبارا عاتيا فى الزمن الاول بنى قصرا وشيده وزخرفه ثم آلى بيمينه
أن لا يدنو من قصره هذا احد فمن وقع بصره عليه قتله فكان يفعل ذلك ويقتل حتى جاء رجل من اهل قريته
فوعظه فى ذلك فلم يلتفت الى تحذيره ولم يعبأ بقوله فخرج ذلك الرجل الصالح من قريته وبنى كوخا وهو بيت
من قصب بلا كوة وجعل يعبد الله فيه فبينما هذا الجبار فى قصره واصحابه قيام بين يديه اذ تمثل له ملك الموت
على صورة رجل شاب حسن الهيئة فجعل يطوف حول هذا القصر ويرفع رأسه اليه فقال بعض ندمائه ايها
الملك انا نرى رجلا يطوف حول القصر وينظر اليه فتعالى الملك على منظر له فابصره فقال هذا مجنون اوغريب
عابر سبيل ولكن انزل اليه فأرحه من نفسه فنزل اليه الرجل فلما اراد ان يرفع اليه السيف قبض روحه فخر ميتا
فقيل للملك ان هذا قد قتل صاحبك فقال للآخر انزل اليه فاقتله فلما نزل واراد ان يقتله قبض روحه فخر ميتا
فرفع ذلك الى الملك فامتلأ غضبا وأخذ السيف ونزل اليه بنفسه فقال من انت اما رضيت ان دنوت من
قصرى حتى قتلت رجلين من اصحابى فقال اوما تعرفنى انا ملك الموت فارتعد الملك من هيبته حتى سقط السيف
من يده قال فعرفتك الآن وأراد أن ينصرف فقال له ملك الموت الى اين انى امرت بقبض روحك فقال حتى
اوصى اهلى واودعهم فقال له لم تفعل فى طول عمرك قبل هذا فقبض روحه فخر الملك ميتا ثم جاء ملك الموت الى
ذلك الرجل الصالح فى كوخه فقال له ايها الرجل الصالح أبشر فانى ملك الموت وقد قبضت روح الملك الجبار فاعلم
ذلك واراد ان يرجع فاوحى الله تعالى الى ملك الموت ان اقبض روح الرجل الصالح فقال له ملك الموت انى امرت
بقبض روحك قال فهل لك ياملك الموت ان ادخل القرية فاحدث باهلى عهدا واودعهم فاوحى الله تعالى اليه
أن أمهله ياملك الموت فقال ان شئت فرفع الرجل الصالح قدميه ليدخل القرية فتفكر ثم ندم فقال ياملك الموت
انى اخاف ان رأيت اهلى ان يتغير قلبى فاقبض روحى فالله تعالى خير لهم منى فقبض روحه على المكان قال
بعض العارفين والعجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه وهو مولاه الذى من عليه بكل خير واولاه
ويطلب ما لا بقاء له معه وهو ما يوافق النفس من شهوته وهواه وآخرته ودنياه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التى فى الصدور * واسباب عمى البصيرة ثلاثة ارسال الجوارح فى معاصى الله والتصنع بطاعة الله
والطمع فى خلق الله فعند عماها يتوجه العبد للخلق ويعرض عن الحق وفى التأويلات النجمية الاشارة فى تحقيق
الآيتين ان مثل المريد الذى له بداية جميلة يسلك طريق الارادة مدة ويتعنى بمقاساة شدائد الصحبة برهة حتى
تنور بنور الارادة فاستوقد نار الطلب فاضاءت ما حوله فرأى اسباب السعادة والشقاوة فتمسك بحبل الصحبة
فلازم الخدمة والخلوة وعزفت نفسه عن الدنيا وأقبل على قمع الهوى فشرقت له من صفاء القلب شوارق
الشوق وبرقت له من انوار الروح بوارق الذوق فامن مكر الله وانخدع بخداع النفس فطرقته الهواجس
وازعجته الوساوس ثم رجع القهقرى الى ما كان من حضيض الدنيا فغابت شمسه واظلمت نفسه وانقطع حبل
وصاله قبل وصوله واخرج من جنة نواله بعد دخوله فبقدمى سأمه وملاله عاد الى أسوأ حاله كما قال تعالى وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون صم يعنى باذان قلوبهم التى سمعوا بها خطاب الله تعالى يوم الميثاق بكم بتلك
الالسنة التى اجابوا ربهم بها بقولهم بلى عمى بالابصار التى شاهدوا بها جمال ربوبيته فعرفوه فهم لا يرجعون الى منازل
حظائر القدس بل الى ما كانوا فيه من رياض الانس وذلك لانهم سدوا روزنة قلوبهم التى كانت مفتوحة الى عالم
الغيب يوم الميثاق بتتبع الشهوات واستيفاء اللذات والخدعة والنفاق فما هبت عليهم من جناب القدس الرياح
وما تنسموا نفحات الارواح فمرضت قلوبهم ثم ارسل اليهم الطبيب الذى انزل الداء فانزل معه الدواء كما قال تعالى
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين الذين يصدقون الاطباء ويقبلون الدواء فلم يصدقوهم ولم يقبلوا
الدواء ظلما على انفسهم فصار الدواء داء والشفاء وباء كما قال تعالى ولا يزيد الظالمين الا خسارا فلما لم يكونوا
اهل الرحمة ادركتهم اللعنة الموجبة للصمم والعمى لقوله تعالى أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى
ابصارهم (أو) مثل المنافقين (كصيب) اى كمثل اصحاب صيب اى مطر يصوب اى ينزل ويقع من الصوب

وهو النزول اصله صيوب والكاف مرفوع المحل عطف على الكاف فى قوله كمثل الذى وأو للتخيير والتساوى اى كيفية قصة المنافقين شبيهة بكيفية هاتين القصتين والقصتان سوآء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك (من السماء) متعلق بصيب والسماء سقف الدنيا وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اى كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بافاق السماء وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه يأخذه من البحر قال الامام من الناس من قال المطر انما يتحصل من ارتفاع ابخرة رطبة من الارض الى الهوآء فينعقد هنالك من شدة برد الهوآء ثم ينزل مرة اخرى وابطل الله ذلك المذهب هنا بان بين أن ذلك الصيب نزل من السماء وعن ابن عباس رضى الله عنه ان تحت العرش بحرا ينزل منه ارزاق الحيوانات يوحى اليه فيمطر ما شاء من سماء الى سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا ويوحى الى السحاب ان غربله فيغربله فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة الا بكيل معلوم ووزن معلوم الا ما كان من يوم الطوفان من ماء فانه نزل بلا كيل ولا وزن كذا فى تفسير التيسير (فيه) اى فى الصيب (ظلمات) انواع منها وهى ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وليس فى الآية ما يدل على ظلمة الليل لكن يمكن أن يؤخذ ظلمة الليل من سياق الاية حيث قال تعالى بعد هذه الآية يكاد البرق يخطف أبصارهم وبعده واذا اظلم عليهم قاموا فان خطف البرق البصر انما يكون غالبا فى ظلمة الليالى وكذا وقوف الماشى عن المشى انما يكون اذا اشتد ظلمة الليل بحيث يحجب الابصار عن ابصار ما هو امام الماشى من الطريق وغيره وظلمة سحمة السحاب وتكاثفه فى النهار لا يوجب وقوف الماشى عن المشى كذا فى حواشى ابن التمجيد وجعل المطر محلا للظلمات مع ان بعضها لغيره كظلمة الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة فى شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام ورفع ظلمات بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف لان الجملة فى محل الجر صفة لصيب على وجه (ورعد) هو صوت قاصف يسمع من السحاب (وبرق) هو ما يلمع من السحاب اذا تحاكت اجزآؤه وكونهما فى الصيب مع ان مكانهما السحاب باعتبار كونهما فى اعلاه ومصبه وملتبسين فى الجملة به ووصول أثرهما اليه فهما فيه والمشهور بين الحكماء ان الرعد يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض اومن اقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياها سوقا عنيفا والصحيح الذى عليه التعويل ما روى عن الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال اقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الرعد ما هو قال عليه السلام ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث شاء الله فقالوا فما هذا الصوت الذى يسمع قال زجره حتى ينتهى الى حيث امر فقالوا صدقت فالمراد بالرعد فى الآية صوت ذلك الملك لا عينه كما فى بعض الروايات من ان الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وانه يحوز الماء فى نقرة ابهامه وانه يسبح الله فاذا سبح الله لا يبقى ملك فى السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل القطر انتهى والمراد بالبرق ضربه السحاب بتلك المخاريق وهى جمع مخراق وهو فى الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا اريد انها آلة تزجرها الملائكة السحاب قال مرجع الطريقة الجلوتية بالجيم الشيخ الشهير بافتاده افندى البورسوى التوفيق بين قول الحكماء وبين قوله صلى الله عليه وسلم ان الرعد صوت ملك على شكل النحل هو انه يصيح من خارج هذا العالم ولكن يدخل فيه ويؤثر فى داخله فنحن نسمع من داخله كان واحدا اذ الكل شيأ نفاخا يحصل فى داخله رياح ذات اصوات فنشأها من الخارج وظهورها فى الداخل فكلام النبى صلى الله عليه وسلم ناظر الى مبدئها وكلام الحكماء ناظر الى مظهرها (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) الضمائر للمضاف المحذوف لان التقدير او كأصحاب صيب كما سبق ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال كيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم فى آذانهم والمراد اناملهم وفيه من المبالغة ما ليس فى ذكر الانامل كأنهم يدخلون من شدة الحيرة اصابعهم كلها فى آذانهم لا اناملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد

وكذا

وكذا الحال فى عدم تعيين الاصبع المعتاد اعنى السبابة وقيل لرعاية الادب لانها فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن الاترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والمهللة وغيرهما ولم يذكر من امثال هذه الكنايات لانها الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس فى ذلك العهد (من الصواعق) متعلق بيجعلون اى من اجل خوف الصواعق المقارنة للرعد وهى جمع صاعقة وهى قصفة رعد هائل تنقض معها شعلة نار لا تمر بشئ الا اتت عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود للطافتها (حكى) انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت قالوا ابن السماء وبين الكلة الرقيقة التى لا يرى اديم السماء الامن ورآئها نار منها تكون الصواعق تخرج النار فتفتق الكلة ويكون الصوت منها كما فى روضة العلماء وقيل تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه او جرم ثقيل مذاب مفرغ من الاجزآء اللطيفة الارضية الصاعدة المسماة دخانا والمائية المسماة بخارا حار حاد فى غاية الحدة والحرارة لا يقع على شئ الا نقب واحرق ونفذ فى الارض حتى يبلغ الماء فانطفأ ووقف قالوا اذا اشرقت الشمس على ارض يابسة تحللت منها اجزاء نارية يخالطها اجزاء ارضية يسمى المركب منهما دخانا ويخالط بالبخار ويتصاعدان معا الى الطبقة الباردة فينعقد البخار سحابا وينحبس الدخان فيه ويطلب الصعود ان بقى على طبيعته والنزول ان ثقل وكيف كان يمزق السحاب تمزيقا عنيفا فيحدث منه الرعد ثم قد يحدث شدة حركة ومحاكة فيحدث منه البرق ان كان لطيفا والصاعقة ان كان غليظا قال ابن عباس رضى الله عنه من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فان اصابته صاعقة فعلى ديته وكان صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمع الرعد وصواعقه اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك كذا فى تفسير الشيخ وشرح الشرعة (حذر الموت) منصوب بيجعلون على العلة اى لاجل مخافة الهلاك والموت فساد بنية الحيوان (والله محيط) اصل الاحاطة الاحداق بالشئ من جميع جهاته وهو مجاز فى حقه تعالى اى محدق بعلمه وقدرته (بالكافرين) اى لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط حقيقة فيحشرهم يوم القيامة ويعذبهم والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الاذان بالاصابع لا يغنى عنهم شيأ فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم (يكاد البرق) اى يقرب استئناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك (يخطف ابصارهم) اى يختلسها ويستلبها بسرعة من شدة ضوئه (كلما اضاء لهم) كلما ظرف والعامل فيه جوابها وهو مشوا واضاء متعد اى انار البرق الطريق فى الليلة المظلمة وهو استئناف ثالث كانه قيل كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته أيفعلون بابصارهم ما يفعلون باذانهم ام لا فقيل كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا (مشوا فيه) اى فى ذلك المسلك اى فى مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشى على ما فوقه من السعى والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما لكمال دهشتهم (واذا اظلم عليهم) اى خفى البرق واستتر فصار الطريق مظلما (قاموا) اى وقفوا فى اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخطفة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجأ يعصمهم (ولو شاء الله) مفعوله محذوف اى لو اراد ان يذهب الاسماع التى فى الرأس والابصار التى فى العين كاذهب بسمع قلوبهم وابصارها (لذهب بسمعهم وابصارهم) بصوت الرعد ونور البرق عقوبة لهم لانه لا يعجز عن ذلك (ان الله على كل شئ) اى على كل موجود بالامكان والله تعالى وان كان يطلق عليه الشئ لكنه موجود بالوجوب دون الامكان فلا يشك العاقل ان المراد من الشئ فى امثال هذا ماسواه تعالى فالله تعالى مستثنى فى الآية عما يتناوله لفظ الشئ بدلالة العقل فالمعنى على كل شئ سواه قدير كما يقال فلان امين على معنى امين على من سواه من الناس ولا يدخل فيه نفسه وان كان من جملتهم كما فى حواشى ابن التمجيد (قدير) اى فاعل له على قدر ما تقتضيه حكمته لا ناقصا ولا زائدا ثم ان هذا التمثيل كشف بعد كشف وايضاح بعد ايضاح ابلغ من الاولى شبه الله حال المنافقين فى حيرتهم وما خبطوا فيه من الضلالة وشدة الامر عليهم وخزيهم وافتضاحهم بحال من اخذته السماء فى ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والموت هذا اذا كان التمثيل مركبا وهو الذى يقتضيه جزالة التنزيل فانك تتصور فى المركب الهيئة الحاصلة من تفاوت تلك الصور وكيفياتها

المتضامنة فيحصل فى النفس منه مالا يحصل من المفردات كما اذا تصورت من مجموع الآية مكابدة من ادركه
الوبل الهطل مع تكاثف ظلمة الليل وهيئة انتساج السحاب بتتابع القطر وصوت الرعد الهائل والبرق
الخاطف والصاعقة المحرقة ولهم من خوف هذه الشدائد حركات من تحذر الموت حصل لك منه امر عجيب
وخطب هائل بخلاف ما اذا تكلفت لواحد واحد مشبها به يعنى ان حمل التمثيل على التشبيه المفرق فشبه
القرءآن وما فيه من العلوم والمعارف التى هى مدار الحياة الابدية بالصيب الذى هو سبب الحياة الارضية
وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق
وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه ولا خلاص له
منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه اورفد يحرزونه بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم
فى امرهم حين عنّ لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم فهذه حال المنافقين قصارى عمرهم الحيرة والدهشة فعلى
العاقل ان يتمسك بحبل الشرع القويم والصراط المستقيم كى يتخلص من الغوائل والقيود ومهالك الوجود
وغاية الامر خفية لا يدرى بم يختم قال رجل للحسن البصرى كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك
فتبسم الحسن ثم قال لا تسأل عن حالى ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق
كل انسان منهم بخشبة على اى حال هم قال الرجل على حال شديد قال الحسن حالى اشد من حالهم فالموت بحرى
والحياة سفينتى والذنوب خشبتى فكيف يكون حال من وصفه هذا يا بنى فلا بد من ترك الذنوب والفرار الى علام
الغيوب وفى الحديث من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها
اوامرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه تأمل كيف كان جزاء كل مؤمل ما امل واعتبر كيف لم يكرر ذكر الدنيا
اشعارا بعدم اعتبارها لخساستها ولان وجودها لعب ولهو فكأنه كلا وجود كما قيل * برمرد هشيار
دنيا خسست * كه هر مدتى جاى ديكر كسست * وانظر الى قوله عليه السلام فهجرته الى ما هاجر
اليه وما تضمن من ابعاد ماسواه تعالى وتدبر ذكر الدنيا والمرأة مع انهما منها اذ يشعر بان المراد كل شئ فى الدنيا
من شهوة اومال واليه يرجع الاكوان وان المراد بالحديث الخروج عن الدنيا بل وعن كل شئ الله تعالى
(قال الحافظ) غلام همت آنم كه زير چرخ كبود * زهر چه رنك تعلق پذيرد آزادست *
يعنى عن كل شئ يقبل التعلق من المال والمنال والاولاد والعيال فلا بد من التعلق بمحبة الملك المتعال
وفى التأويلات النجمية اوكصيب من السماء الاشارة فى تحقيق الآيتين ان الله تعالى شبه حال متمنى هذا
الحديث واشتغالهم بالذكر وتتبع القرءان فى البداية وتجلدهم فى الطلب وما يفتح لهم من الغيب الى ان تظهر
النفس الملالة وتقع فى آفة الفترة والوقفة بحال من يكون فى المفازة سائرا فى ظلمة الليل والمطر وشبه الذكر والقرءآن
بالمطر لانه ينبت الايمان والحكمة فى القلب كما ينبت الماء البقلة فيه ظلمات اى مشكلات ومتشابهات تظهر لسالك
الذكر فى اثناء السلوك ومعان دقيقة لا يمكن حلها وفهمها والخروج عن عهدة آفاتها الا من كان له عقل منور
بنور الايمان مؤيد بتأييد الرحمن كما قال تعالى الرحمن علم القرءآن فكما ان السير لا يمكن فى الظلمات الا بنور السراج
كذلك لا يمكن السير فى حقائق القرءان ودقائقه ولا فى ظلمات البشرية الا بنور هداية الربوبية ولهذا قال تعالى
كلما اضاء لهم مشوا فيه يعنى نور الهداية واذا اظلم عليهم قاموا يعنى ظلمة البشرية ورعد اى خوف وخشية
ورهبة تتطرق الى القلوب من هيبة جلال الذكر والقرءآن كما قال تعالى لو انزلنا هذا القرءآن على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا من خشية الله وبرق وهو تلألؤ انوار الذكر والقرءآن يهتدى الى القلوب فتلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله فيظهر فيها حقيقة القرءآن والدين فيعرفها القلوب لقوله تعالى واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول الآية ولما لاح لهم انوار السعادة خرجوا من ظلمات الطبيعة وتمسكوا بحبل الارادة لينالوا درجات
الفائزين ولكن يجعلون اصابعهم اى اصابع امالهم الفاسدة واما نيهم الباطلة فى آذانهم الواعية من الصواعق
ودواعى الحق حذرا من الموت موت النفس لان النفس سمكة حياتها بحر الدنيا وماء الهوى لو اخرجت لماتت
فى الحال وهذا تحقيق قوله عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا والله محيط بالكافرين فيه اشارة الى ان الكافر
الذى له حياة طبيعية حيوانية لو مات بالارادة من مألوفات الطبيعة لكان احياه الله تعالى بانوار الشريعة
كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه فلما لم يمت بالارادة فالله محيط بالكافرين اى مهلكهم ومميتهم فى الدنيا

يموت الصورة وموت القلب وفى الآخرة يموت العذاب فلا يموت فيها ولا يحيى يكاد البرق اى نور الذكر والقرآن يخطف ابصارهم اى ابصار نفوسهم الامارة بالسوء كلما اضاء لهم نور الهدى مشوا فيه سلكوا طريق الحق بقدم الصدق واذا اظلم عليهم ظلمات صفات النفس وغلب عليهم الهوى ومالوا الى الدنيا قاموا اى وقفوا عن السير وتحيروا وترددوا وتطرقت اليهم الآفات واعترتهم الفترات واستولى عليهم الشيطان وسوّلت لهم انفسهم الشهوات حتى وقعوا فى ورطة الهلاك ولو شاء الله اى لو كانت ارادته ان يهديهم لذهب بسمعهم اى بسمع نفوسهم التى تصغى الى وساوس الشيطان وغروره وابصارهم اى ابصار نفوسهم التى بها تنظر الى زينة الدنيا وزخارفها كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ان الله على كل شئ قدير اى قادر على سلب اسماعهم وابصارهم حتى لا يسمعوا الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ولا يبصروا المزخرفات الدنيوية والمستلذات الحيوانية لكيلا يغتروا بها ويبيعوا الدين بالدنيا ولكن الله يفعل بحكمته مايشاء ويحكم بعزته مايريد انتهى (يا ايها الناس) الآية مسوقة لاثبات التوحيد وتحقيق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام اللذين هما اصل الايمان والناس يصلح اسما للمؤمنين والكافرين والمنافقين والنداء تنبيه الغافلين او احضار الغائبين وتحريك الساكنين وتعريف الجاهلين وتفريغ المشغولين وتوجيه المعرضين وتهييج المحبين وتشويق المريدين قال بعض العارفين اقبل عليهم بالخطاب جبر الما فى العبادة من الكلفة بلذة الخطاب اى يا مؤنس لاتنس انسك بى قبل الولادة او يا ابن النسيان تنبه ولا تنس حيث كنت نسيا منسيا ولم تك شيأ مذكورا فخلقتك وخمرتك طينا ثم نطفة ثم دما ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ولحوما وعروقا وجلودا واعصابا ثم جنينا ثم طفلا ثم صبيا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا وانت فيما بين ذلك تترع فى نعمتى وتسعى فى خدمة غيرى تعبد النفس والهوى وتبيع الدين بالدنيا لاتنس من خلقك وجعلك من لاشئ شيأ مذكورا كريما مشكورا عاملك وقوالك واكرمك واعطاك ما اعطاك فهذا خطاب للنفس والبدن قال فى التيسير واذا كان الانسان من النسيان ففيه عتاب وتلقين اما العتاب فكأنه يقول ايها الناس قابلتم نعمنا بالكفران واوامرنا بالعصيان واما التلقين للعذر فكأنه يقول ايها الخالق لنا ناسيا لا عامدا وساهيا لا قاصدا اعذرنا لنسيانك وعفونا عنك لايمانك (اعبدوا ربكم) يقول للكفار وحدوا ربكم ويقول للعاصين اطيعوا ربكم ويقول للمنافقين اخلصوا بالتوحيد معرفة ربكم ويقول للمطيعين اثبتوا على طاعة ربكم واللفظ يحتمل لهذه الوجوه كلها وهو من جوامع الكلم كما فى تفسير ابى الليث والعبادة استفراغ الطاقة فى استكمال الطاعة واستشعار الخشية فى استبعاد المعصية (الذى خلقكم) صفة جرت عنه للتعظيم والتعليل معناه اطيعوا ربكم الذى خلقكم لخلقكم ولم تكونوا شيأ والخلق اختراع الشئ على غير مثال سبق (و) خلق (الذين من قبلكم) اى من زمن قبل زمانكم من الامم فمن ابتدائية متعلقة بمحذوف وفى الوصف به ايماء الى سبب وجوب عبادته تعالى فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم وفيه دلالة على شمول القدرة وتنبيه من سنة الغفلة اى انهم كانوا فمضوا وجاؤا وانقضوا افلا تنسوا مصيركم ولا تستجيزوا تقصيركم (لعلكم تتقون) حال من ضمير اعبدوا اى راجين ان تدخلوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى ولعل للترجى والاطماع وهى من الله تعالى واجب لان الكريم لا يطمع الا فيما يفعل والاولون والاخرون مخاطبون بالامر بالتقوى وخص المخاطبين بالذكر تغليبا لهم على الغائبين كما فى الكواشى وفيه تنبيه على ان التقوى منتهى درجة السالكين وهو التبرى من كل شئ سوى الله تعالى وان العابد ينبغى ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويرجون رحمته (قال السعدى) اگر مردى از مردئ خود مگوى * نه هر شهسوارى بدر برد گوى * يعنى ليس كل عابد يخلص ايمانه بسبب عبادته (الذى جعل لكم الارض) صفة ثانية لربكم قال اهل اللغة الارض بساط العالم وبسيطها من حيث يحيط بها البحر الذى هو البحر المحيط اربعة وعشرون ألف فرسخ كل فرسخ ثلاثة اميال وهو اثنا عشر ألف ذراع بالذراع المرسلة وكل ذراع ست وثلاثون اصبعا كل اصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها الى بعض فللسودان اثنا عشر ألف فرسخ وللبيضان ثمانية وللفرس ثلاثة وللعرب ألف كذا فى كتاب الملكوت وسمت وسط الارض المسكونة حضرة الكعبة واما وسط الارض كلها عامرها وخرابها فهو الموضع الذى يسمى قبة الارض وهو مكان يعتدل فيه الازمان فى الحر والبرد ويستوى الليل

والنهار ابد الا بزيد احدهما على الآخر كما فى الملكوت وروى عن على كرم الله وجهه انه قال انما سميت الارض ارضا لانها تارض ما فى بطنها يعنى تأكل ما فيها وقال بعضهم لانها تتأرض بالحوافر والاقدام (فراشا) ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا وهو الذى له طول وعرض فان كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها (و) جعل (السماء) وهو ما علاك واظلك (بناء) قبة مضروبة عليكم وكل سماء مطبقة على الاخرى مثل القبة والسماء الدنيا ملتزقة اطرافها على الارض كما فى تفسير ابى الليث (وانزل من السماء ماء) اى مطرا ينحدر منها على السحاب ومنه على الارض وهورد لزعم انه يأخذه من البحر (فاخرج به) اى انبت الله بسبب الماء الذى انزل من السماء (من الثمرات) هى ههنا المأكولات كلها من الحبوب والفواكه وغيرها مما يخرج من الارض والشجر كما فى التيسير (رزقا لكم) وذلك بان اودع فى الماء قوة فاعلية وفى الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار فبين المظلة والمقلة شبه عقد النكاح بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقا لبنى آدم ومن للبيان ورزقا اى طعاما وعلفا لكم ولدوابكم والمعنى ان الله تعالى انعم عليكم بذلك كله لتعرفوه بالخالقية والرازقية فتوحدوه (فلا تجعلوا لله اندادا) جمع ند وهو المثل اى امثالا تعبدونهم كعبادة الله يعنى لا تقولوا له شركاء تعبد معه وعن ابن عباس رضى الله عنه لا تقولوا لولا فلان لاصابنى كذا ولولا كلبنا يصيح على الباب لسرق متاعنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم ولو فانه من كلام المنافقين قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا (قال السعدى) اكر عزوجاهست اكر ذل وقيد * من از حق شناسم نه از عمرو وزيد (وانتم تعلمون) ان الله هو الذى خلقكم ومن قبلكم وخلق السماء والارض وخلق الارزاق دون الاصنام فانها لا تضر ولا تنفع والوعظ الكلى انه قال فى الاية جعل لكم وقال رزقا لكم فلو قال لك فى القيامة فعلت كذا كله لكم فما فعلتم لى فما تقول * وعن الشبلى رحمه الله انه وعظ يوما الناس فابكاهم لما ذكر من القيامة واهوالها فرجهم ابو الحسين النورى قال لا تفزعهم فان حساب يومئذ ليس بهذا الطول انما هو كلمتان من ترا بودم توكرا بودى * وافادت الاية انه ينبغى الاخلاص فى العبادة بترك ملاحظة الاغيار وبشهود خالق الليل والنهار (قال السعدى) كرت بيخ اخلاص در بوم نيست * درين دركسى چون تو محروم نيست * وفى توصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ انى محدثك بحديث ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته انقطعت حجتك عند الله تعالى يا معاذ ان الله تبارك وتعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا فيصعد عليه الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى حين امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الملائكة الى السماء الدنيا زكته وكثرته فيقول الملك الموكل للحفظة قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرنى ربى ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يتجاوزنى انه كان يغتاب الناس * زبان آمد از بهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش حق شناس * قال عليه السلام ثم يأتى الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الفخر انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرنى ربى ان لا ادع عمله يتجاوزالى غيرى انه كان يفتخر على الناس فى مجالسهم * چه زنار مغ درميانت چه دلق * كه دربوشى از بهر پندار خلق * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد اعجب الحفظة فيتجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى انه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم * فروتن بود هوشمند كزين * نهد شاخ پرميوه سر برزمين * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد يزهو كما يزهو الكوكب الدرى من صلاة وتسبيح وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب العجب امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب فيه * چوروبى بخدمت نهى برزمين * خدا را ثنا كوى خودرا مبين * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد حتى يجاوزون به الى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول

لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الحسد انه كان يحسد من يتعلم العلم ويعمل لله وكل من يأخذ بنصيب من العبادة كان يحسدهم ويعيبهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني * عقبة زين صعب تر در راه نيست * اى خنك آنكس حسد همراه نيست * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد من صيام وصلاة وزكاة وحج وعمرة فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا من عباد الله قط واذا أصابهم بلاء وضر كان يشمت فيهم انا ملك موكل بالرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني * اشك خواهى رحم كن بر اشك بار * رحم خواهى بر ضعيفان رحم ار * قال عليه السلام ويصعد الحفظة الى السماء السابعة بعمل عبد من صلاة وصوم وفقه واجتهاد وورع لها دوى كدوى النحل وضوء كضوء الشمس معها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون بها الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واقفلوا على قلبه انا احجب عن ربي كل عمل لم يرد به ربي انه كان يعمل لغير الله انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء * بروى ريا خرقه سهلست دوخت * گرش با خدا در توانى فروخت * قال عليه السلام ويصعد الحفظة بعمل عبد من زكاة وصوم وصلاة وحج وعمرة وخلق حسن وذكر لله ويشيعه ملائكة السموات حتى يقطعون الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ليشهدوا له بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله عز وجل انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على قلبه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا فتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يارسول الله كيف لي بالنجاة والخلوص قال اقتد بي وعليك باليقين وان كان في عملك تقصير وحافظ على لسانك من الوقيعة اى الغيبة في اخوانك من حملة القرآن ولا تزك نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا بعمل الآخرة ولا تمزق الناس فيمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار ولا تراء بعملك الناس (قال السعدى) اى هنرها نهاده بر كف دست * عيبها بر گرفته زير بغل * تا چه خواهى خريدن اى مغرور * روز درماندگى بسيم دغل * وعن ابي يزيد البسطامي قدس سره قال كابدت العبادة اى اتعبت نفسي فيها ثلاثين سنة فرأيت قائلا يقول يا ابا يزيد خزائنه مملوءة بالعبادة ان اردت الوصول اليه فعليك بالذلة والاحتقار والاخلاص في العمل (قال ابو يزيد قدس سره) چار چيز آورده ام شاها كه در گنج تو نيست * نيستى وحاجت وجرم وگناه آورده ام * قاله لما طاب منه الهدية حين طلع مبشرات الحقيقة فلما عرض تلك الهدية قيل ادخل جنت بهدية عظمى وحصل الاستحقاق للدخول وفي التأويلات النجمية يا ايها الناس الاشارة في تحقيق الآيتين انه تعالى خاطب ناسى عهود يوم الميثاق والاقرار بربوبيته ومعاهدته ان لا تعبدوا الا اياه فخالفوه ونقضوا عهده وعبدوا الطواغيت من الاصنام والدنيا والنفس والهوى والشيطان فزل قدمهم عن جادة التوحيد ووقعوا في ورطة الشرك والهلاك فبعث اليهم الرسول وكتب اليه الكتاب وأخبرهم عن النسيان والشرك ودعاهم الى التوحيد والعبودية وقال اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم يعني ذراتكم وذرات من قبلكم يوم الميثاق وأخذ مواثيقكم بالربوبية والتوحيد والعبادة فاوفوا بعهد العبودية بتوحيد اللسان وتجريد القلب وتفريد السر وتزكية النفس بترك المحظورات واقامة الطاعات المأمورات لعلكم تتقون عن شرك عبادة غير الله فيوفي الله بعهد الربوبية بالنجاة من الدركات ورفع الدرجات بالجنان والاكرام بالقربات والكرامات في الآخرة كما اكرمكم في الدنيا الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء فيه اشارة الى تعريفه بالقدرة الكاملة ومنته على عباده وفضيلتهم عنده على جميع المخلوقات اما تعريف نفسه بالقدرة الكاملة فقوله تعالى الذى جعل واما منته على عباده فقوله تعالى لكم الارض فراشا والسماء بناء اى خلق هذه الاشياء لكم خاصة واما فضيلتهم على جميع المخلوقات بان خلق السموات والارض ومافيهما لاجلهم وسخره لهم لقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فكان وجود السموات والارض تبعا لوجودهم وما كان وجوده تبعا لوجود شئ لا يكون مقصودا وجوده لذاته ولهذا السر امر الله تعالى ملائكته بسجود آدم عليه السلام وحرم على آدم واولاده سجود غير الله ليظهر ان الملائكة وان كانوا قبل وجود آدم افضل الموجود فلما خلق آدم وجعله مسجودا لهم كان هو افضل المخلوقات واكرمهم

على الله تعالى ومتبوع كل شئ والكل تابع له وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تحقيقه ان الماء هو القرءآن وثمراته الهدى والتقى والنور والرحمة والشفاء والبركة واليمن والسعادة والقربة والحق اليقين والنجاة والرفعة والصلاح والفلاح والحكمة والحلم والعلم والاداب والاخلاق والعزة والغنى والتمسك بالعروة الوثقى والاعتصام بحبل الله المتين وجماع كل خير وختام كل سعادة وزهوق باطل الوجود الانسانى عند مجئ تجليات حقيقة الصفات الربانية كقوله تعالى قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فاخرج بماء القرءآن هذه الثمرات من ارض قلوب عباده فكأن الله تعالى منّ على عباده باخراج الثمرات رزقا لكم وكان للحيوانات فيها رزق ولكن بتبعية الانسان وهذا مما لا تدركه العقول المشوبة بالوهم والخيال بل تدركه العقول المؤيدة بتأييد الفضل والنوال فلا تجعلوا لله اندادا فيه ثلاثة معان اولها ان هذا الذى جعلت لكم من خلق انفسكم وخلق السموات والارض ومافيها لكم ليس من شأن احد غيرى وانتم تعلمون فلا تجعلوا لى اندادا فى العبودية وثانيها انى جعلت السموات والارض والشمس والقمر كلها واسطة ارزاقكم واسبابها وانا الرزاق فلا تجعلوا الوسائط اندادا لى فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر الآية وثالثها انى خلقت الموجودات وجعلت لكل شئ حظا فى شئ آخر وجعلت حظ الانسان فى محبتى ومعرفتى وكل محظوظ لو انقطع عنه حظه لهلك فلا تنقطعوا عن حظوظكم من محبتى ومعرفتى بان تجعلوا لى اندادا تحبونهم كحبى فتهلكوا فى اودية الشرك يدل عليه قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله فالانداد هى الاحباب غير الله ثم وصف الذين لم ينقطعوا عن حظ محبته بالايمان وقال والذين آمنوا اشد حبا لله يعنى الذين اتخذوا من دون الله آلهة فى المحبة ما آمنوا حقيقة وان زعموا انا آمنا فافهم جدا ولا تغتر بالايمان التقليدى الموروث حتى يصح على هذا المحك (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) اى فى شك من القرءآن الذى نزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم فى كونه وحيا منزلا من عند الله تعالى والتنزيل النزول على سبيل التدريج وانزل القرءآن جملة واحدة الى السماء الدنيا الى بيت العزة ثم منه على النبى صلى الله عليه وسلم مفرقا منجما فى ثلاث وعشرين سنة ليحفظ فانه عليه الصلاة والسلام كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الانبياء فانه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع من الكتاب ولذا قالوا ان سائر الكتب الالهية انزلت جملة (فأتوا) جواب الشرط وهو امر تعجيز (بسورة) وحد السورة قطعة من القرءآن معلومة الاول والآخر اقلها ثلاث آيات وانما سميت سورة لكونها اقوى من الآية من سورة الاسد والشراب اى قوته هذا ان كانت واوها اصلية وان كانت منقلبة عن همزة فهى مأخوذة من السؤر الذى هى البقية من الشئ فالسورة قطعة من القرءآن مفرزة باقية من غيرها (من مثله) اى سورة كائنة من مثل القرءآن فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم فالضمير لما نزلنا اى ائتوا انتم بمثل ما اتى هو ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر اذ انتم وهو سوآء فى الجوهر والخلقة واللسان وليس هو اولى بالاختلاق منكم ثم القرءآن وان كان لا مثل له لانه صفة الله وكلام الله ووحى الله ولا مثل لصفاته كما لا مثل لذاته لكن معناه من مثله على زعمكم فقد كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا كما فى التيسير (وادعوا شهدآءكم) جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر (من دون الله) اما متعلقة بادعوا فالمعنى ادعوا متجاوزين الله من حضركم كائنا من كان للاستظهار فى معارضة القرءآن او الحاضرين فى مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم فى الملمات وتعولون عليهم فى المهمات او القائمين بشهادتكم الجارية فيما بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين بنصركم حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واما متعلقة بشهدآءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل مادل عليه شهدآءكم اى ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق متجاوزين الله فى اتخاذها كذلك ودلت الآية على ان الاستعانة بالخلق لا تغنى شيأ وما يغنى رجوع العاجز عن العاجز فلا ترفع حوائجك الا الى من لا يشق عليه قضاؤها ولا تسأل الا من لا تفنى خزآئنه ولا تعتمد الا على من لا يعجز عن شئ ينصرك من غير معين ويحفظك من كل جانب ومن غير صاحب ويغنيك من غير مال فيقل اعداد الاعدآء الكثيرة اذا حماك ويكثر عدد المال القليل اذا كفاك (ان كنتم صادقين)

فى ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه وان آلهتكم شهداؤكم وهو شرط جوابه محذوف تقديره فافعلوا اى فأتوا بسورة من مثله (فان لم تفعلوا) اى ما امرتم من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم فى السعى غاية المجهود (ولن تفعلوا) فيما يستقبل ابدا وذلك لظهور اعجاز القرآن فان معجزة النبى عليه السلام اعتراض بين الشرط وجوابه وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عزوجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشئ يدانيه فى الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف (فاتقوا النار) اى ولما عجزتم عن معارضة القرآن ومثله لزمتكم الحجة ان محمدا رسولى والقرآن كتابى ولزمكم تصديقه والايمان به ولما لم تؤمنوا صرتم من اهل النار فاتقوها وفى الكشاف لصيق اتقاء النار وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة فوضع فاتقوا النار موضع فاتركوا العناد (التى وقودها) اى حطبها وهو ما يوقد به النار (الناس) اى العصاة (والحجارة) اى حجارة الكبريت وانما جعل حطبها منها لسرعة وقودها اى التهابها وبطئ خمودها وشدة حرها وقبح رائحتها ولصوقها بالبدن او الحجارة هى الاصنام التى عبدوها وانما جعل التعذيب بها ليتحققوا انهم عذبوا بعبادتها وليروا ذلها ومهانتها بعد اعتقادهم عزها وعظمتها والكافر عبد الصنم واعتمده ورجاه فعذب به اظهارا لجهله وقطعا لامله كاتباع الكبراء خدموهم ورجوهم وفى النار يسحبون معهم ليكون اشق عليهم واقطع لرجائهم فان قلت أنار الجحيم كلها توقد بالناس والحجارة ام هى نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هى نار شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها فى قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن ولشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب (اعدت للكافرين) اى هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن خلافا للمعتزلة وفى الآية اشارة الى ان ثمرة الاخذ بالقرآن والاقرار به و بمحمد صلى الله عليه وسلم هو النجاة من النار التى وقودها الناس والحجارة وفيه زيادة فضل القرآن واهله قال البغوى * عند قوله تعالى فأتوا بسورة قيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة وسميت سورة لان القارئ ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال يرجع أتباع ابليس كل عشية الى سيدهم فيقول كل واحد منهم بين يديه فعلت كذا وغررت فلانا الزاهد حتى يقول اصغرهم انا منعت صبيا من الكتاب فيقوم ابليس بين يديه ويقعده الى جنبه فرحا بما فعل وقالت الحكماء حق الولد على ابويه ثلاثة ان يسمياه باسم حسن عند الولادة وان يعلماه القرآن والادب والعلم وان يختناه ثم ان المقصد الاصلى هو العمل بالقرآن والتخلق بادابه كما قيل * مراد از نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست * نه ترتيل سورهٔ مكتوب * وللقرآن ظهر وبطن ولبطنه بطن الى سبعة ابطن (قال فى المثنوى) تو ز قرآن اى پسر ظاهر مبين * ديو آدم را نبيند جز كه طين * ظاهر قرآن چو شخص آدميست * كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست * قال الشيخ نجم دايه فظاهره يدل على ما فسره العلماء وباطنه يدل على ما حققه اهل التحقيق بشرط ان يكون موافقا للكتاب والسنة ويشهدا عليه بالحق فان كل حقيقة لا يشهد عليها الكتاب والسنة فهى الحاد وزندقة لقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقال ايضا فى تأويل الآية وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا جعل الله اعراض المعرضين قباب غيرته لحبيبه المرسل لئلا يشاهدوا من الله حبيبه وجعل اعتراض المعترضين سرادقات عزته لئلا يطلعوا على الله وكتابه وسماه عليه السلام بالعبد المطلق ولم يسم غيره الا بالعبد المقيد باسمه كما قال واذكر عبدنا ايوب واذكر عبدنا داود وغيرهما وذلك لان كمال العبودية ما تهيأ لاحد من العالمين الا لحبيبه عليه السلام وكمال العبودية فى كمال الحرية عما سوى الله وهو مختص بهذه الكرامة كما اثنى عليه بقوله ما زاغ البصر وما طغى فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله اى الحاضرين معكم يوم الميثاق لانكم وانتم ومحمدا كنتم جميعا مستمعين خطاب ألست بربكم مجتمعين فى جواب بلى فلو كان محمد قادرا على اتيان القرآن من تلقاء نفسه فهو وانتم فى الاستعداد الانسانى الفطرى سواء فأتوا بالقرآن من تلقاء انفسكم ايضا ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى هى القهر وصورة غضب الحق كما قال الله للنار انما انت عذابى اعذب بك من اشاء من عبادى وقودها الناس انانية الانسان التى نسيان الله من خصوصيتها والحجارة اى الذهب لانه به يحصل مرادات النفس وشهواتها وما يميل

اليه الهوى فعبر عما يعبده انانية الانسان بالحجارة لان اكثر الاصنام كان من الحجارة وعن انانية الانسان بالناس لانها انما طلبت غير الله وعبدته لنسيان الحق ومعاهدة يوم الميثاق ثم جعلها وقود النار لقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اعدّت للكافرين خاصة ولكن يطهر المذنبون بها بتبعية الكافرين كما ان الجنة خلقت واعدّت للمتقين ولكن يدخلها المذنبون من اهل الايمان بعد تطهيرهم بورود النار والعبور عليها بتبعية المتقين يدل عليه قول النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى خلقت الجنة وخلقت لها اهلها وبعمل اهل الجنة يعملون وخلقت النار وخلقت لها اهلها وبعمل اهل النار يعملون (وبشر الذين آمنوا) البشارة الخبر السارّ الذى يظهر به اثر السرور فى البشرة اى فرّح يا محمد قلوب الذين امنوا بان القرآن منزل من عند الله تعالى فالخطاب للنبى عليه السلام وقيل لكل من يتأتى منه التبشير كما فى قوله عليه الصلاة والسلام بشر المشائين الى المساجد فى ظلم الليالى بالنور التام يوم القيامة فانه عليه السلام لم يأمر بذلك واحدا بعينه بل كل احد مما يتأتى منه ذلك (وعملوا الصالحات) اى فعلوا الفعلات الصالحات وهى كل ما كان لله تعالى وفى عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولاغناء باساس لابناء عليه وطلب الجنة بلا عمل حال السفهاء لان الله تعالى جعل العمل سببا لدخول الجنة والعبد وان كان يدخله الله الجنة بمجرّد الايمان لكن العمل يزيد نور الايمان وبه يتنوّر قلب المؤمن وكم من عقبة كؤود تستقبل العبد الى ان يصل الى الجنة واوّل تلك العقبات عقبة الايمان انه هل يسلم من السلب ام لا فلزم العمل لتسهيل العقبات (ان لهم) اى بان لهم (جنات) بساتين فيها اشجار مثمرة والجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم كذا قال الفرآء ولفرط التفاف اغصان اشجارها وتسترها بالاشجار سميت جنة كأنها ستترة واحدة لان الجنة بناء مرة وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنة من تلك الجنان ثم الجنان ثمان دار الجلال كلها من نور مدآئنها وقصورها وبيوتها واوانيها وشرفها وابوابها ودرجها وغرفها واعاليها واسافلها وخيامها وحليها وكل ما فيها ودار القرار كلها من المرجان ودار السلام كلها من الياقوت الاحمر وجنة عدن من الزبرجد كلها وهى قصبة الجنة وهى مشرفة على الجنان كلها وباب جنة عدن مصراعان من زمرّد وياقوت ما بين المصراعين كما بين المشرق والمغرب وجنة المأوى من الذهب الاحمر كلها وجنة الخلد من الفضة كلها وجنة الفردوس من اللؤلؤ كلها وحيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد وملاطها وما يجعل بين اللبنتين مكان الطين المسك وقصورها الياقوت وغرفها اللؤلؤ ومصاريعها الذهب وارضها الفضة وحصباؤها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران والعنبر وجنة النعيم من الزمرّد كلها وفى الخبر ان المؤمن اذا دخل الجنة رأى سبعين ألف حديقة فى كل حديقة سبعون الف شجرة على كل شجرة سبعون الف ورقة وعلى كل ورقة لا اله الا الله محمد رسول الله امة مذنبة ورب غفور كل ورقة عرضها من مشرق الشمس الى مغربها (تجرى من تحتها الانهار) الجملة صفة لجنات والانهار جمع نهر بفتح الهاء وسكونها وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل نهر مصر والمراد بها ماؤها فان قلت كيف جرى الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجرى فى غير اخدود وهو الشق من الارض بالاستطالة وأنزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار فى خلالها مطردة ولولا ان الماء الجارى من النعمة العظمى وان الرياض وان كانت احسن شئ لا تجلب النشاط حتى يجرى فيها الماء والا كان السرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح لها وصور لا حياة لها لما جاء الله بذكر الجنات البتة مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها والانهار هى الخمر واللبن والعسل والماء فاذا شربوا من نهر الماء يجدون حياة ثم انهم لا يموتون واذا شربوا من اللبن يحصل فى ابدانهم تربية ثم انهم لا ينقصون واذا شربوا من نهر العسل يجدون شفاء وصحة ثم انهم لا يسقمون واذا شربوا من نهر الخمر يجدون طربا وفرحا ثم انهم لا يحزنون (قال فى المثنوى) آب صبرت جوى اب خلد شد * جوى شير خلد مهر تست وود *

ذوق طاعت كشت جوی انكبين * مستی وشوق تو جوی خمر بين * اين سيها چون بفرمان تو بود * چار جوهم مرترا فرمان نمود * وروی انه كتب عرضا بسم الله الرحمن الرحيم على ساق العرش فعين الماء تنبع من ميم بسم وعين اللبن تنبع من هاء الله وعين الخمر تنبع من ميم الرحمن وعين العسل تنبع من ميم الرحيم هذا منبعها واما مصبها فكلها تنصب فی الكوثر وهو حوض النبی عليه السلام وهو فی الجنة اليوم وينتقل يوم القيامة الى العرصات لسقی المؤمنين ثم ينتقل الى الجنة ويسقی اهل الجنة ايضا من عين الكافور وعين الزنجبيل وعين السلسبيل وعين الرحيق ومزاجه من تسنيم بواسطة الملائكة ويسقيهم الله الشراب الطهور بلا واسطة كما قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا (كلما) متی (رزقوا منها) ای اطعموا من الجنة (من ثمرة) ليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة اوالرمانة الفذة وانما المراد نوع من انواع الثمار ومن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة (رزقا) مفعول رزقوا وهو ما ينتفع به الحيوان طعاما (قالوا هذا الذی رزقنا من قبل) ای هذا مثل الذی رزقنا من قبل هذا فی الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمر الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غير المعروف وليتبين لها مزيته اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك وان كان فاتقالخين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها فی الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة وهی تشبع السكن ای اهل الدار كان ذلك ابين للفضل واجلب للسرور وازيد فی التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان من غير عهد سابق بجنسه وعموم كلما يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما فی الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه فی الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روی عن ابن عباس رضی الله عنه انه ليس فی الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعی قطعا (واتوا به) ای جيئوا بذلك الرزق اوالمرزوق فی الدنيا والآخرة جميعا فالضمير الى مادل عليه فحوى الكلام مما رزقوا فی الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا اوفقيرا فالله اولى بهما ای بجنس الغنی والفقير (متشابها) فی اللون والجودة فاذا اكلوا وجدوا طعمه غير ذلك اجود والذ يعنی لا يكون فيها ردیء وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها ای منضود بعضها على بعض ای متراكب ومجتمع ليس كاشجار الدنيا متفرقة اغصانها وثمرتها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى والعنقود اثنا عشر ذراعا ولو اجتمع الخلائق على عنقود لاشبعهم وجاء رجل من اهل الكتاب الى النبی صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم تزعم ان اهل الجنة يأكلون ويشربون فقال نعم والذی نفس محمد بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل فی الاكل والشرب والجماع قال فان الذی يأكل له حاجة والجنة طيبة ليس فيها اذی قال عليه السلام حاجة احدهم عرق كريح المسك (ولهم فيها) ای فی الجنة (ازواج) ای نساء وحور (مطهرة) مهذبة من الاحوال المستقذرة كالحيض والنفاس والبول والغائط والمنی والمخاط والبلغم والورم والدرن والصداع وسائر الاوجاع والولادة ودنس الطبع وسوء الخلق وميل الطبع الى غير الازواج وغير ذلك ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى قال الحسن هن عجائزكم العمص العمش طهرن من قاذورات الدنيا وعن ابن عباس رضی الله عنه خلق الحور العين من اصابع رجليها الى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها الى ثدييها من المسك الاذفر ومن ثدييها الى عنقها من العنبر الاشهب ای الابيض ومن عنقها الى رأسها من الكافور اذا اقبلت يتلألأ نور وجهها كما يتلألأ نور الشمس لاهل الدنيا (وهم فيها خالدون) ای دائمون احياء لا يموتون ولا يخرجون منها قال عكرمة اهل الجنة ولد ثلاث وثلاثين سنة رجالهم ونساؤهم وقامتهم ستون ذراعا على قامة ابيهم آدم شباب جرد مرد مكحلون عليهم سبعون حلة تتلون كل حلة فی كل ساعة سبعين لونا لا يبزقون ولا يتمخطون وما كان فوق ذلك من الاذی فهو ابعد يزدادون كل يوم جمالا وحسنا كما يزداد اهل الدنيا هرما وضعفا لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضی به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات

اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت فى شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنون بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور وفى التأويلات النجمية وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار اى يحصل لهم جنات القربة معجلة من بذر الايمان الحقيقى واعمالهم القلبية الصالحة والروحية والسرية بالتوحيد والتجريد والتفريد من اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة والفتوة والمجاهدة والمكابدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والخوف والخشية والرجاء والصفاء والوفاء والطلب والارادة والمحبة والحياء والكرم والسخاوة والشجاعة والعلم والمعرفة والعزة والرفعة والقدرة والحلم والعفو والرحمة والهمة العالية وغيرها من المقامات والاخلاق تجرى من تحتها مياه العناية والتوفيق والرأفة والعطفة والفضل كلما رزقوا منها من هذه الاشجار من ثمرة من ثمرات المشاهدات والمكاشفات والمعاينات رزقا اى عطفا وصحة وعطية قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وذلك لان اصحاب المشاهدات يشاهدون احوال الشئ فى صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيظن بعضهم من المتوسطين ان هذا المشاهد هو الذى يشاهده قبل هذا فتكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى هو حقيقة اخرى مثاله يشاهد السالك نورا فى صورة نار كما شاهد موسى عليه السلام نور الهداية فى صورة نار كما قال انى آنست نارا فتكون تارة تلك النار صفة غضب كما كان لموسى عليه السلام اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة يشاهد النار وهى صفة الشيطنة وتارة تكون نار المحبة تقع فى محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فالصورة النارية المشاهدة متشابه بعضها ببعض كما قال تعالى وأتوا به متشابها ولكن السالك الواصل يجد من كل نار منها ذوقا وصفة اخرى ولهم فيها ازواج اى لارباب الشهود فى جنات القربات ازواج من ابكار الغيب مطهرة من ملابسة الاغيار وهم فيها فى اقتضاضها خالدون كما قال عليه السلام ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعلمها الا العلماء بالله فاذا انطقوا بها لا ينكرها الا اهل الغرة بالله واعلم ان كل شئ يشاهد فى الشهادة كان له صورة فى الدنيا له معنى حقيقى فى الغيب ولهذا كان النبى عليه السلام يسأل الله تعالى بقوله اللهم ارنا الاشياء كما هى فيكون فى الاخرة صورة الاشياء وحقائقها حاصلة ولكن الحقائق والمعانى على الصور غالبة فيرى فى الاخرة صورة شئ بعينه فيعرفه فيقول هذا الذى رزقنا من قبل فيكون الاسم والصورة كما كانت ولكنها فى ذوق آخر غير ما كنت تعرفه ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنه ليس شئ فى الجنة مما فى الدنيا غير الاسماء وهذا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلمة يكلمها المسلم فى سبيل الله تكون بعد القيامة كهيئتها يوم طعنت انفجرت دما اللون لون الدم والعرف عرف المسك فالآن لون ذلك الدم حاصل فى الشهادة ولكن عرفه فى الغيب لا يشاهد ههنا ففى الاخرة يشاهد الصورة الدنيوية والمعانى الغيبية فافهم جدا واغتنم (ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة) عن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الاية والحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم وهو جار على سبيل التمثيل لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى ان يمثل بها لحقارتها فعل ان يضرب اى يذكر النصب على المفعولية وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كانه قيل مثلا ما من الامثال اى مثل كان فهى صفة لما قبلها وبعوضة بدل من مثلا والبعوضة صغار البق سميت بعوضة لانها كانها بعض البق (فما فوقها) اى فيذكر الذى هو ازيد منها كالذباب والعنكبوت اوفيما دونها فى الصغر قيل انه من الاضداد ويطلق على الاعلى والادنى وهو دابة يسترها السكون ويظهرها التحرك يعنى لا تلوح للبصر الحاد الا بتحركها فان قلت مثل الله آلهتهم ببيت العنكبوت وبالذباب فاين تمثيلها بالبعوضة فما دونها قلت فى هذه الاية كأنه قال ان الله لا يستحيى ان يضرب مثل آلهتكم بالبعوضة فما دونها فما ظنكم بالعنكبوت والذباب قال الربيع بن انس ضرب المثل بالبعوضة عبرة لاهل الدنيا فان البعوضة تحيى ما جاعت وتموت اذا شبعت فكذا صاحب الدنيا اذا استغنى طغى واحاط به الردى وقال الامام ابو منصور الاعجوبة فى الدلالة على وحدانية الله تعالى فى الخلق الصغير الجثة والجسم اكثر منها فى الكبار العظام لان الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب وتركيب ما يحتاج من الفم والانف والعين والرجل

واليد والمدخل والمخرج ماقدروا عليه ولعلهم يقدرون على تصوير العظام من الاجسام الكبار منها فالبعوضة أعطيت على قدر حجمها الحقير كل آلة وعضو أعطيه الفيل الكبير القوى وفيه اشارة الى حال الانسان وكمال استعداده كما قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته اى على صفته فعلى قدر ضعف الانسان اعطاه الله تعالى من كل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا ليشاهد فى مرءآة صفات نفسه كمال صفات ربه كما قال من عرف نفسه فقد عرف ربه وليس لشئ من المخلوقات هذه الكرامة المختصة بالانسان كما قال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم (قال فى المثنوى) آدم خاكى زحق آموخت علم * تابهفتم آسمان افروخت علم * نام وناموس ملك رادرشكست * كورئ آنكس كه درحق درشكست * قطرهٔ درراايكى كوهر فتاد * كان بدرياها وكردونها نداد * چند صورت آخراى صورت برست * جان بى معنيت ازصورت نرست * كر بصورت آدمى انسان بدى * احمد وبوجهل خود يكسان بدى * قال بعضهم ان الله تعالى قوى قلوب ضعفاء الناس بذكر ضعفاء الاجناس وعرف الخلق قدرته فى خلق الضعفاء على هيئات الاقوياء فان البعوض على صغره بهيئة الفيل على كبره وفى البعوض زيادة جناحين فلا يستبعد من كرمه ان يعطى على قليل العمل مايعطى على كثير العمل من الخلق كما اعطى صغير الجثة مااعطى كبير الجثة من الخلقة ومن العجيب ان هذا الصغير يؤذى هذا الكبير فلا يمتنع منه ومن لطف الله تعالى انه خلق الاسد بغاية القوة والبعوض والذباب بغاية الضعف ثم اعطى البعوض والذباب جراءة اظهرها فى طيرانهما فى وجوه الناس وتماديهما فى ذلك مع مبالغة الناس فى ذبهما بالمذبة وركب الجبن فى الاسد واظهر ذلك بتباعده عن مساكن الناس وطرقهم ولو تجاسر الاسد تجاسر الذباب والبعوض لهلك الناس فمن الله تعالى وجعل فى الضعيف التجاسر وفى القوى الجبن ومن العجب عجزك عن هذا الضعيف وقدرتك على ذلك الكبير (وحكى) انه خطب المأمون فوقع ذباب على عينه فطرده فعاد مرارا حتى قطع عليه الخطبة فلما صلى احضر اباهذيل شيخ البصرتين فى الاعتزال فقال له لم خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت واجازه بمال كذا فى روضة الاخيار ففى خلق مثل الذباب حكم ومصالح قال وكيع لولا الريح والذباب لا نتنت الدنيا ومن الاعاجيب ان هذا الضعيف اذا طار فى وجهك ضاق به قلبك وتنغص به عيشك وفسد عليك بستانك وكرمك واعجب منه جرآءتك مع ضعفك على مايورثك العار ويوردك النار فاذا كان جزعك هذا من البعوض فى الدنيا فكيف حالك اذا تسلطت عليك الحيات والعقارب فى لظى قال القشيرى رحمه الله الخلق فى التحقيق بالاضافة الى قدرة الخالق اقل من ذرة من الهباء فى الهوآء وسيان فى قدرته العرش والبعوضة فلا خلق العرش عليه اعسر ولا خلق البعوضة عليه ايسر سبحانه وتقدس عن لحوق العسر واليسر واعلم انه يمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل فى الانجيل غل الصدر بالنخالة قال لاتكونوا كمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم وتبقون الغل فى صدوركم ومثل مخاطبة السفهاء باثارة الزنابير قال لاتثيروا الزنابير فتلدغكم فكذلك لاتخاطبوا السفهاء فيشتموكم وقال فيه ايضا لاتدخروا ذخائركم حيث السوس والارضة فتفسدها ولا فى البرية حيث اللصوص والسموم فيسرقها اللصوص ويحرقها السموم ولكن ادخروا ذخائركم عند الله تعالى وجاء فى الانجيل ايضا مثل ملكوت السماء كمثل رجل زرع فى قريته حنطة جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان وهو بفتح الزاى وضمها حب مر يخالط البر فقال عبيد الزراع ياسيدنا أليس حنطة جيدة زرعت فى قريتك قال بلى قالوا فمن اين هذا الزوان قال لعلكم ان ذهبتم التلقطوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوهما يتربيان جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين ان يلقطوا الزوان من الحنطة وان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين والتفسير الزراع ابو البشر والقرية العالم والحنطة الطاعة وزراع الزوان ابليس والزوان المعاصى والحصادون الملائكة يتوفون بنى آدم وللعرب امثال مثل قولهم هو اجمع من ذرة يزعمون انها تدخر قوت سبع سنين وأجرأ من الذباب لانه يقع على أنف الملك وجفن الاسد فاذا ذب آب اى منع آب اى رجع واسمع من قراد تزعم العرب ان القراد يسمع الهمس الخفى من مناسم الابل اى اخفافها على مسيرة سبع ليال اوسبعة اميال وفلان أعمر من القراد وذلك انها تعيش سبعمائة سنة وقيل اعمر من حية لانها لاتموت الاقتلا ويقال اعمر من النسر لانه يعيش ثلاثمائة سنة

وفلان أصرد من جرادة اى ابرد لانها لا تظهر فى الشتاء ابد القلة صبرها على البرد وأطيش من فراشة اى اخف منها وهى بالفارسية پروانه وأعزمن مخ البعوض يقال لما لا يوجد ويقال كلفتنى مخ البعوض فى تكليف ما لا يطاق وأضعف من بعوضة وآكل من السوس وهو القمل الذى يأكل الحنطة والشعير والدويبة التى تقع على الصوف والخوخ وغيرهما فتأكلها وبالجملة ان الله تعالى يضرب الامثال للناس ولا يستحيى من الحق وله فى امثاله مطلقا حكم ومصالح وما يتذكر الا اولوا الالباب (قال المولى جلال الدين قدس سره) بيت من بيت نيست اقليمست * هزل من هزل نيست تعليمست (فاما الذين آمنوا) بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه فاما الذين آمنوا (فيعلمون انه) اى المثل بالبعوضة والذباب (الحق) اى الثابت الذى لا يسوغ انكاره (من ربهم) حال من الضمير المستكن فى الحق اومن الضمير العائد الى المثل اى كائنا منه تعالى فيتفكرون فى هذا المثل الحق ويوقنون ان الله هو خالق الكبير والصغير وكل ذلك فى قدرته سواء فيؤمنون به (واما الذين كفروا) وهم اليهود والمشركون (فيقولون ماذا) اى ما الذى اواى شئ (اراد الله بهذا) اى بالمثل الخسيس وفى كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له (مثلا) اى بهذا المثل فلما حذف الالف واللام نصب على الحال اى ممثلا اوعلى التميز فاجابهم الله تعالى بقوله (يضل به) اى يخذل بهذا المثل والاضلال هو الصرف عن الحق الى الباطل واسناد الاضلال اى خلق الضلال اليه سبحانه مبنى على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم (كثيرا) من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون ضلالة (ويهدى به) اى يوفق بهذا المثل (كثيرا) من المؤمنين لتصديقهم به فيزدادون هداية يعنى يضل به من علم منهم انه يختار الضلالة ويهدى به من علم انه يختار الهدى فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم قلت اهل الهدى كثير فى انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة لان هؤلاء على الحق وهم على الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه السواد الاعظم هو الواحد على الحق (وما يضل به) اى لا يخذل بالمثل وتكذيبه (الا الفاسقين) اى الكافرين بالله الخارجين عن امره والفسق فى اللغة الخروج وفى الشريعة الخروج عن طاعة الله بارتكاب الكبيرة التى من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى التغابى وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك فى تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى عليه يدور الايمان (الذين ينقضون عهد الله) اى يخالفون ويتركون امر الله تعالى والنقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من ابن ساغ استعمال النقض فى ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين قيل عهد الله ثلاثة الاول ما أخذه على ذرية آدم عليه السلام بان يقروا بربوبيته تعالى والثانى ما اخذه على الانبياء عليهم السلام بان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه (من بعد ميثاقه) اى بعد توثيق ذلك العهد وتوكيده بالقبول فالضمير للعهد اوبعد توثيق الله ذلك بانزال الكتب وارسال الرسل فالضمير الى الله فالمراد بالميثاق هنا نفس المصدر لا نفس العهد (يحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله انه كان له ابن عم عامل سلطان فى زمانهم وكان ظالما جائرا فمرض ذلك الرجل ونذروعهد على نفسه وقال لو عافانى الله تعالى مما انا فيه لا ادخل فى عمل السلطان ابدا قال فأبرأه الله من ذلك المرض فدخل فى عمل السلطان ثانيا فظلم الناس اكثر مما ظلمهم فى المرة الاولى فمرض ثانيا فنذر ثانيا ان لا يرجع الى عمل السلطان فبرئ ونقض العهد ودخل فيه وظلم اكثر مما ظلم فى المرتين فظهرت به علة شديدة فاخبر بذلك مالك بن دينار فزاره وقال يا بنى اوجب على نفسك شيأ وعاهد مع الله عهد العلك تنجو من هذه العلة فقال المريض عاهدت الله ان لو قمت من فراشى ان لا اعود الى عمل السلطان ابدا فهتف هاتف يا مالك انا قد جربناه مرارا فوجدناه كذوبا فلا ينفعه نذره اى جربناه بنفسه فاكذب نفسه فمات الفتى على هذه الحالة كذا فى روضة العلماء (قال فى المثنوى) نقض ميثاق وشكست توبها * موجب لعنت شود در انتها * (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل) محل ان يوصل النصب على أنه بدل من ضمير الموصول اى ما امر الله به ان يوصل وهو يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين

والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر مافيه رفض خير اوتعاطى شر فانه يقطع مابين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التى هى المقصودة بالذات من كل وصل وفصل وفى الحديث اذا اظهر الناس العلم وضيعوا العمل به وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة فى ظل عرش الله يوم القيامة امرأة مات عنها زوجها وترك عليها يتامى صغارا فخطبت فلم تتزوج وقالت اقوم على ايتامى حتى يغنيهم الله او يميت يعنى اليتيم اوهى ورجل له مال صنع طعاما فاطاب صنعته واحسن نفقته فدعا عليه اليتيم والمسكين ورجل وصل الرحم يوسع له فى رزقه ويمد له فى اجله ويكون تحت ظل عرش ربه (ويفسدون فى الارض) بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه (اولئك هم الخاسرون) اى المغبونون بالعقوبة فى الآخرة مكان المثوبة فى الجنة لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها قيل ليس من مؤمن ولا كافر الا وله منزل واهل وخدم فى الجنة فان اطاعه تعالى اتى اهله وخدمه ومنزله فى الجنة وان عصاه ورثه الله المؤمنين فقد غبن عن اهله وخدمه ومنزله وفى التأويلات النجمية ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا بنور الايمان يشاهدون الحقائق والمعانى فى صورة الامثلة فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون حيث انكروا الحق فجعل ظلمة انكارهم غشاوة فى ابصارهم فما شاهدوا الحقائق فى كسوة الامثلة كما ان العجم لا يشاهدون المعانى فى كسوة اللغة العربية فكذلك الكفار والجهال عند تحيرهم فى ادراك حقائق الامثال قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا فبجهلهم زادوا انكارا على انكار فتاهوا فى اودية الضلالة بقدم الجهالة يضل به كثيرا ممن اخطأه رشاش النور فى بدء الخلق كما قال عليه السلام ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطأه فقد ضل فمن اخطأه ذلك النور فى عالم الارواح فقد اخطأه نور الايمان ههنا ومن اخطأه نور الايمان فقد اخطأه نور القرءان فلا يهتدى ومن اصابه ذلك هنالك اصابه ههنا نور الايمان ومن اصابه نور الايمان فقد اصابه نور القرءآن ومن اصابه نور القرءآن فهو ممن قال ويهدى به كثيرا وكان القرءآن لقوم شفاء ورحمة ولقوم شقاء ونقمة لانه كلامه وصفته شاملة اللطف والقهر فبلطفه هدى الصادقين وبقهره اضل الفاسقين لقوله وما يضل به الا الفاسقين الخارجين من اصابة رشاش النور فى بدء الخلقة ثم اخبر عن نتائج ذكر الخروج ونقض العهود كما قال الله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه اى الذين ينقضون عهد الله الذى عاهدوه يوم الميثاق على التوحيد والعبودية بالاخلاص من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من اسباب السلوك الموصل الى الحق واسباب التبتل والانقطاع عن الخلق كما قال تعالى وتبتل اليه تبتيلا اى انقطع اليه انقطاعا كليا عن غيره ويفسدون فى الارض اى يفسدون بذر التوحيد الفطرى فى ارض طينتهم بالشرك والاعراض عن قبول دعوة الانبياء وسقى بذر التوحيد بالايمان والعمل الصالح اولئك هم الخاسرون خسروا استعداد كمالية الانسان المودعة فيهم كما تخسر النواة فى الارض استعداد النخلية المودعة فيها عند عدم الماء لقوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات (كيف تكفرون) كيف نصب حالا من الضمير فى تكفرون اى معاندين تكفرون وتجحدون (بالله) اى بوحدانيته ومعكم ما يصرفكم عن الكفر الى الايمان من الدلائل الانفسية والآفاقية والاستفهام انكارى لا بمعنى انكار الوقوع بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه لان التعجب من الله يكون على وجه التعجب والتعجيب هو ان يدعو الى التعجب وكانه يقول الا تتعجبون انهم يكفرون بالله كما فى تفسير ابى الليث وقال القاضى هو استخبار والمعنى أخبرونى على اى حال تكفرون (وكنتم امواتا) جمع ميت كاقوال جمع قيل اى والحال انكم كنتم امواتا اى اجساما لاحياة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة قال فى الكشاف فان قلت كيف قيل لهم اموات فى حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما تصح منه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة لقوله تعالى بلدة ميتا (فاحياكم) بخلق الارواح ونفخها فيكم فى ارحام امهاتكم ثم فى دنياكم وهذا الزام لهم بالبعث والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم فى تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه آنفا ثم لما كان المقام فى الدنيا قد يطول جاء بثم حرف التراخى فقال

(ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحياة الثانية التى هى الحيوان الابدى والنعمة العظمى (ثم يحييكم) للسؤال فى القبور فيحيى حتى يسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين ويقال من ربك ومن نبيك وما دينك ودل ثم التى للتعقيب على سبيل التراخى على انه لم يرد به حياة البعث فان الحياة يومئذ يقارنها الرجوع الى الله بالحساب والجزاء وتتصل به من غير تراخ فلا يناسب ثم اليه ترجعون ودلت الآية على اثبات عذاب القبر وراحة القبر كما فى التيسير (ثم اليه ترجعون) بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر واليه تنشرون من قبوركم للحساب فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما وفى الآية تنبيه على ما يدل به على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدأ الخلق ليس باهون عليه من اعادته (هو الذى خلق لكم) هذا بيان نعمة اخرى اى قدر خلقها لاجلكم ولانتفاعكم بها فى دنياكم ودينكم لان الاشياء كلها لم تخلق فى ذلك الوقت (ما فى الارض) اى الذى فيها من الاشياء (جميعا) نصب حالا من الموصول الثانى وقد يستدل بهذا على ان الاصل فى الاشياء الاباحة كما فى الكواشى وقال فى التيسير اهل الاباحة من المتصوفة الجهلة حملوا اللام فى لكم فى قوله تعالى هو الذى خلق لكم على الاطلاق والاباحة على الاطلاق وقالوا لا حظر ولا نهى ولا امر فاذا تحققت المعرفة وتأكدت المحبة سقطت الخدمة وزالت الحرمة فالحبيب لا يكلف حبيبه ما يتعبه ولا يمنعه ما يريده ويطلبه وهذا منهم كفر صريح وقد نهى الله تعالى وامر وأباح وحظر ووعد وأوعد وبشر وهدد والنصوص ظاهرة والدلائل متظاهرة فمن حمل هذه الآية على الاباحة المطلقة فقد انسلخ من الدين بالكلية انتهى كلام التيسير (ثم استوى الى السماء) قصد اليها اى الى خلقها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة شئ آخر فى تضاعيف خلقها اوغير ذلك ولا تناقض بين هذا وبين قوله والارض بعد ذلك دحاها لان الدحو البسط وعن الحسن خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر اى الحجر ملئ الكف عليها دخان يلتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعه ثم بسط منه الارض كذا فى الكواشى وقال ابن عباس رضى الله عنه اول ما خلق الله جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد ارضا والدخان سماء قالوا فالسماء من دخان خلقت وبريح ارتفعت وباشارة تفرقت وبلا عماد قامت وبنفخة تكسرت (فسواهن) اى أتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونات عن العوج والفطور ولانه سواهن بعد ان لم يكن كذلك والضمير فيه مبهم فسر بقوله تعالى (سبع سموات) فهو نصب على انه تمييز نحو ربه رجلا قال سلمان هى سبع اسم الاولى رقيع وهى من زمردة خضراء واسم الثانية ارفلون وهى من فضة بيضاء والثالثة قيدوم وهى من ياقوتة حمراء والرابعة ماعون وهى من درة بيضاء والخامسة دبقاء وهى من ذهب احمر والسادسة وفناء وهى من ياقوتة صفراء والسابعة عروباء وهى من نور يتلألأ (وهو بكل شئ عليم) فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج فى صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتكسرت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شئ منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان وفى هذه الآية اشارة الى مراتب الروحانيات فالاول عالم الملكوت الارضية والقوى النفسانية والثانى عالم النفس والثالث عالم القلب والرابع عالم العقل والخامس عالم السر والسادس عالم الروح والسابع عالم الخفاء الذى هو السر الروحى والى هذا اشار امير المؤمنين على رضى الله عنه بقوله سلونى عن طرق السماء فانى اعلم بها من طرق الارض وطرقها الاحوال والمقامات كالزهد والتقوى والتوكل والرضى وامثالها واعلم ان المراتب اثنتا عشرة على عدد السموات والعروش الخمسة وكان الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره يقول للتوحيد اثنا عشر بابا فالجلوتية يقطعونها بالتوحيد لان سيرهم فى اليقين والخلوتية يقطعونها بالاسماء لان سيرهم فى البرزخ وهم يقولون جنة

الافعال وجنة الصفات وجنة الذات وذلك لان الجنات على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنه سبع فاذا كان اربع منها لاهل اليقين اعنى الجلوتية فالثلاث لاهل البرزخ اعنى الخلوتية وهى الافعال والصفات والذات وفى التأويلات النجمية كيف تكفرون بالله اما خطاب توحيد للمؤمنين اى أتكفرون بالله وبانبيائه لانكم كنتم امواتا ذرات فى صلب آدم فاحياكم باخراجكم من صلبه وأسمعكم لذيذ خطاب ألست بربكم وأذاقكم لذات الخطاب ووفقكم للجواب بالصواب حتى قلتم بلى رغبة لا رهبة ثم يميتكم بالرجعة الى اصلاب ابائكم والى عالم الطبيعة الانسانية ثم يحييكم ببعثة الانبياء وقبول دعوتهم ثم اليه ترجعون بدلالة الانبياء وقدم التوحيد على جادة الشريعة الى درجات الجنات واما خطاب تشريف للانبياء والاولياء اى أتكفرون وكنتم امواتا فى كتم العدم فاحياكم بالتكوين فى عالم الارواح ورشاش النور تخمر طينة ارواحكم بماء نور العناية وتخمير يد المحبة باربعى صباح الوصال ثم يميتكم بالمفارقة عن شهود الجمال الى مقبرة الحس والخيال ثم يحييكم اما الانبياء فبنور الوحى واما الاولياء فبروح روح نور الايمان ثم اليه ترجعون اما الانبياء فبالعروج واما الاولياء فبالرجوع بجذبات الحق كما قال تعالى ارجعى الى ربك فلما ثبت ان الرجوع اليه امر ضرورى اما بالاختيار كقرآءة يعقوب ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم واما بالاضطرار كقرآءة الباقين اشار الى ان الذى ترجعون اليه هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا اى ما خلقكم لشئ وخلق كل شئ لكم بل خلقكم لنفسه كما قال تعالى واصطنعتك لنفسى معناه لاتكن لشئ غيرى فانى لست لشئ غيرك فبقدر ماتكون لى اكون لك كما قال عليه السلام من كان لله كان الله له وليس لشئ من الموجودات هذا الاستعداد اى أن يكون هو لله على التحقيق وان يكون الله له وفى هذا اسر عظيم وافشاء سر الربوبية كفر فلا نشتغل بما لك عمن انت له فتبقى بلا هو ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات فيه اشارة الى ان وجود السموات والارض كان تبعا لوجود الانسان وهو بكل شئ عليم اى عالم بخلق كل شئ خلقه ولاى شئ خلقه فكل ذرة من مخلوقاته تسبح بحمد ذاته وصفاته وتشهد على احديته وصمديته وتقول ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك (قال المولى الجامى قدس سره)

دوجهان جلوكاه وحدت تو * شهد الله كواه وحدت تو * (واذ) مفعول اذكر مقدرة اى اذكر لهم وأخبر وقت (قال ربك) وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ماوقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ماوقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا (للملائكة) اللام للتبليغ وتقديم الجار والمجرور فى هذا الباب مطرد لما فى المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر والملائكة جمع ملك والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة وسموا بها فانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسله لان اصل ملك ملأك مقلوب مألك من الألوكة وهى الرسالة والملائكة عند اكثر المسلمين اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة والدليل ان الرسل كانوا يرونهم كذلك وروى فى شرح كفرتهم ان بنى آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك فى مقابلة الكرسى نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التى عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لايكون لها عنده قدر محسوس ومامنه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء فى مقابلة الذين يحومون حول العرش كالقطرة فى البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لايحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وروى انه صلى الله عليه وسلم حين عرج به الى السماء راى ملائكة فى موضع بمنزلة شرف يمشى بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله جبريل عليهما السلام الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادرى الا انى اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادرى غير ان الله تعالى يخلق فى كل اربعة آلاف سنة كوكبا وقد خلق منذ ما خلقنى اربعمائة ألف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدره وما اوسع ملكوته واراد بهم

الملائكة الذين كانوا فى الارض وذلك ان الله خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء واسكن الجن الارض والجن هم بنوا الجان والجان ابو الجن كآدم ابو البشر وخلق الله الجان من لهب من نار لادخان لها بين السماء والارض والصواعق تنزل منها ثم لما سكنوا فيها كثر نسلهم وذلك قبل ادم بستين الف سنة فعمروا دهرا طويلا فى الارض مقدار سبعة آلاف سنة ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فافسدوا وقتلوا فبعث الله اليهم ملائكة سماء الدنيا وامر عليهم ابليس وكان اسمه عزازيل وكان اكثرهم علما فهبطوا الى الارض حتى هزموا الجن واخرجوهم من الارض الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا الارض وصار امر العبادة عليهم اخف لان كل صنف من الملائكة يكون ارفع فى السموات يكون خوفهم اشد وملائكة السماء الدنيا يكون امرهم ايسر من الذين فوقهم واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان له جناحان من زمرد أخضر وكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب فقال فى نفسه ما اعطانى الله هذا الملك الا لانى اكرم الملائكة عليه وايضا كل من اطمأن الى الدنيا امر بالتحول عنها فقال الله تعالى له ولجنوده (انى جاعل) اى مصير (فى الارض) دون السماء لان التباغى والتظالم كان فى الارض (خليفة) وهو آدم عليه السلام لانه خلف الجن وجاء بعدهم ولانه خليفة الله فى ارضه اى اريد أن اخلق فى الارض بدلا منكم ورافعكم الى فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملائكة عبادة واعلم ان الله تعالى يحفظ العالم بالخليفة كما يحفظ الخزائن بالختم وهو القطب الذى لا يكون فى كل عصر الا واحدا فالبدء كان بآدم عليه السلام والختام يكون بعيسى عليه السلام والحكمة فى الاستخلاف قصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى امره بغير واسطة لان المفيض تعالى فى غاية التنزه والتقدس والمستفيض منغمس غالبا فى العلائق الدنية كالاكل والشرب وغيرهما والعوائق الطبيعية كالاوصاف الذميمة فالاستفاضة منه انما تحصل بواسطة ذى جهتين اى ذى جهة التجرد وجهة التعلق وهو الخليفة اياكان ولذا لم يستنبىء الله ملكا فان البشر لا يقدر على الاستفادة منه لكونه خلاف جنسه الا يرى ان العظم لما عجز عن اخذ الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الله تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من اللحم ويعطى العظم وجعل السلطان الوزير بينه وبين رعيته اذهم اقرب الى قبولهم منه وجعل المستوقد الحطب اليابس بين النار وبين الحطب الرطب * وفائدة قوله تعالى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة اربعة امور الاول تعليم المشاورة فى امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (قال فى المثنوى) مشورت ادراك وهشيارى دهد * عقلها مر عقل رايارى دهد * كفت پيغمبر بكن اى راى زن * مشورت كالمستشار مؤتمن * ويقال اعقل الرجال لا يستغنى عن مشاورة اولى الالباب وأفره الدواب لا يستغنى عن السوط واورع النساء لا تستغنى عن الزوج * والثانى تعظيم شأن المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه * والثالث اظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وهو قوله اتجعل الخ وجوابه وهو قوله انى اعلم ما لا تعلمون الخ والرابع بيان أن الحكمة تقتضى ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير كقطع العضو الذى فيه آكلة شر قليل وسلامة جميع البدن خير كثير فلو لم يقطع ذلك العضو سرت تلك الآفة الى جميع البدن وأدت الى الهلاك الذى هو شر كثير (قالوا) استئناف كانه قيل فماذا قالت الملائكة حينئذ فقيل قالوا (أتجعل فيها) اى الارض (من يفسد فيها) كما افسدت الجن وفائدة تكرار الظرف تأكيد الاستبعاد (ويسفك الدماء) اى يصبها ظلما كما يسفك بنوا الجان والتعبير عن القتل بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل قال بعض العارفين الملائكة الذين نازعوا فى آدم ليسوا من اهل الجبروت ولا من اهل الملكوت السماوية فانهم لغلبة النورية عليهم واحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف الانسان الكامل ورتبته عند الله وان لم يعرفوا حقيقته كما هى بل نازعت ملائكة الارض والجن والشياطين الذين غلبت عليهم الظلمة والنشأة الموجبة للحجاب وفى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة بتخصيص الارض بالذكر وان كان خليفة فى العالم كله فى الحقيقة هو ايماء ايضا بان ملائكة الارض هم الطاعنون اذ الطعن لا يصدر الا ممن هو فى معرض ذلك المنصب واهل السموات مدبرات للعالم العلوى فما قالت الملائكة الارضية الا بمقتضى نشأتهم التى هم عليها من غبطة منصب الخلافة فى الارض

والغيرة على منصب ملكهم وتعبدهم بما هم عليه من التسبيح والتقديس فكل اناء يترشح بما فيه واما الاعتراض على فعل الحكيم والنزاع فى صنعه عند حضرته فعفو عنه لكمال حكمته واتقان صنعته (قال فى المثنوى)

زانكه اين دمها چه كرنا لايقست * رحمت من بر غضب هم سابقست * ازپى اظهار اين سبق اى ملك *
در تو بنهم داعيه اشكال وشك * تا بكويى ونكيرم بر تومن * منكر حلمم نيارد دم زدن *
صد پدر صد مادر اندر حلم ما * هر نفس زايد در افتد در فنا * حلم ايشان كف بحر حلم ماست *
كف رود آيد ولى دريا بجاست *

وفى الفتوحات ان هاروت وماروت من الملائكة الذين نازعوا آدم ولاجل هذا ابتلاهما الله تعالى باظهار الفساد وسفك الدماء فافهم سر قوله عليه السلام دع الشماتة عن اخيك فيعافيه الله تعالى ويبتليك وايضا من تلك الملائكة الطاعنين بسفك الدماء الملائكة التى ارسلها الله تعالى نصرة للمجاهدين وسفك الدماء غيرة على دين الله وشرعه كذا فى حل الرموز وكشف الكنوز (ونحن) اى والحال انا (نسبح) اى تنزهك عن كل مالا يليق بشأنك ملتبسين (بحمدك) على ما انعمت علينا من فنون النعم التى من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام (ونقدس) تقديسا (لك) اى نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وتنزهك عما لا يليق بك فاللام للبيان كما فى سقيا لك متعلقة بمصدر محذوف ويجوز ان تكون مزيدة اى نقدسك قال فى التيسير التسبيح نفى مالا يليق به والتقديس اثبات ما يليق به وقال الشيخ داود القيصرى قدس سره التسبيح اعم من التقديس لانه تنزيه الحق عن نقائص الامكان والحدوث والتقديس تنزيه عنها وعن الكمالات اللازمة للاكوان لانها من حيث اضافتها الى الاكوان تخرج عن اطلاقها وتقع فى نقائص التقييد انتهى وكأنه قيل أتستخلف من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شانه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة والاستفسار عما رجح بنى آدم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الفساد وكأنه قيل فاذا قال الله تعالى حينئذ فقيل (قال) الله (انى اعلم مالا تعلمون) من الحكمة والمصلحة باستخلاف آدم عليه السلام وان من ذريته الطائع والعاصى فيظهر الفضل والعدل فلا تعترضوا على حكمى وتقديرى ولا تستكشفوا عن غيبة تدبيرى فليس كل مخلوق يطلع على غيب الخالق ولا كل احد من الرعية يقف على سر الملك وفى الآية تنبيه للسالك بان يتأدب بين يدى الحق تعالى وخلفائه والمشايخ والعلماء لئلا يظهر بالانانية واظهار العلم عندهم لانه سالك لطريق الفناء والفانى لا يكون كطاوس تعشق بنفسه واعجب بذاته بل لا يرى وجوده اصلا فقد وعظنا الله تعالى بزجره للملائكة بقوله انى اعلم مالا تعلمون (قال السعدى)

نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دكر مرغ بيند اندر بند * پند كير از مصائب دكران * تا نكيرند ديكران زتو پند *

وفى التأويلات النجمية واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة انما قال جاعل وما قال خالق لمعنيين احدهما ان الجاعلية اعم من الخالقية فان الجاعلية هى الخالقية وشئ آخر وهو ان يخلقه موصوفا بصفة الخلافة اذ ليس لكل احد هذا الاختصاص كما قال تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض اى خلقناك مستعدا للخلافة فاعطيناكها والثانى ان الجعلية اختصاصا بعالم الامر وهو الملكوت وهو ضد عالم الخلق لانه هو عالم الاجسام والمحسوسات كما قال تعالى ألا له الخلق والامر اى الملك والملكوت فانه تعالى حيث ذكر ما هو مخصوص بعالم الامر ذكره بالجعلية لامتياز الامر عن الخلق كما قال تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فالسموات والارض لما كانتا من الاجسام المحسوسات ذكرهما بالخلقية والظلمات والنور لما كانتا من الملكوتيات غير المحسوسات ذكرهما بالجعلية وانما قلنا الظلمات والنور من الملكوتيات لقوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فيفيد انهما من الملكوتيات لا من المحسوسات واما الظلمات والنور التى من المحسوسات فانهما داخلة فى السموات والارض فافهم جدا فكذلك لما اخبر الله تعالى عن آدم بما يتعلق بجسمانيته ذكره بالخلقية كما قال انى خالق بشرا من طين ولما اخبر عما يتعلق بروحانيته ذكره بالجعلية وقال انى جاعل فى الارض خليفة وفى انى جاعل اشارة اخرى وهو اظهار عزة آدم عليه السلام على الملائكة لينظروا اليه بنظر التعظيم ولا ينكروا عليه بما يظهر منه ومن اولاده من اوصاف البشرية فانه تعالى يقول ولذلك خلقهم وسماه خليفة وما شرف شيأ من الموجودات بهذه الخلقة والكرامة وانما سمى خليفة لمعنيين احدهما انه يخلف

من جميع المخلوقات ولا يخلفه المكونات باسرها وذلك لان الله جمع فيه ما فى العوالم كلها من الروحانيات
والجسمانيات والسماويات والارضيات والدنيويات والاخرويات والجماديات والنباتيات والحيوانيات
والملكوتيات فهو بالحقيقة خليفة كل واكرمه باختصاص كرامة ونفخت فيه من روحى وما اكرم بها احدا من
العالمين واشار الى هذا المعنى بقوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم فلهذا الاختصاص ماصلح الموجودات
كلها ان تكون خليفة لادم ولا للحق تعالى والثانى انه يخلف وينوب عن الله صورة ومعنى اما صورة فوجوده
فى الظاهر يخلف عن وجود الحق فى الحقيقة لان وجود الانسان يدل على وجود موجده كالبناء يدل على
وجود البانى ويخلف وحدانية الانسان عن وحدانية الحق وذاته عن ذاته وصفاته عن صفاته فيخلف حياته عن
حياته وقدرته عن قدرته وارادته عن ارادته وسمعه عن سمعه وبصره عن بصره وكلامه عن كلامه وعلمه عن علمه
ولامكانية روحه عن لامكانيته ولاجهتيته عن لاجهتيته فافهم ان شاء الله تعالى وليس لنوع من المخلوقات
ان يخلف عنه كما يخلف آدم وان كان فيهم بعض هذه لانه لا يجتمع صفات الحق فى احد كما يجتمع فى الانسان
ولا يتجلى صفة من صفاته لشئ كما يتجلى لمرآة قلب الانسان صفاته واما الحيوانات فانها وان كان لها بعض
هذه الصفات ولكن ليس لها علم بوجود موجدها واما الملائكة فانهم وان كانوا عالمين بوجود موجدهم
ولكن لا يبلغ حد علمهم الى ان يعرفوا انفسهم بجميع صفاتها ولا الحق بجميع صفاته ولذا قالوا سبحانك لا علم
لنا الا ما علمتنا وكان الانسان مخصوصا بمعرفة نفسه بالخلافة وبمعرفة جميع اسماء الله تعالى واما معنى فليس
فى العالم مصباح يستضيء بنار نور الله فيظهر انوار صفاته فى الارض خلافة عنه الا مصباح الانسان فانه
مستعد لقبول فيض نور الله لانه اعطى مصباح السر فى زجاجة القلب والزجاجة فى مشكاة الجسد
وفى زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها يضيء من صفات العقل ولو لم تمسسه نار النور وفى مصباح السر
فتيلة الخفاء فاذا أراد الله ان يجعل فى الارض خليفة يتجلى بنور جماله لمصباح السر الانسانى فيهدى لنوره
فتيلة خفاء من يشاء فيستنير مصباحه بنار نور الله فهو على نور من ربه فيكون خليفة الله فى ارضه فيظهر انوار
صفاته فى هذا العالم بالعدل والاحسان والرأفة والرحمة لمستحقيها وبالعزة والقهر والغضب والانتقام لمستحقيها
كما قال تعالى ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله وقال لحبيبه عليه السلام بالمؤمنين رؤف رحيم وقال فى حقه وحق المؤمنين محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ولم يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك وناهيك بحال
هاروت وماروت لما انكرا على ذرية آدم من اتباع الهوى والقتل والظلم والفساد وقالا لو كنا بدلا منهم خلفاء
الارض ما كنا نفعل مثل ما يفعلون فالله تعالى انزلهما الى الارض وألبسهما لباس البشرية وامرهما
ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير حق والزنى وشرب الخمر قال قتادة فما مر عليهما
شهر حتى افتتنا فشربا الخمر وسفكا الدم وزنيا وقتلا وسجدا للصنم فثبت ان الانسان مخصوص بالخلافة وقبول
فيضان نور الله فلو كان للملائكة هذه الخصوصية لما افتتنا بهذه الاوصاف المذمومة الحيوانية والسبعية
كما كان الانبياء عليهم السلام معصومين من مثل هذه الآفات والاخلاق وان كانت لازمة لصفاتهم البشرية
ولكن بنور التجلى تنور مصباح قلوبهم واستنار بنور قلوبهم جميع مشكاة جسدهم ظاهرا وباطنا واشرقت
الارض بنور ربها فلم يبق لظلمات هذه الصفات مجال الظهور مع استعلاء النور فالملائكة من بدو الامر لما نظروا
الى جسد آدم شاهدوا ظلمات البشرية والحيوانية والسبعية فى ملكوت الجسد بالنظر الملكوتى الملكى ولم تكن
تلك الصفات غائبة عن نظرهم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقولهم هذا يدل على معان مختلفة
منها ان الله انطقهم بهذا القول ليتحقق لنا ان هذه الصفات الذميمة فى طينتنا مودعة وجبلتنا مركبة فلا نأمن
من مكر أنفسنا الامارة بالسوء ولا نعتمد عليها ولا نبرئها كما قال تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام
وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ومنها لنعلم ان كل عمل صالح نعمله هو بتوفيق الله ايانا
وفضله ورحمته وكل فساد وظلم نعمله هو من شؤم طبيعتنا وخاصية طينتنا كما قال تعالى ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وكل فساد وظلم لا يجرى علينا ولا يصدر منا فذلك من حفظ الحق وعصمة
الرب لقوله الا ما رحم ربى ومنها لنعلم ان الله تعالى من كمال فضله وكرمه قد قبلنا بالعبودية والخلافة وقال من

حسن عنايته فى حقنا للملائكة المقربين انى اعلم مالا تعلمون لكيلا نقنط من رحمته وننقطع عن خدمته ومنها
لنعلم ان فساد الاستعداد امر عظيم وبناء جسيم ومبنى الخلافة على الاستعداد والقابلية وليس للملائكة هذا
الاستعداد والقابلية فلا نتغافل عن هذه السعادة ونسعى فى طلبها حق السعاية ومنها ان الملائكة انما قالوا اتجعل
فيها الخ لانهم نظروا الى جسد آدم قبل نفخ الروح فشاهدوا بالنظر الملكى فى ملكوت جسده المخلوق من
العناصر الاربعة المتضادة صفات البشرية والبهيمية والسبعية التى تتولد من تركيب اضداد العناصر كما شاهدوها
فى اجساد الحيوانات والسباع الضاريات بل عاينوها فانها خلقت قبل آدم فقاسوا عليها احواله بعد ان
شاهدوها وحققوها وهذا لا يكون غيبا فى حقهم وانما يكون غيبا لنا لانا ننظر بالحس والملكوت يكون لاهل
الحس غيبا ومنا من ينظر بالنظر الملكوتى فيشاهد الملائكة والملكوتيات بالنظر الروحانى كما قال تعالى وكذلك
نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض فحينئذ لا يكون
غيبا فالغيب ما غاب عنك وما شاهدته فهو شهادة فالملكوت للملائكة شهادة والحضرة الالهية لهم غيب
وليس لهم الترقى الى تلك الحضرة وان فى الانسان صورة من عالم الشهادة المحسوسة وروحا من عالم الغيب
الملكوتى غير المحسوس وسرا مستعدا لقبول فيض الانوار الالهيه فبالتربية يترقى من عالم الشهادة الى عالم الغيب
وهو الملكوت وبسر المتابعة وخصوصيتها يترقى من عالم الملكوت الى عالم الجبروت والعظموت وهو غيب الغيب
ويشاهد بنور الله المستفاد من سر المتابعة انوار الجمال والجلال فيكون فى خلافة الحق عالما للغيب والشهادة
كما ان الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه اى الغيب المخصوص به وهو غيب الغيب احدا يعنى من الملائكة
الا من ارتضى من رسول يعنى من الانسان فهذا هو السر المكنون المركوز فى استعداد الانسان الذى كان
الله يعلم منه والملائكة لا يعلمونه كما قال تعالى انى اعلم مالا تعلمون ومنها ان الملائكة لما نظروا الى كثرة طاعتهم
واستعداد عصمتهم ونظروا الى نتائج الصفات النفسانية استعظموا انفسهم واستصغروا آدم وذريته فقالوا
اتجعل فيها يعنى فى الارض خليفة مع انه يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك يعنى نحن
لهذه الاوصاف احق بالخلافة منه كما قال بنوا اسرائيل حين بعث الله لهم طالوت ملكا قالوا انى يكون
له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فاجابهم الله تعالى بان استحقاق الملك ليس بالمال
انما هو بالاصطفاء والبسطة فى العلم والجسم فقال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى
ملكه من يشاء فكذلك هنا اجابهم الله تعالى بقوله انى اعلم مالا تعلمون اجمالا ثم فصله بقوله ان الله اصطفى آدم
وبقوله وعلم آدم الاسماء كلها وبقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ليعلموا ان استعداد ملك الخلافة
واستحقاقها ليس بكثرة الطاعات ولكنه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل
من يشاء فلما تفاخر الملائكة بطاعتهم على آدم من الله تعالى على آدم بعلم الاسماء ليعلموا انهم ولو كانوا اهل الطاعة
والخدمة فانه اهل العقل والمنة واين اهل الخدمة من اهل المنة فبتفاخرهم على آدم صاروا ساجدين له ليعلموا
ان الحق تعالى مستغن عن طاعتهم وبمنته على آدم صار مسجودا لهم ليعلموا ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
وفى قوله انى اعلم مالا تعلمون اشارة اخرى الى انه كما يدل على ان لآدم فضائل لا يعلمها الملائكة فكذلك له رذائل
واوصاف مذمومة لا يعلمها الملائكة لانهم لا يعلمون منه اوصافا مذمومة هى من نتائج قالبه مشتركة
مع الحيوانات مودعة فى ملكوته غير اوصاف مذمومة تكون من نتائج النفس الامارة عند تتابع نظر الروح
الى النفس حالة عدم استعمال الشرع من العجب والرياء والسمعة والحسد واشتراء الحياة الدنيا بالآخرة والابتداع
والزيغوغة واعتقاد السوء وغير ذلك مما لا يشاركه الحيوانات فيه انتهى ما فى التأويلات (وعلم آدم الاسماء كلها)
قال وهب بن منبه لما اراد الله ان يخلق ادم اوحى الى الارض اى افهمها وألهمها انى جاعل منك خليفة فمنهم
من يطيعنى فادخله الجنة ومنهم من يعصينى فادخله النار فقالت الارض منى تخلق خلقا يكون للنار قال نعم
فبكت فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة وبعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من زواياها الاربع
من اسودها وابيضها واحمرها واطيبها واخبثها وسهلها وصعبها وجبلها فلما اتاها جبريل ليقبض منها قالت
الارض بالله الذى ارسلك لا تأخذ منى شيأ فان منافع التقرب الى السلطان كثيرة ولكن فيه خطر عظيم كما قيل
بدريا در منافع بيشمارست * اكر خواهى سلامت دركنارست * فرجع جبريل عليه السلام الى مكانه

ولم يأخذ منها شيأ فقال يارب حلفتنى الارض باسمك العظيم فكرهت ان اقدم عليها فارسل الله ميكائيل
عليه السلام فلما انتهى اليها قالت الارض له كما قالت لجبريل فرجع ميكائيل فقال كما قال جبريل فارسل الله
اسرافيل عليه السلام وجاء ولم يأخذ منها شيأ وقال مثل ما قال جبريل وميكائيل فارسل الله ملك الموت فلما
انتهى قالت الارض اعوذ بعزة الله الذى ارسلك ان تقبض منى اليوم قبضة يكون للنار فيها نصيب غدا فقال
ملك الموت وانا اعوذ بعزته ان اعصى له امرا فقبض قبضة من وجه الارض مقدار اربعين ذراعا من زواياها
الاربع فلذلك يأتى بنوه اخيافا اى مختلفين على حسب اختلاف ألوان الارض واوصافها فمنهم الابيض والاسود
والاحمر واللين والغليظ فصار كل ذرة من تلك القبضة اصل بدن للانسان فاذا مات يدفن فى الموضع
الذى اخذت منه ثم صعد الى السماء فقال الله له اما رحمت الارض حين تضرعت اليك فقال رأيت امرك اوجب
من قولها فقال انت تصلح لقبض ارواح ولده قال فى روضة العلماء فشكت الارض الى الله تعالى وقالت يارب
نقص منى قال الله على ان ارد اليك احسن واطيب مما كان فمن ثم يحنط الميت بالمسك والغالية انتهى فامر الله
تعالى عزرائيل فوضع ما اخذ من الارض فى وادى نعمان بين مكة والطائف بعد ما جعل نصف تلك القبضة
فى النار ونصفها فى الجنة فتركها الى ماشاء الله ثم اخرجها ثم امطر عليها من سحاب الكرم فجعلها طينا لازبا
وصور منه جسد آدم واختلفوا فى خلقة آدم عليه السلام فقيل خلق فى سماء الدنيا وقيل فى جنة من جنات
الارض بغربيتها كالجنة التى يخرج منها النيل وغيره من الانهار واكثر المفسرين انه خلق فى جنة عدن
ومنها اخرج كما فى كشف الكنوز وفى الحديث القدسى خمرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا يعنى اربعين يوما
كل يوم منه ألف عام من اعوام الدنيا فتركه اربعين سنة حتى يبس وصار صلصالا وهو الطين المصوت من غاية يبسه
كالفخار فامطر عليه مطر الحزن تسعا وثلاثين سنة ثم امطر عليه مطر السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم
فى بنى آدم ولكن يصير عاقبتها الى الفرح كما قيل ان لكل بداية نهاية وان مع العسر يسرا * ان مع العسر
چو يسرش قفاست * شاد بر انم كه كلام خداست * وكانت الملائكة يمرون عليه ويتعجبون من حسن
صورته وطول قامته لان طوله كان خمسمائة ذراع الله اعلم باى ذراع وكان رأسه يمس السماء ولم يكونوا رأوا
قبل ذلك صورة تشابهها فمر به ابليس فرآه ثم قال لامر ما خلقت ثم ضربه بيده فاذا هو اجوف فدخل فيه
وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق اجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم ارأيتم
ان فضل هذا عليكم ما انتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال ابليس فى نفسه والله لا اطيعه ان فضل على ولئن فضلت
عليه لاهلكنه * عاقبت كرك زاده كرك شود * وجمع بزاقه فى فمه وألقاه عليه فوقع بزاق اللعين على موضع
سرة آدم عليه السلام فامر الله جبريل فقور بزاق اللعين من بطن آدم فحفرة السرة من تقوير جبريل وخلق الله
من تلك القوارة كلبا وللكلب ثلاث خصال فانسه بآدم لكونه من طينه وطول سهره فى الليالى من أثر مس
جبريل عليه السلام وعضه الانسان وغيره وأذاه من غير خيانة من اثر بزاق اللعين وخلق آدم بعد العصر
يوم الجمعة وسمى بادم لكونه من أديم الارض لانه مؤلف من انواع ترابها ولما أراد الله ان ينفخ فيه الروح امره
ان يدخل فيه فقال الروح موضع بعيد القعر مظلم المدخل فقال له ثانيا ادخل فقال كذلك فقال له ثالثا فقال
كذلك فقال ادخل كرها اى بلا رضى واخرج كرها ولذا لا يخرج الروح من البدن الا كرها فلما نفخه فيه مار
فى رأس آدم وجبينه واذنيه ولسانه ثم مار فى جسده كله حتى بلغ قدميه فلم يجد منفذا فرجع منخريه فعطس
فقال له ربه قل الحمد لله رب العالمين فقالها آدم فقال يرحمك الله ولذا خلقتك يا آدم فلما انتهى الى ركبتيه
اراد الوثوب فلم يقدر فلما بلغ قدميه وثب فقال تعالى وخلق الانسان عجولا فصار بشرا لحما ودما وعظاما وعصبا
واحشاء ثم كساه لباسا من ظفر يزداد جسده فى كل يوم وهو فى ذلك منتطق متوج وجعل فى جسده تسعة
ابواب سبعة فى رأسه اذنين يسمع بهما وعينين يبصر بهما ومنخرين يجد بهما كل رائحة وفا فيه لسان يتكلم به
وحنك يجد به طعم كل شئ وبابين فى جسده وهما قبله ودبره يخرج منهما ثفل طعامه وشرابه وجعل عقله
فى دماغه وشرهه فى كليتيه وغضبه فى كبده وشجاعته فى قلبه ورغبته فى رئته وضحكه فى طحاله وفرحه وحزنه
فى وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم فلما سواه ونفخ فيه من روحه
علمه اسماء الاشياء كلها اى ألهمه فوقع فى قلبه فجرى على لسانه بما فى قلبه بتسمية الاشياء من عنده فعلمه جميع

اسماء المسميات بكل اللغات بان اراه الاجناس التى خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية وعلمه اسماء الملائكة واسماء ذريته كلهم واسماء الحيوانات والجمادات وصنعة كل شئ واسماء المدن والقرى واسماء الطير والشجر وما يكون وكل نسمة يخلقها الى يوم القيامة واسماء المطعومات والمشروبات وكل نعيم فى الجنة واسماء كل شئ حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب قال فى كشف الكنوز اتفق جم غفير من اهل العلم على ان الاسماء كلها توقيفية من الله تعالى بمعنى ان الله تعالى خلق لادم علما ضروريا بمعرفة الالفاظ والمعانى وان هذه الالفاظ موضوعة لتلك المعانى وفى الخبر لما خلق الله آدم بث فيه اسرار الاحرف ولم يبث فى احد من الملائكة فخرجت الاحرف على لسان آدم بفنون اللغات فجعلها الله صورا له ومثلت له بانواع الاشكال وفى الخبر علمه سبعمائة الف لغة فلما وقع فى اكل الشجرة سلب اللغات الا العربية فلما اصطفاه بالنبوة رد الله عليه جميع اللغات فكان من معجزاته تكلمه بجميع اللغات المختلفة التى يتكلم بها اولاده الى يوم القيامة من العربية والفارسية والرومية والسريانية واليونانية والعبرانية والزنجية وغيرها قال بعض المفسرين علم الله آدم ألف حرفة من المكاسب ثم قال قل لاولادك ان اردتم الدنيا فاطلبوها بهذه الحرف ولا تطلبوها بالدين واحكام الشرائع وكان آدم حراثا اى زراعا ونوح نجارا وادريس خياطا وصالح تاجرا وداود زرادا وسليمان كان يعمل الزنبيل فى سلطنته ويأكل من ثمنه ولا يأكل من بيت المال وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة وكان اكثر عمله صلى الله تعالى عليه وسلم فى البيت الخياطة وفى الحديث عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل كذا فى روضة الاخيار وقال العلماء الاسماء فى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء تقتضى الاستغراق واقتران قوله كلها يوجب الشمول فكما علمه اسماء المخلوقات علمه اسماء الحق تعالى فاذا كان تخصيصه بمعرفة اسماء المخلوقات يقتضى ان يصح سجود الملائكة له فما الظن بتخصيصه بمعرفة اسماء الحق وما الذى يوجب له (ثم عرضهم على الملائكة) اى عرضها اى المسميات وانما ذكر الضمير لان فى المسميات العقلاء فغلبهم والعرض اظهار الشئ للغير ليعرف العارض منه حاله وفى الحديث انه عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها والحكمة فى التعليم والعرض تشريف آدم واصطفاؤه واظهاره الاسرار والعلوم المكنونة فى غيب علمه تعالى على لسان من يشاء من عباده وهو المعلم المكرم آدم الصفى كيلا يحتج الملك وغيره بعلمه ومعرفته وذلك رحمة الله التى وسعت كل شئ (فقال) الله عز وجل تبكيتا وتعجيزا للملائكة وخطاب التعجيز جائز وهو الامر باتيان الشئ ولم يكن اتيانه مرادا ليظهر عجز المخاطب وان كان ذلك محالا كالامر باحياء الصورة التى يفعلها المصورون يوم القيامة ليظهر عجزهم ويحصل لهم الندم ولا ينفعهم الندم (انبئونى) اى اخبرونى (باسماء هؤلاء) الموجودات (ان كنتم صادقين) فى زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبىء عنه مقالكم ويقال هذه الآية دليل على ان اولى الاشياء بعد علم التوحيد تعلم علم اللغة لانه تعالى أراهم فضل آدم بعلم اللغة ودلت ايضا ان المدعى يطالب بالحجة فان الملائكة ادعوا الفضل فطولبوا بالبرهان وبحثوا عن الغيب فقرعوا بالعيان اى لا تعلمون اسماء ما تعاينون فكيف تتكلمون فى فساد من لا تعاينون فيا ارباب الدعاوى اين المعانى ويا ارباب المعرفة اين المحبة ويا ارباب المحبة اين الطاعة قال ابو بكر الواسطى من المحال ان يعرفه العبد ثم لا يحبه ومن المحال ان يحبه ثم لا يذكره ومن المحال ان يذكره ثم لا يجد حلاوة ذكره ومن المحال ان يجد حلاوة ذكره ثم يشتغل بغيره (قالوا) استئناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه اولا فقيل قالوا (سبحانك) اى نسبحك عما لا يليق بشأنك الاقدس من الامور التى من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وهى كلمة تقدم على التوبة قال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك انى كنت من الظالمين وسبحان اسم واقع موقع المصدر لا يكاد يستعمل الا مضافا فاذا افرد عن الاضافة كان اسما علما للتسبيح لا ينصرف للتعريف والالف والنون فى آخره (لا علم لنا الا ما علمتنا) اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة لنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا

مستعدين لذلك لا فضته علينا وما مصدرية اى الاعلما علمتناه ومحله رفع بدل من موضع لاعلم كقولك لااله الاالله (انك انت) ضمير فصل لامحل له من الاعراب (العليم) الذى لايخفى عليه خافية وهذه اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى انى اعلم مالاتعلمون (الحكيم) المحكم لمبتدعاته والذى لايفعل الامافيه حكمة بالغة وافادت الآية ان العبد ينبغى له ان لايغفل عن نقصانه وعن فضل الله واحسانه ولا يأنف ان يقول لااعلم فيما لايعلم ولايكتم فيما يعلم وقالوا لاادرى نصف العلم وسئل ابو يوسف القاضى عن مسألة فقال لاادرى فقالوا له ترتزق من بيت المال كل يوم كذا كذا ثم تقول لاادرى فقال انما ارتزق بقدر علمى ولو اعطيت بقدر جهلى لم يسعنى مال الدنيا (وحكى) ان عالما سئل عن مسألة وهو فوق المنبر فقال لاادرى فقيل له ليس المنبر موضع الجهال فقال انما علوت بقدر علمى ولو علوت بقدر جهلى لبلغت السماء (قال) استئناف ايضا (يا آدم انبئهم) اى أعلمهم (باسمائهم) التى عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصير هممهم عن بلوغ مرتبتها (فلما انبأهم باسمائهم) روى انه رفع على منبر وامر ان ينبئ الملائكة بالاسماء فلما انبأهم بها وهم جلوس بين يديه وذكر منفعة كل شئ (قال) الله تعالى (ألم أقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض) والاستفهام للتقرير اى قد قلت لكم انى اعلم ماغاب فيهما ولادليل عليه ولاطريق اليه (واعلم ماتبدون) تظهرون من قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها الآية (وما كنتم تكتمون) تسرون من قولكم لن يخلق الله خلقا اكرم عليه منا وهو استحضار لقوله تعالى انى اعلم مالاتعلمون لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى كما علم ماخفى عليهم من امور السموات والارض وماظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم مالايعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى من السؤال وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وهذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة لان الملائكة اكثر عبادة من آدم ومع ذلك لم يستحقوا الخلافة وتدل على ان العلم شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وان آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون فالعلم اشرف جوهرا ولكن لابد للعباد من العبادة مع العلم فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة الثمرة فالشرف للشجرة وهو الاصل لكن الانتفاع بثمرتها وفى حديث ابى ذر رضى الله عنه حضور مجلس علم افضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل يارسول الله اومن قراءة القرءان قال وهل ينفع القرءان الابالعلم (قال فى المثنوى) خاتم ملك سليمانست علم * جمله عالم صورت وجانست علم * وفى الحديث النظر الى وجه الوالد عبادة والنظر الى الكعبة المكرمة عبادة والنظر فى المصحف عبادة والنظر فى وجه العالم عبادة من زار عالما فكانما زارنى ومن صافح عالما فكانما صافحنى ومن جالس عالما فكانما جالسنى ومن جالسنى فى الدنيا اجلسه الله معى يوم القيامة وفى الحديث من اراد ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فو الذى نفس محمد بيده مامن متعلم يختلف اى يذهب ويجيئ الى باب العالم الا يكتب الله له بكل قدم عبادة سنة ويبنى بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الارض والارض تستغفر له ويمسى ويصبح مغفورا له وفى التأويلات النجمية وعلم آدم الاسماء كلها الاسماء على ثلاثة اقسام قسم منها اسماء الروحانيات والملكوتيات وهى مقام الملائكة ومرتبتهم فلهم علم ببعضها واستعداد ايضا لان ينبأوا بما لاعلم لهم به فان الروحانيات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا والقسم الثانى منها اسماء الجسمانيات وهى مرتبة دون مرتبتهم فيمكن انباؤهم لان الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة الينا فانها مرتبة دون مرتبة الانسان فيمكن للانسان الانباء باحوالها والقسم الثالث منها الالهيات وهى مرتبة فوق مرتبة الملائكة كما قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم فلا يمكن للانسان ان ينبئهم بها ولا يمكن لهم الانباء فوق ماعلمهم الله منها لانها غيب وليس لهم الترقى الى عالم الغيب وهو عالم الجبروت وهم اهل الملكوت ولهم مقام معلوم لايتجاوزون عنه كما قال جبريل عند سدرة المنتهى لو دنوت انملة لاحترقت وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء لانه خلاصة العالم وكان روحه بذر شجرة العالم وشخصه ثمرة شجرة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام ما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة كما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على اعلى الشجرة كذلك آدم عبر على اجزاء شجرة الموجودات علوها وسفلها وكان فى كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فسمى كل شئ منها باسم يلائم تلك المنفعة والمضرة بعلم علمه الله تعالى وهذا من جملة ما كان الله يعلم من آدم والملائكة لايعلمون وكان من كمال حال

آدم أن اسماء الله تعالى جاءت على منفعته ومضرته فضلا عن اسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا
ولما كان مرزوقا كان الله رازقا ولما كان عبدا كان الله معبودا ولما كان معيوبا كان الله ستارا ولما كان مذنبا
كان الله غفارا ولما كان تائبا كان الله توابا ولما كان منتفعا كان الله نافعا ولما كان متضررا كان الله ضارا ولما
كان ظالما كان الله عدلا ولما كان مظلوما كان الله منتقما فعلى هذا قس الباقى (واذقلنا) اى اذكر
يا محمد وقت قولنا (للملائكة) اى لجميعهم لقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون (اسجدوا لآدم) اى
خروا له والسجود فى الاصل تذلل مع تطامن وفى الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعى
فالمسجود له فى الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه واما المعنى اللغوى وهو التواضع
لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان
حين اراد أن يسجد له لا ينبغى لمخلوق أن يسجد لاحد الا الله تعالى ولو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة
ان تسجد لزوجها فتحية هذه الامة هى السلام لكن يكره الانحناء لانه يشبه فعل اليهود كما فى الدرر وكان هذا
القول الكريم بعد انبائهم بالاسماء قيل لما خلق آدم اشكل عليهم ان آدم اعلم ام هم فلما سألهم عن الاسماء
فلم يعرفوا وسأل آدم فاخبر بها ظهر لهم ان آدم اعلم منهم ثم اشكل عليهم انه افضل ام هم فلما امرهم بالسجود
ظهر لهم فضله ومن لطف الله تعالى بنا ان امر الملائكة بالسجود لأبينا ونهانا عن السجود لغيره فقال لاتسجدوا
للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن نقل الملائكة المقربين الى آدم وسجدته ونقلنا الى سجدته وخدمته
وفى التأويلات النجمية فى قوله اسجدوا ثلاثة معان احدها انكم تسجدون لله بالطبيعة الملكية والروحانية
فاسجدوا لآدم خلافا للطبيعة بل اعبدوا وارقوا انقيادا للامر وامتثالا للحكم والثانى اسجدوا لآدم تعظيما لشأن
خلافته وتكريما لفضيلته المخصوصة به وذلك لان الله تعالى يتجلى فيه فمن سجد له فقد سجد لله كما قال تعالى
فى حق حبيبه عليه السلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله والثالث اسجدوا لآدم اى لاجل آدم وذلك
لان طاعتهم وعبادتهم ليست بموجبة لثوابهم وترقى درجاتهم وفائدتها راجعة الى الانسان لمعنيين احدهما
ان الانسان يقتدى بهم فى الطاعة ويتأدب بآدابهم فى امتثال الاوامر وينزجر عن الاباء والاستكبار كيلا
يلحق به اللعن والطرد كما لحق بابليس ويكون مقبولا محمودا مكرما كما كان الملائكة فى امتثال الامر لقوله تعالى
لايعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون والثانى ان الله تعالى من كمال فضله ورحمته مع الانسان جعل
همة الملائكة فى الطاعة والتسبيح والتحميد مقصورة على استعداد المغفرة للانسان كما قال تعالى والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض فلذلك امرهم بالسجود لاجلهم وليستغفروا لهم (فسجدوا)
اى سجد الملائكة لانهم خلقوا من نور كما قال عليه السلام خلقت الملائكة من نور والنور من شأنه الانقياد
والطاعة واول من سجد جبرائيل فاكرم بانزال الوحى على النبيين وخصوصا على سيد المرسلين ثم ميكائيل
ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة وقيل اول من سجد اسرافيل فرفع رأسه وقد ظهر كل القرآن مكتوبا
على جبهته كرامة له على سبقه الى الائتمار والفاء فى قوله فسجدوا لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم
فى ذلك (الا ابليس) اى ماسجد لانه خلق من النار والنار من شأنها الاستكبار وطلب العلو طبعا وللعلماء
فى هذا الاستثناء قولان الاول انه استثناء متصل لان ابليس كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة
مغمورا بهم متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه فى قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم واكثر المفسرين
على ان ابليس من الملائكة لان خطاب السجود كان مع الملائكة قال البغوى وهو اصح قال فى التيسير
اما وصف الملائكة بانهم لايعصون ولايستكبرون فذلك دليل تصور العصيان منهم ولولا التصور
لما مدحوا به لكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف وطاعة البشر تكلف ومتابعة الهوى منهم طبع
ولا يستنكر من الملائكة تصور العصيان فقد ذكر من هاروت وماروت ماذكر (قال فى المثنوى)
امتحان مى كردشان زير وزبر * كى بود سرمست را زينها خبر * والقول الثانى انه منقطع لانه لم يكن
من الملائكة بل كان من الجن بالنص قال تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه وعن الحافظ ان الجن والملائكة
جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (ابى) اى امتنع
عما امر به من السجود والاباء امتناع باختيار (واستكبر) اى تعظم واظهر كبره ولم يتخذه وصلة فى عبادة ربه

اوتعظيمه وتلقيه بالتحية والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اى بالتزين بالباطل وبمالبس له وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره (قال فى المثنوى) اين تكبر جيست غفلت ازلباب * منجمد چون غفلت يخ زآفتاب * چون خبر شد زآفتابش يخ نماند * نرم كشت وكرم كشت وتيز راند * قالوا لما سجد الملائكة امتنع ابليس ولم يتوجه الى آدم بل ولاه ظهره وانتصب هكذا الى ان سجدوا وبقوا فى السجود مائة سنة وقيل خمسمائة سنة ورفعوا رؤسهم وهو قائم معرض لم يندم من الامتناع ولم يعزم على الاتباع فلما رأوه عدل ولم يسجد وهم وفقوا للسجود سجدوا لله تعالى ثانيا فصار لهم سجدتان سجدة لآدم وسجدة لله تعالى وابليس يرى مافعلوه وهذا اباؤه فغير الله تعالى صفته وحالته وصورته وهيئته ونعمته فصار أقبح من كل قبيح قال الله تعالى ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابانفسهم قال بعضهم جعل ممسوخا على مثال جسد الخنازير ووجهه كالقردة وللشيطان نسل وذريته والممسوخ وان كان لايكون له نسل لكن لما سأل النظرة وانظر صار له نسل وفى الخبر قيل له من قبل الحق اسجد لقبر آدم أقبل توبتك واغفر معصيتك فقال ماسجدت لقالبه وجثته فكيف اسجد لقبره وميتته وفى الخبر ان الله تعالى يخرجه على رأس مائة ألف سنة من النار ويخرج آدم من الجنة ويأمره بالسجود لآدم فيأبى ثم يرد الى النار (وكان من الكافرين) اى فى علم الله تعالى اوصار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لايحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوصل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين لابترك الواجب وحده ومذهب اهل السنة ان الشقى قد يسعد والسعيد قد يشقى فالكافر اذا اسلم كان كافرا الى وقت اسلامه وانما صار مسلما باسلامه الا انه غفر له ماسلف والمسلم اذا كفر والعياذ بالله كان مسلما الى ذلك الوقت الا انه حبط عمله ثم انما قال من الكافرين ولم يكن حينئذ كافر غيره لانه كان فى علم الله ان يكون بعده كفار فذكر انه كان من الكافرين اى من الذين يكفرون بعده وهذا كما فى قوله فتكونا من الظالمين ومن فوآئد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض فى سره وان الامر للوجوب وان الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهى مسألة الموافاة اى اعتبار تمام العمر الذى هو وقت الوفاة فاذا كان العبرة بالخاتمة فليسارع العبد الى الطاعات فكل ميسر لما خلق له خصوصا فى آخر السنة وخاتمتها كى يختم له الدفتر بالعمل الصالح قالت رابعة العدوية لسفيان الثورى رحمهما الله انما انت ايام معدودة فاذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك اذا ذهب البعض ان يذهب الكل وانت تعلم فاعمل واعتبر ولاتقل ذهب لى درهم ودينار وسقط لى مال وجاه بل قل ذهب يومى ماذا عملت فيه فان باليوم ينقضى العمر واحتضر عابد فقال ماتأسفى على دار الاحزان وانما تأسفى على ليلة نمتها ويوم افطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى وعن العلاء بن زياد قال ليس يوم يأتى من ايام الدنيا الا يتكلم ويقول ياايها الناس انى يوم جديد وانا على مايعمل فى شهيد وانى لوغربت شمسى لم ارجع اليكم الى يوم القيامة قيل يارسول الله من خير الناس قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وخيف شره ولم يرج خيره قال الحسن لجلسائه يامعشر الشيوخ ماينتظر بالزرع اذا بلغ قالوا الحصاد قال يامعشر الشباب فان الزرع قد تدركه الآفة قبل ان يبلغ وانشد بعضهم

الا مهد لنفسك قبل موت * فان الشيب تمهيد الحمام
وقد جد الرحيل فكن مجدا * لحط الرحل فى دار المقام

وعن الحسن قال ابن آدم لاتحمل هم سنة على يوم كفى يومك بمافيه فان تكن السنة من عمرك يأتك الله فيها برزقك والاتكن من عمرك فاراك تطلب ماليس لك وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال ماطلعت شمس الاوبجنبتيها ملكان يناديان وانهما ليسمعان من على ظهر الارض غير الثقلين ياايها الناس هلموا الى ربكم ان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى وماغربت شمس قط الا وبجنبتيها ملكان يناديان وانهما ليسمعان من على ظهر الارض غير الثقلين اللهم عجل لمنفق خلفا وعجل لممسك تلفا (قال فى المثنوى) نان دهى ازبهر حق نانت دهند * جان دهى ازبهر حق جانت دهند (وقلنا ياآدم اسكن انت) قال القرطبى فى تفسيره لاخلاف ان الله تعالى

اخرج ابليس عند كفره وابعده عن الجنة و بعد اخراجه قال يا آدم اسكن اى لازم الاقامة واتخذها مسكنا وهو محل السكون وليس المراد به ضد الحركة بل اللبث والاستقرار (وزوجك) حوآء يقال للمرأة الزوج والزوجة والزوج افصح كما فى تفسير ابى الليث وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له (الجنة) هى دار الثواب باجماع المفسرين خلافا لبعض المعتزلة والقدرية حيث قالوا المراد بالجنة بستان كان فى ارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم واولوا الهبوط بالانتقال منه الى ارض الهند كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا وفيه نظر لان الهبوط قد يستعار للانتقال اذا ظهر امتناع حقيقته واستبعادها وهنا ليس كذلك واختلفوا فى خلقة حوآء هل كانت قبل دخول الجنة او بعده ويدل على الاول ماروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحوآء على سرير من الذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ والزمرد وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخلوهما الجنة ويدل على الثانى ماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه لما خلق الله الجنة واسكن فيها آدم بقى فيها وحده فألقى الله عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من الجانب الايسر ووضع مكانه لحما فخلق منه حوآء ومن الناس من قال لا يجوز ان يقال خلقت حوآء من ضلع آدم لانه يكون نقصانا منه ولا يجوز القول بنقص الانبياء قلنا هذا نقص منه صورة تكميل له معنى لانه جعلها سكنه وازال بها وحشته وحزنه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فسألها من انت فقالت انى امرأة فقال ولم خلقت قالت لتسكن الى واسكن اليك فقالت الملائكة يا آدم ما اسمها قال حوآء قالوا ولم قال لانها خلقت من حى اولانها اصل كل حى اولانها كانت فى ذقنها حوة اى حمرة مائلة الى السواد وقيل فى شفتها وسميت مرأة لانها خلقت من المرء كما ان آدم سمى بآدم لانه خلق من اديم الارض وعاشت بعد آدم سبع سنين وسبعة اشهر وعمرها تسعمائة سنة وسبع وتسعون سنة واعلم ان الله تعالى خلق واحدا من أب دون ام وهو حوآء وآخر من ام دون أب وهو عيسى وآخر من اب وام اى اولاد آدم وآخر من غير اب وام اى آدم فسبحان من اظهر من عجائب صنعه ما يتحير فيه العقول ثم اعلم ان الله تعالى خلق حوآء لامر تقتضيه الحكمة ليدفع آدم وحشته بها لكونها من جنسه وليبقى الذرية على ممر الازمان والايام الى ساعة القيام فان بقاءها سبب لبعثة الانبياء وتشريع الشرائع والاحكام ونتيجة لامر معرفة الله فان الله تعالى خلق الخلق لاجلها وفى الزوجية منافع كثيرة دينية ودنيوية واخروية ولم يذكر الله تعالى فى كتابه من الانبياء الا المتزوجين وقالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج لنيل الفضل واقامة السنة ولكن لم يجامع لكون ذلك عزيمة فى تلك الشريعة ولذلك مدحه الله بكونه حصورا وفى الاشباه ليس لنا عبادة شرعت من عهد آدم الى الآن ثم تلك العبادة لاتستمر فى الجنة الا الايمان والنكاح قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من المتأهل افضل من سبعين ركعة من عزب هذا كله لكون التزوج سببا لبقاء النسل وحفظا من الزنى والترغيب فى النكاح يجرى الى ما يجاوز المائة الاولى من الالف الثانى كما قال عليه السلام اذا اتى على امتى مائة وثمانون سنة بعد الالف فقد حلت العزوبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وذلك لان الخلق فى المائتين اهل الحرب والقتل فتربية جرو حينئذ خير من تربية ولد ولو ان تلد المرأة حية خير من ان تلد الولد (كما قال السعدى) زنان باردار اى مرد هشيار * اكر وقت ولادت مار زايند * از ان بهتر بنزديك خردمند * كه فرزندان ناهموار زايند * (وكلا منها) اى من ثمار الجنة وجه الخطاب اليهما ايذانا بتساويهما فى مباشرة المأمور به فان حوآء اسوة له فى الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيها ثم معنى الامر بهذا والشغل به مع انه اختصه واصطفاه وللخلافة ابداه انه مخلوق والذى يليق بالخلق هو السكون بالخلق والقيام باستجلاب الحظ (رغدا) اى اكلا واسعا رافها بلا تقدير وتقتير (حيث شئتما) اى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر فى التناول من الشجرة المنهى عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر (ولا تقربا) بالاكل ولو كان النهى عن الدنو لضمت الرآء (هذه الشجرة) الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتأويلها بمشتق اى هذه الحاضرة من الشجر اى لاتأكلا منها وانما علق النهى بالقربان منها مبالغة فى تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها البر والسنبلة وهو الاشهر والاجمع والانسب عند الصوفية لان النوع الانسانى ظهر فى دور السنبلة وعليها من كل لون وثمرها احلى من العسل وألين من الزبد واشد

بياضا من الثلج كل حبة من حنطتها مثل كلية البقر وقد جعلها الله رزق اولاده فى الدنيا ولذلك قيل تناول سنبلة فابتلى بحرث السنبلة اوالمراد الكرم ولذلك حرمت علينا اوالتين ولهذا ابتلاه الحق بلباس ورقها كما ابتلاه بثمرها وهو البلاء الحسن وقيل غير ذلك والاولى عدم تعيينها لعدم النص القاطع (فتكونا من الظالمين) مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهى والمعنى على الاول لا يكن منكما قربان الشجرة وكونكما من الظالمين وعلى الثانى ان تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين واياما كان فالقرب اى الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية اونقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم اوتعدوا احدود الله قال القرطبى قال بعض ارباب المعانى فى قوله ولا تقربا اشعار بالوقوع فى الخطيئة والخروج من الجنة وان سكناهما فيها لا يدوم لان الخلد لا يحظر عليه شئ ولا يؤمر ولا ينهى والدليل على هذا قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة فدل على خروجه منها قال الشيخ نجم الدين قدس سره ان آدم خاطبه مولاه خطاب الابتلاء والامتحان والنهى نهى تعزز ودلال كأنه قال يا آدم ابحت لك الجنة ومافيها الا هذه الشجرة فانها شجرة المحبة والمعرفة والمحبة مطية المحنة وأن منعه منها كان تحريضا على تناولها فان الانسان حريص على ما منع فسكنت نفس آدم الى حواء والى الجنة ومافيها الا الى الشجرة المنهى عنها لانها كانت مشتهى القلب وكان للنفس فيها حظ ولا يزال يزداد توقانه اليها فيقصدها حتى تناول منها فظهر سر الخلافة والمحبة والمحنة والتحقق بمظاهر الجمال والجلال كالتواب والغفور والعفو والقهار والستار والحاصل انه لما علم الله تعالى انه يأكل من الشجرة نهاه ليكون أكله عصيانا يوجب توبة ومحبة وطهارة من تلوث الذنب كما قال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاورثه ذلك النهى عن اكل الشجرة عصيانا بسبب النسيان ثم توبة بسبب العصيان ثم محبة بسبب التوبة ثم طهارة بسبب المحبة كما ورد فى الخبر اذا احب الله عبدا لم يضره الذنب اى حفظه من الذنب واذا وقع فيه وفقه للتوبة والندامة وكل زلة عاقبتها التوبة والتشريف والاجتباء فقيل هى زلة تنزيه واستحقاق آدم اللوم بالنهى التنزيهى من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين قال مرجع طريقتنا الجلوتية الشيخ الشهير بالهدآئى قدس سره المراد بالدعوة الى الجنة الدعوة الى مقام الروح فى وجود بنى آدم كأنه قال لقلب الانسان يا آدم القلب اسكن انت وزوجك وهى النفس الانسانية فى الروح بالطاعات والعبادات وكلا منها رغدا اى كلا من المعارف الالهية لان الروح مقام المعرفة التى تحصل بسبب الطاعات والعبادات حيث شئتما اى على احبيتما من الخيرات والصالحات ولا تقربا هذه الشجرة اى شجرة المخالفة فان هذا الخطاب لما كان يشمل عامة العباد الى يوم القيامة لم ينحصر فى آدم وحوآء عليهما السلام فينبغى للمؤمن ان يترقى الى الله تعالى بسبب الطاعات والعبادات ويجتنب عن المخالفات حتى لا يقع فى المهالك والدركات (قال فى المثنوى) * داروى مرى بخور اندر عمل * تاشوى خورشيد كرم اندر حمل * جهد كن تانور تورخشان شود * تاسلوك وخدمتت آسان شود * تاجلا باشد مرين آينه را * كه صفا آيد زطاعت سينه را * (فازلهما الشيطان عنها) اى اذهب آدم وحوآء وابعدهما عن الجنة يقال زل عن كذا اذا ذهب والازلال الازلاق والزلة بالفتح الخطأ وهو الزوال عن الصواب من غير قصد والمقصود حملهما على الزلة بطريق التسبب وهو بالوسوسة وبالغرور والدعاء فان قلت ابليس كافر والكافر لا يدخل الجنة فكيف دخل هو قلت منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحوآء (فاخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والكرامة ولم يقصد ابليس اخراج آدم من الجنة وانما قصد اسقاطه من مرتبته وابعاده كما ابعد فلم يبلغ مقصده قال الله تعالى فتاب عليه وهدى قال الشيخ صدر الدين قدس سره فى الفكوك لما سمع آدم قول ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين صدقه هو وزوجته وهذه القضية تشتمل على امرين مشكلين لم ار احدا تنبه لهما ولا اجابنى احد من اهل العلم الظاهر والباطن عنهما وهو انه عليه السلام بعد سجود الملائكة له باجمعهم ومشاهدته تر جحانه عليهم بذلك وبعلم الاسماء والخلافة ووصية الحق له كيف اقدم على المخالفة وتشوف بقول ابليس الا ان تكونا ملكين وكيف لم يعلم ايضا ان من دخل الجنة المعرفة بلسان الشريعة لم يخرج منها وان النشأة الجنانية لا تقبل الكون والفساد فهى لذاتها تقتضى الخلود وكان هذه الحال تدل دلالة واضحة

على ان الجنة التى كان فيها ليست الجنة التى عرضها السموات والارض والتى ارضها الكرسى الذى هو الفلك الثامن وسقفها عرش الرحمن فان تلك الجنة لا يخفى على من دخلها انها ليست محل الكون والفساد ولا ان يكون نعيمها موقتا تمكن الانقطاع فان ذلك المقام يعطى بذاته معرفة ما تقتضيه حقيقته وهو عدم انقطاع نعيمها بموت اوغيره كما قال الله تعالى عطاء غير مجذوذ اى غير منقطع ولا ممنوع فافهم فحال آدم وحوآء فى هذه القضية كحال بنى اسرآئيل الذين قال الله فى حقهم اتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم الآية ولهذه المناسبة والمشاركة اردف الحق قصة آدم فى سورة البقرة بقصة موسى وبنى اسرآئيل مع ما بينهما من طول المدة فراعى سبحانه فى ذلك المضاهاة فى الفعل والحال دون الزمان فهذا من اسرار القرءآن انتهى كلام الشيخ فان قلت ما الحكمة فى ان الله تعالى لم يخلق الانسان فى الجنة ابتدآء ولم ابتلاه بالخروج الى الدنيا قلت تعظيم النعم على العباد واجب فلو لم يخلقوا فى الدنيا ابتدآء ما عرفوا قدر الجنة وقيل ليكونوا فى الجنة على الجزاء لا على الابتداء وليأمنوا الزوال وقيل خلقنا فى الدنيا ليميز الله الخبيث من الطيب والمطيع من المخالف لاقتضاء الصفات الجلالية لان الجنان ليست من مظاهر الجلال ولو خلقنا وبقينا فى الجنة لما ظهر فينا صفات الجلال كما لم تظهر فى الملك فالحكمة الالهية اقتضت خلق الانسان فى الدنيا وظهور المخالفة منه ليظهر فيه الرحمة والغفران فلو بقى آدم فى الجنة لفاته نصف الكمال الذى هو التجليات القهرية فخرج ليتحقق بمظاهر اسماء الجمال والجلال ثم يرد الى عالم الجنان كاملا مكملا بانواع الفضائل والكمالات والمقصود ايضا كما سبق تميز الخبيث من الطيب وقد قدر الله تعالى ان يخرج من صلبه سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم واخوانه من الانبياء والاولياء والمؤمنين وخمر طينته بتراب كل مؤمن وعدو فاخرجه الى الدنيا ليخرج من ظهره الذين لا نصيب لهم فى الجنة قال الشيخ الكامل المكمل على رده فى هامش كشف الكنوز وحل الرموز وهو كتاب فريد فى فنه وجدت تذكرة السؤال من بعض الملاحدة على كرسى سيدى ابن نور الدين فى مجلس وعظ بجامع ايا صوفيه (من كلام خواجه حافظ شيرازى) * من ملك بودم وفردوس برين جايم بود * آدم اورد درين دير خراب آبادم * فاجاب الشيخ بديهة وفهم مراد الملحد عن السؤال فقال انت اخرجت آدم من الجنة حيث هجمت فى صلبه باستعداد الفساد والالحاد ولو لم يخرج ابونا ادم لبقيت الملاحدة والفجرة فى الجنة فاقتضت غيرة الحق خروجه وسئل ابو مدين قدس سره عن خروج ادم من الجنة على وجه الارض ولم تعدى فى اكل الشجرة بعد النهى فقال لو كان ابونا يعلم انه يخرج من صلبه مثل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لصار يأكل عرق الشجرة فكيف ثمرها ليسارع فى الخروج على وجه الارض ليظهر الكمال المحمدى والجمال الاحمدى وسأل خليل الرحمن صلوات الله على نبينا وعليه فقال يارب لم اخرجت ادم فقال اما علمت ان جفاء الحبيب شديد وقال مرجع طريقتنا الجلوتية الشيخ الشهير بافتاده افندى سر خروج ادم من الجنة انه رأى مرتبة من مراتب التوحيد اعلى من مرتبته التى هو فيها فسألها من الله تعالى فقيل له لا تصل اليها الا بالبكاء فاحب آدم ان يبكى فقيل ان الجنة ليست موضع البكاء بل هى موضع السرور فطلب ان ينزل الى الدنيا فكون ما صدر عنه ذنبا بالنسبة اليه باعتبار قصور مرتبته عن المرتبة المطلوبة على نهج حسنات الابرار سيئات المقربين كذا فى واقعات الهدآئى قال الشيخ نجم الدين قدس سره والاشارة ان ادم عليه السلام اصبح محمول العناية مسجود الملائكة متوجا بتاج الكرامة ملبسا بلباس السعادة فى وسطه نطاق القربة وفى جيده طوق الزلفة لا احد فوقه فى الرتبة ولا شخص معه فى الرتبة يتوالى عليه النداء كل لحظة يا ادم فلما جاء القضاء ضاق الفضاء (قال فى المثنوى) * چون قضا آيد رود دانش بخواب * مه سيه كردد بكيرد آفتاب * فلم يمس حتى نزع لباسه وسلب استئناسه تدفعه الملائكة بعنف ان اخرج بغير مكث ولا بحث فازلهما يد التقدير بحسن التدبير عنها اى عن تلك العزة والقرابة وكان الشيطان المسكين فى هذا الامر كذئب يوسف لما اخذ بالجناية ولطخ فمه بدم كذب واخوته قد ألقوه فى غيابة الجب فاخذ الشيطان لعدم العناية ولطخ خرطومه بدم نصح كذب فاخرجهما مما كانا فيه من السلامة الى الملامة ومن الفرح الى الترح ومن النعمة الى النقمة ومن المحبة الى المحنة ومن القربة الى الغربة ومن الالفة الى الكلفة ومن الوصلة الى الفرقة وكان قبل اكل الشجرة مستأنسا بكل شئ ومؤانسا مع كل احد ولذلك سمى انسانا

فلما ذاق شجرة المحبة استوحش من كل شئ واتخذ كل احد عدوا وهكذا شرط صحة المحبة عداوة ماسوى المحبوب فكما أن ذات المحبوب لايقبل الشركة فى التعبد كذا لا يقبل الشركة فى المحبة ولهذا قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو وكذا كان حال الخليل فى البداية يتعلق بالكوكب والقمر والشمس ويقول هذا ربى فلما ذاق شجرة الخلة قال لا احب الآفلين انى برئ مما تشركون فانهم عدو لى الارب العالمين (وقلنا اهبطوا) خطاب لآدم وحوآء وجمع الضمير لانهما اصلا الجنس فكانهما الجنس كله وقيل هو لهما وخامسهم الطاوس وهذا الامر وان انتظمهم فى كلمة فما كان هبوطهم جملة بل هبط ابليس حين لعن وهبوط آدم وحوآء كان بعده بكثير الا ان يحمل على أن ابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة ودلت كلمة اهبطوا على انهما كانا فى جنة الخلد حيث امرا بالانحدار وهو النزول من علو الى سفل وقد سبق فى الآيات السابقة ما سبق قال القرطبى فى تفسيره ان الصحيح فى اهباطه وسكناه فى الارض ماقد ظهر من الحكمة الازلية فى ذلك وهى نثر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الاخروى اذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف فكانت تلك الاكلة سبب اهباطهما من الجنة فاخرجهما لانهما خلقا منها وليكون آدم خليفة الله فى الارض ولله أن يفعل مايشاء وقد قال انى جاعل فى الارض خليفة وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة انتهى كلام القرطبى فهبوطه من الجنة هبوط التشريف والامتحان والتميز بين قبضتى السعادة والشقاوة لان ذلك من مقتضيات الخلافة الالهية على ما فى كشف الكنوز واكثر المفسرين على أن المعنى انزلوا استخفافا بكم لكن القول ماقالت حذام قال المولى الشهير بابن الكمال فى رسالة القضاء والقدر عتاب آدم عليه السلام فى قوله تعالى ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب تلطيف لاعتاب تعنيف وتعذيب وتنزيله من السماء الى الارض بقوله اهبطوا (منها جميعا) تكميل وتبعيد تقريب كما فى قول الشاعر سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها عن الواو بالضمير اى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله والعدو يصلح للواحد والجمع ولهذا لم يقل اعداء فابليس عدو لهما وهما عدو لابليس والحية عدو لبنى آدم وهم عدوها هى تلسعهم وهم يدمغونها وابليس يفتنهم وهم يلعنونه وكذا العداوة بين ذرية آدم وحوآء بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين والعداوة مع ابليس دينية فلا ترتفع مابقى الدين والعداوة مع الحية طبيعية فلا ترتفع مابقى الطبع ثم هذه عداوة تأكدت بيننا وبينهم لكن حزبا يكون الله معهم كان الظفر لهم ثم قوله بعضكم لبعض عدو اخبار عن كونه اى التعادى لا امر بتحصيله ولما قال بعضكم لبعض عدو قال آدم الحمد لله حيث لم يقل أنا لكم عدو والعدو هو المجاوز حده فى مكروه صاحبه (ولكم فى الارض مستقر) اى موضع قرار على وجهها او فى القبور ثم المستقر ثلاثة رحم الام قال تعالى فمستقر ومستودع اودع فى صلب الاب واستقر فى رحم الام والثانى الدنيا قال تعالى ولكم فى الارض مستقر والثالث العقبى امافى الجنة قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واما فى النار قال تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما الآية (ومتاع) اى تمتع بالعيش وانتفاع به (الى حين) الى آخر اعماركم وهو حين الموت او الى القيامة قال بعض العلماء فى قوله تعالى الى حين فائدة لآدم عليه السلام ليعلم انه غير باق فيها ومنتقل الى الجنة التى وعد بالرجوع اليها وهى لغير ادم دالة على المعاد فحسب ولما اهبطوا وقع آدم بارض الهند على جبل سرنديب ولذلك طابت رائحة اشجار تلك الاودية لما معه من ريح الجنة وكان السحاب يمسح رأسه فاصلع فاورث اولاده الصلع ووقعت حوآء بجدة وبينهما سبعمائة فرسخ والطاووس بمرج الهند والحية بسجستان او باصفهان وابليس بسد يأجوج ومأجوج وسجستان اكثر بلاد الله حيات ولولا العربد تأكلها وتفنى كثيرا منها لاخليت سجستان من اجل الحيات وكانوا فى احسن حال فابتلى آدم بالحرث والكسب وحوآء بالحيض والحبل والطلق ونقصان العقل والميراث وجعل الله قوائم الحية فى جوفها وجعل قوتها التراب وقبح رجلى الطاووس وجعل ابليس باقبح صورة وافضح حالة وكان مكث ادم وحوآء فى الجنة من وقت الظهر الى وقت العصر من يوم من ايام الآخرة وكل يوم من ايامها كالف سنة من ايام الدنيا يذكر أن الحية كانت خادم آدم عليه السلام فى الجنة فخانته بان مكنت عدوه من نفسها واظهرت العداوة له هنالك فلما اهبطوا تأكدت العداوة فقيل لها انت عدو بنى آدم وهم اعداؤك وحيث لقيك منهم احد شدخ رأسك قال عليه السلام اقتلوا الحيات واقتلوا ذات الطفيتين والابتر فانهما يخطفان البصر

ويسقطان الحبل فخصهما بالذكر مع انهما داخلان فى العموم ونبه على ذلك لسبب عظيم ضررهما ومالم يتحقق ضرره فما كان منها فى غير البيوت قتل ايضا لظاهر الامر العام وما كان فى البيوت لايقتل حتى يؤذن ثلاثة ايام لقوله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رأيتم منها شيأ فآذنوه ثلاثة ايام قال ابن الملك فى شرح المشارق والجان لكونه جسما لطيفا يتشكل بشكل الحيات والجان من الحيات التى نهى عن قتلها وهى حية بيضاء صغيرة تمشى ولا تلتوى والصحيح ان النهى عن قتل الحيات ليس مختصا بالمدينة بل ينهى عن قتل حيات البيوت فى جميع البلاد لان الله تعالى قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية والابتر وذات الطفيتين تقتلان من غير اذان سوآء كانتا من حيات المدينة ام لا واذا رأى أحد شيأ من الحيات فى المساكن يقول انشدكم بالعهد الذى اخذه عليكم نوح عليه السلام وانشدكم بالعهد الذى اخذه عليكم سليمان عليه السلام ان لاتؤذونا فاذا رأى منها شيأ بعد فليقتله ومن خاف من مضرة الحية والعقرب فليقرأ سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين فانه يسلم باذن الله تعالى واعلم ان ما كان من الحيوان اصله الاذية فانه يقتل ابتداء لاجل اذيته من غير خلاف كالحية والعقرب والفار والوزغ وشبهها وفى حواشى الخبازى على الهداية قتل الحيوان اما لدفع المضرة اولجلب المنفعة * قال الفقير جامع هذه المجالس الانيقة يدخل فيه قتل نحلة العسل ودود القز ونحوهما اذا لم يمكن جلب منفعتهما بدون القتل فالحية ابدت جوهرها الخبيث حيث خانت آدم بان ادخلت ابليس بين فكيها ولو كانت تنذره ماتركها تدخل به وقال ابليس انت فى ذمتى فامر صلى الله عليه وسلم بقتلها وقال اقتلوها وان كنتم فى الصلاة يعنى الحية والعقرب والوزغة نفخت على نار ابراهيم عليه السلام من بين سائر الدواب فلعنت وفى الحديث من قتل وزغة فكانما قتل كافرا والوزغة من ذوات السموم وتفسد الطعام خصوصا الملح واذا لم تجد طريقا الى افساده ارتقت السقف وألقت خرءها فيه من موضع يحاذيه فجبلتها على الخبث والافساد والفارة ابدت جوهرها بان عمدت الى حبال سفينة نوح عليه السلام فقطعتها والغراب ابدى جوهره حيث بعثه نبى الله نوح عليه السلام من السفينة ليأتيه بخبر الارض فاقبل على جيفة ونزل وكذا الحدأة والسبع العادى والكلب العقور كله فى معنى الحية والامر بقتل المضر من باب الارشاد الى دفع المضرة (قال السعدى) سنك بردست ومار بر سر سنك * خيره رأيى بود قياس ودرنك * وقال ايضا ترحم بر پلنك تيز دندان * ستمكارى بود بر كوسفندان * وفى التأويلات النجمية انه لما استقرت حبة المحبة كالبذر فى قلب آدم جعل الله شخص آدم مستقر قلبه وجعل الارض مستقر شخصه وقال ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين اى التمتع والانتفاع لبذر المحبة بماء الطاعة والعبودية الى حين ادراك ثمرة المعرفة كقوله تعالى تؤتى اكلها كل حين باذن ربها وعلى التحقيق ما كانت ثمرة شجرة المخلوقات الا المعرفة لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون وثمرة المعرفة وان ظهرت على اغصان العبادة ولكن لاتنبت الا من حبة المحبة كما اخبر النبى عليه السلام أن داود عليه السلام قال يارب لماذا خلقت الخلق قال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فثبت ان بذر المعرفة هو المحبة (قال فى المثنوى)

آفتاب معرفت را نقل نيست * مشرق او غير جان وعقل نيست * (فتلقى آدم من ربه كلمات) الفاء للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المأمور به ومن ثمة قال القرطبى ان آدم تاب ثم هبط واليه الاشارة بقوله تعالى اهبطوا ثانيا ومنه يعرف ان الامر بالهبوط ليس للاستخفاف ومشوبا بنوع سخط اذلا سخط بعد التوبة فآدم اهبط بعد ان تاب الله عليه ومعنى تلقى الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها فان قلت ماهى قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية (قال الحافظ) زاهد غرور داشت سلامت نبرد راه * رند از ره نياز بدار السلام رفت * وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان احب الكلام الى الله تعالى ما قال ابونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لايغفر الذنوب الا انت وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان آدم قال بحق محمد ان تغفر لى قال وكيف عرفت محمدا قال لما خلقتنى ونفخت فى الروح فتحت عينى فرأيت على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه اكرم الخلق عليك حتى قرنت اسمه باسمك فقال نعم وغفر له بشفاعته أو الكلمات هى قول آدم عند هبوطه من الجنة يارب ألم تخلقنى بيدك من غير واسطة قال بلى قال يارب ألم تسكنى جنتك

قال بلى قال يارب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يارب ارأيت ان اصلحت ورجعت وتبت أراجعى انت الى الجنة قال نعم فالكلمات هى العهود الانسانية والمواثيق الآدمية والمناجاة الربانية من الخليفة الى حضرة الحق تعالى فتاب آدم الى الله بالرجوع عن المعصية والاعتراف بذنبه والاعتذار لخطاه وسهوه (فتاب عليه) اى فرجع الرب عليه بالرحمة وقبول التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية الى الطاعة واذا وصف به البارى تعالى اريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقى الكلمات المتضمن لمعنى التوبة وتمام التوبة من العبد بالندم على ما كان وبترك الذنب الآن وبالعزم على أن لا يعود اليه فى مستأنف الزمان وبرد مظالم العباد وبارضاء الخصم بايصال حقه اليه باليد والاعتذار منه باللسان واكتفى بذكر ادم عليه السلام لان حوآء كانت تابعة له فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى اكثر القرآن والسنن (انه هو التواب) الرجاع على عباده بالمغفرة اوالذى يكثر اعانتهم على التوبة (الرحيم) المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه (قال فى المثنوى) مركب توبه عجايب مركبست * برفلك تازد بيك لحظه زپست * چون برارنداز پشيمانى انين * عرش لرزد ازانين المذنبين * قال ابن عباس رضى الله عنه بكى آدم وحوآء على مافاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا اربعين يوما ولم يقرب آدم حوآء مائة سنة وقال شهر بن حوشب بلغنى ان آدم لما هبط الى الارض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى قالوا لو أن دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر حيث اصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر حيث اخرجه الله من الجنة (قال فى المثنوى) چون خدا خواهدكه ما يارى كند * ميل مارا جانب زارى كند * اى خنك چشمى كه آن كريان اوست * وى همايون دل كه آن بريان اوست * آخر هر كريه آخر خنده ايست * مرد آخر بين مبارك بنده ايست * باش چون دولاب نالان چشم تر * تاز صحن جان بررويد خضر * فاذا كان حال من اقترف خطيئة دون صغيرة هذا فكيف حال من انغمس فى بحر العصيان والتوبة بمنزلة الصابون فكما ان الصابون يزيل الاوساخ الظاهرة فكذا التوبة تزيل الاوساخ الباطنة والعبد اذا رجع عن السيئة واصلح عمله اصلح الله شانه واعاد عليه نعمته الفائتة عن ابن ادهم بلغنى ان رجلا من بنى اسرائيل ذبح عجلا بين يدى امه فيبست يده فبينما هو جالس اذ سقط فرخ من وكره وهو يتبصبص فاخذه ورده الى وكره فرحمه الله لذلك ورد عليه يده بما صنع ولا ريب أن العمل الصالح يمحو الخطيئات وفى التأويلات النجمية ان اول نبت انبتته امطار الالهامات الربانية من حبة المحبة فى قلب ادم وطينة الانسانية كان نبات ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لانه ابصر بنور الايمان انه ظالم لنفسه اذ أكل حبة المحبة ووقع فى شبكة المحنة والمذلة وان لم يعنه ربه بمغفرته ويقه برحمته لم يتخلص من حضيض بشريته الذى اهبط اليه ويخسر رأس مال استعداد السعادة الازلية ولم يمكنه الرجوع الى ذروة مقام القربة فاستغاث الى ربه وقال ربنا مضطرا وكانت الحكمة فى ابعاده بالهبوط هذا الاضطرار والدعاء فانه يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء فسابقه العناية اخذ بيده وأفاض عليه سجال رحمته فتاب عليه انه هو التواب الرحيم للتائبين فاخرج من نبات الكلمات شجرة الاجتباء واظهر على دوحتها زهرة التوبة وأثمر منها ثمرة الهداية وهى المعرفة كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (قلنا) استئناف مبنى على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا (اهبطوا منها) اى من الجنة (جميعا) نصب على الحال من ضمير الجمع تأكيد فى المعنى للجماعة من آدم وحوآء وابليس والحية والطاووس كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد وكرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع فى امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك ولان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثانى اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فاختلف المقصود وكان يصح لو قرن المعنيان بذكر الهبوط مرة لكن اعترض بينهما كلام وهو تلقيه الكلمات ونيله قبول التوبة فاعاد الاول ليتصل المعنى الثانى به وهو الابتلاء بالعبادة والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية قال فى الارشاد والثانى مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدى الى النجاة والنجاح ومافيه من وعيد

العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو داثر على سوء اختيار المكلفين ثم ان فى الآية دليلا على ان المعصية تزيل النعمة عن صاحبها لان آدم قد اخرج من الجنة بمعصية واحدة وهذا كما قال القائل

اذا تم امر دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم (فاما يأتينكم منى) اى ان يأتينكم والفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به (هدى) اى رشد وبيان شريعة برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم والخطاب فى قوله يأتينكم لآدم والمراد ذريته وابليس وذريته لم يأتهم كتاب ولا رسول ولا يكون منهم اتباع وجواب الشرط هو الشرط الثانى مع جوابه وهو قوله تعالى (فمن تبع هداى) اى اقتدى بشريعتى وكرر لفظ الهدى ولم يضمر بان يقال فمن تبعه لانه اراد بالثانى اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل من الاعتقاديات والعمليات واقتضاه العقل اى فمن تبع ما أتاه من قبل الشرع مراعيا فيه ما يشهد به العقل من الادلة الآفاقية والانفسية (فلا خوف عليهم) فى الدارين من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات مطلوب فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله وهيبته واستقصار الجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين (والذين كفروا) عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه الخ وانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة اى والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم (وكذبوا باياتنا) المنزلة عليهم اوكفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا (اولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب (اصحاب النار) ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها وفى الصحبة معنى الوصلة فسموا اصحابها لاتصالهم بها وبقائهم فيها فكأنهم ملكوها فصاروا اصحابها (هم فيها) اى فى النار (خالدون) دآئمون والجملة فى حيز النصب على الحالية ففى هاتين الآيتين دلالة على ان الجنة فى جهة عالية دل عليه قوله تعالى اهبطوا منها وأن متبع الهدى مأمون العاقبة لقوله تعالى فلا خوف الخ وان عذاب النار دآئم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون فانه يفيد الحصر واعلم ان الشرف فى اتباع الهدى كما قيل سك اصحاب كهف روزى چند * پى نيكان كرفت ومردم شد * فالمؤمن بين ان يطيع الله فيثيبه بالنعيم وبين ان يعصيه فيعاقبه بالجحيم ومن العجب ان الجمادات وغير المكلفين من العباد يخافون عذاب الله ويقومون بحقوق الله ولا يخافه المكلفون كما روى عن مالك بن دينار رحمه الله انه مر يوما على صبى وهو يلعب بالتراب يضحك تارة ويبكى اخرى قال فهممت ان اسلم عليه فامتنعت نفسى تكبرا فقلت يا نفس كان النبى صلى الله عليه وسلم يسلم على الصغار والكبار فسلمت عليه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا مالك بن دينار فقلت من أين عرفتنى ولم تكن رأيتنى فقال حيث التقت روحى بروحك فى عالم الملكوت عرّف بينى وبينك الحى الذى لا يموت فقلت ما الفرق بين العقل والنفس قال نفسك التى منعتك عن السلام وعقلك الذى بعثك عليه فقلت ما بالك تلعب بهذا التراب فقال لانا منه خلقنا واليه نعود فقلت اراك تضحك تارة وتبكى اخرى قال نعم اذا ذكرت عذاب ربى بكيت واذا ذكرت رحمته ضحكت فقلت يا ولدى اى ذنب لك حتى تبكى فقال يا مالك لا تقل هذا فانى رأيت امى لا توقد الحطب الكبار الا ومعه الحطب الصغار (قال فى المثنوى) طفل يك روزه همى داند طريق * كه بكريم تارسد داية شفيق * تونمى دانى كه داية رايكان * كم دهد بى كريه شير اورايكان * كفت فليبكوا كثيرا كوش دار * تا بريزد شير فضل كردكار * والاشارة فى تحقيق الآيتين ان الله تعالى لما ابتلى آدم بالهبوط الى الارض بشره بان الهامه ووحيه لا ينقطع عنه ولا ينقطع عن ذريته هداه بواسطة انبيائه ووحيه وانزال كتبه فاما يأتينكم منى هدى فمن اتاه منهم هدى من الهامى ووحيى ورسولى وكتابى فمن تبع هداى كما تبعه ادم بالتوبة والنوح والبكاء والاستغفار وتربية بذر المحبة بالطاعة والعبودية حتى تثمر التوحيد والمعرفة فلا خوف عليهم فى المستقبل من وبال افساد بذر المحبة من طينة الصفات الحيوانية والسبعية وابطال

استعداد السعادة الابدية باستيفاء التمتعات الدنيوية ولاهم يحزنون على هبوطهم الى الارض لتربية بذر المحبة اذهم رجعوا بتبع الهداية وجذبات العناية الى اعلى ذروة حظائر القدس كما قال تعالى وان الى ربك الرجعى ثم ذكر من كفر بهداه وجعل النار مثواه فقال والذين كفروا اى ستروا بذر المحبة بتعلقات الشهوات النفسانية وظلموا على انفسهم بتكذيب الآيات البينات من الجهالة الانسانية حتى افسدوا الاستعداد الفطرى وكذبوا بآياتنا اى معجزات انبيائنا وكتبنا وما انزلنا على الانبياء بالوحى والالهام والرشد فى تربية بذر المحبة وتثمر الشجرة الانسانية بثمار التوحيد والمعرفة والبلوغ الى درجات القربات ونعيم الجنات والغرفات اولئك اصحاب النار نار جهنم ونار القطيعة هم فيها خالدون لانهم خلدوا فى ارض الطبيعة واتبعوا اهواءهم فنابت بذر محبتهم بماء الشريعة فبقوا بافساد استعدادهم فى دركات الجحيم وخسران النعيم خالدين مخلدين (يابنى اسرائيل) البنون اسم للذكور والاناث اذا اجتمعوا واسرائيل اسم يعقوب عليه السلام ومعناه عبد الله لان اسرا بلغة العبرانية وهى لغة اليهود بمعنى العبد وايل هو الله اى يااولاد يعقوب والخطاب لليهود المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم الذين كانوا حوالى المدينة من بنى قريظة والنضير وكانوا من اولاد يعقوب وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها (اذكروا نعمتى) الذكر بضم الذال بالقلب خاصة بمعنى الحفظ الذى يضاد النسيان والذكر بكسر الذال يقع على الذكر باللسان والذكر بالقلب يكون امرا بشكر النعمة باللسان وحفظها بالجنان اى احفظوا بالجنان واشكروا باللسان نعمتى لان النعمة اسم جنس بمعنى الجمع قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها (التى انعمت) بها (عليكم) وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لانهم اهملوا شكرها فقط وتقييد النعمة بكونها عليهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ماانعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط ولذا قيل لاتنظر الى من هو فوقك فى الدنيا لئلا تزدرى بنعمة الله عليك فان من نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر قال ارباب المعانى ربط سبحانه وتعالى بنى اسرائيل بذكر النعمة واسقطه عن امة محمد صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى ذكره فقال اذكرونى اذكركم ليكون نظر الامم من النعمة الى المنعم ونظر امة محمد من المنعم الى النعمة والنعمة مالم يحجبك عن المنعم (واوفوا) اتموا ولا تتركوا (بعهدى) الذى قبلتم يوم الميثاق وهو عام فى جميع اوامره من الايمان والطاعة ونواهيه ووصاياه فيدخل فى ذلك ماعهده تعالى اليهم فى التوراة من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والعهد حفظ الشئ ومراعاته حالا فحالا والمراد منه الموثق والوصية والعهد هنا مضاف الى الفاعل (اوف بعهدكم) اتمم جزاءكم بحسن الاثابة والقبول ودخول الجنة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد وهو هنا مضاف الى المفعول فان الله عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدلهم بالثواب على حسناتهم واول مراتب الوفاء مناهو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله حقن المال والدم وآخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله الفوز باللقاء الدائم كما قال القشيرى اوفوا بعهدى فى دار الغيبة اوف بعهدكم فى دار القربة على بساط الوصلة بادامة الانس والرؤية واوفوا بعهدى بقولكم ابدا ربى ربى اوف بعهدكم بجوابكم ابدا عبدى عبدى (واياى) نصب بمحذوف تقديره واياى ارهبوا (فارهبون) فيما تأتون وتذرون وخصوصا فى نقض العهد لاىارهبون لان ارهبون قد أخذ مفعوله والاصل ارهبونى لكن حذفت الياء تخفيفا لموافقة رؤوس الآى والفاء الجزائية دالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيأ فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد لقوله اوف والوعيد لقوله واياى فارهبون دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى ان لايخاف احدا الاالله للحصر المستفاد من تقديم اياى (وآمنوا) يابنى اسرائيل (بما انزلت) افراد الايمان بالقرآن بالامر به بعد اندراجه تحت العهد لماانه العمدة القصوى فى شأن الوفاء بالعهد اى صدقوا بهذا القرآن الذى انزلته على محمد (مصدقا لما معكم) اى حال كون القرآن مصدقا للتوراة لانه نازل حسبما نعت فيها وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بمامعهم ممايقتضى الايمان بما يصدقه قطعا (ولا تكونوا اول) فريق (كافربه) اى بالقرآن فان وزر المقتدى يكون على المبتدى كما يكون على المقتدى

(قال فى المثنوى) هركه بنهد سنت بداى فتا * تادرافتد بعدا وخلق ازعما * جمع كردد بروى آن جمله بزه * كاوسرى بودست وايشان دم غزه * اى لاتسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شأنه وحقيقته بطريق التلقى مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه فلا تضعوا موضع ماتوقع منكم و يجب عليكم مالايتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ودلت الآية على انه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة فكذبه يهود المدينة ثم بنوا قريظة وبنوا النضير ثم خيبر ثم تتابعت على ذلك سائر اليهود (ولاتشتروا باياتى) اى لاتأخذوا لانفسكم بدلا منها (ثمنا قليلا) هى الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى مافات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم و يهدون اليهم الهدايا ويعطونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ماصعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يجرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا فلما كان لهم رياسة عندهم ومآكل منهم خافوا ان يذهب ذلك منهم اى من الاحبار لو آمنوا بمحمد واتبعوه وهم عارفون صفته وصدقه فلم يزالوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويغيرون نعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما حكى ان كعب بن الاشرف قال لاحبار اليهود ماتقولون فى محمد قالوا انه نبى قال لهم كان لكم عندى صلة وعطية لو قلتم غير هذا قالوا اجبناك من غير تفكر فامهلنا نتفكر وننظر فى التوراة فخرجوا وبدلوا نعت المصطفى بنعت الدجال ثم رجعوا وقالوا ذلك فاعطى كل واحد منهم صاعا من شعير واربعة اذرع من الكرباس فهو القليل الذى ذكره الله فى هذه الآية الكريمة (قال فى المثنوى) بود درانجيل نام مصطفا * ان سر پيغمبران بحر صفا * بود ذكر حليها وشكل او * بود ذكر غزو وصوم واكل او * (واياى فاتقون) بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا واعادة لان معنى الاول اخشوا فى نقض العهد وهذا معناه فى كتمان نعت محمد أولان الخطاب بالآية الاولى لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التى هى مبدأ السلوك وبالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذى هو منتهاه (ولاتلبسوا الحق بالباطل) عطف على ماقبله واللبس بالفتح الخلط اى لاتخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى لايميز بينهما اولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه فى خلاله اوتذكرونه فى تأويله (و) لا (تكتموا الحق) باضمار لا اونصب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لاتجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه فقوله ولاتلبسوا الحق بالباطل هو نهى عن التغيير وقوله وتكتموا الحق هو نهى عن الكتمان لانهم كانوا يقولون لانجد فى التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم فاللبس غير الكتمان (وانتم تعلمون) اى حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون اووانتم تعلمون انه حق نبى مرسل وليس ايراد الحال لتقييد المنهى به بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل قد يعذر وفى التيسير يجوز صرف الخطاب الى المسلمين والى كل صنف منهم وبيانه ايها السلاطين لاتخلطوا العدل بالجور وايها القضاة لاتخلطوا الحكم بالرشوة وكذا كل فريق فهذه الآية وان كانت خاصة ببنى اسرائيل فهى تتناول من فعل فعلهم فمن اخذ رشوة على تغيير حق وابطاله اوامتنع من تعليم ماوجب عليه اواداء ماعلمه وقد تعين عليه حتى يأخذ عليه اجرا فقد دخل فى مقتضى الآية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تعلم علما لايبتغى به وجه الله لايتعلمه الاليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة اى ريحها فمن رهب وصاحب التقوى لايأخذ على عمله عوضا ولاعلى وصيته ونصيحته صفدا بل يبين الحق و يصدع به ولايلحقه فى ذلك خوف ولافزع قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لايمنعن احدكم هيبة احد أن يقول او يقوم بالحق حيث كان وفى التنزيل يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم (حكى) ان سليمان بن عبد الملك مر بالمدينة وهو يريد مكة فاقام بها اياما فقال هل بالمدينة احد أدرك احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا له ابو حازم فارسل اليه فلما دخل عليه قال له يا ابا حازم ماهذا الجفاء قال له ابو حازم يا امير المؤمنين واى جفاء رأيت منى قال اتانى وجوه اهل المدينة ولم تاتنى قال يا امير المؤمنين اعيذك بالله ان تقول مالم يكن ماعرفتنى قبل هذا اليوم ولا انا رأيتك قال فالتفت الى محمد بن شهاب الزهرى فقال اصاب الشيخ واخطأت قال سليمان يا ابا حازم مالنا نكره الموت فقال لانكم خربتم الآخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم ان تنقلوا من العمران الى الخراب قال اصبت يا ابا حازم فكيف القدوم غدا على الله تعالى قال اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيئ

فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعرى مالنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله قال واى مكان اجده قال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فاين رحمة الله يا اباحازم قال ان رحمة الله قريب من المحسنين قال له سليمان يا اباحازم فاى عباد الله اكرم قال اولوا المروءة والنهى قال له سليمان فاى الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال سليمان فاى الدعاء اسمع قال دعاء المحسن اليه للمحسن فقال اى الصدقة افضل قال على السائل البائس وجهد المقل ليس فيها من ولا اذى قال فاى القول اعدل قال قول الحق عند من تخافه او ترجوه قال فاى المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها قال فاى المؤمنين احمق قال رجل انحط فى هوى اخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان اصبت فما تقول فيما نحن فيه قال يا امير المؤمنين أعفنى قال له سليمان لا ولكن نصيحة تلقيها الى قال يا امير المؤمنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين ولارضاهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة فقد ارتحلوا عنها فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال رجل من جلسائه بئس ما قلت يا اباحازم قال ابو حازم كذبت ان الله اخذ ميثاق العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال سليمان فكيف لنا ان نصلح قال تدعون الصلف وتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية قال له سليمان كيف لنا بالمأخذ قال تأخذه من حله وتضعه فى اهله قال له سليمان هل لك يا اباحازم ان تصحبنا ونصيب منك قال اعوذ بالله قال ولم ذاك قال اخشى ان اركن اليكم شيئا قليلا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات قال له ارفع الينا حوائجك قال تنجينى من النار وتدخلنى الجنة قال له سليمان ليس ذاك الى قال ابو حازم فمالى اليك حاجة غيرها قال فادع لى قال ابو حازم اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخيرى الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى قال له سليمان عظنى قال ابو حازم قد اوجزت واكثرت ان كنت من اهله وان لم تكن من اهله فما ينبغى ان ارمى عن قوس ليس لها وتر قال له سليمان اوص قال سأوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك من حيث امرك فلما خرج من عنده بعث اليه بمائة دينار وكتب أن انفقها ولك عندى مثلها قال فردها عليه وكتب اليه يا امير المؤمنين اعيذك بالله ان يكون سؤالك اياى هزلا اوردى عليك بذلا ما ارضاها لك فكيف لنفسى ان موسى بن عمران لما ورد ماء مدين وجد عليه رعاء يسقون ووجد من دونهم جاريتين تذودان فسئل لهما فقالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما فلما تولى الى الظل قال رب انى لما انزلت الى من خير فقير وذلك انه كان جائعا خائفا لا يأمن فسأل ربه ولم يسأل الناس فلم يفطن الرعاء وفطنت الجاريتان فلما رجعتا الى ابيهما اخبرتاه بالقصة وبقوله فقال ابوهما وهو شعيب عليه السلام هذا رجل جائع قال لاحداهما اذهبى فادعيه فلما أتته عظمته وغطت وجهها وقالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فشق على موسى حين ذكرت اجر ما سقيت لنا فلم يجد بدا من ان يتبعها لانه كان بين الجبال جائعا مستوحشا فلما تبعها هبت الريح فجعلت تصفق ثيابها على ظهرها فتصف له عجزها وكانت ذات عجز وجعل موسى يعرض مرة ويغض اخرى فلما عيل صبره ناداها يا امة الله كونى خلفى وارينى بقولك فلما دخل على شعيب اذا هو بالعشاء مهيئا فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى اعوذ بالله فقال شعيب لم أما انت جائع قال بلى ولكنى اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيأ من ديننا بملئ الارض ذهبا فقال له شعيب لا يا شاب ولكنها عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فاكل فان كانت هذه المائة دينار عوضا لما حدثت ونصحت فالميتة والدم ولحم الخنزير فى حال الاضطرار احل من هذه وان كانت لحق لى فى بيت المال فلى فيها نظراء فان ساويت بيننا والا فليس لى فيها حاجة قال القرطبى فى تفسيره بعد ايراد هذه الحكاية قلت هكذا يكون الاقتداء بالكتاب والانبياء انتهى وقد اختلف العلماء فى اخذ الاجرة على تعليم القرءآن والعلم لهذه الآية ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا والفتوى فى هذا الزمان على جواز الاستئجار لتعليم القرءآن والفقه وغيره لئلا يضيع قال صلى الله عليه وسلم ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله والآية فى حق من تعين عليه التعليم فابى حتى يأخذ عليه اجرا فاما اذا لم يتعين فيجوز له اخذ الاجرة بدليل السنة فى ذلك كما اذا كان الغسال فى موضع لا يوجد من يغسل الميت غيره كما فى القرى والنواحى فلا اجر له لتعينه لذلك واما اذا كان ثمة ناس غيره كما فى الامصار والمدن فله الاجر حيث لم يتعين عليه فلا يأثم بالترك وقد يتعين عليه الا انه ليس عنده ما ينفقه على

نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم وله ان يقبل على صنعته وحرفته ويجب على الامام ان يعين له شيأ والا فعلى المسلمين لان الصديق رضي الله عنه لما ولى الخلافة وعين لها لم يكن عنده مايقيم به اهله فاخذ ثيابا وخرج الى السوق فقيل له فى ذلك فقال ومن اين انفق على عيالى فردوه وفرضوا له كفايته وكذا يجوز للامام والمؤذن وامثالهما اخذ الاجرة وبيع المصحف ليس بيع القرآن بل هو بيع الورق وعمل ايدى الكاتب وقالوا فى زماننا تغير الجواب فى بعض مسائل لتغير الزمان وخوف اندراس العلم والدين منها ملازمة العلماء ابواب السلاطين ومنها خروجهم الى القرى لطلب المعيشة ومنها اخذ الاجرة لتعليم القرآن والاذان والامامة ومنها العزل عن الحرة بغير اذنها ومنها السلام على شربة الخمور ونحوها افافتى بالجواز فيها خشية الوقوع فيما هو اشد منها واضر كذا فى نصاب الاحتساب وغيره (قال فى المثنوى) عاشقا نراشادمانى وغم اوست * دست مزد واجرت خدمت هم اوست * غير معشوق ارتماشايى بود * عشق نبود هرزه سودايى بود * عشق آن شعله است كو چون برفروخت * هركه جز معشوق باقى جمله سوخت * (واقيموا الصلاة) خطاب لبنى اسرائيل اى اقبلوها واعتقدوا فرضيتها وأدّوها بشرآئطها وحدودها كصلاة المسلمين فان غيرها كلا صلاة (وآتوا الزكاة) كزكاة المؤمنين فان غيرها كلا زكاة والزكاة من زكى الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم اومن الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واعلم ان الكفار لا يخاطبون باداء مايحتمل السقوط من العبادات كالصلاة والصوم ولا يعاقبون بتركها عند الحنفية فالتكليف عندهم راجع الى الاعتقاد والقبول (واركعوا مع الراكعين) اى فى جماعاتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس فان الصلاة كالغزو والمحراب كمحل الحرب ولابد للقتال من صفوف الجماعة فالجماعة قوة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مااجتمع من المسلمين فى جماعة اربعون رجلا الا وفيهم رجل مغفور له فالله تعالى اكرم من ان يغفر له ويرد الباقى خائبين خاسرين وانما فضلت صلاة الجماعة على الفذ بسبع وعشرين لان الجماعة مأخوذة من الجمع والجمع اقله ثلاثة وصلاة الانسان وحده بعشر حسنات وعشر حسنات فيها واحدة اصل والتسع تضعيف بفضل الله تعالى فاذا اجتمعت التضعيفات كانت سبعا وعشرين قال القرطبى فى تفسيره وتجب على من أدمن التخلف عن الجماعه من غير عذر العقوبة قال ابو سليمان الدارانى اقمت عشرين سنة لم احتلم فدخلت مكة فاحدثت بها حدثا فما اصبحت الا احتلمت وكان الحدث ان فاتته صلاة العشاء بجماعة وفى الحديث ماافترض الله على خلقه بعد التوحيد فرضا احب اليه من الصلاة ولو كان شئ احب اليه من الصلاة لتعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد وينبغى للمصلى ان يبالغ فى الحضور فكان السلف لو شغلهم ذكر مال يتصدقون به تكفيرا فالاصل عمل الباطن قال تعالى لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى اى من حب الدنيا او كثرة الهموم ولا ينظر الله تعالى الى صلاة لايحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه فلابد من دفع الخواطر (قال فى المثنوى) اول اى جان دفع شرموش كن * وانكهان در جمع كندم كوش كن * بشنو از اخبار آن صدر صدور * لاصلاة تم الا بالحضور * قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى فى وصاياه للعارف الهدآئى قدس الله سرهما اذا شرعت فى الصلاة لاتتفكر فى غير اظهار العبودية وتتميمها فانه اذا تم العبودية يحصل المقصود واما فى غير الصلاة فليكن فكرك وملاحظتك نفى نفسك واثبات وحدانيته تعالى فانه المقصود بالتوحيد ولا شئ افضل من التوحيد ولذلك كان اول التكاليف فبعد قبول العبد التوحيد كلف بالصلاة ثم كلف بالصوم لان فيهما اصلاح الطبيعة وبعدهما بالزكاة وفيها اصلاح النفس بازالة شحها ثم بالحج وفيه نفع للطبيعة من جهة وللنفس من جهة بذل المال وقدم الثلاث الاول لعمومها للاغنياء والفقرآء واما الاخيران فالفقرآء سالمون منهما ثم قال اذا كان بيت الاغنياء من الجواهر يكون بيت الفقرآء من النور حتى يتمنوا ان يكونوا فقرآء (قال فى المثنوى) مكرها در كسب دنيا باردست * مكرها در ترك دنيا واردست * جيست دنيا ازخدا غافل بدن * نى قماش ونقره وميزان وزن * كوزهٔ سربسته اندر آب زفت * ازدل برباد فوق آب رفت * باد درويشى جو در باطن بود * برسر آب جهان ساكن بود * وفى التأويلات النجمية واقيموا الصلاة بمراقبة القلوب وملازمة الخضوع والخشوع وآتوا الزكاة اى بالغوا فى تزكية النفس عن الحرص

على الامور الدنيوية والاخلاق الذمية وتطهير القلب عن رؤية الاعمال السيئة وترك مطالبة ماسوى الله فانه مع طلب الحق زيادة والزيادة على الكمال نقصان واركعوا مع الراكعين اى اقتدوا فى الانكسار ونفى الوجود بالمنكسرين الباذلين الوجود لنيل الموجود (اتأمرون الناس) الخطاب لليهود والامر القول لمن دونك افعل والمراد بالناس سفلتهم (بالبر) اى الاعتراف بالنبى واتباع الادلة وهو التوسع فى الخير من البر الذى هو الفضاء الواسع والهمزة تقرير مع توبيخ وتعجيب (وتنسون انفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات لان اصل السهو والنسيان الترك الا ان السهو يكون لما علمه الانسان ولما لم يعلمه والنسيان لما عزب بعد حضوره كانوا يقولون لفقرائهم الذين لا مطمع لهم فيهم بالسر آمنوا بمحمد فانه حق وكانوا يقولون للاغنياء نرى فيه بعض علامات نبى آخر الزمان دون بعض فانتظروا الاستيفاء لما ينالون منهم ويؤخرون امور انفسهم فلا يتبعونه فى الحال مع عزيمتهم ان يتبعوه يوما وكذا حال من تمادى فى العصيان وهو يقول اتوب عند الكبر والشيب ورب ما يفجأه الموت فيبقى فى حسرة الفوت (قال الحافظ) ديدى ان قهقهه كبك خرامان حافظ * كه زسر پنجه شاهين قضا غافل بود (وانتم تتلون الكتاب) اى والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته صلى الله تعالى عليه وسلم الآمرة بالايمان به (افلا تعقلون) اى ليس لكم عقل تعرفون به انه قبيح منكم عدم اصلاح انفسكم والاشتغال بغيركم والعقل فى الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذى يشد به وظيف البعير الى ذراعيه لحبسه عن الحراك سمى به النور الروحانى الذى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبس عن تعاطى ما يقبح ويعقل على ما يحسن ومحله الدماغ لان الدماغ محل الحس وعند البعض محله القلب لان القلب معدن الحياة ومادة الحواس وعند البعض هو نور فى بدن الادمى ثم هذا التوبيخ ليس على امر الناس بالبر بل لترك العمل به فمدار الانكار والتوبيخ هى الجملة المعطوفة وهى جملة تنسون انفسكم دون ما عطفت هى عليه وهى اتأمرون الناس بالبر ولا يستقيم قول من لا يجوز الامر بالمعروف لمن لا يعمل به لهذه الآية بل يجب العمل به ويجب الامر به وقد قال عليه السلام مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه وهذا لانه اذا امر به مع انه لا يعمل به فقد ترك واجبا واذا لم يأمر به فقد ترك واجبين فالامر بالحسن حسن وان لم يعمل به ولكن قلما انفعت موعظة من لم يعظ نفسه ومن امر بخير فليكن اشد الناس مسارعة اليه ومن نهى عن شئ فليكن اشد الناس انتهاء عنه وهذه الآية كما ترى ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق وتقيم غيرها لا منع الفاسق من الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر (روى) انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد او اثنان من شدة تأثير وعظه وكان فى بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما فى الطريق فقالت

أتهدى الانام ولا تهتدى * الا ان ذلك لا ينفع

فيا حجر الشحذ حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع

فلما سمعها الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفى الى رحمة الله تعالى (قال الحافظ) واعظان كين جلوه در محراب ومنبر ميكنند * چون بخلوت ميروند آن كار ديگر ميكنند * مشكلى دارم زدانشمند مجلس باز پرس * توبه فرمايان چرا خود توبه كمتر ميكنند * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى بى مررت على ناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الخطباء من امتك يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم يجزون نصيبهم فى نار جهنم فيقال لهم من انتم فيقولون نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى انفسنا قال الاوزاعى شكت النواويس الى الله تعالى ما تجده من جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون العلماء السوء أنتن مما انتم فيه وفى الحديث ما من عبد يخطب خطبة الا والله تعالى سائله عنها يوم القيامة ما اراد بها قال الشيخ افتاده افندى لو ان واعظا يرى نفسه خيرا من المستمعين يشكل الامر كذا اذا لم يكن من يصغى الى كلامه مساويا لمن يلطم على قفاه يشكل الامر فلذلك قال عليه السلام كم من واعظ

يلعب به الشيطان اللهم الا ان يقول ينتفع منى المسلمون وان كنت معذبا فى النار فهو نوع فناء لكن يخاف ان يحبط حظه فى ضمنه وقال ايضا من كان يعظ الناس اما ان يعتقد انهم يعرفون مايعرفه او يعتقد انهم لا يعرفون مايعرفه فعلى الاول لا يحتاج الى وعظه وعلى الثانى قد اثبت لهم جهلا ولنفسه فضلا عليهم فهو محض كبر وبالجملة حيل النفس كثيرة لا تتيسر النجاة منها الا بمحض لطف الله تعالى وادنى الحال ان يلاحظ قوله عليه السلام ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاسق فمادام لم يصل السالك الى الحقيقة لا يتخلص من الورطة قال عليه الصلاة والسلام الناس كلهم سكارى الا العالمون الحديث والمخلصون على خطر عظيم وانما الامن للمخلص بالفتح وهو الواصل الى التوحيد الحقيقى الفانى عن القهر والكرم الخارج عن حد الوجود والعدم وهو الفناء الكلى وهم الذين اريدوا بقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولا بد من رعاية الشريعة فى جميع المراتب فان الكمال فيها والا فهو ناقص ولذلك ان المجاذيب لا يخلون عن النقصان الا ترى ان الانبياء عليهم السلام لم يسمع عن واحد منهم عروض السفه والجنون فالكامل فى مرتبة الكمال يكون كامل العقل حتى يحس بصرير الباب فى حال استغراقه اللهم اوصلنا الى الكمال (واستعينوا) يا بنى اسرآئيل على قضاء حوائجكم (بالصبر) اى بانتظار الظفر والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس (والصلاة) اى التوسل بالصلاة والالتجاء اليها حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب كانهم اى بنى اسرآئيل لما امروا بما شق عليهم لما فيه من ترك الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك روى انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وروى ان ابن عباس رضى الله عنهما نعى له بنت وهو فى سفر فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله واجر ساقه الله ثم تنحى عن الطريق وصلى ثم انصرف الى راحلته وهو يقرأ واستعينوا بالصبر والصلاة (وانها) اى الاستعانة بهما (لكبيرة) لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (الا على الخاشعين) اى المخبتين الخائفين والخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب او الخشوع بالبصر والخضوع بسائر الاعضاء وانما لم يثقل عليهم لانهم يستغرقون فى مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجرى عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم وقرة عينى فى الصلاة لان اشتغاله عليه السلام بالصلاة كان راحة له وكان يعد غيرها من الاعمال الدنيوية تعبا (الذين يظنون) اى يوقنون لان الظن يكون يقينا ويكون شكا فهو من الاضداد كالرجاء يكون امنا وخوفا كما فى تفسير الكواشى (انهم ملاقوا ربهم) معاينوه وهو كناية عن شهود مشهد العرض والسؤال يوم القيامة وهو الوجه فيما روى فى الاخبار لقى الله وهو عليه غضبان وما يجرى مجراه وقيل اى يعلمون انهم يموتون قال النبى عليه الصلاة والسلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه واراد به الموت (وانهم اليه راجعون) اى ويعلمون انهم راجعون يوم القيامة الى الله تعالى اى الى جزآئه اياهم على اعمالهم واما الذين لا يوقنون بالجزآء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرآئين فالصبر على الاذى والطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها ومنعها من تطاولها وهو من اخلاق الانبياء والصالحين قال يحيى بن اليمان الصبر ان لا تتمنى حالة سوى مارزقك الله والرضى بما قضى الله من امر دنياك وآخرتك وهو بمنزلة الرأس من الجسد (قال الحافظ) كويند سنك لعل شود در مقام صبر * آرى شود وليك بخون جكر شود * ثم ان الله تعالى وصف جزآء الاعمال وجعل لها نهاية وحدا فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وجعل جزآء الصدقة فى سبيل الله فوق هذا فقال مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة الآية وجعل اجر الصابرين بغير حساب ومدح اهله فقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقد وصف الله نفسه بالصبر كما فى الحديث ليس شئ اصبر على اذى سمعه من الله تعالى انهم ليدعون له ولدا وانه ليعافيهم ويرزقهم ووصف الله بالصبر انما هو بمعنى الحلم وهو تأخير العقوبة عن المستحقين لها والفرق بين الحليم والصبور ان المذنب لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة الحليم وقيل فى الخشوع أتريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع باكل الخشن ولبس الخشن لكن الخشوع ان ترى الشريف والدنئ فى الحق سوآء وتخشع لله فى كل فرض افترض عليك فمن اظهر خشوعا فوق ما فى قلبه فانما اظهر نفاقا على نفاق قال سهل بن عبد الله لا تكون خاشعا حتى تخشع كل شعرة

على جسدك وهذا هو الخشوع المحمود لان الخوف اذا سكن القلب اوجب خشوع الظاهر فلا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقا متأدبا متذللا وقد كان السلف يجتهدون فى ستر مايظهر من ذلك واما المذموم فتكلفه والتباكى ومطأطأة الرأس كما يفعله الجهال ليروا بعين البر والاجلال وذلك خدع من الشيطان وتسويل من نفس الانسان وكان عمر رضى الله عنه اذا تكلم اسمع واذا مشى اسرع واذا ضرب اوجع وكان ناسكا صدقا وخاشعا حقا كما فى تفسير القرطبى وقال فى التأويلات النجمية واستعينوا بالصبر عن شهوات النفس ومتابعة هواها والصلاة اى دوام الوقوف والتزام العكوف على باب الغيب وحضرة الرب وانها اى الاستعانة بهما لكبيرة امر عظيم وشأن صعب الا على الخاشعين وهم الذين تجلى الحق لاسرارهم نخشعت له انفسهم كما قال عليه الصلاة والسلام اذا تجلى الله لشئ خضع له وقال وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا فالتجلى يورث الالفة مع الحق ويسقط الكلفة عن الخلق الذين يظنون اى يوقنون بنور التجلى انهم ملاقوا ربهم انهم يشاهدون جمال الحق وانهم اليه راجعون بجذبات الحق التى كل جذبة منها توازى عمل الثقلين (يابنى اسرائيل اذكروا) اشكروا (نعمتى التى انعمت) بها (عليكم) بانزال المن والسلوى وتظليل الغمام وتفجير الماء من الحجر وغيرها وذكر النعم على الاباء الزام الشكر على الابناء فانهم يشرفون بشرفهم ولذلك خاطبهم فقال تعالى فضلتكم ولم يقل فضلت اباءكم لان فى فضل ابائهم فضلهم (و) اذكروا (انى فضلتكم على العالمين) من عطف الخاص على العام للتشريف اى فضلت اباءكم على عالمى زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم آباؤهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا وهذا كما قال فى حق مريم واصطفاك على نساء العالمين اى نساء زمانك فان خديجة وعائشة وفاطمة افضل منها فلم يكن لهم فضل على امة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى فى حقهم كنتم خير امة اخرجت للناس كما فى التيسير فالاستغراق فى العالمين عرفى لا حقيقى قال بعضهم من آمن من اهل الكتاب بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له فضيلة على غيره وكان له اجران اجر ايمانه بنبيه واجر اتباعه لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة يعطيهم الله الاجر مرتين من اشترى جارية فاحسن تأديبها فاعتقها وتزوجها وعبد اطاع سيده واطاع الله ورجل من اهل الكتاب ادرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به قال القشيرى اشهد الله بنى اسرائيل فضل انفسهم فقال فضلتكم على العالمين واشهد محمدا صلى الله عليه وسلم فضل ربه فقال قل بفضل الله وبرحمته وشتان بين من مشهوده فضل نفسه وبين من مشهوده فضل ربه وشهوده فضل نفسه قد يورث الاعجاب وشهوده فضل ربه يورث الايجاب ثم ان اليهود كانوا يقولون نحن من اولاد ابراهيم خليل الرحمن ومن اولاد اسحق ذبيح الله والله تعالى يقبل شفاعتهم فينا فرد الله عليهم فانزل هذه الآية وقال (واتقوا) اى واخشوا يابنى اسرائيل (يوما) يوم القيامة اى حساب يوم اوعذاب يوم فهو من ذكر المحل وارادة الحال (لا تجزى) اى لا تقتضى فيه ولا تؤدى ولا تغنى فالعائد محذوف والجملة صفة يوم (نفس) مؤمنة (عن نفس) كافرة (شيأ) مامن الحقوق التى لزمت عليها وهو نصب على المفعول به واراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلى قال تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم وكيف تنفع وقد قال يوم يفر المرء من اخيه الآية (قال فى المثنوى) چون يفر المرء آيد من اخيه * يهرب المولود يوما من ابيه * زان شود هر دوست آن ساعت عدو * كه بت تو بود وازره مانع او * وهذا فى حق الكفار فاما المؤمن فقد استثناه فقال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اى خال عن الشرك (ولا يقبل منها) اى من النفس الاولى المؤمنة (شفاعة) ان شفعت للنفس الثانية الكافرة عند الله لتخليصها من عذابه والشفاعة مصدر الشافع والشفيع وهو طالب قضاء حاجة غيره مأخوذ من الشفع لانه يشفع نفسه بمن يشفع له فى طلب مراده ولا شفاعة فى حق الكافر بخلاف المؤمن قال النبى عليه السلام شفاعتى لاهل الكبائر من امتى فمن كذب بها لم ينلها والآيات الواردة فى نفى الشفاعة خاصة بالكفار (ولا يؤخذ منها) اى من المشفوع لها وهى النفس الثانية العاصية (عدل) اى فدآء من مال اورجل مكانها اوتوبة تنجو بها من النار والعدل بالفتح مثل الشئ من خلاف جنسه وبالكسر مثله من جنسه وسمى به الفدية لانها تساويه وتماثله وتجرى مجراه (ولاهم ينصرون) اى يمنعون من عذاب الله تعالى ومن ايدى المعذبين فلا نافع ولا شافع ولا دافع لهم والضمير لما دلت عليه النفس

الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسى والنصرة ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر ثم هذه الآية فى غاية البلاغة فانها جمعت ذكر الوجوه التى بها يتخلص المرؤ من النكبة التى اصابته فى الدنيا وهى اربع ينوب عنه غيره فى تحمل ماعليه او يفتدى بمال فيخلص منها او يشفع له شافع فيوهب له او ينصره ناصر فيمنعه فقطعها الله عنهم جميعا وعن عكرمة انه قال ان الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول يا بنى انى اب لك فى الدنيا وقد احتجت الى مثقال حبة من حسناتك لعلى انجو بها مما ترى فيقول له ولده انى اتخوف مثل الذى تخوفت انت فلا اطيق ان اعطيك شيأ ثم يتعلق بزوجته فيقول لها فلانة انى زوج لك فى الدنيا فتثنى عليه خيرا فيقول لها انى اطلب منك حسنة واحدة تهبينها لى لعلى انجو مما ترين فتقول لا اطيق ذلك انى اتخوف مثل الذى تخوفت منه فيقول الله وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى يعنى من اثقلته الذنوب لا يحمل احد من ذنبه شيأ (قال السعدى) برفتند هركس درود آنچه كشت * نماند بجز نام نيكو وزشت * برآن خورد سعدى كه بيخى نشاند * كسى برد خرمن كه تخمى فشاند * وفى التأويلات النجمية يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم ظاهره عام وباطنه خاص مع قوم منهم قد علم الله فيهم خيرا فاسمعهم خطابه فى السر فذكروا نعمته التى انعم بها عليهم وهى استعداد قبول رشاش نوره يوم خلق الله الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فآمنوا بمحمد عليه السلام من خاصية قبول ذلك الرشاش كما قال عليه السلام فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطأه فقد ضل وانى فضلتكم على العالمين اى بهذه النعمة اى فضلتكم مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بهذه النعمة عند رش النور على من لم يصبهم ذلك النور من العالمين واتقوا يوما اى عذاب يوم يخوف الله العام بافعاله كما قال واتقوا النار الخ و يخوف الخاص بصفاته كقوله انا اعلم ما يسرون وما يعلنون وقوله ليسأل الصادقين عن صدقهم و يخوف خاص الخاص بذاته ويحذركم الله نفسه وقوله واتقوا الله حق تقاته لا تجزى نفس عن نفس شيأ والامر يومئذ لله ولا يقبل منها شفاعة فى حق نفسها ولا فى حق غيرها بغير الاذن كقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ولا يؤخذ منها عدل اى فداء لانه ليس للانسان الا ماسعى وان سعيه سوف يرى والسعى المشكور ما يكون ههنا ولا هم ينصرون لانهم مانصروا الحق ههنا وقد قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم (واذ نجيناكم) خطاب لبنى اسرائيل اى اذكروا وقت تنجيتنا اياكم اى اباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم ومن عادة العرب يقولون قتلناكم يوم عكاظ اى قتل اباؤنا آباءكم والنجو المكان العالى من الارض لان من صار اليه يخلص ثم سمى كل فائز ناجيا لخروجه من ضيق الى سعة اى جعلنا اباءكم بمكان حريز ورفعناكم عن الاذى (من آل فرعون) واتباعه واهل دينه وفرعون لقب من ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك والنجاشى للحبشة وتبع لاهل اليمن والعمالقة الجبابرة وهم اولاد عمليق ابن لاود بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام سكان الشام منهم سموا بالجبابرة وملوك مصر منهم سموا بالفراعنة ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد فليس المراد الاستغراق بل الذين كانوا بمصر وفرعون موسى هو الوليد بن مصعب بن الريان وكان من القبط وعمر اكثر من اربعمائة سنة وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام فدخل مصر فرأى فى ظاهرها حملا من البطيخ بدرهم وفى سوقها بطيخة بدرهم فقال فى نفسه ان تيسر لى اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اى العشارين اخذ بطيخة فدخل البلد ومامعه الا بطيخة فباعها بدرهم ومضى بوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بها وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطونى خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع فى مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون اى الى ملك المدينة فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمنى احد وانما فعلت مافعلت ليحضرنى احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولنى امورك ترنى امينا كافيا فولاه اياها

فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وبينهما اكثر من اربعمائة سنة (يسومونكم) اى يبغونكم (سوء العذاب) واقبحه بالنسبة الى سائره و يريدونكم عليه و يكلفونكم الاعمال الشاقة ويذيقونكم و يديمون عليكم ذلك من سام السلعة اذا طلبها والسوم بمعنى البغاء وبغى يتعدى الى مفعولين بلا واسطة فلذلك كان سوء العذاب منصوبا على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من ضمير المفعول في نجيناكم والمعنى نجيناكم مسومين منهم اقبح العذاب كقولك رأيت زيدا يضربه عمرو اى رأيته حال كونه مضروبا لعمرو وذلك ان فرعون جعل بنى اسرآئيل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال فصنف يبنون وصنف يحرثون و يزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن منهم في عمل وضع عليهم الجزية وقال وهب كانوا اصنافا في اعمال فرعون فذووا القوة ينحتون السوارى من الجبال حتى قرحت اعناقهم وايديهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وطائفة ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة منهم يضربون اللبن و يطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج ضريبة و يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدى ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان و ينسجن وقيل تفسير قوله يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله تعالى (يذبحون ابناءكم) كانه قيل ما حقيقة سوء العذاب الذى يبغونه لنا فاجيب بانهم يذبحون ابناءكم اى يقتلونهم والتشديد للتكثير كما يقال فتحت الابواب والمراد من الابناء هم الذكور خاصة وان كان الاسم يقع على الذكور والاناث في غير هذا الموضع كالبنين في قوله تعالى يا بنى اسرآئيل فانهم كانوا يذبحون الغلمان لا غير وكذا اريد به الصغار دون الكبار لانهم كانوا يذبحون الصغار (و يستحيون نساءكم) اى يستبقون بناتكم ويتركونهن حيات وذكر النساء وان كانوا يفعلون هذا بالصغار لانه سماهن باسم المآل لانهن اذا استبقوهن صرن نساء بعد البلوغ ولانهم كانوا يستبقون البنات مع امهاتهن والاسم يقع على الكبيرات والصغيرات عند الاختلاط وذلك ان فرعون رأى في منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس فأحاطت بمصر واخرجت كل قبطى بها ولم تتعرض لبنى اسرآئيل فهاله ذلك وسأل الكهنة والسحرة عن رؤياه فقالوا يولد في بنى اسرآئيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بنى اسرآئيل وجمع القوابل فقال لهن لا يسقط على ايديكن غلام يولد في بنى اسرآئيل الا قتل ولا جارية الا تركت ووكل القوابل فكن يفعلن ذلك حتى قيل انه قتل في طلب موسى اثنى عشر الف صبى وتسعين الف وليد وقد اعطى الله نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة ثم اسرع الموت في مشيخة بنى اسرآئيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت وقع في بنى اسرآئيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة و يتركوا سنة فولد هرون عليه السلام في السنة التى لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التى يذبحون فيها فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله شيأ وشمر فرعون عن ساق الاجتهاد وحسر عن ذراع العناد فاراد ان يسبق القضاء ظهوره و يأبى الله الا ان يتم نوره (وفى ذلكم) اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء (بلاء) اى محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اى استبقائهن على الحياة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاسترقاق والاستعمال في الاعمال الشاقة ولان بقاء البنات مما يشق على الاباء ولا سيما بعد ذبح البنين (من ربكم) من جهته تعالى بتسليطهم عليكم (عظيم) صفة للبلاء وتنكيرهما للتفخيم و يجوز ان يشار بذلكم الى الانجاء من فرعون ومعنى البلاء حينئذ النعمة لان اصل البلاء الاختبار والله تعالى يختبر عباده تارة بالمنافع ليشكروا فيكون ذلك الاختبار منحة اى عطاء ونعمة واخرى بالمضار ليصبروا فيكون محنة فلفظ الاختبار يستعمل في الخير والشر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير ومعنى من ربكم اى ببعث موسى و بتوفيقه لتخليصكم منهم والاشارة ان النجاة من آل فرعون النفس الامارة وهى صفاتها الذميمة واخلاقها الرديئة في يوم سوء العذاب للروح الشريف بذبح ابناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في اعمال القدرة الحيوانية لا يمكن الا بتنجية الله كما قال عليه الصلاة والسلام لن ينجى احدكم عمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضله وفى ذلكم اى في استيلاء

صفات النفس على القلب والروح بلاء عظيم وامتحان عظيم بالخير والشر فمن يهده الله ويصلح باله يرجع اليه الله فى طلب النجاة فينجيه الله ويهلك عدوه ومن يضلله ويخذله اخلد الى الارض واتبع هواه وكان امره فرطا * ثم فى الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر فى المسار والصبر على المضار (كما قال الحافظ) اكر بلطف بخوانى مزيد الطافست * وكر بقهر برانى درون ماصافست * وسنته تعالى استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده تعالى رجوع العباد اليه طوعا وكرها فالاول حال الاحرار والثانى حال الاغيار (قال داود بن رشيد) من اصحاب محمد بن الحسن قمت ليلة فاخذنى البرد فبكيت من العرى فنمت فرأيت قائلا يقول ياداود أنمناهم وأقمناك فتبكى علينا فما نام داود بعد تلك الليلة كذا فى روضة الاخبار (قال فى المثنوى) درد بشتم دادحق تامن زخواب * برجهم درنيم شب باسوز وتاب * دردها بخشيد حق از لطف خويش * تانخسبم جمله شب جون كاوميش * روى ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انزلت بعبدى بلائى فدعانى فماطلته بالاجابة فشكانى فقلت عبدى كيف ارحمك من شئ به ارحمك ومن ظن انفكاك لطفه تعالى فذلك لقصور نظره فى العقليات والعاديات والشرعيات اما العقليات فما من بلاء الا والعقل قاض بامكان اعظم منه حتى لو قدرنا اجتماع بلايا الدنيا كلها على كافر وعوقب فى الآخرة باعظم عذاب اهل النار لكان ملطوفا به اذ الله قادر على ان يعذبه باكثر من ذلك واما العاديات فما وجدت قط بلية الا وفى طيها خير وخفها لطف باعتبار قصرها على نوعها اذ المبتلى مثلا بالجذام والعياذ بالله ليس كالاعمى وهما مع الغنى ليسا كهما مع الفقر واجتماع كل ذلك مع سلامة الدين امر يسير واما الشرعيات فقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى اصطفاه وليخفف ألم البلاء عنك علمك بان الله هو المبتلى اما اعتبارا بان كل افعاله جميل اولانه عودك بالفعل الجميل والعطاء الجزيل (و) اذكروا يا بنى اسرائيل (اذ فرقنا) فصلنا (بكم) اى بسبب انجائكم فالباء للسببية وهو اولى لان الكلام مسوق لتعداد النعم والامتنان وفى السببية دلالة على تعظيمهم وهو ايضا من النعم وقيل الباء بمعنى اللام كقوله تعالى ذلك بان الله هو الحق اى لأن الله (البحر) وهو بحر القلزم بحر من بحار فارس او بحر من وراء بهم يقال له اساف حتى حصل اثنا عشر مسلكا بعدد اسباط بنى اسرائيل والسبط ولد الولد والاسباط من بنى اسرائيل كالقبائل من العرب وهم اولاد يعقوب (فانجيناكم) اى من الغرق باخراجكم الى الساحل (واغرقنا) الغرق الرسوب فى الشئ المائع ورسب الشئ فى الماء رسوبا اى سفل فيه والاغراق الاهلاك فى الماء (آل فرعون) يريد فرعون وقومه للعلم بدخوله فيهم وكونه اولى به منهم (وانتم تنظرون) بابصاركم انفراق البحر حين سلكتم فيه وانطباقه على آل فرعون بعد سلامتكم منه وايضا تنظرون اليم غرق موتى حين رماهم البحر الى الساحل قال القرطبى ان الله تعالى لما أنجاهم واغرق فرعون قالوا يا موسى ان قلوبنا لا تطمئن أن فرعون قد غرق حتى امر الله البحر فلفظه فنظروا اليه روى انه لما دنا هلاك فرعون امر الله موسى عليه السلام ان يسرى ببنى اسرائيل من مصر ليلا فامرهم أن يخرجوا وأن يستعيروا الحلى من القبط وامر ان لا ينادى احد منهم صاحبه وان يسرجوا فى بيوتهم الى الصبح ومن خرج لطخ بابه بكف من دم ليعلم انه قد خرج فخرجوا بالليل وهم ستمائة ألف وعشرون ألف مقاتل لا يعدون فيهم ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره والقبط لا يعلمون ووقع فى القبط موت فجعلوا يدفنونهم وشغلوا عن طلبهم فلما ارادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بنى اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد عليهم الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلمه احد غير عجوز فقالت لو دللت على قبره أتعطينى كل ما سألتك فابى عليها وقال حتى اسأل ربى فامره الله بايتاء سؤلها فقالت انى عجوز كبيرة لا استطيع المشى فاحملنى واخرجنى من مصر هذا فى الدنيا واما فى الآخرة فاسألك ان لا تنزل فى غرفة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه فى جوف الماء فى النيل فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله ان يؤخر طلوع الفجر الى ان يفرغ من امر يوسف فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه فى صندوق من صنوبر قالوا ان موسى استخرج تابوت يوسف

من قعر النيل بالوفق وهو اول علم اوجده الله بنفسه وعلمه آدم عليه السلام فتوارثه الانبياء آخرا عن اول
ثم انه حمله حتى دفنه بالشام ففتح لهم الطريق فساروا فكان هارون امام بنى اسرائيل وموسى على ساقتهم
فلما علم بذلك فرعون جمع قومه فخرج فى طلب بنى اسرائيل وعلى مقدمته هامان فى ألف ألف وسبعمائة
ألف جواد ذكر ليس فيها رمكة على رأس كل واحد منهم بيضة وفى يده حربة فسارت بنوا اسرائيل حتى وصلوا
الى البحر والماء فى غاية الزيادة فادركهم فرعون حين اشرقت الشمس فقال فرعون فى اصحاب موسى ان هؤلاء
لشرذمة قليلون فلما نظر أصحاب موسى اليهم بقوا متحيرين فقالوا لموسى انا لمدركون ياموسى اوذينا
من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا اليوم نهلك فان البحر أمامنا ان دخلناه غرقنا وفرعون خلفنا ان ادركنا
قتلنا ياموسى كيف نصنع واين ماوعدتنا قال موسى كلا ان معى ربى سيهدين فاوحى الله الى موسى ان اضرب
بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يااباخالد فانفلق فصار فيه اثناعشر
طريقا كل طريق كالجبل العظيم فكان لكل سبط طريق يأخذون فيه وارسل الله الريح والشمس على
قعر البحر حتى صار يبسا فخاضت بنوا اسرائيل البحر وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولايرى بعضهم بعضا
فقالوا مالنا لانرى اخواننا وقال كل سبط قد قتل اخواننا قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا
لا نرضى حتى نراهم فقال موسى اللهم أعنى على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا وهكذا
يمنة ويسرة فصار فيها كوى ينظر بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض فساروا حتى خرجوا من البحر فلما جاز
آخر قوم موسى هجم فرعون على البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر انفلق من هيبتى حتى ادرك
عبيدى الذين أبقوا فهاب قومه ان يدخلوه وقيل له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون
على حصان ادهم اى ذكر اسود من الخيل ولم يكن فى قوم فرعون فرس انثى فجاء جبريل على انثى وديق وهى
التى تشتهى الفحل وتقدمه الى البحر فشم ادهم فرعون ريحها فاقتحم خلفها البحر اى هجم على البحر بالدخول
وهم لا يرونه ولم يملك فرعون من امره شيأ وهو لايرى فرس جبريل وتبعته الخيول وجاء ميكائيل على فرس
خلف القوم يحثهم ويسوقهم حتى لايشذ رجل منهم حتى خاضوا كلهم البحر ودخل آخر قوم فرعون وجاز آخر
قوم موسى وهم اولهم بالخروج فامر الله البحر ان يأخذهم فانطبق على فرعون وقومه فاغرقوا فنادى
فرعون لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين القصة وقالت بنوا اسرائيل الا آن يدركنا فيقتلنا
فلفظ البحر ستمائة وعشرين ألفا عليهم الحديد فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك فلفظ فرعون وهو كانه
ثور أحمر فلم يقبل البحر بعد ذلك غريقا الا لفظه على وجه الماء واعلم ان هذه الوقعة كما انها لموسى عليه الصلاة والسلام
معجزة عظيمة لاوائل بنى اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ماهى عليه من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم
ان يتلقوها بالاذعان لانه عليه السلام اخبرهم بذلك مع انه كان اميا لم يقرأ كتابا وهذا غيب لم يكن له علم عند العرب
فاخباره به دل على انه اوحى اليه ذلك وذلك علامة لنبوته فما تأثرت اوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها حيث اتخذوا
العجل الها بعد الانجاء ثم صار أمرهم الى ان قتلوا انبياءهم ورسلهم فهذه معاملتهم مع ربهم وسيرتهم فى دينهم
وسوء اخلاقهم ولاتذكرت اواخرهم بتذكيرها وروايتها حيث بدلوا التوراة وافتروا على الله وكتبوا بايديهم
واشتروا به عرضا وكفروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك فيالها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها
وفى الآية تهديد للكافرين ليؤمنوا وتنبيه للمؤمنين ليتعظوا وينتهوا عن المعاصى فى جميع الاوقات خصوصا
فى الزمان الذى انجى الله فيه موسى مع بنى اسرائيل من الغرق وهو اليوم العاشر من المحرم وعن ابن عباس
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم
ماهذا اليوم الذى تصومونه فقالوا هذا يوم عظيم انجى الله فيه موسى وقومه واغرق فيه فرعون وقومه فصامه
موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وامر بصيامه رواه مسلم وهذا يدل بظاهره على ان النبى عليه السلام انما صام عاشوراء
وامر بصيامه اقتداء بموسى عليه السلام على ما اخبر به اليهود وليس كذلك لما روته عائشة رضى الله عنها قالت
كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصومه فى الجاهلية

فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك صيام يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه (يحكى) انه هرب اسير من الكفار يوم عاشوراء فركبوا فى طلبه فلما رأى الفرسان خلفه وعلم انه مأخوذ رفع رأسه الى السماء وقال اللهم بحق هذا اليوم المبارك اسألك ان تنجينى منهم فأعمى الله ابصارهم جميعا فنجا الاسير فصام ذلك اليوم فلم يجد ما يفطر عليه و يتعشى به فنام فاطعم وسقى فى المنام فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة الى الطعام والشراب قال النبى عليه السلام التمسوا فضله فانه يوم مبارك اختاره الله من الايام من صام ذلك اليوم جعل الله له نصيبا من عبادة جميع من عبده من الملائكة والانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين هذا فى الصوم واما الصلاة الواردة فى يوم عاشوراء فقد ذكرها الشيخ عبد القادر قدس سره عن ابن عباس رضى الله عنهما فى حديث طويل فيه ومن صلى اربع ركعات فى يوم عاشوراء يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وخمسين مرة قل هو الله احد غفر الله له ذنوب خمسين عاما مستقبلا و بنى له فى الملأ الاعلى ألف منبر من نور ويستحب احياء ليلة عاشوراء ففى الحديث من احيى ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله بعبادة ملائكته المقربين والاشارة ان البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى هو القلب وقومه صفات القلب وفرعون هو النفس الامارة وقومه صفات النفس وهم اعداء موسى وقومه يطلبونهم ليقتلوهم وهم سائرون الى الله تعالى والعدو من خلفهم وبحر الدنيا امامهم ولا بد لهم فى السير الى الله من العبور على البحر ولا يخوضون البحر بلا ضرب عصا لا اله الا الله على البحر بيد موسى القلب فان له يدا بيضاء فى هذا الشأن والا لغرقوا كما غرق فرعون وقومه ولو كانت هذه العصا فى يد فرعون النفس لم يكن لها معجزة انفلاق البحر فاذا ضرب بيد موسى القلب بعصا الذكر ينفلق بحر الدنيا وماء شهواتها يمينا وشمالا ويرسل الله ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيجاوزونه وتنجيهم عناية الله الى الساحل وأن الى ربك المنتهى وقيل لفرعون النفس وقومه اغرقوا فادخلوا نارا كذا لصاحب التأويلات النجمية قدس الله تعالى نفسه الزكية (و) اذكروا يا بنى اسرائيل (اذ واعدنا) وقت وعدنا وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثى او على اصلها فان الوعد وان كان من الله فقبوله كان من موسى وقبول الوعد شبه الوعد او ان الله تعالى وعده الوحى وهو وعده المجيئ للميقات الى الطور (موسى) مفعول اول لواعدنا (مو) بالعبرانية الماء (وشى) بمعنى الشجر فقلبت الشين المعجمة سينا فى العربية وانما سمى به لان امه جعلته فى التابوت حين خافت عليه من فرعون والقته فى البحر فدفعته امواج البحر حتى أدخلته بين اشجار عند بيت فرعون فخرجت جوارى آسية امرأة فرعون يغسلن فوجدن التابوت فأخذنه فسمى عليه السلام باسم المكان الذى اصيب به وهو الماء والشجر ونسبه عليه الصلاة والسلام موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام (اربعين ليلة) اى تمام اربعين ليلة على حذف المضاف مفعول ثان امره الله تعالى بصوم ثلاثين وهو ذو القعدة ثم زاد عليه عشرا من ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وشهور العرب وضعت على سير القمر ولذلك وقع بها التاريخ فالليالى اولى الشهور والايام تبع لها اولان الظلمة اقدم من الضوء (ثم اتخذتم العجل) وهو ولد البقرة بتسويل السامرى الها ومعبودا (من بعده) اى من بعد مضيه الى الميقات وانما ذكر لفظة ثم لانه تعالى لما واعد موسى حضور الميقات لانزال التوراة عليه وفضيلة بنى اسرائيل ليكون ذلك تنبيها للحاضرين على علو درجتهم وتعريفا للغائبين وتكملة للدين كان ذلك من اعظم النعم فلما أتوا عقب ذلك باقبح انواع الكفر والجهل كان ذلك فى محل التعجب فهو كمن يقول انى احسنت اليك وفعلت كذا وكذا ثم انك تقصدنى بالسوء والاذى (وانتم ظالمون) باشراككم ووضعكم للشيء فى غير موضعه اى وضع عبادة الله تعالى فى غير موضعها بعبادة العجل وهو حال من ضمير اتخذتم (ثم عفونا عنكم) اى محونا جريمتكم حين تبتم (من بعد ذلك) اى من بعد الاتخاذ الذى هو متناهى فى القبح فلم نعاجلكم بالاهلاك بل امهلناكم الى مجيء موسى فنبهكم واخبركم بكفارة ذنوبكم (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة فان الانعام يوجب الشكر واصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته العجز عن الشكر (قال السعدى)

خردمند طبعان منت شناس * بدوزند نعمت بميخ سپاس

(واذ آتينا) اعطينا (موسى الكتاب والفرقان) اى التوراة الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل كقولك لقيت الغيث والليث تريد الجامع

بين الجود والجراءة فالمراد بالفرقان والكتاب واحد (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه
وهذا بيان الحكمة دون العلة اى الحكمة فى انزاله ان يتدبروا فيه فيعلموا ان الله تعالى لم يفعل ذلك به الا للدلالة
على صحة نبوته فيجتهدوا بذلك فى اتباع الرشد واذا فعلتم ذلك آمنتم بمحمد لانه قد اتى من المعجزات بما
يدلكم اذا تدبرتم على صحة دعواه النبوة (روى) ان بنى اسرائيل لما أمنوا من عدوهم باغراق الله آل فرعون
ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فوعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى
لقومه انى ذاهب لميقات ربى آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وتذرون وواعدهم اربعين ليلة واستخلف
عليهم اخاه هرون فلما اتى الوعد جاءه جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيأ الا حيى ليذهب
بموسى الى ربه فلما رآه السامرى وكان رجلا صائغا من اهل باجرمى واسمه ميخا ورأى مواضع الفرس تخضر
من ذلك وكان منافقا اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس قال ان لهذا
شأنا واخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل وقيل انه عرف جبريل لان امه حين خافت عليه ان يذبح سنة ذبح
فرعون ابناء بنى اسرائيل خلفته فى غابة وكان جبريل يأتيه فيغذيه باصابعه فكان السامرى يمص من ابهام
يمينه عسلا ومن ابهام شماله سمنا فلما رآه حين عبر البحر عرفه فقبض قبضة من اثر فرسه فلم تزل القبضة فى يده
حتى انطلق موسى الى الطور وكان السامرى سمعهم حين خرجوا من البحر واتوا على قوم يعكفون على اصنام
لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ووقع فى نفسه ان يفتنهم من هذا الوجه وكان بنوا اسرائيل
استعاروا حليا كثيرة من قوم فرعون حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فاهلك الله تعالى فرعون
وبقيت تلك الحلى فى ايدى بنى اسرائيل فلما ذهب موسى الى المناجاة عد بنوا اسرائيل اليوم مع الليلة يومين
فلما مضى عشرون يوما قالوا قد تم اربعون ولم يرجع موسى الينا فخالفنا فقال السامرى هاتوا الحلى التى
استعرتموها او ان موسى امرهم ان يلقوها فى حفرة حتى يرجع ويفعل ما يرى فيها فلما اجتمعت الحلى صاغها
السامرى عجلا فى ثلاثة ايام ثم ألقى فيها القبضة التى اخذها من تراب سنبك فرس جبريل فخرجت عجلا من
ذهب مرصعا بالجواهر كأحسن ما يكون فصار جسدا له خوار اى صوت كصوت العجل وله لحم ودم وشعر
وقيل دخل الريح فى جوفه من خلفه وخرج من فيه كهيئة الخوار فقال للقوم هذا آلهكم واله موسى
فنسى اى اخطأ موسى الطريق وربه هنا وهو ذهب يطلبه فاقبلوا كلهم على عبادة العجل الا هرون مع اثنى
عشر الفا اتبعوا هرون ولم يتبعه غيرهم وهرون قد نصحهم ونهاهم وقال يا قوم انما فتنتم به وان ربكم
الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وقيل كان موسى وعدهم
ثلاثين ليلة ثم زيدت العشر وكانت فتنتهم فى تلك العشر فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى وظنوا انه
قدمات ورأوا العجل وسمعوا قول السامرى عكفوا على العجل يعبدونه قال ابو الليث فى تفسيره وهذا الطريق
اصح فلما رجع موسى ووجدهم على ذلك ألقى الالواح فرفع من جملتها ستة اجزاء وبقى جزء واحد وهو الحلال
والحرام وما يحتاجون واحرق العجل وذراه فى البحر فشربوا من مائه حبا للعجل فظهرت على شفاههم صفرة
وورمت بطونهم فتابوا ولم تقبل توبتهم دون ان يقتلوا انفسهم هذه حالهم واما هذه الامة فلا يحتاجون
الى قتل النفس فى الصورة وتوبتهم الحقيقية انما هى الرجوع الى الله بقتل النفس الامارة التى تعبد عجل
الهوى (قال فى المثنوى) اى شهان كشتيم ما خصم برون * ماند خصمى زوبتر دراندرون * كشتن
اين كار عقل وهوش نيست * شير باطن سخرهٔ خركوش نيست * نفس اژدرهاست او كى
مرده است * ازغم وبى آلتى افسرده است * كر بيابد آلت فرعون او * كه بامراو همى رفت
آب جو * آنكه او بنياد فرعونى كند * راه صد موسى وصد هارون زند * واعلم ان تعيين عدد
الاربعين فى الميعاد لاختصاصه فى الكمالية وذلك لان مراتب الاعداد اربع الآحاد والعشرات والمئات
والالوف والعشرة عدد فى نفسها كاملة كقوله تعالى تلك عشرة كاملة واذا ضعفت العشرة اربع مرات وهو كمال
مراتب الاعداد تكون اربعين وهو كمال الكمال وهو اعداد ايام تخمير طينة آدم عليه السلام كقوله تعالى
خمرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا فللاربعين خاصية وتأثير لم توجد فى غيره من الاعداد كما قال صلى الله عليه
وسلم ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك

الحديث كما ان انعقاد الطلسم الجسمانى على وجه الكنز الروحانى كان مخصوصا بالاربعين كذلك انحلاله يكون باختصاص الاربعين سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا واما اختصاص الليل بالذكر فى قوله اربعين ليلة فلمعنيين * احدهما ان لليل خصوصية فى التعبد والتقرب كقوله عليه السلام ان اقرب ما يكون العبد من الرب فى جوف الليل وكذا قوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى السماء الدنيا الحديث ولهذا المعنى قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن الليل فتهجد به نافلة لك الآية وقال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام * والآخر انه لو ذكر اليوم دون الليل يظن انه موعود بالتعبد فى النهار دون الليل وانما الليل جعل للاستراحة والسكون كقوله تعالى هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا فلما خص الليل بالذكر علم موسى عليه السلام ان التعبد فى الليل واليوم جميعا كذا فى التأويلات النجمية قال الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ان النبى عليه السلام لم يعين الاربعين بل اعتكف فى العشر الاخير ثم فعل موسى عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر والخلوتية أخذوا من ذلك كذا فى واقعات الشيخ الهدائى قدس الله نفسه الزاكية قال فى التأويلات النجمية ايضا الشكر على ثلاثة اوجه شكر بالاقوال وشكر بالاعمال وشكر بالاحوال فشكر الاقوال أن يتحدث بالنعم مع نفسه اسرارا ومع غيره اظهارا ومع ربه افتقارا كما قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقوله صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعم شكر وشكر الاعمال ان يصرف نعمة الله فى طاعته ولا يعصيه بها ويتدارك ما فاته من الطاعات ويادره من المعاصى كقوله تعالى اعملوا آل داود شكرا وشكر الاحوال ان يتجلى المنعم بصفة الشكورية على سر العبد فلا يرى الا المنعم فى النعمة والشكور فى الشكر ويرى المنعم فى النعم والنعمة من المنعم والشكور فى الشكر والشكر من الشكور ويرى وجوده وشكره نعمتين من نعم المنعم ورؤية النعمة فيكون نعمة وجوده مرآة جمال المنعم ويكون شكره مرآة جمال الشكور ورؤية المنعم والنعمة نعمة اخرى الى غير نهاية فيعلم ان لا يقوم باداء شكره ولا يشكره الا الشكور ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور (و) اذكروا يا بنى اسرائيل هذا هو الانعام الخامس (اذ قال موسى) وقت قوله (لقومه) الذين عبدوا العجل (يا قوم) اى يا قومى والاضافة للشفقة (انكم ظلمتم انفسكم) اى ضررتم انفسكم بايجاب العقوبة عليها ونقصتم الثواب الواجب بالاقامة على عهد موسى (باتخاذكم العجل) اى معبودا قالوا اى شئ نصنع قال (فتوبوا) اى فاعزموا على التوبة والفاء للسببية لان الظلم سبب للتوبة (الى بارئكم) اى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة والتعرض لعنوان البارئية للارشاد بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذى خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان تسترد هى منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب قالوا كيف نتوب قال (فاقتلوا انفسكم) اى ليقتل البرئ منكم المجرم وانما قال انفسكم لان المؤمنين اخوة واخو الرجل كانه نفسه قال تعالى ولا تلمزوا انفسكم يعنى ذكر قتل الانفس واراد به قتل الاخوان وهذا كما قال ولا تلمزوا انفسكم اى ولا تغتابوا اخوانكم من المسلمين كذا فى التيسير وتفسير ابى الليث والفاء للتعقيب وتوبتهم هى قتلهم اى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم كذا فى الكشاف وقال فى التفسير الكبير وليس المراد تفسير التوبة بقتل النفس بل بيان ان توبتهم لا تتم ولا تحصل الا بقتل النفس وانما كان كذلك لان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل (ذلكم) اى التوبة والقتل (خير لكم عند بارئكم) انفع لكم عند الله من الامتناع الذى هو اصرار وفيه عذاب لما ان القتل طهرة من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية (فتاب عليكم) خطاب منه تعالى اى ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم اى قبل توبتكم وتجاوز عنكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم فان قلت انه تعالى امر بالقتل والقتل لا يكون نعمة قلت ان الله نبههم على عظيم ذنبهم ثم نبههم على ما به يتخلصون من ذلك العظيم وذلك من النعم فى الدين (انه) الله تعالى (هو التواب) اى الذى يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ فى قبولها منهم (الرحيم) كثير الرحمة للمطيعين امره حيث جعل القتل كفارة لذنوبهم (قال السعدى) فرو ماند كانرا برحمت قريب * تضرع كانرا بدعوت مجيب * روى انهم

لما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله فجلسوا بالافنية محتبين مذعنين وقيل لهم من حل حبوته اومد طرفه الى قاتله اواتقاه بيد اورجل فهو ملعون مردود توبته واصلت القوم عليهم الخناجر اى جلوا عليهم الخناجر ورفعوا اوضربوهم بها وكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضى لامر الله قالوا ياموسى كيف نفعل فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهرون وبكيا وتضرعا وقالا يارب هلكت بنوا اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة ونزلت التوبة وامرهم ان يكفوا عن القتل فقتل منهم سبعون ألفا فكان من قتل شهيدا ومن بقى مغفورة ذنوبه واوحى الى موسى عليه السلام انى ادخل القاتل والمقتول الجنة هذا على رواية أن القاتل من المجرمين على ان معنى قوله فاقتلوا انفسكم ليقتل بعض المجرمين بعضا فالقاتل هو الذى بقى من المجرمين بعد نزول امر الكف عن القتل والا فالقاتل على الرواية الاخرى هو البرئ كما سبق فى تفسير الآية روى ان الامر بالقتل من الاغلال التى كانت عليهم وهى المواثيق اللازمة لزوم الغل ومن الاصر وهو الاعمال الشاقة كقطع الاعضاء الخاطئة وعدم جواز صلاتهم فى غير المسجد وعدم التطهير بغير الماء وحرمة اكل الصائم بعد النوم ومنع الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب الليل على الباب بالصبح وكما روى ان بنى اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها الى السارية وحبس نفسه على العبادة فهذه الامور رفعت عن هذه الامة تكريما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فالتوبة نعمة من الله انعم بها على هذه الامة دون غيرها ولها اربع مراتب فالاولى مختصة باسم التوبة وهى اول منزل من منازل السالكين وهى للنفس الامارة وهذه مرتبة عوام المؤمنين وهى ترك المنهيات والقيام بالمأمورات وقضاء الفوائت ورد الحقوق والاستحلال من المظالم والندم على ماجرى والعزم على ان لايعود والمرتبة الثانية الانابة وهى للنفس اللوامة وهذه مرتبة خواص المؤمنين من الاولياء والانابة الى الله بترك الدنيا والزهد فى ملاذها وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس بمخالفة هواها والمداومة على جهادها فالنفس اذا تحلت بالانابة دخلت فى مقام القلب واتصفت بصفته لان الانابة من صفات القلب قال تعالى وجاء بقلب منيب والمرتبة الثالثة الاوبة وهى للنفس الملهمة وهذه مرتبة خواص الاولياء والاوبة الى الله من آثار الشوق الى لقائه فالنفس اذا تحلت بالاوبة دخلت فى مقام الروح ومن امارات الاواب المشتاق ان يستبدل المخالطة بالعزلة ومنادمة الاخدان بالخلوة ويستوحش عن الخلق ويستأنس بالحق ويجاهد نفسه فى الله حق جهاده ساعيا فى قطع تعلقاتها عن الكونين والمرتبة الرابعة وهى للنفس المطمئنة وهذه مرتبة الانبياء واخص الاولياء قال تعالى ارجعى الى ربك وهى صورة جذبة العناية الربوبية نفوس الانبياء والاولياء تجذبها من انانيتها الى هويته ربوبيته راضية اى طائعة تلك النفوس شوقا الى لقاء ربها مرضية اى على طريقة مرضية فى السير الى ربها باذالة نفسها فى مشاهدة اللقاء طامعة لرفع الاثنينية ودوام الالتقاء قيل لما قدم الحلاج لتقطع يده قطعت اليد اليمنى اولا فضحك ثم قطعت اليد اليسرى فضحك ضحكا بليغا فخاف ان يصفر وجهه من نزف الدم فكب وجهه على الدم السائل ولطخ وجهه بدمه وانشأ يقول

الله يعلم ان الروح قد تلفت * شوقا اليك ولكنى امنيها
ونظرة منك ياسؤلى ويااملى * اشهى الى من الدنيا ومافيها
يا قوم انى غريب فى دياركو * سلمت روحى اليكم فاحكموا فيها
ما اسلم النفس للاسقام تتلفها * الا لعلمى بان الوصل يحييها
نفس المحب على الآلام صابرة * لعل مسقمها يوما يداويها

ثم رفع رأسه الى السماء وقال يامولاى انى غريب فى عبادك وذكرك اغرب منى والغريب يألف الغريب ثم ناداه رجل وقال ياشيخ ما العشق قال ظاهره ماترى وباطنه دق عن الورى وفى التأويلات النجمية ان لكل قوم عجلا يعبدونه من دون الله قوم يعبدون عجل الدراهم والدنانير وقوم يعبدون عجل الشهوات وقوم يعبدون عجل الجاه وقوم يعبدون عجل الهوى وهذا ابغضها على الله فالله تعالى يلهم موسى قلب كل سعيد ليقول ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم اى ارجعوا الى الله بالخروج عما سواه ولا يمكنكم الا بقتل النفس

فاقتلوا

فاقتلوا انفسكم بقمع الهوى لان الهوى هو حياة النفس وبالهوى ادّعى فرعون الربوبية وعبد بنوا اسرآئيل العجل وبالهوى أبى واستكبر ابليس اوارجعوا بالاستنصار على قتل النفس بنهيها عن هواها فاقتلوا انفسكم بنصر الله وعونه فان قتل النفس فى الظاهر يسر للمؤمن والكافر فاما قتل النفس فى الباطن وقهرها فامر صعب لا يتيسر الا لخواص الحق بسيف الصدق و بنصر الحق ولهذا جعل مرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهدآء وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رجع من غزو يقول رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وذلك لان المجاهد اذا قتل بسيف الكفار يستريح من التعب بمرة واحدة واذا قتل بسيف الصدق فى يوم ألف مرة تحيى كل مرة نفس على بصيرة اخرى وتزداد فى مكرها فلا يستريح المجاهد طرفة عين من جهادها ولا يأمن مكرها وبالحقيقة النفس هى صورة مكر الحق ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ذلكم خير لكم عند بارئكم يعنى قتل النفس بسيف الصدق خير لكم لان بكل قتلة رفعة ودرجة لكم عند بارئكم فانتم تتقربون الى الله بقتل النفس وقمع الهوى وهو يتقرب اليكم بالتوفيق للتوبة والرحمة عليكم كما قال من تقرب الىّ شبرا تقربت اليه ذراعا وذلك قوله فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم (قال فى المثنوى) عمر اگر بگذشت بيخش اين دم است * آب توبيش ده اگر او بى نم است * بيخ عمرت را بده آب حيات * تا درخت عمر گردد بانبات (واذ قلتم) هذا هو الانعام السادس اى واذكروا يا بنى اسرآئيل وقت قول السبعين من اسلافكم الذين اختارهم موسى حين ذهبوا معه الى الطور للاعتذار عن عبادة العجل وهم غير السبعين الذين اختارهم موسى اول مرة حين اراد الانطلاق الى الطور بعد غرق فرعون لاتيان التوراة (يا موسى لن نؤمن لك) لن نصدقك لاجل قولك ودعوتك على ان هذا كتاب الله وانك سمعت كلامه وان الله تعالى امرنا بقبوله والعمل به (حتى نرى الله جهرة) اى عيانا لاساتر بيننا و بينه كالجهر فى الوضوح والانكشاف لان الجهر فى المسموعات والمعاينة فى المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية فكأنها مصدر الفعل الناصب اوحال من الفاعل والمعنى حتى نرى الله مجاهرين اومن المفعول والمعنى حتى نرى الله مجاهرا بفتح الهاء (فاخذتكم الصاعقة) هى نار محرقة فيها صوت نازلة من السماء وهى كل امر مهول مميت اومزيل للعقل والفهم وتكون صوتا وتكون نارا وتكون غير ذلك وانما احرقتهم الصاعقة لسؤالهم ما هو مستحيل على الله فى الدنيا ولفرط العناد والتعنت وانما الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة وللافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا (وانتم تنظرون) الى الصاعقة النازلة فان كانت نارا فقد عاينوها وان كانت صوتا فهالانقدمات بعضهم اولا ورأى الباقون انهم ماتوا وسمى هذا رؤية الموت مجازا (ثم بعثناكم) اى احييناكم (من بعد موتكم) بتلك الصاعقة وقيد البعث بقوله من بعد موتكم مع انه يكون بعد الموت لما انه قد يكون من الاغماء اومن النوم قال قتادة احياهم ليستوفوا بقية آجالهم وارزاقهم وكان ذلك الموت بلا اجل وكانت تلك الموتة لهم كالسكتة لغيرهم قبل انقضاء آجالهم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة فان قلت كيف يجوز ان يكلفهم وقد أماتهم ولو جاز ذلك فلم لا يجوز ان يكلف اهل الآخرة اذا بعثوا بعد الموت قلنا الذى يمنع من تكليفهم فى الآخرة هو الاماتة ثم الاحياء وانما يمنع من ذلك لانه قد اضطرهم يوم القيامة الى معرفته والى معرفة ما فى الجنة من اللذات وما فى النار من الآلام وبعد العلم الضرورى لا تكليف فاذا كان المانع هو هذا لم يمتنع فى هؤلاء الذين اماتهم الله بالصعقة ان لا يكون قد اضطرهم واذا كان كذلك صح ان يكلفوا من بعد ويكون موتهم ثم الاحياء بمنزلة النوم او بمنزلة الاغماء (لعلكم تشكرون) نعمة الحياة بالتوحيد والطاعة اولعلكم تشكرون وقت مشاهدتكم بأس الله بالصاعقة نعمة الايمان التى كفرتموها بقولكم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان ترك النعمة لاجل طلب الزيادة كفران لها اى لعلكم تشكرون نعمة الايمان فلا تعودون الى اقتراح شئ بعد ظهور المعجزة واصل القصة ان موسى عليه السلام لما رجع من الطور الى قومه فرأى ماهم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه والسامرى ما قال وأحرق العجل وألقاه فى البحر وندم القوم على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى ان يأتيه فى ناس من بنى اسرآئيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين من قومه من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربنا حتى يسمعنا كلامه فسأل موسى عليه السلام ذلك فاجابه الله ولما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام

وتغشى الجبل كله ودنا من موسى ذلك الغمام حتى دخل فيه وقال للقوم ادخلوا فكلم الله موسى يأمره وينهاه وكلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل لا تفعل فعند ذلك طمعوا فى الرؤية وقالوا ما قالوا فاخذتهم الصاعقة فخروا صعقين ميتين يوما وليلة فلما ماتوا جميعا جعل موسى يبكى ويتضرع رافعا يديه الى السماء يدعو ويقول يا الهى اخترت من بنى اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودى بقبول توبتهم وماذا اقول لهم اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم لو شئت اهلكتهم قبل هذا اليوم مع اصحاب العجل اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله ورد اليهم ارواحهم وطلب توبة بنى اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم قالوا ان موسى عليه السلام سأل الرؤية فى المرة الاولى فى الطور ولم يمت لان صعقته لم تكن موتا ولكن غشية بدليل قوله تعالى فلما افاق وسأل قومه فى المرة الثانية حين خرجوا للاعتذار وماتوا وذلك لان سؤال موسى كان اشتياقا وافتقارا وسؤال قومه كان تكذيبا واجتراء ولم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهى محال وليس فى الآية دليل على نفى الرؤية بل فيها اثباتها وذلك ان موسى عليه السلام لما سأله السبعون لم ينههم عن ذلك وكذلك سأل هو ربه الرؤية فلم ينهه عن ذلك بل قال فان استقر مكانه فسوف ترانى وهذا تعليق بما يتصور قال بعض العلماء الحكماء الحكمة فى ان الله تعالى لا يرى فى الدنيا وجوه الاول ان الدنيا دار اعدائه لان الدنيا جنة الكافر الثانى لو رآه المؤمن لقال الكافر لو رأيته لعبدته ولو رآه جميعا لم يكن لاحدهما مزية على الآخر الثالث ان المحبة على غيب ليست كالمحبة على عين الرابع ان الدنيا محل المعيشة ولو رآه الخلق لاشتغلوا عن معايشهم فتعطلت الخامس انه جعلها بالبصيرة دون البصر ليرى الملائكة صفاء قلوب المؤمنين السادس ليقدر قدرها اذ كل ممنوع عزيز السابع انما منعها رحمة بالعباد لما جبلوا عليه فى هذه الدار من الغيرة اذ لو رآه احد تصدع قلبه من رؤية غيره اياه كما تصدع الجبل غيرة من ان يراه موسى والاشارة فى الآية ان مطالبة الرؤية جهرة هى تعرض مطالعة الذات غفلة فيوجب سوء الادب وترك الحرمة وذلك من امارات البعد والشقاوة ممن سطوات العظمة والعزة اخذتهم الرجفة والصعقة اظهارا للعدل ثم افاض عليهم سجال النعم اسبالا للستر على هيئات العبيد والخدم وقال ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون اظهار الفضل ومن علامات الوصلة ودلالات السعادة التولى بمكاشفات العزة مقرونا بملاطفات القربة فمن اصلح حاله لم يطلق لسان الجهل بل اتى البيت من بابه وتأدب فى سؤاله وجوابه (قال فى المثنوى) پيش شاهان ميكنى ترك ادب * نار شهوت را ازان كشتى حطب * چون ندارى فطنت ونور هدى * بهر كوران روى را ميزن جلا * ولابد من قتل النفس الامارة حتى تحكم فى عالم الحقيقة بما شئت قال القشيرى التوبة بقتل النفوس غير منسوخة فى هذه الامة الا ان بنى اسرائيل كان لهم قتل انفسهم جهرا وهذه الامة توبتهم بقتل انفسهم فى انفسهم سرا واول قدم هو القصد الى الله والخروج من النفس لله قال ولقد توهم الناس ان توبة بنى اسرائيل كانت اشق وليس كما توهموا فان ذلك كان مرة واحدة واهل الخصوص من هذه الامة قتلهم انفسهم فى كل لحظة كما قيل

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

(وفى المثنوى) قوت از حق خواهم وتوفيق ولاف * تا بسوزن بركنم اين كوه قاف * سهل شيرى دانكه صفها بشكند * شير آنست انكه خود را بشكند * (وظللنا عليكم الغمام) هذا هو الانعام السابع اى جعلنا الغمام ظلة عليكم يا بنى اسرائيل وهذا جرى فى التيه بين مصر والشام فانهم حين خرجوا من مصر وجاوزوا البحر وقعوا فى صحراء لا ابنية فيها امرهم الله تعالى بدخول مدينة الجبارين وقتالهم فقبلوا فلما قربوا منها سمعوا بان اهلها جبارون اشداء قامة احدهم سبعمائة ذراع ونحوها فامتنعوا وقالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فعاقبهم الله بان يتيهوا فى الارض اربعين سنة وكانت المفازة يعنى التيه اثنى عشر فرسخا فاصابهم حر شديد وجوع مفرط فشكوا الى موسى فرحمهم الله فانزل عليهم عمودا من نور يدلى لهم من السماء فيسير معهم بالليل يضيئ لهم مكان القمر اذا لم يكن قمر وارسل غماما ابيض رقيقا اطيب من غمام المطر يظللهم من حر الشمس فى النهار وسمى السحاب غماما لانه يغم السماء اى يسترها والغم حزن

يستر القلب ثم سألوا موسى الطعام فدعا ربه فاستجاب له وهو قوله تعالى (وانزلنا عليكم المن) اى الترنجبين بفتح الراء وتسكين النون كان ابيض مثل الثلج كالشهد المعجون بالسمن اوالمن جميع مامنّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين اى مما منّ الله على عباده والظاهر ان مجرد مائه شفاء لانه عليه السلام اطلق ولم يذكر الخلط ولما روى عن ابى هريرة انه قال عصرت ثلاثة اكمؤ وجعلت ماءها فى قارورة فكحلت منه جارية لى فبرئت باذن الله تعالى وقال النووى رأيت فى زماننا اعمى كحل عينه بمائها مجردا فشفى وعاد اليه بصره ثم لما ملوا من اكله قالوا ياموسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فانزل الله عليهم السلوى وذلك قوله (والسلوى) هو السمانى كانت تحشره عليهم الريح الجنوب وكانت الريح تقطع حلوقها وتشق بطونها وتمعط شعورها وكانت الشمس تنضجها فكانوا يأكلونها مع المن واكثر المفسرين على انهم يأخذونها فيذبحونها فكان ينزل عليهم المن نزول الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وتأتيهم السلوى فيأخذ كل انسان منهم كفايته الى الغد الا يوم الجمعة يأخذ ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت لانه كان يوم عبادة فان اخذ أكثر من ذلك دوّد وفسد (كلوا) اى قلنا لهم كلوا (من طيبات) حلالات (مارزقناكم) من المن والسلوى ولا ترفعوا منه شيأ ادخارا ولا تعصوا امرى فرفعوا وجعلوا اللحم قديدا مخافة ان ينفد ولو لم يرفعوا لدام عليهم ذلك والطيب مالا تعافه طبعا ولا تكرهه شرعا (وما ظلمونا) اى فظلموا بان كفروا تلك النعمة الجليلة وادخروا بعد مانهوا عنه وماظلمونا اى مابخسوا بحقنا (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) باستجلابهم عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤونة فى الدنيا ولا حساب فى العقبى فرفعنا ذلك عنهم لعدم توكلهم علينا (قال فى المثنوى) سالها خوردى وكم نامد زخور * ترك مستقبل كن وماضى نكر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنوا اسرآئيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا خيانة حوآء لم تخن انثى زوجها الدهر واستمر النتن من ذلك الوقت لان البادئ للشئ كالحامل للغير على الاتيان به وكذلك استمرت الخيانة من النساء لان ام النساء خانت بان أغواها ابليس قبل آدم حتى اكلت من الشجرة ثم أتت آدم فزينت له ذلك حتى حملته على ان اكل منها فاستمرت تلك الخيانة من بناتها لازواجها (قال السعدى) كراخانه آبادو همخوابه دوست * خدا را برحمت نظر سوى اوست * قال فى الاشباه والنظائر الطعام اذا تغير واشتد تغيره تنجس وحرم واللبن والزيت والسمن اذا انتن لا يحرم اكله انتهى والاشارة فى الآية انه تعالى لما أدبهم بسوط الغربة ادركهم بالرحمة فى وسط الكربة فاكرمهم بالانعام وظللهم بالغمام ومنّ عليهم بالمن وسلاهم بالسلوى فلا شعورهم كانت تطول ولا اظفارهم كانت تنبت ولا ثيابهم كانت تخلق اوتتسخ وتدرن بل كانت تنمو صغارها حسب نمو الصغار والصبيان ولا شعاع الشمس كان ينبسط وكذلك سنته بمن حال بينه وبين اختياره يكون مااختاره خيراله مما يختاره العبد لنفسه فما ازدادوا بشؤم الطبيعة الا الوقوع فى البلوى كما قيل كلوا من طيبات مارزقناكم بامر الشرع وماظلمونا اذ تصرفوا فيها بالطبع ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالحرص على الدنيا ومتابعة الهوى قال فى التنوير ومادخلك الله فيه تولى اعانتك عليه ومادخلت فيه بنفسك وكلك اليه فلا تكفر نعمة الله عليك فيما تولاك به من ذلك كان بعضهم يسير فى البادية وقد اصابه العطش فانتهى الى بئر فارتفع الماء الى رأس البئر فرفع رأسه الى السماء وقال أعلم انك قادر ولكن لا اطيق هذا فلو قيضت لى بعض الاعراب يصفعنى صفعات ويسقينى شربة ماء كان خيرا لى ثم انى أعلم ان ذلك الرفق من جهته فقد عرفت ان مكر الله خفى فلا تغرنك النعم الظاهرة والباطنة ولكن عزمك على الشكر والاقامة فى حد اقامك الله فيه والا فتضل وتشقى وقد قال الشيخ ابو عبد الله القرشى من لم يكن كارها لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصى فهى حجاب فى حقه وسترها عنه رحمة فالنعمة كما انها سبب للسعادة كذلك هى سبب للشقاوة استدراجا (قال فى المثنوى) بنده مى نالد بحق ازدرد ونيش * صدشكايت ميكند ازرنج خويش * حق همى كويدكه آخر رنج ودرد * مرترا لابه كنان اوست كرد * اين كله زان نعمتى كن كت زند * ازدر ما دور ومطرودت كند * فلا بد للمؤمن السالك من الفناء عن الذات والصفات والافعال والدور مع الامر الالهى فى كل حال حتى يكون من الصديقين واهل اليقين اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك واجعلنا من الذين معك فى تقلباتهم وكل معاملاتهم آمين آمين آمين بجاه النبى الامين (واذ قلنا) هذا

هو الانعام الثامن لانه تعالى أباح لهم دخول البلدة وازال عنهم التيه اى اذكروا يا بنى اسرائيل وقت قولنا لا بائكم اثر ما انقذتم من التيه (ادخلوا هذه القرية) منصوب على الظرفية اى مدينة بيت المقدس والقرية بفتح القاف وكسرها ما يجتمع فيه الناس اخذا من القرى (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) اى اكلا واسعا هنيئا على ان النصب على المصدرية أو هو حال من الواو فى كلوا اى راغدين متوسعين وفيه دلالة على ان المأمور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى قال فى التيسير اى ابحنا لكم ووسعنا عليكم فتعيشوا فيها انى شئتم بلا تضييق ولا منع وهو تمليك لهم بطريق الغنيمة وذكر الاكل لانه معظم المقصود (وادخلوا الباب) اى بابا من ابواب القرية وكان لها سبعة ابواب والمراد الباب الثانى من بيت المقدس ويعرف اليوم بباب حطة او باب القبة التى كان يتعبد فيها موسى وهرون ويصليان مع بنى اسرائيل اليها (سجدا) اى ركعا منحنين ناكسى رؤسكم بالتواضع على ان يكون المراد به معناه الحقيقى او ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجكم من التيه على ان يكون المراد به معناه الشرعى (وقولوا حطة) رفع بخبرية المبتدأ المحذوف اى مسألتنا من الله ان يحط عنا ذنوبنا اونصب اى حط عنا ذنوبنا حطة وقيل اريد بها كلمة الشهادة اى قولوا كلمة الشهادة الحاطة للذنوب (نغفر لكم) مجزوم على انه جواب الامر من الغفر وهو الستر اى نستر عليكم (خطاياكم) جمع خطيئة ضد الصواب اى ذنوبكم فلا نجازيكم بها لما تفعلون من السجود والدعاء وهم الذين عبدوا العجل ثم تابوا (وسنزيد المحسنين) ثوابا من فضلنا وهم الذين لم يعبدوا العجل والمحسن من احسن فى فعله والى نفسه وغيره وقيل المحسن من صحح عقد توحيده واحسن سياسة نفسه واقبل على اداء فرائضه وكف شره وقيل هو الفاعل ما يجمل طبعا ويحمد شرعا واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد زيادة الثواب وان لم يقل حطة فكيف اذا قالها واستغفر وانه يقول ويستغفر لا محالة امرهم بشيئين بعمل يسير وقول صغير فالعمل الانحناء عند الدخول والقول التكلم بالمقول ثم وعد عليهما غفران السيئات والزيادة فى الحسنات (فبدل الذين ظلموا) اى غير الذين ظلموا انفسهم بالمعصية ما قيل لهم من التوبة والاستغفار (قولا) آخر مما لا خير فيه فاحد مفعولى بدل محذوف (غير الذى قيل لهم) غير نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه روى انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية وهى لغتهم حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله تعالى وقال مجاهد طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فابوا ان يدخلوه سجدا فدخلوا يزحفون على استاههم مخالفة فى الفعل كما بدلوا القول واما المحسنون ففعلوا ما امروا به ولذا لم يقل فبدلوا بل قال فبدل الذين ظلموا وظاهره انهم بدلوا القول وحده دون العمل وبه قال جماعة وقيل بل بدلوا العمل والقول جميعا ومعنى قوله قولا غير الذى قيل لهم اى امرا غير الذى امروا به فان امر الله قول وهو تغيير جميع ما امروا به (فانزلنا) اى عقيب ذلك (على الذين ظلموا) اى غيروا ما امروا به ولم يقل عليهم على الاختصار وقد سبق ذكر الذين ظلموا فى الآية لانه سبق ذكر المحسنين ايضا فلو أطلق لوقع احتمال دخول الكل فيه ثم هذا ليس بتكرار لان الظلم اعم من الصغائر والكبائر والفسق لا بد وان يكون من الكبائر فالمراد بالظلم ههنا الكبائر بقرينة الفسق والمراد بالظلم المتقدم هو ما كان من الصغائر (رجزا من السماء) اى عذابا مقدرا والتنوين للتهويل والتفخيم (بما) مصدرية (كانوا يفسقون) بسبب خروجهم عن الطاعة والرجز فى الاصل ما يعاف ويستكره وكذلك الرجس والمراد به الطاعون روى انه مات فى ساعة واحدة اربعة وعشرون ألفا ودام فيهم حتى بلغ سبعين ألفا وفى الحديث الطاعون رجز ارسل على بنى اسرائيل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم ان الطاعون بارض فلا تدخلوها واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها وفى الحديث ايضا اتانى جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشأم فالطاعون شهادة لامتى ورحمة لهم ورجس على الكافر واعلم ان من مات من الطاعون مات شهيدا ويأمن فتنة القبر وكذا الصابر فى الطاعون اذا مات بغير الطاعون يوقى فتنة القبر لانه نظير المرابط فى سبيل الله تعالى فالمطعون شهيد وهو من مات من الطاعون والصابر المحتسب فى حكمه وكذا المبطون وهو الميت من داء البطن وصاحب الاسهال والاستسقاء داخل فى المبطون لان عقله لا يزال حاضرا وذهنه باقيا الى حين موته ومثل ذلك صاحب السل وكذا الغرق شهيد وهو بكسر الراء من يموت غريقا فى الماء وكذا صاحب الهدم بفتح الدال ما يهدم وصاحبه من يموت تحته وكذا المقتول فى سبيل الله

وكذا اصحاب ذات الجنب والحرق والمرأة الجمعاء وهى من تموت حاملا جامعا ولدها وليس موت هؤلاء كموت من يموت فجأة اومن يموت بالسام اوالبرسام والحميات المطبقة اوالقولنج اوالحصاة فتغيب عقولهم لشدة الالم ولورم ادمغتهم وافساد أمزجتها واعلم ان الطاعون مرض يكثر فى الناس ويكون نوعا واحدا اوالوباء وهو المرض العام قد يكون بطاعون وقد لا يكون وفى الحديث فناء امتى بالطعن والطاعون قيل يارسول الله هذا الطعن قد عرفنا فما الطاعون قال وخز اعدآئكم من الجن وفى كل شهادة قال ابن الاثير الطعن القتل بالرمح والوخز طعن بلا نفاذ وهذا لا ينافى قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث آخر غدة كغدة البعير تخرج فى مراق البطن وذلك ان الجنى اذا وخز العرق من مراق البطن خرج من وخزه الغدة فيكون وخز الجنى سبب الغدة الخارجة والغدة هى التى تخرج فى اللحم والمراق اسفل البطن وفى الحديث اذا بخس المكيال حبس القطر واذا كثر الزنى كثر القتل واذا كثر الكذب كثر الهرج والحكمة ان الزنى اهلاك النفس لان ولد الزنى هالك حكما فلذلك وقع الجزآء بالموت الذريع اى السريع لان الجزآء من جنس العمل الا يرى ان بخس المكيال يجازى بمنع القطر الذى هو سبب لنقص ارزاقهم وكذا الكذب سبب للتفرق والعداوة بين الناس ولهذا يجازى بالهرج الذى هو الفتنة والاختلاط وانما عمت البلية اينما وقعت لتكون عقوبة على اخوان الشياطين وشهادة ورحمة لعباد الله الصالحين اذ الموت تحفة للمؤمن وحسرة للفاسق ثم يبعثهم الله على قدر اعمالهم ونياتهم فيجازيهم والفرار من الطاعون حرام اذ الفرار نسيان الفاعل المختار كما قال ابن مسعود رضى الله عنه الطاعون فتنة على الفار والمقيم اما الفار فيقول بفراره نجوت واما المقيم فيقول اقمت فمت وفى الحديث الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه كالصابر فى الزحف والزحف الجيش الذى يرى لكثرته كانه يزحف اى يدب دبيبا والمراد هنا الفرار من الجيش فى الغزو ولكن يجب ان يقيد بالمثل اوالضعف فهذا الخبر يدل على ان النهى عن الخروج للتحريم وانه من الكبائر وليس بعيدا ان يجعل الله الفرار منه سببا لقصر العمر كما جعل الله تعالى الفرار من الجهاد سببا لقصر العمر قال تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت اوالقتل واذا لا تمتعون الا قليلا واما الخروج بغير طريق الفرار فرخص فيه لكن الرخصة مشروطة بشرآئط صعبة لا يقدر عليها الا الافراد منها حفظ امر الاعتقاد والتحرز من الاسباب العادية للمرض كالهوآء الفاسد وغيره فهو رخصة لكن مباشرة الحمية لاجل الخلاص من الموت سفه وعبث لا يشك فى حرمتها عوام المسلمين فضلا عن خواصهم قالوا فى بعض الامراض سراية الى ما يجاوره باذن الله تعالى كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان من القرف التلف والقرف بالتحريك مداناة المرضى واما قوله عليه السلام لا عدوى فانما هو نفى للتعدى طبعا كما هو اعتقاد اهل الجاهلية حيث كانوا يرون التأثير من طبيعة المرض لا نفى للسراية مطلقا والتسبب واجب للعوام والمبتدئين فى السلوك والتوكل افضل للمتوسطين واما الكاملون فليس يمكن حصر احوالهم فالتوكل والتسبب عندهم سيان (قال فى المثنوى) درحذر شوريدن شور وشرست * رو توكل كن توكل بهترست * باقضا پنجه مزن اى تند وتيز * تانگيرد هم قضا با تو ستيز * مرده بايد بود پيش حكم حق * تانيايد زخم از رب الفلق * روى ان جالينوس دفع الى اصحابه قرصين مثل البنادق وقال اجعلوا احدهما بعد موتى فوق الحديد الذى يعمل عليه الحدادون والآخر فى حب مملوء من الماء ثم اكسروا الحب ففعلوا كما اوصى فذاب الحديد فى الارض ولم يجدوا منه شيأ وانجمد الماء وقام بلا وعاء قال الحكماء اراد بذلك انى وان قدرت الى اذابة اصلب الاجساد واقامة الماء الذى من طبعه السيلان ما وجدت للموت دوآء ولذا قال بعضهم

الا يا ايها المغرور تب من غير تأخير * فان الموت قد يأتى ولو صيرت قارونا

بسل مات ارسطاليس بقراط بافلاج * وافلاطون ببرسام وجالينوس مبطونا

قال الشافعى رحمه الله انفس ما يداوى به الطاعون التسبيح ووجهه بان الذكر يرفع العقوبة والعذاب قال تعالى فلولا انه كان من المسبحين وكذا كثرة الصلاة على النبى المحترم صلى الله تعالى عليه وسلم لكن مثل هذا انما يكون مؤثرا اذا اقترن بالشرآئط الظاهرة والباطنة اذ ليس كل ذكر وصلاة شفيعا عند الحضرة الالهية (قال فى المثنوى) كرندارى تودم خوش دردعا * رودعا ميخواه از اخوان صفا * هركرا دل پاك باشد زاعتدال * ان دعايش ميرود تاذو الجلال * آن دعاى بيخودى خود ديكرست * ان دعا زو نيست كفت داورست *

آن دعا حق ميكند چون او فناست * آن دعا وآن اجابت از خداست * هين بجو اين قوم را اى مبتلا * هين غنيمت دار شان پيش از بلا (واذ استسقى موسى) نعمة اخرى كفروها اى اذكروا ايضا يا بني اسرآئيل اذ سأل موسى السقيا (لقومه) لاجل قومه وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد فاستغاثوا بموسى فدعا ربه ان يسقيهم (فقلنا) له بالوحي ان (اضرب بعصاك) وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى (الحجر) اللام اما للعهد والاشارة الى معلوم فقد روى انه كان حجرا طوريا حمله معه وكان خفيفا مربعا كرأس الرجل له اربعة اوجه في كل وجه ثلاث اعين اوهو الحجر الذى فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى مما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل ان ارفعه فان الله فيه قدرة ولك فيه معجزة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بنوا اسرآئيل تنظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى يغتسل وحده فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح موسى باثره يقول ثوبي يا حجر حتى نظرت بنوا اسرآئيل الى سوءة موسى فقالوا والله ما بموسى ادرة وهي بالضم نفخة بالخصية واما للجنس اى اضرب الشئ الذى يقال له الحجر وهو الاظهر في الحجة اى ابين على القدرة فان اخراج الماء بضرب العصا من جنس الحجر اى حجر كان ادل على ثبوت نبوة موسى عليه السلام من اخراجه من حجر معهود معين لاحتمال ان يذهب الوهم الى تلك الخاصية في ذلك الحجر المعين كخاصية جذب الحديد في حجر المغناطيس (فانفجرت) اى فضرب فالفاء متعلقة بمحذوف والانفجار الانسكاب والانبجاس الترشح والرش فالرش اول ثم الانسكاب (منه) اى من ذلك الحجر (اثنتا عشرة عينا) ماء عذبا على عدد الاسباط لكل سبط عين وكان يضربه بعصاه اذا نزل فيتفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس (قد علم كل اناس) اى كل سبط من الاسباط الاثنى عشر (مشربهم) اى عينهم الخاصة بهم اوموضع شربهم لا يدخل سبط على غيره في شربه والمشرب المصدر والمكان والحكمة في ذلك ان الاسباط كانت بينهم عصبية ومباهاة وكل سبط منهم لا يتزوج من سبط آخر وكل سبط اراد تكثير نفسه فجعل الله لكل سبط منهم نهرا على حدة ليستقوا منها ويسقوا دوابهم لكيلا يقع بينهم جدال ومخاصمة وكان ينبع من كل وجه من الحجر ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا ثم ان الله تعالى قد كان قادرا على تفجير الماء وفلق البحر من غير ضرب لكن اراد ان يربط المسببات بالاسباب حكمة منه للعباد في وصولهم الى المراد وليترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم في المعاد ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر ويمقر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض اولجذب الهوآء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك قال القرطبي في تفسيره ما ورد من انفجار الماء ونبعه من يد نبينا صلى الله عليه وسلم وبين اصابعه اعظم في المعجزة فانا نشاهد الماء يتفجر من الاحجار آناء الليل واطراف النهار ومعجزة نبينا عليه السلام لم تكن لنبى قبل اذلم يخرج الماء من لحم ودم (كلوا) على ارادة القول اى قلنا لهم اوقيل لهم كلوا (واشربوا من رزق الله) هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء فالاكل يتعلق بالاولين والشرب بالثالث وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام (ولا تعثوا في الارض) العثى اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد حال كونكم (مفسدين) فالمراد بهذه الحال تعريفهم بانهم على الفساد لا تقييد العامل والالكان مفهومه مفيدا معنى تمادوا في الفساد حال كونكم مصلحين وهذا غير جائز اوالاصل في العثى مطلق التعدى وان غلب في الفساد فيكون التقييد بالحال تقييد العامل بالخاص ودلت الآية على فضيلة امة محمد صلى الله عليه وسلم فان بني اسرآئيل احتاجوا الى الماء فرجعوا الى موسى ليسأل واحتاجوا الى البقل والقثاء وسائر المأكولات ففعلوا ذلك وهذه الامة اطلق لهم ان يسألوا الله كلما احتاجوه قال تعالى واسألوا الله من فضله وقال ادعوني استجب لكم وفيه ابشارة عظيمة وسأل موسى ربه الماء لقومه بقولهم وسأل عيسى ربه المائدة بقولهم وسأل نبينا عليه الصلاة والسلام المغفرة لنا بامر الله تعالى قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين فلما اجاب الله لهما فيما سألاه بطلب القوم فلأن يجيب نبينا فيما سأله بامره اولى وافادت الآية ايضا اباحة الخروج الى الاستسقاء وهو انما يكون اذا دام انقطاع المطر مع الحاجة اليه فالحكم حينئذ اظهار العبودية

والفقر

والفقر والمسكنة والذلة وقد استسقى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج الى المصلى متواضعا متذللا متخشعا مترسلا متضرعا وروى عن جندبة ان اعرابيا دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وقال يا رسول الله هلكت الكراع والمواشي واجدبت الارض فادع الله ان يسقينا فرفع يديه ودعا قال انس رضى الله عنه والسماء كانها زجاجة ليس بها قزعة فنشأت سحابة ومطرت الى الجمعة القابلة (قال فى المثنوى) تافرود آيد بلابى دافعى * چون نباشد از تضرع شافعى * تاسقاهم ربهم آيد خطاب * تشنه باش الله اعلم بالصواب * وعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند اهل الطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال الشيخ المحقق ابن الفارض قدس سره

ويحسن اظهار التجلد للعدى * ويقبح غير العجز عند الاحبة

وفى الحديث لن تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام فبهم تسقون وبهم تنصرون مامات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر كندارى تودم خويش دردعا * رودعا ميخواه ازاخوان صفا * وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ماعام بامطر من عام ولكنه اذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى قال الشيخ الشهير بافتاده افندى ترقى الطالب برعاية السنن وذكر انه استسقى الناس مرارا فى زمن الحجاج فلم ينزل لهم قطرة فقيل لهم لو دعا شخص لم يترك سنة العصر والسنة الاولى من العشاء لحصل المقصود والالا يحصل وان دعوتم اربعين مرة فتفقدوا فلم يجدوا شخصا على الصفة المذكورة فرجع الحجاج الى نفسه فوجدها على ماذكر فدعا فنزل مطر عظيم فى هذا الحين وحصل المقصود وهذا ببركة رعاية سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه مشهور بالظلم ولا بد فى الاستسقاء من تقديم التوبة والصدقة والصوم وان يجعل صلحاء الناس وسيلة وشفيعا فى ذلك ويستسقى للدواب العطاش والانعام السائمة والاطفال الضعيفة فلعلهم يسقون ببركتها وليكن الداعى ربه على يقين الاجابة لان رد الدعاء اما لعجز فى اجابته او لعدم كرم فى المدعو او لعدم علم المدعو بدعاء الداعى وهذه الاشياء منتفية عن الله تعالى فانه كريم عالم قادر لا مانع له من الاجابة وهو اقرب الى المؤمنين منهم يسمع دعاءهم ويقبل تضرعهم والدعاء مهما كان اعم كان الى الاجابة اقرب فانه لا بد ان يكون فى المسلمين من يستحق الاجابة فاذا اجاب الله دعاء البعض فهو اكرم من ان يرد الباقى وفى الحديث ادعوا الله بألسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك وفى تفسير الفاتحة للفنارى ان استقامة التوجه حال الطلب والنداء عند الدعاء شرط قوى فى الاجابة فمن زعم انه يقصد مناداة زيد وهو يستحضر غيره ثم لم يجد الاجابة فلا يلومن الا نفسه اذ لم يناد القادر على الاجابة وانما توجه الى ما انشأه من صفات تصوراته بالحالة الغالبة عليه اذ ذاك (روى) ان فرعون قبل دعوى الالهية امر ان يكتب على باب داره بسم الله فلما لم يؤمن بموسى قال الهى انى ادعوه ولا ارى فيه خيرا قال لعلك تريد اهلاكه انت تنظر الى كفره وانا الى ما كتبه على بابه فمن كتبه على سويداء قلبه ستين سنة اولى بالرحمة فاذا كان حال من كتبه على باب داره هكذا فكيف حال من نقشه على باب قلبه يستجاب دعاؤه لا محالة واول شرائط الاجابة اصلاح الباطن باللقمة الطيبة وآخرها الاخلاص وحضور القلب بعنى التوجه الاحدى والاشارة فى تحقيق الآية ان الروح الانسانى وصفاته فى عالم القلب بمثابة موسى وقومه وهو يستسقى ربه ليرويهم من ماء الحكمة والمعرفة وهو مأمور بضرب عصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفى والاثبات تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات صفات النفس وقد حملت من جنة حضرة العزة على حجر القلب الذى كالحجارة او اشد قسوة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة لان كلمة لا اله الا الله اثنا عشر حرفا من كل حرف عين قد علم كل سبط من اسباط الصفات الانسانية وهم اثنا عشر سبطا من الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس الباطنة والقلب والنفس ولكل واحد منهم مشرب من عين حرف من حروف الكلمة قد علم مشربه ومشرب كل واحد حيث ساقه رائده وقاده قائده فمشرب عذب فرات ومشرب ملح اجاج فالنفوس ترد مناهل المنى والشهوات والقلوب تشرب من مشارب التقى والطاعات والارواح تشرب من زلال الكشوف والمشاهدات والاسرار تروى من عيون الحقائق بكأس تجلى الصفات عن ساقى وسقاهم ربهم شراب الاضمحلال فى حقيقة الذات كلوا واشربوا كل واحد من رزق الله بامره ورضاه ولا تعثوا

فى الارض مفسدين بترك الامر واختيار الوزر وبيع الدين بالدنيا وايثار الآخرة على الاولى واختيارهما على المولى كذا فى التأويلات النجمية (واذ قلتم) تذكير لجناية اخرى لاسلاف بنى اسرائيل وكفرانهم لنعمة الله عز وجل خاطبهم تنزيلا لهم منزلة آبائهم لما بينهم من الاتحاد وكان هذا القول منهم فى التيه حين سئموا من اكل المن والسلوى لكونهما غير مبدلين والانسان اذا داوم شيأ واحدا سئمه وتذكروا عيشهم الاول بمصر لانهم كانوا اهل فلاحة فنزعوا الى عكرهم عكر السوء واشتاقت طباعهم الى ما جرت عليه عادتهم فقالوا (ياموسى لن نصبر على طعام واحد) الطعام ما يتغذى به وكنوا عن المن والسلوى بطعام واحد وهما اثنان لانهم كانوا يأكلون احدهما بالآخر فيصيران طعاما واحدا او اريد بالواحد نفى التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا وفى تفسير البغوى والعرب تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقيل لن نصبر على الغنى فيكون جميعنا اغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض لاستغناء كل واحد بنفسه وكان فيهم اول من اتخذ العبيد والخدم (فادع لنا ربك) اى سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء (يخرج لنا) اى يظهر لنا ويوجد شيأ فالمفعول محذوف والجزم لجواب الامر فان دعوته سبب الاجابة اى ان تدع لنا ربك يخرج لنا (مما تنبت الارض) اسناد مجازى باقامة القابل وهو الارض مقام الفاعل وهو الله تعالى ومن تبعيضية وما موصولة (من بقلها) من بيانية واقعة موقع الحال من الضمير اى مما تنبته كائنا من بقلها والبقل ما تنبت الارض من الخضر والمراد اصناف البقول التى تأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها (وقثائها) اخو القند وهو شئ يشبه الخيار (وفومها) وهو الحنطة لان ذكر العدس يدل على انه المراد لانه من جنسه وقيل هو الثوم لان ذكر البصل يدل على انه هو المراد فانه من جنسه قال ابن التمجيد فى حواشيه وحمله على الثوم اوفق من الحنطة لاقتران ذكره بالبصل والعدس فان العدس يطبخ بالثوم والبصل (وعدسها) حب معروف يستوى كيله ووزنه (وبصلها) بقل معروف تطيب به القدور (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال الله لهم او موسى عليه السلام فقيل قال انكارا عليهم (اتستبدلون) اى أتأخذون لانفسكم وتختارون (الذى هو ادنى) اى اقرب منزلة وأدون قدرا (بالذى هو خير) اى بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الزائل دون الآتى الحاصل وخيرية المن والسلوى فى اللذاذة وسقوط المشقة وغير ذلك ولا كذلك الفوم والعدس والبصل وامثالها قال بعضهم الحنطة وان كانت اعلى من المن والسلوى لكن خساستها ههنا بالنسبة الى قيمتها وليس فى الآية ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فى صورة المناوبة لانهم ارادوا بقولهم لن نصبر على طعام واحد ان يكون هذا تارة وذا اخرى (اهبطوا) اى انحدروا وانزلوا من التيه ان كنتم تريدون هذه الاشياء (مصرا) من الامصار لانكم فى البرية فلا يوجد فيها ما تطلبون وانما يوجد ذلك فى الامصار فالمراد ليس مصر فرعون لقوله تعالى ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم واذا وجب عليهم دخول تلك الارض فكيف يجوز دخول مصر فرعون وهو الاظهر والمصر البلد العظيم من مصر الشئ يمصره اى قطعه سمى به لانقطاعه عن الفضاء بالعمارة وقد تسمى القرية مصرا كما تسمى المصر قرية وهو ينصرف ولا ينصرف فصرف ههنا لان المراد غير معين وقيل اريد به مصر فرعون وانما صرف لسكون وسطه كهند ودعد ونوح اولتأويله بالبلد دون المدينة فلم يوجد فيه غير العلمية (فان لكم ما سألتم) تعليل للامر بالهبوط اى فان لكم فيه ما سألتموه من بقول الارض (وضربت عليهم الذلة) اى الذل والهوان (والمسكنة) اى الفقر يسمى الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة اى جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه اوالصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم كما يضرب الطين على الحائط فهو استعارة بالكناية فترى اليهود وان كانوا مياسير كأنهم فقراء (وباؤا) اى رجعوا (بغضب) عظيم كائن (من الله) اى استحقوه ولزمهم ذلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ابوء بنعمتك على اى اقربها وألزمها نفسى وغضب الله تعالى ذمه اياهم فى الدنيا وعقوبتهم فى الآخرة (ذلك) اى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم (بانهم) اى بسبب ان اليهود (كانوا يكفرون) على الاستمرار بآيات الله الباهرة التى هى المعجزات الساطعة الظاهرة على يدى موسى عليه السلام مما عد اولم يعد

وكذبوا بالقرآن ومحمد عليه السلام وانكروا صفته فى التوراة وكفروا بعيسى والانجيل (ويقتلون النبيين بغير الحق) كشعيب وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذلم يكن احد معتقدا بحقية قتل احدهم عليهم السلام فان قيل كيف جاز أن يخلى بين الكافرين وقتل الانبياء قيل ذلك كرامة لهم وزيادة فى منازلهم كمثل من يقتل فى سبيل الله من المؤمنين وليس ذلك بخذلان لهم قال ابن عباس رضى الله عنه والحسن لم يقتل قط من الانبياء الا من لم يؤمر بقتال وكل من امر بقتال نصر فظهر ان لاتعارض بين قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق وقوله انا لننصر رسلنا وقوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون مع انه يجوز ان يراد به النصرة بالحجة وبيان الحق وكل منهم بهذا المعنى منصور * روى انهم قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا (قال فى المثنوى) چون سفيه انراست اين كار وكيا * لازم آمد يقتلون الانبيا * انبيارا گفته قوم راه گم * ازسفه انا تطيرنا بكم (ذلك) اى ماذكر من الكفر بالايات العظام وقتل الانبياء عليهم السلام (بما عصوا وكانوا يعتدون) يتجاوزون امرى ويرتكبون محارمى اى جرّهم العصيان والتمادى فى العدوان الى المشار اليه فان صغار الذنوب اذادووم عليها ادّت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحرى كبارها وسقم القلب بالغفلة عن الله تعالى منعهم عن ادراك لذاذة الايمان وحلاوته لان المحموم ربما وجد طعم السكر مرّا فالغفلة سم للقلوب مهلك فنفرة قلوب المؤمنين عن مخالفة الله نفرتك عن الطعام المسموم واعلم ان لله مرادا وللعبد مرادا وما اراد الله خير فقوله اهبطوا اى عن سماء التفويض وحسن التدبير منالكم الى ارض التدبير والاختيار منكم لانفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع الله وتدبيركم لانفسكم مع تدبير الله ولوان هذه الامة هى الكائنة فى التيه لما قالت مقال بنى اسرآئيل لشفوف انوارهم ونفوذ اسرارهم قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اى عدلا اخيارا وفى التأويلات كما ان بنى اسرآئيل لم يصبروا على طعام واحد كان ينزل عليهم من السماء وقالوا لموسى من خساسة طبعهم ما قالوا كذلك نفس الانسان من دناءة همتها لم تصبر على طعام واحد يطعمها ربها الواحد من واردات الغيب كما كان يصبر نفس النبى عليه السلام ويقول لست كأحدكم فانى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى بل يقول لموسى القلب فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض البشرية من بقل الشهوات الحيوانية وقثاء اللذات الجسمانية قال أتستبدلون الفانى بالباقى اهبطوا مصر القالب السفلى من مقامات الروح العلوى فان لكم ما سألتم من المطالب الدنيئة وضربت عليهم الذلة والمسكنة كالبهائم والانعام بل هم اضل لانهم باؤوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بالواردات الغيبية والمكاشفات الروحانية بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق اى يبطلون ما يفتح الله لهم من انباء الغيب فى مقام الانبياء وينكرون اسرارهم ذلك يعنى حصول هذه المقامات منهم بما عصوا اى بهم فى نقض العهود وبذل المجهود فى طاعة المعبود وكانوا يعتدون من طلب الحق فى مطالبة ما سواه انتهى باختصار ثم ان فى الآية الكريمة دليلا على جواز أكل الطيبات والمطاعم المستلذات وكان النبى عليه السلام يحب الحلوى والعسل ويشرب الماء البارد العذب والعدس والزيت طعام الصالحين وفى الحديث عليكم بالعدس فانه مبارك مقدس وانه يرقق القلب ويكثر الدمعة فانه بارك فيه سبعون نبيا آخرهم عيسى بن مريم وكان عمر بن عبد العزيز يأكل يوما خبزا بزيت ويوما بعدس ويوما بلحم ولو لم يكن فيه فضيلة الا ان ضيافة ابراهيم عليه السلام فى مدينته لاتخلو منه لكان فيه كفاية وهو مما يخفف البدن فيخف للعبادة ولاتثور منه الشهوات كما تثور من اللحم والحنطة واكل البصل والثوم وماله رآئحة كريهة مباح وفى الحديث من اكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوآدم والمراد بالملائكة الحاضرون مواضع العبادات لا الملازمون للانسان فى جميع الاوقات ومعنى تأذيهم من هذه الروآئح وانه مخصوص بها او عام لكل الروآئح الخبيثة مما يفوض علمه الى الشارع وهذا التعليل يدل على انه لايدخل المسجد وان كان خاليا من الانسان لانه محل الملائكة قال عليه السلام ان كنتم لابد لكم من اكلها فاميتوها طبخا وقاس قوم على المساجد سائر مجامع الناس وعلى اكل الثوم ماله رآئحة كريهة كالبخر وغيره وانما كره النبى صلى الله عليه وسلم اكل البصل ونحوه لما انه يأتيه الوحى ويناجى الله تعالى ولكن رخص للسائر ويقال كان آخر ما اكله النبى صلى الله عليه وسلم

البصل ابدًا ما لامته باباحته والعزيمة ان يقتدى الرجل فى اقواله وافعاله واحواله برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال المولى الجامى) يا نبى الله السلام عليك * انما الفوز والفلاح لديك * كر نرفتم طريق سنت تو * هستم از عاصيان امت تو * مانده ام زير بار عصيان پست * افتم از پاى اكر نكيرى دست *

(ان الذين آمنوا) بالسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون بقرينة انتظامهم فى سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا (والذين هادوا) اى تهودوا من هاد اذا دخل فى اليهودية ويهود اما عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهودا كأنهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام ويقال انما سمى اليهود يهودا لانهم اذا جاءهم رسول اونبى هادوا الى ملكهم فدلوه عليه فيقتلونه (والنصارى) جمع نصران كندامى جمع ندمان سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام اولانهم كانوا معه فى قرية يقال لها ناصرة فسموا باسمها اولاعتزائهم الى نصرة وهى قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام (والصابئين) من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الكواكب والملائكة فكانوا كعبدة الاصنام وان كانوا يقرأون الزبور لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وجاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لم يسمى الصابئون صابئين فقال عليه السلام لانهم اذا جاءهم رسول اونبى اخذوه وعمدوا الى قدر عظيم فأغلوه حتى اذا كان محمى صبوه على رأسه حتى يتفسخ كذا فى روضة العلماء (من) مبتدأ خبره فلهم اجر عظيم والجملة خبران (آمن) من هؤلاء الكفرة (بالله) وبما انزل على جميع النبيين (واليوم الآخر) وهو يوم البعث اى من احدث منهم ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق ودخل فى ملة الاسلام دخولا اصيلا (وعمل) عملا (صالحا) مرضيا عند الله (فلهم) بمقابلة تلك والفاء للسببية (اجرهم) الموعود لهم (عند ربهم) اى مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت الخبرأن هؤلاء اذا آمنوا وعملوا الصالحات لم يؤاخذوا بتقديم فعلهم ولا بفعل آبائهم ولا ينقصون من ثوابهم (ولا خوف عليهم) عطف على جملة فلهم اجرهم اى لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب (ولاهم يحزنون) حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما وتخصيصه من اخلص ايمانه واصلح عمله دخل الجنة واعلم ان هذا الدين الحق حسنه موجود فى النفوس وانما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية والتقليد فكل مولود انما يولد فى مبدأ الخلقة واصل الجبلة على الفطرة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها استمر على لزومها ولم يفارقها الى غيرها كما قال عليه السلام ما من مولود الا وقد يولد على فطرة الاسلام ثم ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال ابن الملك فى شرح المشارق المراد بالفطرة قولهم بلى حين قال الله تعالى ألست بربكم فلا مخالفة بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام ان الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا والتحقيق ان الله تعالى لما اخرج ذرية آدم من ظهره وقال ألست بربكم آمنوا كلهم لمشاهدتهم الحق بالمعاينة لكن لم ينفع ايمان الاشقياء لكونهم لم يؤمنوا من قبل فاختلط السعيد والشقى ولم يفرق بينهما فى هذا العالم ثم انهم اذا نزلوا فى بطون الامهات تميز السعيد من الشقى لان الكاتب لا ينظر الى عالم الاقرار بل ينظر الى ما فى علم الله تعالى من احوال الممكن من السعادة والشقاوة وغيرهما واذا ولدوا يولدون على فطرة الاسلام وهى فطرة بلى فههنا اربعة مقامات الاول علم الله وهو البطن المعنوى ويقال له فى اصطلاح الصوفية بطن الام وام الكتاب والثانى مقام بلى ويقال له مولود معنوى والثالث بطن الام الصورى والرابع مولود صورى وهو صورة المولود المعنوى لذلك لا تميز السعيد من الشقى فيه كما لا تميز فى عالم ألست والبطن الصورى صورة علم الله لذلك تميز السعيد من الشقى فيها فظهر لك معنى حديث النبى عليه السلام السعيد سعيد فى بطن امه والشقى شقى فى بطن امه ومعنى الخبر الآخر السعيد قد يشقى والشقى قد يسعد ومعنى الحديث كل مولود يولد على فطرة الاسلام كذا حققه الشيخ بالى الصوفيوى قدس سره يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة قال شيخى العلامه ابقاه الله بالسلامه فى كتابه المسمى باللائحات البرقيات لاح ببالى ان المراد ببطن الام على مشرب اهل التحقيق هو باطن الغيب المطلق الذاتى الاحدى يعنى السعيد سعيد فى باطن الغيب المطلق ازلا وفى ظاهر الشهادة المطلقة ابدا ولم تتداخل الشقاوة فى واحد منهما اصلا والشقى شقى فى باطن الغيب المطلق

ازلا وفى ظاهر الشهادة المطلقة ابدا ولم تتداخل السعادة فى واحد منهما اصلا الا ان السعيد قد تتداخله الشقاوة والشقى قد تتداخله السعادة فى البرزخ الجامع بينهما فيكون السعيد الشقى سعيدا بالسعادة الذاتية وشقيا بالشقاوة العارضية والشقى السعيد شقيا بالشقاوة الذاتية وسعيدا بالسعادة العارضية والسبق فى الغاية للذاتى دون العارضى ويغلب حكم الذاتى على حكم العارضى ويختم به كما بدئ به ويختم آخر نفس الشقى بالشقاوة العارضية بالسعادة الذاتية وتزول شقاوته العارضية ويدخل فى زمرة السعداء ابدا ويختم آخر نفس السعيد بالسعادة العارضية بالشقاوة الذاتية وتزول سعادته العارضية ويدخل فى زمرة الاشقياء ابدا والى هذا التداخل والعروض البرزخى اشار بقوله السعيد قد يشقى والشقى قد يسعد والتبدل فى العارضى لا فى الذاتى والاعتبار بالذاتى لا العارضى انتهى فمن انشرح قلبه بنور الله فقد آمن بالله لا بالتقليد والرسم والعادة والاقتداء بالآباء واهل البلد فلا خوف عليهم من حجب الانانية ولا هم يحزنون بالاثنينية لانهم الواصلون الى نور الوحدة والهوية (واذ اخذنا ميثاقكم) تذكير لجناية اخرى لاسلاف بنى اسرآئيل اى اذكروا يا بنى اسرآئيل وقت اخذنا لعهد آبائكم بالعمل على ما فى التوراة وذلك قبل التيه حين خرجوا مع موسى من مصر ونجوا من الغرق (ورفعنا فوقكم الطور) كانه ظلة حتى قبلتم واعطيتم الميثاق والطور الجبل بالسريانية وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القى عليكم فلما رأوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود لئلا ينزل عليهم فصارت عادة فى اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب ثم رفع الجبل ليقبلوا التوراة لم يكن جبرا على الاسلام لان الجبر ما يسلب الاختيار وهو جائز كالمحاربة مع الكفار واما قوله تعالى لا اكراه فى الدين وامثاله فمنسوخ بالقتال قال ابن عطية والذى لا يصح سواه ان الله جبرهم وقت سجودهم على الايمان لانهم آمنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة بذلك (خذوا) على ارادة القول اى فقلنا لهم خذوا (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة ومواظبة (واذكروا ما فيه) اى احفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه (لعلكم تتقون) رجاء منكم ان تكونوا متقين (ثم توليتم) اى اعرضتم عن الميثاق والوفاء به والدوام عليه (من بعد ذلك) الميثاق المؤكد (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) عطفه بالامهال وتأخير العذاب (لكنتم من الخاسرين) اى من الهالكين ولكن تفضل عليكم حيث رفع الطور فوقكم حتى تبتم فزال الجبل عنكم ولولا ذلك لسقط عليكم والخسران فى الاصل ذهاب رأس المال وهو ههنا هلاك النفس لانها الاصل وقد منّ الله تعالى على امة محمد صلى الله عليه وسلم حيث فرض عليهم الفرآئض واحدة بعد واحدة ولم يفرض عليهم جملة فاذا استقرت الواحدة فى قلوبهم فرض عليهم الاخرى واما بنوا اسرآئيل فقد فرض عليهم بدفعة واحدة فشق عليهم ذلك ولذا لم يقبلوا حتى رأوا العذاب ثم ان الله تعالى امر بحفظ الاوامر والعمل وبعدم النسيان والتضييع وقال واذكروا ما فيه وهو المقصود من الكتب الالهية لان العمدة العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيلها فان ذلك نبذ لها مثاله ان السلطان اذا ارسل منشورا الى واحد من امرآئه فى ممالكه وامره فيه ان يبنى له قصرا فى تلك الديار فوصل الكتاب اليه وهو لا يبنى ما امر به لكنه يقرأ المنشور كل يوم فلو حضر السلطان ولم يجد القصر حاضرا فالظاهر انه يستحق العتاب بل العقاب فالقرآن انما هو مثل ذلك المنشور قد امر الله فيه عبيده ان يعمروا اركان الدين من الصوم والصلاة وغيرهما فمجرد قرآءة القرآن بغير عمل لا يفيد (قال فى المثنوى)

هست قرآن حالهاى انبيا * ماهيان بحر پاك كبريا * ور بخوانى ونه قرآن پذير * انبيا واوليارا ديده كير *

روى انه عليه السلام شخص ببصره الى السماء يوما ثم قال هذا اوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شئ فقال زياد بن لبيد الانصارى كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وابناءنا فقال صلى الله عليه وسلم ثكلتك امك يا زياد هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم وفى الموطأ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لانسان انك فى زمان كثير فقهاؤه قليل قرآؤه يحفظ فيه حدود القرآن وبضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطى يطولون الصلاة ويقصرون الخطبة يبدون فيه اعمالهم قبل اهوآئهم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قرآؤه يحفظ

فيه حروف القرءآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطى يطولون فيه الخطبة و يقصرون الصلاة يبدون فيه اهواءهم قبل اعمالهم والاشارة فى الآية ان اخذ الميثاق كان عاما كما كان فى عهد ألست بربكم ولكن قوما اجابوه شوقا وقوما اجابوه خوفا ليتحقق ان الامر بيد الله فى كلتا الحالتين يسمع خطابه من يشاء موجبا للهداية ويسمع من يشاء موجبا للضلالة فانه لا برهان اظهر من رفع الطور فوقهم عيانا فلما اوبقهم الخذلان لم ينفعهم اظهار البرهان وفى قوله خذوا ما آتيناكم بقوة اشارة الى ان اخذ ما يؤتى الله من الاوامر والنواهى والطاعات والعلوم وغير ذلك لا يمكن القوة الانسانية الا بقوة ربانية وتأييد الهى واذكروا ما فيه من الرموز والاشارات والدقائق والحقائق لعلكم تتقون بالله عما سواه ثم توليتم من بعد ذلك اى اعرضتم عن طريق الحق واتباع الشريعة باستيلاء قوة الطبيعة بعد اخذ الميثاق وسلوك طريق الوفاق ابتلاء من الله فلولا فضل الله عليكم ورحمته وهو سبق العناية فى البداية وتوفيق اخذ الميثاق بالقوة فى الوسط وقبول التوبة وتوفيقها والثبات عليها فى النهاية لكنتم من الخاسرين المصرين على العصيان المغبونين بالعقوبة والخسران والمبتلين بذهاب الدنيا والعقبى ونكال الآخرة والاولى كما كان حال المصرين منكم والمعتدين (ولقد علمتم) خطاب لمعاصرى النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود اى وبالله قد عرفتم يا بنى اسرآئيل (الذين اعتدوا) اى تجاوزوا الحد ظلما (منكم) من اسلافكم محله نصب على انه حال (فى) يوم (السبت) اى جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد واصل السبت القطع لان اليهود امروا بان يسبتوا فيه اى يقطعوا الاعمال ويشتغلوا بعبادة الله ويسمى النوم سباتا لانه يقطع الحركات الاختيارية وفيه تحذير وتهديد فكانه يقول انكم تعلمون ما اصابهم من العقوبة فاحذروا كيلا يصيبكم مثل ما اصابهم والقصة فيه انهم كانوا فى زمن داود عليه السلام بارض يقال لها ايلة بين المدينة والشام على ساحل بحر القلزم حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك اما ابتلاء لاولئك القوم واما زيارة السمكة التى كان فى بطنها يونس ففى كل سبت يجتمعن لزيارتها ويخرجن خراطيمهن من الماء حتى لا يرى الماء من كثرتها واذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل البحر فلا يرى شئ منها ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فعمد رجال من اهل تلك القرية فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه اليها الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فاقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها فاذا كان يوم الاحد يصطادونها فاخذوا واكلوا وملحوا وباعوا فكثرت اموالهم ففعلوا ذلك زمانا اربعين سنة او سبعين لم تنزل عليهم عقوبة وكانوا يتخوفون العقوبة فلما لم يعاقبوا استبشروا وتجرأوا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا ثم استن الابناء سنة الآباء فلوا انهم فعلوا ذلك مرة اومرتين لم يضرهم فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلاثة اصناف صنف امسك ونهى وصنف امسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة وكان الناهون اثنى عشر الفا فنهوهم عن ذلك وقالوا يا قوم انكم عصيتم ربكم وخالفتم سنة نبيكم فانتهوا عن هذا العمل قبل ان ينزل بكم البلاء فلم يتعظوا وابوا قبول نصحهم فعاقبهم الله بالمسخ وذلك قوله تعالى (فقلنا لهم) قهرا (كونوا قردة) جمع قرد كالديكة جمع ديك بالفارسية بوزينه وهذا امر تحويل لانهم لم يكن لهم قدرة على التحول من صورة الى صورة وهو اشارة الى قوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اى لما اردنا ذلك صاروا كما اردنا من غير امتناع ولا لبث (خاسئين) هو وقردة خبران اى كونوا جامعين بين القردية والخسئ وهو الصغار والطرد وذلك ان المجرمين لما ابوا قبول النصح قال الناهون والله لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وصيروها بذلك ثنتين فلعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فمسخوا ليلا فلما اصبح الناهون اتوا ابوابها فاذا هى مغلقة لا يسمع منها صوت ولا يعلو منها دخان فتسوروا الحيطان ودخلوا فرأوهم قد صار الشبان قردة والشيوخ خنازير لها اذناب يتعاوون فعرفت القردة انسابهم من الانس ولم يعرف الانس انسابهم من القردة فجعلت القردة تاتى نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكى فيقول الم ننهكم عن ذلك فكانوا يشيرون برؤسهم اى نعم والدموع تفيض من اعينهم ودل ذلك على انهم لما مسخوا بقى فيهم الفهم والعقل ثم لم يكن ابتدآء القردة من هؤلاء بل كانت قبلهم قردة وهؤلاء حولوا الى صورتها لقبحها جزآء على قبح اعمالهم وافعالهم وماتوا بعد ثلاثة ايام ولم يتوالدوا والقردة التى

فى الدنيا هى نسل قردة كانت قبلهم (فجعلناها) اى صيرنا مسخة تلك الامة وعقوبتها (نكالا) اى عبرة تنكل من اعتبر بها اى تمنعه من ان يقدم على مثل صنيعهم (لما بين يديها وما خلفها) اى لما قبلها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين فاستعير ما بين يديها للزمان الماضى وما خلفها للمستقبل (وموعظة) اى تذكرة (للمتقين) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم اولكل متق سمعها فاللام للاستغراق العرفى على التقديرين (قال السعدى) نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دگر مرغ بيند اندر بند * پند گير از مصائب دگران * تا نگيرند ديگران زتو پند * واعلم ان هذا البلاء والخسران جزاء من لم يعرف قدر الاحسان ومن يكافى المنعم بالكفران يرد من عزة الوصال الى ذل الهجران وكان عقوبة الامم بالخسف والمسخ على الاجساد وعقوبة هذه الامة على القلوب وعقوبات القلوب اشد من عقوبات النفوس قال الله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم الاية هكذا حال من لم يتأدب فى خدمة الملوك وينخرط فى اثناء السلوك ومن لم يتخط بساط القربة بقدم الحرمة يستوجب الحرمان ويستجلب الخسران ويبتلى بسياسة السلطان ثم علامة المسخ مثل الخنزيران يأكل العذرات ومن اكل الحرام فقلبه ممسوخ ويقال علامة مسخ القلب ثلاثة اشياء لا يجد حلاوة الطاعة ولا يخاف من المعصية ولا يعتبر بموت احد بل يصير ارغب فى الدنيا كل يوم كذا فى زهرة الرياض وروى عن عوف بن عبد الله انه قال كان اهل الخير يكتب بعضهم بثلاث كلمات من عمل لآخرته كفاه الله امر دنياه ومن اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين الناس ومن اصلح سريرته اصلح الله علانيته قال محمد بن على الترمذى صلاح اربعة اصناف فى اربعة مواطن صلاح الصبيان فى الكتاب وصلاح القطاع فى السجن وصلاح النساء فى البيوت وصلاح الكهول فى المساجد (واذ قال موسى لقومه) توبيخ آخر لاخلاف بنى اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت من اسلافهم اى واذكروا قول موسى عليه السلام لاجدادكم (ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) هى الانثى من نوع الثور واحد البقر ذكرا كان او انثى من البقر وهو الشق سميت به لانها تبقر الارض اى تشقها للحراثة وسببه انه كان فى بنى اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اعمه طمعا فى ميراثه فطرحوه على باب المدينة او حملوه الى قرية اخرى وألقوه بفنائها ثم جاؤا يطالبون بديته وجاؤا بناس يدعون عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه امر القتيل على موسى وكان ذلك قبل نزول القسامة فى التوراة فسألوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم بدعائه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله (قالوا) كأنه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال اولا فقيل قالوا (أتتخذنا هزوا) اى أتجعلنا مكان هزء ومضربة وتستهزئ بنا نسألك عن امر القتيل وتأمرنا بذبح بقرة ولا جامع بينهما قال بعض العلماء كان ذلك هفوة منهم وجهالة ثم انقادوا للطاعة وذبحوها (قال) موسى وهو استئناف كما سبق (اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) لان الهزؤ فى اثناء تبليغ امر الله جهل وسفه ودلت ان الاستهزاء بامر الدين كبيرة وكذا بالمسلمين ومن يجب تعظيمه وان ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد وليس المزاح من الاستهزاء قال امير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه لا بأس بفكاهة يخرج بها الانسان من حد العبوس (روى) انه قدم رجل الى عبيد الله بن الحسن وهو قاضى الكوفة فمازحه عبيد الله فقال جبتك هذه من صوف نعجة او من صوف كبش فقال أتجهل ايها القاضى فقال له عبيد الله واين وجدت المزاح جهلا فتلا هذه الآية فاعرض عنه عبيد الله لانه رآه جاهلا لا يعرف المزاح من الاستهزاء ثم ان القوم علموا ان ذبح البقرة عزم من الله وجد فاستوصفوها كما يأتى ولو أنهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة والقصة انه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة اتى بها الى غيضة وقال اللهم انى استودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة عوانا اى نصفا بين المسنة والشابة وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة اثلاث يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به الى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه فقالت له امه يوما ان اباك قد ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسماعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت

تلك البقرة تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها لان صفرتها كانت صفرة زين لاصفرة شين فاتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك بالله ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله وقالت ايها الفتى البار لوالدته اركبنى فان ذلك اهون عليك فقال الفتى ان امى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله بنى اسرائيل لوركبتنى ما كنت تقدر على ابدا فانطلق فانك ان امرت الجبل ان ينقلع من اصله وينطلق معك لفعل لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى والدتى فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو اعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضى امى فردها الى امه واخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضى منى فانطلق بها الى السوق فاتى الملك فقال استأمرت امك فقال الفتى انها امرتنى ان لا انقصها من ستة على ان استأمرها فقال الملك انى اعطيك اثنى عشر على ان لا تستأمرها فابى الفتى ورجع الى امه واخبرها بذلك فقالت ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا اتى فقل له اتأمران نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب الى امك وقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير فامسكوها وقدر الله تعالى على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفونها حتى وصف لهم تلك البقرة بعينها مكافاة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة والوجه فى تعيين البقرة دون غيرها من البهائم انهم كانوا يعبدون البقر والعجاجيل وحبب اليهم ذلك كما قال تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل ثم تابوا وعادوا الى طاعة الله وعبادته فاراد الله تعالى ان يمتحنهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع ما كان منهم فى قلوبهم وقيل كان افضل قرابينهم حينئذ البقر فامروا بذبح البقرة ليحصل التقرب لهم بما هو افضل عندهم (قالوا) كأنه قيل فماذا قال قوم موسى بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا ياموسى (ادع لنا) سل لاجلنا (ربك يبين لنا) اى يوضح ويعرف (ماهى) مامبتدأ وهى خبره والجملة فى حيز النصب بيبين اى يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فما ههنا سؤال عن الحال والصفة تقول ما زيد فيقال طبيب اوعالم اى ماسنها وما صفتها من الصغر والكبر (قال) اى موسى عليه السلام بعد ما دعا ربه بالبيان واتاه الوحى (انه) اى الله تعالى (يقول انها) اى البقرة المأمور بذبحها (بقرة لا) هى (فارض) اى مسنة من الفرض وهو القطع كانها قطعت سنها وبلغت آخره (ولا بكر) اى فتية صغيرة ولم يؤنث البكر والفارض لانهما كالحائض فى الاختصاص بالانثى (عوان) اى نصف (بين ذلك) المذكور من الفارض والبكر (فافعلوا) امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ماقبله من بيان صفة المأمور به (ماتؤمرون) اى ماتؤمرونه بمعنى ماتؤمرون به من ذبح البقرة وحذف الجار قد شاع فى هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين (قالوا) كأنه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافى والامر المكرر فقيل قالوا (ادع لنا ربك يبين لنا مالونها) من الالوان حتى تتبين لنا البقرة المأمور بها واللون عرض مشاهد يتعاقب على بعض الجواهر (قال) موسى عليه السلام بعد المناجاة الى الله تعالى ومجيء البيان (انه) الله تعالى (يقول انها بقرة صفراء) والصفرة لون بين البياض والسواد وهى الصفرة المعروفة وليس المراد بها ههنا السواد كما فى قوله تعالى كأنه جمالة صفراى سود والتعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل يعلوه صفرة (فاقع لونها) مبتدأ وخبر والجملة صفة البقرة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها يقال فى التأكيد اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفى اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما فى جد جده قيل كانت صفراء الكل حتى القرن والظلف (تسر الناظرين) اليها يعجبهم حسنها وصفاء لونها ويفرح قلوبهم لتمام خلقتها ولطافة قرونها واظلافها والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه وعن على رضى الله تعالى عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لان الله تعالى يقول تسر الناظرين ونهى ابن الزبير ومحمد بن كثير عن لباس

النعال السود لانها تهم وذكر ان الخف الاحمر خف فرعون والخف الابيض خف وزيره هامان والخف الاسود خف العلماء وروى ان خف النبي عليه السلام كان اسود (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) أسائمة هى ام عاملة وفى الكشاف هذا تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها والاستقصاء شؤم وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطى فلانا شاة سألتنى أضائن ام ماعز فان بينت لك قلت أذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشئ فلا تراجعنى وفى الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شئ لم يحرم فحرم لاجل مسألته (ان البقر تشابه علينا) اى جنس البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح فذكر البقر لارادة الجنس اولان كل جمع حروفه اقل من واحده جاز تذكيره وتأنيثه (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى البقرة المراد ذبحها وفى الحديث لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد (قال) موسى (انه) تعالى (يقول انها بقرة لاذلول) مذللة ذللها العمل يقال دابة ذلول بينة الذل بالكسر وهو خلاف الصعوبة وهو صفة لبقرة بمعنى غيرذلول ولم يقل ذلولة لان فعولا اذا كان وصفا لم تدخله الهاء كصبور (تثير الارض) اى تقلبها للزراعة وهى صفة ذلول كانه قيل لاذلول مثيرة (ولا تسقى الحرث) اى ليست بسانية يسقى عليها بالسواقى ولا الاولى للنفى والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لاذلول تثير وتسقى على ان الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية كذا فى الكشاف قال الامام ابو منصور رحمه الله دلت الآية على ان البقرة كانت ذكرا لان اثارة الارض وسقى الحرث من عمل الثيران واما الكنايات الراجعة اليها على التأنيث فللفظها كما فى قوله وقالت طائفة فالتاء للتوحيد لا للتأنيث خلافا لابى يوسف الاان يكون اهل ذلك الزمان يحرثون بالانثى كما يحرث اهل هذا الزمان بالذكر (مسلمة) اى سلمها الله من العيوب اومعفاة من العمل سلمها اهلها منه اومخلصة اللون من سلم له كذا اذاخلص له لم يشب صفرتها شئ من الالوان ويؤيده قوله تعالى (لاشية فيها) اى لالون فيها يخالف لون جلدها فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها والاصل وشية كالعدة والصفة والزنة اصلها وعد ووصف ووزن واشتقاقها من وشى الثوب وهو استعمال ألوان الغزل فى نسجه (قالوا) عندما سمعوا هذه النعوت (الآن) اى هذا الوقت بنى لتضمنه معنى الاشارة (جئت بالحق) اى بحقيقة وصف البقرة ومابقى اشكال فى امرها (فذبحوها) الفاء فصيحة اى فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها بان وجدوها مع الفتى فاشتروها بملئ مسكها ذهبا فذبحوها (وما كادوا) اى وماقربوا (يفعلون) والجملة حال من ضمير ذبحوا اى فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه لخليصه ذبحوها بعد توقف وبطئ قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة فعلى العاقل ان يسارع الى الامتثال وترك التفحص عن حقيقة الحال فان قضية التوحيد تستدعى ذلك (قال فى المثنوى) تاخيال دوست دراسرار ماست * چاكرى وجان سپارى كارماست * وفى الحكم العطائية اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا بالاستسلام لقهره وذلك يقتضى وجود الحفظ من الله تعالى حتى لايلم العبد بمعصية وان ألم بها فلا تصدر منه واذا صدرت منه فلا يصر عليها اذالحفظ الامتناع من الذنب مع جواز الوقوع فيه والعصمة الامتناع من الذنب مع استحالة الوقوع فيه فالعصمة للانبياء والحفظ للاولياء فقوله الآن جئت بالحق يدل على الرجوع من الهفوة وعدم الاصرار وهذا ايمان محض وفى التأويلات النجمية ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اشارة الى ذبح بقرة النفس البهيمية فان فى ذبحها حياة القلب الروحانى وهذا هو الجهاد الاكبر الذى كان النبى عليه السلام يشير اليه بقوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وبقوله المجاهد من جاهد نفسه وقوله عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا اشارة الى هذا المعنى قالوا اتتخذنا هزؤا اى اتستهزئ بنا فى ذبح النفس وليس هذا من شأن كل ذى همة سنية قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين الذين يظنون ان ذبح النفس امر هين و يستعد له كل تابع الهوى اوعابد الدنيا قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى اى بعين اى بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق فاشار الى بقرة نفس لا فارض فى سن الشيخوخة تعجز عن سلوك الطريق لضعف المشيب وخلل القوى النفسانية كما قال بعض المشايخ الصوفى بعد الاربعين بارد ولا بكر فى سن شرخ الشباب فانه يستهويه سكره عوان بين ذلك اى عند كمال العقل قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة فافعلوا ماتؤمرون فانكم ان تقربتم الى الله بما امرتم فان الله يتقرب اليكم بما

وعدتم وانه لايضيع اجر من احسن عملا فى الشيب والشباب قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها يعنى مالون بقرة نفس تصلح للذبح فى الجهاد قال انه يقول انها بقرة صفرآء اشارة الى صفرة وجوه ارباب الرياضات وسيما اصحاب المجاهدات فى طلب المشاهدات فاقع لونها يعنى صفرة زين لاصفرة شين كما هى سيما الصالحين تسر الناظرين من نظر اليهم يشاهد فى غرتهم بهاء قد ألبس من اثر الطاعات وبطالع من طلعتهم آثار شواهد الغيب من خمود الشهوات حتى امن من احوال البشرية بوجدان آثار الربوبية كقوله تعالى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ان البقر تشابه علينا اشارة الى كثرة تشبه البطالين بزى الطالبين وكسوتهم وهيئتهم وانا ان شاء الله لمهتدون الى الصادق منهم فالاهتدآء اليهم يتعلق بمشيئة الله وبدلالته كما كان حال موسى والخضر عليهما السلام فلو لم يدل الله موسى لما وجده وقوله انها بقرة لاذلول تثير الارض اشارة الى نفس الطالب الصادق وهى التى لاتحمل الذلة تشير بآلة الحرص علو ارض الدنيا لطلب زخارفها وتتبع هوى النفس وشهواتها كما قال عليه الصلاة والسلام عز من قنع ذل من طمع وقال ليس للمؤمن ان يذل نفسه ولاتسقى الحرث اى حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الحق فيصرف فى حرث الدنيا فيذهب ماؤه عند الخلق وعند الحق لقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب مسلمة لاشية فيها اى نفس مسلمة من آفات صفاتها مستسلمة لاحكام ربها ليس منها طلب غير الله ولامقصد لها الا الله كما وصفهم الله تعالى بقوله للفقرآء الذين احصروا فى سبيل الله الى قوله الحافا فذبحوها وما كادوا يفعلون يشير الى ان ذبح النفس ليس من الطبيعة الانسانية فمن ذبحها من الصادقين بسيف الصدق كان ذلك من فضل الله تعالى وحسن توفيقه فاما من حيث الطبيعة فما كادوا يفعلون (واذ قتلتم نفسا) هذا مؤخر لفظا مقدم معنى لانه اول القصة اى واذ قتلتم نفسا وأبيتم موسى وسألتموه ان يدعو الله تعالى فقال موسى ان الله يأمركم الآيات ولم يقدم لفظا لان الغرض انما هو ذبح البقرة للكشف عن القاتل واضيف القتل الى اليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لرضاهم بفعل اولئك وخوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم والقتل نقض البنية الذى بوجوده تنتفى الحياة والمعنى واذكروا يابنى اسرآئيل وقت قتل اسلافكم نفسا محرمة وهى عاميل بن شراحيل (فادارأتم فيها) اصله تدارأتم من الدرء وهو الدفع اى تدافعتم وتخاصمتم فى شأنها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر اى يدفع الفعل عن نفسه ويحيل على غيره (والله مخرج ما كنتم تكتمون) اى مظهر لامحالة ما كتمتم وسترتم من امر القتل لايتركه مكتوما مستورا فان قلت كيف اعمل مخرج وهو فى معنى المضى قلت قد حكى ما كان مستقبلا فى وقت التدارئ كما حكى الحاضر فى قوله باسط ذراعيه (فقلنا) عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض (اضربوه) اى النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان (ببعضها) اى ببعض البقرة اى بعض كان او بلسانها لانه آلة الكلام او بعجب الذنب لانه اول ما يخلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق او بغير ذلك من الاعضاء والبعض اقل من النصف والمعنى فضربوه فحيى فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيى الله الموتى روى انه لما ضربوه قام باذن الله وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ثم ان موسى عليه السلام امرهم بضربه ببعضها وماضربه بنفسه نفيا للتهمة كيلا ينسب الى السحر او الحيلة (كذلك) على ارادة القول اى فضربوه فحيى وقلنا كذلك فالخطاب فى كذلك للحاضرين عند حياة القتيل اى مثل ذلك الاحياء العجيب (يحيى الله الموتى) يوم القيامة فان قلت ان بنى اسرآئيل كانوا مقرين بالبعث فما معنى الزامهم بقوله كذلك يحيى الله الموتى قلت كانوا مقرين قولا وتقليدا فنبته عيانا وايقانا وهو كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولكن ليطمئن قلبى ويجوز ان يكون الخطاب لمنكرى البعث فى زمان النبى عليه السلام والحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة حينئذ الى تقدير القول بل تنتهى الحكاية عند قوله تعالى ببعضها (ويريكم آياته) دلائله الدالة على انه تعالى على كل شئ قدير (لعلكم تعقلون) يقال عقلت نفسى عن كذا اى منعتها منه اى لكى تكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها وتمنعوا انفسكم من هواها وتطيعوا الله فيما يأمركم به ولعل الحكمة فى اشتراط ما اشترط فى الاحياء من ذبح البقرة وضربه ببعضها مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتدآء بلا واسطة اصلا لاشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى

والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالد وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كما روى عن عمر رضى الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لاتأثير لها لان الموتين الحاصلين فى الجسمين لايعقل ان يتولد منهما حياة وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى هى قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة من دنسها لاشية بها من قبائحها بحيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى به حياة طيبة ويعرف مابه ينكشف الحال ويرتفع مابين العقل والوهم من التدارئ والجدال قال بعض اهل المعرفة فى قوله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى انما جعل الله احياء المقتول فى ذبح البقرة تنبيه العبيده ان من اراد منهم احياء قلبه لم يتأت له الابامانة نفسه فمن اماتها بانواع الرياضات احيى الله قلبه بانوار المشاهدات فمن مات بالطبيعة يحيى بالحقيقة وكما ان لسان البقرة بعد ذبحها ضرب على القتيل وقام باذن الله وقال قتلنى فلان فكذلك من ضرب لسان النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر يحيى الله قلبه بنوره فيقول وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء (قال السعدى) نميارزد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * تو بر كرهٔ توسنى دركر * نكر تانپيچد زحكم توسر * اكر پالهنك از كفت در كسيخت * تن خويشتن كشت وخون تو ريخت * فيجب علينا غاية الوجوب ان نتقيد باحياء نفوسنا بالحياة الحقيقية واصلاح قلوبنا بالاصلاح الحقيقى واخلاص اعمالنا بالاخلاص الحقيقى فان المنظر الالهى انما هو القلوب والاعمال لا القصور والاموال كما ورد فى الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم واحوالكم بل الى قلوبكم واعمالكم فالمعتبر هو الباطن والسرائر دون السير والظواهر والعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والجاهل من نسى نفسه واتبع هواه ومايعقل ذلك الا العالمون ومايعلمه الا الكاملون (قال السعدى) شخصم بچشم عالميان خوب منظرست * وزخبث باطنم سر خجلت فتاده پيش * طاوس را بنقش ونكارى كه هست خلق * تحسين كنند او خجل از پاى زشت خويش * وقد سئل بعض المشايخ عن الاسلام فقال ذبح النفس بسيوف المخالفة ومخالفتها ترك شهواتها قال السرى السقطى ان نفسى تطالبنى مدة ثلاثين سنة اواربعين سنة ان اغمس جوزة فى دبس فما اطعمتها وروئى رجل جالس فى الهواء فقيل له بم نلت هذا قال تركت الهوى فسخرلى الهواء وقيل لبعضهم انى اريد ان احج على التجريد فقال جرد اولا قلبك من السهو ونفسك عن اللهو ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت (ثم قست قلوبكم) خطاب لاهل عصر النبى عليه السلام من الاحبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذكر مايوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون والقسوة والقساوة عبارة عن الغلظ والصلابة كما فى الحجر وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوّها عن الاعتبار وان المواعظ لاتؤثر فيها (من بعد ذلك) اى من بعد سماع ماذكر من احياء القتيل ومسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وغيرها من الآيات والقوارع التى تميع منها الجبال وتلين بها الصخور (فهى) اى القلوب (كالحجارة) اى مثل الحجارة فى شدتها وقسوتها والفاء لتفريع مشابهتها على ماذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه كقولك احمرّ خده فهو كالورد (اواشد) منها (قسوة) تمييز وأو بمعنى بل او للتخيير اى ان شئتم فاجعلوها اشد منها كالحديد فانتم مصيبون وانما لم تحمل على اصلها وهو الشك والتردد لما ان ذلك محال على علام الغيوب فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة من لفظ اقسى لان دلالته على الشدة بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للزيادة فى معنى الشدة بخلاف لفظ الاقسى فان دلالته على الشدة والزيادة فى القسوة بالهيئة فقط ووجه حكمة ضرب قلوبهم مثلا بالحجارة وتشبيهها بها دون غيرها من الاشياء الصلبة من الحديد والصفر وغيرهما لان الحديد تلينه النار وهو قابل للتليين كما لان لداود عليه السلام وكذا الصفر حتى يضرب منها الاوانى والحجر لايلينه نار ولاشئ فلذلك شبه قلب الكافر بها وهذا والله اعلم فى حق قوم علم الله انهم لايؤمنون (وان من الحجارة) بيان لفضل قلوبهم على الحجارة من شدة القسوة وتقرير لقوله اواشد قسوة ومن الحجارة خبر ان والاسم قوله (لما) واللام للتأكيد اى لحجرا (يتفجر) اى يتفتح بكثرة وسعة (منه) راجع الى ما (الانهار) جمع نهر وهو المجرى الواسع من مجارى

الماء والمعنى وان من الحجارة مافيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير اى يتصبب (وان منها) اى من الحجارة (لما يشقق) اصله يتشقق اى يتصدع والصدع جعل الشئ ذا نواحى (فيخرج منه الماء) اى ينشق انشقاقا بالطول اوبالعرض ينبع منه الماء ايضا يعنى العيون دون الانهار (وان منها لما يهبط) اى يتردى وينزل من اعلى الجبل الى اسفله (من خشية الله) وهى الخوف عن العلم وهنا مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لاتمتنع على مايريد فيها وقلوب هؤلاء اليهود لاتنقاد ولاتلين ولاتخشع ولاتفعل ماامرت به (وما الله بغافل) بساهى (عما تعملون) اى الذى تعملونه وهو وعيد شديد على ماهم عليه من قساوة القلوب ومايترتب عليها من الاعمال السيئة فقلب الكافر اشد فى القساوة من الحجارة وانها مع فقد اسباب الفهم والعقل منها وزوال الخطاب عنها تخضع له وتتصدع قال تعالى لوانزلنا هذا القرءآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وقلب الكافر مع وجود اسباب الفهم والعقل وسعة هيئة القبول لايخضع ولايلين قالت المعتزلة خشية الحجر على وجه المثل يعنى لوكان له عقل لفعل ذلك ومذهب اهل السنة ان الحجر وان كان جمادا لكن الله يفهمه ويلهمه فيخشى بالهامه فان لله تعالى علما فى الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لايقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره وان من شئ الايسبح بحمده وقال والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويحيل علمه الى الله تعالى * روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عنى فانى اخاف ان تؤخذ علىّ فيعاقبنى الله بذلك فقال له جبل حراء الىّ الىّ يارسول الله وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية من فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحنت كحنين الناقة حتى سمعها اهل المسجد ونزل رسول الله عليه السلام فاعتنقها فسكنت (قال فى المثنوى) آنكه اورا نبود از اسرار داد * كى كند تصديق اوناله جماد * وبينما راع فى غنمه عدا عليه الذئب فاخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى استنقذها منه اى استخلصها فالتفت اليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى فقال الناس سبحان الله ذئب تكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أومن به وابو بكر وعمر وعلى هذا انطاق الله جلود الكفار يوم القيامة وتسبيح الحصى فى كفه عليه السلام وكلام الشاة المسمومة ومجئ الشجرتين اليه صلى الله عليه وسلم حتى يستتر بهما فى قضاء حاجته ثم رجوعهما الى مكانهما وامثال ذلك كثيرة ذكر الشيخ قطب وقته الهدآئى الاسكدارى فى واقعاته انه كان يسمع فى اثناء سلوكه من الماء الجارى ذكريا دآئم يادآئم (وفى المثنوى) نطق آب ونطق خاك ونطق كل * هست محسوس حواس اهل دل * فلسفى كومنكر حنانه است * از حواس اوليا بيكانه است * هركرا دردل شك وپيجانيست * درجهان اوفلسفى پنها نيست * قال بعض الحكماء معنى قوله ثم قست قلوبكم يبست ويبس القلب ان ييبس عن ماءين احدهما ماء خشية الله تعالى والثانى ماء شفقة الخلق وكل قلب لايكون فيه خشية الله ولاشفقة الخلق فهو كالحجارة اواشد قسوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسى وقال ايضا اربعة من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا والاشارة فى تحقيق الآية ان اليهود وان شاهدوا اعظم الآيات فحين لم تساعدهم العناية لم يزدهم كثرة الآيات الاقسوة على قسوة فان الله اراهم الآيات الظاهرة فرأوها بنظر الحس ولم يرهم البرهان الذى يراه القلب فيحجزهم عن التكذيب والانكار يدل عليه قوله تعالى وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه وهكذا حال بعض المذكورين حين يشرعون فى الرياضات يلوح لهم من صفاء الروحانية ظهور بعض الآيات وخرق العادات فاذا لم يكن مقارنا برؤية البرهان ليكون مؤيدا بالتأييدات الالهية لم يزدهم الا العجب والغرور واكثر مايقع هذا للرهابين والمتفلسفة الذين استدرجهم الحق بالخذلان من حيث لايعلمون وانما تشبه قلوبهم بالحجارة لعدم اللين الى الذكر الحقيقى وهو مايتداركه الحق بذكره كقوله فاذكرونى اذكركم ومراتب القلوب فى القسوة متفاوتة فبعضها بمرتبة الحجارة التى يتفجر منها الانهار وهو قلب يظهر عليه بغلبات انوار الروح لصفائه بعض الاشياء المشبهة لخرق العادات كما يكون لبعض الرهابين والكهنة وبعضها بمرتبة وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وهو قلب يظهر عليه فى بعض الاوقات عند انخراق حجب البشرية انوار الروح فيريه بعض الآيات

والمعانى المعقولة كما يكون لبعض الفلاسفة والشعرآء و بعضها بمرتبة وان منها لما يهبط من خشية الله وهو قلب فيه بعض الصفاء فيكون بقدر صفائه قابل عكس انوار الروح من ورآء الحجب فيقع فيه الخوف والخشية كما يكون لبعض اهل الاديان والملل وهذه المراتب مشتركة بين قلوب المسلمين وغيرهم فالفرق بينهم ان احوال هذه المراتب للمسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيدهم فى قربهم بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلى انوار الحق كما قال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه و بعض القلوب بمرتبة الحجر القاسى الذى لا يؤثر فيه القرءآن والاخبار والحكمة والموعظة وهذا القلب مخصوص بالكافر والمنافق فانه قلب مختوم عليه وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم عاجلا وآجلا فاما عاجلا بان يجعل انكاركم سبب مزيد قسوة قلوبكم فيقسيها باعمالكم الفاسدة و يطبع عليها بطابع انكاركم قال عليه السلام ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن فان شاء اقامه وان شاء ازاغه واما آجلا فيعاقبكم يوم القيامة على قدر سيئات اعمالكم كذا فى التأويلات النجمية (افتطمعون) كان عليه السلام شديد الحرص على الدعاء الى الحق وقبولهم الايمان منه وكان يضيق صدره بسبب عنادهم وتمردهم فقص الله عليه اخبار بنى اسرآئيل فى العناد العظيم مع مشاهدة الآيات الباهرة تسلية لرسوله فيما يظهر من اهل الكتاب فى زمانه من قلة القبول والاستجابة والخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام واصحابه والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما فى قولك أتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما فى قوله أأضرب ابى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى أبعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة منهم فتطمعون فى (ان يؤمنوا) جميع اليهود وعلماؤهم فانهم متماثلون فى شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتأتى من اخلافهم الامثل ما أتى من اسلافهم فلا تحزنوا على تكذيبهم واللام فى (لكم) لتضمين معنى الاستجابة اى فى ايمانهم مستجيبين لكم اوللتعليل اى فى ان يحدثوا الايمان لأجل دعوتكم (و) الحال (قد كان فريق) كائن (منهم) اى طائفة ممن سلف منهم والفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط (يسمعون كلام الله) وهو ما يتلونه من التوراة (ثم يحرفونه) اى يغيرون ما فيها من الاحكام كتغييرهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول فى آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم ان لا تفعلوا فلا بأس قال فى التيسير الصحيح انهم لم يسمعوا كلام الله بلا واسطة فان ذلك كان لموسى على الخصوص لم يشركه فيه غيره فى الدنيا ومعنى يسمعون كلام الله اى التوراة من موسى بقرآءته (من بعد ما عقلوه) اى من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة فى صحته يقول كيف يؤمن هؤلاء وهم يقلدون اولئك الآباء فهم من اهل السوء الذين مضوا بالعناد فلا تطمعوا فى الايمان منهم (وهم يعلمون) اى يحرفونه والحال انهم يعلمون انهم كاذبون مفترون (واذا لقوا) اى اليهود (الذين آمنوا) من اصحاب النبى عليه السلام (قالوا) اى منافقوهم (آمنا) كايمانكم وان محمدا هو الرسول المبشر به (واذا خلا) مضى ورجع (بعضهم) الذين لم ينافقوا اى اذا فرغوا من الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين (الى بعض) اى الى الذين نافقوا بحيث لم يبق معهم غيرهم (قالوا) اى الساكتون عاتبين لمنافقيهم على ما صنعوا (أتحدثونهم) تخبرونهم والاستفهام بمعنى النهى اى لا تحدثوهم يعنون المؤمنين (بما فتح الله عليكم) اى بينه الله لكم خاصة فى التوراة من نعت النبى عليه السلام والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد (ليحاجوكم به) اللام متعلقة بالتحديث دون الفتح والضمير فى به لما فتح الله اى ليحتجوا عليكم به فيقطعوكم بالحجة ويبكتوكم (عند ربكم) اى فى حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اى فى كتابه وشرعه والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض وهو المحاجة لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقلهم وركاكة آرآئهم (افلا تعقلون) متصل بكلامهم من التوبيخ والعتاب اى ألا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش وهو ان ذلك حجة لهم عليكم فالمنكر عدم التعقل ابتدآء او أتفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد الفعل (اولا يعلمون) الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اى أيلومونهم على التحديث مخافة المحاجة ولا يعلمون (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) اى جميع ما يسرونه

ومايعلنونه ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان فحينئذ يظهر الله للمؤمنين ماارادوا اخفاءه بواسطة الوحى الى النبى عليه السلام فتحصل المحاجة والتبكيت كما وقع فى آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاى فائدة فى اللوم والعتاب (ومنهم) اى من اليهود (اميون) لايحسنون الكتب ولا يقدرون على القرآءة والامى منسوب الى امة العرب وهى الامة الخالية عن العلم والقرآءة فاستعير لمن لايعرف الكتابة والقرآءة (لايعلمون الكتاب) اى لايعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا مافيها من دلائل النبوة فيؤمنوا (الا امانى) جمع امنية من التمنى والاستثناء منقطع لانها ليست من جنس الكتب اى لكن الشهوات الباطلة ثابتة عندهم وهى المفتريات من تغيير صفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانهم لايعذبون فى النار الاايام معدودة وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وان الله لايؤاخذهم بخطاياهم ويرحمهم ولاحجة لهم فى صحة ذلك (وان هم) اى ماهم (الا يظنون) ظنا من غير تيقن بها اى ماهم الاقوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى مرتبة العلم فانى يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين (فويل) كلمة يقولها كل واقع فى هلكة بمعنى الدعاء على النفس بالعذاب اى عقوبة عظيمة وهو مبتدأ خبره مابعده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه انه واد فى جهنم لوسيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره اى ذابت (للذين يكتبون الكتاب) المحرف (بايديهم) تأكيد لدفع توهم المجاز فقد يقول انسان كتبت الى فلان اذا امر غيره ان يكتب عنه اليه (ثم يقولون) لعوامهم (هذا) اى المحرف (من عند الله) فى التوراة روى ان احبار اليهود خافوا ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم حين قدم النبى عليه السلام المدينة فاحتالوا فى تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبى عليه السلام فى التوراة وكانت هى فيها حسن الوجه جعد الشعر اكحل العين ربعة اى متوسط القامة فغيروها وكتبوا امكانه طوال ازرق سبط الشعر وهو خلاف الجعد فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه (ليشتروا به) اى يأخذوا لانفسهم بمقابلة المحرف (ثمنا) هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة مافعلوا من التحريف والتأويل الزائغ وانما عبر عن المشترى الذى هو المقصود بالذات فى عقد المعاوضة بالثمن الذى هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودة بالذات (قليلا) لايعبأ به انما وصفه بالقلة اما لفنائه وعدم ثوابه واما لكونه حراما لان الحرام لابركة فيه ولايربو عند الله كذا فى تفسير القرطبى (فويل لهم) اى العقوبة العظيمة ثابتة لهم (مما كتبت ايديهم) من اجل كتابتهم اياه (وويل لهم مما يكسبون) من اخذهم الرشوة وعملهم المعاصى واصل الكسب الفعل لجر نفع اودفع ضر ولهذا لايوصف به سبحانه وفى الآيات اشارات الاولى ان علم الرجل ويقينه ومعرفته ومكالمته مع الله لايفيده الايمان الحقيقى الاان يتداركه الله بفضله ورحمته قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من احد ابدا وان الله تعالى كلم ابليس وخاطبه بقوله يا ابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى وماافاده الايمان الحقيقى اذلم يكن مؤيدا من الله بفضله ورحمته ولم يبق على الايمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان (قال فى المثنوى) جز عنايت كه كشايد چشم را * جز محبت كه نشايد خشم را * جهد بى توفيق خود كس رامباد * در جهان والله اعلم بالسداد * جهد فرعونى چو بى توفيق بود * هرچه اومى دوخت آن تفتيق بود * والثانية ان العالم المعاند والعامى المقلد سواء فى الضلال لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامى ان لايرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم وان الدين ليس بالتمنى فالذين ركنوا الى التقليد المحض واغتروا بظنون فاسدة وتخمينات مبهمة فهم الذين لانصيب لهم من كتبهم الاقرآءتها دون معرفة معانيها وادراك اسرارها وحقائقها وهذا حال اكثراهل زماننا من مدعى الاسلام فالمدعى والمتمنى عاقبتهما خسران وضلال وحسرة وندامة ووبال (وفى المثنوى) تشنه راگر ذوق آيد از سراب * چون رسد دروى گريزد جويد آب * مفلسان گر خوش شونداز زر قلب * ليك آن رسوا شود دردار ضرب * والثالثة ان من بدل أوغير أوابتدع فى دين الله ماليس منه فهو داخل فى الوعيد المذكور وقد حذر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امته لما علم مايكون فى آخر الزمان فقال ألا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين كلها فى النار

الا واحدة فحذرهم ان يحدثوا من تلقاء انفسهم فى الدين خلاف كتاب الله اوسنته اوسنة اصحابه فيضلوا به الناس وقد وقع ما حذره وشاع وكثر وذاع فانا لله وانا اليه راجعون (قال السعدى) نخواهى كه نفرين كنند ازپست * نكوباش تابد نكويد كست * نه هر آدمى زاده ازدد بهست * كه ددز آدمى زادهٔ بد بهست * والرابعة ان بعض المتسمين بالصوفية ينضم الى الاولياء وارباب القلوب ظاهرا ثم لا يصدق الارادة ويميل الى اهل الغفلة ويصغى الى اقوالهم ويشتهى ارتكاب افعالهم وكلما دعته هواتف الحظوظ سارع الى الاجابة طوعا واذا قادته دواعى الحق تكلف كرها ليس له اخلاص فى الصحبة فى طريق الحق فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون من الالحاد عن الحق واعتقاد السوء واغراء الخلق واضلالهم فهم الذين ضلوا واضلوا كثيرا (وفى المثنوى) صدهزاران دام ودانه است اى خدا * ماچومرغان حريص بى نوا * دمبدم مابستهٔ دام نويم * هريكى كرباز وسيمرغى شويم * فعلى السالك ان يجتهد فى الوصول الى الموجود الحق ويتخلص من الموهوم المطلق ولا يغتر بظواهر الحالات غافلا عن بطون الاعتبارات فان طريق الحق ادق من كل دقيق وماء عميق وفج سحيق واجهل الناس من يترك يقين ماعنده من صفات نفسه التى لا شك فيها الظن ماعند الناس من صلاحية حاله قال حارث بن اسد المحاسبى رضى الله عنه الراضى بالمدح بالباطل كمن يهزأ به ويقال ان العذرة التى تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح ويرضى بالسخرية به فالعاقل لا يغتر بمثله بل يجتهد الى ان يصل الى الحقيقة فويل لواعظ تكبر وافتخر بتقبيل الناس يده ورأى نفسه خيرا من السامعين ويتقيد بالمدح والذم اللهم الا ان يخرج ذلك من قلبه والمعيار مساواة المقبل واللاطم عنده بل رجحان اللاطم والضارب قال فى مجلس وعظه جنيد البغدادى لولم اسمع قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر لما اجترأت على الوعظ فانا ذلك الرجل الفاجر (وقالوا) اى اليهود زعما منهم (لن تمسنا النار) اى لا تصل الينا النار فى الآخرة (الا اياما معدودة) قليلة محصورة سبعة ايام فانهم يقولون ان ايام الدنيا سبعة آلاف سنة فنعذب مكان كل الف سنة يوما او يراد اربعين يوما مقدار عبادة آبائهم العجل قال ابو منصور رحمه الله تصرف الايام المعدودة الى العمر الذى عصوا فيه وهم لم يروا التعذيب الاعلى قدر وقت العصيان او كانوا لا يرون التخليد فى النار كالجهمية اولانهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فلا نعذب ابدا بل نعذب تعذيب الاب ابنه والحبيب حبيبه فى وقت قليل ثم يرضى وهذا منهم باطل وعقوبة الكفر ابدا وثواب الايمان كذلك لان من اعتقد دينا انما يعتقده للابد فعلى ذلك جزاؤه للابد (قل) يا محمد تبكيتا لهم وتوبيخا (اتخذتم) بقطع الهمزة لانه ألف استفهام بمعنى التوبيخ والالف المجتلبة ذهبت بالادراج اى أتخذتم (عند الله عهدا) خبرا او وعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الابناء على وعد قوى ولذلك عبر عنه بالعهد (فلن) الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف اى ان اتخذتم عند الله عهدا او امانا فلن (يخلف الله) الاخلاف نقض العهد (عهده) الذى عهده اليكم يعنى ينجز وعده البتة قال الامام ابو منصور لهذان وجهان احدهما هل عندكم خبر عن الله تعالى انكم لا تعذبون ابدا لكن اياما معدودة فان كان لكم هذا فهو لا يخلف عهده ووعده والثانى ألكم عند الله اعمال صالحة ووعدكم بها الجنة فهو لا يخلف وعده (ام تقولون) مفترين (على الله مالا تعلمون) وقوعه وام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين المتساويين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما تخصيصه ان كان لكم عنده عهد فلا ينقض ولكنكم تخرصون وتكذبون روى انهم اذا مضت تلك المدة عليهم فى النار يقول لهم خزنة جهنم يا اعداء الله ذهب الاجل وبقى الابد فايقنوا بالخلود (بلى) اثبات لما بعد النفى فهو جواب النفى ونعم جواب الايجاب اى قلتم لن تمسنا النار سوى الايام المعدودة بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون وبين ذلك بالشرط والجزاء وهما (من) فهو رفع مبتدأ بمعنى الشرط ولذلك دخلت الفاء فى خبره وان كان جوابا للشرط (كسب) الكسب استجلاب النفع واستعماله فى استجلاب الضر كالسيئة على سبيل التهكم (سيئة) من السيئات يعنى كبيرة من الكبائر (واحاطت به خطيئته) تلك واستولت عليه من جميع جوانبه من قلبه ولسانه ويده كما يحيط العدو وهذا انما يتحقق فى الكافر ولذلك فسر السلف السيئة بالكفر (فاولئك) الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى فى كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ فى الضمائر الثلاثة (اصحاب النار) اى ملازموها فى الآخرة حسب ملازمتهم فى الدنيا لما يستوجبها

من الاسباب التى من جلتها ماهم عليه من تكذيب آيات الله وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وهو خبر اولئك والجلة خبر المبتدا (هم فيها خالدون) دائمون فانى اهم التفصى منها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا والجلة فى حيز النصب على الحالية لورود التصريح به فى قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها ولا حجة فى الآية على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر (والذين آمنوا) اى صدقوا بالله تعالى ومحمد عليه السلام بقلوبهم (وعملوا الصالحات) اى ادوا الفرائض وانتهوا عن المعاصى (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا يموتون ولا يخرجون منها ابدا جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة فى ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى فان باللطف والقهر يترقى الانسان الى الكمال ويفوز بجنة الجمال والجلال (حكى) انه كان لشيخ مريد فقال له يوما لو رأيت ابا يزيد كان خيرا لك من شغلك فقال كيف يكون هو خيرا وهو مخلوق ويتجلى الخالق كل يوم سبعين مرة ثم بالآخرة ذهب مع شيخه الى ابى يزيد البسطامى فقالت امرأته لا تطلبوه فهو امر وذهب للحطب فوقفا فى طريقه فاذا هو حمل الحطب على اسد عظيم وبيده حية يضرب الاسد بها فى بعض الاوقات فلما رآه المريد مات وقال ابو يزيد لشيخه قد ربيت مريدك باللطف ولم ترشده الى طريق القهر فلم يتحمل لما رآنى فلا تفعل بعد اليوم وأرهم القهر ايضا قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى ان ابا يزيد برؤية القهر واللطف من الطريق كان مظهرا لتجلى الذات بخلاف المريد فلما رآه فيه لم يتحمل (قال فى المثنوى) عاشقم برقهر وبر لطفش بجد * بو العجب من عاشق اين هر دو ضد * والله ار زين خار در بستان شوم * همچو بلبل زين سبب نالان شوم * اين عجب بلبل كه بكشايد دهان * تا خورد او خار را با كلستان * اين چه بلبل اين نهنك آتشيست * جمله ناخوشها ز عشق او را خوشيست * والاشارة فى الآيات الى ان بعض المغرورين بالعقل من الفلاسفة والطبايعية وغيرهم لفرط غفلتهم ظنوا ان قبائح اعمالهم وافعالهم واقوالهم لا تؤثر فى صفاء ارواحهم فاذا فارقت الارواح الاجساد يرجع كل شئ الى اصله فالاجساد ترجع الى العناصر والارواح الى حظائر القدس ولا يزاحمها شئ من نتائج الاعمال الا اياما معدودة وهذا فاسد لان العاقل يشاهد حسا وعقلا ان تتبع الشهوات الحيوانية واستيفاء اللذات النفسانية يورث الاخلاق الذميمة من الحرص والامل والحقد والحسد والبغض والغضب والبخل والكبر والكذب وغير ذلك وهذه من صفات النفس الامارة بالسوء فتصير بالمجاورة والتعود أخلاق الروح فيتكدر صفاؤه ويتبدل اخلاقه الروحانية من الحلم والكرم والمروءة والصدق والحياء والعفة والصبر والشكر وغير ذلك بالاخلاق الحيوانية الشيطانية والذى يجتهد فى قمع الهوى والشهوات يورث هذه المعاملات من مكارم الاخلاق وصفاء القلب وتحننه الى وطنه الاصلى وغير ذلك فلا يساوى الروح المتبع للنفس الامارة كالعوام بعد المفارقة مع الروح المتبع لالهامات الحق كما يكون للخواص وبعضهم قالوا وان تدنست الارواح بقدر تعلقها بعيوبات طباعها فبعد المفارقة يبقى فى العذاب اياما معدودة على قدر انقطاع التعلقات عنها وزوال الكدورات ثم تخلص وهذا ايضا خيال فاسد وكذبهم الله بقوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته تظهر على مرءآة قلبه بقدر هار ينافان تاب محى عنه وان اصر على السيئات حتى اذا احاط بمرءآة قلبه رين السيئات بحيث لا يبقى فيه الصفاء الفطرى وخرج منه نور الايمان وضوء الطاعات فاحاطت به الخطيئات فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وفيه اشارة ايضا الى بعض ارباب الطلب ممن يركن الى شهوات الدنيا فى اثناء الطلب فيتظفر عليه الشيطان ويغره بزهده فيوقعه فى ورطة العجب فينظر الى نفسه بنظر التعظيم والى الخلق بنظر التحقير فيهلك او يغتر بما ظهر فى اثناء السلوك من بعض الوقائع الصادقة والرؤيا الصالحة وشئ من المشاهدات والمكاشفات الروحانية لا الرحمانية فيظن المغرور أن ليس وراء عبادته قربة وانه بلغ مبلغ الرجال فيسكت عن الطلب وتعتريه الآفات حتى احاطت به خطيئته فرجع القهقرى الى اسفل الطبيعة واما الذين آمنوا من اهل الطلب وعملوا على قانون الشريعة باشارة شيخ الطريقة الصالحات المبلغات الى الحقيقة اولئك اصحاب الوصول الى جنات الاصول خالدين فيها بالسير الى ابد الآباد فان المنازل والمقاصد وان كانت متناهية لكن السير فى المقصد غير متناه بخلاف الذين احاطت بهم خطيئتهم فانهم خالدون فى نار القطيعة ولن تنفعهم المجاهدات والنظر فى المعقولات والاستدلال بالشبهات (واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل) فى التوراة والميثاق العهد الشديد

وهو على

وهو على وجهين عهد خلقة وفطرة وعهد نبوة ورسالة واذ نصب باضمار فعل خوطب به النبي عليه السلام والمؤمنون ليؤذيهم التأمل فى احوالهم الى قطع الطمع عن ايمان اخلافهم لان قبائح اسلافهم مما تؤدى الى عدم ايمانهم ولا يلد الحية الا الحية ومن ههنا قيل اذا طاب اصل المرء طابت فروعه * او اليهود الموجودون فى عصر النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اى اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم بان (لا تعبدون الا الله) اى ان لا تعبدوا فلما اسقط ان رفع تعبدون لزوال الناصب او على ان يكون اخبارا فى معنى النهى كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد به الامر اى اذهب وهو ابلغ من صريح الامر والنهى لما فيه من ايهام ان المنهى حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهى عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهى اى لا توحدوا الا الله ولا تجعلوا الالوهية الا لله وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل واحلفناهم وقلنا بالله لا تعبدون الا الله (وبالوالدين احسانا) اى وتحسنون احسانا على لفظ تعبدون لانه اخبار او واحسنوا على معناه لانه انشاء اى برا كثيرا وعطفا عليهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله (وذى القربى) اى وتحسنون الى ذى القرابة ايضا مصدر كالحسنى (واليتامى) جمع يتيم وهو الصغير الذى مات ابوه قبل البلوغ ومن الحيوانات الصغير الذى ماتت امه والاحسان بهم بحسن التربية وحفظ حقوقهم عن الضياع (والمساكين) بحسن القول وايصال الصدقة اليهم جمع مسكين من السكون كأن الفقر اسكنه عن الحراك اى الحركة واثقله عن التقلب (و) قلنا (قولوا للناس) قولا (حسنا) سماه حسنا مبالغة لفرط حسنه امر بالاحسان بالمال فى حق اقوام مخصوصين وهم الوالدان والاقرباء واليتامى والمساكين ولما كان المال لا يسع الكل امر بمعاملة الناس كلهم بالقول الجميل الذى لا يعجز عنه العاقل يعنى وألينوا لهم القول بحسن المعاشرة وحسن الخلق وأمروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر اى وقولوا للناس صدقا وحقا فى شأن محمد عليه السلام فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموا امره (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) كما فرضا عليهم فى شريعتهم ذكرهما تنصيصا مع دخولهما فى العبادة المذكورة تعميما وتخصيصا تلخيصه اخذنا عهدكم يا بنى اسرائيل بجميع المذكور فقبلتم واقبلتم عليه (ثم توليتم) على طريقة الالتفات اى اعرضتم عن المضى على مقتضى الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه (وانتم معرضون) جملة تذييلية اى وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق وليس الواو للحال لاتحاد التولى والاعراض فالجملة اعتراض للتأكيد فى التوبيخ واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واعلم ان فى الآية عدة اشياء منها العبادة فمن شرط العبودية تفرد العبد لعبادة المعبود وتجرده عن كل مقصود فمن لاحظ خلقا او استحلى ثناء او استجلب بطاعته الى نفسه حظا من حظوظ الدنيا والآخرة او داخله بوجه من الوجوه مزج او شوب فهو ساقط عن مرتبة الاخلاص برؤية نفسه * حجاب راه توبى حافظ ازميان برخيز * خوشا كسى كه ازين راه بى حجاب رود * ومنها الاحسان الى الوالدين وقد عظم الله حق الوالدين حيث قرن حقه بحقهما فى آيات من القرآن لان النشأة الاولى من عند الله والنشأة الثانية وهى التربية من جهة الوالدين ويقال ثلاث آيات انزلت مقرونة بثلاث آيات ولا تقبل احداها بغير قرينتها احداها قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول والثانية ان اشكر لى ولوالديك والثالثة اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة والاحسان الى الوالدين معاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما والامتثال الى امرهما وصلة اهل ودهما والدعاء بالمغفرة بعد مماتهما (قال السعدى) سالها بر تو بكذرد كه كذر * نكنى سوى تربت بدرت * تو بجاى بدر چه كردى خير * تاهمان چشم دارى از پسرت * وفى التأويلات النجمية ان فى قوله وبالوالدين احسانا اشارة الى ان اعز الخلق على الولد والداه لاجل انهما سببا وجوده فى الظاهر ولكن ينبغى ان يحسن اليهما بعد خروجه من عهدة عبوديته ربه اذ هو موجد وجوده ووجود والديه فى الحقيقة ولا يختار على اداء عبوديته احسان والديه فكيف الالتفات لغيرهما ومنها البر الى اليتامى * برحمت بكن آبش ازديده پاك * بشفقت بيفشانش ازچهره خاك * وفى الحديث ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فلا يقرب قصعتهم الشيطان وفى الحديث ايضا من ضم يتيما من بين مسلمين الى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله عز وجل غفرت له ذنوبه البتة الا ان يعمل عملا

لا يغفر ومن اذهب الله كريمتيه فصبر واحتسب غفرت له ذنوبه قالوا وما كريمتاه قال عيناه ومن كان له ثلاث بنات او ثلاث اخوات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يبن او يمتن غفرت له ذنوبه البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر فناداه رجل من الاعراب ممن هاجر فقال يا رسول الله او اثنتان فقال صلى الله عليه وسلم او اثنتان وقال صلى الله عليه وسلم كافل اليتيم انا وهو كهاتين فى الجنة واشار بالسبابة والوسطى والسبابة من الاصابع هى التى تلى الابهام وكانت فى الجاهلية تدعى بالسبابة لانهم كانوا يسبون بها فلما جاء الله بالاسلام كرهوا هذا الاسم فسموها بالمشيرة لانهم كانوا يشيرون بها الى الله بالتوحيد والمشيرة من اصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت اطول من الوسطى ثم الوسطى اقصر منها ثم البنصر اقصر من الوسطى فقوله عليه السلام انا وهو كهاتين فى الجنة وقوله فى الحديث الآخر احشر انا وابو بكر وعمر يوم القيامة هكذا واشار باصابعه الثلاث فانما اراد ذكر المنازل والاشراف على الخلق فقال نحشر هكذا ونحن مشرفون وكذلك كافل اليتيم يكون له منزلة رفيعة فمن لم يعرف شأن اصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حمل تأويل الحديث على الانضمام واقتراب بعضهم من بعض فى محل القربة وهذا معنى بعيد لان منازل الرسل والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين مراتب متباينة ومنازل مختلفة كذا فى تفسير القرطبى ومنها البر الى المساكين وهم الذين اسكنتهم الحاجة وذللتهم وهذا يتضمن الحض على الصدقة والمواساة وتفقد احوال المساكين والضعفاء وفى الحديث الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكان طاووس يرى السعى على الاخوات افضل من الجهاد فى سبيل الله

نخواهى كه باشى پراكنده دل * پراكندكانرا زخاطر مهل * پريشان كن امروز گنجينه چست * كه فردا كليدش نه دردست تست *

ومنها القول الحسن ولما خرج الطالب من عهدة حق العبودية وعمت رحمته وشفقته الوالدين وغيرهما لزمه ان يقول للناس حسنا يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة الى الله ويهديهم الى طريق الحق ويخالقهم بحسن الخلق وان يكون قوله لينا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر والسنى والمبتدع من غير مداهنة ومن غير ان يتكلم معه بكلام يظن انه يرضى مذهبه لان الله تعالى قال لموسى وهرون عليهما السلام فقولا له قولا لينا فليس بافضل من موسى وهرون والفاجر ليس باخس من فرعون وقد امرهما الله باللين معه فدخل فى هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفى (قال الحافظ) آسايش دوگيتى تفسير اين دو حرفست * با دوستان تلطف با دشمنان مدارا (وقال السعدى) درشتى نگيرد خردمند پيش * نه سستى كه ناقص كند قدر خويش *

(واذ اخذنا ميثاقكم) اى واذكروا ايها اليهود وقت اخذنا اقراركم وعهدكم فى التوراة وقلنا لكم (لا تسفكون دماءكم) لا يريق بعضكم دم بعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا فلما بينهم من الاتصال القوى نسبا ودينا اجرى كل واحد منهم مجرى انفسهم وقيل اذا اقتل غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه وهو اخبار فى معنى النهى كأنه سورع الى الانتهاء فهو يخبر عنه (ولا تخرجون انفسكم من دياركم) اى لا يخرج بعضكم بعضا من دياره او لا تسيئوا جيرانكم فتلجئوهم الى الخروج وفى اقتران الاخراج من الديار بالقتل ايذان بانه بمنزلة القتل (ثم اقررتم) اى بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وبوجوب المحافظة عليه (وانتم تشهدون) عليها توكيد للاقرار كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او وانتم اليوم ايها اليهود تشهدون على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق (ثم انتم) مبتدأ (هؤلاء) خبر ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذى خرجت به والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون والناقضون المتناقضون يعنى انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين كأنهم قالوا كيف نحن فقيل (تقتلون انفسكم) اى الجارين مجرى انفسكم فهو بيان لقوله ثم انتم هؤلاء (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الضمير للفريق وهو الطائفة (تظاهرون عليهم) بحذف احدى التاءين حال من فاعل تخرجون او من مفعوله مبينة لكيفية الاخراج رافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعنى تقوون ظهوركم للغلبة عليهم (بالاثم) حال من فاعل تظاهرون اى ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذى يستحق فاعله الذم واللوم (والعدوان) اى التجاوز فى الظلم ودلت الآية على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه كذا فى التفسير الكبير (وان يأتوكم اسارى) اى جاؤكم حال كونهم مأسورين اى ظهروا لكم على هذه الحالة ولم يرد به الاتيان

الاختيارى والاسارى والاسرى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى المفعول من الاسر بمعنى الشد والايثاق والفرق انهم اذا قيدوا فهم اسارى واذا حصلوا فى اليد من غير قيد فهم اسرى (تفادوهم) اى تخرجوهم من الاسر باعطاء الفدآء والمفاداة تجرى بين الفادى وبين قابل الفدآء (وهو) مبتدأ اى الشان (محرم عليكم اخراجهم) محرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا عن اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان وذلك ان الله تعالى اخذ على بنى اسرآئيل فى التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد اوامة وجدتموه من بنى اسرآئيل فاشتروه واعتقوه وكان قريظة والنضير من اليهود اخوين وكذا الاوس والخزرج وهم اهل شرك يعبدون الاصنام ولا يعرفون القيامة والجنة والنار والحلال والحرام فافترقوا فى حرب سمير ووقعت بينهم عداوة فكانت بنوا قريظة معينه للاوس وحلفاءهم اى ناصريهم والنضير معينة للخزرج وحلفاءهم فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قريظة مع الاوس والنضير مع الخزرج يظاهر كل قوم حلفاءهم على اخوانهم حتى يتسافكوا الدماء واذا غلبوا اخربوا ديارهم واخرجوهم منها وبايديهم التوراة يعرفون مافيها مما عليهم ومالهم فاذا وضعت الحرب اوزارها افتدى قريظة ماكان فى ايدى الخزرج منهم وافتدى النضير ماكان فى ايدى الاوس منهم من الاسارى فعيرتهم العرب بذلك وقالوا كيف تقاتلونهم وتفدونهم قالوا امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحيى ان يستذل حلفاؤنا فذمهم على المناقضة وتلخيصه اعرضتم عن الكل الا الفدآء لان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة عليهم مع اعدآئهم وفدآء اساراهم فاعرضوا عن الكل الا الفدآء (افتؤمنون ببعض الكتاب) وهو الفدآء والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اى اتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب (وتكفرون ببعض) هو حرمة القتال والاخراج مع ان قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقى لكون الكل من عند الله داخلا فى الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض (فما جزآء) نفى اى ليس جزآء (من يفعل ذلك) اى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان بالبعض (منكم) يامعشر اليهود حال من فاعل يفعل (الاخزى) استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدا اى ذل وهوان مع الفضيحة وهو قتل بنى قريظة واسرهم واجلاء بنى النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل هو أخذ الجزية (فى الحياة الدنيا) صفة خزى ولعل بيان جزآئهم بطريق القصر على ماذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر له اصلا مع الكفر بالبعض (ويوم القيامة) يوم تقام فيه الاجزية (يردون) اى يرجعون والرد الرجع بعد الاخذ (الى اشد العذاب) هو التعذيب فى جهنم وهو اشد من خزيهم فى الدنيا واشد من كل عذاب كان قبله فانه ينقطع وهذا لا ينقطع وفى الحديث فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة وانما كان اشد لما ان معصيتهم كانت اشد المعاصى (وفى المثنوى) هركه ظالمتر چهش باهولتر * عدل فرمودست بدتررا بتر (وما الله بغافل) بساهى (عما تعملون) من القبائح التى من جملتها هذا المنكر اى لا يخفى عليه شئ من اعمالهم فيجازيهم بها يوم البعث تهديد شديد وزجر عظيم عن المعصية وبشارة عظيمة على الطاعة لان الغفلة اذا كانت ممتنعة عليه سبحانه مع انه اقدر القادرين وصلت الحقوق الى مستحقيها (اولئك) الموصوفون بماذكر من الاوصاف القبيحة (الذين اشتروا الحياة الدنيا) واستبدلوها (بالآخرة) واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ماذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان مراعاة لجانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدينية والدنيوية (فلا يخفف عنهم العذاب) دنيويا كان اواخرويا (ولا هم ينصرون) يمنعون من العذاب بدفعه عنهم بشفاعة اوجبر اعلم ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الآخرة ممتنع غير ممكن والله سبحانه مكن المكلف من تحصيل ايتهما شاء واراد فلذا اشتغل بتحصيل احداهما فقد فوت الاخرى على نفسه فجعل الله ماعرض اليهود عنه من الايمان بما فى كتابهم وما حصل فى ايديهم من الكفر ولذات الدنيا كالبيع والشراء وذلك من الله نهاية الذم لهم لان المغبون فى البيع والشراء فى الدنيا مذموم فأن يذم مشترى الدنيا بالآخرة اولى فعلى العاقل ان يرغب فى تجارة الآخرة ولا يركن الى الدنيا ولا يسفك دمه بامتثال اوامر الشيطان فى استجلاب حظوظ النفس ولا يخرج من ديار دينه التى كان عليها فى اصل الفطرة فانه اذا يضل ويشقى وفى قوله لاتسفكون دماءكم اشارة اخرى الى ان العبد لا يجوز له ان يقتل نفسه من جهد او بلاء يصيبه او يهيم فى الصحراء ولا يأتى

البيوت جهلا فى ديانته وسفها فى حلمه فهو عام فى جميع ذلك وقد روى ان بعض الصحابة رضى الله عنهم عزموا ان يلبسوا المسوح وان يهيموا فى الصحرآء ولا يأووا الى البيوت ولا يأكلوا اللحم ولا يغشوا النساء فقال عليه السلام انى اصلى وانام واصوم وافطر واغشى النساء وآوى الى البيوت وآكل اللحم فمن رغب عن سنتى فليس منى فرجعوا اجمعا عزموا قال تعالى وآت كل ذى حق حقه فالكمال فى التجاوز عن القيود والوصول الى عالم الشهود وعين العارف لاترى غير الله فى المرايا والمظاهر فمن اى شئ يهرب والى اين يهرب فاينما تولوا فثم وجه الله ولذا قيل الذى يطلب العلم لله اذا قيل له غدا تموت لا يضيع الكتاب من يده لكونه وفى الحقوق مشتغلا به لله مخلصا له النية فلم ير افضل مما هو فيه فيحب ان يأتيه الموت على ذلك واعلم ايضا ان الاسارى اصناف شتى فمن اسير فى قيد الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى ومن اسير فى قيد حب الدنيا فخلاصه باخلاص ذكر الموت (وفى المثنوى) ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز * ومن اسير بقى فى قيد الوسواس قد استهوته الشياطين ففداؤه برشده الى اليقين بلوآئح البراهين لينقذه من الشكوك والظنون والتخمين ويخرجه من ظلمات التقليد وما تعود بالتلقين ومن اسير تجده فى اسر هواجس نفسه ربيط زلاته ففك اسره فى ارشاده الى اقلاعها ومن اسير تجده فى اسر صفاته وحبس وجوده فنجاته فى الدلالة على الحق فيما يحل عنه وثاق الكون ومن اسير تجده فى قبضة الحق فليس لاسيرهم فدآء ولا لقتيلهم قود ولا لربيطهم خلاص ولا منهم بدل ولا معهم جدل ولا اليهم لغيرهم سبيل ولا لديهم الا بهم دليل ولا بهم فرار ولا معهم قرار فهذا مقام الاولياء الكمل فمن اتخذ هذه الطريقة سبيلا نال مراده ووصل الى مقام فؤاده وتخلص من الخزى الذى هو عمى القلب عن مشاهدة الحق والعمه فى تيه الباطل فى الدنيا والآخرة (قال فى المثنوى) اصل صد يوسف جمال ذوالجلال * اى كم ازززن شو فداى ان جمال * اصل بينند ديده چون اكمل بود * فرع بيند چونكه مرد احول بود * سرمهٔ توحيد از كحال حال * يافته رسته زعلت واعتلال * ولابد من العشق فى طريق الحق (وحكى) ان عجوزا احضرت السوق قطعة غزل وقالت اكتبونى من مشترى يوسف حتى يوجد اسمى فى دفتر العشاق اللهم لا تحجبنا عن جمالك وعنك واجعلنا من الفائزين بنوال وصالك منك (ولقد آتينا) اى بالله لقد اعطينا بانى اسرآئيل (موسى) لغة عبرانية قد سبق تفصيله عند قوله تعالى واذ واعدنا موسى الاية (الكتاب) اى التوراة جملة واحدة (وقفينا من بعده بالرسل) يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اى اتبعنا من بعد موسى رسولا بعد رسول مقتفين اثره وهم يوشع وشمويل وداود وسليمان وشعيون وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام (وآتينا عيسى) بالسريانية البسوع ومعناه المبارك والاصح انه لا اشتقاق له ولا مثاله فى العربية (ابن) باثبات الالف وان كان واقعا بين العلمين لندرة الاضافة الى الام (مريم) بالسريانية بمعنى الخادمة والعابدة قد جعلتها امها محررة لخدمة المسجد ولكمال عبادتها سماها الحق تعالى فى كتابه الكريم مع الانبياء عليهم السلام سبع مرات وخاطبها كما خوطب الانبياء كما قال تعالى يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين فشاركها مع الرجال (البينات) المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابرآء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل (وايدناه) اى قويناه (بروح القدس) من اضافة الموصوف الى الصفة اى بالروح المقدسة المطهرة وهى روح عيسى عليه السلام وصفت بالقدس للكرامة لان القدس هو الله تعالى او الروح جبريل ووصف بالطهارة لانه لم يقترف ذنبا وسمى روحا لانه كان يأتى الانبياء بما فيه حياة القلوب ومعنى تقويته به انه عصمه من اول حاله الى كبره فلم يدن منه شيطان عند الولادة ورفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله وتخصيص عيسى من بين الرسل ووصفه بايتاء البينات والتأييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التوراة وتقريرها واما عيسى فقد نسخ بشرعه كثير من احكامها وحسم مادة اعتقادهم الباطل فى حقه ببيان حقيقته واظهار كمال قبح ما فعلوا به وما بين موسى وعيسى اربعة الاف نبى وقيل سبعون الف نبى (افكلما جاءكم) خاطب اهل عصر النبى عليه السلام بهذا وقد فعله اسلافهم يعنى لم يوجد منهم القتل ان وجد الاستكبار لانهم يتولونهم ويرضون بفعلهم والفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اى ألم تطيعوهم فكلما جاءكم (رسول بما لا تهوى) اى لا تريد (انفسكم) ولا يوافق هواكم من الحق الذى لا انحراف عنه (استكبرتم) اى تعظمتم عن الاتباع له

والايمان بما جاء به من عند الله (ففريقا) منهم (كذبتم) كعيسى ومحمد عليهما السلام (وفريقا تقتلون) كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وقدم فريقا فى الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر ولم يقل قتلتم وان اريد الماضى تفظيعا لهذه الحالة فكأنها وان مضت حاضرة لشناعتها ولثبوت عارها عليهم وعلى ذريتهم بعدهم اوبراد وفريقا تقتلونهم بعد وانكم على هذه النية لانكم حاولتم قتل محمد عليه الصلاة والسلام لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة حتى قال عليه السلام عند موته مازالت اكلة خيبر تعاودنى اى يراجعنى اثر سمها فى اوقات معدودة فهذا اوان قطعت ابهرى وهو عرق منبسط فى القلب اذا انقطع مات صاحبه وقصته انه لما فتحت خيبر وهو موضع بالحجاز اهديت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله انى سائلكم عن شئ فهل انتم صادقى فيه قالوا نعم يا ابا القاسم قال هل جعلتم فى هذه الشاة سما قالوا نعم قال فما حملكم على ذلك قالوا اردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك واعلم ان اليهود انفوا من ان يكونوا اتباعا وكانت لهم رياسة وكانوا متبوعين فلم يؤمنوا مخافة ان تذهب عنهم الرياسة فما دام لم يخرج حب الرياسة من القلب لا تكون النفس مؤمنة بالايمان الكامل وللنفس صفات سبع مذمومة العجب والكبر والرياء والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه ولجهنم ايضا ابواب سبعة فمن زكى نفسه عن هذه السبع فقد اغلق سبعة ابواب جهنم ودخل الجنة واوصى ابراهيم بن ادهم بعض اصحابه فقال كن ذنبا ولا تكن رأسا فان الرأس يهلك والذنب يسلم (قال فى المثنوى) تا توانى بنده شو سلطان مباش * زخم كش چون كوى شو چوكان مباش * اشتهار خلق بند محكمست * دوره اين از بند آهن كى كم است * وعن بعض المشايخ النقشبندية انه قال دخلت على الشيخ المعروف بدده عمر الروشنى للعيادة فوجدته متغير الحال بسبب انه داخله شئ من حب الرياسة لانه كان مشهورا فى بلدة تبريز مرجعا للاكابر والاصاغر فنعوذ بالله من الحور بعد الكور وفى شرح الحكم ادفن وجودك اى ما يكون سبب ظهور اختصاصك بين الخلق من علم او عمل او حال فى ارض الخمول التى هى احد ثلاثة امور احدها ان ترى ما جبلت عليه من النقص فلا تعتد بشئ يظهر منك لعلمك بدسائسك وخبائث نفسك الثانى ان تنظر اليك من حيث انت فلا ترى لا تقابلك الا النقص وتنظر الى مولاك فتراه اهلا لكل كمال فكل ما يصدر لك من احسان نسبته اليه اعتبارا بما انت عليه من خمول الوصف الثالث ان تطهر لنفسك ما يوجب نفى دعواها من مباح مستبشع او مكروه لم يمنع دواء لعلة العجب لا محرما متفقا عليه اذ كما لا يصح دفن الزرع فى ارض ردية لا يجوز الخمول فى حالة غير مرضية (وقالوا) اى اليهود الموجودون فى عصر النبى عليه السلام (قلوبنا غلف) جمع اغلف مستعار من الاغلف الذى لم يختن اى هى مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق واضرب وقال (بل لعنهم الله بكفرهم) اى خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة (فقليلا ما يؤمنون) ما مزيدة للمبالغة اى فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب والفاء لسببية اللعن لعدم الايمان (ولما جاءهم كتاب) كائن (من عند الله) وهو القرآن ووصفه بقوله من عند الله للتشريف (مصدق لما معهم) اى موافق للتوراة فى التوحيد وبعض الشرائع قال ابن التمجيد المصدق به ما يختص ببعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما يدل عليها من العلامات والصفات لا الشرائع والاحكام لان القرآن نسخ اكثرها (وكانوا من قبل) اى قبل مجئ محمد صلى الله عليه وسلم (يستفتحون على الذين كفروا) اى يستنصرون به على مشركى العرب وكفار مكة ويقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته فى التوراة ويقولون لاعدائهم قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم (فلما جاءهم ما عرفوا) من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية (كفروا به) حسدا وحرصا على الرياسة وغيروا صفته وهو جواب لما الاولى والثانية تكرير للاولى (فلعنة الله على الكافرين) اى عليهم وضعا للظاهر موضع الضمير للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم والفاء للدلالة على ترتيب اللعنة على الكفر واللعنة فى حق الكفار الطرد والابعاد من الرحمة والكرامة والجنة على الاطلاق وفى حق المذنبين من المؤمنين الابعاد عن الكرامة التى وعدها

من لا يكون فى ذلك الذنب ومنه قوله عليه السلام من احتكر فهو ملعون اى من ادخر ما يشتريه وقت الغلاء ليبيعه وقت زيادة الغلاء فهو مطرود من درجة الابرار لا من رحمة الغفار واعلم الصفات المقتضية للعن ثلاث الكفر والبدعة والفسق وله فى كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين او المبتدعة او الفسقة والثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى او على القدرية والخوارج والروافض او على الزناة والظلمة وآكل الربا وكل ذلك جائز والثالثة اللعن على الشخص فان كان ممن ثبت كفرهم شرعا يجوز لعنه ان لم يكن فيه اذى على مسلم كقولك لعنة الله على فرعون وابى جهل لانه ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا وان كان ممن لم يثبت شرعا كلعنة زيد او عمرو وغيرهما بعينه فهذا فيه خطر لان حال خاتمته غير معلوم وربما يسلم الكافر او يتوب فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا الا ترى ان وحشيا قتل عم النبى عليه السلام اعنى حمزة رضى الله عنه ثم اسلم على يد النبى عليه السلام وبشره الله بالجنة وهذه حجة من لم يلعن يزيد لانه يحتمل ان يتوب ويرجع عنه فعم هذا الاحتمال لا يلعن قال بعضهم لعن يزيد على اشتهار كفره وتواتر فظاعة شره لما انه كفر حين امر بقتل الحسين رضى الله عنه ولما قال فى الخمر (فان حرمت يوما على دين احمد * فخذها على دين المسيح ابن مريم) واتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين رضى الله عنه او امر به او اجازه او رضى به كما قال سعد الملة والدين التفتازانى الحق ان رضى يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك واهانته اهل بيت النبى عليه السلام مما تواتر معناه وان كان تفاصيله آحادا فنحن لا نتوقف فى شأنه بل فى ايمانه لعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه انتهى وكان الصاحب بن عباد يقول اذا شرب ماء بثلج (قعقعة الثلج بماء عذب * تستخرج الحمد من اقصى القلب) ثم يقول اللهم جدد اللعن على يزيد ويكف اللسان عن معاوية تعظيما لمتبوعه وصاحبه عليه السلام لانه كاتب الوحى وذو السابقة والفتوحات الكثيرة وعامل الفاروق وذى النورين لكنه اخطأ فى اجتهاده فتجاوز الله عنه ببركة صحبة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال الحياط المتكلم ما قطعنى الا غلام قال ما تقول فى معاوية قلت انا اقف فيه قال فما تقول فى ابنه يزيد قلت العنه قال فما تقول فيمن يحبه قلت العنه قال افترى ان معاوية كان لا يحب ابنه كذا فى روضة الاخبار ثم اعلم ان اللعنة ترتد على اللاعن ان لم يكن الملعون اهلا لذلك ولعن المؤمن كقتله فى الاثم وربما يلعن شيأ من ماله فتنزع منه البركة فلا يلعن شيأ من خلق الله لا الجماد ولا الحيوان ولا الانسان قال عليه السلام اذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه فالاولى ان يترك ويشتغل بدله بالذكر والتسبيح اذ فيه ثواب ولا ثواب فى اللعن وان كان يستحق اللعن قال عليه السلام اريت النار واكثر اهلها النساء فانهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير فلو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم اذا رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك خيرا قط قال على كرم الله وجهه من افتى الناس بغير علم لعنته السماء والارض وسألت بنت على البلخى اباها عن القيئ اذا خرج الى الحلق فقال يجب اعادة الوضوء فرأى رسول الله عليه السلام يقول لا يا على حتى يكون ملئ الفم فقال علمت ان الفتوى تعرض على رسول الله فآليت على نفسى ان لا أفتى ابدا كذا فى الروضة (بئسما) ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اى بئس شيأ (اشتروا) صفة واشترى بمعنى باع وابتاع والمراد ههنا الاول (به) اى بذلك الشئ (انفسهم) المراد الايمان وانما وضع الانفس موضع الايمان ايذانا بانها انما خلقت للعلم والعمل به المعبر عنه بالايمان ولما بدلوا الايمان بالكفر كانوا كانهم بدلوا الانفس به والمخصوص بالذم قوله تعالى (ان يكفروا بما انزل الله) اى بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقته (بغيا) علة لان يكفروا اى حسدا وطلبا لما ليس لهم كما ان الحاسد يطلب ما ليس له لنفسه مما للمحسود من جاه او منزلة او خصلة حميدة والباغى هو الظالم الذى يفعل ذلك عن حسده والمعنى بئس شيأ باعوا به ايمانهم كفرهم المعلل بالبغى الكائن لاجل (ان ينزل الله) او حسدا على أن فان الحسد يستعمل بعلى (من فضله) الذى هو الوحى (على من يشاء) اى يشاؤه ويصطفيه (من عباده) المستأهلين لتحمل اعباء الرسالة والمراد ههنا محمد صلى الله عليه وسلم كانت اليهود يعتقدون نبى آخر الزمان ويتمنون خروجه وهم يظنون انه من ولد اسحق فلما ظهر ان من ولد اسمعيل حسدوه وكرهوا ان يخرج الامر من بنى اسرآئيل فيكون لغيرهم (فباؤا) اى رجعوا ملتبسين (بغضب) كائن (على غضب) اى صاروا مستحقين لغضب مترادف ولعنة اثر لعنة حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبى الحق وبغوا عليه (وللكافرين) اى لهم والاظهار

فى موضع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم (عذاب مهين) يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله كان مبنيا على الحسد المبنى على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ودل ان عذاب المؤمنين تأديب وتطهير وعذاب الكفار اهانة وتشديد ولان المراتب الدنيوية والاخروية كلها من فيض الله تعالى وفضله فليس لاحد ان يعترض عليه ويحسده على الالطاف الآلهية فان الكمالات مثل النبوة والولاية ليست من الامور الاكتسابية التى يصل اليها العبد بجهد كثير وكال اهتمام اما النبوة اى البعثة فاختصاص آالهى حاصل لعينه الثابتة من التجلى الموجب للاعيان فى العلم وهو الفيض الاقدس واما الولاية فهو ايضا اختصاص الهى غير كسبى بل جميع المقامات كذلك اختصاصية عطائية غير كسبية حاصلة للعين الثابتة من الفيض الاقدس وظهوره بالتدريج بحصول شرائطه واسبابه يوهم المحجوب فيظن انه كسبى بالتعمل وليس كذلك فى الحقيقة فلا معنى للحسد لكن الجاهلين بحقيقة الحال يطيلون السنتهم بالقيل والقال ولا ضير فانه رفع لدرجات العبد واقتضت سنة الله ان يشفع اهل الجمال باهل الجلال ليظهر الكمال (قال الحافظ) درين چمن گل بيخار كس نچيد آرى * چراغ مصطفوى باشرار بولهبيست (وحكى) ان المولى جلال الدين لما فقد الشمس التبريزى طاف البلاد بالحرارة فى طلبه فمر يوما امام حانوت ذهبى للشيخ صلاح الدين زركوب فقال له تعال يا مولانا فدخل فى حانوته فقال لاى شئ تجزع وتدور قال الفلك اذا فقد شمسه يدور لاجله ليتخلص من ظلمة الفراق فقال الشيخ انا شمسك قال مولانا من اين اعرف انك شمسى فاخبره عن المراتب التى اوصله اليها الشيخ شمس الدين فقبل يده واعتذر فقال كان شمسى ارانى اولا بطانته فالآن ارانى وجهه فاشتغل عنده فوصل الى ما وصل ثم لما سمعه بعض اتباع مولانا ارادوا قتله وحسدوا عليه فارسل اليهم مولانا ابنه سلطان ولد فقال الشيخ ان الله تعالى اعطانى قدرة على قلب السماء الى الارض فلو اردت لاهلكتهم بقدرة الله لكن الاولى ان نتحمل وندعو لاصلاح حالهم فدعا الشيخ فآمن سلطان ولد فلانت قلوبهم واستغفروا (قال فى المثنوى) چون كنى بربى حسد مكر وحسد * زان حسد دل راسياهيها رسد * خاك شو مردان حق را زير پا * خاك بر فرق حسد كن همچو ما * وهكذا احوال الانبياء والاولياء الا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وكان الاصحاب رضى الله عنهم يبكون دما من اخلاق النفس ولا يزالون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما به يتخلصون من الاوصاف الذميمة ويتطهرون ظاهرا وباطنا طلبا للنجاة من العذاب المهين واشدها الفراق (واذا قيل لهم) اى واذا قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود اهل المدينة ومن حولها ومعنى اللام الانهاء والتبليغ (آمنوا بما انزل الله) من الكتب الآلهية جميعا (قالوا نؤمن) اى نستمر على الايمان (بما انزل علينا) يعنون به التوراة وما انزل على انبياء بنى اسرائيل لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم واسندوا الانزال على انفسهم لان المنزل على نبى منزل على امته معنى لانه يلزمهم (و) هم (يكفرون بما وراءه) اى بسوى ما انزل (وهو) اى والحال ان ماوراء التوراة (الحق) اى المعروف بالحقية الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق (مصدقا لما معهم) من التوراة غير مخالف له حال مؤكدة من الحق والعامل فيها ما فى الحق من معنى الفعل وصاحب الحال ضمير دل عليه الكلام اى احقه مصدقا اى حال كونه موافقا لما معهم وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل نبى بقوله تعالى (قل) يا محمد تبكيتا لهم من جهة الله تعالى ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم (فلم) اصله لما لامه للتعليل دخلت على ما التى للاستفهام وسقطت الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية (تقتلون انبياء الله من قبل) صيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اى قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلاى شئ تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام واسند فعل الآباء وهو القتل الى الابناء للملابسة بين الآباء والابناء قال ابو الليث فى تفسيره وفى الآية دليل ان من رضى بالمعصية فكأنه فاعل لها لان اليهود كانوا راضين بقتل آبائهم فسماهم الله قاتلين حيث قال قل فلم تقتلون الآية (ان كنتم مؤمنين) جواب الشرط محذوف لدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وهو تكرير للاعتراض لتأكيد الالزام وتشديد التهديد (ولقد جاءكم موسى بالبينات) من تمام التبكيت والتوبيخ

داخل تحت الامر واللام لقسم اى بالله قد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة من العصا واليد وفلق البحر ونحو ذلك (ثم اتخذتم العجل) اى الها (من بعده) اى من بعد مجيئه بها وثم للتراخى فى الرتبة والدلالة على نهاية قبح مافعلوا (وانتم ظالمون) حال من ضمير اتخذتم اى عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة فى غير موضعها (واذ اخذنا ميثاقكم) اى العهد منكم (ورفعنا فوقكم الطور) اى الجبل قائلين لكم (خذوا ما آتيناكم بقوة) اى بجد واجتهاد (واسمعوا) ما فى التوراة سماع قبول وطاعة (قالوا) كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا (سمعنا) قولك ولكن لاسماع طاعة (وعصينا) امرك ولولا مخافة الجبل ما قبلنا فى الظاهر فاذا كان حال اسلافهم هكذا فكيف يتصور من اخلافهم الايمان (قال الفردوسى) زبد گوهران بدنباشد عجب * سياهى نباشد بريدن زشب * زبد اصل چشم بهى داشتن * بود خاك دردیده انباشتن (واشربوا) اى والحال انهم قد اشربوا (فى قلوبهم) بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون فى بطونهم نارا (العجل) اى حب العجل على حذف المضاف واشرب قلبه كذا اى حل محل الشراب اواختلط كما خلط الصبغ بالثوب وحقيقة اشربه كذا جعله شاربا لذلك فالمعنى جعلوا شاربين حب العجل نافذا فيهم نفوذ الماء فيما يتغلغل فيه قال الراغب من عادتهم اذا ارادوا مخامرة حب او بغض فى القلب ان يستعيروا لها اسم الشراب اذ هو ابلغ مساغا فى البدن ولذلك قالت الاطباء الماء مطية الاغذية والادوية (بكفرهم) اى بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة اوحلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سوّل لهم السامرى وجعل حلاوة عبادة العجل فى قلوبهم مجازاة لكفرهم وفى القصص ان موسى عليه السلام لما خرج الى قومه امر ان يبرد العجل بالمبرد ثم يذرى فى النهر فلم يبق نهر يجرى يومئذ الا وقع فيه منه شئ ثم قال لهم اشربوا منه فمن بقى فى قلبه شئ من حب العجل ظهرت نحالة الذهب على شاربه (قل) توبيخا لحاضرى اليهود اثر ما بين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون فى كل ما يأتون ويذرون (بئسما) بئس شيأ (يأمركم به) اى بذلك الشئ (ايمانكم) بما انزل عليكم من التوراة حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اى ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفى اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) بالتوراة واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا فقد علم ان من ادعى انه مؤمن ينبغى ان يكون فعله مصدقا لقوله والا لم يكن مؤمنا قال الجنيد قدس سره التوحيد الذى تفرد به الصوفية هو افراد القدم عن الحدوث والخروج عن الاوطان وقطع المحاب وترك ما علم وما جهل وان يكون الحق سبحانه مكان الجميع طالب توحيد را بايد قدم برلا زدن * بعد ازان در عالم وحدت دم الا زدن * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخل على يعقوب النبى عليه السلام مبشر يوسف عليه السلام وبشره بحياته قال له يعقوب على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال يعقوب عليه السلام الآن قد تمت النعمة على يعقوب واعلم ان التوحيد اصل الاصول ومناط القبول ومكفر الخطايا ومستجلب العطايا (حكى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب اسلام دحية الكلبى لانه كان تحت يده سبعمائة من اهل بيته وكانوا يسلمون باسلامه وكان يقول اللهم ارزق دحية الكلبى الاسلام فلما اراد دحية الاسلام اوحى الله الى النبى عليه السلام بعد صلاة الفجر يا محمد ان الله يقرئك السلام و يقول ان دحية يدخل عليك الآن وكان فى قلوب الاصحاب شئ من دحية من وقت الجاهلية فلما سمعوا ذلك كرهوا ان يكونوا دحية فيما بينهم فلما علم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ان يقول لهم مكنوا دحية وكره ان يدخل دحية فيوحشوه فيبرد قلبه عن الاسلام فلما دخل دحية المسجد رفع النبى صلى الله عليه وسلم رداءه عن ظهره و بسطه على الارض بين يديه فقال دحية ههنا واشار الى ردائه فبكى دحية من كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع رداءه وقبله ووضعه على رأسه وعينيه وقال ما شرائط الاسلام اعرضها على فقال ان تقول اولا لا اله الا الله محمد رسول الله فقال دحية ذلك ثم وقع البكاء على دحية فقال عليه السلام ما هذا البكاء وقد رزقت الاسلام فقال انى ارتكبت خطيئة وفاحشة كبيرة فقل لربك ما كفارته ان امرنى أن اقتل نفسى قتلتها وان امر ان اخرج من جميع مالى خرجت فقال عليه السلام وما ذلك يا دحية قال كنت رجلا من ملوك العرب واستنكف ان تكون لى بنات ايهن ازواج فقتلت سبعين من بناتى كلهن بيدى فتحير النبى عليه السلام فى ذلك حتى نزل جبريل فقال يا محمد

ان الله يقرئك السلام و يقول قل لدحية وعزتى وجلالى انك لما قلت لا اله الا الله غفرت لك كفر ستين سنة وسيئاتك ستين سنة فكيف لا اغفر لك قتل البنات فبكى عليه السلام واصحابه فقال عليه السلام الهى غفرت لدحية قتل بناته بشهادة ان لا اله الا الله مرة واحدة فكيف لا تغفر للمؤمنين بشهادات كثيرة و بقول صادق و بفعل خالص (وفى المثنوى) اذكروا الله كار هر اوباش نيست * ارجعى بر پاى هر قلاش نيست * (قال السعدى) كر بمحشر خطاب قهر كند * انبيارا چه جاى معذرتست * پرده از روى لطف كو بردار * كاشقيارا اميد مغفرتست (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) اى الجنة (عند الله) ظرف للاستقرار فى الخبر أعنى لكم (خالصة) على الحالية من الدار اى سالمة لكم خاصة بكم (من دون الناس) فى محل النصب بخالصة اى من دون محمد واصحابه فاللام للعهد وتستعمل هذه اللفظة للاختصاص يقال هذا لى من دون الناس اى انا مختص به والمعنى ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (فتمنوا الموت) اى أحبوه واسألوه بالقلب واللسان وقولوا اللهم أمتنا فان من أيقن بدخول الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من دار البوار وقرارة الاكدار ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمنى (ان كنتم صادقين) فى قولكم ان الجنة خاصة لكم فتمنوه واصل التمنى تقدير شئ فى النفس واكثر ما يستعمل فيما لا حقيقة له (ولن يتمنوه) اى الموت (ابدا) اى فى جميع الزمان المستقبل لان ابدا اسم لجميع مستقبل الزمان كقط لماضيه وفيه دليل على ان لن ليس للتأبيد لانهم يتمنون الموت فى الآخرة ولا يتمنونه فى الدنيا (بما قدمت ايديهم) بسبب ما عملوا من المعاصى الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبى عليه السلام والقرآن وتحريف التوراة وخص الايدى بالذكر لان الاعمال غالبا تكون بها وهى من بين جوارح الانسان مناط عامة صنائعه ومدار اكثر منافعه ولذا عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة (والله عليم بالظالمين) بهم و بما صدر عنهم وهو تهديد لهم (روى) ان اليهود لو تمنوا الموت لغص كل واحد منهم بريقه اى لامتلأ فمه بريقه فمات من ساعته ولما بقى على الارض يهودى الا مات فقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا ولو وقع من احد منهم تمنى موته لنقل واشتهر فان قلت ان التمنى يكون بالقلب فلا يظهر لنا انهم تمنوه اولا قلت ليس التمنى من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لى كذا وعن نافع جلس الينا يهودى يخاصمنا فقال ان فى كتابكم فتمنوا الموت وانا أتمنى فمالى لا اموت فسمع ابن عمر رضى الله عنه هذا فدخل بيته واخذ السيف ثم خرج ففر اليهودى حين رآه فقال ابن عمر أما والله لو أدركته لضربت عنقه توهم هذا الجاهل انه لليهود فى كل وقت انما هو لاولئك الذين كانوا يعاندونه ويجحدون نبوته بعد أن عرفوه فان قلت ان المؤمنين اجمعوا على ان الجنة للمؤمنين دون غيرهم ثم ليس احد منهم يتمنى الموت فكيف وجه الاحتجاج على اليهود بذلك قلت ان المؤمنين لم يجعلوا لانفسهم من الفضل والشرف والمرتبة عند الله ما جعلت اليهود ذلك لانفسهم لانهم ادعوا أنهم ابناء الله واحباؤه وان الجنة خالصة لهم والانسان لا يكره القدوم على حبيبه ولا يخاف انتقامه بالمصير اليه بل يرجو وصوله الى محابه فقيل لهم تمنوا ذلك فلما لم يتمنوه ظهر كذبهم فى دعاويهم ولان النبى عليه الصلاة والسلام نهى عن تمنى الموت قال لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى ما كانت الوفاة خيرا لى قال مقاتل لو لا ابناى وسيئاتى * لذبت شوقا الى الممات فلا يلزمهم ما يلزم اليهود قال سهل بن عبد الله التسترى قدس سره لا يتمنى الموت الا ثلاثة رجل جاهل بما بعد الموت اورجل يفر من اقدار الله عليه اومشتاق يحب لقاء الله (قال فى المثنوى) شد هواى مرك طوق صادقان * كه جهودانرا بد اين دم امتحان * روى عن صاحب المثنوى انه لما دنت وفاته تمثل له ملك الموت وقام عند الباب ولما رآه المولى قدس سره قال * بيشتر آ بيشتر آجان من * بيك درحضرت سلطان من * قال بعض الملوك لابى حازم كيف القدوم على الله عزوجل فقال ابو حازم اما قدوم الطائع على الله فكقدوم الغائب على اهله المشتاقين اليه واما قدوم العاصى فكقدوم الآبق على سيده الغضبان انبيارا تنك آمد اين جهان * چون شهان رفتند اندر لامكان * چون مراسوى اجل عشق وهواست * نهى لا تلقوا بايديكم مراست * زانكه نهى ازدانهٔ شيرين بود * تلخ را خود نهى حاجت كى شود * واعلم ان الموت هو المصيبة العظمى والبلية الكبرى واعظم منه الغفلة عنه والاعراض عن ذكره وقلة الفكر

فيه وترك العمل له وان فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكر فلمن تفكر كما قيل كفى بالموت واعظا ومن ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة ومنعه عن تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ولكن القلوب الغافلة تحتاج الى تطويل الوعاظ وتزيين الالفاظ والافنى قوله عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات وقوله تعالى كل نفس ذآئقة الموت مايكفى السامع له ويشغل الناظر فيه فعلى العاقل ان يسعى للموت بالاختيار قبل الموت بالاضطرار ويزكى نفسه عن سفساف الاخلاق (قال السعدى قدس سره) اى برادر چو عاقبت خاكست * خاك شو پيش ازانكه خاك شوى * اللهم يسر لنا الطريق (ولتجدنهم أحرص الناس) من الوجدان العقلى وهو جار مجرى العلم خلا أنه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها واللام لام القسم اى والله لتجدن اليهود يا محمد احرص من الناس (على حياة) لا يتمنون الموت والتنكير للنوع وهى الحياة المخصوصة المتطاولة وهى حياتهم التى هم فيها لانها نوع من مطلق الحياة (ومن الذين اشركوا) عطف على ماقبله بحسب المعنى كأنه قيل احرص من الناس وافرد المشركون بالذكر وان كانوا من الناس لشدة حرصهم على الحياة وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لايؤمنون بعاقبة ومايعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لايستبعد لانها جنتهم فاذا ازاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزآء كان حقيقا بأعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لامحالة والمشركون لايعلمون ذلك (يود أحدهم) بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف اى يريد ويتمنى ويحب احد هؤلاء المشركين (لو يعمر ألف سنة) حكاية لودادهم ولو فيه معنى التمنى كانه قيل ليتنى اعمر وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله تعالى يود أحدهم كقولك حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود اجرآء له مجرى القول لانه فعل قلبى والمعنى تمنى احدهم ان يعطى البقاء والعمر الف سنة وهى للمجوس وخص هذا العدد لانهم يقولون ذلك فيما بينهم عند العطاس والتحية عش ألف سنة وألف نوروز وألف مهرجان وهى بالعجمية زى هزار سال وصح اطلاق المشركين على المجوس لانهم يقولون بالنور والظلمة (وما) حجازية (هو) اى احدهم اسم ما (بمزحزحه) خبر ما والباء زآئدة والزحزحة التبعيد والانجاء (من العذاب) من النار (ان يعمر) فاعل مزحزحه اى تعميره (والله بصير بما يعملون) البصير فى كلام العرب العالم بكنه الشئ الخبير به اى عليم بخفيات اعمالهم من الكفر والمعاصى لايخفى عليه فهو مجازيهم بها لامحالة بالخزى والذل فى الدنيا والعقوبة فى العقبى وهذه الحياة العاجلة تنقضى سريعة وان عاش المرء ألف سنة أو ازيد عليها فمن احب طول العمر للصلاح فقد فاز قال عليه السلام طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ومن احبه للفساد فقد ضل ولا ينجو مما يخاف فان الموت يجئ البتة واجمعت الامة على ان الموت ليس له سن معلوم ولا اجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعدا لذلك وكان بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى فقد صوته امير تلك المدينة فسأل عنه فقيل انه مات فقال

مازال يلهج بالرحيل وذكره * حتى اناخ ببابه الجمال * فأصابه متيقظا متشمرا * ذا اهبة لم تلهه الامال

بانك طبلت نمى كند بيدار * تو مگر مرده نه درخوابى * تو چراغى نهاده دررهباد * خانه در ممر سيلابى * فاصابة الموت حق وان كان العيش طويلا والعمر مديدا وهو ينزل بكل نفس راضية كانت اوكارهة روى شارح الخطب عن وهب بن منبه انه قال مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع يا دانيال قف ترعجبا فلم ير شيأ ثم نودى الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فاذا سرير مرصع بالدر والياقوت فاذا النداء من السرير اصعد يا دانيال ترعجبا فارتقيت السرير فاذا فراش من ذهب مشحون بالمسك والعنبر فاذا عليه شاب ميت كأنه نائم واذا عليه من الحلى والحلل مالا يوصف وفى يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف اشد خضرة من البقل فاذا النداء من السرير ان احل هذا السيف واقرأ ما عليه قال فاذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم والى عشت الف عام وسبعمائة سنة وافتضضت اثنى عشر ألف جارية وبنيت اربعين ألف مدينة وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الانصاف وكان يحمل مفاتح الخزآئن أربعمائة بغل وكان يحمل الى خراج الدنيا فلم ينازعنى احد من اهل الدنيا فادعيت الربوبية فأصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بألف قفيز

من درّ فلم اقدر عليه فمت جوعا يااهل الدنيا اذكروا اموانكم ذكرا كثيرا واعتبروا بى ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى فان اهلى لم يحملوا من وزرى شيأ انتهى (قال السعدى) چون همه نيك وبد بايد مرد * خنك آنكس كه كوى نيكى برد * برك عيشى بكور خويش فرست * كس نيارد زپس زپيش فرست * عمر برفست وآفتاب تموز * اندكى ماند وخواجه غره هنوز * فعلى اهل القلوب القاسية ان يعالجوا قلوبهم بامور احدها الاقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم والوعظ والتذكير والتخويف والترغيب واخبار الصالحين فان ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها والثانى ذكر الموت فيكثر من ذكرها ذم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات والثالث مشاهدة المحتضرين فان فى النظر الى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الاجفان من النوم والراحة من الابدان ويبعث على العمل فيزيد فى الاجتهاد والتعب ويستعد للموت قبل النزول فانه اشد الشدائد قيل لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت قال هو كشجرة الشوك ادخلت فى جوف ابن آدم فاخذت كل شوكة بعرق ثم اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ماقطع وأبقى ما ابقى وفى الحديث لوأن شعرة من وجع الميت وضعت على اهل السموات والارضين لماتوا اجمعين وان فى يوم القيامة لسبعين هولا وان ادنى هول ليضعف على الموت سبعين ضعفا (قل من كان عدوا لجبريل) لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه عبد الله ابن صوريا من اليهود بسكن فدك فقال يا محمد كيف نومك فانا اخبرنا عن نوم النبى الذى يجيئ فى آخر الزمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم تنام عيناى وقلبى يقظان قال صدقت فأخبرنى عن الولد امن الرجل يكون اومن المرأة قال اما العظم والعصب والعروق فمن الرجل واما الدم واللحم والظفر والشعر فمن المرأة قال صدقت يا محمد قال فما بال الولد يشبه اعمامه ليس فيه من شبه اخواله شئ اويشبه اخواله ليس فيه من شبه اعمامه شئ قال ايهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت يا محمد وسأله عن الطعام الذى حرم اسرآئيل على نفسه فقال ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذران شفاه الله حرم على نفسه احب الطعام اليه وهو لحم الابل واحب الشراب اليه وهو ألبانها قال صدقت يا محمد وسأله عن اول نزل الجنة قال الحوت قال صدقت يا محمد ثم قال بقيت خصلة ان قلتها آمنت بك واتبعتك اى ملك يأتيك بما تقول من الله تعالى فقال جبريل قال ذاك عدونا لانه ملك العذاب ينزل بالقتال والعذاب وكسر السفن والشدائد ورسولنا ميكائيل لانه ملك الرحمة ينزل بالغيث والبشر والرخاء فقال له عمر ما بدء عداوته لكم فقال عادانا مرارا كثيرة وكان من اشد عداوته لنا ان الله تعالى انزل على نبينا موسى عليه السلام ان البيت المقدس سيخرب فى زمان رجل يقال له بخت نصر واخبرنا بالحين الذى يخرب فيه فلما كان الحين الذى يخرب فيه بعثنا رجلا من اقوياء بنى اسرآئيل فى طلبه فانطلق حتى لقيه غلاما مسكينا ببابل ليست له قوة فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال لصاحبنا ان هو امره بهلاككم لا يسلطكم عليه وان لم يكن هذا فعلى اى حق تقتلونه فصدقه صاحبنا فتركه وكبر بخت نصر وقوى ملكه ثم غزانا فخرب بيت المقدس وقتلنا وامر جبريل بوضع النبوة فينا فوضعها فى غيرنا فلهذا اتخذناه عدوا وميكائيل عدو جبريل فقال عمر رضى الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدو الله تعالى وجواب من محذوف اى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته (فانه) يعنى جبريل (نزله) اى القرءان اضمره لكمال شهرته (على قلبك) زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحى فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ اى حفظه اياك وفهمكه وحق الكلام ان يقال على قلبى لكنه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به لما فى النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة يعنى قل كما تكلمت به من قولى انه نزله على قلبك (باذن الله) بامره وتيسيره (مصدقا لما بين يديه) اى موافقا لما قبله من الكتب الالهية فى التوحيد وبعض الشرآئع حال من مفعول نزله (وهدى) اى هاديا الى دين الحق (وبشرى) اى مبشرا بالجنة (للمؤمنين) فلا وجه لمعاداته فلو أنصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه فى انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ثم عمم الشرط والجزآء ردا عليهم بقوله (من كان عدوا لله) اى مخالفا لامره عنادا وخارجا عن طاعته مكابرة (وملائكته ورسله وجبريل وميكال) افردهما بالذكر لاظهار فضلهما كأنهما من جنس آخر أشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الجنس قال عكرمة

جبر وميك واسراف هى العبد بالسريانية وايل وآيل هو الله ومعناها عبد الله او عبد الرحمن (فان الله) جواب الشرط ولم يقل فانه لاحتمال ان يعود الى جبريل وميكائيل (عدو للكافرين) اى لهم جاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشدّ العقاب فقال ابن صوريا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماجئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فأنزل الله (ولقد انزلنا اليك آيات بينات) واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله (وما يجحد بها) اى بالآيات التى توضح الحلال والحرام وتفصل الحدود والاحكام (الا الفاسقون) المتمردون فى الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة لايجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات والاحسن ان يكون اللام اشارة الى اهل الكتاب قال الحسن اذا استعمل الفسق فى نوع من المعاصى وقع على اعظم ذلك النوع من كفر اوغيره واعلم ان القرءآن هو النور الالهى الذى كشف الله به الظلمات واليهود ارادوا ان يطفئوا نور الله والله متم نوره وليس لهم فى ذلك الا الفضاحة والخزى كما اذا دخل الحمام ناس فى ليل مظلم وفيهم الاصحاء واهل العيوب فجاء واحد بسراج مضئ لايسارع الى اطفائه الا أهل العيوب مخافة ان يظهر عيوبهم للاصحاء ويلحق بهم مذمة

شمع رخشنده دران جمع نخواهند كه تا * عيب شان درشب تاريك بماند مستور *
واى ان وقت كه روشن شود اين راز چو روز * برده برخيزد واين حال بيايد بظهور

(او) الهمزة للانكار والعطف على مقدر يقتضيه المقام اى أكفروا بالآيات البينات وهى فى غاية الوضوح (كلما عاهدوا عهدا) مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه (نبذه فريق منهم) اى رموا بالذمام اى العهد ورفضوه والفريق الطائفة وهو يكون للقليل والكثير واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه (بل اكثرهم لايؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين فى شئ فلا يعدّون نقض المواثيق ذنبا ولايبالون به وهذا ردّ لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون (ولما جاءهم رسول) هو النبى صلى الله عليه وسلم (من عند الله) متعلق بجاء (مصدّق لما معهم) من التوراة (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب) اى التوراة (كتاب الله) مفعول نبذ اى الذى اوتوه وهو التوراة لانهم لما كفروا بالرسول المصدّق لما معهم فقد نبذوا التوراة التى فيها انّ محمدا رسول الله وقد علموا انها من الله (وراء ظهورهم) يعنى رموا بالعناد كتاب الله وراء ظهورهم ولم يعملوا به مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه (كانهم لايعلمون) جملة حالية اى نبذوه وراء ظهورهم متشبهين بمن لايعلمه انه كتاب الله قيل اصل اليهود اربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل اكثرهم لايؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود تمرّدا وفسوقا وهم المعنيون بقوله سبحانه نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون وفيه اشارة الى ان من فعل فعل الجاهل وتعمد الخلاف مع علمه يلتحق بالجهال وهو والجاهل سوآء فكما ان الجاهل لايجيئ منه خير فكذا العالم الذى لايعمل ولذا قال النبى عليه الصلاة والسلام واعظ اللسان ضائع كلامه وواعظ القلب نافذ سهامه فالاول هو العالم الغير العامل والثانى هو العالم العامل الذى يؤثر كلامه فى القلوب وتنتج كلمته ثمرات الحكمة والعبرة والفكرة فعلى العاقل ان يسارع الى الامتثال خوفا من بطش بذى الجلال ويقال الندامة اربع ندامة يوم وهى ان يخرج الرجل من منزله قبل ان يتغدى وندامة سنة وهى ترك الزراعة فى وقتها وندامة عمر وهو ان يتزوج امرأة غير موافقة وندامة الابد وهو ان يترك امر الله ومجرد قرآءة الكتاب بترياق الظاهر لايدفع سم الباطن فلا بد من العمل كما ان من كان ينظر الى كتب الطب وكان مريضا فمادام لم يباشر العلاج لايفيد نظره بالادوية وكان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرءآن يعنى يعمل بأوامره وينتهى عن نواهيه واعلم ان العمل بالعلوم الظاهرة لايمكن الا بعد معرفة المراتب الاربع مثلا يعرف بالعلم الظاهر ان حكم الزنى الرجم والجلد ولكن فى الوجود الانسانى محل يقتضى الوقاع والسفاح فأهل الارشاد يقمعون المقتضى المذكور عن ذلك المحل وكذا الحال فى الاكل والشرب وغيرهما والمرء وان كان متبحرا فى العلوم ومتفننا فى القوانين والرسوم فان كان لم يصلح حاله بالعمل فى تزكية النفس وتصفية القلب فانه لايعتبر بل جهله اغلب ونعم ما قيل حفظت شيأ وغابت عنك اشياء (حكى) ان نصير الدين الطوسى دخل على ولىّ من اولياء الله تعالى لاجل الزيارة فقيل له هذا عالم الدنيا نصير

الدين الطوسى قال الولى ما كماله قيل ليس له عديل فى علم النجوم قال الولى الحمار الابيض اعلم منه فانحرف الطوسى وقام من مجلسه فاتفق انه نزل تلك الليلة على باب بيت طاحونة فقال الطحان ادخل البيت فانه سيكون الليلة مطر عظيم حتى لو لم يغلق الباب لاخذه السيل فسأل الطحان عن وجهه فقال لى حمار ابيض اذا حرك ذنبه الى جانب السماء ثلاثا لم تمطر السماء واذا حركه الى جانب الارض يقع المطر فلما سمعه اعترف بعجزه وصدق الولى وزال غيظه (وحكى) ان وليا قال لابن سينا أفنيت عمرك فى العلوم العقلية فالى اى مرتبة وصلت قال وجدت ساعة من ساعات الايام يكون الحديد فيها كالخمير فقال الولى اخبرنى عن تلك الساعة فلما جاءت الساعة اخبره واخذ بيده حديدا فنفذ فيه اصبعه فبعد مضى الساعة قال الولى هل تقدر على تنفيذ اصبعك ايضا قال لا فانه من خصائص تلك الساعة ولا يمكن فاخذه الولى ونفذ اصبعه فيه وقال ينبغى للعاقل ان لا يصرف عمره الى الزائل الفانى فكما ان ابن سينا ادعى استقلال العقل فى طريق الوصول فالقى فى جهنم كذلك اليهود خذلهم الله أنفوا من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بما جاء به من عند الله وادعوا الاستقلال فخابوا وخسروا وبقوا فى ظلمة الجهل والكفر (قال فى المثنوى) اى كه اندر چشمهٔ شورست جات * تو چه دانى شط وجيحون وفرات * واى آن زنده كه با مرده نشست * مرده كشت وزندكى ازوى برست *

(واتبعوا ما تتلوا الشياطين) اى نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا كتب السحرة التى تقرأها وتعمل بها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية (على ملك سليمان) اى على عهد ملكه وفى زمانه فحذف المضاف وعلى بمعنى فى قال السدى كانت الشياطين تصعد الى السماء فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون فى الارض من موت وغيره ويأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا فى كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتتب الناس ذلك وفشا فى بنى اسرائيل ان الجن تعلم الغيب وبعث سليمان فى الناس وجمع تلك الكتب وجعلها فى صندوق ودفنه تحت كرسيه وقال لا اسمع احدا يقول ان الشيطان يعلم الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون امر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثل الشيطان على صورة انسان فاتى نفرا من بنى اسرائيل فقال هل ادلكم على كنز لا تأكلونه ابدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسى وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا ادن قال لا ولكنى ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك انه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق فحفروا واخرجوا تلك الكتب قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذه ثم طار الشيطان وفشا فى الناس ان سليمان كان ساحرا واخذ بنو اسرائيل تلك الكتب فلذلك اكثر ما يوجد السحر فى اليهود فلما جاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم برأ الله سليمان عليه السلام من ذلك وانزل فى عذر سليمان واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) بالسحر وعمله يعنى لم يكن ساحرا لان الساحر كافر والتعرض لكونه كفرا للمبالغة فى اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك (ولكن الشياطين كفروا) باستعمال السحر وتعليمه وتدوينه (يعلمون الناس السحر) اى كفروا والحال انهم يعلمونه اغواء واضلالا وروى ان السحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ودقة افهامهم (وما) اى ويعلمون الناس الذى (انزل على الملكين) اى ما الهما وعلما وهو علم السحر انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه اوتعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمنا كما قيل عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه وهذا كما اذا اتى عرافا فسأله عن شئ ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده ما يميزبه صدقه من كذبه فهذا جائز قال الامام فخر الدين كان الحكمة فى انزالهما ان السحرة كانوا يسترقون السمع من الشياطين ويلقون ما سمعوا بين الخلق وكان بسبب ذلك يشتبه الوحى النازل على الانبياء فانزلهما الله الى الارض ليعلما الناس كيفية السحر ليظهر بذلك الفرق بين كلام الله وكلام السحرة (ببابل) الباء بمعنى فى وهى متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين وهى بابل العراق او بابل ارض الكوفة ومنع الصرف للعجمة والعلمية واحسن ما قيل فى تسميتها ببابل ان نوحا عليه السلام لما هبط الى اسفل الجودى بنى قرية وسماها ثمانين فاصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة احداها اللسان العربى وكان لا يفهم بعضهم من بعض كذا فى تفسير القرطبى (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين علمان لهما

ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وماروى فى قصتهما من انهما شربا الخمر وسفكا الدم وزنيا وقتلا وسجدا للصنم فما
لا تعويل عليه لان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز
التى قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وذلك لان المراد بالملكين العقل النظرى والعقل العملى
والمرأة المسماة بالزهرة هى النفس الناطقة الطاهرة فى اصل نشأتها وتعرضهما لها تعليمهما لها ما تستعد به
فى النشأة الآخرة وحملها اياهما على المعاصى تحريضها اياهما بحكم الطبيعة المزاجية الى السفليات
المدنسة لجوهرهما وصعودها الى السماء بما تعلمت منهما هو عروجها الى الملأ الاعلى ومخالطتها مع القدسيين
بسبب اتصافها ونصحها كذا ذكره وجوه القوم من المفسرين يقول الفقير جامع هذه المجالس الشريفة
قد تصفحت كتب ارباب الخبر والبيان واصحاب الشهود والعيان فوجدت عامتها مشحونة بذكر ما جرى
من قصتهما وكيف يجوز الاتفاق من الجم الغفير على ما مداره رواية اليهود خصوصا فى مثل هذا الامر الهائل
فاقول وصف الملائكة بانهم لا يعصون ولا يستكبرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون و يفعلون ما يؤمرون
دليل تصور العصيان منهم ولولا ذلك لما مدحوا به اذ لا يمدح احد على الممتنع لكن طاعتهم طبع وعصيانهم
تكلف على عكس حال البشر كما فى التيسير فهذا يقتضى جواز الوقوع مع ان فيما روى فى سبب نزولهما ما يزيل
الاشكال قطعا وهو انهم لما عيروا بنى آدم بقلة الاعمال وكثرة الذنوب فى زمن ادريس عليه السلام قال الله
تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغى لنا
ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت
وكانا من اصلح الملائكة وأعبدهم فاهبطا بالتركيب البشرى ففعلا ما فعلا وهذا ليس ببعيد اذ ليس مجرد هبوط
الملك مما يقتضى العصيان وذلك ظاهر والا لظهر من جبريل وغيره الا ترى ان ابليس له الشهوة والذرية مع انه كان
من الملائكة على احد القولين لانهما لما حدثت بعد ان محى من دوانهم فيجوز ان تحدث الشهوة فى هاروت
وماروت بعد ان اهبطا الى الارض لاستلزام التركيب البشرى ذلك وقد قال فى آكام المرجان ان الله تعالى
باين بين الملائكة والجن والانس فى الصورة والاشكال فان قلب الله الملك الى صورة الانسان ظاهرا وباطنا
خرج عن كونه ملكا وكذلك لو قلب الشيطان الى بنية الانسان خرج بذلك عن كونه شيطانا (روى) انه
لما استشفع لهما ادريس عليه السلام خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لكونه
ايسر من عذاب الآخرة فهما فى بئر بابل معلقان فيه بشعورهما الى يوم القيامة قال مجاهد ملئ الجب نارا
فجعلا فيه وقيل معلقان بارجلهما ليس بين السنتهما و بين الماء الا اربع اصابع فهما يعذبان بالعطش
قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره رائحة الشمع الذى يعمل من الشحم كريهة تتألم منها الملائكة
حتى يقال ان هاروت وماروت يعذبان برائحته واما الشمع العسلى فرائحته طيبة كذا فى واقعات الهدائى
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتقوا الدنيا فوالذى نفسى بيده انها لاسحر من هاروت وماروت قال العلماء
انما كانت الدنيا اسحر منهما لانها تدعوك الى التحارص عليها والتنافس فيها والجمع لها والمنع حتى تفرق بينك
وبين طاعة الله وتفرق بينك وبين رؤية الحق ورعايته وسحر الدنيا محبتها وتلذذك بشهواتها وتمنيك بامانيها
الكاذبة حتى تأخذ بقلبك ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى و يصم اراد النبى عليه الصلاة
والسلام ان من الحب ما يعمى عن طريق الحق والرشد ويصمك عن استماع الحق وان الرجل اذا غلب الحب
على قلبه ولم يكن له رادع من عقل اودين اصمه حبه عن العذل واعماه عن الرشد او يعمى العين عن النظر
الى مساويه ويصم الاذن عن استماع العذل فيه او يعمى و يصم عن الآخرة وفائدته النهى عن حب ما لا ينبغى
الاغراق فى حبه (قال خسرو الدهلوى) بهر اين مردار جندت كاه زارى كاه زور * جون غليوا جى كه شش
مه ماده وشش مه نراست * ثم فى هذه القصة اشارة الى انه لا يجوز الاعتماد الا على فضل الله ورحمته
فان العصمة من آثار حفظ الله تعالى (كما قال فى المثنوى) همجو هاروت وجو ماروت شهير *
از بطر خوردند زهر آلود تير * اعتمادى بودشان برقدس خويش * جيست برشير اعتماد كاوميش *
كرجه او باشاخ صد جاره كند * شاخ شاخش شير نرپاره كند * كر شود برشاخ همجون خار پشت *
شير خواهد كاورا ناجار كشت (وما يعلمان من احد) من مزيدة فى المفعول به لافادة تأكيد الاستغراق

الذى يفيده احد والمعنى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين و يحملونهم على العمل به
اغوآء واضلالا والحال ان الملكين ما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه (حتى) ينصحاه اولا وينهياه
عن العمل به والكفر بسببه و (يقولا انما نحن فتنة) وابتلاء من الله تعالى فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته
كفر ومن توقى عن العمل به اواتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقى على الايمان والفتنة الاختبار
والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار اذا جربته بها لتعلم انه خالص اومشوب وهى من الافعال التى تكون
من الله ومن العبد كالبلية والمعصية والقتل والعذاب وغير ذلك من الافعال الكريهة وقد تكون الفتنة
فى الدين مثل الارتداد والمعاصى واكراه الغير على المعاصى وافردت الفتنة مع تعدد الملكين لكونها مصدرا
وحملها عليهما مواطأة للمبالغة كأنهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها
لينصرف الناس عن تعلمه (فلا تكفر) باعتقاد حقيته بمعنى انه ليس بباطل شرعا وجواز العمل به ويقولان
ذلك سبع مرات فان ابى الا التعليم علماه (فيتعلمون) عطف على الجملة المنفية فانها فى قوة المثبتة كأنه قيل
يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى اى فالناس يتعلمون (منهما) اى من الملكين
(ما يفرقون به) اى بسببه واستعماله (بين المرء وزوجه) بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز
عند ما فعلوا من السحر على حسب جرى العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية
ابتلاء لا أن السحر هو المؤثر فى ذلك قال السدى كانا يقولان لمن جاءهما انما نحن فتنة فلا تكفر فان أبى ان يرجع
قالا له ائت هذا الرماد فبل فيه فاذا بال فيه خرج نور يسطع الى السماء وهو الايمان والمعرفة وينزل شئ اسود
شبه الدخان فيدخل فى اذنيه ومسامعه وهو الكفر وغضب الله فاذا اخبرهما بما رآه من ذلك علماه ما يفرق به
بين المرء وزوجه ويقدر الساحر على اكثر مما اخبر الله عنه من التفريق لان ذلك خرج على الاغلب قيل يؤخذ
الرجل على المرأة بالسحر حتى لا يقدر على الجماع قال فى نصاب الاحتساب ان الرجل اذا لم يقدر على مجامعة
اهله واطاق ما سواها فان المبتلى بذلك يأخذ حزمة قصبات ويطلب فأسا ذا فقارين ويضعه فى وسط تلك الحزمة
ثم يؤجج نارا فى تلك الحزمة حتى اذا احمى الفاس استخرجه من النار وبال على حده يبرأ باذن الله تعالى (وماهم)
اى ليس الساحرون (بضارين به) اى بما تعلموه واستعملوه من السحر (من احد) اى احدا (الا باذن الله)
الاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين اومن مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على
النفى او الضمير المجرور فى به اى ما يضرون به احدا الا مقرونا بعلم الله وارادته وقضائه لا بامره لانه لا يأمر بالكفر
والاضرار والفحشاء ويقضى على الخلق بها فالساحر يسحر والله يكون فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا
من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه وكل ذلك بارادته ولا ينكر أن السحر له تأثير فى القلوب بالحب والبغض وبالقاء
الشرور حتى يحول بين المرء وقلبه وذلك بادخال الآلام وعظيم الاسقام وكل ذلك مدرك بالحس والمشاهدة
وانكاره معاندة وان اردت التفصيل وحقيقة الحال فاستمع لما نتلو عليك من المقال وهو ان السحر اظهار امر
خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة اعمال مخصوصة يجرى فيه التعلم والتعليم وبهذين الاعتبارين يفارق
المعجزة والكرامة واختلاف العلماء فى حقيقة السحر بمعنى ثبوته فى الخارج فذهب الجمهور الى ثبوته فيه وقالت
المعتزلة لا ثبوت له ولا وجود له فى الخارج بل هو تمويه وتخييل ومجرد اراءة ما لا حقيقة له يرى الحبال حيات
بمنزلة الشعوذة التى سببها خفة حركات اليد او اخفاء وجه الحيلة وتمسكوا بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى ولنا وجهان الاول يدل على الجواز والثانى يدل على الوقوع اما الاول فهو امكان الامر فى نفسه وشمول
قدرة الله فانه الخالق وانما الساحر فاعل وكاسب واما الثانى فهو قوله تعالى ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء
وزوجه وماهم بضارين به من احد الا باذن الله وفيه اشعار بانه ثابت حقيقة ليس مجرد اراءة وتمويه وبان المؤثر
والخالق هو الله تعالى وحده واما الشعوذة وما يجرى مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب آلات
الهندسة وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها مجاز أو لما فيها من الدقة لانه
فى الاصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفى سببه ولذا يقال سحر حلال واكثر من يتعاطى السحر من الانس
النساء وخاصة فى حال حيضهم والارواح الخبيثة ترى غالبا للطبائع المغلوبة والنفوس الرذيلة وان لم يكن لهم
رياضة كالنساء والصبيان والمخنثين والانسان اذا فسد نفسه او مزاجه يشتهى ما يضره و يتلذذ به بل يعشق ذلك

عشقا يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله والشيطان خبيث فاذا تقرب صاحب العزائم والاقسام وكتب الروحانيات السحرية وامثال ذلك اليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم فيقضون بعض اغراضهم كمن يعطى رجلا مالا ليقتل من يريد قتله او يعينه على فاحشة او ينال منه فاحشة ولذلك يكتب السحرة والمعزمون فى كثير من الامور كلام الله تعالى بالنجاسة والدماء ويتقربون بالقرابين من حيوان ناطق وغير ناطق والبخور وترك الصلاة والصوم واباحات الدماء ونكاح ذوات المحارم والقاء المصحف فى القاذورات وغير ذلك مما ليس لله فيه رضى فاذا قالوا كفرا او كتبوه او فعلوه اعانتهم الشياطين لاغراضهم او بعضها اما بتغوير ماء واما بان يحمل فى الهواء الى بعض الامكنة واما ان يأتيه بمال من اموال الناس كما يسرقه الشياطين من اموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه ويأتى به واما غير ذلك من قتل اعدائهم او امراضهم او جلب من يهوونه وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة الساحر ويقف بعرفات ليظن من يحسن به الظن انه وقف بعرفات وقد زين لهم الشيطان ان هذا كرامات الصالحين وهو من تلبيس الشيطان فان الله تعالى لا يعبد الا بما هو واجب او مستحب وما فعلوه ليس بواجب ولا مستحب شرعا بل هو منهى حرام ونعوذ بالله من اعتقاد ما هو حرام عبادة ولاهل الضلال الذين لهم عبادة على غير الوجه الشرعى مكاشفات احيانا وتاثيرات يأوون كثيرا الى مواضع الشياطين التى نهى عن الصلاة فيها كالحمام والمزبلة واعطان الابل وغير ذلك مما هو من مواضع النجاسات لان الشياطين تنزل عليهم فيها وتخاطبهم ببعض الامور كما يخاطبون الكفار وكما كانت تدخل فى الاصنام وتكلم عابدى الاصنام قال العلماء ان كان فى السحر ما يخل شرطا من شرائط الايمان من قول وفعل كان كفرا والا لم يكن كفرا وعامة ما بايدى الناس من العزائم والطلاسم والرقى التى لا تفهم بالعربية فيها ما هو شرك وتعظيم للجن ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التى لا يفهم بالعربية معناها لانها مظنة الشرك وان لم يعرف الراقى انها شرك وفى الصحيح عن النبى عليه السلام انه رخص فى الرقى ما لم تكن شركا وقال من استطاع ان ينفع اخاه فليفعل ولذا نقول انه يجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شئ من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى او يعلق عليه وفى اسماء الله تعالى وذكره خاصية تمنع الشياطين واذلالهم ولانفاس اهل الحق تاثيرات عجيبة لانهم تركوا الشهوات ولزموا العبادات على الوجه الشرعى وظهر لهم حكم قوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض ولذا يطيعهم الجن والشياطين ويستعبدونهم كما استعبدها سليمان عليه السلام بتسخير الله تعالى واقداره (حكى) حضرة الهدائى قدس سره فى واقعاته عن شيخه حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى انه ارسل ورقة الى سلطان الجن لاجل مصروع فامتثل امره وعظمه وضرب عنق الصارع تخلص المصروع (قال فى المثنوى) هم بپير فرد آمد در جهان * فرد بود وصد جهانش درنهان * عالم كبرى بقدرت سحر كرد * كرد خود را در كهين نقشى نورد * ابلهانش فرد ديدند وضعيف * كى ضعيفست انكه باشه شد حريف * واعلم ان حكم الساحر القتل ذكرا كان او انثى اذا كان سعيه بالافساد والاهلاك فى الارض واذا كان سعيه بالكفر فيقتل الذكر دون الانثى فتضرب وتحبس لان الساحرة كافرة والكافرة ليست من اهل الحرب فاذا كان الكفر الاصلى يدفع عنها القتل فكيف الكفر العارضى والساحر ان تاب قبل ان يؤخذ تقبل توبته وان اخذ ثم تاب لا تقبل كما قال فى الاشباه كل كافر تاب فتوبته مقبولة فى الدنيا والآخرة الا الكافر بسب نبى وبسب الشيخين او احدهما وبالسحر ولو امرأة وبالزندقة اذا اخذ قبل توبته والزنديق هو الذى قال بقدم الدهر واسناد الحوادث اليه مع اعتراف النبوة واظهار الشرع هذا واكثر المنقول الى هنا من كتاب آكام المرجان وهو الذى ينبغى ان يكتب على الاحداق لا على القراطيس والاوراق (ويتعلمون ما يضرهم) لانهم يقصدون به العمل اولان العلم يجر الى العمل غالبا (ولا ينفعهم) صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعى النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع فى الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التى لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه وذكر فى التجنيس ان تعلم النجوم حرام الا ما يحتاج اليه للقبلة وفئ الزوال ومن احاديث المصابيح من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وادام يكن

فى تعلم مثل هذه العلوم خير فكذا امساك الكتب التى اشتملت عليها من كتب الفلاسفة وغيرها بل لا يجوز
النظر اليها كما فى نصاب الاحتساب (ولقد علموا) اى هؤلاء اليهود فى التوراة (لمن اشتراه) اى من اختار السحر
واستبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء (ماله فى الآخرة
من خلاق) اى نصيب (ولبئس ماشروا به انفسهم) اى باعوها لان الشرآء من الاضداد واللام جواب قسم
محذوف والمخصوص بالذم محذوف اى والله لبئس ماباعوا به انفسهم السحر او الكفر وعبر عن ايمانهم بانفسهم
لان النفس خلقت للعلم والعمل والايمان (لو كانوا يعلمون) جواب لو محذوف اى لما فعلوا ما فعلوا من تعلم السحر
وعمله اثبت لهم العلم اولا بقوله ولقد علموا ثم نفى عنهم لانهم لما لم يعملوا بعلمهم فكأنهم لم يعلموا فهذا فى الحقيقة نفى
الانتفاع بالعلم لا نفى العلم (ولو انهم) اى اليهود (آمنوا) بالقرءآن والنبى (واتقوا) السحر والشرك (لمثوبة) مفعلة
من الثواب وثاب يثوب اى رجع وسمى الجزآء ثوابا لانه عوض عمل المحسن يرجع اليه وهو مبتدأ جواب لو
والتنكير للتقليل اى شئ قليل من الثواب كائن (من عند الله خير) خبر المبتدأ واصله لأثيبوا مثوبة
من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على اثبات المثوبة
لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه (لو كانوا يعلمون) ان ثواب الله
خير ومجرد العلم باللسان لا ينفع بدون ان يصل التأثير الى القلب ويظهر ذلك التأثير بالمسارعة الى الاعمال
الصالحة والاتباع للكتاب والسنة فمن امر السنة على نفسه اخذا وتركا حبا وبغضا نطق بالحكمة ومن امر الهوى
على نفسه نطق بالبدعة قال الشيخ ابو الحسن كل علم يسبق لك فيه الخواطر وتتبعها الصور وتميل اليه النفوس
وتلذ به الطبيعة فارم به وان كان حقا وخذ بعلم الله الذى انزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين
من بعده والائمة المبرئين من الهوى ومتابعته تسلم من الظنون والشكوك والاوهام والدعاوى الكاذبة المضلة
عن الهدى وحقائقه وماذا عليك ان تكون عبدا لله ولا علم ولا عمل بلا اقتدآء وحسبك من العلم العلم بالوحدانية
ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة قال بعض العلماء زيادة العلم فى الرجل
السوء كزيادة الماء فى اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل
الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه والذى يحمل
العبد على تعليم مالا يليق به وذكر ما يجب صونه انما هو ايثار الدنيا على الآخرة لكن الله تعالى يقول وما عند الله
خير وابقى فان اردت ان تعرف قدرك عند الله فانظر فيماذا يقيمك وذلك لان الاعمال علامات والاحوال
كرامات والكرامات دليل والعلوم وسائل وقد جاء من سره ان يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله
فى قلبه فان الله ينزل العبد عنده حيث انزله العبد من نفسه والانسان نسخة آلهية قابلة للواردات الآلهية
فالنصف الاسفل منه بمنزلة الملك والنصف الاعلى بمنزلة الملكوت وبعبارة اخرى الطبيعة والنفس بمنزلة الملك
والروح والسر بمنزلة الملكوت فاذا قطع العلائق بالعبادة الحقانية يتصرف فى عالم الملك والملكوت اللذين
فى ملك وجوده وهو باب الملك والملكوت اللذين فى الخارج واعلم ان وصلة العلماء على قدر علمهم واستدلالهم
ووصلة الكمل على قدر مشاهدتهم وعيانهم لكن لا على وجه مشاهدة سائر الاشياء فانه تعالى منزه عن الكيف
والاين بل هى عبارة عن ظهور الوجود الحقيقى عند اضمحلال وجود الرآئى وفنائه واول ما يتجلى للسالك
الافعال ثم الصفات واما تجلى الذات فلا يتيسر الا للآحاد فهو لا يكون الا بمحو الوجود وافنائه لكن ذلك الفناء
عين البقاء وعن ابى يزيد البسطامى قدس سره كنت اعلم الاخلاص لبعض الفقرآء وهو يعلمنا الفناء
(قال السعدى) تراكى بود چون چراغ التهاب * كه از خود پرى همچو قنديل از آب *
(يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا) لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ارشاد للمؤمنين الى الخير (راعنا) المراعاة
المبالغة فى الرعى وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا القى عليهم شيأ من العلم راعنا يارسول الله اى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك
وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهى راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه
وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها قطعا لألسنة اليهود عن التلبيس وامروا
بما هو فى معناها ولا يقبل التلبيس فقيل (وقولوا انظرنا) اى انتظرنا من نظره اذا انتظره (واسمعوا) واحسنوا

سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم و يلقى عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة (وللكافرين) اى ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه (عذاب اليم) وجيع لما اجترأوا عليه من المسبة العظيمة وفى هذه الآية دليلان احدهما على تجنب الالفاظ المحتملة التى فيها التعريض واما قولهم لا بأس بالمعاريض وهو ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيأ ومراده شئ آخر فانما ارادوا ذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة ولا ضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده بان لا يتعرض لهم بما حرم من دمائهم واعراضهم وقدم اللسان فى الذكر لان التعرض به اسرع وقوعا واكثر وخص اليد بالذكر لان معظم الافعال يكون بها (قال فى المثنوى) اين زبان چون سنك وهم آهن وش است * وآنچه بجهد از زبان چون آتش است * سنك وآهن رامزن برهم كزاف * كه زروى نقل وكاه ازروى لاف * زانكه تاريكست وهرسو پنبه زار * درميان پنبه چون باشد شرار * عالمى را يك سخن ويران كند * روبهان مرده راشيران كند * والثانى التمسك بسد الذرآئع وحمايتها والذريعة عبارة عن امر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع فى ممنوع ووجه التمسك بها ان اليهود كانوا يقولون ذلك وهى سب بلغتهم فلما علم الله تعالى ذلك منهم منع من اطلاق ذلك اللفظ لانه ذريعة للسب قال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فمنع من سب آلهتهم مخافة مقابلتهم بمثل ذلك وقال تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الآية فحرم الله عليهم الصيد فى يوم السبت فكان الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا اى ظاهرة فسدوا عليها يوم السبت واخذوها يوم الاحد وكان السد ذريعة للاصطياد فمسخهم الله قردة وخنازير وعن عائشة رضى الله عنها ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله عليه السلام ان اولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله قال العلماء ففعل ذلك اوآئلهم ليستأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا احوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا الله عند قبورهم فمضت لهم بذلك ازمان ثم انهم خلف من بعدهم خلف جهلوا اغراضهم ووسوس لهم الشيطان ان آباءكم واجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فحذر النبى عليه الصلاة والسلام عن مثل ذلك وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك وسد الذرآئع المؤدية الى ذلك فقال عليه السلام اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد وقال اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس وقال عليه السلام ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب امه فيسب امه فجعل التعرض لسب الاباء والامهات كسب الاباء والامهات وقال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه فمنع عليه السلام من الاقدام على الشبهات مخافة الوقوع فى المحرمات وفى الحديث اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم حتى ترجعوا الى دينكم والعينة هو ان يبيع رجل من رجل سلعة بثمن معلوم الى اجل مسمى ثم يشتريها منه باقل من الثمن الذى باعها به وسميت عينة لحصول النقد لصاحب العينة وذلك ان العينة هو المال الحاضر والمشترى انما يشتريها ليبيعها بعين حاضرة تصل اليه من فوره وفى هذا الحديث ذم للزراع اذ كان زراعتهم ذريعة لترك الجهاد قال عليه الصلاة والسلام حين رأى آلة الحراثة فى دار قوم ما دخل هذا بيت قوم الا ذلوا وذلك لان الزراعة عمارة الدنيا واعراض عن الجهاد فيستحق به الذل وعمارة الدنيا اصل فى حق الكفار عارض فى حق المسلمين فان المسلمين يجعلونها وسيلة الى الآخرة واما الكفار فيعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن آخرتهم غافلون وقد قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن اى بالنسبة الى ما اعد له من ثواب النعيم وجنة الكافر اى بالاضافة الى ما هيئ له من عذاب الآخرة والقطيعة والهجران (ما يود الذين كفروا) كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم والود حب الشئ مع تمنيه ونفى الود كناية

عن الكراهة اى ما يحب الذين كفروا (من اهل الكتاب ولا المشركين) من للتبيين لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون فكأنه قيل ما يود الذين كفروا وهم اهل الكتاب والمشركون فبين ان الذين كفروا باق على عمومه وان المراد كلا نوعيه جميعا والمعنى ان الكفار جميعا لم يحبوا (ان ينزل عليكم) اى على نبيكم لان المنزل عليه منزل على امته (من خير) هو قائم مقام فاعله ومن مزيدة لاستغراق الخير والخير الوحى والقرءآن والنصرة (من ربكم) من لابتداء الغاية والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شئ من الوحى اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون فى مهابط الوحى وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذا قالوا لولا نزل هذا القرءآن على رجل من القريتين عظيم وهم كانوا يتمنون ان تكون النبوة فى احد الرجلين نعيم بن مسعود الثقفى بالطائف والوليد بن المغيرة بمكة ثم اجاب عن قول من يقول لم ينزل عليهم بقوله (والله يختص برحمته من يشاء) يقال خصه بالشئ واختصه به اذا افرده به دون غيره ومفعول من يشاء محذوف والرحمة النبوة والوحى والحكمة والنصرة والمعنى يفرد برحمته من يشاء افراده بها ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتى الفائض عليه بحسب ارادته عزوجل لا تتعداه الى غيره لا يجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق وما وقع فى عبارة مشايخنا فى حق بعض الاشياء انه واجب فى الحكمة يعنون به انه ثابت متحقق لا محالة فى الوجود لا يتصور ان لا يكون لانه يجب ذلك بايجاب موجب (والله ذو الفضل العظيم) اى على من يختاره بالنبوة والوحى لابتدائه بالاحسان بلا علة وهو حجة لنا على المعتزلة فان المفضل عند الخلق هو الذى يعطى ويبذل ما ليس عليه لان الذى يعطى ما عليه يكون قاضيا لا مفضلا ولو كان يجب عليه فعل الاصلح لكان المناسب ان يكون ذو العدل بدل قوله ذو الفضل ثم فيه اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته فمن تعرض لرد ما من الله به على عباده المؤمنين فقد جهل بحقيقة الامر وعباد الله المخلصون قسمان قوم اقامهم الحق لخدمته وهم العباد والزهاد واهل الاعمال والاوراد وقوم اختصهم بمحبته وهم اهل المحبة والوداد وكل فى خدمته وتحت طاعته اذ كلهم قاصد وجهه ومتوجه اليه والعبودية صفة العبد لا تفارقه مادام حيا ومن حقائق العبودية اخراج الحسد من القلب قال بعض الحكماء بارز الحاسد ربه من خمسة اوجه اولها انه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره والثانى انه يتسخط قسمته تعالى ويقول لربه لو قسمت هكذا والثالث ان فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضله والرابع انه خذل ولى الله لانه يريد خذلانه وزوال النعمة عنه والخامس انه اعان عدوه يعنى ابليس واعلم ان حسدك لا ينفذ على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك فى يقظة او منام لرأيت نفسك ايها الحاسد فى صورة من يرمى حجرا الى عدوه ليصيب به مقلته فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميه اشد من الاولى فيرجع على عينه اليسرى فيعميها فيزداد غضبه ثالثا فيعود ويرميه فيرجع الحجر على رأسه فيشجه وعدوه سالم فى كل حال وهو اليه راجع كرة بعد اخرى واعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون وهذا حال الحسود ومضربة الشياطين وقال بكر بن عبد الله كان رجل يأتى بعض الملوك فيقوم بحذائه ويقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسئ سيكفيه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك وقال ان هذا الرجل يزعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندى قال ندعو به اليك فانظر فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه ان لا يشم ريح البخر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده فقام بحذاء الملك فقال على عادته مثل ما قال فقال له الملك ادن منى فدنا منه واضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فصدق الملك فى نفسه قول الساعى قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة فكتب له كتابا بخطه الى عامل له اذا اتاك الرجل فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فاستوهب منه ذلك الكتاب فاخذه منه بانواع التضرع والامتنان ومضى الى العامل فقال له العامل أن فى كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى امرى حتى اراجع الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل كعادته فتعجب

منه الملك فقال مافعلت بالكتاب قال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته قال الملك انه ذكرلى انك تزعم انى ابخر فقال كلا قال فلم وضعت يدك على انفك قال كان اطعمنى طعامافيه ثوم فكرهت ان تشمه قال ارجع الى مكانك فقد كفى المسيئ اساءته ونعم ماقيل * هركه اونيك ميكند يابد * نيك وبدهرچه ميكند يابد *
اللهم احفظنامن مساوى الاخلاق (ما) شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية اى اى شيئ (ننسخ) ومحل قوله (من اية) نصب تمييز لما والنسخ فى اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر اى ازالته ونسخت الكتاب اى نقلته من نسخة الى نسخة ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقرآءتها اوبالحكم المستفاد منها اوبهما جميعا اما الاول فكآية الرجم كماروى ان مماتلى عليكم فى كتاب الله الشيخ والشيخة اذازنيافارجموهما البتة فهومنسوخ التلاوة دون الحكم ومعنى النسخ فى مثلها انتهاء التكليف بقرآءتها عند نسخ تلاوتها واما الثانى فكآية عدة الوفاة بالحول قال تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غيراخراج نسخت باربعة اشهروعشر لقوله تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهروعشرا وكمصابرة الواحد لعشرة فى القتال نسخت بمصابرة الواحد للاثنين فهومنسوخ الحكم دون التلاوة وهو المعروف من النسخ فى القرءآن فتكون الآية الناسخة والمنسوخة ثابتتين فى التلاوة الاان المنسوخة لايعمل بها ومعنى النسخ فى مثلها بيان انتهاء التكليف بالحكم المستفاد منها عند نزول الآية المتأخرة عنها وحسن بقاء التلاوة مع نسخ الحكم ورفعه ليبقى حصول الثواب بقرآءتها فان القرءآن كمايتلى لحفظ حكمه لتيسير العمل به يتلى ايضا لكونه كلام الله تعالى فيثاب عليه واما الثالث فكماروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان ممايتلى فى كتاب الله عشر رضعات يحرمن ثم نسخ بخمس رضعات يحرمن فهومنسوخ الحكم والتلاوة جميعا ومعنى النسخ فى مثلها بيان انتهاء التكليف بقرآءتها وبالحكم المستفاد منها عند نسخها قال القرطبى الجمهور على ان النسخ انماهو مختص بالاوامر والنواهى والخبر لايدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى (اوننسها) انساء الاية اذهابها من القلوب كماروى ان قومامن الصحابة قاموا ليلة ليقرأوا سورة فلم يذكروا منها الا البسملة فغدوا الى النبى عليه السلام واخبروه فقال صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها واحكامها روى ان المشركين اواليهود قالوا ألاترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه مايقول الامن تلقاء نفسه يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا كماامر فى حد الزنى بايذآئهما باللسان حيث قال فآذوهما ثم جعله منسوخا وأمر بامساكهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت ثم جعله منسوخا بقوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة يريدون بذلك الطعن فى الاسلام ليضعفوا عزيمة من اراد الدخول فيه فبين الله الحكمة فى النسخ بهذه الآية والمعنى ان كل آية نذهب بها على ماتقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها اوحكمها اوكليهما معا الى بدل اوالى غيربدل (نأت بخير) اى بآية هى خير (منها) للعباد بحسب الحال فى النفع والثواب من الذاهبة وليس المقصود ان آية خيرمن آية لان كلام الله واحد وكله خير فلايتفاضل بعض الآيات على بعض فى انفسها من حيث انه كلام الله ووحيه وكتابه بل التفاضل فيها انماهو بحسب مايحصل منها للعباد (اومثلها) فى المنفعة والثواب فكل مانسخ الى الايسر فهواسهل فى العمل ومانسخ الى الاشق فهو فى الثواب اكثر اما الاول فكنسخ الاعتداد بحول ونقله الى الاعتداد باربعة اشهروعشر واما الثانى فكنسخ ترك القتال بايجابه وقد يكون النسخ بمثل الاول لااخف ولااشق كنسخ التوجه الى بيت المقدس بالتوجه الى الكعبة وهذا الحكم غيرمختص بنسخ الآية التامة فمافوقها بل جار فيمادونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب واعلم ان الناسخ على الحقيقة هو الله تعالى ويسمى الخطاب الشرعى ناسخا تجوزا فى الاسناد بناء على أن النسخ يقع به والمنسوخ هو الحكم المزال والمنسوخ عنه هو المتعبد بالعبادة المزالة وهو المكلف والحكمة فى النسخ ان الطبيب المباشر لاصلاح البدن يغير الاغذية والادوية بحسب اختلاف الامزجة والازمنة كذلك الانبياء المباشرون لاصلاح النفوس يغيرون الاعمال الشرعية والاحكام الخلقية التى هى للنفوس بمنزلة العقاقير والاغذية للابدان فان اغذية النفوس وادويتها هى الاعمال الشرعية والاخلاق المرضية فيغيرها الشارع على حسب تغيرمصالحها فكماأن الشيئ يكون دواء للبدن فى وقت ثم قد يكون داء فى وقت آخر كذلك الاعمال قد تكون مصلحة فى وقت ومفسدة فى وقت وقس عليه حال المرشد والمسترشد فان التربية على القاعدة التسليكية بحسب احوال المشارب

ولا يلقاها من المرشدين الاذوحظ عظيم (قال فى المثنوى) رمز ننسخ آية اوننسها * نأت خيرا درعقب
مى دان مها * هرشريعت راكه حق منسوخ كرد * اوكيا برد وعوض آورده ورد * اندرين
شهر حوادث ميراوست * درممالك مالك تدبيراوست * آنكه داند دوخت اوداند دريد *
هرچه رابفروخت نيكوتر خريد (الم تعلم) الخطاب للنبى عليه السلام ومعنى الاستفهام تقرير اى انك تعلم
(ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ و بما هو خير (الم تعلم) وخصه عليه السلام
بالخطاب مع ان غيره داخل فى الخطاب ايضا حقيقة بناء على ان المقصود من الخطاب تقرير علم المخاطب
بما ذكر ولا احد من البشر اعلم بذلك منه عليه السلام اذ قد وقف من اسرار ملكوت السموات والارض
على ما لا يطلع عليه غيره وعلم غيره بالنسبة الى علمه عليه السلام ملحق بالعدم لان علم الاولياء من علم الانبياء
بمنزلة قطرة من سبعة ابحر وعلم الانبياء من علم نبينا محمد عليه السلام بهذه المنزلة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه
بهذه المنزلة (ان الله له ملك السموات والارض) فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله أن الله على
كل شئ قدير والملك تمام القدرة واستحكامها وتخصيص السموات والارض بالذكر وان كان الله تعالى له ملك
الدنيا والآخرة جميعا لكونهما اعظم المصنوعات واعجبها شأنا (ومالكم) ايها المؤمنون (من دون الله)
اى سوى الله وهو فى حيز النصب على الحالية من الولى لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا (من)
زائدة للاستغراق (ولى) قريب وصديق وقيل وال وهو القيم بالامور (ولا نصير) اى معين ومانع والفرق بين
الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور والمقصود التسكين لقلوب
المؤمنين بأن الله وليهم وناصرهم دون غيره فلا يجوز الاعتماد الاعليه ولا يصح الالتجاء الااليه والمعنى ان قضية
العلم بما ذكر من الامور الثلاثة وهو العلم بأن الله على كل شئ قدير والعلم بان الله له ملك السموات والارض والعلم
بأن ليس لهم من دون الله من ولى ولا نصير هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم فى امر من امور دينهم
او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه شئ من الثقة والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء
الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التى من جملتها ما قالوا فى امر النسخ (أم تريدون) ام معادلة للهمزة فى ألم تعلم
اى ألم تعلموا انه مالك الامور وقادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت
اليهود على موسى عليه السلام والمراد توصية المسلمين بالثقة به وترك الاقتراح عليه وهو المفاجأة بالسؤال من غير
روية وفكر (ان تسألوا) وانتم مؤمنون (رسولكم) وهو فى تلك الرتبة من علو الشأن وتقترحوا عليه ما تشتهون
غير واثقين باموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه تعالى قيل لعلهم كانوا يطلبون منه
عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ (كما سئل موسى) مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر مؤكد
محذوف وما مصدرية اى سؤالا مشبها بسؤال موسى عليه السلام حيث قيل له اجعل لنا الها وأرنا الله جهرة
وغير ذلك (من قبل) اى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم متعلق بسئل جئ به للتأكيد (ومن يتبدل الكفر)
اى يختره ويأخذه لنفسه (بالايمان) بمقابلته بدلا منه وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب
المصالح التى من جملتها الآيات الناسخة التى هى خير محض وحق بحت واقترح غيرها (فقد ضل) اى عدل وحار
من حيث لا يدرى (سواء السبيل) عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه فى تيه الهوى
وتردى فى مهاوى الردى وسواء السبيل وسط الطريق السوى الذى هو بين الغلو والتقصير وهو الحق واكثر
المفسرين على ان سبب نزول الآية ان اليهود قالوا يا محمد ائتنا بكتاب الله جملة كما جاء موسى بالتوراة جملة فنزلت
كما قال يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء الى قوله جهرة فالمخاطبون بقوله ام تريدون هم اليهود
واضافة الرسول اليهم فى قوله رسولكم باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان ترك صرف قدرتهم
اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه قال الامام وهذا اصح لان الآية مدنية ولان هذه السورة من اول
قوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى حكاية عنهم ومحاجة معهم وفى الآية اشارة الى حفظ الآداب فمن لم يتأدب
بين يدى مولاه ورسوله وخلفائه فقد تعرض للكفر وحقيقة الادب اجتماع خصال الخير وعن النبى عليه السلام
قال حق الولد على والده ان يحسن اسمه ويحسن مرضعه ويحسن ادبه فانه مسؤول عنه يوم القيامة ومؤاخذ
بالتقصير فيه قال فى بستان العارفين مثل الايمان مثل بلدة لها خمسة من الحصون الاول من ذهب والثانى

من فضة والثالث من حديد والرابع من حبوكل والخامس من لبن فمادام اهل الحصن يتعاهدون الحصن الذى من اللبن فالعدو لا يبلغ فيهم فاذا تركوا التعاهد حتى خرب الحصن الاول طمع فى الثانى ثم فى الثالث حتى خرب الحصون كلها فكذلك الايمان فى خمسة من الحصون اولها اليقين ثم الاخلاص ثم اداء الفرآئض ثم اتمام السنن ثم حفظ الادب فمادام يحفظ الادب ويتعاهده فان الشيطان لا يطمع فيه فاذا ترك الادب طمع فى السنن ثم فى الفرآئض ثم فى الاخلاص ثم فى اليقين وينبغى ان يحفظ الادب فى جميع اموره من امر الوضوء والصلاة والبيع والشرآء والصحبة وغير ذلك واعلم ان الشريعة هى الاحكام والطريقة هى الادب وامارة من رد لعدم رعاية الادب كابليس وغيره من المردودين كما قيل بى ادب مرد كى شود مهتر * كرچه اورا جلالت نسبت * باادب باش تابزرك شوى * كه بزركى نتيجهٔ ادبست * وسئل ابن سيرين اى الادب اقرب الى الله فقال معرفة ربوبيته والعمل بطاعته والحمد على السرآء والصبر على الضرآء انتهى كلامه (ود كثير من اهل الكتاب) هم رهط من احبار اليهود وروى ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا الحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضى الله عنهما بعد وقعة احد ألم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فانى قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما عمار فقد صبا اى خرج عن ديننا بحيث لا يرجى منه الرجوع اليه ابدا فكيف انت يا حذيفة ألا تبايعنا قال حذيفة رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا فقالوا واله موسى لقد اشرب فى قلوبكما حب محمد ثم اتيا رسول الله عليه السلام واخبراه فقال أصبتما خيرا وافلحتما والمعنى احب واراد كثير من اليهود (لو يردونكم) اى ان يردوكم فان لو من الحروف المصدرية اذا جاءت بعد فعل يفهم منه معنى التمنى نحو قوله تعالى ودوا لو تدهن اى ان يصرفوكم عن التوحيد (من بعد ايمانكم) يا معشر المؤمنين (كفارا) اى مرتدين حال من ضمير المخاطبين فى يردونكم ويحتمل ان يكون مفعولا ثانيا ليردونكم على تضمينه معنى يصيرونكم (حسدا) علة لقوله ود كانه قيل ود كثير ذلك من اجل الحسد (من عند انفسهم) يجوز أن يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ارتدادكم من عند انفسهم وقبل شهوتهم واهوآئهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم لانهم ودوا ذلك فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق ويجوز ان يتعلق بحسدا اى حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه (من بعد ما تبين لهم الحق) اى من بعد ما ظهر لهم ان محمدا رسول الله وقوله حق ودينه حق بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التوراة (فاعفوا) العفو ترك عقوبة المذنب يقال عفت الريح المنزل درسته وعفا المنزل يعفو درس يتعدى ولا يتعدى ومن ترك المذنب فكأنه درس ذنبه من حيث انه ترك المكافأة والمجازاة وذلك لا يستلزم الصفح ولذا قال تعالى (واصفحوا) فانه قد يعفو الانسان ولا يصفح والصفح ترك التقريع باللسان والاستقصاء فى اللوم يقال صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه بالكلية وقد ضربت عنه صفحا اذا اعرضت عنه وتركته وليس المراد بالعفو والصفح المأمور بهما الرضى بما فعلوا لان ذلك كفر والله تعالى لا يأمر به بل المراد بهما ترك المقاتلة والاعراض عن الجواب عن مساوى كلامهم (حتى يأتى الله بامره) اى يحكم الله بحكمه الذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير (روى) ان الصحابة رضى الله عنهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ان يقتلوا هؤلاء اليهود الذين كفروا بانفسهم ودعوا المسلمين الى الكفر فنزلت الاية بترك القتال والاعراض عن المكافأة الى ان يجيء الاذن من الله تعالى (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على الانتقام منهم وينتقم اذا جاء اوانه (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطف على فاعفوا كأنه امرهم بالصبر والمخالفة والجأ الى الله تعالى بالعبادة والبر فالمراد الامر بملازمة طاعة الله تعالى من الفرآئض والواجبات والتطوعات بقرينة قوله (وما تقدموا لانفسكم من خير) فان الخير يتناول اعمال البر كلها الا انه تعالى خص من بينها اقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر تنبيها على عظم شأنهما وعلو قدرهما عند الله تعالى فان الصلاة قربة بدنية ليكون عمل كل عضو شكرا لما انعم الله عليه فى ذلك والزكاة قربة مالية ليكون شكرا للاغنياء الذين فضلهم الله فى الدنيا بالاستمتاع بلذيذ العيش بسبب سعتهم فى صنوف الاعمال وما تقدموا شرطية اى اى شئ من الخيرات صلاة او صدقة او غيرهما تقدموه وتسلفوه لمصلحة انفسكم (تجدوه) اى ثوابه وجزاءه لا عينه لان

عن تلك الاعمال لا تبقى ولان وجدان عينها الا رغب فيه (عند الله) اى محفوظا عنده فى الآخرة فتجدوا الثمرة واللقمة فيها مثل احد ولفظ التقديم اشارة الى ان المقصود الاصلى والحكمة الكلية فى جميع ما انعم الله تعالى به على المكلفين فى الدنيا ان يقدموه الى معادهم ويدخروه ليومهم الآجل كما جاء فى الحديث ان العبد اذا مات قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم (ان الله بما تعملون بصير) اى عالم لا يخفى عليه القليل ولا الكثير من الاعمال والعمل غير مقيد بالخير او الشر فهو عام شامل للترغيب والترهيب فالترغيب من حيث انه يدل على انه تعالى يجازى على القليل من الخير كما يجازى على الكثير والترهيب من حيث انه يجازى على القليل والكثير من الشر ايضا فلا يضيع عنده عمل عامل وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه مر ببقيع الغرقد فقال السلام عليكم اهل القبور اخبار ما عندنا ان نساءكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت واموالكم قد قسمت فأجابه هاتف يا ابن الخطاب اخبار ما عندنا ان ما قدمناه وجدناه وما انفقناه فقد ربحناه وما خلفناه فقد خسرناه ولقد احسن القائل

قدم لنفسك قبل موتك صالحا * واعمل فليس الى الخلود سبيل

(قال السعدى) تو غافل در انديشهٔ سود ومال * كه سرمايهٔ عمر شد پايمال * غبار هوا چشم عقلت بدوخت * سموم هوا كشت عمرت بسوخت * بكن سرمهٔ غفلت از چشم پاك * كه فردا شوى سرمه در چشم خاك * اعلم ان الانسان اذا مات انقطع عمله الا ان يبقى بعده واحد من الاولاد الاربعة التى لا ينقطع اجرها الاول ما يتولد من مال الانسان كبناء المساجد والجسور والرباط والاوقاف وغير ذلك من الخيرات (كما قال السعدى فى البستان) ازان كس كه خيرى بماند روان * دمادم رسد رحمتش بر روان * نمرد آنكه ماند پس از وى بجاى * پل ومسجد وخان ومهمان سراى * هر آن كو نماند از پسش يادگار * درخت وجودش نياورد بار * وگر رفت وآثار خيرش نماند * نشايد پس مرگش الحمد خواند * والى هذا اشار عليه السلام بقوله من صدقة جارية فى حديث اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث والثانى ما يتولد من العقل الراجح كالعلم المنتفع به واليه الاشارة بقوله عليه السلام او علم ينتفع به قيل هو الاحكام المستنبطة من النصوص والظاهر انه عام متناول ما خلفه من تصنيف او تعليم فى العلوم الشرعية وما يحتاج اليه فى تعلمها قيد العلم بالمنتفع به لان ما لا ينتفع به لا يثمر اجرا كما ان كتم ما ينتفع به لا يثمر اجرا بل اثما وعذابا كما ورد فى الحديث من كتم علما يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار قال الامام السخاوى يشمل هذا الوعيد حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع بها والثالث ما يتولد من النفس كالبنين والبنات واليه الاشارة بقوله عليه السلام او ولد صالح يدعو له قيد عليه الصلاة والسلام بالصالح لان الاجر لا يحصل من غيره واما الوزر فلا يلحق بالاب من سيئة ولده اذا كانت نيته فى تحصيله الخير وانما ذكر الدعاء له تحريضا للولد على الدعاء لابيه لا لانه قيد لان الاجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملا صالحا سواء دعا لابيه ام لا كمن غرس شجرة يحصل له من اكل ثمرتها ثواب سواء دعا له من اكلها أم لم يدع وكذلك الام فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام من سن فى الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة وقوله عليه السلام من مات يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة قلنا السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به ومعنى حديث المرابط ان ثواب عمله الذى قدمه فى حياته ينمو له الى يوم القيامة اما الثلاث المذكورة فى الحديث فانها اعمال تحدث بعد وفاته لا تنقطع عنه لانه سبب لها فيلحقه منها ثواب والرابع ما يتولد من الروح وهى الاولاد المعنوية التى تولدت من التربية كاولاد المشايخ الكاملين من الصوفية المنشر عين المحققين وهذا القسم يمكن ان يندرج فيما قبله فافهم (وقالوا) نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا فى مجلس رسول الله عليه السلام مع اليهود فكذب بعضهم بعضا فقالت اليهود لبنى نجران لن يدخل الجنة الا اليهود وقال بنو نجران لليهود لن يدخلها الا النصارى فقال الله قال اهل الكتاب من اليهود والنصارى (لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى) لم يقل كانوا حملا للاسم على لفظ من وجمع الخبر حملا معناه والهود جمع هائد اى تائب نحو انا هدنا اليك وكأنه كان فى الاصل اسم مدح لمن تاب منهم من عبادة العجل ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازما لجماعتهم كالعلم لهم والنصارى جمع نصران كسكران (تلك) اى ما قالوا بأن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى (امانيهم) اى شهواتهم الفاسدة التى تمنوها على الله بغير

الحق لا حقيقة لها جمع امنية وهى ما يتمنى افعولة كالاعجوبة والتمنى التشهى والعرب تسمى الكلام العارى عن الحجة تمنيا وغرورا وضلالا واحلاما مجازا وجمع الامانى باعتبار صدورها عن الجميع من اليهود والنصارى ثم اومأ الله الى بطلان اقوالهم بقوله لنبيه عليه السلام (قل هاتوا) اصله آتوا قلبت الهمزة هاء وهو امر تعجيزى اى احضروا (برهانكم) حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ولم يقل براهينكم لان الدعوى كانت واحدة وهى نفى دخول غيرهم الجنة والحجة على تلك الدعوى واحدة (ان كنتم صادقين) فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت (بلى) اعلم ان قولهم لن يدخل الجنة الخ مشتمل على ايجاب ونفى اما الايجاب فهو ان يدخل الجنة اليهود والنصارى واما النفى فهو ان لا يدخل الجنة غيرهم وقوله بلى اثبات لما نفوه فى كلامهم فكأنهم قالوا لا يدخل الجنة غيرنا فاجيبوا بقوله بلى يدخل الجنة غيركم وليس الامر كما تزعمون (من اسلم وجهه لله) اى اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيأ فان اسلام شئ لشئ جعله سالما له بان لا يكون لاحد حق فيه لا من حيث التخليق والمالكية ولا من حيث استحقاق العبادة والتعظيم عبر عنها بالوجه لكونه اشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس والفكر والتخيل فهو مجاز من باب ذكر الجزء وارادة الكل ومنه قولهم كرم الله وجهك ويحتمل ان يكون اخلاص الوجه كناية عن اخلاص الذات لان من جاد بوجهه لا يبخل بشئ من جوارحه ويكون الوجه بمعنى العضو المخصوص (وهو محسن) حال من ضمير اسلم اى وهو مع اخلاصه وتسليم النفس الى الله بالكلية بالخضوع والانقياد محسن فى جميع اعماله بان يعملها على وجهة يستصوبها فان اخلاصها لله لا يستلزم كونها مستحسنة بحسب الشرع وحقيقة الاحسان والاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفى التابع لحسنه الذاتى وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله أن تعبد الله كأنك تراه وان لم تكن تراه فانه يراك وهذا المعنى حقيقة الايمان وظاهره الاحسان واما باطنه فرتبة كنت سمعه وبصره التى هى نتيجة قرب النوافل وهو كون ذات الحق ووجوده مرءآة لصفات العبد ومظهرا لاحواله واما قرب الفرآئض فهو المصرح فى قوله قال الله تعالى على لسان عبده سمع الله لمن حمده وهو كون صفات العبد واحواله مرءآة لذات الحق ومظهرا لوجوده وباعتبار قرب النوافل كان الظاهر والمرئى والمشهود هو العبد وباعتبار قرب الفرآئض هو الحق (فله اجره) ثوابه الذى وعده على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة وتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه (عند ربه) اى حال كون ذلك الاجر ثابتا عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله لا يضيع ولا ينقص والعندية للتشريف والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فى الآخرة عند دخول الجنة كما قال تعالى خبرا عن اهل الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن واما فى الدنيا فانهم يخافون من ان يصيبوا الشدآئد والاهوال العظام قدامهم و يحزنون على ما فاتهم من الاعمال الصالحة والطاعات المؤدية الى الفوز بأنواع السعادات فان المؤمن كما لا يقنط من رحمة الله لا يأمن من غضبه وعقابه كما قيل لا يجتمع خوفان ولا امنان فمن خاف فى الدنيا امن فى الآخرة حين يخاف الكفار من العقاب و يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب فان الخوف انما يكون مما يتوقع فى المستقبل كما ان الحزن انما يكون على ما وقع سابقا ومن أمن فى الدنيا خاف فى الآخرة (قال فى المثنوى)

لا تخافوا هست نزل خائفان * هست درخورد از براى خائفان * هركه ترسد مر ورا ايمن كنند * مر دل ترسنده را ساكن كنند * آنكه خوفش نيست چون گويى مترس * درس چه دهى نيست او محتاج درس

(وقالت اليهود) بيان لتضليل كل فريق من اليهود والنصارى صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم (ليست النصارى على شئ) اى على امر يصح ويعتد به (وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم) اى قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم (يتلون الكتاب) اللام للجنس اى انهم من اهل العلم والكتاب والتلاوة للكتب وحق من تلا كتابا من كتب الله تعالى وآمن به ان لا يكفر بالباقى لان كل واحد من كتب الله يصدق ما عداه (كذلك) اى مثل ذلك القول الذى سمعت به من هؤلاء العلماء الضالة على ان الكاف فى موضع النصب على انه مفعول قال (قال الذين لا يعلمون) من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اى قالوا لاهل كل دين ليسوا على شئ (مثل قولهم) بدل من محل الكاف وفيه توبيخ عظيم حيث نظموا انفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم اصلا (فالله يحكم بينهم) بين الفريقين (يوم القيامة فيما كانوا فيه)

متعلق بيختلفون قدم للمحافظة على رؤوس الآي (يختلفون) من امر الدين فان قلت بم يحكم قلت بما يقسم لكل فريق مما يليق به من العقاب وفعل الحكم يتعدى بجارين الباء وفى كما يقال حكم الحاكم فى هذه القضية بكذا وفى الآية قد ذكر المحكوم فيه دون المحكوم به واعلم ان كل حزب بما لديهم فرحون وليس ذلك فى الفرق الضالة خاصة بل ذلك يجرى بين صوفى وصوفى وشيخ وشيخ وعالم وعالم فتخطئة كل فريق صاحبه مستمرة والاولى ان يتبع الهدى قال بعض المشايخ من ادعى انه صاحب قلب وارشاد بدون تزكية النفس ومعرفة المبدأ والمعاد لاجل الدنيا الدنية كان عذابه اضعاف عذاب النساء اللاتى رآهن النبى عليه السلام ليلة المعراج يقطعن صدورهن بمقاريض فسأل جبريل فقال انهن الزوانى من النساء اللاتى جئن بأولاد من الزنى فالدعوى باطلة بدون الدليل وصاحبها ضال مضل والمدعى كالزانية والتابع له على هواه كولد الزنى فان ولد الزنى هالك حكما لعدم المربى والاتباع للمبتدع لاينتج الا البدعة والالحاد وحكى عن الشيخ صدر الدين التبريزى انه قال كان رجل مشهور فى تبريز يقال له عارف قدم يوما الى مجلس بعض العارفين فقال له ما اسمك قال محمود لكن يقال لى عارف قال له هل عرفت ذاتك حتى قيل لك عارف فقال قرأت كتبا كثيرة من مقالات المشايخ والصوفية قال له ذلك كلامهم فالك * بپر خويش بايد كرد پرواز * ببال ديكران نتوان پريدن * فمجرد النسخة لايفيد بدون العمل بمافيها والتحقق بحقائقها وهذا كما ان تاجرا اذا وصل له كتاب من عبده المأذون فى التجارة انى اشتريت كذا وكذا واخبر سيده بما وقع تفصيلا فبمجرد هذا الكتاب لايقدر السيد ان يتجر بدون ان يصل اليه ما اشتراه العبد من السلعة فلو أدخل جماعة من المشترين فى داره ليبيع متاعه لايجد الا الخجالة لان المحل الذى يعرض السلعة فيه على المشترين لايفيده مجرد النسخة وقراءتها (قال فى المثنوى) مرغ بر بالا پران وسايه اش * مى دود بر خاك پران مرغ وش * ابلهى صياد آن سايه شود * مى دود چندانكه بى مايه شود * بى خبر كان عكس ان مرغ هواست * بى خبر كه اصل آن سايه كجاست * تير اندازى بسوى سايه او * تركشش خالى شود از جست وجو * تركش عمرش تهى شد عمر رفت * از دويدن در شكار سايه تفت * سايه يزدان چو باشد دايه اش * وارهاند از خيال وسايه اش (ومن اظلم) سبب النزول ان طيطوس الرومى ملك النصارى واصحابه غزوا بنى اسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه اهل الاسلام فى ايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك لما استولى عمر رضى الله عنه على ولاية كسرى وغنم اموالهم عمر بها بيت المقدس ثم صار فى ايدى النصارى من الافرنج اكثر من مائة سنة حتى فتحه واستخلصه الملك الناصر صلاح الدين من آل ايوب سنة خمسمائة وخمس وثمانين بعد الهجرة ومن فى الاصل كلمة استفهام وهى ههنا بمعنى النفى اى لا احد اظلم (ممن منع مساجد الله) المراد بيت المقدس وصيغة الجمع لكون حكم الآية عاما لكل من فعل ذلك فى اى مسجد كان كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين لانه لاعبرة لخصوص السبب (ان يذكر فيها اسمه) ثانى مفعولى منع فانه يقتضى ممنوعا وممنوعا عنه فتارة يتعدى اليهما بنفسه كما فى قولك منعته الامر وتارة يتعدى الى الاول بنفسه والى الثانى بحرف الجر وهو كلمة عن او من مذكورة كانت كما فى قولك منعته من الامر او محذوفة كما فى الآية اى من ان يسبح ويقدس ويصلى له فيها (وسعى) اى عمل (فى خرابها) بالهدم والخراب اسم للتخريب كالسلام اسم للتسليم واصله الثلم والتفريق (اولئك) المانعون (ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين) اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها (لهم فى الدنيا خزى) اى خزى فظيع لايوصف كالقتل والسبى فى حق اهل الحرب والاذلال بضرب الجزية فى حق اهل الذمة او هو فتح مدائنهم قسطنطينية وروميه وعمورية (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو عذاب النار الذى لاينقطع لما ان سببه ايضا وهو ما حكى من ظلمهم كذلك فى العظم وقيل نزلت الآية فى مشركى العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الى الله تعالى بمكة والجأوه الى الهجرة فصاروا بذلك مانعين له عليه السلام ولاصحابه ان يذكروا الله فى المسجد الحرام وايضا انهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن المسجد الحرام حين ذهب اليه من المدينة عام الحديبية وهى السنة السادسة من الهجرة والحديبية موضع على طريق مكة فعلى هذا يكون المسجد الذى نزلت الآية فيه المسجد الحرام

فالمراد بالخراب فى قوله وسعى فى خرابها تعطيلهم المسجد الحرام عن الذكر والعبادة دون تخريبه وهدمه حقيقة وجعل تعطيل المسجد عنهما تخريباله لان المقصود من بنائه انما هو الذكر والعبادة فيه فما دام لم يترتب عليه هذا المقصود من بنائه صار كأنه هدم وخرب اولم يبن من أصله فان عمارة المسجد كما تكون ببنائه واصلاحه تكون ايضا بحضوره ولزومه يقال فلان يعمر مسجد فلان اذا كان يحضره ويلزمه ويقال لسكان السموات من الملائكة عمارها قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وذلك لقوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله فجعل حضور المساجد عمارة لها قال على رضى الله عنه ست من المروءة ثلاث فى الحضر وثلاث فى السفر فاما اللاتى فى الحضر فتلاوة كتاب الله تعالى وعمارة مسجد الله واتخاذ الاخوان فى الله واما اللاتى فى السفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح فى غير معاصى الله وعد من علامات الساعة تطويل المنارات وتنقيش المساجد وتزيينها وتخريبها عن ذكر الله تعالى فتعطيل المساجد عن الصلاة والتلاوة واظهار شعائر الاسلام اقبح سيئة لاسيما اذا اقترن بفتح ابواب بيوت الخمر واغلاق ابواب المكاتب وغير ذلك ولقد شوهد هذا فى اكثر البلاد الرومية فى هذا الزمان فلنبك على غربة الدين ايها الاخوان قال القشيرى رحمه الله ومن اظلم ممن خرب بالشهوات اوطان العبادات وهى نفوس العابدين وخرب بالمنى والعلاقات اوطان المعرفة وهى قلوب العارفين وخرب بالحظوظ والمساكنات أوطان المحبة وهى ارواح الواجدين وخرب بالالتفات الى القربات اوطان المشاهدات وهى اوطان الموحدين ثم فى الآية اشارة الى شرف بيت المقدس والمسجد الحرام وفى الحديث من زار بيت المقدس محتسبا اعطاه الله ثواب ألف شهيد وحرم الله جسده على النار ومن زار عالما فكأنما زار بيت المقدس كذا فى مشكاة الانوار وذكر فى القنية ان اعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال ثم مساجد الشوارع فانها اخف مرتبة حتى لا يعتكف فيها اذا لم يكن لها امام معلوم ومؤذن ثم مساجد البيوت فانه لا يجوز الاعتكاف فيها الا للنساء انتهى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى لا مقام اشرف من الجامع الكبير ببروسة بعد الكعبة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف وقال كان هو موضع بيت عجوز آمنت بنوح النبى عليه السلام فحفظها الله من الطوفان فى ذلك البيت حين لم تدرك السفينة هكذا ظهر لبعض اهل الله بطريق الكشف ومن اشتغل فيه صانه الله من طوفان الغفلة وقال ايضا الاشتغال فى مكة يوما يقوم مقام الاشتغال فى سائر البلاد سنة بشرط رعاية آدابها قال وفى بلادنا للشغل موضعان أحدهما جامع السيد البخارى ببلدة بروسه والآخر مقام ابى ايوب الانصارى بقسطنطينية * عابدان اندر نماز وعارفان اندر نياز * عاشقان از شوق وصل يار در سوز وگداز * اللهم اجعلنا من المشغولين بك (ولله المشرق والمغرب) يريد بهما ناحيتى الارض اذ لا وجه لارادة موضعى الشروق والغروب بخصوصهما اى له الارض كلها لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم ان تصلوا فى المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا (فأينما تولوا) اى ففى اى مكان فعلتم تولية وجوهكم القبلة قال الامام ولى اذا اقبل وولى اذا ادبر وهو من الاضداد والمراد ههنا الاقبال (فثم وجه الله) اى هناك جهته التى امر بها ورضيها قبلة فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون آخر او فثمة ذاته بمعنى الحضور العلمى فيكون الوجه مجازا من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل والمعنى ففى اى مكان فعلتم التولية فهو موجود فيه يمكنكم الوصول اليه اذ ليس هو جوهرا او عرضا حتى يكون بكونه فى جانب مفرغا جانبا ولما امتنع عليه ان يكون فى مكان اريد ان علمه محيط بما يكون فى جميع الاماكن والنواحى اى فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وفى الحديث لو انكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله معناه ان علم الله شمل جميع الاقطار فالتقدير لهبط على علم الله والله تعالى منزه عن الحلول فى الاماكن لانه كان قبل ان يحدث الاماكن كذا فى المقاصد الحسنة واعلم ان اين شرط فى الامكنة وهو ههنا منصوب بتولوا وما مزيدة للتأكيد وثم ظرف مكان بمنزلة هنالك تقول لما قرب من المكان هنا ولما بعد ثم وهنالك وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة فى محل الجزم على انها جواب الشرط (ان الله واسع) باحاطته بالاشياء ملكا وخلقا فيكون تذييلا لقوله ولله المشرق والمغرب وكذا ان فسرت السعة بسعة الرحمة فان قوله ولله المشرق والمغرب لما اشتمل على معنى

قولنا لا تختص العبادة والصلاة ببعض المساجد بل الارض كلها مسجد لكم فصلوا فى اى بقعة شئتم من بقاعها فهم منه انه واسع الشريعة بالترخيص والتوسعة على عباده فى دينهم لا يضطرهم الى ما يعجزون عن ادائه والمقصود التوسعة على عباده والتيسير عليهم فى كل ما يحتاجون اليه فيدخل فيه التوسعة فى امر القبلة دخولا اوليا وهذا التعميم مستفاد من اطلاق واسع حيث لم يقيد بشئ دون شئ قال الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى الواسع مشتق من السعة والسعة تضاف مرة الى العلم اذا اتسع واحاط بالمعلومات الكثيرة وتضاف اخرى الى الاحسان وبسط النعم وكيفما قدر وعلى اى شئ نزل فالواسع المطلق هو الله تعالى لانه ان نظر الى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته بل تنفد البحار لو كانت مدادا لكلماته وان نظر الى احسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته وكل سعة وان عظمت فتنتهى الى طرف والذى لا يتناهى الى طرف فهو أحق باسم السعة والله تعالى هو الواسع المطلق لان كل واسع بالاضافة الى ما هو أوسع منه ضيق وكل سعة تنتهى الى طرف فالزيادة عليها متصورة وما لا نهاية له ولا طرف فلا يتصور عليه زيادة وسعة العبد فى معارفه واخلاقه فان كثرت علومه فهو واسع بقدر سعة علمه وان اتسعت اخلاقه حتى لم يضيقها خوف الفقر وغيظ الحسود وغلبة الحرص وسائر الصفات المذمومة فهو واسع وكل ذلك فهو الى نهاية وانما الواسع المطلق هو الله تعالى (قال فى المثنوى)

اى سگ گرگين زشت ازحرص وجوش * پوستين شير را برخود مپوش * غرهٔ شيرت بخواهد امتحان * نقش شير وانگه اخلاق سگان (عليم) بمصالحهم واعمالهم كلها وهذا لا يخلو عن افادة التهديد ليكون المصلى على حذر من التفريط والتساهل كما انه يتضمن الوعد بتوفية ثواب المصلين فى جميع الاماكن فقد ظهر أن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله الآية وان المعنى ان بلاد الله ايها المؤمنون تسعكم فلا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله ان تولوا وجوهكم نحو قبلة الله اينما كنتم من ارضه وقال مجاهد والحسن لما نزل وقال ربكم ادعونى استجب لكم قالوا اين ندعوه فأنزل الله ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله بلا جهة وتحيز ان قيل ما معنى رفع الايدى الى السماء عند الدعاء مع انه تعالى منزه عن الجهة والمكان قلنا ان الانبياء والاولياء قاطبة فعلوا كذلك لا بمعنى ان الله فى مكان بل بمعنى ان خزائنه تعالى فى السماء كما قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وقال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فالعرش مظهر لاستواء الصفة الرحمانية فرفع الايدى اذا الى السماء والنظر اليها وقت الدعاء بمنزلة ان يشير سائل الى الخزينة السلطانية ثم يطلب من السلطان ان يعطى له عطاء من تلك الخزينة (روى) ان امام الحرمين رفع الله درجته فى الدارين نزل ببعض الاكابر ضيفا فاجتمع عنده العلماء والاكابر فقام واحد من اهل المجلس فقال ما الدليل على تنزهه تعالى عن المكان وهو قال الرحمن على العرش استوى فقال الدليل عليه قول يونس عليه السلام فى بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فتعجب منه الناظرون فالتمس صاحب الضيافة بيانه فقال الامام ههنا فقير مديون بألف درهم أدّ عنه دينه حتى ابينه فقبل صاحب الضيافة دينه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذهب فى المعراج الى ما شاء الله من العلى قال لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولما ابتلى يونس عليه السلام بالظلمات فى قعر البحر ببطن الحوت قال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فكل منهما خاطبه بقوله انت وهو خطاب الحضور فلو كان هو فى مكان لما صح ذلك فدل ذلك على انه ليس فى مكان وفى الحديث لا تفضلونى على يونس بن متى فانه رأى فى بطن الحوت ما رأيته فى اعلى العرش يشير عليه السلام بذلك الى ما وقع له وليونس عليه السلام من تجلى الذات وقيل نزلت الآية لما طعن اليهود فى نسخ القبلة (روى) انه عليه السلام كان يصلى بمكة مع اصحابه الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله ان يصلى نحو بيت المقدس ليكون أقرب الى تصديق اليهود فصلى نحوه ستة عشر شهرا وكان يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وأقدم القبلتين وادعى للقرب الى الايمان كما قال الله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها وذلك فى مسجد بنى سلمة فصلى الظهر ولما صلى الركعتين نزل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فتحول فى الصلاة فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين فلما تحولت القبلة انكر من أنكر فكان هذا ابتلاء من الله تعالى كما قال تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله * اللهم اهدنا

وسددنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فالمؤمن حقا ان يعتصم بالله ويدور مع الامر الالهى
حيث يدور ويتبع الرسول ولا يتبع عقله العاجز وفهمه القاصر ويتعلم الادب من معدن الرسالة حيث لم يسأل
تحويل القبلة بل انتظر الى امر الله فاكرمه الله باعطاء مرامه وفضله على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام
اعلم ان الذين شق عليهم التحويلة طائفتان محجوبتان بالخلق عن الحق اما الطائفة الاولى فقد عرفت
ان التحويلة من الكعبة الى بيت المقدس كانت صورة العروج من مقام المكاشفة اعنى مقام القلب الى مقام
المشاهدة اعنى مقام الروح فحسبوا التحويلة من بيت المقدس الى الكعبة بعدا بعد القرب ونزولا بعد العروج
وظنوا اضاعة السعى الى المقام الاشرف والسقوط عن الرتبة فشق عليهم ولم يعلموا انه صورة الرجوع الى مقام
القلب حالة التمكين للدعوة ومشاهدة الجمع فى عين التفصيل والتفصيل فى عين الجمع حتى لا يحتجب العبد
بالوحدة عن الكثرة ولا بالكثرة عن الوحدة واما الطائفة الثانية فتقيدوا بصورة عملهم ولم يعرفوا حكمة التحويلة
فحسبوا صحة العبادة الثانية دون الاولى فشق عليهم ضياع عملهم على ما توهموا واما الذين سبقت لهم من الله الحسنى
فلم يحتجبوا بحجاب واهتدوا الى ما هو الصواب فوصلوا الى التوحيد الذاتى المحمدى اللهم اجعلنا من المهتدين
واحشرنا مع الانبياء والمرسلين وقال اهل التأويل ولله المشرق والمغرب اى عالم النور والظهور الذى هو
جهة النصارى وقبلتهم بالحقيقة باطنه وعالم الظلمة والاختفاء الذى هو جهة اليهود وقبلتهم بالحقيقة ظاهره
فأينما تولوا اى اى جهة توجهوا من الظاهر والباطن فثم وجه الله اى ذاته المتجلية بجميع صفاته الجمالية
والجلالية اذ بعد الاشراق على قلوبكم بالظهور فيها والتجلى لها بصفة جماله حالة شهودكم وفنائكم فيه
والغروب فيها بتستره واحتجابه بصفة جلاله حالة بقائكم بعد الفناء فأى جهة توجهوا حينئذ فثم وجهه ليس
الا هو وحده (قال الحافظ) ميان كعبه وبتخانه هيچ فرقى نيست * بهر طرف كه نظر ميكنى
برابر اوست * واعلم ان شهود الحق بالخلق وشهود الخلق بالحق من غير احتجاب باحدهما عن الآخر
هو مقام جمع الجمع والبقاء وذلك لا يحصل الا بالتجلى العينى بعد العلمى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده
افندى قدس سره واذا امر بالارشاد يعود لخدمة الحق الا ترى ان موسى عليه السلام لما وصل الى الطور
لاقتباس النار لاهله نودى يا موسى انى انا ربك فتجلى الربوبية اولا ثم قيل فاخلع نعليك وهما الطبيعة والنفس
امر بتركهما ثم قيل وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى فتجلى الالوهية ثم بعدهما تجلى
الذات وامر بارشاد فرعون فترك اهله هنالك ولم يلتفت وجاء الى فرعون وكان دخوله بمصر فى نصف الليل فدق
باب فرعون بعصاه امتثالا لامر الله تعالى قيل انه شابت لحية فرعون فى ذلك الوقت بمهابة دقه فقال أكنت
وليدا مربى عندنا قال موسى نعم ولذلك دعوتك قبل الكل لسبق حقك على رعايته فأرادوا اقتله فألقى عصاه
فصارت ثعبانا مبينا عزم على ابتلاعهم فاستأمنوا فأعطاهم الامان وكان يريد أن يؤمن ولكنه منعه هامان
فبعد دعوة فرعون جاء الى اهله فوجدها قد وضعت الحمل فاحاطتها ذئاب من اطرافها لمحافظتها فلم يقدر أن يمر
من هنا مار فانظر الى قدرة الله تعالى (وروى) ان الامام الاعظم والهمام الاقدم رحمه الله لم يشتغل بالدعوة
الى مذهبه الا بالاشارة النبوية فى المنام بعد ما قصد الانزواء فهذا اعدل دليل الى وصوله الى الحقيقة وكان يقوم
كل الليل وسمع رحمه الله هاتفا فى الكعبة أن يا أبا حنيفة اخلصت خدمتى واحسنت معرفتى فقد غفرت لك
ولمن تبعك الى قيام الساعة كذا فى عين العلم للشيخ محمد البلخى رحمه الله وعن بعض العارفين قبلة البشر الكعبة
وقبلة اهل السماء البيت المعمور وقبلة الكروبيين الكرسى وقبلة حملة العرش العرش ومطلوب الكل وجه الله
سبحانه وتعالى (وقالوا) نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة
بنات الله فضمير قالوا راجع الى الفرق الثلاث المذكورة سابقا اما اليهود والنصارى فقد ذكروا صريحا
واما المشركون فقد ذكروا بقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اى قال اليهود والنصارى
ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون (اتخذ الله ولدا) الاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى
الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اى صير بعض مخلوقاته ولدا وادعى انه ولده لا انه ولده
حقيقة وكما يستحيل عليه تعالى ان يلد حقيقة كذا يستحيل عليه التبنى واتخاذ الولد فنزه الله تعالى نفسه
عما قالوا فى حقه فقال (سبحانه) تنزيه والاصل سبحه سبحانا على انه مصدر بمعنى التسبيح وهو التنزيه

اى منزه عن السبب المقتضى للولد وهو الاحتياج الى من يعينه فى حياته ويقوم مقامه بعد مماته وعما يقتضيه الولد وهو التشبيه فان الولد لايكون الا من جنس والده فكيف يكون للحق سبحانه ولد وهو لايشبهه شئ (قال فى المثنوى) لم يلد لم يولدست اوازقدم * فى پدر دارد نه فرزند ونه عم (بل له ما فى السموات والارض) رد لما قالوه واستدلال على فساده فان الاضراب عن قول المبطلين معناه الرد والانكار وفى الوسيط بل اى ليس الامر كما زعموا والمعنى انه خالق ما فى السموات والارض جميعا الذى يدخل فيه الملائكة وعزير والمسيح دخولا اوليا فكان المستفاد من الدليل امتناع ان يكون شئ مما فى السموات والارض ولدا سوآء كان ذلك ما زعموا انه ولد له ام لا (كل) اى كل ما فيهما كائنا ما كان من اولى العلم وغيرهم (له) اى لله سبحانه وتعالى (قانتون) منقادون لايمتنع شئ منهم على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولدا لانه من حق الولد ان يجانس والده وانما عبر عن جميع الموجودات اولا بما يعبر به عن غير ذوى العلم وعبر عنه آخرا بما يختص بالعقلاء وهو لفظ قانتون تحقيرا لشأن العقلاء الذين جعلوه ولد الله سبحانه (بديع السموات والارض) اى هو مبدعهما على ان البديع بمعنى المبدع وهو الذى يبدع الاشياء اى يحدثها او ينشئها على غير مثال سبق والابداع اختراع الشئ لاعن شئ دفعة اى من غير مادة ومدة وسمى صاحب الهوى مبتدعا لما لم يسبقه احد من ارباب الشرع فى انشاء مثل ما فعله اوالمعنى بديع سمواته وارضه فعلى الاول من ابدع والاضافة معنوية وعلى الثانى من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رآئق والاضافة لفظية وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله تعالى مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ومن قدر على خلق السموات والارض من غير شئ كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير أب (واذا قضى امرا) اى اراد شيأ واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشئ لايجابها اياه البتة (فانما يقول له كن فيكون) اى يحصل فى الوجود سريعا من غير توقف ولا اباء كلاهما من كان التامة اى احدث فيحدث واعلم ان اهل السنة لايرون تعلق وجود الاشياء بهذا الامر وهو كن بل وجودها متعلق بخلقه وايجاده وتكوينه وهو صفة ازلية وهذا الكلام عبارة عن سرعة حصول المخلوق بايجاده وكمال قدرته على ذلك لكن لايتعلق علم احد بكيفية تعلق القدرة بالمعدومات فيجب الامساك عن بحثها وكذا عن بحث كيفية وجود البارى وكيفية العذاب بعد الموت وامثالها فانها من الغوامض ثم اعلم ان السبب فى هذه الضلالة وهى نسبة الولد الى الله والقول بانه اتخذ ولدا ان ارباب الشرآئع المتقدمة كانوا يطلقون على البارى تعالى اسم الاب وعلى الكبير منهم اسم الاله حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر وان الله تعالى هو الاب الاكبر وكانوا يريدون بذلك انه تعالى هو السبب الاول فى وجود الانسان وان الاب هو السبب الاخير فى وجوده فان الاب هو معبود الابن من وجه اى مخدومه ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة الطبيعية فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا اى سوآء قصد به معنى السببية او معنى الولادة الطبيعية حسما لمادة الفساد واتخاذ الحبيب او الخليل جائز من الله تعالى لان المحبة تقع على غير جوهر المحب قالوا اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ولدتك وانت نبى فخفف النصارى التشديد الذى فى ولدتك لانه من التوليد وصحفوا بعض اعجام النبى بتقديم الباء على النون فقالوا ولدتك وانت بنى تعالى الله عما يقول الظالمون وقال تعالى يا احبارى ويا ابناء رسلى فغيره اليهود وقالوا يا احبائى ويا ابنائى فكذبهم الله بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فالله سبحانه منزه عن الحدود والجهات ومتعال عن الازواج والبنين والبنات ليس كمثله شئ فى الارض ولا فى السموات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كذبنى ابن آدم اى نسبنى الى الكذب ولم يكن له ذلك اى لم يكن التكذيب لائقا به بل كان خطأ وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فزعم ان لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياى فقوله لى ولد فسبحانى ان اتخذ صاحبة او ولدا وانما كان هذا شتما لان التولد هو انفصال الجزء عن الكل بحيث ينمو وهذا انما يكون فى المركب وكل مركب محتاج فان قلت قولهم اتخذ الله تكذيب ايضا لانه تعالى اخبر انه لا ولد له وقولهم لن يعيدنا شتم ايضا لانه نسبة له الى العجز فلم خص احدهما بالشتم والآخر بالتكذيب قلت نفى الاعادة نفى صفة كمال واتخاذ الولد اثبات صفة نقصان له والشتم افحش من التكذيب والكذب على الله

فوق الكذب على النبى عليه السلام وفى الحديث ان كذبا علىّ ليس ككذب على احد يعنى الكذب على النبى اعظم انواع الكذب سوى الكذب على الله لان الكذب على النبىّ يؤدّى الى هدم قواعد الاسلام وافساد الشريعة والاحكام من كذب علىّ متعمدا فليتبوّأ مقعده من النار فعلى المؤمن ان يجتنب عن الزيغ والضلال واشنع الفعال واسوأ المقال وان يداوم على التوحيد فى الاسحار والاصال الى ان لا يبقى للشرك الخفىّ ايضا مجال وفى الحديث لو يعلم الامير ماله فى ذكر الله لترك امارته ولو يعلم التاجر ماله فى ذكر الله لترك تجارته ولوان ثواب تسبيحة قسم على اهل الارض لأصاب كل واحد منهم عشرة اضعاف الدنيا وفى الحديث للمؤمنين حصون ثلاثة ذكر الله وقرآءة القرءان والمسجد والمراد بالمسجد مصلاه سوآء كان فى بيته اوفى الخارج ولا بدّ من الصدق والاخلاص حتى يظهر أثر التوحيد فى الملك والملكوت (قال فى المثنوى) هست تسبيحت بخار آب وكل * مرغ جنت شد زنفخ صدق دل * اللهم اوصلنا الى اليقين وهيّئ لنا مقاما من مقامات التمكين آمين (وقال الذين لا يعلمون) اى مشركوا العرب الجاهلون حقيقة اواهل الكتاب المتجاهلون ونفى عنهم العلم لعدم انتفاعهم بعلمهم لان المقصود هو العمل (لولا يكلمنا الله) لولا هنا للتحضيض وحروف التحضيض اذا دخلت على المضىّ كان معناها التوبيخ واللوم على ترك الفعل بمعنى لم يفعله ومعناها فى المضارع تحضيض الفاعل على الفعل والطلب له فى المضارع بمعنى الامر والمعنى هلا يكلمنا الله عيانا بأنك رسوله كما يكلم الملائكة بلا واسطة او يرسل الينا ملكا ويكلمنا بواسطة ذلك الملك انك رسوله كما كلم الانبياء عليهم الصلاة والسلام على هذا الوجه وهذا القول من الجهلة استكبار يعنون به نحن عظماء كالملائكة والنبيين فلم اختصوا به دوننا (او) للتخيير (تأتينا آية) حجة تدل على صدقك وهذا جحود منهم لان يكون ما أتاهم من القرءآن وسائر المعجزات آيات والجحود هو الانكار مع العلم والعجب انهم عظموا انفسهم وهى احقر الاشياء واستهانوا بآيات الله وهى اعظمها (كذلك قال الذين من قبلهم) من الامم الماضية (مثل قولهم) فقال اليهود لموسى عليه السلام ارنا الله جهرة ولن نصبر على طعام واحد ونحوه وقال النصارى لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ونحوه وقوله كذلك قال مع قوله مثل قولهم على تشبيهين تشبيه المقول بالمقول فى المؤدّى والمحصول وتشبيه القول بالقول فى الصدور بلا روية بل بمجرد التشهى واتباع الهوى والاقتراح على سبيل التعنت والعناد لا على سبيل الارشاد وقصد الجدوى والكاف فى كذلك منصوب المحل على انه مفعول قال وقوله مثل قولهم مفعول مطلق اى قال كقال الامم الماضية مثل ذلك القول الذى قالوه قولا مثل قولهم فبما ذكر فظهر ان احد التشبيهين لا يغنى عن الآخر (تشابهت قلوبهم) اى تماثلت قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والقسوة والعناد وهو استئناف على وجه تعليل تشابه مقالتهم بمقالة من قبلهم فان الالسنة ترجمان القلوب والقلب ان استحكم فيه الكفر والقسوة والعمى والسفه والعناد لا يجرى على اللسان الا ما ينبئ عن التعلل والتباعد عن الايمان كما قيل مرد پنهان بود بزير زبان * چون بگويد سخن بداندش * خوب گويد لبيب گويندش * زشت گويد سفيه خوانندش * (قد بينا الآيات) اى نزلناها بينة بان جعلناها كذلك فى انفسها كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة (لقوم يوقنون) اى يطلبون اليقين واليقين ابلغ العلم واوكده بان يكون جازما اى غير محتمل للنقيض وثابتا اى غير زآئل بالتشكيك بعد أن يكون مطابقا للواقع فالايقان هنا مجاز عن طلب اليقين على طريق ذكر المسبب وارادة السبب ولا بعد فى نصب الدلائل لطلاب اليقين ليحصلوه بها وانما حمل على المجاز لان الموقن بالمعنى المذكور لا يحتاج الى نصب الدلائل وبيان الآيات فبيان الآيات له طلب لتحصيل الحاصل (انا ارسلناك) حال كونك ملتبسا (بالحق) مؤيدا به والمراد الحجج والآيات وسميت به لتأديتها الى الحق (بشيرا) حال كونك مبشرا لمن اسعف بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد (ونذيرا) اى منذرا ومخوفا لمن كفر بك وعصاك والمعنى ان شأنك بعد اظهار صدقك فى دعوى الرسالة بالدلائل والمعجزات ليس الا الدعوة والابلاغ بالتبشير والانذار لا أن تجبرهم على القبول والايمان فلا عليك ان أصروا على الكفر والعناد فان الاحوال اوصاف لذى الحال والاوصاف مقيدة للموصوف (ولا تسأل عن اصحاب الجحيم) ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت والجحيم المكان الشديد الحر وقرئ ولا تسأل بفتح التاء وجزم اللام على انه نهى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن السؤال

عن حال ابويه على ماروى انه عليه السلام قال ليت شعرى مافعل ابواى اى مافعل بهما والى اى حال انتهى امرهما فنزلت واعلم ان السلف اختلفوا فى ان ابوى النبى صلى الله عليه وسلم هل ماتا على الكفر اولا ذهب الى الثانى جماعة متمسكين بالادلة على طهارة نسبه عليه الصلاة والسلام من دنس الشرك وشين الكفر وعبادة قريش صنما وان كانت مشهورة بين الناس لكن الصواب خلافه لقول ابراهيم عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وقوله تعالى فى حق ابراهيم وجعلها كلمة باقية فى عقبه وذهب الى الاول جمع منهم صاحب التيسير حيث قال ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبشير المؤمنين وانذار الكافرين كان يذكر عقوبات الكفار فقام رجل فقال يارسول الله اين والدى فقال فى النار فحزن الرجل فقال عليه السلام ان والديك ووالدى ووالدى ابراهيم فى النار فنزل قوله تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم فلم يسأل وشيأ بعد ذلك وهو كقوله لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وذهب نفر من هذا الجمع بنجاتهما من النار منهم الامام القرطبى حيث قال فى التذكرة ان عائشة رضى الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه طفر فنزل فقال ياحميراء استمسكى اى زمام الناقة فاستندت الى جنب البعير فمكث عنى طويلا ثم انه عاد الى وهو فرح متبسم فقلت له بأبى انت وامى يارسول الله نزلت من عندى وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يارسول الله ثم انك عدت الى وانت فرح متبسم فعماذا يارسول الله فقال ذهبت لقبر آمنة امى فسألت الله ربى ان يحييها فأحياها فآمنت وروى ان الله احيى له اباه وامه وعمه اباطالب وجده عبد المطلب قال الحافظ شمس الدين الدمشقى

حبا الله النبى مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا
فأحيى امه وكذا اباه * لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم به قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

وفى الاشباه والنظائر من مات على الكفر ابيح لعنه الا والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لثبوت ان الله تعالى احياهما له حتى آمنا كذا فى مناقب الكردرى وذكر ان النبى عليه السلام بكى يوما بكاء شديدا عند قبر أبويه وغرس شجرة يابسة وقال ان اخضرت فهو علامة امكان ايمانهما فاخضرت ثم خرجا من قبرهما ببركة دعاء النبى صلى الله عليه وسلم واسلما ثم ارتحلا قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ومما يدل على ذلك ان اسم ابيه كان عبد الله والله من الاعلام المختصة بذاته تعالى لم يسم به صنم فى الجاهلية فان اسم بعض اصنامهم اللات وبعضها العزى انتهى كلامه وليس احياؤهما وايمانهما به ممتنعا عقلا ولا شرعا وقد ورد فى الكتاب احياء قتيل بنى اسرائيل واخباره بقاتله وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى وكذلك نبينا عليه السلام احيى الله على يديه جماعة من الموتى واذا ثبت هذا فما يمنع من ايمانهما بعد احيائهما زيادة فى كرامته وفضيلته وماروى من انه عليه السلام زار قبر أمه فبكى وابكى من حوله فقال استأذنت فى ان استغفر لها فلم يؤذن لى واستأذنت فى ان ازور قبرها فاذن لى فزوروا القبور فانها تذكركم الموت فهو متقدم على احيائهما لانه كان فى حجة الوداع ولم يزل عليه السلام راقيا فى المقامات السنية صاعدا فى الدرجات العلية الى ان قبض الله روحه الطاهرة فمن الجائز ان تكون هذه درجة حصلت له عليه السلام بعد أن لم تكن فان قلت الايمان لا يقبل عند المعاينة فكيف بعد الاعادة قلت الايمان عند المعاينة ايمان يأس فلا يقبل بخلاف الايمان بعد الاعادة وقد دل على هذا ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وورد ان اصحاب الكهف يبعثون فى آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الامة تشريفا لهم بذلك وورد مرفوعا اصحاب الكهف اعوان المهدى فقد اعتد بما يفعله اصحاب الكهف بعد احيائهم من الموت ولا بدع ان يكون الله تعالى كتب لابوى النبى عمرا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم اعادهما لاستيفائه تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها فيعتد به وتكون تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الايمان من جملة ما اكرم الله تعالى به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ان تأخير اصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما اكرموا به ليحوز واشرف الدخول فى هذه الامة وذهب خاتمة الحفاظ والمحدثين الامام السخاوى فى هذه المسألة الى التوقف حيث قال فى المقاصد الحسنة بعد ما اورد الشعر المذكور للحافظ الدمشقى وقد كتبت فيه جزأ والذى اراه الكف عن التعرض لهذا اثباتا ونفيا انتهى وسئل القاضى ابو بكر ابن العربى احد الائمة المالكية

عن رجل قال ان آباء النبي عليه السلام في النار فأجاب بانه ملعون لان الله تعالى يقول ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وفي الحديث لاتؤذوا الاحياء بسب الاموات وسئل الامام الرستغفى عن قول بعض الناس ان آدم عليه السلام لما بدت منه تلك الزلة اسود منه جميع جسده فلما اهبط الى الارض امر بالصيام والصلاة فصام وصلى فابيض جسده أيصح هذا القول قال لايجوز في الجملة القول في الانبياء عليهم السلام بشئ يؤدي الى العيب والنقصان فيهم وقد امرنا بحفظ اللسان عنهم لان مرتبتهم ارفع وهم على الله اكرم وقد قال عليه السلام اذا ذكرت اصحابي فأمسكوا فلما امرنا ان لانذكر الصحابة رضي الله عنهم بشئ يرجع الى العيب والنقص فلأن نمسك ونكف عن الانبياء اولى واحق فحق المسلم ان يمسك لسانه عما يخل بشرف نسب نبينا عليه السلام ليست من الاعتقاديات فلاحظ للقلب منها واما اللسان فحقه ان يصان عما يتبادر منه النقصان خصوصا الى وهم العامة لانهم لايقدرون على دفعه وتداركه فهذا هو البيان الشافي في هذا الباب بطرقه المختلفة الملتقطة من الكتب النفيسة وقرنت كل نظير الى مثله والحمد لله تعالى وحده (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) اقناط له عليه السلام من طمعه في اسلامهم حيث علق رضاهم عنه بما لاسبيل اليه وما يستحيل وجوده واذا لم يرضوا عنه فكيف يتبعون ملته اي دينه اي لن ترضى عنك اليهود الا بالتهود والصلاة الى قبلتهم وهي المغرب ولا النصارى الا بالتنصر والصلاة الى قبلتهم وهي المشرق ووحد الملة لان الكفر ملة واحدة وهذه حكاية لمقالتهم بأن قالوا لن نرضى عنك حتى تتبع ملتنا وادعوا بتلك المقالة ان ملتهم هي الهدى لاماسواها فامره الله تعالى بقوله (قل) أن يرد عليهم بطريق قصر القلب ويقول (ان هدى الله) الذي هو الاسلام (هو الهدى) الى الحق لاماتدعون اليه من الملة الزائغة فانما هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى (ولئن اتبعت اهواءهم) اي آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذهي التي ينتمون اليها واما ماشرعه الله من الشريعة على لسان الانبياء عليهم السلام وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا والاهواء جمع هوى وهو رأي عن شهوة داع الى الضلال وسمي بذلك لانه يهوي بصاحبه في الدنيا الى كل واهية وفي الآخرة الى الهاوية وانما قال اهواءهم بلفظ الجمع ولم يقل هواهم تنبيها على ان لكل واحد هوى غير هوى الآخر ثم هوى كل واحد منهم لايتناهى فلذلك اخبر انه لايرضى الكل الا باتباع اهواء الكل واعلم ان الطريقة المشروعة تسمى ملة باعتبار ان الانبياء الذين اظهروها املوها وكتبوها لامتهم كما انها تسمى دينا باعتبار طاعة العباد لمن سنها وانقيادهم لحكمه وتسمى ايضا شريعة باعتبار كونها مورد المتعطشين الى زلال ثوابه ورحمته والخطاب في قوله ولئن اتبعت متوجه الى النبي عليه السلام في الحقيقة وماقيل من انه تعالى حكم بعصمة الانبياء وعلم منهم انهم لايعصون له ولا يخالفون امره ولا يرتكبون ما نهى عنه فكانت عصمتهم واجبة فلا وجه لتحذيرهم عن اتباع هوى الكفرة فوجب ان يكون التحذير متوجها الى الامة لا الى انفسهم فالجواب عنه ان التكليف والتحذير انما يعتمد على كون المكلف به محتملا ومتصورا في ذاته من حيث تحقق مايتوقف عليه وجوده من الآلات والقوى والامتناع الحاصل من حكمه تعالى بعصمتهم وعلمه بها امتناع بالغير وهو لاينافي الامكان الذاتي الذي هو شرط التكليف والتحذير (بعد الذي جاءك من العلم) اي القرآن الموحى اليك وهو حال من ضمير جاءك (مالك من الله) اي من جهته العزيزة وهو جواب لئن (من ولي) اي قريب ينفعك من الولي وهو القرب (ولا نصير) يدفع عنك عقابه والفرق بين الولي والنصير العموم والخصوص من وجه لان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور كما يكون من اقرباء المنصور وهو مادة اجتماعهما وقوله من ولي مرفوع على الابتداء ولك خبره ومن صلة وقوله من الله منصوب المحل على انه حال لانه لما كان متقدما على قوله من ولي امتنع ان يكون صفة له ونظيره قوله لعزة موحشا طلل قديم ولما ذكر قبائح المتعنتين الطالبين للرياسة من اليهود والنصارى اتبع ذلك بمدح من ترك طريق التعنت وحب الرياسة منهم وطلب مرضاة الله وحسن ثواب الآخرة وآثره على الحظوظ العاجلة الفانية فقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) يريد مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه من الذين اسلموا من اليهود وانما خصهم بذكر الايتاء لانهم هم الذين عملوا به فخصوا به والكتاب التوراة (يتلونه حق تلاوته) بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة من الضمير المنصوب في آتيناهم او من الكتاب لانهم لم يكونوا تالين له وقت

الاتيان وقوله حق تلاوته نعت لمصدر محذوف دل عليه الفعل المذكور اى يتلونه تلاوة حق تلاوته واختار الكواشى كونه منصوبا على المصدرية على تقدير تلاوة حقا فان نعت المصدر اذا قدم عليه واضيف اليه نصب نصب المصادر نحو ضربت اشد الضرب بنصب اشد على المصدرية (اولئك) الموصوفون بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وهو مبتدأ ثان خبره قوله تعالى (يؤمنون به) اى بكتابهم دون المحرفين فان بناء الفعل على المبتدأ وان كان اسما ظاهرا يفيد الحصر مثل الله يستهزئ بهم (ومن يكفر به) اى بالكتاب سواء كان كفره بنفس التحريف او بغيره كالكفر بالكتاب الذى يصدقه (فاولئك هم الخاسرون) اى الهالكون المغبونون حيث اشتروا الكفر بالايمان (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به صلى الله عليه وسلم (و) اذكروا (انى فضلتكم على العالمين) اى عالمى زمانكم (واتقوا) ان لم تؤمنوا (يوما) اى عذاب يوم وهو يوم القيامة (لا تجزى) تقول جزى عنى هذا الامر يجزى كما تقول قضى عنى يقضى وزنا ومعنى اى لا تقضى فى ذلك اليوم (نفس) من النفوس (عن نفس) اخرى (شيأ) من الحقوق التى لزمتها اى لا تقضى نفس ليس عليها شئ من الحقوق التى وجبت على نفس اخرى اى لا تؤخذ نفس بذنب اخرى ولا تدفع عنها شيأ واما اذا كان عليها شئ فانها تجزى وتقضى بغير اختيارها بما لها من حسناتها ما عليها من الحقوق كما جاء فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له مظلمة لاخيه من عرض او غيره فليستحلل منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه (ولا يقبل منها) اى من النفس الاولى (عدل) اى فداء وهو بفتح العين الفدية وهى ما يماثل الشئ قيمة وان لم يكن من جنسه والعدل بالكسر ما يساوى الشئ فى الوزن والجرم من جنسه والمعنى لا يؤخذ منها فدية تنجو بها من النار ولا تجد ذلك لتفتدى به وسميت الفدية عدلا لانها تعادل ما يقصد انقاذه وتخليصه يقال فداه اذا اعطى فداءه فانقذه (ولا تنفعها شفاعة) ان شفعت للنفس الثانية (ولا هم ينصرون) اى يمنعون من عذاب الله تعالى واعلم ان المستوجب للعذاب يخلص منه فى الدنيا باحد اربعة امور اما بان ينصره ناصر قوى فيخلصه ويدفع العذاب عنه قهرا او بان يفديه اى بان يعطى احد اشيأ غير ما عليه من الحق وذلك الشئ هو الفدية وهو الفداء فانقذه به فالله تعالى بين هول يوم القيامة بان نفى أن يدفع العذاب احد عن احد بشئ من هذه الوجوه المحتملة فى الدنيا (قال السعدى) قيامت كه نيكان باعلى رسند * زقعر ثرى بر ثريا رسند * ترا خود بماند سر از ننك پيش * كه كردت برايد عملهاى خويش * برادر زكار بدان شرم دار * كه در روى نيكان شوى شرمسار * دران روز كز فعل پرسند وقول * اولوا العزم را تن بلرزد ز هول * بجايى كه دهشت خورد انبيا * تو عذر كنه راچه دارى بيا * ثم اعلم ان الله تعالى بدأ قصة بنى اسرائيل بهاتين الآيتين ففى الآية الاولى تذكير النعمة وفى الاخرى تخويف العقوبة وبهما ختم القصة مبالغة فى النصح وايذانا بان المقصود من القصة ذلك ودل قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم على قبح الصحبة باهل الهوى والبدع والاتباع لهم فى اقوالهم وافعالهم وفى الحديث من اتبع قوما على اعمالهم حشر فى زمرتهم اى فى جماعتهم وحوسب يوم القيامة بحسابهم وان لم يعمل باعمالهم وربما يكون للانسان شركة اى فى اثم القتل والزنى وغيرهما اذا رضى به من عامل واشتد حرصه على فعله وفى الحديث من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن حضرها وحضور مجالس المعصية اذا كان لحاجة او لاتفاق جريانها بين يديه ولا يمكن دفعها فغير ممنوع واما الحضور قصدا فممنوع ومن سنة السلف الصالحين الانقطاع عن مجالس اهل اللغو واللهو والمجانبة عن اتباع اهل الهوى والبدع وروى ان ابن المبارك روى فى المنام فقيل له ما فعل ربك بك فقال عاتبنى واوقفنى ثلاثين سنة بسبب انى نظرت باللطف يوما الى مبتدع فقال انك لم تعاد عدوى فى الدين فكيف حال القاعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين والمتمسك بسنة سيد المرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذاهب والملل كان له اجر مائة شهيد وفى الحديث سيأتى على الناس زمان تخلق فيه سننى وتتجدد فيه البدعة فمن اتبع سننى يومئذ صار غريبا وبقى وحيدا ومن اتبع بدع الناس وجد خمسين صاحبا او اكثر وللصحبة تاثير عظيم كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

(قال الحافظ) نخست موعظهٔ پير مجلس اين حرفست * كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد *

(واذ ابتلى ابراهيم) قال القرطبى فى تفسيره تفسيره بالسريانية فيما ذكره الماوردى وبالعربية فيما حكى ابن عطية اب رحيم قال السهيلى وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السريانى والعربى او تقاربه فى اللفظ الا ترى ان ابراهيم تفسيره اب رحيم لمرحمته بالاطفال ولذلك جعل هو وسارة زوجته كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيامة وقال فى تذكرة الموتى كان اسمه ابرم فزيد فى اسمه هاء والهاء فى السريانية التفخيم والتعظيم (ربه) الضمير لابراهيم وقدم المفعول لفظا وان كان مؤخرا رتبة ووجه التقديم الاهتمام فان الذهن يتشوق ويطلب معرفة المبتلى اى واذكر وقت اختبار ابراهيم والمقصود من ذكر الوقت ذكر ما وقع فيه من الحوادث لان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا والابتلاء فى الاصل الاختبار اى تطلب الخبر بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا عن تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه بما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك كما علم الكفر من ابليس ولم يلعنه بعلمه ما لم يختبره بما يستوجب اللعنة به (بكلمات) جمع كلمة وهى اللفظ الموضوع لمعنى مفرد فيكون الكلمات عبارة عن الالفاظ المنظومة لكنها قد تطلق على المعانى التى تحتها لما بين الدال والمدلول من التضايف والمتضايفان متكافئان فى الوجود التعقلى كما فى قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اى قضية وحكمة وقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى اى للمعانى التى تبرز بالكلمات (فاتمهن) اى قام بهن حق القيام وأداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان ولذا قيل لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذى وفى وفسرت الكلمات بوجوه ذكرت فى التفاسير ومنها العشر التى هى من السنة كما قال ابن عباس رضى الله عنه هى عشر خصال كانت فرضا فى شرعه وهى سنة فى شرعنا خمس منها فى الرأس وهى المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس فى البدن وهى الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء اى غسل مكان الغائط والبول بالماء ولنذكر منها بعض ما يحتاج الى البيان فنقول فرق شعر الرأس تفريقه وتقسيمه الى نصفين وكان المشركون يفرقون اشعار رؤسهم واهل الكتاب يسدلون اى يرسلون شعورهم على الجبين ويتخذونها كالقصة وهى شعر الناصية وكان النبى عليه الصلاة والسلام يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم ينزل فيه حكم لاحتمال ان يعملوا بما ذكر فى كتابهم ثم نزل جبريل فامره بالفرق واعلم ان اكثر حال النبى عليه الصلاة والسلام كان الارسال وحلق الرأس منه معدود ولكن الامام الغزالى كره الارسال فى زماننا لانه صار شعار العلوية فاذا لم يكن علويا كان تلبيسا وذكر فى جنايات الذخيرة امساك الجعد فى الغلام حرام لانهم انما يمسكون الجعد فى الغلام للاطماع الفاسدة وذكر أن شخصا احضر ولده بمجلس ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقد حلق بعض الشعر من رأسه وابقى البعض فامر ابو بكر رضى الله تعالى عنه بقتله فتاب واستغفر فعفا عنه قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ليس هذا امرا بقتله فى الحقيقة بل بيان أن من فعله يستحق القتل ومثله انه ذكر فى مجلس ابى يوسف ان النبى عليه السلام كان يحب القرع فقال رجل انا لا احبه فافتى ابو يوسف بقتله فتاب ورجع فعفا عنه واما قص الشارب فهو قطعه بالمقص اى المقراض وكان عليه السلام يقص شاربه كل جمعة قبل ان يخرج الى صلاة الجمعة قال النووى المختار فيه ان يقص حتى يبدو طرف الشفة ويكون مثل الحاجب وفى الاحياء ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضى الله تعالى عنه وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام وتوفير الشارب كتوفير الاظافير مندوب للمجاهد فى دار الحرب وان كان قطعهما من الفطرة وذلك ليكون اهيب فى عين العدو والسنة تقصير الشارب فحلقه بدعة كحلق اللحية وفى الحديث جزوا الشوارب وأعفوا اللحى الجز القص والقطع والاعفاء التوفير والترك على حالها وحلق اللحية قبيح بل مثلة وحرام وكما ان حلق شعر الرأس فى حق المرأة مثلة منهى عنها وتشبه بالرجال وتفويت للزينة كذلك حلق اللحية مثلة فى حق الرجال وتشبه بالنساء منهى عنه وتفويت للزينة قال الفقهاء اللحية فى وقتها جمال

وفى حلقها تفويته على الكمال ومن تسبيح الملائكة سبحان من زين الرجال باللحى وزين النساء بالذوائب
وفى الكشاف فى مقام مدح الرجال عند قوله تعالى الرجال قوامون على النساء وهم اصحاب اللحى والعمائم
قال فى نصاب الاحتساب ومن الاكساب التى يحتسب على اربابها حلق لحى الرجال ورأس النساء تشبها
بالرجال ولا بأس بأخذ الزائد على القبضة من اللحية لانه عليه السلام كان يأخذ من لحيته طولا وعرضا اذا زاد
على قدر القبضة فان الطول المفرط يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنسبة اليه فلا بأس بالاحتراز عنه
على هذه النية ويكره نتف الشيب كما يفعله البعض فى زماننا كرها للشيب وارآءة للشباب (قال الحافظ)
سواد نامهٔ موى سياه چون طى شد * بياض كم نشود كر صد انتخاب رود * يسوّد اعلاها ويبيض اصلها
ولا خير فى الاعلى اذا فسد الاصل * واما الختان فهو قطع الجلدة الزائدة من الذكر وجمهور العلماء على
ان ذلك من مؤكدات السنن ومن فطرة الاسلام التى لا يسع تركها فى الرجال الان يولد الصبى مختونا
وقد ولد الانبياء كلهم مختونين مسرورين اى مقطوعى السرة كرامة لهم الا ابراهيم خليل الله فانه ختن نفسه
بلدة قدوم بالتخفيف والتشديد وهو ابن مائة وعشرين اوثمانين ليستن بسنته بعده واختلفوا فى الختان قيل
لا يختن حتى يبلغ لانه للطهارة ولا طهارة عليه حتى يبلغ وقيل اذا بلغ عشرا وقيل تسعا وقيل فيما بين سبع سنين
الى عشر قال الحدادى المستحب فى وقت الختان من اليوم السابع من ولادته الى عشر سنين ويكره الترك الى
وقت البلوغ وتوقف ابو حنيفة فى وقته واستحب العلماء فى الرجل الكبير يسلم ان يختتن وان بلغ ثمانين وعن الحسن
انه كان يرخص للشيخ الذى يسلم ان لا يختتن ولا يرى به بأسا ولا يرد شهادته وذبيحته وحجه وصلاته قال ابن
عبد البر وعامة اهل العلم على هذا واما تقليم الاظفار فهو قصها والقلامة بالضم ما زال منها وندب قص الاظفار
لانه ربما يجنب ولا يصل الماء الى البشرة من اجل الوسخ ولا يزال جنبا ومن اجنب فبقى موضع ابرة من جسده
بعد الغسل غير مغسول فهو جنب على حاله حتى يعم الغسل جسده كله وفى الحديث من قلم اظفاره يوم الجمعة
اعاذه الله تعالى من البلايا الى الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام وفى الحديث الآخر من اراد ان يأمن من الفقر
وشكاية العين فليقلم اظفاره يوم الخميس بعد العصر قال فى المقاصد الحسنة قص الاظفار لم يثبت فى كيفيته ولا فى
تعيين يوم له عن النبى عليه السلام شئ وما يعزى من النظم فى ذلك لعلى رضى الله تعالى عنه وهو

تقلمك الاظفار فيه سنة وادب * يمينها خوابس يسارها اوخسب

فباطل عنه وقال فى محل آخر حديث من قص اظفاره مخالفا لم ير فى عينيه رمدا هو فى كلام غير واحد من الائمة
ولم اجده لكن كان الحافظ الشريف الدمياطى يأثر ذلك عن بعض مشايخه ونص الامام احمد على استحبابه
انتهى كلامه وذكر الامام النووى ان المستحب منه ان يبدأ باليدين قبل الرجلين فيبتدئ بمسبحة يده
اليمنى ثم الوسطى ثم البنصر ثم الخنصر ثم الابهام ثم يعود الى اليسرى فيبدأ بخنصرها ثم ببنصرها الى آخرها
ثم يعود الى الرجل اليمنى فيبدأ بخنصرها ويختم بخنصر الرجل اليسرى وهكذا قرره الامام فى الاحياء
وفى الحديث نقوا براجمكم وهى مفاصل الاصابع والعقد التى على ظهرها يجتمع فيها الوسخ واحدها برجمة
بضم الباء والجيم وسكون الراء بينهما وهو ظهر عقدة كل مفصل فظهر العقدة يسمى برجمة وما بين العقدتين
يسمى راجبة وجمعها رواجب وذلك مما يلى ظهرها وهو قصبة الاصابع فلكل اصبع برجمتان وثلاث رواجب
الا الابهام فان له برجمة وراجبتين فامر بالتنقية لئلا يدرن فيبقى فيه الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة
كذا فى تفسير القرطبى وعن مجاهد قال ابطأ جبرائيل عليه السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له النبى
عليه السلام ما حبسك يا جبريل قال وكيف آتيكم وانتم لا تقصرون اظفاركم ولا تأخذون من شواربكم
ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ وما نتنزل الا بامر ربك قال كأنه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات
فقيل (قال انى جاعلك للناس) اى لاجل الناس (اماما) يأتمون بك فى هذه الخصال ويقتدى بك الصالحون
فهو نبى فى عصره ومقتدى لكافة الناس الى قيام الساعة وقد انجز الله وعده فقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم ونحو ذلك فلذلك اجتمعت اهل الاديان كلهم على تعظيمه وجميع امة محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون فى آخر صلاتهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد قيل فى سببه انا لما قلنا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد قيل لنا ان ابراهيم هو الذى

طلب من الله تعالى ان يرسل اليكم مثل هذا الرسول الذى هو رحمة للعالمين حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاهديتكم فحينئذ تقول كما صليت على ابراهيم الخ ثم لاحظ ان هذه الخيرات كلها من الله تعالى فتقول شكر الاحسانه ربنا انك حميد مجيد وفى الخبر ان ابراهيم عليه السلام رأى فى المنام جنة عريضة مكتوب على اشجارها لا اله الا الله محمد رسول الله فسأل جبريل عنها فاخبره بالقصة فقال يارب أجر على لسان امة محمد ذكرى فاستجاب الله دعاءه وضمه فى الصلاة مع محمد صلى الله عليه وسلم قال كأنه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام عنده فقيل (قال ومن ذريتى) عطف على الكاف فى جاعلك ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اى وجاعل بعض ذريتى اماما يقتدى به اى اجعل لكنه راعى الادب بالاحتراز عن صورة الامر وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق والذرية نسل الرجل وقد تطلق على الآباء والابناء من الذكور والاناث والصغار والكبار ومنه قوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم اراد آباءهم الذين حملوا فى السفينة وتقع الذرية على الواحد كما فى قوله تعالى رب هب لى من لدنك ذرية طيبة يعنى ولدا صالحا (قال) الله استئناف ايضا (لا ينال) لا يصيب (عهدى الظالمين) يعنى ان اولادك منهم مسلمون وكافرون فلا تصل الامامة والاستخلاف بالنبوة الذى عهدت اليك من كان ظالما من اولادك وغيرهم وانما ينال عهدى من كان بريئا من الظلم لان الامام انما هو لمنع الظلم فكيف يجوز ان يكون ظالما وان جاز فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب الغنم ظلم قال المعتزلة وفيه دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة ولا يقدم للصلاة قلنا الظالم اريد به الكافر وا لصبر على طاعة الامام الجائر اولى من الخروج عليه لان فى منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف واراقة الدماء واطلاق ايدى السفهاء وشن الغارات على المسلمين والفساد فى الارض وفى الآية دليل على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الكبائر قبل البعثة وبعدها قال ابن الشيخ فى حواشيه فيه بحث لان مدلول الآية ان الظالم مادام ظالما لا تناله الامامة لا ان من كان ظالما فى وقت ما من الاوقات ثم تاب منه لا ينال الامامة والفرق بينهما ان الظلم الحالى يخل بالمقصود من نصب الامام وهو اخلاء وجه الارض من الظلم والفساد وحماية اموال الناس واعراضهم من تعرض الظلمة المفسدين بخلاف الظلم القديم الذى تاب عنه الظالم فانه ليس بمخل للمقصود فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له قال حضرة الشيخ افتاده افندى قدس سره لا تعطى الولاية لولد الزنى قال وأشكر الله تعالى على ان جعلنى اول ولد والدته امى فانه ابعد من ان يصدر ألفاظ الكفر من احد أبوى قال المولى الهدآئى قدس سره قلت والفقير ايضا كذلك وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة حديث لا يدخل الجنة ولد زنية ان صح فمعناه اذا عمل بمثل عمل ابويه واتفقوا على انه لا يحمل على ظاهره وقيل فى تأويله ايضا ان المراد به من يواظب الزنى كما يقال للشهود بنوا الصحف وللشجعان بنوا الحرب ولاولاد المسلمين بنوا الاسلام انتهى كلامه ثم فى الآية اشارة الى ان من اراد ان يبلغ درجة الاخيار ليقتدى به فليلازم التعب وجهد النفس فى طاعة الله تعالى (قال السعدى) جو يوسف كسى در صلاح وتميز * بسى سال بايدكه گردد عزيز (واذ جعلنا البيت) اى واذكر يا محمد وقت تصييرنا الكعبة المعظمة (مثابة) كائنة (للناس) اى مباءة ومرجعا للحجاج والمعتمرين يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اى يرجع اليه اعيان الذين يزورونه بأن يحجوه مرة بعد اخرى او يرجع امثالهم واشباههم فى كونهم وفد الله وزوار بيته فانهم لما كانوا اشباها للزآئرين اولا كان ماوقع منهم من الزيارة ابتدآء بمنزلة عود الاولين فتعريف الناس للعهد الذهنى (وامنا) موضع امن فان المشركين كانوا لا يتعرضون لسكان الحرم ويقولون البيت بيت الله وسكانه اهل الله يعنى اهل بيته وكان الرجل يرى قاتل ابيه فى الحرم فلا يتعرض له ويتعرضون لمن حوله وهذا شئ توارثوه من دين اسماعيل عليه السلام فبقوا عليه الى ايام النبى عليه السلام او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ماقبله اى يقطع ويمحو ماوجب قبله من حقوق الله تعالى الغير المالية مثل كفارة اليمين واما حقوق العباد فلا يجبها الحج كذا فى حواشى ابن الشيخ ولكن روى ان الله تعالى استجاب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة فى الدماء والمظالم كذا فى الكافى وتفسير الفاتحة للفنارى وغيرهما (واتخذوا) اى وقلنا اتخذوا على ارادة القول لئلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار (من مقام ابراهيم مصلى) اى موضع الصلاة ومن للتبعيض ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه اثر قدميه اوالموضع الذى كان فيه حين قام عليه ودعا الناس

الى الحج اوحين رفع بناء البيت والذى يسمى اليوم مقام ابراهيم هوموضع ذلك الحجر (روى) انه لما اتى ابراهيم باسماعيل وهاجر ووضعهما بمكة واتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر استأذن ابراهيم سارة فى ان يأتى هاجر فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فقدم ابراهيم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وكان اسماعيل يخرج من الحرم فيصيد فقال لها ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليست عندى وسألها عن عيشهم فقالت نحن فى ضيق وشدة فشكت اليه فقال لها اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له فليغير عتبة بابه والمراد ليطلقك فانك لاتصلحين له امرأة وذهب ابراهيم فجاء اسماعيل فوجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت جاءنى شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشانه وقال فما قال لك قالت قال أقرئى زوجك السلام وقولى له فليغير عتبة بابه قال ذلك ابى وقد امرنى ان افارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث ابراهيم ماشاء الله ان يلبث ثم استأذن سارة فى ان يزور اسماعيل فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسماعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيئ الآن ان شاء الله فانزل رحمك الله قال هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم وسألها عن عيشهم قالت نحن فى خير وسعة فدعا لهما بالبركة ولوجاءت يومئذ بخبز براوشعيراوتمرلكانت اكثرارض الله برا اوشعيرا اوتمرا وقالت له انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه وهوراكب فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقى اثر قدميه عليه وقال لها اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسماعيل وجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت نعم جاء شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لى كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه فقال ذاك ابراهيم وانت عتبة بابى امرنى ان امسكك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا تحت دوحة قريبة من زمزم فلما رآه قام اليه فصنع كما يصنع الولد بالوالد ثم قال يا اسماعيل ان الله امرنى بامر أتعيننى عليه قال اعينك عليه قال امرنى ان ابنى ههنا بيتا فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم على حجر المقام وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجر وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ثم لما فرغ من بناء الكعبة قيل له اذن فى الناس بالحج فقال كيف انادى وانا بين الجبال ولم يحضرنى احد فقال الله عليك النداء وعلى البلاغ فصعد أباقبيس وصعد هذا الحجر وكان قد خبئ فى ابى قبيس ايام الطوفان فارتفع هذا الحجر حتى علا كل حجر فى الدنيا وجمع الله له الارض كالسفرة فنادى يامعشر المسلمين ان ربكم بنى لكم بيتا وامركم ان تحجوه فأجابه الناس من اصلاب الاباء وارحام الامهات فمن اجابه مرة حج مرة ومن اجابه عشرا حج عشرا وفى الحديث ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا مماسة ايدى المشركين لاضاءتا مابين المشرق والمغرب والمراد منهما الحجر الاسود والحجر الذى قام عليه ابراهيم عند بناء البيت (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل) اى امرناهما امرا مؤكدا ووصينا اليهما فان العهد قد يكون بمعنى الامر والوصية يقال عهد اليه اى امره ووصاه ومنه قوله تعالى ألم أعهد اليكم وانما سمى اسماعيل لان ابراهيم كان يدعو الى الله ان يرزقه ولدا ويقول اسمع يا ايل وايل هو الله فلما رزق سماه به (ان طهرا بيتى) اى بأن طهراه من الاوثان والانجاس ومالا يليق به والمراد احفظاه من ان ينصب حوله شئ منها واقراه على طهارته كما فى قوله تعالى ولهم فيها ازواج مطهرة فانهن لم يطهرن من نجس بل خلقهن طاهرات كقولك للخياط وسع كم القميص فانك لاتريد أن تقول ازل مافيه من الضيق بل المراد اصنعه ابتداء واسع الكم (للطائفين) الزائرين حوله (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده اى اقاموا لا يرجعون وهذا فى اهل الحرم والاول فى الغرباء القادمين الى مكة للزيارة والطواف وان كان لا يختص بهم الا ان له مزيد اختصاص بهم من حيث ان مجاوزة الميقات لاتصح لهم الا بالاحرام (والركع السجود) اى المصلين جمع راكع وساجد لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلى ولتقارب الركوع والسجود ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما والجلوس فى المسجد الحرام ناظرا الى الكعبة من جملة العبادات الشريفة المرضية كما قال عليه السلام ان الله تعالى فى كل يوم عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين واعلم انه تعالى لما قال ان طهرا بيتى دخل فيه بالمعنى جميع

بيوته تعالى فيكون حكمها حكمه فى التطهير والنظافة وانما خص الكعبة بالذكر لانه لم يكن هنالك غيرها وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه سمع صوت رجل فى المسجد فقال ماهذا أماتدرى اين انت وفى الحديث ان الله اوحى الى يااخا المنذرين يااخا المرسلين انذر قومك ان لايدخلوا بيتا من بيوتى الابقلوب سليمة وألسنة صادقة وايدى نقية وفروج طاهرة ولايدخلوا بيتا من بيوتى مادام لاحد عندهم مظلمة فانى العنه مادام قائما بين يدى حتى يرد تلك الظلامة الى اهلها فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من اوليائى واصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين انتهى ثم اعلم ان البيت الذى شرفه الله باضافته الى نفسه وهو بيت القلب فى الحقيقة يأمر الله تعالى بتطهيره من دنس الالتفات الى ماسواه فانه منظر الله كما قيل * دل بدست آور كه حج اكبرست * ازهزاران كعبه يك دل بهترست * كعبه بنياد خليل آزرست * دل نظرگاه جليل اكبرست * فلابد من تصفيته حتى تعكف عنده الانوار الالهية والاسرار الرحمانية وتنزل السكينة والوقار فعند وصول العبد الى هذه الرتبة فقد سجد لربه حقيقة وركع وناجى مع الله بسره (واذ قال ابراهيم) اى واذكر يامحمد اذ دعا ابراهيم فقال يا (رب اجعل هذا) المكان وهو الحرم (بلدا آمنا) ذا امن يأمن فيه اهله من القحط والجدب والخسف والمسخ والزلازل والجنون والجذام والبرص ونحو ذلك من المثلات التى تحل بالبلاد فهو من باب النسب اى بلدا منسوبا الى الامن كلابن وتامر فانهما النسبة موصوفهما الى مأخوذهما كأنه قيل لبنى وتمرى فالاسناد حقيقى اوالمعنى بلدا آمنا اهله فيكون من قبيل الاسناد المجازى لان الامن الذى هو صفة لاهل البلد حقيقة قد اسند الى مكانهم للملابسة بينهما وكان هذا الدعاء فى اول ماقدم ابراهيم عليه السلام مكة لانه لما اسكن اسماعيل وهاجر هنالك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا فى هذا البلقع اى المكان الخالى من الماء والنبات وهو لايرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لايضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادى فقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع الى آخر الآية (وارزق اهله من الثمرات) جمع ثمرة وهى المأكولات مما يخرج من الارض والشجر فهو سؤال الطعام والفواكه وقيل هى الفواكه وانما خص هذا بالسؤال لان الطعام المعهود مما يكون فى كل موضع واما الفواكه فقد تندر فسأل لاهله الامن والسعة مما يطيب العيش ويدوم فاستجاب له فى ذلك لما روى انه لما دعا هذا الدعاء امر الله جبريل بنقل قرية من قرى فلسطين كثيرة الثمار اليها فاتى فقلعها وجاء بها وطاف بها حول البيت سبعا ثم وضعها على ثلاث مراحل من مكة وهى الطائف ولذلك سميت به ومنها اكثر ثمرات مكة ويجيئ اليه ايضا من الاقطار الشاسعة حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من اهله والمعنى وارزق المؤمنين خاصة (قال) الله تعالى (ومن كفر) معطوف على محذوف اى ارزق من آمن ومن كفر قاس ابراهيم عليه الصلاة والسلام الرزق على الامامة حيث سأل الرزق لاجل المؤمنين خاصة كما خص الله تعالى الامامة بهم فى قوله تعالى لاينال عهدى الظالمين فلما رد سؤال الامامة فى حق ذريته على الاطلاق حسب ان يرد سؤاله الرزق فى حق اهل مكة على الاطلاق فلذلك قيد بالايمان تأدبا بالسؤال الاول فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم (فأمتعه) اى امده ليتناول من لذات الدنيا اتباعا للنعمة عليه (قليلا) اى تمتيعا قليلا فان الدنيا بكليتها قليلة وما يتمتع الكافر به منها قليل من القليل فان نعمته تعالى فى الدنيا وان كانت كثيرة باضافة بعضها الى بعض فانها قليلة باضافتها الى نعمة الآخرة وكيف لايقل ما يتناهى بالاضافة الى مالايتناهى فقليلا صفة مصدر محذوف ويجوز ان يكون صفة ظرف محذوف اى امتعه زمانا قليلا وهو مدة حياته (ثم اضطره الى عذاب النار) الاضطرار فى اللغة حمل الانسان على مايضره وهو فى المتعارف حمل الانسان بكفره على ان يفعل ماكره عليه باختياره ترجيحا لكونه اهون الضررين فلاشئ اشد من عذاب النار حتى يكره الكفار به ليختاروا عذاب النار لكونه اهون منه فلا يكون اضطرارهم الى عذاب النار مستعملا فى معناه العرفى فهو مستعار للزهم والصاقهم به بحيث يتعذر عليهم التخلص منه كما قال تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم فانه صريح فى ان لامدخل لهم فى لحوق عذاب الآخرة بهم ولا اختيار الا انهم سموا مضطرين اليه مختارين اياه على كره تشبيها لهم بالمضطر الذى لايملك الامتناع عما اضطر اليه فالمعنى

ألزه اليه لزالمضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم بحيث لا يمكنه الامتناع منه (وبئس المصير) المخصوص بالذم محذوف اى بئس المرجع الذى يرجع اليه للاقامة فيه النار او عذابها فالعبد فى هذه الدنيا الفانية الامهال اياما دون الاهمال اذ كل نفس تجزى بما كسبت ولا تغرنك الزخارف الدنيوية فان للمطيع والعاصى نصيبا منها وليس ذلك من موجبات الرفعة فى الآخرة (قال الحافظ) بهلى كه سبهرت دهد زراه مرو * تراكه كفت كه آن زال ترك دستان كفت * قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال سهل فى معنى هذه الآية نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابو العباس ابن عطاء يعنى كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة فعلى العاقل ان لا يغتر بالزخارف الدنيوية بل لا يفرح بشئ سوى الله تعالى فان ما خلا الله باطل وزآئل والاغترار بالزآئل الفانى ليس من قضية كمال العقل والفهم والعرفان فان قلت ما الحكمة فى امهال الله العصاة فى الدنيا قيل ان الله تعالى امهل عباده ولم يأخذهم بغتة فى الدنيا ليرى العباد سبحانه وتعالى ان العفو والاحسان احب اليه من الاخذ والانتقام وليعلموا شفقته وبره وكرمه ولهذا خلق النار كرجل يضيف الناس ويقول من جاء الى ضيافتى اكرمته ومن لم يجئ فليس عليه شئ ويقول مضيف آخر من جاء الى اكرمته ومن لم يجئ ضربته وحبسته ليتبين غاية كرمه وهو اكمل واتم من الكرم الاول والله تعالى دعا الخلق الى دعوته بقوله والله يدعو الى دار السلام ثم دفع السيف الى رسوله فقال من لم يجب ضيافتى فاقتله فعلى العاقل ان يجيب دعوة الله ويرجع الى الله بحسن اختياره فانه هو المقصود والكعبة الحقيقية وكل القوافل سائرة اليه واعلم ان البلد هو الصورة الجسمانية والكعبة القلب والطواف الحقيقى هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهو فى عالم الملكوت كما ان الهيكل الانسانى مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب والذى يقدر من العارفين على الطواف الحقيقى القلبى هو الذى يقال فى حقه ان الكعبة تزوره وفى الخبر ان لله عبادا تطوف بهم الكعبة وفرق بين من يقصد صورة البيت وبين من يقصد رب البيت وروى ان عارفا من اولياء الله تعالى قصد الحج وكان له ابن فقال ابنه الى اين تقصد فقال الى بيت الله فظن الغلام ان من يرى البيت يرى رب البيت قال يا ابى لم لا تحملنى معك فقال انت لا تصلح لذلك فبكى الغلام فحمله معه فلما بلغا الميقات احرما ولبيا ودخلا الحرم فلما شوهد البيت تحير الغلام عند رؤيته فخر ميتا فدهش والده وقال اين ولدى وقطعة كبدى فنودى من زاوية البيت انت طلبت البيت فوجدته وهو طلب رب البيت فوجد رب البيت فرفع الغلام من بينهم فهتف هاتف انه ليس فى حيز ولا فى الارض ولا فى الجنة بل هو فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فمن اعرض سره عن الجهة فى توجهه الى الله صار الحق قبلة له فيكون هو قبلة الجميع كآدم عليه السلام كان قبلة الملائكة لانه وسيلة الحق بينه وبين ملائكته لما عليه من كسوة جماله وجلاله (قال الشيخ العطار قدس سره فى منطق الطير) حق تعالى كفت آدم غير نيست * كور چشمى وترا اين سير نيست * شد نفخت فيه من روحى آشكار * سر جانان كشت برخاك استوار (وقال فى محل آخر) ازدم حق آمدى آدم توبى * اصل كرمنا بنى آدم توبى * قبلهٔ كل آفرينش آمدى * باى تا سر عين بينش آمدى * اللهم اوصلنا الى العين وخلصنا من البين

(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت) حكاية حال ماضية حيث عبر بلفظ المضارع عن الرفع الواقع فى الزمان المتقدم على زمان نزول الوحى بان يقدر ذلك الرفع السابق واقعا فى الحال كأنك تصوره للمخاطب وتريه على وجه المشاهدة والعيان والقواعد جمع قاعدة وهى فى الاصل صفة بمعنى الثابتة ثم صارت بالغلبة من قبيل الاسماء بحيث لا يذكر لها موصوف ولا يقدر ولعل لفظ القعود حقيقة فى الهيئة المقابلة للقيام ومستعار للثبات والاستقرار تشبيها له بها فى ان كلا منهما حالة مباينة للانتقال والنزول وقوله من البيت حال من القواعد وكلمة من ابتدائية لا بيانية لعدم صحة ان يقال التى هى البيت فان قلت رفع الشئ ان يفصل عن الارض ويجعل عاليا مرتفعا والاساس ابدا ثابت على الارض فما معنى رفعه قلت المراد برفع الاساس البناء عليه وعبر عن البناء على الاساس برفعه لان البناء ينقله من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع فيوجد الرفع حقيقة الا ان اساس البيت واحد وعبر عنه بلفظ القواعد باعتبار اجزآئه كأن كل جزء من الاساس اساس لما فوقه

والمعنى واذكر يا محمد وقت رفع ابراهيم اساس البيت اى الكعبة (واسماعيل) ولده وكان له اربعة بنين اسماعيل واسحق ومدين ومداين وهو عطف على ابراهيم وتأخيره عن المفعول مع ان حق ما عطف على الفاعل ان يتقدم على المفعول للايذان بان الاصل فى الرفع هو ابراهيم واسماعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها واعلم ان رفع الاساس الذى هو البناء عليه يدل على ان البيت كان مؤسسا قبل ابراهيم وانه انما بنى على الاساس واختلف الناس فيمن بنى البيت اولا وأسسه فقيل هو الملائكة وذلك ان الله تعالى لما قال انى جاعل فى الارض خليفة قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فغضب عليهم فعاذوا بعرشه وطافوا حوله سبعة اطواف يسترضون ربهم حتى رضى عنهم وقال لهم ابنوا لى بيتا فى الارض يتعوذ به من سخطت عليه من بنى آدم ويطوف حوله كما طفتم حول عرشى فأرضى عنهم فبنوا هذا البيت وقيل ان الله بنى فى السماء بيتا وهو البيت المعمور ويسمى ضراحا وامر الملائكة ان يبنوا الكعبة فى الارض بحياله على قدره ومثاله وقيل اول من بنى الكعبة ادم واندرست زمن الطوفان ثم اظهرها الله لابراهيم عليه السلام روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه قال لما اهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الارض قال له يا آدم اذهب فابن لى بيتا وطف به واذكرنى عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى فاقبل آدم يتخطى وطويت له الارض وقبضت له المفاوز فلا يقع قدمه على شئ من الارض الا صار عامرا حتى انتهى الى موضع البيت الحرام وان جبرائيل ضرب بجناحه الارض فأبرز عن الاس الثابت على الارض السابعة السفلى وقذفت اليه الملائكة بالصخر فما يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلا وانه بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتاء ولبنان وهو جبل بالشام والجودى وهو جبل بالجزيرة وحراء وهو جبل بمكة وكان ربضه من حراء اى الاساس المستدير بالبيت من الصخر فهذا بناء آدم وروى ان الله خلق موضع البيت قبل الارض بألفى عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحته فلما اهبط الله تعالى آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله فأنزل الله البيت المعمور من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر باب شرقى وباب غربى فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم انى اهبطت لك بيتا فطف به كما يطاف حول عرشى وصل عنده كما يصلى عند عرشى وأنزل الحجر وكان ابيض فاسود من لمس الحيض فى الجاهلية فتوجه آدم من ارض الهند الى مكة ماشيا وقيض الله له ملكا يدله على البيت قيل لمجاهد لم لم يركب قال واى شئ كان يحمله ان خطوته مسيرة ثلاثة ايام فاتى مكة وحج البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه حج آدم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فبقى البيت يطوف به هو والمؤمنون من ولده الى ايام الطوفان فرفعه الله فى تلك الايام الى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبرائيل حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل ابى قبيس صيانة له من الغرق وكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله امر ابراهيم ببناء بيت يذكر فيه فسأل الله تعالى ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح خجوج لها رأسان شبه الحية وامر ابراهيم ان يبنى حيث استقرت السكينة فتبعها ابراهيم حتى اتيا مكة فتطوت السكينة على موضع البيت اى تحوت وتجمعت واستدارت كتطوى الحجفة ودوورانها فقالت لابراهيم ابن على موضعى الاساس فرفع البيت هو واسماعيل حتى انتهى الى موضع الحجر الاسود فقال لابنه يا بنى ائتنى بحجر ابيض حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ائتنى باحسن من هذا فمضى اسماعيل يطلبه فصاح ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فاذا هو بحجر ابيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة كما وجد فى بعض الروايات أو انزله الله تعالى حين انزل البيت المعمور كما مر فاخذ ابراهيم ذلك الحجر فوضعه مكانه فلما رفع ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت جاءت سحابة مربعة فيها رأس فنادت ان ارفعا على تربيعى فهذا بناء ابراهيم عليه السلام وروى ان ابراهيم واسماعيل لما فرغا من بناء البيت اعطاهما الله تعالى الخيل جزاء معجلا على رفع قواعد البيت وكانت الخيل وحشية كسائر الوحوش فلما اذن الله لابراهيم واسماعيل برفع القواعد قال الله انى معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم اوحى الى اسماعيل ان اخرج الى اجياد فادع يأتك الكنز فخرج الى اجياد ولا يدرى ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله فدعا فلم يبق على وجه الارض فرس بارض العرب

الاجابة فأمكنه من ناصيتها وذللها له فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وهى ميراث ابيكم اسماعيل وانما سمى الفرس عربيا لان اسماعيل هو الذى امر بدعائه وهو اتى اليه والعربى نسبة الى عرب بفتحتين وهى باحة العرب لان اباهم اسماعيل نشأ بها قيل كان ابراهيم يتكلم بالسريانية واسماعيل بالعربية وكل واحد منهما يفهم ما يقوله صاحبه ولا يمكنه التفوه به واما بنيان قريش اياه فمشهور وخبر الحية فى ذلك مذكور وكانت تمنعهم من هدمه الى ان اجتمعت قريش فعجوا الى الله تعالى اى رفعوا اصواتهم وقالوا لم نراع وقد اردنا تشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك والا فما بدا لك فافعل فاسمعوا خوانا فى السماء والخوات دوى جناح الطير الضخم اى صوته فاذاهم بطائر اعظم من النسر اسود الظهر ابيض البطن والرجلين فغرز مخالبه فى قفا الحية ثم انطلق بها تجر ذنبها اعظم من كذا وكذا حتى انطلق بها الى اجياد فهدمتها قريش وجعلوا يبنونها بحجارة الوادى تحملها قريش على رقابها فرفعوها فى السماء عشرين ذراعا وذكر عن الزهرى انهم بنوها حتى اذا بلغوا موضع الركن اختصمت قريش فى الركن اى القبائل تلى رفعه حتى شجر بينهم فقالوا حتى نحكم اول من يطلع علينا من هذه السكة فاصطلحوا على ذلك فاطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكموه فامر بالركن فوضع فى ثوب ثم امر سيد كل قبيلة فاعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو على البناء فرفعوا اليه الركن فاخذه من الثوب فوضعه فى مكانه قيل ان قريشا وجدوا فى الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ماهو حتى قرأه لهم رجل من اليهود فاذا فيه انا الله ذو مكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك احتفاء لا تزول حتى يزول اخشباها مبارك لاهلها فى الماء واللبن وعن ابى جعفر كان باب الكعبة على عهد العماليق وجرهم وابراهيم بالارض حتى بنته قريش وعن عائشة رضى الله تعالى عنها سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الجدار أمن البيت هو قال نعم قلت فلم لم يدخلوه قال ان قومك قصرت بهم النفقة قلت فما شأن بابه مرتفعا قال فعل ذلك قومك ولولا حدثانهم بالجاهلية لهدمت الكعبة فألزق بابها بالارض وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة اذرع من الحجر فان قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة فهذا بناء قريش ثم لما غزا اهل الشام عبد الله بن الزبير ووهت الكعبة من حريقهم هدمها ابن الزبير وبناها على ما اخبرته عائشة فجعل لها بابين بابا يدخلون منه وبابا يخرجون منه وزاد فيه مما يلى الحجر ست اذرع وكان طولها قبل ذلك ثمانى عشرة ذراعا ولما زاد فى البناء مما يلى الحجر استقصر ما كان من طولها تسع اذرع فلما قتل ابن الزبير امر الحجاج ان يقرر ما زاده ابن الزبير فى طولها وان ينقص ما زاده من الحجر ويردها الى ما بناها قريش وان يسد الباب الذى فتحه الى جانب الغرب وروى ان هارون الرشيد ذكر لمالك بن انس انه يريد هدم ما بنى الحجاج من الكعبة وان يردها الى بناء ابن الزبير لما جاء عن النبى وامتثله ابن الزبير فقال له مالك ناشدتك الله يا امير المؤمنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء احدهم الا نقض البيت وبناه فتذهب الهيبة من صدور الناس قالوا بنيت الكعبة عشر مرات بناء الملائكة وكان قبل خلق آدم عليه السلام وبناء آدم وبناء بنى آدم وبناء الخليل وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصى بن كلاب وبناء قريش وبناء عبد الله بن الزبير وبناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلى ان بناءها لم يكن فى الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه الصلاة والسلام وروى فى الخبر النبوى هذا البيت خامس خمسة عشر سبعة منها فى السماء الى العرش وسبعة منها الى تخوم الارض السفلى واعلى الذى يلى العرش البيت المعمور لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت لو سقط منها بيت سقط بعضها على بعض الى تخوم الارض السابعة ولكل بيت من اهل السماء ومن اهل الارض من يعمره كما يعمر هذا البيت ذكره المحدث الكازرونى فى مناسكه وعن ابن عباس رضى الله عنه لما كان العرش على الماء قبل خلق السموات والارض بعث الله ريحا فصفقت الماء فابرزت خشبة فى موضع البيت كأنها قبة على قدر البيت اليوم فدحا الله سبحانه من تحتها الارض فمادت ثم مادت فأوتدها بالجبال فكان اول جبل وضع فيها ابو قبيس ولذلك سميت مكة بام القرى قال كعب بنى سليمان عليه السلام بيت المقدس على اساس قديم كما بنى ابراهيم الكعبة على اساس قديم وهو اساس الملائكة فى وجه الماء الى ان علا (ربنا) اى يرفعانها قائلين ربنا (تقبل منا) الدعاء وغيره من القرب والطاعات التى من جملتها ما هما بصدده من البناء وفرق بين القبول والتقبل بان التقبل لكونه

على بناء التكليف انما يطلق حيث يكون العمل ناقصا لايستحق ان يقبل الا على طريق التفضل والكرم ولفظ القبول لادلالة فيه على هذا المعنى فاختيار لفظ التقبل اعتراف منهما بالعجز والانكسار والقصور فى العمل (انك انت السميع) لجميع المسموعات التى من جملتها دعاؤنا وتضرعنا (العليم) بكل المعلومات التى من زمرتها نياتنا فى جميع اعمالنا ودل هذا القول على انه لم يقع منهم ماتقصير بوجه ما فى اتيان المأمور به بل بذلا فى ذلك غاية مافى وسعهما فان المقصر المتساهل كيف يتجاسر على ان يقول بأطلق لسان وارق جنان انك انت السميع العليم ودلت الآية ايضا على ان الواجب على كل مأمور بعبادة وقربة اذا فرغ منها واداها كما امر بها وبذل فى ذلك مافى وسعه ان يتضرع الى الله ويبتهل ليتقبل منه وان لايرد عليه فيضيع سعيه وان لايقطع القول بأن من ادى عبادة وطاعة تقبل منه لامحالة اذ لوكان هكذا لما كان لدعائهما بطريق التضرع ليقبل منهما معنى فالقبول والرد اليه تعالى ولايجب عليه شئ (ربنا واجعلنا مسلمين لك) اى مخلصين لك فالمراد بالمسلم من يجعل نفسه وذاته خالصا لله تعالى بان يجعل التذلل والتعظيم الواقع منه باللسان والاركان والجنان خالصا له تعالى ولايعظم معه تعالى غيره ويعتقد بأن ذاته وصفاته وافعاله خالصة له تعالى خلقا وملكا لامدخل فى شئ منها لاحد سواه اوالمعنى واجعلنا مستسلمين لك منقادين بالرضى بكل ماقدرت وبترك المنازعة فى احكامك فان الاسلام اذا وصل باللام الجارة يكون بمعنى الاستسلام والانقياد والرضى بالقضاء فان قلت لاشك انهما كانا مخلصين ومستسلمين فى زمان صدور هذا الدعاء منهما قلت المراد طلب الزيادة فى الاخلاص والاذعان اوالثبات عليه فهذا تعليم منهما الناس الدعاء للتثبيت على الايمان فانهما لما سألا ذلك مع امنهما من زواله عنهما فكيف غيرهما مع خوفه وسألا ايضا الثبات على الانقياد فاجيبا الى ذلك حتى اسلم ابراهيم للالقاء فى النار واسماعيل للامر بالذبح (ومن ذريتنا امة مسلمة لك) اى واجعل بعض ذريتنا جماعة مخلصة لك بالعبادة والطاعة وانما خص الذرية بالدعاء مع ان الانسب بحال اصحاب الهمم لاسيما الانبياء ان لايخصوا ذريتهم بالدعاء لكنهما خصاهم لوجهين الاول كونهم احق بالشفقة كما فى قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فدعوا لاولادهما ليكثر ثوابهما بهم وفى الحديث مامن رجل من المسلمين يخاف من بعده ذرية يعبدون الله تعالى الاجعل الله له مثل اجورهم ماعبد الله منهم عابد حتى تقوم الساعة والثانى انه وان كان تخصيصا صورة الاانه تعميم معنى لان صلاح اولاد الانبياء سبب وطريق لصلاح العامة فكأنهما قالا واصلح عامة عبادك باصلاح بعض ذريتنا وخصا البعض من ذريتهما لما علما ان من ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وطريق علمهما بذلك امران تنصيص الله تعالى بذلك بقوله لاينال عهدى الظالمين والاستدلال بان حكمة الله تعالى تقتضى ان لايخلو العالم عن افاضل واوساط وارذال فالافاضل هم اهل الله الذين هم اخلصوا انفسهم لله بالاقبال الكلى عليه والاوساط هم اهل الآخرة الذين يجتنبون المنكرات ويواظبون على الطاعات رغبة فى نيل المثوبات والارذال هم اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون جل همتهم عمارة الدنيا وتهيئة اسبابها وقد قيل عمارة الدنيا بثلاثة اشياء احدها الزراعة والغرس والثانى الحماية والحرب والثالث جلب الاشياء من مصر الى مصر ومن اكب على هذه الاشياء ونسى الموت والبعث والحساب وسعى لعمارة الدنيا سعيا بليغا ودقق فى اعمال فكره تدقيقا عجيبا فهو متوغل فى الجهل والحماقة ولهذا قيل لولا الحمق لخربت الدنيا (وفى المثنوى) اين جهان ويران شدى اندر زمان * حرصها بيرون شدى از مردمان * استن اين عالم اى جان غفلتست * هوشيارى اين جهان را آفتست * هوشيارى زان جهانست وجوان * غالب آيد پست كردد اين جهان * هوشيارى آفتاب وحرص يخ * هوشيارى آب واين عالم وسخ (وارنا مناسكنا) جمع منسك بفتح السين وكسرها اى بصرنا مواضع نسكنا اوعرفنا مقتدراتنا اى المواضع التى يتعلق بها النسك اى افعال الحج نحو المواقيت التى يحرم منها والموضع الذى يوقف فيه بعرفة وموضع الطواف والصفا والمروة ومابينهما من المسعى وموضع رمى الجمار ويحتمل ان يراد بالمناسك ههنا افعال الحج نفسها لامواضعها على ان يكون المنسك مصدرا لااسم مكان ويكون جمعه لاختلاف انواعه ويكون ارنا بمعنى عرفنا لان نفس الافعال لاتدرك بالبصر بل ترى بعين القلب والنسك كل مايتعبد به الى الله وشاع فى اعمال الحج لكونها اشق الاعمال بحيث لاتتأتى الا بمزيد سعى واجتهاد (وتب علينا) عما فرط منا سهوا من الصغائر ومن ترك الاولى وتجاوز

عن ذنوب ذريتنا من الكبائر ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما فانهما لما بنيا البيت ارادا ان يسنا للناس ويعرفاهم ان ذلك البيت وما يتبعه من المناسك والمواقف امكنة التفصي من الذنوب وطلب التوبة من علام الغيوب (انك انت التواب الرحيم) لمن تاب اصل التوبة الرجوع وتوبة الله على العبد قبوله توبته وان يخلق الانابة والرجوع فى قلب المسيء ويزين جوارحه الظاهرة بالطاعات بعد ما لوثها بالمعاصى والخطيئات وتواب من صيغ المبالغة اطلق عليه تعالى للمبالغة فى صدور الفعل منه وكثرة قبوله توبة المذنبين لكثرة من يتوب اليه (ربنا وابعث فيهم) اى فى جماعة الامة المسلمة من اولادنا (رسولا منهم) اى من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبى صلى الله عليه وسلم فهو الذى اجيب به دعوتهما روى انه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان وفى الحديث انى عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمجدل فى طينته وسأخبركم بأول امرى انى دعوة ابى ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امى التى رأت حين وضعتنى وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام واراد بدعوة ابراهيم هذا فانه دعا الله ان يبعث فى بنى اسرائيل رسولا منهم (يتلوا عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويعلمهم) بحسب قوتهم النظرية (الكتاب) اى القرآن (والحكمة) وما يكمل به نفوسهم من المعارف الحقة والاحكام الشرعية قال ابن دريد كل كلمة وعظتك اودعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهى حكمة (ويزكيهم) بحسب قوتهم العملية اى يطهرهم من دنس الشرك وفنون المعاصى سواء كانت بترك الواجبات او بفعل المنكرات ثم ان ابراهيم عليه السلام لما ذكر هذه الدعوات الثلاث ختمها بالثناء على الله تعالى فقال (انك انت العزيز) الذى لا يقهر ولا يغلب على ما يريد (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو عزيز حكيم بذاته وكل ما سواه ذليل جاهل فى نفسه قال الامام الغزالى قدس سره فى شرح الاسماء الحسنى العزيز هو الخطير الذى يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما لم تجتمع هذه المعانى الثلاثة لم يطلق العزيز فكم من شئ يقل وجوده ولكن اذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزا وكم من شئ يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن اذا لم يصعب الوصول اليه لم يسم عزيزا كالشمس مثلا فانها لا نظير لها والارض كذلك والنفع عظيم فى كل واحدة منهما والحاجة شديدة اليهما ولكن لا توصفان بالعزة لانه لا يصعب الوصول الى مشاهدتهما فلا بد من اجتماع المعانى الثلاثة ثم فى كل من المعانى الثلاثة كمال ونقصان فالكمال فى قلة الوجود ان يرجع الى واحد اذ لا اقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا الا الله تعالى فان الشمس وان كانت واحدة فى الوجود فليست واحدة فى الامكان فيمكن وجود مثلها والكمال فى النفاسة وشدة الحاجة ان يحتاج اليه كل شئ فى كل شئ حتى فى وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك الكمال الا الله تعالى فهو العزيز المطلق الحق الذى لا يوازيه فيه غيره والعزيز من العباد من يحتاج اليه عباد الله فى اهم امورهم وهى الحياة الاخروية والسعادة الابدية وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب ادراكه وهذه رتبة الانبياء عليهم السلام ويشاركهم فى العز من يتفرد بالقرب من درجتهم فى عصره كالخلفاء وورثتهم من العلماء وعزة كل واحد بقدر علو رتبته عن سواه فى النيل والمشاركة وبقدر عنائه فى ارشاد الخلق والحق ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة افضل الاشياء باجل العلوم واجل الاشياء هو الله تعالى ولا يعرف كنه معرفته غيره فهو الحكيم المطلق لانه يعلم اجل الاشياء باجل العلوم اذ اجل العلوم هو العلم الازلى الدائم الذى لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق اليها خفاء وشبهة ولا يتصف بذلك الاعلم الله تعالى وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها حكيما وكمال ذلك ايضا ليس الا لله تعالى فهو الحكيم المطلق ومن عرف جميع الاشياء ولم يعرف الله تعالى لم يستحق ان يسمى حكيما لانه لم يعرف اجل الاشياء وافضلها والحكمة اجل العلوم وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم ولا اجل من الله ومن عرف الله فهو حكيم وان كان ضعيف المنة فى سائر العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها الا ان نسبة حكمة العبد الى حكمة الله تعالى كنسبة معرفته الى معرفته بذاته وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه فهو أنفس المعارف واكثرها خيرا ومن اوتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب نعم من عرف الله كان كلامه مخالفا لكلام غيره فانه قلما يتعرض للجزئيات بل يكون كلامه جليا ولا يتعرض لمصالح العاجلة بل يتعرض لما ينفع

فى العاقبة ولما كانت الكلمات الكلية اظهر عند الناس من احوال الحكيم من معرفته بالله ربما اطلق
الناس اسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية ويقال للناطق بها حكيم وذلك مثل قول سيد الانبياء
عليه السلام رأس الحكمة مخافة الله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله ماقل وكفى خير مما كثر وألهى السعيد من وعظ بغيره القناعة مال لا ينفد الصبر نصف الايمان
اليقين الايمان كله فهذه الكلمات وامثالها تسمى حكمة وصاحبها يسمى حكيما انتهى كلام الغزالى ثم ان
فى الآية اشارة الى ان فى ارسال الرسل حكمة اى مصلحة وعاقبة جيدة لان عمارة الظاهر وانارة الباطن ونظام
العالم بهم لا بغيرهم ولورثتهم من الاولياء الكاملين حظ اوفى فى باب التزكية فلا بد للعبد من دليل ومرشد
يهتدى به الى مقصوده ومن لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان (قال الحافظ) بكوى عشق منه بى دليل راه قدم *
كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد * والمرشد الكامل يزكى نفس السالك باذن الله ويطهرها من دنس
الالتفات الى ماسوى الله ويتلو عليه الآيات الانفسية والآفاقية ليكون من الموقنين ويغتنم النعيم الروحانى
ويدخل فى زمرة الصديقين فقوله تعالى ويزكيهم يشير الى السلوك والتسليك فاحفظ هذا ولكن على ذكر
منك اللهم احفظنا من الموانع فى طريق الوصول اليك فان كل رجاء فى حيز القبول لديك (ومن يرغب
عن ملة ابراهيم) من استفهامية قصد بها الانكار والتقريع ورغب فى الشيء اذا اراده ورغب عنه اذا تركه
اى لا يترك دين ابراهيم احد ولا يعرض عن شريعته وطريقته (الا من سفه نفسه) اى اذلها وجعلها مهينا
حقيرا فانتصاب نفسه على انه مفعول به (روى) ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال
لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى
ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر فانزل الله هذه الآية (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) اى وبالله
لقد اخترناه ابراهيم فى الدنيا من بين سائر الخلق بالنبوة والحكمة (وانه فى الآخرة) متعلق بقوله (لمن الصالحين)
اى من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح فمن كان صفوة العباد فى الدنيا مشهودا له فى الآخرة
بالصلاح كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه اى فى اصل خلقته او متسفه يتكلف السفاهة
بمباشرة افعال السفهاء باختياره فيذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل فقوله وانه فى الآخرة
لمن الصالحين بشارة له فى الدنيا بصلاح الخاتمة ووعد له بذلك وكم من صالح فى اول حاله ذهب صلاحه فى مآله
وكان فى الآخرة لعذابه ونكاله كبلعم وبرصيصا وقارون وثعلبة (اذ قال له) ظرف لاصطفيناه وتعليل له
اى اخترناه فى وقت قال له (ربه اسلم) اى اخلص دينك لربك واستقم على الاسلام واثبت عليه وذلك حين خرج
من الغار ونظر الى الكوكب والقمر والشمس فألهمه الله الاخلاص (قال اسلمت لرب العالمين) اى اخلصت
دينى له كقوله انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض الآية وقد امتثل ما امر به من الاخلاص
والاستسلام واقام على ما قال فسلم القلب والنفس والولد والمال ولما قال له جبريل حين ألقى فى النار هل لك
من حاجة فقال اما اليك فلا فقال الا تسأل ربك فقال حسبى بسؤالى علمه بحالى قال اهل التفسير ان ابراهيم
ولد فى زمن النمرود بن كنعان وكان النمرود اول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان
ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك فى هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك
على يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد فى ناحيته فى تلك السنة فلما دنت ولادة ام ابراهيم واخذها المخاض
خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فولدته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء وهو
نبت فى الماء يقال له بالتركى حصيرة قيى ثم رجعت فأخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد فى موضع كذا فانطلق
ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا اى بيتا فى الارض كالمغارة فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة
السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وكان اليوم على ابراهيم فى الشباب والقوة كالشهر فى حق سائر الصبيان
والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم فى المغارة الا خمسة عشر شهرا او سبع سنين او اكثر من ذلك فلما شب
ابراهيم فى السرب قال لامه من ربى قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابى قالت اسكت ثم رجعت
الى زوجها فقالت ارأيت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فاتى ابوه
آزر وقال له ابراهيم يا أبتاه من ربى قال امك قال فمن رب امى قال انا قال فمن ربك قال النمرود قال فمن رب النمرود

فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فرأى السماء وما فيها من الكواكب فتفكر فى خلق السموات والارض فقال ان الذى خلقنى ورزقنى واطعمنى وسقانى ربى الذى مالى اله غيره ثم نظر فى السماء فرأى كوكبا قال هذا ربى ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لا احب الآفلين ثم راى القمر ثم الشمس فقال فيهما كما قال فى حق الكوكب ثم انهم اختلفوا فى قوله ذلك فاجراه بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابراهيم فى ذلك الوقت مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله اليه واوصله فلم يضره ذلك فى الاستدلال وايضا كان ذلك فى حال طفوليته قبل ان يجرى عليه القلم فلم يكن كفرا وانكر الآخرون هذا القول وقالوا كيف يتصور من مثله ان يرى كوكبا ويقول هذا ربى معتقدا فهذا لا يكون ابدا ثم اولوا قوله ذلك بوجوه مذكورة فى سورة الانعام للامام محيى السنة والحاصل ان ابراهيم مستسلم للرب الكريم وانه على الصراط المستقيم لا يرغب عن طريقته الا من سفه نفسه اى لم يتفكر فيها كما تفكر ابراهيم فى الانفس والافاق قال تعالى وفى انفسكم أفلا تبصرون والسفاهة الجهل وضعف الرأى وكل سفيه جاهل وذلك أن من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف الله خالقها وقد جاء فى الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه وفى الاخبار ان الله تعالى اوحى الى داود اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء (وفى المثنوى) جيست تعظيم خدا افراشتن * خويشتن راخاك وخوارى داشتن * جيست توحيد خدا آموختن * خويشتن را پيش واحد سوختن * هستيت درهست آن هستى نواز * همچو مس دركيميا اندر كداز * جمله معشوقست وعاشق پردهٔ * زنده معشوقست وعاشق مردهٔ *

(ووصى) لما كمل ابراهيم عليه السلام فى نفسه كمل غيره بالتوصية وهو تقديم ما فيه خير وصلاح من قول اوفعل الى الغير على وجه التفضل والاحسان سواء كان امرا دينيا اودنيويا (بها) اى بالملة المذكورة فى قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم (ابراهيم بنيه) اى اولاده الذكور الثمانية عند البعض اسماعيل وامه هاجر القبطية واسحق وامه سارة وستة امهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم بعد وفاة سارة وهم مدين ومداين وزمران ويقشان ويشبق ونوخ (ويعقوب) رفع عطف على ابراهيم اى وصى يعقوب ايضا وهو ابن اسحق ابن ابراهيم بنيه الاثنى عشر روبيل وشمعون ولاوى ويهودا ويستسوخور وزبولون وزواتاوانفتونا وكوزا واوشير وبنيامين ويوسف * وسمى يعقوب لانه مع اخيه عيصو كانا توأمين فتقدم عيصو فى الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه وذلك ان ام يعقوب حملت فى بطن واحد بولدين توأمين فلما تكامل عدة اشهر الحمل وجاء وقت الوضع تكاما فى بطنها وهى تسمع فقال احدهما للاخر طرق لى حتى اخرج قبلك وقال الآخر لئن خرجت قبلى لاشقن بطنها حتى اخرج من خصرها فقال الآخر اخرج قبلى ولا تقتل أمى قال فخرج الاول فسمته عيصو لانه عصاها فى بطنها وخرج الثانى وقد أمسك بعقبه فسمته يعقوب فنشأ عيصو بالغلظة والفظاظة صاحب صيد وقنص ويعقوب بالرحمة واللين صاحب زرع وماشية وروى انهما ماتا فى يوم واحد ودفنا فى قبر واحد قيل عاش يعقوب مائة وسبعا واربعين سنة ومات بمصر واوصى ان يحمل الى الارض المقدسة ويدفن عند ابيه اسحق فحمله يوسف فدفنه عنده (يابنى) على اضمار القول عند البصريين تقديره وصى وقال يابنى وذلك لان يابنى جملة والجملة لا تقع مفعولا الا لافعال القلوب اوفعل القول عندهم (ان الله اصطفى لكم الدين) اى دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان ولا دين عنده غيره (فلا تموتن) اى لا يصادفكم الموت (الا وانتم مسلمون) اى مخلصون بالتوحيد محسنون بربكم الظن وهذا نهى عن الموت فى الظاهر وفى الحقيقة عن ترك الاسلام لان الموت ليس فى ايديهم وذلك حين دخل يعقوب مصر فراى اهلها يعبدون الاصنام فاوصى بنيه بان يثبتوا على الاسلام فان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتخصيص الابناء بهذه الوصية مع انه معلوم من حال ابراهيم انه كان يدعو الكل ابدا الى الاسلام والدين للدلالة على ان امر الاسلام اولى الامور بالاهتمام حيث وصى به اقرب الناس اليه واحراهم بالشفقة والمحبة وارادة الخير مع ان صلاح ابنائه سبب لصلاح العامة لان المتبوع اذا صلح فى جميع احواله صلح التابع روى انه لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اقاربه وأنذرهم فقال يابنى كعب بن لوى أنقذوا انفسكم من النار يابنى مرة بن كعب أنقذوا انفسكم

من النار يابنى عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يابنى هاشم انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يافاطمة انقذى نفسك من النار فانى لاأملك لكم من الله شيأ يعنى لاأقدر على دفع مكروه عنكم فى الآخرة ان اراد الله ان يعذبكم وانما اشفع لمن اذن الله لى فيه وانما يأذن لى اذا لم يرد تعذيبه انما قال عليه السلام فى حقهم هكذا لترغيبهم فى الايمان والعمل لئلا يعتمدوا على قرابته ويتهاونوا ولابد من الوصية والتحذير فى باب الدين لان الانسان اذا انس باهل الشر يخاف ان يتخلق باخلاقهم ويعمل عملهم فيجره ذلك الهوى الى الهاوية (كما قيل) نفس ازهمنفس بكيرد خوى * برحذر باش ازلقاى خبيث * بادچون برفضاى بدكذرد * بوى بدكيرد ازهواى خبيث * وكتب ابوعبيد الصورى الى بعض اخوانه امابعد فانك قد اصبحت تأمل الدنيا بطول عمرك وتتمنى على الله الامانى بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا والسلام وحسن الظن بالله تعالى انما يعتبر بعد اصلاح الحال بالاخلاق والاعمال قال الحسن ان قوما ألهتهم الامانى حتى خرجوا من الدنيا ومالهم حسنة يقول احدهم انى احسن الظن بربى وكذب لو احسن الظن لأحسن العمل وتلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الآية اللهم وفقنا للعلم والعمل قبل الاجل (ام كنتم شهدآء) لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وام منقطعة مقدرة ببل والهمزة قال فى التيسير ام اذا لم يتقدمها ألف الاستفهام كانت بمنزلة مجرد الاستفهام ومعنى الهمزة فيها الانكار يعنى أكنتم شهدآء جمع شهيد بمعنى الحاضر يريد ما كنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) اى اماراته واسبابه وقرب خروجه من الدنيا نزلت حين قالت اليهود للنبى عليه السلام ألست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فقال تعالى ما كنتم حاضرين حين احتضر يعقوب وقال لبنيه ما قال والا لما ادعيتم عليه اليهودية ولكان حوضكم على ملة الاسلام (اذ قال لبنيه) بدل من اذ حضر والعامل فيهما شهدآء (ماتعبدون من بعدى) اى اى شئ تعبدونه بعد موتى اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما قال الراغب لم يعن بقوله ماتعبدون من بعدى العبادة المشروعة فقط وانما عنى ان يكون مقصودهم فى جميع الاعمال وجه الله تعالى ومرضاته وان يتباعدوا عما لا يتوسل به اليها وكأنه دعاهم الى ان لا يتحروا فى اعمالهم غير وجه الله تعالى ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الاصنام وانما خاف ان تشغلهم دنياهم ولهذا قيل ماقطعك عن الله فهو طاغوت ولهذا قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام اى ان نخدم مادون الله (قال فى المثنوى) چيست دنيا ازخدا غافل بدن * نى قماش ونقره وميزان وزن * قال النحرير التفتازانى وما عام اى يصح اطلاقه على ذى العقل وغيره عند الابهام سوآء كان للاستفهام ام غيره واذا علم ان الشئ من ذى العقل والعلم فرق بمن وما فيختص من بذى العلم وما بغيره وبهذا الاعتبار يقال ان ما لغير العقلاء انتهى كلامه وتم الانكار عليهم عند قوله ماتعبدون من بعدى ثم استأنف وبين ان الامر قد جرى على خلاف مازعموا فقال (قالوا) كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا (نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق) اى نعبد الاله المتفق على وجوده وآلهيته ووجوب عبادته وجعل اسماعيل وهو عمه من جملة الآباء تغليبا للاب والجد لان العم أب والخالة أم لانخراطهما فى سلك واحد وهو الاخوة لاتفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه اى لاتفاوت بينهما كما لاتفاوت بين صنوى النخلة (الها واحدا) بدل من اله آبائك وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرر المضاف اونصب على الاختصاص كأنه قيل نريد ونعنى باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد (تلك) اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون (أمة) هى فى الاصل المقصود كالعهدة بمعنى المعهود وسمى بها الجماعة لان فرق الناس تؤمها اى يقصدونها ويقتدون بها وهى خبر تلك (قد خلت) اى مضت بالموت وانفردت عن عداها واصله صارت الى الخلاء وهى الارض التى لا انيس بها والجملة نعت لامة (لها ما كسبت) تقديم المسند لقصره على المسند اليه اى لها كسبها لا كسب غيرها (ولكم ما كسبتم) لا كسب غيركم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) اى لاتؤاخذون بسيئات الامة الماضية كما فى قوله ولا نسأل عما اجرمنا كما لاتثابون بحسناتهم فلكل اجر عمله وذلك لما ادعى اليهود أن يعقوب عليه السلام مات على اليهودية وانه عليه السلام وصى بها بنيه يوم مات وردوا بقوله تعالى أم كنتم شهدآء الآية قالوا هب أن الامر كذلك أليسوا آباءنا واليهم ينتمى نسبنا فلا جرم ننتفع بصلاحهم

ومنزلتهم عند الله تعالى قالوا ذلك مفتخرين بآبائهم فردوا بانهم لا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم في الاعمال فان احدا لا ينفعه كسب غيره كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم وقال عليه السلام من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه يعني من اخره في الاخرة عمله السيئ او تفريطه في العمل الصالح لم ينفعه شرف نسبه ولم تجبر نقيصته به قال الشاعر

أتفخر باتصالك من علي * واصل البولة الماء القراح

وليس بنافع نسب زكي * يدنسه صنائعك القباح

والابناء وان كانوا يتشرفون في الدنيا بشرف آبائهم الا انه اذا نفخ في الصور فلا أنساب والافتخار بمثل هذا كالافتخار بمتاع غيره وانه من الجنون فلا بد من كسب العمل والاخلاص فيه فانه المنجي بفضل الله تعالى وجاء في حديث طويل وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره لوالديه فرده عنه ورأيت رجلا من امتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من امتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من امتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من ايديهم ورأيت رجلا من امتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلا من امتي والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا الحلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فاخذ بيده وأقعده الى جنبي ورأيت رجلا من امتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وادخلتاه في النور ورأيت رجلا من امتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كلموه فكلموه ورأيت رجلا من امتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من امتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من ايديهم وادخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فاخذ بيده فادخله على الله ورأيت رجلا من امتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فاخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلا من امتي قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من امتي قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من امتي اهوى في النار فجاءته دموعه التي بكى بها من خشية الله فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من امتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلا من امتي على الصراط يزحف احيانا ويحبو أحيانا ويتعلق احيانا فجاءته صلاته علي فاخذت بيده واقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلا من امتي انتهى الى ابواب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت له الابواب وادخلته الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه عن محارم الله فعلم من هذا التفصيل ان الخلاص وان كان بفضل الله تعالى لكنه منوط بالاعمال الصالحة فالقرابة لا تغني شيأ اذا فسد العمل واما قول من قال اذا طاب اصل المرء طابت فروعه فباعتبار الغالب فان من عادته تعالى ان يخرج الحي من الميت والميت من الحي ونعم ماقيل * اصل را اعتبار چندان نيست * روی ترکل زخار خندان نيست * مي زغوره شود شكر ازني * عسل از نحل حاصلست بقي * والعود الذي تفوح رائحته وان كان في الاصل شجرة كسائر الاشجار الا انه لما كان له استعداد لتلك المرتبة وحصل ذلك بالتربية فاق على الاقران وخرج من جنس الاصل وكذا المسك فان اصله دم وكم من نسيب يعود على اصله بالعكس فيظهر فيه اثر الصلاح الباطن في ابيه ان كان اي ابوه فاسقا او الفساد الباطن فيه ان كان صالحا وكم من فرع يميل الى اصله على وجه فانظر حال آدم عليه السلام وولديه هابيل وقابيل ومن بعدهم الى قيام الساعة (وقالوا كونوا هودا او نصارى) نزلت في رؤس يهود المدينة وفي نصارى نجران اي قالت اليهود كونوا هودا فان نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت النصارى كونوا نصارى فان نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وديننا

افضل الاديان وكفروا بموسى والتوراة وبمحمد والقرآن (تهتدوا) جواب للامر اى ان تكونوا كذلك تجدوا الهداية من الضلالة (قل) يا محمد لهم على سبيل الرد وبيان ما هو الحق لا نكون ما تقولون (بل) نكون (ملة ابراهيم) اى اهل ملته ودينه على حذف المضاف اى بل نتبع ملته لان كونوا معناه اتبعوا اليهودية والنصرانية (حنيفا) اى مائلا عن كل دين باطل الى دين الحق ومنحرفا عن اليهودية والنصرانية وهو حال من المضاف اليه وهو ابراهيم كما فى رأيت وجه هند قائمة لان رؤية وجه هند يستلزم رؤيتها فالحال هنا تبين هيئة المفعول او من المضاف وهو الملة وتذكير حنيفا حينئذ بتأويل الملة بالدين لانهما متحدان ذاتا والتغاير بالاعتبار (وما كان من المشركين) تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباع ابراهيم مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله وفى الآية ارشاد الى اتباع دين ابراهيم وهو الدين الذى عليه نبينا عليه السلام واصحابه واتباعه (قولوا) ايها المؤمنون (آمنا بالله) وحده (وما انزل الينا) اى بالقرآن الذى انزل على نبينا والانزال اليه انزال الى امته لان حكم المنزل يلزم الكل (وما انزل الى ابراهيم) من صحفه العشر (و) ما انزل الى (اسماعيل واسحق ويعقوب و) الى (الاسباط) جمع سبط وهو فى الاصل شجرة واحدة لها اغصان كثيرة والمراد هنا اولاد يعقوب وهم اثنا عشر سموا بذلك لانه ولد لكل منهم جماعة وسبط الرجل حافده اى ولد ولده والاسباط من بنى اسرائيل كالقبائل من العرب والشعوب من العجم وهم جماعة من أب وأم وكان فى الاسباط انبياء والصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم لكن من بعده حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا (وما اوتى موسى وعيسى) من التوراة والانجيل وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى (وما اوتى النبيون) جملة المذكورين منهم وغير المذكورين (من ربهم) فى موضع الحال من العائد المحذوف والتقدير وبما اوتيه النبيون منزلا عليهم من ربهم (لا نفرق بين احد منهم) كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض وكيف نفعل ذلك والدليل الذى اوجب علينا ان نؤمن ببعض الانبياء وهو تصديق الله اياه بخلق المعجزات على يديه يوجب الايمان بالباقين فلو آمنا ببعضهم وكفرنا بالبعض لناقضنا انفسنا والجملة حال من الضمير فى آمنا وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لا يستلزم عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما أوتوه واحد فى معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه (ونحن له مسلمون) اى والحال انا مخلصون لله تعالى ومذعنون (فان آمنوا) اى اليهود والنصارى (بمثل ما) اى بمثل الدين الذى (آمنتم به) هذا من باب التعجيز والتبكيت اى الزام الخصم والجائه الى الاعتراف بالحق بارخاء عنانه وسد طرق المجادلة عليه والمثل مقحم والمعنى فان آمنوا بما آمنتم به وهو الله تعالى فانه ليس لله تعالى مثل وكذا لدين الاسلام (فقد اهتدوا) الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق (وان تولوا) اى ان اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشىء من ذلك كأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم ودينهم (فانما هم فى شقاق) اى مستقرون فى خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون فقوله فى شقاق خبر لقوله هم وجعل الشقاق ظرفا لهم وهم مظروفون له مبالغة فى الاخبار باستيلائه عليهم فانه ابلغ من قولك هم مشاقون والشقاق مأخوذ من الشق وهو الجانب فكأن كل واحد من الفريقين فى شق غير شق صاحبه بسبب العداوة وللدلالة تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدى الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصرة والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين للتأكيد الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل (فسيكفيكهم الله) الضميران منصوبا المحل على انهما مفعولان لكفى يقال كفاه مؤنته كفاية وان كثر استعماله معدى الى واحد نحو كفاك الشىء والظاهر ان المفعول الثانى حقيقة فى الآية هو المضاف المقدر اى فسيكفى الله اياك امر اليهود والنصارى وبدفع شرهم عنك وينصرك عليهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز الله وعده الكريم بالقتل والسبى فى بنى قريظة والجلاء والنفى الى الشام وغيره فى بنى النضير والجزية والذلة فى نصارى نجران (وهو السميع العليم) تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما فى نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك (صبغة الله) الصبغ ما يلون به الثياب والصبغ المصدر والصبغة الفعلة التى تبنى للنوع

والحالة

والحالة من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع الصبغ عليها وهى اى الصبغة فى الآية مستعارة لفطرة الله التى فطر الناس عليها شبهت الخلقة السليمة التى يستعد بها العبد للايمان وسائر أنواع الطاعات بصبغ الثوب من حيث ان كل واحدة منهما حلية لما قامت هى به وزينة له والتقدير صبغنا الله صبغة اى فطرنا وخلقنا على استعداد قبول الحق والايمان فطرته فهذا المصدر مفعول مطلق مؤكد لنفسه لانه مع عامله المقدر بعينه وقع مؤكدا لمضمون الجملة المقدمة وهو قوله آمنا بالله لا يحتمل لها من المصادر الا ذلك المصدر لان ايمانهم بالله يحصل بخلق الله اياهم على استعداد اتباع الحق والتحلي بحلية الايمان ويحتمل ان يكون التقدير طهرنا الله تطهيره لان الايمان يطهر النفوس من اوضار الكفر وسماه صبغة للمشاكلة وهى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوع ذلك الشئ فى صحبة الغير اما بحسب المقال المحقق او المقدر بأن لا يكون ذلك الغير مذكورا حقيقة ويكون فى حكم المذكور لكونه مدلولا عليه بقرينة الحال فهى كما تجرى بين فعلين كما هنا تجرى بين قولين كما فى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك فانه عبر عن ذات الله تعالى بلفظ النفس لوقوعه فى صحبة لفظ النفس وعبر عن لفظ الفطرة بلفظ الصبغة لوقوعه فى صحبة صبغة النصارى اذ كانوا يشتغلون بصبغ اولادهم فى سابع الولادة مكان الختان للمسلمين بغمسهم فى الماء الاصفر الذى يسمونه المعمودية على زعم ان ذلك الغمس وان لم يكن مذكورا حقيقة لكنه واقع فعلا من حيث انهم يشتغلون به فكان فى حكم المذكور بدلالة قرينة الحال عليه من حيث اشتغالهم به ومن حيث ان الآية نزلت ردا لزعمهم ببيان ان التطهير المعتبر هو تطهير الله عباده لا تطهيرا اولادكم بغمسهم فى المعمودية وهى اسم ماء غسل به عيسى عليه السلام فمزجوه بماء آخر وكلما استعملوا منه جعلوا مكانه ماء آخر (ومن احسن) مبتدأ وخبر والاستفهام فى معنى الجحد (من الله صبغة) نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما والمعنى اى شخص تكون صبغته احسن من صبغة الله فانه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر وانجاس الشرك فلا صبغة احسن من صبغته (ونحن له) اى لله الذى اولانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكرا له ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل تحت الامر وهو قولوا فاذا كان حرفة العبد العبادة فقد زين نفسه بصبغ حسن يزينه ولا يشينه (وفى المثنوى) * كاورانك ازبرون مردرا * ازدرون جورنك سرخ وزردرا * رنكهاى نيك ازخم صفاست * رنك زشتان ازسياهابه جفاست * صبغة الله نام آن رنك لطيف * لعنة الله بوى اين رنك كثيف * وفى قوله تعالى ونحن له عابدون اشارة الى ان العارفين يعبدون ربهم لا لشوق الجنة ولا لخوف النار قال الله تعالى فى الزبور ومن اظلم ممن عبدنى لجنة اونار فلو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن مستحقا لان اعبد واعلم ان العابد هو العامل بحق العبودية فى مرضاة الله تعالى والعبادة دون العبودية وهى دون العبودة لان من لم يبخل بروحه فهو صاحب عبودة فالعبادة ببذل الروح فوق العبادة ببذل النفس قال سهل بن عبد الله لا يصح التعبد لاحد حتى لا يجزع من اربعة اشياء من الجوع والعرى والفقر والذل قال الشيخ ابو العباس رحمه الله اوقات العبد أربعة لا خامس لها الطاعة والمعصية والنعمة والبلية ولكل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله تعالى ومن كان وقته البلية فسبيله الرضى والصبر فعليك ان تراقب الاوقات الى ان تصل اعلى الدرجات وغاية الغايات (وفى المثنوى) كافرم من كرزيان كردست كس * دررهء ايمان وطاعت يكنفس * سرشكسته نيست اين سررامبند * يك دوروزه جهد كن باقى بخند * تازه كن ايمان نه ازكفت زبان * اى هوارا تازه كرده درنهان * تاهوا تازه ست ايمان تازه نيست * كين هوا جزقفل آن دروازه نيست * (روى) ان السرى قدس سره قال مكثت عشرين سنة اخرس خلق الله تعالى فلم يقع فى شبكتى الا واحد كنت اتكلم فى المسجد الجامع ببغداد يوم الجمعة وقلت عجبت من ضعيف عصى قويا فلما كان يوم السبت وصليت الغداة اذا انا بشاب قد وافى وخلفه ركبان على دواب بين يديه غلمان وهو راكب على دابته فنزل وقال ايكم السرى السقطى فأومأ جلسائى الى فسلم على وجلس وقال سمعتك تقول عجبت من ضعيف عصى قويا فما اردت به فقلت ما ضعيف اضعف من ابن آدم ولا قوى اقوى من الله تعالى وقد تعرض ابن آدم مع ضعفه الى معصية الله تعالى قال فبكى ثم قال ياسرى هل يقبل ربك غريقا مثلى قلت ومن ينقذ الغرقى الا الله تعالى

قال يا سرى ان على مظالم كثيرة كيف اصنع قال اذا صحت الانقطاع الى الله تعالى ارضى عنك الخصوم * بلغنا عن النبى عليه السلام انه قال اذا كان يوم القيامة واجتمع الخصوم على ولى الله وكل الكل منهم ملكا يقول لاتروعوا ولى الله فان حقكم اليوم على الله تعالى فبكى ثم قال صف لى الطريق الى الله فقلت ان كنت تريد المقتصدين فعليك بالصيام والقيام وترك الآثام وان كنت تريد طريق الاولياء فاقطع العلائق واتصل بخدمة الخالق فبكى حتى بل منديلا له ثم انصرف وكان من امره كيت وكيت من ترك الاهل والعيال والسكون عند المقابر وتغيير الحال حتى توفى ذلك الشاب على الحالة التى اقبل عليها قال السرى فخلمت يوما عيناى فاذا به يرفل فى السندس والاستبرق ويقول لى جزاك الله خيرا فقلت ما فعل الله بك قال ادخلنى الجنة ولم يسألنى عن ذنب انتهى (قل اتحاجوننا) المحاجة المجادلة ودعوى الحق واقامة الحجة على ذلك من كل واحد والهمزة للانكار والتوبيخ وسبب نزول هذه الآية ان اليهود والنصارى قالوا ان الانبياء كانوا منا وعلى ديننا وديننا اقدم فقال الله تعالى قل يا محمد لليهود والنصارى أتجادلوننا وتخاصموننا (فى الله) اى فى دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا اونصارى وتارة كونوا هودا اونصارى تهتدوا (وهو ربنا وربكم) اى والحال لانه لاوجه للمجادلة اصلا لانه تعالى مالك امرنا وامركم (ولنا اعمالنا) الحسنة الموافقة لامره (ولكم اعمالكم) السيئة المخالفة لحكمه فكيف تدعون انكم اولى بالله (ونحن له) اى لله تعالى (مخلصون) فى تلك الاعمال لانبتغى بها الاوجهه فأنى لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع فى دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وانتم به مشركون والاخلاص تصفية العمل عن الشرك والرياء وحقيقته تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين (ام تقولون) ام معادلة للهمزة فى قوله تعالى أتحاجوننا داخلة فى حيز الامر على معنى اى الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون (ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهى حفدة يعقوب وهم اولاد اولاده الاثنى عشر وعن الزجاج انه قال الاسباط فى ولد اسحق بمنزلة القبائل فى ولد اسماعيل فولد كل واحد من ولد اسحق سبط ومن ولد اسماعيل قبيلة (كانوا هودا اونصارى) فنحن مقتدون بهم والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما اى كيف تحاجون وكيف تقولون فى حق الانبياء الذين بعثوا قبل نزول التوراة والانجيل انهم كانوا هودا اونصارى ومن المحال ان يقتدى المتقدم بالمتأخر ويستن بسنته (قل) يا محمد (أأنتم) الاستفهام للتقرير والتوبيخ (اعلم) بدينهم (ام الله) اعلم (ومن اظلم) انكار لان يكون احد اظلم فالاستفهام بمعنى النفى (ممن كتم) اى ستر واخفى عن الناس (شهادة) ثابتة (عنده) اى عنده من كائنة (من الله) قوله عنده ومن الله صفتان لشهادة اى شهادة حاصلة عنده صادرة من الله تعالى يعنى يا اهل الكتاب قد علمتم بشهادة حصلت عندكم صادرة من الله تعالى بأن ابراهيم وبنيه كانوا احنفاء مسلمين بأن اخبركم الله بذلك فى كتابكم ثم انكم تكتمونها وتدعون خلاف ما شهد الله به فى حقهم فلا احد اظلم منكم حيث اجترأتم على تكذيب الله تعالى فيما اخبر به وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها فى الظلم خارجة عن دائرة البيان وعن ابن عباس أكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة قال تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه والمراد مسخ القلب ونعوذ بالله من ذلك (وما الله بغافل عما تعملون) ما موصولة عامة لجميع ما يكتسب بالجوارح الظاهرة والقوى الباطنة ويدخل فيه كتمان شهادة الله دخولا اوليا اى هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب (تلك امة) اى الانبياء جماعة (قد خلت) اى مضت بالموت (لها ما كسبت) من الاعمال (ولكم ما كسبتم) منها (ولا تسألون عما كانوا يعملون) اى لا يسأل احد عن عمل غيره بل يسأل عن عمله ويجزى به وهذا تكرير للآية السابقة بعينها للمبالغة فى الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم قال الله تعالى فاذا نفخ فى الصور فلا انساب (قيل) لما انصرف هارون الرشيد من الحج اقام بالكوفة اياما فلما خرج وقف بهلول المجنون على طريقه وناداه بأعلى صوته يا هارون ثلاثا فقال هارون من الذى ينادينى تعجبا فقيل له بهلول المجنون فوقف هارون وامر برفع الستر وكان يكلم الناس وراء الستر فقال له ألم تعرفنى قال بلى اعرفك فقال من انا قال انت الذى لو ظلم احد فى المشرق وانت فى المغرب سألك الله عن ذلك يوم القيامة فبكى هارون

وقال

وقال كيف ترى تعالى قال اعرضه على كتاب الله وهى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وقال ابن اعمالنا
قال انما يتقبل الله من المتقين قال واين قرابتنا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاذا نفخ فى الصور
فلا انساب بينهم قال واين شفاعة رسول الله لنا قال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا
فلا بد من الاعمال الصالحة والاخلاص فيها فان الله يتقبلها لا غيرها قال الجنيد الاخلاص سر بين العبد وبين الله
تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله قال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء
والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك عنهما وفى التتارخانية لو افتتح الصلاة خالصا لله تعالى
ثم دخل فى قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء على انه لو خلا عن الناس لا يصلى ولو كان مع الناس يحسنها
ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب اصل الصلاة دون الاحسان قال بعض الحكماء مثل من يعمل الطاعة للرياء
والسمعة كمثل رجل يخرج الى السوق وقد ملأ كيسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس فلان ولا منفعة له
سوى مقالة الناس وفى الحديث اخلصوا اعمالكم لله تعالى فان الله تعالى لا يقبل الا ما خاص له ولا تقولوا
هذا لله وللرحم وليس لله تعالى منه شئ ومن احاديث المشارق لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله
قال النووى المراد الذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم اولموسى اوغيرهما ذكر الشيخ ابراهيم المراودى ان ما يذبح
عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارى بتحريمه لانه مما اهل به لغير الله وقال الرافعى هذا غير محرم لانهم
انما يذبحونه استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم انتهى كلامه وعليه
تحمل افعال المسلمين صيانة لهم عن الكفر وضياع الاعمال فان الموحد مطمح نظره رضى مولاه والتعبد اليه
بما تيسر له من القربات اللهم اعصمنا من الزلات (سيقول السفهاء) اى الذين ضعفت عقولهم حال كونهم
(من الناس) اى الكفرة يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وانما كانوا سفهاء لانهم
راغبون عن ملة ابراهيم وقد قال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه اى أذلها بالجهل والاعراض
عن النظر وفائدة تقديم الاخبار به قبل وقوعه ليوطنوا عليه انفسهم فلا يضطربوا عند وقوعه لان مفاجأة المكروه
اشد على النفوس واشق وليعلمهم الجواب فان العتيد قبل الحاجة اليه اردّ لشغب الخصم الالد وقبل الرمى
يراش السهم وهو مثل يضرب فى تهيئة الآلة قبل الحاجة اليها (ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها)
ما استفهامية انكارية مرفوعة المحل على الابتداء وولاهم خبره والجملة فى موضع النصب بالقول يقال ولى
عن ذلك اى انصرف وولى غيره اى صرفه والقبلة فى الاصل الحالة التى عليها الانسان من الاستقبال فنقلت
فى عرف الشرع الى الجهة التى يستقبلها الانسان للصلاة وهى من المقابلة وسميت قبلة لان المصلى يقابلها والمعنى
اى شئ صرفهم وحولهم عن قبلتهم التى كانوا على التوجه اليها وهى بيت المقدس ولم انصرفوا منها الى الكعبة
روى ان النبى عليه السلام صلى الى نحو بيت المقدس بعد مقدمه المدينة نحوا من سبعة عشر شهرا تألفا لقلوب
اليهود ثم صارت الكعبة قبلة المسلمين الى نفخ الصور (قل) كانه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل (لله المشرق
والمغرب) اى الامكنة كلها والنواحى بأسرها لله تعالى ملكا وتصرفا فلا يستحق شئ منها لذاته ان يكون قبلة
حتى يمتنع اقامة غيره مقامه والشئ من الجهات انما يصير قبلة بمجرد أن الله تعالى امر بالتوجه اليه فله ان يأمر
فى كل وقت بالتوجه الى جهة من تلك الجهات على حسب الوهيته واستيلائه ونفاذ قدرته ومشيئته
فانه لا يسأل عما يفعل بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فاللائق بالمخلوق ان يطيع خالقه ويأتمر بأمره من غير
ان يتحرى خصوصية فى المأمور به زائدة على مجرد كونه مأمورا به فان الطاعة له ليس الا بارتسام امره
اى امتثاله لا بتحرى العلل والاغراض الداعية له تعالى الى الامر لان احكام الله تعالى وافعاله ليست معللة
بالدواعى والاغراض واليهود انما استقبلوا جهة المغرب واتخذوها قبلة اتباعا لهوى انفسهم حيث زعموا
ان موسى عليه السلام كان فى جانب المغرب فاكرمه الله تعالى بوحيه وكلامه كما قال تعالى وما كنت بجانب الغربى
اذ قضينا الى موسى الامر والنصارى ايضا اتخذوا جهة المشرق قبلة اتباعا لهواهم حيث زعموا أن مريم عليها
السلام حين خرجت من بلدها مالت الى جانب الشرق كما قال الله تعالى واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت
من اهلها مكانا شرقيا والمؤمنون استقبلوا الكعبة طاعة لله تعالى وامتثالا لامره لا ترجيحا لبعض الجهات
المتساوية بمجرد رأيهم واجتهادهم مع انها قبلة خليل الله تعالى ومولد حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم (يهدى

من يشاء الى صراط مستقيم) وهو التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى ووجه استقامته كونه مشتملا على الحكمة والمصلحة موافقا لهما قال بعض ارباب الحقيقة سمى الطاعنين من اليهود والمشركين والمنافقين سفهاء لاحتجاب عقولهم عن حقية دين الاسلام ولو ادركوا الحق مطلقا لاخلصوه كما اخلص المؤمنون فلم تبق محاجتهم معهم ولو كانت عقولهم رزينة لاستدلت بالآيات وانكروا التحويل لانهم كانوا معتدين بالجهة فلم يعرفوا التوحيد الوافى بالجهات كلها (قال المولى الجامى) * جهان مرآت حسن شاهد ماست * فشاهد وجهه فى كل ذرات (وكذلك) اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اى كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم (جعلناكم) توحيد الخطاب فى كذلك مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين (امة وسطا) اى خيارا لان الاوساط محمية محوطة والاطراف يتسارع اليها الخلل (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم (ويكون الرسول) اى محمد صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) ان قلت ان الشاهد اذا اضر بشهادته عديت الشهادة بكلمة على واذا نفع بها تعدى باللام فيقال شهد له والرسول عليه السلام لما زكى امته وعدلهم بشهادته انتفعوا بها فالظاهر ان يقال ويكون الرسول لكم شهيدا بخلاف شهادة الامة على الناس فانها شهادة عليهم حيث استضروا بها فكلمة على فيها واقعة فى موضعها قلت هذا مبنى على تضمين الشهيد معنى الرقيب والمطلع فعدى تعديته والوجه فى اعتبار تضمين الشهيد الاشارة الى ان التعديل والتزكية انما يكون عن خبرة ومراقبة بحال الشاهد فاذا شاهد منه الرشد والصلاح عدله وزكاه واثنى عليه والا سكت عنه وقدمت صلة الشهادة اى عليكم لاختصاصهم بشهادته صلى الله عليه وسلم على سبيل التزكية والتعديل وهو لا ينافى شهادته صلى الله عليه وسلم للانبياء بالتبليغ وعلى منكرى التبليغ بالتكذيب (روى) ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون فيقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير فيسأل الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانهم اتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد عليه الصلاة والسلام فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم فيؤمر بالكفار الى النار قال بعض ارباب الحقيقة معنى شهادتهم على الناس اطلاعهم بنور التوحيد على حقوق الاديان ومعرفتهم لحق كل دين وحق كل ذى دين من دينه وما طلهم الذى لبس حقهم الذى هو مخترعات نفوسهم وطريق الحق واحد فمن تحقق بحق دين تحقق بحق سائر الاديان وخاصة دين الاسلام الذى هو الحق الاعظم ومعنى شهادة الرسول عليهم اطلاعه على رتبة كل متدين بدينه وحقيقته التى هو عليها من دينه وحجابه الذى هو به محجوب عن كمال دينه فهو يعرف ذنوبهم وحقيقة ايمانهم واعمالهم وحسناتهم وسيئاتهم واخلاصهم ونفاقهم وغير ذلك بنور الحق وامته يعرفون ذلك من سائر الامم بنوره عليه الصلاة والسلام قال بعضهم جعلنا سبحانه وتعالى آخر الامم تشريفا لحبيبه وامته لانه لو قدمنا لاحتجنا ان ننتظر فى قبورنا قدوم الامم الماضية فجعلهم سبحانه وتعالى فى انتظارنا تشريفا لنا وايضا جعلنا آخر الامم لنكون يوم القيامة شهداء على جميع الامم الماضية ويكفى شرفا لهذه الامة المرحومة ما قال صلى الله عليه وسلم فى حق علمائهم علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل وذكر الراغب الاصفهانى فى المحاضرات انه قال الامام الشاذلى صاحب حزب البحر اضطجعت فى المسجد الاقصى فرأيت فى المنام قد نصب تخت خارج الاقصى فى وسط الحرم فدخل خلق كثير أفواجا أفواجا فقلت ما هذا الجمع فقالوا جمع الانبياء والرسل قد حضروا ليشفعوا فى حسين الحلاج عند محمد عليه افضل الصلاة والسلام لاساءة ادب وقعت منه فنظرت الى التخت فاذا نبينا محمد عليه السلام جالس عليه بانفراده وجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الارض جالسون مثل ابراهيم وموسى وعيسى ونوح فوقفت انظر واسمع كلامهم فخاطب موسى نبينا عليه الصلاة والسلام وقال له انك قد قلت علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل فأرنا منهم واحدا فقال هذا واشار الى الامام الغزالى فسأله موسى سؤالا فأجابه بعشرة اجوبة فاعترض عليه موسى بان السؤال ينبغى ان يطابق الجواب والسؤال واحد والجواب عشرة فقال الامام هذا الاعتراض وارد عليك ايضا حين سئلت وما تلك بيمينك يا موسى وكان الجواب عصاى فعددت صفات كثيرة

قال فبينما انا متفكر فى جلالة قدر محمد عليه السلام وكونه جالسا على التخت بانفراده والخليل والكليم والروح جالسون على الارض اذرفسنى شخص برجله رفسة مزعجة فانتبهت فاذا بقيم ثم غاب عنى فلم اجده الى يومى هذا ومن هذا قال

وانسب الى ذاته ماشئت من شرف * وانسب الى قدره ماشئت من عظم

اللهم يسر لنا شفاعته (وما جعلنا القبلة) مفعول اول لجعلنا (التى كنت عليها) مفعول ثان له بتقدير موصوف اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة لانه عليه السلام كان مأمورا بان يصلى الى الكعبة وهو بمكة ثم لما هاجر امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس التى منها يصعد الملائكة الى السماء ثم اعيد الى ما كان عليه اولا والمعنى ما رددناك الى ما كنت عليه اى على استقباله والتوجه اليه وما جعلنا ذلك لشئ من الاشياء (الا لنعلم من يتبع الرسول) فى التوجه الى ما امر به (ممن ينقلب) اى ينصرف ويرجع (على عقبيه) العقب مؤخر القدم والانقلاب على العقبين مستعار للارتداد والرجوع عن الدين الحق الى الباطل ومعنى لنعلم ليظهر علمنا على مظاهر الرسول والمؤمنين وتميز عندهم الثابت على الاسلام الصادق فيه من المتردد الذى يرتد بادنى سبب لقلقه وضعف ايمانه لانه لم يعلم حالهم فعلم لانه تعالى كان عالما فى الازل بهم وبكل حال من احوالهم التى تقع فى كل زمان من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان الذى تقع فيه تلك الحال وكل من يعلم شيأ فانما يعلم بان يظهر ذلك العلم فيه ويقرب من هذا ما قيل المعنى ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده هذا هو المعنى الذى اختاره القاشانى فى تأويلاته وزيف ما عداه والعلم فى قوله لنعلم بمعنى المعرفة اى لنعرف الذى يتبع الرسول فلا يحتاج الى مفعول ثان فان قيل ان الله لا يوصف بالمعرفة فلا يقال الله عارف فكيف يكون العلم بمعنى المعرفة هنا قلت انما لا يوصف بها اذا كانت بمعناها المشهور وهو الادراك المسبوق بالعدم واما اذا كانت بمعنى الادراك الذى لا يتعدى الى مفعولين فيجوز ان يوصف الله بها وقوله ممن ينقلب حال من فاعل يتبع اى متميزا منه (وان كانت) اى القبلة المحولة (لكبيرة) اى شاقة ثقيلة على من يألف التوجه الى القبلة المنسوخة فان الانسان ألوف لما يتعوده يثقل عليه الانتقال منه وان هى المخففة من المثقلة واسمها محذوف وهو القبلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية كما فى قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا (الا على الذين هدى الله) اى هداهم الى حكمة الاحكام وأرشدهم وعرّفهم ان ما كلفه عباده متضمن لحكمة لا محالة وان لم يهتدوا الى خصوصية تلك الحكمة بعينها فيقنوا بذلك ان السعيد الفائز من اطاع ربه الحكيم وان الشقى الخاسر من عصى ربه العليم ثم بين انهم مثابون على ذلك الثبات والاتباع وان ذلك غير ضائع منهم فقال (وما كان الله) مريدا (ليضيع ايمانكم) اى ثباتكم على التصديق بجميع ما جاء به النبى عليه السلام من غير ان ترتابوا فى شئ من ذلك (ان الله بالناس) متعلق بروف (لرؤف) اى ذو رحمة عظيمة لهم حيث نقلهم برحمته من ذلك الى هذا وهو اصلح لهم (رحيم) يغفر ذنوبهم بالايمان وايصال الرزق (قال السعدى) فروماند كانرا برحمت قريب * تضرع كنانرا بدعوت مجيب * روى انه اخذ بعض امرآء الكفار وكان جائرا قاتلا فى زمن داود عليه السلام فصلب فوق الجبل عشاء ورجع الناس الى منازلهم وبقى هذا على الخشبة وحده وتضرع الى آلهته فلم يغنوا عنه شيأ ثم رجع الى الله وقال انت الله الحق اتيت اليك لتغيثنى فاغثنى برحمتك قال الله تعالى يا جبريل ان هذا اعبد آلهته طويلا فلم ينتفع ففزع الى ودعانى فاستجبت له فاهبط الى الارض وضعه على الارض فى سلامة وعافية ففعل فلما اصبحوا رأوه وهو حى يصلى لله تعالى فاخبروا داود بذلك فدعا الله فيه مستكشفا امره فاوحى الله اليه يا داود انى ارحم من آمن بى ودعانى فان لم افعل فاى فرق بينى وبين آلهته * واعلم ان جماعة قد ارتدوا عن الاسلام عند تحويل القبلة لتعلقهم بما سوى الله تعالى وعدم فنائهم فى الله ورضاهم بما يجيئ عليهم من القضاء فأخذتهم الكدرة كالسيل واما الذين سعدوا بسعادة ازلية فلم يتعلقوا فى الحقيقة ببيت المقدس ولا بالكعبة بل الرب الخالق لهما ولغيرهما وفنوا عن ارادتهم لجاءت ارادة الله لهم كالشهد المصفى فأخذهم السرور والصفا (قال الصائب) مهياى فنارا ازعلايق نيست پروايى * نبند بشد زخارآنكس كه دامان بركرد ارد * ذكر ان ابا القاسم الجنيد البغدادى لما رأوه فى وادى الوله ظنوا انه مرض اوجن فجعلوه فى دار الشفاء فزاره بعض من يدعى حبه فقال لهم من انتم فقالوا نحن احباؤك فرماهم بالاحجار ففروا من عنده

وقالوا قد غلب عليه الجنون فقال تدعون الحب باقوالكم وقد يكذبها افعالكم فالمحب من اسره ما اصابه من الحبيب فلذلك قد عد أشد البلاء عند الانبياء والاولياء ألذ من الحلوى فاكتسوا حلل التسليم والاصطبار وغاصوا فى لجج المكاشفات والمشاهدات واشتغلوا مع الجنان واللسان بالتوحيد وذكر الملك المنان حتى عدّوا الالتفات الى غيره ولو باكل لقمة من الموانع فلذلك ارتقوا فى الفناء والبقاء الى نهاية المبتغى ولما قال موسى عليه السلام رب ارنى انظر اليك قال ياموسى لن ترانى فى البساط الفانى اصبر حتى اجعله باقيا حتى ترانى ياموسى رعيت غنم شعيب عشر سنين اتريد ان ترانى بعبادة اربعين يوما ثم اصطفاه واعطاه ما اعطاه فلما رجع الى قومه رأى فى الطريق الجبل الاعلى فسال عنه متعجبا فقال الجبل ياموسى كنت ترعى الغنم فى وعلى رأسك قلنسوة وفى يدك عصا فالله الذى اصطفاك برسالاته وبكلامه لقد جعلنى الاعلى بفضله وانعامه اللهم اجعلنا على صراطك المستقيم واتباع رسولك الكريم واهدنا التوجه الى كعبة ذاتك والانجذاب اليك والوصول الى مشاهدتك (قد) لفظ قد فى المضارع للتقليل وقد استعمل ههنا للتكثير بطريق الاستعارة للمجانسة بين الضدين فى الضدية (نرى) مستقبل لفظا ماض معنى ومتأخر تلاوة متقدم معنى لانها رأس القصة والمعنى شاهدنا وعلمنا (تقلب وجهك) اى تردد وجهك فى تصرف نظرك (فى السماء) اى فى جهتها تطلعا للوحى وكان عليه السلام يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وأدعى للعرب الى الايمان من حيث انها كانت مفخرة لهم وامنا ومزارا ومطافا ولمخالفة اليهود فانهم كانوا يقولون انه يخالفنا فى ديننا ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر أين يستقبل فعند ذلك كره ان يتوجه الى قبلتهم حتى روى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وددت ان الله صرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فادع ربك وسله ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبريل بالذى سأل ربه فأنزل الله هذه الآية واول مانسخ من المنسوخات هو خمسون صلاة نسخت الى خمس للتخفيف ثم تحويل القبلة الى بيت المقدس بمكة امتحانا للمشركين بعد ان كان للمصلى ان يتوجه حيث شاء لقوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله ثم تحويلها من بيت المقدس الى الكعبة بالمدينة امتحانا لليهود كذا فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى (فلنولينك قبلة) اى فوالله لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اى صيرته واليا له وولى الرجل ولاية اى تمكن منه او فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس من وليه وليا اى قرب منه ودنا منه واوليته اياه ووليته اى ادنيته منه (ترضاها) مجاز عن المحبة والاشتياق لانه عليه السلام لم يكن ساخطا للتوجه الى بيت المقدس كارها له غير راض اى تحبها وتتشوق اليها لا لهوى النفس والشهوة الطبيعية بل لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اى اصرف وجهك اى اجعل وجهك بحيث يلى شطره ونحوه والمراد بالوجه ههنا جملة البدن لان الواجب على المكلف ان يستقبل القبلة بجملة بدنه لا بوجهه فقط ولعل تخصيص الوجه بالذكر التنبيه على انه الاصل المتبوع فى التوجه والاستقبال والمتبادر من لفظ المسجد الحرام هو المسجد الاكبر الذى فيه الكعبة والحرام المحرم اى المحرم فيه القتال او الممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له وفى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة جهة الكعبة باتفاق بين الحنفية والشافعية لان استقبال عينها للبعيد متعذر وفيه حرج عظيم بخلاف القريب (وحيثما كنتم) اى فى اى موضع كنتم من الارض من بحر او بر شرق او غرب واردتم الصلاة (فولوا وجوهكم شطره) فانه القبلة الى نفخ الصور امر لجميع المؤمنين بذلك بعد ما امر به النبى عليه السلام تصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد حثا للامة على المتابعة (وان الذين اوتوا الكتاب) من فريقى اليهود والنصارى (ليعلمون انه) اى التحويل الى الكعبة (الحق) اى الثابت كائنا (من ربهم) لما ان المسطور فى كتبهم انه عليه السلام يصلى الى القبلتين بتحويل القبلة الى الكعبة بعد ما كان يصلى الى بيت المقدس ومعنى من ربهم اى من قبله تعالى لاشئ ابتدعه الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه فانهم كانوا يزعمون انه من تلقاء نفسه (وما الله بغافل عما تعملون) خطاب للمسلمين واليهود جميعا على التغليب فيكون وعدا للمسلمين بالاثابة وجزيل الجزاء ووعيدا وتهديدا لليهود على عنادهم (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية) برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة هو الحق (ما تبعوا قبلتك) عنادا ومكابرة وهذا فى حق قوم

معينين علم الله انهم لايؤمنون فان منهم من آمن وتبع القبلة (وماانت بتابع قبلتهم) حسم لاطماعهم اذ كانوا اتناجوا فى ذلك وقالوا لوثبت على قبلتنا لكنا نرجوان يكون صاحبنا الذى ننتظره وطمعوا فى رجوعه الى قبلتهم (ومابعضهم بتابع قبلة بعض) فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لايرجى توافقهم كما لايرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه فالمحق منهم لايزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لايقلع عن باطله لشدة شكيمته فى عناده (ولئن اتبعت اهوآءهم) جمع هوى وهو الارادة والمحبة اى ولئن وافقتهم فى مراداتهم بان صليت الى قبلتهم مداراة لهم وحرصا على ايمانهم (من بعد ماجاءك من العلم) اى من بعد ماعلمت بالوحى القاطع ان قبلة الله هى الكعبة (انك اذا) حرف جواب وجزآء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير مابينهما من النسبة (لمن الظالمين) اى المرتكبين الظلم الفاحش وهذه الجملة الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من شانه ذلك اذا نهى عنه ورتب على فرض وقوعه مارتب من الانتظام فى سلك الراسخين فى الظلم فاظنك من ليس كذلك (قال فى المثنوى) تازه كن ايمان نه ان كفت زبان * اى هوارا تازه كرده درنهان * تاهوا تازه است ايمان تازه نيست * كين هوا جز قفل آن دروازه نيست (الذين آتيناهم الكتاب) ابناء فهم ودراسة وهم الاحبار (يعرفونه) اى الرسول صلى الله عليه وسلم (كما يعرفون ابناءهم) اى يعرفونه صلى الله عليه وسلم باوصافه الشريفة المكتوبة فى كتابهم لايشتبه عليهم كما لايشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون مابعم البنات لكون الذكور اشهر واعرف عندهم منهن وهم بصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق فان قيل لم لم يقل كما يعرفون انفسهم مع ان معرفة الشخص نفسه اقرب اليه من معرفة سائر الاشياء فالجواب ماقال الراغب لان الانسان لايعرف نفسه الابعد انقضاء برهة من دهره ويعرف ولده من حين وجوده (وان فريقا منهم) هم الذين كابروا وعاندوا الحق (ليكتمون الحق وهم يعلمون) ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الكعبة قبلة الله والباقون هم الذين آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولايكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما فى تضاعيفه فماهم بصدد الاظهار ولابصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد (الحق) الذى انت عليه يا محمد (من ربك) خبر لقوله الحق (فلا تكونن من الممترين) اى الشاكين فى كون الحق من ربك هذا خطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب امته ونهيهم عن الامترآء ومعنى نهى الامة عن الامترآء امرهم بضده الذى هو اليقين وطمأنينة القلب قال القشيرى حلهم مستكنات الحسد وسوء الاختيار على مكابرة ماعلموا بالاضطرار وكذلك المغمور فى ظلمات نفسه يلقى جلباب الحياء فلا ينجع فيه ملام ولا يرده عن انهماكه كلام قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى عندنا ثلاث مراتب احداها مرتبة التقليد وهى لعامة الناس والثانية مرتبة التحقيق والايقان وهى للمجتهدين كالائمة الاربعة ومن يحذو حذوهم والثالثة مرتبة المشاهدة والعيان فهى للكمل من اهل السلوك قال واذا لم تتطهر النفس من الاخلاق الرديئة لاتحصل المعارف الالهية وان كان كاملا فى العقل والعلوم الاترى ان الشيطان مع عقله وعلمه كيف استكبر وعصى امر الله تعالى لما فى نفسه من الكبر والحسد وكذلك حال اهل الكتاب فى امر القبلة وشأن النبى صلى الله عليه وسلم حيث لم ينفع العلم والمعرفة لخبث باطنهم فلابد من تزكية النفوس وتصفية القلوب والاستقامة فى باب الحق الى ان يأتى اليقين (حكى) ان يونس خدم شيخه طبق امره ثلاثين سنة بالصدق حتى تورم ظهره من نقل الحطب فلم يظهر وكان شيخه نظر له فنقل ذلك على سائر الطالبين وقالوا انه يخدم الشيخ على محبة بنته حتى تكلموا فى ذلك الشيخ فلما اتى بالحطب قال شيخه نعم الحطب المستقيم يا يونس فقال ان غير المستقيم لايليق بهذا الباب وماتكلموا فى حقه ليس على وجه النفاق بل لما رأوا انهم لايتحملون مايتحمل يونس اشكل عليهم الامر فحملوه على حب البنت وسؤال الشيخ ايضا وجواب يونس بهذا الوجه انما كان لارشادهم وازالة شبههم والا فالشيخ كان يعرف احوال يونس ولم يحصل له سوء ظن من كلامهم لان من كان مرشدا لايعرف حال المريد بكلام الغير فى المدح والذم ثم زوج الشيخ بنته له وقال حتى لايكون الاخوان كاذبين ولايحصل لهم الخجالة وكانت البنت متى قرأت القرآن يقف الماء فلم يمسها يونس الى آخر عمره وقال انا لا اليق بها فللسالك فى مرتبة الطبيعة ان يترك مقتضاها ويقتصر على قدر الكفاية من الاكل والشرب ولايتقيد بتدارك مانشتهيه طبيعته فان الخبر

فى محالّها ومن تربية النفس ان يجتنب عن حب الاموال والاولاد فانهما فتنة ومعينان لها على كبرها بكثرتهما واكثر الانفس لاتحب صرفها بل تدخرها لتزداد استكبارها وقد قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم فمادام لم تصلح الطبيعة والنفس لايصل الطالب الى مطلوبه ففى الحج اشارة الى ذلك فان قاصد البيت المكرم يترك استراحة بدنه ويبذل ماله الى ان يصل الى مشاهدته فكذلك قاصد رب البيت يفنى عن جميع ماسواه ويكون فى توجهه وحدانيا هيولانيا حتى يشاهد ببصيرته مايشاهد فالصلاة مستقبلا الى شطر المسجد الحرام عين التوجه الى الذات الاحدية لان الكعبة مثال صورى لحضرته تعالى وان المراد من الاستقبال اليها الاقبال اليه تعالى مع انه لايتقيد التوجه حقيقة لكن الاستقبال صورة رعاية للادب ودور مع الامر الالهى فان لله تعالى فى كل شئ حكمة ومصلحة ومن تخلص من القيود وانجذب الى الرب المعبود فقد تجلى له قوله فاينما تولوا فثم وجه الله وظهر له سر الظاهر والمظهر عاشق ديد ازدل برتاب * حضرت حق تعالى اندر خواب * دامنش راكرفت آن مغرور * كه ندارم من از تودست دكر * چون برآمد زخواب خوش درويش * ديد محكم كرفته دامن خويش * فطوبى لمن دار مع الامر الالهى وسلم من الاعتراض وتخلص من الانقباض وفنى عن اضافة الوجود الى نفسه وبقى بربه وبكمالاته اللهم اجعلنا من المهديين الى هذه الرتبة العظمى والكعبة العليا واصرفنا فى مسالكنا عن الانحراف الى شئ من الاخرة والدنيا (ولكل) اى لكل امة من الامم اعنى المسلمين واليهود والنصارى (وجهة) اى قبلة وجهة (هو) راجع الى كل (موليها) اى محوّل وموجه الى تلك الجهة وجهه فقبلة كل امة من اهل الاديان المختلفة مغايرة لقبلة الامة الاخرى (فاستبقوا الخيرات) اى الى الخيرات بنزع الجار والمراد جميع انواع الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين والمعنى لكل امة قبلة يتصلبون فى التوجه اليها بحيث لاينصرفون عنها الى القبلة الحق وان أتيتهم بكل آية دالة على ان القبلة هى الكعبة واذا كان الامر كذلك فاستبقوا انتم وبادروا الى الفعلات الخيرات وهى ماثبت انه من الله تعالى ولا تقتفوا اثر المكابرين المستكبرين الذين يتبعون اهوآءهم ويلقون الحق ورآء ظهورهم فانهم انما يستبقون الى الشر والفساد اذ ليس بعد الحق الا الضلال قال بعض اهل الحقيقة معناه كل قوم اشتغلوا بغيرنا عنا واقبلوا على غيرنا فكونوا معاشر العارفين لنا واشتغلوا بنا عن غيرنا فان مرجعكم الينا كما قال تعالى (اينما) اى فى اى موضع (تكونوا) انتم واعدآؤكم (يأت بكم الله جميعا) يحشركم الله الى المحشر للجزآء ويفصل بين المحق والمبطل فهو وعد لاهل الطاعة ووعيد لاهل المعصية (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع (ومن حيث خرجت) اى من اى مكان وبلد خرجت اليه للسفر (فول وجهك) عند صلاتك (شطر المسجد الحرام) تلقاءه فان وجوب التوجه الى الكعبة لايتغير بالسفر والحضر حالة الاختيار بل الحكم فى الاسفار مثله حالة الاقامة بالمدينة (وانه) اى هذا المأمور به وهو تحويل القبلة الى الكعبة (للحق من ربك) اى الثابت الموافق للحكمة (وما الله بغافل عما تعملون) فيجازيكم بذلك احسن جزآء فهو وعد للمؤمنين (ومن حيث خرجت) اليه فى اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم) ايها المؤمنون من اقطار الارض مقيمين او مسافرين وصليتم (فولوا وجوهكم) من محال الكم (شطره) كرر هذا الحكم وهو التحويل وتولية الوجه شطر المسجد لما ان القبلة لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة وتسويل الشيطان فبالحرى ان يؤكد امرها مرة غب اخرى مع انه قد ذكر فى كل مرة حكمة مستقلة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) متعلق بقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التوراة قبلته الكعبة واحتجاج العرب بانه يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته وقوله عليكم فى الاصل صفة حجة فلما تقدم عليها امتنع الوصفية لامتناع تقدم الصفة على الموصوف فانتصب على الحالية (الا الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس اى لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ماترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق لزم قبلة الانبياء ولا لاحد من العرب من اهل مكة الا للمعاندين منهم الذين قالوا بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها اخس الاباطيل لانهم كانوا يسوقونها مساقها ويوردونها موقعها فسميت حجة مجازا تهكما بهم (فلا تخشوهم) فلا تخافوهم فى توجهكم الى الكعبة وتظاهرهم

عليكم لسببه فان مطاعنهم لاتضركم شيئا (واخشونى) بامتثال امرى فلا تخالفوا امرى وما رأيته مصلحة لكم فانى ناصركم (ولاتم نعمتى عليكم) علة لمحذوف اى امرتكم بتولية الوجوه شطره لاتمامى النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة وما وقع من اوامر الله تعالى وتكاليفه واتمار المكلف بالتوجه الى حيث وجهه الله تعالى وان كان نعمة يتوصل به الى الثواب الجزيل الا ان امره تعالى بالتوجه الى قبلة ابراهيم تمام النعمة فى امر القبلة فان القوم كانوا يفتخرون باتباع ابراهيم فى جميع ما كانوا يفعلونه فلما وجهوا الى قبلته بعد ما صرفوا عنها لمصلحة حادثة فقد أصابوا اتمام النعمة فى امر القبلة فان نعمة الله تعالى على عباده ضربان موهوب ومكتسب فالموهوب نحو صحة البدن وسلامة الاعضاء وغيرهما والمكتسب نحو الايمان والعمل الصالح بامتثال الاوامر والاجتناب عن المناهى فان ذلك كله يؤدى الى سعادة الدارين (ولعلكم تهتدون) اى ولارادتى اهتدآءكم الى شعائر الملة الحنيفية وشرآئع الدين القويم (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم) متصل بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة اتماما كائنا كاتمامى اياها بارسال رسول كائن منكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فان ارسال الرسول لاسيما المجانس لهم نعمة لم تكافئها نعمة قط (يتلو عليكم آياتنا) وهو القرءان العظيم (ويزكيكم) اى يحملكم على ما تصيرون به ازكياء طاهرين من دنس الذنوب المكدرة لجوهر النفس لان شأن الرسل الدعوة والحث على اعمال يحصل بها طهارة نفوس الامة من الشرك والمعاصى لا تطهيرهم اياهم بمباشرتهم من اول الامر (ويعلمكم الكتاب) اى ما فى القرءآن من المعانى والاسرار والشرآئع والاحكام التى باعتبارها وصف القرءآن بكونه هدى ونورا فانه عليه السلام كان يتلوه عليهم ليحفظوا نظمه ولفظه فيبقى على ألسنة اهل التواتر مصونا من التحريف والتصحيف ويكون معجزة باقية الى يوم القيامة وتكون تلاوته فى الصلاة وخارجها نوعا من العبادة والقربة ومع ذلك كان يعلم ما فيه من الحقائق والاسرار ليهتدوا بهداه وانواره (والحكمة) هى الاصابة فى القول والعمل ولا يسمى حكيما الا من اجتمع له الامران كذا قال الامام من احكمت الشئ اى رددته عما لا يعنيه وكان الحكمة هى التى ترد عن الجهل والخطأ واعلم ان العمل بالقرءآن متفرع على معرفة معناه وهو متفرع على معرفة ألفاظه والتزكية غاية اخيرة لانها متفرعة على العمل لكنها قدمت فى الذكر نظرا الى تقدمها فى التصور (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) قال الراغب ان قيل ما معنى ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون وهل ذلك الا الكتاب والحكمة قيل عنى بذلك العلوم التى لا طريق الى تحصيلها الا من جهة الوحى على ألسنة الانبياء ولا سبيل الى ادراك جزئياتها وكلياتها الا به وعنى بالحكمة والكتاب ما كان للعقل فيه مجال فى معرفة شئ منه واعاد ذكر ويعلمكم مع قوله ما لم تكونوا تعلمون تنبيها على انه مفرد عن العلم المتقدم ذكره (فاذكرونى) بالطاعة لقوله عليه السلام من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وقراءته القرءآن ومن عصى الله فقد نسى الله وان كثرت صلاته وقرآءته القرءآن (اذكركم) بالثواب واللطف والاحسان وافاضة الخير وفتح ابواب السعادات واطلق على هذا المعنى الذكر الذى هو ادراك مسبوق بالنسيان والله تعالى منزه عن النسيان بطريق المجاز والمشاكلة لوقوعه فى صحبة ذكر العبد (واشكروا لى) على ما انعمت عليكم من النعم والذكر بالطاعة هو الشكر فقوله واشكروا لى امر بتخصيص شكرهم به تعالى لاجل افضاله وانعامه عليهم وان لا يشكروا غيره وجعل صاحب التيسير قوله تعالى فاذكرونى امرا بالقول وقوله واشكروا لى امرا بالعمل قال الراغب ان قيل ما الفرق بين شكرت لزيد وشكرت زيدا قيل شكرت له هو ان تعتبر احسانه الصادر عنه فتثنى عليه بذلك وشكرته اذا لم تلتفت الى فعله بل تجاوزت الى ذكر ذاته دون اعتبار احواله وافعاله فهو ابلغ من شكرت له وانما قال واشكروا لى ولم يقل واشكرونى علما بقصورهم عن ادراكه بل عن ادراك آلائه كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فأمرهم ان يعتبروا بعض افعاله فى الشكر لله (ولا تكفرون) بجحد النعم وعصيان الامر فان قيل لم قال بعد واشكروا لى ولا تكفرون ولم يقتصر على قوله واشكروا لى قلنا لو اقتصر على قوله واشكروا لى لكان يجوز أن يتوهم ان من شكره مرة او على نعمة ما فقد امتثل ولو اقتصر على قوله ولا تكفرون لكان يجوز ان يتوهم ان ذلك نهى عن تعاطى فعل قبيح دون حث على الفعل الجميل فجمع بينهما لازالة هذا التوهم ولان فى قوله ولا تكفرون تنبيها على ان ترك الشكر كفران فان قيل لم قال ولا تكفرون ولم يقل ولا تكفروا لى قيل خص الكفر به تعالى بالنهى عنه للتنبيه على انه اعظم قباحة بالنسبة الى كفر نعمه فان كفران النعم قد يعفى

عنه بخلاف الكفريه تعالى كذا فى تفسير الراغب الاصفهانى قال بعض العلماء لما خص الله هذه الامة بفضل قوة وكمال بصيرة بالنسبة الى بنى اسرائيل قال لهم يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم فأمرهم بذكر نعمه المنسية المغفول عنها بالنظر وامنها الى المنعم وقال لهذه الامة فاذكرونى فامرهم ان يذكروه بلا واسطة لقوة بصيرتهم (قال الصائب) درسر هرخام طينت نشأ منصور نيست * هرسفالى راصداى كاسة فغفور نيست * قال الامام الغزالى الذكر قد يكون باللسان وقد يكون بالقلب وقد يكون بالجوارح فذكرهم اياه باللسان ان يحمدوه ويسبحوه ويمجدوه ويقرأوا كتابه وذكرهم اياه بقلوبهم على ثلاثة انواع احدها ان يتفكروا فى الدلائل الدالة على ذاته وصفاته ويتفكروا فى الجواب عن الشبه العارضة فى ملك الله وثانيها ان يتفكروا فى الدلائل الدالة على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده فاذا عرفوا كيفية التكليف وعرفوا ما فى الفعل من الوعد وفى الترك من الوعيد سهل عليهم الفعل وثالثها ان يتفكروا فى اسرار مخلوقات الله تعالى حتى يصير كل ذرة من ذرات المخلوقات كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم القدس فاذا نظر العبد اليها انعكس شعاع بصره منها الى عالم الجلال وهذا المقام مقام لانهاية له واما ذكرهم اياه تعالى بجوارحهم فهو ان تكون جوارحهم مستغرقة فى الاعمال التى امروا بها وخالية عن الاعمال التى نهوا عنها وعلى هذا الوجه سمى الله تعالى الصلاة ذكرا بقوله فاسعوا الى ذكر الله فصار الامر بقوله اذكرونى متضمنا لجميع الطاعات ولهذا ذكر عن سعيد بن جبير أنه قال اذكرونى بطاعتى فأجمله حتى يدخل فيه جميع انواع الذكر واقسامه انتهى كلام الامام قال لقمان لابنه يابنى اذا رأيت قوما يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك وان تك جاهلا علموك ولعل الله يطلع عليهم برحمته فيصيبك معهم واذا رأيت قوما لا يذكرون فلا تجلس معهم فانك ان تك عالما لا ينفعك علمك وان تك جاهلا يزيدوك جهلا اوغيا ولعل الله يطلع عليهم بسخطه فيصيبك معهم اللهم اجعلنا من الذاكرين (يا أيها الذين آمنوا استعينوا) فى كل ما تأتون وما تذرون (بالصبر) على الامور الشاقة على النفس كالصبر عن المعاصى وحظوظ النفس (والصلاة) التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناب رب العالمين روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وتلا هذه الآية وانما خص الصبر والصلاة بالذكر لان الصبر أشد الاعمال الباطنة على البدن والصلاة اشد الاعمال الظاهرة عليه لانها مجمع انواع الطاعات من الاركان والسنن والاداب والحضور والخضوع والتوجه والسكون وغير ذلك مما لا يتيسر حفظه الا بتوفيق الله تعالى قال عصام الدين قدم الترك على الفعل لان التخلية قبل التحلية ولهذا قدم النفى فى كلمة التوحيد واكتفى بذكر الصلاة لان الخطاب لكل من المؤمنين والمشترك بين الجميع بعد الايمان الصبر عن المعاصى والصلاة واما الزكاة فمختصة باصحاب النصاب واما الحج فبأصحاب الاستطاعة والصوم صبر عن معصية الاكل والشرب وغيرهما (ان الله مع الصابرين) بالنصرة واجابة الدعوة فمعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة لهما ودخول مع على الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية قال عصام الدين فى التفسير الاجل ان الله مع الصابرين لان الصابرين لا يذهلون عن ذكره بخلاف المجتنبين عن الصبر فان قلوبهم لاهية عن ذكر الله والقلب اللاهى عنه ممتلئ من هموم الدنيا وان كانت الدنيا باسرها له انتهى كلامه ان قيل لم قال ان الله مع الصابرين ولم يقل مع المصلين وقال فى الآية الاخرى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة فاعتبر الصلاة دون الصبر قيل لما كان فعل الصلاة اشرف واعلى من الصبر اذ قد ينفك الصبر عن الصلاة ولا تنفك الصلاة عن الصبر ذكرهنا الصابرين فمعلوم انه تعالى اذا كان مع الصابرين فهو لا محالة يكون مع المصلين بطريق الاولى وقال هنالك لكبيرة فذكر الصلاة دون الصبر تنبيها على انها اشرف منزلة من الصبر واعلم ان الصبر الذى هو تحمل المشاق من غير جزع واضطراب ذريعة الى فعل كل خير ومبدأ كل فضل فان اول التوبة الصبر عن المعاصى واول الزهد الصبر عن المباحات واول الارادة الصبر وطلب ترك ماسوى الله تعالى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وقال الصبر خير كله فمن تحلى بحلية الصبر سهل عليه ملابسة الطاعات والاجتناب عن المنكرات وكذا الصلاة قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر صبركن حافظ بسختى روز وشب * عاقبت روزى بيابى كام را * وفى الحديث اذا جمع الله الخلائق نادى مناد اين اهل الفضل قال فيقوم ناس وهم يسيرون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة

فيقولون انا نرا كم سراعا الى الجنة فمن انتم قالوا نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم قالوا كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسئ الينا عفونا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العالمين ثم ينادى مناد اين اهل الصبر فيقوم ناس يسيرون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون انا نرا كم سراعا الى الجنة فمن انتم فيقولون اهل الصبر فيقولون ما كان صبركم قالوا كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصى الله فيقال لهم ادخلوا الجنة ثم ينادى مناد اين المتحابون فى الله فيقوم ناس يسيرون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون من انتم فيقولون نحن المتحابون فى الله فيقولون وما كان تحابكم فى الله قالوا كنا نتحاب فى الله والجنة كذا فى نزهة القلوب (ولا تقولوا) نزلت فى شهدآء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وكان الناس يقولون (لمن يقتل) فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فانزل الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل القتل نقض البنية الحيوانية (فى سبيل الله) وهو الجهاد لانه طريق الى ثواب الله ورحمته (اموات) اى هم اموات (بل احياء) اى كالاحياء فى الحكم لا ينقطع ثواب اعمالهم لانهم قتلوا لنصرة دين الله فادام الدين ظاهرا فى الدنيا وأحد يقاتل فى سبيل الله فلهم ثواب ذلك لانهم سنوا هذه السنة (ولكن لا تشعرون) كيف حالهم فى حياتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية وانما هى امر روحانى لا يدرك بالعقل بل بالوحى وفى الآية دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه الجمهور فان قلت الحياة الروحانية المستتبعة لادراك اللذة والالم مشتركة فى الجميع فما وجه تخصيص الشهدآء بها قلت لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ومن لم يبلغ منزلتهم لا تكون حياته معتدا بها فكانه ليس بحى قال تعالى فى حق اهل النار لا يموت فيها ولا يحيى واعلم ان نفس الانسان وذاته الذى هو مخاطب مكلف مامور منهى بأوامر الله ونواهيه جسمانى لطيف سارى فى هذا البدن المحسوس سريان النار فى الفحم وماء الورد فى الورد وهو الذى يشير اليه كل احد بقوله انا وهو الانسان حقيقة وهو الولى والنبى والمثاب والمعاقب على اعماله وهو كان فى صلب آدم حين سجد له الملائكة وهو الذى سأله الله بقوله ألست بربكم قالوا بلى وهو الذى يتوفى فى المنام ويخرج ويسرح ويرى الرؤيا فيسر بما يرى او يحزن فان امسكه الله ولم يرجع الى جسده تبعه الروح والجسد الكثيف المعبر عنه بالبدن والروح السلطانى محل تعينه هو القلب الصنوبرى والروح الحيوانى محل تعينه هو الدماغ ويقال له القلب والعقل والنفس ايضا سرى فى جميع اعضاء البدن الا ان سلطانه قوى فى الدماغ فهو اقوى مظاهره وهو أى الروح الحيوانى انما حدث بعد تعلق الروح السلطانى بهذا الهيكل فهو من انعكاس انوار الروح السلطانى ليكون مبدأ الافعال لان الحياة امر مغيب مستور فى الحى لا يعلم الا بآثارها كالحس والحركة والعلم والارادة وغيرها وهذا يدور على الروح الحيوانى فادام هذا البخار باقيا على الوجه الذى يصلح ان يكون علاقة بينهما فالحياة قائمة وعند انتفائه وخروجه عن الصلاحية له تزول الحياة ويخرج الروح من البدن خروجا اضطراريا وهو الموت الحقيقى وكما يخرج الروح من البدن خروجا اضطراريا كذلك قد يخرج منه خروجا اختيارا ويعود اليه متى شاء وهو الذى سماه الصوفية بالانسلاخ فقد عرفت من هذا ان مذهب اهل السنة والجماعة ان الروح جسم لطيف مغاير لهذا الهيكل المحسوس وانكشف لك حال الروح ووقفت على اسرار البرزخ واحوال القبر وما فيه من الالم واللذة الجسمانيين وانحل عندك وجه كونه روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فالشهدآء احياء بالحياة البرزخية متنعمون لانهم اجسام لطيفة كالملائكة فانهم موجودون احياء قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة كل نعيم يتنعم به الصديقون والشهدآء والصالحون فى البرزخ خيالى وكذا كل عذاب يتألم به الجهنميون ومصداق ذلك انه اذا نفخ فى الصور وبعث الخلق ينسى كل واحد منهم حاله فى البرزخ ويتخيل ان ذلك الذى كان فيه منام كما تخيله المستيقظ وقد كان حين مات وانتقل الى البرزخ كالمستيقظ هنالك وان الحياة الدنيا كانت له كالمنام وفى الاخرة يعتقد فى امر الدنيا والبرزخ انه منام فى منام وان اليقظة الصحيحة هى التى هو عليها فى الدار الاخرة حيث لا نوم فيها ولا نوم بعدها انتهى كلامه قال فى اسئلة الحكم ان امور البرزخ والاخرة على النمط الغير المألوف فى الدنيا والارواح بعد الموت ليس لها نعيم ولا عذاب حسى جسمانى لكن ذلك نعيم او عذاب معنوى حتى تبعث اجسادها فترد اليها فتنعم عند ذلك حسا ومعنى الا ترى الى بشر الحافى قدس سره لما رؤى فى المنام قيل له ما فعل الله بك قال غفر لى

واباح لى نصف الجنة يعنى روحه متنعمة بالجنة بما يليق بها فى مقامه والنصف الاخر هو الجنة التى يدخلها ببدنه اذا حشر فيكمل النعيم بالنصف الاخر والاكل الذى رآه الميت بعد موته فى البرزخ هو كالاكل الذى يراه النائم فى النوم والنعيم به مثل النعيم به سوآء كما قال عليه السلام انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وكذلك كل شخص غير أن الفرق بين الرسول وغيره فى هذه الصورة أن جسم النبى يبيت جائعا ويستيقظ وهو شبعان وغير النبى يأكل فى منامه وهو جيعان ويستيقظ وهو كذلك واذا رأى الولى الوارث ذلك وقد وجد أثر الشبع اوالرى فذلك من اجزآء النبوة التى وردت فى الميراث اذ الرؤيا جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وقد رأى ذلك كثير من الاولياء واصبحوا وعليهم رآئحة الطعام الذى اكلوه وشبعوا فهذه وراثة نبوية فقوله عليه السلام انى لست كهيئتكم باعتبار الغالب لا باعتبار الكل فتنعم الشهدآء فى البرزخ بمرتبة تنعم الولى الوارث فى المنام فافهم هذا المقام فان الجسم المبحوث عنه ههنا هو الجسم اللطيف وتنعم بما يليق بمرتبته فى البرزخ سوآء عبرت عنه بالخيالى اوبالمعنوى اوبالجسمانى اى المنسوب الى الجسم اللطيف لا الكثيف فان اللذة الجسمانية المتعلقة بالجسد الكثيف حال الدنيا لاغير قيل يارسول الله هل يحشر مع الشهدآء احد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وفى التأويلات النجمية الاشارة لا تحسبوا من قتل من اهل الجهاد الاكبر بسيف جلال الله فى سبيل الله بالفناء فى الله امواتا وان فنيت اوصاف وجودهم فانهم احياء بشهود موجدهم ومن كان فناؤه فى الله كان بقاؤه بالله فتارة يفنيهم بسطوات تجلى صفات الجلال وتارة يحييهم بنفحات ألطاف الجمال فانهم يسرحون فى رياض الجمال ولكن لا تشعرون باحوالهم ولا تطلعون عليها قال القشيرى ائن فنيت فى الله اشباحهم لقد بقيت بالله ارواحهم وقال الجنيد من كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كانت حياته بربه فانه ينتقل من حياة الطبع الى حياة الاصل وهو الحياة الحقيقية (وفى المثنوى) مى كند دندان بدران طبيب * تارهد ازدرد و بيمارى حبيب * پس زيادتها درون نقصاست * مر شهيدانرا حيات اندر فناست * كر يكى سررا ببرد ازبدن * صد هزاران سر براردد رزمن * حلق ببريده خورد شربت ولى * خلق ازلا رسته مرده در بلى (ولنبلونكم) اللام جواب قسم محذوف اى والله لنعاملنكم معاملة المبتلى هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء اولا اذ البلاء معيار كالمحك يظهر به جوهر النفس وذلك لنظهر لكم منكم المطيع من العاصى لا لنعلم شيأ لم نكن عالمين به (بشئ من الخوف) اى بقليل من خوف الاعدآء وانما قلله لان ماوقاهم منه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بألف مرة (و) شئ من (الجوع) اى القحط والسنة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ويسهل لهم الصبر عليه فان مفاجأة المكروه اشد على النفس من اصابته مع ترقبه (ونقص من الاموال) عطف على شئ اى وبنقص شئ قليل من ذلك بالسرقة والاغارة واخذ السلطان والهلاك والخسران (والانفس) اى بالقتل والموت اوبالمرض والشيب (والثمرات) اى وذهاب ثمرات الكروم والاشجار بالبرد والسموم والريح والجراد وغيرها من الآفات وقد يكون نقص الثمرات بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعى رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكاة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وفى الحديث اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد قال بعض اهل المعرفة مطالبات الغيب اما ان تكون بالمال اوبالنفس اوبالاقارب اوبالقلب اوبالروح فمن اجاب بالمال فله النجاة ومن اجاب بالنفس فله الدرجات ومن صبر على فقد الاقارب فله الخلف والقربات ومن لم يؤخر عنه الروح فله دوام المواصلات (وبشر) الخطاب للرسول اولمن يتأتى منه البشارة لتعظيم الصبر وتفخيمه لانه فضيلة عظيمة الثواب وخصلة من خصال الانبياء والاولياء فيستحق صاحبه ان يبشره كل احد (الصابرين) على البلايا (الذين اذا اصابتهم) الاصابة ضد الخطأ (مصيبة) هى ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شئ يؤذى المؤمن فهو له مصيبة واصلها الوصول من صاب السهم المرمى واصابه وصل اليه (قالوا انا لله) اى نحن عبيد الله والعبد وما فى يده لمولاه فان شاء ابقاه فى ايدينا وان شاء استرده منا فلا نجزع بما هو ملكه بل نصبر فان عشنا فعليه رزقنا وان متنا فانا اليه راجعون واليه مردنا وعنده ثوابنا ونحن راضون بحكمه فما أعطانا ربنا كان فضلا منه ولا يليق بكرمه الارتجاع فى عطاياه وانما اخذه ليكون ذخيرة لنا

عنده

عنده فقولنا انا لله اقرار منا له تعالى بالملك (وانا اليه راجعون) اقرار على انفسنا بالهلك وقيل الرجوع اليه تعالى ليس عبارة عن الانتقال الى مكان وجهة فان ذلك على الله محال بل المراد منه ان يصير الى حيث لا يملك الحكم فيه سواه وذلك هو الدار الآخرة اذ لاحاكم فيها حقيقة وبحسب الظاهر الا الله تعالى بخلاف دار الدنيا فان غير الله قد يملك الحكم فيها بحسب الظاهر وقول المصاب عند مصيبته انا لله وانا اليه راجعون له فوائد منها الاشتغال بهذه الكلمة عن كلام لا يليق ومنها انها تسلى قلب المصاب وتقلل حزنه ومنها انها تقطع طمع الشيطان فى ان يوافقه فى كلام لا يليق ومنها انه اذا سمعه غيره اقتدى به ومنها انه اذا قال ذلك بلسانه يتذكر بقلبه الاعتقاد الحسن والتسليم لقضاء الله وقدره فان المصاب يدهش عند المصيبة فيحتاج الى ما يذكره التسليم المذكور وفى الحديث ما من مصيبة تصيب عبدا فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرنى من مصيبتى وأخلف لى خيرا منها الا آجره الله فى مصيبته وأخلف له خيرا منها قال سعيد بن جبير ما اعطى احد فى المصيبة ما اعطى هذه الامة يعنى الاسترجاع ولو اعطيه احد لاعطى يعقوب الا تسمع الى قوله فى قصة فقد يوسف يا اسفا على يوسف وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بأن يتصور ما خلق لاجله وهو الانقياد لله تعالى فى جميع ما كلفه به من التكاليف والتسليم لقضاء الله وقدره فى جميع ما اخذه واعطاه فان من اختص لله تعالى ملكا وملكا كيف ينازعه فى ملكه ولا يرضى بقضائه وملاحظة ان ما فى عالم الملك كله لله تعالى يذكر نعم الله وتذكرها يستلزم العلم بان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه والمبشر به محذوف دل عليه قوله تعالى (اولئك) اى الصابرون الموصوفون بما ذكر (عليهم صلوات) كائنة (من ربهم ورحمة) اى رحمة ووجه الجمع فى الصلوات الدلالة على الكثرة والتكرير واستغنى بتنكير التعظيم فى رحمة عن ايرادها بلفظ الجمع ويندرج فى رحمته تعالى ايصال المسار ودفع المضار فى الدنيا والآخرة وجمع بين الصلاة والرحمة للايذان بأن رحمته غير منقطعة فالمعنى عليهم فنون الرحمة المتوالية الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم قال بعضهم الصلاة من الله المدح والثناء والتعظيم والرحمة اللطف والاحسان فلا تكرار (واولئك هم المهتدون) المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعن ابن مسعود رضى الله عنه لأن أخرّ من السماء احب الىّ من ان اقول فى شئ قضاه الله ليته لم يكن وقال على رضى الله عنه من ضرب بيده على فخذه عند مصيبة فقد حبط اجره اى بطل ثوابه قيل المكاره التى تصيب الانسان اذا اصابته من قبل الله تعالى يجب الصبر عليها لان ما جاء من جهة العدل الحكيم ليس الا مقتضى عدله وحكمته فيجب عليه ان يرضى لعلمه بأنه تعالى لا يقضى الا بالحق وان اصابته من جهة الظلمة فلا يجب عليه ان يصبر عليها بل جاز له ان يمانعه بل يحاربه وان قتل بمحاربته يكون شهيدا واعلم ان البلاء سبب للتصفية كما قال عليه السلام ما اوذى نبى مثل ما اوذيت اى ما صفى نبى مثل ما صفيت والوفاء والجفاء سيان عند العشاق (كما قال) صائب شكايت از ستم يار چون كند * هرجا كه عشوه هست وفا وجفا يكيست * قال الحسن رضى الله عنه سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا بنى عليك بالقنوع تكن من اغنى الناس وادآء الفرآئض تكن من اعبد الناس يا بنى ان فى الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى باهل البلاء يوم القيامة فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان يصب عليهم الاجر صبا ثم قرأ انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولو لم يكن فى الصبر الا حكاية الطير الذى فى عهد سليمان عليه السلام لكفى وذلك ان طيرا فى عهد سليمان عليه السلام كان له صوت حسن وصورة حسنة اشتراه رجل بألف درهم وجاءه طير آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار فسكت الطير وشكا الرجل الى سليمان عليه السلام فقال احضروه فلما احضروه قال سليمان عليه السلام لصاحبك عليك حق حتى اشتراك بثمن غال فلم سكت فقال يا نبى الله قل له حتى يرفع قلبه عنى انى لا اصيح ابدا ما دمت فى القفص قال لم قال لان صياحى كان من الجزع الى الوطن والاولاد وقال لى ذلك الطير انما حبسك لاجل صوتك فاسكت حتى تنجو فقال سليمان عليه السلام للرجل ما قال الطير فقال الرجل أرسله يا نبى الله فانى كنت احبسه لصوته فأعطاه سليمان عليه السلام الف درهم ثم ارسل الطير ثم طار وصاح سبحان من صورنى وفى الهوآء طيرنى ثم فى القفص صبرنى ثم قال سليمان عليه السلام ان الطير ما دام فى الجزع لم يفرج عنه فلما صبر فرج عنه ومثل هذا فى الحقيقة اشارة الى الفناء عن اوصاف النفس فان المرء ما لم يمت باختياره قبل اضطراره لا يصل الى الحياة الحقيقية (قال فى المثنوى) دانه باشى مرغكانت برچنند *

غنچه باشی کودکانت بر کنند * هر که داد او حسن خود را در مزاد * صد قضای بد سوی او رو نهاد * تن قفص شکلست و تن شد خار جان * در فریب داخلان و خارجان قال حضرة الشیخ الشهیر بافتاده افندی قدس سره لابد من نفی الانیة واضمحلال الوجود فی بحر الوجود الحقیقی حتی یتم المقصود ویحصل (قال الصائب) ترك هستی کن که آسوده ست از تاراج سیل * هر که پیش از سیل رخت خود برون از خانه برد قال حضرة الشیخ افتاده افندی قدس سره العبور عن المراتب محله مرتبة یقال لها وادی الحیرة یعرف السالك فیه امطلوبه ولکن لا یقدر علی الوصول فیدور فی ذلك الوادی بالحیرة والحرارة ویحرق الانیة تلك الحرارة ویقال له وادی الحیرة لان السالك یتحیر ولا یقدر علی الذهاب والرجوع وقوله علیه السلام اللهم زدنی حیرة اشارة الی ذلك وتلك المرتبة لا تتیسر لکثیر والعبور عنها لا یمکن الا بارشاد مرشد کامل اللهم هیئنا التجلیات اسمائك وصفاتك وأفض علینا من کاسات مشاهدات کمال ذاتك (ان الصفا) علم لجبل بمکة وسمی الصفا لانه جلس علیه آدم صفی الله (والمروة) علم لجبل فی مکة ایضا وسمی المروة لانها جلست علیها امرأة آدم حواء علیهما السلام (من شعائر الله) جمع شعیرة بمعنی العلامة ای من اعلام طاعة الله فان کل واحد من المواقف والمساعی والمنحر جعله الله تعالی علامة لنا نعرف به العبادة المختصة به (روی) انه کان علی الصفا صنم علی صورة رجل یقال له اساف وصنم علی المروة علی صورة امرأة یقال لها نائلة روی انهما کانا رجلا وامرأة زنیا فی الکعبة فمسخا حجرین فوضعا علیهما لیعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فکان اهل الجاهلیة اذا سعوا بین الصفا والمروة مسحوهما تعظیما لهما فلما جاء الاسلام وکسرت الاوثان کره المسلمون الطواف بینهما لانه فعل الجاهلیة فاذن الله تعالی فی الطواف بینهما واخبر أنهما من شعائر الله والحکمة فی شرعیة السعی بین الصفا والمروة ما حکی ان هاجر لما ضاق علیها الامر فی عطشها وعطش اسمعیل سعت فی هذا المکان الی ان صعدت الجبل ودعت فأنبع الله لها زمزم واجاب دعاءها فجعلها طاعة لجمیع المکلفین الی یوم القیامة وفی الخبر الصفا والمروة بابان من الجنة وموضعان من مواضع الاجابة ما بینهما قبر سبعین ألف نبی وسعیهما یعدل سبعین رقبة (فمن حج البیت او اعتمر) الحج فی اللغة القصد والعمرة الزیارة وفی الحج والعمرة المشروعین قصد وزیارة (فلا جناح علیه) ای لا اثم علیه واصله من جنح ای مال عن القصد والخیر الی الشر (ان یطوف بهما) ای فی ان یطوف بهما اوید ورفع ازال عنهم الجناح لانهم توهموا أن یکون فی ذلك جناح علیهم لاجل فعل الجاهلیة وهو لا ینافی کون هذا الطواف واجبا کما عند الحنفیة لان قولنا لا اثم فی فعل امر کذا یصح اطلاقه علی الواجب واصل یطوف یتطوف وفی ایراد التفعل ایذان بأن من حق الطائف ان یتکلف فی الطواف ویبذل فیه جهده (ومن تطوع خیرا) اصل التطوع الفعل طوعا لا کرها کانه قیل من فعل اوانی ما یتقرب به طاعة فنصب خیرا بتضمین تطوع فعلا یتعدی بنفسه او التطوع بمعنی التبرع من قولهم طاع یطوع ای تبرع فکانه قیل من تبرع بما لم یفرض علیه من القربات مطلقا فانتصاب خیرا حینئذ علی اسقاط حرف الجر ای من تطوع تطوعا بخیر (فان الله شاکر) له ای مجاز بعمله فان الشاکر فی وصف الله تعالی بمعنی المجازی علی الطاعة بالاثابة علیها قال ابن التمجید فی حواشیه الشکر من الله بمعنی الرضی عن العبد والاثابة لازم الرضی والرضی ملزوم الشکر فالشکر مجاز فی معنی الرضی ثم التجوز منه الی معنی الاثابة مجاز فی المرتبة الثانیة (علیم) بطاعة المتطوع ونیته فیها وفی الآیة بعث علی نوافل الطاعات کما علی فرائضها فمن اتی بنافلة واحدة فان الله شاکر علیم فکیف باکثر منها فبالصوم تحصیل قهر النفس وبالزکاة تزکیها وبالصلاة المعراج الروحانی وبالحج الوصول وعن سفیان الثوری قال حججت سنة ومن رأیی ان انصرف من عرفات ولا احج بعد هذا فنظرت فی القوم فاذا انا بشیخ متکئ علی عصاه وهو ینظر الی ملیا فقلت السلام علیك یا شیخ قال وعلیك یا سفیان ارجع عما نویت فقلت سبحان الله من این تعلم نیتی قال ألهمنی ربی فوالله لقد حججت خمسا وثلاثین حجة وکنت واقفا بعرفات ههنا فی الحجة الخامسة والثلاثین انظر الی هذه الزحمة وأتفکر فی امری وامرهم ان الله هل یقبل حجهم وحجی فبقیت متفکرا حتی غربت الشمس وأفاض الناس من عرفات الی مزدلفة ولم یبق معی احد وجن اللیل وبت تلك اللیلة فرأیت فی النوم کأن القیامة قد قامت وحشر الناس وتطایرت الکتب ونصبت الموازین والصراط وفتحت ابواب الجنان والنیران فسمعت النار تنادی وتقول اللهم وقنی الحجاج حری وبردی فنودیت یا نار سلی غیرهم فانهم ذاقوا عطش البادیة وحر عرفات ووقوا عطش القیامة ورزقوا

الشفاعة فانهم طلبوا رضاى بأنفسهم واموالهم قال الشيخ فانتبهت وصليت ركعتين ثم نمت ورأيت كذلك فقلت
فى نومى هذا من الرحمن او من الشيطان فقيل لى بل من الله مد يمينك فددت فاذا على كفى مكتوب من وقف بعرفة
وزار البيت شفعته فى سبعين من اهل بيته قال سفيان وارانى المكتوب حتى قرأته ثم قال الشيخ فلم تمر على منذ
حينئذ سنة الا وانا حججت حتى تم لى ثلاث وسبعون حجة كذا فى زهرة الرياض قال فى الاشباه والنظائر بناء الرباط
بحيث ينتفع به المسلمون افضل من الحجة الثانية والحج تطوعا افضل من الصدقة النافلة وحج الفرض اولى من طاعة
الوالدين بخلاف النفل وحج الغنى افضل من حج الفقير لان الفقير يؤدى الفرض من مكة وهو متطوع فى ذهابه
وفضيلة الفرض افضل من فضيلة التطوع فعلى العاقل ان يقصد بيت الله ويزوره فان لم يساعده المال فلتساعده
الهمة والحال فان المعتبر هو توجه القلب الى جانب الغيب لا مجرد توجه القالب (قال فى المثنوى) ميل تو
سوى مغيلانست وريك * تا چه كل چينى زخار مردريك * وفى التأويلات القاشانية ان الصفا وجود
القلب والمروة وجود النفس من اعلام دين الله ومناسكه القلبية كاليقين والتوكل والرضى والاخلاص
والنفسية كالصبر والشكر والذكر والفكر فمن حج البيت اى بلغ مقام الوحدة الذاتية ودخل الحضرة الالهية
بالفناء الكلى الذاتى او اعتمر زار الحضرة بالبلوغ الى مقام المشاهدة بتوحيد الصفات والفناء فى انوار تجليات
الجمال والجلال فلا حرج عليه حينئذ فى ان يطوف بهما اى يرجع الى مقامهما ويتردد بينهما لا بوجودهما
التلوينى فانه جناح وذنب بل بالوجود الموهوب الحقانى بعد الفناء عند التمكين ولهذا نفى الجناح فان
فى هذا الوجود سعة بخلاف الاول ومن تطوع خيرا اى ومن تبرع خيرا من باب التكميل والتعليم والارشاد
وشفقة الخلق فى مقام القلب ومن باب الاخلاق وطرف البر والتقوى ومعاونة الضعفاء والمساكين وتحصيل
الهمم فى مقام النفس بعد كمال السلوك حال البقاء بعد الفناء فان الله شاكر شكر عمله بثواب المزيد عليم بانه
من باب التصرف فى الاشياء بالله لا من باب التلوين والابتلاء والفترة انتهى كلام القاشانى

ياخفى الذات محسوس العطاء * انت كالماء ونحن كالرحاء
انت كالريح ونحن كالغبار * يختفى الريح وغبراه جهار

(ان الذين يكتمون) الآية نزلت فى رؤساء اليهود واحبارهم او فى كل من كتم شيأ من احكام الدين وهو الاقرب
لان اللفظ عام وعموم الحكم لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشئ قصدا مع الحاجة اليه
وحصول الداعى الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شئ آخر فى موضعه
وهو الذى فعله هؤلاء فى نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وغيرها (ما انزلنا) حال كونه (من البينات) اى
من الآيات الواضحة الدالة على امر محمد عليه السلام وعلى الرجم وتحويل القبلة والحرام والحلال (والهدى)
اى والآيات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه عليه السلام والايمان به (من) متعلق بيكتمون (بعد ما بيناه)
اى اوضحناه ولخصناه (للناس) جميعا لا الكاتمين فقط (فى الكتاب) اى التوراة وتبييننا لهم ايضاحه بحيث يتلقاه
كل احد من غير ان يكون فيه شبهة قال ابن الشيخ فى حواشيه فالمراد بالبينات ما انزل على الانبياء من الكتب
والوحى دون ادلة العقل وان قوله والهدى يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية وقوله تعالى فى حق الهدى
من بعد ما بيناه وما لخصناه فى الكتاب لا يقتضى اتحادهما وان يكون العطف لتغاير اللفظين لان كون ما بيناه
فى الكتاب كما يجوز ان يكون بطريق كونه من جملة التنزيل يجوز ان يكون بطريق كونه فائدة ملخصة اى
مستفادة منه (اولئك) اى اهل هذه الصفة (يلعنهم الله) اى يطردهم ويبعدهم من رحمته بسبب كتمهم
الحق (ويلعنهم اللاعنون) اى الذين يتأتى منهم اللعن اى الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمنى الثقلين وعن ابن
مسعود رضى الله عنه ما تلاعن اثنان الا ارتفعت اللعنة بينهما فان استحقها احدهما والا رجعت على اليهود
الذين كتموا صفة محمد عليه السلام او اللاعنون البهائم والهوام تلعن العصاة تقول اللهم العن عصاة بنى آدم
فبشؤمهم منع عنا القطر (الا الذين تابوا) من الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب منه الاستثناء متصل والمستثنى منه
هو الضمير فى يلعنهم (واصلحوا) ما افسدوا بالتدارك فانه لا بد بعد التوبة من اصلاح ما افسده مثلا لو افسد على
غيره دينه بايراد شبهة عليه يلزمه ازالة تلك الشبهة وبعد ذلك لا بد له من ان يفعل ضد الكتمان وهو البيان وهو
المراد بقوله تعالى (وبينوا) اى ما بينه الله فى كتابهم لتتم توبتهم فدلت الآية على ان التوبة لا تحصل الا بترك

كل مالا ينبغى ويفعل كل ما ينبغى (فاولئك اتوب عليهم) اى بالقبول وافاضة الرحمة والمغفرة فان التوبة اذا اسندت اليه تعالى بان قيل تاب الله اويتوب تكون بمعنى المقبول وقبول التوبة يتضمن المغفرة اى ازالة عقاب من تاب (وانا التواب الرحيم) اى المبالغ فى قبول التوبة ونشر الرحمة ولما ذكر لعنتهم احياء ذكر لعنتهم امواتا فقال (ان الذين كفروا) اى استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة (وماتوا وهم كفار) مصرون على كفرهم لا يرتدعون عن حالتهم الاولى (اولئك) مستقر (عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) اى هم المخصوصون باللعنة الابدية احياء وامواتا ممن يعتد بلعنتهم وهم المؤمنون لانهم هم الناس فى الحقيقة لاتصافهم بالانسانية واما الكفار فهم كالانعام واضل سبيلا فلا اعتداد بهم عند الله او الناس عام لان الكفار يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا والله تعالى يلعنهم يوم القيامة ثم يلعنهم الملائكة ثم تلعنهم الناس والظالم يلعن الظالمين ومن لعن الظالمين وهو ظالم فقد لعن نفسه (خالدين فيها) حال من المضمر فى عليهم اى دائمين فى اللعنة لانهم اذا خلدوا فى النار خلدوا فى الابعاد عن رحمة الله تعالى (لا يخفف عنهم العذاب) استئناف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم اى لا يرفع عنهم ولا يهون عليهم (ولا هم ينظرون) من الانظار بمعنى الامهال والتأجيل اى لا يمهلون للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة او يعذبون على الدوام والاستمرار وان كل وجه من وجوه عذابهم يتصل بوجه آخر مثله او اشد منه وانهم لا يمهلون ولا يؤجلون ساعة ليستريحوا فيها او من النظر بمعنى الانتظار اى لا ينتظرون ليعتذروا او بمعنى الرؤية اى لا ينظر اليهم نظر رحمة وانما خلدوا فى النار لان نيتهم كانت عبادة الاصنام ابدا ان عاشوا فجوزوا تأبيد العذاب واما الدركات فى النيران فلتفاوت سوء الاحوال والتفاوت فى شدة الكفر فيرجع الى شدة العذاب فى الدركات لان النيات متفاوتة كالاعمال والتأديب فى الحكمة واجب ولما اساء الكفار بسوء الاعتقاد فى حقه تعالى ادبوا بالحرمان من الجنة والخلود فى النار (ونعم ما قيل) سفيها را بود تاديب نافع * جنونرا زاجو شربت كشت دافع * وانما حمل هؤلاء اليهود على ما فعلوا من الكتمان وغيره حب الرياسة والدنيا لانهم خافوا ان يذهب ما كان لهم من السفلة وما يغنى عنهم ذلك شيأ اذا كان مصيرهم الى النار وفى الخبر ان مؤمنا وكافرا فى الزمان الاول انطلقا يصيدان السمك فجعل الكافر يذكر آلهته ويأخذ السمك حتى أخذ سمكا كثيرا وجعل المؤمن يذكر الله كثيرا فلا يجيئ شئ ثم اصاب سمكة عند الغروب فاضطربت فوقعت فى الماء فرجع المؤمن وليس معه شئ ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته فاسف ملك المؤمن الموكل عليه فلما صعد الى السماء اراه الله مسكن المؤمن فى الجنة فقال والله ما يضره ما اصابه بعد أن يصير الى هذا واراه مسكن الكافر فى جهنم فقال والله ما يغنى عنه ما اصابه من الدنيا بعد ان يصير الى هذا كذا (فى شرح الخطب) نركس اندر خواب غفلت يافت بلبل صد وصال * خفته نابينا بود دولت به بيدار ان حسد * ومرتكب المعاصى لو عرف عذاب الجحيم حق المعرفة لما ارتكبها حتى ان من قوى ظنه ان فى هذه النقبة حية لا يدخل يده فيها فما ظنك فى ارتكاب المعاصى بملاحظة عذاب النار واعلم ان احبار اليهود لما لم ينتفعوا بعلمهم ضلوا فأضلوا فخذلهم الله ولعنهم وذكر فى الخالصة لن يهلك قوم بظلمهم وانما اهلكهم ظلم ولاتهم قال الشيخ الشهير بأفتاده افندى قدس سره وكذا الحال فى الارشاد فان الضلال والفساد فى الطالبين من فساد مرشدهم فما دام المرشد على الصراط المستقيم يحفظ الله تعالى الطالب من الضلال فان نزول البلاء على قوم من فساد رئيسهم (وحكى) ان امنا حواء اكلت اولا من الشجرة فلم يقع شئ فلما اكل منها ابونا آدم عليه السلام وقع الخروج من الجنة انتهى فويل لارباب الرياسة الذين ظلموا انفسهم وتجاوز ظلمهم الى من عداهم فانهم هم الواقعون فى عذاب النار نار القطيعة والهجران وجهنم البعد عن الله ورحمته اللهم احفظنا (والهكم) خطاب عام لكافة الناس اى المستحق منكم للعبادة (اله واحد) فرد فى الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها فلا معبود الا هو وهو خبر مبتدأ وواحد صفة وهو الخبر فى الحقيقة لانه محط الفائدة الا يرى انه لو اقتصر على ما قبله لم يفد (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية وازاحة لأن يتوهم ان فى الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة يعنى بهذا فارفعوه ودا ئما فاعبدوه ولا ترجوا غيره ولا تخافوا سواه ولا تعبدوا الا اياه والاستثناء بدل من اسم لا على المحل اذ محله الرفع على الابتداء والخبر محذوف اى لا اله كائن لنا او موجود فى الوجود الا الله واعلم ان الاسماء على ضربين اسم ظاهر واسم ضمير وكلمة هو اسم ضمير فكونها ضميرا لا ينافى كونها اسما وقد حقق الامام فى التفسير

الكبير

التكبير اسمية هذه الكلمة فليراجع وعند اهل الحقيقة كلة هو اسم بحت لان كل مايدل على الذات الاحدية فهو اسم محض عندهم سواء كان مظهرا اومضمرا ولهذا يقال عالم الهوية باللام فاعرف هذا فانه ينفعك (وفى المثنوى)

ازهوا ها ڪي رهى بى جام هو * اى زهو قانع شده بانام هو * هيچ نامى بى حقيقت ديدهٔ * يا زكاف ولام كل ڪل چيدهٔ * اسم خواندى رو مسمارا بجو * مه ببالا دان نه اندر آب جو * كرزنام وحرف خواهى بكذرى * پاك كن خودرا زخود بين يكسرى * همچو آهن زآهنى بى رنك شو * در رياضت آينهٔ بى زنك شو * خويش را صافى كن از اوصاف خود * تا ببينى ذات پاك صاف خود * بينى اندر دل علوم انبيا * بى كتاب وبى معيد واوستا * علم كان نبود زهو بى واسطه * ان نپايد همچو رنك ماشطه

(الرحمن الرحيم) اى المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شئ سواه مستحق هذه الصفة فان كل شئ سواه امانعمة وامامنعم عليه فثبت ان غيره لا يستحق العبادة فلا يكون الها فقوله الرحمن الرحيم كالحجة على الوحدانية وعن اسماء بنت يزيد انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فى هاتين الآيتين اسم الله الاعظم والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والله لا اله الا هو الحى القيوم قيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا كيف يسع الناس اله واحد فان كان محمد صادقا فى توحيد الاله فليأتنا بآية نعرف بها صدقه فنزل قوله تعالى (ان فى خلق السموات والارض) اى فى ابداعهما على ماهما عليه مع مافيهما من تعاجيب العبر وبدآئع الصنائع التى يعجز عن فهمها عقول البشر وانما جمع السموات وافرد الارض لان كل سماء ليست من جنس الاخرى بين كل سماءين من البعد مسيرة خمسمائة عام ولان فلك كل واحدة غير فلك الاخرى والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب قال ابن التمجيد فى حواشيه وعند الحكماء محدب كل سماء مماس لمقعر مافوقه غير الفلك التاسع المسمى بالعرش فان محدبه غير مماس لشئ من الافلاك لان مافوقه خلاء وبعد غير متناه عندنا وعند الحكماء لا خلاء فيه ولا ملاء والعلم عند الله (واختلاف الليل والنهار) اى فى تعاقبهما فى الذهاب والمجيئ يخلف احدهما صاحبه اذا جاء احدهما جاء الآخر خلفه اى بعده وفى الزيادة والنقصان والظلمة والنور (والفلك التى تجرى فى البحر) لا ترسب تحت الماء وهى ثقيلة كثيفة والماء خفيف لطيف وتقبل وتدبر بريح واحدة والفلك فى الآية جمع وتأنيثه بتأويل الجماعة (بما ينفع الناس) ما اسم موصول والباء للمصاحبة والجملة فى موضع النصب على الحالية من فاعل تجرى اى تجرى مصحوبة بالاعيان والمعانى التى تنفع الناس فانهم ينتفعون بركوبها والحمل فيها والتجارة فهى تنفع الحامل لانه يربح والمحمول اليه لانه ينتفع بما حمل اليه (وما) اى ان فيما (انزل الله من السماء) من لابتداء الغاية اى من جهة السماء (من ماء) بيان للجنس فان المنزل من السماء يعم الماء وغيره والسماء يحتمل الفلك على ما قيل من ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض ويحتمل جهة العلو سماء كانت او سحابا فان كل ما علا الانسان يسمى سماء ومنه قيل للسقف سماء البيت (فاحيى به) عطف على ما انزل اى نضر بالماء النازل (الارض) بأنواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار (بعد موتها) اى بعد ذهاب زرعها وتناثر أوراقها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها قال ابن الشيخ فى حواشيه لما حصل للارض بسبب ما نبت فيها من انواع النبات حسن وكمال شبه ذلك بحياة الحيوان من حيث ان الجسم اذا صار حيا حصل فيه انواع من الحسن والنضارة والبهاء والنماء فكذلك الارض اذا تزينت بالقوة المنبتة وما يترتب عليها من انواع النبات (وبث فيها) اى فرق ونشر فى الارض (من كل دابة) من كل حيوان يدب على وجهها من العقلاء وغيرهم وهو معطوف على فاحيى والمناسبة ان بث الدواب يكون بعد حياة الارض بالمطر لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالمطر (وتصريف الرياح) عطف على ما انزل اى فى تقليبها فى مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا وفى كيفيتها حارة وباردة وفى احوالها عاصفة ولينة وفى آثارها عقيما ولواقح وقيل فى اتيانها تارة بالرحمة وتارة بالعذاب قال ابن عباس رضى الله عنه اعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس قال وكيع الجراح لولا الريح والذباب لانتنت الدنيا قال شريح القاضى ما هبت الريح الا لشفاء سقيم اولسقم صحيح وقال بكر بن عباس لا تخرج من السحاب قطرة حتى تعمل فى السحاب هذه الرياح الاربع فالصبا تهيجه والجنوب تقدره والدبور تلقحه والشمال تفرقه واصول الرياح هذه الاربع فالشمال من ناحية الشام والجنوب تقابلها والصبا هى القبول من المشرق والدبور

تقابلها وكل ريح جاءت بين مهب ريحين فهى نكباء لانها نكبت اى عدلت ورجعت عن مهاب هذه الاربع
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص الرياح ثمان اربع رحمة واربع عذاب فالرحمة الناشرات وهى الرياح الطيبة
والمبشرات وهى الرياح التى تبشر بالغيث واللواقح وهى التى تلقح الاشجار والذاريات وهى التى تذرو التراب
وغيره والعذاب الصرصر والعقيم وهما فى البر والعاصف والقاصف وهما فى البحر والعقيم هى التى لم تلقح سحابا
ولا شجرا والعاصف الشديدة الهجوم التى تقلع الخيام (والسحاب المسخر) عطف على تصريف اى الغيم المذلل
المنقاد الجارى على ما اجراه الله تعالى عليه وهو اسم جنس واحده سحابة وسمى سحابا لانه ينسحب فى الجو
اى يسير فى سرعة كأنه يسحب اى يجر (بين السماء والارض) صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه
فيوصف بالجمع كما فى قوله تعالى سحابا ثقالا اى لا ينزل الارض ولا ينكشف مع ان طبع السحاب يقتضى احد
هذين النزول والانكشاف قيل لانه لو كان خفيفا لطيفا ينبغى ان يصعد ولو كثيفا يقتضى ان ينزل (لآيات)
اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها ولو كان فى موضعه لما جاز دخول اللام عليه والتنكير للتفخيم كما وكيفا
اى آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص
الالوهية به سبحانه (لقوم) فى محل النصب لانه صفة لآيات فيتعلق بمحذوف (يعقلون) فى محل الجر
على انه صفة لقوم اى يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول والقلوب ويعتبرون بها لانها دلائل على عظم
قدرة الله فيها وباهر حكمته فيستدلون بهذه الاشياء على موجدها فيوحدونه وفيه تعريض لجهل المشركين
الذين اقترحوا على الرسول آية تصدقه فى قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول اذ لو عقلوه
لكفاهم بهذه التصاريف آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها المج حقيقة قذف
الريق ونحوه من الفم عدى بالباء لما فيه من معنى الرمى واستعير ههنا لعدم الاعتبار والاعتداد فان من تفكر فيها
فكأنه حفظها ولم يلقها من فيه واعلم ان قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو اول آية نزلت فى التوحيد بحسب
الرتبة اى اقدم توحيد من جهة الحق لا من جهتنا فان اول رتبة التوحيد من طرفنا توحيد الافعال وهذا هو
توحيد الذات ولما بعد هذا التوحيد عن مبالغ افهام الناس نزل الى مقام توحيد الصفات بقوله الرحمن الرحيم
ثم الى توحيد الافعال ليستدل به عليه فقال ان فى خلق الآية كذا فى التأويلات القاشانية ومن نتائج
صفة الرحمن الرحيم فى حق الانسان ما اشار اليه فى قوله ان فى خلق الخ يعنى ان الحكمة فى خلق هذه الاشياء
ان يكون كل شئ مظهر آية من آيات الله ولا فائدة لهذه الاشياء من الآيات المودعة فيها فان فائدتها عائدة
الى الانسان لانهم قوم يعقلون الآيات كما قال سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فالعالم
بما فيه خلق بتبعية الانسان لان العالم مظهر آيات الحق والآيات المرئيات الانسان والانسان مظهر معرفة
الحق ولهذا قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون فلو لم يكن لاجل معرفة الله ما خلق الانسان
ولو لم يكن لاجل الانسان ما خلق العالم بما فيه كما قال للنبى عليه الصلاة والسلام لولاك لما خلقت الكون وكان العالم
مرآة يظهر فيه آيات كمال الحق وجلاله والانسان هو المشاهد لآيات الجمال والجلال فى مرآة العالم وهو مرآة
يظهر فيه مرآة العالم وما يظهر فيه كما قال تعالى وفى انفسكم أفلا تبصرون وهذا تحقيق قوله من عرف نفسه
فقد عرف ربه لان نفسه مرآة جمال ربه وليس احد غير الانسان يشاهد جمال ربه فى مرآة العالم ومرآة نفسه
باراءة الحق كما قال سنريهم آياتنا الخ فاعرف قدرك لتعرف قدر ربك يا مسكين ومما يدل على ان خلق السموات
والارض وما بينهما تبع لخلق الانسان قوله عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله
يعنى اذا مات الانسان الذى هو يقول الله الله قامت القيامة فلم تبق السموات والارض لان وجودهما كان تبعا
لوجود الانسان فاذا لم يبق المتبوع ما بقى التابع كذا فى التأويلات النجمية فعلى السالك ان يصل بالذكر الحقيقى
الى المقصود الاصلى فان التوحيد نفى الباطل ونفى الاغيار روى عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لابى حصين كم تعبد اليوم من اله فقال اعبد سبعا ستا فى الارض وواحدا فى السماء قال فايهم
تعبد لرغبتك ورهبتك فقال الذى فى السماء فقال عليه الصلاة والسلام فيكفيك اله السماء ثم قال
يا حصين لو اسلمت علمتك كلمتين تنفعانك فأسلم حصين ثم قال يا رسول الله علمنى هاتين الكلمتين فقال عليه الصلاة
والسلام قل اللهم ألهمنى رشدى واعذنى من شر نفسى (ومن الناس من يتخذ من دون الله) من لابتداء الغاية

متعلق بيتخذ ودون فى الاصل ظرف مكان استعمل هنا بمعنى غير مجازا والاتخاذ بمعنى الصنع والعمل متعد الى
مفعول واحد وهو هنا قوله (اندادا) هى الاصنام التى بعضها انداد لبعض اى امثال او انها انداد الله تعالى
بحسب ظنونهم الفاسدة من حيث انهم كانوا يرجون من عندها النفع والضرر وقصدوها بالمسائل وقربوا لها
القرابين فارجاع ضمير العقلاء اليها فى قوله تعالى يحبونهم مبنى على آرائهم الباطلة فى شأنها من وصفهم
بما لا يوصف به الا العقلاء او هى الرؤساء الذين يطيعونهم قال القاضى ولعل المراد أعم منهما وهو ما يشغله عن الله
تعالى فانه قال الصوفية والعارفون كل شئ شغلت به قلبك سوى الله تعالى فقد جعلته فى قلبك ندا لله تعالى
ويدل عليه قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه (يحبونهم) الجملة صفة لاندادا اى يعظمونهم ويخضعون لهم
ويطيعونهم تعظيم المحبوب واطاعته (كحب الله) اى حبا كائنا مثل حبهم الله تعالى اى يسوون بينه تعالى
وبينهم فى الطاعة والتعظيم والمقصود من التشبيه ما فى الوصف من القوة والضعف والمراد ههنا التسوية وهذه
التسوية فى التعظيم لا تنافى اقرارهم بربوبيته تعالى كما يدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله ولفظ المحبة مأخوذ من الحب بالفتح كحبة الحنطة والشعير شبه حبة القلب اى سويداءه
بالحب المعروف فى كون كل منهما منشأ ومبدأ للآثار العجيبة فاستعير اسم الحب لها ثم اشتق من الحب المستعار
للقلب الحب بمعنى ميل القلب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته فى اوامره ونواهيه
والاعتناء لتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله فى الطاعة وصونه من المعاصى ثم فضل
محبة المؤمنين بقوله (والذين آمنوا اشد حبا لله) من حب الكفرة لاندادهم لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف
محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند
الشدائد ويعبدون الصنم زمانا فاذا رأوا صنما يعجبهم اخذوه وطرحوا الاول وروى ان باهلة عملت لها الها من حيس
فاكلوه عام المجاعة (ولو يرى الذين ظلموا) اى لو يعلم هؤلاء الذين اشركوا باتخاذ الانداد ووضعها موضع
المعبود (اذ يرون العذاب) المعد لهم يوم القيامة اى عاينوه فهى من الرؤية بالعين (ان القوة) اى الغلبة
والقدرة الالهية (لله جميعا) نصب حالا والجملة سادة مسد مفعولى يرى (وان الله شديد العذاب) عطف
على ان القوة لله وفائدته المبالغة فى تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة
العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف اى لو علم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم بشركهم
ان القدرة كلها لله على كل شئ من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب
يوم القيامة لوقعوا من الحسرة والندامة على عبادة الانداد فيما لا يكاد يوصف (اذ تبرأ الذين اتبعوا) بدل من
اذ يرون واصل التبرى التخلص ويستعمل للتفصى والتنصل مما تكره مجاورته والمعنى اذ تبرأ الرؤساء المتبوعون
(من الذين اتبعوا) اى من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه فى الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر
والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن (ورأوا العذاب) الواو حالية وقد مضمرة اى تبرأوا حال رؤيتهم
العذاب (وتقطعت بهم الاسباب) عطف على تبرأ وتوسط الحال بينهما للتنبيه على علة التبرى اى انقرضت
عنهم الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد والانساب والمحاب والاتباع والاستتباع فالباء فى بهم
بمعنى عن كما فى قوله تعالى فاسأل به خبيرا او للسببية اى تقطعت بسبب كفرهم الاسباب التى كانوا يرجون بها
النجاة او للتعدية اى قطعتهم الاسباب كما تقول فرقت بهم الطريق اى فرقتهم (وقال الذين اتبعوا) حين عاينوا
تبرى الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم فى الدنيا (لو ان لنا كرة) اى ليت لنا رجعة الى الدنيا
وعودة (فنتبرأ منهم) هناك (كما تبرأوا منا) اليوم اى تبرأ مثل تبرئهم فالكاف منصوب المحل على انها صفة
مصدر محذوف (كذلك) اى مثل ذلك الاراء الفظيع وهو نزول العذاب عليهم وتبرى بعضهم من بعض
(يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم) اى ندامات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهى تألم القلب وانحساره
عما يؤلمه بحيث يبقى النادم كالحسير من الدواب وهو الذى انقطعت قوته فصار بحيث لا ينتفع به واصل الحسر الكشف
ومن فات عنه ما يهواه وانكشف قلبه عنه يلزمه الندم والتأسف على فواته فلذلك عبر عن الحسرة التى هى انكشاف
القلب عما يهواه بلازمه الذى هو الندم والرؤية ان كانت بصرية تكون حسرات حالا من اعمالهم والمعنى
ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون اعمالهم الا حالكونها حسرات وان كانت قلبية فهى ثالث مفاعيل

يرى وعليهم يتعلق اما بحسرات والمضاف محذوف اى على تفريطهم او بمحذوف منصوب على انه صفة لحسرات اى حسرات مستولية عليهم فان ما عملوه من الخيرات محبوطة بالكفر فيتحسرون لم ضيعوها ويتحسرون على مافعلوه من المعاصى لم عملوها قال السدى ترفع لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم فيها لو اطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين وذلك حين يندمون ويتحسرون (وماهم بخارجين من النار) لانهم خلقوا لاجلها وروى انه يساق اهل النار الى النار لم يبق منهم عضو الالزمه عذاب اماحية تنهشه اوملك يضربه فاذاضربه الملك هوى فى النار مقدار اربعين يوما لايبلغ قرارها ثم يرفعه اللهب ويضربه الملك فيهوى فاذابدارأسه ضربه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فاذاعطش احدهم طلب الشراب فيؤتى بالحميم فاذا دنامن وجهه سقط وجهه ثم يدخل فى فيه فتسقط اضراسه ثم يدخل بطنه فيقطع امعاءه وينضج جلده وهكذا يعذبون فى النار لايموتون فيها ولايحيون ولايخرجون قال سعيد بن جبير ان الله تعالى يأمر يوم القيامة من احرق نفسه فى الدنيا على ربوبية الاصنام ان يدخلوا جهنم مع اصنامهم فلا يدخلون لعلمهم ان عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين ايدى الكفار ان كنتم احبائى فادخلوا جهنم فيقتحمون فيها وينادى مناد من تحت العرش والذين آمنوا أشد حبا لله لان الله احبهم اولا ثم احبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال تعالى يحبهم ويحبونه ومن لم يكن اهلا لمحبة الله ازلا طردته العزة الى محبة الانداد وهى كل مايحب سوى الله فوكل الى المحبة النفسانية تعلقت محبته بملائم هوى النفس من الاصنام فكما ان الكفار بعضهم يحبون اللات ويعبدونها وبعضهم يحبون الاولاد ويعبدونها فمحبة الاولاد والازواج والاموال تمنع عن محبة الله ومن احب الله يرى ماسواه بنظر العداوة كما قال الخليل عليه السلام فانهم عدو لى الارب العالمين ومن كان فى الازل اهلا لمحبة الله جذبته العناية فتجلى له الحق فانعكست تلك المحبة لمرآة قلبه فلا تتعلق بغيرالله لانهامن عالم الوحدة فلا تقبل الشركة والاعداء احبوا الانداد بمحبة فانية نفسانية والاحباء احبوا الله بمحبة باقية ربانية بل احبوه بجميع اجزائهم الفانية والباقية اللهم اوصلنا الى حقيقة المحبة واليقين والتمكين (ياأيها الناس) نزلت فى قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس (كلوا مما فى الارض) اى من بعض مافيها من اصناف المأكولات لان كل مافيها لايؤكل (حلالا) حال من الموصول اى حال كونه حلالا وهو ماانحل عنه عقد الحظر (طيبا) طاهرا من جميع الشبه صفة حلالا او الحلال مايستطيبه الشرع والطيب مايستطيبه الشهوة المستقيمة اى يستلذه الطبع (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) الخطوة بالفتح المرة من نقل القدم وبالضم بعد مابين قدمى الماشى يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته اى لاتقتدوا بآثاره وطرقه ومذاهبه فى اتباع الهوى وهى وساوسه فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام (انه لكم عدو مبين) تعليل للنهى اى ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة واما عند متبعى الهوى الذين لابصيرة لهم فهو كولى حميم حيث يدلهم على مشتهيات نفوسهم ولذآئذ مراداتها المستحسنة فقوله مبين من ابان بمعنى بان وظهر وجعله الواحدى من ابان المتعدى حيث قال انه عدو مبين قد أبان عداوته لكم باباته السجود لابيكم آدم وهو الذى اخرجه من الجنة (انما يأمركم) اى يوسوس لكم شبه تسلطه عليهم بآمر مطاع وشبهوا فى قبولهم للوسوسة وطاعتهم له بالطبع بمأمور مطيع وفيه رمز الى انهم بمنزلة المأمورين المنقادين له تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم (بالسوء) وهو كل ماساءك فى عاقبتك يطلق على جميع المعاصى سوآء كانت من اعمال الجوارح او اعمال القلوب لاشتراك كلها فى انها تسوء صاحبها وتحزنه (والفحشاء) من عطف الخاص على العام اى اقبح انواع المعاصى واعظمها مساءة فالزنى فاحشة والبخل فاحشة وكل فعلة قبيحة فاحشة واصل الفحش مجاوزة القدر فى كل شئ وجعل البيضاوى المغايرة بين السوء والفحشاء بحسب المفهوم دون الذات فانه سميت المعصية سوأ لاغتمام العاقل بها وفحشاء باستقباحه اياها فاطلاق السوء والفحشاء على المعصية من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل رجل عدل (وان تقولوا) اى يأمركم بان تفتروا (على الله) بانه حرم هذا وذاك (مالا تعلمون) ان الله تعالى امر به وهو اقبح ماامر به الشيطان من القبائح لان وصفه تعالى بما لاينبغى ان يوصف به من اعظم انواع الكبائر كما ان الفحشاء اقبح انواع السوء فان قيل كيف يأمرنا الشيطان بذلك ونحن لانراه ولا نسمع كلامه فكيف وسوسته وكيف

وصوله

وصوله الى القلب قلناوهوكلام خفى على ماقيل تميل اليه النفوس والطبع وقدقيل يدخل فى جسد ابن آدم لانه جسم لطيف ويوسوس وهوانه يحدث النفس بالافكار الرديئة قال تعالى يوسوس فى صدور الناس ومن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اعمر قلبى من وساوس ذكرك واطرد عنى وساوس الشيطان قال فى آكام المرجان وينحصر مايدعو الشيطان اليه ابن آدم ويوسوس له فى ست مراتب * المرتبة الاولى مرتبة الكفر والشرك ومعاداة رسوله فاذا ظفر بذلك من ابن آدم برد انينه واستراح من تعبه معه لانه حصل منتهى امنيته وهذا اول مايريده من العبد * المرتبة الثانية البدعة وهى احب اليه من الفسوق والمعاصى لان المعصية يتاب منها والبدعة لايتاب منها لان صاحبها يظنها حقيقة صحيحة فلا يتوب فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الثالثة وهى الكبائر على اختلاف انواعها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الرابعة وهى الصغائر التى اذا اجتمعت صارت كبيرة والكبائر ربما اهلكت صاحبها كما قال عليه السلام اياكم ومحقرات الذنوب فان مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الارض فجاء كل واحد بعود حطب حتى اوقدوا نارا عظيمة وطبخوا وشبعوا فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الخامسة وهى اشتغاله بالمباحات التى لاثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذى فات عليه باشتغاله بها فان عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة السادسة وهى ان يشغله بالعمل المفضول عما هو افضل منه ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل فيجره من الفاضل الى المفضول ومن الافضل الى الفاضل ليتمكن من ان يجره من الفاضل الى الشرور بما يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق كمائة ركعة بالنسبة الى ركعتين ليصير ازدياد المشقة سببا لحصول النفرة عن الطاعة بالكلية وانما خلق الله ابليس ليتميز به الخبيث من الطيب فخلق الله الانبياء لتقتدى بهم السعداء وخلق ابليس لتقتدى به الاشقياء ويظهر الفرق بينهما فابليس دلال وسمسار على النار والخلاف وبضاعته الدنيا ولما عرضها على الكافرين قيل ما ثمنها قال ترك الدين فاشتروها بالدين وتركها الزاهدون واعرضوا عنها والراغبون فيها لم يجدوا فى قلوبهم ترك الدين ولا الدنيا فقالوا له اعطنا مذاقة منها حتى تنظر ماهى فقال ابليس اعطونى رهنا فأعطوه سمعهم وابصارهم ولذا يحب ارباب الدنيا استماع اخبارها ومشاهدة زينتها لان سمعهم وبصرهم رهن عند ابليس فأعطاهم المذاقة بعد قبض الرهن فلم يسمعوا من الزهاد عيب الدنيا ولم يبصروا قبائحها بل استحسنوا ازخارفها ومتاعها فلذلك قيل حبك الشئ يعمى ويصم فعلى العاقل ان يزهد ويرغب عن الدنيا ولا يقبل منها الا الحلال الطيب قال الحسن البصرى الحلال الطيب مالاسؤال فيه يوم القيامة وهو مالابد منه قال النبى عليه السلام ان الله يحب لابن آدم مالابد منه ثوب يوارى به عورته وخبز يرد جوعته وبيت كعش الطير فقيل يارسول الله فكيف الملح فقال الملح مما يحاسب به وفى التأويلات النجمية الحلال ماأباح الله اكله والطيب مالم يكن مشوبا بشبهة حقوق الخلق ولا بسرف حظوظ النفس وكل طيب حلال وليس كل حلال طيبا ولهذا قال النبى عليه السلام ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب يعنى غير مشوب بعيب اوشبهة قيل ولا يقال ان الله حلال واعلم ان اكل الحلال الطيب يورث القيام بطاعة الله والاجتناب عن خطوات الشيطان فالعمل الصالح نتيجة اللقمة الطيبة (وفى المثنوى) علم وحكمت زايد از لقمۀ حلال * عشق ورقت آيد از لقمۀ حلال * چون ز لقمه تو حسد بينى ودام * جهل وغفلت زيد آنرا دان حرام * هيچ كندم كارى وجو بردهد * ديدۀ اسپى كه كرۀ خر دهد * لقمه تخمست وبرش انديشها * لقمه بحر وكوهرش انديشها * زايد از لقمۀ حلال اندر دهان * ميل خدمت عزم رفتن آن جهان * وطلب الحلال بالكسب المشروع سنة الانبياء عليهم السلام وفى الكسب فوائد كثيرة منها الزيادة على رأس المال ان عمل للتجارة والزراعة وغرس الاشجار وفيها صدقة لما اكلته الطيور وغيرها ومنها اشتغال المكتسب بالكسب عن البطالة واللهو ومنها كسر النفس وصيرورتها قليلة الطغيان ومنها ان الكسب واسطة الامان من الفقر الذى هو اسوداد الوجه فى الدارين ولا يتحرك فى الكسب لاجل عياله الا قال له حافظاه بارك الله لك فى حركاتك وجعل نفقاتك ذخرا لك فى الجنة ويؤمن عليه ماملائكة السموات والارض وافضل الكسب الجهاد ثم التجارة ثم الحراثة ثم الصناعة (واذا قيل لهم) نزلت فى مشركى العرب وكفار قريش امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل تعالى من البينات الباهرة فجنحوا للتقليد اى واذا قيل للمشركين من الناس على وجه النصيحة والارشاد (اتبعوا ما انزل الله)

كتاب الله الذى انزله فاعملوا بتحليل ما احل الله وتحريم ما حرّم الله فى القرآن ولا تتبعوا خطوات الشيطان (قالوا بل) عاطفة للجملة التى تليها على الجملة المحذوفة قبلها (نتبع ما الفينا) اى وجدنا (عليه آباءنا) من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك لانهم كانوا خيرا منا فقلدوا آباءهم فانظروا أيها العقلاء الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون فقال الله تعالى ردا عليهم بهمزة الانكار والتعجب مع واو الحال بعدها (أولو كان آباؤهم) لما اقتضت الهمزة صدر الكلام والواو وسطه قدر بين الهمزة والواو جملة لتقع الهمزة فى صدرها والمعنى أيتبعونهم ولو كان آباؤهم اى فى حال كون آبائهم (لا يعقلون شيأ) من الدين لانهم كانوا يعقلون امر الدنيا (ولا يهتدون) للصواب والحق يعنى هذا منكر مستبعد جدا لان اتباع من لا عقل له ولا اهتداء الى طريق الحق لا وجه له اصلا (ومثل) واعظ (الذين كفروا) وداعيهم الى الحق (كمثل) الراعى (الذى ينعق) نعق الراعى والمؤذن بعين مهملة صوّت وبالمعجمة نعق للغراب والمعنى يصوت (بما لا يسمع) وهو البهائم اى لا يدرك بالاستماع (الا دعاء) صوتا من الناعق (ونداء) زجرا مجردا من غير فهم شئ آخر وحفظه كما يفهم العاقل ويجيب قيل الفرق بين الدعاء والنداء ان الدعاء للقريب والنداء للبعيد ويحتمل ان يكون الدعاء اعم من النداء والتشبيه المذكور فى الآية من قبيل التشبيه المفرق شبه داعى الكافر بالناعق ونفس الكفرة بالبهائم المنعوق بها ودعاء داعى الكفرة بنعق الناعق بالبهائم والمعنى مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا فى وعظهم ودعائهم الى الله وعدم اهتدائهم كمثل الراعى الذى يصيح بالغنم ويكلمها ويقول كلى واشربى وارعى وهى لا تفهم شيأ مما يقول لها كذلك هؤلاء الكفار كالبهائم لا يعقلون عنك ولا عن الله شيأ (صم) اى هم صم يعنى كأنهم يتصامون عن سماع الحق (بكم) بمنزلة الخرس فى ان لم يستجيبوا لما دعوا اليه (عمى) بمنزلة العمى من حيث اعراضهم عن الدلائل كانهم لم يشاهدوها ثم انه تعالى لما شبههم بما فقدى هذه القوى الثلاث التى يتوسل بها الى تمييز الحق من الباطل واختيار الحق فرع على هذا التشبيه قوله (فهم لا يعقلون) اى لا يكتسبون الحق بما جبلوا عليه من العقل الغريزى لان اكتسابه انما يكون بالنظر والاستدلال ومن كان كالاصم والاعمى فى عدم استماع الدلائل ومشاهدتها كيف يستدل على الحق ويعقله ولهذا قيل من فقد حسا فقد فقد علما وليس المراد نفى اصل العقل لان نفيه رأسا لا يصلح طريقا للذم وهكذا لا ينفع الوعظ فى آخر الزمان لان اذان الناس مسدودة عن استماع الحق واذهانهم مصدودة عن قبوله (ونعم ما قال السعدى) فهم سخن چون نكند مستمع * قوت طبع از متكلم مجوى * فسحت ميدان ارادت بيار * تا بزند مرد سخن كوى كوى * وفى قوله تعالى ولو كان آباؤهم الآية اشارة الى قطع النظر عن الاسلاف السوء واتباع اهل الاهواء المختلفة والبدع الذين لا يعقلون شيأ من طريق الحق وضلوا فى تيه محبة الدنيا ويدعون انهم اهل العلم وليسوا من اهله اتخذوا العلم مكسبا للمال والجاه وقطعوا الطريق على اهل الطلب قال تعالى فى بعض الكتب المنزلة لا تسألنى عن عالم قد اسكره حب الدنيا فاولئك قطاع الطريق على عبادى فمن كان على جادة الحق وصراط الشريعة وعنده معرفة سلوك مقامات الطريقة يجوز الاقتداء به اذ هو من اهل الاهتداء الى عالم الحقيقة دون مدعى الشيوخة بطريق الارث من الآباء ولا حظ لهم من طريق الاهتداء فانهم لا يصلحون للاقتداء (قال السعدى) چو كنعانرا طبيعت بى هنر بود * پيمبرزادكى قدرش نيفزود * هنر بنماى اكر دارى نه كوهر * كل از خارست وابراهيم از آزر * وفى التأويلات النجمية ان مثل الذين كفروا كان فى عالم الارواح عند الميثاق اذ خاطبهم الحق بقوله ألست بربكم كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء لانهم كانوا فى الصف الاخير اذ الارواح كانوا جنودا مجندة فى اربعة صفوف فكان فى الصف الاول ارواح الانبياء عليهم السلام وفى الثانى ارواح الاولياء وفى الثالث ارواح المؤمنين وفى الرابع ارواح الكافرين فأحضرت الذرات التى استخرجت من ظهر آدم من ذرياته واقيمت كل ذرة بازاء روحها فخاطبهم الحق ألست بربكم فالانبياء سمعوا كلام الحق كفاحا بلا واسطة وشاهدوا انوار جماله بلا حجاب ولهذا استحقوا ههنا النبوة والرسالة والمكالمة والوحى الله اعلم حيث يجعل رسالته والاولياء سمعوا كلام الحق وشاهدوا انوار جماله من انوار حجاب ارواح الانبياء ولهذا ههنا احتاجوا لمتابعة الانبياء فصاروا عند القيام بأداء حق متابعتهم مستحق الالهام والكلام من وراء الحجاب والمؤمنون سمعوا خطاب الحق من وراء حجاب الانبياء وحجاب ارواح الاولياء ولهذا آمنوا بالغيب

وقبلوا دعوة الانبياء وان بلغتهم من وراء حجاب رسالة جبريل وحجاب رسالة الانبياء فقالوا سمعنا واطعنا ومما يدل على هذه التقريرات قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب يعني الاولياء او يرسل رسولا يعني المؤمنين والكفار لما سمعوا من الخطاب نداء من وراء الحجب الثلاثة كانوا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء فما شاهدوا من انوار كمال الحق لا قليلا ولا كثيرا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وما فهموا شيأ من كلام الحق الا انهم سمعوا من ذرات المؤمنين من وراء الحجاب لما قالوا بلى فقالوا بالتقليد ولهذا ههنا قلدوا ما ألفوا عليه آباءهم لقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون فلما تعلقت ارواحهم بالاجساد وتكدرت بكدورات الحواس والقوى النفسانية واظلمت بظلمات الصفات الحيوانية وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون من التمتعات البهيمية والاخلاق الشيطانية واللذات الجسمانية اصمهم الله واعمى ابصارهم فهم الآن صم عن استماع دعوة الانبياء بسمع القبول بكم عن قول الحق والاقرار بالتوحيد عمى عن رؤية آيات المعجزات فهم لا يعقلون ابدا لانهم ابطلوا بالرين صفاء عقولهم الروحانية وحرموا من فيض الانوار الربانية (قال الصائب) چرا زغير شكايت كنم كه همچو حباب * هميشه خانه خراب هواى خويشتنم (وفى المثنوى) كرچه ناصح را بود صد داعيه * پند را اذنى بيايد واعيه * تو بصد تلطيف پندش ميدهى * او زپندت ميكند پهلو تهى * يك كس نامستمع زاستيزورد * صد كس كوينده را عاجز كند * زانبيا ناصح تر وخوش لهجه تر * كى بود كه رفت دمشان در حجر * زانچه كوه وسنك دركار آمدند * مى نشد بدبخت را بكشاده بند * آنچنان دلها كه بدشان ما ومن * نعتشان شد بل اشد قسوه * فعلى العاقل ان يتدارك حاله بسلوك طريق الرضى والندم على مضى ويزكى نفسه عن سفساف الاخلاق ويصفى قلبه الى ان تنعكس اليه انوار الملك الخلاق وذلك لا يحصل غالبا الا بتربية كامل من اهل التحقيق لان المرء محجوب عن ربه وحجابه الغفلة وهى وان كانت لا ترفع ولا تزول الا بفضل الله تعالى لكنه بأسباب كثيرة ولا اهتداء الى علاج المرض الا باشارة حكيم حاذق وذلك هو المرشد الكامل فاذا زول الرين عن القلب وتنفتح روزنة البال الى الغيب فيكون اقرار السالك تحقيقا لا تقليدا وتوحيده تجريدا وتفريدا فحينئذ بعكس الامر فيكون اصم عن سماع اخبار ماسوى المحبوب الحقيقى أبكم عن افشاء سر الحقيقة اعمى عن رؤية الاغيار فى هذه الدار الفانية اللهم خلصنا من التقليد وأوصلنا الى حقيقة التوحيد انك حميد مجيد (يا أيها الذين آمنوا كلوا) رزقكم (من طيبات ما رزقناكم) اى من حلاله لان ما رزقناكم اعم من الحلال والحرام عند اهل السنة او من لذيذاته لانه اعم ايضا من المستلذ والمستكره قال ابن الشيخ وهذا المعنى هو المناسب لهذا المقام واولى من حمله على الحلال الطاهر من الشبهة لان المقام مقام الامتنان بما رزقه من لذائذ الاحسان وطلب شكر المنعم المنان والطيب له ثلاثة معان المستلذ طبعا والمباح شرعا والطاهر وضعا وفى الآية اشارة الى انه لا بأس بالتفكه بأنواع الفواكه لانها من الطيبات وتركه افضل لئلا ينقص من درجته ويدخل تحت قوله تعالى اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا والامر باكل الطيبات لفائدتين احداهما ان يكون اكلهم بالامر لا بالطبع فيمتازون عن الحيوانات ويخرجون من حجاب ظلمة الطبع بنور الشرع والثانى ليثيبهم بائتمار امر الاكل (واشكروا لله) الذى رزقكموها وأحلها لكم والشكر صرف العبد جميع اعضائه الظاهرة والباطنة الى ما خلقت لاجله وهذا الامر ليس امر اباحة بل هو للايجاب اذ لا شك فى انه يجب على العاقل ان يعتقد بقلبه ان من اوجده وانعم عليه بما لا يحصى من النعم الجليلة مستحق لغاية التعظيم وان يظهر ذلك بلسانه وبسائر جوارحه (ان كنتم اياه تعبدون) اى ان كنتم مؤمنين بالله ومخصصين الله بالعبادة فاشكروا له فان الايمان يوجب ذلك وهو من شرائطه وهو مشهور فى كلامهم يقول الرجل لصاحبه الذى عرف انه يحبه ان كنت لى محبا فافعل كذا فيدخل حرف الشرط فى كلامه تحريكا له على ما يؤمر به واعلاما انه من شرائط المحبة وليس المراد ان انتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروط فان من لا يفعل هذه العبادة يجب الشكر عليه ايضا وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن لفى نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى (قال السعدى) مكن كردن از شكر منعم مپيچ * كه روز پسين سر برارى بهيچ (انما حرم عليكم الميتة) اى ما مات بغير ذكاة مما يذبح والسمك والجراد مستثنيان بالعرف لانه اذا قيل فلان اكل ميتة لم يسبقا الى الفهم

ولا اعتبار للعادة قالوا من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة قال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا والمراد بتحريم الميتة تحريم اكلها وشرب لبنها او الانتفاع بها لان الاحكام الشرعية انما تتعلق بالافعال دون الاعيان (والدم) الجاري والكبد والطحال مستثنيان ايضا بالعرف فهما حلالان (ولحم الخنزير) قد انعقد الاجماع على ان الخنزير حرام لعينه فيكون جميع اجزائه محرما وانما خص الله لحمه بالذكر لانه معظم ما ينتفع به من الحيوان فهو الاصل وما عداه تبع له (وما اهل به لغير الله) اى وحرم ما رفع به الصوت عند ذبحه للصنم واصل الاهلال رفع الصوت وكانوا اذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون اصواتهم بذكرها ويقولون باسم اللات والعزى فجرى ذلك من امرهم حتى قيل لكل ذابح وان لم يجهر بالتسمية مهل قال العلماء لو ذبح مسلم ذبيحة وقصد بها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ميتة وذبائح اهل الكتاب تحل لنا لقوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الا ان سموا غير الله فانها حينئذ لا تحل لهذه الآية فان قوله تعالى وطعام الذين الخ عام وقوله وما اهل به لغير الله خاص والخاص مقدم على العام (فمن) يحتمل ان تكون شرطية وموصولة (اضطر) اى احوج وألجئ الى اكل شئ مما حرم الله بأن لا يجد غيرها وجدان الاضطرار أن يخاف على نفسه او على بعض اعضائه التلف (غير) نصب على الحال فانه اذا صلح فى موضع لا فهو حال وان صلح فى موضع الا فهو استثناء والا فهو صفة وذو الحال ههنا فاعل فعل محذوف بعد قوله اضطر تقديره فمن اضطر احد أمرين الى تناول شئ من هذه المحرمات احدهما الجوع الشديد مع عدم وجدان مأكول حلال يسد رمقه وثانيهما الاكراه على تناوله فتناول واكل حال كونه غير (باغ) على مضطر آخر بأن حصل ذلك المضطر الآخر من الميتة مثلا قدر ما يسد به جوعته فأخذه منه وتفرد بأكله وهلك الآخر جوعا وهذا حرام لان موت الآخر جوعا ليس اولى من موته جوعا (ولا عاد) من العدو وهو التعدي والتجاوز فى الامر لما حد له فيه اى غير متجاوز حد الشبع عند الاكل بالضرورة بأن يأكل قدر ما يحصل به سد الرمق والجوعة (فلا اثم عليه) فى تناوله عند الضرورة (ان الله غفور) لما اكل فى حال الاضطرار (رحيم) بترخيصه ذلك ولم يذكر فى هذه الاية سائر المحرمات لانها ليست لحصر المحرمات بل هذه الايات سيقت لنهيهم عن استحلال ما حرم الله وهم كانوا يستحلون هذه الاشياء فكانوا يأكلون الميتة ويقولون تأكلون ما أمتم ولا تأكلون ما اماته الله وكذا يأكلون الدم ولحم الخنزير وذبائح الاصنام فبين انه حرمها فالمراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا وقيل ذكر الميتة يتناول المتردية وهى الساقطة فى بئر او ماء او من علو والمخنقة وهى ما اختنق بالشبكة او بحبل او خنق خانق والموقوذة وهى المضروبة بالخشب والنطيحة وهى المنطوحة وما اكل السبع ومتروك التسمية عمدا ونحوها ويكره عشرة من الحيوان الدم والغدة والقبل والدبر والذكر والخصيتان والمرارة والمثانة ونخاع الصلب أما الدم فلقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم واما ما سواه فلانها من الخبائث قال الشيخ الشهير بأفتاده افندى ذكر أن النبى عليه السلام لم يأكل الطحال ولا الكلية ولا الثوم وان لم يمنع عن اكلها فالاولى ان لا تؤكل اقتفاء لاثره ثم قيل فى وجهه ان المنى اذا نزل لم ينزل الا بعد اتصاله بالكلية واما الطحال فلأنه من اطعمة اهل النار كذا فى واقعات الهدائى قدس سره ومن امتنع من الميتة حال المخمصة او صام ولم يأكل حتى مات اثم بخلاف من امتنع من التداوى حتى مات فانه لا يأثم لانه لا يقين بأن هذا الدواء يشفيه ولعله يصح من غير علاج وذكر فى الاشباه والنظائر انه يرخص للمريض التداوى بالنجاسات وبالخمر على احد القولين واختار قاضى خان عدمه واساغة اللقمة بها اذا غص اتفاقا واباحة النظر للطبيب حتى للعورة والسوأتين انتهى ويحل للعطشان شرب الخمر حالة الاضطرار على ما نص عليه فى الخانية وما قال الصدر الشهيد من ان الاستشفاء بالحرام حرام فهو غير مجرى على اطلاقه لان الاستشفاء بالمحرم انما لا يجوز اذا لم نعلم ان فيه شفاء واما اذا علم ذلك وليس له دواء آخر غيره يجوز له الاستشفاء به ومعنى قول ابن مسعود رضى الله عنه ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم يحتمل ان عبد الله قال ذلك فى داء عرف له دواء غير محرم لانه حينئذ يستغنى بالحلال عن الحرام وفى التهذيب يجوز للعليل شرب البول والدم للتداوى اذا اخبره طبيب مسلم ان شفاءه فيه ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه كذا فى شرح الاربعين حديثا لعلامة الروم ابن الكمال والاشارة فى قوله تعالى انما حرم الآية انه كما حرم على الظواهر هذه المعهودات حرم على البواطن شهود غير الله فالميتة هى جيفة الدنيا والدم هى الشهوات النفسانية قال عليه السلام ان الشيطان

ليجرى فى ابن ادم مجرى الدم ولولا ان الشهوات فى الدم مستكنة لما كان للشيطان اليه سبيل ولهذا قال عليه السلام سدّدوا مجارى الشيطان بالجوع لان الجوع يقطع مادّة الشهوات ولحم الخنزير اشارة الى هوى النفس وتشبيه النفس بالخنزير لغاية حرصها وشرهها وخستها وخباثة ظاهرها وباطنها وما اهل به لغير الله هو كل ما يتقرب به الى الله من الطاعات البدنية والخيرات المالية من غير اخلاص لله وفى الله بل للرياء والسمعة فى سبيل الهوى فمن اضطرّ اما الضرورة الحاجة النفسانية واما الضرورة امر الشرع باقامة احكام الواجبات عليه فليشرع فى شئ مما اضطرّ اليه غير باغ اى غير حريص على الدنيا وجمعها من الحرام والحلال وغير مولع على الشهوات بالحرام والحلال وغير مقبل الى استيفاء حظوظ النفس فى الحرام والحلال وغير مواظب على الرياء فى الطاعات والخيرات من السنن والبدع ولا عاد اى غير متجاوز من الدنيا حد القناعة وهى ما يسدّ الجوعة ويستر العورة فلا اثم عليه على من قام بهذه الشرائط ان الله غفور رحيم يغفر للعاملين له بآثار الرحمة والقائمين به بأنوار الرحمة والماحين فيه باوصاف الرحمة التقطته من التأويلات النجمية والغفور والغفار هو الذى اظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبائح التى سترها باسبال الستر عليها فى الدنيا والتجاوز عن عقوبتها فى الاخرة وحظ العبد من هذا الاسم ان يستر من غيره ما يحب ان يستر منه وقد قال عليه السلام من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة والمغتاب والمتجسس والمكافئ على الاساءة بمعزل عن هذا الوصف وانما المتصف به من لا يفشى من خلق الله الا احسن ما فيه كما روى عن عيسى عليه السلام انه مرّ مع الحواريين بكلب قد غلب نتنه فقالوا ما انتن هذه الجيفة فقال عليه السلام ما احسن بياض اسنانها تنبيها على ان الذى ينبغى ان يذكر من كل شئ ما هو احسن كذا فى شرح الاسماء الحسنى للامام الغزالى قدس سره (ان الذين) نزلت فى احبار اليهود فانهم كانوا يرجون ان يكون النبى المنعوت فى التوراة منهم فلما بعث الله نبينا محمدا عليه السلام من غيرهم غير وانعته حتى اذا نظر اليه السفلة يجدونه مخالفا لصفة محمد عليه السلام فلا يتبعونه فلا تزول رياستهم (يكتمون ما انزل الله من الكتاب) حال من العائد المحذوف اى انزله الله حال كونه من الكتاب وهو التوراة المشتمل على نعت محمد عليه السلام (ويشترون به) اى بدل المنزل المكتوم (ثمنا قليلا) اى يأخذون عوضا حقيرا من الدنيا يعنى المآكل التى يصيبونها من سفلتهم (اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار) اما فى الاخرة فظاهر لانهم لا يأكلون يوم القيامة الا عين النار عقوبة لهم على اكلهم الرشوة فى الدنيا واما فى الدنيا فبأكل سبها فان اكلهم ما أخذوه من اتباعهم سبب مؤدّ الى ان يعاقبوا بالنار فاطلاق النار عليه من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب ومعنى فى بطونهم ملئ بطونهم يقال اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه يعنى ان المقصود من ذكر بطونهم متعلقا بقوله يأكلون انما هو بيان محل الاكل ومقرّ المأكول فلما لم يقل يأكلون فى بعض بطونهم علم ان محل الاكل هو تمام بطونهم فلزم امتلاؤها ففيه مبالغة كانهم ما كانوا متمكنين على البطون عند الاكل فلأوا بطونهم (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) اى لا يكلمهم الله بطريق الرحمة غضبا عليهم فليس المراد به نفى الكلام حقيقة لئلا يتعارض بقوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه بل هو كناية عن الغضب لان نفى الكلام لازم للغضب عرفا وعادة الملوك عند الغضب انهم يعرضون عن المغضوب عليهم ولا يكلمونهم كما انهم عند الرضى يتوجهون اليهم بالملاطفة (ولا يزكيهم) لا يثنى عليهم ولا يطهرهم من دنس الذنوب يوم يطهر المؤمنين من ذنوبهم بالمغفرة (ولهم عذاب اليم) وجع دائم مؤلم (اولئك) المشترون بكتاب الله ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن وان قل بل (الذين اشتروا) بالنسبة الى الدنيا (الضلالة) التى ليست مما يمكن ان يشترى قطعا (بالهدى) الذى ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شئ وان جل (والعذاب) اى اشتروا بالنظر الى الآخرة العذاب الذى لا يتوهم كونه من المشترى (بالمغفرة) التى يتنافس فيها المتنافسون (فما اصبرهم على النار) اى ما اصبرهم على اعمال اهل النار حين تركوا الهدى وسلكوا مسالك الضلال فالمراد بالنار سببها اطلق عليه اسم النار للملابسة بينهما ومعنى التعجب راجع الى العباد فهو تعجب اى ايقاع للمخاطب فى العجب لامتناع التعجب فى شأنه تعالى لان التعجب منشأه الجهل بالسبب فانهم قالوا التعجب انفعال النفس مما خفى سببه وخرج عن نظائره فلا يجوز على الله تعالى (ذلك) العذاب بالنار (بان الله) اى بسبب انه (نزل الكتاب) اى جنس الكتاب (بالحق) اى حال كونه ملتبسا بالحق فلا جرم يكون من رفضه بالتكذيب والكتمان وركب متن الجهل

والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) اى فى جنس الكتاب الالهى بأن آمنوا ببعض كتب الله وكفروا ببعضها اوفى التوراة بان آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالايات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونعوته الكريمة اوفى القرءان بان قال بعضهم انه شعر وبعض سحر وبعض كهانة (لفى شقاق بعيد) اى خلاف بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب اعلم ان فى هذه الايات وعيدا عظيما لكل من يكتم الحق لغرض فاسد دنيوى فليحذروا اى العلماء أن يكتموا الحق وهم يعلمون وانما يكتمونه عن الملوك والامراء والوزراء وارباب الدنيا اما خوفا من اتضاع مرتبتهم ونقصان قدرهم عندهم واما طموحا الى احسانهم اولانهم شركاؤهم فى بعض احوالهم من حب الدنيا وجمعها والحرص فى طلبها اوطلب مناصبها وحب رياستها اوبالتنعم فى المأكول والمشروب والملبوس والمركوب والمسكن والاوانى وآلات البيت والامتعة والزينة فى كل شئ والخدم والخيول وغيرذلك فعند ذلك يداهنون ويأكلون ثمنا قليلا ولايأكلون الانار الحرص والشهوة والحسد التى تطلع على الافئدة وتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واعلم ان فى كل عمل وفعل وقول يصدر من العبد على خلاف الشرع شرا يجتنى من نار السعير فتحصل فى قلب العبد تلك النار فى الحال وفى التى تصدر من العبد على وفق الشرع شرا يجتنى من نار المحبة فتظهر فى القلب فتحرق كل محبوب غيرالله فى القلب كما ان نار السعير تحرق فى القلب الحسنات والاخلاق الحميدة فيأكلون نارا فى الحال وانما قال ما يأكلون فى بطونهم الا النار لان فسادهم كان فى الباطن فكان عذابهم فى البطون وانما لا يكلمهم الله يوم القيامة لانهم كتموا كلام الله فى الدنيا ولا تكلموه بالصدق فكان جزاء سيئة سيئة مثلها وانما لا يزكيهم لان تزكية النفس للانسان مقدرة من الايمان والاعمال الصالحة بصدق النية من تهذيب الاخلاق بآداب الشرع فاولئك المداهنون من العلماء هم الذين اشتروا حب الدنيا بهدى اظهار الحق وآثروا الخلق على الحق والمداهنة على افضل الجهاد قال عليه السلام ان افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وانما كانت افضل لان الجهاد بالحجة والبرهان جهاد أكبر بخلاف الجهاد بالسيف والسنان فانه جهاد اصغر ومدار كتمان الحق حب الدنيا وحبها رأس كل خطيئة قال الحسن ان الزبانية الى فسقة حملة القرءآن اسرع منهم الى عبدة الاوثان فيقولون ربنا ما بالنا يتقدمون الينا فيقول الله ليس من يعلم كمن لا يعلم فمن اشترى الدنيا بالدين فقد وقع فى خسران مبين وكان دائما فى منازعة الشيطان كما حكى ان رجلا قال للشيخ ابى مدين ما يريد منا الشيطان شكاية منه فقال الشيخ انه جاء قبلك وشكا منك وقال اعلم انه سيشكونى ولكن الله ملكنى الدنيا فمن نازعنى فى ملكى لا اتسلى بدون ايمانه فمن كف يده عن الدنيا وزينتها فقد استراح من تعبها ومحنتها (وحكى) ان ذا القرنين اجتاز على قوم تركوا الدنيا وجعلوا قبور موتاهم على ابوابهم يقتاتون تعبها ومحنتها وحكى ان ذا القرنين اجتاز على قوم تركوا الدنيا وجعلوا قبور موتاهم على ابوابهم يقتاتون بنبات الارض ويشتغلون بالطاعة فأرسل ذو القرنين الى ملكهم فقال مالى حاجة الى صحبة ذى القرنين فجاء ذو القرنين فقال ما سبب قلة الذهب والفضة عندكم قال ليس للدنيا طالب عندنا لانها لا تشبع احدا فجعلنا القبور عندنا حتى لا ننسى الموت ثم أخرج رأس انسان وقال هذا رأس ملك من الملوك كان يظلم الرعية ويجمع حطام الدنيا فقبضه الله تعالى وبقى عليه السيئات ثم أخرج رأسا آخر وقال ايضا هذا رأس ملك عادل مشفق فقبضه واسكنه جنته ورفع درجته ثم وضع يده على رأس ذى القرنين وقال من اى الرأسين يكون رأسك فبكى ذو القرنين وقال ان ترغب فى صحبتى شاطرتك مملكتى وسلمت اليك وزارتى فقال هيهات وقال ذو القرنين ولم قال لان الناس اعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم احبابى بسبب القناعة (قال السعدى قدس سره)

دركوشهٔ قناعت نان پارهٔ وبينه * در پيش اهل معنى به ترزصد خزينه (ليس البر) هو كل فعل مرضى يفضى بصاحبه الى الجنة (ان تولوا) اى ان تصرفوا يا اهل الكتابين (وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق والمغرب) اى مقابلهما ظرف مكان لقوله تولوا والبر منصوب على انه خبر مقدم وان تولوا اسمها لكونه فى تأويل المصدر والمصدر المؤول اعرف من المحلى باللام وهو يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به فالاولى ان يجعل الاعرف اسما وغير الاعرف خبرا وذلك ان اليهود والنصارى اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر هو التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر (ولكن البر) المعهود الذى ينبغى ان يهتم بشأنه ويجد

فى تحصيله (من) اى بر من على حذف المضاف لان اسم لكن من اسماء المعانى وخبرها من اسماء الاعيان فامتنع الحمل لذلك (آمن بالله) وحده ايمانا بريئا من شائبه الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله وقدم الايمان بالله فى الذكر لانه اصل لجميع الكمالات العلمية والعملية (واليوم الآخر) اى بالبعث الذى فيه جزآء الاعمال على انه كائن لامحالة وعلى ماهو عليه لا كما يزعمون من انهم لا تمسهم النار الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء ويشفعون لهم فالبر هو التوجه الى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب فى الحقيقة ولما كان الايمان باليوم الآخر متفرعا على الايمان بالله لانا مالم نعلم باستحقاقه الالوهية وقدرته على جميع الممكنات لايمكننا ان نعلم صحة الحشر والنشر وكان الايمان به محركا وداعيا الى الانقياد بالله فى جميع ما امر به ونهى عنه خوفا وطمعا ذكر الايمان به عقيب الايمان بالله (والملائكة) كلهم بأنهم عباد الله ليسوا بذكور ولا اناث ولا بشر ولا اولاد الله مكرمون عنده متوسطون بينه وبين انبيائه بالقاء الوحى وانزال الكتب واليهود أخلوا بذلك حيث اظهروا عداوة جبريل (والكتاب) اى بجنس الكتاب الالهى الذى من افراده الفرقان واليهود اخلوا بذلك لانه مع قيام الدليل على ان القرآن كتاب الله تعالى ردوه ولم يقبلوه (والنبيين) جميعا بأنهم المبعوثون الى خلقه والقائمون بحقه والصادقون عنه فى امره ونهيه ووعده ووعيده واخباره من غير تفرقة بين احد منهم واليهود أخلوا بذلك حيث قتلوا الانبياء وطعنوا فى نبوة محمد عليه السلام واعلم ان الايمان بالملائكة والكتاب مؤخر عن الايمان بالنبيين الا انه قدم الايمان بهما فى الذكر رعاية للترتيب بحسب الوجود الخارجى ولم ينظر الى الترتيب فى العلم فان الملك يوجد اولا ثم يحصل بواسطته نزول الكتاب الى الرسل فتدعو الرسل الى مافيها من الاحكام وهذا اى الايمان بالامور الخمسة المذكورة اصول الدين وقواعد العقائد (وآتى المال) اى الصدقة من ماله (على حبه) حال من الضمير فى آتى والضمير المجرور للمال اى آتاه كائنا على حب المال كما قال عليه السلام للسائل اى الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان (قال السعدى) بريشان مكن امروز گنجينه جست * كه فردا كليدش نه دردست تست * كنون بر كف دست نه هرچه هست كه فردا بدندان گزى پشت دست (ذوى القربى) مفعول اول لآتى بدلالة الحال وقدمهم لانهم احق بالصدقة لقوله عليه السلام صدقتك على المسلمين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال ايضا افضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح (واليتامى) الفقرآء منهم لا الاغنياء وقدم اليتامى على سائر المصارف لان الصغير الفقير الذى لا والد له ولا كاسب أشد احتياجا من المساكين ومن ذكر بعدهم (والمساكين) جمع مسكين والمسكين ضربان من يكف عن السؤال وهو المراد ههنا ومن ينبسط ويسأل وهذا القسم داخل فى قوله والسائلين وهو مبالغة الساكن فان المحتاج يزداد سكونه الى الناس على حسب ازدياد حاجته (وابن السبيل) اى المسافر البعيد عن ماله وسمى به لملازمته له كما تقول للص القاطع ابن الطريق وللمعمر ابن الليالى ولطير الماء ابن الماء والضيف لانه جاء من السبيل فكانه ولد منه قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وايضا اكرموا الضيف ولو كان كافرا (والسائلين) الذين ألجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال وفى الحديث للسائل حق ولو جاء على ظهر فرسه (قال السعدى) نه خواهنده بر در ديگران * بشكرانه خواهنده از در مران (وفى) تخليص (الرقاب) بمعاونة المكاتبين جمع رقبة وهى مؤخر العنق واشتقاقها من المراقبة لانها مكان مراقبة الرقيب المشرف على القوم واذا قيل اعتق الله رقبته يراد ان الله تعالى خلصه من مراقبة العذاب اياه وقيل المراد بهم ارقاء يشتريهم الاغنياء لاعتاقهم وقيل المراد بهم الاسارى فان الاغنياء يؤتون المال فى تخليصهم فهذا هو البر ببذل الاموال على وفق مراد الله تعالى الى المصارف المذكورة واليهود اخلوا بذلك لانهم اكلوا اموال الناس بالباطل حيث كتموا دلائل حقية الاسلام على اتباعهم واشتروا به ثمنا قليلا وعوضا يسيرا وهو مايعود اليهم من هدايا السفلة (واقام الصلاة) المفروضة عطف على صلة من اى من آمن وآتى واقام واليهود كانوا يمنعون الناس من الصلاة والزكاة (وآتى الزكاة) المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقة قدم على الفريضة مبالغة فى الحث عليه او الاول لبيان المصارف والثانى لبيان وجوب الادآء (والموفون) عطف على من آمن فانه

فى قوة ان يقال ومن اوفوا (بعهدهم) من الاوامر والنواهى او النذور (اذا عاهدوا) فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا أونذروا اوفوا واذا قالوا صدقوا واذا ائتمنوا ادوا وفى الحديث من اعطى عهد الله ثم نقضه فالله لا ينظر اليه اى انقطع نظره عنه ومن اعطى ذمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم غدر فالنبى خصمه يوم القيامة واليهود نقضوا العهد قال الله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم (وفى المثنوى) چون درختست آدمى وبيخ عهد * بيخ راتيمارمى بايد بجهد * عهد فاسد بيخ پوسيده بود * وزثمار ولطف ببريده بود * شاخ وبرك نخل كرچه سبز بود * چون تبه شد بيخ سبزى نيست سود * ورندارد برك سبز وبيخ هست * عاقبت بيرون كند صدبرك وبست (والصابرين) منصوب على المدح اى بتقدير اعنى وهو فى الحقيقة والمعنى عطف على من آمن لكن غير سبكه تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته اى واعنى الذين صبروا (فى البأساء) اى فى الفقر والشدة (والضراء) اى المرض والزمانة (وحين البأس) منصوب بالصابرين اى وقت الشدة والبأس شدة القتال خاصة وهو فى الاصل مطلق الشدة وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه واهل الكتاب اخلوا بذلك حيث كانوا فى غاية الخوف والجبن والحاصل انه لما حولت القبلة وكثر خوض اهل الكتاب فى نسخها صار كأنهم قالوا مدار البر والطاعة هو الاستقبال فانزل الله هذه الآية كأنه تعالى قال ماهذا الخوض الشديد فى امر القبلة مع الاعراض عن كل اركان الدين فصفة البر لا تحصل بمجرد استقبال المشرق والمغرب بل البر لا يحصل الا بمجموع الامور المذكورة (اولئك) اى اهل هذه الصفة (الذين صدقوا) فى الدين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال (واولئك هم المتقون) عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية جامعة للكمالات الانسانية بأسرها دالة عليها صريحا اوضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلاة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه يشير قوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان قال شيخنا العلامه ابقاه الله بالسلامه قيل لى فى قلبى احسن اخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضى واحسن اخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء انتهى كلامه وحب المال من اغلب اخلاق النفس وكذا العجلة من الاخلاق الرديئة ولذلك قيل ان الصبر أفضل من الشكر وفى الخبر يؤتى بأشكر اهل الارض ليجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بالصابر فيقول الله هذا نعمت عليه فشكروا بتليتك فصبرت لأضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين والتحقيق ان تهذيب النفس انما يكون بالتوحيد بطريقه المخصوص كما ان اصل الايمان انما يحصل بالتوحيد والشهادة (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) الخطاب لائمة المؤمنين اوجب الله تعالى على الامام وعلى من يجرى مجراه ويقوم مقامه اقامة القصاص والتقدير يا أيها الائمة فرض عليكم استيفاء القصاص ان اراد ولى الدم استيفاءه ويحتمل ان يكون الخطاب متوجها على القاتل والمعنى يا أيها القاتلون عمدا كتب عليكم تسليم انفسكم عند مطالبة الولى بالقصاص وذلك لان القاتل ليس له ان يمتنع عن القصاص لكونه حق العبد بخلاف الزانى والشارب فان لهما الهرب من الحدود لكون ماعليهما من الحق حق الله تعالى والقصاص ان يفعل بالانسان مثل مافعل فهو عبارة عن التسوية والمماثلة فى الانفس والاطراف والجراحات والقتلى جمع قتيل وفى للسبب اى بسبب قتل القتلى كما فى قوله عليه السلام ان امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها اى بسبب ربطها اياها وحسن الوقف فى قوله القتلى (الحر بالحر) مبتدأ وخبر اى الحر مأخوذ ومقتول بمثله (والعبد بالعبد والانثى بالانثى) سبب النزول انه كان بين حيين من احياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر اى قوة وفضل فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم الله ان يتباروا اى يتساووا ويتعادلوا وقوله الحر بالحر لا يفيد الحصر البتة بان لا يجرى القصاص الا بين الحرين وبين العبدين وبين الانثيين بل يفيد شرع القصاص فى القتلى بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على سائر

الاقسام فان قوله تعالى كتب عليكم القصاص فى القتلى جملة مستقلة بنفسها وقوله الحر بالحر تخصيص لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر وتخصيص بعض جزئيات الجملة المستقلة بالذكر لا يمنع ثبوت الحكم لسائر الجزئيات بل ذلك التخصيص يمكن ان يكون لفائدة سوى نفى الحكم عن سائر الصور وهى ابطال ما كان عليه اهل الجاهلية من انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل بالعبد المقتول والانثى القاتلة بالانثى المقتولة وليس فيه نفى جريان القصاص بين الحر والعبد والذكر والانثى بل فيه منع عن التعدى الى غير القاتل انتهى كلامه والثورى وابو حنيفة يقتلان الحر بالعبد والمؤمن بالكافر ويستدلان بعموم قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا فى القرءآن من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا وبما روى المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل فى النفس غير معتبر بدليل قتل الجماعة بالواحد وبأن القصاص يعتمد المساواة فى العصمة وهى بالدين او بالدار وهما سيان فيهما ومالك والشافعى لا يقتلان الحر بالعبد ولا المؤمن بالكافر كما قال الشافعى رحمه الله

خذوا بدمى هذا الغزال فانه * رمانى بسهمى مقلتيه على عمد

ولا تقتلوه انى انا عبده * وفى مذهبى لا يقتل الحر بالعبد

(فمن) عبارة عن القاتل شرطية كانت او موصولة (عفى له من اخيه) الضميران راجعان الى من (شئ) اى شئ من العفو قليل فارتفاع شئ على انه قائم مقام فاعل عفى بناء على انه فى حكم المصدر اى فى حكم قولك عفى عفو فان عفا وان كان لازما لا يتعدى الى المفعول به الا انه يتعدى الى المفعول المطلق فيصلح ان يقام مصدره مقام الفاعل كما فى قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة وقولهم سير بزيد بعض السير وشئ من السير وفائدة قوله شئ الاشعار بأنه اذا عفى له طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية وعفا يتعدى الى الجانى والى الذنب بعن فاذا تعدى الى الذنب بعن كما فى قوله تعالى عفا الله عنك عدى الى الجانى باللام يقال عفوت لفلان اذا جنى وعليه ما فى الآية وعفو الجانى عبارة عن اسقاط موجب الجناية عنه وموجبها ههنا القصاص فكأنه قيل القاتل الذى عفى له عن جناية من جهة اخيه الذى هو ولى المقتول سوآء كان العفو الواقع تاما بأن اصطلح القاتل مع جميع اولياء القتيل على مال او بعض العفو بان وقع الصلح بينه وبين بعض الاولياء فانه على التقديرين يجب المال ويسقط القصاص فانه قد روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان هذه الآية نزلت فى الصلح عن القصاص على مال وسمى الله تعالى ولى الجناية اخا للقاتل استعطافا له عليه وتنبيها على ان اخوة الاسلام قائمة بينهما وان القاتل لم يخرج من الايمان بقتله (فاتباع بالمعروف) خبر مبتدأ محذوف اى واذا حصل شئ من العفو وبطل الدم بعفو البعض فالامر اتباع بالمعروف اى على ولى المقتول ان يطالب القاتل ببدل الصلح بالمعروف بترك التشديد والتضييق فى طلبه واذا اخذ الدية لا يطلب الاكثر مما وجب عليه (واداء اليه باحسان) حث المعفو عنه وهو القاتل على تأدية المال بالاحسان اى وعلى القاتل ان يؤدى المال الى العافى باحسان فى الاداء بترك المطل والبخس والاذى (ذلك) اى الحكم المذكور من العفو والدية (تخفيف من ربكم) اى تيسير وتوسعة لكم (ورحمة) منه حيث لم يجزم بالعفو واخذ الدية بل خيركم بين الثلاث القصاص والدية والعفو وذلك لان فى شرع موسى عليه السلام القصاص وهو العدل فقط وفى دين عيسى عليه السلام العفو وهو الفضل فحسب وفى ملتنا للتشفى القصاص وللترفه الدية وللتكرم العفو (فمن اعتدى) اى تجاوز ما شرع له (بعد ذلك) التخفيف بأن قتل غير القاتل او قتل القاتل بعد العفو او اخذ الدية فقد كان الولى فى الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر فيقتله وينبذ ماله الى اوليائه (فله) باعتدائه (عذاب اليم) نوع من العذاب شديد الالم اما فى الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما فى الآخرة فبالنار (ولكم فى القصاص حياة) اى فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة لانهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة كما قتل مهلهل بن ربيعة بأخيه كليب حتى كاد يفنى بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع فيما بينهم التشاجر والهرج والمرج وارتفاع الامن فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه اى حياة لانه اذا علم القاتل انه يقتل اذا قتل لا يقدم على القتل واذا قتل فقتل ارتدع غيره فكان القصاص سبب حياة نفسين او اكثر وهو كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة من

حيث جعل الشئ محل ضده فان ضدية شئ لآخر تستلزم ان يكون تحقق احدهما رافعا للآخر والقصاص لاستلزامه ارتفاع الحياة ضد لها وقد جعل ظرفا لها تشبيها له بالظرف الحقيقي من حيث ان المظروف اذا حواه الظرف لا يصيبه ما يخل به ويفسده ولا هو يتفرق ويتلاشى بنفسه كذلك القصاص يحمى الحياة من الآفات فكان من هذا الوجه بمنزلة الظرف لها ولا شك فيه اذ جعل الضد حاميا لضده اعتبار لطيف في غاية الحسن والغرابة التي هي من نكات البلاغة وطرقها (يا اولى الالباب) اى ذى العقول الخالصة من شوب الاوهام ناداهم للتأمل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس (لعلكم تتقون) تعملون عمل اهل التقوى فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان او تتقون عن القتل مخافة القود وفيه تحذير عن القتل فان من اعظم حقوق العباد الدماء وهي اول ما يحاسب به العبد بالنسبة الى حقوق العباد كما ان الصلاة اول ما يحاسب به بالنسبة الى حقوق الله تعالى وفى الحديث يأتى المقتول معلقا رأسه باحدى يديه ملببا قاتله بيده الاخرى تشخب اوداجه دما حتى يوقفا فيقول المقتول لله سبحانه هذا قتلنى فيقول الله تعالى للقاتل تعست ويذهب به الى النار واعلم ان الذنوب على ثلاثة اوجه * الاول فيما بين العبد وبين الله تعالى كالزنى واللواطة والغيبة والبهتان ما لم يبلغ الى من بهته واغتابه فاذا بلغه وجعله فى حل وتاب المذنب فترجو أن الله يغفر له وكذلك اذا زنى بامرأة ولها زوج فلم يجعله ذلك الرجل فى حل لا يغفر له لان خصمه الآدمى فاذا تاب وجعله فى حل فانه يغفر له ويكتفى بحل منه ولا يذكر الزنى بان قال كل حق لى عليك فقد جعلتك فى حل منه ومن كل خصومة بينى وبينك وهذا اصلح بالمعلوم على المجهول وذلك جائز كرامة لهذه الامة لان الامم السالفة ما لم يذكر الذنب لا يغفر لهم * والثانى ذنب فيما بينه وبين اعمال الله وهو ان يترك الصلاة والصوم والزكاة والحج فان التوبة لا تكفيه ما لم يقض الصلاة وغيرها لان شرط التوبة ان يؤدى ما ترك فاذا لم يؤد فكأنه لم يتب * والثالث فيما بينه وبين عباد الله وهو ان يغصب اموالهم او يضر بهم او يشتمهم او يقتلهم فان التوبة لا تكفيه الا ان رضى عنه خصمه او يجتهد فى الاعمال الصالحة حتى يوفق الله بينهما يوم القيامة فانه اذا تاب العبد وكان عليه حقوق العباد فعليه ان يردها الى اربابها وان عجز عن ايصالها واراد الله مغفرته يقول لخصمه يوم القيامة ارفع رأسك فيرفع فيرى قصورا عالية فيقول يا رب لمن هذه فيقول الله تعالى انت قادر عليها فان ثمنها عفوك عن اخيك فيقول قد عفوت فيقول الله تعالى خذ بيد أخيك واذهبا الى الجنة * والاشارة فى الآية ان الله تعالى كتب عليكم القصاص فى قتلاكم كما كتب على نفسه الرحمة فى قتلاه كما قال من احبنى قتلته ومن قتلته فأنا ديته (وفى المثنوى)

كر يكى سررا ببرد از بدن * صد هزاران سر برارد در زمن * اقتلونى يا ثقاتى لائما * ان فى قتلى حياتى دائما * ان فى موتى حياتى يا فتى * لم افارق موطنى حتى متى * شير دنيا جويد اشكار وبرك * شير مولى جويد ازادى ومرك * چونكه اندر مرك بيند صد وجود * همچو پروانه بسوزاند وجود *

فعلى العاقل ان يقتل نفسه بالرياضات الشديدة ويحيى قلبه بالحياة الطيبة الباقية اللهم وفقنا لمداواة هذه القلوب المرضى آمين (كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت) اى حضر أسبابه وظهر اماراته وآثاره من العلل والامراض اذ لا اقتدار على الوصية عند حضور نفس الموت والعامل فى اذا مدلول كتب لان الكتب بمعنى الايجاب لا يحدث وقت حضور الموت بل الحادث تعلقه بالمكلف وقت حضور موته فكأنه قيل توجه عليكم ايجاب الله تعالى ومقتضى كتابه اذا حضر فعبر عن توجه الايجاب وتعلقه بكتب للدلالة على ان هذا المعنى مكتوب فى الازل (ان ترك خيرا) اى مالا قليلا او كثيرا او مالا كثيرا يقال فلان ذو مال ولا يطلق ذلك لمن له مال قليل * وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا اراد ان يوصى قالت كم مالك قال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك واصل الخير ان يكون لكل ما رغب فيه مما هو نافع لانه ضد الشر قال فى اخوان الصفا الخير فعل ما ينبغى فى الوقت الذى ينبغى من اجل ما ينبغى (الوصية) نائب فاعل كتب اى فرض الايصاء (للوالدين والاقربين) ممن يرث وممن لا يرث (بالمعروف) نصب حالا اى بالعدل لا يزيد على الثلث ولا يوصى لغنى ويدع الفقير وكان السبب فى نزول هذه الآية ان اهل الجاهلية كانوا يوصون بمالهم للبعدى رياء وسمعة وطلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب فى الفقر والمسكنة فصرف الله تعالى بهذه الآية فى بدء الاسلام ما كان يصرف الى الابعدين الى الوالدين والاقربين فعمل بها ما كان العمل بها

صلاحا وحكمة ثم نسختها اية المواريث فى سورة النساء فالان لايجب على احد ان يوصى لاحد قريب ولابعيد واذا اوصى فله ان يوصى لكل من الاقارب والاباعد الالوارث (حقا) اى احق هذه الوصية حقا (على المتقين) المجتنبين عن ضياع المال وحرمان القريب يعنى ان كنتم متقين بالله لاتتركوا العمل بهذا قال ابن الشيخ فى حواشيه فان قيل قوله على المتقين يقتضى ان يكون هذا التكليف مختصا بالمتقين وقد دل الاجماع على ان الواجبات والتكاليف عامة فى حق المتقين وغيرهم اجيب بأن المراد بقوله حقا على المتقين انه لازم لكل من آثر التقوى وتحراها وجعلها طريقاله ومذهبا فيدخل فيه الكل (فمن بدله) الضمير راجع الى الوصية لكونها فى تأويل الايصاء اى غير الايصاء عن وجهه الشرعى والمثم وران من غير ايصاء المحتضر هو الوصى او الشاهد فالوصى بغير الوصية امافى الكتابة اوفى قسمة الحقوق والشاهد بغيرها امابتغيير وجه الشهادة اوبكتمها ويمكن ان يكون التبديل من سائر الناس بان منعوا من وصول المال الموصى به الى مستحقه فهؤلاء كلهم داخلون تحت قوله فمن بدله (بعد ماسمعه) اى بعد ما وصل اليه وتحقق لديه (فانما اثمه) اى ما اثم الايصاء المغير اوا ثم التبديل الا (على الذين يبدلونه) لانهم خانوا وخالفوا الشرع لاعلى الموصى وهو الميت فانه برئ من الاثم (ان الله سميع) بالايصاء وتغييره (عليم) بثوابه وجزاءه من غيره وهو يجازى كل واحد منهما بمايستحقه (فمن) شرطية اوموصولة (خاف) اى توقع وعلم فانه اذا علم خاف فهو من اطلاق اسم اللازم على الملزوم (من موص) اى من الذى اوصى وهو يجوز ان يتعلق بخاف على انها لابتداء الغاية اوبمحذوف على انها حال من جنفا قدمت عليه لانها فى الاصل صفة له فلما تقدمت نصبت حالا (جنفا) اى ميلا عن الحق بالخطأ فى الوصية (اواثما) اى تعمد الجنف يعنى اذا جهل الموصى موضع الوصية اوزاد على مقدار الوصية اولوصى بمالا يجوز ايصاؤه (فأصلح) الظاهر أن المراد بالمصلح هو الوصى لانه اشد تعلقا بامر الوصية الا انه لاوجه لتخصيصه بالوصى بل ينبغى ان يدخل تحته كل من يتأتى منه رفع الفساد فى وصية الميت من الوالى والولى والوصى ومن يأمر بالمعروف والمفتى والقاضى والوارث (بينهم) اى بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون فغير وصيته باجراءها على طريق الشرع (فلا اثم عليه) اى لاوزر على المغير فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول (ان الله غفور رحيم) وعد للمصلح بالاثابة وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس مايؤثم لان بعض التبديل وهو التبديل الى الباطل اثم وهذا من المشاكلة الصورية لا المعنوية لان التبديل الى خير ليس من جنس الاثم لكن صورته صورة مايؤثم واعلم ان الوصية مستحبة لحاجة الناس اليها فان الانسان مغرور بأمله اى يرجو الحياة مدة طويلة مقصر فى عمله فاذا عرض له المرض وخاف الهلاك يحتاج الى تدارك تقصيره بماله على وجه لومات فيه يتحقق مقصده المآلى ولوأنهضه البرء يصرفه الى مطلبه الحالى وفى الحديث ان الله تصدق عليكم بثلث اموالكم فى آخر اعماركم زيادة لكم فى اعمالكم تضعونها حيث شئتم ويوصى بفدية صلاته وصيامه لكل مكتوبة نصف صاع من الحنطة وكذا الوتر ولكل يوم من صوم رمضان ايضا نصف صاع من الحنطة وفى صوم النذر كذلك قال فى تفسير الشيخ ومن كان عليه حج اوكفارة اى شئ من الواجبات فالوصية واجبة والافهو بالخيار وعليه الفتوى ويوصى بارضاء خصمائه وديونه (حكى) ان الامام الشافعى رحمه الله لما مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلنى فلما مات بلغ خبر موته اليه فحضر وقال ائتونى بتذكرته فأتى بها فنظر فيها فاذا على الشافعى سبعون ألف درهم دينا فكتبها على نفسه وقضاها وقال هذا غسلى اياه واياه اراد * وفى الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يوص لم يؤذن له فى الكلام مع الموتى قيل يارسول الله وهل تتكلم الموتى قال نعم ويتزاورون قال الامام نقلا عن بعض الائمة الاعلام الارواح قسمان منعمة ومعذبة فاما المعذبة فهى محبوسة مشغولة عن التزاور والتلاقى واما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا ومايكون من اهل الدنيا فيكون كل روح مع رفيقه الذى هو على مثل عمله وهذه المعية ثابتة فى دار البرزخ وفى دار الجزاء والمرء مع من احب فى هذه الدور الثلاث فى كل موطن وموقف فعلى العاقل ان يختار صحبة الاخيار ويتأهب آناء الليل واطراف النهار ولايغتر بالمال والمنال ولاينقطع عن الله بطول الآمال فان الدنيا فانية وكل من عليها فان فاتقوا الله كل حين وآن (قال الصائب) درسر اين غافلان طول امل دانى كه چيست * آشيان كردست مارى دركبوتر خانهٔ * والاشارة

فى الآية انه كتب على الاغنياء الوصية بالمال وكتب على الاولياء الوصية بالحال فالاغنياء يوصون فى اخر اعمارهم بالثلث والاولياء يخرجون فى مبادى احوالهم عن الكل اذا حضر احدكم الموت اى يحضر قلب احدهم مع الله ويموت بنفسه بالارادة عن الصفات الطبيعية الحيوانية كما قال صلى الله عليه وسلم موتوا قبل ان تموتوا ويترك كل خير وشر كان مشربهما من الدنيا والعقبى فعليه ان يوصى للوالدين وهما الروح العلوى والبدن السفلى فان النفس تولدت وحصلت بازدواجهما والاقربين وهم القلب والسر وباقى المتولدات البشرية بتركه وترك كل مشرب يظهر لهم من المشارب الروحانية الباقية والمشارب الجسمانية الفانية بالمعروف اى بالاعتدال من غير اسراف يفضى الى اتلاف محترزا فى الاحوال من الركون الى شهوة من الشهوات وفى الاعمال مجتنبا عن الرسوم والعادات كما قال النبى عليه السلام بعثت لرفع العادات وترك الشهوات وقال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق بان يجعل المشارب مشربا واحدا والحبايب محبوبا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا حقا على المتقين يعنى ماذكرنا من الوصية بجملتها حق واجب على متقى الشرك الخفى ولهذا قال على المتقين وما قال على المسلمين والمؤمنين لانهم اهل الظواهر والمتقون هم اهل البواطن كما قال عليه السلام التقوى ههنا واشار الى صدره واعلم ان القرآن انزل لاهل البواطن كما انزل لاهل الظواهر لقوله عليه السلام ان للقرآن ظهرا وبطنا فظاهره الاحكام لاهل الظواهر والاحكام تحتمل النسخ كما نسخت هذه الآية فى الوصية الظاهرة وباطنه الحكم والحقائق فهى لا تحتمل النسخ ابدا ولهذا قال اهل المعانى ليس شئ من القرآن منسوخا يعنى وان كان دخل النسخ فى احكام ظاهره فلا يدخل فى احكام باطنه فيكون ابدا معمولا بالمواعظ والاسرار والحقائق حقا على المتقين لانه مخصوص بهداية المتقين كقوله تعالى هدى للمتقين فحكم الوصية فى حقهم غير منسوخ ابدا كذا فى التأويلات النجمية قدس الله نفسه الزكية (يا أيها الذين آمنوا) قال اصحاب اللسان يا حرف نداء وهو نداء من الحبيب للحبيب وأيها تنبيه من الحبيب للحبيب وامنوا شهادة من الحبيب للحبيب وقال الحسن اذا سمعت الله يقول يا أيها الذين امنوا فارفع لها سمعك فانه لامر تؤمر به اولنهى تنهى عنه وقال جعفر الصادق لذة فى النداء ازال بها تعب العبادة والعناء يشير الى ان المحب يبادر الى امتثال امر محبوبه حتى لو امره بالقاء نفسه فى النار (كتب عليكم الصيام) اى فرض عليكم صيام شهر رمضان فانه تعالى قال بعده اياما معدودات وقال تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه بعد قوله شهر رمضان والصيام فى الشريعة هو الامساك نهارا مع النية من اهله عن المفطرات المعهودة التى هى معظم ماتشتهيه الانفس وهذا صوم عوام المؤمنين واما صوم الخواص فالامساك عن المنهيات واما صوم اخص الخواص فالامساك عما سوى الله تعالى (كما كتب) محل كما النصب على انه صفة مصدر محذوف اى كتبا كتابا كائنا مثل ما كتب وما مصدرية اوعلى انه حال من الصيام وما موصولة اى كتب عليكم الصيام مشبها بالذى كتب (على الذين من قبلكم) من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين فان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل تحمله ويرغب كل احد فى اتيانه والظاهر ان التشبيه عائد الى اصل ايجاب الصوم لاالى كمية الصوم المكتوب وبيان وقته فكان الصوم على آدم ايام البيض وصوم عاشوراء كان على قوم موسى والتشبيه لا يقتضى التسوية من كل وجه كما يقال فى الدعاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وكما قال عليه السلام انكم سترون ربكم كالقمر ليلة البدر فان هذا تشبيه الرؤية بالرؤية لاتشبيه المرئى بالمرئى (لعلكم تتقون) المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدأها كما قال عليه السلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء قوله الشباب جمع شاب وهو عند اصحابنا من بلغ ولم يجاوز ثلاثين كذا قاله النووى والباءة النكاح والتزوج وهو المباءة فى المنزل لان من تزوج امرأة بوأها منزلا والوجاء نوع من الاخصاء وهو ان يرض عروق الانثيين ويترك الخصيتين كما هما والمعنى على التشبيه اى الصوم يقطع شهوة الجماع ويدفع شر المنى كالخصاء والامر فى الحديث للوجوب لانه محمول على حالة التوقان باشارة قوله يا معشر الشباب فانهم ذووا التوقان على الجبلة السليمة قال العلماء تسكين الشهوة يحصل بالصيام بالنهار والقيام بالليل وحذف الشهوات والتغافل عنها وترك محادثة النفس بذكرها فان قلت ان الرجل يصوم

ويقوم ولا يأكل ويجد من نفسه حركة واضطرابا قلت ذلك من فرط فضل شهوة مقيمة فيه من الاول فليقطع ذلك عن نفسه بالهموم والاحزان الدائمة وذكر الموت وتقريب الاجل وقصر الامل والمداومة على المراقبة والمحافظة على الطاعة (اياما معدودات) اى موقتات ومقدرات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا اى يصب صبا من غير كيل وعد فالله تعالى لم يفرض علينا صيام الدهر ولا صيام اكثره تخفيفا ورحمة وتسهيلا لامر التكليف على جميع الامم وانتصاب اياما بمضمر دل هو اى الصيام عليه اعنى صوموا اياما على الظرفية او المفعولية اتساعا (فمن كان منكم مريضا) اى مرضا يضره الصوم او يضر معه (او على سفر) اوراكب سفر وفيه ايماء بان من سافر فى اثناء اليوم لم يفطر لعدم استعلائه السفر استعلاء الراكب المركوب بل هو ملابس شيأ من السفر والرخصة انما اثبتت لمن كان على سفر وكلمة على فيها استعارة تبعية شبه تلبسه بالسفر باستعلاء الراكب واستيلائه على المركوب يتصرف فيه كيف يشاء وللدلالة على هذا المعنى عدل عن اسم الفاعل فلم يقل او مسافرا اذ ليس فيه اشارة بالاستيلاء على السفر (فعدة) اى فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر فعدة من العد بمعنى المعدود ومنه يقال للجماعة المعدودة من الناس عدة (من ايام اخر) غير ايام مرضه وسفره ان افطر متتابعا او غير متتابع والمقصود من الآية بيان ان فرض الصوم فى الايام المعدودات انما يلزم الاصحاء المقيمين واما من كان مريضا او مسافرا فله تاخير الصوم عن هذه الايام الى ايام اخر (وعلى الذين يطيقونه) ذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بالذين يطيقونه الاصحاء المقيمون خيرهم فى ابتداء الاسلام بين امرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فالمعنى اى وعلى المطيقين للصيام القادرين عليه ان افطروا (فدية) اى اعطاء فدية وهى (طعام مسكين) وهى نصف صاع من بر او صاع من غيره والفدية فى معنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم عن الشئ وفى تفسير الشيخ يطيق من اطاق فلان اذا ازالت طاقته والهمزة للسلب اى لا يقدرون على الصوم وهم الذين قدروا عليه فى حال الشباب ثم عجزوا عنه فى حال الكبر (فمن تطوع خيرا) اى من تبرع بخير فزاد فى الفدية او تطوع تطوعا خيرا (فهو) اى التطوع (خير له) وذكر فى الخير المتطوع ثلاثة اوجه احدها ان يزيد على مسكين واحد فيطعم مكان كل يوم مسكينين او اكثر وثانيها ان يطعم المسكين الواحد اكثر من القدر الواجب وثالثها ان يصوم مع الفدية فهو خير كله (وان تصوموا) فى تأويل المصدر مرفوع بالابتداء اى صومكم ايها المرضى والمسافرون والذين يطيقونه (خير لكم) من الفدية (ان كنتم تعلمون) ما فى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة والجواب محذوف ثقة بظهوره اى اخترتموه وفى الاشباه الصوم فى السفر افضل الا اذا خاف على نفسه او كان له رفقة اشتركوا معه فى الزاد واختاروا الفطر انتهى وانما فضل الصوم للمسافر لان الصوم عزيمة له والتأخير رخصة والاخذ بالعزيمة افضل واما ماروى ان النبى عليه السلام قال ليس من البر الصيام فى السفر فمحمول على ما اذا كان الصوم يضعفه حتى يخاف عليه الهلاك كذا فى شرح المجمع لابن الملك والسفر المبيح للفطر مسيرة ثلاثة ايام ولياليها عند ابى حنيفة رحمه الله واعلم ان الله تعالى امرنا بصيام شهر كامل ليوافق عدد السنة فى الاجر الموعود بقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فالشهر الكامل ثلاثمائة وستة ايام شوال ستون يوما فان نقص يوم من عدد الشهر لم ينقص من الثواب روى ان رسول الله عليه السلام صام ثمانية رمضانات خمسة منها كانت تسعة وعشرين يوما والباقى ثلاثين يوما وافترض الصيام بعد خمس عشرة سنة من النبوة بعد الهجرة بثلاث سنين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه بعث الله نبيه عليه السلام بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدق زاد الصلاة فلما صدق زاد الزكاة فلما صدق زاد الصيام فلما صدق زاد الحج ثم الجهاد ثم اكمل لهم الدين واول ما فرض الصوم على الاغنياء لاجل الفقراء فى زمن الملك طهمورث ثالث ملوك بنى آدم وقع القحط فى زمانه فأمر الاغنياء بطعام واحد بعد غروب الشمس وبامساكهم بالنهار شفقة على الفقراء وايثارا عليهم بطعام النهار وتعبدا وتواضعا لله تعالى والصوم سبب للولوج فى ملكوت السموات وواسطة الخروج عن رحم مضايق الجسمانيات المعبر عنه بالنشأة الثانية كما اشير اليه بقول عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين بل مجاهدة الصوم رابطة مشاهدة اللقاء واليه يشير الحديث القدسى الصوم لى وانا اجزى به يعنى انا جزاؤه لا حورى ولا قصورى ولهذا علق سبحانه نيل سعادة الرؤية بالجوع حيث

قال فى مخاطبة عيسى عليه السلام بجوع ترانى (قال السعدى) ندارند تن پروران آگهى * كه پرمعده باشد زحكمت تهى * وانما اضيف الصوم الى الله فى الصوم لى لانه لارياء فيه بل سر لايعلمه الا الله وانما يكون الله سبحانه جزآء صومه اذا أمسك قلبه وسره وروحه عما سواه تعالى وهو الصوم الحقيقى عند الخواص (قال فى المثنوى) هركرا دارد هوسها جان پاك * زود بيند حضرت وايوان پاك * والاشارة فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ان الصوم كما يكون للظاهر يكون للباطن وباطن الخطاب يشير الى ان صوم القلب والروح والسر الذين آمنوا شهود انوار الحضور مع الله فصوم القلب صومه عن مشارب المعقولات وصوم الروح عن ملاحظة الروحانيات وصوم السر صونه عن شهود غير الله فمن امسك عن المفطرات فنهاية صومه اذا هجم الليل ومن امسك عن الاغيار فنهاية صومه ان يشهد الحق وفى قوله عليه السلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته عند التحقيق انها عائدة الى الحق فينبغى ان يكون صوم العبد ظاهرا وباطنا لرؤية الحق وافطاره بالرؤية قوله تعالى كتب عليكم الصيام اى على كل عضو فى الظاهر وعلى كل صفة فى الباطن فصوم اللسان عن الكذب والفحش والغيبة وصوم العين عن النظر فى الغفلة والريبة وصوم السمع عن استماع المناهى والملاهى وعلى هذا فقس الباقى وصوم النفس عن التمنى والحرص والشهوات وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها وصوم السر عن رؤية وجود غير الله واثباته كما كتب على الذين من قبلكم هى اشارة الى ان اجزآء وجود الانسان من الجسمانية والروحانية قبل التركيب كانت صائمة عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزآء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية بقوة امداد الروح وصار الروح بقوة حواس القالب متمتعا من المشارب الروحانية والحيوانية فالان كتب عليهم الصيام وهم مركبون كما كتب على الذين من قبلكم من المفردات لعلكم تتقون من مشارب المركبات وتصومون فيها مع حصول استعداد الشراب ليفطروا عن مشارب يشرب بها عباد الله اذا سقاهم ربهم شرابا طهورا فيطهركم طهورية هذا الشراب من دنس استدعاء الحظوظ الحيوانية والروحانية كما قال ولكن يريد ليطهركم فلما افل كوكب استدعاء الحظوظ طلعت شمس استدعاء اللقاء من مطلع الالتقاء فحينئذ يتحقق انجاز ما وعد سيد الانبياء بقوله للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ثم اخبر عن كمال لطفه مع العباد بتقليل الاعداد فى قوله اياما معدودات والاشارة فيها هو ان صومكم فى ايام قلائل معدودة متناهية وثمرات صومكم فى ايام غير معدودة ولا متناهية فلا يهولنكم سماع ذكره كذا فى التأويلات النجمية (شهر رمضان) مبتدأ خبره ما بعده فيكون المقصود من ذكر هذه الجملة المنبهة على فضله ومنزلته الاشارة الى وجه تخصيصه من بين الشهور بأن فرض صومه ثم اوجب صومه بقوله فمن شهد منكم الشهر المعهود فليصمه وسمى الشهر شهرا لشهرته ورمضان مصدر رمض اذا احترق فأضيف اليه الشهر وجعل المجموع علما ومنع من الصرف للتعريف والالف والنون وانما سمى بذلك اما لارتماض الاكباد واحتراقها من الجوع والعطش واما لارتماض الذنوب بالصيام فيه اولوقوعه ايام رمض الحر اى شدته وقوعه على الرمل وغيره قيل انهم نقلوا اسماء الشهور من اللغة القديمة فسموها بالازمنة التى وقعت هى فيها وقت التسمية فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمى به كما سمى ربيع لموافقته الربيع وجمادى لموافقته جمود الماء اورمضان اسم من اسماء الله تعالى والشهر مضاف اليه ولذلك روى لاتقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله تعالى (الذى انزل فيه القرآن) جملة الى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما فى ثلاث وعشرين سنة حسبما تقتضيه المشيئة الربانية وعن النبى عليه السلام نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والقرآن من القرء وهو الجمع لانه يجمع علم الاولين والآخرين (هدى للناس) اى انزل حال كونه هداية للناس الى سوآء الصراط بما فيه من الاعجاز وغيره (وبينات من الهدى والفرقان) اى وحال كونه آيات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فالهدى على قسمين ما يكون بينا جليا وما لا يكون كذلك والاول افضل القسمين فذكر الجنس اولا ثم اردفه بالشرف نوعيه بل بالغ فيه فكأنه قيل انه هدى بل هو بين من الهدى ولا شك انه فى غاية المبالغة لانه فى المرتبة الثالثة فالعطف فى وبينات من باب عطف التشريف

(فمن) الفاء للتفريع والترتيب (شهد) اى حضر موضع الاقامة من المصر او القرية كائنا ذلك الحاضر
(منكم الشهر) منصوب على الظرف اى فى الشهر دون المفعول به لان المقيم والمسافر يشهدان الشهر
(فليصمه) اى فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا والمراد بالشاهد العاقل البالغ الصحيح
لان كل واحد من الصبى والمجنون يشهد موضع الاقامة فى الشهر مع انه لا يجب عليهما الصوم وهذا اى الحتم
ينسخ التخيير بين الصوم والافطار والفدآء (ومن كان مريضا) وان كان مقيما حاضرا فيه (او على سفر)
وان كان صحيحا وعلى بمعنى فى وحروف الصفات يقام بعضها مقام بعض (فعدة من ايام اخر) اى فعليه
صيام ايام اخر واعاد تخيير المريض والمسافر وترخيصهما فى الافطار لان الله تعالى ذكر فى الآية الاولى تخيير
المقيم المطيق والمسافر والمريض ونسخ فى الثانية تخيير المقيم بقوله فليصمه فلو اقتصر على هذا احتمل ان يعود
النسخ الى تخيير الجميع فأعاد بعض النسخ بترخيص المسافر والمريض ليعلم انه باق على ما كان (يريد الله بكم
اليسر) حيث اباح الفطر بالسفر والمرض واليسر ما تسهل (ولا يريد بكم العسر) اى مشقة بالصوم فى المرض
والسفر لغاية رأفته وسعة رحمته قال محمد بن على الترمذى قدس سره اليسر اسم الجنة لان جميع اليسر
فيها والعسر اسم جهنم لان جميع العسر فيها معناه يريد الله بصومكم ادخال الجنة ولا يريد بكم ادخال النار
قال شيخنا العلامة الفضلى قدس سره فى الآية ان مراده تعالى بأن يأمركم بالصوم يسر الدارين لا عسرهما
اما اليسر فى الدنيا فالترقى الى الملكية والروحانية والوصول الى اليقظة والمعرفة واما العسر فيها فالبقاء مع
البشرية والحيوانية والاتصاف بالاوصاف الطبيعية والنفسانية واما اليسر فى الآخرة فهو الجنة والنعمة
والقربة والوصلة والرؤية واما العسر فيها فهو الجحيم وعذابها ودركاتها انتهى كلامه وقال نجم الدين فى تأويلاته
يعنى يريد الله بكم اليسر الذى هو مع العسر فلا تنظر فى امتثال الامر الى العسر ولكن انظر الى اليسر الذى
هو مع العسر فان العاقل اذا سقاه الطبيب شرابا مرا أمرّ من بلاء المرض موجبا للصحة فلا ينظر العاقل الى
مرارة الشراب ولكن ينظر الى حلاوة الصحة ولا يبالى بمرارة الشراب فيشربه بقوة الهمة انتهى (قال السعدى)
وبالست دادن برنجور قند * كه داروى تلخش بود سودمند * زعلت مدار اى خردمند بيم *
چو داروى تلخ فرستد حكيم (ولتكملوا العدة) اى وانما امرناكم بمراعاة العدة بعد ايجاب صوم
رمضان كما قال تعالى فعدة اى فعليكم عدة ما افطرتم لتكملوا عدد ايام الشهر بقضاء ما افطرتم بسبب مرضكم
اوسفركم (ولتكبروا الله) اى انما علمناكم كيفية القضاء وهو المدلول عليه بقوله تعالى من ايام اخر مطلقا
فانه يجوز ان يقضى على سبيل التوالى او التفريق لتعظموا الله حامدين (على ما هداكم) ما مصدرية اى على
هدايته اياكم الى طريق الخروج عن عهدة التكليف (ولعلكم تشكرون) اى انما رخصنا لكم بالافطار
لكى تشكروا الله على هذه النعمة باللسان والقلب والبدن وفى الحديث من حافظ على ثلاث فهو ولى الله حقا
ومن ضيعهن فهو عدو الله حقا الصلاة والصوم والغسل من الجنابة وفى بعض الخبر ان الجنان يشتقن الى اربعة
نفر صائمى رمضان وتالى القرآن وحافظى اللسان ومطعمى الجيران وان الله يغفر للعبد المسلم عند افطاره
ما مشت اليه رجلاه وما قبضت عليه يداه وما نظرت اليه عيناه وما سمعته اذناه وما نطق به لسانه وما حدث به
قلبه وفى الحديث اذا كان يوم القيامة وبعث من فى القبور اوحى الله الى رضوان انى اخرجت الصائمين
من قبورهم جائعين عاطشين فاستقبلهم بشهواتهم من الجنان فيصيح ويقول أيها الغلمان والولدان عليكم
بأطباق من نور فيجتمع اكثر من عدد الرمل وقطرات الامطار وكواكب السماء واوراق الاشجار بالفاكهة
الكثيرة والاشربة اللذيذة والاطعمة الشهية فيطعم من لقى منهم ويقول كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام
الخالية وعن النبى عليه السلام انه قال رأيت ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ملكا لم ار مثله طولا وعرضا طوله
مسيرة ألف ألف سنة وله سبعون ألف رأس فى كل رأس سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون الف لسان
وعلى كل رأس ألف ذؤابة من نور وعلى كل ذؤابة ألف ألف لؤلؤة معلقة بقدرة الله تعالى وفى جوف كل لؤلؤة
بحر من نور وفى ذلك البحر حيتان طول كل حوت مقدار مائتى عام مكتوب على ظهورهن لا اله الا الله محمد
رسول الله وذلك الملك واضع احدى يديه على رأسه والاخرى على ظهره وهو فى حظيرة القدس فاذا سبح اهتز
العرش بحسن صوته فسألت عنه جبريل فقال هذا ملك خلقه الله تعالى قبل آدم بألفى عام فقلت اين كان هذا

الى هذه الغاية فقال ان لله مرجا فى الجنة عن يمين العرش فكان هو فيه فأمره الله فى ذلك المكان ان يسبح لك ولامتك بسبب صوم شهر رمضان فرأيت صندوقين بين يديه على كل صندوق الف قفل من نور وسألت جبريل عن الصندوقين فقال سل منه فسألته فقال ان فيهما برآءة الصائمين من امتك من عذاب النار طوبى لك ولامتك اعلم انه لابد من النية فى الاعمال خصوصا فى الصوم وهى ان يعلم بقلبه انه يصوم ولا يخلو مثلا عن هذا فى ليالى شهر رمضان والامساك قد يكون للعادة اولعدم الاشتهاء اوللمرض اوللرياضة اويكون للعبادة فلا يتعين له الابالنية وهى شرط لكل يوم لان صوم كل يوم عبادة على حدة الاترى انه لو افسد صوم يوم لايمنع صحة الباقى بخلاف التراويح فانه لايلزم النية فى كل شفع لان الكل بمنزلة صلاة واحدة وهو الاصح ويجوز النية الى نصف النهار دفعا للحرج وماروى من الاحاديث فى نفى الصوم الابالتبييت محمولة على نفى الفضيلة بخلاف القضاء والكفارات والنذر المطلق لان الزمان غير متعين لها فوجب التبييت نفيا للمزاحمة ويعتبر نصف النهار من طلوع الفجر الثانى فيكون الى الضحوة الكبرى فينوى قبلها ليكون الاكثر منويا فيكون له حكم الكل حتى لو نوى بعد ذلك لايجوز لخلو الاكثر عن النية تغليبا للاكثر والاحتياط فى النية فى التراويح ان ينوى التراويح او ينوى قيام الليل او ينوى سنة الوقت اوقيام رمضان والتراويح سنة مؤكدة واظب عليها الخلفاء الراشدون قال عليه السلام ان الله فرض عليكم الصيام وسننت قيامه واما قول عمر رضى الله عنه نعمت البدعة هذه يعنى قيام رمضان فمعناه ان النبى صلى الله عليه وسلم وان كان قد صلاها الا انه تركها ولم يحافظ عليها ولاجمع الناس اليها فمحافظة عمر عليها وجمع الناس اليها وندبهم بدعة لكنها بدعة محمودة ممدوحة كذا فى تفسير القرطبى عند قوله تعالى بديع السموات والارض فى الجزء الاول وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان ويقول قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه تفتح فيه ابواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين وفيه ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم قال بعض العلماء هذا الحديث اصل فى تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان قال السخاوى فى المقاصد الحسنة التهنئة بالشهور والاعياد مما اعتاده الناس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه رفعه من لقى اخاه عند الانصراف من الجمعة فليقل تقبل الله منا ومنك وروى فى جملة حقوق الجار من المرفوع ان اصابه خير هنأه اومصيبة عزاه اومرض عاده ومن آداب الصيام حفظ الجوارح الظاهرة وحراسة الخواطر الباطنة ولن يتم التقرب الى الله تعالى الابترك ما حرم الله قال ابو سليمان الدارانى قدس سره لأن اصوم النهار وافطر الليل على لقمة حلال احب الى من قيام الليل والنهار وحرام على شمس التوحيد ان تحل قلب عبد فى جوفه لقمة حرام ولاسيما فى وقت الصيام فليجتنب الصائم اكل الحرام فانه سم مهلك للدين * والسنة تعجيل الفطور وتأخير السحور فان صوم الليل بدعة فاذا اخر الافطار فكأنه وجد صائما فى الليل فصار مرتكبا للبدعة كذا فى شرح عيون المذاهب ولنا ثلاثة اعياد عيد الافطار وهو عيد الطبيعة والثانى عيد الموت حين القبض بالايمان الكامل وهو عيد كبير والثالث عيد التجلى فى الآخرة وهو اكبر الاعياد وروى الترمذى وصححه عن زيد بن خالد من فطر صائما كان له مثل اجره من غير ان ينقص من اجر الصائم شئ وكان حماد بن سلمة الامام الحافظ يفطر فى كل ليلة من شهر رمضان خمسين انسانا واذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوبا ثوبا وكان يعد من الابدال واخرج السيوطى فى الجامع الصغير والسخاوى فى المقاصد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال عليه السلام خيار امتى فى كل قرن خمسمائة والابدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا آخر قالوا يارسول الله دلنا على اعمالهم قال عليه السلام يعفون عن ظلمهم ويحسنون الى من اساءهم ويتواسون فيما آتاهم الله وفى الحديث من اشبع جائعا اوكسا عاريا اوآوى مسافرا اعاذه الله من اهوال يوم القيامة وكان عبد الله بن المبارك ينفق على الفقراء وطلبة العلم فى كل سنة مائة الف درهم ويقول للفضيل بن عياض لولاك واصحابك ما تجرت وكان يقول للفضيل واصحابه لاتشتغلوا بطلب الدنيا اشتغلوا بالعلم وانا اكفيكم المؤونة وكان يحيى البرمكى يجرى على سفيان الثورى كل شهر الف درهم وكان سفيان يدعو له فى سجوده ويقول اللهم ان يحيى كفانى امر الدنيا فاكفه امر آخرته فلما مات يحيى رآه بعض اصحابه فى النوم فقال ما صنع الله بك قال غفر لى بدعاء سفيان (قال الصائب) تيره روزان جهانرا بچراغى درياب

تا پس ازمرك تراشمع مزارى باشد * جعلنا الله واياكم من العاملين بمقتضى كتابه ومدلول خطابه (واذا سألك عبادى عنى) وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه تعالى خبير بأحوالهم مطلع على ذكرهم وشكرهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه وسبب النزول ماروى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فقال تعالى ايماء الى سرعة اجابة الدعاء منهم اذا سألك عبادى عنى (فانى قريب) اى فقل لهم انى قريب بالعلم والاحاطة فهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم فيكون لفظ قريب استعارة تبعية تمثيلية وانما لم يحمل على القرب الحقيقى وهو القرب المكانى لانه ممتنع فى حقه تعالى لانه لو كان فى مكان لما كان قريبا من الكل فان من كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا من اهل الارض ومن كان قريبا من اهل المشرق يكون بعيدا من اهل المغرب وبالعكس قال ابو موسى الاشعرى لما توجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير لا اله الا الله والله اكبر فقال صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وهذا باعتبار المشارب والمقامات واللائق بحال اهل الغفلات الجهر لقلع الخواطر كما ان المناسب لاهل الحضور الخفاء (قال السعدى) دوست نزديكتر ازمن بمنست * وين عجبتر كه من ازوى دورم * (اجيب دعوة الداع اذا دعان) تقرير للقرب المجازى المراد فى هذا المقام وهو الحالة الشبيهة بالقرب المكانى وقد تقرر ان اثبات ما يلائم المستعار منه للمستعار له ترشيح الاستعارة ويقررها وايضا وعد للداعى بالاجابة فان قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعوات والتضرع فلا يجاب قلت ان هذه الآية مطلقة والمطلق محمول على المقيد وهو قوله تعالى بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء فالمعنى اجيب دعوة الداع اذا دعانى ان شئت اواذا وافق القضاء اواذا لم يسأل محالا او كانت الاجابة خيرا له والاجابة اعطاء ما سئل والله تعالى يقابل مسألة السائل بالاسعاف ودعاء الداعى بالاجابة وضرورة المضطرين بالكفاية (فليستجيبوا لى) اى فليجيبوا اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم واستجابه واستجاب له واجابه واحد قطع مسألته بتبليغه مراده واصله من الجوب والقطع (وليؤمنوا بى) امر بالثبات على ما هم عليه قال ابن الشيخ الاستجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام والايمان عبارة عن صفة القلب وتقديمها على الايمان يدل على ان العبد لا يصل الى نور الايمان وقوته الا بتقديم الطاعات والعبادات ومعنى الفاء فيه انه تعالى قال انا اجيب دعاءك مع انى غنى عنك مطلقا فكن انت ايضا مجيبا لدعائى مع انك محتاج الى من كل الوجوه فما اعظم هذا الكرم (لعلهم يرشدون) راجين اصابة الرشد وهو الاهتداء لمصالح الدين والدنيا ومعنى الآية انهم اذا استجابوا وآمنوا اهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم لان الرشيد من كان كذلك اعلم ان عدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند اهل الشريعة والطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه (وفى المثنوى) تا فرود آيد بلايى دافعى * چون نباشد از تضرع شافعى * فالتسبب واجب للعوام والمبتدئين فى السلوك والتوكل افضل للمتوسطين واما الكاملون فليس يمكن حصر أحوالهم فالتوكل والتسبب عندهم سيان (روى) ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما ألقى فى النار لقيه جبريل فى الهواء فقال ألك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فاسأل الله الخلاص فقال عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى وهذا مقام اهل الحقيقة من المكملين الفانين عن الوجود وما يتعلق به والباقين بالرب فى كل حال فأين انت من هذا فاسأل الله عفوه ومغفرته وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكلم الناس بقدر مراتبهم ولذا قال لاعرابى أرسل ابلاله توكلا عليه تعالى اعقلها وتوكل على الله امر بعقل الدابة لانه اراد بالتوكل التحرز عن الفوات وحث بعضهم على التوكل كتوكل الطير وذلك اذا لم يسكن الى سابق القضاء ثم اجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه ومن دعا بحاجة فلم تقض للحال فذلك لوجوه منها ان الاجابة حاصلة لا محالة فان اجابة الدعوة غير قضاء الحاجة وقضاء الحاجة غير اجابة الدعوة فان اجابة الدعوة هو ان يقول العبد يارب فيقول الله تعالى له لبيك عبدى وهذا امر موعود موجود لكل متوجه راشد وقضاء الحاجة اعطاء المراد وايصال المرتاد وذلك قد يكون للحال وقد يكون بعد مدة وقد يكون فى الآخرة وقد يكون الخيرة له فى غيره ومنها ان الاجابة

ليست بجهة واحدة بل لها جهات وفى الحديث دعوة المسلم لا ترد الا لاحدى ثلاث اما ان يدعو باثم اوقطيعة
رحم واما ان يدخر له فى الآخرة واما ان يصرف السوء عنه بقدر ما دعا ومنها ان الاجابة مقيدة بالمشيئة كما سبق
ومنها انه شرط لهذه الاجابة اجابة العبد اياه فيما دعاه اليه لقوله تعالى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ومنها ان للدعاء
شرآئط وآدابا وهى اسباب الاجابة فمن استكملها كان من اهل الاجابة ومن اخل بها كان من اهل الاعتدآء
فلا يستحق الجواب والاسباب منها ما يتعلق باهل العموم ويطول ذكرها ان استوفيت ههنا ومنها ما يتعلق
بالخصوص وهى التزكية فالاجابة موقوفة على تزكية الداعى فعليه ان يزكى البدن اولا فيصلحه بلقمة الحلال
وقد قيل الدعاء مفتاح باب السماء وأسنانه لقمة الحلال وقال عليه السلام الرجل يطيل السفر يمد يده الى السماء
اشعث اغبر يقول يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك (حكى)
انه كان بالكوفة اناس يستجاب دعاؤهم كلما دخل عليهم وال كانوا يدعون عليه فيهلك فدبر الحجاج الحيلة عليهم
حين ولى عمل الكوفة من ابن مروان فدعاهم الى مأدبته فلما أكلوا قال أمنت من دعائهم ان يستجاب حيث دخل
فى بطونهم طعام حرام ويزكى الداعى نفسه ويطهرها من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة لانها قاطعات
لطريق الدعاء ويزكى قلبه عن رين التعلقات الانسانية من النفسانى والروحانى ويصفيه بالاذكار وينوره
بنور الاخلاق فان هذه اسباب القربة بها يرفع الدعاء الى الله كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه ويزكى الروح عن دنس الالتفات لغير الله ليتعرض لنفحات الطافه ويزكى السر عن وصمة
الشرك بان يوجهه الى الحق فى الدعاء لطلب الحق لا لطلب غير الحق من الحق ليستجيب دعاءه ولا يخيب رجاءه
كما قال ألا من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى وان الله وعد الاجابة على طلبه بالدعاء فقال اجيب دعوة
الداع اذا دعان اى اذا طلبنى (قال السعدى) خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا *
فمن اخل ببعض هذه الشرآئط لم يلزمه الاجابة كمن اخل بركن من اركان الصلاة لم يلزمه القبول الا ان الجبار
يجبر كل خلل وكسر يكون فى اعمال العباد بفضله وكرمه وفى الحقيقة ان افضاله مع العباد مقدم على اعمالهم
وانه يعطى قبل السؤال ويحقق مراد العبد بعد سؤاله بجميع النوال والدعاء على قسمين داع بالدعاء وقارئ
للدعاء فللداعى يفتح ابواب السموات حتى يبلغ دعاؤه العرش وقارئ الدعاء لا يبلغ الا الاذن قال الفنارى
فى تفسير الفاتحة ثم لصحة التصور وجودة الاستحضار أثر عظيم فى الاجابة اعتبره النبى عليه الصلاة والسلام وحرض
عليه عليا رضى الله تعالى عنه لما علمه الدعاء وفيه اللهم اهدنى وسددنى فقال له اذكر بهدايتك هداية الطريق
وبالسداد سداد السهم فأمره باستحضار هذين الامرين وقت الدعاء فهذا هو سر اجابة دعاء الرسل والكمل
والامثل فالامثل واستقامة التوجه حال الطلب والندآء عند الدعاء شرط قوى فى الاجابة فمن تصوره تصورا
صحيحا من رؤية وعلم سابقين او حاضرين حال الدعاء ثم دعاه سيما بعد امره له بالدعاء والتزامه الاجابة فانه يجيبه
لا محالة اما من زعم انه يقصد مناداة زيد وهو يستحضر غيره ثم لم يجد الاجابة فلا يلومن الا نفسه اذ لم يناد القادر
على الاجابة وانما توجه الى ما انشأه من صفات تصوراته بالحالة الغالبة عليه اذ ذاك لكن سؤاله قد يثمر بشفاعة
حسن ظنه بربه وشفاعة المعية الالهية وحيطته فالمتوجه بالخطأ مصيب من وجه كالمجتهد المخطئ مأجور
غير محروم بالكلية انتهى كلام الفنارى وفى رسالة القشيرى فى الخبر المروى ان العبد يدعو الله سبحانه
وهو يحبه فيقول يا جبريل اخر حاجة عبدى فانى احب ان اسمع صوته وان العبد ليدعوه وهو يبغضه فيقول
يا جبريل اقض حاجة عبدى فانى اكره ان اسمع صوته (حكى) انه وقع ببغداد قحط فأمر الخليفة المسلمين بالخروج
للاستسقاء فخرجوا واستسقوا فلم يسقوا فامر اليهود فخرجوا وسقوا فتحير الخليفة ودعا علماء المسلمين وسألهم
فلم يفرجوا عنه فجاء سهل بن عبد الله وقال يا امير المؤمنين انا معاشر المسلمين احبنا الله لدين الاسلام وهدانا
ويحب دعاءنا وتضرعنا فلهذا لم يعجل اجابتنا وهؤلاء ابغضهم ولعنهم فلهذا عجل اجابتهم وصرفهم عن بابه
قال عليه السلام قوام الدنيا باربعة اشياء بعلم العلماء وعدل الامرآء وسخاوة الاغنياء ودعوة الفقرآء وينبغى
ان يسأل الله تعالى باسمائه الحسنى العظام والادعية المأثورة عن السلف الكرام وينبغى ان يتوسل الى الله تعالى
بالانبياء والاولياء الصالحين وللدعاء اماكن يظن فيها الاجابة مثلا عند رؤية الكعبة والمساجد الثلاثة وبين
الجلالتين من سورة الانعام وفى الطواف وعند الملتزم وفى البيت وعند زمزم وعند شرب مائه وعلى الصفا والمروة

وفي السعي وخلف المقام وفي عرفات والمزدلفة ومنى وعند الجمرات الثلاث وعند قبور الانبياء عليهم السلام
وقيل لا يصح قبر نبي بعينه سوى قبر نبينا عليه الصلاة والسلام وقبر ابراهيم عليه السلام داخل السور من غير تعيين
وجرب استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة عند اهلها اللهم أفض علينا من بركات الصالحين
(احل لكم) تقديم الظرف على القائم مقام الفاعل للتشويق فان ماحقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه
فيتمكن عند هاوقت وروده فضل تمكن اى ابيح لكم (ليلة الصيام) اى في ليلة يوم الصوم وهي الليلة التي يصبح
الرجل في غدا تها صائما (الرفث) اصل الرفث قول الفحش والتكلم بالقبيح ثم جعل ذلك اسما لما يتكلم به عند النساء
من معاني الافضاء ثم جعل كناية عن الجماع لان الجماع لا يخلو عن شيء من التصريح بما يجب ان يكنى عنه
من الالفاظ الفاحشة وعن ابن عباس رضي الله عنه الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة كالغمز
والتقبيل (الى نسائكم) عدى الرفث بالى وان كان المشهور تعديته بالباء تقول رفث بالمرأة لتضمنه
معنى الافضاء قال تعالى وقد افضى بعضكم الى بعض اراد به الجماع وكان الرجل في ابتداء الاسلام اذا امسى
في رمضان حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الاخيرة او يرقد فاذا صلاها اورقد ولم يفطر حرم
عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء
الاخيرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى
الله واليك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى اهلي بعد العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي
فجامعت اهلي فقال عليه السلام ماكنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزلت الآية وصارت زلته
سببا للرحمة في جميع الامة (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) استئناف مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر
عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للآخر لتجردهما عند النوم
واعتناقهما واشتمال كل منهما على الآخر اولان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور وعما لا يحل كما جاء
في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي دينه او المعنى هن سكن لكم وانتم سكن لهن كما قال تعالى وجعل منها زوجها
ليسكن اليها ولا يسكن شيء الى شيء كسكون احد الزوجين الى الآخر (علم الله) في الازل (انكم كنتم تختانون
انفسكم) تخونونها وتظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب بمباشرة النساء في ليالي الصوم
والخيانة ضد الامانة وقد ائتمن الله العباد على ما امرهم به ونهاهم عنه فاذا عصوه في السر فقد خانوه وقد قال الله
تعالى لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم (قال الصائب) تر ابكو هر دل كرده اند امانت دار * ز دزد امانت
حق را نكاه دار مخسب * (فتاب عليكم) عطف على علم اى قبل توبتكم وتجاوز عنكم لما تبتم مما اقترفتموه
(وعفا عنكم) اى محا اثره عنكم (فالآن) اى لما نسخ التحريم ظرف لقوله (باشروهن) اصله فعل بمعنى
حان ثم جعل اسما للزمان الحاضر وعرف بالالف واللام وبنى على الفتحة والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى بها
عن الجماع الذي يستلزمها وجميع ما يتبعه يدخل فيه وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالكتاب ان كانت حرمة
الاكل والشرب والجماع ثابتة بالسنة واما اذا كان ثبوت حرمتها بشريعة من قبلنا فلا على ما ذهب اليه بعضهم
(وابتغوا ما كتب الله لكم) اى واطلبوا ما قدره الله تعالى واثبته في اللوح المحفوظ من الولد وفيه ان المباشر
ينبغي ان يكون غرضه الولد والتناسل فانه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وحدها
وفي الحديث تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة (وكلوا واشربوا) ليالي الصوم عطف
على قوله باشروهن (حتى يتبين) يظهر (لكم الخيط الابيض) هو اول ما يبدو من بياض النهار كالخيط الممدود
دقيقا ثم ينتشر (من الخيط الاسود) هو ما يمتد من سواد الليل مع بياض النهار فان الصبح الصادق اذا بدا
يبدو كأنه خيط ممدود في عرض الافق ولا شك انه يبقى معه بقية من ظلمة الليل بحيث يكون طرفها الملاصق
لما يبدو من الفجر كأنه خيط اسود في جنب خيط ابيض لان نور الصبح انما ينشق في خلال ظلمة الليل فشبها
بخيطين ابيض واسود (من الفجر) اى انشقاق عمود الصبح بيان للخيط الابيض واكتفى ببيانه عن بيان الاسود
لدلالته عليه والتقدير حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الفجر من الخيط الاسود من الليل قوله حتى يتبين
غاية للامور الثلاثة اى المباشرة والاكل والشرب ففي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل
اليه وصحة صوم من اصبح جنبا لان المباشرة اذا كانت مباحة الى انفجار الصبح لم يمكنه الاغتسال الا بعد

الصبح بالضرورة والالكانت المباشرة قبل آخر الليل بقدر مايسع الاغتسال حراما وهو مخالف لكلمة حتى (ثم اتموا الصيام) اى ادیموا الامساك عن المباشرة والاكل والشرب فى جميع اجزاء النهار (الى) غاية (الليل) وهو دخول الليل وذلك بغروب الشمس والاتمام اداؤه على التمام وفى الحديث اذا اقبل الليل وادبر النهار وغابت الشمس فقد افطر الصائم اى دخل وقت الافطار وانما ذكر الاقبال والادبار وان لم يكونا الا بغروب الشمس ليبين ان كمال الغروب كيلا يظن احد انه اذا غاب بعض الشمس جاز الافطار أولانه قد يكون فى واد بحيث لا يشاهد غروب الشمس فيحتاج الى ان يعمل بهما قالوا فيه دلالة على جواز النية بالنهار فى صوم رمضان وعلى نفى صوم الوصال اما الاول فلان الله تعالى لما اباح المباشرة والاكل والشرب الى الفجر تبين أن ابتداء الصوم يكون بعد الفجر فيكون قوله اتموا ثم ابتدئوا بالصوم واتموه الى الليل فيكون هو أمرا بالصوم بعد الفجر والصوم ليس مجرد الامساك بل هو الامساك مع النية فيكون قوله ثم اتموا الصيام امرا بنية الصوم بعد الفجر واما الثانى فلأن الله تعالى جعل الليل غاية الصوم وغاية الشئ مقطعه فيكون بعدها الافطار وينتفى الوصال قال بعضهم الليل غاية وجوب الصوم فاذا دخل الليل لا يجب الصوم واما ان الصوم لا يجوز بعد دخول الليل فلا دلالة للآية عليه ولان مثل هذه الاوامر اى باشروهن وكلوا واشربوا انما يكون للاباحة والرخصة لا للوجوب فلا تدل الآية على نفى صوم الوصال ولما ظن ان حال الاعتكاف كحال الصوم فى ان المباشرة تحرم فيه نهارا لا ليلا بين ان المباشرة تحرم على المعتكف نهارا وليلا معا فقال (ولا تباشروهن) اى لا تجامعوهن (وانتم) اى والحال انتم (عاكفون فى المساجد) مقيمون فيها بنية الاعتكاف وهو فى الشرع لزوم المسجد والمكث لطاعة الله فيه والتقرب اليه وهو من الشرائع القديمة قال تعالى أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين نزلت فيمن كان يعتكف فى المسجد فاذا عرضت له حاجة الى امرأته خرج فجامعها ثم اغتسل فرجع الى المسجد فنهوا عن ذلك فالجماع يحرم على المعتكف ويفسد الاعتكاف ولفظ المساجد يدل على جواز الاعتكاف فى كل مسجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لا يحتاج الى الخروج الى الجمعة والاعتكاف من اشرف الاعمال اذا كان عن اخلاص لان فيه تفريغ القلب عما سوى الله تعالى قال عطاء مثل المعتكف كرجل له حاجة الى عظيم فيجلس على بابه ويقول لا ابرح حتى يقضى حاجتى فكذلك المعتكف يجلس فى بيت الله ويقول لا ابرح حتى يغفرلى وفى الحديث من مشى فى حاجة اخيه فكأنما اعتكف عشرين سنة ومن اعتكف يوما جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق ابعد مما بين الخافقين وفى الخلوة والانقطاع عن الناس فوائد جمة يسلم منه الناس ويسلم هو منهم وفيها خمول النفس والاعراض عن الدنيا وهو اول طريق الصدق والاخلاص وفيها الانس بالله والتوكل والرضى بالكفاف فان المعاشر للناس والمخالط يتكلف فى معيشته البتة فاذا لا يفرق غالبا بين الحلال والحرام فيقع فى الهلاك ويسلم المتخلى ايضا من مداهنة الناس وغير ذلك من المعاصى التى يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره التصوف عبارة عن الاجتناب عن كل مافيه شائبة الحرمة وصون لسانه عن الكلام اللغو والخلوة والاربعون ليست الاهذا فانه وحدة فى الكثرة والمقصود من الخلوة ايضا ذلك ولكن مايكون فى الكثرة على الوجه الذى ذكرنا اثبت واحكم لان مايكون بالخلوة يزول اذا اختلط بين الناس وليس كذلك ماذكر فطريقنا طريق النبى عليه السلام وطريق الاصحاب رضى الله تعالى عنهم والنبى عليه السلام لم يعين الاربعين بل الاعتكاف فى العشر الاخير من رمضان نعم فعل ذلك موسى عليه السلام قال تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر والخلوتية اخذوا من ذلك كذا فى واقعات الهدائى قدس سره (تلك) اى الاحكام التى ذكرت من اول آية الصيام الى هنا (حدود الله) جمع حد وهو الحاجز بين الشيئين وجعل ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام حدودا لهم لكونها امورا حاجزة بين الحق والباطل ولكونها مانعة من مخالفاتها والتخطى عنها (فلا تقربوها) اى ان تنتهوا فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ولما بين تعالى احكام الصوم على وجه الاستقصاء فى هذه الالفاظ القليلة بيانا شافيا وافيا قال بعده (كذلك) اى بيانا مثل هذا البيان الوافى الواضح فالكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف (يبين الله اياته للناس)

والآيات دلائل الدين ونصوص الاحكام والمقصود من تعظيم البيان هدايته ورحمته على عباده فى هذا البيان لعلهم يتقون مخالفة اوامره ونواهيه والتقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصى والسيئات ثم بعده اتقاء الشهوات ثم يدع بعده الفضلات وفى الحديث لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس (قال السعدى) ترا انكه چشم ودهان داد وكوش * اكر عاقلى درخلافش مكوش * چو باك آفريدت بهش باش وباك * كه ننكست نا باك رفتن بخاك * مروز بر باركنه اى پسر * كه حمال عاجز بود درسفر * مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف * جعلنا الله واياكم من اهل اليقظة واليقين (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) اى لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه كالغصب والنهب والسرقة واليمين الكاذبة وكالاكتساب الخبيثة كالقمار والرشى وحلوان الكاهن والمغنى والنائحة وكالحيلة ووجوه الخيانة * قوله بينكم نصب على الظرفية فيتعلق بقوله تأكلوا ومعنى كون الاكل بينهم وقوع التداول والتناول لاجل الاكل بينهم وليس المراد بالاكل المنهى عنه نفس الاكل خاصة لان جميع التصرفات المتفرعة على الاسباب الباطلة حرام الا انه شاع فى العرف ان يعبر عن انفاق المال باى وجه كان بالاكل لان الاكل معظم المقصود من المال وقوله بالباطل متعلق بالفعل المذكور اى لا تأكلوها بالسبب الباطل * نزلت فى رجلين تخاصما فى ارض بينهما فاراد احدهما أن يحلف على ارض اخيه بالكذب فقال النبى عليه السلام انما انا بشر مثلكم يوحى الى وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له شيأ من حق اخيه فانما أقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما انا حل لصاحبى فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه * قوله ألحن بحجته اى أقوم بها واقدر عليها من صاحبه والتوخى قصد الحق والاستهام الاقتراع وفيه دلالة ظاهرة على ان حكم القاضى لا ينفذ باطنا كما عند الشافعى وحمله ابو حنيفة على الاموال والاملاك دون عقود النكاح وفسخها وموضع بيانه مشبعا كتاب القضاء فى الفقه (وتدلوا بها الى الحكام) عطف على المنهى عنه فيكون مجزوما بلا الناهية المذكورة بواسطة العاطف والادلاء الالقاء وضمير بها للاموال بتقدير المضاف والباء فيه مثلها فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة والمعنى ولا تلقوا امر الاموال والحكومة فيها الى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم اليهم (فريقا) اى طائفة وبعضا (من اموال الناس بالاثم) الباء سببية متعلقة بقوله لتأكلوا اى بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة والصلح مع العلم بان المقضى له ظالم والمقضى به حق المقضى عليه وقيل ولا تلقوا بعضها الى امرآء الظلم وقضاة السوء على وجه الرشوة (وانتم تعلمون) انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبها احق بالتوبيخ ويقال الدنيا ثلاثة اشياء حلال وحرام وشبهة فالحرام يوجب العقاب والشبهة توجب العتاب والحلال يوجب الحساب (قال الحكيم السنايى) اين جهان برمثال مردارست * كركسان اندرون هزار هزار * اين مرانرا همى زند مخلب * وان مرين راهمى زند منقار * آخر الامر بكذرند همه * وزهمه بازماند اين مردار * فعلى العاقل ان يجتنب عن حقوق العباد والمظالم (حكى) انه لما مات انوشروان كان يطاف بتابوته فى جميع مملكته وينادى مناد من له علينا حق فليأت فلم يوجد احد فى ولايته له عليه حق من درهم (روى) ان ابا حنيفة كان له على بعض المجوس مال فذهب الى داره ليطالبه به فلما وصل الى باب داره وقع نعله على نجاسة فنفض نعله فانقلعت النجاسة عن نعله ووقعت على حائط دار المجوسى فتحير ابو حنيفة رحمه الله وقال ان تركتها كان ذلك شيأ يقبح جدار ذلك المجوسى وان حككتها احفر التراب من الحائط فدق الباب فخرجت الجارية فقال لها قولى لمولاك ان ابا حنيفة بالباب فخرج اليه وظن انه يطالبه بالمال واخذ يعتذر فقال ابو حنيفة رحمه الله ههنا ما هو اولى بالاعتذار وذكر قصة الجدار وانه كيف السبيل الى التطهير فقال المجوسى فانا ابدأ بتطهير نفسى فأسلم فى الحال والنكتة أن ابا حنيفة لما احترز عن ظلم ذلك المجوسى فى ذلك القدر القليل فلاجل بركة ذلك اسلم المجوسى ونجا من شقاوة الابد فمن احترز عن الظلم نال سعادة الدارين والا فقد وقع فى الخذلان (حكى) ان نصرانيا كان يحمل امرأته على حمار فأتى بعض قرى المسلمين فقطع واحد من الرنود ذنب حماره فوثب الحمار وسقطت المرأة وانكسرت يداها وألقت حملها ايضا فذهب النصرانى الى قاضى تلك القرية شاكيا فقال القاضى لذلك الرند خذ الحمار وأمسكه حتى ينبت ذنبه والمرأة

حتى تحمل حلا وتصح عندك يدا فقال النصرانى اهكذا حكم شريعتكم ثم رفع رأسه الى السماء وقال الهى انت حليم ولا اصبر لى على هذا فاحكم يا ناظر الملهوفين ويا ناصر المظلومين فمسخ الله ذلك القاضى فصار حجرا من ساعته ففى هذه الحكاية شيئان الاول ان هذا القاضى بظلمه وقع فيما وقع من البلاء العظيم والثانى انه يجب الاحتراز عن الظلم وان كان المظلوم كافرا فان دعاء الكافر يسمع والاشارة فى الآية ان الاموال خلقت لمصالح قوام النفس وان النفس خلقت للقيام بمراسم العبودية لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ليعلموا ان الاموال والانفس لله فلا يتصرفون فيهما الا بامر الله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اى بهوى النفس والحرص والشهوة والاشراف على الغفلة وكلوا بالحق والقناعة والتقوية على الطاعة والقيام بالعبودية ولا تدلوا بها الى الحكام وهى النفس الامارة بالسوء لتأكلوا فريقا من الاموال التى خلقت للاستعانة بها على العبودية بالاثم اى بالقطيعة والغفلة مستعينين بها على المعصية كالحيوانات والبهائم فيكون حاصلكم ومرجعكم ومثواكم النار ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وانتم تعلمون حاصل الامر ولا تعملون به كذا فى التأويلات النجمية (يسألونك عن الاهلة) روى ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا اولا ولا يكون على حالة واحدة فأنزل الله تعالى يسألونك عن الاهلة وهى جمع هلال والهلال اول ما يظهر لك من نور القمر الى ثلاث ليال وسمى هلالا لان الناس يرفعون اصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبى اذا صرخ حين يولد واهل القوم بالحج اذا رفعوا اصواتهم بالتلبية (قل) يا محمد (هى) الاهلة (مواقيت) جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضى والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر (للناس) اى لما يتعلق بهم من امور معاملاتهم ومصالحهم (والحج) وامورة المتعلقة باوقات مخصوصة فان قلت لما كانت الاهلة مواقيت يوقت بها الناس عامة مصالحهم علم منه كونها ميقاتا للحج لانه من جملة المصالح المتوقفة على الوقت فلم خصه بالذكر قلت الخاص قد يذكر بعد العام للتنبيه على مزيته فالحج من حيث انه يراعى فى ادائه وقضائه الوقت المعلوم بخلاف سائر العبادات التى لا يعتبر فى قضائها وقت معين وحاصل الخطاب ان الهلال يبدو دقيقا ثم يتم او يظهر لكم على حسب مصلحتكم لقربه وبعده من الشمس كما بين فى فن الهيئة قال فى التيسير ثم الشمس على حالة واحدة لانها ضياء للعالم وقوام لمصالح الناس والقمر يتغير لان الله علق به ما قلنا من المواقيت وذلك يعرف بهذه الاختلافات ودبره عز وجل هذا التدبير لحاجة الناس الى ذلك انتهى (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها) كان الانصار اذا احرم الرجل منهم بالحج او العمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته يدخل منه ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر يخرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من احرامه ويرون ذلك برا الا ان يكون من الحمس وهم قريش وسببه انهم ظنوا انه لا بد فى الاحرام من تغيير جميع العادات فغيروا عاداتهم فى الدخول كما غيروا فى اللباس والتطيب وقالوا لا ندخل بيوتا من الابواب حتى ندخل بيت الله تعالى وكان منهم من لا يستظل بسقف بعد احرامه ولا يأقط الاقط ولا يجز الوبر وهذه اشياء وضعوها من عند نفوسهم من غير شرع فعرفهم الله تعالى ان هذا التشديد ليس ببر ولا قربة (ولكن البر) بر (من اتقى) المحارم والشهوات دون دخول البيت من ظهر وفى الكشاف فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا فى واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر فى شئ وانتم تحسبونها برا (وأتوا البيوت من ابوابها) حال الاحرام اذ ليس فى العدول بر (واتقوا الله) فى تغيير احكامه والاعتراض على افعاله (لعلكم تفلحون) اى لكى تظفروا بالبر والهدى وللآية تأويل آخر قال الحسن قال كان فى الجاهلية من هم بسفر او امر يصنعه فمنع عن ذلك لم يدخل داره من الباب حتى يحصل له ذلك وكان قريش وقبائل العرب من خرج لسفر او حاجة ثم رجع ولم يظفر بذلك كان ذلك طيرة فنهاهم الله عن ذلك واخبر ان الطيرة ليس ببر والبر بر من لم يخف غيره وتوكل عليه (حكى الجاحظ) قال تحاورت انا وابراهيم بن سيار

المعروف بالنظام حديث الطيرة فقال اخبرك انى جعت حتى اكلت الطين وماصبرت على ذلك حتى قلبت قلبى أتذكر هل ثمة رجل اصيب عنده غدآء اوعشاء فقصدت الاهواز وهى من بلدان فارس وما اعرف بها واحدا وماكان ذلك الاشيأ امر به الفجر فوافيت الفرضة فلم اجد بها سفينة فتطيرت من ذلك ثم انى رأيت سفينة فى صدرها خرق وهشم فتطيرت ايضا فقلت للملاح ما اسمك قال دبوزاد بالفارسى وهو اسم الشيطان فتطيرت وركبت معه فلما قربنا من الفرضة صحت ياحمال ومعى لحاف سمل وبعض مالا بدلى منه فكان اول حمال اجابنى اعور فازددت طيرة وقلت فى نفسى الرجوع اسلم ثم ذكرت حاجتى الى اكل الطين وقلت من لى بالموت فلما صرت الى الخان وانا حائر ما اصنع سمعت قرع باب البيت الذى انا فيه فقلت من هذا قال رجل يريدك فقلت من انا قال ابراهيم بن سيار النظام فقلت فى نفسى هذا اعدو أو رسول سلطان ثم انى تحاملت وفتحت الباب فقال ارسلنى اليك ابراهيم بن عبد العزيز ويقول لك وان كنا اختلفنا فى المقالة فانا نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق والحرية وقد رأيتك حيث مررت على حال كرهتها وينبغى ان يكون بريحت بك حاجة فان شئت فأقم مكانك مدة شهراوشهرين فعسى نبعث لك ببعض ما يكفيك زمينا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون دينارا الخذها وانصرف وانت احق من عذر قال فورد على امور اذهلتنى اما واحدها فانى لم اكن ملكت قط ثلاثة دنانير والثانى انه لم يطل مقامى وغيبتى عن اهلى والثالث ماتبين لى من الطيرة انها باطلة كذا فى شرح رسالة الوزير ابن زيدون فظهر انه قد يكون ماتكرهه النفس خيرا (كما حكى) انه وقع قحط فى زمن شيخ فعين لكل من طلبته على طريق التفاؤل مكسبا فجاء فى فال واحدمنهم قطع الطريق فاتقل ذلك الرجل فلقى بعض الحرامية واجتمع بهم فنهبوا جماعة من التجار فبعدا خذ أموالهم ربطوا ايديهم وامر واهذا الرجل ان يذبحهم بعيدا عنهم فتفكر الرجل فخطر بباله ان يطلقهم ويعطيهم السلاح ويطهروا الطريق من القطاع ففعلوا وهم غافلون ثم سألوا عن هذا الرجل فحكى حاله فجاؤا الى شيخه وسلموا الاموال وصاروا من جملة احبائه فعليك بالتسليم والقبول لكى تنال المأمول (قال الصائب) چون سرور درمقام رضا ايستاده ام * آسوده خاطرم زبهار وخزان خويش * ثم فى قوله وليس البر الآية اشارة الى ان لكل شئ سببا ومدخلا لايمكن الوصول اليه ولا الدخول الا باتباع ذلك السبب والمدخل كقوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا فسبب الوصول الى حضرة الربوبية والمدخل فيها هو التقوى وهى اسم جامع لكل بر من اعمال الظاهر واحوال الباطن والقيام باتباع الموافقات واجتناب المخالفات وتصفية الضمائر ومراقبة السرائر فبقدر السلوك فى مراتب التقوى يكون الوصول الى حضرة المولى كقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال عليه السلام عليكم بتقوى الله فانه جماع كل خير فقوله وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها اى غير مدخلها بمحافظة ظواهر الاعمال من غير رعاية حقوق بواطنها بتقوى الاحوال ولكن البر من اتقى اى حق التقوى كقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قيل فى معناه ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر واتوا البيوت من ابوابها اى ادخلوا الامور من مداخلها ثم ذكر مدخل الوصول وقال واتقوا الله اى اتقوا بالله عما سواه يقال فلان اتقى بترسه يعنى اجعلوا الله محرزكم ومتقاكم ومفركم ومفزعكم ومرجعكم منه اليه كما كان حال النبى عليه السلام يقول اعوذبك منك لعلكم تفلحون لكى تنجوا وتخلصوا من مهالك النفوس باعانة الملك القدوس كذا فى التأويلات النجمية (وقاتلوا) جاهدوا (فى) نصرة (سبيل الله) واعزازه والمراد بسبيل الله دينه لانه طريق الى الله ومرضاته (الذين يقاتلونكم) يعنى قريشا وكان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين لان هذه الآية اول آية نزلت فى القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عن كف عنه اى يقاتل من واجهه للقتال وناجزه ويكف عن قتال من لم يناجز وان كان بينه وبينهم محاجزة وممانعة ويؤيده ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان هذه الآية نزلت فى صلح الحديبية وذلك ان النبى عليه السلام خرج مع اصحابه للعمرة فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة وكانوا ألفا واربعمائة فنزل بالحديبية وهو موضع فى قرب مكة كثير المياه والاشجار وصدهم المشركون عن البيت الحرام فأقام شهرا وصالحه المشركون على ان يرجع ذلك العام ويأتى مكة فى العام المقبل ويعتمر فرضى بما قالوا وأن يصدوهم عن البيت وكره الاصحاب قتالهم فى الشهر الحرام وفى الحرم فانزل الله تعالى وقاتلوا الآية (ولاتعتدوا) بابتدآء القتال

فى الحرم محرمين (ان الله لا يحب المعتدين) اى لا يريد بهم الخير (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) اين وجدتموهم فى الحرم والحل وفى الاشهر الحرم وهم الذين هتكوا حرمة الشهر والحرم بالبداية فجازوهم بمثله واصل الثقف الحذق فى ادراك الشئ علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة (واخرجوهم من حيث اخرجوكم) اى من مكة لانهم اخرجوا المسلمين منها اولا وأخرج عليه الصلاة والسلام منها ثانيا من لم يؤمن به منهم يوم الفتح (والفتنة) فى الاصل عرض الذهب على النار لاستخلاصه من الغش ثم صار اسما لكل ما كان سببا للامتحان تشبيها بهذا الاصل اى المحنة التى يفتتن بها الانسان ويمتحن كالاخراج من الوطن (اشد من القتل) اصعب منه لدوام تعبها وتألم النفس بها فتكون هذه الجملة متعلقة بقوله وأخرجوهم من حيث اخرجوكم تذييلا له وحثا على الاخراج والمعنى ان اخراجكم اياهم ليس اهون عليهم من القتل بل هو اشد من قتلكم اياهم فيصلح جزاء لاصرارهم على الكفر ومناجزتهم لحربكم وقتالكم قيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التى يتمنى عندها الموت ويحتمل ان تكون متعلقة بقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم فيكون المقصود حث المؤمنين على قتلهم اياهم فى الحرم اى لا تبالوا بقتلهم اينما وجدتموهم فان فتنتهم اى تركهم فى الحرم وصدهم اياكم عن الحرم اشد من قتلكم اياهم فيه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) اى لا تفاتحوهم بالقتل هناك وهتك حرمة المسجد الحرام (حتى يقاتلوكم فيه) حتى يبدأوكم بالقتال فى الحرم وهذا بيان لشرط كيفية قتالهم فى هذه البقعة خاصة فيكون تخصيصا لقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم (فان قاتلوكم) ثمة (فاقتلوهم) فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب (كذلك) اى مثل ذلك الجزاء على ان الكاف فى محل الرفع بالابتداء (جزاء الكافرين) يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم (فان انتهوا) عن القتال وكذا عن الكفر فان الانتهاء عن مجرد القتال لا يوجب استحقاق المغفرة فضلا عن استحقاق الرحمة (فان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما قد سلف (وقاتلوهم) اى المشركين (حتى لا تكون) الى ان لا توجد ولا تبقى (فتنة) اى شرك يعنى قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثنى الا الاسلام فان أبى قتل (ويكون الدين لله) خالصا له ليس للشيطان نصيب فيه (فان انتهوا) بعد مقاتلتكم عن الشرك (فلا عدوان الا على الظالمين) اى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فحذف نفس الجزاء واقيمت علته مقامه والعلة لما كانت مستلزمة للحكم كنى بها عنه كأنه قيل فان انتهوا فلا تعدوا عليهم لان العدوان مختص بالظالمين والمنتهون عن الشرك ليسوا بظالمين فلا عدوان عليهم وسمى ما يفعل بالكفار عدوانا وظلما وهو فى نفسه حق وعدل لكونه جزاء الظلم للمشاركة كقوله تعالى فجزاء سيئة سيئة (الشهر الحرام) يقابل (بالشهر الحرام) فى هتك الحرمة حيث صدهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة وكان بين القوم ترامى بسهام وحجارة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه سنة سبع من الهجرة وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فنزلت هذه الآية وقيل لهم هذا الشهر الحرام بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلا تبالوا به (والحرمات قصاص) يعنى من هتك حرمة اى حرمة كانت من حرمة الشهر وحرمة الاحرام وحرمة الحرم اقتص منه فان مراعاة هذه الحرمات انما تجب فى حق من راعيها واما من هتكها فانه يقتص منه ويعامل معه بمثل فعله والاوضح ان المراد بالحرمات كل حرمة وهى ما يجب المحافظة عليه نفسا كان او عرضا يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد وهو عن التعرض للقتال فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة اى قهرا او غلبة فان منعوكم فى هذه السنة عن قضاء العمرة بالمقاتلة ونحوها فاقتلوهم كما قال تعالى (فمن اعتدى عليكم) اى تجاوز بقتالكم فى الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) اى بعقوبة مماثلة لجنايته اعتدائه وهذا اعتداء على سبيل القصاص وهو اعتداء مأذون فيه لا على سبيل الابتداء فانه ظلم حرام وهو المراد بقوله تعالى فلا تعتدوا (واتقوا الله) اذا انتصرتم ممن ظلمكم فلا تظلموهم بأخذ اكثر من حقكم ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم (واعلموا ان الله مع المتقين) والمعية وهى القرب المعنوى تدل على انه تعالى يحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين (روى) انه عليه السلام واصحابه دخلوا ذلك العام مكة وطافوا بالبيت ونحروا الهدى وكان المشركون شرطوا له بعد قضاء العمرة الاقامة بمكة ثلاثا وكان النبى عليه السلام تزوج ميمونة بنت الحارث فأحب المقام بمكة ليولم عليها فطالبوه بالخروج منها والوفاء بما عاهد ففعل واولم على ميمونة وبنى بها بسرف واعلم ان الله تعالى امرنا بالغزو فى سبيله ليظهر من يدعى بذل

الوجود فى سبيل الله وامرنا بالزكاة يبذل المال ليتبين من يدعى محبة الله فالغزو معيار المحبة الآلهية لان كل انسان جبل على حب الحياة والمال فامتحن بالغزو والزكاة فى سبيل الله قطعا لدعوى المدعين لان الكل يدعى محبة الله وهذا هو السر فى الجهاد ولهذا قال سيدنا على رضى الله تعالى عنه خير الخصال فى الفتى الشجاعة والسخاوة وهما توأمان فكل شجيع سخى وعن عبد الله بن عمر عن ابيه رضى الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما الاسلام قال طيب الكلام واطعام الطعام وافشاء السلام قيل فأى المسلمون افضل قال من سلم الناس من لسانه ويده قيل فأى الصلاة افضل قال طول القيام قيل فأى الصدقة افضل قال جهد من مقل قيل فاى الايمان افضل قال الصبر والسماحة قيل فاى الجهاد افضل قال من عقر جواده واهريق دمه قيل فأى الرقاب افضل قال اغلاها ثمنا والجهاد جهادان ظاهر وباطن فالظاهر مع الكفار والباطن مع النفس والشيطان وهذا اصعب لان الكافر ربما رجع اما بالمحاربة او بالصلح او ببذل النفس والمال بوجه من الوجوه والشيطان لا يرجع عنك دون ان يسلب الدين (وفى المثنوى) اى شهان كشتيم ماخصم برون * ماند خصمى زو بتردر اندرون * كشتن اين كار عقل وهوش نيست * شير باطن سخرهٔ خركوش نيست * سهل شيرى دان كه صفها بشكند * شير آنست آن كه خودرا بشكند * قال فى التأويلات القاشانية وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم من الشيطان وقوى النفس الامارة ولا تعتدوا فى قتالها بأن تمنعوها عن قيامها بحقوقها والوقوف على حدودها حتى تقع فى التفريط والقصور والفتور ان الله لا يحب المعتدين لكونهم خارجين عن ظل المحبة والوحدة التى هى العدالة واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى ازيلوا حياتهم وامنعوهم عن افعالهم بهواها الذى هو روحها حيث كانوا واخرجوهم من مكة الصدر عند استيلائهم عليها كما اخرجوكم منها باستنزالكم الى بقعة النفس واخراجكم من مقر القلب وفتنتهم التى هى عبادة هواها واصنام لذاتها وشهواتها اشد من قمع هواها واماتتها بالكلية او محنتكم وبلاؤكم بها عند استيلائها اشد عليكم من القتل الذى هو اماتتها ومحوها بالكلية لزيادة الضرر والالم هنالك ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الذى هو مقام القلب اى عند الحضور القلبى اذا وافقوكم فى توجهكم فانهم اعوانكم على السلوك حينئذ حتى يقاتلوكم فيه وينازعوكم فى مطالبه ويحجزوكم عن حياة القلب ودين الحق الى مقام النفس ودينهم الذى هو عبادة العجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة من تنازعهم وتجاذب دواعيهم وتعبدهم الهوى ويكون الدين كله لله بتوجه جميعها الى جناب القدس ومشايعتها للسر فى التوجه الى الحق الذى ليس للشيطان والهوى فيه نصيب فان انتهوا فلا عدوان عليهم الا على العادين المجاوزين عن حدودهم انتهى ما فى التأويلات وقال الشيخ نجم الدين قدس سره فى قوله تعالى الشهر الحرام الآية الاشارة ان ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بتوانى النفس وغلبات صفاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم والساعة بالساعة والوقت بالوقت والاوراد بالاوراد واقضوا الفائت والحقوق فكل صفة من صفات النفس اذا استولت عليكم فعالجوها بضدها البخل بالسخاوة والغضب بالحلم والحرص بالترك والشهوة بالرياضة وعلى هذا القياس واتقوا الله فى افراط الاعتداء احترازا عن هلاك النفس بكثرة المجاهدات واعلموا ان الله مع المتقين بالنصرة على جهاد النفس (وانفقوا فى سبيل الله) الانفاق صرف المال الى وجوه المصالح والمراد بالسبيل الدين المؤدى الى ثواب الله ورحمته فكل ما امر الله به من الانفاق فى اعزاز الدين واقامته فهو داخل فى هذه الآية سواء كان فى اقامة الحج او العمرة او جهاد الكفار اوصلة الارحام او تقوية الضعفاء من الفقراء والمساكين اورعاية حقوق الاهل والاولاد اوغير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى امر تعالى بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اى واصرفوا اموالكم فى سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك (ولا تلقوا) الالقاء طرح الشئ حيث تراه ثم صار اسما لكل طرح عرفا وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء (بايديكم) الباء زائدة فى المفعول به لان ألقى يتعدى بنفسه قال تعالى فألقى موسى عصاه ولا يقال ألقى بيده الا فى الشر والمراد بالايدى الانفس فان اليد لازم للنفس وتخصيص اليد من بين سائر الجوارح اللازمة لها لان اكثر الاعمال يظهر بالمباشرة باليد والمعنى لا تطرحوا انفسكم (الى التهلكة) اى الهلاك بالاسراف وتضييع وجه المعاش لتكون الآية نظير قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما او بالكف عن الغزو والانفاق فى مهماته فان ذلك مما يقوى العدو ويسلطه عليكم ويؤيده

ماروى عن ابى ايوب الانصارى رضى الله تعالى عنه انه قال ان الله تعالى لما اعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما
بيننا انا قد تركنا اهلنا واموالنا حتى فشا الاسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا الى اهلنا واموالنا فاقمنا فيها واصلحنا
ما ضاع منها فانزل الله تعالى وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اى الى ما يكون سبب الهلاك كم
من الاقامة فى الاهل والمال وترك الجهاد فما زال ابو ايوب يجاهد فى سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها
بقسطنطينية فى زمن معاوية فتوفى هنالك ودفن فى اصل سور قسطنطينية وهم يستشفون به وفى الحديث من
مات ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق (واحسنوا) اى تفضلوا على الفقراء (ان الله يحب
المحسنين) اى يريد بهم الخير روى ان الحجاج لما ولى العراق كان يطعم فى كل يوم على ألف مائدة يجمع على كل مائدة
عشر انفس وكان يرسل الرسل الى الناس لحضور الطعام فكثر عليه ذلك فقال ايها الناس رسولى اليكم الشمس
اذا طلعت فاحضروا للغداء واذا غربت فاحضروا للعشاء فكانوا يفعلون ذلك واستقل الناس يوما فقال ما بال
الناس قد قلوا فقال رجل ايها الامير انك اغنيت الناس فى بيوتهم عن الحضور الى مائدتك فاعجبه ذلك وقال
اجلس بارك الله عليك هذا اكرم الحجاج واحسانه الى الخلق مع كونه اظلم اهل زمانه (قال السعدى) كرم كن كه
فردا كه ديوان نهند * منازل بقدر احسان نهند * وحكى الهدآنى قال اقبل ركب من بنى اسد ومن
قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما وهو المشهور بالجود فقالوا تركنا قوما يثنون عليك خيرا وقد ارسلوا اليك
رسالة فقال ماهى فانشد الاسديون شعر النابغة فيه فلما انشدوه قالوا انا نستحيى ان نسألك شيأ وان لنا لحاجة
قال ماهى قالوا صاحب لنا قد أرجل يعنى فقدت راحلته فقال حاتم فرسى هذه فاحملوه عليها فأخذوها وربطت
الجارية فلوها بثوبها فافلت يتبع امه وتبعته الجارية لترده فصاح حاتم ما تبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس
والفلو والجارية كذا فى شرح رسالة ابن زيدون الوزير قيل لما عرج النبى عليه السلام اطلع على النار فراى
حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام ما بال هذا الرجل فى هذه الحظيرة لا تمسه النار فقال جبريل
عليه السلام هذا حاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كذا فى انيس الوحدة وجليس الخلوة
وفى الاحاديث القدسية يا عيسى اتريد أن تطير على السماء مع الملائكة المقربين كن فى الشفقة كالشمس
وفى الستر كالليل وفى التواضع كالارض وفى الحلم كالميت وفى السخاوة كالنهر الجارى قال بعض اهل الحقيقة
وهو حسن جدا وانفقوا فى سبيل الله ارواحكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بمنعكم انفسكم عن الشهادة
فى سبيل الله التى هى الحياة الابدية فتهلكوا يعنى بفوت هذه الحياة واحسنوا تسليم انفسكم الى الله فقد اشتراها
منكم ان الله يحب المحسنين (وفى المثنوى) مرك بى مركى بود مارا حلال * برك بى بركى بود مارا نوال *
ظاهرش مرك وبباطن زندكى * ظاهرش ابتر نهان پايندكى * چون مرا سوى اجل عشق
وهواست * نهى لا تلقوا بايديكم مراست * زانكه نهى ازدانهٔ شيرين بود * تلخ را خود نهى
حاجت كى شود * دانهٔ كش تلخ باشد مغز وپوست * تلخى ومكروهيش خود نهى اوست * دانهٔ
مردن مرا شيرين شدست * بل هم احياء پى من آمدست * قال فى التأويلات النجمية وانفقوا فى سبيل
الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالامتناع عن تسليم المبيع فتهلكوا بمنع
الثمن وهو الجنة وبافراط الاعتداء وتفريطه فى جهاد النفس بالافراط بان يبرز واحد على رهط وبالتفريط بان
يفر واحد من اثنين فى جهاد الكفار واحسنوا مع نفوسكم بوقايتها من نار الشهوات ومع قلوبكم برعايتها وحفظها
من رين الغفلات ومع ارواحكم بحمايتها عن حجب التعلقات ومع اسراركم بكلاءتها عن ملاحظة المكونات
ومع الخلق بدفع الاذيات وايصال الخيرات ومع الله بالعبودية فى المأمورات والمنهيات والصبر على المضرات
والبليات والشكر على النعم والمسرات والتوكل عليه فى جميع الحالات وتفويض الامور اليه فى الجزئيات
والكليات والتسليم للاحكام الازليات والرضى بالاقضية الاوليات والفناء عن الارادات المحدثات فى ارادته
القديمة بالذات ان الله يحب المحسنين الذين هم فى العبادة بوصف المشاهدة انتهى ما فى التأويلات بانتخاب
(واتموا الحج والعمرة) الحج فرض على من استطاع اليه سبيلا بالاتفاق والعمرة سنة عند ابى حنيفة رحمه الله
لا تلزم الا بالشروع كنفل الصلاة والمعنى ان من شرع فى اى واحد منهما فليتمه قالوا ومن الجائز ان لا يكون
الدخول فى شئ واجبا ابتدآء الا انه بعد الشروع فيه يكون اتمامه واجبا (لله) متعلق بأتموا واللام لام المفعول

من اجله وفائدة التخصيص به هنا ان العرب كانت تقصد الحج للاجتماع والتظاهر وحضور الاسواق وكل ذلك ليس لله فيه طاعة ولا قربة فامر الله بالقصد اليه لاداء فرضه وقضاء حقه والمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشئ منها واخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشئ من التجارة والاغراض الدنيوية واجعلوا النفقة من الحلال واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة وحلق الرأس اوالتقصير فركن الحج مالا يحصل التحلل الابالاتيان به وواجباته هو الذى اذا ترك يجبر بالدم وسننه مالا يجب بتركه شئ وكذا افعال العمرة تشتمل على هذه الامور الثلاثة فاركانها اربعة الاحرام والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق * وللحج تحللان واسباب التحلل ثلاثة رمى جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق واذا وجد شيأن من هذه الاشياء الثلاثة حصل التحلل وبالثالث حصل التحلل الثاني وبعد التحلل الاول يستبيح جميع المحظورات اى محظورات الاحرام الا النساء وبالثاني يستبيح الكل واتفقت الامة على انه يجوز اداء الحج والعمرة على ثلاثة اوجه الافراد والتمتع والقران فصورة الافراد ان يحرم بالحج مفردا ثم بعد الفراغ منه يعتمر من الحل اى الذى بين المواقيت وبين الحرم وصورة التمتع ان يبتدئ باحرام العمرة فى اشهر الحج ويأتى بمناسكها ثم يحرم بالحج من مكة فيحج فى هذا العام وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا بان ينويهما بقلبه ويأتى بمناسك الحج وحينئذ يكون قد اتى بالعمرة ايضا لان مناسك العمرة هى مناسك الحج من غير عكس اويحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا ولو احرم بالحج ثم ادخل عليه العمرة لم ينعقد احرامه بالعمرة والافضل عندنا من هذه الوجوه هو القران وفى الحديث تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء الا الجنة (فان احصرتم) اى منعتم وصددتم عن الحج والوصول الى البيت بمرض اوعدو اوعجز اوذهاب نفقة اوراحلة اوسائر العوائق بعد الاحرام بأحد النسكين وهذا التعميم عند ابى حنيفة رحمه الله لان الخطاب وان كان للنبي واصحابه وكانوا ممنوعين بالعدو لكن الاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب (فما استيسر) اى فعليكم ما تيسر (من الهدى) من اما تبعيضية او بيانية اى حال كونه بعض الهدى اوالكائن من الهدى جمع هدية كتمر وتمرة وهو مايهدى الى البيت تقربا الى الله من النعم ايسره شاة واوسطه بقرة واعلاه بدنة ويسمى هديا لانه جار مجرى الهدية التى يبعثها العبد الى ربه بأن يعثها الى بيته والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة اوبقرة اوشاة حيث احصر فى اى موضع كان عند الشافعى واما عندنا فيبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث على يده يوم ذبحه امارة اى علامة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى (ولا تحلقوا رؤسكم) اى لا تحللوا بحلق رؤسكم (حتى يبلغ الهدى محله) حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذى وجب ان ينحر فيه والمحل بالكسر من الحلول وهو النزول يطلق على الزمان والمكان فحل الدين وقت وجوب قضائه ومحل الهدى المكان الذى يحل فيه ذبحه وهو الحرم عندنا لقوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق والمراد الحرم كله لان كله يتبع البيت وهذا الحكم عام لجميع الحاج من المفرد والقارن والمتمتع والمعتمر يعنى لا يجوز له ان يحلق رأسه الا ان يذبح هديه وان لم يحصر يعنى فى منى والحلق افضل من التقصير ولو حلق ربع الرأس يكتفى به لكن حلق كله اولى اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فى الحج واما فى غيره فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحلق رأسه الا قليلا بل هو معدود ويتركه فى اكثر الازمان وكان على رضى الله عنه يحلق رأسه منذ ما سمع قوله عليه السلام تحت كل شعرة جنابة (فمن) يجوز ان تكون شرطية وموصولة (كان منكم مريضا) مرضا محوجا الى الحلق حال الاحرام ومريضا خبر كان ومنكم حال منه لانه فى الاصل صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا (او به اذى) اى ألم كائن (من رأسه) كجراحة وقمل وصداع اوشقيقة والمعنى يثبت على احرامه من غير حلق حتى يذبح هديه الا ان يضطر الى الحلق فان حلق ضرورة (ففدية) اى فعليه فدية (من صيام) اى صيام ثلاثة ايام (او صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (اونسك) بضمتين جمع نسيكة وهى الذبيحة اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة واو للتخيير (فاذا أمنتم) من خوفكم وبرئتم من مرضكم وكنتم فى حال امن وسعة لا فى حال احصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) اى فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة

قبل الاتفاع بتقربه بالحج فى اشهره اومن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) اى فعليه دم تيسر عليه بسبب التمتع وهو هدى المتعة وهو نسك عند ابى حنيفة رحمه الله لايذبحه الايوم النحرو يأكل منه كالاضحية (فمن لم يجد) اى الهدى (فصيام ثلاثة ايام) صيام مصدر اضيف الى ظرفه معنى وهو فى اللفظ مفعول به على الاتساع اى فعليه صيام ثلاثة ايام (فى الحج) اى فى وقته وأشهره بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج ان شاء متفرقة وان شاء متتابعة والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق (وسبعة اذا رجعتم) اى نفرتم وفرغتم من أعمال الحج اطلق عليه الرجوع على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب الخاص وهو النفر والفراغ فانه سبب للرجوع (تلك) اى صيام ثلاثة وسبعة (عشرة) فذلكة الحساب وفائدتها ان لايتوهم ان الواو بمعنى او كما فى قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلمان خير من علم فان اكثر العرب لايحسنون الحساب فكان الرجل اذا خاطب صاحبه باعداد متفرقة جمعها له ليسرع فهمه اليها وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما (كاملة) صفة مؤكدة لعشرة فان الوصف قد يكون للتأكيد اذا افاد الموصوف معنى ذلك الوصف نحو الهين اثنين والتأكيد انما يصار اليه اذا كان الحكم المؤكد مما يهتم بشأنه والمحافظة عليه والمؤكد ههنا هو رعاية هذا العدد فى هذا الصوم اكده لبيان ان رعايته من المهمات التى لايجوز اهمالها البتة (ذلك) اشارة الى نفس التمتع عندنا والى حكم التمتع عند الشافعى وهو لزوم الهدى لمن يجده من المتمتع ولزوم بدله لمن لايجده (لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام) اى لازم للذى لايسكن مكة واهل الرجل اخص الناس اليه وانما ذكر الاهل لان الغالب ان الانسان يسكن حيث يسكن اهله فعبر بسكون الاهل عن سكون نفسه وحاضروا المسجد الحرام عندنا هم اهل مكة ومن كان منزله داخل المواقيت فلا متعة ولاقران لهم فمن تمتع اوقرن منهم فعليه دم جناية لايأكل منه وحاضروا المسجد الحرام ينبغى لهم ان يعتمروا فى غير اشهر الحج ويفردوا اشهر الحج للحج والقارن والمتمتع الآفاقيان دمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعى حاضروا المسجد الحرام اهل الحرم ومن هو على مسافة لاتقصر فيها الصلاة (واتقوا الله) فى المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا فى الحج (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان

(قال السعدى) مروز برباركنه اى پسر * كه حال عاجز بود درسفر * تو پيش از عقوبت درعفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب * اعلم ان اتمام الحج كما يكون عن طريق الظاهر كذلك يكون عن طريق الباطن وعن بعض الصالحين انه حج فلما قضى نسكه قال لصاحبه هلم نتم حجنا ألم تسمع قول ذى الرمة

تمام الحج ان تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام

وخرقاء اسم حبيبة الشاعر واضعة اللثام اى مكشوفة الوجه مسفرة جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذى لايتم الا به وحقيقة ما قال هو انه كما قطع البوادى حتى وصل الى بيته وحرمه ينبغى ان يقطع اهوآء النفس ويخرق حجب القلب حتى يصل الى مقام المشاهدة ويبصر آثار كرمه بعد الرجوع عن حرمه قال فى التأويلات النجمية حج العوام قصد البيت وزيارته وحج الخواص قصد رب البيت وشهوده كما قال الخليل عليه السلام انى ذاهب الى ربى سيهدين وكان من قصد الله وطلبه وتوجه اليه بالكلية وفدى بنفسه وماله وولده فى الله واتخذ ماسواه عدوا كما قال فانهم عدو لى الارب العالمين كان الخليل عليه الصلاة والسلام وهذا كله من مناسك الحج الحقيقى فلذلك جعله الله اول من بنى بيت الله وطاف وحج واذن فى الناس بالحج وسن المناسك وكان الحج صورة ومعنى مقامه عليه السلام وكما كان له مقام كان لنبينا عليه السلام حال والحال اتم من المقام لان المقامات من المنازل والاحوال من المواهب فيمكن سلوك المقامات بغير المواهب ولا يمكن المواهب بغير سلوك المقامات فلما كان الخليل من اهل المقامات قال انى ذاهب الى ربى سيهدين ولما كان النبى عليه الصلاة والسلام من اهل المواهب قيل سبحان الذى اسرى بعبده فلما كان ذهابه بنفسه فى الحج الحقيقى بقى فى السماء السابعة واحصر فقيل له فان احصرتم فما استيسر من الهدى فاهدى باسمعيل ولما اسرى بالنبى عليه السلام وكان ذهابه بالله ما احصره شئ فقيل له فأتموا الحج والعمرة لله فأتم حجه بان دنا فتدلى فكان قاب قوسين اوادنى ثم اتى عمرته بان تجلى له اقمار المقصود عن كشوف التعزز بالشهود وانجلت غمامة المحبة عن شموس الوصلة وجرى بين المحبين

ماجرى فأوحى الى عبده مااوحى ثم نودى من سرادقات الجلال فى اتمام الحج والاكمال يوم الحج الاكبر عند وقوفه بعرفات فى حجة الوداع وهو آخر الحجات اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا انتهى مافى التأويلات ثم اعلم ان كل قلب لا يصلح لمعرفة الرب ولا كل نفس تصلح لخدمة الرب ولا كل نفيس مال يصلح لخزانة الرب فتحجل ايها العبد فى تدارك حالك وكن مخيا بمالك فان لم يكن فبنفسك وان كان لك قدرة على بذلهما فبهما ألا يرى ان ابراهيم عليه السلام كيف اعطى ماله للضيفان وبدنه للنيران وولده للقربان وقلبه للرحمان حتى تعجبت الملائكة من سخاوته فاكرمه الله بالخلة قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا قال مالك بن دينار خرجت الى مكة فرأيت فى الطريق شابا اذاجن عليه الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يامن تسره الطاعات ولاتضره المعاصى هب لى مايسرك واغفرلى مالايضرك فلما احرم الناس ولبوا قلت له لم لاتلبى فقال ياشيخ وماتغنى التلبية عن الذنوب المتقدمة والجرائم المكتوبة والمعاصى السالفة اخشى ان اقول لبيك فيقال لى لالبيك ولاسعديك لااسمع كلامك ولاانظر اليك ثم مضى فمارأيته الا بمنى وهو يقول اللهم اغفرلى اللهم ان الناس قدذبحوا وتقربوا اليك وليس لى شئ اتقرب به اليك سوى نفسى فتقبلها منى ثم شهق شهقة وخر ميتا اللهم عاملنا بكمال كرمك واوصلنا الى حضرتك العليا وحرمك (الحج) بحذف المضاف اى وقته لان الحج فعل والفعل لايكون اشهرا (اشهر) هى شوال وذوالقعدة وعشرذى الحجة عندنا وانما سمى شهران وبعض شهر أشهرا مع ان جمع القلة لايطلق على ماهو اقل من الثلاثة اقامة للبعض مقام الكل اواطلاقا للجمع على مافوق الواحد (معلومات) معروفات بين الناس لانهم توارثوا علمها والشرع جاء مقررا لما عرفوه ولم يغير وقته عما كان قبله وفائدة توقيت الحج بهذه الاشهر ليعلم ان شيأ من افعال الحج لايصح الافيها والاحرام وان كان ينعقد فى غيرها ايضا عند ابى حنيفة الا انه مكروه يعنى ان الاحرام عنده من شرائط الحج فيجوز تقديمه على وقت ادائه كما يجوز تقديم الطهارة على اداء الصلاة وقولهم وقت الحج اشهر ليس المراد به انها وقت احرامه بل المراد انها وقت ادائه بمباشرة اعماله ومناسكه والاشهر كلها وقت لصحة احرامه لقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج ومعلوم ان الاهلة كلها ليست مواقيت لصحة اداء الحج فتعين ان المراد انها مواقيت لصحة الاحرام حتى من احرم يوم النحر لان يحج فى السنة القابلة يصح احرامه من غير كراهة عند ابى حنيفة كذا فى حواشى ابن الشيخ (فمن فرض فيهن الحج) اى اوجبه على نفسه بالتلبية اوتقليد الهدى وذلك لان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع بمجرد النية كالصلاة فلا بد من فعل يشرع به فيه وهوماذكرنا من التلبية اوتقليد الهدى وهو جعل القلادة فى عنقه وسوقه (فلارفث) اى فلاجماع ومادونه مما يفضى الى ذلك كالقبلة والغمز وهو محظور الاحرام فقبل الوقوف بعرفة مفسد وبعده موجب للبدنة وحرمت دواعيه لئلا يقع فيه والرفث ومايليه من الفسوق والجدال وان كانت على صورة النفى بمعنى ان شيأ منها لا يقع فى خلال الحج الا ان المراد بها النهى لان ابقاءها خبرا على ظاهرها يستلزم الخلف فى خبرالله للعلم بان هذه الاشياء كثيرا ماتقع فى خلال الحج وانما اخرجت على صورة الاخبار للمبالغة فى وجوب الانتهاء عنها كأن المكلف اذعن كونها منهيا عنها فاجتنب عنها فالله تعالى يخبر بأنها لاتوجد فى خلال الحج ولا يأتى بها احدمنكم (ولافسوق) ولاخروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات والفسق هو المعاصى بأنواعها فيدخل فيه السباب والتنابز بالالقاب وغيرذلك (ولاجدال) اى لامراء مع الخدم والرفقة والمكارين لانه يفضى الى التضاغن وزوال التأليف فاما الجدال على وجه النظر فى امر من امور الدين فلا بأس به (فى الحج) اى فى ايامه وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لانه مع الحج اقبح واشنع كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب فى قرآءة القرآن والمنهى عنه التطريب الذى تخرج الحروف به عن هيئاتها كما يفعله بعض القرآء من الالحان العجيبة والانغام الموسيقية واما تحسين القرآءة ومدها فهو مندوب اليه قال عليه السلام حسنوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا والتطريب المقبول سبب للرقة واقبال النفس وبه قال ابو حنيفة رحمه الله وجماعة من السلف (وما) شرطية (تفعلوا من خير يعلمه الله) علم الله تعالى بما يفعله العبد من الخير كناية عن اثابته عليه * نهى عن ثلاثة اشياء من المعاصى ورغب فى كل الطاعات فهو حث على فعل الخير

عقيب النهي عن الشر فيدخل فيه استعمال الكلام الحسن مكان القبيح والبر والتقوى مكان الفسوق والوفاق والاخلاق الجميلة مكان الجدال (وتزودوا) اى اجعلوا زادكم لمعادكم وآخرتكم اتقاء القبائح (فان خير الزاد التقوى) لاما يتخذ من الطعام وتحقيق الكلام ان الانسان له سفران سفر فى الدنيا وسفر من الدنيا فالسفر فى الدنيا لابد له من زاد وهو الطعام والشراب والمركب والمال والسفر من الدنيا لابد له ايضا من زاد وهو معرفة الله ومحبته والاعراض عما سواه بالاشتغال فى طاعته والاجتناب عن مخالفته ومناهيه وهذا الزاد خير من زاد المسافر فى الدنيا لان زاد الدنيا يخلصك من عذاب منقطع وزاد الآخرة يخلصك من عذاب دائم وزاد الدنيا فانى وزاد الآخرة يوصلك الى لذات باقية خالصة وقيل كان اهل اليمن لايتزودون ويخرجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس واذا قدموا مكة سألوا الناس وربما يفضى بهم الحال الى النهب والغصب فقال الله تعالى تزودوا اى ماتتبلغون به وتكفون به وجوهكم من الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى من السؤال والنهب (واتقون يااولى الالباب) فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرأوا عن كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بالخطاب فان من لم يتقه فكأنه لالب له فعلى العاقل تخليص العقل من الشوائب وتهذيب النفس وتكميلها بالوصول الى اعلى المراتب قال الشاعر ولم ارفى عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام) قال الامام اعلم ان الانسان فيه قوى ثلاث قوة شهوانية بهيمية وقوة غضبية سبعية شيطانية وقوة وهمية عقلية ملكيه والمقصود من جميع العبارات قهر القوى الثلاث اعنى الشهوانية والغضبية والوهمية فقوله فلا رفث اشارة الى قهر القوة الشهوانية وقوله ولافسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية التى توجب المعصية والتمرد وقوله ولاجدال اشارة الى قهر القوة الوهمية التى تحمل الانسان على الجدال فى ذات الله وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه وهى الباعثة للانسان على منازعة الناس ومماراتهم والمخاصمة معهم فى كل شئ فلما كان الشر محصورا فى هذه الامور الثلاثة لاجرم قال فلا رفث ولافسوق ولاجدال فى الحج اى فمن قصد معرفة الله ومحبته والاطلاع على نور جلاله والانخراط فى سلك الخواص من عباده انتهى ماقال الامام قالوا من سهل عليه المشى فى طريق الحج فهو الافضل فان كان يضعف ويؤدى ذلك الى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب افضل كما ان الصوم افضل للمسافر والمريض مالم يفض الى ضعف وسوء خلق قال ابو جعفر محمد الباقر مايعبأ بمن يؤم هذا البيت اذا لم يأت بثلاث ورع يحجزه عن محارم الله وحلم يكف به غضبه وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين فهذه الثلاث يحتاج اليها المسافر خصوصا الى الحج فمن كلها فقد كل حجه والافلا (ونعم ماقال السعدى) ازمن بكوى حاجى مردم كزايرا * كو پوستين خلق بآزار ميدرد * حاجى تونيستى شترست از براى آنك * بيچاره خار ميخورد وبار ميبرد * فينبغى ان يجتهد الحاج قبل مفارقة رفيقه والجمال فى ان يتحالوا من المظالم ان كانت جرت بينهم مثل غيبة ونميمة اواخذ عرض اوتعرض لمال فما سلم من ذلك الا القليل واذا ذكر رفيقه فليثن عليه خيرا وليغض عما سوى ذلك فقد كان السلف بعد قفولهم اى رجوعهم من السفر لايذكر احدهم صاحبه الا بخير وليحذر من تظفت صحيفة عمله من الذنوب بالغفران ان يرجع الى وسخ المعاصى ثم الاشارة ان قصد القاصدين الى الله تعالى انما يكون فى اشهر معلومات من حياتهم الفانية فى الدنيا فامابعد انقضاء الآجال فلا يفيد لاحد السعى كما لاينفع للحاج القصد بعد مضى اشهر الحج قال تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها الآية وكان للحاج مواقيت معينة يحرمون منها فكذلك للقاصدين الى الله ميقات وهى ايام الشباب من بلاغة الصورة الى بلوغ الاربعين وهو حد بلاغة المعنى قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ولهذا قال المشايخ الصوفى بعد الاربعين نادر يعنى ان كان ظهور ارادته وطلبه يكون بعد الاربعين فوصوله الى المقصد الحقيقى يكون نادرا مع اركانه ولكن من يكون طلبه وصدقه فى الارادة قبل الاربعين وما امكنته الوصلة يقرب فى الاحتمال ان يكون بعد الاربعين حصول مقصوده بان يبذل غاية مجهوده بشرائطه وحقوقه وحدوده ومن فاته اوان الطلب فى عنفوان شبابه مستبعدة له الوصلة فى حال مشيبه فجرى منه عليه الحيف بان ضيع اللبن فى الصيف ولكن يصلح للعبادة التى

آخرها الجنة ووقف بعض المشايخ على باب الجامع والخلق يخرجون منه فى ازدحام وغلبة وكان ينظر اليهم ويقول هؤلاء حشو الجنة وللمجالسة اقوام آخرون كذا فى التأويلات النجمية وقال القاشانى وقت الحج ازمنة وهو من وقت بلوغ الحلم الى الاربعين ثلاثة اعصر كل عصر بمثابة شهر عصر من سن النمو وعصر من سن الوقوف وبعض من سن الكهولة كما قال تعالى فى وصف البقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك انتهى (قال الحافظ)

عشق وشباب ورندى مجموعهٔ مرادست * چون جمع شد معانى كوى بيان توان زد (ليس عليكم جناح)

اى اثم من الجنوح وهو الميل عن القصد (ان تبتغوا) اى فى ان تقصدوا وتطلبوا (فضلا من ربكم) اى عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة فى ايام الحج فان الآية نزلت ردا على من يقول لا حج للتاجر والجمال لكن الحق ان التجارة وان كانت مباحة فى الحج الا ان الاولى تركها فيه لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص ان لا يكون له حامل على الفعل سوى كونه طاعة وعبادة (فاذا افضتم من عرفات) الهمزة فى افضتم للتعدية والمفعول محذوف اى دفعتم انفسكم منها بكثرة بعد غروب الشمس ورجعتم بعد الوقوف بها وفى التيسير وحقيقة الافاضة هنا هو اجتماع الكثير فى الذهاب والمسير وعرفات علم للموقف وليس بجمع حقيقة بل هو من قبيل ما زيدت حروفه لزيادة معناه فانه للمبالغة فى الانباء عن المعرفة روى انه نعته جبريل لابراهيم عليهما السلام فلما ابصره عرفه فسمى ذلك الموضع عرفات اولان جبريل عليه الصلاة والسلام كان يدور به فى المشاعر اى مواضع المناسك ويقول عرفت فيقول عرفت فلما رآه قال عرفت اولان آدم عليه الصلاة والسلام لما اهبط الى الارض وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا اولغير ذلك كما ذكر فى التفاسير وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفات لان الافاضة مأمور بها وهى موقوفة على الحضور فيها والوقوف بها وما لم يتم الواجب الا به فهو واجب فيكون الوقوف واجبا (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتسبيح والتحميد والثناء والدعوات (عند المشعر الحرام) قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعلى الميقدة وفى المغرب الميقدة هو موضع بالمشعر الحرام على قزح كان اهل الجاهلية يوقدون عليها النار وتقييد محل الذكر والوقوف بقوله عند المشعر الحرام للتنبيه على ان الوقوف فيما يقرب من جبل قزح افضل من الوقوف فى سائر مواضع ارض مزدلفة وذلك لا ينافى صحة الوقوف فى جميع مواضعها كما ان عرفات كلها موضع الوقوف لكن الوقوف بقرب جبل الرحمة افضل واولى والمشعر المعلم اى للعبادة والشعائر العلامات من الشعار وهو العلامة ووصفه بالحرام لحرمته فلا يفعل فيه ما نهى عنه (واذكروه كما هداكم) اى كما علمكم كيف تذكرونه مثل كون الذكر ذكرا كثيرا وعلى وجه التضرع والخيفة والطمع ناشئا عن الرغبة والرهبة ومشاهدة جلال المذكور وجماله كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فالمقصود من الكاف مجرد التقييد لا التشبيه اى اذكروه على الوجه الذى هداكم اليه لا تعدلوا عما هديتم اليه كما تقول افعل كما علمتك وليس هذا تكرارا لقوله فاذكروا الله عند المشعر الحرام لان الاول لبيان محل الذكر والوقوف وتعليم النسك المناسب لذلك المحل واوجب بالثانى ان يكون ذكرنا اياه كهدايته ايانا اى موازيا لها فى الكم والكيف (وان) هى المخففة واللام هى الفارقة (كنتم من قبله) اى من قبل ما ذكر من هدايته اياكم (لمن الضالين) غير العالمين بالايمان والطاعة قال القاشانى ان الله تعالى هدى اولا الى الذكر باللسان فى مقام النفس ثم الى الذكر بالقلب وهو ذكر الافعال اى تصور آلاء الله ونعمائه ثم الى ذكر السر وهو معاينة الافعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات ثم الى ذكر الروح وهو مشاهدة انوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات ثم الى ذكر الخفى وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الاثنينية ثم الى ذكر الذات وهو الشهود الذاتى بارتفاع البعد وان كنتم من قبل الهدى الى هذه المقامات لمن الضالين عن طريق هذه الاذكار انتهى ولما امر بذكر الله تعالى اذا فعلت الافاضة امر بان تكون الافاضة من حيث افاض الناس مرتبا الامر الثانى على الاول بكلمة ثم فقال (ثم افيضوا) اى ارجعوا (من حيث افاض الناس) اى من عرفة لا من المزدلفة كانت قريش وحلفاؤها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وسكان حرمه فلا نخرج من الحرم ويستعظمون ان يقفوا مع الناس بعرفات لكونها من الحل وسائر العرب كانوا يقفون بعرفات اتباعا لملة ابراهيم عليه السلام فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فانزل الله هذه الآية فأمرهم ان يقفوا بعرفات وان يفيضوا منها كما يفعله سائر الناس والمراد بالناس

العرب كلهم غير الحمس والحمس في الاصل جمع احمس وهو الرجل الشجاع والاحمس ايضا الشديد الصلب في الدين والقتال وسميت قريش وكنانة وجديلة وقيس حمسا لتشددهم في دينهم وكانوا لا يستظلون ايام منى ولا يدخلون البيوت من ابوابها وكذلك كان من حالفهم او تزوج منهم (واستغفروا الله) من جاهليتكم في تغيير المناسك ومخالفتكم في الموقف (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فامر النبي عليه السلام ابابكر رضي الله تعالى عنه ان يخرج بالناس جميعا الى عرفات فيقف بها روى ان الله تعالى يباهي ملائكته باهل عرفات ويقول انظروا الى عبادي جاؤا من كل فج عميق شعثا غبرا اشهدوا اني غفرت لهم وروى ان الشيطان ماروئى في يوم هو أصغر واحقر واذل منه يوم عرفة وماذلك الالما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفي الحديث اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله تعالى لا يغفر له والحجة الواحدة افضل من عشرين غزوة في سبيل الله وقيل ان البعير اذا حج عليه مرة بورك في اربعين من امهاته واذا حج عليه سبع مرات كان حقا على الله ان يرعاه في رياض الجنة ومصداق ذلك ما قال النهرواني رحمه الله بلغني ان وقاد تنور حمام اتى بسلسلة عظام جمل ليوقدها قال فألقيتها في المستوقد فخرجت منه فألقيتها فعادت فخرجت فعدت فالقيتها الثالثة فعادت فخرجت بشدة حتى وقعت في صدري واذا بصوت هاتف يقول ويحك هذه عظام جمل قد سعى الى مكة عشر مرات كيف تحرقها بالنار واذا كانت هذه الرأفة والرحمة بمطية الحاج فكيف به ثم ان الفضل على ثلاثة اقسام بالنسبة الى احوال العبد فان التنوع راجع الى تغيير احوال العباد لا الى تغيير صفة من صفات الحق تعالى فالاول منها ما يتعلق بالمعاش الانساني من المال والجاه ونوع يتعلق بالغذاء واللباس الضروري وهذا الفضل مفسر بالرزق قال الله تعالى وابتغوا من فضل الله والثاني منها ما يتعلق بالمصالح الاخروية للعبد وهو نوعان ما يتعلق باعمال البدن على وفق الشرع ومتابعة الشارع ومجانبة طريق الشيطان المنازع قال تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا وما يتعلق باعمال القلب وتزكية النفس قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من احد ابدا والقسم الثالث منها ما يتعلق بالله تعالى وهو نوعان ما يتعلق بمواهب القربة قال تعالى وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي قربا كبيرا فانه اكبر من الدنيا والآخرة وما يتعلق بمواهب الوصلة قال تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يعني فضل مواهب الوصلة اعظم من الكل ولكل قسم من هذه الاقسام الثلاثة مقام في الابتغاء اما الذي يتعلق بالمصالح الاخروية وهو فضل الرحمة فمقام ابتغائه بترك الموجود وبذل المجهود وهو في السير الى عرفات واما الذي يتعلق بالله وهو فضل المواهب فمقام ابتغائه عند الوقوف بعرفات وعرفات اشارة الى المعرفة وهي معظم اركان الوصلة واما الذي يتعلق بالمصالح الدنيوية وهو فضل الرزق فمقام ابتغائه بعد استكمال الوقوف بعرفات المعرفة عند الافاضة ففي الآية تقديم وتأخير اي اذا افضتم من عرفات فليس عليكم الخ وذلك لان حال اهل السلوك في البداية ترك الدنيا والتجريد عنها وفي الوسط التوكل والتفريد وفي النهاية المعرفة والتوحيد فلا يسلم الشروع في المصالح الدنيوية الا لاهل النهاية لقوتهم في المعرفة وعلو همتهم بأن يطهر الله قلوبهم من رجز حب الدنيا الدنية ويملأها نورا بالالطاف الخفية فلا اعتبار للدنيا وشهواتها ونعيم الآخرة ودرجاتها عند الهمم العالية فلا يتصرفون في شيء منها وتصرفهم بالله وفي الله ولله لا لحظوظ النفس بل لمصالح الدين واصابة الخير الى الغير كذا في التأويلات النجمية (قال في المثنوى)

كار پاكانرا قياس از خود مگير * گرچه ماند در نبشتن شير وشير * اللهم اجعل هممنا مقصورة على جنابك آمين (فاذا قضيتم مناسككم) اى اتممتم عباداتكم التي امرتم بها في الحج وفرغتم منها (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) يعني فاتركوا عادة الجاهلية واتبعوا سنن الاسلام واشتغلوا بذكر رب الانام وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل ويذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم يريد كل واحد منهم بذلك حصول الشهرة والترفع له بما آثر سلفه فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يجعلوا بدل ذكرهم آباءهم ذكر الله تعالى وتمجيده والثناء عليه اذ الخير كله من عنده وآباؤهم عبيده ونالوا ما نالوا بافضاله (قال السعدى)

كرازحق نه توفيق خيرى رسد * كى ازبنده خيرى بغيرى رسد (او اشد ذكرا) مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز اى اذكروه ذكرا كان مثل ذكركم المتعلق بابائكم او كذكر هو اشد منه وابلغ ذكرا او تحقيقه

ان افعل

ان افعل انما يضاف الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه اى احسن الوجوه فاذا انصب ما بعده كان غير الذى قبله كقولك زيد أفره عبدا فالفراهة للعبد لا لزيد والمذكور قبل اشد هنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال اشد ذكرا انما قياسه ان يقال للذكر اشد ذكر جرا اضافة فوجه النصب انه يجعل الذكر ذاكرا مجازا او يجوز نسبة الذكر الى الذكر بان يسمع انسان الذكر فيذكر فكأن الذكر قد ذكر لحدوثه بسببه (فمن الناس) اى من الذين يشهدون الحج (من يقول) فى ذكره مقتصرا على طلب الدنيا (ربنا آتنا فى الدنيا) اى ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا خاصة من الجاه والغنى والنصرة على الاعداء وما هو من الحظوظ العاجلة وهم المشركون لانهم لا يسألون فى حجهم الا الدنيا (وماله فى الآخرة من خلاق) اى نصيب وحظ لان همه مقصور على الدنيا حيث سال فى اعز المواقف احقر المطالب واعرض عن سؤال النعيم الدائم والملك العظيم (ومنهم) اى من الذين يشهدون الحج (من يقول) فى ذكره طالبا خير الدارين (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) هى الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفى التيسير الحسنة جامعة لكل الخيرات فى الدارين (وفى الآخرة حسنة) هى الثواب والرحمة قال الشيخ ابو القاسم الحكيم حسنة الدنيا عيش على سعادة وموت على شهادة وحسنة الآخرة بعث من القبر على بشارة وجواز على الصراط على سلامة (وقنا) اى احفظنا (عذاب النار) بالعفو والمغفرة وعن على كرم الله وجهه ان الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء (قال السعدى) جو مستور باشد زن خوب روى * بديدار او در بهشتست شوى * وتخصيصه اكثروا ذكر الله وسلوه سعادة تكم فى داريه وترك ذكر من قصر دعاءه على طلب الآخرة فقط لان طالب الآخرة فقط بحيث لا يحتاج الى طلب حسنة من الدنيا لا يوجد فى الدنيا (اولئك) اشارة الى الفريق الثانى وهم الداعون بالحسنتين لانه تعالى ذكر حكم الفريق الاول بقوله وماله فى الآخرة من خلاق (لهم نصيب مما كسبوا) من للتبعيض اى لهم نصيب عظيم كائن من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة اومن اجل ما كسبوا لانهم استحقوا ذلك الثواب الحسن بسبب اعمالهم الحسنة ومن اجلها فتكون من ابتدائية لان العلة مبدأ الحكم ثم اومأ الى قدرته محذرا من الموت وحاثا على اعمال الخير بقوله (والله سريع الحساب) والحساب يراد به نفس الجزاء على الاعمال فان الحساب سبب للاخذ والعطاء واطلاق اسم السبب على المسبب جائز شائع اى يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة لعدم احتياجه الى عقد يد اووعى صدر اونظر وفكر فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شأن قدرته او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس وفى خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا صبابة كصبابة الاناء فليبادر المؤمن الى الطاعات واكتساب الحسنات والذكر فى كل الحالات قال الحسن البصرى اذكرونى بما يذكر الصغير أباه فانه اول ما يتكلم يقول يا اب يا اب فعلى كل مسلم ان يقول يارب يارب وعن النبى عليه السلام اغبط اوليائى عندى مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه واطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقر بيده فقال هكذا عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار والاشارة فاذا قضيتم مناسككم وصلتكم و بلغتم مبلغ الرجال البالغين من اهل الكمال فلا تأمنوا مكر الله ولا تهملوا وظائف ذكر الله فاذكروا الله كما تذكرون فى حال طفوليتكم آباءكم للحاجة والافتقار بالعجز والانكسار وفى حال رجوليتكم للعجة والافتخار بالمحبة والاستظهار فاذكروا الله افتقارا وافتخارا او اشد ذكرا واكد فى الافتخار لانه يمكن للطفل الاستغناء عن الله بولى وكذلك البالغ يحتمل ان يفتخر بغير الله ولكن العباد ليس لهم من دون الله من ولى ولا واق فمن الناس من اهل الطلب والسلوك من يقول بتسويل النفس وغرورها بحسبان الوصول والكمال عند النسيان وتغير الاحوال ربنا آتنا فى الدنيا حسنة يعنى تميل نفسه الى الدنيا وتنسى المقصد الاصلى ويظن الطالب الممكور انه قد استغنى عن الاجتهاد فأهمل وظائف الذكر ورياضة النفس ومخاطرة القلب ومراقبة السر فاستولت عليه النفس وغلب عليه الهوى واستهوته الشياطين فى الارض حيران حتى اوقعته فى اودية الهجران والفراق وماله فى الآخرة من خلاق ومنهم اى من اهل الوصول وارباب الفتوة من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة نعمة من النعم الظاهرة كالعافية والصحة والسعة والفراغة والطاعة واستطاعة البدن

والوجاهة والارشاد والاخلاق وفى الآخرة حسنة نعمة من النعم الباطنة هى الكشوف والمشاهدات وأنواع القربات والمواصلات وقنا عذاب النار اى نار القطيعة وحرقة الفراق اولئك لهم نصيب اى لهؤلاء البالغين الواصلين نصيب وافر مما كسبوا من المقامات والكرامات ومما سألوا من ايتاء الحسنات والله سريع الحساب لكلا الفريقين فيما سألوه اى يعطيهم بحسب نياتهم على قدر هممهم وطوياتهم كذا فى التأويلات النجمية (واذكروا الله) اى كبروه أعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها (فى ايام معدودات) فى ايام التشريق هى ثلاثة ايام بعد يوم النحر أولها يوم القر وهو الحادى عشر من ذى الحجة يستقر الناس فيه بمنى والثانى يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون فى هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثانى وهذه الايام الثلاثة مع يوم النحر ايام رمى الجمار وايام التكبير ادبار الصلوات وفى الحديث كبر دبر كل صلاة من يوم عرفة الى آخر ايام التشريق وسميت معدودات لقلتهن كقوله تعالى دراهم معدودة اى قليلة والايام المعلومات فى قوله تعالى ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات فى سورة الحج عشر ذى الحجة آخرهن يوم النحر وفى الكواشى معدودات جمع معدودة وايام جمع يوم ولا ينعت المذكر بمؤنث فلا يقال يوم معدودة وقياسه فى ايام معدودة لان الجمع قد ينعت بالمؤنث كقوله تعالى لن تمسنا النار الا اياما معدودة قالوا اووجهه انه أجرى معدودات على لفظ ايام وقابل الجمع بالجمع مجازا انتهى (فمن تعجل) اى استعجل وطلب الخروج من منى (فى يومين) فى تمام يومين بعد يوم النحر واكتفى برمى الجمار فى يومين من هذه الايام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمى فى اليوم الثالث (فلا اثم عليه) بهذا التعجيل وهو مرخص له فعند ابى حنيفة رحمه الله ينفر قبل طلوع الفجر من اليوم الثالث ومحصله ان على الحاج ان يبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ايام التشريق ويرمى كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة عند كل جمرة سبع حصيات ورخص فى ترك البيتوتة لرعاء الابل واهل سقاية الحاج ثم كل من رمى اليوم الثانى من ايام التشريق واراد ان ينفر بعد البيتوتة فى الليلة الاولى والثانية من ايام التشريق ورمى يوميهما فذلك له واسع لقوله تعالى فمن تعجل فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت حتى يرمى اليوم الثالث ثم ينفر (ومن تأخر) عن الخروج حتى رمى فى اليوم الثالث قبل الزوال اوبعده ثم يخرج اذا فرغ من رمى الجمار كما يفعل الناس الآن وهو مذهب الشافعى والامامين (فلا اثم عليه) بترك الترخص والمعنى انهم مخيرون بين التعجيل والتأخير فان قلت أليس التأخير بأفضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وانما اورد بنفى الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا افريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفى الاثم عنهما جميعا (لمن اتقى) خبر مبتدأ محذوف اى الذى ذكر من التخيير ونفى الاثم عن المتعجل والمتأخر لمن اتقى اى مختص بمن اتقى المناهى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به لانه تعالى قال انما يتقبل الله من المتقين ومن كان ملوثا بالمعاصى قبل حجه وحين اشتغاله به لا ينفعه حجه وان كان قد أدى الفرائض ظاهرا (واتقوا الله) اى حال الاشتغال باعمال الحج وبعده ليعتد باعمالكم فان المعاصى تأكل الحسنات عند الموازنة (واعلموا انكم اليه تحشرون) اى تبعثون وتجمعون للجزاء على اعمالكم وهو تأكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعى الى ملازمة التقوى وكانوا اذا رجعوا من حجهم يجترئون على الله بالمعاصى فشدد فى تحذيرهم قال ابو العالية يجيئ الحاج يوم القيامة ولا اثم عليه اذا اتقى فيما بقى من عمره فلم يرتكب ذنبا بعد ما غفر له فى الحج والمذنب المصر اذا حج فلا يقبل منه لعوده الى ما كان عليه فعلامة الحج المبرور أن يرجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة فاذا رجع من الحج المبرور رجع وذنبه مغفور ودعاؤه مستجاب فلذلك يستحب تلقيه بالسلام وطلب الاستغفار منه والحج المبرور مثل حج ابراهيم بن ادهم مع رفيقه الصالح الذى صحبه من بلخ فرجع من حجه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة وخرج عن ملكه وماله واهله وعشيرته وبلاده واختار بلاد الغربة وقنع بالاكل من عمل يده امامن الحصاد اومن نظارة البساتين قال بعضهم الحر الكريم لا ينقض العهد القديم واذا دعتك نفسك الى نقض عهد مولاك فقل لها معاذ الله ان ربى احسن مثواى (وفى المثنوى) نقض ميثاق وشكست توبها * موجب لعنت شود درانتها * جون ترازوى تو كژ بود ودغا * راست جون جوبى ترازى جزا * وعن بعضهم قدمت من الحج مع قوم فدعتنى نفسى

الى امر سوء فسمعت هاتفا ناحية البيت يقول ويلك ألم تحج ويلك ألم تحج فعصمنى الله الى الساعة ولاشك ان بعض الاعمال يكون حجابا للمرء اذا استند اليه واعتمد عليه (حكى) ان بعض الاتراك كان يلازم مجلس شيخ الاسلام احمد النامقى الجامى قدس سره ويرى فوق قفاه نورا كالترس فاتفق له ان يحج فلما رجع زالت عنه تلك الحال فسأل الشيخ عن سببه فقال انك كنت قبل الحج صاحب تضرع ومسكنة والآن غرك حجك واعطيت نفسك قدرا ومنزلة فلذا نزلت عن رتبتك ولم تر النور ومما يجب على الحاج اتقاؤه المحارم وان لا يجعل نفقته من كسب حرام فان الله لا يقبل الا الطيب (وحكى) عن بعض من حج انه توفى فى الطريق فى رجوعه فدفنه اصحابه ونسوا الفأس فى قبره فنبشوه ليأخذوا الفأس فاذا عنقه ويداه قد جمعتا فى حلقة الفأس فردوا عليه التراب ثم رجعوا الى اهله فسألوهم عن حاله فقالوا صحب رجلا فاخذ ماله فكان يحج منه وفى الحديث من حج بيت الله من كسب الحلال لم يخط خطوة الا كتب الله له بها سبعين حسنة وحط عنه سبعين خطيئة ورفع له سبعين درجة ذكره فى الخالصة واذا أراد أن يحج بمال حلال ليس فيه شبهة فانه يستدين للحج ويقضى دينه من ماله وعن ابى القاسم الحكيم انه كان يأخذ جائزة السلطان فكان يستقرض لجميع حوائجه وما يأخذه من السلطان كان يقضى به ديونه وعن ابى يوسف قال هذا جواب ابيح فى مثل هذا كذا فى خزانة الفتاوى (ومن الناس من يعجبك قوله) اى تستحسن ظاهر قوله وتعده حسنا مقبولا فان الاعجاب استحسان الشئ والميل اليه والتعظيم له قال الراغب التعجب حيرة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشئ وحقيقة اعجبنى كذا ظهر لى ظهورا لم اعرف سببه (فى الحياة الدنيا) متعلق بالقول اى يسرك ما يقوله فى معنى الدنيا وحقها لان دعواه محبتك انما هو لطلب حظ من الدنيا فكلامه اذا فى الدنيا لا فى الآخرة او يعجبك قوله فى الدنيا بحلاوته وفصاحته لا فى الآخرة لما انه يظهر هنالك كذبه وقبحه (ويشهد الله على ما فى قلبه) اى يقول الله شاهد أن ما فى قلبى من المحبة والاسلام موافق لما فى لسانى (وهو الد الخصام) اى اشد فى العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر كالقتال والجدال واضافة الالد اليه بمعنى فى واللدد شدة الخصومة نزلت فى الاخنس بن شريف الثقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعى الاسلام ودعوى المحبة والخلوص بدون المواطأة من فعل الملاحدة والزنادقة والمحب لا يفعل الا ما يحب محبوبه (قال الشاعر)

تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن أحب مطيع

(قال الحافظ) بصدق كوش كه خورشيد زايد ازنفست * كه ازدروغ سيه روى كشت صبح نخست *

(واذا تولى) اى أدبر وانصرف عن مجلسك او اذا غلب وصار واليا (سعى فى الارض) السعى سير سريع بالاقدام وقد يستعار للجد فى العمل والكسب وانما جئ بقوله فى الارض مع ان السعى على كلا المعنيين لا يكون الا فى الارض للدلالة على كثرة فساده فان لفظ الارض عام يتناول جميع اجزائها وعموم الظرف يستلزم عموم المظروف فكأنه قيل اى مكان حل فيه من الارض افسد فيه فيلزم كثرة فساده (ليفسد فيها) علة للسعى (ويهلك) الاهلاك الاضاعة (الحرث) اى الزرع (والنسل) ما خرج من كل انثى من اجناس الحيوان يقال نسل ينسل اذا خرج منفصلا والحرث والنسل وان كانا فى الاصل مصدرين فالمراد بهما ههنا معنى المفعول فان الولد نسل ابويه اى مخرج منفصل منهما وذلك كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم اى اتاهم ليلا واهلك مواشيهم وزرعهم لانه كان بينه وبينهم عداوة اوكما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وفى الحديث لما خلق الله تعالى اسباب المعيشة جعل البركة فى الحرث والنسل فاهلاكهما غاية الافساد وفى الحديث يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل الا زال عن مكانه فان كان مطيعا لله فى عمله مضى وان كان عاصيا انخرق به الجسر فيهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاما (والله لا يحب الفساد) اى لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه فان قيل كيف حكم الله تعالى بانه لا يحب الفساد وهو بنفسه مفسد للاشياء قيل الافساد فى الحقيقة اخراج الشئ من حالة محمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود فى فعل الله تعالى ولا هو آمر به ولا محب له وما نراه من فعله ونظنه بظاهره فسادا فهو بالاضافة الينا واعتبارنا له كذلك فاما بالنظر الالهى فكله صلاح (واذا قيل له) اى لهذا

المنافق والمفسد على نهج العظة والنصيحة (اتق الله) خف من الله فى صنعك السوء واترك ما تباشره من الفساد والنفاق (اخذته العزة بالاثم) اى حملته الانفة التى فيه وحميته الجاهلية على الاثم والذنب الذى نهى عنه او على رد قول الواعظ لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه وألزمته اياه فالباء للتعدية وصلة الفعل الذى قبلها (فحسبه جهنم) مبتدأ وخبر اى كافيه دخول النار والخلود فيها على ما عمله وهو وعيد شديد (ولبئس المهاد) اى والله لبئس الفراش جهنم قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه من اكبر الذنب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك نفسك وقيل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى ثم انه تعالى لما وصف فى الآية المتقدمة حال من يبذل دينه لطلب الدنيا ذكر فى هذه الآية من يبذل دنياه ونفسه لطلب الدين وما عند الله يوم الدين فقال (ومن الناس من يشرى نفسه) اى يبيعها ويبذلها فان المكلف لما بذل نفسه فى طاعة الله من الصوم والصلاة والحج والجهاد والزكاة وتوصل بذلك الى وجدان ثواب الله صار المكلف كأنه باع نفسه من الله تعالى بما نال من ثوابه وصار تعالى كأنه اشترى منه نفسه بمقابلة ما اعطاه من ثوابه وفضله (ابتغاء مرضاة الله) اى طلبا لرضاه (والله رؤف بالعباد) ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب ومن جملة رأفته بعباده ان ما اشتراه منهم من انفسهم واموالهم انما هو خالص ملكه وحقه ثم انه تعالى يشترى منهم ملكه الخالص المحصور بما لا يعد ولا يحصى من فضله ورحمته رحمة واحسانا وفضلا واكراما وقيل نزلت فى صهيب بن سنان الرومى خرج من مكة يريد الهجرة الى النبى عليه الصلاة والسلام بالمدينة وهو ابن مائة سنة اتبعه نفر من مشركى قريش وقتلوا نفرا كانوا معه وكان معه كنانة فيها سهامه وكان راميا مصيبا فقال يا معشر قريش لقد علمتم انى من ارماكم رجلا والله لا اضع سهمى الا فى قلب رجل وايم الله لا تصلون الىّ حتى ارمى بكل سهم فى كنانتى ثم اضرب بسيفى ما بقى فى يدى ثم افعلوا ما شئتم ولن ينفعكم كونى فيكم فانى شيخ كبير ولى مال فى دارى بمكة فارجعوا وخذوه وخلونى وما انا عليه من الاسلام ففعلوا وسار هو الى المدينة فلما دخلها لقيه ابو بكر فقال له ربح البيع يا صهيب فقال وما ذاك يا ابا بكر فأخبره بما نزل فيه ففرح بذلك صهيب * فيشرى حينئذ بمعنى يشترى لجريان الحال على صورة الشراء لانه اشترى نفسه من المشركين ببذل ماله لهم واعلم ان المؤمنين باعوا باختيارهم انفسهم فكان ثمن نفس المؤمن الجنة اما الاولياء فانهم باعوا باختيارهم انفسهم فكان ثمن نفس الاولياء مرضاة الله تعالى وبينهما فروق كثيرة فعلى السالك ان يخرج من اوطان البشرية ويغترب عن ديار الاقران حتى يكون مجاهدا حقيقيا وشهيدا معنويا قال عليه الصلاة والسلام طوبى للغرباء وقال ايضا من مات غريبا فقد مات شهيدا يشير بذلك الى الانقطاع من الخلق الى الخالق وذلك لا يكون الا بمخالفة الجمهور فى العادات والشهوات وفى الحديث يا انس ان استطعت ان تكون ابدا على وضوء فافعل فان ملك الموت اذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة وذلك لان الوضوء اشارة الى الانفصال عما سوى الله تعالى كما ان الصلاة اشارة الى الاتصال بالله تعالى وفى الحديث ايضا دم على الطهارة يوسع عليك الرزق فالطهارة الصورية سبب لتوسيع الرزق الصورى وكذا طهارة الباطن سبب لتوسيع الرزق المعنوى من المعارف والالهامات والواردات وعند ذلك يحيى القلب بالحياة الطيبة وتموت النفس عن صفاتها وليس ذلك الا اثر الجهاد الحقيقى فمن تخلص من قيد النفس ومات بالاختيار فهو حى ابدا (وفى المثنوى) اى بسا نفس شهيد معتمد * مرده دردنيا وزنده مى رود * ولا بد للعبد من العروج من الخلق الى الخالق ومن الحاجة التامة لنفسه الى الغنى التام بالحق فى تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات فاذا افتقر الى الله ووصل الى جلاله وغرق فى مشاهدة جلاله شاهد سر قوله تعالى قل الله ثم ذرهم واول الامر ترك الاموال ثم ترك الاولاد ثم ترك النفس فعند الاول يتجلى توحيد الافعال وعند الثانى يتجلى توحيد الصفات وعند الثالث يتجلى توحيد الذات وهو اعلى الدرجات فعلى العاقل اكثار ذكر الله فانه سبب لتصفية الباطن وصقالة القلب قال تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون والافلاح اعظم من ان يصل الطالب الى المطلوب اللهم اجعلنا مفلحين (يا ايها الذين آمنوا) بألسنتهم على ان الخطاب للمنافقين (ادخلوا فى السلم كافة) اى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا فالسلم بمعنى الاستسلام والطاعة وكافة حال من ضمير الفاعل فى ادخلوا وهذه حال تؤكد معنى العموم فى ضمير الجمع فان قولك قام القوم كافة بمنزلة قاموا كلهم وتاء كافة وقاطبة وعامة ليست للتأنيث

وان كان أصلها ان تدل عليه بل انما دخلت لمجرد كون الكلمة منقولة الى معنى كل وجميع اوالمعنى ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره فالخطاب لمؤمنى أهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض أحكام دينهم القديم كما روى ان عبد الله بن سلام واصحابه كانوا يتمسكون ببعض شرائع التوراة من تعظيم السبت وتحريم لحم الابل وألبانها واشياء كانوا يرون الكف عن ذلك مباحا في الاسلام وان كان واجبا في شريعتهم فثبتوا على ذلك مع اعتقادهم حلها استيحاشا من مفارقة العادة وقالوا يارسول الله ان التوراة كتاب الله فدعنا فلنقرأ منها في صلاتنا بالليل فقال عليه السلام لا تمسكوا بشئ مما نسخ ودعوا ما ألفتموه ولا تستوحشوا من النزوع عنه فانه لاوحشة مع الحق وانما هو من تزيين الشيطان (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) جمع خطوة بالضم والسكون وهو ما بين القدمين اى لا تسلكوا مسالكه ولا تطيعوه فيما دعاكم اليه من السبل الزائغة والوساوس الباطلة (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة يريد ان يفسد عليكم بهذه الوساوس اسلامكم (فان زللتم) الزلل في الاصل عثرة القدم ثم يستعمل في العدول عن الاعتقاد الحق والعمل الصائب فالمعنى أخطأتم الحق وتعديتموه علما كان اوعملا (من بعد ما جاءتكم البينات) اى الحجج والشواهد على أن ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا ان الله عزيز) غالب على أمره لا يعجزه الانتقام منكم (حكيم) لا ينتقم الابالحق وفي الآية تهديد بليغ لاهل الزلل عن الدخول في السلم فان الوالد اذا قال لولده ان عصيتني فأنت عارف بي وبشدة سطوتي لاهل المخالفة يكون قوله هذا أبلغ في الزجر من ذكر الضرب وغيره وكأنها مشتملة على الوعيد منبئة عن الوعد ايضا من حيث انه تعالى اتبعه بقوله حكيم فان اللائق بالحكمة ان يميز بين المحسن والمسئ فكما يحسن ان ينتظر من الحكيم تعذيب المسئ فكذلك ينتظر منه اكرام المحسن واثابته بل هذا أليق بالحكمة واقرب الى الرحمة (هل ينظرون) استفهام في معنى النفي ونظر بمعنى انتظر اى ينتظر من يترك الدخول في السلم و يتبع خطوات الشيطان (الا ان يأتيهم الله) اى الا اتيان الله اى عذابه على حذف المضاف لان الله تعالى منزه عن المجئ والذهاب المستلزمين للحركة والسكون لان كل ذلك محدث فيكون كل ما يصح عليه المجئ والذهاب محدثا مخلوقا له والاله القديم يستحيل ان يكون كذلك وسئل علي رضى الله عنه اين كان تعالى قبل خلق السموات والارض قال اين سؤال عن المكان وكان الله تعالى ولا مكان وهو اليوم على ما كان ومذهب المتقدمين في هذه الآية وما شاكلها ان يؤمن الانسان بظاهرها ويكل علمها الى الله لانه لا يأمن في تعيين مراد الله تعالى من الخطأ فالاولى السكوت ومذهب جمهور المتكلمين ان لابد من التأويل على سبيل التفصيل (في ظلل) كائنة (من الغمام) والظلل جمع ظلة وهي ما أظلك والغمام السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم اى يستر ولا يكون السحاب ظلة الا اذا كان مجتمعا متراكما فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة تكون في غاية الكثافة والعظم وكل قطعة ظلة (والملائكة) اى ويأتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى بل هم الآتون بأسه على الحقيقة وتلخيصه قد قامت الحجج فلم يبق الا نزول العذاب فان قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام كما فعل بقوم يونس وقوم عاد وقوم شعيب قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر اقطع وأهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الخير اى الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين في كتاب الله تعالى قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فان تفسيره على ما قالوا عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات وذلك لتجويزهم أن يكون عملهم كذلك فيجيئهم الشر من حيث يتوقعون الخير فخافوا من ذلك (روى) أن محمد بن واسع تلا هذه الآية فقال آه آه الى ان فارق الدنيا (وقضى الامر) اى اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على الحقيقة فكأنه قد كان (والى الله) لا الى غيره (ترجع الامور) اى امور الخلق واعمالهم هو القاضي بينهم يوم القيامة والمثيب والمعاقب فينبغي للمؤمن ان يكون في جانب الانقياد ويحترز عن الهوى وخطوات الشيطان وعن النبي عليه السلام انه قال ان الله تعالى اظهر الشكاية من امتي وقال اني طردت الشيطان لاجلهم فهم يعصونني ويطيعون الشيطان (قال السعدى)

بگناسر براريم ازين عار وننگ * كه با او بصلحيم وباحق بجنگ * نظر دوست نادر كند سوى تو *

چودر روى دشمن بود دروى تو * ندانى كه كمترنهد دوست پاى * چو بيند كه دشمن بود در سراى *
فمن أعظم الطاعات طرد الشيطان وأن يتهم النفس دائما كما روى ان رجلا صام اربعين سنة ثم دعا لحاجة
ومع ذلك لم تجب دعوته وذم نفسه وقال يا مأوى الشر ذلك من شرك فأوحى الى نبى ذلك الزمان قل له ان قتلك
لنفسك احب الى من صيام اربعين سنة (قال السعدى) خورنده كه خيرى برآيد زدست * به ازصائم
الدهر دنيا پرست * واعلم ان فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم معنى عاما ومعنى خاصا فالعام
خطاب عام مع جميع من آمن اى ادخلوا فى شرائط الاسلام فى الباطن كما فى الظاهر ومن شرائطه ما قال النبى
عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس واما المعنى الخاص فخطاب خاص
مع شخص الانسان وجميع اجزائه الظاهرة والباطنة فينبغى ان يدخل أركانه فى الاسلام بالفعل فالعين بالنظر
والاذن بالسمع والفم بالاكل والفرج بالشهوة واليد بالبطش والرجل بالمشى ودخول واحد منها فى الاسلام
بأن يستسلم لاوامر الحق ويجتنب نواهيه بل يترك ما لا يعنيه أصلا ويقع على ما لابد له منه ودخول جميع
اجزائه الظاهرة فى شرائع الاسلام ميسر للمنافق فاما ادخال اجزائه الباطنة فمعركة ابطال الدين ومنزلة الرجال
البالغين فدخول النفس فى الاسلام بخروجها عن كفر صفاتها الذميمة وتركها مألوفاتها واطمئنانها بالعبودية
ليستحق بها دخول مقام العباد المخصوصين به بخطابه تعالى اياها كقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية
ودخول القلب فى الاسلام بتصفيته عن رذائل اخلاق النفس وتحليته بشمائل أخلاق الروح ودخول الروح
فى الاسلام بتخلقه بأخلاق الله وتسليم الاحكام الازلية وقطع النظر والتعلق عما سوى الله بتصرف جذبات
الالوهية ودخول السر فى الاسلام بفنائه فى الله وبقائه بالله ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تكونوا على سيرته
وصفته وهى الاباء والاستكبار فانه ضد الاسلام انه لكم عدو مبين لعداوته الغريزية لكم لاختلاف جبلته
وجبلتكم وقصوره عن نور فطرتكم لكونه نارى الخلقة لا يطلب منكم الا ان تكونوا ناريين مثله لا نوريين فهو
عدو فى الحقيقة فى صورة المحب فان زللتم اى زلت اقدامكم عن صراط الاسلام الحقيقى من بعد ما جاءتكم
البينات دلائل تجليات أفعال الصفات فاعلموا ان الله عزيز فلعزته لا يهدى اليه كل ذليل دنىء الهمة قصير النظر
حكيم يهدى من يشاء الى سرادقات عزته هل ينظرون الا ان يتجلى الله فى ظلل صفات قهرية من جملة تجليات
الصفات الساترة لشمس الذات وهو ملائكة القوى السماوية وقضى فى اللوح امر اهلاككم والى الله ترجع
الامور بالفناء كذا فى التأويلات النجمية (سل) أمر للرسول عليه السلام بالسؤال اولكل أحد يصلح
ان يخاطب (بنى اسرائيل) يعنى هؤلاء الموجودين فى عصرك من رؤساء بنى اسرائيل (كم آتيناهم) اى آتينا
آباءهم واسلافهم (من آية بينة) اى معجزة ظاهرة على أيدى انبيائهم لا يخفى على المتفكر أنها من عند الله كالعصا
واليد البيضاء وانزال المن والسلوى وغيرها او المراد آيات كتبهم الشاهدة على صحة دين الاسلام قوله كم آتيناهم
محل هذه الجملة النصب او الخفض على انها مفعول ثان للسؤال فانه يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى
الثانى بحرف الجر اما عن واما الباء نحو سألته عن كذا وبكذا قال الله تعالى فاسأل به خبيرا وقد يحذف
حرف الجر فمن ثمة جاز فى محل كم النصب والخفض بحسب التقديرين وتمييز كم من آية بينة والاحسن اذا فصل
بين كم وتمييزها ان يؤتى بمن وهذا السؤال سؤال تقريع وتبكيت كما يسأل الكفرة يوم القيامة وتقرير لمجيء البينات
فكم استفهامية خبرية وليس المراد حقيقة الاستفهام (ومن يبدل) التبديل تصيير الشيء على غير ما كان
عليه اى يغير (نعمة الله) التى هى آياته الباهرة فانها سبب للهدى الذى هو أجل النعم وتبديلهم اياها أن الله
اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم فكفروا بها وتركوا الشكر عليها (من بعد ما جاءته) اى
من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع أن التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بأنهم
قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها (فان الله شديد العقاب) تعليل للجواب كأنه قيل ومن يبدل نعمة الله
عاقبه أشد عقوبة فانه شديد العقوبة لمن بدل النعمة فى الدنيا والآخرة وقد عاقبهم فى الدنيا بالقتل وذلك فى بنى
قريظة وبالاجلاء وذلك فى بنى النضير ويوم القيامة يعذبون فى السعير قال ابن التمجيد وتبديل النعمة جرم
بغير علم ومع العلم اشد جرما ولذلك كان وعيد العلماء المقصرين أشد من الجاهلين بالاحكام لان الجهل قد يعذر به
وان كان الاعتذار به غير مقبول فى باب التكاليف (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) اى حسنت فى أعينهم

واشربت

واشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله تعالى اذ ما من شئ الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما فى الدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض (ويسخرون من الذين آمنوا) اى يستهزئون بالفقراء من المؤمنين كعبد الله بن مسعود وعمار وصهيب وخبيب وبلال وغيرهم رضى الله تعالى عنهم ويسترذلونهم ويقولون تركوا لذات الدنيا وعذبوا انفسهم بالعبادات وفوتوا الراحات وكراماتها وهو عطف على زين ومن للابتداء فكأنهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم (والذين اتقوا) يعنى اطاعوا الله واختاروا الفقر من المؤمنين وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بأن اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة لهم وللاشارة الى انه لايسعد عنده الا المؤمن المتقى (فوقهم يوم القيامة) يعنى فوق المشركين لانهم فى اعلى عليين وهم فى اسفل سافلين فتكون الفوقية حقيقة اولانهم فى اوج الكرامة وهم فى حضيض الذل والمهانة فتكون الفوقية مجازا ويوم منصوب بالاستقرار الذى تعلق به فوقهم (والله يرزق من يشاء) اى فى الدارين (بغير حساب) كثير بلا هنداز لانه تعالى لايخاف نفاد ما عنده لانه غنى لانهاية لمقدوراته فالله تعالى يوسع بحسب الحكمة والمشيئة على عباده فمنهم من تكون التوسعة عليه استدراجا كهؤلاء الكفرة وقارون واضرابهم ومنهم من تكون كرامة كاغنياء المؤمنين وسليمان وامثالهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفت على باب الجنة فرأيت اكثر اهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت اكثر أهلها النساء واذا اهل الجد محبوسون الا من كان منهم من اهل النار فقد امر به الى النار (قال الحافظ) ازين رباط دودر چون ضرورتست رحيل * رواق وطاق معيشت چه سر بلند وچه پست * بهست ونيست مرنجان ضمير وخوش دل باش * كه نيستيست سرانجام هر كمال كه هست * بيال وپر مرو از ره كه تير پرتابى * هوا گرفت زمانى ولى بخاك نشست (يحكى) ان عيسى عليه السلام سافر ومعه يهودى فكان مع عيسى ثلاثة اقراص فأعطاها اليهودى وقال احفظها ثم بعد ساعة أكل اليهودى واحدا منها فقال عيسى اعط الاقراص الثلاثة فقدم قرصين فقال اين ثالثها فقال اليهودى لم تكن اكثر من هذا فمشيا حتى شاهد من عيسى عجائب فأقسم عليه عيسى لذلك حتى يقر بالقرص الثالث فلم يقر فلحقا بثلاث لبنات من الذهب فقال اليهودى اقسم ذلك فقال عيسى واحدة لى وواحدة لك وواحدة لمن اكل القرص الثالث فقال اليهودى انا اكلت القرص الثالث فقال عيسى ابعد عنى فقد شاهدت قدرة الله ولم تقر به والآن قد اقررت بالدنيا فترك اللبنات عند اليهودى ومشى وجاء ثلاثة من اللصوص وقتلوا اليهودى واخذوا اللبنات ثم بعثوا من جلتهم واحدا ليأتى لهم بطعام فلما غاب عنهما تشاورا فى قتله وقالا اذا رجع قتلناه واخذنا نصيبه فذهب واشترى سما فطرحه فى الطعام الذى اشتراه حتى يأكل ذلك الطعام صاحباه فيموتا ويأخذ اللبنات فلما قدم عليهما قاما وقتلاه ثم اكلا الطعام فماتا فمر عليهم عيسى فوجد اليهودى وهؤلاء الثلاثة مقتولين فتعجب من ذلك فنزل جبريل واخبره بالقصة فينبغى للعاقل ان لايغتر بكثرة الدنيا وان لايهتم فى جمعها بل يزرع فيها بذر العمل كى يحصد فى الآخرة لان الدنيا مزرعة الآخرة ولا ينبغى للاغنياء ان يحقروا الفقراء بالغرور بكثرة دنياهم ولا يسخروا منهم لان هذه الصفة من صفات الكفرة (قال السعدى) چو منعم كند سفله را روزگار * نهد بردل تنك درويش بار * چو بام بلندش بود خود پرست * كند بول وخاشاك بربام پست * والاشارة فى الآية ان الله اذا فتح باب الملكوت على قلب عبد من خواصه يريه آياته فى الملك والملكوت فان تغير بأحواله اوتعجب بكماله فيقبل على شئ من مرادات النفس ويبدل نعمته بموافقة النفس ورضاها فان الله شديد العقاب بان يغير عليه احواله ويسلب عنه كماله ويشهده قوله تعالى ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ومن شدة عقابه انه اذا اذنب عبد ذنبا صغيرا ولم يتب منه وأصر عليه ان يعاقبه بالابتداء بكبيرة مثل تبدل النعمة ليعاقبه بزوال النعمة فى الدنيا ودوام النقمة فى العقبى وايضا من شدة عقابه ان زين للذين كفروا الحياة ويمكر بهم حتى يغلب عليهم حب الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا من فقرائهم وكبرائهم حملهم شدة العقوبة على الوقيعة فى اوليائه واستحقار احبابه وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء من درجات أعلى عليين ودركات أسفل سافلين بغير حساب بغير نهاية الى أبد الآباد فان ما لانهاية له لامدخل له تحت الحساب وفيه معنى آخر بغير حساب يعنى ما يرزق العبد فى الدنيا من الدنيا فلحرامها عذاب ولحلالها

حساب ومارزق العبد فى الآخرة من النعيم المقيم فبغير حساب كذا فى التأويلات النجمية (كان الناس امة واحدة) اى جماعة واحدة متفقين فى الايمان واتباع الحق من وقت آدم الى مبعث نوح عليهما السلام وكان بينهما عشرة قرون كل قرن ثمانون سنة كما عند الاكثر (فبعث الله النبيين) اى فاختلفوا فبعث الخ بدلالة قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه (مبشرين) بالثواب لمن آمن وأطاع (ومنذرين) محذرين بالعقاب لمن كفر وعصى (وأنزل معهم الكتاب) اى كتاب اومع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص لامع كل واحد منهم على الاطلاق اذلم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافى خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام (بالحق) اى حال كون ذلك الكتاب ملتبسا بالحق والعدل والصدق شاهدا به (ليحكم) اى الله تعالى (بين الناس فيما اختلفوا فيه) اى فى الحق الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) اى فى الحق (الا الذين أوتوه) اى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما فى تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اى عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه (من بعد ما جاءتهم البينات) اى رسخت فى عقولهم ومن متعلق بما اختلف ولم تمنع الامن ذلك كقولك ما قام الازيد يوم الجمعة (بغيا بينهم) مفعول له لقوله وما اختلف فالاستثناء متعلق بثلاثة اشياء والتقدير وما اختلف فيه الا الذين الخ وما اختلفوا فيه الامن بعد الخ وما كان الاختلاف الا للبغى والتهالك على الدنيا وللحسد والظلم كما فعل قابيل بهابيل وما قتله لاشكال الحق عليه بل حسدا منه على أخيه وهكذا فى كل عصر وهذا فعل الرؤساء ثم العامة اتباعا لهم وفعلهم مضاف اليهم فتبين ان الاختلاف فى الحق أمر متقادم فى الاسلام (فهدى الله الذين آمنوا) بالكتاب (لما اختلفوا فيه) متعلق بهدى وما موصولة ومعناه هدى الى ما اختلفوا فيه (من الحق) بيان لما (بإذنه) اى بأمره وتيسيره ولطفه وارادته ورحمته حتى أبصروا الحق بنور التوفيق من الباطل (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) لا يضل سالكه (ام حسبتم أن تدخلوا الجنة) خاطب به النبى عليه السلام والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة فان عاقبة الامر النصر وأم منقطعة فتقدر ببل والهمزة قيل اضراب عن الاخبار المتقدم الى الانكار المدلول عليه بهمزة الاستفهام اى ما كان ينبغى ان تحسبوا ذلك وتظنوا اولم حسبتموه (ولما يأتكم) اى والحال لم يجئكم (مثل الذين خلوا) اى صفة الذين مضوا (من قبلكم) من الانبياء ومن معهم من المؤمنين ولم تبتلوا بعد بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التى هى مثل فى الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر (مستهم البأساء) بيان له على الاستئناف كأنه قيل كيف كان مثلهم وحالهم العجيبة فقيل مستهم البأساء اى الشدة من الخوف والفاقة (والضراء) اى الآلام والامراض (وزلزلوا) اى ازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) اى انتهى أمرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله وأوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بأنواره (متى) اى يأتى (نصر الله) الذى وعدناه طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء فان زمان الشدة وان قصر فهو طويل فى عين المبتلى بها فلا محالة يستبطئ النصر فأجابهم الله بقوله (ألا ان نصر الله قريب) اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر اى أنا ناصر أوليائى لا محالة ونصرى قريب منهم فان كل آت قريب ولما كان الجواب بذكر القرب دل ذلك على ان السؤال كان واقعا عن زمان النصر أقريب هو أم بعيد ولو كان السؤال عن وقوع أصل النصر بمعنى انه هل يوجد أولا لما كان الجواب مطابقا للسؤال وفى الآية اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات كذا فى تفسير القاضى (ونعم ما قيل) فلك مشام كسى خوش نكند ببوى مراد * كه خاك معركه باشد عبير وعنبر او *
وعن خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه قال لما شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نلقى من المشركين قال ان من كان قبلكم من الامم كانوا يعذبون بأنواع البلاء فلا يصرفهم ذلك عن دينهم حتى ان الرجل كان يوضع على رأسه المنشار فيشق فلقتين ويمشط الرجل بأمشاط الحديد بما دون العظم من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه وايم الله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله

والذئب

والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون قالوا كل نبي بعث الى امته اجهد حتى قال متى نصر الله ووقع ذلك للرسول
عليه السلام حين وقع له ضجر شديد قبل فتح مكة فقال فى يوم الاحزاب حيث لم يبق لاصحابه صبر حتى ضجوا وطلبوا
النصرة فارسل الله ريحا وجنودا وهزم الكفار بهما ومن شدآئده عليه السلام غزوة الخندق حين اصاب المسلمين
ما اصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وانواع الاذى كما قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر
ولو اطلعت على ما اصابهم من عداوة اليهود واسرار النفاق وأذى القوم يمينا وشمالا لا يذل المجهود حين هاجروا
الى المدينة لكفى ذلك عبرة فى هذا الباب فنحن اولى بمقاساة امثال هذه الشدآئد خصوصا فى هذا الزمان الذى
لا تجد بدا من طعن الناس واذاهم اذ البلاء على الانبياء ثم على الاولياء ثم الامثل فالامثل غبار لازمهٔ آسيا
بود صائب * امان زحادثهٔ آسمان چه ميخواهى * قال فى التأويلات النجمية عند قوله تعالى كان الناس
امة واحدة الآية الخصال الذميمة التى عليها اكثر الناس كانها عارضة لهم فانهم كانوا حين أشهدهم الله على انفسهم
امة واحدة وولدوا على الفطرة لقوله عليه السلام كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه
او يمجسانه وما قال عليه السلام او يسلمانه لمعنيين احدهما ان الكفر يحصل بالتقليد ولكن الايمان الحقيقى
لا يحصل به والثانى ان الابوين الاصليين هما الانجم والعناصر فعلى التقديرين الولد بتربية الآباء والامهات يضل
عن سبيل الحق ويزل قدمه عن الصراط المستقيم التوحيد والمعرفة ولو كان نبيا يحتاج الى هاد يهدى الى الحق
كما قال تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى ولكل من السعادة والشقاوة كتاب كما قال عليه
السلام ما من نفس الا وقد كتب فى كتابها من اهل الجنة او النار وكتب شقية اوسعيدة فقالوا أفلا نتكل على كتابنا
يارسول الله وندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل الشقاوة فييسرون لعمل اهل الشقاوة واما
اهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة فلا بد من مقاساة بأساء الترك والتجريد والفقر والافتقار حتى
يحصل دخول جنة الجمال ودار القرار فهم يضجروا من طول مدة الحجاب وكثرة الجهاد فى الفراق وعيل صبرهم
عن مشاهدة الجمال وذوق الوصال وطلبوا نصر الله بالتجلى على قمع صفات النفوس مع قوة مصابرتهم وحسن
تحملهم لما يقول المحبوب ويريد بهم حتى جاء نصر الله فرفع الحجاب وظهر أنوار الجمال (يسألونك ماذا ينفقون)
اى اى شئ يتصدقون به من اصناف اموالهم نزلت حين حث النبى عليه السلام على التصدق فى سبيل الله وسأل
عمرو بن الجموح وهو شيخ هم أى فان وله مال عظيم فقال ماذا ننفق يارسول الله من اموالنا واين نضعها (قل
ما انفقتم من خير) اى اى شئ انفقتم من اى خير كان وهو بيان للمنفق والمال يسمى خيرا لان حقه ان يصرف
الى جهة الخير فصار بذلك كأنه نفس الخير (فللوالدين) فان قلت كيف طابق الجواب السؤال وهم قد سألوا
عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير
وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها (والاقربين واليتامى) اى
المحتاجين (والمساكين وابن السبيل) ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر فى المواقع الاخر واما بناء
على دخولهم تحت عموم قوله تعالى (وما) اى اى شئ (تفعلوا من خير) فانه شامل لكل خير واقع فى اى مصرف
كان (فان الله به عليم) اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه والمراد بهذه الآية الحث على بر الوالدين
وصلة الارحام وقضاء حاجة ذى الحاجة على سبيل التطوع ولا ينافيه ايجاب الزكاة وحصر مصارفها
فى الاصناف الثمانية كما ذكر فى قوله تعالى انما الصدقات للفقرآء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم
وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل (كتب) اى فرض (عليكم القتال) اى قتال الكفرة والجمهور
على ان الجهاد فرض على الكفاية مثل صلاة الجنازة ورد السلام (وهو) اى والحال ان القتال (كره لكم) شاق
عليكم مكروه فالكره مصدر بمعنى الكراهة نعت به للمبالغة كأن القتال فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وهذه
الكراهة من حيث نفور الطبع منه لما فيه من مؤونة المال ومشقة النفس وخطر الروح لا لأنهم كرهوا امر الله
تعالى وكراهة الطبع لا توجب الذم بل تحقق معنى العبودية اذا فعل ذلك اتباعا للشرع مع نفرة الطبع فاما كراهة
الاعتقاد فهى من صفات المنافقين (وعسى ان تكرهوا شيأ) وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التى
من جملتها القتال (وهو خير لكم) لان فى الغزو احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى
كلمة تجرى مجرى لعل وهى من العباد للترجى ومن الله للترجية (وعسى ان تحبوا شيأ) وهو جميع ما نهوا عنه من

الامور المستلذة التى من جملتها القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من فوات الغنيمة والاجر وغلبة الاعدآء وتخريب الديار (والله يعلم) ماهو خير لكم دينا ودنيا فلذا يأمركم به (وانتم لاتعلمون) ذلك ولذلك تكرهونه (قال فى المثنوى) ماالتصوف قال وجدان الفرح * فى فؤادى عند اتيان الترح * جله در زنجير بيم وابتلا * ميروند اين ره بغير اوليا * يعنى ان المقلد يجرى الى الحضرة بالاضطرار بخلاف الولى قال ذوالنون المصرى رحمه الله انما دخل الفساد على الخلق من ستة اشياء الاول ضعف النية بعمل الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم والثالث غلب عليهم حلول الامل مع قرب الاجل والرابع آثروا رضى المخلوقين على رضى الخالق والخامس اتبعوا اهوآءهم ونبذوا سنة نبيهم ورآء ظهورهم والسادس جعلوا اقليل زلات السلف حجة انفسهم ودفنوا اكثير مناقبهم فعلى العاقل ان يجاهد مع النفس والطبيعة ليرتفع الهوى والشهوات والبدعة و يتمكن فى القلوب حب العمل بالكتاب والسنة قال ابراهيم الخواص رحمه الله كنت فى جبل لكام فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله لايخفى عليه شئ فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك ويقيك الاذى من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يقيك شهوة الرمان فلدغ الرمان يجد الانسان ألمه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا فتركته ومشيت (قال السعدى) مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلهٔ ديكرست * كند مرد را نفس اماره خوار * اكر هوشمندى عزيزش مدار * وفى التأويلات القاشانية كتب عليكم قتال النفس والشيطان وهو مكروه لكم مر أمر من طعم العلقم واشد من ضم الضيغم وحقيقة الجهاد رفع الوجود المجازى فانه الحجاب بين العبد والرب كما قيل وجودك ذنب لايقاس عليه ذنب آخر وكما قال ابن منصور (بينى وبينك انى قد يزاحمنى * فارفع بجودك انى من البين) وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم لاحتجابكم بهوى النفس وحب اللذة العاجلة عما فى ضمنه من الخير الكثير واللذة العظيمة الروحانية التى تستحقر تلك الشدة السريعة الانقضاء بالقياس الى ذلك الخير الباقى واللذات السرمدية وعسى ان تحبوا شيأ من اللذات الجسمانية وتمتعات النفس وهو شر للنفس بحرمانها من اللذات الروحانية والله يعلم أن فى كراهة النفوس ما اودع من راحة القلوب وانتم لاتعلمون ان حياة القلوب فى موت النفوس وفى حياة النفوس موت القلوب كما قال (اقتلونى يا ثقاتى * ان فى قتلى حياتى) (وفى المثنوى) خنجر وشمشير شد ريحان من * مرك من شد بزم ونركسدان من (يسألونك عن الشهر الحرام) روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم اخت ابيه فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهر بن على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجر بن سعد بن ابى وقاص الزهرى وعكاشة بن محصن الاسدى وعتبة بن غزوان السلمى واباحذيفة ابن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكر وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تأتينا منها بخير فلما نظر فى الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهانى ان اكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع ثم مضى ومضى معه اصحابه لم يتخلف عنه منهم احد حتى كاد يقعد فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران فاضل سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى بقية اصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة واخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا اصحاب رسول الله هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم اشرف عليهم فقال قوم عمار لابأس عليكم فأمنوا وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرونه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا ان تركتموهم الليلة ليدخلن

الحرم فليمنعن منكم فأجمعوا امرهم فى مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله وكان اول قتيل من المشركين وهو اول قتيل فى الهجرة واستأسروا الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله وكانا اول اسيرين فى الاسلام وافلت نوفل على فرس له فأعجزهم واستاق المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس لمعايشهم اى يتفرقون فى البلاد فسفك فيه الدماء واخذ الجرائب وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه السلام لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال فى الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين اى جعلها موقوفة وما قسمها بين الغانمين وابى ان يأخذ شيأ من ذلك ينتظر الاذن من الله فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط فى ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمى ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندرى اقى رجب اصبناه ام فى جمادى فأكثر الناس فى ذلك فأنزل الله هذه الآية فاخذ رسول الله العير فعزل منها الخمس وكان اول خمس فى الاسلام وقسم الباقى بين اصحاب السرية وكانت اول غنيمة فى الاسلام وبعث اهل مكة فى فداء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فأسلم واقام مع رسول الله بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع فى الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال صلى الله تعالى عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة والدية والمعنى يسألك المسلمون استعلاما او الكفار تعنتا عن الشهر الحرام اى رجب سمى به لتحريم القتال فيه (قتال فيه) بدل اشتمال من الشهر لان الشهر مشتمل على القتال (قل) يا محمد فى جوابهم (قتال فيه كبير) اثم عظيم عند الله وقتال مبتدأ خبره كبير وجاز الابتداء بالنكرة لانها وصفت بفيه والاكثر أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده اى ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى (وكفر به) اى بالله تعالى (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله وحيث كان الصد عن سبيل الله فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور فى حسن هذا العطف لانه ليس بأجنبى محض اى منع المسلمين عن دخول مكة وزيارة بيت الله (واخراج اهله) اى اهل المسجد وهو النبى عليه السلام والمؤمنون (منه) اى من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به وجعل المسلمين اهل المسجد وان كانوا خارجين عن مكة لانهم قائمون بما يجب عليهم من حقه لانهم يصيرون اهلا له فى العاقبة فسماهم باسم العاقبة ولم يسم الكفار أهل المسجد وان كانوا بمكة لان مقامهم بمكة عارض (اكبر عند الله) خبر للاشياء المعدودة اى هذه الاشياء الاربعة اكبر اثما وعقوبة من قتل المسلمين ابن الحضرمى فى الشهر الحرام لان القتال يحل بحال والكفر لا يحل بحال ولانهم كانوا متأولين فى القتال لانهم شكوا فى اليوم ولا تأويل للكفار فى الكفر (والفتنة) اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء (اكبر من القتل) اى افظع من قتل الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله ابن انيس الى مؤمنى مكة اذا عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج رسول الله من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت (ولا يزالون يقاتلونكم) بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة فى الدين اى لا يزال الكفار عن قتالكم ايها المؤمنون (حتى يردوكم عن دينكم) اى كى يصرفوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل (ان استطاعوا) اشارة الى تصلبهم فى الدين وثبات قدمهم فيه كأنه قيل وأنى لهم ذلك وهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بى فلا تبق علىّ ولا ترحمنى وهو واثق بانه لا يظفر به وهو تطييب لقلوب المؤمنين (ومن يرتدد منكم عن دينه) اظهار التضعيف لسكون الدال الثانية وبالفتح والادغام على التحريك لالتقاء الساكنين باخف الحركات والارتداد النكوص وهو تحذير من الارتداد اى من يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم (فيمت وهو كافر) بأن لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب فى الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد الى حين الموت (فاولئك) المصرون على الارتداد الى حين الموت (حبطت) بطلت وتلاشت (اعمالهم) التى كانوا عملوها فى حالة الاسلام حبوطا لا تلافى له قطعا (فى الدنيا) وهو قطع حياته وقتله عند الظفر به لارتداده وفوات موالاة المسلمين

ونصرهم والثناء الحسن وزوال النكاح وحرمانه من مواريث المسلين ونحو ذلك مما يجرى على نفس المرتد واهله وماله (والآخرة) وهو الثواب وحسن المآب لان عباداتهم لم تصح فى الدنيا فلم يجازوا عليها فى الآخرة وليس المراد من احباط العمل ابطال نفس العمل لان الاعمال اعراض كما توجد تفنى وتزول واعدام المعدوم محال بل المراد به ماذكر من ان الردة الحادثة تزيل ثواب الايمان السابق وثواب ماسبق من ثمراته وظاهر الآية يقتضى ان تكون الوفاة على الردة شرطا لثبوت الاحكام المذكورة وهى حبوط الاعمال فى الدنيا والآخرة وكون صاحبها من اصحاب النار خالدا فيها وان لا يثبت شئ من هذه الاحكام ان اسلم المرتد بعد ردته ولهذا احتج الشافعى بهذه الآية على ان الردة لاتحبط الاعمال حتى يموت صاحبها عليها وعند أبى حنيفة رحمه الله ان الردة تحبط الاعمال مطلقا اى وان رجع مسلما تمسكا بعموم قوله تعالى ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله ويتفرع عليه مسألتان الاولى ان جماعة من المتكلمين قالوا اشرط صحة الايمان والكفر حصول الوفاة عليهما فلا يكون الايمان ايمانا الا اذا مات المؤمن عليه وايضا لا يكون الكفر كفرا الا اذا مات الكافر عليه والمسألة الثانية ان المسلم اذا صلى ثم ارتد والعياذ بالله ثم اسلم فى الوقت قال الشافعى لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة يلزمه قضاء ما ادى وكذا الكلام فى الحج (واولئك اصحاب النار) ملازموها (هم فيها خالدون) كدأب سائر الكفرة فلا بد للمؤمن من العمل الصالح ومن الصون عما يبطله وسبب الارتداد عدم اليقين والافكيف يحوم حول الموحد الحقيقى شيطان وشرك وهو قد تخلص من البرازخ والقيود ووصل الى الرب المعبود والعمل الصالح هو ما اريد به وجه الله فان غيره فاسد لا ينفع لصاحبه اصلا (قال الحافظ) فردا كه بيشكاه حقيقت شود بديد * شرمنده رهروى كه عمل برمجاز كرد * واحسن الحسنات التوحيد لانه اس الكل ولذلك لا يوزن قال عليه السلام ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع فى ميزان لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات والارضون السبع ومافيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وجميع الاعمال الصالحة يزيد فى نور الايمان فعليك بالطاعة والحسنات والوصول الى المعارف الالهية فان العلم بالله افضل الاعمال ولذلك لما قيل يارسول الله اى الاعمال افضل قال العلم بالله فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وذلك انما يحصل بتصفية الباطن مع صيقل التوحيد وانواع الاذكار ولا يعقلها الا العالمون (قال فى المثنوى) ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز * قال الشيخ الحسن محمد بن السراج سمعت الجنيد قدس سره يقول رأيت ابليس فى المنام كأنه عريان فقلت الا تستحيى من الناس فقال لو كان هؤلاء من الناس لما تلاعب بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة فقلت ومن الناس فقال قوم فى المسجد الشونيزى قد أنحلوا جسمى وأحرقوا قلبى كلما هممت بهم اشاروا الى الله تعالى فأكاد أحرق بنور ذكرهم قال فانتبهت وجئت الى المسجد الشونيزى بليل فلما دخلت المسجد اذا انا بثلاث انفس جلوس ورؤسهم مغطاة برقعاتهم فلما أحسوا بى اخرج واحد رأسه فقال يا ابا القاسم انت كلما قيل بشئ صرت تقبله وتسمعه انظر الى اجتهادهم فى طاعة الله وصفاء اسرارهم عما سواه تعالى فهم من اهل الاسلام الحقيقى يقول الفقير ناظم هذه الدرر قال لى شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة فى قوله عليه السلام بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا المراد بالاسلام هو الاسلام الحقيقى وصاحبه لا يرتد أبدا وكونه غريبا ان لا يوجد له انيس (قال فى المثنوى) بود كبرى درزمان بايزيد * كفت اورا يك مسلمان سعيد * كه چه باشد كر تو اسلام آورى * تا بيابى صد نجات وسرورى * كفت اين ايمان اكر هست اى مريد * انكه دارد شيخ عالم بايزيد * مؤمن ايمان آرم درنهان * كرچه مهرم هست محكم بردهان * بازايمان خودكرايمان شماست * نى بدان ميلستم ونى مشتهاست * آنكه صد ميلش سوى ايمان بود * چون شمارا ديد زان فاتر شود * زانكه نامى بيند ومعنيش نى * چون بيابانرا مفازه كفتنى (ان الذين آمنوا) نزلت فى السرية فان الله تعالى لما فرج عنهم بالآية السابقة ما كانوا فيه من الغم الشديد بقتالهم فى الشهر الحرام طمعوا فيما عند الله من ثوابه فقالوا يارسول الله لا عقاب علينا فيما فعلنا فهل نعطى اجرا وثوابا ونطمع لن يكون سفرنا هذا سفر غزو وطاعة فأنزل الله تعالى هذه الآية لانهم كانوا مؤمنين مهاجرين وكانوا بسبب هذه المقاتلة مجاهدين والمعنى ثبتوا على ايمانهم فلم يرتدوا (والذين هاجروا) اى فارقوا امنازلهم واهلهم (وجاهدوا) المجاهدة

استفراغ مافى الوسع اى حاربوا المشركين فى سبيل الله فى طاعته لاعلاء دينه (اولئك يرجون) بما لهم من مبادى الفوز (رحمة الله) اى ثوابه ولايحبط اعمالهم كاعمال المرتدين اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بأنهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو بطريق التفضل منه تعالى لا لأن فى فوزهم اشتباها (والله غفور) مبالغ فى مغفرة ما فرط من عباده خطأ (رحيم) يجزل لهم الاجر والثواب قال قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب (روى) انه مر ابو عمر البيكندى يوما بسكة فرأى أقواما أرادوا اخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكى قيل انها امه فرحمها ابو عمر فشفع له اليهم وقال هبوه منى فى هذه المرة فان عاد الى فساده فشأنكم فوهبوه منه فمضى أبو عمر فلما كان بعد ايام اجتاز بتلك السكة فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال فى نفسه لعل الشاب عاد الى فساده فنفى من المحلة فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب فقالت انه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب أجله قال لاتخبرى الجيران بموتى فلقد آذيتهم فانهم سيشتموننى ولا يحضرون جنازتى فاذا دفنتنى فهذا خاتم لى مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فادفنيه معى فاذا فرغت من دفنى فتشفعى لى الى ربى ففعلت وصيته فلما انصرفت عن راس القبر سمعت صوته يقول انصرفى يا اماه فقد قدمت على رب كريم ونعم ما قيل بهانه ميدهد بيها نميدهد قيل ان الحجاج لما حضرته الوفاة كان يقول اللهم اغفر لى فان الناس يزعمون انك لاتفعل ومات بواسط سنة خمس وتسعين وهى مدينته التى انشأها وكان يوم موته يسمى عرس العراق ولم يعلم بموته حتى أشرفت جارية من القصر وهى تبكى وتقول الا ان مطعم الطعام ومفلق الهام قد مات ثم دفن ووقف رجل من اهل الشام على قبره فقال اللهم لاتحرمنا شفاعة الحجاج وحلف رجل من اهل العراق بالطلاق ان الحجاج فى النار فاستفتى طاووس فقال يغفر الله لمن يشاء وما أظنها الا طلقت فقال انه استفتى الحسن البصرى فقال اذهب الى زوجتك وكن معها فان لم يكن الحجاج فى النار فما يضرك انك فى الحرام فقد وقفت من هذا المذكور على ان الله تعالى غفور رحيم يغفر لعبده وان جاء بمثل زبد البحر ذنبا فاللازم للعباد الرجاء من الله تعالى قال الراغب وهذه المنازل الثلاثة التى هى الايمان والمهاجرة والجهاد هى المعنية بقوله اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله ولاسبيل الى المهاجرة الابعد الايمان ولا الى جهاد الهوى الابعد هجران الشهوات ومن وصل الى ذلك فحق له ان يرجو رحمته واعلم ان الهجرة على قسمين صورية وقد انقطع حكمها بفتح مكة كما قال عليه السلام لاهجرة بعد الفتح ومعنوية وهى السير عن موطن النفس الى الله لفتح كعبة القلب وتخليصها من اصنام الشرك والهوى فيجرى حكمها الى يوم القيامة وكذا الجهاد فى سبيل الله على قسمين أصغر وهو الجهاد مع الكفار واكبر وهو الجهاد مع النفس وانما كان هذا الجهاد اكبر لان غاية الاول اصلاح الظاهر وغاية الثانى اصلاح الباطن وهو أصعب واقوى وايضا غاية الاول الوصول الى الجنة والرحمة وغاية الثانى الوصول الى مشاهدة الحق والجمال المطلق وايضا غاية الاول الشهادة وغاية الثانى الصديقية والصديقون اعلى منزلة من الشهداء كما قال تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء فقدم ذكر الصديقين على ذكر الشهداء فاذا وصل المرء الى صلاح النفس بالجهاد الاكبر الذى هو اعز من الكبريت الاحمر يرحم العباد ولا يقصدهم الضرر (حكى) ان بعضهم جاء الى بعض المشايخ وخدمه وقال له اريد ان تعلمنى الاسم الاعظم فقال له وفيك اهلية له قال نعم قال اذهب الى باب البلد ثم أخبرنى بما جرى فيه فذهب وجلس على باب البلد فاذا بشيخ حطاب معه حطب على حمار فضربه جندى واخذ حطبه ظلما فلما رجع الرجل الى الشيخ واخبره بالقصة قال له الشيخ لو كنت تعلم الاسم الاعظم ما تصنع بالجندى قال كنت ادعو عليه بالهلاك فقال له الشيخ اعلم ان الحطاب هو الذى علمنى الاسم الاعظم واعلم ان الاسم الاعظم لايصلح الا لمن يكون على هذه الصفة من الصبر والرحمة على الخلق والشفقة عليهم (قال السعدى) مكن تا توانى دل خلق ريش * وكر ميكنى ميكنى بيخ خويش * ثم ان قلة الكلام من انفع الاشياء فى اصلاح النفس كما ان اللقمة الطيبة انفع فى اصلاح الطبيعة وصفاء القلب (قال فى المثنوى) طفل جان از شير شيطان باز كن * بعد ازانش باملك انباز كن * تا تو تاريك وملول وتيرهٔ * دانكه با ديو لعين همشيرهٔ * لقمهٔ كو نور افزود وكمال * آن بود آورده از كسب حلال * روغنى كايد چراغ ما كشد * اب خوانش چون چراغى را كشد * (يسألونك) قال ابن عباس رضى الله عنه

ما رأيت قوما كانوا خيرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوه الا عن ثلاث عشرة مسألة كلها فى القرآن ما كانوا يسألونه الا عما ينفعهم وينفع المسلمين (عن الخمر) اى عن حكم تعاطيها بقرينة الجواب لان الحل والحرمة والاثم والطاعة انما هى من عوارض افعال المكلفين ولا اثم فى ذوات الاشياء واعيانها ويدخل فى تعاطى الخمر البيع والشراء وغيرهما مما يدخل تحت التصرف على خلاف الشرع والخمر مصدر خمره اى ستره سمى به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كأنها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرهما اى تحجزهما (و) عن تعاطى (الميسر) مصدر ميمى من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب له ويدخل فيه جميع انواع القمار والشطرنج وغيرهما حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب (قل فيهما) اى فى تعاطى الخمر والميسر واستعمالهما (اثم كبير) لما ان الاول مسلبة للعقول التى هى قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال (ومنافع للناس) من كسب الطرب والمغالاة بثمن الخمر اذا جلبوها من الاطراف وفيها تقوية الضعيف وهضم الطعام والاعانة على الباءة اى الجماع وتسلية المحزون وتشجيع الجبان وتسخية البخيل وتصفية اللون وانطاق العى وتهييج الهمة ومنافع الميسر اصابة المال من غير كد ولا تعب وانتفاع الفقراء بلحم الجزور فانهم كانوا يفرقونها على المحتاجين قال الواقدى وربما قمر الواحد منهم فى مجلس مائة بعير فيصيب مالا عظيما بلا نصب ولا عناء ثم يعطيه المحتاجين فيكتسب المدح والثناء (واثمهما اكبر من نفعهما) وفى الخمر ايقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهى تسفه الحليم وتصير شاربها بحيث يلعب ببوله وعذرته وقيئه كما ذكر ابن ابى الدنيا انه مر على سكران وهو يبول فى يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضى ويقول الحمد لله الذى جعل الاسلام نورا والماء طهورا وفى الميسر انه اذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك فعادى صاحبه وقصده بالسوء قال المفسرون نزلت فى الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها وهى لهم حلال يومئذ ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت يسألونك عن الخمر والميسر الآية فشربها قوم وقالوا انأخذ منفعتها ونترك اثمها وتركها آخرون وقالوا لا حاجة لنا فيما فيه اثم كبير ثم ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه دعا ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم احدهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون الى آخر السورة بدون لا فى لا اعبد فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الآية فقل من يشربها وقالوا لا خير فى شئ يحول بيننا وبين الصلاة وشربها قوم فى غير حين الصلاة حتى كان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب بعد الصبح فيصحوا اذا جاء وقت الظهر ثم اتخذ عتبان بن مالك ضيافة ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى سكروا منها ثم انهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الانصار وفخر لقومه فأخذ رجل لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله وشكا اليه الانصارى فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر فى المائدة الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وحرمت الخمر فى السنة الثالثة من الهجرة بعد غزوة الاحزاب بايام قال القفال والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب انه تعالى علم ان القوم كانوا ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم به كثيرا وعلم انه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فلا جرم استعمل فى التحريم هذا التدريج وهذا الرفق ثم لما نزل التحريم اريقت الخمر قال ابن عمر رضى الله عنه خرجنا بالحباب الى الطريق فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء والطين ولقد غودرت ازقة المدينة بعد ذلك حينا كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها وحرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب منها وما حرم الله عليهم شيأ اشد من الخمر (روى) ان جبريل عليه السلام قال للنبى عليه السلام ان الله تعالى شكر لجعفر الطيار رضى الله عنه اربع خصال كان عليها فى الجاهلية وهو عليها فى الاسلام فسأل النبى عليه الصلاة والسلام جعفرا عن ذلك فقال يا رسول الله لولا ان الله اطلعك عليها لما اخبرتك بها ما شربت الخمر قط لانى رأيتها تزيل العقل وانا الى أن ازيد فيه احوج منى الى ان ازيله * وما عبدت صنما قط لانى رأيته لا يضر ولا ينفع * وما زنيت قط لغيرتى على اهلى * وما كذبت قط لانى رأيته دناءة * قال عمرو

ابن الادهم من اكابر سادات بنى تميم ذاتما الخمر لو كان العقل يشترى ما كان شئ انفس منه فالعجب لمن يشترى الحمق بماله فيدخله فى رأسه فيقئ فى جيبه ويسلح فى ذيله وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة فى بئر فبنيت فى مكانها منارة لم أوذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف فنبت فيه الكلاء لم ارعه وعن ابن عمر رضى الله عنه لو ادخلت اصبعى فيها لم تتبعنى وهذا هو الايمان والتقى حقا فينبغى للمسلم ان لا يخطر بباله شرب الخمر فضلا عن شربها ويقطع عن شاربها فانه اذا خالط شارب الخمر يخاف عليه ان يصيبه من عشاره (قال الحسين الواعظ الكاشفى) ترا رحمان همى كويدكه اى مؤمن مخور باده * ترا ترساهمى كويدكه درصفرا مخور حلوا * نمى مانى زنادانى كى براى كفتهٔ رحمان * بمانى شهد وشكررا براى كفتهٔ ترسا * وعن بعض الصحابة انه قال من زوج ابنته لشارب الخمر فكأنما ساقها الى الزنى معناه ان شارب الخمر يقع منه الطلاق وهو لا يشعر فالذى يجب على الولى ان لا يزوج ابنته ولا اخته من فاسق ولا ممن يتعاطى المنكرات واعلم ان خل الخمر حلال ولو بعلاج كالقاء الملح الحار أو الملح او الخبز ولا يكره تخليلها وفى الحديث خير خلكم خل خمركم هذا هو البيان فى الخمر واما الميسر فهو القمار والياسر القامر وكان اصل الميسر فى الجزور وذلك ان اهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا ويضمنون ثمنه ولا يؤدونه ليظهر بالقمار أنه على من يجب فينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام سبعة منها لها انصباء الفذ وله نصيب واحد والتوأم وله نصيبان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله اربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة منها لا انصباء لها وهى المنيح والسفيح والوغد ثم يجعلون القداح فى خريطة تسمى الربابة ويضعونها على يدى عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض ثم يجيلها ويخلطها اى يحركها باليد ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين له ومن خرج له قدح مما لا نصيب له وهو الثلاثة لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وهو اللئيم العديم المروءة والمكرم فهذا اصل القمار الذى كانت العرب تفعله فنهى المسلمون عنه واختلف فى الميسر هل هو اسم لذلك القمار المعين او هو اسم لجميع انواع القمار فقال بعض العلماء المراد من الآية جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وروى أن رجلا خاطر رجلا على ان يأكل كذا كذا بيضة على كذا كذا من المال فقال على رضى الله عنه هذا قمار وعن ابن سيرين كل شئ فيه خطر فهو من الميسر وعن النبى عليه السلام اياكم وهاتين الكعبتين المشئومتين فانهما من مياسر العجم يريد أن النرد والشطرنج ميسر يشير به الى انهما حرام واما السبق فى الخف والحافر والنشاب فخص بدليل (قال السعدى) كهل كشتى وهمچنان طفلى * شيخ بودى وهمچنان شابى * تو ببازى نشسته درجب وراست * ميرسد تير جرخ برتابى * جاى كريه است برمصيبت بير * كه تو كودك هنوز لعابى * والاشارة فى الآية ان خمر الظاهر كما يتخذ من اجناس مختلفة من العنب والقرو والزبيب والحبوب كالحنطة والشعير والذرة فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذه خمور تسكر منها النفوس والعقول الانسانية وفيها اثم كبير ولهذا كل مسكر حرام وما يسكر كثيره فقليله حرام ومنها ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات فى اقداح المشاهدات من ساقى تجلى الصفات فاذا دارت على النفوس وانخمدت شهواتها وسكرت القلوب بالمواجيد عن المواحيد والارواح بالشهود عن الوجود والاسرار بلحظ الجلال عن ملاحظة الكمال فهذا شراب نافع للناس حلال فالعجب كل العجب ان قوما اسكرهم وجود الشراب وقوما اسكرهم شهود الساقى كقولهم

فاسكر القوم دور كاس * وكان سكرى من المدير

(وفى المثنوى) ما اكر قلاش اكر ديوانه ايم * مست آن ساقى وآن پيمانه ايم * مست مى هشيار نبود در نشور * مست حق نايد بخود تا نفخ صور * جرعهٔ چون ريخت ساقى الست * برسر اين خاك شد هر ذره مست * جوش كردان خاك ما ازان جوش شيم * جرعهٔ ديكركه بس بى كوششيم * واثم الاعراض عن كؤس الوصال فى النهاية اكبر من نفع الطلب القسنة فى البداية وكما ان سكران الخمر ممنوع من الصلاة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلات واما اثم الميسر فهو ان آثار القمار هى شعار اكثر الدبار فى سلوك طريق الحيل

والخداع بالفعال والكذب والفحش فى المقال وانه كبير عند الاخيار بعيد عن خصال الابرار واما نفعه فعدم الالتفات الى الكونين وبذل نقوش العالمين فى فردانية نقش الكعبتين واثمهما اكبر من نفعهما لان اثمهما للعوام ونفعهما للخواص والعوام اكثر من الخواص وقليل ما هم كذا فى التأويلات النجمية قدست نفسه الزكية (ويسألونك ماذا ينفقون) هو كما يصلح سؤالا عن جنس المنفق يصلح سؤالا عن كميته وقدره فانه لما نزل قوله تعالى قل ما انفقتم من خير فللوالدين قال عمرو بن الجموح ما انفق فنزل قوله (قل العفو) اى انفقوا العفو وهو نقيض الجهد وهو المشقة ونقيضه اليسر والسهولة فكأنه قيل قل انفق ما سهل وتيسر ولم يشق عليك انفاقه فالعفو من المال ما يسهل انفاقه والجهد من المال ما يعسر انفاقه والقدر المنفق انما يكون انفاقه سهلا اذا كان فاضلا عن حاجة نفسه وعياله ومن عليه مؤونته (كذلك) اى مثل ما بين ان العفو أصلح من الجهد والكاف فى محل النصب صفة لمصدر محذوف اى تبيينا مثل هذا التبيين وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او القوم مما هو مفرد اللفظ ومجموع المعنى (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الاحكام الشرعية لا بيانا ادنى منه وتبيين الآيات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لانه تبيينها بعد ان كانت مشتبهة وملتبسة (لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة) اى لكى تتفكروا فى امور الدارين فتأخذوا بما هو اصلح لكم واسهل فى الدنيا وانفع فى العقبى وتجتنبوا عما يضركم فى العقبى قال البغوى يبين الله لكم الآيات فى امر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون فى زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا وفى اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها وهذه الآية ترغب فى التصدق لكن بشرط ان يكون ذلك من فضل المال وعفوه وعن النبى عليه السلام ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغازى فقال يا رسول الله خذها منى صدقة فوالله لقد اصبحت ما املك غيرها فأعرض عنه رسول الله فأتاه من الجانب الايمن فقال مثله فأعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فأعرض عنه فقال هاتها مغضبا فأخذها منه فحذفها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيئ احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى خذها فلا حاجة لنا فيها وفى لفظ العفو اشارة الى ان ما يعطيه المرء ينبغى ان يعفو اثره عن قلبه عند الانفاق يعنى بطيب القلب لان اصل العفو المحو والطمس ثم الاخراج عن فاضل الاموال على قدر الكفاية طريقة الخواص فاما خاص الخاص فطريقهم الايثار وهو ان يؤثر غيره على نفسه وبه فاقة الى ما يخرج وان كان صاحبه الذى يؤثر به غنيا قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال امرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان نتصدق ووافق ذلك مالا عندى فقلت اليوم اسبق ابا بكر رضى الله عنه فجئت بنصف مالى فتصدقت به فقال لى رسول الله ما ابقيت لاهلك يا عمر قلت نصف مالى يا رسول الله ثم قال لابى بكر ما ابقيت لاهلك قال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسابقك بشئ بعدها روى ان النبى عليه السلام قال عند ذلك ما بينكما ما بين كلاميكما ومنه يعرف فضل ابى بكر على عمر لكن الفاضلية من وجه لا تنافى المفضولية من وجه آخر فان الكامل ليس يلزمه ان يكون كاملا فى جميع الامور وانما التقدم والتأخر بالنظر الى العلم بالله قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره كان ابو بكر غالب المعرفة وعمر غالب الشريعة وعثمان غالب الطريقة وعلى غالب الحقيقة وان كانوا كاملين فى المراتب الاربع انتهى كلامه (قال الحسين الواعظ الكاشفى) مايهٔ توفيق كرم كردن است * كنج يقين ترك درم كردن است * زاده ره مرك زنان دادن است * زندكى عشق زجان دادن است * فسخاوة العوام اعطاء المال وسخاوة الخواص بذل الروح وهو قليل * هست جوانمرد درم صد هزار * كار جو با جان فتد آنست كار * وحث النبى عليه السلام اصحابه على الصدقة فجعل الناس يتصدقون وكان ابو امامة الباهلى جالسا بين يديه عليه السلام وهو يحرك شفتيه فقال له النبى عليه السلام ماذا تقول حيث تحرك شفتيك قال انى ارى الناس يتصدقون وليس معى شئ اتصدق به فأقول فى نفسى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هؤلاء الكلمات خير لك من مد ذهبا تتصدق به على المساكين * تازنده ايم ذكر لدش در زبان ماست * يادش انيس ومونس جان وروان ماست * يروى ان اول من قال سبحان الله جبريل عليه السلام وذلك انه لما خلقه الله وقع نظره على العرش وعظمته فقال سبحان الله فمن قالها نال ثواب جبريل واول من قال الحمد لله آدم الصفى عليه الصلاة والسلام حين نفخ فيه الروح فمن قالها نال نصيبا من فضل آدم

واوّل من قال لا اله الا الله نوح النبي عليه السلام حين مشاهدة الطوفان وشدة البلاء فمن قالها اخذ حظا وافرا من ثواب نوح واوّل من قال الله اكبر ابراهيم الخليل عليه السلام حين شاهد فداء اسماعيل وهو الكبش فمن قالها نال فيضا من فيض ابراهيم اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين آمين يارب العالمين (ويسألونك عن اليتامى) اى عن مخالطتهم لان السؤال عن الشئ ينصرف الى ماهو معظم المقصود منه وهو ههنا المخالطة والكفالة وذلك بعد نزول قوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما فتركوا مخالطتهم ومؤاكلتهم حتى لو كان عند رجل يتيم يجعل له بيتا على حدة وطعاما على حدة وعزلوا اموال اليتامى عن اموالهم وكان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شئ فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد فاشتد ذلك عليهم فقال عبد الله بن رواحة يارسول الله مالكلنا منازل يسكنها اليتامى ولا كلنا نجد طعاما وشرابا نفردهما لليتيم فنزلت هذه الآية (قل اصلاح لهم) اى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولأموالهم (خير) من مجانبتهم وترك الخلطة والنظر عليهم واصلاح مصدر حذف فاعله تقديره واصلاحكم لهم خير للجانبين اى جانبي المصلح والمصلح له اما الاوّل فلما فيه من الثواب واما الثانى فلما فيه من توفر اموال اليتامى والتزايد (وان تخالطوهم) وتعاشروهم على وجه ينفعهم (فاخوانكم) اى فهم اخوانكم فى الدين الذى هو أقوى من العلاقة النسبية ومن حق الاخ ان يخالط الاخ بالاصلاح والنفع قال ابن عباس رضى الله عنه المخالطة ان تأكل من تمره ولبنه وقصعته وهو يأكل من تمرك ولبنك وقصعتك وهذا اذا اصاب من مال اليتيم بقدر عمله له اودونه فلا يزيد على اجر مثله وقد قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وقد تكون المخالطة بخلط المال وتناول الكل منه وهو منهى شرعا قال ابو عبيد هذه الآية عندى اصل لما يفعله الرفقاء فى الاسفار فانهم يتخارجون النفقات بينهم بالسوية وقد يتفاوتون فى قلة المطعم وكثرته وليس كل من قل مطعمه تطيب نفسه بالتفضل على رفيقه فلما كان هذا فى اموال اليتامى واسعا كان فى غيرهم اوسع ولولا ذلك لخفت ان يضيق فيه الامر على الناس وقد حلت المخالطة على المصاهرة وهو أن يكون ابنا فيزوجه ابنته او تكون بنتا فيزوجها ابنه فتتأكد الالفة ويخلطه بنفسه وبعشيرته ايناسا لوحشته وازالة لوحدته وهو مروى عن الحسن (والله يعلم) بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد (المفسد) لمال اليتيم (من المصلح) لماله اى لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح وفى تقديم المفسد مزيد تهديد ومن لتضمين العلم معنى التميز اى يعلم من يفسد فى امورهم عند المخالطة مميزاله عمن يصلح فيها (ولوشاء الله) اعناتكم وهو الحمل على مكروه لا يطيقه (لأعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة فلم يطلق لكم مداخلتهم يقال عنت فلان اذا وقع فى امر يخاف منه التلف (ان الله عزيز) غالب يقدر على الاعنات (حكيم) يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة وهو دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها واعلم ان مخالطة الايتام من اخلاق الكرام وفى الترحم عليهم فوائد جمة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من وضع يده على رأس يتيم ترحما عليه كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة وفى الحديث ثلاثة فى ظل عرش الله يوم القيامة امرأة مات عنها زوجها وترك عليها يتامى صغارا فخطبت فلم تتزوج وقالت اقيم على اليتامى حتى يغنيهم الله او يموت يعنى اليتيم اوهى ورجل له مال صنع طعاما فأطاب صنيعه واحسن نفقته فدعا اليه اليتيم والمسكين وواصل الرحم يوسع له فى رزقه ويمد له فى اجله ويكون تحت ظل عرشه قال الله تعالى يا موسى كن لليتيم كالاب الرحيم وكن للارامل كالزوج الشفيق وكن للغريب كالاخ الرفيق اكن لك كذلك (قال الحافظ) تيمار غريبان سبب ذكر جميلست * جانا مگر اين قاعده در شهر شما نيست * وفى الحديث انا وكافل اليتيم اى القائم بمصالحه سواء كان من مال نفسه ام من مال اليتيم وسواء كان اليتيم قريبا ام لا كهاتين فى الجنة واشار بالسبابة والوسطى يعنى ان كافل اليتيم يكون فى الجنة مع حضرة النبى عليه الصلاة والسلام لان درجته تبلغ درجته (قال الشيخ سعدى قدس سره) چو بينى يتيمى سر افكنده پيش * مده بوسه برروى فرزند خويش * الا تانگريد كه عرش عظيم * بلرزد همى چون بگريد يتيم * ويجتنب كل الاجتناب عن اخلال حق من حقوقه واكل حبة من ماله وعن ظلمه وقهره (يحكى) ان رستم بن زال بارزمع اسفنديار فلم يقدر عليه مع زيادة قوته وكان اسفنديار يجرحه فى كل حمل دون رستم وكان بدن اسفنديار كجلد السمك لا يعمل فيه شئ ثم ان رستم

تشاور مع ابيه زال فى ذلك فقال له ابوه انك لاتقدر عليه الا ان تعمل سهما ذا فقارين وتصيب به عينى اسفنديار ففعل ذلك فرمى فاصاب فغلب عليه بذلك فحكى فى سبب ذلك ان اسفنديار كان قد ضرب فى شبيبته يتيما بغصن ففقأ به عينه وابكاه ثم ان اليتيم اخذ ذلك الغصن وغرسه فلما صار شجرا اخذ رستم غصنا من اغصانه ونحت منه سهمه الذى اصاب به عينى اسفنديار * ويؤدب اليتيم الذى فى حجره كتأديبه ولده فانه مسئول عنه يوم القيامة ويصلح حاله والتأديب على انواع منها الوعيد ومنها الضرب ومنها حبس المنافع والعطية والبر فان بين النفوس تفاوتا فنفس تخضع بالغلظة والشدة ولو استعملت معها الرفق والبر لافسدها ونفس بالعكس وقد جعل الله الحدود والتعزير لتأديب العباد على قدر ما يأتون من المنكر فأدب الاحرار الى السلطان وأدب المماليك والاولاد الى السادات والآباء وهو مأجور على التأديب ومسئول عنه قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وفى الحديث كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وفى قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم اشارة الى ان المرء ينبغى ان يتعود الاكل مع الناس فان شر الناس من اكل وحده وفى الحديث ان من احب الطعام الى الله ما كثرت عليه الايدى ذكره فى العوارف وذكر فى المصابيح ان اصحاب النبى عليه السلام قالوا يا رسول الله انا نأكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى * ومن اللطائف ما يحكى انه قيل لجحى صاحب النوادر أتغديت عند فلان قال لا ولكن مررت ببابه وهو يتغدى فقيل كيف علمت قال رأيت غلمانه بأيديهم قسى البنادق يرمون الطير فى الهواء قيل لبخيل من اشجع الناس فقال من يسمع وقع اضراس الناس فلا تنشق مرارته وفى الحديث من اضاف مؤمنا فكأنما اضاف آدم ومن اضاف اثنين فكأنما اضاف آدم وحواء كذا فى الرسالة العلية لحسين الواعظ (ولا تنكحوا) بفتح التاء اى لا تتزوجوا (المشركات) اى الحربيات فان الكتابيات وان كانت من المشركات الا انه يجوز تزوجها عند الجمهور استدلالا بقوله تعالى فى سورة المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شىء اصلا (حتى يؤمن) اى يصدقن بالله وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم روى انه عليه السلام بعث مرثدا الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين سرا فاتته عناق وكان يهواها فى الجاهلية فقالت ألا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن استأمر رسول الله عليه السلام فاستأمره فنزلت (ولأمة مؤمنة) مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر (خير) بحسب الدين والدنيا (من مشركة) اى امرأة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشأن (ولو اعجبتكم) تلك المشركة بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادى الاعجاب وموجبات الرغبة والواو للحال ومعنى كونها للحال كونها عاطفة لمدخولها على حال محذوفة قبلها والتقدير خير من مشركة على كل حال ولو فى هذه الحالة والمقصود من مثل هذا التركيب استقصاء الاحوال وفى تفسير الكواشى لو هنا بمعنى ان وكذا كل موضع وليها الفعل الماضى وكان جوابها مقدما عليها والمعنى وان كانت المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير لكم (ولا تنكحوا) بضم التاء من الانكاح (المشركين) اى الكفار اعم من الوثنى وغيره اى لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر أم اماء (حتى يؤمنوا) ويتركوا ما هم عليه من الكفر قال ابن الشيخ فى حواشيه اى لا تزوجوهم الصغيرات من بناتكم ومن فى حكمهن ممن هو تحت ولايتكم ولا تزوج البالغات من المؤمنات منهم انفسهم فقوله ولا تنكحوا من قبيل تغليب الذكور على الاناث ولا خلاف فى هذا الحكم فان المشرك هنا باق على عمومه ولا يحل تزويج المؤمنة من الكافر البتة على اختلاف انواع الكفر (ولعبد مؤمن) مع ما به من ذل المملوكية (خير من مشرك) مع ما به من عز المالكية (ولو اعجبكم) بماله وجماله وخصاله (اولئك) المذكورون من المشركين والمشركات (يدعون) من يقارنهم ويعاشرهم (الى النار) اى الى ما يؤدى اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم (والله) اى واولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم (يدعوا الى الجنة والمغفرة) اى الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة (باذنه) متعلق بيدعو اى يدعو ملتبسا بتوفيقه الذى من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم (ويبين آياته) المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة (للناس لعلهم يتذكرون) اى لكى يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما فى الاحكام السابقة

ففي الآية نهي عن مواصلة الكفار وترغيب في مواصلة المؤمنين ولا ينبغي للمؤمن ان تعجبه المشركة بجمالها وجمالها فان من المسلمات من تدفع التعجب وفي المحيط مسلم رأى نصرانية سمينة وتمنى ان يكون هو نصرانيا حتى يتزوجها يكفر وهذا من حماقته فان السمان الحسنة كثيرة في الملة الحنيفية ولكن علة الضم هي الجنسية كما قال تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وميل الطباع القذرة الى الدنيا العذرة قال تعالى الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين (ونعم ماقيل) همه مرغان كند باجنس برواز * كبوتر باكبوتر باز باباز *
ومن بلاغات الزمخشري لا ترض لمجالستك الا اهلا لمجانستك اى لا ترض ان يكون لك جليس من غير جنسك فان العذاب الشديد ليس الا هو وقال في اسئلة الحكم واما اختلاف الاخلاق فمن تعارف الارواح بعضها ببعض في عالم الارواح قبل تلاقي الاشباح في عالم الشهادة فمن تعارف روحه بروح صالح صلح بتعارفه الازلي فمن هذا اختلاف الاخلاق صلاحها وفسادها فلا بد من مناسبة اما من الجهة الجسمانية او من الجهة الروحانية فالجهة الجسمانية راجعة الى قابلية الطين والطبيعة الروحانية راجعة الى المناسبة الروحانية السابقة انتهى
قال الامام السخاوي في المقاصد الحسنة عند قوله عليه السلام الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف سبب ورود هذا الحديث ماروته عائشة رضي الله عنها ان امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت علي فقلت لها فلانة الى من قدمت قالت اليكن قلت فأين نزلت قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فلانة المضحكة عندكم قالت عائشة نعم قال فعلى من نزلت قالت على فلانة المضحكة قال الحمد لله ان الارواح الخ قال بعضهم

بيني وبينك في المحبة نسبة * مستورة عن سر هذا العالم
نحن اللذان تحابت ارواحنا * من قبل خلق الله طينة آدم

انتهى كلام السخاوي

(قال الحسين الكاشفي) جاذب هر جنس راهم جنس دان * جنس بر جنس است عاشق جاودان * تلخ باتلخان يقين ملحق شود * كى دم باطل قرين حق شود * طيبات آمد بسوى طيبين * الخبيثات الخبيثين است همين *
واعلم انه ركز في العقول الميل الى الخير ومخالفة الشر فللعاقل ان يتذكر فان من كان بصيرا بنفسه ومتأملا في حاله ينقطع عن اخوانه الداعين الى خلاف الحق ويصيخ الى داعي الهوى وقد قال بعض كبار العجم الله ليس باقي هوس قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا والمقربون قد فروا الى الله تعالى من جميع ما في ارض الوجود ولم يلتفتوا الى شئ سوى وجهه الكريم ولم يريدوا من المولى غير المولى فكانوا احسن نية وعملا وهذا صراط مستقيم اللهم ألهمنا رشدنا واعذنا من شر انفسنا انك انت المجيب (ويسألونك) لعل حكاية الاسئلة الثلاثة بالواو وحكاية ماعداها بغير عطف انهم سألوا عن هذه الحوادث في وقت واحد فكأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وعن كذا بخلاف ماعداها فانهم سألوها في اوقات متفرقة (عن المحيض) مصدر كالمجيء والمبيت والحيض هو اللوث الخارج من الرحم في وقت معتاد والسؤال فيه نوع ابهام الا انه تبين بالجواب ان سؤالهم كان عن مخالطة النساء في حالة الحيض (قل هو اذى) اى الحيض شئ مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه وكراهة له (روى) ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يؤاكلوهن كدأب المجوس واليهود واستمر الناس على ذلك الى ان سأل عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة فقال يارسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن أنقربهن ام لا فنزلت (فاعتزلوا النساء في المحيض) المحيض هنا اسم لمكان ظهور الحيض وهو الفرج اى فاجتنبوا مجامعتهن لما روى ان المسلمين اخذوا بظاهر الاعتزال فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يارسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك سائر أهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض (ولا تقربوهن) بالجماع (حتى يطهرن) من الحيض او ينقطع دمهن فذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان له ان يقربها اذا كانت ايامها عشرة بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلاة

(فاذا تطهرن) اى اغتسلن فان التطهر هو الاغتسال (فأتوهن من حيث امركم الله) اى من المأتى الذى حلله لكم وهو القبل (ان الله يحب التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى (نساؤكم حرث لكم) اى مواضع حرث لكم شبهن بها لما بين ما يلقى فى أرحامهن من النطف وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه والفرق بين الحرث والزرع أن الحرث القاء البذر وتهيئة الارض والزرع مراعاته وانباته ولهذا قال تعالى افرأيتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون فأثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع (فأتوا حرثكم) لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان (أنى شئتم) أنى هنا بمعنى كيف اى كيف شئتم ومن اى شق وجهة اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث لان الدبر ليس موضع الحرث فلم يمكن حمل قوله أنى شئتم على التخيير فى الامكنة حتى يجوز اتيان النساء فى ادبارهن فيكون محمولا على التخيير فى الكيفيات ويدل على هذا ماروى فى سبب نزول الآية من ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امرأته فى قبلها من دبرها يأتى ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت الآية ردا عليهم ببيان ان المقصود من عقد النكاح هو اتيان موضع الحراثة على اى كيفية كانت وفى الحديث ملعون من اتى امرأته فى دبرها وهو اللواطة الصغرى والاتيان فى دبر الذكر اكبر لواطة منه قال الامام من قبل غلاما بشهوة فكأنما زنى بأمه سبعين مرة ومن زنى مع امه مرة فكأنما زنى بسبعين بكرا ومن زنى مع البكر مرة فكأنما زنى بسبعين ألف امرأة وحكم اللواطة التعزير والحبس فى السجن حتى يتوب وعندهما يحد حد الزنى فيجلد ان لم يكن محصنا ويرجم ان كان محصنا (وقدموا لانفسكم) من الاعمال الصالحة ما يكون الثواب الموعود له ذخيرة محفوظة لكم عند الله ليوم احتياجكم اليه ولا تكونوا فى قربانهن على قيد قضاء الشهوة بل كونوا فى قيد تقديم الطاعة مع ملاحظة الحكم المقصود من شرع النكاح وهو الولد (واتقوا الله) بالاجتناب عن معاصيه التى من جملتها ما عد من الامور (واعلموا انكم ملاقوه) الهاء راجع الى الله تعالى فلا بد من حذف مضاف اى ملاقوا جزائه فتزودوا ما لا تفتضحون به (وبشر) يا محمد (المؤمنين) الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهى بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم * درامان خانهٔ ايمان بنشين ايمن باش * كرامان بايدت البته مرو زين مأمن * فالعلامة فى ذلك ان الذى يكون ايمانه عطاء يمنعه ايمانه من الذنوب ويرغبه فى الطاعات والذى هو عارية لا يمنعه من الذنوب ولا يرغبه فى الطاعات اى لا يحثه على الطاعات لانه لا بد بدله فى مكان هو فيه عارية اى لا يستقر الايمان فى مكان هو فيه عارية وفى قوله تعالى واعلموا انكم ملاقوه اشارة الى ان على المرء ان يتذكر مرجعه ومصيره ويتدارك ما ينتفع به فى معاده من الاعمال الصالحة واقل المرتبة العمل للآخرة واما اعلى المراتب وافضل المقاصد والمطالب فالله تعالى كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وذلك لان العمل لله تعالى لا لطلب الجنة ولا لخوف النار وفى التأويلات النجمية كما ان للنساء محيضا فى الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن لمنعهن عن الصلاة والصوم فكذلك للرجال محيض فى الباطن هو سبب نقصان ايمانهم لمنعهم عن حقيقة الصلاة وهى المناجاة وعن حقيقة الصوم وهى الامساك عن مشتهيات النفس وكما ان الحيض هو سيلان الدم من الفرج فكذلك الهوى هو غلبات دواعى الصفات البشرية والحاجات الانسانية فكلما غلب الهوى تكدر الصفا وحصل الاذى وقد قيل قطرة من الهوى تكدر بحرا من الصفا فحينئذ منعت النفس عن الصلاة والصوم فى الحقيقة وان كانت مشغولة بهما وطبقات المؤمنين ثلاث العوام والخواص وخاص الخاص اما العوام فلما كانوا اهل الغيبة عن الحقيقة ابيح لهم السكون الى اشكالهم اذا كان على وصف الاذن وقيل لهم نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم واما الخواص فلما كانوا بوصف الحضور يلزم عليهم المساكنة الى امثالهم وقيل لهم قل الله ثم ذرهم فهم سلكوا مسالك التفريد حتى وصلوا الى كعبة التوحيد واما خاص الخاص فهم الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلافة الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم فقيل لهم نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم فهم الانبياء وخواص الاولياء فكما ان الدنيا مزرعة الآخرة لقوم فالدنيا والآخرة مزرعتهم ومحرثهم يحرثون فيها أنى شاؤا وكيف شاؤا وما يشاؤن الا ان يشاء الله فقد فنيت مشيئتهم فى مشيئة الله وبقيت قدرة تصرفهم بقوته فيقدمون لانفسهم

لا بانفسهم بل هو المقدم لما يقدمون وهو المؤخر لما يؤخرون ثم قال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه يعني يا خواص الاولياء المتصرفين في حرث الدنيا والآخرة اتقوا الله بالله فانكم ملاقوا الله لا يحجبكم عنه شئ وبشر المؤمنين بأنهم ملاقوا الله ايضا ان اتقوا الله بالله يعني مرتبة خواص الاولياء ميسرة للمؤمنين اذا سعوا في طلبها حق سعيها (قال الحافظ) جمال يار ندارد نقاب و پرده ولى * غبار ره بنشان تا نظر توانى كرد *

(ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) روى ان بشير بن نعمان الانصارى كان قد طلق زوجته التي هي اخت عبد الله بن رواحة واراد أن يتزوجها بعد ذلك وكان عبد الله قد حلف على ان لا يدخل على بشير ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين اخته فاذا قيل له في ذلك قال قد حلفت بالله ان لا افعل ولا يحل لى الا ان احفظ يمينى وأبر فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية والعرضة فعلة بمعنى المعروض جعل اسما لما يعرض دون الشئ اى يجعل قدامه بحيث يصير حاجزا ومانعا منه من عرض العود على الاناء اى جعل العود على الاناء وستره به بحيث يكون حاجزا وحائلا بين الاناء وما يتوجه اليه والمعنى لا تجعلوا ذكر الله والحلف به مانعا لما حلفتم عليه من انواع الخير كالبر والاتقاء والاصلاح فان الحلف بالله لا يمنع ذلك فيكون لفظ الايمان مجازا مرسلا عن الخيرات المحلوف عليها سمى المحلوف عليه يمينا لتعلق اليمين به واللام في لايمانكم متعلق بقوله عرضة تعلق المفعولية لا تعلق العلية لان العرضة ما عرضته دون الشئ فاعترضه اى ما تجعله انت قدام شئ آخر فيقع قدامه فيكون المعنى لا تجعلوا الحلف بالله شيأ يعرض اى وقع قدام المحلوف عليه الذى هو البر والخير ويصير مانعا من الاتيان به وان تبروا عطف بيان لايمانكم اى للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح (والله سميع) لأيمانكم (عليم) بنياتكم حتى ان تركتم الحلف تعظيما لله واجلالا له من ان تستشهدوا باسمه الكريم في الاغراض العاجلة يعلم ما في قلوبكم ونيتكم فحافظوا على ما كلفتموه (وفي المثنوى) ازپى آن كفت خودرا حق سميع * تا ببندى لب زكفتار شنيع * ازپى آن كفت خودرا حق بصير * كه بود ديدويت هردم نذير * ازپى آن كفت خودرا حق عليم * تا نينديشى فسادى تو زبيم * والآية عامة في كل من كان يحلف بالله ان لا يحسن لاحد ولا يتقى من العصيان فيعمل ما اشتهت نفسه وان لا يصلح بين الناس اذا وقع فيهم العداوة والبغضاء فكأنه قال تعالى كل ذلك خير وطاعة لا يمنعها حلفكم فان حلفتم عليها فلتكفروا عن حلفكم ولتفعلوا تلك الخيرات من البر والتقوى والاصلاح بين الناس ولا تقولوا نحن حلفنا بالله فنخاف من اليمين به ان نفعله فنحنث في يميننا فالحنث اولى من البر فيما يتعلق بالبر والتقوى والاصلاح قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا فليكفر عن يمينه ثم ليفعل الذى هو خير والكفارة قبل اليمين غير جائزة وبعد الحنث واجبة اتفاقا ولا تجوز قبل الحنث بعد اليمين عند ابى حنيفة رحمه الله وفي الشرعة ولا يروج سلعته اى متاعه بالحلف لا صادقا ولا كاذبا لانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا قد جعل الله عرضة لايمانه واساء فيه اذ الدنيا أخس من ان يقصد ترويجها بذكر الله من غير ضرورة ومن حلف بالله في كل قليل وكثير انطلق لسانه بذلك ولا يبقى اليمين في قلبه فلا يؤمن من اقدامه على الأيمان الكاذبة فيختل ما هو الغرض الاصلى من اليمين وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وفي بستان العارفين ويكره ان يصلى على النبي عليه السلام في عرض السلعة فيقول صلى الله على محمد ما اجود هذا وقال عليه السلام التجار هم الفجار قيل ولم يا رسول الله وقد أحل الله البيع فقال لانهم يحلفون ويأثمون ويحدثون فيكذبون ولا يحلف على الله بشئ نحو ان يقول والله ليفعلن الله كذا ولو أقسم ولى الله مثل القسم المذكور لأبره الله وصدقه في يمينه كرامة له وكان ابو حفص رحمه الله يمشى ذات يوم فاستقبله رستاقى مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك قال ضل حمارى ولا املك غيره فوقف ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد حماره فظهر الحمار في الوقت كذا في شرح المشارق (لا يؤاخذكم الله باللغو) اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار يقال لغا لغوا اذا قال باطلا (في ايمانكم) جمع يمين وهو الحلف وسميت بها لمعنيين احدهما انها من اليمين التي هي اليد اليمنى وكانوا اذا تحالفوا في العهود تصافحوا بالايمان فسميت بذلك والثانى ان اليمين هي القوة قال تعالى لأخذنا منه باليمين وسميت به لان الحالف يتقوى بيمينه على حفظ ما حلف عليه من فعل او ترك والمراد باللغو في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد وهو ان يحلف الرجل بالله

على شئ يظن انه صادق فيه وليس كذلك سوآء كان الذى يحلف عليه ماضيا اوغيره فليس له اثم ولا كفارة هذا عند ابى حنيفة واما عند الشافعى فلغو اليمين ماسبق اليه اللسان بلا قصد الحلف نحو لا والله و بلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال ولو قيل لواحد منهم سمعتك تحلف فى المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفى الآية معنيان احدهما لا يعاقبكم الله باللغو فى ايمانكم ظنا انكم صادقون فيه (ولكن يؤاخذكم) المؤاخذة مفاعلة من الاخذ وهى المعاقبة ههنا (بما كسبت قلوبكم) انطوت عليه واقترفت قلوبكم من قصد الاثم بالكذب فى اليمين وهو أن يحلف الرجل على مايعلم انه خلاف مايقوله وهى اليمين الغموس وسميت بالغموس لانغماس صاحبها فى الاثم بها وثانيهما لا تلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذى لا قصد معه ولكن تلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت من اليمين لا بكسب اللسان وحده وفى التيسير ان هذه الآية فى مؤاخذة الآخرة فاما المؤاخذة المذكورة فى قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فهى المؤاخذة بالكفارة لكنها فى اليمين المعقودة فالآيتان فى مؤاخذتين مختلفتين (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا عن قلة المبالاة (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة وفيه ايذان بان المؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هى التى تتعلق بها المغفرة والحلم دونه والفرق بين الحليم والصبور انه الذى لا يشمئز من الامر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال الله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة وحظ العبد من وصف الحليم ظاهر فالحلم من محاسن خصال العباد وفى الحديث ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم مرتبة الصائم القائم (قال الحسين الواعظ الكاشفى) علم باحلم حال روى بود * علم بى حلم خالدكوى بود * بردبارى چوزينت خردست * هركرا حلم نيست زيورنيست * ثم انه قال قال العلماء اذا حلف بشئ فحنث ان كان مستقبلا فعليه كفارة وهو اليمين المنعقدة وان كان ماضيا فان كان الحالف عالما بالواقع وحلف على خلافه فاليمين كبيرة ولا كفارة عند ابى حنيفة فى الكبائر وعند الشافعى تجب الكفارة فيه وهو اليمين الغموس وان كان الحالف جاهلا بالواقع ويرى انه صادق فيه وليس كذلك فلا كفارة فيه وهو يمين اللغو عند ابى حنيفة واليمين الغموس عند الشافعى و يحكم فيه بالكفارة واليمين بالله او باسم من اسمائه او بصفة من صفاته فاليمين بالله ان يقول والذى اصلى له والذى نفسى بيده واليمين باسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه واليمين بصفته كقوله وعزة الله وعظمته وجلال الله وقدرته ونحوها ومن حلف بغير الله مثل ان قال والكعبة و بيت الله ونبى الله او حلف بابيه ونحوه فلا يكون يمينا ولا تجب به الكفارة اذا خالف وهى يمين مكروهة قال الشافعى واخشى ان تكون معصية وفى الحديث من حلف بغير الله فقد أشرك بالله معناه من حلف بغير الله تعالى معتقدا تعظيم ذلك الغير فقد أشرك المحلوف به مع الله فى التعظيم المختص به ولو لم يكن على قصد التعظيم والاعتقاد به فلا بأس به كقوله لا وابى ونحو ذلك كما جرت به العادة قال على الرازى أخاف الكفر على من قال بحياتى وبحياتك وما اشبهه ولولا أن العامة يقولونه ولا يعلمونه لقلت انه الشرك لانه لا يمين الا بالله ولا يحلف بالبرآءة من الاسلام فمن فعل ذلك صادقا لن يرجع الى الاسلام سالما وان كان كاذبا خيف عليه الكفر وفى الحديث من حلف بملة غير الاسلام كاذبا فهو كما قال وظاهر الحديث يدل على ان المسلم ان قال ان افعل كذا فأنا يهودى ففعل يكفر وبه عمل الشافعى وقال الحنفية لا يكفر فحملوا الحديث على التهديد واما ان علقه بالماضى كقوله ان فعلت كذا فانا يهودى وقد فعل فقد اختلفت الحنفية والصحيح انه لا يكفر ان كان يعلم انه يمين وان كان عنده انه يكفر بالحلف يكفر لانه رضى بالكفر وهو محمل الحديث عند الاكثر وفى الفتاوى البزازية والفتوى على انه يمين يلزم عليه الكفارة والاشارة فى الآية ان مايجرى على الظواهر من غير قصد ونية فى البواطن ليس له كثير خطر فى الخير والشر ولا زيادة اثر ولو كان له اثر فى الخير لما عاب على قوم يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم وكذا مايجرى على اللسان بنية القلب بلا فعل الجوارح لو كان مؤثرا فى القبول لما عاب قوما بقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون ولو كان له اثر فى الشر لما وسع على قوم بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وما عفا عن قوم بقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وذلك لان القلب كالارض للزراعة والجوارح كالآلات للحراثة والاعمال والاقوال كالبذر فالبذر مالم يقع فى الارض المربية للزراعة لا ينبت وان كان فى آلة من آلات الحراثة فافهم جدا واما ان كان لما يجرى

على الظواهر من الخير أدنى آثار فى القلب ولو كان مثقال ذرة فان الله من كمال فضله وكرمه لا يضيعه حتى يكون القليل كثيرا والصغير عظيما وان كان لما يجرى على الظواهر من الشر ادنى اثر فى القلب فان الله تعالى من غاية لطفه واحسانه لا يؤاخذ العبد به بل يحلم عنه ويتوب عليه ويغفر له كما قال والله غفور حليم كذا فى التأويلات النجمية (للذين يؤلون من نسائهم) الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى لكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن اى للذين يبعدون من نسائهم مؤلين (تربص اربعة اشهر) اى انتظارهذه المدة واضافته الى الظرف على الاتساع فى الظرف بجريه مجرى المفعول به كما يقال بينهما مسيرة يوم اى مسيرة فى يوم اى لهم ان ينتظروا فى هذه المدة من غير مطالبة بفيئ اوطلاق والايلاء من الزوجة ان يقول الرجل والله لا اقربك اربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر اولا اقربك على الاطلاق ولو حلف على ان لا يطأها اقل من اربعة اشهر لا يكون مؤليا بل هو حالف اذا وطئها قبل مضى تلك المدة يجب عليه كفارة يمين على الاصح وللايلاء حكمان حكم الحنث وحكم البر فحكم الحنث وجوب الكفارة بالوطئ فى مدة الايلاء ان كان اليمين بالله ولزوم الجزآء من نحو الطلاق اوالعتاق اوالنذر المسمى ان كان القسم بذلك وحكم البر وقوع طلقة بائنة عند مضى مدة الايلاء وهى اربعة اشهر ان كانت المنكوحة حرة وان كانت المنكوحة امة الغير تبين بمضى شهرين قال قتادة كان الايلاء طلاقا لاهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار اهل الجاهلية كان الرجل لا يحب امرأته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا فى ابتدآء الاسلام يفعلون ذلك ايضا فازال الله ذلك الضرر عنهن وضرب للزوج مدة يتروى فيها ويتأمل فان رأى المصلحة فى ترك هذه المضارة فعله وان رأى المصلحة فى المفارقة فارقها (فان فاؤوا) اى ان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك الجماع (فان الله غفور رحيم) يغفر للمولى بفيئته التى هى كتوبته اثم حنثه عند تكفيره اوما قصد بالايلاء من ضرار المرأة (وان عزموا الطلاق) اصل العزم والعزيمة عقد القلب على امضاء شئ تريد فعله اى حققوه واكدوه بأن ثبتوا فى المدة على ترك القربان حتى مضت المدة (فان الله سميع) لطلاقهم (عليم) بغرضهم فيه والاشارة فى تحقيق الآيتين ان يعلم العبد أن الله لا يضيع حق احد من عباده لا على نفسه ولا على غيره فلما تقاصر لسان الزوجة لكونها اسيرة فى يد الزوج فالله تعالى تولى الامر بمراعاة حقها فأمر الزوج بالرجوع اليها اوتسريحها فاذا كان حق صحبة الاشكال محفوظا عليك حتى لو أخللت به آخذك بحكمه فحق الحق احق بان يجب مراعاته وفى تعيين تربص اربعة اشهر فى الفيئ اشارة عجيبة وهى انها مدة تعلق الروح بالجنين كما قال عليه السلام ان أحدكم يجمع خلقه اى يحرز ويقر مادة خلقه فى بطن امه اى فى رحمها من قبيل ذكر الكل وارادة الجزء أربعين يوما وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان النطفة اذا وقعت فى الرحم فاراد الله ان يخلق منها تنشر فى بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة فتمكث اربعين ليلة ثم تنزل دما فى الرحم فذلك جمعها ثم تكون علقة وهى قطعة دم غليظ جامد مثل ذلك اربعين يوما ثم تكون مضغة وهى قطعة لحم قدر ما تمضغ مثل ذلك ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ فيه الروح وهذا يدل على ان التصوير يكون فى الاربعين الثالثة ويؤمر بأربع كلمات يعنى يؤمر الملك بكتابة أربع قضاها وهو معطوف على قوله تكون علقة لان الكتابة فى الاربعين الثانية يكتب رزقه روى على صيغة المجهول والمعلوم واجله وهو يطلق على مدة الحياة كلها وهو المراد هنا وعلى منتهاها ومنه قوله تعالى فاذا جاء اجلهم وعمله وشقى وهو من وجبت له النار او سعيد وهو من وجبت له الجنة قدم ذكر الشقى لانه اكثر الناس كذا قال القاضى المراد بكتبه هذه الاشياء اظهارها للملك والا فقضاؤه تعالى سابق على ذلك فاذا تمهد هذا فمن وقع له من اهل القصد وقفة اوفترة فى اثناء السلوك من ملالة النفس اونفرة الطبع فعلى الشيخ وعلى الاصحاب ان لا يفارقوه فى الحقيقة وان يتعاونوا بالهمم العلية لاستجلابه ويتربصوا اربعة اشهر الرجوع فان فاء الى صدق الطلب ورعاية حق الصحبة واستغفر مما جرى منه ونفخ فيه روح الارادة مرة اخرى اقبلوا عليه وعفوا عما لديه فان هذا ربيع لا يرعاه الا المهزولون وربع لا يسكنه الا المعزولون ومنهل لا يرده الا اللاهون وباب لا يقرعه الا الماكثون بل هذا شراب لا يذوقه الا العارفون وغناء لا يطرب عليه الا العاشقون وان عزموا بعد مضى اربعة اشهر طلاق منكوحة المواصلة وأصروا على ذنب المفارقة فلهم التمسك بعروة هذا فراق بينى وبينك فان الله سميع بمقالتهم عليم بحالتهم (قال السعدى) نه مارا در ميان عهد ووفا بود * جفا كردى

وبدعهدی نمودی * هنوزت کرسر صلحست بازآی * کزان محبوب تر باشی که بودی * قال اوحد المشایخ فی وقته ابو عبد الله الشیرازی رأیت رسول الله صلی الله علیه وسلم فی المنام وهو یقول من عرف طریقا الی الله فسلکه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم یعذب به احدا من العالمین کذا فی لواقح الانوار القدسیة فی مناقب العلماء والصوفیة (والمطلقات) المراد بها ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لانه لاعدة علی غیر المدخول بها وان عدة من لاتحیض لصغر او کبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرآن او شهران واصل التطليق رفع القيد ای المخليات من حبال ازواجهن (یتربصن) خبر فی معنی الامر ای لیتربصن وینتظرن (بانفسهن) الباء للتعدیة ای یحملن انفسهن علی التربص ویجعلنها متربصة (ثلاثة قروء) نصب علی الظرفیة ای مدة ثلاثة قروء فلا تتزوجن الی انقضائها والقروء جمع قرء وهو من الاضداد فی کلام العرب یقع علی الطهر والحیض والمشهور أنه حقیقة فیهما کالشفق اسم للحمرة والبیاض جمیعا ذهب ابو حنیفة واصحابه الی ان القروء هی الحیض لان الله تعالی جعل الاعتداد بالاشهر بدلا من الاعتداد بالقرء کما قال واللائی یئسن من المحیض من نسائکم فعدتهن ثلاثة اشهر فلما شرع ذلک عند ارتفاع الحیض دل علی ان الاصل کان هو الحیض وتمسک الشافعی بقوله تعالی فطلقوهن لعدتهن علی ان المراد بالقروء الاطهار لان اللام فی لعدتهن للوقت ووقت العدة لا یجوز ان یکون وقت الحیض لانه تعالی امر بالطلاق والطلاق فی وقت الحیض منهی عنه وجوابه ان معناه فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وهی الحیض الثلاث فالطلاق یقع ثم تأخذ المرأة وتشرع فی العدة ولیس معنی الآیة ان الطلاق واقع فی العدة وفائدة الخلاف بین الشافعی وابی حنیفة ان مدة العدة عند الشافعی اقصر وعند ابی حنیفة اطول حتی لو طلقها فی حال الطهر یحسب بقیة الطهر قرأ وان حاضت عقیبه فی الحال فاذا شرعت فی الحیضة الثالثة انقضت عدتها وعند ابی حنیفة مالم تطهر من الحیضة الثالثة ان کان الطلاق فی حال الطهر او من الحیضة الرابعة ان کان الطلاق فی حال الحیض لایحکم بانقضاء عدتها (ولایحل لهن ان یکتمن) ای یخفین (ماخلق الله فی ارحامهن) من الحبل والحیض بان تقول المرأة لست بحامل او لست بحائض وهی حائض لتبطیل حق الزوج من الولد والرجعة وذلک اذا ارادت المرأة فراق زوجها فکتمت حملها لئلا ینتظر بطلاقها ان تضع ورب ما اسقطت الحمل خوفا ان یعود ولئلا یشفق علی الولد فیترک تسریحها او کتمت حیضها استعجالا للطلاق لان الطلاق السنی انما یکون فی الطهر وفیه دلیل علی قبول قولهن فی ذلک نفیا واثباتا (ان کن یؤمن بالله والیوم الآخر) ای فلا یجترئن علی ذلک فان قضیة الایمان بالله والیوم الآخر الذی یقع فیه الجزاء والعقوبة منافیة له قطعا وفیه تهدید شدید علی النساء ولیس المراد ان ذلک النهی مشروط بکونها مؤمنة لان المؤمنة والکافرة فی هذا الحکم سواء (وبعولتهن) جمع بعل والبعل المرأة واصل البعل السید والمالک سمی الزوج بعلا لقیامه بامر زوجته کانه مالک لها ورب والتاء فی البعولة لتأنیث الجمع فان الجمع لکونه بمعنی الجماعة فی حکم المؤنث والتاء زائدة لتأکید التأنیث ودلت تسمیة الزوج بعلا بعد طلاقها الصریح علی ان النکاح قائم والحل ثابت والضمیر لبعض افراد المطلقات لان هن عام شامل للمطلقة بالطلاق الرجعی والبائن ولاحق لازواج المطلقات البوائن فی النکاح والرجعة (احق بردهن) الی النکاح والرجعة الیهن (فی ذلک) ای فی زمان التربص فان حق الرجعة انما یثبت للزوج مادامت فی العدة واذا انقضی وقت العدة بطل حق الرد والرجعة وافعل هنا بمعنی الفاعل والمعنی ان ازواجهن حقیقون بردهن اذ لامعنی للتفضیل هنا فان غیر الازواج لاحق لهم فیهن البتة ولاحق ایضا للنساء فی ذلک حتی لو أبت من الرجعة لم یعتد بذلک (ان ارادوا) ای الازواج بالرجعة (اصلاحا) لما بینهم وبینهن واحسانا الیهن ولم یریدوا مضارتهن کما کانوا یفعلونه فی الجاهلیة کان الرجل یطلق امرأته فاذا اقرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها یقصد بذلک تطویل العدة علیها ولیس المراد به شرطیة قصد الاصلاح بصحة فان الرجعة صحیحة وان راجعها مضارا بها بل هو الحث علیه والزجر عن قصد الضرار ثم انه تعالی لما بین ان المقصود من الرجعة اصلاح حالها لا ایصال الضرر الیها بین ان لکل واحد من الزوجین حقا علی الآخر فقال (ولهن) علیهم من الحقوق (مثل الذی) لهم (علیهن بالمعروف) قوله بالمعروف متعلق بما تعلق به لهن من الاستقرار ای استقر لهن بالمعروف ای بالوجه الذی لاینکر فی الشرع وعادات الناس فلا یکلفهن مالیس لهم ولا یعنف احد الزوجین صاحبه ووجه المماثلة بین الحقین هو الوجوب واستحقاق

المطالبة لا الاتحاد فى جنس الحقوق مثلا اذا استحقت المرأة على الزوج المهر والنفقة والمسكن لا يستحق هو عليها ايضا جنس هذه الحقوق (وللرجال عليهن درجة) اى زيادة فى الحق وفضل فيه وفضل الرجل على المرأة فى العقل والدين وما يتفرع عليهما مما لا شك فيه وفضله المناسب بهذا المقام امران الاول كون ما يستحق هو عليها افضل وازيد مما تستحق هى عليه فانه مالك لها مستحق لنفسها لا تصوم تطوعا الا باذنه ولا تخرج من بيتها الا باذنه وقادر على الطلاق فاذا طلقها فهو قادر على مراجعتها شاءت المرأة او أبت واما المرأة فلا تملك شيأ من هذه الامور وانما حقها فيه المهر والكفاف وترك الضرار والثانى ما اشار اليه الزجاج بقوله معناه ان المرأة تنال من الرجل من اللذات المتفرعة على النكاح مثل ما ينال الرجل منها وله الفضيلة عليها بنفقته والقيام عليها فالفضيلة على هذا فضيلة ما التزمه فى حقها مما يتعلق بالرحمة والاحسان كالتزام المهر والنفقة والمسكن والذب عنها والقيام بمصالحها ومنعها عن مواقع الآفات عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت آمرا لأحد أن يسجد لاحد غير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لما عظم الله من حقه عليها قال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فكان قيام المرأة بخدمة الرجل آكد وجوبا لهذه الحقوق الزائدة (والله عزيز) يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه (حكيم) تنطوى شرائعه على الحكم والمصالح واعلم ان مقاصد الزوجية لا تتم الا اذا كان كل واحد من الزوجين مراعيا حق الآخر مصلحا لاحواله مثل طلب النسل وتربية الولد ومعاشرة كل واحد منهما الآخر بالمعروف وحفظ المنزل وتدبير ما فيه وسياسة ما تحت ايديهما الى غير ذلك مما يستحسن شرعا ويليق عادة وفى الحديث جهاد المرأة حسن التبعل يقال امرأة حسنة التبعل اذا كانت تحسن عشرة زوجها والقيام بما عليها فى بيت الزوج وفى الحديث ايما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة كما فى رياض الصالحين ومن الحقوق التزين قال ابن عباس رضى الله عنه انى لأتزين لامرأتى كما تتزين لقوله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ويقال ان المرأة مثل الحمامة اذا نبت لها جناح طارت كذا الرجل اذا زين امرأته بالثياب فلا تجلس بالبيت وقال رجل ما دخل دارى شر قط فقال حكيم ومن اين دخلت امرأتك (قال السعدى) دلا رام باشد زن نيك خواه * ولى از زن بد خدايا پناه (وقال بعضهم) عصمت زن را بمقام جمال * جلوه حرامست مكر با حلال * حكى انه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح وكان له امرأة يحبها حبا شديدا فبعث الله اليه ان يسأله ثلاث حوائج فقال لامرأته حوائجى كثيرة لا ادرى ما اعمل فقالت امرأته اسأل حاجة لى وحاجتين لك قال ما تريدين قالت اسأل ربك ان يصيرنى فى صورة ما كانت صورة احسن منها واجمل فسأل ربه فاضاء البيت من حسنها وجمالها فقامت لتخرج من بيتها فقال زوجها الى اين تذهبين قالت الى بعض السلاطين اما لا اضيع حسنى وجمالى بمثلك ومنع الزوج خروجها ثم بلغ الخبر الى بعض السلاطين فجاء اعوانه واخذوها من زوجها جبرا فقال الرجل اللهم بقى لى عندك حاجتان اجعلها قردة فمسخها الله تعالى قردة فردها الملك من عنده فجاءت الى زوجها ثم قال الرجل اللهم ردها كما كانت اولا فذهبت الحوائج كلها عبثا الا هى افلحت ولا هو والاشارة ان المطلقات لما امرن بالعدة وفاء لحق الصحبة وان كان الانقطاع من الزوج لا من الزوجة امرن ان لا يفين غير مقامه بالسرعة ويصبرن حتى يمضى مقدار من المدة الى آخر العدة وكلها دلالات على وفاء الربوبية فى رعاية العبودية فان الله تعالى من كمال كرمه يرخى زمام الفضل بالاصطناع وان كان من العبد الفصل والانقطاع ويمهل العبد الى انقضاء عدة الجفاء ولا يعرض عنه سريعا لاقامة شرط الوفاء لعل العبد فى مدة العدة يتنبه من نوم الغفلة وتتحرك داعيته فى ضمير قلبه من نتائج محبة ربه وان ابتلاه بمحنة الفرقة فيقرع باصبع الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة فى طلب الرجعة والاوبة فيقال من كمال الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك وتعال من طلب منا فلا حاقا فليلزم عتبتنا مساء وصباحا (الطلاق) اى التطليق الرجعى المتقدم ذكره الذى قال تعالى فيه وبعولتهن احق بردهن (مرتان) اى دفعتان وذلك لا يكون الا على سبيل التفريق فان من اعطى الى آخر درهمين لم يجز أن يقال اعطاه مرتين حتى يعطيه اياهما دفعتين فالجمع بين الطلقتين والثلاث فى الايقاع حرام عند ابى حنيفة رحمه الله الا انه سنى الوقوع لا سنى الايقاع فالطلاق الذى يثبت فيه للزوج حق المراجعة هو ان يوجد طلقتان فقط واما بعد الطلقتين بان طلق ثلاثا فلا يثبت للزوج حق الرجعة البتة ولا تحل له المرأة

الابعد زوج آخر ثم قوله الطلاق مرتان وان كان ظاهره الخبر فان معناه الأمر لان حمله على ظاهره يؤدى الى وقوع الخلف فى خبر الله تعالى لانه قد يوجد ايقاع الطلاق على وجه الجمع ولا يجوز الخلف فى خبر الله فكان المراد منه الامر كأنه قيل طلقوهن مرتين اى دفعتين (فامساك) اى فالحكم بعدهاتين الطلقتين امساك لهن (بمعروف) وهو ان يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح وحسن المعاشرة (اوتسريح) اى تخلية (باحسان) بان يترك المراجعة حين تبين بانقضاء العدة ومعنى الاحسان فى التسريح انه اذا تركها ادى اليها حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وجملة الحكم فى هذا الباب ان الحر اذا طلق زوجته طلقة اوطلقتين بعد الدخول بها يجوز له ان يراجعها من غير رضاها مادامت فى العدة وان لم يراجعها حتى تنقضى عدتها اوطلقها قبل الدخول بها أو خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها فان طلقها ثلاثا فلا تحل له مالم تنكح زوجا غيره واما العبد اذا كانت تحته امة فطلقها طلقتين فانها لا تحل له الا بعد نكاح زوج آخر والاعتبار بالمرأة فى عدد الطلاق عند ابى حنيفة رحمه الله فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين (ولا يحل لكم) روى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتت رسول الله عليه السلام وقالت لا انا ولا ثابت ولا يجمع رأسى ورأسه شئ والله ما اعيبه فى دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل فى عدة فاذا هو أشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها اى سماها ثابت صداقا لها يعنى لما قالت جميلة ما قالت قال ثابت يا رسول الله مرها فلترد على الحديقة التى اعطيتها فقال عليه السلام لها ما تقولين قالت نعم وازيده فقال عليه السلام لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل وكان ذلك اول خلع فى الاسلام والخطاب فى لكم مع الحكام ليطابق قوله تعالى فان خفتم فانه خطاب مع الحكام والحكام وان لم يكونوا آخذين ومؤتين حقيقة الا انهم هم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكأنهم هم الذين يأخذون ويؤتون (ان تأخذوا مما آتيتموهن) اى تأخذوا منهن بمقابلة الطلاق ما اعطيتموهن من المهور (شيأ) اى نزرا يسيرا فضلا عن استرداد الكثير (الا ان يخافا) اى الزوجان (الا يقيما حدود الله) اى ان لا يراعيا مواجب الزوجية قوله الا ان يخافا استثناء مفرغ وان يخافا فى محل النصب على انه مفعول من اجله مستثنى من العام المحذوف تقديره ولا يحل لكم ان تأخذوا بسبب من الاسباب شيأ الا بسبب خوف عدم اقامة حدود الله (فان خفتم) ايها الحكام (ان لا يقيما حدود الله) اى الحقوق التى اثبتها النكاح وذلك بمشاهدة بعض الامارات والمخايل (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) اى فيما اعطته المرأة من بدل الخلع لا على الزوج فى أخذ ما فدت به نفسها ولا عليها فى اعطائه اياه هذا اذا كان النشوز من قبل المرأة لانها ممنوعة عن اتلاف المال بغير حق اما اذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له ان يأخذ شيأ مما آتاها لقوله تعالى فلا تأخذوا منه شيأ ولا يضيق عليها ليلجئها الى الافتداء فان ذلك منهى عنه قال تعالى فى سورة النساء ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن وعموم قوله تعالى فيما افتدت به يشعر بجواز المخالعة على قدر المقبوض من الزوج وعلى الازيد والاقل وعليه جمهور الفقهاء ثم ان ظاهر الآية انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف وجمهور المجتهدين على جوازه فى حالة الخوف وفى غير حالة الخوف فلا بد حينئذ ان يجعل قوله الا ان يخافا استثناء منقطعا كما فى قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ اى لكن ان قتل خطأ فدية مسلمة الى اهله قال البغوى ويجوز الخلع فى غير حال النشوز غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق (تلك) اى الاحكام المذكورة (حدود الله) اوامره ونواهيه (فلا تعتدوها) اى لا تتجاوزوا عنها بالمخالفة والرفض (ومن يتعد حدود الله فاولئك) المتعدون (هم الظالمون) اى لانفسهم يتعريضها السخط الله وعقابه اعلم ان المرأة اذا برئت من مواقع الخلل واتصفت بالعفة فعلى الزوج ان يعاشرها بالمعروف ويصبر على سائر أوضاعها وسوء خلقها ويتأدب باداب النبى صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يحسن المعاشرة مع ازواجه المطهرة فحسن معاشرتهن والصبر عليهن مما يحسن الاخلاق فلا جرم يعد الصابر من المجاهدين فى سبيل الله (روى) ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت وعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبى قال فرأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها

كأن ابواب السماء قد فتحت وكأن رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نظر الى واحد منهم
يقول لمن وراءه هذا هو المشئوم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك فخفت ان اسألهم الى ان مر بى آخرهم
فقلت له من هذا المشئوم فقال انت قلت ولم قال كنا نرفع عملك مع اعمال المجاهدين فى سبيل الله تعالى فمنذ جمعة
امرنا ان نضع عملك مع المخالفين فلا ندرى ما احدثت فقال لاخوانه زوجونى فلم يكن يفارقه زوجتان اوثلاث
(قال الكاشفى) مردى كمان مبركه بزورست وبردلى * بانفس اكر جهاد كنى مرد كاملى *
ولا يتيسر هذا الا لواحد بعد واحد كما قيل وللحروب رجال وان انت تريد الطلاق فطلق نفسك (كما قيل
هركه زن نفس شوم راداد طلاق * جفتش نبود بزير اين نيلى طاق * از منزلة نفس قدم بيرون نه *
تاروحت كند نسيم وصل استنشاق * ومادام عجوز نفسك تشوش باطنك وتخرب بيت قلبك فالعروس
التى هى تجلى الروح لاتتراءى من وراء نقاب السر ولا تجيئ بيت مشاهدتك رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد
طوره والاشارة فى الآية ان اهل الصحبة لا يفارقون بجريمة واحدة صدرت من الرفيق الشفيق والصديق
الصدوق ولا بجريمتين بل يتجاوزون مرة اومرتين وفى الثالثة فامساك بمعروف اوتسريح باحسان اما صحبة
جميلة اوفرقة جميلة كما تجاوز الخضر عن موسى عليهما السلام مرتين وفى الثالثة قال هذا فراق بينى وبينك
وأما الصحبة من غير تعظيم وحرمة وذهاب لذة العمر بالاخلاق الذميمة واضاعة الوقت فى تحصيل المقت فغير
مرضية فى الطريقة ولا محمودة فى الشريعة بل قاطعة طريقة الحق وليس لاهل الصحبة اذا اتفقت المفارقة
ان يستردوا خواطرهم من الرفقاء بالكلية ويقطعوا رحم الاخوة فى الدين ويأخذوا منهم قلوبهم بعدما آتوهم
الهمم العلية فان العائد فى هبته كالعائد فى قيئه الا ان يخافا أن لا يقيما حدود الله فى رعاية حقوق الصحبة فان
خفتم أن لا يقيما حدود الله بأن تؤدى الى مداهنة اواهمال فى حق حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به
من الحظوظ لرعاية الحقوق تلك حدود الله من الحظوظ والحقوق فلا تعتدوها بترك الحقوق لنيل الحظوظ كذا
فى التأويلات النجمية قدس الله تعالى نفسه الزاكية القدسية (فان طلقها) اى بعد الطلقتين السابقتين
(فلا تحل) تلك المرأة (له) لزوجها (من بعد) اى من بعد الطلقة الثالثة لابطريق الرجعة ولا بتجديد العقد
(حتى تنكح) تتزوج تلك المرأة (زوجا غيره) اى غير المطلق ويسمى الاجنبى زوجا لانه بالعقد يصير زوجا فسماه
باسم العاقبة والنكاح هنا العقد دون الوطئ وبه اخذ سعيد بن المسيب واللفظ يشهد له لا يقال حتى تطأ المرأة
الزوج فان المرأة موطوءة لا واطئة فالآية وان كانت مطلقة لانها انما تدل على ان عدم حلها له يمتد الى ان تتزوج
بزوج آخر وينعقد بينهما عقد النكاح من غير تقييد ذلك العقد بكونه مؤديا الى جماع الزوج الثانى لكنها مقيدة
بالسنة فالاجماع على اشتراط الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة جاءت النبى عليه الصلاة والسلام فقالت ان رفاعة
طلقنى فبت طلاقى اى قطعه حيث طلقنى ثلاثا وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وان مامعه اى ذكره ليس
باغنى عنى من هذه اى الهدبة واخذت من جلبابها فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال أتريدين
ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم فقال لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك والمراد بالعسيلة الجماع شبه لذة
الجماع بالعسل (فان طلقها) اى الزوج الثانى بعد الدخول بها (فلا جناح عليهما) اى لا اثم على الزوج الاول
والمرأة (ان يتراجعا) اى يرجع كل منهما الى صاحبه بعقد جديد (ان ظنا ان يقيما حدود الله) اى ان كان
فى ظنهما انهما يقيمان حدود الله اى ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية ولم يقل ان علما لان العواقب غير
معلومة والانسان لا يعلم ما فى الغد وانما يظن ظنا (وتلك) اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا (حدود الله)
اى احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة (يبينها) بهذا البيان (لقوم يعلمون) اى يفهمون
ويعملون بمقتضى العلم وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان والجاهل اذا
بين له لا يحفظ ولا يتعاهد * نكته كفتن بيش كرفهمان زحكمت بيكمان * جوهرى چند از جواهر ريختن
بيش خرست * ثم ان الحكمة فى اشتراط اصابة الزوج الثانى فى التحليل وعدم كفاية مجرد العقد فيه الردع
عن المسارعة الى الطلاق فان الغالب ان يستنكر الزوج ان يستفرش زوجته رجل آخر وهذا الردع انما يحصل
بتوقف الحل على الدخول واما مجرد العقد فليس منه زيادة نفرة وتهييج غيرة فلا يصلح توقف الحل عليه رادعا
وزاجرا عن التسرع الى الطلاق والنكاح المعقود بشرط التحليل وهو ان يشترط فى النكاح ان يقتصر على قدر

التحليل ولا يستديم زوجيتها فاسد عند الاكثر و جائز عند ابى حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وفى شرح الزيلعى لو خافت المرأة المطلقة ثلاثا ان لا يطلقها المحلل فقالت زوجتك نفسى على ان امرى بيدى اطلق نفسى كلما اردت فقبل جاز النكاح وصار الامر بيدها وفيه ايضا ومن لطائف الحيل فيه ان تزوج المطلقة من عبد صغير تتحرك آلته ثم تملكه بسبب من الاسباب بعد ما وطئها فينفسخ النكاح بينهما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له المحلل بكسر اللام والمراد به الزوج الثانى والمحلل له بفتح اللام والمراد به الزوج الاول فان قلت ما معنى لعنهما قلت معنى اللعن على المحلل لانه نكح على قصد الفراق والنكاح شرع للدوام وصار كالتيس المستعار والتيس هو الذكر من الغنم وقد يستعيره الناس لاستيلاد الغنم واللعن على المحلل له لانه صار سببا لمثل هذا النكاح والمتسبب شريك المباشر فى الاثم والثواب او المراد من اللعن اظهار خساستهما اما خساسة المحلل فلمباشرته مثل هذا النكاح بدليل قوله عليه السلام الا انبئكم بالتيس المستعار واما خساسة المحلل له فلمباشرة ما ينفر عنه الطبع السليم من عودها اليه بعد مضاجعة غيره اياها واستمتاعه بها لا حقيقة اللعن اذ هو لا يليق بمنصب الرسالة فى حق الامة لانه عليه الصلاة والسلام لم يبعث لعانا والاشارة فى الآية ان اهل الصحبة لما تجاوزوا عن زلة الاخوان مرة ومرتين ثم فى الثالثة ان سلكوا طريق الهجران وخرجوا عن مصاحبة الاخوان فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب الخائن صديقا مثله فان ندم بعد ذلك على افعاله وسئم من ذلك الصديق وامثاله وترك صحبته وخرج عن خصاله ورجع الى صحبة اخوانه واشكاله فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما شرائط العبودية والصحبة فى الله وتلك طرق قربات الله والسائرين الى الله يبينها بالتصريح والتعريض والعبارات والاشارات لقوم يعلمون المعاريض و يفهمون الاشارات كذا فى التأويلات النجمية قال احمد بن حضرويه الطريق واضح والدليل لائح والداعى قد اسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى (قال الحافظ) وصل خورشيد بشبپرهٔ اعمى نرسد * كه درين آينه صاحب نظران حيرانند (واذا طلقتم النساء) اى نساءكم (فبلغن اجلهن) اى آخر عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها بالمعروف نزلت فى رجل من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها بقصد مضارتها (فامسكوهن بمعروف) اى راجعوهن من غير طلب اضرار لهن بالرجعة والمعروف ما ألفته العقول واستحسنته النفوس شرعا وعرفا وعادة والمراد به هنا حسن المعاشرة (او سرحوهن بمعروف) او خلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل (ولا تمسكوهن ضرارا) اى ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن بتطويل العدة والحبس على ان يكون انتصاب ضرارا على العلة او مضارين على الحال فان قلت لا فرق بين قوله امسكوهن بمعروف وبين قوله لا تمسكوهن ضرارا لان الامر بالشئ نهى عن ضده فما الفائدة فى التكرار قلت ان الامر لا يفيد التكرار ولا يدل على كون امتثال المأمور به مطلوبا فى كل الاوقات فدل لا تمسكوهن على المبالغة فى التوصية بالامساك بالمعروف لدلالته على ان الامساك المذكور مطلوب منه فى جميع الاوقات (لتعتدوا) متعلق بضرارا اذ المراد تقييده اى لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء (ومن يفعل ذلك) اى ما ذكر من الامساك المؤدى الى الظلم (فقد ظلم نفسه) فى ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب (ولا تتخذوا آيات الله) المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهى داخلة فيها دخولا اوليا (هزوا) اى مهزوأ بها بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها والنهى كناية عن الامر بضده لان المخاطبين مؤمنون ليس من شأنهم الهزؤ بآيات الله اى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها (قال الحكيم السنائى) دانشت هست وكاربستن كو * خنجرت هست وصف شكستن كو * ولما رغبهم فى رعاية التكاليف والعمل بها بالتهديد على التهاون بها أكد ذلك الامر بذكر نعم الله عليهم بان يشكروها ويقوموا بحقوقها فقال (واذكروا نعمة الله) كائنة (عليكم) حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اى قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها وقيل واذكروا انعام الله عليكم بان خلقكم رجالا وجعل لكم ازواجا تسكنون اليها و جعل النكاح والطلاق والرجعة بايديكم ولم يضيق عليكم كما ضيق على الاولين حين احل لهم امرأة واحدة ولم يجوز لهم بعد موت المرأة نكاح اخرى (وما انزل عليكم) عطف على نعمة الله اى وما انزله

الله عليكم (من الكتاب والحكمة) اى القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما (يعظكم به) اى بما انزل عليكم حال من فاعل انزل وهو ضمير أنزل اى اذكروا نعمة الله وما انزله عليكم واعظا به لكم ومخوفا (واتقوا الله) فى شأن المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة (واعلموا ان الله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه شئ مما تأتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العذاب والاشارة فى الآية ان الاذية والمضارة ليست من الاسلام ولا من آثار الايمان ولا من شعار المسلمين عموما كما قال عليه السلام المؤمن من أمنه الناس وقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ويتضمن حسن المعاشرة مع الخلق جميعا فاما الزوجان ففيهما خصوصية بالامر بحسن المعاشرة معهن وترك اذيتهن والمغايظة معهن على وجه اللجاج فاما تخلية سبيل من غير جفاء او قيام بحق الصحبة على شرائط الوفاء بلا اعتداء ومن يفعل ذلك اى من الاذية والمضارة والاعتداء بالجفاء فقد ظلم نفسه لان الله تعالى يجازى الظالم والمظلوم يوم القيامة بان يكافئ المظلوم من حسنات الظالم ويجازى الظالم من سيئات المظلوم والظالم اذا اساء الى غيره صارت نفسه مسيئة واذا احسن صارت نفسه محسنة فترجع اساءة الظالم الى نفسه لا الى نفس غيره حقيقة فانه ظلم نفسه لا غيره ولهذا قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها (قال السعدى) مكن تا توانى دل خلق ريش * وكر ميكنى ميكنى بيخ خويش * ولا تتخذوا آيات الله هزوا اى بتلاوة ظاهرها من غير تدبر معانيها وتفهم اشاراتها وتحقق اسرارها وتتبع حقائقها والتنور بأنوارها والاتعاظ بمواعظها وحكمها يقال ان الوعظ كالشاهين فانما يقع على الحى لا على الميت فمن مات قلبه ونعوذ بالله من ذلك لم يتأثر بالمواعظ قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتم اليوم على بينة من ربكم يعنى على بيان قد بين لكم طريقكم مالم تظهر فيكم السكرتان سكرة العيش وسكرة الجهل (روى) انه ضلت راحلة الحسن البصرى فى طريق الحج فلقيه صبى فسأله فعرفها فلما وجد الراحلة سأله الصبى يا شيخ ما تأكل وما تلبس قال آكل خبز الشعير وألبس الصوف لأكسر شهوتى بهما قال الصبى كل ما شئت والبس كذلك بعد أن يكونا حلالين قال وأين تبيت قال فى الخص وهو بيت من القصب قال لا تظلم وبت حيث شئت فقال الحسن لولا صبائك لكسبت منك ما تكلمت به فتبسم الصبى وقال اراك غافلا اخبرتك بالدنيا فقبلت واخبرك بالدين فتأنف من كلامى ارجع الى منزلك فلا حج لك (قال السعدى) مرد بايد كه كيرد اندر كوش * ورنوشته است پند بر ديوار *

(واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) اى استوفين عدتهن فالبلوغ هنا عبارة عن حقيقة الانتهاء لان المذكور بعده النكاح ولا يكون ذلك الا بعد انقضاء العدة (فلا تعضلوهن) العضل المنع والحبس والتضييق والمخاطب بالخطاب الاول هو الازواج وبالثانى هو الاولياء لما روى ان الآية نزلت فى معقل بن يسار حين منع اخته جميلة أن ترجع الى زوجها الاول البداح عبيد الله بن عاصم فانه جاء يخطبها بعد انقضاء العدة وارادت المرأة الرجوع فلما سمع معقل الآية قال ارغم انفى وازوج اختى واطيع ربى فالمعنى اذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء وهذا وان كان مما لا يخفى ركاكته الا ان جملة الخلائق من حيث حضورهم فى علمه تعالى لما كانت بمثابة جماعة واحدة صح توجيه احد الخطابين الواقعين فى كلام واحد الى بعض وتوجيه الخطاب الآخر الى البعض الآخر ولعل التعريض لبلوغ الاجل مع جواز تزوج الاول قبله ايضا لدفع العضل المذكور وحينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لا احتيج الى نهى الاولياء عن العضل لما ان النهى لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة وقيل الخطابان للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن من شئن من الازواج ظلما وقسرا واتباعا لحمية الجاهلية (ان ينكحن) اى لا تمنعوهن من ان يتزوجن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن (ازواجهن) ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فباعتبار الاخير على معنى ان ينكحن انفسهن ممن شئن ان يكونوا ازواجا لهن (اذا تراضوا) اى الخطاب والنساء ظرف لقوله ان ينكحن اى ان ينكحن وقت التراضى (بينهم) ظرف للتراضى مفيد لرسوخه واستحكامه (بالمعروف) حال من فاعل تراضوا اى اذا تراضوا ملتبسين بالمعروف من العقد الصحيح والمهر الجائز والتزام حسن المعاشرة وشهود عدول والمعروف ما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة وفيه اشعار بأن المنع من التزوج بغير كفؤ وبما دون مهر المثل ليس من باب العضل (ذلك) اشارة الى ما مضى ذكره اى الامر الذى تلى عليكم من ترك العضل ايها الاولياء

اوالازواج وتوحيد كاف الخطاب مع كون المخاطب جمعا اما على تأويل القبيل اوكل واحد أولكون الكاف لمجرد توجيه الكلام الى الحاضر مع قطع النظر عن كونه واحدا اوجمعا (يوعظ به) اى ينهى ويؤمر به (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) لانه المتعظ به والمنتفع (ذلكم) اى الاتعاظ به والعمل بمقتضاه (ازكى لكم) انمى لكم وانفع من زكا الزرع اذا نما فيكون اشارة الى استحقاق الثواب (واطهر) من ادناس الآثام واوضار الذنوب والمفضل عليه محذوف للعلم اى من العضل (والله يعلم) ما فيه من النفع والصلاح والتفصيل (وانتم لا تعلمون) لقصور علمكم فان المكلف وان كان يعلم وجه الصلاح فى هذه التكاليف على سبيل الاجمال الا ان التفصيل غير معلوم له واما الله تعالى فانه العالم بتفاصيل الحكم فى كل ما امر به ونهى عنه وبينه لعباده * بر وعلم يك ذره پوشيده نيست * كه پنهان و پيدا بنزدش يكيست * فدعوا رأيكم وامتثلوا امره تعالى ونهيه فى كل ما تأتون وما تذرون وذلك كما ان الوالد يحمى ولده عن بعض الاطعمة صونا له عن انحراف مزاجه فذلك محض اصلاح له لما انه يعلم ما لا يعلمه فقد وعظنا الله تعالى فى الكتاب بكل ما هو خير وصواب ونهانا عن كل ما يؤدى الى هلاك وتباب ولكن سماع النصيحة لا يتيسر الا لاولى الالباب كما قال الامام الغزالى قدس سره العالى النصيحة سهل والمشكل قبولها لانها فى مذاق متبع الهوى مر اذ المناهى محبوبة فى قلوبهم فالواعظ انما ينفع المؤمن الحقيقى وهو ما وصفه الله فى كتابه فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه السعيد من وعظ بغيره ومثالكم فى استماعكم ما قيل ان رجلا اصطاد طيرا فقال له لا تذبحنى فأى فائدة لك بل خلنى واعلمك ثلاث حكم تنفعك كلها الاولى لا تترك الفائدة المعلومة بالمظنونة والثانية لا تصدق الشئ المستحيل والثالثة لا تمدن يدك الى ما لم تبلغه فلما خلاه وطار قال ان فى حوصلتى جوهرة كبيرة لو استخرجتها لافتزت فأخذ يدنو منه والطير يتباعد عنه فقال يا احمق ما اسرع ما نسيت الحكم تركت الفائدة المعلومة بالمظنونة حيث خليتنى والآن تمد يدك الى ما لم تنل وصدقتنى فى المستحيل فان حوصلتى لا تسع الاحبة اوحبتين فكيف يحتمل فيها الجوهرة الكبيرة فكذلك انتم فى استماعكم (روى) ان شقيق البلخى قدس سره كان تاجرا فى اول امره يتجر فى بلاد النصارى فقال له امير النصارى فى اى مدة تجئ وتذهب فقال اجئ فى ثلاثة اشهر وأشترى السلع فى ثلاثة واذهب فى ثلاثة وابيع السلع فى ثلاثة فقال الملك فهذه الشهور السنة فاتعبد ربك فتأثر قلبه من هذا الكلام فقام عن التجارة واشتغل بالعبادة فان كان التوفيق رفيق عبد لا يزال يقطع المسافات وان مسه الآفات الى ان يصل الى المقصود واذا وكل الى نفسه لا يفيده ملام ولا يؤثر فيه كلام ومن النصائح التى نصح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم امته قوله عليه الصلاة والسلام علامة اعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه وان امرأ ذهبت ساعة من عمره فى غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته ومن جاوز الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار وفى هذه النصيحة كفاية لاهل العلم (قال السعدى) بگوى آنچه دانى سخن سودمند * وگر هيچ كس را نيايد پسند * كه فردا پشيمان برآرد خروش * كه آوخ چرا حق نكردم بگوش * اللهم اجعلنا من المتعظين بمواعظ كلك (والوالدات) اى جميع الوالدات مطلقات كن اومزوجات لان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه (يرضعن) خبر فى معنى الامر اى ليرضعن والرضع مص الثدى للبن (اولادهن) جمع ولد وهو المولود ذكرا كان او انثى ومعنى الامر الندب ووجه الندب ان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من سائر الالبان وان شفقة الام اتم من شفقة غيرها ثم ان حكم الندب انما هو على تقدير ان لا يضطر الولد الى لبن امه اما اذا بلغ حالة الاضطرار بان لا يوجد غير الام اولا يرضع الطفل الا منها او عجز الوالد عن الاستئجار فحينئذ يجب عليها الارضاع عند ذلك كما يجب على كل احد مواساة المضطر فى الطعام واعلم ان حق الارضاع لهن الى ان يتزوجن بغير آباء الاولاد ان كانت مطلقات لانهن يشتغلن بخدمة الازواج فلا يتفرغن لحضانتهم على الوجه الاليق ولان الربيب يتضرر بالراب فانه ينظر اليه شزرا وينفق عليه نزرا (حولين) سنتين اصله من حال الشئ يحول اذا انقلب والحول منقلب من الوقت الاول الى الثانى (كاملين) تامين أكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه فيقال اقمت عند فلان حولين بمكان كذا وانما اقام فيه حولا وبعض الحول (لمن اراد ان يتم الرضاعة) بيان للذى توجه اليه حكم الارضاع كأنه قيل هذا الحكم لمن فقيل لمن اراد ان يتم الرضاعة ومن يحتمل ان يراد بها الوالدات فقط اوهن والآباء معا واعلم ان مدة الرضاع عند ابى حنيفة

حولان ونصف وعندهما حولان فقط استدلالا بهذه الآية ولا يباح الارضاع بعد هذا الوقت المخصوص على الخلاف لان اباحته ضرورية لانه جزء الآدمي فيتقدر بقدر الضرورة وقال ابو حنيفة هذه الآية محمولة على مدة استحقاق الاجرة فان الاجماع على ان مدة الرضاع في استحقاق اجر الرضاع على الاب مقدرة بحولين حتى ان الاب لا يجبر على اعطاء اجرة بعد الحولين قال تعالى فان ارادا فصالا عن تراض الآية ولو حرم الرضاع بعد الحولين لم يكن لقوله عن تراض منهما وتشاور فائدة فالرضاع الذي يثبت به الحرمة هو ما يكون في ثلاثين شهرا عنده ولا يحرم ما يكون بعدها وعندهما هو ما يكون في الحولين ولا يحرم ما يكون بعد الحولين وهو مذهب الشافعي ايضا ثم ان اتمام الحولين غير مشروط عند ابي حنيفة للآية اي لان في قوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة دلالة على جواز النقص ولو ارادت التكميل لها مطالبة النفقة واذا نقصت من غير اضرار لا تجبر على الكمال يعني اذا فطم قبل مضي العدة واستغنى بالطعام لم تكن رضاعا وان لم يستغن يثبت به الحرمة وهو رواية عن ابي حنيفة وعليه الفتوى ذكره الزيلعي ثم انه تعالى كما وصى الام برعاية جانب الطفل في قوله والوالدات الخ وصى الاب برعاية جانب الام حتى تتقوى على رعاية مصلحة الطفل فأمره بأن يرزقها ويكسوها بالمعروف سواء كان ذلك المعروف محدودا بشرط وعقد ام لا وقد يكون غير محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها من طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة فقال (وعلى المولود له) اي وعلى الذي يولد له وهو الوالد وانما لم يقل على الوالد ليعلم ان الاولاد للآباء لان الزوجة انما تلد الولد للزوج ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات (روى) ان المأمون بن الرشيد لما طلب الخلافة عابه هشام بن علي فقال بلغني انك تريد الخلافة وكيف تصلح لها وانت ابن أمة فقال كان اسماعيل عليه السلام ابن امة واسحق ابن حرة فاخرج الله من صلب اسماعيل خير ولد آدم صلى الله عليه وسلم وانشد

لا تزرين بفتى من ان يكون له * ام من الروم اوسوداء دعجاء

فانما امهات الناس اوعية * مستودعات وللابناء آباء

مكن زنهار اصل عود چو بست * به بين دود ش چه مستثنى وخوبست (رزقهن وكسوتهن) اي رزق الامهات اذا ارضعن اولادهم ولباسهن وكذا اجر الرضاع للاظئار لانهن يحتجن الى ما يقمن به ابدانهن لان الولد انما يغتذي باللبن وانما يحصل لها ذلك بالاغتذاء وتحتاج هي الى التستر فكان هذا من الحوائج الضرورية (بالمعروف) حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه فان قيل اذا كانت الزوجية باقية فهي مستحقة للنفقة والكسوة بسبب النكاح سواء ارضعت الولد أو لم ترضعه فما وجه تعلق هذا الاستحقاق بالارضاع قلنا النفقة والكسوة تجبان في مقابلة التمكين فاذا اشتغلت بالحضانة والارضاع لم تتفرغ لخدمة الزوج فربما يتوهم متوهم ان نفقتها وكسوتها تسقطان بالخلل الواقع في خدمة الزوج فقطع الله ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت المرأة بالارضاع هذا ما قال الواحدي في البسيط (لا تكلف نفس الا وسعها) التكليف الالزام ومعنى تكلف الامر اظهار اثره وقوله وسعها مفعول ثان لان كلف يتعدى الى اثنين كأنه قيل لم تجب مؤونة الامهات على انفسهن ولم قيدت تلك المؤن بكونها بالمعروف فاجيب بأنهن غير قادرات على الكسب لضعف بنيتهن واحتباسهن لمنفعة الازواج فلو أوجب مؤنهن على انفسهن لزم تكليف العاجز وكذا لو أوجب تلك المؤن على الازواج على خلاف المعروف (لا تضار والدة بولدها) نهي اصله لا تضارر بكسر الراء الاولى فتكون المرأة هي الفاعلة او بفتح الراء الاولى فتكون المرأة هي المفعول بها الضرار وعلى الاول يكون المعنى لا تفعل المرأة الضرار بالاب بولدها اي بسبب ايصال الضرر الى الولد وذلك بأن تمنع المرأة من ارضاعه مع ان الاب يوسع عليها في النفقة والكسوة فتلقي الولد عليه (ولا مولود له بولده) اي لا يفعل الاب الضرار بالام بان ينزع الولد منها مع رغبتها في امساكه وشدة محبتها له وعلى الوجه الثاني لا يفعل الاب الضرار بالام بان ينزع الولد منها ولا مولود له بولده اي ولا تفعل الام الضرار بالاب بان تلقي الولد عليه والمعنيان يرجعان الى شيء واحد وهو أن يغيظ احدهما صاحبه بسبب الولد واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه لانه ليس بأجنبي من كل واحد منهما فالحق ان يشفق عليه كل منهما وللتنبيه على انه جدير بأن يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه (وعلى الوارث) وهو الذي لو مات الصبي ورثه اي وارث الصبي عند عدم الاب ممن كان ذا رحم محرم منه بحيث لا يجوز النكاح على تقدير ان يكون احدهما ذكرا والآخر انثى لا كل وارث سواء كان ذا رحم محرم منه اولم يكن وسواء كان من الرجال او النساء

(مثل ذلك) اى مثل ماوجب على الاب من الرزق والكسوة واجر الرضاع ونفقة المحارم تجب عندنا بهذه الآية (فان ارادا) اى الوالدان (فصالا) وهو الفطام سمى فصالا لانه انما يكون بفصل الطفل عن الاغتذاء بلبن امه الى غيره من الاقوات اى فطاما للصغير عن الرضاع قبل تمام الحولين صادرا (عن تراض منهما) اى من الوالدين لامن احدهما فقط لاحتمال اقدامه على مايضر بالولد بأن تمل المرأة الارضاع و يبخل الاب باعطاء الاجرة وربما يضر الفطام بجسمه بقطع غذائه قبل وقت فصاله (وتشاور) فى شأن الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهى استخراج الرأى من المستشار وانما اعتبر اتفاق الوالدين لما فى الاب من الولاية وفى الام من الشفقة وهى اعلم بحال الصبى (فلا جناح عليهما) فى ذلك ولا حرج لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما فى ان صلاح الولد فى الفطام وقلما يتفقان على الخطأ فالحاصل سواء زادا على الحولين الى ثلاثين شهرا اونقصا فلا جناح عليهما فى ذلك بعد استقرار رأيهما الى ماهو خير للصبى (وان اردتم) ايها الآباء (ان تسترضعوا) المراضع (اولادكم) فالمفعول الاول محذوف واسترضع يتعدى الى اثنين بنفسه يقال رضع الولد امه وارضعت المرأة ولدها واسترضعتها الولد وقيل يتعدى الى الثانى بحرف الجر والتقدير لاولادكم اى اذا طلبتم ان تأخذوا اظئر الارضاع اولادكم (فلا جناح عليكم) اى لااثم عليكم فى الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد و يمنع الام من الارضاع (اذا سلمتم) اى الى المراضع (ما آتيتم) اى مااردتم ايتاءه كما فى قوله تعالى فاذا قرأت القرءآن فاستعذ بالله (بالمعروف) متعلق بسلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ماهو الاليق والاولى فان المراضع اذا اعطين ماقدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل فى اصلاح شؤون الاطفال وقيل المراد من المعروف ان يكون الاجر من الحلال لان المرضع اذا اكلت الحلال كان اللبن انفع للصبى واقرب الى صلاحه قالوا العادة جارية ان من ارتضع امرأة فالغالب عليه اخلاقها من خير وشر ولذا قيل انه ترضعه امرأة صالحة كريمة الاصل فان ابن المرأة الحمقاء يسرى واثر حمقها يظهر يوما ما وفى الحديث الرضاع يغير الطباع ومن ثمة لما دخل الشيخ ابن محمد الجوينى بيته ووجد ابنه الامام ابا المعالى يرتضع ثدى غير امه اختطفه منها ثم نكس رأسه ومسح بطنه وادخل اصبعه فى فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى خرج ذلك اللبن قائلا يسهل على موته ولا تفسد طباعه بشرب لبن غير امه ثم لما كبر الامام كان اذا حصلت له كبوة فى المناظرة يقول هذه من بقايا تلك الرضعة (واتقوا الله) فى شأن مراعاة الاحكام المذكورة فى امر الاطفال والمراضع (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) فيجازيكم بذلك وفيه من الوعيد والتهديد مالا يخفى (قال الحسين الكاشفى) كر برهنه برون آيى * زود در تهمت جنون آيى * جامهٔ ظاهرى كه نيست بير * تو فضيحت شوى ميان بشر * فكر آن كن كه بى لباس ورع * چه كنى در مقام هول وفزع * خويشتن در لباس تقوى دار * تا شوى در دو كون برخوردار * والآية مشتملة على تمهيد قواعد الصحبة وتعظيم محاسن الاخلاق فى احكام العشرة بل انها اشتملت على شيوع الرحمة والشفقة على البرية فان من لا يرحم لا يرحم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن ذكر انه لم يقبل اولاده ان الله لا ينزع الرحمة الا من قلب شقى وفى الحديث حب الاولاد ستر من النار وكرامتهم جواز على الصراط والاكل معهم براءة من النار وفى الحديث اربع نفقات لا يحسب العبد بهن يوم القيامة نفقة على ابويه ونفقة على افطاره ونفقة على سحوره ونفقة على عياله واللطف والمرحمة ممدوح جدا عموما وخصوصا وفى الحديث ان امرأة بغيا رأت كلبا فى يوم حار يطيف ببئر قد ادلع لسانه من العطش فنزعت له فغفر لها قال البخارى فنزعت خفها فأوثقته اى احكمته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك والحديث يدل على غفران الكبيرة من غير توبة وهو مذهب اهل السنة وعلى ان من أطعم محتاجا الى الغذاء يستحق المثوبة والجزاء فعلى العاقل العمل بالكتاب والسنة (والذين يتوفون منكم) اى يموتون ويقبض ارواحهم بالموت وقرئ بفتح الياء اى يستوفون آجالهم واعمارهم واصل التوفى اخذ الشئ وافيا كاملا يقال توفى الشئ واستوفاه فمن مات فقد اخذ عمره وافيا كاملا واستوفاه (ويذرون ازواجا) اى يتركون نساء من بعدهم وهو جمع زوج والمنكوحة تسمى زوجا وزوجة والتذكير اغلب قال تعالى اسكن انت وزوجك الجنة ويجمع ازواجا على لغة التذكير وزوجات على لغة التأنيث (يتربصن بانفسهن) الباء للتعدية اى يجعلنها متربصة منتظرة بعد

موتهم لئلا يبقى المبتدأ بلا عائد (اربعة اشهر وعشرا) اى فى تلك المدة فلا يتزوجن الى انقضاء العدة قوله عشرا اى عشرة ايام وتأنيث العشر باعتبار الليالى لان التاريخ عند العرب بالليلة بناء على انها اول الشهر واليوم تبع لها ولعل الحكمة فى تقدير عدة الوفاة بأربعة اشهر وعشر أن الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كان انثى يتحرك لأربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اى استعانة بتلك الزيادة على العلم بفراغ الرحم اذ ربما تضعف الحركة فى المبادى فلا يحس بها وكانت عدة الوفاة فى اول الاسلام سنة فنسخت بهذه الا الحوامل فان عدتها بوضع الحمل قال تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن والا الاماء فان عدة المتوفى عنها زوجها اذا كانت امة شهران وخمسة ايام نصف عدة الحرة باجماع السلف وقوله تعالى والذين يتوفون منكم خطاب مع المؤمنين فدل على ان الخطاب بهذه الفروع مختص بالمؤمنين فقط فلا وجه لايجاب العدة المذكورة على الكتابية (فاذا بلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) الخطاب للحكام وصلحاء المسلمين لانهن ان تزوجن فى مدة العدة وجب على كل واحد منعهن عن ذلك ان قدر عليه وان عجز وجب عليه ان يستعين بالسلطان (فيما فعلن فى انفسهن) من التزين والتعرض للخطاب وسائر ماحرم على المعتدة (بالمعروف) حال من فاعل فعلن اى فعلن ملتبسات بالوجه الذى لا ينكره الشرع (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم عليه فلا تعملوا خلاف ما امرتم به * هركه عاصى شود بامر خدا * بيخ اورا بكند قهر خدا * واعلم ان المراد بالتربص هنا الامتناع عن النكاح والامتناع عن الخروج من المنزل الذى توفى عنها زوجها فيه والامتناع عن التزين وهذا اللفظ كالمجمل لانه ليس فيه بيان انها تتربص فى اى شئ الا انا نقول الامتناع عن النكاح مجمع عليه واما الامتناع عن الخروج من المنزل فواجب الا عند الضرورة والحاجة واما ترك التزين فهو واجب لما روى عن عائشة وحفصة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوجها اربعة اشهر وعشرا وانما وجب الحداد لانه لما حرم عليها النكاح فى العدة امرت بتجنب الزينة حتى لا تكون بصفة الملتمسة للازواج ولاظهار التأسف على فوت نعمة النكاح الذى كان سبب مؤونتها وكفايتها من النفقة والسكنى وغير ذلك والحداد على الميت ثلاثة ايام وتمس المرأة الطيب فى الثالث لئلا يزيد الحداد على ثلاثة ايام فانها لو مسته فى الرابع لازداد الحداد من اليوم الرابع وهو حرام ومن السنة ان يتوقى رسوم الجاهلية من شق الجيوب وضرب الخدود وحلق الشعر كما كان عادة العرب وكذا قطعه كما كان عادة العجم وكذا رفع الصوت بالبكاء والنوح وقد برئ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ممن يفعل شيأ من ذلك لانها عادات الجاهلية واكثر اهالى هذا الزمان فى اكثر البلدان مبتلون بأمثال هذه العادات لاسيما النساء فانهن يلبسن الالبسة السود الى ان تمضى ايام بل شهور كثيرة وربما ترى رجلا لا يلبس لباس الجمع والاعياد فلو سئل فيه لاجاب بقوله مات ابى اوامى اوغيرهما وذلك بعد ما مضى من زمان الوفاة شهور وكذا الرافضة قد تغالت فى الحزن لمصيبة الحسين رضى الله عنه واحدثت عليها حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتما لقتله رضى الله عنه فيقيمون فى مثل هذا اليوم العزاء ويطيلون النوح والبكاء ويظهرون الحزن والكآبة ويفعلون فعل غير اهل الاصابة ويتعدون الى سب بعض الصحابة وهذا عمل اهل الضلال المستوجبين من الله الخزى والنكال كأنهم لم يسمعوا ما ورد فى النهى عن الحداد ومن الله الرشاد والاشارة فى الآية ان موت المسلم لم يكن فراقا اختياريا للزوج فكانت مدة وفاته اطول فكذا العبد الطالب فان حال الموت بينه وبين مطلوبه من غير اختياره فالوفاء بحصول مطلوبه فى مدة كرم محبوبه كما قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ففى هذا تسلية قلوب المؤمنين لئلا يقطع عليهم طريق الطلب وساوس الشيطان وهو جس النفس بان طلب الحق امر عظيم وشأن خطير وانت ضعيف والعمر قصير فان منادى الكرم من سرادقات الفضل ينادى الا من طلبنى وجدنى فان الطلاب فى طلبى كذا فى التأويلات النجمية قدس الله تعالى نفسه الزاكية القدسية المرضية (ولا جناح عليكم) علم الله تعالى ان المرأة اذا مات زوجها قد يكون لها مال او جمال او معنى يرغب الناس فيها فأطلق للراغب ان يعرض بالخطبة فى العدة فقال تعالى ولا جناح عليكم (فيما عرضتم به) التعريض افهام المعنى بالشئ المحتمل له ولغيره (من خطبة النساء) الخطبة بالكسر التماس النكاح وبالضم الكلام المشتمل على الوعظ

والزجر من الخطاب الذى هو الكلام يقال خطب المرأة اى خاطبها فى امر النكاح والمراد بالنساء المعتدات
للوفاة واما النساء اللاتى لا تكون منكوحة الغير ولا معتدة من طلاق رجعى فان خطبتهن جائزة تصريحا
وتعريضا الا ان يخطبها رجل فيجاب بالرضى صريحا فههنا لا يجوز لغيره ان يخطبها لقوله عليه السلام لا يخطبن
احدكم على خطبة اخيه وان اجيب بالرد صريحا فههنا يحل لغيره ان يخطبها وان لم يوجد صريح الاجابة
ولا صريح الرد ففيه خلاف والتى هى معتدة عن الطلاق الثلاث والبائن باللعان والرضاع ففى جواز التعريض
بخطبتها خلاف واما البائن التى يحل لزوجها نكاحها فى عدتها كالمختلعة والتى انفسخ نكاحها بعيب او عنة
او اعسار نفقة فههنا يجوز لزوجها التعريض والتصريح واما غير الزوج فلا يحل له التصريح والتعريض
لانها معتدة يحل للزوج ان يستبيحها فى عدتها فلا يحل له التعريض بخطبتها كالرجعية ثم التعريض بالخطبة
ان يقول لها فى العدة انك لجميلة صالحة ومن غرضى ان اتزوج او اشتهى امرأة مثلك او انا محتاج الى امرأة صفتها
كذا او يقول انى حسن الخلق كثير الانفاق جميل العشرة محسن الى النساء فيصف نفسه لترغب فيه او يقول
رب راغب فيك وحريص عليك ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه
ولا يصرح بالنكاح بان يقول انى اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك او غير ذلك فانه كما لا يجوز ان ينكحها
فى عدتها لا يجوز له أن يخطبها صريحا فيها (او اكننتم فى انفسكم) مفعول اكننتم محذوف وهو الضمير الراجع
الى ما الموصولة فى قوله فيما عرضتم اى او اكننتموه فى انفسكم اى اضمرتم فى قلوبكم من نكاحهن فلم تذكروه
صريحا ولا تعريضا الآية الاولى لاباحة التعريض فى الحال وتحريم التصريح فى الحال وهذه الآية اباحة
لان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء زمان العدة ثم انه تعالى ذكر الوجه الذى لاجله اباح
ذلك فقال (علم الله انكم ستذكرونهن) لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فالمقصود بيان وجه اباحة
الخطبة بطريق التعريض (ولكن لا تواعدوهن سرا) نصب على انه مفعول ثان لتواعدوهن وهو استدراك
على محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن واظهروا لهن رغبتكم ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا
بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذى هو الوطئ مما يسر به (الا ان تقولوا
قولا معروفا) استثناء مفرغ مما يدل عليه النهى اى لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا
وهى ما تكون بطريق التعريض والتلويح (ولا تعزموا) العزم عبارة عن عقد القلب على فعل من الافعال
يتعدى بنفسه وبعلى قال الراغب ودواعى الانسان الى الفعل على مراتب السانح ثم الخاطر ثم التفكر فيه ثم الارادة
ثم الهمة ثم العزم فالهمة اجماع من النفس على الامر والعزم هو العقد على امضائه (عقدة النكاح)
اى لا تعزموا عقد عقدة النكاح لان العزم عبارة عن عقد القلب على فعل فلا يتعلق الا بالفعل والاضافة
فى قوله عقدة النكاح بيانية فلا تكون العقدة بمعنى ربط المكلف اجزاء التصرف بل المراد به الحاصل بالمصدر
وهو الارتباط الشرعى الحاصل بعقد العاقدين والمقصود النهى عن تزوج المعتدة فى زمان عدتها الا انه نهى عن
العزم على عقد النكاح للمبالغة فى النهى عن النكاح فى زمان العدة فان العزم على الشئ متقدم عليه والنهى
عن مقدمات الشئ يستلزم النهى عن ذلك الشئ بطريق الاولى (حتى يبلغ الكتاب اجله) الكتاب بمعنى المكتوب
وهو المفروض والمعنى حتى تبلغ العدة المفروضة آخرها (واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم) من العزم على
ما لا يجوز (فاحذروه) بالاجتناب عن العزم ابتداء واقلاعا عنه بعد تحققه (واعلموا ان الله غفور) لمن عزم
ولم يفعل خشية من الله تعالى (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم
ليس مما يستتبع المؤاخذة فاجتنبوا اسباب العقوبة واعملوا بما أمركم به ربكم واغتنموا زمان الحياة حتى
لا تتأسفوا كما قال المفرطون المتحسرون * چون توانستم ندانستم چه سود * چون بدانستم توانستم نبود *
وقد وبخ الله تعالى من مال الى شهواته وهوى نفسه فى هذه الآيات من غير ان يكون له رخصة شرعية فلا بد
للعاقل ان يختار رضى الله تعالى على رضى نفسه ولا يكون له مطلب اعلى من مال او امرأة او غيرهما الا الله تعالى
قال عليه الصلاة والسلام من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها
او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فتأمل كيف جعل جزاء كل مؤمل ما امله وثواب كل قاصد ما قصده
واعتبر كيف لم يكرر ذكر الدنيا اشعارا بعدم اعتبارها لخساستها ولان وجودها لعب ولهو فكأنه كلا وجود

وانظر الى قوله عليه السلام فهجرته الى ماهاجر اليه وماتضمن من ابعاد ماسواه تعالى وتدبر هذا الامر اذ ذكر الدنيا والمراة مع انهامنها يشعر بان المراد كل شئ فى الدنيا من شهوة اومال وان المراد بالحديث الخروج عن الدنيا بل وعن كل شئ الله قال ابو سليمان الدارانى قدس سره ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا طلب معاش اوتزوج امرأة اوكتب الحديث واعلم انه ينبغى لطالب الحق ان يحصل من العلوم الشرعية مايفرق به بين الحق والباطل ويشتغل بالعلوم الرسمية والقوانين المتداولة قدر مايقدر على استخراج الحديث والتفسير من غير تعمق فى الفلسفيات وغوامض العلوم فانه زائد على قدر الكفاية منهى عنه على اصول اهل الشريعة والطريقة فهذا اول الامر فى هذا الباب واما امر النهاية وهو مابعد التحصيل والتكميل فان السالك بقدر اشتغاله بالعلوم الظاهرة زاد بعداعن درك الحق لان السلوك يبتنى على التخلى والانقطاع وترك الكلام والاستماع وتفريغ الباطن من العلائق ولو كانت علوما وطرح المشاغل الخارجية والداخلية من البين خصوصا وعموما فقول بعضهم بنفى الاشتغال لاهل السلوك يبتنى على هذا المعنى لا على الترك من الاصل كما زعمه جهلة الصوفية نعوذ بالله من هذا فان العلم مطلقا هو النور وبه يهتدى السالك الى مسالكه واما ارباب النهاية من اهل السلوك فلا يمكن حصر أحوالهم فانهم لايحتجبون لابالكثرة عن الوحدة ولابعكسها اذهم تجاوزوا عن مقام الاغيار بل شاهدوا اينما قلبوا الاحداق الانوار بل حققوا بالحقيقة فلا اغيار عندهم لاحقيقة ولا اعتبارا ولذا حبب الى النبى عليه السلام النساء وذلك لان محبته عليه الصلاة والسلام ليست كما يعرفها الناس بل سرها مستور لايطلع عليه الا من فاز بالوراثة الكبرى يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة انما بسطت الكلام فى هذا المقام لئلا يظن احد ان قوله فيما سبق اوكتب من خرافات الصوفية بل له محمل على ماشرت اليه ومن لم يسلك هذا الطريق لم يعرف قدر خطوات اهل التحقيق والتدقيق (لاجناح عليكم) المراد من الجناح فى هذه الآية وجوب المهر اى لاتبعة من مهر (ان طلقتم النساء مالم تمسوهن) اى غير ماسين لهن ومجامعين قال ابن الشيخ الظاهر ان كلمة مامصدرية ظرفية والزمان محذوف تقديره مدة عدم المسيس (اوتفرضوا لهن فريضة) كلمة او بمعنى الا ان كقولك لألزمنك اوتعطينى حقى اى الا ان تفرضوا لهن عند العقد مهرا والمعنى انه لاتبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا فى تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفى حال عدم تسميته عليه المتعة لانصف مثل المهر واما اذا كان بعد المساس فعليه فى صورة التسمية تمام المسمى وفى صورة عدمها تمام مهر المثل (ومتعوهن) عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن اى اعطوهن مايتبلغن وينتفعن به والحكمة فى ايجاب المتعة جبر لما اوحشها الزوج بالطلاق وهو درع وهو مايستر البدن وملحفة وهو مايستر المرأة عند خروجها من البيت وخمار وهو مايستر الراس على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى (على الموسع) يقال اوسع الرجل اذا اتسع حاله فصار ذاسعة وغنى اى الذى له سعة (قدره) امكانه وطاقته (وعلى المقتر) يقال اقتر الرجل اذا افتقر وصار ذاقترة والقترة الغبار وهو قليل من التراب اى على المقل الضيق الحال (قدره) فالمتعة معتبرة بحاله لابحالها لاتنقص عن خمسة دراهم ولاتزاد على نصف مهر المثل لان المسمى اقوى من مهر المثل والمتعة لاتزاد على نصف المسمى فلان لاتزيد على نصف مهر المثل اولى والقدر والقدر لغتان وذهب جماعة الى ان الساكن مصدر والمتحرك اسم كالعد والعدد والمد والمدد والقدر بالتسكين الوسع يقال هو ينفق على قدره اى على وسعه وبالتحريك المقدار (متاعا) اسم لمصدر الفعل المذكور من قبيل قوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا اى تمتيعا ملتبسا (بالمعروف) اى بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروءة (حقا) صفة متاعا اى متاعا واجبا (على المحسنين) اى الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال قال ابن التمجيد اعلم ان للمطلقة اربع حالات الاولى ان تكون غير ممسوسة ولم يسم لهامهر والثانية ان تكون ممسوسة وسمى لها والثالثة ان تكون ممسوسة ولم يسم لها والرابعة ان تكون غير ممسوسة وسمى لها ورفع الجناح بمعنى نفى المهر انماهو فى الصورة الاولى لافى البواقى من الصور الثلاث فان فيها وجوب المهر ولم يجب فى الصورة الاولى مهر لابعضا ولا كلا اما عدم وجوب البعض فلان مهر المثل لاينصف واما عدم وجوب الكل فلكونها غير مدخول بها ولكن لها المتعة لقوله تعالى ومتعوهن فانه فى حق من جرى ذكرهن وهى المطلقات الغير الممسوسة التى لم يفرض لهن فريضة اذلو فرضت لكان لهن تمام المهر لا المتعة

(وان طلقتموهنّ من قبل ان تمسوهنّ وقد فرضتم لهنّ فريضة) اى وان طلقتموهن من قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن عند النكاح مهرا (فنصف مافرضتم) اى فلهنّ نصف ماسميتم لهنّ من المهر وان مات احدهما قبل الدخول فيجب عليه كله لان الموت كالدخول فى تقرير المسمى كذلك فى ايجاب مهر المثل اذا لم يكن فى العقد مسمى (الاان يعفون) استثناء من اعم الاحوال اى فلهن نصف المفروض معينا فى كل حال الا فى حال عفوهن اى المطلقات فانه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه (اويعفو الذى بيده عقدة النكاح) اى يترك الزوج المالك لعقده وحله مايعود اليه من نصف المهر الذى ساقه اليها كلا على ماهو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة فالمراد بقوله الذى بيده عقدة النكاح الزوج لا الولى والمراد بعفوه ان يعطيها الصداق كاملا النصف الواجب عليه والنصف الساقط العائد اليه بالتنصيف وتسمية الزيادة على الحق عفوا لما كان الغالب عندهم ان يسوق الزوج اليها كل المهر عند التزوج فاذا طلقها قبل الدخول فقد استحق ان يطالبها بنصف ماساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها (وان تعفوا اقرب للتقوى) واللام فى التقوى تدل على علة قرب العفو تقديره العفو اقرب من اجل التقوى اذ الاخذ كانه عوض من غير معوض عنه اوترك المروة عند ذلك ترك للتقوى وفى الحديث كفى بالمرء من الشح ان يقول آخذ حقى لا اترك منه شيأ وفى حديث الاصمعى انى اعرابى قوما فقال لهم هذا فى الحق اوفيما هو خير منه قالوا وما خير من الحق قال التفضل والتغافل افضل من اخذ الحق كله كذا فى المقاصد الحسنة للسخاوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) ليس المراد منه النهى عن النسيان لان ذلك ليس فى الوسع بل المراد منه الترك والمعنى لا تتركوا الفضل والافضال فيما بينكم باعطاء الرجل تمام الصداق وترك المرأة نصيبها حثهما جميعا على الاحسان والافضال وقوله بينكم منصوب بلا تنسوا (قال السعدى) كسى نيك بيند بهردوسراى * كه نيكى رساند بخلق خداى (ان الله بما تعملون بصير) فلا يكاد يضيع ماعملتم من التفضل والاحسان والبصر فى حقه تعالى عبارة عن الوصف الذى به ينكشف كمال نعوت المبصرات وذلك اوضح واجلى مما يفهم من ادراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات والحظ الدينى للعبد من البصر أمران احدهما ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الآيات وعجائب الملكوت والسموات فلا يكون نظره الاعبرة قيل لعيسى عليه السلام هل احد من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكرا فهو مثلى والثانى ان يعلم انه بمرأى من الله ومسمع فلا يستهين بنظره اليه واطلاعه عليه ومن اخفى عن غير الله مالا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله والمراقبة احدى ثمرات الايمان بهذه الصفة فمن قارف معصية وهو يعلم ان الله يراه فما اجسره واخسره ومن ظن انه لا يراه فما اكفره كذا فى شرح الاسماء الحسنى للامام الغزالى ثم الاشارة فى الآيات ان مفارقة الاشكال من الاصدقاء والعيال لمصلحة دنيوية لا جناح عليكم فيها فكيف يكون جناح ان فارقتموهم لمصلحة دينية بل انتم مأمورون بمفارقتهم لزيارة بيت الله فكيف لزيارة الله فان الواجب فى زيارة بيت الله مفارقة الاهالى والاوطان وفى زيارة الله مفارقة الارواح والابدان دع نفسك وتعال قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وقوله تعالى ومتعوهن اشارة الى ان من له من الطلاب واهل الارادة مال فليمتع به اقرباءه واحباءه حين فارقهم فى طلب الحق سبحانه ليزيل عنهم بحلاوة المال مرارة الفراق فان الفطام عن المألوف شديد ولا ينفق المال عليهم بقدر قربهم فى القرابة وبعدهم بل يقسم بينهم على فرآئض الله كالميراث فانه قد مات عنهم بالحقيقة وفى قوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى اشارة الى ان الوصول الى تقوى الله حق تقاته انما هو بترك ماسوى الله والتجاوز عنه فان المواصلة الى الخالق على قدر المفارقة عن المخلوق والتقرب الى الله بقدر التبعد عما سواه وفى قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم ههنا فى الدنيا فان حلول الجنة ودخولها هنالك لا يكون الا من فضله كقوله تعالى الذى احلنا دار المقامة من فضله ان الله بما تعملون فى وجدان الفضل وفقدانه بصير كذا فى التأويلات النجمية وانما يوجب للعبد الالتفات للخلائق فقدان النور الكاشف للخلائق والا فلو أشرق نور اليقين الهادى الى العلم بان الآخرة خير من الدنيا وان ماعند الله خير وابقى لرأيت الآخرة اقرب من ان يرحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا وقد ظهرت كسفة الفناء عليها لان الآتى قطعا كالموجود فى الحال لاسيما ومباديه ظاهرة من تغير الاحوال وانتقال الاهلين والاموال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح قيل يارسول الله وهل له من علامة يعرف بها قال التجافى عن دار الغرور

والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله انتهى اللهم اجعلنا ممن استعد للقائك وتهيأ لنوال وصالك (حافظوا على الصلوات) بالاداء لوقتها والمداومة عليها والمراد بالصلوات المكتوبات الخمس فى كل يوم وليلة ثبت عددها بغيرها من الآيات والاحاديث المتواترة وباشارة فى هذه الآية وهو ذكر الوسطى وهى ما اكتنفه عددان متساويان واقل ذلك خمسة لا يقال ان الثلاث بهذه الصفة لانا نقول الثلاث لا يكتنفها عددان فان الذى قبلها واحد والذى بعدها واحد وهو ليس بعدد فان العدد ما اذا اجتمع طرفاه صارا ضعفه وليس له طرفان فانه ليس قبله شئ (و) حافظوا على (الصلاة الوسطى) اى المتوسطة بينها على ان تكون الوسطى صفة مشبهة او الفضلى منها على ان تكون افعل تفضيل تأنيث الاوسط واوسط الشئ خيره واعدله وهى صلاة العصر لانها بين صلاتى ليل وصلاتى نهار ولقوله عليه الصلاة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله اى ليكن من فوتها حذرا كما يحذر من ذهاب اهله وماله ثم فى حديث يوم الاحزاب حجة على من قال الصلاة الوسطى غير العصر وعلى من قال انها مبهمة ابهمها الله تعالى تحريضا للخلق على محافظتها كساعة الاجابة يوم الجمعة فان قيل ما روت عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام قال حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر يدل على ان الوسطى غير العصر قلت يحتمل ان يكون الوسطى اقيما والعصر اسما فذكرها باسميها كذا فى شرح المشارق لابن الملك (وقوموا لله) اى فى الصلاة (قانتين) حال من فاعل قوموا اى ذاكرين له فى القيام لان القنوت هو الذكر فيه او خاشعين (روى) انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشئ من امور الدنيا الا ناسيا حتى ينصرف (فان خفتم) اى ان كان بكم خوف من عدو او غيره (فرجالا) منصوب على الحال وعامله محذوف تقديره فصلوا راجلين والرجال جمع راجل مثل صحاب وصاحب (او ركبانا) اى راكبين وهو جمع راكب مثل فرسان وفارس ومذهب ابى حنيفة انهم لا يصلون فى حال المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند امكان الوقوف يصلى واقفا والدليل عليه قوله تعالى فان خفتم الآية (فاذا امنتم) وزال خوفكم (فاذكروا الله) اى فصلوا صلاة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها (كما علمكم) اى ذكرا كائنا كتعليمه اياكم (ما لم تكونوا تعلمون) من كيفية الصلاة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلاة المؤداة موافقة لما علمه الله وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله شكرا يوازى تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التى من جملتها كيفية اقامة الصلاة حالتى الخوف والامن واعلم ان الصلاة بمنزلة الضيافة قد هيأها الله للموحدين فى كل يوم خمس مرات فكما فى الضيافة تجتمع الالوان من الاطعمة ولكل طعام لذة ولون فكذلك فيها اركان وافعال مختلفة لكل فعل لذة وتكفير للذنوب وعن كعب الاحبار انه قال قال الله لموسى فى مناجاته يا موسى اربع ركعات يصليها احمد وامته وهى صلاة الظهر اعطيهم فى اول ركعة منها المغفرة وفى الثانية اثقل موازينهم وفى الثالثة اوكل بهم الملائكة يسبحون ويستغفرون لهم لا يبقى ملك فى السماء ولا فى الارض الا ويستغفر لهم ومن استغفرت له الملائكة لم اعذبه ابدا وفى الرابعة افتح لهم ابواب السماء وتنظر اليهم الحور العين يا موسى اربع ركعات يصليها احمد وامته وهى صلاة العصر ما يسألون منى حاجة الا قضيت لهم يا موسى ثلاث ركعات يصليها احمد وامته وهى صلاة المغرب افتح لهم ابواب السماء يا موسى اربع ركعات يصليها احمد وامته وهى صلاة العشاء خير لهم من الدنيا وما فيها ويخرجون من الدنيا كيوم ولدتهم امهاتهم ثم اعلم انه لا يرخص لمن سمع الاذان ترك الجماعة فانها سنة مؤكدة غاية التأكيد بحيث لو تركها اهل ناحية وجب قتالهم بالسلاح لانها من شعائر الاسلام ولو تركها احد منهم بغير عذر شرعى يجب عليه التعزير ولا تقبل شهادته ويأثم الجيران والامام والمؤذن بالسكوت عنه وفى غنية الفتاوى من حضر المسجد الجامع لكثرة جماعة فى الصلاة فمسجد محلته افضل قل اهل مسجده او كثر لان لمسجده حقا عليه لا يعارضه كثرة الجماعة ولا زيادة تقوى غيره او علمه ويبادر الصف الاول على محاذاة الامام وروى عن النبى عليه السلام انه قال يكتب للذى خلف الامام بحذائه مائة صلاة وللذى فى الجانب الايمن خمس وسبعون صلاة وللذى فى الجانب الايسر خمسون صلاة وللذى فى سائر الصفوف خمس وعشرون صلاة كذا فى القنية

ولا يتخطى رقاب الناس الى الصف الاول اذا وجد فيه فرجة و يتلاصقون بحيث يكونون محاذين بالاعناق والمناكب قال عليه السلام رصوا صفوفكم وقاربوا بينها تقارب اشباحكم وحاذوا بالاعناق فوالذى نفسى بيده انى لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الحذف الخلل بفتح الخاء المعجمة الفرجة والحذف بفتحتى الحاء المهملة والذال المعجمة الغنم السود الصغار الحجازية كذا فى التنوير والكلام فى اداء الصلاة بالحضور والتوجه التام (قال بعضهم) محراب ابروى تواكر قبله ام نبود * كى برفلك برند ملائك نمازمن * يحكى ان الشيخ ابا العباس الجوالقى كان فى بداية حاله يعمل الجوالق و يبيع فباع يوما جوالقا بنسيئة ونسى المشترى فلما قام الى الصلاة تفكر فى ذلك ثم لما سلم قال لتلميذه وقعت لى خاطرة فى الصلاة انى الى اى شخص بعت الجوالق الفلانى فقال تلميذه يا استاذ انت فى اداء الصلاة اوفى تحصيل الجوالق فأثر هذا القول فى الشيخ فلبس جوالقا وترك الدنيا واشتغل بالرياضة الى ان وصل الى ماوصل * مردان بسعى ورنج بجايى رسيده اند * تو بى هنر بجارسى ازنفس پرورى * والاشارة ان الله تعالى اشار فى حفظ الصلاة بصيغة المبالغة التى بين الاثنين وقال حافظوا على الصلوات يعنى محافظة الصلاة بينى و بينكم كما قال قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ماسأل فمعناه انى حافظكم بقدرة التوفيق والاجابة والقبول والاثابة عليها فحافظوا انتم على الصلاة بالصدق والاخلاص والحضور والخضوع والمناجاة بالتذلل والانكسار والاستعانة والاستمداد والسكون والوقار والهيبة والتعظيم وحفظ القلوب بدوام الشهود فانما هى الصلاة الوسطى لان القلب الذى فى وسط الانسان هو واسطة بين الروح والجسد ولهذا يسمى القلب فالاشارة فى تخصيص المحافظة على الصلاة هى صلاة القلب بدوام الشهود فان البدن ساعة يحفظ صورة اركان الصلاة وهيئتها وساعة يخرج منها فلا سبيل الى حفظ صورتها بنعت الدوام ولا الى حفظ معانيها بوصف الحضور والشهود وانما هو من شأن القلب كقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اوألقى السمع وهو شهيد وانه من نعت ارباب القلوب انهم فى صلاتهم دائمون كذا فى التأويلات النجمية فليسارع السالكون الى حرم الحضور قبل الموت والقبور فان الصلاة بالفتور غير مقبولة عند الله الغفور ولابد من الاعراض عن الكائنات ليتجلى نور الذات والا فمن يستحضر عمرا و ينادى زيدا فلا اجابة له ابدا (قال الشيخ سعدى الشيرازى قدس سره) انكه چون پسته ديديش همه مغز * پوست بر پوست بود همچو پياز * پارسايان روى در مخلوق * پشت برقبله ميكنند نماز * ومن الله التوفيق (والذين يتوفون منكم) اى يموتون يسمى المشارف الى الوفاة متوفيا تسمية للشئ باسم مايؤول اليه وقرينة المجاز امتناع الوصية بعد الوفاة (ويذرون أزواجا) اى يدعون نساء من بعدهم (وصية لازواجهم) اى يوصون وصية لهن والجملة خبر الذين (متاعا) اى يوصون متاعا (الى الحول) اومتعوهن تمتيعا الى الحول (غير اخراج) بدل من قوله متاعا بدل اشتمال لتحقق الملابسة بين تمتيعهن حولا و بين عدم اخراجهن من بيوتهن كأنه قيل يوصون لازواجهم متاعا اى لايخرجن من مساكنهن حولا اوحال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بأن يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى نزلت الآية فى رجل من الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة وله اولاد ومعه ابواه وامرأته ومات فأنزل الله هذه الآية فاعطى النبى عليه السلام والديه واولاده من ميراثه ولم يعط امرأته شيأ وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان عدة الوفاة فى ابتداء الاسلام حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة فى مال زوجها مالم تخرج ولم يكن لها الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل ان يوصى بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع عند عدم الولد وولد الابن والثمن عند وجودهما وسقطت السكنى ايضا عند ابى حنيفة ونسخ عدة الحول بأربعة اشهر وعشر فانه وان كان متقدما فى التلاوة متأخر فى النزول (فان خرجن) من منزل الازواج باختيارهن (فلا جناح عليكم) ايها الائمة والحكام (فيما فعلن فى انفسهن من معروف) لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركه (والله عزيز) غالب على امره يعاقب من خالفه (حكيم) يراعى فى احكامه

مصالح

مصالح عباده (وللمطلقات) سواء كن مدخولا بهن ام لا (متاع) اى مطلق المتعة الشاملة للمستحبة والواجبة فان كانت المطلقة مفوضة غير مدخول بها وجبت لها المتعة وان كانت غيرها يستحب لها فلفظ التمتع المدلول عليه بمتعوهن فى الآية السالفة يحمل على الواجب فلا منافاة بين الآيتين (بالمعروف) اى متاع ملتبس بالمعروف شرعا وعادة (حقا على المتقين) اى مما ينبغى على من كان متقيا فليس بواجب ولكن من شروط التقوى التبرع بهذا تطييبا لقلبها وازالة للضغن (كذلك) اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة اى مثل ذلك البيان الواضح (يبين الله لكم آياته) الدالة على احكامه التى شرعها لعباده قال القاضى وعد بأنه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا ما فيها فتستعملوا العقل فيها وتعملوا بموجبها (وفى المثنوى) كشتى بى لنكر آمد مرد شر * كه زباد كژ نيابد او حذر * لنكر عقلست عاقل را امان * لنكرى در يوزه كن از عاقلان * والاشارة ان المطلقة لما ابتليت بالفراق جبرا لله تعالى كسر قلبها بالمتعة يشير بهذا الى ان المريد الصادق لو ابتلى فى اوان طلبه بفراق الاعزة والاقرباء وهجران الاحبة والاصدقاء والخروج من مال الدنيا وجاهها والهجرة من الاوطان وسكانها والتنقل فى البلاد لصحبة خواص العباد ومقاساة الشدائد فى طلب الفوائد فالله تعالى يبذل له احسانه ويزيل عنه احزانه ويجبر كسر قلبه بمتعة انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى فيكون للطالب الملهوف متاع بالمعروف من نيل المعروف كذلك يظهر الله لكم آياته اصناف ألطافه واوصاف اعطائه لعلكم تعقلون بأنوار ألطافه كمالات اوصافه كذا فى التأويلات النجمية فالعاقل لا ينظر الى الدنيا واعراضها بل يعبر عن منافعها واغراضها ويقاسى الشدائد فى طريق الحق الى ان يصل الى الذات المطلق (يحكى) عن شقيق البلخى انه لم يجد طعاما ثلاثة ايام وكان مشتغلا بالعبادة فلما ضعف عن العبادة رفع يده الى السماء وقال يارب اطعمنى فلما فرغ من الدعاء التفت فرأى شخصا ينظر اليه فلما التفت اليه سلم عليه وقال يا شيخ تعال معى فقام شقيق وذهب معه فادخله ذلك الرجل فى بيت فرأى فيه ألوانا موضوعة عليها ألوان الاطعمة وعند الخوان غلمان وجوارى فأكل والرجل قائم فلما فرغ اراد أن يخرج شقيق من ذلك البيت فقال له الرجل الى اين يا شيخ فقال الى المسجد فقال ما اسمك قال شقيق فقال يا شقيق اعلم ان هذه الدار دارك والعبيد عبيدك وانا عبدك كنت عبد الابيك بعثنى الى التجارة فرجعت الآن وقد توفى ابوك فالدار وما فيها مالك قال شقيق ان كان العبيد لى فهم احرار لوجه الله وان كانت الاموال لى وهبتها لكم فاقتسموها بينكم فانى لا اريد شيأ يمنعنى عن العبادة (قال السعدى) تعلق حجابست وبى حاصلى * چو پيوندها بگسلى واصلى * والدنيا علاقة خصوصا هذا الزمان زمان الفتنة والشرور فالراقد فيه خير من اليقظان (حكى) ان سليمان عليه السلام اتى بشراب الجنة فقيل له لو شربت هذا لا تموت فنشاور مع حشمه الا القنفذ قالوا بأجمعهم اشرب ثم ارسل الفرس والبازى الى القنفذ يدعوانه فلم يجبهما ثم ارسل اليه الكلب فاجابه فقال له سليمان لم تجب الفرس والبازى قال انهما جافيان لان الفرس يعدو بالعدو كما يعدو بصاحبه والبازى يطيع غير صاحبه كما يطيع صاحبه واما الكلب فانه ذو وفاء حتى انه لو طرده صاحبه من الدار يرجع اليه ثانيا فقال له أشرب هذا الشراب قال لا تشرب لانه يطول عمرك فى السجن فالموت فى العز خير من العيش فى السجن * بهمه حال اسيرى كه زبندى برهد * بهترش دان زاميرى كه گرفتار آيد * فقال له سليمان احسنت وامر باهراقه فى البحر فعذب ماء ذلك البحر (شعر)

تزود من الدنيا فانك راحل * وبادر فان الموت لاشك نازل

وان امرأ قد عاش سبعين حجة * ولم يتزود للمعاد لجاهل

ودنياك ظل فاترك الحرص بعد ما * علمت فان الظل لابد زائل

(قال السعدى) كه اندر نعمتى مغرور غافل * گهى از تنگدستى خسته وريش * چو در سرا وضرا حالت اينست * ندانم كى بحق پردازى از خويش * اللهم احفظنا من الموانع (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) جمع دار اى منازلهم وهذا الخطاب وان كان بحسب الظاهر متوجها الى النبى عليه السلام الا انه من حيث المعنى متوجه الى جميع من سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ فمقتضى الظاهر ان يقال ألم تسمع قصتهم الا انه نزل سماعهم اياها منزلة رؤيتهم تنبيها على ظهورها واشتهارها عندهم خوطبوا

بألم تر وهو تعجيب من حال هؤلاء وتقرير اى حمل على الاقرار بما دخله النفى قال الامام الواحدى ومعنى الرؤية ههنا رؤية القلب وهى بمعنى العلم انتهى فتعدية الرؤية بالى مع انها ادراك قلبى لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى ألم ينته علمك اليهم قال العلماء كل ما وقع فى القرآن ألم تر ولم يعاينه النبى عليه السلام فهو بهذا المعنى وفى التيسير وتحقيقه اعلم ذلك وفى الكواشى معناه الوجوب لان همزة الاستفهام اذا دخلت على النفى او على الاستفهام صار تقريرا او ايجابا والمعنى قد علمت خبر الذين خرجوا الآية قال ابن التمجيد فى حواشيه لفظ ألم تر قد يخاطب به من تقدم علمه بالقصة وقد يخاطب به من لم يتقدم علمه بها فانه قد يقول الرجل لآخر ألم تر الى فلان اى شئ قال يريد تعريفه ابتداء فالمخاطبون به ههنا امامن سمعها وعلمها قبل الخطاب به من اهل التواريخ فذكرهم وعجبهم واما من لم يسمعها فعرفهم وعجبهم وقيل الخطاب عام لكل من يتأتى منه الرؤية دلالة على شيوع القصة وشهرتها بحيث ينبغى لكل احد ان يعلمها او يبصرها و يتعجب منها (وهم الوف) جمع ألف الذى هو من جملة اسماء العدد واختلفوا فى عدد مبلغهم والوجه من حيث اللفظ ان يكون عددهم ازيد من عشرة آلاف لان الالوف جمع الكثرة فلا يقال فى عشرة آلاف فما دونها الوف (حذر الموت) مفعول له اى خرجوا من ديارهم خوفا من الموت (فقال لهم الله) على لسان ملك وانما اسند اليه تعالى تخويفا وتهويلا لان قول القادر القهار والملك الجبار له شأن (موتوا) التقدير فماتوا الاقتضاء قوله ثم احياهم ذلك التقدير لان الاحياء يستدعى سبق الموت (ثم احياهم) اى اعادهم احياء ليستوفوا بقية اعمارهم وليعلموا ان لا فرار من القدر قال ابن العربى عقوبة انهم ثم احياهم ومينة العقوبة بعدها حياة للاعتبار وميتة الاجل لا حياة بعدها وعن الحسن ايضا اماتهم الله قبل آجالهم عقوبة لهم ثم بعثهم الى بقية آجالهم وقصة هؤلاء ما ذكره اكثر اهل التفسير انهم كانوا قوما من بنى اسرائيل بقرية من قرى واسط يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فذهب اشرافهم واغنياؤهم واقام سفلتهم وفقراؤهم فهلك اكثر من بقى فى القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء بها فوقع الطاعون من العام القابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح بين جبلين فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادى وملك آخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا من غير علة بامر الله ومشيئته وماتت دوابهم كموت رجل واحد فاتت عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم اى انتنت فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فأحدقوا حولهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها فأتت على ذلك مدة وقد بليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم نبى يقال له حزقيل بن بوزى ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى عليه السلام وذلك ان القيم بعد موسى بامر بنى اسرائيل كان يوشع بن نون ثم كالب ابن يوحنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله لها وقال الحسن هو ذو الكفل وسمى حزقيل ذا الكفل لانه كفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا فانى ان قتلت كان خيرا لكم من ان تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسألوا ذا الكفل عن الانبياء السبعين قال انهم ذهبوا ولا ادرى اين هم ومنع الله تعالى ذا الكفل من اليهود بفضله وكرمه فلما مر حزقيل على اولئك الموتى وقف عليهم لكثرة ما يرى فجعل يتفكر فيهم متعجبا فاوحى الله اليه اتريد أن اريك آية قال نعم فقال الله ناد أيتها العظام ان الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمعت من اعلى الوادى وادناه حتى التزق بعضها ببعض فصارت اجسادا من عظام لا لحم ولا دم ثم اوحى الله اليه ناد ايتها الارواح ان الله يأمرك ان تقومى فقاموا وبعثوا احياء يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت فبقيت فيهم بقايا من ريح النتن حتى انه بقى فى اولاد ذلك السبط من اليهود الى اليوم ثم انهم رجعوا الى بلادهم وقومهم وعاشوا دهرا سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فاولى ان يكون فى سبيل الله (ان الله لذو فضل) عظيم (على الناس) قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) فضله كما ينبغى لعجز بعضهم وكفر بعضهم (وقاتلوا) الخطاب لهذه الامة وهو معطوف على

مقدر تقديره فأطيعوا وقاتلوا (فى سبيل الله) لاعلاء دينه متيقنين ان الفرار من الموت غير مخلص وان القدر واقع فلا تحرموا من احد الحظين اما النصر والثواب واما الموت فى سبيل الله الملك الوهاب (واعلموا ان الله سميع) يسمع مقالة السابقين الى الجهاد من ترغيب الغير فيه ومقالة المتخلفين عنه من تنفير الغير (عليم) بما يضمرونه فى انفسهم يعلم ان خلف المتخلف لأى غرض وان جهاد المجاهد لأى سبب وانه لاجل الدين او الدنيا وهو من وراء الجزاء ثم ان قوله تعالى ألم تر وارد لتقبيح حال هؤلاء الذين خرجوا وقد جعل الله جزاء خروجهم الموت والخيبة فى رجائهم الخلاص وكل ذلك يدل على كراهية الفرار فثبت بهذه الآية فضيلة القرار وفائدته وفى الحديث الفار من الطاعون كالفار من الزحف وهذا الحديث يدل على ان النهى عن الخروج للتحريم وانه من الكبائر وقيل ان عبد الملك هرب من الطاعون فركب ليلا واخرج غلاما معه فكان ينام على دابته فقال للغلام حدثنى فقال من انا حتى احدثك فقال على كل حال حدث حديثا سمعته فقال بلغنى ان ثعلبا كان يخدم اسدا ليحميه ويمنعه عما يريده فكان يحميه فرأى الثعلب عقابا فلجأ الى الاسد فأقعده على ظهره فانقض العقاب واختلسه فصاح الثعلب يا ابا الحارث اغثنى واذكر عهدك لى فقال انما اقدر على منعك من اهل الارض فاما اهل السماء فلا سبيل اليهم فقال عبد الملك وعظتنى واحسنت وانصرف ورضى بالقضاء (قال السعدى) قضا كشتى آنجا كه خواهد برد * وكرنا خدا جامه برتن درد * درانى كه بيدا نباشد كنار * غرور شنا ورنيايد بكار * واعلم ان ما كان من القضاء حتما مقضيا لا ينفعه شئ كما قال عليه السلام الحذر لا ينفع من القدر واما المعلق فتنفعه الصدقة وامثالها كما قال عليه السلام الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار قال بعض المحققين ان المقدرات على ضربين ضرب يختص بالكليات وضرب يختص بالجزئيات التفصيلية فالكليات المختصة بالانسان ما اخبر النبى عليه الصلاة والسلام انها محصورة فى اربعة اشياء العمر والرزق والاجل والسعادة أو الشقاوة وهى لا تقبل التغير فالدعاء فيها لا يفيد كصلة الرحم الا بطريق الفرض بمعنى أن اصلة الرحم مثلا من الاثر فى الخير ما لو أمكن ان يبسط فى رزق الواصل ويؤخر فى اجله بها لكان ذلك ويجوز فرض المحال اذا تعلق بذلك حكمة قال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين واما الجزئيات ولوازمها التفصيلية فقد يكون ظهور بعضها وحصوله للانسان متوقفا على اسباب وشروط ربما كان الدعاء او الكسب والسعى والتعمد من جملتها بمعنى انه لم يقدر حصوله بدون ذلك الشرط حكى ان قصارا امر على عيسى عليه السلام مع جماعة من الحواريين فقال لهم عيسى احضروا جنازة هذا الرجل وقت الظهر فلم يمت فنزل جبريل فقال ألم تخبرنى بموت هذا القصار فقال نعم ولكن تصدق بعد ذلك بثلاثة ارغفة فنجا من الموت وقد سبق منا فى الجزء الاول عند قوله تعالى فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ما يتعلق بالطاعون والفرار منه فليرجع اليه قال الامام القشيرى فى قوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الآية يعنى ان مسكم ألم فتصاعد منكم انين فاعلموا ان الله سميع بأنينكم عليم بأحوالكم والآية توجب عليهم تسهيل ما يقاسونه من الالم قال قائلهم

اذا ما تمنى الناس روحا وراحة * تمنيت ان اشكو اليك وتسمع

انتهى كلامه قدس سره اللهم اجعلنا من الذين يفرون الى جنابك ويميلون (من) استفهام للتحريض على التصدق مبتدأ (ذا) اشارة الى المقرض خبر المبتدأ اى من هذا (الذى) صفة ذا او بدل منه (يقرض الله) اصل القرض القطع سمى به لان المعطى يقرضه اى يقطعه من ماله فيدفعه اليه ليرجع اليه مثله من الثواب واقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه (قرضا) مصدر ليقرض بمعنى اقراض كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا اى اقراضا (حسنا) اى مقرونا بالاخلاص وطيب النفس ويجوز ان يكون القرض بمعنى المقرض اى بمعنى المفعول على انه مفعول ثان ليقرض وحسنه ان يكون حلالا صافيا عن شوب حق الغير به وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله ومن انواع القرض قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر (فيضاعفه له) منصوب باضمار ان عطفا على المصدر المفهوم من يقرض الله فى المعنى فيكون مصدرا معطوفا على مصدر تقديره من ذا الذى يكون منه اقراض فمضاعفة من الله او منصوب على جواب الاستفهام فى المعنى لان الاستفهام وان وقع عن المقرض لفظا فهو عن الاقراض معنى كأنه قال أيقرض الله احد فيضاعفه واصل التضعيف ان يزاد على الشئ مثله او امثاله (اضعافا) جمع ضعف

حال من الهاء فى يضاعفه (كثيرة) هذا قطع للاوهام عن مبلغ الحساب اى لايعلم قدرها الا الله وقيل الواحد سبعمائة وحكمة تضعيف الحسنات لئلا يفلس العبد اذا اجتمع الخصماء فظالم العباد توفى من التضعيفات لا من اصل حسناته لان التضعيف فضل من الله تعالى واصل الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة وذكر الامام البيهقى ان التضعيفات فضل من الله تعالى لايتعلق بها العباد كما لايتعلق بالصوم بل يدخرها الحق للعبد فضلا منه سبحانه فاذا دخل الجنة اثابه بها (قال السعدى) نكوكارى از مردم نيك راى * يكى رابده مى نويسد خداى * كرم كن كه فردا كه ديوان نهند * منازل بمقدار احسان دهند * ولما حثهم على الاخراج سهل عليهم الاقراض واخبرانهم لايمكنهم ذلك الا بتوفيقه فقال (والله يقبض) يقتر على بعض (ويبسط) يوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح واذا علم العبد ذلك هان عليه الاعطاء لان الله تعالى هو الرزاق وهو الذى وسع عليه فهو يسأل منه ما اعطاه ولانه يخلفه عليه فى الدنيا ويثيبه عليه فى العقبى فكأن الله تعالى يقول اذا علمتم ان الله هو القابض والباسط وان ما عندكم انما هو من بسطه واعطائه فلا تبخلوا عليه فأقرضوه وأنفقوا مما وسع عليكم واعطاكم ولا تعكسوا بأن تبخلوا لئلا يعاملكم مثل معاملتكم فى التعكيس بأن يقبض بعد ما بسط ولعل تاخير البسط عن القبض فى الذكر للايماء الى انه يعقبه فى الوجود تسلية للفقراء قال الامام الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى القابض الباسط هو الذى يقبض الارواح من الاشباح عند الممات ويبسط الارواح فى الاجساد عند الحياة ويقبض الصدقات من الاغنياء ويبسط الارزاق للضعفاء يبسط الرزق على الاغنياء حتى لاتبقى فاقة ويقبضه من الفقراء حتى لاتبقى طاقة ويقبض القلوب فيضيقها بما يكشف لها من قلة مبالاته وتعاليه وجلاله ويبسطها لما يقرب اليها من بره ولطفه وجماله والقابض الباسط من العباد من الهم بدائع الحكم واوتى جوامع الكلم فتارة يبسط قلوب العباد بما يذكرهم من آلاء الله ونعمائه وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال الله وكبريائه وفنون عذابه وبلائه وانتقامه من اعدائه كما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قبض قلوب الصحابة عن الحرص على العبادة حيث ذكرهم ان الله يقول لآدم يوم القيامة ابعث بعث النار فيقول كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فانكسرت قلوبهم حتى فتروا عن العبادة فلما اصبح ورآهم على ماهم عليه من القبض والفتور روح قلوبهم وبسطها فذكر أنهم فى سائر الامم كشامة سوداء فى مسك ثور أبيض انتهى قال القشيرى فى رسالته القبض والبسط حالتان بعد ترقى العبد عن حال الخوف والرجاء والقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف (واليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا وشرا على الجود بالجنة وعلى البخل بالنار وهو وعد ووعيد أو هو تنبيه على ان الغنى لمفارق ماله بالموت فليبادر الى الانفاق قبل الفوت واجتمع جماعة من الاغنياء والفقراء فقال غنى ان الله تعالى رفع درجاتنا حتى استقرض منا وقال الفقير بل رفع درجاتنا حتى استقرض لنا والواحد قد يستقرض من غير الحبيب ولك ان لا تستقرض الا لاجل الحبيب وقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه عند يهودى بشعير أخذه لقوت عياله انظر ممن استدان ولمن استدان وفى الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال رب كيف اطعمك وانت رب العزة قال استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى فالقرض لايقع عند المحتاج فكأنه ذكر نفسه ونزل وصفه منزلة المحتاج كقوله مرضت فلم تعدنى جعت فلم تطعمنى شفقة وتلطيفا للفقير والمريض وهذا من باب التنزلات الرحمانية عند المحققين لتكميل محبة العبد وجذبه الى حضرة اهل الشهود من عباده اذ جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين وذلك اذا شاهد العبد الفقير جلوة جمال الرحمن فى اطوار تنزلاته فى المشاهد الاعيانية (وفى المثنوى) روى خوبان زاينه زيبا شود * روى احسان از كدا پيدا شود * پس از ين فرمود حق در والضحى * بانك كم زن اى محمد بر كدا * چون كدا آيينهٔ جود ست هان * دم بود بر روى آيينه زيان * فالله تعالى من كمال فضله وكرمه مع عباده خلق انفسهم وملكهم الاموال ثم اشترى منهم انفسهم واموالهم ثم ردها اليهم بالعارية ثم أكرمهم فيها بالاستقراض منهم ثم بشر بأضعاف كثيرة عليها فالعبد الصادق لايطلب الاعلى قدر همته ولا يريد العوض مما اعطاه الا ذاته تعالى فيعطيه الله ما هو مطلوبه على قدر همته ويضاعف له مع مطلوبه

ما اخفى لهم من قرة اعين اضعافا كثيرة على قدر كرمه فمن يكون له متاع الدنيا بأسره قليلا فانظر ما يكون له كثيرا اللهم متعنا بما ألهمت قلوب اوليائك واجعلنا من الذين قصروا اعينهم على استطلاع انوار لقائك (ألم تر) اى ألم ينته علمك (الى) قصة (الملأ) اى قد علمت خبرهم باعلامى اياك فتعجب الملأ جماعة يجتمعون للتشاور سموا بذلك لانهم اشراف يملأون العيون مهابة والمجالس بهاءة لا واحد له من لفظه كالقوم (من بنى اسرآئيل) من للتبعيض حال من الملأ اى كائنين بعض بنى اسرآئيل وهم اولاد يعقوب (من) ابتدآئية متعلقة بما تعلق به الجار الاول (بعد) وفاة (موسى اذ قالوا) منصوب بالمضاف المقدر فى الملأ اى ألم تر الى قصة الملأ وحديثهم حين قالوا الان الذوات لا يتعجب منها وانما يتعجب من احوالها (لنبى لهم) اشمويل وهو الاشهر الاظهر (ابعث لنا ملكا) اى اقم وانصب لنا سلطانا نأتمر به وتقدمنا ويحكم علينا فى تدبير الحرب ونطيع لامره (نقاتل) معه وهو بالجزم على الجواب (فى سبيل الله) طلبوا من نبيهم ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التى كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروى انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم (قال) كانه قيل فماذا قال لهم النبى حينئذ فقيل قال (هل عسيتم) قاربتم (ان كتب عليكم القتال) مع الملك شرط معترض بين عسى وخبره وهو قوله (ان لا تقاتلوا) معه قال فى الكشاف والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعنى هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد أن يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وانه صائب فى توقعه كقوله تعالى هل أتى على الانسان معناه التقرير (قالوا وما) مبتدأ وهو استفهام انكارى خبره قوله (لنا) فى (ان لا نقاتل فى سبيل الله) اى اى سبب وغرض لنا فى ترك القتال (وقد اخرجنا من ديارنا وابنآئنا) اى والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج من الديار والاوطان والاغتراب عن الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال قال بعضهم وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا جلاء واسرا ومثله يذكرا تباعا نحو * وزججن الحواجب والعيونا * وكان سبب مسألتهم نبيهم ذلك انه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده فى بنى اسرآئيل يوشع يقيم فيهم التوراة وامر الله حتى قبضه الله ثم خلف فيهم كالب كذلك حتى قبضه الله ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرآئيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله وكانت الانبياء من بنى اسرآئيل بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التوراة ثم خلف بعد الياس اليسع وكان فيهم ما شاء الله حتى قبضه الله وخلف فيهم الخلوف وعظمت الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثاثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة اولاد عمليق بن عاد فظهروا على بنى اسرآئيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقى بنوا اسرآئيل منهم بلاء شديدا ولم يكن لهم نبى يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم الا امرأة حبلى فحبسوها فى بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرآئيل فى ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل تقول سمع الله دعائى وهو بالعبرانية اسماعيل والسين تصير شينا فى لغة عبران فكبر الغلام فأسلموه لتعلم التوراة فى بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه احدا فدعاه بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام مسرعا الى الشيخ فقال يا ابتاه دعوتنى فكره الشيخ ان يقول لا لئلا يتفزع الغلام فقال يا بنى ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتنى فقال ارجع فنم فان دعوتك الثالثة فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تأن لك وقالوا ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله آية من نبوتك وانما كان قوام امر بنى اسرآئيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك لانبيائهم فكان الملك هو الذى يسير بالجموع والنبى يقيم امره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من عند ربه (فلما كتب عليهم القتال) بعد سؤال النبى ذلك وبعث الملك (تولوا) اى اعرضوا وتخلفوا عن الجهاد وضيعوا امر الله ولكن لا فى ابتدآء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته وانما ذكر الله ههنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافى والتباين (الا قليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر

(والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بالتولى عن القتال وترك الجهاد وتنافى اقوالهم وافعالهم والاشارة ان القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وزعموا غير ما كتموا عرض نقد دعواهم على محك معناهم فما افلحوا عند الامتحان اذ عجزوا عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان (قال الحافظ) خوش بود كر محك تجربه آمد بميان * تاسيه روى شود هركه دروغش باشد * وهذه حال المدعين من اهل السلوك وغيرهم قال اهل الحقيقة علاوا القتال بما يرجع الى حظوظهم نخذلوا ولو قالوا كيف لا نقاتل وقد عصوا الله وخربوا بلاد الله وقهروا عباد الله واطفأوا نور الله لنصروا وافادت الآية ان خواص الله فيهم قليلة قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وهذا فى كل زمان لكن الشئ العزيز القليل اعلى بهاء من الكثير الذليل (قال السعدى) خاك مشرق شنيده ام كه كنند * بچهل سال كاسهٔ چينى * صد بروزى كنند در بغداد * لاجرم قيمتش همى بينى * وانما كان اهل الحق اقل مع ان الجن والانس انما خلقوا الاجل العبادة كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان المقصود الاعظم هو الانسان الكامل وقد حصل اولان المهديين وان قلوا بالعدد لكنهم كثيرون بالفضل والشرف كما قيل قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا اى اظهروا الشدة وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه السواد الاعظم هو الواحد على الحق والحكمة لا تقتضى اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلى على الله فان ذلك مما يخل بأمر المعاش ولذلك قيل لولا الحمق لخربت الدنيا بل تقتضى ظهور ما اضيف اليه كل من اليدين فللواحدة المضاف اليها عموم السعداء الرحمة والحنان وللاخرى القهر والغضب ولوازمهما فلابد من الغضب لتكميل مرتبة قبضة الشمال فانه وان كان كلتا يديه يمينا مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الاخرى فعلى العاقل ان يحترز من اسباب الغضب ويجتهد فى نيل كرم الرب قال على كرم الله وجهه من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن ومن ظن انه ببذل الجهد فهو متعن اللهم أفض علينا من سجال فضلك وكرمك واوصلنا اليك بك يا ارحم الراحمين (وقال لهم نبيهم) وذلك ان اشمويل لما سأل الله تعالى ان يبعث لهم ملكا اتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل ونش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرآئيل فدهن به رأسه وملك عليهم قال وهب ضلت حمر لابى طالوت فأرسله وغلاما له فى طلبها فمرا ببيت اشمويل فقال الغلام لو دخلنا على هذا النبى فسألناه عن الحمر ليرشدنا ويدعو لنا بحاجتنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شأن الحمر اذ نش الدهن الذى فى القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكان على طولها فقال لطالوت قرب رأسك فقربه فدهنه بدهن القدس ثم قال له انت ملك بنى اسرآئيل الذى امرنى الله ان املكه عليهم قال بأى آية قال بآية انك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك ثم قال اشمويل لبنى اسرآئيل (ان الله قد بعث لكم طالوت) اسم اعجمى ممتنع من الصرف لتعريفه وعجمته (ملكا) حال منه اى فأطيعوه وقاتلوا عدوكم معه (قالوا) متعجبين من ذلك ومنكرين قيل انهم كفروا بتكذيبهم نبيهم وقيل كانوا مؤمنين لكن تعجبوا وتعرفوا وجه الحكمة فى تمليكه كما قال الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها (انى يكون له الملك علينا) من اين يكون له ذلك ويستأهل (ونحن أحق بالملك منه) اولى بالرياسة عليه منه بالرياسة علينا (ولم يؤت سعة من المال) اى لم يعط ثروة وكثرة من المال فيشرف بالمال اذا فاته الحسب يعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال ولابد للملك من مال يقتصد به وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بنى اسرآئيل وهو سبط لاود بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهودا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل هو من ولد بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع الملك والنبوة منهم وكانوا يسمونه سبط الاثم وكان طالوت يحترف بحرفة دنية كان رجلا دباغا يعمل الادم فقيرا او سقاء او مكاريا (قال) لهم نبيهم ردا عليهم (ان الله اصطفاه عليكم) اى اختاره فان لم يكن له نسب ومال فله فضيلة اخرى وهو قوله (وزاده بسطة) اى سعة وامتدادا (فى العلم) المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا (والجسم) بطول القامة وعظم التركيب لان الانسان يكون اعظم فى النفوس بالعلم وأهيب فى القلوب بالجسم وكان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه

وبقوله رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة امور السياسة وجسامة البدن ليعظم خطره فى القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر (والله يؤتى ملكه من يشاء) لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده (والله واسع) يوسع على الفقير ويغنيه (عليم) بمن يليق بالملك ممن لا يليق به وفى التأويلات النجمية انما حرم بنوا اسرائيل من الملك لانهم كانوا معجبين بأنفسهم متكبرين على طالوت ناظرين اليه بنظر الحقارة من عجبهم قالوا ونحن احق بالملك منه ومن تكبرهم عليه قالوا أنى يكون له الملك علينا ومن تحقيرهم اياه قالوا ولم يؤت سعة من المال فلما تكبروا وضعهم الله وحرموا من الملك (قال السعدى) يكى قطره باران زابرى چكيد * خجل شد چو پهناى دريا بديد * كه جايى كه درياست من كيستم * كر او هست حقا كه من نيستم * چو خودرا بچشم حقارت بديد * صدف دركنارش بجان پروريد * سپهرش بجايى رسانيد كار * كه شد نامور لؤلؤى شاهوار * بلندى ازان يافت كو پست شد * در نيستى كوفت تا هست شد * ومن بلاغات الزمخشرى كم يحدث بين الخبيثين ابن لا يعاب والفرث والدم يخرج من بينهما اللبن يعنى حدوثا كثيرا يحدث بين الزوجين الخبيثين ابن طيب لا يعاب بين الناس ولا يذكر بقبيح وهذا غير مستبعد لان اللبن يخرج من بين السرجين والدم وهما مع كونهما مستقذرين لا يؤثران فى اللبن بشئ من طعمهما ولونهما بل يحدث اللبن من بينهما لطيفا نظيفا سائغا للشاربين قالوا يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقر فى كرشها وهو من الحيوان بمنزلة المعدة من الانسان طحنته فكان اسفله فرثا واوسطه مادة اللبن واعلاه مادة الدم والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع وتبقى الفرث فى الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته وألطف حكمته لمن تأمل والانسان له استعداد الصلاح والفساد فتارة يظهر فى الاولاد الصلاح المبطون فى الاباء وتارة يكون الامر بالعكس وامر الايجاد يدور على الاظهار والابطان فانظر الى آدم وابنيه قابيل وهابيل ثم وثم الى انتهاء الزمان والحاصل ان طالوت ولو كان اخس الناس عند بنى اسرائيل لكنه عظيم شريف عند الله لما ان النظر الالهى اذا تعلق بحجر يجعله جوهرا وبشوك يجعله وردا وريحانا فلا معترض لحكمه ولا راد لقضائه فالوضيع من وضعه الله وان كان قد رفعه الناس والرفيع من رفعه الله وان كان قد وضعه الناس والعاقل اذا تأمل امثال هذا يجد من نفسه الانصاف والسكوت وتفويض الامر الى الحى الذى لا يموت والله يقول الحق وهو يهدى السبيل (وقال لهم نبيهم) طلبوا علامة من نبيهم على كون طالوت ملكا عليهم فقالوا ما آية ملكه فقال (ان آية ملكه) اى علامة سلطنته (ان يأتيكم التابوت) من التوب وهو الرجوع وسمى تابوتا لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودع فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بنى اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فأتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضى الله عنه وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشار ونحو من ثلاثة اذرع فى ذراعين فكان عند آدم عليه السلام الى ان توفى فتوارثه اولاده واحد بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقى فى ايدى بنى اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بنى اسرائيل وكان عنده الى أن توفى ثم تداولته ايدى بنى اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا فى شئ تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا فى التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه فى موضع البول والغائط فلما اراد الله ان يملك طالوت سلط الله عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلى بالبواسير وهلكت من بلادهم

خمس مدة آثن فعلم الكفاران ذلك سبب استهانتهم بالتابوت فأخرجوه وجعلوه على عجلة وعلقوها على ثورين فأقبل الثوران يسيران وقد وكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتيا منزل طالوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت فى داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فالاتيان على هذا مجاز لانه اتى به ولم يأت هو بنفسه فنسب الاتيان اليه توسعا كما يقال ربحت التجارة وعلى الوجه الاول حقيقة (فيه) اى فى اتيان التابوت (سكينة من ربكم) اى سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او الضمير للتابوت قال بعض المحققين السكينة تطلق على ثلاثة اشياء بالاشتراك اللفظى اولها ما اعطى بنوا اسرآئيل فى التابوت كما قال تعالى ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم قال المفسرون هى ريح ساكنة طيبة تخلع قلب العدو بصوتها رعبا اذا التقى الصفان وهى معجزة لانبيائهم وكرامة لملوكهم والثانية شئ من لطائف صنع الحق يلقى على لسان المحدث الحكمة كما يلقى الملك الوحى على قلوب الانبياء مع ترويح الاسرار وكشف السر والثالثة هى التى انزلت على قلب النبى عليه السلام وقلوب المؤمنين وهى شئ يجمع نورا وقوة وروحا يسكن اليه الخائف ويتسلى به الحزين كما قال تعالى فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقال بعضهم التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص وذكر الله الذى تطمئن اليه القلوب واتيانه تصيير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن كذلك (وبقية) كائنة (مما) من للتبعيض (ترك آل موسى وآل هرون) هما رضاض الالواح وعصا موسى من آس الجنة وثيابه ونعلاه وعمامة هرون وشئ من التوراة وخاتم سليمان وقفيز من المن وهو الترنجبين الذى كان ينزل على بنى اسرآئيل ويا كلونه فى ارض التيه وآلهما انفسهما والآل مقحم اوانبياؤهما او اتباعهما (تحمله الملائكة) حال من التابوت اى ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة او استئناف كأنه قيل كيف يأتى فقيل تحمله الملائكة ثم ان التابوت لم تحمله الملائكة فى الروايتين بل نزل من السماء الى الارض بنفسه والملائكة كانوا يحفظونه فى الرواية الاولى وأتى به على العجلة وعلى الثورين بسوق الملائكة على الرواية الاخيرة وانما اضيف الحمل فى القولين جميعا الى الملائكة لان من حفظ شيأ فى الطريق جاز أن يوصف بانه حمل ذلك الشئ وان لم يحمله بل كان الحامل غيره كما يقول القائل حملت الامتعة الى زيد اذا حفظها فى الطريق وان كان الحامل غيره (ان فى ذلك) يحتمل ان يكون من تمام كلام النبى وان يكون ابتداء خطاب من الله اى فى رد التابوت ايها الفريق (لآية) عظيمة (لكم) دالة على ملك طالوت وصدق قول نبيكم فى ان الله جعله ملكا فانه امر مناقض للعادة (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بالله فصدقوا بتمليكه عليكم وفى الآية اشارة الى ان آية ملك الخلافة للعبد ان يظفر بتابوت قلب فيه سكينة من ربه وهى الطمأنينة بالايمان والانس مع الله وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وهى عصا الذكر كلمة لا اله الا الله وهى كلمة التقوى وهى الحية التى اذا فتحت فاها تلقف سحرة صفات فرعون النفس فعصا ذكر الله فى تابوت القلوب وقد أودعها الله بين اصبعى جماله وجلاله كما قال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فبصفة الجلال يلهمها فجورها وبصفة الاكرام يلهمها تقواها كما قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها ولم يستودعها ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا فشتان بين امة سكينتهم فيما للاعداء عليه تسلط وبين امة سكينتهم فيما ليس للاولياء ولا للانبياء عليه ولاية وان كان فى ذلك التابوت بعض التوراة موضوعا ففى تابوت قلوب هذه الامة جميع القرآن محفوظ وان كان فى تابوتهم بيوت فيها صور الانبياء ففى تابوت قلوبهم خلوات ليس فيها معهم غير الله كما قال لا يسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن فاذا تيسر لطالوت روح الانسان ان يؤتى تابوت القلب الربانى فسلم ملك الخلافة وسرير السلطنة واستوثق عليه جميع اسباط الصفات الانسانى فلا يركن الى الدنيا الغدارة المكارة بل يتجهز منها ويتبرز لقتال جالوت النفس الامارة وهذا لا يتيسر الا بفضل الله واخذ الطريقة والتمسك بالحقيقة * رو ابنست روى ازطريقت متاب * بنه كام وكامى كه خواهى بياب * ومن اراد أن يزداد سكينة فليصل الى المعرفة فان المعرفة الالهية توجب السكينة فى القلب كما ان القلب يوجب السكون وسئل ابو يزيد عن المعرفة فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اى غيروا حالها عما هى عليه وكذلك اذا وردت الواردات الربانية على القلوب الممتلئة اخرجت منها كل صفة رديئة وقيل لابى يزيد بم وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار (قال السعدى) باندازه خور زاد اكر مردمى *

جنين برشكم آدمى باخى * ندارند تن برروران آكهى * كه برمعده باشد زحكمت تهى * اللهم
احفظنا من الموانع فى طريق الوصول اليك آمين آمين (فلما فصل طالوت بالجنود) الاصل فصل نفسه
ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة اللازم كانفصل والمعنى انفصل عن بلده
مصاحبا لهم لقتال العمالقة والجنود جمع جند وهو الجيش الاشداء مأخوذ من الجند وهى الارض الشديدة
وكل صنف من الخلق جند على حدة (روى) انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا فى النصر فسارعوا الى الجهاد فقال
طالوت لا يخرج معى شيخ ولا مريض ولا رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه
دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبن بها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون ألفا
وكان الوقت قيظا اى شديد الحر وسلكوا مفازة فشكوا قلة الماء وسألوا ان يجرى الله لهم نهرا (قال) اى طالوت
باخبار من النبى اشمويل (ان الله مبتليكم بنهر) اى معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه وذلك الاختبار ليظهر
عند طالوت من كان مخلصا فى نيته من غيره لميزهم من العسكر لان من لا يريد القتال اذا خالط عسكرا يدخل
الضعف فى العسكر فينهزمون بشؤمه * آنكه جنك آرد بخون خويش بازى ميكند * روز ميدان آنكه
بكريزد بخون لشكرى * فميز بينهما كالذهب والفضة فيهما الخبث فميز الخالص من غيره بالنار (فمن شرب منه)
اى ابتدأ شربه من ماء النهر بأن كرع وهو تناول الماء بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا باناء
(فليس منى) اى من جملتى واشياعى المؤمنين فمن للتبعيض دخلت على نفس المتكلم للاشعار بان اصحابه لقوة
اختصاصهم واتصالهم به كأنهم بعضه اوليس بمتحد معى فمن اتصالية كما فى قوله تعالى المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض اى بعضهم متصل بالبعض الآخر ومتحد معه (ومن لم يطعمه) الطعم هنا بمعنى الذوق وهو
التناول من الشىء تناولا قليلا يقال طعم الشىء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا (فانه منى) اى من اهل دينى
(الا من اغترف غرفة بيده) استثناء من قوله فمن شرب منه واعتراض الجملة الثانية وهو ومن لم يطعمه للعناية
بها لان عدم الذوق منه رأسا عزيمة والاغتراف رخصة وبيان حال الاخذ بالعزيمة اهم من بيان الاخذ
بالرخصة والغرفة بالضم اسم للقدر الحاصل فى الكف بالاغتراف والغرف اخذ الماء بآلة كالكف وهو فى الاصل
القطع والغرفة التى هى العلية قطعة من البناء والباء متعلقة باغترف قال ابن عباس رضى الله عنه كانت الغرفة
الواحدة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها قال الامام وهذا يحتمل وجهين احدهما انه كان مأذونا له
أن يأخذ من الماء ما شاء مرة واحدة بقربة او جرة بحيث كان المأخوذ فى المرة الواحدة يكفيه ودوابه وخدمه
ويحمل باقيه وثانيهما انه كان يأخذ القليل فيجعل الله فيه البركة حتى يكفى كل هؤلاء فيكون معجزة لنبى ذلك
الزمان كما انه تعالى يروى الخلق الكثير من الماء القليل فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم (فشربوا منه) اى فانتهوا
الى النهر وابتلوا به فكرعوا فيه كروعا مثل الدواب ولم يقنعوا بالاغتراف فضلا عن ان لا يذوقوا منه شيأ (الا قليلا
منهم) وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا على عدد اهل بدر فانهم اغترفوا فشربوا بالاكف ورووا واما الذين خالفوا
فشربوا كرعا فازدادوا عطشا واسودت شفاههم وبقوا على شط النهر فعرف طالوت الموافق من المخالف فخالف
الاشداء * نه بى حكم شرع آب خوردن خطاست * وكرخون بفتوى بريزى رواست * ولما ردوا
بالخلاف فى صفة شرب ماء اصله حلال لكن على صفة مخصوصة وهلكوا ابعد الرد فما حال من تناول الحرام المحض
فى الطعام والشراب كيف يقبل ويسلم ثم انه لا خلاف بين المفسرين فى ان الذين عصوا رجعوا الى بلدهم
والصحيح انهم لم يجاوزوا النهر وانما رجعوا قبل المجاوزة لقوله تعالى (فلما جاوزه) اى النهر (هو) اى طالوت
(والذين آمنوا) وهم القليل الذين اطاعوه ولم يخالفوه فيما ندبهم اليه وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل
من الايمان (معه) اى مع طالوت متعلق بجاوز لا بآمنوا (قالوا) اى بعض من معه من المؤمنين القليلين لبعض
آخر منهم وهم الذين يظنون الآية فالمؤمنون الذين جاوزوا النهر صاروا فريقين فريقا يحب الحياة ويكره الموت
وكان الخوف والجزع غالبا على طبعه وفريقا كان شجاعا قوى القلب لا يبالى بالموت فى طاعة الله تعالى فالقسم
الاول هم الذين قالوا (لا طاقة) قوة (لنا اليوم بجالوت وجنوده) اى بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون
لنا غلبة عليهم وذلك لما شاهدوا منهم من الكثرة والقوة وكانوا مائة ألف مقاتل شاكى السلاح والقسم الثانى
هم الذين اجابوهم بقولهم كم من فئة الآية (قال) كأنه قيل فماذا قال لهم مخاطبهم فقيل قال (الذين يظنون انهم

ملاقوا) نصر (الله) العزيز وتأييده (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) اى كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة والفئة اسم للجماعة من الناس قلت اوكثرت (باذن الله) اى بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده (والله مع الصابرين) بالنصرة على العدو وتوفيق الصبر عند الملاقاة قال الراغب فى القصة ايماء ومثال للدنيا وابنائها وأن من يتناول قدر ما يتبلغ به اكتفى واستغنى وسلم منها ونجا ومن تناول منها فوق ذلك ازداد عطشا ولهذا قيل الدنيا كالملح من ازداد منها عطش وفى الحديث لوأن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى اليهما ثالثا فلا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب يعنى لايزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره الامن تاب فان الله يقبل التوبة من التائب عن حرصه المذموم وعن غيره من المذمات وههنا نكتة وهى ان فى ذكر ابن آدم دون الانسان تلويحا الى انه مخلوق من تراب ومن طبيعته القبض واليبس وازالته ممكنة بان يمطر الله عليه من غمام توفيقه فالعاقل ان لايتعب نفسه فى جمع حطام الدنيا فان الرزق مقسوم (اوحى) الله الى داود ياداود تريد واريد فان رضيت بما اريد كفيتك ماتريد وان لم ترض بما اريد اتعبتك ثم لايكون الاما اريد فالناس مبتلون بنهر هو منهل الطبيعة الجسمانية فمن شرب منه مفرطا فى الرى منه بالحرص فليس من اهل الحقيقة لانه من اهل الطبيعة وعبدة الشهوات المشتغل بها عن الله الامن قنع من متاع الدنيا على مالابد منه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن وصحبة الخلق على الاضطرار بمقدار القوام فانه من اولياء الله والحاصل ان النهر هو الدنيا وزينتها ومن بقى على شطها واطمأن بها كثير ممن جاوزها ولم يلتفت اليها فان اهل الله اقل من القليل واهل الدنيا لايحصى عددهم رزقنا الله واياكم القوت والقناعة ولم يفصلنا عن اهل السنة والجماعة روى انه عليه السلام قال فى وصيته لابى هريرة رضى الله عنه عليك ياابا هريرة بطريق أقوام اذا فزع الناس لم يفزعوا واذا طلب الناس الامان من النار لم يخافوا قال ابو هريرة من هم يارسول الله قال قوم من امتى فى آخر الزمان يحشرون يوم القيامة محشر الانبياء اذا نظر اليهم الناس ظنوهم انبياء مما يرون من حالهم حتى اعرفهم انا فأقول امتى امتى فيعرف الخلائق انهم ليسوا انبياء فيمرون مثل البرق اوالريح تغشى ابصار اهل الجمع من انوارهم فقلت يارسول الله مرنى بمثل عملهم لعلى ألحق بهم فقال ياابا هريرة ركب القوم طريقا صعبا آثروا الجوع بعد ما اشبعهم الله والعرى بعد ما كساهم الله والعطش بعد ما ارواهم الله تركوا ذلك رجاء ماعند الله تركوا الحلال مخافة حسابه صحبوا الدنيا بأبدانهم ولم يشتغلوا بشئ منها عجبت الملائكة والانبياء من طاعتهم لربهم طوبى لهم وددت ان الله جمع بينى وبينهم ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليهم ثم قال عليه السلام اذا اراد الله باهل الارض عذابا فنظر اليهم صرف العذاب عنهم فعليك ياابا هريرة بطريقهم (قال الشيخ العطار قدس سره) درراه توهر دانند ازخويش نهان مانده * بى جسم وجهت كشته بى نام ونشان مانده * تنشان بشر بعت هم دلشان بحقيقت هم * هم دل شده وهم جان نه اين ونه آن مانده * عليهم سلام الله ورحمته وبركاته اللهم اجعلنا من اللاحقين بهم آمين آمين (ولما برزوا) اى ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز اى فضاء من الارض فى موطن الحرب (لجالوت وجنوده) وشاهدوا ما عليهم من العدد والعدد وأيقنوا انهم غير مطيقين لهم عادة (قالوا) اى جميعا عند تقوى قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثانى متضرعين الى الله تعالى مستعينين به (ربنا) فى ندائهم بقولهم ربنا اعتراف منهم بالعبودية وطلب لاصلاحهم لان لفظ الرب يشعر بذلك دون غيره (أفرغ علينا) افراغ الاناء اخلاؤه عما فيه اى صب علينا وهو استعارة عن الاكمال والاكثار أو بلفظة على طلبا لان يكون الصبر مستعليا عليهم وشاملا لهم كالظرف للمظروف (صبرا) على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الضيقة (وثبت اقدامنا) وهب لنا ماتثبت به فى مداحض القتال ومزال النزال من قوة القلوب والقاء الرعب فى قلوب العدو ونحو ذلك من الاسباب فالمراد بثبات القدم كمال القوة والرسوخ عند المقارنة وعدم التزلزل وقت المقاومة لامجرد التقرر فى حيز واحد (وانصرنا على القوم الكافرين) بقهرهم وهزمهم ولقد راعوا فى الدعاء ترتيبا بليغا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر على قلوبهم الذى هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر على العدو الذى هو الغاية القصوى (فهزموهم) اى كسروهم بلا مكث (باذن الله) اى بنصره وتأييده اجابة لدعائهم

(وقتل داود جالوت) كان جالوت الجبار رأس العمالقة وملكهم وكان من اولاد عمليق بن عاد وكان من اشد
الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل حديد وكان ظله ميلا لطول قامته
وكان ايشى ابو داود عليه السلام فى جملة من عبر النهر مع طالوت وكان معه سبعة من ابنائه وكان داود أصغرهم
يرعى الغنم فأوحى الى نبى العسكر وهو أشمويل ان داود بن ايشى هو الذى يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء به
فقال النبى اشمويل لقد جعل الله تعالى قتل جالوت على يدك فاخرج معنا الى محاربته فخرج معهم فمر داود
عليه السلام فى الطريق بحجر فناداه يا داود احملنى فانى حجر هرون الذى قتل بى ملك كذا فحمله فى مخلاته ثم مر
بحجر آخر فقال له احملنى فانى حجر موسى الذى قتل بى كذا وكذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال له احملنى
فانى حجرك الذى تقتل بى جالوت فوضعه فى مخلاته وكان من عادته رمى القذافة وكان لا يرمى بقذافته شيأ من
الذئب والاسد والنمر الا صرعه واهلكه فلما تصاف العسكران للقتال برز جالوت الجبار الى البراز وسأل من
يخرج اليه فلم يخرج اليه احد فقال يا بنى اسرائيل لو كنتم على حق لبارزنى بعضكم فقال داود لاخوته من يخرج
الى هذا الاقلف فسكتوا فالتمس منه طالوت ان يخرج اليه ووعده ان يزوجه ابنته ويعطيه نصف ملكه ويجرى
له خاتمه فيه فلما توجه داود نحوه اعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس فسار قريبا
ثم انصرف الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال ماشأنك فقال ان الله تعالى
ان لم ينصرنى لم يغن عنى هذا السلاح شيأ فدعنى اقاتل كما اريد قال نعم فأخذ داود مخلاته فتقلدها واخذ المقلاع
ومضى نحو جالوت (روى) انه لما نظر جالوت الى داود قذف فى قلبه الرعب فقال يا فتى ارجع فانى ارحمك
أن أقتلك قال داود بل انا اقتلك قال اتأتينى بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب قال نعم انت شر من الكلب قال جالوت
لا جرم لأقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء قال داود بل يقسم الله لحمك فقال باسم اله ابراهيم واخرج
حجرا ثم اخرج الآخر وقال باسم اله اسحق ثم اخرج الثالث وقال باسم اله يعقوب فوضع الاحجار الثلاثة فى مقلاعه
فصارت كلها حجرا واحدا ودور المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى اصاب الحجر أنف البيضة وخالط دماغه
وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وهزم الله الجيش وخر جالوت قتيلا فأخذه داود يجره حتى ألقاه بين
يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالمين فزوجه طالوت ابنته واجرى خاتمه فى نصف
مملكته فمال الناس الى داود واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فتنبه له داود وهرب منه فسلط
طالوت عليه العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه وانطلق داود الى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه دهرا
طويلا فأخذ العلماء والعباد يلومون طالوت فى شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله
فأكثر فى قتل العلماء الناصحين فلم يكن يقدر على عالم فى بنى اسرائيل يطيق قتله الا قتله ثم ندم على ما فعله
من المعاصى والمنكرات واقبل على البكاء ليلا ونهارا حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكى
وينادى رحم الله عبدا يعلم ان لى توبة الا اخبرنى بها فلما اكثر التضرع والالحاح عليهم رق له بعض خواصه
فقال له ان دللتك ايها الملك لعلك ان تقتله فقال لا والله بل اكرمه اتم الاكرام وانقاد الى حكمه وأخذ مواثيق
الملك وعهوده على ذلك فذهب به الى باب امرأة تعلم اسم الله الاعظم فلما لقيها قبل الارض بين يديها وسألها
هل له من توبة فقالت لا والله لا اعلم لك توبة ولكن هل تعلم مكان قبر نبى فانطلق بها الى قبر اشمويل فصلت
ودعت ثم نادت صاحب القبر فخرج اشمويل من القبر ينفض رأسه من التراب فلما نظر اليهم سألهم وقال مالكم
أقامت القيامة قالت لا ولكن طالوت يسأل هل له من توبة قال اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدى قال لم ادع
من الشر شيأ الا فعلته وجئت لطلب التوبة قال كم لك من الولد قال عشرة رجال قال لا اعلم لك من التوبة الا ان
تتخلى من ملكك وتخرج انت وولدك فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت فتقتل
آخرهم ثم رجع اشمويل الى القبر وسقط ميتا ورجع طالوت ففعل ما امر به حتى قتل فجاء قاتله الى داود
ليبشره وقال قتلت عدوك فقال داود ما انت بالذى تحيى بعده فضرب عنقه فكان ملك طالوت الى ان قتل
اربعين سنة واتى بنو اسرائيل بداود واعطوه خزائن طالوت وملكوه على انفسهم وملك داود بعد قتل
طالوت سبعين سنة (وآتاه الله الملك) اى ملك بنى اسرائيل فى مشارق الارض المقدسة ومغاربها ولم يجتمعوا
قبل داود على ملك (والحكمة) اى النبوة ولم يجتمع فى بنى اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك فى سبط

والنبوّة فى سبط آخر وأنزل عليه الزبور أربعمائة وعشرين سورة وهو اوّل من تكلم بأمّا بعد وهو فصل الخطاب
الذى اوتيه داود عليه السلام (وعلمه مما يشاء) اى مما يشاء الله تعليمه اياه من صنعة الدروع بالانة الحديد وكان
يصنعها و يبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده ومنطق الطير وتسبيح الجبال وكلام الحكل والنمل والصوت
الطيب والالحان الطيبة فلم يعط الله احدا مثل صوته وكان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها
وتظلله الطير مصيخة له ويركد الماء الجارى وتسكن الريح (ولولا دفع الله) المصدر مضاف الى فاعله اى صرفه
(الناس) مفعول الدفع (بعضهم) الذين يباشرون الشر والفساد وهو بدل من الناس بدل بعض من كل
(ببعض) آخر منهم يردهم عما هم عليه بما قدر الله من القتل كما فى القصة المحكية وغيره وهو متعلق بالمصدر
(لفسدت الارض) وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها
وقيل لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار لهلكت الارض ومن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن
عن الكافر وبالصالح عن الفاجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل
بيت جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ثم ان فيه تنبيها على فضيلة الملك وانه لولاه لما انتظم
امر العالم ولهذا قيل الدين والملك توأمان ففى ارتفاع احدهما ارتفاع الآخر لان الدين اساس والملك حارس
وما لا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع والناس قد لا ينقادون للرسل تحت الرياسة مع ظهور الحجج فاحتيج
الى المجاهدة باللسان والسيف وذلك يكون من الانبياء ومن يتابعهم ثم لهم آجال مضروبة عندها فوجب
ان يكون لهم خلفاء بعدهم من كل عصر فى اقامة الدين والجهاد فهذا دفع الله الناس بعضهم ببعض وتفصيله
أن دفع الله الناس بعضهم ببعض على وجهين دفع ظاهر ودفع خفى فالظاهر ما كان بالسوّاس الاربعة الانبياء
والملوك والحكماء المعنيين بقوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا والوعاظ فسلطان الانبياء عليهم السلام
على الكافة خاصهم وعامتهم ظاهرهم وباطنهم وسلطان الملوك على ظواهر الكافة دون البواطن كما قيل نحن
ملوك أبدانهم لا ملوك اديانهم وسلطان الحكماء على الخاصة دون العامة وسلطان الوعاظ بواطن العامة
واما الدفع الخفى فسلطان العقل يدفع عن كثير من القبائح وهو السبب فى التزام سلطان الظاهر (ولكن الله
ذو فضل) عظيم لا يقادر قدره (على العالمين) كافة يعنى لكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الارض
وتنتظم به مصالح العالم وتنصلح احوال الامم ففضله تعالى يعم العوالم كلها اما فى عالم الدنيا فبهداية طريق الرشد
والصلاح واما فى الآخرة فبالجنات والدرجات والنجاة والفلاح ومن جملة فضله تعالى على العالمين دفع البليات
عن بعض عباده بلا واسطة كالانبياء وكل الاولياء ومن اقتفى آثارهم من اهل اليقين (تلك) اشارة الى ما سلف
من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت (آيات الله) المنزلة
من عنده (نتلوها عليك) اى بواسطة جبريل (بالحق) حال من مفعول نتلوها اى ملتبسة بالوجه المطابق الذى
لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما فى كتبهم (وانك لمن المرسلين) اى من جملة
الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم والا لما اخبرت بتلك الآيات من غير
تعرف ولا استماع والتأكيد لرد قول الكفار لست رسولا قال بعضهم * الا اى احمد مرسل شود هر مشكل
از تو حل * كنم وصف ترا مجمل توبى سلطان هر مولى * شريعت از تو روشن شد طريقت هم مبرهن شد *
حقيقت خود معين شد زهى سلطان بى همتا * والاشارة ان المجاهد مع جالوت النفس الامارة لا يقوم
بحوله وقوته حتى يرجع الى ربه مستعينا ربنا افرغ علينا صبرا على الائتمار بطاعتك والانزجار عن معاصيك
وثبت أقدامنا فى التسليم عند الشدة والرخاء وهجوم احكام القضاء فى السراء والضراء وانصرنا على القوم
الكافرين وهم اعداؤنا فى الدين عموما والنفس الامارة التى هى اعدى عدوّنا بين جنبينا خصوصا اذا كان
الالتجاء عن صدق الرجاء برب الارض والسماء يكون مقرونا باجابة الدعاء والظفر على الاعداء فهزموهم
باذن الله بنصرة الله فانه الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وقتل داود القلب جالوت النفس
اذ أخذ حجر الحرص على الدنيا وحجر الركون الى العقبى وحجر تعلقه الى نفسه بالهوى حتى صارت الثلاثة حجرا
واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه فى مقلاع التسليم والرضى فرمى به جالوت النفس وسخر الله له ريح
العناية حتى اصاب انف بيضة هواها فاخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل من ورائها ثلاثين من صفاتها

واخلاقها وهزم الله باقى جيشها وهو الشياطين واحزابها وآتاه الله الملك والحكمة يعنى آتى داود القلب ملك الخلافة وحكمة الالهامات الربانية وعلمه مما يشاء من حقائق القرآن واسراره واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعنى ارباب الطلب بالمشايخ الواصلين لفسدت الارض ارض استعدادهم المخلوقة فى احسن التقويم لتشمير كمالات الدين القويم عن استيلاء جالوت النفس وجنود صفاتها فى تخريب بلاد الارواح بتبديل اخلاقها وتكدر صفاء ذواتها وترديدها الى جحيم صفات البهائم والانعام واسفل دركاتها ولكن الله ذو فضل على العالمين يعنى من كمال فضله ورحمته يحرك سلسلة طلب الطالبين و يلهم اسرارهم بارادة المشايخ الكاملين ويوفقهم للتمسك بذيول تربيتهم والتسليم تحت تصرفاتهم فى تنقيتهم و يثبتهم بالصبر والسكون على الرياضات والمجاهدات فى حال تزكيتهم ويشير الى المشايخ بقبولهم والاقبال عليهم و يقويهم على شدآئد المخالفات فلولم تكن هذه الالطاف من الله ماتيسر لهم تزكية نفوسهم ابدا فهذه اشارات لاتتحقق الا لاهل الخبر ولهذا خص الله حبيبه بتحقيقها وتحققها بقوله تلك آيات الله يعنى فى ضمن هذه الآيات حقائق ودقائق نتلوها عليك اى نجلوها لديك بالحق اى بالحقيقة كما هى وانك لمن المرسلين الذين عبروا على هذه المقامات وشاهدوا هذه الاحوال والكرامات كذا فى التأويلات النجمية (تلك الرسل) اشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبى عليه الصلاة والسلام فاللام فى الرسل للاستغراق (فضلنا بعضهم على بعض) بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره واعلم ان الانبياء كلهم متساوون فى النبوة لان النبوة شئ واحد لاتفاضل فيها وانما التفاضل باعتبار الدرجات بلغ بعضهم منصب الخلة كابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يحصل ذلك لغيره وجمع لداود بين الملك والنبوة وطيب النغمة ولم يحصل هذا لغيره وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح ولم يحصل هذا لابيه داود وخص محمدا عليه وعليهم السلام بكونه مبعوثا الى الجن والانس و بكون شرعه ناسخا لجميع الشرآئع المتقدمة ومنهم من دعا امته بالفعل الى توحيد الافعال وبالقوة الى الصفات والذات ومنهم من دعا بالفعل الى الصفات ايضا وبالقوة الى الذات ومنهم من دعا الى الذات ايضا بالفعل وهو ابراهيم عليه السلام فانه قطب التوحيد اذ الانبياء كانوا يدعون الى المبدأ والمعاد والى الذات الاحدية الموصوفة ببعض الصفات الالهية الا ابراهيم عليه السلام فانه دعا الى الذات الالهية الاحدية ولذا امر الله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه بقوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهو من اتباع ابراهيم باعتبار الجمع دون التفصيل اذ لاتمم لتفاصيل الصفات الاهو ولذلك لم يكن غيره خاتما فالانبياء وان كانوا متفاوتين فى درجات الدعوة بحسب مشارب الامم الا ان كلهم واصلون فانون فى الله باقون بالله لان الولاية قبل النبوة حيث ان آخر درجات الولاية اول مقامات النبوة فهى تبتنى على الولاية ومعنى الولاية الفناء فى الله والبقاء بالله فالنبى لايكون الا واصلا محرزا جميع مراتب التوحيد من الافعال والصفات والذات (منهم من كلم الله) اى فضله الله بأن كلمه بغير واسطة وهو موسى عليه الصلاة والسلام فهو كليمه بمعنى مكالمه واختلفوا فى الكلام الذى سمعه موسى وغيره من الله تعالى هل هو الكلام القديم الازلى الذى ليس من جنس الحروف والاصوات قال الاشعرى واتباعه المسموع هو ذلك الكلام الازلى قالوا كما انه لم تمتنع رؤية ماليس بمكيف فكذا لايستبعد سماع ماليس بمكيف وقيل سماع ذلك الكلام محال وانما المسموع هو الحروف والصوت (ورفع بعضهم درجات) اى على درجات فانتصابه على نزع الخافض وذلك بأن فضله على غيره من وجوه متعددة او بمراتب متباعدة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتى مالم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى ثلاثة آلاف آية واكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتى الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفى الحديث فضلت على الانبياء بست اوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون قال فى التأويلات النجمية اعلم ان فضل كل صاحب فضل يكون على قدر استعلاء ضوء نوره لان الرفعة فى الدرجات على قدر رفعة الاستعلاء كما قال تعالى والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم زادت الدرجة فناهيك عن هذا المعنى قول النبى عليه السلام فيما يخبر عن المعراج انه رأى آدم فى السماء الدنيا و يحيى وعيسى فى السماء الثانية ويوسف فى السماء الثالثة وادريس فى السماء الرابعة وهرون فى السماء الخامسة وموسى فى السماء

السادسة وابراهيم فى السماء السابعة وعبر النبى عليه السلام حتى رفع الى سدرة المنتهى ومن ثم الى قاب قوسين اوأدنى فبهذه الرفعة فى الدرجة فى القرب الى الحضرة كانت له على قدرقوة ذلك النورفى استعلاء ضوئه وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضهم فوق بعض فلما غلب نور الوحدانية على ظلمة انسانية النبى عليه السلام اضمحلت وتلاشت وفنيت ظلمة وجوده بسطوات تجلى صفات الجمال والجلال فكل نبى بقدر بقية ظلمة وجوده بقى فى مكان من اماكن السموات فانه صلى الله تعالى عليه وسلم ما بقى فى مكان ولا فى الامكان لانه كان فانيا عن ظلمة وجوده باقيا بنور وجوده ولهذا سماه الله نورا وقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين فالنور هو محمد عليه السلام والكتاب هو القرءآن فافهم واغتنم فانك لا تجد هذه المعانى الاههنا انتهى كلام التأويلات النجمية (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وشفاء المرضى وابرآء الاكمه والابرص وخلق الطير من الطين والاخبار بالمغيبات والانجيل وجعل معجزاته سبب تفضيله مع ان ايتاء البينات غير مختص بعيسى عليه الصلاة والسلام لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره وخص عيسى عليه السلام بالتعيين مع انه غير مختص بايتاء البينات تقبيحا لافراط اليهود فى تحقيره حيث انكروا نبوته مع ما ظهر على يده من البينات القاطعة الدالة عليها ولافراط النصارى فى تعظيمه حيث اخرجوه عن مرتبة الرسالة (وايدناه) اى قويناه (بروح القدس) اى الروح المطهرة التى نفخها الله فيه فأبانه بها من غيره ممن خلق من اجتماع نطفتى الذكر والانثى لانه عليه السلام لم تضمه اصلاب الفحول ولم يشتمل عليه ارحام الطوامث فالقدس بمعنى المقدس من قبيل رجل صدق او القدس هو الله وروحه جبريل والاضافة للتشريف والمعنى أعانه بجبريل فى اوّل امره وفى وسطه وفى آخره اما فى الاول من امره فلقوله فنفخنا فيه من روحنا واما فى وسطه فلأن جبريل عليه السلام علمه العلوم وحفظه من الاعدآء واما فى آخر الامر فحين ارادت اليهود قتله اعانه جبريل ورفعه الى السماء (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) اى من بعد الرسل من الامم المختلفة اى لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق (من) متعلقة باقتتل (بعد ما جاءتهم) من جهة اولئك الرسل (البينات) المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقيقة الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدى الى القتال . (ولكن اختلفوا) اى لكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا (فمنهم من آمن) اى بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به (ومنهم من كفر) بذلك كفرا لا ارعوآء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم (ولو شاء الله) عدم اقتتالهم بعد هذه المرة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة (ما اقتتلوا) وما نبض منهم عرق التطاول والتعاون لما ان الكل تحت ملكوته (ولكن الله يفعل ما يريد) اى من الامور الوجودية والعدمية التى من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال اى يفعل ما يريد حسبما يريد من غيران يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته تعالى خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا وهذا نذير على المعتزلة قال الامام الغزالى قدس سره المتعالى فى شرح اسمى الضار والنافع هو الذى يصدر منه الخير والشر والنفع والضر وكل ذلك منسوب الى الله تعالى اما بواسطة الملائكة والانس والجمادات او بغير واسطة فلا تظنن ان السم يقتل ويضر بنفسه وان الطعام يشبع وينفع بنفسه وان الملك او الانسان او الشيطان او شيأ من المخلوقات من فلك الكواكب اوغيرها يقدر على خير أو شر بنفسه اونفع اوضر بل كل ذلك اسباب مسخرة لا يصدر منها الا ما سخرت له وجملة ذلك بالاضافة الى القدرة الازلية كالقلم بالاضافة الى الكاتب فى اعتقاد العامى وكما ان السلطان اذا وقع لكرامة اوعقوبة لم يرضر ذلك ولا نفعه من القلم بل من الذى القلم مسخر له فكذلك سائر الوسائط والاسباب وانما قلنا فى اعتقاد العامى لان الجاهل هو الذى يرى القلم مسخرا للكاتب والعارف يعلم انه مسخر فى يده لله تعالى وهو الذى الكاتب مسخر له فانه مهما خلق الكاتب وخلق له القدرة وسلط عليه الداعية الجازمة التى لا تردد فيها صدر منه حركة الاصبع والقلم لا محالة شاء ام أبى بل لا يمكنه ان لا يشاء فاذا الكاتب بقلم الانسان ويده هو الله تعالى واذا عرفت هذا فى الحيوان المختار فهو فى الجمادات اظهر قال صاحب روضة الاخبار المؤثر هو الله تعالى والكواكب اسباب عادية الشمس مظهر اسم الحى والزهرة للمريد وعطارد للمسقط والقمر للقابل

ولذا كان بيت العزة فى ملكه والمريخ للقادر والمشترى للعليم وزحل للجواد واصول الاسماء اربعة هى الحياة والعلم
والقدرة والارادة واسرافيل مظهر الحياة والاقساط مندرج فيها وجبريل مظهر العلم والقول وباعتبار الاول هو
روح القدس وبالثانى الروح الامين ولذا كان حامل الوحى وميكائيل مظهر الارادة والجود مندرج فيها ولذا كان
ملك الارزاق وعزرائيل مظهر القدرة ولذا يقهر الجبابرة ويذلهم بالموت والفناء (يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما
رزقناكم) من تبعيضية اى شيأ مما رزقناكموه والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق والمراد به الانفاق
الواجب اى الزكاة بدلالة ما بعده من الوعيد والاكثر على ان الامر يتناول الواجب والمندوب (من) لابتداء
الغاية (قبل ان يأتى يوم) يوم الحساب والجزاء (لا بيع فيه) يتدارك به المقصر تقصيره وهو فى التقدير جواب
هل فيه بيع ولهذا رفع والبيع استبدال المال بالثمن (ولا خلة) حتى يسامحكم اخلاؤكم بما تصنعون والخلة المودة
والصداقة فكأنها تتخلل الاعضاء اى تدخل خلالها ووسطها والخليل الصديق لمداخلته اياك والخلة تنقطع
يوم القيامة بين الاخلاء الا بين المتقين لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (ولا شفاعة)
حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حط ما فى ذممكم والشفاعة المنفية يوم القيامة هى التى يستقل فيها الشفيع
ويأتى بها وان لم يؤذن له فيها فان الدلائل قائمة على ثبوت الشفاعة للمؤمنين بعد أن يؤذن لهم فيها وهى لمن مات
لا يشرك بالله شيأ (والكافرون) اى والتاركون للزكاة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما قال فى آخر آية الحج
ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بأن ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكاة (هم الظالمون) اى الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه الى غير
وجهه * زكات اكر ندهى از زرت زداد وى * علاج كى كنمت كاخر الدواء الكى * قال الراغب
حث المؤمنين على الانفاق مما رزقهم من النعماء النفسية والبدنية الجارحية وان كان الظاهر فى التعارف
انفاق المال ولكن قد يراد به بذل النفس والبدن فى مجاهدة العدو والهوى وسائر العبادات ولما كانت الدنيا دار
اكتساب وابتلاء والآخرة دار ثواب وجزاء بين ان لا سبيل للانسان الى تحصيل ما ينتفع به فى الآخرة فانتفى بذكر
هذه الثلاثة لانها اسباب اجتلاب المنافع المفضية اليها احدها المعاوضة واعظمها المبايعة والثانى ما تناوله
بالمودة وهو المسمى بالصلات والهدايا والثالث ما يصل اليه بمعاونة الغير وذلك هو الشفاعة ولما كانت
العدالة بالقول المجمل ثلاثا عدالة بين الانسان ونفسه وعدالة بينه وبين الناس وعدالة بينه وبين الله
فكذلك الظلم له مراتب ثلاث واعظم العدالة ما بين العبد وبين الله وهو الايمان واعظم الظلم ما يقابله وهو الكفر
ولذلك قال والكافرون هم الظالمون اى هم المستحقون لاطلاق هذا الوصف عليهم بلا مثنوية فليسارع العبد
الى تقوية الايمان بالانفاق والاحسان (حكى) انه كان عابد من الشيوخ اراده الشيطان فلم يستطع منه شيأ
فقال له الشيطان الا تسألنى عما اضل به بنى آدم قال بلى قال فاخبرنى ما اوثق شئ فى نفسك ان تضلهم به قال الشح
والحدة والسكر فان الرجل اذا كان شحيحا قللنا ماله فى عينيه ورغبناه فى اموال الناس وان كان حديدا
ادرناه بيننا كما تدور الصبيان الكرة فلو كان يحيى الموتى بدعائه لم نيأس منه واذا سكر اقتدناه الى كل شهوة
كما تقاد العنز بأذنها كذا فى آكام المرجان وعن محمد بن اسماعيل البخارى يقول بلغنا ان الله اوحى الى جبريل
عليه الصلاة والسلام فقال يا جبريل لو انا بعثتك الى الدنيا وجعلتك من اهلها ما الذى عملت من الطاعات فيها فقال
جبريل انت اعلم بشأنى منى ولكنى كنت اعمل ثلاثة اشياء اولها كنت اعين صاحب العيال فى النفقة على عياله
والثانى كنت استر عيوب الخلق وذنوبهم حتى لا يعلم احد من خلقك عيوب عبادك وذنوبهم غيرك والثالث
اسقى العطشان واورويه من الماء كذا فى روضة العلماء (قال السعدى) جو خود را قوى حال بينى وخوش *
بشكرانه بار ضعيفان بكش * اكر خود همين صورتى جون طلسم * بميرى واسمت بميرد جو جسم *
اكر برورانى درخت كرم * بر نيك نامى خورى لاجرم * اللهم اجعلنا من المنفقين والمستغفرين (الله)
هذا الاسم اعظم الاسماء التسعة والتسعين لانه دال على الذات الجامعة لصفات الالهية كلها حتى لا يشذ منها
شئ وسائر الاسماء لا تدل آحادها الا على آحاد المعانى من علم او قدرة او فعل وغيره ولانه اخص الاسماء اذ لا يطلقه
احد على غيره لا حقيقة ولا مجازا وسائر الاسماء قد يسمى بها غيره كالقادر والعليم والرحيم وغيرها وينبغى
ان يكون حظ العبد من هذا الاسم التأله واعنى به ان يكون مستغرق القلب والهمة فى الله تعالى لا يرى غيره

ولا يلتفت الى سواه ولا يرجو ولا يخاف الااياه وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم انه الموجود الحقيقى الحق وكل ماسواه فان وهالك وباطل الابه فيرى نفسه اول هالك وباطل كما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال أصدق بيت قالته العرب قول لبيد ألا كل شئ ماخلا الله باطل وفى هذه الكلمة فوآئد ليست فى غيرها فان كل كلمة اذا اسقطت منها حرفا يختل المعنى بخلاف هذه فانك ان حذفت الالف يصير لله قال تعالى لله مافى السموات والارض وان حذفت اللام الاولى ايضا يبقى له قال تعالى له ملك السموات والارض وان حذفت اللام الثانية ايضا يبقى الهاء وهو ضمير راجع الى الله تعالى قال تعالى هو الله الذى لا اله الا هو وللاسماء تأثير بليغ خصوصا للفظة الجلالة قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره لما جاء المولى علاء الدين الخلوتى ببروسة صعد المنبر فى الجامع الكبير للوعظ وقد اجتمع جمع كثير منتظرين لكلامه فقال مرة واحدة ياألله فحصل للجماعة حالة رقصوا وكادوا لا يرجعون عن البكاء والفزع (وحكى) انه لما مات سلطان العصر عزم جماعة الرجال على قتل الوزير فجاء بيت الشيخ وفا فى القسطنطينية واستغاث منه فأدخله الشيخ الى بيته فهجموا جميعا الى بيت الشيخ فخرج الشيخ وقال مرة واحدة ياألله فهربوا جميعا فانظر انهم اذا ذكروا الله تظهر آثار عجيبة ونحن اذا ذكرنا ذلك الاسم بعينه لا يظهر له اثر وذلك لانهم زكوا انفسهم وبدلوا اخلاقهم واما نحن فليس فينا هذا ولا القابلية لذلك وانما الفيض من الله تعالى (قال الحافظ) فيض روح القدس ارباز مدد فرمايد * ديكران هم بكنند آنجه مسيحا ميكرد (لا اله الا هو) الجملة خبر للمبتدأ وهو الجلالة والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير * وحكى ان شيخ قطب الاقطاب يا هو ويا من هو هو ويا من لا اله الا هو فاذا قال ذلك بطريق الحال يقدر على التصرفات وللتوحيد ثلاث مراتب توحيد المبتدئين لا اله الا الله وتوحيد المتوسطين لا اله الا انت لانهم فى مقام الشهود بمقتضاه الخطاب واما الكمل فيسمعون التوحيد من الموحد وهو لا اله الا انا لانهم فى مقام الفناء الكلى فلا يصدر منهم شئ اصلا قال ابن الشيخ فى حواشى سورة الاخلاص لفظ هو اشارة الى مقام المقربين وهم الذين نظروا الى ماهيات الاشياء وحقائقها من حيث هى هى فلا جرم ما رأوا موجودا سوى الله لان الحق هو الذى لذاته يجب وجوده واما ماعداه فممكن والممكن اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما فهؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق سبحانه وكلمة هو وان كانت للاشارة المطلقة ومفتقرة فى تعين المراد بها الى سبق الذكر باحد الوجوه اوالى ان يعقبها ما يفسرها الا انهم يشيرون بها الى الحق سبحانه ولا يفتقرون فى تلك الاشارة الى ما يميز الذات المرادة عن غيرها لان الافتقار الى المميز انما يحصل حيث وقع الابهام بان يتعدد ما يصلح لان يشار اليه وقد بينا انهم لا يشاهدون بعيون عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كان لفظة هو كافية فى حصول العرفان التام لهؤلاء انتهى كلامه وانما ذكرته ههنا ليكون حجة على من انكر على جماعة الصوفية فى كلمة هو ذاهبا الى انها ضمير ولا فائدة فى الذكر به وقد سبق منى عند قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو ما ينفعك فى هذا المقام قال شيخى وسندى الذى بمنزلة روحى فى جسدى الذكر بلا اله الا الله افضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو عند العلماء بالله لانها جامعة بين النفى والاثبات وحاوية لزيادة العلم والمعرفة فمن نفى بلا اله عين الخلق حكما وعلما فقد أثبت بالا الله كون الحق حكما وعلما وأفاد فى ايضا اذا قلت لا اله الا الله فشاهد بالشهود الحقانى فناء افعال الخلق وصفاتهم وذواتهم فى افعال الحق وصفاته وذاته وهذا مقتضى الجمع والاحدية وتلك الكلمة فى الحقيقة اشارة الى هذه المرتبة واذا قلت محمد رسول الله فشاهد بالشهود الحقانى ايضا بقاء افعالهم وصفاتهم وذواتهم بافعاله تعالى وصفاته وذاته وهذا مقتضى الفرق والواحدية وتلك الكلمة ايضا اشارة الى هذه المرتبة فاذا كان توحيد العبد على هذه المشاهدة فلا جرم ان توحيده يكون توحيدا حقيقيا حقانيا لا رسميا نفسانيا (قال المولى الجامى قدس سره) كرچه لاداشت تيركئ عدم * دارد الافروغ نور قدم * كرچه لابود كان كفر وجحود * هست الاكليد كنج شهود * چون كند لابساط كثرت طى * دهد الازجام وحدت مى * آن رهاند زنقش بيش وكمت * وين رساند بوحدت قدمت * تانسازى حجاب كثرت دور * ندهد آفتاب وحدت نور * دائم آن آفتاب تابانست * ازحجاب تو ازتو پنهانست * كربرون آيى ازحجاب تويى * مرتفع كردد ازميانه دويى * درزمين وزمان وكون ومكان * همه او بينى آشكار ونهان * اللهم اوصلنا الى الجمع والعين واليقين (الحى) خبر ثان وهو

فى اللغة من له الحياة وهى صفة تخالف الموت والجمادية وتقتضى الحس والحركة الارادية واشرف ما وصف به الانسان الحياة الابدية فى دار الكرامة واذا وصف البارى عزشأنه بها وقيل انه حى كان معناه الدآئم الباقى الذى لا سبيل عليه للموت والفناء فهو الموصوف بالحياة الازلية الابدية قال الامام الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى الحى هو الفعال الدراك حتى ان من لا فعل له اصلا ولا ادراك فهو ميت واقل درجات الادراك ان يشعر المدرك بنفسه فالا يشعر بنفسه فهو الجماد والميت فالحى الكامل المطلق هو الذى تندرج جميع المدركات تحت ادراكه وجميع الموجودات تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا عن فعله مفعول وذلك هو الله تعالى فهو الحى المطلق وكل حى سواه فحياته بقدر ادراكه وفعله وكل ذلك محصور فى قوله (القيوم) قام بالامر اذا دبره مبالغة القائم فانه تعالى دآئم القيام على كل شئ بتدبير امره فى انشائه وترزيقه وتبليغه الى كماله اللائق به وحفظه قال الامام الغزالى اعلم ان الاشياء تنقسم الى ما يفتقر الى محل كالاعراض والاوصاف فيقال فيها انها ليست قائمة بنفسها والى ما لا يحتاج الى محل فيقال انه قائم بنفسه كالجواهر الا ان الجوهر وان قام بنفسه مستغنيا عن محل يقوم به فليس مستغنيا عن امور لا بد منها لوجوده وتكون شرطا فى وجوده فلا يكون قائما بنفسه لانه محتاج فى قوامه الى وجود غيره وان لم يحتج الى محل فان كان فى الوجود موجود يكفى ذاته بذاته ولا قوام له بغيره ولا شرط فى دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقا فان كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للاشياء وجود ولا دوام وجود الا به فهو القيوم لان قوامه بذاته وقوام كل شئ به وليس ذلك الا الله تعالى ومدخل العبد فى هذا الوصف بقدر استغنائه عما سوى الله تعالى انتهى كلام الغزالى قيل الحى القيوم اسم الله الاعظم وكان عيسى عليه الصلاة والسلام اذا اراد ان يحيى الموتى يدعو بهذا الدعاء يا حى يا قيوم ويقال دعاء اهل البحر اذا خافوا الغرق يا حى يا قيوم وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه لما كان يوم بدر جئت انظر ما يصنع النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد يقول يا حى يا قيوم فترددت مرات وهو على حاله لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له وهذا يدل على عظمة هذا الاسم وفى التأويلات النجمية انما اشير فى معنى الاسم الاعظم الى هذين الاسمين وهما الحى والقيوم لان اسمه الحى مشتمل على جميع اسمائه وصفاته فان من لوازم الحى ان يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا واسمه القيوم مشتمل على افتقار جميع المخلوقات اليه فاذا تجلى الله لعبد بهاتين الصفتين فالعبد يكاشف عند تجلى صفة الحى معانى جميع اسمائه وصفاته ويشاهد عند تجلى صفة القيوم فناء جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق زهق الباطل فلا يرى فى الوجود الا الحى القيوم اذ اسلب الحى جميع اسماء الله وسلب القيوم قيام المخلوقات فترتفع الاثنينية بينهما واذا فنى التعدد وبقيت الوحدة فيصير ان اسما اعظم للمتجلى له فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الانسانية فقد ذكره باسمه الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى فاما الذاكر عند غيبه فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى حال غيبه وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل ابو يزيد البسطامى قدس سره عن الاسم الاعظم فقال الاسم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باى اسم شئت انتهى ما فى التأويلات واعلم ان الاسم الاعظم عبارة عن الحقيقة المحمدية فمن عرفها عرفه وهى صورة الاسم الجامع الالهى وهو ربها ومنه الفيض فاعرف تفز بالحظ الاوفى (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة ثقلة من النعاس وفتور يعترى المزاج قبل النوم وليست بداخلة فى حد النوم والنعاس اول النوم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه مع ان قياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود الخارجى فان الموجود منهما اولا هو السنة ثم يعترى بعدها النوم وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفى لكل منهما والمراد بيان انتفاء اعترآء شئ منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه وانما عبر عن عدم الاعترآء والعروض بعدم الاخذ لمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم لمعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء والجملة نفى للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحياة قاصرا فى الحفظ والتدبير والمعنى لا يعتريه ما يعترى المخلوقين من السهو والغفلة والملال والفترة فى حفظ ما هو قائم بحفظه ولا يعرض له عوارض التعب المحوجة الى الاستراحة فيستريح بالنوم والسنة لان النوم

اخو الموت والموت ضد الحياة وهو الحى الحقيقى فلا يلحقه ضد الحياة فكما انه موصوف بصفات الكمال فهو منزه عن جميع صفات النقصان روى ان موسى عليه السلام سأل الملائكة وكان ذلك فى نومه أينام ربنا فأوحى الله تعالى اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فأخذهما فأخذه النوم فزالتا وانكسرتا ثم اوحى الله اليه انى امسك السموات والارض بقدرتى فلو اخذنى نوم اونعاس لزالتا كذا فى الكشاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام قال ابن الملك هذا بيان لاستحالة وقوع النوم منه لانه عجز والله تعالى يتعالى عنه انتهى وحظ العبد من هذا الوصف ان يترك النوم فان الله تعالى وان رخص للعباد فى المنام بل هو فضل منه تعالى لكن كثرة المنام بطالة وان الله تعالى لا يحب البطال قال ابو يزيد البسطامى قدس سره لم يفتح لى شئ الا بعد أن جعلت الليالى اياما (قال السعدى) سر آنكه بيالين نهد هوشمند * كه خوابش بقهر آورد دركمند * قيل كان رجل له تلميذان اختلفا فيما بينهما فقال احدهما النوم خير لان الانسان لا يعصى فى تلك الحالة وقال الآخر اليقظة خير لانه يعرف الله فى تلك الحالة فتحاكما الى ذلك الشيخ فقال الشيخ اما انت الذى قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خير لك وقيل اشترى رجل مملوكة فلما دخل الليل قال افرشى الفراش فقالت المملوكة يا مولاى ألك مولى قال نعم قالت ينام مولاك قال لا فقالت الا تستحيى ان تنام ومولاك لم ينم ومن الابيات التى كان يذكرها بلال الحبشى رضى الله عنه وقت السحر (ياذا الذى استغرق فى نومه * مانوم عبد ربه لا ينام * أهل تقول انى مذنب * مشتغل الليل بطيب المنام) (له مافى السموات ومافى الارض) تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده فى الالوهية لانه تعالى خالقهما بما فيهما والمشاركة انما تقع فيما فيهما ومن يكن له مافيهما محال مشاركته فكل من فيهما ومافيهما ملكه ليس لاحد معه فيه شركة ولا لاحد عليه سلطان فلا يجوز أن يعبد غيره كما ليس لعبد أحدكم ان يخدم غيره الا باذنه والمراد بمافيهما ماهو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم فهو ابلغ من ان يقال له السموات والارض ومافيهن لان قوله ومافيهن بعد ذكر السموات والارض انما يتناول الامور الخارجة المتمكنة فيهن اذ لو اريد به مايعم الامور الداخلة فيهما والخارجة عنهما لاغنى ذكره عن ذكرهما (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) من مبتدأ وذا خبره والذى صفة ذا او بدل منه ولفظ من وان كان استفهاما فمعناه النفى ولذلك دخلت الا فى قوله الا باذنه وعنده فيه وجهان احدهما انه متعلق بيشفع والثانى انه متعلق بمحذوف فى موضع الحال من الضمير فى يشفع اى لا احد يشفع مستقرا عنده الا باذنه وقوى هذا الوجه بانه اذا لم يشفع عنده من هو عنده وقريب منه فشفاعة غيره ابعد والا باذنه متعلق بمحذوف لانه حال من فاعل يشفع فهو استثناء مفرغ والباء للمصاحبة والمعنى لا احد يشفع عنده فى حال من الاحوال الا فى حال كونه مأذونا له اولا احد يشفع عنده بامر من الامور الا باذنه والباء للاستعانة كما فى ضرب بسيفه فيكون الجار والمجرور فى موضع المفعول به وكان المشركون يقولون اصنامنا شركاء الله تعالى وهم شفعاؤنا عنده فوحد الله نفسه بالنفى والاثبات ليكون المعنى فى ثبوت التوحيد ونفى الشرك اى ليس لاحد أن يشفع لاحد عنده الا باذنه وقد اخبر أنه لا يأذن فى الشفاعة للكفار وهو رد على المعتزلة فى انهم لا يرون الشفاعة اصلا والله تعالى أثبتها للبعض بقوله الا باذنه وفى التأويلات النجمية هذا الاستثناء راجع الى النبى عليه الصلاة والسلام لان الله قد وعد له المقام المحمود وهو الشفاعة فالمعنى من ذا الذى يشفع عنده يوم القيامة الا عبده محمد فانه مأذون موعود وبعينه الانبياء بالشفاعة انتهى * غم نخورد آنكه شفيعش توبى * بايه ده قدر رفيعش توبى * حاصلى ازنيست زطاعت مرا * هست اميدى بشفاعت مرا * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتانى آت من عند ربى فخيرنى بين ان يدخل نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فأخترت الشفاعة روى ان الانبياء عليهم السلام يعينون نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة فيأتى الناس اليه فيقول انا لها وهو المقام المحمود الذى وعده الله به يوم القيامة فيأتى ويسجد ويحمد الله بمحامد يلهمه الله تعالى اياها فى ذلك الوقت لم يكن يعلمها قبل ذلك ثم يشفع الى ربه ان يفتح باب الشفاعة للخلق فيفتح الله ذلك الباب فيأذن فى الشفاعة للملائكة والرسل والانبياء والمؤمنين فبهذا يكون سيد الناس يوم القيامة فانه شفع عند الله ان يشفع الملائكة والرسل ومع هذا تأدب صلى الله عليه وسلم وقال انا سيد الناس ولم يقل سيد الخلائق فيدخل الملائكة

فى ذلك مع ظهور سلطانه فى ذلك اليوم على الجميع وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع له بين مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم ولم يكن ظهوره على الملائكة ماظهر لآدم عليهم من اختصاصه بعلم الاسماء كلها فاذا كان فى ذلك اليوم افتقر اليه الجميع من الملائكة والناس من آدم فمن دونه فى فتح باب الشفاعة واظهار ماله من الجاه عند الله اذ كان القهر الالهى والجبروت الاعظم قد أخرس الجميع فدل على عظيم قدره عليه السلام حيث اقدم مع هذه الصفة الغضبية الالهية على مناجاة الحق فيما سأله فيه فأجابه الحق سبحانه كذا فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى عليه رحمة البارى واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اول من يفتح باب الشفاعة فيشفع فى الخلق ثم الانبياء ثم الاولياء ثم المؤمنون وآخر من يشفع هو أرحم الراحمين فان الرحمن ماشفع عند المنتقم فى اهل البلاء الا بعد شفاعة الشافعين الذين لم تظهر شفاعتهم الا بعد شفاعة خاتم الرسل اياهم ليشفعوا ومعنى شفاعة الله سبحانه هو أنه اذا لم يبق فى النار مؤمن شرعى اصلا يخرج الله منها قوما علموا التوحيد بالادلة العقلية ولم يشركوا بالله شيأ ولا آمنوا ايمانا شرعيا ولم يعملوا خيرا قط من حيث ما اتبعوا فيه نبيا من الانبياء فلم يكن عندهم ذرة من ايمان فيخرجهم ارحم الراحمين فاعرف هذا فأنه من الغرآئب افاده لى شيخى العلامة افادة كشفية وصادفته ايضا فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى اللهم اغفر وارحم وانت ارحم الراحمين (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) استئناف آخر لبيان احاطة علمه بأحوال خلقه المستلزم لعلمه بمن يستحق الشفاعة ومن لا يستحقها اى يعلم ما كان قبلهم من امور الدنيا وما يكون بعدهم من امر الآخرة اوما بين ايديهم يعنى الآخرة لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها ورآء ظهورهم اوما بين ايديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما فى السموات اوما بين ايديهم بعد انقضاء آجالهم وما خلفهم اى ما كان قبل أن يخلقهم اوما فعلوه من خير وشر وقدموه وما يفعلونه بعد ذلك والمقصود بهذا الكلام بيان انه عالم بأحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب والضمير لما فى السموات وما فى الارض لان فيهم العقلاء فغلب من يعقل على غيره اولما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء فيكون للعقلاء خاصة (ولا يحيطون) اى لا يدركون يعنى من الملائكة والانبياء وغيرهم (بشئ من علمه) اى من معلوماته (الا بما شاء) ان يعلموه وان يطلعهم عليه كأخبار الرسل فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وانما فسرنا العلم بالمعلوم لان علمه تعالى الذى هو صفة قائمة بذاته المقدسة لا يتبعض فجعلناه بمعنى المعلوم ليصح دخول التبعيض والاستثناء عليه * وفى التأويلات النجمية يعلم محمد عليه السلام ما بين ايديهم من الامور الاوليات قبل خلق الله الخلائق كقوله اول ما خلق الله نورى وما خلفهم من اهوال القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسى نفسى وحوالة الخلق بعضهم الى بعض حتى بالاضطرار يرجعون الى النبى عليه السلام لاختصاصه بالشفاعة ولا يحيطون بشئ من علمه يحتمل أن تكون الهاء كناية عنه عليه السلام يعنى هو شاهد على احوالهم يعلم ما بين ايديهم من سيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وما خلفهم من امور الآخرة واحوال اهل الجنة والنار وهم لا يعلمون شيأ من معلوماته الا بما شاء ان يخبرهم عن ذلك انتهى قال شيخنا العلامه ابقاه الله بالسلامه فى الرسالة الرحمانية فى بيان الكلمة العرفانية علم الاولياء من علم الانبياء بمنزلة قطرة من سبعة ابحر وعلم الانبياء من علم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بهذه المنزلة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنزلة انتهى وفى القصيدة البردية

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر اورشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم * من نقطة العلم اومن شكلة الحكم

حاصله ان علوم الكائنات وان كثرت بالنسبة الى علم الله عز وجل بمنزلة نقطة اوشكلة ومشربها بحر روحانية محمد صلى الله عليه وسلم فكل رسول ونبى وولى آخذون بقدر القابلية والاستعداد مما لديه وليس لاحد أن يعدوه او يتقدم عليه قوله النقطة فعلة من نقطت الكتاب نقطا ومعناها الحاصل والشكلة بالفتح فعلة من شكلت الكتاب قيدته بالاعراب (وسع كرسيه السموات والارض) الكرسى ما يجلس عليه من الشئ المركب من خشبات موضوعة بعضها فوق بعض ولا يفضل على مقعد القاعد وكأنه منسوب الى الكرسى الذى هو الملبد وهو ما يجعل فيه اللبدة اى لم يضق كرسيه عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته

وتمثيل مجرد ولا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد وتقريره انه تعالى خاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه فى ملوكهم وعظمائهم كما جعل الكعبة بيتاله يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وامر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الاسود أنه يمين الله تعالى فى ارضه ثم جعله موضعا للتقبيل كما يقبل الناس ايدى ملوكهم وكذلك ماذكر فى محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء فوضع الميزان وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ثم اثبت لنفسه كرسيا فقال وسع كرسيه السموات والارض والحاصل ان كل ماجاء من الالفاظ الموهمة للتشبيه فى العرش والكرسى فقد ورد مثلها بل اقوى منها فى الكعبة والطواف وتقبيل الحجر ولما توافقت الائمة ههنا على ان المقصود تعريف عظمة الله وكبريائه مع القطع بانه تعالى منزه عن ان يكون فى الكعبة مايوهمه تلك الالفاظ فكذا الكلام فى العرش والكرسى والمعتمد كما قال الامام ان الكرسى جسم بين يدى العرش محيط بالسموات السبع لان الارض كرة والسماء الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة بالبيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى ان يكون العرش محيطا بالكل قال صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع من الكرسى الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وهو المشهور بفلك البروج قال مقاتل كل قائمة من الكرسى طولها مثل السموات السبع والارضين السبع وهو بين يدى العرش ويحمل الكرسى اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم فى الصخرة التى تحت الارض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك على صورة سيد البشر آدم عليه الصلاة والسلام وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو الثور وهو يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل وملك على صورة سيد السباع وهو الاسد يسأل للسباع الرزق من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل للطير الرزق من السنة الى السنة وفى التأويلات النجمية اما القول فى معنى الكرسى فاعلم ان مقتضى الدين والديانة ان لايؤول المسلم شيأ من الاعيان مما نطق به القرآن والاحاديث بالمعانى الابصورها كما جاء وفسرها النبى عليه الصلاة والسلام والصحابة وعلماء السلف الصالح اللهم الا أن يكون محققا خصه الله بكشف الحقائق والمعانى والاسرار واشارات التنزيل وتحقيق التأويل فاذا كوشف بمعنى خاص او اشارة وتحقيق بقدر ذلك المعنى من غير أن يبطل صورة الاعيان مثل الجنة والنار والميزان والصراط ومافى الجنة من الحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها من العرش والكرسى والشمس والقمر والليل والنهار ولا يؤول شيأ منها على مجرد المعنى ويبطل صورته بل يثبت تلك الاعيان كما جاء ويفهم منها حقائق معانيها فان الله تعالى ما خلق شيأ فى عالم الصورة الاوله نظير فى عالم المعنى وما خلق شيأ فى عالم المعنى وهو الآخرة الاوله حقيقة فى عالم الحق وهو غيب الغيب فافهم جدا وما خلق فى العالمين شيأ الاوله مثال وانموذج فى عالم الانسان فاذا عرفت هذا فاعلم ان مثال العرش فى عالم الانسان قلبه اذ هو محل استواء الروح عليه ومثال الكرسى سر الانسان والعجب كل العجب ان العرش مع نسبته الى استواء الرحمانية قيل هو كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى وسعة قلب المؤمن انتهى مافى التأويلات (وفى المثنوى) كفت سغمبر كه حق فرموده است * من نكنجم هيج در بالا و پست * در زمين وآسمان وعرش نيز * من نكنجم اين يقين دان اى عزيز * در دل مؤمن بكنجم اى عجب * كر مرا جويى دران دلها طلب * خود بزركى عرش باشد بس مديد * ليك صورت كيست چون معنى رسيد (ولا يأوده) يقال آده الشئ يأوده اذا اثقله ولحقه منه مشقة مأخوذ من الاود بفتح الواو وهو العوج ويعرض ذلك بالثقل اى لا يثقله ولا يشق عليه تعالى (حفظهما) اى حفظ السموات والارض اذ القريب والبعيد عنده سواء والقليل والكثير سواء وكيف يتعب فى خلق الذرة وكل الكون عنده سواء فلا من القليل له تيسر ولا من الكثير عليه تعسر انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون وانما لم يتعرض لذكر مافيهما لان حفظهما مستتبع لحفظه (وهو العلى) اى المتعالى بذاته عن الاشباه والانداد (العظيم) الذى يستحقر بالنسبة اليه كل ماسواه فالمراد بالعلو علو القدر والمنزلة لاعلو المكان لانه تعالى منزه عن التحيز وكذا عظمته انما هى بالمهابة والقهر والكبرياء ويمنع ان يكون بحسب المقدار والحجم لتعالى شأنه من ان يكون من جنس الجواهر والاجسام والعظيم من العباد

الانبياء والاولياء والعلماء الذين اذا عرف العاقل شيأ من صفاتهم امتلأ بالهيبة صدره وصار منشوقا بالهيبة قلبه حتى لا يبقى فيه متسع فالنبى عليه السلام عظيم فى حق امته والشيخ عظيم فى حق مريده والاستاذ فى حق تلميذه اذ يقصر عقله عن الاحاطة بكنه صفاته فان ساواه أو جاوزه لم يكن عظيما بالاضافة اليه وهذه الآية الكريمة منطوية كما ترى على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعترى النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فهو العالم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شأنه أن يملك ويقدر عليه ولا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما تناله الاوهام عظيم لا تحدق به الافهام ولذلك قال عليه السلام ان اعظم آية فى القرآن آية الكرسى من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة يعنى انما صارت آية الكرسى اعظم الآيات لعظم مقتضاها فان الشئ انما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته وآية الكرسى اقتضت التوحيد فى خمسين حرفا وسورة الاخلاص فى خمسة عشر حرفا قال الامام فى الاتقان اشتملت آية الكرسى على مالم تشتمل عليه آية فى اسماء الله تعالى وذلك انها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا فى بعضها ومستكنا فى بعض وهى الله هو الحى القيوم وضمير لا تأخذه وله وعنده وباذنه ويعلم وعلمه وشاء وكرسيه ويأوده وضمير حفظهما المستتر الذى هو فاعل المصدر وهو العلى العظيم ويكفى فى استحقاقها السيادة ان فيها الحى القيوم وهو الاسم الاعظم كما ورد به الخبر عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وتذاكر الصحابة افضل ما فى القرآن فقال لهم على اين انتم عن آية الكرسى ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى وعن على كرم الله وجهه عن النبى عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الآية فى دار الا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا على علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن على ايضا سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وعن محمد ابن ابى بن كعب عن ابيه ان اباه اخبره انه كان له جرن فيه خضر فكان يتعاهده فوجده ينقص فحرسه ذات ليلة فاذا هو بدابة تشبه الغلام المحتلم قال فسلمت فرددت عليها السلام وقلت من انت جن ام انس قالت جن قلت ناولينى يدك فناولتنى يدها فاذا يد كلب وشعر كلب فقلت هكذا خلقة الجن قالت لقد علمت الجن ما فيهم اشد منى قلت ما حملك على ما صنعت قالت بلغنى انك رجل تحب الصدقة فأحببنا ان نصيب من طعامك فقال لها ابى فما الذى يجيرنا منكم قالت هذه الآية التى فى سورة البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم من قالها حين يصبح اجيرمنا حتى يمسى ومن قالها حين يمسى اجيرمنا حتى يصبح فلما اصبح أتى النبى عليه السلام فأخبره فقال النبى عليه السلام صدق الخبيث وروى ان رجلا أتى شجرة او نخلة فسمع فيها حركة فتكلم فلم يجب فقرأ آية الكرسى فنزل اليه شيطان فقال ان لنا مريضا فبم نداويه قال بالذى انزلتنى به من الشجرة وخرج زيد بن ثابت الى حائط له فسمع فيه جلبة فقال ما هذا قال رجل من الجان اصابتنا السنة فاردنا ان نصيب من ثماركم افتطيبونها قال نعم فقال له زيد بن ثابت ألا تخبرنى ما الذى يعيذنا منكم قال آية الكرسى وبالجملة ان آية الكرسى من اعظم ما ينتصر به على الجن فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة ان لها تأثيرا عظيما فى طرد الشياطين عن نفس الانسان وعن المصروع وعمن تعينه الشياطين مثل اهل الشهوة والطرب وارباب سماع المكاء والتصدية واهل الظلم والغضب اذا قرئت عليهم بصدق كما فى آكام المرجان فى أحكام الجان * دل بردرد راد واقرآن * جان مجروح راشفا قرآن * هرچه جوبى زنص قرآن جو * كه بود كنج علمها قرآن * وانما قال اذا قرئت عليهم بصدق لانه هو العمدة والصادق يبيض وجهه والكاذب يسود ألا ترى الى الصبح الصادق

والكاذب كيف اعقب الاول شمس منير دون الثانى (قال فى المثنوى) هست تسبيحت بخار آب وكل * مرغ جنت شدز نفخ صدق دل * وكل ماوقع بطريق الحال وجد عنده التأثير بخلاف ماوقع بطريق القال فقط ولذا ترى أكثر الناس محرومين وان دعوا بالاسم الاعظم اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها آمين (لا اكراه فى الدين) قال بعضهم نزلت هذه الآية فى المجوس واهل الكتاب من اليهود والنصارى انه تقبل منهم الجزية ولا يكرهون على الاسلام ليس كمشركى العرب فانه لا يقبل منهم الا السيف او الاسلام ولا تقبل منهم الجزية ان أسلموا فيها والا قتلوا قال الله تعالى تقاتلونهم أو يسلمون والمعنى لا اجبار فى الدين لان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم لوضوح الحجة (قد تبين الرشد) هو لفظ جامع لكل خير والمراد ههنا الايمان الذى هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية لتقدم ذكر الدين (من الغى) اى من الكفر الذى هو المؤدى الى الشقاوة السرمدية قال الراغب الغى كالجهل يقال اعتبارا بالاعتقاد والغى اعتبارا بالافعال ولهذا قيل زوال الجهل بالعلم وزوال الغى بالرشد (فمن يكفر بالطاغوت) هو كل ما عبد من دون الله مما هو مذموم فى نفسه ومتمرد كالانس والجن والشياطين وغيرهم فلا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام والكفر به عبارة عن الكفر باستحقاقه العبادة (ويؤمن بالله) بالتوحيد وتصديق الرسل لان الكفر بالانبياء والكتب يمنع حقيقة الايمان بالله لان الايمان بالله حقيقة يستلزم الايمان باوامره ونواهيه وشرائعه المعلومة بالدلائل التى اقامها الله لعباده وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية بالمعجمة متقدمة على التحلية بالمهملة (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى بالغ فى التمسك بالحلقة الوكيدة وعروة الجسم الكبير الثقيل الموضع الذى يتعلق به من يأخذ ذلك الجسم ويحمله والوثقى فعلى للتفضيل تأنيث الاوثق كفضلى تأنيث الافضل (لا انفصام لها) اى لا انقطاع وهو استئناف لبيان قوة دلائل الحق بحيث لا يعتريها شئ من الشبه والشكوك فان العروة الوثقى استعارة المحسوس للمعقول لان من اراد امساك هذا الدين تعلق بالدلائل الدالة عليه ولما كانت دلائل الاسلام اقوى الدلائل واوضحها وصفها الله بأنها العروة الوثقى قال المولى ابو السعود الكلام تمثيل مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذى لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة فى المفردات (والله سميع) بالاقوال (عليم) بالعزائم والعقائد يعلم غيها ورشدها وباطلها وحقها ويجزى كلا على وفق عمله وقوله وعقده وهو ابلغ وعد ووعيد واعلم ان حقيقة الايمان كونه متعلقا بالله على وجه الشهود والعيان ومجازه كونه متعلقا به على وجه الرسم والبيان او بالطاغوت وحقيقة الكفر كونه متعلقا بالطاغوت ومجازه كونه متعلقا بوحدة الله او بنعمته فان الكفر ثلاثة اقسام كفر النعمة وكفر الوحدة وكفر الطاغوت وافراد الانسان ثلاثة اقسام ايضا اصحاب الميمنة وهم ارباب الجمال ومظاهره واصحاب المشأمة وهم ارباب الجلال ومظاهره والمقربون وهم اصحاب الكمال ومظاهره وقلوب الفريق الاول فى ايدى سدنة الجمال الالهى من الملائكة المقربين وقلوب الفريق الثانى فى ايدى سدنة الجلال الالهى من الشياطين المتمردين يستعملونها فى سبيل الشرور وقلوب الفريق الثالث فى يد الله الملك المتعال يد الله فوق ايدى سدنة الجمال والجلال يقلبها كيف يشاء بين التجليات العاليات والعلوم والمعارف الالهيات ولما تعلق ايمان هذه الفرق بالله على وجه الشهود والعيان وتعلق كفرهم بالطاغوت جليا او خفيا كان ايمانهم وكفرهم حقيقيين وجاوزوا من عالم المجاز الى عالم الحقيقة واما الفريق الثانى فقد تعلق ايمانهم بالطاغوت مطلقا جليا او خفيا وكفرهم بالوحدة والنعمة فكان ايمانهم وكفرهم مجازيين لكن ايمانهم مردود ككفرهم لانه لم يتعلق بالله اصلا بل كان كله مقصورا على الطاغوت ولذا لم يتجاوزوا من عالم المجاز اصلا ولم يصلوا الى قرب عالم الحقيقة جدا فضلا عن وصولهم الى عالم الحقيقة قطعا واما الفريق الاول فلما تعلق ايمانهم بالله على وجه الرسم والبيان لا بالطاغوت الجلى جدا ولم يتعلق ايمانهم به على وجه الشهود ولم يتعلق ايمانهم به على الاخلاص حين تعلق به على وجه الرسم والبيان لتعلقه ايضا بالطاغوت الخفى وتعلق كفرهم بالطاغوت الجلى فقط لا بالطاغوت الخفى كان ايمانهم وكفرهم مجازيين ايضا لكن ايمانهم لم يكن ككفرهم مردودا بل كان مقبولا من وجه لعدم تعلقه بالطاغوت الجلى اصلا فان غلب تعلقه بالله على تعلقه بالطاغوت الخفى عند خاتمته فيدخل فى الفلاح ثم فى الآخرة ان تداركه الفضل الالهى فبها ونعمت

فيغفروا الا فيدخل الجحيم و يعذب بكفره الخفى ثم يخرج لعدم كفره بالله جليا ويدخل النعيم لايمانه بالله جليا وكفره بالطاغوت وهم ايضا لم يصلوا الى عالم الحقيقة بل انما وصلوا الى قربه ولذا جاوزوا الجحيم ودخلوا النعيم فى قرب عالم الحقيقة ولذا كانوا بالنسبة الى نفس الحقيقة موطنين فى عالم المجاز والفرقة لا فى عالم الحقيقة والوصلة واما الفريق الثانى فهم مخلدون فى النار ابد الايمانهم بالطاغوت مطلقا وكفرهم بالله كذلك ثم سعادة الفريق الثالث على ماهو المنصوص فى القرءآن قطعية الثبوت فى آخر النفس وشقاوة الفريق الثانى وسعادة الفريق الاول ليست قطعية الثبوت بل محتملة الثبوت فى آخر النفس بالنظر الى الافراد لجواز التبدل والتغير فى عاقبة الامر الدنيوى بالنظر الى افرادهم هذا ما التقطته من الكتاب المسمى باللائحات البرقيات لشيخى العلامه ابقاه الله بالسلامه (الله ولى الذين آمنوا) اى محبهم ومعينهم اومتولى امورهم لايكلهم الى غيره فالولى قد يكون باعتبار المحبة والنصرة فيقال للمحب ولى لانه يقرب من حبيبه بالنصرة والمعونة لا يفارقه وقد يكون باعتبار التدبير والامر والنهى فيقال لاصحاب الولاية ولى لانهم يقربون القوم بان يدبروا امورهم ويراعوا مصالحهم ومهماتهم والمعنى الله ولى الذين اراد ايمانهم وثبت فى علمه انهم يؤمنون فى الجملة مآلا اوحالا وانما اخرج عن ظاهره لان اخراج المؤمن بالفعل من الظلمات تحصيل الحاصل (يخرجهم من الظلمات) التى هى اعم من ظلمات الكفر والمعاصى وظلمات الشبه والشكوك بل مما فى بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما فى جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان (الى النور) الذى يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اى يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التى وقع فيها الى ما يقابلها من النور وجمع الظلمات لان فنون الضلالة متعددة والكفر ملل وافرد النور لان الاسلام دين واحد ويسمى الكفر ظلمة لالتباس طريقه ويسمى الاسلام نورا لوضوح طريقه (والذين كفروا) اى الذين ثبت فى علمه كفرهم (اولياؤهم الطاغوت) اى الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق من الكهنة وقادة الشر وان حمل على الاصنام التى هى جمادات فالمعنى لايكون على الموالاة الحقيقية التى هى المصادقة او تولى الامر بل يكون على ان الكفار يتولونهم اى يعتقدونهم ويتوجهون اليهم والطاغوت تذكر وتؤنث وتوحد وتجمع (يخرجونهم) بالوساوس وغيرها من طريق الاضلال والاغواء (من النور) اى الايمان الفطرى الذى جبلوا عليه كافة (الى الظلمات) اى ظلمات الكفر وفساد الاستعداد والانهماك فى الشهوات اومن نور اليقينيات الى ظلمات الشكوك والشبهات واسناد الاخراج الى الطاغوت مجاز لكونها اسبابا له وذلك لا ينافى كون المخرج حقيقة هو الله تعالى فالآية لاتصلح ان تكون متمسكا للمعتزلة فيما ذهبوا اليه من ان الكفر ونحوه مما لا يكون اصلح للعبد ليس من الله تعالى بناء على انه اضاف الكفر الى الطاغوت لا الى نفسه (اولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما يتبعه من القبائح (اصحاب النار) اى ملابسوها وملازموها بسبب مالهم من الجرائم (هم فيها خالدون) ماكثون ابدا ولم يقل بعد قوله يخرجهم من الظلمات الى النور اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون تعظيم الشأن المؤمنين لان البيان اللفظى لايفى بما اعد لهم فى دار الثواب واعلم ان مراتب المؤمنين فى الايمان متفاوتة وهم ثلاث طوائف عوام المؤمنين وخواصهم وخواص الخواص فالعوام يخرجهم الله من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والخواص يخرجهم من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية الربانية كقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله واطمئنان القلب بالذكر لم يكن الابعد تصفيته عن الصفات النفسانية وتحليته بالصفات الروحانية وخواص الخواص يخرجهم من ظلمات حدوث الخلقة الروحانية بافنائهم عن وجودهم الى نور تجلى صفة القدم لهم ليبقيهم به كقوله تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى الآية نسبهم الى الفتوة لما خاطروا بأرواحهم فى طلب الحق وآمنوا بالله وكفروا بطاغوت دقيانوس فلما تقربوا الى الله بقدم الفتوة تقرب اليهم بمزيد العناية فاخرجهم من ظلمات النفسانية الى نور الروحانية فلما تنورت انفسهم بأنوار ارواحهم اطمأنت الى ذكر الله وانست به واستوحشت عن محبة اهل الدنيا وما فيها فأحبوا الخلاء كما كان حال النبى عليه الصلاة والسلام فى بدء الامر قالت عائشة رضى الله عنها اول ما بدئ به عليه الصلاة والسلام كان حبب اليه الخلاء ولعمرى هذا دأب كل طالب محق مريد صادق كذا فى التأويلات النجمية قال الفخر الرازى بطريق الاعتراض ان جعل

من الصوفية يقولون الاشتغال بغير الله حجاب عن معرفة الله والانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يدعون الخلق الا الى الطاعات والتكاليف فهم يشغلون الخلق بغير الله و يمنعونهم عن الاشتغال بالله فوجب أن لا يكون ذلك حقا وصدقا اه كلامه يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة هذا الاعتراض ليس بشئ فان الطاعات والتكاليف وسائل الى معرفة الله الملك اللطيف فالدعوة ليست الا الى معرفة الله حقيقة ألا يرى الى تفسير ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بقوله ليعرفون وانما عدل عنه الى ليعبدون مع انه خلاف مقتضى الظاهر حينئذ اشعارا بان المعرفة المقبولة هي التي تحصل بطريق العبادة فالاشتغال بغير الله و بغير عبادته حجاب اى حجاب ولذلك كان بدء حال السلف الخلاء والانقطاع عن الناس اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تمام في رفع الحجاب الحاصل بالاختلاط (وفي المثنوي) آدمى راهست درهر كاردست * ليك ازو مقصود اين خدمت بدست * تاجلا باشد مر اين آينه را * كه صفا ايد ز طاعت سينه را * (ألم تر) اى ألم ينته علمك الذي يضاهي العيان في الايقان وحقيقته اعلم باخبارنا فانه مفيد لليقين (الى الذي) اى الى قصة الملك الذي (حاج) اى جادل وخاصم وقابل بالحجة (ابراهيم) في معارضة ربوبيته (في ربه) وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام تشريف له وايذان بتأييده في المحاجة والذي حاج هو نمرود بن كنعان بن سام بن نوح وهو اول من وضع التاج على رأسه وتجبر وادعى الربوبية (ان آتاه الله الملك) اى لأن آتاه فهو مفعول له لقوله حاج وله معنيان احدهما انه من باب العكس في الكلام بمعنى انه وضع المحاجة موضع الشكر اذ كان من حقه ان يشكر في مقابلة ايتاء الملك ولكنه عكس ما هو الحق الواجب عليه كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان والثاني ان ايتاء الملك حمله على ذلك لانه اورثه الكبر والبطر فنشأ عنهما المحاجة والمعنى اعطاه كثرة المال واتساع الحال وملك جميع الدنيا على الكمال قال مجاهد لم يملك الدنيا بأسرها الا اربعة مسلمان وكافران فالمسلمان سليمان وذو القرنين والكافران نمرود و بخت نصر وهو شداد بن عاد الذي بنى ارم في بعض صحارى عدن ثم هو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر وهم المعتزلة لان مذهبهم وجوب رعاية الاصلح للعبد على الله وايتاء الله الملك للكافر تسليط له على المؤمنين وذلك ليس بأصلح لحال المؤمن قلنا انما ملكه امتحانا له ولعباده (اذ قال ابراهيم) ظرف لحاج (ربي الذي يحيي ويميت) روى انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه ليحرقه فقال من ربك الذي تدعونا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت اى يخلق الحياة والممات في الاجساد وجواب ابراهيم في غاية الصحة لانه لا سبيل الى معرفة الله الا بمعرفة صفاته وافعاله التي لا يشاركه فيها احد من القادرين والاحياء والاماتة من هذا القبيل (قال) كأنه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال (انا احيي واميت) روى انه دعا برجلين قد حبسهما فقتل احدهما واطلق الآخر فقال قد احييت هذا وامت هذا فجعل ترك القتل احياء وكان هذا تلبيسا منه (قال ابراهيم) كأنه قيل فماذا قال ابراهيم لمن في هذه الرتبة في المحاجة وبماذا الخمه فقيل قال (فان الله) جواب شرط مقدر تقديره قال ابراهيم اذا ادعيت الاحياء والاماتة وأتيت بمعارضة موهمة ولم تعلم معنى الاحياء فالحجة ان الله (يأتي بالشمس من المشرق) تحريكا قسريا حسبما تقتضيه مشيئته والباء للتعدية (فأت بها من المغرب) تسييرا طبيعيا فانه أهون ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى ولم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بأن بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي بابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل وأتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس فهو عدول عن مثال الى مثال آخر لايضاح كلامه وليس انتقالا من دليل الى دليل آخر لان ذلك غير محمود في باب المناظرة (فبهت الذي كفر) اى صار مبهوتا ومتحيرا مدهوشا واراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا قال في اسئلة الحكم الحكمة في طلوع الشمس قرب القيامة من مغربها ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال لنمرود ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وان السحرة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذلك وانه غير كائن فيطلعها الحق يوما من المغرب ليرى المنكرين قدرته وان الشمس في ملكه ان شاء اطلعها من المشرق أو المغرب (والله لا يهدي القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال اى عن قبول الدلائل

القطعية

القطعية الدالة على الحق دلالة واضحة بالغة فى الوضوح والقوة الى حيث جعل الخصم مبهوتا متحيرا فمن ظلم نفسه بالامتناع عن قبول مثل هذه الدلائل لا يجعله الله مهتديا بها لان المعتبر فى دار التكليف ان يهتدي ولمث اختيارهم الكفر والظلم اى لا يخلق فيهم فعل الهداية وهم يختارون فعل الضلال ويحتمل انه لا يهدى طريق الجنة فى الآخرة من كفر بالله فى الدنيا (روى) ان النمرود لما عتا عتوا كبيرا وألقى ابراهيم فى النار بعد هذه المحاجة سلط الله على قومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام والنمرود كما هو لم يصبه شئ فبعث الله بعوضة فدخلت فى منخره فمكث اربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فعذبه الله اربعمائة سنة كما ملك اربعمائة سنة وهو الذى بنى صرحا الى السماء ببابل فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم (قال الشيخ العطار قدس سره) سوى اوخصمى كه تير انداخته * پشهٔ كارش كفايت ساخته *

والاشارة ان الله تعالى اعطى النمرود ملكا ما اعطى لاحد قبله ادعى الربوبية ما ادعى بها احد قبله وذلك ان الله اعطى الانسان حسن استعداد لطلب الكمال فمن حسن استعداده فى الطلب وغاية لطافته فى الجوهر دآئم الحركة فى طلب الكمال فحيثما توجه الكمال اخذ فى السير فيها الى اقصى مراتبها فى العلوى والسفلى فان وكل الى نفسه فى طلب الكمال فينظر بنظر الحواس الخمس الى المحسوسات وهى الدنيا فلا يتصور الا الدنيا فلا يتصور الكمال الا فيها فيأخذ فى السير لطلب الكمال وهذا السير موافق لسيره الطبيعى لانه خلق من تراب والتراب سفلى الطبع فيميل الى السفليات طبعا والدنيا هى السفل فيسير فيها بقدمى الطبع وطلب الكمال ففى البداية يرى الكمال فى جمع المال فيجمعه ثم يرى الكمال فى الجاه فيصرف المال فى طلب الجاه ثم يرى الكمال فى المناصب والحكم ثم يرى فى الامارة والسلطنة فيسير فيها مالم يكن مانع الى ان يملك الدنيا بأسرها كما كان حال النمرود ثم لا يسكن جوهر الانسان فى طلب الكمال بل كلما ازداد استغناؤه ازداد حرصه وكلما ازداد حرصه ازداد طلبه الى ان لا يبقى شئ من السفليات دون ان يملكه ثم يقصد العلويات والى الآن كان ينازع ملوك الارض والآن ينازع ملك الملوك ومالك الملك فى السموات والارض فيدعى الربوبية كالنمرود فانه كان سبب طغيانه استغناؤه قال تعالى لن الانسان ليطغى ان رآه استغنى فاذا كمل استغناؤه كمل طغيانه حتى يكفر بالنعمة فهذا كله عند فساد جوهره لما وكل الى نفسه واذا اصلح جوهره بالتربية ولم يكله الى نفسه هدى الى جهة الكمال المستعد له كقوله اهدكم سبيل الرشاد فصاحب التربية وهو النبى او خليفته وهو الشيخ المرشد يربيه وتربيته فى تبرئته عما سوى الله الى ان بلغ حد كماله فى طلب الكمال وهو افناء الوجود فى وجود الموجود ليكون مفقودا عن وجوده موجودا بموجده فلما كان يقول عند فساد الجوهر وابطال حسن الاستعداد بالكمال انا احيى واميت فيقول عند صلاح الجوهر وصرف حسن الاستعداد فى طلب الكمال ما فى الوجود سوى الله فالمجذيذق بطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس الى ان يؤمن بالله ويكفر بطاغوت وجوده ووجود كل موجود سوى الله والله لا يهدى القوم المشركين الى عالم التوحيد والشرك ظلم عظيم فبالشرك ضل من ضل فزل عن الصراط المستقيم كذا فى التأويلات النجمية فعلى العاقل ان يتخلص من الشرك الخفى ويزكى نفسه عن سفساف الاخلاق ولا يغتر بالمال والمنال بل يرجع الى الله الملك المتعال وقد وجدت صخرة عظيمة وعليها اسطر قديمة فرحك بشئ من الدنيا دليل على بعدك من الله وسكونك الى ما فى يدك دليل على قلة ثقتك بالله ورجوعك الى الناس فى حال الشدة دليل على انك لم تعرف الله انتهى (قال السعدى) شنيدم كه جمشيد فرخ سرشت * بسر چشمهٔ بر بسنكى نوشت * برين چشمه چون ما بسى دم زدند * برفتند چون چشم برهم زدند * كرفتيم عالم بمردى وزور * وليكن نبرديم با خود بكور * برفتند وهر كس درود آنچه كشت * نماند بجز نام نيكو وزشت * اللهم اجعلنا من الذين طال عمرهم وحسن عملهم وقصر أملهم وكمل عقلهم (او كالذى مر على قرية) عطف على قوله ألم تر وتقديره او رأيت مثل الذى فعل كذا اى ما رأيت مثله فتعجب منه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعى الربوبية والمار هو عزير بن شرخيا والقرية بيت المقدس على الاشهر الاظهر واشتقاقها من القرى وهو الجمع (روى) ان بنى اسرائيل لما بالغوا فى تعاطى الشر والفساد سلط الله عليهم بخت نصر البابلى فسار اليهم فى ستمائة ألف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بنى اسرائيل اثلاثا ثلثا منهم قتلهم وثلثا منهم اقرهم بالشام وثلثا منهم سباهم وكانوا مائة ألف

غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله منهم بعد حين مرّ بحماره على بيت المقدس فرآه على أفظع مرأى واوحش منظر وذلك قوله تعالى (وهى خاوية على عروشها) اى خالية عن اهلها وساقطة على سقوفها بأن سقطت العروش ثم الحيطان سقطت عليها من خوت المرأة وخويت خوى اى خلا جوفها عند الولادة وخوت الدار خوآء بالمد وخوى البيت خوى بالقصر اى سقط والعرش سقف البيت ويستعمل فى كل ما هيئ ليستظل به (قال انى يحيى هذه الله بعد موتها) اى يعمر الله تعالى هذه القرية بعد خرابها على هذا الوجه اذ ليس المراد بالقرية اهلها بل نفسها بدليل قوله وهى خاوية على عروشها لم يقله على سبيل الشك فى القدرة بل على سبيل الاستبعاد بحسب العادة (فاماته الله) اى جعله ميتا (مائة عام) روى انه لما دخل القرية نزل تحت ظل شجرة وهو على حمار فربط حماره وطاف فى القرية ولم ير بها احدا فقال ما قال وكانت اشجارها قد أثمرت فتناول من فواكهها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله فى منامه وهو شاب وكان معه شئ من التين والعنب والعصير وكانت هذه الاماتة عبرة لا انقضاء مدة كاماتة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وأمات حماره ايضا ثم أعمى الله عن جسده وجسد حماره ابصار الانس والسباع والطير فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل فجعلوا يعمرون وأهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم فى الاكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا فلما تمت المائة من موت العزير احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى (ثم بعثه) من بعثت الناقة اذا أقمتها من مكانها ويوم القيامة يسمى يوم البعث لانهم يبعثون من قبورهم وانما قال ثم بعثه ولم يقل ثم أحياه لان قوله ثم بعثه يدل على انه عاد كما كان اولا حيا عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال فى المعارف الالهية ولو قال ثم احياه لم تحصل هذه الفوائد (قال) كأنه قيل فماذا قال بعد بعثه فقيل قال الله تعالى او ملك مأمور من قبله تعالى (كم) يوما او وقتا (لبثت) يا عزير ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشئونه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين فى الجملة بل مدة طويلة وتنحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع فى تضاعيفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذآء المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما (قال لبثت يوما او بعض يوم) كقول الظان فانه بناه على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه (قال) ما لبثت ذلك المقدار (بل لبثت مائة عام) يعنى كنت ميتا هذه المدة (فانظر) لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا (الى طعامك وشرابك لم يتسنه) اى لم يتغير فى هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد (روى) انه وجد تينه وعنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو من الطعام والشراب لان المضارع المنفى اذا وقع حالا يجوز أن يكون بالواو وبدونها وافراد الضمير مع ان الظاهر أن يقال لم يتسنها او لم يتسنيا لان المذكور قبله شيئان الطعام والشراب لجريانهما مجرى الواحد كالغذآء والهاء فى لم يتسنه ان كانت أصلية فهو من السنة التى اصلها سنهة وان كانت هاء سكت فهو من السنة التى اصلها سنوة واستعمال لم يتسنه فى معنى لم يتغير من قبيل استعمال اللفظ فى لازم معناه لان المعنى الاصلى لقولنا تسنه او تسنى مرت عليه السنون والاعوام ويلزمه التغير (وانظر الى حمارك) كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك (ولنجعلك آية) كائنة (للناس) الواو استئنافية واللام متعلقة بمحذوف والتقدير فعلنا ذلك اى احياءك واحياء حمارك وحفظ ما معك من الطعام والشراب لنجعلك آية للناس الموجودين فى هذا القرن بأن يشاهدوك وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوى عنهم منذ احقاب من علم التوراة (وانظر الى العظام) تكرير الامر مع ان المراد عظام الحمار أيضا لما ان المأمور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث تعتريها الحياة ومباديها اى وانظر الى عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحياء فى غيرك بعد ما شاهدت نفسه فى نفسك (كيف ننشزها) يقال انشزته فنشز أى رفعته فارتفع اى نرفع بعضها من الارض الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد فتركبها تركيبا لائقا بها والجملة حال من العظام والعامل فيها أنظر تقديره انظر الى العظام محياة أو بدل من العظام على حذف المضاف والتقدير انظر الى حال العظام

(ثم نكسوها لحما) اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس وانما وحد اللحم مع جمع العظام لان العظام متفرقة متعددة صورة واللحم متصل متحد مشاهدة ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا تقتضي الحكمة بيانه (روى) انه سمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية المتفرقة ان الله يأمرك ان ينضم بعضها الى بعض كما كان وتكتسي لحما وجلدا فالتصق كل عظم بالآخر على الوجه الذي كان عليه اولا وارتبط بعضها ببعض بالاعصاب والعروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق (فلما تبين له) اى ظهر له احياء الميت عيانا (قال اعلم ان الله على كل شئ) من الاشياء التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار (قدير) لا يستعصي عليه امر من الامور (روى) انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أدركت زمن عزير فقال لها يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكرى عزير وقد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فانى عزير قالت سبحان الله أنى يكون ذلك قال قد أماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي يرد بصرى حتى اراك فدعا ربه ومسح بين عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال قومي باذن الله فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بنى اسرائيل وهم في انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو ابنه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فأقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر بيت المقدس من قرآء التوراة اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا اى ينقص ويقطع فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني ابي عن جدى انه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم فان أريتموني كرم جدى اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوه فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير عليه السلام عن ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا عزير ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفي القصة تنبيه على ان الداعي اذا راعى آداب الدعاء اجيب سريعا من غير مشقة تلحقه واذا ترك الادب لحقته المشقة وابطأت الاجابة فان ابراهيم عليه السلام لما قال رب ارنى كيف تحيي الموتى وبدأ بالثناء ثم سأل احياء الموتى اراه الله ذلك في غيره فانه اراه في طيره وعجل له ذلك على فوره وعزير قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأرى ذلك في نفسه بعد مائة عام مضت على موته (قال السعدى) نبايد سخن گفت ناساخته * نشايد بريدن نينداخته * والاشارة في تحقيق الآية ان قوما انكروا حشر الاجساد مع انهم اعتقدوا واقروا بحشر الارواح وقالوا الارواح كان تعلقها بالاجساد لاستكمالها في عالم المحسوس كالصبي يبعث الى المكتب ليتعلم الادب فلما حصل مقصوده من التعلم بقدر استعداده وخرج من المكتب ودخل محفل اهل الفضل وصاحبهم سنين كثيرة واستفاد منهم انواع العلوم التي لم توجد في المكتب الا انه استفاد العلوم من الفضلاء بقوة ادبه الذى تعلمه في المكتب وصار فاضلا في العلوم فما حاجته بعد ان كبر شأنه وعظم قدره الى ان يرجع الى المكتب وحالة صباه فكذا الارواح لما خرجت من سجن الاشباح واتصلت بالارواح المقدسة بقوة علوم الجزئيات التي حصلتها من عالم الحس واستفادت من الارواح العلوية علم الكليات التي لم توجد في عالم الحس فما حاجتها الى ان ترجع الى سجن الاجساد فكانت نفوسهم تسول لهم هذه التسويلات والشيطان يوسوسهم بمثل هذه الشبهات فالله سبحانه من كمال فضله ورحمته على عباده المخلصين اماته عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا ليستدل به العقلاء على ان الله مهما يحيي عزير الروح يحيي معه حمار جسده فلا يشك العاقل بتسويل النفس ووسوسة الشيطان وشبهات الفلسفي في حشر الاجساد فكما ان عزير الروح يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر يكون حمار جسده في الجنة فلعزير الروح مشرب من كؤوس تجلى صفات الجمال والجلال عن ساقي وسقاهم ربهم شرابا طهورا ولحمار الجسد مشرب من انهار الجنات وحياض رياض ولكم فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقد علم كل اناس مشربهم

شربنا واهرقنا على الارض جرعة * وللارض من كأس الكرام نصيب

كذا فى التأويلات النجمية (واذ قال ابراهيم) اى اذكر وقت قوله وذكر الوقت يوجب ذكر ما وقع فى ذلك الوقت من الحوادث بالطريق البرهانى (رب) كلمة استعطاف قدمت بين الدعاء مبالغة فى استدعاء الاجابة (ارنى كيف تحيى الموتى) اى بصرنى كيفية احيائك للموتى بان تحييها وانا انظر اليها انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقد شرفه الله بعين اليقين بل بحق اليقين الذى هو اعلى المقامات والفرق ان علم اليقين هو المستفاد من الاخبار وعين اليقين هو المعاينة لا مرية فيه قال تعالى فى حق الكفار ثم لترونها عين اليقين فلما دخلوا النار وباشروا عذابها قال تعالى فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين (قال) ربه (اولم تؤمن) اى الم تعلم يقينا ولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحياة قاله عز وعلا مع علمه بانه اعرف الناس بالايمان ليظهر ايمانه لكل سامع بقوله بلى فيعلم السامعون غرضه من هذا القول وهو الوصول الى العيان (قال) ابراهيم (بلى) علمت وآمنت بذلك (ولكن) سألت ما سألت (ليطمئن قلبى) اى ليسكن ويحصل طمأنينته بالمعاينة فان عين اليقين يوجب الطمأنينة لا علمه فان قلت ما معنى قول على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا قلت ما ازددت يقينا بالايمان بها وكان اذ رأى الآخرة ابصر بها من الفضائل والهيئات مالم يحط به قبل ذلك وكذلك ابراهيم لما رأى كيفية الاحياء وقف على مالم يقف عليه قبل (قال) ربه ان اردت ذلك (فخذ اربعة من الطير) طاووسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان (فصرهن) من صاره يصوره ويكسر الصاد من صاره يصيره والمعنى واحد أى املهن واضممهن واجمعهن (اليك) لتتأملها وتعرف اشكالها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزأ من اجزائها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا (روى) انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط لحومها ويمسك رؤسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى (ثم اجعل على كل جبل) من الجبال التى بحضرتك وكانت سبعة او اربعة فجزأها اربعة اجزاء فقال تعالى ضع على كل جبل (منهن) اى من كل الطيور (جزأ ثم ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله تعالى (يأتينك سعيا) اى ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا ففعل كما امر فجعل كل جزء يطير الى آخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة الى ما كانت عليه من الهيئة وجعل ابراهيم ينظر ويتعجب (واعلم ان الله عزيز) غالب على امره لا يعجزه شئ عما يريده (حكيم) ذو حكمة بالغة فى افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح قال القشيرى طلب ابراهيم عليه السلام بهذه حياة قلبه فاشير اليه بذبح الطيور وفى الطيور الاربعة اربعة معان هى فى النفس فى الطاووس زينة وفى الغراب امل وفى الديك شهوة وفى البط حرص فاشار الى انه ما لم يذبح نفسه بالمجاهدة لم يحى قلبه بالمشاهدة (وفى المثنوى)

حرص بط يكتاست اين پنجاه تاست * حرص شهوت مار ومنصب اژدهاست * حرص بط از شهوت حلقست وفرج * دررياست بيست چندانيست درج * صد خورنده گنجد اندر گرد خوان * درریاست دو نگنجد درجهان * كاغ كاغ ونعرهٔ زاغ سياه * دائما باشد بدنيا عمر خواه * همچو ابليس از خدا وپاك فرد * تا قيامت عمر تن درخواست كرد * عمر ومرك اين هردو باحق خوش بود * بى خدا آب حيات آتش بود * عمر خوش در قرب جان پروردنست * عمر زاغ از بهر سرگين خوردنست * قال فى التأويلات النجمية الطيور الاربعة هى الصفات الاربع التى تولدت من العناصر الاربعة التى خمرت طينة الانسان منها وهى التراب والماء والنار والهواء فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينه الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان حيث وجد احدهما وجد قرينه ومن النار وقرينها الهواء تولد الغضب والشهوة وهما قرينان يوجدان معا ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها كحواء وآدم ويتولد منها صفات اخرى فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هى كالمعشوقة بين الصفات فيتعلق بها كل صفة ولها منها متولدات يطول شرحها فهى الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم منها يدخل الخلق جهنم التى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعنى من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها فيدخل النار من ذلك الباب فامر الله خليله بذبح هذه الصفات وهى الطيور الاربعة طاووس البخل فلولم يزين المال فى نظر البخيل كما يزين الطاووس بألوانه ما بخل به

وغراب الحرص وهو من حرصه اكثر فى الطلب وديك الشهوة وهو بها معروف ونسر الغضب ونسبته اليه لتصرينه فى الطيران فوق الطيور وهذه صفة المغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها مابقى له باب يدخل منه النار فلما ألقى فيها بالمنجنيق قهرا صارت النار عليه بردا وسلاما والاشارة بتقطيعها بالمبالغة ونتف ريشها وتفريق اجزآئها وتخليط ريشها ودمائها ولحومها بعضها ببعض اشارة الى محو آثار الصفات الاربع المذكورة وهدم قواعدها على يدى ابراهيم الروح بأمر الشرع ونائب الحق وهو الشيخ والامر بتقسيم اجزآئها وجعلها على كل جبل جزأ فالجبال الاربعة هى النفوس التى جبل الانسان عليها اولها النفس النامية وتسمى النفس النباتية وثانيها النفس الامارة وتسمى الروح الحيوانى وثالثها قوة الشيطنة وتسمى الروح الطبيعى ورابعها قوة الملكية وهو الروح الانسانى فطيور الصفات لما ذبحت وقطعت وخلطت اجزآء بعضها ببعض ووضع على كل جبل روح ونفس وقوة منها جزء بأمر الشرع تكون بمثابة اشجار وزروع تجعل عليها الترب المخلوطة بالزبل والقاذورات باستصواب دهقان ذى بصارة فى الدهقنة بمقدار معلوم ووقت معلوم ثم يسقيها بالماء ليتقوى الزرع بقوة الترب والزبل وتتصرف النفس النامية النباتية فى الترب المخلوطة الميتة فتحييها باذن الله تعالى كقوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها فكذلك الصفات الاربع وهى الحرص والبخل والشهوة والغضب مهما كانت كل واحدة منها على حالها غالبة على الجوهر الروحانى تكدر صفاءه وتمنعه من الرجوع الى مقامه الاصلى ووطنه الحقيقى فاذا كسرت سطوتها ووهنت قوتها وامتنت شعلتها ومحيت آثار طباعها بأمر الشرع وخلطت اجزآؤها المتفرقة بعضها ببعض ثم قسمت بأربعة اجزآء وجعل كل جزء منها على جبل قوة لو نفس اوروح فيتقوى كل واحد من هؤلاء بتقويتها ويتربى بتربيتها فيتصرف فيها الروح الانسانى فيحييها ويبدل تلك الظلمات التى هى من خصائص تلك الصفات المذمومة بنور هو من خصائص الروح الانسانى والملكى فتكون تلك الصفات ميتة عن اوصافها حية باخلاق الروحانيات انتهى كلام التأويلات (مثل) نفقات (الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله) اى فى وجوه الخيرات من الواجب كالزكاة والنفل وقدر فى الكلام حذف لان الذين ينفقون لايشبهون الحبة لانه لايشبه الحيوان بالجماد بل نفقاتهم تشبه الحبة (كمثل حبة) ازراع زرعها فى ارض عامرة والحبة واحدة الحب وهو ما يزرع للاقتيات واكثر اطلاقه على البر (انبتت) اى اخرجت واسناد الانبات الى الحبة مجاز (سبع سنابل) اى ساقات تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة (فى كل سنبلة مائة حبة) كما يشاهد ذلك فى الذرة والدخن فى الاراضى المغلة بل اكثر من ذلك (والله يضاعف) تلك المضاعفة الى ماشاء الله تعالى (لمن يشاء) ان يضاعف له بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال فى مقادير الثواب (والله واسع) لايضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه فمثل المتصدق كمثل الزارع اذا كان حاذقا فى عمله وكان البذر جيدا وكانت الارض عامرة يكون الزرع اكثر فكذلك المتصدق اذا كان صالحا والمال طيبا ووضع فى موضعه يكون الثواب اكثر كما روى فى الحديث عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى عليه السلام انه قال من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وانما ذكر النبى عليه السلام التربية فى الصدقة وان كان غيرها من العبادات يزيد ايضا بقبوله اشارة الى ان الصدقة فريضة كانت اونافلة احوج الى تربية الله لثبوت النقيصة فيها بسبب حب الطبع الاموال وفى الحديث صدقة المؤمن تدفع عن صاحبها آفات الدنيا وفتنة القبر وعذاب يوم القيامة وفى الحديث السخاوة شجرة اصلها فى الجنة واغصانها متدليات فى دار الدنيا فمن تعلق بغصن منها يسوقه الى الجنة والبخل شجرة اصلها فى النار واغصانها متدليات فى دار الدنيا فمن تعلق بغصن منها يسوقه الى النار وفى الحديث الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله اى الكاسب لتحصيل مؤونتهما كالمجاهد لان القيام بمصالحهما انما يكون بصبر عظيم وجهاد نفس لئيم فيكون ثوابه عظيما (وفى بستان الشيخ السعدى قدس سره) يكى از بزركان اهل تميز * حكايت كند زابن عبد العزيز * كه بودش نكينى در انكشترى * فرو مانده از قيمتش مشترى * بشب كفتى آن جرم كيتى فروز * درى بود در روشنايى چو روز * قضا را در آمد يكى خشك سال * كه شد بدر

سيماى مردم هلالك * چودر مردم آرام وقوت نديد * خود آسوده بودن مروت نديد * چو بيند كسى زهر دركام خلق * كيش بكذرد آب شيرين بحلق * بفرمود بفروختندش بسيم * كه رحم آمدش برفقير ويتيم * بيك هفته نقدش بتاراج داد * بدرويش ومسكين ومحتاج داد * فتادند دروى ملامت كنان * كه ديكربدست نيايد چنان * شنيدم كه ميكفت وباران دمع * فروميدويدش بعارض چو شمع * كه زشتست پيرايه برشهريار * دل شهرى ازناتوانى فكار * مراشايد انكشترى بى نكين * نشايد دل خلقى اندوهكين * خنك انكه آسايش مردوزن * كزيند برآسايش خويشتن * نكردند رغبت هنر پروران * بشادى خويش ازغم ديكران *

واعلم ان الاعمال بالنيات فان قلت مامعنى قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله قلت مورد الحديث ان عثمان رضى الله تعالى عنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وعد بثواب عظيم على حفر بئر فنوى ان يحفرها فسبق اليه كافر فحفرها فقال عليه السلام نية المؤمن خير من عمله اى عمل الكافر والجواب الثانى ان النية المجردة من المؤمن خير من عمله المجرد عن النية لانه اذا فعل الخير بغير نية يكون عمله مع النية خيرا من ذلك لكن قال بعضهم ليس فى بعض الاعمال اجر بغير نية كالصلاة لا تجوز بغير نية ولا يحتاج بعض الاعمال الى النية كقراءة القرءآن والاذكار ثم اعلم ان الانفاق على مراتب انفاق العامة بالمال فأجرهم الجنة وانفاق الخواص اصلاح الحال بتزكية النفس وتصفية القلب فأجرهم يوم القيامة النظر الى وجه الله تعالى فينبغى للمؤمن ان يزكى نفسه ويصفى قلبه من حب المال بالانفاق فى سبيل الله الملك المتعال حتى ينال الشرف فى الجنان ويحترز عن البخل حتى لا يكون عند الله تعالى من الخاسرين (الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله) اى يضعونها فى مواضعها (ثم) لاظهار علو رتبه المعطوف (لا يتبعون ما انفقوا) العائد محذوف اى ما انفقوه (منا) وهو ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا اى لا يمنون عليهم بما تصدقوا بان يقول المتصدق المان اصطنعتك كذا خيرا واحسنت اليك كثيرا (ولا اذى) وهو ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه اى لا يؤذيه بأن يقول المتصدق المؤذى انى قد أعطيتك فما شكرت اوالى كم تأتينى وتؤذينى اوكم تسأل الا تستحيى اوأنت ابدا تجيئنى بالابرام فرج الله عنى منك وباعد ما بينى وبينك (لهم اجرهم عند ربهم) ثوابهم فى الآخرة وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ماقبلها لما بعدها للايذان بأن ترتب الاجر على ماذكر من الانفاق وترك المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية (ولا خوف عليهم) مما يستقبلهم من العذاب (ولاهم يحزنون) على ما خلفوا من امور الدنيا (روى) ان الحسن بن على رضى الله عنه اشتهى طعاما فباع قميص فاطمة بستة دراهم فسأله سائل فأعطاها ثم لقى رجلا يبيع ناقة فاشتراها بأجل وباعها من آخر فأراد أن يدفع الثمن الى بائعها فلم يجده فحكى القضية الى النبى عليه السلام فقال اما السائل فرضوان واما البائع فميكائيل واما المشترى فجبرائيل فنزل قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم الآية قال بعض اهل التفسير نزلت هذه الآية والتى قبلها فى عثمان وعبد الرحمن رضى الله عنهما اما عثمان فجهز جيش العسرة فى غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وألف دينار فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يقول يارب رضيت عنه فارض عنه واما عبد الرحمن بن عوف فتصدق بنصف ماله اربعة آلاف دينار فقال عندى ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسى وعيالى اربعة آلاف واربعة آلاف اقرضتها ربى فقال عليه السلام بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت فهذه حال عثمان وعبد الرحمن رضى الله عنهما حيث تصدقا ولم يخطر ببالهما شئ من المن والاذى قال بعضهم المن يشبه بالنفاق والاذى يشبه بالرياء ثم قال بعضهم اذا فعل ذلك فلا اجر له وعليه وزر فيما من وآذى على الفقير قال وهب فلا اجر له ولا وزر له وقال بعضهم له اجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بالمن واعلم ان الله تعالى نهى عباده ان يمنوا على احد بالمعروف مع انه تعالى قد من على عباده كما قال بل الله يمن عليكم وذلك لان الله تعالى تام الملك والقدرة وملكه وقدرته ليس بغيره والعبد وان كان فيه خصال الخير فتلك خصاله من الله ولم يكن ذلك بقوة العبد فالعبد ناقص والناقص لا يجوز له ان يمن على احد اويمدح نفسه والمن ينقص قدر النعمة ويكدرها لان الفقير الآخذ منكسر القلب لاجل حاجته الى صدقة غيره معترف باليد العليا للمعطى فاذا أضاف المعطى الى ذلك اظهار ذلك الانعام زاد ذلك فى انكسار قلبه فيكون فى حكم

المضر به بعد أن نفعه وفى حكم المسيء اليه بعد ان احسن اليه (قال الحسين الكاشفى) آنچه كه بدهى چو دهنده خداست * منت بيهوده نهادن خطاست * هرچه دهى مى ده ومنت منه * وآنچه پشيمان شوى آن هم مده (وقال السعدى) چو انعام كردى مشو خود پرست * كه من سرورم ديكران زيردست * چو بينى دعا كوى دولت هزار * خداوندرا شكر نعمت كذار * كه چشم از تو دارند مردم بسى * نه تو چشم دارى بدست كسى * قيل ان ابراهيم عليه السلام كان له خمسة آلاف قطيع من الغنم وعليها كلاب المواشى بأطواق الذهب فتمثل له ملك فى صورة البشر وهو ينظر أغنامه فى البيدآء فقال الملك سبوح قدوس رب الملائكة والروح فقال ابراهيم عليه السلام كرّر ذكر ربى ولك نصف ماترى من اموالى فكرر الملك فنادى ثانيا كرر تسبيح ربى ولك جميع ماترى من مالى فتعجب الملائكة فقالوا جدير ان يتخذك الله خليلا ويجعل لك فى الملل والنحل ذكرا جميلا (وفى المثنوى) قرض ده زين دولت اندر اقرضوا * تاكه صد دولت بينى پيش رو * اندكى زين شرب كم كن بهر خويش * تاكه حوض كوثرى يابى به پيش * (وفى نوابغ الكلم) صنوان من منح سائله ومنّ ومن منع نائله وضنّ واعلم ان الناس على ثلاث طبقات الاولى الاقوياء وهم الذين أنفقوا جميع ما ملكوا وهؤلاء صدقوا فيما عاهدوا الله عليه من الحب كما فعل ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه والثانية المتوسطون وهم الذين لم يقدروا على اخلاء اليد عن المال دفعة ولكن امسكوه لا للتنعم بل للانفاق عند ظهور محتاج اليه وقنعوا فى حق انفسهم بما يقويهم على العبادة والثالثة الضعفاء وهم المقتصرون على اداء الزكاة الواجبة اللهم اجعلنا من المتجردين عن غيرك والقانعين بك عما سواك (قول معروف) ردّ جميل وهو أن يرد السائل بطريق جميل حسن تقبله القلوب والطباع ولا تنكره (ومغفرة) اى ستر لما وقع من السائل من الالحاف فى المسألة وغيره مما يثقل على المسئول وصفح عنه (خير من صدقة يتبعها أذى) لان من جمع بين نفع الفقير واضراره حرم الثواب فان قالوا اى خير فى الصدقة التى فيها اذى حتى يقال هذا خير منه قلنا يعنى عندكم كذلك وهو كقوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة اى عندكم ذلك خير لكن اعلموا أن هذا خير لكم فى الدنيا والآخرة مما تعدونه انتم خيرا (والله غنى) عما عندكم من الصدقة لا يحوج الفقرآء الى تحمل مؤونة المنّ والاذى ويرزقهم من جهة اخرى (حليم) لا يعاجل اصحاب المنّ والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببهما وفيه من السخط والوعيد لهم ما لا يخفى قال فى مجالس حضرة الهدائى قدس سره وانما كان الرد الجميل خيرا من صدقة المانّ والمؤذى لان القول الحسن وان كان بالرد يفرح قلب السائل ويروح روحه ونفع الصدقة لجسده وسراية السرور لقلبه بالتبعية من تصور النفع فاذا قارن ما ينفع الجسد بما يؤذى الروح يكدر النفع حينئذ ولا ريب ان ما يروح الروح خير مما ينفع الجسد لان الروحانية اوقع فى النفوس واشرف قال الشعبى من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وبالغ السلف فى الصدقة والتحرز فيها عن الرياء فانه غالب على النفس وهو مهلك ينقلب فى القلب اذا وضع الانسان فى قبره فى صورة حية اى يؤلم ايلام الحية والبخل ينقلب فى صورة عقرب والمقصود فى كل انفاق الخلاص من رذيلة البخل فاذا امتزج به الرياء كان كأنه جعل العقرب غذآء الحية فتخلص من العقرب ولكن زاد فى قوة الحية اذ كل صفة من الصفات المهلكة فى القلب انما غذآؤها وقوتها فى اجابتها الى مقتضاها ثم ان الصدقة لا تنحصر فى المال بل تجرى فى كل معروف فالكلمة الطيبة والشفاعة الحسنة والاعانة فى حاجة واحد وعيادة مريض وتشييع جنازة وتطييب قلب مسلم كل ذلك صدقة * كر خبر كنى مرادبابى * در هر دو جهان كشاد يابى * احسان كن وبهر توشهٔ خويش * زادى بفرست تو بن از پيش * واعلم ان الدنيا وملكها لا اعتداد لها (حكى) عن بعض الملوك انه حبست الريح فى بطنه حتى قرب الى الهلاك فقال كل من يزيل عنى هذا البلاء اعطيته ملكى فسمعه شخص من اهل الله فجاء ومسح يده على بطنه فخرجت منه ريح منتنة وتعافى الملك من ساعته فقال ياسيدى اجلس على سرير المملكة انا عزلت نفسى فقال الرجل لا حاجة الى متاع قيمته ضرطة منتنة ولكن انت انعظ من هذا فالشئ الذى اغتررت به قيمته هذا وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا انه من رغب فى الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر امله اعطاه الله تعالى علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا انه سيكون

بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله تعالى ثواب خمسين صديقا (وفى المثنوى) كاسه چشم حريصان پر نشد * تا صدف قانع نشد پر در نشد * (يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) فان من فعل ذلك لا أجر له فى صدقته وعليه وزر منه على الفقير ووزر ايذائه وقد سبق معنى المن والاذى والمراد بابطال الصدقة احباط اجرها لان الصدقة لما وقعت وتقدمت لم يمكن ان يراد بابطالها نفسها بل المراد احباط اجرها وثوابها لان الاجر لم يحصل بعد فيصح ابطاله بما يأتيه من المن والاذى (كالذى) المراد المنافق لان الكافر معلن كفره غير مراء والكاف فى محل النصب على انه صفة لمصدر محذوف اى لا تبطلوها ابطالا كابطال المنافق الذى (ينفق ماله رئاء الناس) اى لاجل رئائهم يعنى ليقال انه كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة ورئاء من رآى نحو قاتل قتالا ومعنى المفاعلة ههنا مبنى على ان المرائى فى الانفاق يراعى ان تراه الناس فيحمدوه (فمثله) اى حالته العجيبة (كمثل صفوان) اى حجر صاف املس وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا فواحده صفوانة ومن جعله واحدا فجمعه صفى (عليه تراب) اى شئ يسير منه (فأصابه وابل) اى مطر شديد الوقع كبير القطر (فتركه صلدا) املس ليس عليه شئ من الغبار (لا يقدرون) كانه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون (على شئ مما كسبوا) اى لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا يقال فلان لا يقدر على درهم اى لا يجده ولا يملكه فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذى ينفق قلت اراد بالذى ينفق الجنس او الفريق الذى ينفق ولان من والذى يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق فجمع الضمير باعتبار المعنى ولما ذكر تعالى بطلان امر الصدقة بالمن والاذى ذكر لكيفية ابطال اجرها بهما مثلين فمثله اولا بمن ينفق ماله رئاء الناس وهو مع ذلك كافر بالله واليوم الآخر فان بطلان اجر ما انفقه هذا الكافر اظهر من بطلان اجر من يتبعها بالمن والاذى ثم مثله ثانيا بالصفوان الذى وقع عليه تراب وغبار ثم اصابه المطر فأزال ذلك الغبار عنه حتى صار كانه ما كان عليه تراب وغبار أصلا فالكافر كالصفوان والتراب مثل ذلك الانفاق والوابل كالكفر الذى يحبط عمل الكافر وكالمن والاذى اللذين يحبطان عمل هذا المنفق فكما أن الوابل ازال التراب الذى وقع على الصفوان فكذا المن والاذى يجب ان يكونا مبطلين لاجر الانفاق بعد حصوله وذلك صريح فى القول بالاحباط والتكفير كما ذهب اليه المعتزلة القائلون بان الاعمال الصالحة توجب الثواب وان الكبائر تحبط ذلك الثواب واما اصحابنا القائلون بأن الثواب تفضل محض فانهم قالوا ليس المراد بقوله لا تبطلوا النهى عن ازالة هذا الثواب بعد ثبوته بل المراد النهى عن ان يأتى بهذا العمل باطلا وبيانه ان المن والاذى يخرجانه من ان يترتب عليه الاجر الموعود لان العمل انما يؤدى الى الاجر الموعود اذا اتى به العامل تعبدا وطاعة وابتغاء لما عند الله تعالى من الاجر والرضوان وعملا بقوله تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم اجرا وبقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة فمن كان حامله على العمل ابتغاء ما عند الله مما وعده للمخلصين فقد جرى على سنن المبادلة التى وقعت بين العمل والثواب الذى وعده الله تعالى لمن اخلص عمله لله تعالى فلما كانت معاملته فى الحقيقة مع الله تعالى لم يبق وجه لأن يمن على الفقير الذى تصدق عليه ولا لأن يؤذيه بأن يقول له مثلا خذه بارك الله لك فيه ومن من عليه او آذاه فقد أعرض عن جهة المبادلة مع الله ومال الى جهة التبرع على الفقير من غير ابتغاء وجه الله واتى بعمله من الابتداء على نعت البطلان فيكون محروما من البدل الذى وعده الله لمن اقرض الله قرضا حسنا اذ لم يقع عمله على وجه الاقراض (والله لا يهدى القوم الكافرين) الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان كلا من الرئاء والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها روى عن بعض العلماء انه قال مثل من يعمل الطاعة للرئاء والسمعة كمثل رجل خرج الى السوق وملأ كيسه حصى فيقول الناس ما أملأ كيس هذا الرجل ولا منفعة له سوى مقالة الناس فلو اراد ان يشترى به شيأ لا يعطى به شيأ وقد بالغ السلف فى اخفاء صدقتهم عن اعين الناس حتى طلب بعضهم فقيرا اعمى لئلا يعلم احد من المتصدق وبعضهم ربط فى ثوب الفقير نائما وبعضهم القى فى طريق الفقير ليأخذها وبذلك يتخلص من الرئاء (وفى المثنوى) كفت پيغمبر بيك صاحب ريا *

صل انك لم تصل يا فتى * از براى چارۀ اين خوفها * آمد اندر هر نمازى اهدنا * كين نمازم را
ميامیز اى خدا * با نماز ضالين واهل ريا * قال النبى صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك
الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقول الله لهم يوم يجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذى
كنتم تراؤون لهم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا كان يوم القيامة
ينزل الى العباد ليقضى بينهم وكل امة جاثية فأول من يدعى به رجل جمع القرءآن ورجل قتل فى سبيل الله ورجل
كثير المال فيقول الله للقارئ ألم اعلمك ما انزلت على رسولى قال بلى يارب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت
اقرأ آناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال
فلان قارئ فقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى
يارب قال فماذا عملت فيما آتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول
الله بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول له فماذا قتلت فيقول
يارب امرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله
بل اردت ان يقال فلان جرئ فقد قيل ذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك الثلاثة اول خلق الله
تسعر بهم النار يوم القيامة (قال السعدى) طريقت همينست كاهل يقين * نكوكار بودند وتقصير بين *
بروى ريا خرقه سهلست دوخت * كرش با خدا در توانى فروخت * همان به كرا بستن كوهرى *
كه همچون صدف سر بخود در برى * ور آوازه خواهى در اقليم فاش * برون حله كن كو درون
حشو باش * اكر مسك خالص ندارى مكوى * وكر هست خود فاش كردد ببوى * چه زنار مغ
در ميانت چه دلق * كه در پوشى از بهر پندار خلق * والاشارة فى الآية ان المعاملات اذا كانت مشوبة
بالاغراض ففيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن اقبل على الباطل فقد
ابطل حقوقه فى الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد نهينا عن ابطال اعمال البر بالاعراض عن طلب الحق
والاقبال على الباطل بقوله لا تبطلوا صدقاتكم وهى من اعمال البر بالمن اى اذا مننت بها على الفقير فقد اعرضت
عن طلب الحق لان قصدك فى الصدقة لو كان طلب الحق لما مننت على الفقير بل كنت رهين منة الفقير حيث
كان سبب وصولك الى الحق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لولا الفقراء لهلك الاغنياء معناه لم يجدوا وسيلة الى
الحق وقد فسر بعضهم قوله عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى بان اليد العليا هى يد الفقير والسفلى يد
الغنى تعطى السفلى وتأخذ العليا والاذى هو الاقبال على الباطل لان كل شئ غير الحق فهو باطل فمن عمل عملا لله
ثم يشوبه بغرض فى الدارين فقد ابطل عمله بان يكون لله فافهم جدا كذا فى التأويلات النجمية (وفى المثنوى)
عاشقانرا شادمانى وغم اوست * دست مزد واجرت خدمت هم اوست * غير معشوق ار تماشايى بود *
عشق نبود هرزه سودايى بود * عشق آن شعله ست كو چون بر فروخت * هرچه جز معشوق باقى جمله سوخت *
فالعشق الالهى والحب الرحمانى اذا استولى على قلب العبد يقطع عنه عرق الشركة فى الاموال والاولاد
والانفس والخدمة بالاجرة لا تناسب الرجولية فان من علم ان مولاه كريم يقطع قلبه عن ملاحظة الاجرة
ويجئ اجرته اليه من ذلك الكريم على الكمال (قال الحافظ) تو بندكى چو كدايان بشرط مزد مكن *
كه دوست خود روش بنده پرورى داند * اللهم اقطع رجاءنا عن غيرك واجعلنا من الذين لا يطلبون منك
الا ذاتك (ومثل) نفقات (الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله) اى لطلب رضاه (وتثبيتا من انفسهم) اى
جعل بعض انفسهم ثابتا على الايمان والطاعة لتزول عنها رذيلة البخل وحب المال وامساكه والامتناع عن
انفاقه فان النفس وان كانت مجبولة على حب المال واستثقال الطاعات البدنية الا انها ما عودتها تتعود (قال
صاحب البردة)

والنفس كالطفل ان تهمله شب على * حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

فمتى اهملتها فقد تمرنت واعتادت الكسل والبطالة والبخل وامساك المال عن صرفه الى وجوه الطاعات
ومقتضيات الايمان وحيث كلفتها وحملتها على مشاق العبادات البدنية والمالية تنقاد لك وتتزكى عن عاداتها
الجبلية فمن تبعيضية كما فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان قلت كيف يكون المال بعضا من النفس

حتى تكون الطاعة ببذله طاعة لبعض النفس وتثبيتا لها على الثمرة الايمانية قلت ان النفس لشدة تعلقها بالمال كأنه بعض منها فالمال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها (وفى المثنوى) دادن نان مرسخى راالايق است * دادن جان خود سخاى عاشق است * جان دهى چون بهر حق جانت دهند * نان دهى چون بهر حق نانت دهند * آن فتوت بخش هربى علت است * پاكبازى خارج ازهر ملت است * درشريعت مال هركس مال اوست * درطريقت ملك ما مملوك دوست * ويجوز ان يكون التثبيت بمعنى جعل الشئ صادقا محققا تابتا والمعنى تصديقا للاسلام ناشئا من اصل انفسهم وتحقيقا للجزآء فان الانفاق امارة ان الاسلام ناشئ من اصل النفس وصميم القلب فمن لابتدآء الغاية كما فى قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ولعل تحقيق الجزآء عبارة عن الايقان بأن العمل الصالح مما يثيب الله ويجازى عليه احسن الجزآء (كمثل جنة) بستان كائن (بربوة) مكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه البرد أى يفسده للطافة هوآئه بهبوب الرياح الملطفة له فان أشجار الربا تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضى المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوآئها بركود الرياح وقال بعضهم ان البستان اذا وقع فى موضع مرتفع من الارض لاتنفعه الانهار وتضربه الرياح كثيرا فلا يحسن ريعه الا اذا كان على الارض المستوية التى لا تكون ربوة ولا وهدة فالمراد من الربوة حينئذ كون الارض لينة جيدة بحيث اذا نزل المطر عليها انتفخت وربت ونمت فان الارض اذا كانت بهذه الصفة يكثر ريعها وتكمل اشجارها ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت فان المراد من ربوها ماذكر (اصابها وابل) اى وصل اليها مطر كبير القطر شديد الوقع (فآتت) اى اعطت صاحبها اواهلها (أكلها) ثمرتها وغلتها وهو بضمتين الشئ المأكول ويجوز ان يكون آتت بمعنى اخرجت فيتعدى الى مفعول واحد هو أكلها (ضعفين) اى مثلى ما كانت تثمر فى سائر الاوقات وذلك بسبب ما اصابها من الوابل قال ابن عباس حملت فى سنة من الريع مايحمل غيرها فى سنتين والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد فى قوله تعالى من كل زوجين اثنين ومن فسره باربعة امثال ما كانت تثمر حمل الضعف على اصل معناه وهو مثلا الشئ فيكون ضعفين اربعة امثال (فان لم يصبها وابل فطل) اى فطل وهو المطر الصغير القطر يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوآئها والطل اذا دام عمل عمل الوابل وجاز الابتداء بالنكرة لوقوعها فى جواب الشرط وهو من جملة المسوغات للابتداء بالنكرة ومن كلامهم ان ذهب العير فعير فى الرباط والمعنى تشبيه نفقات هؤلاء الذين ينفقون بسبب ما يحملهم عليه من الابتغاء والتثبيت زاكية عند الله لاتضيع بحال وان كانت تلك النفقات تتفاوت فى زكائها بحسب تفاوت ما ينضم اليها من احوالهم التى هى الابتغاء والتثبيت الناشئ من ينبوع الصدق والاخلاص اليها بحال جنة نامية زاكية بسببى الربوة والوابل اوالطل والجامع النمو المرتب على السبب المؤدى اليه ويجوز ان يكون التشبيه من قبيل المفرق بان يشبه زلفاهم من الله تعالى وحسن حالهم عنده بثمرة الجنة ووجه التشبيه الزيادة ويشبه نفقتهم الكثيرة والقليلة بالقوى من المطر والضعيف منه من حيث ان كل واحد منهما سبب لزيادة فى الجملة لان النفقتين تزيدان حسن حالهم كما ان المطرين يزيدان ثمر الجنة (والله بما تعملون بصير) من عمل الاخلاص والرياء لايخفى عليه شئ وهو ترغيب فى الاخلاص مع تحذير عن الرياء ونحوه فعلى العاقل ان يعبد الله تعالى على الاخلاص ويكون دآئما فى رجاء الخلاص عن الطاغوت الخفى وهو الشرك الخفى فان الخلاص يبتنى على الاخلاص (قال السعدى) همينست بندت اكر بشنوى * كه كرخاركارى سمن ندردى * يعنى من زرع الشوك لم يحصد الازهار والنبات ولا يثمر شجره وبالكأس التى تسقى تشرب عصمنا الله واياكم من ضياع العمل وكساده واختلال الاعتقاد وفساده وخالص الاعمال هو الذى تعمله لله لاتحب ان يحمدك عليه احد واذا قارن العمل بالاخلاص يكون كنحاس طرح فيه الاكسير وجسد نفخ فيه الروح ولذا يضاعف ثوابه وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه عن النبى عليه السلام ان الصدقة اذا خرجت من يد صاحبها قبل ان تدخل فى يد السائل تتكلم بخمس كلمات اولاها تقول كنت قليلة فكثرتنى وكنت صغيرة فكبرتنى وكنت عدوا فاحببتنى وكنت فانيا فابقيتنى وكنت محروسا الآن صرت حارسك وعن مكحول الشامى اذا تصدق المؤمن بصدقة رضى الله عنه ونادت جهنم يارب ائذن لى بالسجود شكرا لك قد اعتقت واحدا من امة محمد من

عذابى لانى استحيى من محمد ان اعذب احدا من أمته ولا بدلى من طاعتك ولفظ الصدقة اربعة احرف كل منها اشارة الى معنى اما الصاد فالصدق اى الصدقة تصدق وتمنع عن صاحبها مكروه الدنيا والآخرة واما الدال فالدليل لانها تدل صاحبها الى الجنة واما القاف فقربه الى الله تعالى واما الهاء فهداية الله تعالى (قال بعضهم) زان پيش كه دست ساقى دهر * درجام هرارت افكند زهر * ازسر بنه اين كلاه ودستار * جهدى بكن ودلى بدست آر * كين سر همه سال باكله نيست * وين روى هميشه همچو مه نيست * فمن ساعده المال فلينفق فى سبيل الله الملك المتعال وليشكر على غنى ومدد فلا يقطع رجاء احد وفى الحديث من قطع رجاء من التجأ اليه قطع الله رجاءه (روى) ان بعض العلماء لما رأى هذا الحديث بكى بكاء شديدا وتحير فى رعاية فحواه فقام وذهب الى واحد من الصلحاء ليستفسر معنى هذا الحديث ويدفع شبهته فلما دخل عليه رأى ذلك الرجل الصالح يأخذ بيده خبزا ويؤكله الكلب من يده فسلم فرد عليه السلام ولم يقم له كما كان يفعله قبل فلما اكل الكلب الخبز بالتمام قام له ولاطفه وقال معتذرا خذ العذر منى حيث لم اقم امتثالا لقول النبى عليه السلام من قطع رجاء الحديث وهذا الكلب رجامنى أكل الخبز ولم أقم خشية ان اقطع رجاءه فلما سمع هذا الكلام زاد تحيرا ولم يستفسر فتعجب من كرامته وقوته فى باب الولاية واعلم ان ثمرات الاخلاص فى طلب الحق ومرضاته تكون ضعفين بالنسبة الى من ينفق ويعمل الخيرات والطاعات لاجل الثواب الاخروى ورفعة الدرجات فى الجنان فان حظه يكون من نعيم الجنة فحسب والمخلص فى طلب الحق يكون له ضعف من قربة الحق ودولة الوصال وشهود مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وضعف من نعيم الجنة اوفى وأوفر من ضعف طالب الجنة ونعيمها باضعاف مضاعفة اللهم اهدنا اليك (أيود احدكم) الهمزة لانكار الوقوع كما فى قوله أضرب ابى لا لانكار الواقع كما فى قوله أتضرب أباك اى ما كان ينبغى ان يود رجل منكم (ان تكون له جنة) كائنة (من نخيل واعناب) والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة وهو الانسب بقوله تعالى (تجرى من تحتها الانهار) اذ على كونها بمعنى الارض المشتملة على الاشجار الملتفة لابد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها (له فيها من كل الثمرات) الظرف الاول خبر والثانى حال والثالث مبتدأ اى صفة للمبتدأ قائمة مقامه اى له رزق من كل الثمرات كما فى قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اى وما منا أحد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو التكثير كما فى قوله تعالى واوتيت من كل شئ فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها نفعا خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات (و) الحال انه قد (اصابه الكبر) اى كبر السن الذى هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش (وله ذرية ضعفاء) اى اصابه الكبر والحال ان له ذرية صغارا لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادى المعاش (فأصابها) اى تلك الجنة (اعصار) اى ريح عاصفة تستدير فى الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود (فيه نار) شديدة (فاحترقت) فصارت نعمها الى الذهاب واصلها الى الخراب فبقى الرجل متحيرا لا يجد ما يعود به عليها ولا قوة له ان يغرس مثلها ولا خير فى ذريته من الاعانة لكونهم ضعفاء عاجزين عن ان يعينوه وهذا كما ترى تمثيل لحال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته اليها ووجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جنات الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ماسوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا (قال الحافظ) زاهد ايمن مشو از بازئ غيرت زنهار * كه ره از صومعه تا دير مغان اين همه نيست * (كذلك) اى مثل ذلك البيان الواضح الذى بين فيما مر من الجهاد والانفاق فى سبيل الله وقصة ابراهيم وعزير وغير ذلك لكم ايها الفريق (يبين الله لكم الآيات) اى الدلالات الواضحة فى تحقيق التوحيد وتصديق الدين (لعلكم تتفكرون) كى تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها قال القشيرى هذه آيات ذكرها الله على جهة ضرب المثل للمخلص والمنافق والمنفق فى سبيل الله والمنفق فى الباطل هؤلاء يحصل لهم الخلف والشرف وهؤلاء يحصل لهم السرف والتلف وهؤلاء ضل سعيهم وهؤلاء شكر سعيهم وهؤلاء تزكو اعمالهم وهؤلاء حبطت اعمالهم وخسرت اموالهم وختمت بالسوء احوالهم وتضاعف عليهم وبالهم وثقل ومثل هؤلاء كالذى انبت زرعا زكا اصله ونما فضله وعلا فرعه

وكثر نفعه ومثل هؤلاء كالذي خسرت صفقته وسرقت بضاعته وضاقت على كبر سنه غلته وتواترت من كل وجه محنته هل يستويان مثلا وهل يتقاربان شبها انتهى فلا بد من اخلاص الاعمال فان الثمرات تبتنى على الاصل وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال حين بعث الى اليمن يارسول الله اوصنى قال اخلص دينك يكفك العمل القليل * وعلاج الرياء على ضربين احدهما قطع عروقه واستئصال اصوله وذلك بازالة اسبابه وتحصيل ضده واصل اسبابه حب الدنيا واللذة العاجلة وترجيحها على الآخرة والثانى دفع مايخطر من الرياء فى الحال ودفع مايعرض منه فى اثناء العبادة فعليك فى اول كل عبادة ان تفتش قلبك وتخرج منه خواطر الرياء وتقره على الاخلاص وتعزم عليه الى ان تتم لكن الشيطان لايتركك بل يعارضك بخطرات الرياء وهى ثلاث مرتبة العلم باطلاع الخلق اورجاؤه ثم الرغبة فى حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فعليك رد كل منها (قال السعدى) قيامت كسى بينى اندر بهشت * كه معنى طلب كرد ودعوى بهشت * كهنكار انديشناك ازخداى * بسى بهتر ازعابد خودنماى * وفى التاتارخانية لوافتتح الصلاة خالصا لله تعالى ثم دخل فى قلبه الرياء فهو على ماافتتح والرياء انه لوخلا عن الناس لايصلى ولوكان مع الناس يصلى فاما لوصلى مع الناس يحسنها ولوصلى وحده لايحسن فله ثواب اصل الصلاة دون الاحسان ولايدخل الرياء فى الصوم روى عن ابى ذر الغفارى رضى عنه البارى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياابا ذر جدد السفينة فان البحر عميق واكثر الزاد فان السفر بعيد واقل من الحمولة فان الطريق مخوف واخلص العمل فان الناقد بصير والمراد من تجديد السفينة تحقيق الايمان وتكرير التوحيد ومن البحر هو جهنم قال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا والمراد بالسفر سفر الآخرة والقيامة قال تعالى فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وزاد النعيم الطاعات وزاد الجحيم السيئات والمراد بالحمولة الذنوب والخطايا واريد باقلالها نفيها رأسا وانما كان طريق الآخرة مخوفا لان الزبانية يأخذون اصحاب الحمل الثقيل من الطريق وليس هناك احد يعين على حمل احد وينصره وان كان من اقربائه قال تعالى وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ ولوكان ذاقربى والمراد بالناقد هو الله تعالى وهو طيب لايقبل الا الطيب الخالص عن الشرك والرياء قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اى خالصا لوجهه تعالى ولايشرك بعبادة ربه احدا وفى الحديث قال الله تعالى انا اغنى عن الشركاء فمن عمل لى وأشرك فيه غيرى فأنا برئ منه وذكر عن وهب بن منبه انه قال امر الله تعالى ابليس ان يأتى محمدا عليه السلام ويجيبه عن كل مايساله فجاءه على صورة شيخ وبيده عكازة فقال له من أنت قال انا ابليس قال لماذا جئت قال امرنى ربى ان آتيك وأجيبك واخبرك عن كل ماتسألنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكم اعداؤك من امتى قال خمسة عشر انت اولهم وامام عادل وغنى متواضع وتاجر صدوق وعالم متخشع ومؤمن ناصح ومؤمن رحيم القلب وثابت على التوبة ومتورع عن الحرام ومؤمن مديم على الطهارة ومؤمن كثير الصدقة ومؤمن حسن الخلق مع الناس ومؤمن ينفع الناس وحامل القرآن المديم عليه وقائم الليل والناس نيام قال عليه السلام فكم رفقاؤك من امتى قال عشرة سلطان جائر وغنى متكبر وتاجر خائن وشارب الخمر والقتات وصاحب الرياء وآكل مال اليتيم ومانع الزكاة والذى يطيل الامل وفى الحديث مامنكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبين الله ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر أيمن منه فلا يرى الا ماقدم وينظر أشأم منه فلا يرى الا ماقدم من عمله وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا الله ولو بشق تمرة قال شيخى العلامه ابقاه الله بالسلامه قيل لى فى قلبى احسن اخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضى واحسن اخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء (قال السعدى) غم وشادمان نماند وليك * جزاى عمل ماند ونام نيك * كرم پاى دارد نه ديهيم وتخت * بده كز تو اين ماند اى نيكبخت * مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم * كه پيش از تو بودست وبعد از تو هم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى امر المؤمنين بالانفاق * ليزكى به نفوسهم عن سفساف الاخلاق * وهدى العارفين الى بذل المال والروح * ليفتح لهم ابواب الفتوح * والصلاة والسلام على المتخلق باخلاق مولاه * سيدنا محمد الذى جاء بالشفاعة لمن يهواه * وعلى اله واصحابه ممن اثر الله على ماسواه * ووثق فى اجر الانفاق بربه الذى اعطاه * وبعد فان العبد العليل

سمى الذبيح اسماعيل * الناصح البروسى ثم الاسكوبى * اوصله الله الى غاية المقام الحبى * يقول لما ابتليت بالنصح والعظه اهتممت فى باب الموعظه * فكنت التقط من التفاسير * وانظم فى سلك التحرير * مابه ينحل عقد الآيات القرءآنيه والبينات الفرقانيه من غير تعرض لوجوه المعانى مما يحتمله المبانى قصدا الى التكلم بقدر عقول الناس وتصديا للاختصار الحامل على الاستئناس واضم الى كل آية ما يناسبها من الترغيب والترهيب وبعض من التأويل الذى لا يخفى على كل لبيب حتى انتهيت من سورة البقرة الى ما هنا من آيات الانفاق بعون الله الملك الخلاق فجعلت اول هذه الآية معنونا ليكون هذا النظم مع ما يضم اليه مدونا مقطوعا عما قبله من الآيات مجموعا بلطائف العظات ومن الله استمد ان يمهلنى الى ان آخذ بهذا المنوال القرءآن العظيم واقضى هذا الوطر الجسيم واتضرع ان يجعله منتفعا به وذخر اليوم والمعاد ونعم المسئول والمراد (يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) اى من حلال ما كسبتم اوجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وفسر صاحب الكشاف الطيبات بالجياد حيث قال من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ذكر بعض الافاضل أنه انما فسر الطيب بالجيد دون الحلال لان الحل استفيد من الامر فان الانفاق من الحرام لا يؤمر به ولان قوله تعالى بعده ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون والخبيث هو الردئ المستخبث يدل على ان المعنى انفقوا مما يستطاب من اكسابكم (ومما) اى ومن طيبات مما (اخرجنا لكم من الارض) من الحبوب والثمار والمعادن (ولا تيمموا) اى لا تقصدوا (الخبيث) اى الردئ الخسيس والخبيث نقيض الطيب ولهما جميعا ثلاثة معان الطيب الحلال والخبيث الحرام والطيب الطاهر والخبيث النجس والطيب ما يستطيبه الطبع والخبيث ما يستخبثه (منه تنفقون) الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اى لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه والتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضى الله عنه انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (ولستم بآخذيه) حال من واو تنفقون اى تنفقون والحال انكم لا تأخذون الخبيث فى معاملاتكم فى وقت من الاوقات اوبوجه من الوجوه (الا ان تغمضوا فيه) اى الاوقت اغماضكم فيه اوالا باغماضكم يعنى لو كان لكم على رجل حق فجاء بردئ ماله بدل حقكم الطيب لا تأخذونه الا فى حال الاغماض والتساهل مخافة فوت حقكم اولاحتياجكم اليه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اى لا تستقص كانك لا تبصر (واعلموا ان الله غنى) عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم وفى الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطى ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطر اليه (حميد) مستحق للحمد على نعمه العظام واعلم ان المتصدق كالزارع والزارع اذا كان له اعتقاد بحصول الثمرة يبالغ فى الزراعة وجودة البذر لتحققه ان جودة البذر مؤثرة فى جودة الثمرة وكثرتها فكذلك المتصدق اذا ازداد ايمانه بالله والبعث والثواب والعقاب يزيد فى الصدقة وجودتها لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما والعبد كما اعطى الله احب ما عنده فان الله يجازيه بأحب ما عنده كما قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ودلت الآية على جواز الكسب وان احسن وجوه التعيش هو التجارة والزراعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكله الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وكذلك اطيب الصدقات ما كانت من عمل اليد * بقنطار زر بخش كردن زكنج * نباشد جو قيراط ازدست رنج * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق منه فيقبل منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله تعالى لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث ووجوه الانفاق والصدقة كثيرة قال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرسا اويزرع زرعا فيأكل منه انسان أو طير أو بهيمة الا كانت له صدقة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم حث اصحابه على الصدقة فجعل الناس يتصدقون وكان ابو امامة الباهلى جالسا بين يدى النبى عليه السلام وهو يحرك شفتيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحرك شفتيك فاذا تقول قال انى ارى الناس يتصدقون وليس معى شئ اتصدق به فأقول فى نفسى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات خير لك من مدذهبا

تتصدق به على المساكين فعلى العاقل ان يواظب على الاذكار فى الليل والنهار ويتصدق على الفقرآء والمساكين بخلوص النية واليقين فى كل حين * كرامت جوانمردى ونان دهيست * مقالات بيهوده طبل تهيست *
وجلس الاسكندر يوما مجلسا عاما فلم يسأل فيه حاجة فقال والله مااعدّ هذا اليوم من ملكى قيل ولم ايها الملك قال لانه لا توجد لذة الملك الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين قال السرى السقطى قدس سره فى وصف الصوفية اكلهم اكل المرضى ونومهم نوم الغرقى ومن تخليهم عن الاملاك ومفارقتهم اياها سموا فقراء فالصوفى مالم يبذل ماله وروحه فى طلب الله فهو صاحب دنيا والدنيا مانعة عن الوصول فعليك بالايثار وكمال الافتقار (الشيطان يعدكم الفقر) الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شئ من زمان او غيره يستعمل فى الشر استعماله فى الخير قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا والمعنى ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك مالك فانك اذا تصدقت به افتقرت (ويأمركم بالفحشاء) اى بالخصلة الفحشاء اى ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغرآء الآمر المأمور على فعل المأمور به والعرب تسمى البخيل فاحشا (والله يعدكم) اى فى الانفاق (مغفرة) لذنوبكم اى مغفرة كائنة (منه) عز وجل (وفضلا) كائنا منه تعالى اى خلفا مما انفقتم زآئدا عليه فى الدنيا وثوابا فى العقبى وفيه تكذيب للشيطان (والله واسع) قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه (عليم) مبالغ فى العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم (يؤتى الحكمة) اى مواعظ القرآن ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اى يبينها ويوفق للعمل بها (من يشاء) من عباده اى يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه فى ضمن الآى من الحكم البالغة التى عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول ليؤتى قدم عليه الثانى للعناية به (ومن يؤت الحكمة) اى يعط العلم والعمل (فقد اوتى خيرا كثيرا) اى اى خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين (وما يذكر) اى وما يتعظ بما اوتى من الحكمة (الا اولوا الالباب) اى العقول الخالصة من شوآئب الوهم والركون الى متابعة الهوى فالمراد منهم الحكماء العلام العمال ولا يتناول كل مكلف وان كان ذا عقل لان من لا يغلب عقله على هواه فلا ينتفع به فكأنه لا عقل له قيل من اعطى علم القرآن ينبغى ان لا يتواضع لاهل الدنيا لاجل دنياهم لان ما اعطيه خير كثير والدنيا متاع قليل ولقوله عليه السلام القرآن غنى لا غنى بعده والاشارة أن الشيطان فقير يعد بالفقر ظاهر افهو يأمر بالفحشاء حقيقة والفحشاء اسم جامع لكل سوء لان عدته بالفقر تتضمن معانى الفحشاء وهى البخل والحرص واليأس من الحق والشك فى مواعيد الحق للخلق بالرزق والخلف للمنفق ومضاعفة الحسنات وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه وتكذيب قول الحق ونسيان فضله وكرمه وكفران النعمة والاعراض عن الحق والاقبال على الخلق وانقطاع الرجاء من الله تعالى وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وايثار الحظوظ الدنيوية وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته فسوف يبتلى بهذه الآفات ومن سد هذا الباب فان الله يكرمه بانواع الكرامات ورفعة الدرجات والله واسع عليم يؤتى من اجتنب عن وساوسه الحكمة وهى من مواهبه ترد على قلوب الانبياء والاولياء عند تجلى صفات الجلال والجمال وفناء اوصاف الخلقية بشواهد صفات الخالقية فيكاشف الاسرار بحقائق معان اورثتها تلك الانوار سرا بسر واضمارا باضمار فحقيقة الحكمة نور من انوار صفات الحق يؤيد الله به عقل من يشاء من عباده فهذه ليست مما تدرك بالعقول والبراهين العقلية والنقلية واما المعقولات فهى مشتركة بين اهل الدين واهل الكفر فالمعقول ما يحكم العقل عليه ببرهان عقلى وهذا ميسر لكل عاقل بالدراية وعالم بالقرآءة فمن صفى عقله عن شوب الوهم والخيال فيدرك عقله المعقول بالبرهان دراية عقلية ومن لم يصف العقل عن هذه الآفات فهو يدرك المعقول قرآءة بتفهيم استاذ مرشد فاما الحكمة فليست من هذا القبيل وما يذكر الا اولوا الالباب وهم الذين لم يقنعوا بقشور العقول الانسانية بل سعوا فى طلب لبها بمتابعة الانبياء عليهم السلام فأخرجوهم من ظلمات قشور العقول الانسانية الى نور لب المواهب الربانية فتحقق لهم ان من لم يجعل الله له نورا فما له من نور فانتبه ايها المغرور المفتون بدار الغرور فلا يغرنك بالله الغرور (قال من قال) كرنا قضا از كجا سير كرد * كه كورى بود تكيه بر غير كرد * فغان از بديها كه درنفس ماست * كه ترسم شود ظن ابليس راست * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمين الله ملاى

لا يغيضها نفقة سحاب الليل والنهار أرأيتم ما انفق منذ خلق السماء والارض فانه لم ينقص ما فى يمينه قال وعرشه على الماء وبيده الاخرى القبض يرفع ويخفض فالمؤمن يتخلق باخلاق الله ويجود على الفقراء ويدفع ما وسوس اليه الشيطان من خوف الفقر فان الله بيده مفاتيح الارزاق وهو المعطى على الاطلاق (وما) كلمة شرط وهى للعموم (انفقتم من نفقة) اى اى نفقة كانت فى حق او باطل فى سر أو علانية قليلة او كثيرة (او نذرتم) النذر عقد الضمير على شئ والتزامه وهو فى الشرع التزام برّ له تطير فى الشرع واهذا الوندر محدة مفردة لا يصح الا ان تكون للتلاوة عند ابى حنيفة واصحابه (من نذر) اى نذر كان فى طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصلاة والصيام ونحوهما (فان الله يعلمه) الضمير عائد الى ما اى فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد (وما للظالمين) بالانفاق والنذر فى المعاصى او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذى هو عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه الذى يحق ان يوضع فيه (من انصار) اى اعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة واراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اى وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار (ان تبدوا الصدقات فنعما هى) اى ان تظهروا الصدقات فنعم شئ ابداؤها بعد أن لم يكن رياء وسمعة وهذا فى الصدقات المفروضة واما فى صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهى التى اريد بقوله (وان تخفوها) اى تعطوها خفية (وتؤتوها الفقراء) ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب فى الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغنى ربما يدعى الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس (فهو خير لكم) اى فالاخفاء خير لكم من الابداء وكل مقبول اذا صلحت النية وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال واما فى الواجب فبالعكس ليقتدى به كالصلاة المكتوبة فى الجماعة افضل والنافلة فى البيت ولنفى التهمة وسوء الظن حتى اذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل خوف الظلمة عن ابن عباس رضى الله عنه صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا (و) الله (يكفر عنكم من سيئاتكم) من تبعيضية اى شيأ من سيئاتكم لانه يمحو بعض الذنوب بالتصدق فى السر والعلانية او زائدة على رأى الاخفش فالمعنى يمحو عنكم جميع ذنوبكم (والله بما تعملون) من الاسرار والاعلان (خبير) فهو ترغيب فى الاسرار ذكر الامام فى ان الاسرار والاخفاء فى صدقة التطوع افضل وجوها * الاول انها ابعد من الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل من مسمع ولا مرآئى ولا منان والمتحدث فى صدقة لا شك انه يطلب السمعة والمعطى فى ملأ من الناس يطلب الرياء فالاخفاء والسكوت هو المخلص منهما وقد بالغ قوم فى صدقة الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم احد فكان بعضهم يلقيها فى يد اعمى وبعضهم يلقيها فى طريق الفقير فى موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى وبعضهم كان يشدها فى ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره * وثانيها انه اذا اخفى صدقته لم يحصل له من الناس شهرة ومدح وتعظيم فكان ذلك اشق على النفس فوجب ان يكون اكثر ثوابا * وثالثها قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر وقال ايضا ان العبد يعمل عملا فى السر فيكتبه الله تعالى سرا فان اظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فان تحدث نقل من السر والعلانية وكتب فى الرياء وفى الحديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عدل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب واما الوجه فى جواز اظهار الصدقة فهو ان الانسان اذا علم انه اذا اظهرها صار فى ذلك سببا لاقتداء الخلق به فالاظهار افضل قال محمد ابن على الحكيم الترمذى ان الانسان اذا اتى بعمله وهو يخفيه عن الخلق وفى نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك الشهوة فههنا الشيطان يردد عليه رؤية الخلق والقلب ينكر ذلك ويدفعه فهذا الانسان فى محاربة الشيطان فضوعف العمل فى السر سبعين ضعفا على العلانية ثم ان تقرب العبد الى الله انما يكون بفرض اوجبه الله عليه او بنفل اوجبه العبد على نفسه فعلى كلا التقديرين الله عليم بهما فيجازى العبد بهما

كما قال فى حديث ربانى لن يتقرب الى المتقربون بمثل ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يبطش ولكن الشأن اخلاص العمل لله من غير شوبه بعلة دنيوية او اخروية فانها شرك والشرك ظلم عظيم فلابد من الاجتناب جور روبى بخدمت نهى برزمين * خدا را ثنا كوى وخود را مبين * فأخفاء الصدقة اشارة فى الحقيقة الى تخليصها من شوب الحظوظ النفسانية لتكون خالصة لله فصاحبها يكون فى ظل الله كما قال عليه السلام المرء يكون فى ظل صدقته يوم القيامة يعنى ان كانت صدقته لله فيكون فى ظل الله وان كانت صدقته للجنة فيكون فى ظل الجنة وان كانت صدقته للهوى فيكون فى ظل هاوية فافهم جدا * رطب ناورد چوب خرزهره بار * چه تخم افكنى بر همان چشم دار (ليس عليك هداهم) اى لا يجب عليك يا محمد ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهى عن الشر والردع عنه بما اوحى اليك من الايات والذكر الحكيم والخطاب خاص والمراد عام يتناول كل اهل الاسلام (ولكن الله يهدى) هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما (من يشاء) هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع ويختار الخير فهدى التوفيق على الله وهدى البيان على النبى صلى الله عليه وسلم وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق على المشركين كى تحملهم الحاجة على الدخول فى الاسلام فنزلت اى ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم فى الاسلام وفيه ايماء الى ان الكفر لا يمنع صدقة التطوع واختلف فى الواجب فجوزه ابو حنيفة واباه غيره (وما تنفقوا من خير) اى اى شئ تتصدقوا كائنا من مال (فلانفسكم) اى فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث اونفعها الدينى لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اى ليست نفقتكم لشئ من الاشياء الا لابتغاء وجه الله اوليست فى حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله (وما تنفقوا) اى اى شئ تنفقوا (من خير) فى اهل الذمة وغيرهم (يوف اليكم) اى يوفر لكم اجره وثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجلها (وأنتم لا تظلمون) اى لا تنقصون شيأ مما وعدتم من الثواب المضاعف (للفقراء) اى اجعلوا ما تنفقونه للفقراء (الذين احصروا فى سبيل الله) اى حبسوا نفوسهم فى طاعته من الغزو والجهاد (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا فى الارض) اى ذهابا فيها وسيرا فى البلاد للكسب والتجارة وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم يكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر فكانوا فى صفة المسجد وهى سقيفته يتعلمون القرءآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس رضى الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن لقى الله من امتى على النعت الذى انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائى (يحسبهم الجاهل) اى يظنهم الجاهل بحالهم وشأنهم (اغنياء من التعفف) اى من اجل تعففهم عن المسألة وهو ترك الطلب ومنع النفس عن المراد بالتكلف استحياء (تعرفهم) اى تعرف فقرهم واضطرارهم (بسيماهم) اى بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والسيما والسيماء العلامة التى تعرف بها الشئ (لا يسألون الناس الحافا) مفعول له ففيه نفى السؤال والالحاف جميعا اى لا يسألون الناس اصلا فيكون الحافا والالحاف الالزام والالحاح وهو ان يلازم السائل المسئول حتى يعطيه ويجوز السؤال عند الحاجة والاثم مرفوع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يأخذ احدكم حبله فيذهب فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه خير له من ان يسأل الناس اشياءهم اعطوه او منعوه وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذى السائل الملحف (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب فى التصدق لاسيما على هؤلاء ثم زاد التحريض عليه بقوله (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير

والصدقة

والصدقة فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت فى شأن الصديق رضى الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية (فلهم اجرهم) اى ثوابهم حاضر (عند ربهم ولا خوف عليهم) من مكروه آت (ولا هم يحزنون) من محبوب فات واعلم ان الانفاق على سادة اختاروا الفقر على الغنى محبة لله واقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقول لى حرفتان الفقر والجهاد وهم احق بها واولى والعبد اذا انفق من كل معاملة فيها خير من المال او الجاه او خدمة النفس او اعزاز او اكرام او اعظام او ارادة بالقلب حتى السلام على هؤلاء السادة استحقاقا او جلالا لا استخفافا واذلالا فان الله به عليم فان تقرب اليه فى الانفاق بشبر يتقرب هو اليه فى المجازاة بذراع وان تقرب بذراع يتقرب اليه بباع فلا نهاية لفضله ولا غاية لكرمه فطوبى لمن ترك الدنيا بطيب القلب واختار الله على كل شئ ومن كان لله كان الله له روى ان حسن ستة اشياء فى ستة العلم والعدل والسخاوة والتوبة والصبر والحياء العلم فى العمل والعدل فى السلطان والسخاوة فى الاغنياء والتوبة فى الشباب والصبر فى الفقر والحياء فى النساء العلم بلا عمل كبيت بلا سقف والسلطان بلا عدل كبئر بلا ماء والغنى بلا سخاوة كسحاب بلا مطر والشباب بلا توبة كشجر بلا ثمر والفقر بلا صبر كقنديل بلا ضياء والنساء بلا حياء كطعام بلا ملح فعلى الغنى ان يطر من سحاب غنى بركات الدين والدنيا ويتسبب لاحياء قلوب ماتت بالفقر والاحتياج فان الله لا يضيع اجر المحسنين * پسنديده رأيى كه بخشيد وخورد * جهان ازپى خويشتن كرد كرد * يعنى ان الذى له رأى صائب هو الذى تنعم بماله وانعم وجمع الدنيا لاجله لا لغيره فان من جمع مالا ولم يأكل منه ولم يعط فهو جامع لغيره فى الحقيقة اذ هو لوارثه بعده (الذين يأكلون الربوا) اى يأخذونه وعبر عنه بالاكل لانه معظم المقصود من المال واشيوعه فى المطعومات والربا فضل فى الكيل والوزن خال عن العوض عند ابى حنيفة واصحابه ويجرى فى الاشياء الستة الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح وكتب بالواو تنبيها على اصله لانه من ربا يربو وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع (لا يقومون) اى من قبورهم اذا بعثوا (الا كما يقوم) اى الا قياما مثل قيام (الذى يتخبطه) اى يضربه ويصرعه (الشيطان من المس) اى الجنون متعلق بلا يقومون يعنى لا يقومون من المس الذى بهم الا كقيام المصروع المختل اى فاسد العقل ويكون ذلك سيماهم يعرفون به عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فأرباه الله تعالى فى بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض (ذلك) اى العذاب النازل بهم (بانهم قالوا) اى بسبب قولهم (انما البيع مثل الربوا) فنظموا الربا والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين وحق الكلام لان يقال انما الربا مثل البيع الا انه على المبالغة اى اعتقدوه حلا حتى ظنوا انه اصل او قالوا انما البيع مثل الربا فلم لا يحل فلان الزيادة فى اوله كما هى فى آخره روى ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غريمه فطالبه به يقول الغريم لصاحب الاجل زدنى شيأ فى الاجل حتى ازيدك فى المال فيفعلان ذلك ويقولان سواء علينا الزيادة فى اول البيع بالربح او عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله وقال (واحل الله البيع وحرم الربوا) اى كيف يتماثلان والبيع محلل بتحليل الله والربا محرم بتحريم الله تعالى (فمن جاءه موعظة) اى فمن بلغه وعظ وزجر كالنهى عن الربا (من ربه فانتهى) اى فاتعظ بلا تراخ وتبع النهى (فله ما سلف) اى مضى من ذنبه فلا يؤاخذ به لانه اخذ قبل نزول التحريم وجعل ملكا له ولا يسترد منه (وامره الى الله) يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه يوم القيامة وليس من امره اليكم شئ فلا تطالبوه به (ومن عاد) الى الربا مستحلا بعد النهى كما استحل قبله (فأولئك) اشارة الى من باعتبار المعنى (اصحاب النار) اى ملازموها (هم فيها خالدون) ماكثون ابدا (يمحق الله الربوا) المحق نقصان الشئ حالا بعد حال حتى يذهب كله كما فى محاق الشهر وهو حال آخذ الربا فان الله يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ولا ينتفع به ولده بعده (ويربى الصدقات) يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذى اخرجت منه الصدقة روى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربى احدكم مهره وعنه ايضا ما نقصت زكاة من مال قط (والله لا يحب) اى لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين (كل كفار) مصر على

بتحليل المحرمات (اثيم) منهمك فى ارتكابها (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به (وعملوا الصالحات) اى الطاعات (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما فى الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة (لهم اجرهم) الموعود لهم حال كونه (عند ربهم ولا خوف عليهم) من مكروه آت (ولاهم يحزنون) من محبوب فات واعلم ان آكل الربا لحرصه على الدنيا مثله كمثل من به جوع الكلب فيأكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فكلما يقوم يصرعه ثقل بطنه فكذا حال اهل الربا يوم القيامة (ونعم ماقيل) نوان بحلق فروبردن استخوان درشت * ولى شكم بدرد چون بكيرد ندار ناف * فالعاقل لا يأكل مالا يتحمله فى الدنيا والآخرة فطوبى لمن يقتصد فى اخذ الدنيا ولا يحمله الحرص على اخذها بغير حقها فهو ينجو من وبالها وهو مثل التاجر الذى يكسب المال بطريق البيع والشراء ويؤدى حقه وان كان له حرص فى الطلب والجمع ولكن لما كان بامر الشرع وطريق الحل ولا يمنع ذا الحق حقه ما اضر به كما اضر بآكل الربا (روى) ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم وكسب البغى ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والواشمة والمستوشمة والمصور قال عليه السلام الربا بضع وسبعون بابا ادناها كاتيان الرجل أمه يعنى كالزنى بأمه والعياذ بالله فمن سمع هذا القول العظيم فليبادر بالتوبة الى باب المولى الكريم ذلك لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد ومن اقرض شيأ بشرط ان يرد عليه افضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا وكان لابى حنيفة رحمه الله على رجل ألف درهم سود فرد عليه ألف درهم بيض فقال ابو حنيفة لا اريد هذا الابيض بدل دراهمى فأخاف ان يكون هذا البياض ربا فرده واخذ مثل دراهمه قال ابو بكر لقيت اباحنيفة على باب رجل وكان يقرع الباب ثم يتنحى ويقوم فى الشمس فسألته عنه فقال ان لى على صاحبه دينا وقد نهى عن قرض جر منفعة فلا انتفع بظل حائطه ويقرب منه ماروى عن ابى يزيد البسطامى قدس سره من انه اشترى من همذان حب القرطم ففضل منه شئ فلما رجع الى بسطام رأى فيه نملتين فرجع الى همذان ووضع النملتين فهذا هو الورع وكمال التقوى ومثل هذا لا يوجد فى هذا الزمان وان وجد فأقل من القليل واكثر الناس ولو كانوا صوفية لا يفرقون بين الحلال والحرام والشبهات ولذا ترى امر الدين صار مهملا وعاد غريبا هدانا الله واياكم الى سوآء الطريق انه ولى التوفيق (قال جلال الدين الرومى) اى زخودت بى وقوف لاف تراوف يوف * فضل نبخشد تراجبه ودستار وصوف (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) اى قوا انفسكم عقابه (وذروا مابقى من الربوا) اى واتركوا تركا كليا مابقى لكم غير مقبوض من مال الربا على من عاملتموه به (ان كنتم مؤمنين) على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة (روى) انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت (فان لم تفعلوا) اى ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها (فأذنوا) اى فاعلموا من اذن بالامر اذا علم به (بحرب) اى بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن (من) عند (الله ورسوله) وحرب الله حرب ناره اى بعذاب من عنده وحرب رسوله نار حربه اى القتال والفتنة فلما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء مع الايمان بحرمته بعد ما سمعتموه من الوعيد (فلكم رؤس اموالكم) تأخذونها كملا (لا تظلمون) غرماءكم بأخذ الزيادة (ولا تظلمون) انتم من قبلهم بالمطل والنقص عن رأس المال هذا هو الحكم اذا تاب ومن لم يتب من المؤمنين وأصر على عمل الربا فان لم يكن ذا شوكة عزر وحبس الى ان يتوب وان كان ذا شوكة حاربه الامام كما يحارب الباغية كما حارب ابو بكر رضى الله عنه مانع الزكاة وكذا القول لو اجتمعوا على ترك الاذان او ترك دفن الموتى (وان كان ذو عسرة) اى وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة وهى بالاعدام او كساد المتاع (فنظرة) اى فالحكم نظرة وهى من الانظار والامهال (الى ميسرة) اى الى يسار (وان تصدقوا) اى وتصدقكم باسقاط الدين كله عمن اعسر من الغرماء او بالتأخير والانظار (خير لكم) اى اكثر ثوابا (ان كنتم تعلمون) جوابه محذوف اى ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وقال صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا او وضع له انجاه الله من كرب يوم القيامة وفى القرض والادانة فضائل كثيرة (روى) ان ابا امامة الباهلى رضى الله عنه رأى فى المنام على باب الجنة مكتوبا القرض بثمانية عشر أمثاله والصدقة بعشر امثالها فقال ولم هذا فأجيب بان الصدقة ربما وقعت فى يد غنى وان صاحب

القرض لاياتيك الا وهو محتاج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان دخل من اى ابواب الجنة شاء وزوج من حور العين كم شاء من عفا عن قاتل وقرأ دبر كل صلاة مكتوبة قل هو الله احد عشر مرات ومن ادّان دينا لمن يطلب منه فقال ابو بكر الصديق اواحداهن يارسول الله قال او احداهن واعلم ان الاستدانة فى احوال ثلاث فى ضعف قوته فى سبيل الله وفى تكفين قصير مات عن قلة وفقر وفى نكاح يطلب به العفة عن فتنة العزوبة فيستدين متوكلا على الله فالله تعالى يفتح ابواب اسباب القضاء قال صلى الله عليه وسلم من ادان دينا وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وعن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام الشهادة تكفر كل شئ الا الدين يا محمد ثلاثا فعلى العاقل ان يقضى ما عليه من الديون ويخاف من وبال سوء نيته يوم يبعثون وهذا حال من ادى القرض فانه يهون عليه ان يؤدى القرض واما المرتكب وتارك الفرائض فلا يبالى بالفرائض فكيف بالديون والاقراض ولذا قيل

وامش مده انكه بى نمازست * ورخود دهنش زفاقه بازست * كو فرض خدا نمى كزارد * لزقرض تو نيزغم ندارد * واحوال هذا الزمان مختلفة كأخوانه فطوبى لمن تمسك بالقناعة فى زمانه ومن شرط المؤمن الحقيقى اتقاؤه بالله فى ترك زيادات لا يحتاج اليها فى امر الدين بل تكون شاغلة له عن الترقى فى مراتب الدين كما قال عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (واتقوا يوما) نصب ظرفا تقديره واتقوا عذاب الله يوما اومفعولا به كقوله فكيف تتقون ان كفرتم يوما اى كيف تتقون هذا اليوم الذى هذا وصفه مع الكفر بالله (ترجعون فيه) على البناء للمفعول من الرجع اى تصيرون فيه (الى الله) لمحاسبة اعمالكم (ثم توفى كل نفس) من النفوس اى تعطى كملا (ما كسبت) اى جزاء ما عملت من خير اوشر (وهم لا يظلمون) اى لا ينقصون من ثوابهم ولا يزادون على عقابهم وهو حال من كل نفس تفيد ان المعاقبين وان كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين فى ذلك لما انه من قبل انفسهم وعن ابن عباس رضى الله عنه هذه آخر آية نزلت ولقى رسول الله ربه بعدها بسبعة اوتسعة ايام او احد وعشرين اوواحد وثمانين يوما او ثلاث ساعات وقال له جبريل عليه السلام ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة فجعلت بين آية الدين وآية الربا تأكيد للزجر عن الربا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين وكان مريضا ثمانية عشر يوما يعوده الناس وكان آخر ما يقول صلى الله عليه وسلم الصلاة وما ملكت ايمانكم الصلاة فانا لله وانا اليه راجعون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فانها اعظم المصائب وقال عليه السلام من كان له فرطان من امتى ادخله الله بهما الجنة فقالت له عائشة رضى الله عنها فمن كان له فرط من امتك قال ومن كان له فرط ياموفقة قالت فمن لم يكن له فرط من امتك قال انا فرط لامتى لن يصابوا بمثلى قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته ومماته رحمة قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بامة رحمة قبض نبيها قبلها فجعله سلفا وفرطا لها ورثاه صلى الله عليه وسلم بعض الانصار فقال الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

واعلم ان الله تعالى جمع فى هذه الآية خلاصة ما انزله فى القرءآن وجعلها خاتم الوحى والانزال كما انه جمع خلاصة ما انزل من الكتب على الانبياء فى القرءآن وجعله خاتم الكتب كما ان النبى عليه السلام خاتم الانبياء عليهم السلام وقد جمع فيه اخلاق الانبياء فاعلم ان خلاصة جميع الكتب المنزلة وفائدتها بالنسبة الى الانسان عائدة الى معنيين احدهما نجاته من الدركات السفلى وثانيهما فوزه بالدرجات العليا فنجاته فى خروجه عن الدركات السفلى وهى سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصى والاخلاق المذمومة وحب الاوصاف وحجاب النفس وفوزه فى ترقيه على الدرجات العليا وهى ثمانية المعرفة لله والتوحيد لله والعلم والطاعات والاخلاق الحميدة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته فهذه الآية تشير الى مجموعها اجمالا قوله تعالى واتقوا هى لفظة شاملة لما يتعلق بالسعى الانسانى من هذه المعانى لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه دليله قول النبى عليه السلام جماع التقوى قول الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فيندرج تحت التقوى على هذا المعنى الخروج عن الدركات السفلى والترقى على الدرجات العليا فتقوى العوا

الخروج عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصى بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة وههنا ينتهى سير العوام لان نهاية كسب الانسان وغاية جهد المجتهدين فى اقامة شرائط جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن ههنا تقوى الخواص المجذوبين بجذبات لنهدينهم سبلنا فتخرجهم الجذبة من حجب اوصافهم الى درجة تجلى صفات الحق فههنا ينقضى سلوك الخواص فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فينتفعون من مواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى واما تقوى خاص الخواص فبجذبة رفرف العناية بجذب ما زاغ البصر وما طغا من سدرة منتهى الاوصاف الى قاب قوسين نهاية حجب النفس وبداية انوار القدس فهنالك من عرف نفسه فقد عرف ربه فبالتقوى الحقيقية يجد الايمان الحقيقى فمعنى واتقوا جاهدوا فينا بجهدكم وطاقتكم يوما يعنى ليوم فيه لنهدينكم بجذبات العناية ترجعون الى الله اشار بلفظ الرجوع اليه ليعلم ان الشروع كان منه هدانا الله واياكم الى مقام الجمع واليقين وشرفنا بلطائف التحقيق والتمكين انه نصير ومعين يصيب برحمته من يشاء من عباده الصالحين (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) اى اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته اوباعك وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتب وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر وهو فاكتبوه (الى اجل) متعلق بتداينتم (مسمى) بالايام او الاشهر او السنة وغيرها مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس وقدوم الحاج مما لا يرفعها (فاكتبوه) اى الدين بأجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه (وليكتب بينكم كاتب) بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وقوله بينكم للايذان بأن الكاتب ينبغى ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلاميهما ولا يكتفى بكلام احدهما (بالعدل) اى كاتب كائن بالعدل اى وليكن المتصدى للكتابة من شأنه ان يكتب بالتسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين يجىء كتابه موثقا به معدلا بالشرع (ولا يأب كاتب) اى لا يمتنع احد من الكتاب (ان يكتب) كتاب الدين (كما علمه الله) على طريقة ما علمه الله من كتب الوثائق (فليكتب) تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهى عن ابائها تأكيدا لها (وليملل الذى عليه الحق) الاملال هو الاملاء وهو القاء المعنى على الكاتب للكتابة اى ليكن المملل اى مورد المعنى على الكاتب من عليه الحق اى الدين لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر (وليتق الله ربه) جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة فى التحذير اى وليتق المملى دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى (ولا يبخس منه) اى من الحق الذى عليه على الكاتب (شيأ) فانه هو الذى يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس وانما شدد فى تكليف المملى حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهى عن البخس لما فيه من الدواعى الى المنهى عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما فى ذمته (فان كان الذى عليه الحق سفيها) ناقص العقل مبذرا مجازفا (او ضعيفا) صبيا او شيخا مختلا (او لا يستطيع ان يمل هو) اى غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عى او جهل او غير ذلك من العوارض (فليملل وليه) اى الذى يلى امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم (بالعدل) اى من غير نقص ولا زيادة (واستشهدوا شهيدين) اى اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن (من رجالكم) متعلق باستشهدوا اى من اهل دينكم يعنى من الاحرار البالغين المسلمين اذ الكلام فى معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا (فان لم يكونا) اى الشهيدان جميعا على طريقة نفى الشمول لا شمول النفى (رجلين) اما لاعوازهما او لسبب آخر من الاسباب (فرجل وامرأتان) اى فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال فى الاموال جائزة بالاجماع دون الحدود والقصاص فلا بد فيهما من الرجال (ممن ترضون) متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اى كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره فى كل شهيد لقلة اتصاف النساء به (من الشهدآء) متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اى ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهدآء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء فى الشهدآء بطريق التغليب (ان تضل احداهما) اى احدى المرأتين الشاهدتين (فتذكر احداهما الاخرى) وهذا تعليل لاعتبار العدد

في النساء

في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو فأدفعه فالاعداد للدفع لا لمجيء العدو ولكن قدم عليه المجيء لانه سببه كأنه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بأن نسيت ثم حث الشهداء على اقامة الشهادة بقوله (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) لاداء الشهادة او لتحملها وما مزيدة (ولا تسأموا) اى لا تملوا من كثرة مداينا تكم (ان تكتبوه) اى من ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب (صغيرا او كبيرا) حال من الضمير اى حال كونه صغيرا او كبيرا اى قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا (الى اجله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اى مستقرا في الذمة الى وقت حلوله الذى اقر به المديون (ذلكم) اى كتب الحق الى اجله ايها المؤمنون (اقسط) اى اعدل (عند الله) اى في حكمه تعالى (واقوم للشهادة) اى اثبت لها واعون على اقامتها (وادنى ان لا ترتابوا) اى اقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك (الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم) استثناء منقطع من الامر بالكتابة اى لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيها يدا بيد (فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها) اى فلا باس بأن لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان (واشهدوا اذا تبايعتم) اى هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة في الآية الكريمة للندب عند الجمهور (ولا يضار) يحتمل البناء على الفاعل وعلى المفعول فعلى الاول نهى للكاتب عن ترك الاجابة الى ما يطلب منه وعن التحريف والزيادة والنقصان اى لا يمتنع (كاتب) عن الكتابة المقصودة (ولا شهيد) اى ولا يمتنع الشاهد عن اقامة الشهادة المعلومة وعلى الثانى النهى عن الضرار بالكاتب والشاهد اى لا يوصل احد مضرة للكاتب والشهيد اذا كانا مشغولين بمهمهما ويوجد غيرهما فلا يضار ان بابطال شغلهما وقد يكون اضرار الكاتب والشهيد بأن لا يعطى حقهما من الجعل فيكون النهى عن ذلك (وان تفعلوا) ما نهيتم عنه من الضرار (فانه) اى فعلكم ذلك (فسوق بكم) اى خروج عن الطاعة ملتبس بكم (واتقوا الله) في مخالفة اوامره ونواهيه التى من جملتها نهيه عن المضارة (ويعلمكم الله) احكامه المتضمنة لمصالحكم (والله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك ثم هذه الآية اطول آية في القرآن وابسطها شرحا وابينها وابلغها وجوها يعلم بذلك ان مراعاة حقوق الخلق واجبة والاحتياط على الاموال التى بها امور الدين والدنيا لازم فمن سعى بالحق فقد نجا والا فقد غوى * كسى را كه سعى قدم بيشتر * بدركاه حق منزلش بيشتر * والله تعالى من كمال رحمته على عباده علمهم كيفية معاملاتهم فيما بينهم لئلا يجرى من بعضهم على بعض حيف ولئلا يتخاصموا ويتنازعوا فيحقد بعضهم على بعض فأمر بتحصين الحقوق بالكتابة والاشهاد وامر الشهود بالتحمل ثم بالاقامة وامر الكاتب ان يكتب كما علمه الله بالعدل وراعى في ذلك دقائق كثيرة كما ذكرها فيشير بهذه المعانى الى ثلاثة احوال اولها حال الله تعالى مع عباده فيظهر من آثار الطافه معهم انه تعالى كيف يرفق بهم ويعلمهم كيفية معاملاتهم الدنيوية حتى لا يكونوا في خسران من امر دنياهم ولا يكون فيما بينهم عداوة وخصومة تؤدى الى تنغيص عيشهم في الدنيا وعقوبة في الآخرة فيستدلوا بها على ان تكاليف الشرع التى امروا بها ايضا من كمال مرحمته استعملهم بها ليفيض بها عليهم سجال نعمه كقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم الآية وثانيها حال العباد مع الله ليعلموا برعاية هذه الدقائق للامور الدنيوية الفانية ان للامور الاخروية الباقية فيما بينهم وبين الله ايضا دقائق كثيرة والعباد بها محاسبون وعلى مثقال ذرة من خيرها مثابون وعلى مثقال ذرة من شرها معاقبون وانها بالرعاية اولى واحرى من امور الدنيا وان الله تعالى كما امر العباد ان يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليهم العدول قد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده في الميثاق فان الله تعالى اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة وعلى هذا عاهدهم واشهد الملائكة الكرام عليه ثم رقم في الكتاب ان ياقوتة من الجنة وديعة وهى الحجر الاسود وثالثها حال العباد فيما بينهم فليعتبر كل واحد منهم من ملاطفات الحق معهم وليتخلق بأخلاق الحق في مخالقتهم وليتوسل الى الله بحسن مرافقتهم وليحفظ حدود الله في مخالفتهم وموافقتهم وليتمسك بعروة محبتهم في الله وجذبتهم لله ونفعهم بالله ليرزق برفقتهم صراطا مستقيما ويفوز من زمرتهم فوزا عظيما في جميع الاحوال كونوا مع الله كما قال واتقوا الله ويعلمكم الله اى اتقوا في الاحوال الثلاثة كما يعلمكم الله بالعبارات والاشارات والله بكل شيء تعملونه في جميع

الاحوال من الاقوال والافعال عليم بعلم مضمون ضمائركم ومكنون سرائركم فيجازيكم على حسن معاملتكم بقدر خلوصكم وصفاء نياتكم وصدق طوياتكم فطوبى لمن صفى قلبه عن سفساف الاخلاق وعزم الى عالم السر والاطلاق واحسن المعاملة مع الله فى جميع الحالات ووصل الى الدرجات العاليات حقائق سرايست آراسته * هوا وهوس كرد برخاسته * نه بيني كه جايى كه برخاست كرد * نه بيند نظر كرچه بيناست مرد * يعنى ان عالم الغيب كالبيت المزين والهوى كالنقع المثار فما دام لم يترك المرء هوله لا يرى ما يهواه فان الحجاب اذا توسط بين الرائى والمرئى يمنع من الرؤية فارفع الموانع من البين وتشرف بوصول العين (وان كنتم على سفر) اى مسافرين اى متوجهين اليه ومقبلين (ولم تجدوا كاتبا) فى المداينة بان لا يحسن الكتابة اولا توجد الصحيفة او الدواة والقلم ولم يتعرض لحال الشاهد لما انه فى حكم الكاتب توثقا واعوازا (فرهان) جمع رهن اى فالتوثق رهن (مقبوضة) اى مسلمة الى المرتهن ولا بد من القبض حتى لو رهن ولم يسلم لا يجبر الراهن على التسليم وانما شرط السفر فى الارتهان مع ان الارتهان لا يختص به سفر دون حضر لان السفر لما كان مظنة عدم الكتب باعواز الكاتب والشاهد امر بالارتهان ليقوم مقامهما تأكيدا وتوثيقا لحفظ المال فالكلام خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله (فان امن بعضكم بعضا) اى بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان فلم يطلب منه الرهن (فليؤد الذى ائتمن) وهو المديون والائتمان الوثوق بامانة الرجل وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء (امانته) اى فليقض المطلوب الامين ما فى ذمته من الدين من غير رهن منه وسمى الدين امانة لتعلقه بالذمة كتعلق الامانة (وليتق الله ربه) فى رعاية حقوق الامانة واداء الدين من غير مطل (ولا تكتموا الشهادة) ايها الشهود اذا دعيتم الى الحاكم لادائها على وجهها (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) فاعل آثم كأنه قيل فانه يأثم قلبه فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هى الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان الاثم مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التى يعمل بها أبلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عينى ومما سمعته اذنى ومما عرفه قلبى ولان القلب هو رأس الاعضاء والمضغة التى ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم فى اصل نفسه وملك اشرف مكان منه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهى لها كالاصول التى تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة (والله بما تعملون عليم) فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر وكتمان الشهادة وشهادة الزور من الاعمال التى تجر صاحبها الى النار فانهما من علامات سخ القلب قال تعالى فانه آثم قلبه والمراد سخ القلب ونعوذ بالله من ذلك وهما اسهل وقوعا بين الناس والحوامل عليهما كثيرة كالعداوة وغيرها واعلم ان اهل الدين ما نقتان الواقفون والسائرون فالواقف من لزم عتبة الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى فهو كالفرخ المحبوس فى قشر البيضة فيكون مشربه من عالم المعاملات البدنية فلا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس فى سجن الجسد وعليه موكلان من الكرام الكاتبين يكتبان عليه اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير * والسائر من لم يقم ولم ينزل فى منزل فهو مسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان صنف سيار وصنف طيار فالسيار من يسير بقدم الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحى العشق والهمة فى فضاء الحقيقة وفى رجله حجلة الشريعة فالاشارة فى قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا الى السيار الذى تخلص من سجن الجسد وقيد الحواس وزحمة التوكيل فلم يجد له كاتبا يكتب عليه كما قال بعضهم ما كتب علىّ صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشف لى صاحب اليمين وقال لى أمل علىّ شيأ من معاملات قلبك لاكتبه فانى اريد ان اتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض فالحبس والقيد

والتوكيل لمن لم يؤد حق صاحب الحق او يكون هاربا منه فيحبس ويقيد ويوكل عليه فاما الذى آناء الليل واطراف النهار يغدو ويروح فى طلب غريمه ومابرح فى حريمه فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فقوله ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة اشارة الى السيار الذى له قلب فيرهنه عند الله تعالى فالرهان هى القلوب التى ليس فيها غير الله المقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن فاما الطيار الذى هو عاشق مفقود القلب مسلوب العقل مجذوب السر فلا يطالب بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد * مستهام ضاق مذهبه * فى هوى من عز مطلبه * كل امر فى الهوى عجب * وخلاصى منه اعجبه * فلم يوجد فى السموات والارض ولا فى الدنيا والآخرة امين يؤتمن لحمل اعباء امانته الا العاشق المسكين (لله ما فى السموات وما فى الارض) من الامور الداخلة فى حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولى العلم وغيره اى كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره فى شئ منها بوجه من الوجوه فلا تعبدوا احدا سواه ولا تعصوه فيما يأمركم وينهاكم (وان تبدوا) اى تظهروا (ما فى انفسكم) اى فى قلوبكم من السوء والعزم عليه بذلك بالقول او بالفعل (او تخفوه) اى تكتموه عن الناس ولا تظهروه بأحد الوجهين ككتمان الشهادة وموالاة المشركين وغيرهما من المناهى ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التى لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع ودفع ذلك مما ليس فى وسعه (يحاسبكم به الله) اى يجازيكم به يوم القيامة وهو حجة على منكرى الحساب من المعتزلة والروافض (فيغفر) اى فهو يغفر بفضله (لمن يشاء) ان يغفر له وان كان ذنبه كبيرا (ويعذب) بعدله (من يشاء) ان يعذبه وان كان ذنبه حقيرا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ويعذب الكفار لا محالة لانه لا يغفر الشرك وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه (والله على كل شئ قدير) فكمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب قال فى التيسير دل ظاهر قوله او تخفوه على المؤاخذة بما يكون من القلب وجملته ان عزم الكفر كفر وحضرة الذنوب من غير عزم مغفورة وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما الهم بالسيئة ثم يمتنع عنه بمانع لا باختياره وهو ثابت على ذلك فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله يعنى بالعزم على الزنى لا يعاقب عقوبة الزنى وهل يعاقب على الخاطر عقوبة عزم الزنى قيل هو معفو عنه لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله عفا لامتى عما حدثت به انفسها ما لم يعمل او يتكلم واكثرهم على ان الحديث فى الحضرة دون العزمة وان المؤاخذة فى العزمة ثابتة وكذا قال الامام ابو منصور رحمه الله انتهى ما فى التيسير وبما يكون للانسان شركة فى الاثم مثل القتل والزنى وغيرهما اذا رضى به من عامله واشتد حرصه على فعله وفى الحديث من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن حضرها وفى حديث آخر من احب قوما على اعمالهم حشر فى زمرتهم اى جماعتهم وحوسب يوم القيامة بحسابهم وان لم يعمل بأعمالهم فعلى العاقل ان يرفع عن قلبه الخواطر الفاسدة ولا يجالس الجماعة الفاسقة كيلا يحشر فى زمرتهم * كرنشيند فرشته با ديو * وحشت آموزد وخيانت وريو * ازبدان نيكوبى نياموزى * نه كند كرك پوستين دوزى * والاشارة فى الآية ان الله يطالب العباد باستدامة المراقبة واستصحاب المحاسبة لئلا يغفلوا عن حفظ حركات الظاهر وضبط خطرات الباطن فيقعوا فى آفة ترك ادب من آداب العبودية فيهلكوا بسطوات الالوهية واعلم ان الانسان مركب من عالمى الامر والخلق فله روح نورانى من عالم الامر وهو الملكوت الاعلى وله نفس ظلمانية سفلية من عالم الخلق ولكل واحدة منهما ميل الى عالمها فقصد الروح الى جوار رب العالمين وقربه وقصد النفس الى اسفل السافلين وغاية البعد عن الحق فبعث النبى صلى الله عليه وسلم ليزكى النفوس عن ظلمة اوصافها لتستحق بها جوار رب العالمين فتزكيتها فى اخفاء ظلمة اوصافها بأبداء انوار اخلاق الروح عليها فى تحليتها بها فهذا مقام الاولياء مع الله يخرجهم من الظلمات الى النور وبعث الشيطان الى اوليائه وهم اعداء الله ليخرج ارواحهم من النور الروحانى الى الظلمات النفسانية باخفاء انوار اخلاقها فى ابداء ظلمات اخلاق النفس عليها لتستحق بها دركة اسفل السافلين فمعنى الآية فى التحقيق ان تبدوا ما فى انفسكم مودع من ظلمات الاوصاف النفسانية فى الظاهر بمخالفات الشريعة وفى الباطن بموافقات الطبيعة او تخفوه بتصرفات الطريقة فى موافقات الشريعة ومخالفات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول انوار الروح واخلاقه او بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس واخلاقها فيغفر لمن يشاء فيتنور نفسه

بانوار الروح وروحه بانوار الحق و يعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه بنار فرقة العلى الكبير والله على كل شيء من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمي الخلق والامر قدير كذا فى تأويلات الكامل نجم الدين دايه قدس سره (آمن الرسول) اى صدق النبى عليه السلام (بما انزل) اى بكل ما انزل (اليه من ربه) من آيات القرآن ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى والايمان بحقيقة احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك من فروع الايمان به من الحيثية المذكورة ولم يرد به حدوث الايمان فيه بعد ان لم يكن كذلك لانه كان مؤمنا بالله وبوحدانيته قبل الرسالة منه ولا يجوز ان يوصف بغير ذلك لكن اراد به الايمان بالقرآن فانه قبل انزال القرآن اليه لم يكن عليه الايمان به وهو معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى ولا الايمان بالكتاب فانه قال وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب (والمؤمنون) اى الفريق المعروفون بهذا الاسم وهو مبتدأ (كل) مبتدأ ثان (آمن) خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذى ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير فى آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع وتغيير سبك النظم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه صلى الله عليه وسلم المبنى على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلى كأنهما متخالفان من كل وجه حتى فى الهيئة الدالة عليهما اى كل واحد منهم آمن (بالله) وحده من غير شريك له فى الالوهية والمعبودية هذا ايمان اثبات وتوحيد (وملائكته) اى من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحى وهذا ايمان تصديق انهما من عند الله وتحليل ما احله وتحريم ما حرمه (وكتبه ورسله) اى من الحيثية المذكورة وهذا ايمان اتباع واطاعة ولم يذكر الايمان باليوم الآخر لاندراجه فى الايمان بكتبه وهذا على تقدير ان يوقف على قوله تعالى من ربه ويجعل والمؤمنون كلاما مبتدأ واختاره ابو السعود العمادى ويجوز ان يكون قوله والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذى عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كأنه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنون آمن بالله خلا انه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه وايذانا باصالته صلى الله عليه وسلم فى الايمان به واختار الكواشى هذا الوجه حيث قال والاختيار الوقف على المؤمنون وهو حسن ليكون المؤمنون داخلين فيما دخل النبى صلى الله عليه وسلم فيه اى الايمان (لانفرق) اى يقول الرسول والمؤمنون لا نميز (بين احد من رسله) بان نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما قال اليهود والنصارى واحد ههنا بمعنى الجمع اى الآحاد فلذلك اضيف اليه بين لانه لا يضاف الا الى المتعدد والاحد وضع لنفى ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح العدد والواحد الذى لا نظير له والوحيد الذى لا نصير له (وقالوا) عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار المعنى وهو حكاية لامتثالهم الاوامر اثر حكاية ايمانهم (سمعنا) اى فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته (واطعنا) ما فيه من الاوامر والنواهى قيل لما نزلت هذه الآية قال جبرائيل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم ان الله قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعط فقال الرسول عليه السلام (غفرانك ربنا) اى اغفر لنا غفرانك كما قال فضرب الرقاب اى فاضربوا اونسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة وما لا يخلو عنه البشر من التقصير فى مراعاة حقوقك وهذا الوجه اولى لئلا يتكرر الدعاء بقوله فى آخر السورة واغفر لنا وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسئول ادعى الى الاجابة والقبول (واليك المصير) اى الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك قال القاشانى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه اى صدقه بقبوله والتخلق به كما قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن ومجرد قراءة القرآن بغير عمل لا يفيد قال فى تفسير الحنفى مثاله ان السلطان اذا وهب لاحد من مماليكه امارة واعطاه رياسة اونيابة وكتب له توقيعا ان يطيعه اهل البلاد كلها فاذا جاء الى البلد وقعد على المملكة واطاعه الخلق ثم ان السلطان كتب له كتابا وامر له فيه ان يبنى له قصرا اودارا واسعة حتى لو حضر السلطان وجاء الى تلك المدينة ينزل فى تلك الدار او القصر فوصل الكتاب اليه وهو لا يبنى ما امر به فى الكتاب لكنه يقرأه كل يوم فلو حضر السلطان ولم يجد ما امره به حاضرا هل يستحق ذلك الامير خلعة من السلطان او ثناء اولا بل ظاهره انه يستحق الضرب والشتم

والحبس

والحبس وكذلك القرءآن انما هو مثل ذلك المنشور قد امر الله فيه لعبيده ان يعمروا أركان الدين كما قال لداود عليه السلام فرغ الى بيتا اسكنه وبين لهم بما يكون عمارة الدين فقال الله تعالى اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كتب عليكم الصيام ولله على الناس حج البيت فصلرت قرآءة القرءآن كقرآءة منشور السلطان ولا تحصل الجنة بمجرد القرءآن لانه قال جزآء بما كانوا يعملون (كما قيل) مراد ازنزول قرآن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سوره بمكتوب بتجويد * ثم فى قوله غفرانك ربنا اشارة الى ان من نتائج الايمان وآثار العبودية ان يرى العبد نفسه اهلا لكل شر ومولاه اهلا لكل خير فينسب كل ما يستحسنه لسيده مستعملا حسن الادب معه فى كل اوقاته وذلك بان يحمده على مادق وجل ويستغفره من تقصيره فى شكره له عليه ويتبرأ من حوله وقوته فى ذلك كله وبحسب هذا يكون شعاره الحمد لله استغفر الله لا حول ولا قوة الا بالله فى جميع اوقاته وهو الذكر المنجي من عذاب الله فى الدنيا والآخرة المقرب للفتح لمن لازمه واعلم انك لا تصل الى التحقيق الا بمراقبة الاوقات باحكامها من التوبة والاستغفار عند العصيان وشهود المنة فى الطاعة ووجود الرضى فى النية ووجود الشكر فى النعمة ولن تصل الى ذلك الا بتعلق قلبك بصلاح قلبك واتهام نفسك حتى فى خروج نفسك وتصل الى هذا باحد أربعة اوجه نور يقذفه الله فى قلبك بلا واسطة أو علم متسع فى عقل كامل او فكرة سالمة من الشواغل او صحبة شيخ اواخ هذه حاله وقد قال الشيخ ابو مدين قدس سره الشيخ من هذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار باطنك باشراقه الشيخ من جمعك فى حضوره وحفظك فى مغيبه فاعمل أيها العبد على تخليص نفسك من عالم جسمك حتى تخرج عن دائرة رسمك وتصل الى تحقيق فهمك وعلمك ازهستىء خويش تا تو غافل مشوى * هرگز بمراد خويش واصل نشوى * از بحر ظهور تا بساحل نشوى * در مذهب اهل عشق كامل نشوى

(لا يكلف الله نفسا الا وسعها) اخبار من الله تعالى وليس من كلام المؤمنين (روى) انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم فأتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا قالوا بل سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فأنزل الله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير ممثولهم الغفران المعلق بمشيئته تعالى فى قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما فى انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يهم الخواطر التى لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اى سنته ان لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه اما الاول فلانه لو كان وقع لزم الكذب فى كلامه تعالى عن ذلك علوا كبيرا واما الثانى فلانه تعالى نفى مطلقا ولا يلزم منه نفى المقيد الذى هو الامتناع لان العام من حيث هو عام لا يدل على الخاص بوجه من الدلالات (لها) اى للنفس ثواب (ما كسبت) من الخير الذى كلفت فعله لا لغيرها استقلالا واشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزآء مكسوبها (وعليها) لا على غيرها بأحد الطريقين المذكورين عقاب (ما اكتسبت) من الشر الذى كلفت تركه وايراد الاكتساب فى جانب الشر لان الشر فيه اعتمال اى اجتهاد فى العمل فانه لما كان مشتهى النفس كان فيه جد وسعى بخلاف الخير وصيغة الافتعال للتكلف (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) شروع فى حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف اى يقولون ربنا لا تؤخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف ودل هذا على جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ فان التحرز عنهما فى الجملة ممكن ولولا جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ لم يكن للسؤال معنى وخفف الله عن هذه الامة فرفع عنها المؤاخذة وقال النبى صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فدل انهم مخصوصون بهما والامم السالفة كانوا مؤاخذين فيهما (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه مكانه والمراد به

التكاليف الشاقة (كما حملته على الذين من قبلنا) اى حملا مثل حملك اياه على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من قتل النفس فى التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة وعدم التطهير بغير الماء وخمسين صلاة فى يوم وليلة وعدم جواز صلاتهم فى غير المسجد وحرمة اكل الصائم بعد النوم ومنع بعض الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب الليل على الباب بالصبح وغير ذلك من التشديدات وقد عصم الله عز وجل ورحم هذه الامة من امثال ذلك وانزل فى شأنهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التى عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخسف والمسخ والغرق (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) عطف على ما قبله واستعفاء من العقوبات التى لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدى اليها من التكاليف الشاقة التى لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كأنه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا فى المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدى اليها قال فى التيسير اى لا تكلفنا ما يشق علينا الدوام عليه ولم يرد به عدم الطاقة اصلا فانه لا يكون فلا يسأل (واعف عنا) اى آثار ذنوبنا (واغفر لنا) واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد قال فى التيسير وليس بتكرار فان الاول تركه حتى لا يؤاخذ به ومحوه حتى لا يبقى والثانى ستره حتى لا يظهر وقد يتجاوز عن الشئ فلا يؤاخذ بجزائه لكن يذكر ذلك ويظهر والمؤمنون امروا ان يسألوا التجاوز عنها واخفاءها حتى لا يظهر حالهم لأحد فلا يفتضحوا به (وارحمنا) وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية (أنت مولانا) سيدنا ونحن عبيدك اوناصرنا اومتولى امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) اى اعنا عليهم وادفع عنا شرهم فان من حق المولى ان ينصر عبيده ومن يتولى امره على الاعداء والنصرة على الكفار تكون بالظفر وتكون بالحجة وتكون بالدفع وهو سؤال العصمة من الشياطين ايضا لانهم منهم روى انه لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة اليها ينتهى ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فأعطى رسول الله عليه السلام ثلاثا أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيأ من أمته قال صلى الله عليه وسلم فى خبر المعراج قربنى الله وأدنانى الى سند العرش ثم ألهمنى الله ان قلت آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى قال فما قالوا قلت قالوا سمعنا وعصينا والمؤمنون قالوا سمعنا واطعنا فقال صدقت فسل تعط فقلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال قد رفعت عنك وعن أمتك الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فقلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا يعنى اليهود قال لك ذلك ولأمتك قلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت قلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت وعنه صلى الله عليه وسلم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بألفى عام من قرأهما بعد العشاء الاخيرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة كفتاه اى عن قيام الليل او عن حساب يوم القيامة وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة وقال ينبغى ان يقال السورة التى تذكر فيها البقرة كما قال صلى الله عليه وسلم السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن اى مصره الجامع فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة اى لا تستطيع البطلة أن تسحر قاريها ولا تقرأ فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة يقول آمين * عن ابى الاسلم الديلى قلت لمعاذ بن جبل اخبرنى عن قصة الشيطان حين اخذته فقال جعلنى رسول الله عليه السلام على صدقة المسلمين فجعلت التمر فى غرفة فوجدت فيه نقصانا فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال هذا الشيطان يأخذه فدخلت الغرفة واغلقت الباب فجاءت ظلمة عظيمة فغشيت الباب ثم تصور فى صورة اخرى فدخل من شق الباب فشددت ازارى على فجعل يأكل من التمر فوثبت اليه فقبضته فالتفت يداى عليه فقلت يا عدو الله فقال خل عنى فانى كبير ذو عيال كثير وانا فقير من جن نصيبين وكانت لنا هذه القرية قبل ان يبعث صاحبكم فلما بعث أخرجنا منها فخل عنى

فلن اعود اليك فخليت سبيله وجاء جبريل عليه السلام فاخبر رسول الله عليه السلام بما كان فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادانى مناديه وقال ما فعل اسيرك فأخبرته فقال اما انه سيعود فعد قال فدخلت الغرفة وأغلقت على الباب فجاء فدخل من شق الباب فجعل يأ كل من التمر فصنعت به كما صنعت فى المرة الاولى فقال خل عنى فانى لن اعود اليك فقلت يا عدو الله ألم تقل انك لن تعود قال فأنى لن اعود وآية ذلك أنه اذا قرأ احد منكم خاتمة البقرة لايدخل احد منا فى بيته تلك الليلة

(سورة آل عمران مدنية وهى مائتا آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) الالف اشارة الى الله واللام الى اللطيف والميم الى المجيد (الله) مبتدأ (لااله الاهو) خبره اى هو المستحق للمعبودية لاغير (الحى القيوم) خبر آخر له اى الباقى الذى لاسبيل عليه للموت والفناء والدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه روى عنه صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى سورة البقرة الله لااله الاهو الحى القيوم وفى آل عمران الم الله لااله الاهو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روى ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بنى بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده فى دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابى حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله عليه السلام فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخى قال انه والله النبى الذى كنا ننتظر فقال له كرز فما يمنعك عنه وأنت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوها منا كلها فوقع ذلك فى قلب كرز واصره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فأتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله عليه السلام بعد صلاة العصر عليهم ثياب حبرات من جبب وأردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبى عليه السلام ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا فى المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله عليه السلام فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيى الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقول تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام ادعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام ألستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا فقال عليه السلام ألستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى شيأ من ذلك الا ما علم قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأبوا الا جحودا فانزل الله تعالى من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذى فيه يمترون (نزل عليك الكتاب) اى القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد فى حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بأن يطلق عليه اسم الكتاب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان التنزيل للتكثير والقرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وذكر فى آخر الآية الانزال واراد به من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا جملة فى ليلة القدر فى شهر رمضان والمراد هنا هو تنزيله الى الارض ففى القرآن ههنا الانزال والتنزيل (بالحق) ملتبسا ذلك الكتاب بالعدل فى احكامه او بالصدق فى اخباره التى من جملتها خبر التوحيد وما يليه اوفى وعده

ووعيده (مصدقا لما بين يديه) اى فى حال كونه مصدقا للكتب قبله فى التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرائع قبله (وانزل التوراة والانجيل) اسمان اعجميان الاول عبرى والثانى سريانى (من قبل) اى انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة فى البيان (هدى للناس) علة للانزال اى انزلهما لهداية الناس وفيه لف بدون النشر لعدم اللبس لان كون التوراة هدى للناس فى زمان موسى وكون الانجيل هدى لهم فى زمان عيسى معلوم فاختصر لذلك (وانزل الفرقان) اى جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل اوهو القرءان كرر ذكره تعظيما لشأنه واظهار الفضله (ان الذين كفروا بآيات الله) اى بالقرءآن ومعجزات النبى عليه السلام (لهم) بسبب كفرهم بها (عذاب شديد) لا يقادر قدره (والله عزيز) لا يغالب يفعل مايشاء ويحكم مايريد (ذوانتقام) عظيم لا يقدر على مثله منتقم (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء) اى مدرك الاشياء كلها يعنى هو مطلع على كفر من كفر به وايمان من آمن به وعلى جميع اعمالهم فيجازيهم يوم القيامة (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء) اى يجعلكم على هيئة مخصوصة فى ارحام امهاتكم من ذكر وانثى واسود وابيض وتام وناقص وطويل وقصير وحسن وقبيح وهورد على الذين قالوا عيسى ابن الله اوابن الله لان من صور فى الرحم يمتنع ان يكون الها اوولد الله لكونه مركبا وحالا فى المركب وفى عرض الفناء والزوال (لا اله الا هو) نزه نفسه ان يكون عيسى ابنا له (العزيز الحكيم) المتناهى فى القدرة والحكمة فريكم يخلقكم على النمط البديع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك باربع كلمات فيكتب رزقه وعمله واجله وشقى اوسعيد قال وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى مايكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وقال عليه السلام يدخل الملك على النطفة بعد ماتستقر فى الرحم باربعين اوبخمس واربعين ليلة فيقول يارب أشقى ام سعيد فيكتبان فيقول اى رب أذكر أم انثى فيكتبان ويكتب عمله واثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص ثم يقول الملك يارب مااصنع بهذا الكتاب فيقول علقه فى عنقه الى قضائى عليه فذلك قوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه اى عمله من خير وشر الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار اليه من وكر الغيب والقدر قال القاضى المراد بكتبه هذه الاشياء اظهارها للملك والا فقضاؤه تعالى سابق على ذلك وكل ميسر لما خلق له فعلى العاقل ان لا يتكاسل عن الاعمال فى جميع الاحوال ولا يفوت ايام الفرصة والليال *

خبردارى اى استخوانى قفس * كه جان تو مرغيست نامش نفس * چو مرغ از قفس رفت وبكسست قيد * دكره نكردد بسعى تو صيد * نكه دار فرصت كه عالم دميست * دمى پيش دانا به از عالميست *

والاشارة ان الله تعالى كما يصور الجنين بصورة الانسانية على نطفة سقطت فى الرحم بتدبير الاربعينات فكذلك اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجاله نطفة ارادة فى رحم قلب مريد صادق والمريد يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهى بمثابة ملك الارحام ويضبط احوال ظاهره وباطنه على وفق امر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة كيلا يصدر منه حركة عنيفة اويجد رائحة غريبة يلزم منها سقوط النطفة وفسادها ويقعد بامر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يصرف ولاية الشيخ المؤيد بتأييد الحق بمرور كل اربعين عليه بشرائطها يحولها من حال الى حال وينقلها من مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظائر القدس ورياض الانس التى منها صدر الى عالم الانس بقدم الاربعينات الاولى فلما وصل الى مقامه الاول ايضا بقدم الاربعينات كما جاء ثم خلق الجنين فى رحم القلب وهو يجعل خليفة الله فى ارضه فيستحق الآن ان ينفخ فيه الروح المخصوص بابناء اوليائه وهو روح القدس الذى هو متولى القائه كقوله تعالى يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده وقال كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ولهذه الفائدة العظيمة والنعمة الجسيمة اهبط الارواح من اعلى عليين القرب الى اسفل سافلين البعد كما قال اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا نفخ فيه الروح يكون آدم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم اجمعون فاحفظه تفهم ان شاء الله تعالى كذا فى تأويلات الشيخ الكامل نجم الدين الكبرى افاض الله علينا من سجال معارفه وحقائقه ولطائفه آمين (هو الذى انزل عليك

الكتاب) اى القرآن (منه) اى من الكتاب (آيات محكمات) اى قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة
العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه (هن ام الكتاب) اى اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها بالتأويل فالمراد
بالكتاب كله والاضافة بمعنى فى (واخر) اى ومنه آيات اخر (متشابهات) اى محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها
من بعض فى استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الانيق فالتشابه فى الحقيقة وصف
للمعانى وصف به الايات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول واعلم ان اللفظ اما ان لا يحتمل غير معنى واحد
او يحتمل والاول هو النص كقوله تعالى والهكم اله واحد والثانى اما ان تكون دلالته على مدلوليه او مدلولاته
متساوية اولا والاول هو المجمل كقوله تعالى ثلاثة قروء واما الثانى فهو بالنسبة الى الراجح ظاهر كقوله تعالى
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وبالنسبة الى المرجوح مؤول كقوله تعالى يد الله فوق ايديهم والنص
والظاهر كلاهما محكم والمجمل والمؤول متشابه وهو كقوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله قد رد الى قوله تعالى
وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ثم ان الله تعالى جعل القرآن كله محكما فى قوله الر كتاب احكمت آياته
ومعناه ان كله حق لا ريب فيه ومتقن لا تناقض فيه ومحفوظ من اعتراء الخلل او من النسخ وجعله كله
متشابها فى قوله كتابا متشابها مثانى ومعناه يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول
وجعل بعضه محكما وبعضه متشابها فى هذه الآية وقد سبق وانما لم يجعل الله القرآن كله محكما لما فى المتشابه
من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه كابتلاء بنى اسرائيل بالنهر فى اتباع نبيهم ولان النظر
فى المتشابه والاستدلال لكشف الحق يوجب عظم الاجر ونيل الدرجات عند الله (فاما الذين فى قلوبهم زيغ)
اى ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة (فيتبعون ما تشابه منه) معرضين عن المحكمات اى يتعلقون بظاهر
المتشابه من الكتاب او بتأويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل (ابتغاء الفتنة)
اى طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه (وابتغاء تأويله) اى طلب
ان يؤولوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل (وما يعلم
تأويله) اى تأويل المتشابه (الا الله والراسخون فى العلم) اى لا يهتدى الى تأويله الحق الذى يجب ان يحمل عليه
الا الله وعباده الذين رسخوا فى العلم اى ثبتوا فيه وتمكنوا او فوضوا فيه لنص قاطع ومنهم من يقف على قوله
الا الله ويبتدئ بقوله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة
فيه من آياته كعدد الزبانية فى قوله عليها تسعة عشر ومدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة والصوم وعدد
الركعات فى الصلوات الخمس والاول هو الوجه فان الله تعالى لم ينزل شيأ من القرآن الا لينتفع به عباده
ويدل به على معنى اراده فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وهل يجوز ان يقال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه واذا جاز ان يعرفه مع قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله جاز
ان يعرفه الربانيون من صحابته وان لم يعرفه النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته والعلماء الراسخون وقالوا علمه
عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال لانهم جميعا يقولون ذلك قالوا ولم يزل المفسرون الى يومنا هذا يفسرون
ويؤولون كل آية ولم نرهم وقفوا عن شئ من القرآن فقالوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله بل فسروا نحو حروف
التهجى وغيرها (يقولون آمنا به) اى بالمتشابه والجملة على الاول استئناف موضح لحال الراسخين وعلى الثانى
خبر لقوله والراسخون (كل) اى كل واحد من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) منزل من عنده تعالى لا مخالفة
بينهما (وما يذكر) حق التذكر (الا اولوا الالباب) اى العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو
مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تأويله من تجرد العقل عن
غواشى الحس (ربنا لا تزغ قلوبنا) اى يقولون لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه
(بعد اذ هديتنا) الى الحق والتأويل الصحيح او الى الايمان (وهب لنا من لدنك) اى من عندك (رحمة) واسعة
تزلفنا اليك ونفوز بها عندك (انك انت الوهاب) واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان
الهدى والضلال من قبله وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شئ (ربنا انك جامع الناس)
بعد الموت (ليوم) اى لجزاء يوم وحسابه وهو يوم القيامة (لا ريب فيه) اى فى وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر
والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصد الاسنى عندهم (ان الله لا يخلف

الميعاد) الوعد بمعنى الالوهية تنافى خلف الوعد فى البعث واستجابة الدعاء وهذا حال الراسخين فى الدعاء
فانظر كيف لا يأمنون سوء الخاتمة واداهم الخوف والخشية الى الرجاء فأيالك والزيغ عن الصراط المستقيم
باتباع الهوى والشهوات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن قلب الاوهو بين اصبعين من اصابع الرحمن
اذاشاء ان يقيمه اقامه واذاشاء ازاغه يعنى قلب المؤمن بين توفيقه وخذلانه وانما قال من اصابع الرحمن ولم يقل
من اصابع الله اشعارا بانه هو المتمكن من قلوب العباد والمتصرف فيها كيف يشاء ولم يكلها الى احد من
ملائكته رحمة منه وفضلا لئلا يطلع على سرآئرهم غيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يامقلب
القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويضع آخرين الى يوم القيامة وقال صلى الله
عليه وسلم مثل القلب كريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهر البطن قال الجنيد رحمه الله من اراد ان يسلم له دينه
ويستريح فى بدنه وقلبه فليعتزل الناس فان هذا زمان وحشة والعاقل من اختار الوحدة قال عليه السلام
لاصحابه اين تنبت الحبة قالوا فى الارض قال فكذلك الحكمة انما تنبت فى قلب مثل الارض فدفن حبة الفؤاد
والوجود فى ارض الخمول مما ينتج ويتم نتاجه جدا فما نبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه وان ظهر نوره واتاجه كالذى
نبت فى حميل السيل فعليك بتزكية النفس واصلاح الوجود كى تدرك نور الشهود وتقبل الى الاستقامة
وتخلص من الزيغ والضلال فى جميع الاحوال وكم من زآئغ قلبه وهو صورة مستقيم وكم من مستقيم فؤاده وهو
فى الظاهر غير مستقيم (كما قيل) بس قامت خاشاك كه برجاباشد * چون بادبر آنها بوزد ناباشد *
والقلب هو محل النظر لا الصورة كما قال عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم بل الى قلوبكم واعمالكم فأى
فائدة فى القلب الزآئغ عن الحق فنعوذ بالله منه (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم) اى لن تنفعهم (اموالهم) التى
يبذلونها فى جلب المنافع ودفع المضار قدم الاموال على الاولاد لانها اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب
(ولا اولادهم) الذين بهم يتناصرون فى الامور المهمة وعليهم يعولون فى الخطوب الملمة وتوسيط حرف النفى لعراقة
الاولاد فى كشف الكروب (من الله) اى عذابه تعالى (شيأ) اى شيأ من الاغناء ومعناه لا يصرف عنهم كثرة
الاموال والاولاد والتناصر بهما عذابه وكانوا يقولون نحن اكثر اموالا واولادا ومانحن بمعذبين قال تعالى
فى ردهم وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الامن آمن وعمل صالحا (واولئك) اى اولئك المتصفون
بالكفر (هم وقود النار) حطب النار وحصبها الذى تسعر به (كدأب آل فرعون) الدأب مصدر دأب
فى العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله فى معنى الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر
لمبتدأ محذوف اى دأب هؤلاء فى الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون (والذين من
قبلهم) اى آل فرعون من الامم الكافرة كقوم نوح وثمود وقوم لوط وهو عطف على ماقبله (كذبوا بآياتنا)
بيان وتفسير لدأبهم الذى فعلوا على الاستئناف المبنى على السؤال كانه قيل كيف كان دأبهم فقيل كذبوا بآياتنا
اى بكتبنا ورسلنا (فأخذهم الله بذنوبهم) تفسير لدأبهم الذى فعل بهم اى فأخذهم الله تعالى وعاقبهم ولم يجدوا
من بأس الله تعالى محيصا فدأب هؤلاء الكفرة ايضا كدأبهم والذنب فى الاصل التلو والتابع وسميت الجريمة ذنبا
لانها تتلو اى يتبع عقابها فاعلها (والله شديد العقاب) لمن كفر بالآيات والرسل (قل للذين كفروا) المراد
بهم اليهود لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبى الامى الذى بشرنا به موسى وفى التوراة نعته وهموا باتباعه فقال
بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى اهل مكة فأجمعوا امرهم على قتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (ستغلبون) البتة عن قريب فى الدنيا وقد صدق الله وعده بقتل بنى قريظة
واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة (وتحشرون) اى
فى الآخرة (الى جهنم) والحشر السوق والجمع اى يغلبون فى الدنيا ويساقون فى الآخرة مجموعين الى جهنم
(وبئس المهاد) اى بئس الفراش والمقر جهنم (قد كان لكم) جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور به
اى والله قد كان لكم ايها اليهود المغترون بعددهم وعددهم (آية) عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم
ستغلبون (فى فئتين) اى جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها

فسيصيبكم مااصابهم (التقتا) اى التقيا بالقتال يوم بدر (فئة) خبر مبتدأ محذوف اى احداهما فئة (تقاتل) تجاهد (فى سبيل الله) وهم لا كثرة فيهم ولا شوكة وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (واخرى) اى وفئة اخرى (كافرة) بالله ورسوله (يرونهم) اى ترى الفئة الاخيرة الكافرة الفئة الاولى المؤمنة والجملة صفة للفئة الاخيرة (مثليهم) اى مثلى عدد الرائين قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى وعن سعد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسألوه كم كنتم قال ثلاثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلى عدد المرئيين اى ستمائة ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الانصار رضى الله عنهم وكان صاحب راية النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجى رضى الله عنه وكان فى العسكر تسعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد ابن عمرو والآخر لمرثد بن ابى مرثد وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار اراهم الله عزوجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويتجنبوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام فان قلت فهذا مناقض لقوله فى سورة الانفال ويقللكم فى اعينهم قلت قللهم اولا فى اعينهم حتى اجترأوا عليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالين مختلفين وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى ابلغ فى القدرة واظهار الآية (رأى العين) نصب على المصدر يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات (والله يؤيد) اى يقوى (بنصره من يشاء) اى يريد من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة فى سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به (ان فى ذلك) اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكى السلاح (لعبرة) من العبور كالجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اى لعبرة عظيمة كائنة (لاولى الابصار) لذوى العقول والبصائر فعلى العاقل ان يعتبر بالآيات ولا يغتر بكثرة الاعداد من الاموال والاولاد وعدم اجتهاده لمعاده فان الله يمتعه قليلا ثم يضطره الى عذاب غليظ واعلم ان المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلى بالشقاوة ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا فغلبات الهوى والنفس ترد الى اسفل سافلين الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما عاش فيه ويحشر على مامات عليه فى قعر جهنم وبئس المهاد مهاده فانه مهده فى معاشه والنار ناران نار الله ونار الجحيم فاما نار الله فهى نار حسرة القطيعة عن الله فيها يعذب قلوب المحجوبين عن الله كقوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة واما نار الجحيم فهى نار الشهوات والمعاملات على الغفلات من المخالفات فهى تحرق قشور الجلود كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب بما كانوا يعملون ولا يتخلص من هذه النار الا بـ القلوب وان عذاب حرقة الجلد بالنسبة الى عذاب حرقة القلوب كنسيم الحياة وسموم الممات فلا بد من تزكية النفس فانها سبب للخلاص من عذاب الفرقة قيل لبعضهم بم يتخلص العبد من نفسه قال بربه انتهى فاذا اراد الله ان ينصر عبده على ما طلب منه امده بجنود الانوار فكلما اعترته ظلمة قام لها نور فاذهبها وقطع عنه مواد الظلم والاغيار فلم يبق للهوى مجال ولا للشهوة والاخلاق الذميمة مقال ولا قال فالنور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس والمراد بالنور حقائق ما يستفاد من معانى الاسماء والصفات وبالظلمة معانى ما يستفاد من الهوى والعوائد الرديئة قال تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اى غيروا حالها عما هى عليه وكذلك اذا وردت الواردات الربانية على القلوب الممتلئة اخرجت منها كل صفة رديئة وكستها كل خلق زكية فهذه الدولة انما تنال بترك الدنيا والعقبى فكيف يتلئ بالانوار قلب من خالط الاغيار واحب المال والاولاد ولم يخف من رب العباد وقدم على الاستاذ ابى على الدقاق رحمه الله فقير وعليه مسح وقلنسوة فقال له بعض اصحابه بكم اشتريت هذا المسح على وجه المطايبة فقال اشتريته بالدنيا فطلب منى بالآخرة فلم ابعه قال ابو بكر الوراق رحمه الله طوبى للفقراء فى الدنيا والآخرة فسألوه عنه فقال لا يطلب السلطان منه فى الدنيا الخراج ولا الجبار فى الآخرة الحساب

* قناعت سرافرازد اى مرد هوش * سر پر طمع بر نيايد ز دوش * كر آزاده برزمين خسب وبس *

مكن بهرمالى زمين بوس كس * حققنا الله واياكم بحقائق التوحيد (زين للناس) اى حسن لهم والمزين
هو الله لقوله تعالى زينا لهم اعمالهم وذلك على جهة الامتحان اوهو الشيطان لقوله تعالى وزين لهم الشيطان
اعمالهم وذلك على جهة الوسوسة (حب الشهوات) اى محبة مرادات النفوس والشهوة نزوع النفس الى
ماتريده وهى مصدر اريد به المفعول اى المشتهيات لان الاعيان التى ذكرها كلها مشتهيات وانما عبر عنها
بالمصدر مبالغة فى كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها
شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية قالوا خلق الله الملائكة
عقولا بلا شهوة والبهائم ذات شهوات بلا عقل وجعلهما فى الانسان فمن غلب عقله شهوته فهو افضل من
الملائكة ومن غلب عليه شهوته فهو ارذل من البهائم (من النساء) حال من الشهوات اى حال كونها من طائفة
النساء وانما بدأ بهن لعراقتهن فى معنى الشهوات فانهن حبائل الشيطان (والبنين) والفتنة بهم ان الرجل
يحرص بسببهم على جمع المال من الحلال والحرام ولانهم يمنعونه عن محافظة حدود الله قيل اولادنا فتنة ان عاشوا
فتنونا وان ماتوا احزنونا وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد فى حبهن (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار
وهو المال الكثير اى الاموال الكثيرة المجتمعة اوهو مائة الف دينار اوملء مسك ثور اوسبعون الفا اواربعون
الف مثقال اوثمانون الفا اومائة رطل اوالف ومائتا مثقال اوالف دينار اومائة من ومائة رطل ومائة مثقال
ومائة درهم اودية النفس وفى الكشاف المقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الوف مؤلفة وبدر
مبدرة (من الذهب والفضة) بيان للقناطير اى من هذين الجنسين وانما سمى الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة
لانها تنفض اى تتفرق (والخيل) عطف على القناطير والخيل جمع لا واحد له من لفظه واحده فرس وهو مشتق
من الخيلاء لاختيالها فى مشيها اومن التخيل فانها لم يتخيل فى عين صاحبها اعظم منها لتمكنها من قلبه (المسومة)
اى المعلمة وهى التى جعلت فيها العلامة بالسمة واللون اوبالكى اوالمرعية من سامت السائمة اى رعت (والانعام)
اى الابل والبقر والغنم جمع نعم (والحرث) اى الزرع قيل كل منها فتنة للناس اما النساء والبنون ففتنة للجميع
والذهب والفضة فتنة للتجار والخيل فتنة للملوك والانعام فتنة لاهل البوادى والحرث فتنة لاهل الرساتيق
(ذلك) اى ماذكر من الاشياء المعهودة (متاع الحياة الدنيا) اى مايتمتع به فى الحياة الدنيا اياما قلائل
فيفنى سريعا (والله عنده حسن المآب) اى حسن المرجع وهو الجنة وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة
حميدة وهذا تزهيد فى طيبات الدنيا الفانية وترغيب فيما عند الله من النعيم المقيم فعلى العاقل ان يأخذ من الدنيا
قدر البلغة ولا يستكثر بالاستكثار الذى يورط صاحبه فى المحظور ويورثه المحذور (قل) يا محمد (أؤنبئكم بخير
من ذلكم) الهمزة للتقرير اى اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم (للذين) خبر
مبتدأه قوله جنات (اتقوا) والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه كما ينبئ عنه النعوت
الآتية (عند ربهم) نصب على الحالية من قوله (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال مقدرة
(وازواج مطهرة) اى زوجات مبرأة من العيوب الظاهرة كالحيض والامتخاط واتيان الخلاء ومن الباطنة كالحسد
والغضب والنظر الى غير ازواجهن (روى) عن النبى عليه السلام شبر من الجنة خير من الدنيا ومافيها (ورضوان)
اى رضوان واى رضوان لا يقادر قدره كائن (من الله) قال الحكماء الجنات بما فيها اشارة الى الجنة الجسمانية
والرضوان اشارة الى الجنة الروحانية واعلى المقامات الجنة الروحانية وهى عبارة عن تجلى نور جلال الله تعالى
فى روح العبد واستغراق العبد فى معرفة الله ثم يصير فى اول هذه المقامات راضيا عن الله وفى آخرها مرضيا
عنده تعالى واليه الاشارة بقوله راضية مرضية (والله بصير بالعباد) وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق
بها (الذين) كأنه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين (يقولون ربنا اننا آمنا)
اى صدقنا بك وبنبيك وفى ترتيب الدعاء بقولهم (فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) على مجرد الايمان دلالة
على كفايته فى استحقاق المغفرة والوقاية من النار (الصابرين) نصب على المدح باضمار اعنى والمراد بالصبر
هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس (والصادقين) فى اقوالهم ونياتهم وعزائمهم
(والقانتين) اى المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات (والمنفقين) اموالهم فى سبيل الله
(والمستغفرين بالاسحار) وتوسيط الواو بين الصفات المذكورة مؤذن بان كل صفة مستقلة بالمدح ومؤذن

بان منهم صابر ومنهم صادق ثم الصبر حبس النفس عن شهواتها المحظورة فى الشرع وجميع اجناس الصبر ثلاثة الصبر على الطاعة والصبر على المعصية والصبر على المكروه قال النبى صلى الله عليه وسلم من صبر على مصيبة فله ثلاثمائة درجة وبين الدرجتين كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة فله ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ومن صبر على المعصية فله تسعمائة درجة بين الدرجتين كما بين العرش والكرسى والصدق يجرى فى القول وهو مجانبة الكذب وفى الفعل وهو اتيانه وترك الانصراف عنه قبل تمامه وفى النية وهو العزم عليه حتى يفعل والانفاق يتناول الانفاق على نفسه واهله واقاربه وصلة رحمه وفى الجهاد وسائر وجوه البر والاستغفار سؤال المغفرة من الله وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع لاسيما للمتهجدين قال مجاهد فى قول يعقوب عليه السلام سأستغفر لكم ربى اخره الى وقت السحر فان الدعاء فيه مستجاب وقال ان الله تعالى لا يشغله صوت عن صوت لكن الدعاء فى السحر دعوة فى الخلوة وهى ابعد من الرياء والسمعة فكانت اقرب الى الاجابة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى الى السماء الدنيا كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك من ذا الذى يدعونى فاستجيب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه من ذا الذى يستغفرنى فاغفر له ومعنى ينزل محمول على نزول ملكه او على الاستعارة فمعناه الاقبال على الداعين باللطف والاجابة ولهذا قال الى السماء الدنيا اى القربى وفى هذا الكلام توبيخ لهم على غفلتهم فى الدعاء والسؤال منه والاستغفار قال لقمان لابنه يا بنى لا تكونن اعجز من هذا الديك يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك * دلا برخيز وطاعت كن كه طاعت به زهر كارست * سعادت آن كسى دارد كه وقت صبح بيدارست * خروسان در سحر كويند كه قم يا أيها الغافل * تو از مستى نمى دانى كسى داند كه هشيارست * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسرى بى الى السموات رأيت عجائب من عجائب الله تعالى فمن ذلك ان فى السماء الدنيا ديكا له زغب اخضر وريش ابيض وبياض ريشه كاشد بياض رأيته وزغبة تحت ريشه كاشد خضرة رأيتها فاذا رجلاه فى تخوم الارض السابعة السفلى واذا رأسه عند عرش الرحمن ثانى عنقه تحت العرش له جناحان فى منكبيه اذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب فاذا كان بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الملك القدوس سبحان الكريم او قال الكبير المتعال لا اله الا الله الحى القيوم فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض كلها وخفقت باجنحتها فاذا اسكن ذلك الديك سكنت ديكة الارض كلها ثم اذا كان بعض الليل نشر جناحيه فجاوزبهما المشرق والمغرب وخفق بهما ثم صرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الله العلى العظيم سبحان العزيز القهار سبحان الله رب العرش الرفيع فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض بمثل قوله وخفقت باجنحتها واخذت فى الصراخ واذا سكن ذلك الديك سكنت ديكة الارض ثم اذا هاج بنحو فعله فى السماء هاجت الديكة فى الارض يجاوبونه تسبيحا لله تعالى بنحو قوله والمقصود من هذا ان التسبيح اذا كان من فعل اهل السماء والارض خصوصا الحيوانات العجم بل النباتات كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فان الانسان اولى بان يشتغل بالدعاء والتسبيح خصوصا فى الخلوات واوقات الاسحار قال الامام القشيرى رحمه الله الصابرين على ما امر الله والصادقين فيما عاهدوا الله والقانتين بالاستقامة فى محبة الله والمنفقين فى سبيل الله والمستغفرين من جميع مافعلوا لرؤية تقصيرهم (شهد الله انه) بانه (لا اله الا هو) نزلت حين جاء رجلان من احبار الشام فقالا للنبى عليه السلام أنت محمد قال نعم فقالا أنت احمد قال انا محمد واحمد قالا اخبرنا عن اعظم الشهادة فى كتاب الله فاخبرهما اى اثبت الله بالحجة القطعية واعلم بمصنوعاته الدالة على توحيده انه واحد لا شريك له فى خلقه الاشياء اذ لا يقدر احد ان ينشئ شيأ منها قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه قبل خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال شهد الله الآية (والملائكة) عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازى شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اى اقرت الملائكة بذلك لما عاينت من عظم قدرته (واولوا العلم) اى امنوا به واحتجوا عليه بالادلة التكوينية والتشريعية وهم الانبياء والمؤمنون الذين علموا توحيده وأقروا به اعتقادا صحيحا فشبه دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التى لا يقدر عليها غيره تعالى واقرار الملائكة واولى العلم

بذلك بشهادة الشاهد فى البيان والكشف (قائما بالقسط) نصب على الحال المؤكدة من هو دون من ذكر معه لأمن اللبس اذ القيام بالقسط من الصفات الخاصة به تعالى ومثله جاء زيد وهندا را كما جاز لاجل التذكير ولو قلت جاء زيد وعمرو را كبا لم يجز للبس اى مقيما بالعدل فى قسمة الارزاق والآجال والاثابة والمعاقبة وما يأمر به عباده وينهاهم عنه من العدل والتسوية فيما بينهم ودفع الظلم عنهم (لا اله الا هو العزيز الحكيم) كرر المشهود به لتأكيد التوحيد ليوحدوه ولا يشركوا به شيأ لانه ينتقم ممن لا يوحده بما لا يقدر على مثله منتقم ويحكم ما يريد على جميع خلقه لا معقب لحكمه لغلبته عليهم (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اى لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذى هو التوحيد والتشرع بالشريعة الشريفة وهو الدين الحق منذ بعث الله آدم عليه السلام وماسواه من الاديان فكلها باطلة قال شيخنا العلامة فى بعض تحريراته المقصود من انزال الكلام مطلق الدعوة الى الدين الحق والدين الحق من زمن آدم الى نبينا عليهما الصلاة والسلام الاسلام كما قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وحقيقة دين الاسلام التوحيد وصورته الشرائع التى هى الشروط وهذا الدين من ذلك الزمان الى يوم القيامة واحد بحسب الحقيقة وسوآء بين الكل ومختلف بحسب الصورة والشروط وهذا الاختلاف الصورى لا ينافى الاتحاد الاصلى والوحدة الحقيقة انتهى وعن قتادة ان الاسلام شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله وعن غالب القطان قال اتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان احدر الى البصرة قام من الليل متهجدا فمر بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيأ فصليت معه وودعته ثم قلت آية سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك بها الى سنة فلبثت على بابه من ذلك اليوم فاقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة قال حدثنى ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة ويناسب هذا ما يقال عهدنا الله عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك بانى اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا اثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع اى ختم عليه بخاتم ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة فلابد من الدعاء فى الصبح والمساء لله الذى هو خالق الارض والسماء ومن الاخلاص الذى هو ملاك الامر كله فى طاعة المرء وعمله * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذى جاء به النبى عليه السلام وانكروا نبوته (الا من بعد ما جاءهم العلم) استثناء مفرغ من اعم الاحوال اواعم الاوقات اى وما اختلفوا فى دين الله الاسلام ونبوة محمد عليه السلام فى حال من الاحوال اوفى وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذى لا محيد عنه اوبعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج والايات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامى حالهم فى الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل (بغيا بينهم) مفعول له لقوله اختلف اى حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فى الامر وهو تشنيع اثر تشنيع (ومن يكفر بآيات الله) الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله الاسلام ولم يعمل بمقتضاها (فان الله سريع الحساب) قائم مقام جواب الشرط علة له اى ومن يكفر بآياته تعالى فانه يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اى يأتى حسابه عن قريب اوسريع فى محاسبة جميع الخلائق لانه يحاسبهم فى اقل من لمحة بحيث يظن كل احد منهم انه اى الله يحاسب نفسه فقط (فان حاجوك) اى فى كون الدين عند الله الاسلام (فقل اسلمت وجهى) اى اخلصت نفسى وقلبى وجملتى (لله) وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعنى دين التوحيد وهو القديم الذى

ثبت عندكم صحبته كما ثبت عندى وماجئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه (ومن اتبعن) عطف على المتصل فى اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجارى مجرى التأكيد بالمنفصل اى واسلم من اتبعنى وجوههم ايضا (وقل للذين اوتوا الكتاب) اى من اليهود والنصارى (والاميين) الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (ءأسلمتم) متبعين لى كما فعل المؤمنون فانه قد آتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعلمتم بقضيتها ام انتم بعد على كفركم وهو استفهام بمعنى الامر اى اسلموا وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الاسلكته فهل فهمتها (فان اسلموا) اى كما اسلمتم واخلصتم (فقد اهتدوا) اى فازوا بالحظ الاوفر ونجوا من مهاوى الضلال (وان تولوا) اى اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام (فانما عليك البلاغ) قائم مقام الجواب اى لم يضروك شيأ اذ ما عليك الا البلاغ اى التبليغ بالرسالة دون الهداية وقد فعلت على ابلغ وجه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود أتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال صلى الله عليه وسلم للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا (والله بصير بالعباد) عالم بجميع احوالهم وهو وعد ووعيد (ان الذين يكفرون بآيات الله) اى آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الاسلام (ويقتلون النبيين بغير حق) هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حاولوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمهم الله وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال قال فى صورة البقرة بغير الحق اى بغير الحد الذى حده الله واذن فيه والنكرة ههنا على معنى ان القتل يكون بوجوه من الحق فمعناه يقتلون بغير حق من تلك الحقوق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) اى بالعدل (من الناس) عن ابى عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه قلت يارسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنوا اسرآئيل ثلاثة واربعين نبيا من اول نهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرآئيل فأمروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار (فبشرهم بعذاب اليم) اى وجيع دآئم جعل انذارهم بدل البشارة وهو الاخبار السار الاخبار بالنار وهو كقول القائل تحية بينهم ضرب وجيع (اولئك) المتصفون بتلك الصفات القبيحة (الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة) الذين بطلت اعمالهم التى عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر فى الدارين بل بقى لهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب الأليم فى الآخرة (ومالهم من ناصرين) ينصرونهم من بأس الله وعذابه فى احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع فى مقابلته لا لنفى تعدد الانصار من كل واحد منهم كما فى قوله تعالى وما للظالمين من انصار ففى الآية ذم لمن قتل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فبئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالمعروف والناهين عن النكر وبئس القوم قوم لا يقومون بالقسط بين الناس وبئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فعليك بالعدل والانصاف واياك الجور والظلم والاعتساف فاصدع بأوامر الحق ونواهيه ولا تخف غير الله فيما انت فيه وانما عليك البلاغ * كرچه دانى كه نشنوند بكوى * هرچه مى دانى از نصيحت وپند * زود باشد كه خيره سر بينى * بدوپاى اوفتاده اندر بند * دست بردست مى زندكه دريغ * نشنيدم حديث دانشمند * ولا يسقط الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ابدا ولكنه لا ينفع الوعظ والزجر فى آخر الزمان حين تشتد القلوب قساوة وتكون الانفس مولعة بلذات الدنيا (روى) ان يهوديا قال لهرون الرشيد فى سيره مع عسكره اتق الله فلما سمع هرون قول اليهودى نزل عن فرسه وكذا العسكر نزلوا تعظيما لاسم الله العظيم ومن اكبر الذنوب ان يقول الرجل لاخيه اتق الله فيقول فى جوابه عليك نفسك أانت تأمرنى بهذا ومن الله العظة والتوفيق الى سوآء الطريق (الم تر) تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من تتأتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم اى ألم تنظر (الى الذين اوتوا نصيبا) حظا وافرا (من الكتاب) اى التوراة والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التى من جملتها ما علموه من نعوت النبى عليه السلام وحقية الاسلام (يدعون الى كتاب الله) الذى اوتوا نصيبا منه وهو التوراة كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله فالجملة استئناف (ليحكم) ذلك الكتاب (بينهم) وفى الكتاب

بيان الحكم فأضيف اليه الحكم كما فى صفة القرآن بشيرا ونذيرا لان فيه بيان التبشير والانذار وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراس اليهود فدعاهم الى الايمان فقال له رئيسهم نعيم بن عمرو على اى دين انت قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم قال ان ابراهيم كان يهوديا قال صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينكم التوراة فهاتوها فأبوا وقال الكلبى نزلت الآية فى الرجم فجر رجل وامرأة من اهل خيبر وكانا فى شرف منهم وكان فى كتابهم الرجم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء رخصة عنده فحكم عليهم بالرجم فقالوا جرت علينا ليس علينا الرجم فقال صلى الله عليه وسلم بينى وبينكم التوراة قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتوراة قالوا ابن صوريا فأرسلوا اليه فدعا النبى عليه الصلاة والسلام بشئ من التوراة فيه الرجم دله على ذلك ابن سلام فقال له اقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقام ابن سلام فرفع اصبعه عنها ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود بأن المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص حتى تضع ما فى بطنها وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك ورجعوا كفارا فأنزل الله هذه الآية (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه ولم يصف به الكل لانه قال فى هذه السورة من اهل الكتاب امة قائمة وقال تعالى امة يهدون بالحق وبه يعدلون (وهم معرضون) اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اى يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اى وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل (ذلك) اى التولى والاعراض (بانهم) اى حاصل بسبب انهم (قالوا لن تمسنا النار) باقتراف الذنوب وركوب المعاصى (الا اياما معدودات) اربعين يوما وهى مدة الايام التى عبدوا فيها العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا اوان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح قال ابن عباس رضى الله عنه زعمت اليهود انهم وجدوا فى التوراة ان ما بين طرفى جهنم اربعون سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانما نعذب حتى نأتى الى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك واصل الجحيم سقر وفيها شجرة الزقوم فاذا اقتحموا من باب جهنم وتبادروا فى العذاب حتى انتهوا الى شجرة الزقوم وملأوا البطون قال لهم خازن سقر زعمتم ان النار لن تمسكم الا اياما معدودات قد خلت اربعون سنة وانتم فى الابد (فكيف) اى فكيف يصنعون وكيف يكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة فى دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون (اذا جمعناهم ليوم) اى لجزاء يوم (لا ريب فيه) اى فى وقوعه ووقوع ما فيه روى أن اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفرة راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار (ووفيت كل نفس ما كسبت) اى جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون فى النار ولا قبل دخولها فاذا هى بعد الخلاص منها (وهم) اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بزيادة عذاب او نقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه فالله تعالى ليس من شأنه العظيم ان يظلم عباده ولو مثقال ذرة فيجازى المؤمنين بأعمالهم والكافرين بكفرهم فعلى العاقل ان لا يقطع رجاءه من الله تعالى وان كانت ذنوبه مثل زبد البحر فالله تعالى عند حسن ظن العبد به (روى) انه اذا كان يوم القيامة وسكن اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذا بصوت حزين ينادى من داخل النار يا حنان يا منان يا ذا الجلال والاكرام فيقول الله تعالى يا جبريل اخرج هذا العبد الذى فى النار قال فيخرجه اسود كفرخ الحمام قد تناثر لحمه وذاب جسمه فينادى يا جبريل لا توقفنى بين يدى الله فأفزع فيؤتى به الى الله فيقول له عبدى أتذكر ذنب كذا وكذا فى سنة كذا وكذا فيقول نعم يا رب فيقول الله اذهبوا بعبدى الى النار فيكون من العبد التفات فيقول الله ردوا عبدى الى فيرد اليه فيقول له عبدى ما كان التفاتك وهو اعلم فيقول يا رب اذنبت ولم اقطع رجائى منك وحاسبتنى ولم اقطع رجائى منك وادخلتنى النار ولم اقطع رجائى منك واخرجتنى منها اليك ولم اقطع رجائى منك ثم رددتنى اليها ولم اقطع رجائى منك فيقول الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى وارتفاعى فى علو مكانى لأكونن عند ظن عبدى بى ولأحققن رجاءه فى اذهبوا بعبدى الى الجنة * خدايا بعزت كه خوارم مكن * بذل گنه

شر

شرمسارم مكن * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة عند الموت ولا فى قبورهم ولا فى منشرهم كأنى بأهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن فالواجب على من كان مؤمنا وليس من اهل البدع ان يحمد الله على ماهداه وجعله مسلما من الامة الشريفة ولذا قيل من علامات سوء العاقبة ان لا يشكر العبد على ماهدى به من الايمان والتوحيد واهل الغرور فى الدنيا مخدوع بهم فى الآخرة فليس لهم عناية رحمانية وانما يقبل رجاء العبد اذا قارنه العمل والكاملون بعد أن بالغوا فى تزكية النفس مازالوا يخافون من سوء العاقبة ويرجون رحمة الله فكيف بنا ونحن متورطون فى آبار الاوزار لا توبة لنا ولا استغفار غير العناد والاصرار قال الامام الهمام محمد الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين مقدمات التوبة ثلاث احداها ذكر غاية قبح الذنوب والثانية ذكر غاية عقوبة الله تعالى وأليم سخطه وغضبه الذى لا طاقة لك به الثالثة ذكر ضعفك وقلة حيلتك فى ذلك فان من لا يحتمل حر الشمس ولطمة شرطى وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كأعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار فى دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخطه وعذابه * مرا مى بيايد چو طفلان كريست * زشرم گناهان نه طفلانه زيست * نكو گفت لقمان كه نازيستن * به از سالها برخطا زيستن * هم از بامدادان در كلبه بست * به از سود وسرمايه دادن زدست (قل اللهم) اصله يا الله فالميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل وشددت لقيامها مقام حرفين وقيل اصله يا الله أمنا بخير اى اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك الملك) اى مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث يتصرف فيه كيف مايشاء له ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية لانه ليس فى الاسماء الموصوفة شىء على حد اللهم (تؤتى الملك) بيان لبعض وجوه التصرف الذى يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى وكون مالكية الغير بطريق المجاز كما ينبىء عنه ايثار الايتاء الذى هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة (من تشاء) ايتاءه اياه (وتنزع الملك ممن تشاء) نزعه منه فالملك الاول حقيقى عام ومملوكيته حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية (وتعز من تشاء) ان تعزه فى الدنيا وفى الآخرة اوفيهما بالنصر والتوفيق (وتذل من تشاء) ان تذله فى احداهما اوفيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة (بيدك الخير) وتعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اى بقدرتك الخير كله لا بقدرة احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الى المؤمنين وهو الذى انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه اولمراعاة الادب فان فى الخطاب بأن الشر منك ويدك ترك ادب وان كان الكل من الله تعالى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا وجميع من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالفيل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام واخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها مقدار ثلثها وبرق منها برق اضاء مابين لابتيها كأنه مصباح فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر فى ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبريل عليه السلام ان امتى ظاهرة على الامم كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت (انك على كل شىء قدير) من الاعزاز والاذلال (تولج) اى تدخل (الليل فى النهار) بنقص الاول وزيادة الثانى حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات (وتولج النهار فى الليل) حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات (وتخرج الحى من الميت) اى تظهر الحيوان من النطفة او الطير من البيضة او العالم من الجاهل او المؤمن من الكافر او النبات من الارض اليابسة (وتخرج الميت من الحى)

وهذا عكس الاول (وترزق من تشاء بغير حساب) قال ابو العباس المقرى ورد لفظ الحساب فى القرآن على
ثلاثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا
من فاعل ترزق اومن مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول
فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين * عن على رضى الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين من آل عمران شهد الله انه
لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين
الله حجاب قلن يارب أتهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عزوجل انى حلفت انه لا يقرأكن احد دبر كل
صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته فى حظيرة القدس ونظرت اليه بعينى كل يوم سبعين مرة
وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفى بعض الكتب أنا الله ملك
الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد أطاعونى جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم
عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى
عليكم معناه ان كنتم من اهل الطاعة يول عليكم اهل الرحمة وان كنتم من اهل المعصية يول عليكم اهل العقوبة
وجاء فى الخبر أن موسى عليه السلام قال فى مناجاته يارب انت فى السماء ونحن فى الارض فما علامة سخطك
من رضاك فاوحى الله اليه اذا استعملت على الناس خيارهم فهو علامة رضاى واذا استعملت شرارهم فهو
علامة سخطى عليهم قال الحجاج بن يوسف حين قيل له لم لا تعدل مثل عمر رضى الله عنه وأنت قد ادركت
خلافته أفلم تر عدله وصلاحه فقال فى جوابهم تبذروا أتعمر لكم اى كونوا كأبى ذر فى الزهد والتقوى اعاملكم
معاملة عمر فى العدل والانصاف وفيه اشارة الى ان الولاة انما يكونون على حسب اعمال الرعايا واحوالهم
صلاحا وفسادا فعلى كل واحد من المسلمين التضرع لله تعالى والانابة اليه بالتوبة والاستغفار عند فشو الظلم
وشمول الجور ويظهر جور الوالى وعدله فى الضرع والزرع والاشجار والاثمار والمكاسب والحرف يعنى يقل
لبن الضرع وتنزع بركة الزرع وتنقص ثمار الاشجار وتكسد معاملة التجار واهل الحرف فى الامصار التى ملك
فيها ذلك الملك الجائر بشؤم ظلمه وسوء فعله ويكون الامر على العكس اذا عدل ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة
كتب اليه طاووس ان اردت ان يكون عملك خيرا كله فاستعمل اهل الخير فقال كفى بها موعظة * بندم اكر
بشنوى اى بادشاه * درهمه دفتر به ازين بند نيست * جز بخردمند مفرما عمل * كرچه عمل
كار خردمند نيست * قال النبى صلى الله عليه وسلم سيأتى زمان لأمتى يكون امراؤهم على الجور وعلماؤهم على
الطمع وعبادهم على الرياء وتجارهم على اكل الربا ونساؤهم على زينة الدنيا (لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء) نهوا عن موالاتهم لقرابة اوصداقة جاهلية اوجوار ونحوها من اسباب المصادقة والمعاشرة حتى لا يكون
حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى اوعن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية (من دون المؤمنين) فى موضع
الحال اى متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم
مندوحة عن موالاة الكافرين اى استغناء فلا تؤثروهم عليهم فى الولاية (ومن يفعل ذلك) اى اتخاذهم
اولياء (فليس من الله) اى من ولايته تعالى (فى شئ) يصح ان يطلق عليه اسم الولاية يعنى انه منسلخ من
ولاية الله رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوى ثم تزعم اننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب

النوك الحمق والعازب البعيد والمعنى الصديق هو من يود لك ويبغض عدولك والاعداء ايضا ثلاثة عدولك وعدو
صديقك وصديق عدولك * بشوى اى خردمند ازان دوست دست * كه باد شمنانت بود هم نشست *
(الا ان تتقوا) استثناء من اعم الاحوال كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا وباطنا فى حال من الاحوال
الا حال اتقائكم (منهم) اى من جهتهم (تقاة) اى اتقاء بان تغلب الكفار أو يكون المؤمن بينهم فان اظهار
الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من شق العصا واظهار ما فى الضمير
كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا اى كن فيما بينهم صورة وتجنب عنهم سيرة ولا تخالطهم

مخالطة الاوداء ولا تسيرا بسيرتهم وهذا رخصة فلو صبر حتى قتل كان اجره عظيما (ويحذركم الله نفسه) اى يخوفكم الله ذاته المقدسة كقوله تعالى فاتقون واخشون اى من سخطى وعقوبتى فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد (والى الله المصير) اى الى جزاء الله مرجع الخلق فيجزى كلا بعمله (قل ان تخفوا ما فى صدوركم) من الضمائر التى من جملتها ولاية الكفرة (او تبدوه) فيما بينكم (يعلمه الله) فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) لا يخفى عليه منه شئ قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تأكيدا له وتقريرا (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه وهذا بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهى ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتى لا يختص بمعلوم دون معلوم فهى متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهى قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة ولاحق به العذاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ فى امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان الله الذى يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك كذا فى الكشاف فالعاقل يخاف من الله ويكون حبه وبغضه لله يوالى المؤمنين ويعادى الكافرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من الكبائر لبس الصوف لطلب الدنيا وادعاء محبة الصالحين وترك فعلهم وذم الاغنياء والاخذ منهم ورجل لا يرى الكسب ويأكل من كسب الناس * كرآنها كه من كفتى كردى * نكو سيرت وپارسا بودمى * والحب فى الله والبغض فى الله باب عظيم واصل من اصول الايمان وخلق سنى والمحبة الصادقة لا تكون الا عند المصافاة فى الباطن وهى مبنية على اتفاق العقيدة والوجهة لان القلوب تتناسب فتتصافى فان لم يكن بينها التوافق المعنوى واتفق بين اربابها المصالحة والمؤانسة بحسب المماثلة النوعية والالفة النفسية والجنسية الصورية اعدت الرذائل صاحب الفضائل باستغراق النفس فتشابه وتخالق كما قيل

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال على رضى الله عنه

فلا تصحب اخا الجهل * واياك واياه * فكم من جاهل أردى * حليما حين آخاه

يقاس المرء بالمرء * اذا ما هو ماشاه * وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

واذا كان الرجل مبتلى بصحبة الفجار فى سفره للحج اوللغزاء لا يترك الطاعة بصحبتهم ولكن يكره بقلبه ولا يرضى به فاعل الفاسق يتوب ببركة كراهة قلبه (حكى) ان حاتما وشقيقا خرجا فى سفر فصحبهما شيخ فاسق وكان يضرب بالمعزف فى الطريق ويطرب ويغنى وكان حاتم ينتظر أن ينهاه شقيق فلم يفعل ذلك فلما كان فى آخر الطريق وأرادوا ان يتفرقوا قال لهما ذلك الشيخ الفاسق لم ار أثقل منكما قد طربت بين ايديكما كل الطرب فلم تنظرا الى طربى فقال له حاتم يا شيخ اعذرنا فان هذا شقيق وانا حاتم فتاب الرجل وكسر ذلك المعزف وجعل يتلمذ عندهما ويخدمهما فقال شقيق لحاتم كيف رأيت صبر الرجال * نه آنكه بر در دعوى نشيند از خلق * كه كر خلاف كنندش بجنك برخيزد * وكر ز كوه فرو غلطد آسياسنكى * نه عارفست كه از راه سنك برخيزد * وينبغى ان يعلم ان المؤمن كما يلزم له ان يقطع الموالاة عن الكفار كذلك يقطع ذلك عن الاقرباء الفجار كما قيل چون نبود خويش را ديانت وتقوى * قطع رحم بهتر از مودت قربى * فان قلت هذا المخالف للقرآن فانه ناطق بصلة الارحام مطلقا قلت هو موافق كما قال تعالى وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما فمن تسبب لشقاوتك يجب تقاطعك عنه وان كان ذا قرابتك * هزار خويش كه بيكانه از خدا باشد * فداى يك تن بيكانه كه آشنا باشد * فعليك بقطع التعلق من الاغيار وبالاقتداء بهدى الانبياء الاخيار قال خليل الله عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين ومن موالاة الكفار المواكلة معهم بغير عذر اقتضاها ومن القول الشنيع ان يقال لهم جابى كما يقول لهم سفهاء زماننا فان معنى جابى منسوب الى جاب وجاب اسم الله تعالى وهم نارى دون نورى فكيف يصح نسبتهم الى الله والعياذ بالله (يوم) منصوب بتود (تجد كل نفس)

اى من النفوس المكلفة (ما عملت من خير محضرا) عندها بأمر الله تعالى (وما عملت من سوء) عطف على ماعملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر فى الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية (تودّ) اى تحب وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر اواجزيتها محضرة (لو ان بينها وبينه) اى بين النفس وبين ذلك اليوم وهوله اوبين العمل السوء (امدا بعيدا) اى مسافة واسعة كما بين المشرق والمغرب ولم تحضر ذلك اليوم اولم تعمل ذلك السوء قط (ويحذركم الله نفسه) اى يقول الله اياكم ونفسى يعنى احذروا من سخطى وهو تكرير لما سبق ليكون على بال منهم لايغفلون عنه (والله بصير بالعباد) يعنى ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه فيحذرهم تحذير الوالد المشفق ولده عما يوبقه قال القشيرى رحمه الله هذا للمستأنفين وقوله ويحذركم الله نفسه للعارفين اولئك اصحاب التخفيف والتسهيل وهؤلاء اصحاب التخويف والتهويل ونظيره بشر المذنبين وانذر الصديقين فالله تعالى يمهل ولا يهمل فيجب ان لايغتر العبد بامهاله بل يتأهب ليوم حسابه وجزائه * درخبر بازست وطاعت وليك * نه هركس تواناست برفعل نيك * واعلم ان مايعمله الانسان اويقوله ينتقش فى صحائف النفوس السماوية واذا تكرر صار ملكة راسخة لكنه مشغول عن تلك الهيئات الثابتة فى نفسه ونقوشها بالشواغل الحسية والوهمية والفكرية فاذا فارقت النفس الجسد وقامت قيامتها وجدت ماعملت من خير وشر محضرا لارتفاع الشواغل المانعة كقوله تعالى احصاه الله ونسوه فان كان شرا تتمنى البعد فيما بينها وما بين ذلك اليوم اوذلك العمل لتعذبها به فتصير تلك الهيئات صورتها ان كانت راسخة والا صورة تعذبها وتعذبت بحسبها ومن الله العصمة (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) هر خيالى كاو كند در دل وطن * روز محشر صورتى خواهد بدن * سيرتى كاندر وجودت غالبست * هم بر آن تصوير حشرت واجبست * فعلى العاقل ان يزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ويطهر قلبه عن لوث العلائق الدنيوية ويجتهد فى تحصيل مرضاة الله بالاعمال الصالحة والاقوال الحقة كى يجدها عند ربه يوم احتياجه ويفوز بالسعادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأظمأ ما كانوا قط واعرى ما كانوا قط وانصب ما كانوا قط فمن اطعم الله أطعمه ومن سقى الله سقاه ومن كسا الله كساه ومن عمل لله كفاه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا حنان يا منان ياذا الجلال والاكرام باعد بينى وبين خطيئتى كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس واغسلنى بماء الثلج والبرد سبحان الله وبحمده استغفر الله العظيم واتوب اليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى اصحابه حوله فقال أيها الناس لاتعجبوا بانفسكم وبكثرة اعمالكم وبقلة ذنوبكم ولاتعجبوا بامرئ حتى تعلموا بم يختم له قال عليه السلام فانما الاعمال بخواتيمها ولو أن احدكم جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لتمنى الزيادة لهول مايقدم عليه يوم القيامة (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) اثبت فيه الياء لانه اصل ولم يثبت فى فاتقون واطيعون لانه ختم آية ينوى بها الوقف (يحببكم الله) نزلت حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن الاشرف ومن تابعه الى الايمان فقالوا نحن ابناء الله واحباؤه فقال تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم انى رسول الله ادعوكم اليه فان كنتم تحبونه فاتبعونى على دينه وامتثلوا امرى يحببكم الله ويرض عنكم والمحبة ميل النفس الى الشئ لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على مايقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل مايراه كمالا من نفسه اوغيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى طاعته والحرص على مطاوعته (ويغفر لكم ذنوبكم) اى يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة اوالمشاكلة (والله غفور رحيم) اى لمن كان يتحبب للنصارى ويتبع عيسى بن مريم فنزل قوله تعالى (قل اطيعوا الله والرسول) اى فى جميع الاوامر والنواهى فيدخل فى ذلك الطاعة فى اتباعه صلى الله عليه وسلم دخولا اوليا (فان تولوا) اما من تمام مقول القول فهى صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التاءين اى تتولوا وتعرضوا واما كلام متفرع مسوق من جهته تعالى فهى

صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل عنهم (فان الله لا يحب الكافرين) نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم ودلت الآية على شرف النبي عليه السلام فانه جعل متابعته متابعة حبيبه وقارن طاعته بطاعته فمن ادعى محبة الله وخالف سنة نبيه فهو كذاب بنص كتاب الله تعالى كما قيل

تعصي الاله وانت تظهر حبه * هذا محال في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وانما كان من ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله كاذبا في دعواه لان من احب آخر يحب خواصه والمتصلين به من عبيده وغلمانه وبيته وبنيانه ومحله ومكانه وجداره وكلابه وحماره وغير ذلك فهذا هو قانون العشق وقاعدة المحبة والى هذا المعنى اشار المجنون العامري حيث قال

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

قال الامام القشيري رحمه الله قطع الله اطماع الكل ان يسلم لاحدهم نفسه الا ومقتداهم سيد الاولين والآخرين وقال القاشاني محبة النبي عليه السلام انما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولا وعملا وخلقا وحالا وسيرة وعقيدة ولا تتمشى دعوى المحبة الا بهذا فانه قطب المحبة ومظهرها وطريقته صلى الله عليه وسلم المحبة فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب واذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبي وسره وقلبه ونفسه وهو مظهر المحبة فلزم بهذه المناسبة ان يكون لهذا التابع قسط من محبة الله بقدر نصيبه من المتابعة فيلقي الله محبته عليه ويسري من روح النبي نور تلك المحبة ايضا الى قلبه اسرع ما يكون اذ لولا محبة الله لم يكن محبا له ثم نزل عن هذا المقام لانه اعز من الكبريت الاحمر ودعاهم الى ما هو أعم من مقام المحبة وهو مقام الارادة فقال قل اطيعوا الله والرسول اي ان لم تكونوا محبين ولم تستطيعوا متابعة حبيبي فلا اقل من ان تكونوا مريدين مطيعين لما امرتم به فان المريد يلزمه طاعة المراد وامتثال امره فان تولوا اي ان اعرضوا عن ذلك ايضا فهم كفار محجوبون انتهى * وروى البخاري عن عبد الله بن هشام انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر رضي عنه فقال عمر يا رسول الله انت احب الي من كل شيء الا نفسي فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر فانه الآن والله انت أحب الي من نفسي فقال عليه السلام الآن يا عمر صار ايمانك كاملا وقال صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وعن جابر بن عبد الله انه قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا اولوها له يفقهها فقالوا الدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فبمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم تحصل الجنة والقربة والوصلة (روي) ان محمودا الغازي دخل على الشيخ الرباني ابي الحسن الخرقاني قدس سره لزيارته وجلس ساعة ثم قال يا شيخ ما تقول في حق ابي يزيد البسطامي قدس سره فقال الشيخ هو رجل من اتبعه اهتدى واتصل بسعادة لا تخفى فقال محمود وكيف ذلك وابو جهل رأى رسول الله عليه السلام ولم يخلص من الشقاوة فقال الشيخ في جوابه ان ابا جهل ما رأى رسول الله انما رأى محمد بن عبد الله حتى لو كان رأى رسول الله عليه السلام لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ثم قال ومصداق ذلك قول الله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب والمتابعة التامة تورث ذلك وامته صلى الله عليه وسلم من اتبعه ولا يتبعه الا من أعرض عن الدنيا فانه عليه السلام ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عنها واقبلت على الله وصرفت الاوقات لاعمال الآخرة فقد سلكت سبيله الذي يسلكه وبقدر ما اتبعته صرت من

امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله واعرضت عن متابعته ولحقت بالذين قال الله تعالى فيهم
فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى ولو خرجت عن مكمن الغرور وأنصفت من نفسك يا رجل
وكنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تمسى الى حين تصبح لا تسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا برجل
الدنيا الفانية ثم تطمع فى ان تكون غدا من امته وأتباعه ويحك ما ابعد ظننا وما افحش طمعنا قال الله تعالى
أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون (ان الله اصطفى آدم) الاصطفاء اخذ ما صفا من الشئ
كالاستصفاء اى اختار آدم بالنفس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة
للرسالة فى نفس المصطفى كما فى كافة الرسل عليهم السلام اوفيمن يلابسه وينشأ منه كما فى مريم اواصطفاه بان خلقه
بيده فى احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكانه الجنة (و) اصطفى (نوحا) بما ذكر من
الوجه الاول اواصطفاه بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل
ذريته هم الباقين واستجابة دعوته فى حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء (و) اصطفى (آل ابراهيم) وهو
اسماعيل واسحق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبى صلى الله عليه وسلم ويفهم من اصطفائهم اصطفاء
ابراهيم بطريق الاولوية (و) اصطفى (آل عمران) وهو عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازر بن ابى
هود بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن اوشا بن اموذ بن ميشك بن حازقا بن يونام بن عزريا بن يوزان بن ساقط
ابن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود عليهما السلام ابن ايشا بن عويل بن سلمون بن ياعر بن نحشون بن عمياد
ابن دام بن حضروم بن فارض بن يهود ابن يعقوب عليه السلام وقيل آل عمران هو موسى وهرون عليهما
السلام ابنا عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة فيكون
اصطفاء عيسى عليه السلام بالاندراج فى آل ابراهيم والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء
موسى وهرون عليهما السلام بالانتظام فى سلك آل ابراهيم انتظاما ظاهرا (على العالمين) جمع عالم وهو اسم
لنوع من المخلوقين فيه علامة يمتاز بها عن خلافه من الانواع كالملك والجن والانس يقال عالم البر وعالم البحر
وعالم الارض وعالم السماء والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اى اصطفى كل واحد منهم على عالمى زمانه
(ذرية) نصب على البدلية من الآلين والذر بفتح الذال البث والتفريق وسمى نسل الثقلين ذرية لان الله تعالى
قد بثهم فى الارض اولان الله اخرج نسل آدم عليه السلام من صلبه كهيئة الذر وهو جمع ذرة وهى اصغر النمل
والذرء ايضا الخلق والله تعالى خلقهم واظهرهم من العدم الى الوجود (بعضها من بعض) فى محل النصب
على انه صفة لذرية يعنى ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض فان آل ابراهيم اعنى اسماعيل
واسحق متشعبان من ابراهيم المتشعب من نوح المتشعب من آدم واولادهما الى آخر انبياء بنى اسرائيل والى
خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين متشعبون منهما وآل عمران وهو موسى وهرون من ذرية ابراهيم
ونوح وآدم وكذا عيسى وامه مريم عليهما السلام (والله سميع) لاقوال العباد (عليم) بأعمالهم
البادية والخافية فيصطفى من بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث
يجعل رسالته ودلت الآية على صحة انكحة الكفار حيث ثبت نسب بعضهم من بعض بها قال صلى الله عليه وسلم
ولدت من نكاح لا من سفاح واعلم ان الاصطفاء اعم من المحبة والخلة فيشمل الانبياء كلهم لانهم خيرة الله وصفوته
وتتفاضل فيه مراتبهم كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فأخص المراتب هو المحبة المشار اليها
بقوله ورفع بعضهم درجات فلذلك كان افضلهم حبيب الله محمدا عليه السلام ثم الخلة التى هى صفة ابراهيم
عليه السلام واعمها الصفاء الذى هو صفة آدم صفى الله عليه السلام ذرية بعضها من بعض فى الدين
والحقيقة اذ الولادة قسمان صورية ومعنوية فكل نبى يتبع نبيا آخر فى التوحيد والمعرفة وما يتعلق بالباطن
من اصول الدين فهو ولده كأولاد المشايخ فى زماننا هذا وكما قيل الآباء ثلاثة اب ولدك واب رباك واب علمك
وكما ان وجود البدن فى الولادة الصورية يتولد فى رحم أمه من نطفة ابيه فكذلك وجود القلب فى الولادة
الحقيقية يظهر فى رحم استعداد النفس من نفخة الشيخ والمعلم والى هذه الولادة اشار عيسى عليه السلام بقوله
لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين ثم اعلم ان الولادة المعنوية اكثرها تتبع الصورية فى التناسل ولذلك
كان الانبياء فى الظاهر ايضا نسلا واحدا ثمرة شجرة واحدة وسببه ان الروح فى الصفاء والكدورة يناسب المزاج

فى القرب من الاعتدال الحقيقى وعدمه وقت التكون فلكل روح مزاج يناسبه ويخصه اذ الفيض يصل بحسب المناسبة وتتفاوت الارواح فى الازل بحسب صفوتها ومراتبها فى القرب والبعد عن الحضرة الاحدية فتتفاوت الامزجة بحسبها فى الابد لتتصل بها والابدان المتناسلة بعضها من بعض متشابهة فى الامزجة على الاكثر اللهم الا لامور عارضة اتفاقية فكذلك الارواح المتصلة بها متقاربة فى الرتبة متناسبة فى الصفة وهذا مما يقوى ان المهدى يكون من نسل محمد عليه السلام والاغذية مؤثرة فى البدن فمن كان غذاؤه حلالا طيبا وهيئات نفسه فاضلة نورانية ونياته صادقة حقانية جاء ولده مؤمنا صديقا اووليا اونبيا ومن كان غذاؤه حراما وهيئات نفسه خبيثة ظلمانية ونياته فاسدة رديئة جاء ولده فاسقا اوكافرا زنديقا اذ النطفة التى يكون الولد منها متولدة من ذلك الغذاء مرباة فى تلك النفس فيناسبها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد سر ابيه وكان صدق مريم ونبوة عيسى ببركة صدق نيتها (اذ) منصوب باذكر (قالت امرأة عمران) وهى امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى عليه السلام وهى حنة بنت فاقوذا فان قلت كان لعمران ابن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابى مريم التى هى اخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا فى عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابنى خالة (روى) انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينما هى فى ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاله فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهى حامل وذلك قوله تعالى (رب انى نذرت لك) والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه (مافى بطنى) عبر عن الولد بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء (محررا) اى معتقا لخدمة بيت المقدس لايد لى عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشئ او خالصا لله ولعبادته لا يعمل عمل الدنيا ولا يتزوج فيتفرغ لعمل الآخرة وكان هذا النذر مشروعا عندهم لان الامر فى دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع ويجعلونهم محررين لخدمة المسجد ولم يكن احد من الانبياء الاومن نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والاذى فتحتاج الى الخروج ولكن حررت حنة مافى بطنها مطلقا اما لانها بنت الامر على تقدير الذكورة اولانها جعلت ذلك النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر (فتقبل منى) اى ما نذرته والتقبل اخذ الشئ على وجه الرضى وهذا فى الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى (انك انت السميع) لجميع المسموعات التى من جملتها تضرعى ودعائى (العليم) لكل المعلومات التى من زمرتها مافى ضميرى لاغير (فلما وضعتها) اى ولدت النسمة وهى انثى (قالت) حنة وكانت ترجوان تكون غلاما (رب انى) التأكيد للرد على اعتقادها الباطل (وضعتها انثى) تحسرا على مارأته من خيبة رجائها وعكس تقديرها والضمير المتصل عائد الى النسمة وانثى حال منه (والله اعلم بما وضعت) تعظيم من جهته تعالى لموضوعها فانها انما تحسرت وتحزنت على ان ولدت انثى قال الله تعالى انها لاتعلم قدر هذا الموهوب والله هو العالم بالشئ الذى وضعته وما علق به من العجائب وعظائم الامور فانه تعالى سيجعله وولده آية للعالمين وهى جاهلة بذلك لاتعلم به فلذلك تحسرت وتحزنت (وليس الذكر كالانثى) مقول لله ايضا مبين لتعظيم موضوعها ورفع منزلته واللام فيهما للعهد اى ليس الذكر الذى كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التى وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لاتكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور فهى افضل من مطلوبها وهى لاتعلم وهاتان الجملتان من مقول الله تعالى اعتراضان بين قول ام مريم انى وضعتها انثى وقولها وانى سميتها مريم وفائدتهما التسلية لنفس حنة والتعظيم لوضعها (وانى سميتها مريم) من مقول حنة عطف على قولها انى وضعتها اى انى جعلت اسمها مريم وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وخادم الرب واظهار انها غير راجعة فى نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه وظاهر هذا الكلام يدل على ان عمران كان قد مات قبل وضع حنة مريم والا لما تولت الام تسمية المولود

لان العادة ان التسمية يتولاها الاباء (وانى اعيذها بك) اى اجيرها بحفظك (وذريتها) عطف على الضمير المنصوب اى اولادها (من الشيطان الرجيم) اى المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم مامن مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها) اى اخذ مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر (ربها) مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق (بقبول حسن) بوجه حسن يقبل به النذائر وهو قبول تلك الانثى مع انوثتها وصغرها فان المعتاد فى تلك الشريعة ان لا يجوز التحرير الا فى حق غلام عاقل قادر على خدمة المسجد وههنا لما علم الله تعالى تضرع حنة قبل بنتها حال صغرها وعدم قدرتها على خدمة المسجد (وانبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلح فى جميع احوالها ثم ان الله تعالى ذكر قبولها منها وذلك لضعفها وصدق نيتها فى الابتداء وحياتها فى الانتهاء وكان فى ذلك الزمان اربعة آلاف محرر لم يشتهر خبر احد منهم اشتهار خبرها وفيه تنبيه للعبد على ان يرى من نفسه التقصير بعد جهدها ليقبل الله عملها لاظهار افلاسها واضمار اخلاصها رزقنا الله واياكم * طريقت همينست كاهل يقين * نكوكار بودند وتقصير بين * واعلم انه سبحانه قطع السائرين له وهم المريدون والواصلين اليه وهم المرادون عن رؤية اعمالهم وشهود احوالهم اما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها فانقطعوا اليه برؤية تقصيرهم واما الواصلون فلانه غيبهم شهوده عنها لانه الفعال وهم آلة مسخرة ولما دخل الواسطى نيسابور سأل اصحاب الشيخ ابى عثمان المغربى بم يأمركم شيخكم قالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية المحضة هلا امركم بالغيبة عنها بشهود منشئها ومجريها قال القشيرى وانما اراد الواسطى صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا فى اوطان التقصير او تجويزا للاخلال بادب من الآداب قال النهرجورى من علامة من تولاه الله فى اعماله ان يشهد التقصير فى اخلاصه والغفلة فى اذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مجاهدته وقلة المراعاة فى فقره فتكون جميع احواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله فى فقره وسيره حتى يفنى عن كل مادونه قال الشيخ ابو العباس رضى الله عنه فى اشارة قوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل يولج المعصية فى الطاعة ويولج الطاعة فى المعصية يطيع العبد الطاعة فيعجب بها ويعتمد عليها ويستصغر من لم يفعلها ويطلب من الله العوض عليها فهذه حسنة احاطت بها سيئات ويذنب الذنب فيلجأ الى الله فيه ويستصغر نفسه ويستعظم من لم يفعله فهذه سيئة احاطت بها حسنات فاتتهما الطاعة واتتهما المعصية فعلى السالك ان يجتهد فى الطاعات ولا يغتر بالعبادات لعله يصل الى الى غاية الغايات فى روضات الجنات * چه زرها بجالى سيه در كنند * كه باشد كه روزى مسى زر كنند * يعنى ان المشتغلين بتحصيل صنعة الكيمياء يجعلون دنانير كثيرة تحت التراب اى يبذلونها لتحصيلها ويفرقونها فى اسبابها كى يصير النحاس فى ايديهم ذهبا بحتا وينشرفوا بوصولها * زر از بهر چيزى خريدن نكوست * چه خواهى خريدن به از وصل دوست * فالسعى فى الاعمال انما هو لطلب رضى الله ووصول جنابه وهو الذى يبذل فى طريقه المال والروح لينفتح باب الفتوح قال الشيخ الشاذلى قدس سره فى لطائف المنن واعلموا ان الله اودع انوار الملكوت فى اصناف الطاعات فاى من فاته من الطاعات صنف او اعوزه من الموافقات جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك ولا تهملوا شيأ عن الطاعات ولا تستغنوا عن الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضى به المدعون بحر الحقائق على السنتهم وخلوا انوارها من قلوبهم انتهى فينبغى للعبد ان يواظب على اصناف الطاعات وينساها بعد ما عملها كيلا يبطلها العجب لانه يقال حفظ الطاعة اشد من فعلها لان مثلها كمثل الزجاج يسرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر وكذا الخيرات اذا ازيلت بالمخالفات (وكفلها زكريا) الفعل لله تعالى بمعنى وضمنها الله الى زكريا وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها والكافل هو الذى ينفق على انسان ويهتم باصلاح مصالحه وفى الحديث انا وكافل اليتيم كهاتين وهو زكريا بن اذن بن مسلم بن صدون من اولاد سليمان عليه السلام ابن داود عليه السلام (روى) ان حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة اى خذوها فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم

قال لهم زكريا انا احق بها عندى خالتها فقالوا لا حتى تقرع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر قيل هو
نهر الاردن فالقوا فيه اقلامهم التى كانوا يكتبون بها الوحى على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلاث
مرات ففى كل مرة يرتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها قال الشيخ فى تفسيره وهو معنى قوله فتقبلها
ربها الآية (كلما) اى كل وقت (دخل عليها) اى على مريم (زكريا) فاعل دخل (المحراب) اى فى المحراب
قيل بنى لها محرابا فى المسجد اى غرفة تصعد اليها بسلم او المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها
وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس او كانت مساجدهم تسمى المحاريب (روى) انها لا يدخل عليها
الا هو وحده فاذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكلما دخل (وجد عندها رزقا) اى نوعا منه غير معتاد اذ
كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها فى الصيف فاكهة الشتاء وفى الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط
(قال) كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال (يا مريم أنى لك هذا)
اى من اين يجيئ لك هذا الذى لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل
للداخل به اليك (قالت) مريم وهى صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب قيل تكلمت وهى صغيرة
كما تكلم عيسى وهو فى المهد (هو من عند الله) فلا تعجب ولا تستبعد (ان الله يرزق من يشاء) ان يرزقه
(بغير حساب) اى بغير تقدير لكثرته او بلا محاسبة او من حيث لا يحتسب وهو تعليل لكونه من عند الله
اما من تمام كلامها فيكون فى محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف وفى الآية دليل على جواز
الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتأسيسا لرسالته عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه جاع فى زمن قحط فاهدت له فاطمة رضى الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمى
يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه
وسلم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى
جعلك شبيهة بسيدة بنى اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والحسنين رضى الله عنهم وجميع اهل
بيته عليه فاكلوا وشبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت فاطمة رضى الله عنها على جيرانها وقد ظهر على السلف
رضى الله عنهم من الصحابة والتابعين ثم على من بعدهم من الكرامات قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه
اكبر الكرامات ان تبدل خلقا مذموما من اخلاقك قال الشيخ ابو العباس رحمه الله ليس الشأن من تطوى له
الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلدان انما الشأن من تطوى عنه اوصاف نفسه وقيل لابى يزيد ان فلانا
يمشى على الماء قال الحوت اعجب منه اذ هو شأنه فقيل له ان فلانا يمشى فى الهواء قال الطير اعجب من ذلك اذ هو
حاله قيل له كان فلان يمشى الى مكة ويرجع من يومه قال ابليس اعجب من ذلك اذ هو حاله تطوى له الارض كلها
فى لحظة وهو فى لعنة الله فالطى الحقيقى ان تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة اقرب اليك منك
لان الارض تطوى لك فاذا انت حيث شئت من البلاد لان هذا ربما جر الى الاغترار وذلك يؤدى للتعلق بالواحد
القهار (وحكى) عن ابى عنوان الواسطى قال انكسرت السفينة وبقيت انا وامرأتى اياما على لوح وقد ولدت
فى تلك الحالة صبية فصاحت بى فقالت يقتلنى العطش فرفعت رأسى فاذا رجل فى الهواء جالس وفى يده
سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت احمر وقال هاك اشربا قال فأخذت الكوز وشربنا منه فاذا
هو اطيب من المسك واحلى من العسل فقلت من أنت يرحمك الله قال انا عبد لمولاك فقلت بم وصلت الى هذا
فقال تركت هواى لمرضاته فاجلسنى فى الهواء ثم غاب عنى فلم اره وحج سفيان الثورى مع شيبان الراعى رضى
الله عنهما فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبان اما ترى هذا السبع فقال لا تخف واخذ شيبان اذنيه فعركهما
فتبصبص وحرك ذنبه فقال سفيان ما هذه الشهرة فقال لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادى الا على ظهره حتى
آتى مكة * تو هم كردن از حكم داور مپيچ * كه كردن نه پيچد ز حكم تو هيچ * محالست چون دوست
داردترا * كه در دست دشمن كذارد ترا (هنالك) اى حيث كان قاعدا عند مريم فى المحراب ولما رأى
زكريا عليه السلام حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب فى ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة
فى النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك (دعا زكريا ربه قال رب هب لى من
لدنك) اى اعطنى من محض قدرتك من غير وسط معتاد (ذرية طيبة) اى ولدا صالحا مباركا تقيا رضيا مرضيا

والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد والطيب هو الذى تستطاب افعاله واخلاقه فلا يكون فيه امر يستخبث ويعاب (انك سميع الدعاء) اى مجيبه كما فى قولهم سمع الله لمن حمده وهذا لأن من لم يجب فكأنه لم يسمع فان قيل ان زكريا كان عالما ان فى قدرة الله ذلك قبل رؤية حال مريم فهلا سأل قبل ذلك قلنا قد يزداد الانسان رغبة فى الشئ اذا عاينه وان كان عالما به قبله (فنادته الملائكة) اى جبرائيل وحكم الواحد من الجنس قد ينسب الى الجنس نفسه نحو فلان يركب الخيل وانما يركب واحدا من افرادها ولما كان جبرائيل رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له (وهو) حال من مفعول النداء اى والحال ان زكريا عليه السلام (قائم يصلى فى المحراب) اى فى المسجد او فى غرفة مريم (ان الله) مفعول ثان لنادته اى بان الله تعالى (يبشرك بيحيى) اى بولد اسمه يحيى لانه حيى به رحم امه ولانه تحيى به المجالس من وعظه والتقدير بولادة ولد اسمه يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان (مصدقا بكلمة من الله) اى بعيسى عليه السلام وانما سمى كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التى هى عالم الامر وهو اول من آمن بعيسى وصدق بانه كلمة الله وروح منه ويسمى روحا ايضا لانه تعالى احيى به من الضلالة كما يحيى الانسان بالروح (قال السدى) لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا الخ وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر ثم قتل يحيى قبل ان رفع عيسى الى السماء (وسيدا) عطف على مصدقا اى رئيسا يسود قومه ويفوقهم فى الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيالها ما اسناها (وحصورا) اى مبالغا فى حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة (روى) انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت والحصور الممتنع من النساء مع القدرة عليهن وقد تزوج مع ذلك ليكون اغض لبصره (ونبيا) اى يوحى اليه اذ ابلغ هو مبلغه (من الصالحين) اى ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام والصلاح صفة تنتظم الخير كله والمراد به هنا ما فوق الصلاح الذى لا بد منه فى منصب النبوة البتة من اقاصى مراتبه (قال) عند نداء الملائكة اياه وبشارتهم له بالولد بالاستفهام متعجبا من حيث العادة ومسرورا بالولد (رب انى يكون لى) اى كيف يحصل لى (غلام) وفيه دلالة على انه اخبر بكونه غلاما عند التبشير (وقد بلغنى الكبر) اى ادركنى كبر السن واثر فى وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (وامرأتى عاقر) اى ذات عقر وعقيم لا تلد (قال) اى الله (كذلك) اشارة الى مصدر يفعل فى قوله تعالى (الله يفعل ما يشاء) اى ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف فى محل النصب على انها فى الاصل نعت لمصدر محذوف اى الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر (قال رب اجعل لى آية) اى علامة تدل اى تحقق المسئول او وقوع الحبل وانما سألها لان العلوق امر خفى لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة منه حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا (قال آيتك) اى علامة حدوث الولد (ان لا تكلم الناس) اى ان لا تقدر على تكليمهم (ثلاثة ايام) اى متوالية مع لياليها فان ذكر الليالى او الايام يقتضى دخول الاخرى فيها لغة وعرفا وانما جعلت آيته ذلك لتخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة (الا رمزا) اى اشارة بيد او رأس او نحوهما وسمى الرمز كلاما لانه يؤدى ما يؤدى الكلام ويفهم منه ما يفهم من الكلام فلهذا جاز الاستثناء المتصل منه ثم امره تعالى بذكره لعدم منعه عن ذكر الله فقال (واذكر ربك) اى فى ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام (كثيرا) اى ذكرا كثيرا (وسبح بالعشى) اى سبحه تعالى اى من الزوال الى الغروب (والابكار) من طلوع الفجر الى الضحى قال الامام فى قوله تعالى واذكر ربك كثيرا فيه قولان احدهما انه تعالى امر بحبس لسانه عن امور الدنيا الا رمزا فاما فى الذكر والتسبيح فقد كان لسانه جيدا وكان ذلك من المعجزات الباهرة والقول الثانى ان المراد منه الذكر بالقلب وذلك لان المستغرقين فى بحار معرفة الله تعالى عادتهم فى اول الامر ان يواظبوا على الذكر اللسانى مدة فاذا امتلأ القلب من نور ذكر الله سكتوا باللسان وبقى الذكر بالقلب ولذلك قالوا من عرف الله كل لسانه فكان زكريا عليه السلام امر بالسكوت باللسان وبالاستحضار معانى الذكر والمعرفة واستدامتهما انتهى واعلم ان الذكر على مراتب والذكر

اللسانى بالنسبة الى الذكر القلبى تنزل (روى) ان عيسى عليه السلام حين ترقى الى اعلى مراتب الذكر جاءه ابليس فقال ياعيسى اذكر الله فتعجب عيسى من امره بالذكر مع ان جبلته على المنع منه ثم ظهر انه اراد ان يغويه وينزله من مرتبة الذكر القلبى الى مرتبة الذكر اللسانى وذلك كان تنزلا بالنسبة الى مقامه عليه السلام فعلى العاقل ان يداوم على الاذكار آناء الليل واطراف النهار فان الذكر يدفع هوى النفس فاذا طرد ذلك من الباطن فلا سبيل للشيطان ايضا فى الظاهر فتغلق ابواب المنهيات بالكليات ويتصفى القلب ولا يتكدر بيابى يفشان از اينه كرد * كه صيقل نكيرد چو زنكار خورد * قال القشيرى فذكر اللسان به يصل العبد الى استدامة ذكر القلب والتأثير للذكر فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه مامن يوم الاوالجليل سبحانه ينادى عبدى ماانصفتنى اذكرك وتنسانى وادعوك الى وتذهب الى غيرى واذهب عنك البلايا وانت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ماتقول غدا اذا جئتنى * وقال الحسن افتقدوا الحلاوة فى ثلاثة اشياء فى الصلاة والذكر والقرآءة فان وجدتم والافاعلموا ان الباب مغلق * قيل اذا تمكن الذكر من القلب فان دنا منه الشيطان صرخ كما يصرخ الانسان اذا دنا منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقول قد مسه الانس * قال بعضهم وصف لى ذاكر فى اجمة فأتيته فبينما هو جالس اذا سبع عظيم ضربه ضربة واستلب منه قطعة فغشى عليه وعلى فلما افقت قلت ماهذا فقال قيض الله هذا السبع لى فكلما داخلتنى فترة عضنى كما رأيت اوصلنا الله واياكم الى مرتبة اليقين وشرفنا بمقام التمكين واذاقنا حلاوة الذكر فى كل حين وادخلنا الجنة المعنوية مع عباده الصالحين اجمعين (واذ قالت الملائكة) اى اذكر وقت قول الملائكة وهو جبريل بدلالة قوله تعالى فى سورة مريم فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا اى سوى الخلق لتستأنس به وانما جمع تعظيما له لانه كان رئيس الملائكة (يا مريم) وكلام جبريل معها لم يكن وحيا اليها فان الله تعالى يقول وما ارسلنا من قبلك الارجالا نوحى اليهم ولا نبوة فى النساء بالاجماع فكلمها شفاها كرامة لها وكرامات الاولياء حق اوارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام وهو من الرهص بالكسر وهو الصف الاسفل من الجدار وفى الاصطلاح ان يتقدم على دعوى النبوة مايشبه المعجزة كاظلال الغمام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم الحجر والمدر والرمى بالشهب وقصة الفيل وغير ذلك (ان الله اصطفاك) اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى وربالك فى حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية (وطهرك) من الكفر والمعصية ومن الافعال الذميمة والعادات القبيحة ومن مسيس الرجال ومن الحيض والنفاس قالوا كانت مريم لاتحيض ومن تهمة اليهود وكذبهم بانطاق الطفل (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء وجعلكما آية للعالمين (يا مريم اقنتى لربك) اى قومى فى الصلاة وأطيلى القيام فيها له تعالى (واسجدى واركعى مع الراكعين) امرت بالصلاة بالجماعة بذكر اركانها القنوت وهو طول القيام والسجود والركوع مبالغة فى ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب فى شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلاة وأقصى مراتب الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى كذلك بل اللائق به الترقى من الادنى الى الاعلى واما لبقترن اركعى بالراكعين للاشعار بأن من لاركوع فى صلاتهم ليسوا مصلين قيل لما امرت بذلك قامت فى الصلاة حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا (ذلك) اى ماذكرنا فى القصص من حديث حنة ومريم وعيسى وزكريا ويحيى (من انباء الغيب) اى من اخبار الغيب التى لا يوقف عليها الا بمشاهدة اوقرآءة كتاب اوتعلم من عالم اوبوحى من عند الله تعالى وانعدمت الثلاثة الاول فتعينت الرابعة وهو الوحى (نوحيه اليك) اى تنزله عليك دلالة على صحة نبوتك والزاما على من يحاجونك من الكفار والوحى فى القرآن لمعان للارسال الى الانبياء قال تعالى نوحى اليهم وللالهام قال تعالى واوحينا الى ام موسى وللالقاء المعنى المراد قال تعالى بأن ربك اوحى لها وللاشارة قال تعالى فأوحى اليهم ان سبحوه بكرة وعشيا واصل ذلك كله الاعلام فى خفاء (وما كنت لديهم) اى عند الذين اختلفوا وتنازعوا فى تربية مريم وهو تقرير لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه اى انهم عالمون لايشكون انك لم تقرأ كتابا ولم تصحب من علم تلك الانباء حتى تسمع منهم فلم يبق الا المشاهدة وهى منتفية بالضرورة فكانهم

ادعوا هذا المحال لكونه يلزم من انكارهم الوحى اى ان لم يكن بالوحى كما زعموا فلا بد من دعوى المشاهدة ولم تمكن قال ابن الشيخ فى حواشيه كأنه قيل أيها المنكرون لأن اوحى اليه والمتهمون فى دعوى نبوته ليس لكم فى سبب الاتهام سوى احتمال المشاهدة والعيان وانه غاية السفاهة ونهاية الخذلان ومن اضل ممن عدل عن الاحتمال الثابت بالمعجزات الساطعة والبراهين القاطعة الى احتمال لايذهب اليه وهم أحد واى حالة ادعى الى الضحك والاستهزاء والسخرية من حال هؤلاء انتهى (اذ يلقون اقلامهم) التى كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها (ايهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ينظرون اوليعلموا ايهم يكفلها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) اى فى شأنها تنافسا فى كفالتها وقد ذكر فيما سبق وفى الآية دلالة على فضيلة مريم حيث اصطفاها الله على نساء العالمين فان جميع ماذكر من التربية الجسمانية اللائقة بحال صغرها والتربية الروحانية المتعلقة بحال كبرها لم يتفق لغيرها من الاناث وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية حديث حسن يوافق الآية فى الدلالة على ان مريم افضل من جميع نساء العالمين وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون وهو يدل على ان هؤلاء الاربع افضل من سائر النساء واعلم ان اهل الكمال من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير هذه الاربع ومعنى الكمال التناهى فى الفضائل والبر والتقوى وحسن الخصائل والكمال فى شئ مايكون حصوله للكامل اولى من غيره والنبوة ليست اولى للنساء لان مبناها على الظهور والدعوة وحالهن الاستتار ولا تكون النبوة فى حقهن كمالا بل الكمال فى حقهن الصديقية وهى قريب من النبوة والصديق من صدق فى جميع اقواله وافعاله واحواله فمن النساء كاملات عارفات واصلات الى مقام الرجال فهن رجال فى المعنى وسئل بعضهم عن الابدال فقال اربعون نفسا فقيل له لم لاتقول اربعون رجلا فقال لأن فيهم النساء قال بعضهم

ولو كان النساء كمن ذكرنا * لفضلت النساء على الرجال

فلا التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

ويناسب هذا ماحكى أن أم محمد والدة الشيخ ابى عبد الله ابن الخفيف رحمهما الله تعالى كانت من العابدات القانتات وكان ابنها ابو عبد الله يحيى العشر الاخيرة من رمضان ليدرك ليلة القدر ومن دأبه الملازمة الى الصلاة فوق البيت وكانت والدته متوجهة الى الله فى البيت فليلة ان اخذت تظهر انوار ليلة القدر نادت ابنها ان يامحمد ان الذى تطلبه هو عندنا فتعال فنزل الشيخ فرأى الانوار فخر على قدم امه وكان يقول علمت قدر والدتى منذ شاهدت فهذه هى حال والدته فانظر كيف ارشدت ابنها وكيف تفوقت عليه فى الفضل والشرف مع كثرة رياضته واجتهاده ايضا فظهر أن من النساء من هى افضل من الرجال وذلك بالوصول الى جناب القدس وليس ذلك الا بحسن الاستعداد والهداية الخاصة من الله تعالى اسعدنا الله واياكم ونعوذ بالله من نساء زماننا حيث لايرى فيهن من هى من اهل التقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صنفان من اهل النار لم ارهما) يعنى فى عصره عليه السلام لطهارة ذلك العصر بل حدثا بعده (قوم معهم سياط) يعنى احدهما قوم فى ايديهم سياط جمع سوط (كأذناب البقر يضربون بها الناس) وهم الذين يضربون بها السارقين عراة او الطوافون على ابواب الظلمة كالكلاب يطردون الناس عنها بالضرب والسباب (ونساء) يعنى ثانيهما نساء (كاسيات) فى الحقيقة (عاريات) فى المعنى من لباس التقوى (مميلات) اى قلوب الرجال الى الفساد (مائلات) اى الى الرجال (رؤسهن كاسنمة البخت) يعنى يعظمن رؤسهن بالخمر والقلنسوة حتى تشبه اسنمة البخت (المائلة) من الميل لان اعلى السنام يميل لكثرة شحمه (لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) اى يوجد من مسيرة اربعين عاما (اذ قالت الملائكة) بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه والمراد بالملائكة جبريل وجمع تعظيما له وقد مر (يامريم ان الله يبشرك) اى يفرحك (بكلمة) كائنة (منه) عزوجل واطلق على عيسى لفظ الكلمة بطريق اطلاق السبب على المسبب لان سبب ظهوره وحدوثه هو الكلمة الصادرة منه تعالى وهى كن وحدوث كل مخلوق وان كان بسبب هذه الكلمة لكن السبب المتعارف للحدوث لما كان مفقودا فى حق عيسى عليه السلام كان اسناد حدوثه الى الكلمة اتم واكمل فجعل عليه السلام بهذا الاعتبار كأنه نفس الكلمة (اسمه)

اى اسم المسمى بالكلمة فالكلمة عبارة عن مذكر (المسيح) لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك (عيسى) بدل من المسيح معرب من ايشوع (ابن مريم) صفة لعيسى وتوجه الخطاب الى مريم يقتضى ان يقال عيسى ابنك الا انه قيل عيسى بن مريم تنبيها على ان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فأعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها و يتميز من غيره فكأنه قيل الذى يعرف به و يتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وفى التيسير اللقب اذا عرف صار كالاسم (وجيها) حال من الكلمة وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف (فى الدنيا) بالنبوة والتقدم على الناس (والآخرة) بالشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة (ومن المقربين) اى عند ربه بارتفاعه الى السماء وصحبة الملائكة فيها (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء عليهم السلام من غير تفاوت يعنى ان تكلمه فى حالة الطفولية والكهولة على حد واحد وصفة واحدة من غير تفاوت بأن يكون كلامه فى حال الطفولية مثل كلام الانبياء والحكماء لاشك انه من اعظم المعجزات قال مجاهد قالت مريم اذا خلوت انا وعيسى حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان يسبح فى بطنى وانا اسمع وتكلمه معهم دليل على حدوثه لحدوث الاصوات والحروف (روى) انه لما بلغ عمره ثلاثين سنة ارسله الله الى بنى اسرائيل فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفع الى السماء اوجاءه الوحى على رأس ثلاثين سنة فمكث فى نبوته ثلاث سنين واشهرا ثم رفع * والكهل من تجاوز الثلاثين الى الاربعين وقارب الشيب من اكتهل النبت قارب اليبس فعلى هذا صح ان يقال انه بلغ سن الكهولة وكلم الناس فيه ثم رفع واما على قول من يقول ان اول سن الكهولة اربعون سنة فلابد أن يقال انه رفع شابا ولا يكلم الناس كهلا الا بعد أن ينزل من السماء فى آخر الزمان فانه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال (ومن الصالحين) هذه الاربعة احوال مقدرة من كلمة والمعنى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وذكر قوله ومن الصالحين بعد ذكر الاوصاف المتقدمة دليل على أنه لا رتبة اعظم من كون المرء صالحا لانه لا يكون المرء كذلك الا بأن يكون فى جميع الافعال والتروك مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل ومعلوم ان ذلك يتناول جميع المقامات فى الدين والدنيا فى افعال القلوب وفى افعال الجوارح (قالت) مريم متضرعة الى ربها (رب انى يكون) اى كيف يكون اومن اين يكون (لى ولد) على وجه الاستبعاد العادى والتعجب من استعظام قدرة الله فان البشرية تقتضى التعجب مما وقع على خلاف العاده اذ لم تجر عادة بأن يولد ولد بلا اب (ولم يمسسنى بشر) آدمى وسمى بشرا لظهوره وهو كناية عن الجماع اى والحال انى على حالة منافية للولد (قال) اى الله عزوجل اوجبريل عليه السلام (كذلك) اشارة الى مصدر يخلق فى قوله عزوجل (الله يخلق مايشاء) ان يخلقه اى الله يخلق مايشاء ان يخلقه خلقا مثل ذلك الخلق العجيب والاحداث البديع الذى هو خلق الولد من غير أب فالكاف فى محل النصب على انها فى الاصل نعت لمصدر محذوف (اذا قضى امرا) اى اراد شيأ واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشئ لايجابها اياه البتة (فانما يقول له كن فيكون) من غير ريث وهو تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تأتى المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما علم فيها من اطاعة المأمور المطيع للآمر القوى المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شئ من الاسباب والمواد قال ابن عباس رضى الله عنه ان مريم رضى الله عنها كانت فى غرفة قد ضربت دونها سترا اذا هى برجل عليه ثياب بيض وهو جبريل تمثل لها بشرا سويا اى تام الخلق فلما رأته قالت اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ثم نفخ فى جيب درعها حتى وصلت النفخة الى الرحم فاشتملت قال وهب وكان معها ذو قرابة يقال له يوسف النجار وكان يوسف هذا يستعظم ذلك فاذا اراد أن يتهمها ذكر صلاحها واذا اراد أن يبرئها رأى ماظهر عليها فكان اول ما كلمها ان قال لها قد دخل فى صدرى شئ اردت كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت الكلام اشفى لصدرى قالت قل قال حدثينى هل ينبت الزرع من غير بذر قالت نعم قال فهل ينبت شجر من غير اصل قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر يومئذ انما صار من الزرع الذى انبت

الله من غير بذر ألم تعلم ان الله خلق آدم وحوّاء من غير انثى ولا ذكر فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه ان الذى بها شئ اكرمها الله به (روى) ان عيسى عليه السلام حفظ التوراة وهو فى بطن امه وكانت مريم تسمع عيسى وهو يدرس فى بطنها ثم لما اشرف عالم الشهود اعطاه الله الزهادة فى الدنيا فانه كان يلبس الشعر ويتوسد الحجر ويستنير القمر وكان له قدح يشرب فيه الماء ويتوضأ فيه فرأى رجلا يشرب بيده فقال لنفسه يا عيسى هذا ازهد منك فرمى القدح وكسره واستظل يوما فى ظل خيمة عجوز فكان قد لحقه حر شديد فخرجت العجوز فطردته فقام وهو يضحك فقال يا امة الله ما انت اقمتنى وانما اقامنى الذى لم يجعل لى نعيما فى الدنيا ولما رفع الى السماء وجد عنده ابرة كان يرقع بها ثوبه فاقتضت الحكمة الالهية نزوله فى السماء الرابعة وفيه اشارة الى ان السالك لابد وان ينقطع عن كل ماسوى الله ويتجرد عن العوائق حتى يسير مع الملأ الاعلى ويطير الى مقام قاب قوسين او ادنى (وروى) ان موسى عليه السلام ناجى ربه فقال اللهم ارنى وليا من اوليائك فأوحى الله تعالى اليه ان اصعد الى جبل كذا وادخل زاوية كذا فى كهف كذا حتى ترى وليى ففعل فرأى فيه رجلا ميتا توسد بلبنة وفوق عورته خرقة وليس فيه شئ غيره فقال اللهم سألتك ان ترينى وليك فأريتنى هذا فقال هذا هو وليى فوعزتى وجلالى لاادخله الجنة حتى احاسبه باللبنة والخرقة من اين وجدهما فحال اولياء الله الافتخار بالفقر وترك الدنيا والصبر على ماقدره الله

صبرباشد مشتهاى زيركان * هست حلوا آرزوى كودكان * هركه صبر آورد كردون بررود * هركه حلوا خورد واپس تررود *

فالقوة الروحانية التى بها يصير الانسان كالملائكة انما تحصل بالصبر عن المشتهيات فانظر الى حال عيسى عليه السلام يكفك فى هذا اعتبارا ومن الله التوفيق الى الاعراض عن حطام الدنيا وقطع التعلق من الدارين قطعا (ويعلمه) كلام مستأنف اى ويعلم الله عيسى (الكتاب) اى الكتابة والخط بالقلم بالالهام والوحى وكان احسن الناس خطا فى زمانه (والحكمة) اى العلوم العقلية والشرعية وتهذيب الاخلاق لان كمال الانسان فى ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ومجموعهما هو المسمى بالحكمة (والتوراة والانجيل) فيحفظهما عن ظهر القلب وهذا الكلام اعنى يعلمه الخ سيق تطييبا لقلب مريم وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج (و) يجعله (رسولا الى بنى اسرائيل) اى يكلمهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين وكان اول انبياء بنى اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام (انى قد جئتكم) معمول لرسول لما فيه من معنى النطق اى رسولا ناطقا بأنى قد جئتكم ملتبسا (بآية) عظيمة كائنة (من ربكم) وهى ماذكر بعده من خلق الطير وغيره (انى اخلق) بدل من أنى قد جئتكم اى اقدر واشكل لانه قد ثبت ان العبد لايكون خالقا بمعنى التكوين والابداع فوجب ان يكون بمعنى التقدير والتسوية (لكم) اى لاجلكم بمعنى التحصيل لايمانكم ورفع تكذيبكم اياى (من الطين) شيأ (كهيئة الطير) اى مثل صورة الطير (فانفخ فيه) الضمير للكاف اى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) حيا طيارا كسائر الطيور (باذن الله) بامره تعالى اشار بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لامنه لان الله هو الذى خلق الموت والحياة فهو يخلق الحياة فى ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات (روى) ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فأخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اعجب من سائر الخلق ومن عجائبه انه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الحيوان من الطيور ويكون له الضرع ويخرج منه اللبن ولا يبصر فى ضوء النهار ولا فى ظلمة الليل وانما يرى فى ساعتين ساعة بعد غروب الشمس وساعة بعد طلوع الفجر قبل ان يسفر جدا ويضحك كما يضحك الانسان وله اسنان ويحيض كما تحيض المرأة ولما دل القرآن على ان عيسى عليه السلام انما تولد من نفخ جبريل فى مريم وجبريل روح محض وروحانى محض فلا جرم كانت نفخة عيسى سببا للحياة والروح (وابرئ) اى اشفى واصحح (الاكمه) اى الذى ولد أعمى قال الزمخشرى لم يوجد فى هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب التفسير (والابرص) وهو الذى به برص اى بياض فى الجلد يتطير به واذا استحكم فلا برء له ولا يزول بالعلاج ولم تكن العرب تنفر من شئ نفرتها منه وانما خصهما بالذكر للشفاء لانهما مما اعيى الاطباء فى تداويهما وكانوا فى غاية

الحذاقة فى زمن عيسى عليه السلام وسألوا الاطباء عنهما فقال جالينوس واصحابه اذا ولد اعمى لا يبرأ بالعلاج وكذا الابرص اذا كان بحال لو غرزت الابرة فيه لا يخرج منه الدم لا يقبل العلاج فرجعوا الى عيسى وجاؤا بالاكمه والابرص فمسح يده بعد الدعاء عليهما فأبصر الاعمى وبرئ الابرص فآمن به البعض وجحد البعض وقالوا هذا سحر (روى) انه ابرأ فى يوم واحد خمسين ألفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وكان يداويهم بالدعاء وحده على شرط الايمان ثم قال عيسى عليه السلام (واحيي الموتى بأذن الله) فسألوا جالينوس عنه فقال الميت لا يحيي بالعلاج فان كان هو يحيي الموتى فهو نبي وليس بطبيب فطلبوا ان يحيي الموتى فأحيي اربعة انفس احيي العازر وكان صديقا له فأرسل اخته الى عيسى ان اخاك العازر يموت فأتته فكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة ايام فأتاه هو واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو فى صخرة مطبقة فقال عيسى عليه السلام اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك ارسلتنى الى بنى اسرائيل ادعوهم الى دينك واخبرهم انى احيي الموتى فأحى العازر فقام العازر وودكه يقطر فخرج من قبره وبقى وولد له وأحيي ابن عجوز مر به ميتا على عيسى على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقى وولد له واحيي ابنة العاشر الذى يأخذ العشور قيل له أحيها وقد ماتت امس فدعا الله تعالى فعاشت وبقيت وولد لها فقالوا يحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فأحى لنا سام بن نوح فقال عيسى دلونى على قبره فخرج والقوم معه حتى انتهى الى قبره فدعا الله تعالى بالاسم الاعظم فخرج من قبره وقد شاب رأسه فقال عيسى كيف شاب رأسك ولم يكن فى زمانك شيب قال ياروح الله لما دعوتنى سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان القيامة قد قامت فمن هول ذلك شاب رأسى فسأله عن النزع فقال ياروح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتى وقد كان من وقت موته اكثر من اربعة آلاف سنة فقال للقوم صدقوه فانه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون ثم قال له مت قال بشرط ان يعيذنى الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل ثم طلبوا آية اخرى دالة على صدقه فقال (وأنبئكم بما تأكلون) من انواع المآكل (وما تدخرون) اى وما تخبأون للغد (فى بيوتكم) فكان يخبر الرجل بما اكل قبل وبما يأكل بعد ويخبر الصبيان وهو فى المكتب بما يصنع اهلهم وبما يأكلون ويخبأون لهم وكان الصبي ينطلق الى اهله ويبكى عليهم حتى يعطوه ما خبأوا له ثم قالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع هذا الساحر وجمعوهم فى بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا فى هذا البيت فقال فمن فى هذا البيت قالوا خنازير فقال عليه السلام كذلك يكونون فاذا هم خنازير (ان فى ذلك) اى ماذكر من الخوارق والامور العظام (لآية) عظيمة (لكم) دالة على صحة رسالتى دلالة واضحة (ان كنتم مؤمنين) انتفعتم بها (ومصدقا) اى قد جئتكم ملتبسا بآية الخ ومصدقا (لما بين يدى) اى لما تقدمنى (من التوراة) اى موافقا على ما كان قبلى (و) جئتكم (لاحل لكم) لأن ارخص لكم (بعض الذى حرم عليكم) اى فى شريعة موسى عليه السلام من لحوم السمك ولحوم الابل والشحوم والثروب جمع ثرب وهو شحم رقيق يتصل بالامعاء ولحم كل ذى ظفر فأحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا أصطبة له وهى شوكة الحائك التى بها يسوى السدا واللحمة (وجئتكم) ملتبسا (بآية من ربكم) ببرهان بين شاهد على صحة رسالتى (فاتقوا الله) فى عدم قبولها ومخالفة مدلولها (واطيعون) فيما آمركم به وأنهاكم عنه بأمر الله تعالى وتلك الآية هى قوله (ان الله ربى وربكم فاعبدوه) ولا تعصوه بالشرك (هذا) اى الايمان بالله ورسوله والطاعة (صراط مستقيم) طريق سوى يؤدى صاحبه الى الجنة وهو الحق الصريح الذى اجمع عليه الرسل قاطبة فتكون آية بينة على انه عليه السلام من جملتهم فقوله ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العلمية فانه يلازم الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بأن بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم قل آمنت ثم استقم فالعلم والعمل من مبادى الاستقامة فعليك بالتمسك بالحجة القوية وسئل الجنيد كيف السبيل الى الانقطاع الى الله فقال بتوبة تزيل الاصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وذكر الله تعالى على اختلاف الاوقات واهانة النفس بقربها من الاجل وبعدها من الامل قيل له فبماذا يصل العبد

الى هذا فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد وقال الحسن البصرى رضى الله عنه ماطلب رجل هذا الخير يعنى الجنة الا اجتهد ونحل وذبل واستمر واستقام حتى يلقى الله تعالى اماترى الى قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واعلم ان الاستقامة لايطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل قيل ولا يصح رفع الهمة عن الحظوظ جملة لان ذلك مكابرة مع الربوبية وانما المراد أن لايطلب بالعمل فعلامة العبد الاديب ان يستمر على الطاعة فى باب مولاه ولا ينظر الى شئ سواه لاالى الجنة ولا الى النار فاذا جرد عمله وتوحيده عن الاغراض فقد استقام واتخذ الصراط المستقيم مذهبا والارشاد الى هذا الطريق انما يفيد لمن كان له استعداد ازلى وقابلية اصلية فبالتربية يصير العبد قابل انوار الصفات الالهية ويخرج من الظلمات البشرية فعليك بخدمة الكاملين والاستقامة فى طريق اليقين * زخود بهترى جوى وفرصت شمار * كه باچون خودى كم كنى روزكار * وفى الاتباع شرف عظيم قال تعالى مخاطبا لحبيبه عليه السلام فبهداهم اقتده وطاعة الرسول واتباعه من لوازم تقوى الله تعالى ألاترى الى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام فاتقوا الله واطيعون فاذا داوم العبد الاتباع يصل الى الاستقامة فانها ليست مما يحصل فى اول الامر (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره العزيز) سالها بايدكه اندر آفتاب * لعل يابد رنك ورخشانى وتاب * (فلما) الفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ماقالته الملائكة وخروجه من القوة الى الفعل كأنه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت (احس عيسى) احس استعارة للعلم اليقينى الذى لاشبهة فيه كالاحساس وهو وجدان الشئ بالحاسة كأنه قيل فلما علم (منهم الكفر) علما لاشبهة فيه كمايدرك بالحواس من الضروريات منهم الكفر اى من بنى اسرآئيل واراد واقتله وانهم لايزدادون على رؤية الآيات الا الاصرار على الجحود (قال) لخلص اصحابه مستنصرا على الكفار (من انصارى) الانصار جمع نصير (الى الله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اى من انصارى متوجها الى الله ملتجئا اليه ومن اعوانى على اقامة الدين (قال الحواريون) جمع حوارى يقال فلان حوارى فلان اى صفوته وخاصته وهم اثنا عشر بعضهم من الملوك وبعضهم من صيادى السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين فى محبته وطاعته (نحن انصار الله) اى انصار دينه ورسوله قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم والله ينصر من ينصر دينه ورسله (آمنا بالله) استئناف جارى مجرى العلة لماقبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدآئه (واشهد بانا مسلمون) مخلصون فى الايمان منقادون لماتريد من امر نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيامة يوم تشهد الرسل عليهم السلام لاممهم ايذانا بأن مرمى غرضهم السعادة الاخروية (ربنا آمنا بما انزلت) من الانجيل على عيسى وهو تضرع الى الله تعالى وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة فى اظهار أمرهم (واتبعنا الرسول) اى عيسى على دينه فى كل مايأتى ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع فى النصرة دخولا اوليا (فاكتبنا مع الشاهدين) اى مع الذين يشهدون بوحدانيتك اومع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم اومع امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهدآء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا وفيه اشارة الى ان كتاب الابرار انما يكون فى السموات مع الملائكة قال تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين فاذا كتبنا الله ذكرهم مع الشهداء المؤمنين كان ذكرهم مشهورا فى الملأ الاعلى وعند الملائكة المقربين (ومكروا) اى الذين علم عيسى كفرهم من اليهود بأن وكلوا به من يقتله غيلة وهو أن يخدعه فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله (ومكر الله) بأن رفع عيسى عليه السلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل (والله خير الماكرين) اقواهم مكرا وأنفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لايحتسب (روى) ان ملك بنى اسرآئيل لما قصد قتله عليه السلام امره ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة الى السماء وكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة حول العرش وكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا ثم قال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فألقى الله عز وجل شبهه عليه السلام عليه فخرج يخبرهم انه ليس

فى البيت

فى البيت فقتلوه وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فأين
صاحبنا وان كان صاحبنا فأين عيسى فوقع بينهم مقال عظيم ولما صلب المصلوب جاءت مريم ومعها امرأة
ابرأها الله من الجنون بدعاء عيسى وجعلتا تبكيان على المصلوب فأنزل الله عيسى عليه السلام فجاءهما فقال
على من تبكيان قالتا عليك فقال ان الله رفعنى ولم يصبنى الا خير وان هذا شئ شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام
قال الله لعيسى اهبط الى المجدلانية على موضع فى جبلها فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن احد حزنها
ثم استجمع الحواريين فبثهم اى فاجعلهم متفرقين فى الارض دعاة الى الله فأهبطه الله عليها فاشتعل الجبل
حين هبط نورا فجمعت له الحواريون فبثهم فى الارض دعاة ثم رفعه الله اليه وتلك الليلة هى الليلة التى تدخن فيها
النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله ومكروا ومكر
الله والله خير الماكرين والمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة والمكر من الله استدراج العبد واخذه
بغتة من حيث لا يعلم فيا ايها العبد خف من وجود احسان مولاك اليك ودوام اساءتك معه فى دوام لطفه
بك وعطفه عليك ان يكون ذلك استدراجا لك حتى تقف معها وتغتر بها فتفرح بما اوتيت فتؤخذ بغتة
قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال سهل رضى الله عنه فى معنى هذه الآية نمدهم بالنعم
وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابو العباس ابن عطاء يعنى كلما احدثوا
خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ومن جهل المريد بنفسه وبحق ربه ان يسئ
الادب باظهار دعوى او تورط فى بلوى فتؤخر العقوبة عنه امهالا له فيظنه اهمالا فيقول لو كان هذا سوء أدب
لقطع الامداد واوجب الابعاد اعتبارا بالظاهر من الامر من غير تعريج على ماوراء ذلك وماذا الا لفقد نور
بصيرته او ضعف نورها والا فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر حتى ربما ظن انه متوفر فى عين تقصير
ولو لم يكن من قطع المدد الا منع المزيد لكان قطعا لان من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان قال عليه السلام
من استوى يوماه فهو مغبون ولو لم يكن من الابعاد الا ان يخليك وماتريد فيصرفك عنه بمرادك هذا والعياذ
بالله مكر وخسران * وعن ابن حنبل انه كان يوصى بعض اصحابه فقال خف سطوة العدل وارج رقة الفضل
ولا تأمن من مكره تعالى ولو ادخلك الجنة ففى الجنة وقع لابيك آدم ماوقع وقد يقطع بأقوام فيها فيقال لهم كلوا
واشربوا هنيأ بما اسلفتم فى الايام الخالية فقطعهم بالاكل والشرب عنه واى مكر فوق هذا واى خسران اعظم
منه (اذ قال الله) اى اذكر وقت قول الله (يا عيسى انى متوفيك) اى مستوفى اجلك ومعناه انى عاصمك
من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم (ورافعك) الآن (الى)
اى الى محل كرامتى ومقر ملائكتى وجعل ذلك رفعا اليه للتعظيم ومثله قوله انى ذاهب الى ربى وانما ذهب ابراهيم
عليه السلام من العراق الى الشام وقد يسمى الحاج زوار الله والمجاورون جيران الله وكل ذلك للتفخيم فانه تعالى
يمتنع كونه فى المكان (ومطهرك) اى مبعدك ومنجيك (من الذين كفروا) اى من سوء جوارهم
وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم قيل سينزل عيسى عليه السلام من السماء على عهد الدجال حكما عدلا يكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية فيفيض المال حتى لا يقبله احد ويهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام
ويقتل الدجال ويتزوج بعد قتله امرأة من العرب وتلد منه ثم يموت هو بعد مايعيش اربعين سنة من نزوله فيصلى
عليه المسلمون لانه سأل ربه ان يجعله من هذه الامة فاستجاب الله دعاءه (وجاعل الذين اتبعوك) وهم
المسلمون لانهم متبعوه فى اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود
والنصارى (فوق الذين كفروا) وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام
فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة (الى يوم القيامة) غاية للجعل لا على معنى ان الجعل ينتهى حينئذ ويتخلص
الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى بهم مايريد (ثم الى
مرجعكم) اى رجوعكم بالبعث والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب
المخاطب على الغائب فى ضمن الالتفات فانه ابلغ فى التبشير والانذار (فاحكم بينكم) يومئذ اثر رجوعكم الى
(فيما كنتم فيه تختلفون) من امور الدين (فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) بالسيف والسبى واخذ
الجزية وايصال الامراض والمصائب فانها من العقوبات فى حق الكافر ومن المثوبات فى حق المؤمن لانها ابتلاء

محض له (والآخرة) بعذاب النار (ومالهم من ناصرين) يخلصونهم من عذاب الله فى الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اى ليس لواحد منهم ناصر واحد (واما الذين آمنوا) بما ارسلت به (وعملوا الصالحات) كما هو ديدن المؤمنين (فيوفيهم اجورهم) اى يعطيهم اجور اعمالهم كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدرى التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال (والله لا يحب الظالمين) اى يبغضهم ولا يرضى عنهم (ذلك) اشارة الى ما سلف من نبأ عيسى عليه السلام وغيره (نتلوه عليك) اى نقرأه عليك محمد واسند تلاوته الى نفسه مع ان التالى هو الملك المأمور بها على طريق اسناد الفعل الى السبب الآمر وفيه تعظيم بليغ وتشريف عظيم للملك وانما حسن ذلك لان تلاوة جبريل لما كانت بأمره تعالى من غير تفاوت اصلا اضيف ذلك اليه تعالى (من الآيات) حال من الضمير المنصوب اى من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ الكتاب او من يوحى اليه فظاهر انك لا تكتب ولا تقرأ فبقى ان ذلك من الوحى (والذكر) اى القرآن (الحكيم) اى المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والاشارة ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام يا عيسى انى متوفيك عن الصفات النفسانية والاوصاف الحيوانية ورافعك الى بجذبات العناية فمن لم يصر فانيا عما سوى الله لا يكون له وصول الى مقام معرفة الله فعيسى لما رفع الى السماء صارت له حالة كحال الملائكة فى زوال الشهوات والغضب والاخلاق الذميمة فعلى السالك ان ينهى نفسه عن الهوى ويتبع طريق الهدى ويعتبر بالآيات والذكر الحكيم كى يصل الى النعيم المقيم ويجتنب الظلم فان الله تعالى قال والله لا يحب الظالمين اى الذين يظلمون على انفسهم بانقضاء العمر فى طلب غير الله * خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا * فاهل الطريقة هم الذين يمحون نقش الغير عن صفحات القلب ويزكون نفوسهم عن الاوصاف المذمومة فانها مانعة من العروج الى سماء المعرفة وعلو الوصال (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) ان يكى نحوى بكشتى درنشست * رو بكشتيبان نهاد ان خود برست * كفت هيچ از نحو خواندى كفت لا * كفت نيم عمر تو شد در فنا * دل شكسته كشت كشتيبان زتاب * ليك آن دم كرد خامش از جواب * باد كشتى را بكردابى فكند * كفت كشتيبان بان نحوى بلند * هيچ دانى آشنا كردن بكو * كفت نى اى خوش جواب خوب رو * كفت كل عمرت اى نحوى فناست * زانكه كشتى غرق اين كردابهاست * محوى بايد نه نحو اينجا بدان كر تو محوى بيخطر در آب ران * آب دريا مرده را بر سر نهد * ور بود زنده زدريا كى رهد * چون بمردى تو زاوصاف بشر * بحر اسرارت نهد بر فرق سر * فقد ظهر ان الذين يطلبون غير الله هم غرقى فى بحر الهوى والشهوات لا يقدرون على التصعد الى الاعلى واما الذين تخلصوا من قشر الوجود ووصلوا بالفناء عن ذواتهم الى عالم الشهود فهم يطيرون بأجنحة انوار رحالهم مع الملائكة المقربين لتخلصهم من الاثقال الدنيوية والاشغال القالبية والبدنية قال تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اى بالتجرد عن الهيئات الجسمانية والتعلقات البدنية فانفذوا والتخرطوا فى سلك الارادة الملكوتية والنفوس الجبروتية وتصلوا الى الحضرة العلية لا تنفذون الا بسلطان اى بحجة بينة هى التوحيد والتجريد والتفريد بالعلم والعمل والفناء فى الله تعالى قال عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين والولادة نوعان اضطرارى بخلق الله تعالى ولا دخل فيه للكسب والاختيار وذلك ظاهر واختيارى يحصل بالكسب وهو الذى اشار اليه عيسى عليه السلام وفقنا الله واياكم لما يحب ويرضى ويداوى بدواء افضاله هذه النفوس المرضى انه بكل شئ قدير وبتيسيره يسهل كل امر عسير (ان مثل عيسى) اى شأنه البديع المنتظم لغرابته فى سلك الامثال (عند الله) اى فى تقديره وحكمه (كمثل آدم) اى كحاله العجيبة التى لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع (خلقه من تراب) تفسير للمثل لا محل له من الاعراب اى خلق قالب آدم من تراب فان قيل الضمير فى خلقه راجع الى آدم وحين كان ترابا لم يكن آدم موجودا قلنا لما كان ذلك الهيكل بحيث سيصير آدم عن قريب سماه آدم قبل ذلك تسمية لما سيقع بالواقع (ثم قال له كن) اى انشأ بشرا (فيكون) والمقتضى ان يقال فكان اى كان كما امره الله الا انه عدل الى المضارع حكاية للحال التى كان آدم عليها اى تصويرا لذلك الايجاد الكامل بصورة المشاهد الذى يقع الآن (روى) ان وفد نجران قدموا المدينة وهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم السيد وهو كبيرهم

واسمه اهيب والعاقب الذى بعده وهو صاحب رأيهم واسمه عبد المسيح والثالث ابو حارثة ابن علقمة الاسقف وكان فى شرف وخطر عظيم وكان ملك الروم بنى له الكنائس وكان يبعث له بالكرامات فأقبلوا حتى قدموا على النبى عليه السلام فى مسجد المدينة بعد العصر عليهم ثياب حسان ولهم وجوه جسام فقاموا وصلوا واستقبلوا قبلتهم واراد أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان يمنعوهم فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم وقد كان نزل على النبى عليه السلام قبل قدومهم صدر آل عمران لمحاجتهم ثم انتهى ابو حارثة هذا وآخر معه الى النبى عليه السلام فقال لهما صلى الله عليه وسلم اسلما فقالا اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم كذبتما يمنعكما عن الاسلام ثلاث عبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير وزعمكما ان لله ولدا قالوا يا محمد فلم تشتم صاحبنا عيسى قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير أب فحيث سلمت انه لا أب له من البشر وجب ان يكون هو الله فقال صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله تعالى فكذا حال عيسى عليه السلام فالوجود من غير أب وأم اخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع لشبهة الخصم اذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه (الحق) اى ما قصصنا عليك من نبأ عيسى وامه هو الحق كائنا (من ربك) لا قول النصارى انه ابن الله وقولهم ولدت مريم الها ونحو ذلك (فلا تكن من الممترين) اى من الشاكين فى ذلك الخطاب للنبى عليه السلام على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت لان النهى عن الشئ حقيقة يقتضى ان يتصور صدور المنهى عنه من المنهى ولا يتصور كونه عليه السلام شاكا فى صحة ما انزل عليه والمعنى دم على يقينك وعلى ما انت عليه من الاطمئنان على الحق والتنزه عن الشك فيه قال الامام ابو منصور رحمه الله العصمة لا تزيل المحنة ولا ترفع النهى (فمن حاجك) اى من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة (فيه) اى فى شأن عيسى عليه السلام وامه زعما منهم انه ليس على الشان المحكى (من بعد ما جاءك من العلم) اى ما يوجبه ايجابا قطعيا من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الضلال والغى (فقل) اى فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند وهو أن تدعوهم الى الملاعنة فقل لهم (تعالوا) التعالى فى الاصل التصاعد كأن الداعى فى علو والمدعو فى سفل فأمره ان يتعالى اليه ثم صار لكل مدعو أين كان اى هلموا بالرأى والعزيمة لا بالابدان لانهم مقبلون وحاضرون عنده بأجسادهم (ندع ابناءنا وابناءكم) اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة اخرى (ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) اى ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله وألصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها (ثم نبتهل) اى نتباهل بأن نلعن الكاذب ونقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف على نبتهل مبين لمعناه (روى) انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما خلا بعضهم ببعض قالوا العبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنه وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال اسقف نجران اى أعلمهم بأمور دينهم وهو أبو حارثة يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال فانى احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وكتب لهم كتابا بذلك وقال والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا (ان هذا) اى ما قص من نبأ عيسى عليه السلام وامه (لهو القصص الحق) دون ما عداه من اكاذيب النصارى (وما من اله) ما اله (الا الله)

صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيد الرد على النصارى فى تثليثهم (وان الله لهو العزيز الحكيم) القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه فى القدرة والحكمة ليشاركه فى الالوهية (فان تولوا) اى اعرضوا عن قبول التوحيد والحق الذى قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة (فان الله عليم بالمفسدين) اى فاقطع كلامك عنهم وفوض امرهم الى الله فان الله عليم بفساد المفسدين مطلع على ما فى قلوبهم من الاغراض الفاسدة قادر على مجازاتهم واعلم ان لمباهلة الانبياء تأثيرا عظيما سببه اتصال نفوسهم بروح القدس وتأييد الله اياهم به وهو المؤثر باذن الله فى العالم العنصرى فيكون انفعال العالم العنصرى منه كانفعال بدننا من روحنا بالهيئات الواردة عليها كالغضب والخوف والسرور والفكر فى احوال المعشوق وغير ذلك من تحريك الاعضاء عند حدوث الارادات والعزائم وانفعال النفوس الملكية تأثيرها فى العالم عند التوجه الاتصالى تأثير ما يتصل به فينفعل اجرام العناصر والنفوس الناقصة الانسانية فيه بما أراد الم تر كيف انفعلت نفوس النصارى من نفسه عليه السلام قبل المباهلة بالخوف وأحجمت عن المباهلة فطلبت الموادعة بالجزية كذا فى التأويلات القاشانية وكذا حال الولى اذا دعا على انسان يكون له تأثير بالمرض او الموت او غير ذلك من البلايا (روى) ان الشاعر البساطى رأى يوما الشيخ كمال الدين الخجندى فى مجلس الشعراء فقال * ازكجايى ازكجايى اى لوند * فقال الشيخ فى جوابه على الفور * ازخجندم ازخجندم ازخجند * ولكنه تأذى من سوء ادبه ومعاملته معه هكذا وحمله على سكره فقال الغالب ان هذا الشاب سكران فسمعه البساطى وقال بالبداهة سيه چشميست مردم كش خراب غمزة اويم * ازان درعين هشيارى چنين مستانه ميكويم (ثم قال) بطريق الهجو له اى ملحد خجندى ريش بزرك دارى * كزغايت بزركى ده ريش ميتوان كفت * فلما سمعه الشيخ تألم منه تألما شديدا فدعا عليه فى ذلك المجلس فمات من ساعته من تأثير نفسه الشريف فى حقه فليجانب العاقل اذية الصلحاء فان مكره يعود اليه دونهم قال تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله قيل ونعم ما قيل * ناى كند ناله بدين قول راست * ازنفس پير بترس اى جوان * فحفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم سبب للترقى الى المطالب العالية وباعث للاحترام والاكرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه قال المشايخ عقوق الاستاذين لا توبة منه (ويحكى) عن ابى الحسن الهمذانى قال كنت ليلة عند جعفر الخالدى وكنت امرت فى بيتى ان يعلق لى طير فى التنور وكان قلبى معه فقال لى جعفر أقم عندنا الليلة فتعللت بشيء ورجعت الى منزلى فأخرج الطير من التنور ووضع بين يدى فدخل كلب من الباب وحمل الطير عند تغافل الحاضرين واتى بالجوذاب الذى تحته فتعلق به ذيل الخادمة فانصب فلما اصبحت دخلت على جعفر فحين وقع بصره على قال من لم يحفظ قلوب المشايخ يسلط عليه كلب يؤذيه قال الشيخ ابو على الدقاق قدس سره لما نفى اهل بلخ محمد بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال اللهم امنعهم الصدق فلم يخرج من بلخ بعده صديق عصمنا الله واياكم من المخالفة امين (قل يا اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى (تعالوا) كان عليه السلام حريصا على ايمانهم فأمره الله تعالى بأن يعدل عن طريق المجادلة والاحتجاج الى نهج يشهد كل عقل سليم انه كلام مبنى على الانصاف وترك الجدال لا ميل فيه الى جانب حتى يكون فيه شائبة التعصب فهو كلام ثابت فى المركز نسبته الينا واليكم على سواء واعتدال فقال قل يا اهل الكتاب تعالوا اى هلموا والمراد تعيين ما دعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان لان اصل اللفظ ماخوذ من التعالى وهو الارتفاع من موضع هابط الى مكان عال ثم كثر استعماله حتى صار دالا على طلب التوالى حيث يدعى اليه (الى كلمة سواء بيننا وبينكم) لا يختلف فيها الرسل والكتب فيها انصاف من بعضنا لبعض ولا ميل فيها لاحد على صاحبه وهى (ان لا نعبد الا الله) اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها (ولا نشرك به شيأ) ولا نجعل غيره شريكا فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان نعبده (ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم لان كلا منهم بعضنا وبشر مثلنا وعن الفضيل لا ابالى اطعت مخلوقا فى معصية الخالق ام صليت لغير القبلة (فان تولوا) عما دعوتم اليه من التوحيد وترك الاشراك (فقولوا) اى قل لهم انت والمؤمنون (اشهدوا بانا مسلمون) اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى قيصر من محمد رسول الله الى هرقل عظيم

الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك برعاية الاسلام اسلم تسلم اى من السبى فى الدنيا ومن العذاب فى الآخرة واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ الى قوله فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون * وجاء فى الخبر الصحيح ان هرقل سأل عن حال النبى عليه السلام وعرفها ممن جاء بكتابه فقال لو كنت عنده لقبلت قدميه لمعرفته صدق النبى عليه السلام بعلاماته المعلومة له من الكتب القديمة لكن خاف من ذهاب الرياسة ثم انه كتب جواب كتابه عليه السلام انا نشهد انك نبى ولكنا لا نستطيع ان نترك الدين القديم الذى اصطفاه الله لعيسى عليه السلام فعجب النبى عليه السلام فقال لقد ثبت ملكهم الى يوم القيامة ابدا * وكتب الى كسرى ملك فارس فمزق كتابه ورجع الرسول بعد ما اراد قتله فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خرق الله ملكهم فلا ملك لهم ابدا فكان كذلك والاشارة فى الآية ان اصول الاديان كلها اخلاص العبودية كما قال تعالى ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ يعنى كما لا نعبد الا الله لا نطلب منه غيره ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فى طلب الرزق ورؤية الامور من الوسائط فان تولوا يعنى من اعرض عن هذا الاصل فقولوا انتم لهم اشهدوا بانا مسلمون مستسلمون لما دعانا الله اليه من التوحيد والاخلاص فى العبودية ونفى الشرك * والسر فى الاشهاد على الاسلام ليشهد الكفار لهم يوم القيامة على الاسلام والتوحيد كما يشهد لهم المؤمنون كما قال النبى عليه السلام لابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انى اراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت فى غنمك وباديتك فاذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة فيكون شهادة الكفار لهم بالتوحيد يوم القيامة حجة على انفسهم فالتوحيد هى العروة الوثقى واصل الاصول يهب من جانب الغيب لمن اخلصه قبول القبول فعلى العاقل ان لا يخالف كتاب الله بالاعراض عن فحاويه وعدم التدبر فى معانيه بل يسلك سبيل العلم والاعمال ويجتنب الجهل والغى والضلال قبل ان يهال عليه التراب ويلف فى الاكفان من الاثواب (قال الفاضل عبد الرحمن الجامى قدس سره * پيش كسرى ز خرد مند حكيمان ميرفت * سخن از سخت ترين موج درين لجه غم * آن يكى گفت كه بيمارى واندوه دراز * وان دگر گفت كه نادارى وپيرى بهم * سيومين گفت كه قرب اجل وسوء عمل * عاقبت رفت بترجيح سوم حكم حكم * يعنى اجتمع يوما فى مجلس انوشروان ثلاثة من الحكماء فانجر الكلام الى ان اشد الشدائد ماهو فقال الحكيم الرومى هو الشيخوخة مع الفقر وقال الحكيم الهندى المرض وعلة البدن مع كثرة الغموم والهموم وقال الحكيم بزرجمهر هو قرب الاجل وسوء العمل فاتفقوا على قوله رزقنا الله واياكم حلاوة الطاعات وأيدنا بتوفيقه قبل قدوم هادم اللذات آمين (يا اهل الكتاب) من اليهود والنصارى (لم تحاجون) تجادلون (فى) ملة (ابراهيم) وشريعته تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه السلام وزعم كل واحد منهما انه عليه السلام منهم وترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه عليه السلام كان منكم (وما انزلت التوراة) على موسى عليه السلام (والانجيل) على عيسى عليه السلام (الا من بعده) اى من بعد موته وانتم سميتم باليهودية والنصرانية بعد نزول الكتاب (افلا تعقلون) اى ألا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم فتجادلون بالجدال المحال لان بين ابراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألفى سنة فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة (ها انتم هؤلاء) جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستأنفة اشعارا بكمال غفلتهم اى انتم هؤلاء الحمقى حيث (حاججتم فيما لكم به علم) من التوراة والانجيل من نبوة محمد عليه السلام (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) فيما لا ذكر له فى كتابكم ولا علم لكم به من دين ابراهيم اذ لا ذكر لدينه عليه السلام فى احد الكتابين قطعا (والله يعلم) ما حاججتم فيه فيعلمنا (وانتم لا تعلمون) اى محل النزاع (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) تصريح بما نطق به البرهان المقرر (ولكن كان حنيفا) اى مائلا عن العقائد الزائغة كلها (مسلما) اى منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام (وما كان من المشركين) تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين انهم على ملته عليه السلام (ان اولى الناس بابراهيم) اى ان احق الناس بدعواه انه على دين ابراهيم (للذين اتبعوه) فى زمانه (وهذا النبى) اى محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اتبعه

(والذين امنوا) بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم من هذه الامة لموافقتهم فى اكثر ما شرعه لهم على الاصالة (والله ولى المؤمنين) ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم (ودت طائفة من اهل الكتاب) اى احبت (لو) اى ان (يضلونكم) يصرفونكم عن دين الاسلام الى دين الكفر وانما قال طائفة لان من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله (وما يضلون الا انفسهم) جملة حالية جئ بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اى وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم (وما يشعرون) اى باختصاص وباله وضرره بهم اعلم انه تعالى لما بين ان من طريقة اهل الكتاب العدول عن الحق والاعراض عن قبول الحجة بين انهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون فى اضلال من آمن بالرسول عليه السلام بالقاء الشبهات فعلى العاقل ان لا يضل عن الطريق القويم بالقاآت كل شيطان رجيم من ضلال الانس والجان اصلحهم الله الملك المنان وماذا بعد الحق الا الضلال قال ابن مسعود رضى الله عنه لما دنا فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعنا فى بيت امنا عائشة رضى الله عنها ثم نظر الينا فدمعت عيناه وقال مرحبا بكم حياكم الله رحمكم الله اوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنا الفراق وحان المنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى يغسلنى رجال اهل بيتى ويكفنوننى فى ثيابى هذه ان شاؤا اوفى حلة يمانية فاذا غسلتمونى وكفنتمونى ضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير لحدى ثم اخرجوا عنى ساعة فأول من يصلى على حبيبى جبريل عليه السلام ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنودهم ثم ادخلوا على فوجا فوجا صلوا على فلما سمعوا فراقه صاحوا وبكوا وقالوا يا رسول الله انت رسول ربنا وشمع جمعنا وسلطان امرنا اذا ذهبت عنا فالى من نراجع فى امورنا قال تركتكم على المحجة البيضاء اى على الطريق الواسع الواضح ليلها كنهارها فى الوضوح ولا يزيغ بعدها الى غيرها الا هالك وتركت لكم واعظين ناطقا وصامتا فالناطق القرآن والصامت الموت فاذا اشكل عليكم امر فارجعوا الى القرآن والسنة واذا قسا قلبكم فلينوه بالاعتبار فى احوال الاموات * جهان اى پسر ملك جاويد نيست * ز دنيا وفادارى اميد نيست * والناس فى الاعتقاد والعمل متفاوتون فنهم من هو متين كالحصن الحصين لا يزول عما هو عليه وان اتفق الناس فى اضلاله وهو المرتبة القصوى فى باب الدين التى نالها الانبياء والاولياء والافراد من المؤمنين قال على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ولا يطرأ الشك فى المحسوس فكذا ما هو فى حكمه ومنهم من هو ضعيف لا متانة فيه تذروه رياح الهوى حيث شاءت بعد أن لم تساعده العناية الازلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كمعادن الذهب والفضة يعنى ان الناس معادن الاعمال والاخلاق والاقوال ولكن يتفاوتون فيها كما تتفاوت معادن الذهب والفضة الى ان تنتهى الى الادنى فالادنى قال فى شرح المصباح وفيه اشارة الى ان ما فى معادن الطباع من جواهر مكارم الاخلاق ينبغى ان تستخرج برياضة النفوس كما يستخرج الجواهر من المعادن بالمقاساة والتعب ولقد اجاد من قال

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلى سهر الليالى

تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلى

فلا بد من الاجتهاد والاستمداد من الابدال والاوتاد لعل الله يسهل سلوك هذا الطريق ويخلص من خطر هذا البحر العميق * بارى كه آسمان وزمين سركشيد از آن * مشكل بود بيا ورئ جسم وجان كشيد * همت قوى كن از مدد رهروان عشق * كان باررا بقوت همت توان كشيد (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) اى بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وانتم تشهدون) اى والحال انكم تشهدون انها آيات الله (يا أهل الكتاب لم تلبسون) اى تخلطون (الحق بالباطل) المراد بالحق كتاب الله الذى انزله على موسى وعيسى عليهما السلام وبالباطل ما حرفوه وكتبوه بأيديهم وبخلط احدهما بالآخر ابراز باطلهم فى صورة الحق بان يقولوا الكل من عند الله تعالى (وتكتمون الحق) اى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (وانتم تعلمون) انه حق ثابت فى كتابكم (وقالت طائفة من اهل الكتاب) وهم رؤساؤهم ومقتدوهم لا عقابهم (آمنوا بالذى) اى اظهروا الايمان بالقرآن الذى (انزل على الذين آمنوا) اى على المسلمين (وجه النهار) اى فى اوله لان اول النهار هو اول ما ظهر منه كما ان الوجه أول ما يظهر من اعضاء الانسان عند الملاقاة (واكفروا آخره) اى أظهروا ما انتم عليه من الكفر به فى آخر النهار مرآئين لهم انكم آمنتم به بادى الرأى

من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه (لعلهم) اى المؤمنين (يرجعون) عماهم
عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت
القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون
هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون (ولا تؤمنوا) اى لا تقروا بتصديق قلبى (الا لمن تبع دينكم) اى لاهل
دينكم لا لمن تبع محمدا واسلم لما قالت الطائفة المتقدمة لاتباعهم اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار كان من بقية
كلامهم الهم انكم لا تصدقوا بحقية الاسلام والقرآن بقلوبكم لكن لا تظهروه للمسلمين ولا تقروا بذلك الا لاهل دينكم
(قل) يا محمد للرؤساء (ان الهدى هدى الله) يهدى به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه فاذا كانت الهداية
والتوفيق من الله فلا يضر كيدكم وحيلكم وهو اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجدى لطائل (ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم) علة بتقدير اللام لفعل محذوف اى قلتم ذلك القول ودبرتم الكيد لان يعطى احد مثل ما اعطيتم من
فضل الكتاب والعلم لا لشئ آخر يعنى ما بكم من الحسد صار داعيا لكم الى ان قلتم ما قلتم (او يحاجوكم) عطف
على ان يؤتى وضمير الجمع عائد الى احد لانه فى معنى الجمع اى دبرتم ما دبرتم لذلك ولان يحاجوكم عند كفركم بما يؤتى
احد من الكتاب مثل كتابكم (عند ربكم) يوم القيامة فيغلبوكم بالحجة فان من آتاه الله الوحى لابد ان
يحاج مخالفيه عند ربه (قل ان الفضل) اى الهدى والتوفيق وايتاء العلم والكتاب (بيد الله) اى بقدرته
ومشيئته (يؤتيه من يشاء) من عباده (والله واسع) اى كامل القدرة (عليم) اى كامل العلم فلكمال القدرة
يصح ان يتفضل على اى عبد يشاء باى تفضل شاء ولكمال علمه لا يكون شئ من افعاله الا على وجه الحكمة والصواب
(يختص برحمته) اى يجعل رحمته مقصورة على (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) كلاهما تذييل لما قبله
مقرر لمضمونه والاشارة فى تحقيق الآيات ان الحسد وان كان مركوزا فى جبلة الانسان ولكن له اختصاص بعالم
يتعلم العلم ليمارى به السفهاء ويباهى به العلماء ويجعله وسيلة لجمع المال وحصول الجاه والقبول عند ارباب الدنيا
فيحسد على كل عالم آتاه الله كلمة فهو ينشرها ويفيد الخلق كما قال عليه السلام لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله
مالا فسلطه على هلكته فى حق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها اى لا حسد كحسد الحاسد على هذين
الرجلين وكان حسد احبار اليهود على النبى عليه السلام من هذا القبيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستة يدخلون النار قبل الحساب قيل يا رسول الله من هم قال الامراء من بعدى بالجور والعرب بالعصبية
والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهل واهل العلم بالحسد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث هن اصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن اياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على ان لا يسجد لآدم
(قال المولى الجامى) لاف بى كبرى مزن كان ازنشان پاى مور * درشب تاريك برسنك سيه پنهان ترست *
وزدرون كردن برون انراكه آسان كزان * كوه را كندن بسوزن اززمين آسان ترست * واياكم والحرص
فان آدم حمله الحرص على ان اكل من الشجرة (وقال ايضا) درهردلى كه عز قناعت نهاد پاى * ازهرچه بود
حرص وطمع را ببست دست * هرجا كه عرصه كرد قناعت متاع خويش * بازار حرص ومعركه
آز را شكست * واياكم والحسد فان ابنى آدم انما قتل احدهما صاحبه حسدا (قال الشيخ السعدى)
توانم آنكه نيازارم اندرون كسى * حسود را چه كنم كوزخود برنج درست * بمير تا برهى اى حسود كين
رنجيست * كه از مشقت آن جز بمرك نتوان رست * وقال الاصمعى رأيت اعرابيا أتى عليه مائة وعشرون
سنة فقلت ما طول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وفى بعض الآثار ان فى السماء الخامسة ملكا يمر به عمل
عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول قف فأنا ملك الحسد اضرب به وجه صاحبه فانه حاسد وقيل من علامات
الحاسد أن يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة اذا نزلت وانشدوا (واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود * لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود)(فالحسد من
الاخلاق المذمومة للنفس فلا بد من ازالته عنها بكثرة التوحيد والاذكار ورؤية الآثار من الله الجبار فان سائر
مقامات افراد الانسان فى العلم والعمل والخلق وسائر الصفات الفاضلة رحمة اهم ولم يكن ذلك الا بتقدير العزيز
العليم فى الازل فالحاسد يسفه الحق سبحانه وانه انعم على من لا يستحق تعالى الله عما يقول الظالمون وقد ذم الله
الحاسدين فى كتابه قال تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله واما الغبطة فهى محمودة نسأل الله

ان يحلينا بالصفات الشريفة والاخلاق اللطيفة ويخلينا من الرذائل النفسية آمين يارب العالمين (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار) يقال امنته بكذا فالباء للالصاق بالامانة فان من ائتمن على شئ صار ذلك الشئ فى معنى الملصق به لقربه منه واتصاله بحفظه والمراد بالقنطار ههنا العدد الكثير (يؤده اليك) من غير جحد ونقص كعبد الله بن سلام استودعه قرشى ألفا ومائتى اوقية ذهبا فأدّاها اليه فأهل الامانة من اهل الكتاب هم الذين اسلموا (ومنهم من ان تأمنه بدينار) والمراد بالدينار ههنا العدد القليل (لا يؤده اليك) وهو كعب بن الاشرف استودعه رجل من قريش دينارا فلم يؤده وجحده فذمه تعالى فأهل الخيانة منهم هم الذين بقوا على اليهودية والنصرانية والمعنى ان فيهم من هو فى غاية الامانة حتى لو اؤتمن على الاموال الكثيرة أدى الامانة فيها ومنهم من هو فى غاية الخيانة حتى لو اؤتمن فى الشئ القليل فانه يخون (الا مادمت عليه قائما) استثناء مفرغ من اعم الاحوال والاوقات اى لا يؤده اليك فى حال من الاحوال اوفى وقت من الاوقات الا فى حال دوام قيامك اوفى وقت قيامك على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى واقامة البينة (ذلك) اى تركهم اداء الحقوق (بانهم) اى بسبب انهم (قالوا ليس علينا فى الاميين) اى فى شأن من ليس من اهل الكتاب (سبيل) اى عتاب ومؤاخذة ونفى السبيل نفى المطالبة فان المطالب لا يتمكن من المطالبة الا اذا وجد السبيل الى المطلوب والامى منسوب الى الام وسمى النبى عليه السلام اميا لانه كان لا يكتب وذلك لان الام اصل الشئ فمن لا يكتب فقد بقى على اصل حاله فى ان لا يكتب وقيل لانه عليه السلام نسب الى مكة وهى ام القرى (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ان ذلك فى كتابهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون مفترون على الله وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل فى التوراة فى حقهم حرمة فقد كذبوا فى ذلك على الله فان اداء الامانة واجب فى الاديان كلها وحبس مال الغير والاضرار به والخيانة اليه حرام (بلى) اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فى الاميين سبيل (من اوفى بعهده) الضمير راجع الى من اى من أتم بعهد الوافى أو بعهد الله الذى عهده اليهم فى التوراة واخذ ميثاقهم عليه من الايمان بمحمد واداء الامانة (واتقى) اى الشرك والخيانة وجواب الشرط وهو من قوله (فان الله يحب المتقين) عن الغدر والخيانة ونقض العهد اى فان الله يحبه فقام عموم المتقين مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من بعنى التقوى ثم وفاء ماعاهدوا الله عليه من الايمان بمحمد عليه السلام وبما جاء به مما يتعلق بتكميل القوة النظرية والعملية ودلت الآية على تعظيم امر الوفاء بالعهد وذلك لان الطاعات مقصورة على امرين التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معا اذ ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله ولما امر الله به كان الوفاء به تعظيما لامر الله (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن) اى جعل امينا ووضع عنده امانة (خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر) اى ترك الوفاء (واذا خاصم فجر) اى مال عن الحق قال صاحب التحفة وليس الغرض ان آية المنافق محصورة فيها بل كل من ابطن خلاف ما اظهر فهو من المنافقين فصدور العدد من خير الانام يكون باعتبار اقتضاء المقام والوفاء بالعهد كما يمكن ان يكون فى حق الغير يمكن ايضا فى حق النفس لان الوافى بعهد النفس هو الآتى بالطاعات والتارك للمحرمات لانه عند ذلك تفوز النفس بالثواب وتبعد عن العقاب فعلى العاقل ان يوفى بعهده فى السراء والضراء ويجتهد فى محافظته (حكى) ان شابا عقد مع الله عقدا ان لا ينظر الى شئ من مستحسنات الدنيا فخرج يوما بسوق فرأى منطقة مرصعة بالدر والجوهر فنظر اليها فأعجبته ثم مضى عنها وقد نظر اليه صاحبها فلما ذهب عنه افتقدها فلم يجدها فوثب مسرعا حتى تعلق بالشاب وقال يا عيار أنت سارق منطقتى فحمله الى السلطان فلما نظر اليه قال ليس هذا من أهل السرقات فقال بل هو سارق منطقتى وصفتها كيت كيت فأمر بتفتيشه فوجدوها على وسطه فقال له السلطان يافتى اما تستحى تلبس لباس الاخيار وتعمل عمل الفجار فنظر الفتى الى المنطقة فقال مولاى الاقالة الاقالة الهى لا اعود الى مثلها فأمر السلطان ان يضرب فخرج ليضربوه فاذا هم بصوت يسمع ولا يرى يقول دعوه ولا تضربوه انما اردنا تأديبه فوثب السلطان الى الفتى وقبله بين عينيه ثم قال اخبرنى عن قصتك فاخبره فتعجب من ذلك ثم قرأ والموفون بعهدهم اذا عاهدوا فقال صاحب المنطقة سألتك بالله الا ما قبلتها منى واجعلنى فى حل فقال اليك عنى ليس هذا من صنعتك انما الصنع لصاحب الصنع ولا مؤثر فى الوجود غير الحق وليس فى الدار غيره ديار * چه خوش

كفت بهلول فرخنده خوى * چو بكذشت برعارفى جنك جوى * كراين مدعى دوست بشناختى * به پيكاردشمن نپرداختى * كرازهستى حق خبرداشتى * همه خلق رانيست پنداشتى * فاذا وقفت على هذا الخبر فقم فى تربية نفسك الى ان تصل الى الهوية المطلقة بمطالعة الاثنينية مشاهدا وجود الحق فى كل شئ رزقنا الله واياكم مشاهدته (ان الذين يشترون) اى يستبدلون ويأخذون (بعهد الله) اى بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات (وايمانهم) وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) هو حطام الدنيا (اولئك) الموصوفون بتلك الصفات القبيحة (لاخلاق) لا نصيب (لهم فى الآخرة) ولا فى نعيمها (ولا يكلمهم الله) وهو كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله من ذلك (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) وهو مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم (ولا يزكيهم) اى لا يثنى عليهم كما يثنى على اوليائه مثل ثناء المزكى للشاهد والتزكية من الله تعالى قد تكون على السنة الملائكة كقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقد تكون بغير واسطة اما فى الدنيا فكقوله تعالى التائبون العابدون واما فى الآخرة فكقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم (ولهم عذاب عظيم) على ما فعلوه من المعاصى والآية نزلت فى اليهود الذين حرفوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك (وان منهم) اى من اليهود المحرفين (لفريقا) ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واضرابهما (يلوون) من اللى وهو الفتل (ألسنتهم بالكتاب) اى يفتلونها بقراءته فيميلونها من المنزل الى المحرف (لتحسبوه) اى المحرف المدلول عليه بقوله يلوون (من الكتاب) اى من جملته (وما هو من الكتاب) حال من الضمير المنصوب اى والحال انه ليس منه فى نفس الامر وفى اعتقادهم ايضا (ويقولون) مع ما ذكر من اللى والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض (هو) اى المحرف (من عند الله) اى منزل من عند الله (وما هو من عند الله) اى والحال انه ليس من عنده تعالى فى اعتقادهم ايضا (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون ومفترون على الله وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضى الله عنه هم اليهود الذين قدموا على كعب ابن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب * والاشارة فى الآيتين ان الذين يشترون بعهد الله الذى عاهدهم الله به يوم الميثاق فى التوحيد وطلب الوحدة وايمانهم التى يحلفون بها ههنا ثمنا قليلا من متاع الدنيا وزخارفها مما يلائم الحواس الخمس والصفات النفسانية لا خلاق لهم فى الآخرة الروحانية من نسيم روائح الاخلاق الربانية ولا يكلمهم الله تقربا وتكريما وتفهيما ولا ينظر اليهم بنظر العناية والرحمة فيرحمهم ويزكيهم عن الصفات التى بها يستحقون دركات جهنم ولا يزكيهم عن الصفات الذميمة التى هى وقود النار بالنار الى الابد ولا يتخلصون منها ابدا ولهم عذاب أليم فيما لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم وان من مدعى اهل المعرفة لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب اى بكلمات اهل المعرفة لتحسبوه من المعرفة وما هو من الكتاب الذى كتب الله فى قلوب العارفين يقولون هو من عند الله يعنى من العلم اللدنى وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب باظهار الدعاوى عند فقدان المعانى وهم يعلمون ولا يعلمون انهم يقولون ما لا يفعلون (قال السعدى) كرا جامه پاكست وسيرت پليد * در دوزخش رانبايد كليد * يعنى يدخل جهنم من قبل ان يحاسب على ما فعله لان مآله الى النار والمحاسبة وان كانت نوعا من التعذيب الا ان عذاب جهنم اشد منها * اكر مردى ازمردئ خود مكوى * نه هر شهسوارى بدر برد كوى * يعنى كل عابد لا يخلص ايمانه فى عاقبته بل من المتعيشين بالصلاح من يموت على الطلاح والعياذ بالله * كسى سربزركى نباشد بچيز * كدو سربزركست وبى مغز نيز * ميفراز كردن بدستار وريش * كه دستار پنبه است وسبلت حشيش * اى النبات اليابس فيا ارباب الدعاوى ابن المعانى ويا ارباب المعرفة ابن المحبة ويا ارباب المحبة ابن الطاعة (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ليلة المعراج نساء بيد كل واحدة منهن مقراض تقرض صدرها وتقطعه قطعة قطعة فسأل جبريل عليه السلام عنهن فقال هن اللاتى ولدن اولادا من الزنى مع وجود ازواجهن واولادهن (قال الشيخ الصفى قدس سره) ان الذين يدعون المعرفة وتمكنهم فى مقام الارشاد ويرآؤن جلبا لحطام الدنيا عذابهم اشد من عذاب هؤلاء النساء سبعين مرة فمن جعل القرآن وسيلة لجلب زخارف الدنيا اولى منه من يجلبها بالمعارف وآلات

الهو مثلا اذا كان فى محل رفيع خبز لا تصل اليه اليد وليس هناك غير مصحف وطنبور فالاولى ان يجعل الطنبور تحت القدم للوصول دون المصحف وهكذا فيما نحن فيه قبل * دين فروشى مايه كردن هست خسران مبين * سودمند آنكس كه دنيا صرف كردودين خريد * فلو نظرت الى شيوخ الزمان وجدت اكثرهم مدعين مالم يتحققوا به يضلون الناس باكاذيب ويروون اساليب ليس فيها اثر من المعانى والحقيقة فعلى العاقل ان لا يغتر بظاهرهم ولا يخرج عن المنهاج مقتفيا بآثارهم بل يجتهد الى ان يميز بين الحق والباطل والعارف والجاهل وماذا بعد الحق الا الضلال عصمنا الله واياكم من الزيغ وسيئات الاعمال امين بامتعال (ما كان لبشر) بيان لافترآتهم على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه السلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وجاء رجل من المسلمين فقال يارسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك فقال معاذ الله ان نعبد غير الله اوان نأمر بعبادة غير الله اى ماصح وما استقام لاحد سواء كان بشرا اولا وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذى اسنده الكفرة اليهم (ان يؤتيه الله الكتاب) الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهى عن الاشراك كالتوراة والانجيل والقرآن (والحكم) اى الفهم والعلم (والنبوة) وايتاء الكتاب يستلزم ايتاء الحكم وهو الحكمة المعبر عنها باتقان العلم والعمل فلذلك قدم الكتاب على الحكم لان المراد بالحكم هو العلم بالشريعة وفهم مقاصد الكتاب واحكامه فان اهل اللغة والتفسير اتفقوا على ان هذا الحكم هو العلم قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا يعنى العلم والفهم فالكتاب السماوى ينزل اولا ثم انه يحصل فى عقل النبى فهم ذلك الكتاب واسراره وبعد ماحصل فهم الكتاب يبلغ النبى ذلك المفهوم الى الخلق وهو النبوة والاخبار فما أحسن هذا الترتيب (ثم يقول) ذلك البشر بعد ماشرفه تعالى بماذكر من التشريفات وعرفه الحق وأطلعه على شؤونه العالية (للناس كونوا عبادا لى) كائنين (من دون الله) من متعلق بلفظ عبادا لمافيه من معنى الفعل (ولكن) يقول لهم (كونوا ربانيين) الربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى اذا وصف بطول اللحية ففيه الدلالة على الكمال فى هذه الصفة واذا نسب الى اللحية من غير قصد المبالغة يقال لحوى فالربانى هو الكامل فى العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله تعالى ودينه كما يقال رجل الهى اذا كان مقبلا على معرفة الاله وطاعته (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) اى بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اى قرآءته وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله تعالى ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا كما قال قريش والصابئون الملائكة بنات الله واليهود والنصارى عزير ابن الله والمسيح ابن الله (أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) انكار لمانفى عن البشر والضمير له يعنى أيأمركم بعبادة الملائكة والسجدة للانبياء بعد كونكم مخلصين بالتوحيد لله فانه لو امركم بذلك لكفر ونزع منه النبوة والايمان ومن آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة يكون اعلم الناس وافضلهم فيمنعه ذلك من ادعاء الالوهية فانه تعالى لا يؤتى الوحى والكتاب الا نفوسا طاهرة وارواحا طيبة فلا يجمع بشر بين النبوة وبين دعاء الخلق الى عبادة غير الله واعلم ان العلم والدراسة جعلا سببا للربانية التى هى قوة التمسك بطاعة الله وكفى هو دليلا على خيبة سعى من جهد نفسه وكد روحه فى جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثل من غرس شجرة حسناء تونقه اى تعجبه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها فالعمل بغير العلم والعلم بغير العمل لا يثبت كل منهما بانفراده النسبة الى الرب فعلم ان العالم الذى لا يعمل بعلمه منقطع النسبة بينه وبين ربه كالعامل الجاهل فكل منهما ليس من الله فى شئ حيث لم تثبت النسبة الا للتمسك بالعمل المبنى على العلم قال على رضى الله عنه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك لان العالم ينفر الناس عن العلم بتهتكه والجاهل يرغب الناس فى الجهل بتنسكه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع فعلى المعلم والمتعلم ان يطلب بعلمه مرضاة الله وبعمله الربانية فمن اشتغل بالتعليم والتعلم لا لهذا المقصد ضاع سعيه وخاب عمله والاشارة ان من دأب اهل الحقيقة تربية الاتباع والمريدين ليكونوا ربانيين متخلقين باخلاق الربانية العاملين بما يعلمون من الكتاب وبما كانوا يدرسون من العلوم ولا يقنعون على دراستها ولا يغترون بمقالات اخذوها من افواه القوم وبعض مدعى هذا

الشان الذين غلبت عليهم اهوآؤهم وصفات بشريتهم يدعون الشيخوخة من رعونة النفس قبل اوانها ويخدعون الخلق بأنواع الحيل ويستتبعون بعض الجهلة ويصيدونهم بكلمات اخذوها من الافواه ويمكرون ببعض اهل الصدق من الطلبة ويقطعون عليهم طريق الحق بأن يمنعوهم من صحبة اهل الحق ومشايخ الطريقة ويأمروهم بالتسليم والرضى فيما يعاملونهم ولا يعرفون غيرهم فيعبد ونهم من دون الله كما هو دأب اكثر مشايخ زماننا هذا فانه ليس من دأب من يؤتى الكتاب والحكم والنبوة (قال السعدى فى ذم امثال هؤلاء المشايخ)

دمادم بشويند چون كربه روى * طمع كرده در صيد موشان كوى * رياضت كش از بهر نام وغرور * كه طبل تهى را رود بانگ دور * يعنى يصل صوت الطبل الى البعيد ويسمع من البعيد لكونه خاليا فكذلك امثالهم يشتهر ذكرهم بين الناس وليس ذلك الا لكونهم خالين عن الحقيقة اذ المرء الصادق فى طلبه والواصل الى ربه يحب الخمول والنفرة عن الخلق فشأنه التجنب من كل شئ سوى الله دون تشهير نفسه وجلب المال من ايدى الناس بل من الناس من يرغب عنه وهو مرغوب * كسى را كه نزديك ظنت بداوست * چه دانى كه صاحب ولايت خود اوست * در معرفت بر كسانيست باز * كه درهاست برروى ايشان فراز

(واذ اخذ الله ميثاق النبيين) قال قوم ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة ان يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبى ان يؤمن بمن يأتى بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه أن يأمر قومه بالايمان به وبنصرته ان ادركوه فأخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد عليه السلام واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى اى اذكر يا محمد وقت اخذ الله ميثاق الانبياء واممهم (لما آتيتكم) اللام موطئة لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما مبتدأ موصولة وآتيتكم صلتها والعائد محذوف تقديره للذى آتيناكموه (من كتاب وحكمة) وهى بيان احكام الحلال والحرام والحدود حال من الموصول (ثم جاءكم رسول) عطف على الصلة والمعطوف على الصلة صلة فلا بد من الرابط فالتقدير رسول به (مصدق لما معكم) من الكتاب (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب قسم مقدر وهذا القسم المقدر وجوابه خبر للمبتدأ اى والله لتصدقنه برسالته وتنصرنه على اعدآئه لاظهار دين الحق فان قيل ما وجه قوله تعالى ثم جاءكم رسول والرسول لا يجيء الى النبيين وانما يجيء الى الامم والجواب ان حملنا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين على اخذ ميثاق اممهم فقد اندفع الاشكال وان حملناه على اخذ ميثاق النبيين انفسهم كان معنى قوله ثم جاءكم اى جاء فى زمانكم (قال) اى الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق (أاقررتم) اى بالايمان والنصر له والاستفهام للتقرير والتأكيد عليهم لاستحالة حقيقة الاستفهام فى حقه تعالى (واخذتم على ذلكم) الميثاق (اصرى) اى عقدى الذى عقدته عليكم والاصر الثقل الذى يلحق الانسان لاجل ما يلازمه من العمل والاصر ههنا العهد الثقيل لانه ثقل على صاحبه من حيث انه يمنع عن مخالفته اياه (قالوا اقررنا) بذلك واكتفى به عن ذكر أخذهم الاصر (قال) سبحانه وتعالى (فاشهدوا) ايها الانبياء والامم باقرار بعضكم على بعض (وانا معكم من الشاهدين) اى وانا ايضا شاهد على اقراركم ذلك مصاحب لكم وادخال مع على المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة والمقصود منه التأكيد والتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض (فمن تولى) اى اعرض عما ذكر (بعد ذلك) الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة (فاولئك هم الفاسقون) المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد قال فى التيسير والتولى لا يقع من الانبياء ولا يوصفون بالفسق لكن له وجهان احدهما ان الميثاق كان على الانبياء واممهم على التبعية والتولى من الامم خاصة والثانى ان العصمة لا تزيل المحنة انتهى وهذا الميثاق لما كان مذكورا فى كتبهم وهم كانوا عارفين بذلك فقد كانوا عالمين بصدق محمد عليه السلام فى النبوة فلم يبق لكفرهم سبب الا مجرد العداوة والحسد فصاروا كابليس الذى دعاه الحسد الى الكفر فأعلمهم الله تعالى انهم متى كانوا كذلك كانوا طالبين دينا غير دين الله ومعبودا سوى الله بقوله تعالى (افغير دين الله يبغون) عطف على مقدر أى ايتولون فيبغون غير دين الله ويطلبونه (وله اسلم) اى لله اخلص وانقاد (من فى السموات والارض) اى اهلهما (طوعا) وهم الموحدون (وكرها) اى بآباء وهم الجاحدون بما فيهم من آثار الصنع ودلائل الحدوث وتصريفهم كيف يشاء الى صحة ومرض وغنى وفقر وسرور وحزن وسائر الاحوال فلا يمكنهم دفع قضائه وقدره (واليه يرجعون) اى من فيهما

والمراد ان من خالفه فى العاجل فسيكون مرجعه اليه الى حيث لا يملك الضر والنفع سواه وهذا وعيد عظيم لمن خالف الدين الحق فعلى العاقل ان يطيع ربه ولا يعصيه بنقض ما عهد اليه يوم الميثاق فعهد الله مع الانبياء والاولياء والمؤمنين التوحيد واقامة الدين وعدم التفرق فيه وتصديق بعضهم بعضا ودعوة الخلق الى الطاعة وتخصيص العبادة بالله فانه تعالى لا يطلب من العبد الا الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية قال الشيخ الشاذلى قدس سره متى رزقك الله الطاعة والغناء به عنها فقد اسبغ عليك نعمه ظاهرة اذ أراح ظاهرك من مخالفة امره وباطنة اذ رزقك الاستسلام لقهره وهذا هو مطلب الحق منك قيل لابراهيم بن ادهم قدس سره لو جلست لنا فى المسجد حتى نسمع منك شيأ فقال انى مشغول عنكم بأربعة اشياء فلو تفرغت منها لجلست معكم قيل وما هى يا أبا اسحق قال اولها انى تذكرت حين اخذ الله الميثاق على آدم فقال هؤلاء الى الجنة ولا ابالى وهؤلاء الى النار ولا ابالى فلم ادر من اى الفريقين كنت الثانى انى تفكرت ان الولد اذا قضى الله سبحانه بخلقه فى بطن أمه ونفخ فيه الروح فيقول الملك الموكل به يا رب اشقى ام سعيد فلم ادر كيف خرج جوابى فى ذلك الوقت الثالث حين ينزل ملك الموت فاذا اراد أن يقبض الروح فيقول يا رب اقبضها مع الاسلام أو مع الكفر فلا ادرى كيف يخرج جوابى فى ذلك الوقت الرابع تفكرت فى قوله وامتازوا اليوم أيها المجرمون فلا ادرى من اى الفريقين اكون ففى هذا شغل شغلنى عن الجلوس لكم والحديث معكم ففى هذا الاشارة الى ان العبد مع كونه مستسلما لقضاء الله لا بد وأن يراعى وظيفة التكليف اذ الخير والشر مقضى فى حقه ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له فليجاهد العاقل فى تزكية نفسه اولا ثم الوصية الى عباد الله ولا يكلف المرء الا بقدر وسعه والناس فى المراتب مختلفون فطوبى لمن وصل الى اعلى المطالب * بقدر حوصلهٔ خويش دانه چيند مرغ * بصعوهٔ نتوان داد طعمهٔ شهباز * وقيل للشيخ الصفى قدس سره اذا قطع الطالب المنازل فهل يبقى بعد ذلك مرتبة لم يصل اليها بعد قال بلى يبقى علم انه هل كان مقبولا للرب تعالى اولا وفى القشيرى ما حاصله ان الولى فى الحال يجوز أن يتغير حاله فى المآل ويجوز ان يكون من جملة كرامات الولى ان يعلم انه مأمون العاقبة عصمنا الله واياكم بحسن الخاتمة * همه عالم همى كويند هر آن * كه يارب عاقبت محمود كردان (قل آمنا بالله) امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه بالايمان بما ذكر وجمع الضمير فى آمنا لاظهار جلالة قدره صلى الله عليه وسلم ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك (وما انزل علينا) وهو القرآن والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق (وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) من الصحف والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام (وما اوتى موسى وعيسى) من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى (والنبيون) اى وما اوتى النبيون من المذكورين وغيرهم (من ربهم) من الكتب والمعجزات (لا نفرق بين احد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم فى زمانهم قال الامام فى تفسيره اختلف العلماء فى كيفية الايمان بالانبياء المتقدمين الذين نسخت شرائعهم وحقيقة الخلاف ان شرعه لما صار منسوخا فهل تصير نبوته منسوخة فمن قال ان نبوته منسوخة قال نؤمن بأنهم كانوا انبياء ورسلا ولا نؤمن بأنهم انبياء ورسل فى الحال ومن قال ان نسخ الشريعة لا يقتضى نسخ النبوة قال نؤمن بانهم انبياء ورسل فى الحال فتنبه لهذا الموضع (ونحن له مسلمون) اى منقادون على ان يكون الاسلام بمعنى الاستسلام وهو الانقياد او مخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا فيها على ان يكون من السلامة وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل عن ذلك (ومن يبتغ غير الاسلام) اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين (دينا) ينتحل اليه وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا (فلن يقبل) ذلك (منه) ابدا بل يرد أشد رد واقبحه (وهو فى الآخرة من الخاسرين) اى الواقعين فى الخسران بحرمان الثواب وحصول العقاب ويدخل فيه ما يلحقه من التأسف والتحسر على ما فاته فى الدنيا من العمل الصالح وعلى ما تحمله من التعب والمشقة فى الدنيا فى تقرير ذلك الدين الباطل والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى

فطر الناس عليها واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غير الاسلام لوجب ان لا يكون الايمان مقبولا لقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره (كيف يهدى الله) الى الحق (قوما كفروا بعد ايمانهم) قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا ولحقوا بمكة وهو استبعاد لان يهدى قوما هم معاندون للحق مكابرون فيه غير خاضعين له بان يخلق فيهم الاهتداء ويوفقهم لاكتساب الاهتداء وانما يخلق الاهتداء ويوفق على كسب ذلك ويقدرهم عليه اذا كانوا خاضعين متواضعين للحق راغبين فيه فالمراد من الهداية خلق الاهتداء وقد جرت سنة الله فى دار التكليف على ان كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله تعالى يخلقه عقيب قصد العبد فكأنه تعالى قال كيف يخلق فيهم المعرفة والاهتداء وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه (وشهدوا ان الرسول حق) اى صادق فيما يقول (وجاءهم البينات) اى الشواهد من القرآن على صدقه قوله وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية فانه فى قوة ان يقال بعد ان آمنوا وبعد ان شهدوا وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان ضرورة ان المعطوف مغاير للمعطوف عليه (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه فان قيل ظاهر الآية يقتضى ان من كفر بعد اسلامه لا يهديه الله ومن كان ظالما لا يهديه الله وقد رأينا كثيرا من المرتدين اسلموا وهداهم وكثيرا من الظالمين تابوا عن الظلم فالجواب ان معناه لا يهديهم ما داموا مقيمين على الرغبة فى الكفر وفى الثبات عليه ولا يقبلون على الاسلام واما اذا تحروا اصابة الحق والاهتداء بالادلة المنصوبة فحينئذ يهديهم الله بخلق الاهتداء فيهم (اولئك) المذكورون باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة (جزاؤهم ان عليهم لعنة الله) وهو ابعاده من الجنة وانزال العقوبة والعذاب (والملائكة) ولعنهم بالقول كالناس (والناس اجمعين) والمراد بالناس المؤمنون لانه لو أريد به جميع الناس لزم ان يلعن كل واحد منهم جميع من يوافقهم ويخالفهم ولا وجه لان يلعن الانسان من يوافقه ويحتمل ان يراد به الجميع بناء على ان جميع الخلق يلعنون المبطل والكافر ولكنه يعتقد فى نفسه انه ليس بمبطل ولا كافر فاذا لعن الكافر وكان هو فى علم الله كافرا فقد لعن نفسه وان كان لا يعلم ذلك (خالدين فيها) حال من الضمير فى عليهم اى فى اللعنة والعقوبة ومعنى الخلود فى اللعن انهم يوم القيامة لا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون ومن معهم فى النار ولا يخلو شئ من احوالهم من اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) الانظار التأخير اى لا يمهل عذابهم اخف ولا يؤخر العقاب من وقت الى وقت فان العذاب الملحق بالكفار مضرة خالصة من شوائب المنافع دائمة غير منقطعة نعوذ بالله من ذلك وما يؤدى اليه (الا الذين تابوا من بعد ذلك) اى من بعد الارتداد (واصلحوا) اى ما افسدوا (فان الله غفور رحيم) فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وعطف قوله واصلحوا على قوله الا الذين تابوا يدل على ان التوبة وحدها وهى الندم على ما مضى من الارتداد والعزم على تركه فى المستقبل لا تكفى حتى ينضاف اليها العمل الصالح اى واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات ومع الخلق بالمعاملات وهذا الندم والتوبة انما يحصل لمن لم ترسخ فيه بعد هيئة استيلاء النفس الامارة على قلبه ولم تصر رينا وبقى فيه من وراء حجاب صفات النفس مسكة من نور استعداده فيتداركه الله برحمته وتوفيقه فيندم ويواظب على الرياضات من باب التزكية والتصفية (يحكى) عن السرى السقطى قدس سره انه قال قلت يوما عجبت من ضعيف عصى قويا فلما كان الغداة وصليت الغداة اذا انا بشاب قد وافى وخلفه ركبان على دواب بين يديه غلمان وهو راكب على دابة فنزل وقال ايكم السرى السقطى فاومأ جلسائى الى فسلم على وجلس وقال سمعتك تقول عجبت من ضعيف عصى قويا فما اردت به فقلت ما ضعيف اضعف من ابن آدم ولا قوى اقوى من الله تعالى وقد تعرض ابن آدم مع ضعفه الى معصية الله قال فبكى ثم قال يا سرى هل يقبل ربك غريقا مثلى قلت ومن ينقذ الغرقى الا الله تعالى قال يا سرى ان على مظالم كثيرة كيف اصنع قال اذا صحت الانقطاع الى الله أرضى عنك الخصوم بلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة واجتمع الخصوم على ولى الله تقول الملائكة لهم لا تروعوا ولى الله فان الحق اليوم على الله فيهب الله لهم مقامات عالية بدل حقوقهم فيتجاوزون عن الولى قال فبكى ثم قال صف لى الطريق الى الله فقلت ان كنت تريد طريق المقتصدين فعليك بالصيام والقيام وترك الآثام وان كنت تريد طريق الاولياء فاقطع العلائق واتصل بخدمة

الخالق * فعلى السالك ان يتوب من جميع الآثام ولا يشغل سره سوى مشاهدة الله العلام بهشت تن اسانى انكه خورى * كه بردوزخ نيستى بكذرى * يعنى لاتصل الى الحضور الباقى والحياة الابدية الابافناء وجودك فى وجود الحق وتبديل الاخلاق الذميمة بالاخلاق الحميدة فاذا جاوزت هذا الصراط الادق وصلت الى الجناب المطلق وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه انه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله كن فى الدنيا كأنك غريب اوعابر سبيل اى لاتركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب الى اهله وعد نفسك من اصحاب القبور وفيه اشارة الى الفناء عن اضافة الوجود الى نفسه بل الوجود كله لله تعالى فالبدن للروح بمنزلة القبر للميت فكما ان الميت فى قبره يسلم لأمر مولاه ولا يتعرض الى شئ اصلا كذلك ينبغى ان لا يتعرض العبد لشئ من الآفات البدنية والقلبية بل يدور حيث اوقفه الله من الفطرة الاصلية والشهود التام وقل من سلم من هذه الآفات الا ان العبد بالتوبة يتدارك مافات فاياك ان ترخص لنفسك فى فعل شر فاذا قد فتحت بابه فأول الشر الخطرة كما ان اول السيل القطرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يشرفون المسرفين ويستخفون بالعابدين يعملون بالقرآن ما وافق اهواءهم وما خالف اهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك من القدر المحتوم والرزق المقسوم والاجل المكتوب ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعى من الاجر الموفور والسعى المشكور والتجارة التى لا تبور فاذا وقفت على هذا جعلت سعيك للآخرة لا للدنيا بل لم تطلب من الله الا الله رزقنا الله واياكم ذلك آمين (ان الذين) كاليهود (كفروا) بعيسى والانجيل (بعد ايمانهم) بموسى والتوراة (ثم ازدادوا كفرا) حيث كفروا بمحمد عليه السلام والقرآن اوكفروا به عليه السلام بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق (لن تقبل توبتهم) لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى شأنهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة اولان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم تدخل فيه الفاء (واولئك هم الضالون) على سبيل الكمال فهو من قبيل حصر الكمال والا فكل كافر ضال سواء كفر بعد الايمان اوكان كافرا فى الاصل ومن جملة كمالهم فى الضلال ثباتهم عليه وعدم كون الاهتداء متوقعا منهم (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل) لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية دخلت الفاء ههنا ايذانا بالسببية المبتدأ لخبره (من احدهم) فدية (ملئ الارض ذهبا) تمييز أى ما يملؤها من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) اى بملئ الارض ذهبا فان قيل نفى قبول الافتداء يوهم ان الكافر يملك يوم القيامة من الذهب ما يفتدى به وهو لا يملك فيه نقيرا ولا قطميرا فضلا عن ان يملك ملئ الارض ذهبا كناية عن كونه فى غاية الكثرة والتقدير لو أن الكافر يوم القيامة قدر على أعز الاشياء بالغا الى غاية الكثرة وقدر على بذله لنيل اعز المطالب لا يقدر على ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من عذاب الله تعالى والمقصود بيان انهم آيسون من تخليص انفسهم من العقاب (اولئك) اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة (لهم عذاب اليم) اى مؤلم (وما لهم من ناصرين) فى دفع العذاب عنهم اوفى تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير اى ليس لواحد منهم ناصر واحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله لأهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما فى الارض من شئ أكنت تفدى به فيقول نعم فيقول اردت منك أهون من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى شيأ فأبيت الا ان تشرك بى قال الامام اعلم ان الكافر على ثلاثة اقسام احدها الذى يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذى ذكره الله فى قوله الا الذين تابوا واصلحوا فان الله غفور رحيم وثانيها الذى يتوب عن ذلك الكفر توبة فاسدة وهو الذى ذكره الله تعالى فى الآية المتقدمة وقال لن تقبل توبتهم وثالثها الذى يموت على الكفر من غير توبة البتة وهو المذكور فى هذه الآية ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية انتهى وهم الذين رسخت هيئة استيلاء النفوس الامارة على قلوبهم وتمكنت وصارت دينا وتناهوا فى الشر والغى وتمادوا فى العناد والبغى فلن يقبل من احدهم ملئ الارض اذ لا يقبل هنالك الا الامور النورانية الباقية لان الآخرة هى عالم النور والبقاء فلا وقع ولا خطر للامور الظلمانية الفانية فيها وهل كان سبب كفرهم واحتجابهم الا محبة هذه العوائق الفانية فكيف

تكون فداء هم وسبب نجاتهم وقربهم وقبولهم وهي بعينها سبب هلاكهم و بعدهم وخسرانهم وحرمانهم فاياك من اوصاف الكفر وهي حب الدنيا واتباع الهوى والاقبال على شهوات النفس والاعراض عن الحق
تراشهوت وكبر وحرص وحسد * چو خون دررگ كند وچو جان درجسد * يعنى كان الدم سارى فى العروق وجارى فيها وكذا الروح فى الجسد فكذلك هذه الصفات الذميمة محيطة بك * گر اين دشمنان تقويت يافتند * سر از حكم ورأى تو برتافتند * هوا وهوس را نماند ستيز * چو بينند سر پنجهٔ عقل تيز * يعنى اذا كان المرء تابعا للشرع وقضية العقل يكون غالبا على هواه فلا تجادله الصفات السبعية الشيطانية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوف ما اخاف على امتى اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسى الآخرة قال ذوالنون المصرى مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الاصابة مخالفة النفس والهوى ومخالفتها ترك شهواتها قال جعفر بن نصير دفع الى الجنيد درهما فقال اشتر به التين الوزيرى فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها فى فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف فى قلبى اما تستحيى شهوة تركتها من اجلى ثم تعود اليها قال ابو سليمان الدارانى رحمه الله من احسن فى ليله كوفى فى نهاره ومن احسن فى نهاره كوفى فى ليله ومن صدق فى ترك شهوة كفى مؤونتها والله اكرم من ان يعذب قلبا ترك شهوة لاجله واعلم ان النفس عين لطيفة هى معدن الاخلاق الذميمة مودعة بين جنبى الانسان اى جميع جسده وهى امارة بالسوء وهى مجبولة على ضد الروحانية المخلوقة من الملكوت الاعلى فانهم يأمرون بالخير وينهون عن الشر وهى مخلوقة من الملكوت السفلى كالشياطين وهم لا يأمرون الا بالشر ومن طبعهم التمرد والاباء والاستكبار ولهذا تأبى النفس من قبول الموعظة وتظهر التمرد كما قال الشيخ فى قصيدة البردة

فان امارتى بالسوء ما اتعظت * من جهلها بنذير الشيب والهرم

يعنى ان النفس الامارة بالسوء والعيب ما قبلت الوعظ من نذير الشيب فتمادت فى غواية الجهل بعد الهرم وما كبحت عنان جماح الشهوة بأيدى الندم وقد خلق الله النفس على صورة جهنم وخلق بحسب كل دركة فيها صفة لها وهى باب من جهنم يدخل فيها من هذا الباب الى دركة من دركاتها السبع وهى سبع صفات الكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد فمن زكى نفسه عن هذه الصفات فقد عبر عن هذه الدركات السفلية ووصل الى درجات الجنان العلوية كما قال الله تعالى قد افلح من زكاها ومن لم يزك نفسه عن هذه الصفات بقى فى دركات جهنم خائبا خاسرا كما قال تعالى وقد خاب من دساها عصمنا الله واياكم من كيد النفس الامارة وشر الشيطان واصلح حالنا ما دامت الارواح فى الابدان آمين يامستعان (لن تنالوا البر) من ناله نيلا اذا أصابه اى لن تبلغوا ايها المؤمنون حقيقة البر الذى يتنافس فيه المتنافسون وان تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته (حتى تنفقوا) اى فى سبيل الله رغبة فيما عنده (مما تحبون) اى بعض ما تهوونه ويعجبكم من كرائم اموالكم وأحبها اليكم اوما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر مالا يخفى (وما تنفقوا من شئ) اى اى شئ تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فمحل الجار والمجرور النصب على التميز (فان الله به عليم) تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اى فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديئا فانه تعالى عليم بكل شئ تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شئ من ذاته وصفاته وفيه من الترغيب فى انفاق الجيد والتحذير من انفاق الردئ مالا يخفى فالوصول الى المطلوب لا يحصل الا بانفاق المحبوب ولذلك كان السلف اذا احبوا شيأ جعلوه لله ذخيرة ليوم يحتاجون اليه والانسان لا ينفق محبوبه الا اذا ايقن انه يتوصل بذلك الى وجدان محبوب اشرف من الاول فالانسان لا ينفق محبوبه فى الدنيا الا اذا تيقن بوجود الصانع العالم القادر وتيقن بالبعث والحساب والجزاء وان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولزم منه ان الانسان لا يمكنه انفاق محبوبه فى الدنيا الا اذا كان مستجمعا لجميع الخصال المحمودة فى الدين فلا تقتضى الآية أن من انفق ما احب وصل الى الثواب العظيم وان لم يأت بسائر الطاعات روى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يارسول الله ان احب اموالى الى بيرحاء وهو ضيعة له فى المدينة مستقبل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فضعها يارسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رائح فانى ارى ان تجعلها فى الاقربين فقسمها فى اقاربه وفيه

دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انه كانت
لزوجته جارية بارعة فى الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطه اياها ثم لما ولى الخلافة
زينتها وارسلتها اليه فقالت وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها
من بيت ابى عبد الملك ففتش عن تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفى اخذت من تركته
ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى
شديدا فقال انت حرة لوجه الله فقيل لم يا امير المؤمنين وقد أزحت عن امرها كل شبهة قال لست اذا ممن نهى
النفس عن الهوى (يحكى) ان الربيع ضربه الفالج فكان السائل يقوم على بابه فيسأل فيقول الربيع
اطعميه السكر فان الربيع يحب السكر يتأول قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وطال به وجعه فاشتهى
لحم دجاج فكف نفسه اربعين يوما فأبت فقال لزوجته قد اشتهيت لحم دجاج منذ أربعين يوما فكففت نفسى
رجاء ان تكف فأبت فقالت امرأته سبحان الله واى شئ هذا تكف نفسك عنه وقد أحله الله تعالى لك فأرسلت
امرأته الى السوق فاشترت له دجاجة بدرهم ودانقين فذبحتها وشوتها وخبزت له خبزا وجعلت له اصباغا ثم جاءت
بالخوان فوضعته بين يديه فقام سائل على الباب فقال تصدقوا علىّ بارك الله فيكم فكف عن الاكل وقال
لامرأته خذى هذا وادفعيه اليه فقالت له امرأته سبحان الله قال افعلى ما آمرك به قالت فأصنع ما هو خير له
قال وما هو قالت نعطيه ثمن هذا وتأكل انت شهوتك قال قد أحسنت ائتنى بثمنه فجاءت بثمنه فقال ضعيه
على هذا وخذيه وادفعيه جميعا ففعلت * باحسانى آسوده كردن دلى * به ازالف ركعت بهر منزلى * وقيل
فى هذا المعنى * دل بدست آوركه حج اكبرست * ازهزاران كعبه يك دل بهترست * كعبه بنياد خليل
آزرست * دل نظركاه جليل اكبرست * ويقال اذا كنت لا تصل الى البر الا بانفاق محبوبك فمتى تصل الى البار
وانت تؤثر عليه حظوظك قال القشيرى من اراد البر فلينفق بعض ما يحبه ومن اراد البار تعالى فلينفق جميع
ما يحبه قال نجم الدين الكبرى فى قوله تعالى فان الله به عليم فبقدر ما تكونون له يكون لكم كما قال من كان لله كان
الله له فان الفراش ما نال من بر الشمع وهو شعلته حتى انفق مما احبه وهو نفسه قال القاشانى كل فعل يقرب
صاحبه من الله فهو بر ولا يمكن التقرب اليه الا بالتبرى مما سواه فمن احب من دون الله شيأ فقد حجب به عن
الله وأشرك شركا خفيا لتعلق محبته بغير الله ترا هر چه مشغول دارد زدوست * اكر راست خواهى
دلارامت اوست * فلا يزول البعد ولا يحصل القرب الا ببذل المال والمهجة وقطع محبة غير الله وافناء النفس
بالكلية عن صفاتها الرذيلة * اكر يارى ازخويشتن دم مزن * كه شرك ست با يارو با خويشتن (كل الطعام)
لما نزل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذى ظفر الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم انكر اليهود وغاظهم ذلك وبرأوا ساحتهم من الظلم وجحدوا ما نطق به
القرءآن وقالوا لسنا بأول من حرمت عليه تلك المطعومات وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وابراهيم
ومن بعده وهلم جرا حتى انتهى التحريم الينا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغى والظلم والصد عن سبيل الله
واكل الربا وما عدد من مساويهم التى كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم فقيل
كل المطعومات او كل انواع الطعام والطعام المطلق البر والعرف يشهد لكل ما يطعم حتى الماء (كان حلا لبنى
اسرائيل) اى حلالا لهم والمراد اكله اذ لا يوصف بنحو الحل والحرمة الا افعال المكلف لا الاعيان فشرب
الخمر حرام بالذات ونفسها حرام بالعرض (الا ما حرم اسرائيل على نفسه) استثناء متصل من اسم كان اى
كان كل المطعومات حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اى يعقوب عليه السلام على نفسه وهو الابل
وألبانها (روى) ان يعقوب عليه السلام كان نذر ان وهب الله له اثنى عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح
آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال له يا يعقوب انك رجل قوى فهل لك فى الصراع فعالجه فلم يصرع واحد
منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما انى لو شئت ان اصرعك لفعلت ولكن
غمزتك هذه الغمزة لانك كنت نذرت ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولد لك وجعل الله لك بهذه الغمزة
مخرجا من ذلك الذبح ثم ان يعقوب عليه السلام لما قدم بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسى قول الملك فأتاه الملك
فقال انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك الى ولدك ثم انه حين ابتلى بذلك المرض لقى من ذلك بلاء

وشدة

وشدة وكان لا ينام الليل من الوجع فحلف لئن شفاه الله لا يأكل أحب الطعام اليه فحرم لحوم الابل وألبانها
اما حمية الدين اوحمية النفس وتحريم الحلال على نفسه جائز للكل وفيه كفارة اليمين (من قبل ان تنزل التوراة)
متعلق بقوله كان حلا ولا ضير فى توسيط الاستثناء بينهما المعنى ان المطعومات كانت حلا لهم قبل نزول التوراة
ثم حرمت بسبب بغيهم وظلمهم فكيف يكون ذلك حراما على نوح وابراهيم وغيرهما وظاهر الآية يدل على ان
الذى حرمه اسرائيل على نفسه قد حرمه الله على بنى اسرائيل وهورد على اليهود فى دعواهم البراءة من الظلم
وتبكيت لهم فى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عليه السلام بتحليله
لحوم الابل وألبانها (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها) امره عليه السلام بأن يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم
تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم (ان كنتم
صادقين) فأتوا بالتوراة فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى ذلك البتة روى انهم لم يجترئوا على اخراج التوراة
فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفى ذلك من الحجة النيرة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذى
يجحدونه ما لا يخفى (فمن افترى على الله الكذب) اى اختلق عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة
على بنى اسرائيل ومن تقدمهم من الامم (من بعد ذلك) اى من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التوراة وتلاوتها
وما ترتب عليه من التبكيت والالزام (فاولئك) المصرون على الافتراء بعد ان ظهرت حقيقة الحال وضاقت
عليهم حيلة المحاجة والجدال (هم الظالمون) المفرطون فى الظلم والعدوان المبعدون فيهما (قل صدق الله) اى
ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل فى شان التحريم (فاتبعوا ملة ابراهيم) اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة
ابراهيم عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون (حنيفا) حال من ابراهيم اى مائلا عن الاديان
الزائغة كلها (وما كان من المشركين) اى فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود
وتصريح بانه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبى عليه السلام على دين
ابراهيم فى الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة من كل معبود سواه سبحانه وتعالى قال نجم الدين
فى التأويلات الاشارة فى تحقيق الآيات ان الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة اصناف صنف منها الملك الروحانى
العلوى اللطيف النورانى وجعل غذاءهم من جنسهم الذكر وخلقهم للعبادة وصنف منها الحيوان الجسمانى
السفلى الكثيف الظلمانى وجعل غذاءهم من جنسهم الطعام وخلقهم للعبرة والخدمة وصنف منها الانسان
المركب من الملكى الروحانى والحيوانى الجسمانى وجعل غذاءهم من جنسهم لروحانيهم الذكر ولجسمانيهم الطعام
وخلقهم للعبادة والمعرفة والخلافة فمنهم ظالم لنفسه وهو الذى غلبت حيوانيته على روحانيته فبالغ فى غذاء
جسمانيته وقصر فى غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت حيوانيته اولئك كالانعام بل هم اضل * مرو در پى
هرچه دل خواهدت * كه تمكين تن نور جان كاهدت * زدوران بسى نامرادى برى * اگر هرچه
باشد مرادت خورى * كند مرد را نفس اماره خوار * اگر هوشمندى عزيزش مدار * دريغ
آدمى زاده پر محل * كه باشد چو انعام بل هم اضل * ومنهم مقتصد وهو الذى تساوت روحانيته
وحيوانيته فغذى كل واحدة منهما غذاءها خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ومنهم
سابق بالخيرات وهو الذى غلبت روحانيته على حيوانيته فبالغ فى غذاء روحانيته وهو الذكر وقصر فى غذاء
حيوانيته وهو الطعام حتى ماتت نفسه واستوت قوى روحه اولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلالا لهم
كما كان حلالا للحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحياة القلب واستيلاء
الروح من قبل ان ينزل عليه الوحى والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات فمن افترى على الله الكذب من
بعد ذلك بان يهتدى الى الحق من غير جهاد النفس فأولئك هم الظالمون الذين يضعون الشىء فى غير موضعه
وقد قال تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده قل صدق الله فيما قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاتبعوا ملة
ابراهيم حنيفا وكان من ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم القربان وهذه ملة الخلة
وما كان من المشركين الذين يتخذون مع الله خليلا آخر ويجعلون الشركة فى الخلة * اگر جز بحق ميرود جاده ات *
در آتش فشانند سجاده ات * فالاولياء هم الذين يحبون الله ومن يحبه الله فان محبة اهل الحق محبة
الله وليس فيها شرك قال الفضيل بن عياض قدس سره يقول الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم اما زهدك فى الدنيا

فانما طلبت الراحه لنفسك فى الآخرة وأما انقطاعك الى فانما طلبت العز لنفسك ولكن هل عاديت لى عدوا اووالیت لى وليا فى الله فعلامة اتباع ملة ابراهيم هو الاطاعة للحق والتبرى من كل دين سوى الاسلام ومحبة الاولياء وعداوة الاعداء ولو كان المرء آتيا بجميع الطاعات وليس فى قلبه خلوص المحبة فانما يضرب حديد اباردا والله تعالى لا يحب القلب المشترك بمحبة غيره من شهوة اوغيرها قال محمد بن حسان رحمه الله بينما انا ادور فى جبل لبنان اذ خرج على شاب قد أحرقته السموم والرياح فلما رآنى ولى هاربا فتبعته وقلت عظنى بكلمة انتفع بها قال احذره تعالى فانه غيور لا يحب ان يرى فى قلب عبد سواه فعلى العاقل ان يجتهد فى سلوك هذا الطريق الى ان يصل الى منزل التحقيق ومن الله التوفيق فى كل امر خفى وجلى ودقيق (ان اول بيت) البيت ما يبيت فيه احد ثم استعمل فى المكان مطلقا (وضع للناس) روى انه لما حولت القبلة الى الكعبة طعن اليهود فى نبوته عليه السلام وقالوا ان بيت المقدس افضل من الكعبة وأحق بالاستقبال لانه وضع قبل الكعبة وهو أرض المحشر ومهاجر الانبياء وقبلتهم والارض المقدسة التى بارك الله فيها للعالمين وفيها الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام فتحويل القبلة منه الى الكعبة باطل فنزلت اى ان اول بيت وضع للعباد وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى (للذى ببكة) خبر لان اى للبيت الذى فى بكة وهو علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه ولانها تبك أعناق الجبابرة اى تدقها لم يقصدها جبار الاقصمه الله عز وجل وما روى ان الحجاج حبس عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فى المسجد الحرام وضرب المنجنيق على ابى قبيس ورمى به داخل المسجد وقتل عبد الله فليس ذلك اضرارا بالبيت وقصدا بالسوء لان مقصود الحجاج كان اخذ عبد الله (روى) انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة (روى) أن الله وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة ان يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الارض ان يبنوا فى الارض بيتا على مثاله فبنوا وامر من فى الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور (وروى) ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفى عام فلما اهبط آدم الى الارض قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا حوله قبلك بألفى عام فطاف به آدم ومن بعده الى زمن نوح عليه السلام فلما اراد الله الطوفان حمل الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور بحيال الكعبة يطوف به ملائكة السموات وعن ابن عباس رضى الله عنه انه اول بيت بناه آدم فى الارض فنسبة بناء الكعبة الى ابراهيم على هذه الروايات ليس لانه عليه السلام بناها ابتداء بل لرفعه قواعدها واظهاره ما درس منها فان موضع الكعبة اندرس بعد الطوفان وبقى مختفيا الى ان بعث الله جبريل الى ابراهيم عليه السلام ودله على مكان البيت وأمره بعمارته ولما كان الآمر بالبناء هو الله والمبلغ والمهندس هو جبريل عليه السلام والبانى هو الخليل والتلميذ المعين له اسماعيل عليهما السلام قيل ليس فى العالم بناء اشرف من الكعبة (مباركا) حال من المستكن فى الظرف لان التقدير للذى ببكة هو أى كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف به وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة دالة على عظيم قدرته وبالغ حكمته كما قال (فيه آيات بينات) واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضوارى السباع الطيور فى الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كأصحاب الفيل (مقام ابراهيم) اثر قدميه عليه السلام فى الصخرة التى كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه اوعند غسل رأسه على ماروى انه عليه السلام جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليه السلام انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه وهو بدل من آيات بدل البعض من الكل (ومن دخله) اى حرم البيت (كان آمنا) من التعرض له وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل فى الحل بقصاص اوردة اوزنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وهذا فى حق من جنى فى الحل ثم التجأ الى الحرم واما اذا اصاب الحد فى الحرم فيقام عليه فيه فمن سرق فيه قطع ومن قتل فيه قتل قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام

حتى

بحق يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم اباح لهم القتل عند المسجد الحرام اذا قاتلوا فعلى ذلك يقام الحد اذا اصاب وهو فيه واذا اصاب فى غيره ثم لجأ اليه لم يقم كالا تقاتل اذا لم يقاتلونا اوالمعنى ومن دخله كان آمنا من النار وفى الحديث من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضى الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعنه صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتى عام (ولله على الناس) وهم المؤمنون دون الكفار فانهم غير مخاطبين باداء الشرائع عندنا خلافا للشافعى اى استقر لله عليهم (حج البيت) اللام للعهد والحج بالفتح لغة اهل الحجاز والكسر لغة نجد وايا ما كان فهو القصد للزيارة على الوجه المخصوص المعهود يعنى انه حق واجب لله فى ذمم الناس ولا انفكاك لهم عن ادائه والخروج من عهدته (من استطاع اليه سبيلا) فى محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اى من استطاع منهم وقدر واطاق الى البيت سبيلا اى قدر على الذهاب اليه واراد به قدرة سلامة الآلات والاسباب فالزاد والراحلة من اسباب الوصول وهذه القدرة تتقدم على الفعل والاستطاعة التى هى شرط لوجوب الفعل هى الاستطاعة بهذا المعنى لا الاستطاعة التى هى شرط حصول الفعل وهى لا تكون الا مع الفعل لانها علة وجود الفعل وسببه فلا تكون الا معه فالاستطاعة الاولى شرط الوجوب والثانية شرط حصول الفعل (ومن كفر) وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا لتاركه اى من لم يحج مع القدرة عليه فقد قارب الكفر وعمل ما يعمله من كفر بالحج (فان الله غنى عن العالمين) وعن عباداتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحبسه حاجة ظاهرة اومرض حابس اوسلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا اونصرانيا وانما خص هذين لان اليهود والنصارى هم الذين لا يرون الحج ولا فضل الكعبة واعلم انه لا يؤثر الا كثار من التردد الى تلك الآثار الا حبيب مختار (روى) عن على بن الموفق رحمه الله انه حج ستين حجة قال فلما كنت بعد ذلك فى الحجر أفكر فى حالى وكثرة ترددى الى ذلك المكان ولا ادرى هل قبل حجى اولا نمت فرأيت قائلا يقول يا ابن الموفق هل تدعو الى بيتك الا من تحب فاستيقظت وقد سرى عنى ففيه اشارة الى ان من لم يحج مع القدرة عليه فقد ترك عن الدعوة الى ضيافة الله تعالى ولا يترك عنها الا من لا استحقاق له بها وفيه تقبيح لحاله حيث لم يجتهد فى تحصيل الاستعداد بل اقام على البغى والفساد واقتضت حكمة الله تعالى توقان النفس كل عام الى تلك الاماكن النفيسة والمعاهد المقدسة المحروسة لاجابة دعوة ابراهيم عليه السلام حيث قال فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم اى تحن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ايمان بالله ورسوله ثم جهاد فى سبيله ثم حج مبرور قيل مغفرة الذنوب بالحج ودخول الجنة به مترتب على كون الحج مبرورا وانما يكون مبرورا باجتماع امرين فيه الاول الاتيان فيه باعمال البر والبر هو الاحسان للناس واطعام الطعام وافشاء السلام والثانى ما يكمل به الحج وهو اجتناب افعال الاثم فيه من الرفث والفسوق والمعاصى قال ابو جعفر الباقر ما يعبأ من يؤم هذا البيت اذا لم يأت بثلاث ورع يحجزه اى يمنعه عن محارم الله وحلم يكف به غضبه وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين فهذه الثلاث يحتاج اليها من يسافر خصوصا الى الحج فمن كملها فقد كمل حجه فعلى السالك ان يخالق الناس بخلق حسن * ازمن بكوى حاجئ مردم كزا را * كاو پوستين خلق بازارى درد * حاجى تو نيستى شترست ازبراى آنك * بيچاره خار ميخورد وبار ميبرد * قال بعض المشايخ علامة الحج المبرور ان يرجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة قال نجم الدين الكبرى فى تأويلاته والاشارة ان الله تعالى جعل البيت والحج اليه واركان الحج والمناسك كلها اشارات الى اركان السلوك وشرائط السير الى الله وآدابه فمن اركانه الاحرام وهو اشارة الى الخروج عن الرسوم وترك المألوف والتجرد عن الدنيا ومافيها والتطهر من الاخلاق وعقد احرام العبودية بصحة التوجه ومنها الوقوف بعرفة وهو اشارة الى الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عقبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف وهو

اشارة الى الخروج عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف السبعة حول كعبة الربوبية ومنها السعى وهو اشارة الى السير بين صفا الصفات ومروة الذات ومنها الحلق وهو اشارة الى محو آثار العبودية بموسى انوار الالهية وعلى هذا فقس المناسك كلها والحج يشير الى عين الطلب والقصد الى الله بخلاف سائر اركان الاسلام فان كل ركن منه يشير الى طرف من استعداد الطلب فالله تعالى خاطب العباد بقوله ولله على الناس حج البيت وما قال فى شئ آخر من الاركان والواجبات ولله على الناس وفائدته ان المقصود المشار اليه من الحج هو الله وفى سائر العبادات المقصود هو النجاة والدرجات والقربات والمقامات والكرامات * والاستطاعة فى قوله من استطاع اليه سبيلا هى جذبة الحق التى توازى عمل الثقلين ولا يمكن السير الى الله والوصول اليه الا بها ومن كفر اى لا يؤمن بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات ألطاف الرب ولا يتقرب بجذبات الالوهية كما يشير اليها اركان الحج فان الله غنى عن العالمين بان يستكمل بهم وانما الاستكمال للعالمين به ولا غنى بهم عنه تعالى جعلنا الله واياكم من الكاملين والواصلين الى كعبة اليقين والتمكين (قل يا اهل الكتاب) هم اليهود والنصارى سموا بذلك فان الكتاب لا يختص بالمنزل فنسبوا الى ما كتبوا سوآء كان من القاء الروح الامين او تلقاء النفس (لم تكفرون بآيات الله) توبيخ وانكار لأن يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرءآنية التى من جملتها ما تلى فى شأن الحج وغيره وما فى التوراة والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) حال من فاعل تكفرون والمعنى لأى سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ فى الاطلاع على جميع اعمالكم وفى مجازاتكم عليها ولا ريب فى ان ذلك يسد جميع انحاء ما تأتونه ويقطع اسبابه بالكلية (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) اى تصرفون (عن سبيل الله) اى دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام (من آمن) مفعول تصدون كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته صلى الله عليه وسلم ليست فى كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم (تبغونها) بحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير اى تبغون لها لان البغى لا يتعدى الا الى مفعول يقال بغيت المال والضمير للسبيل وهو يذكر ويؤنث اى تطلبون سبيل الله التى هى اقوم السبل (عوجا) اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بان تلبسوا على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون والعوج بكسر العين وفتحها الميل والانحراف لكن المكسور يختص بالمعانى والمفتوح بالاعيان تقول فى دينه وكلامه عوج بالكسر وفى الجدار والقناة والشجر عوج بالفتح (وأنتم شهدآء) حال من فاعل تصدون باعتبار تقيده بالحال الاولى اى والحال انكم شهدآء تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال (وما الله بغافل عما تعملون) اى من الصد عن سبيله وكتمان الشهادة لنبيه * ولما وبخ اهل الكتاب بصد المؤمنين نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين فقال (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا) طائفة وانما خص فريقا لان منهم من آمن (من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) قوله كافرين مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير قال عكرمة نزلت فى شاس بن قيس اليهودى رأى منتدى محتويا على زحام من اوس وخزرج فغاظه الفتهم فأرسل شابا ينشدهم اشعار يوم بغاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان المذكوران وكان الظفر فيه للاوس فنعر عرق الدآء الدفين فتشاجروا فأخبر النبى عليه السلام فخرج يصلح ذات بينهم (وكيف تكفرون) انكار وتعجب (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) اى القرءآن (وفيكم رسوله) والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان القرءآن المعجز يتلى عليكم على لسان الرسول غضا طريا وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم فالعدول عن الايمان والدخول فى الكفر مع تحقق هذه الامور أبعد وأعجب (ومن يعتصم بالله) اى ومن يتمسك بدينه الحق الذى بينه بآياته على لسان رسوله عليه السلام وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله (فقد هدى) جواب الشرط وقد لافادة معنى التحقق كأن الهدى حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندا اى وفق وأرشد (الى صراط مستقيم) موصل الى المطلوب واعلم ان ظاهر الخطاب مع اهل الكتاب وباطنه مع العلماء السوء الذين يبيعون

الذين بالدنيا ولا يعملون بما يعلمون فهم الذين يكفرون بما جاء به القرآن من الزهد فى الدنيا والورع والتقوى
ونهى النفس عن الهوى وايثار ما يفنى على ما يبقى والاعراض عن الخلق والتوجه الى الحق وبذل الوجود لنيل
المقصود والله شهيد على ما تعملون حاضر معهم ناظر الى نياتهم فى اعمال الخير والشر فيجازيهم بها وهم يصرفون
بحرصهم على الدنيا واتباعهم الهوى المؤمنين الذين يتبعونهم بحسن الظن ويحسبون ان اعمالهم واحوالهم
على قاعدة الشريعة ومنهاج الطريقة عن سبيل الله وطريق الحق الذى امر الانبياء بدعوة الخلق اليه وهم
يطلبون اعوجاج طريق الحق بالسير فى طريق الباطل وقد وصى الله المؤمنين بقوله يا أيها الذين آمنوا الآية
حتى لا يرتدوا عن طريق الهداية بعد الايمان بالاتباع بسيرتهم وهواهم قال تعالى ولا تتبعوا اهوآء قوم
قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوآء السبيل قال بعض المشايخ خير العلم ما كانت الخشية معه
وذلك لان الخشية انما تنشأ عن العلم بصفات الحق فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله الخشية وشاهد الخشية
موافقة الامر واما العلم الذى تكون معه الرغبة فى الدنيا والقلق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع
والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الآخرة فما ابعد من هذا العلم علمه من ان يكون من ورثة
الانبياء وهل ينتقل الشيء الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كان بها عند الموروث وما مثل من هذه الاوصاف
اوصافه من العلماء الا كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهى تحرق نفسها * ترك دنيا بمردم آموزند * خويشتن
سيم وغله اندوزند * عالمى را كه گفت باشد وبس * چون بگويد نگيرد اندر كس * عالم آنكس بود كه بد نكند *
نه بگويد بخلق وخود نكند * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لا يبقى من الاسلام
الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة بابدانهم شر من تظل السماء يومئذ
علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود * وعن فضيل بن عياض بلغنا ان الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ
بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان * فعلى العاقل ان لا يغتر بظاهر حالهم بل ينظر الى وهن اعتقادهم وفساد بالهم
فيعتبر كل الاعتبار ويتجنب من هذه سيرتهم ويسلك طريق الاخيار ويعتصم بالله بالانقطاع عما سواه ويتمسك
بالتوحيد الحقيقى حتى يهتدى الى الصراط المستقيم فمن انقطع اليه بالفناء فى الوحدة كان صراطه صراط الله
فلا يصده عنه احد ولا يضره شيء ولا يضله كيد عدوه وشره فان من كان مع الله كان الله معه فهو حافظه
وناصره وهذا الاستمساك ليس من شأن كل السلاك لكن الله تعالى قادر على ان يأخذ بيد عبده ويوصله الى
مراده واذا صح الطلب من العبد فلا يحرم الاجابة البتة فان من طلب وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج عصمنا الله
واياكم من كيد الشيطان ومكر النفس الامارة بالسوء كل آن آمين يا مستعان (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله)
الاتقاء افتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة (حق تقاته) اى حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع
فى القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم ونحوها فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا فى التقوى حتى لا تتركوا
من المستطاع منها شيأ (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) اى مخلصون نفوسكم لله عزوجل لا تجعلون فيها شركة
لما سواه اصلا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم
وثباتكم عليه فهو فى الصورة نهى عن موتهم على غير هذه الحالة والمراد دوامهم على الاسلام (واعتصموا
بحبل الله) اى بدين الاسلام او بكتابه فلفظ الحبل مستعار لاحد هذين المعنيين فان كل واحد منهما يشبه
الحبل فى كونه سببا للنجاة من الردى والوصول الى المطلوب فان من سلك طريقا صعبا يخاف ان تزلق رجله فيه
فاذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبى ذلك الطريق امن من الخوف كذلك طريق السعادة الابدية ومرضاة
الرب طريق زلق ودواعى الضلال عنها متكثرة زلق رجل اكثر الخلق فيها فمن اعتصم بالقرآن العظيم وبقوانين
الشرع القويم وبينات الرب الكريم فقد هدى الى صراط مستقيم وأمن من الغواية المؤدية الى نار الجحيم كما يأمن
المتمسك بالحبل من العذاب الاليم (جميعا) حال من فاعل اعتصموا اى مجتمعين فى الاعتصام (ولا تفرقوا)
اى لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب (واذكروا نعمة الله عليكم) متعلق بنعمة
(اذ كنتم) ظرف له اى اذكروا انعامه عليكم وقت كونكم (اعدآء) فى الجاهلية بينكم الاحن والعداوة
والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانوا اخوين لاب وأم فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء
وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة (فألف بين قلوبكم) بتوفيقكم للاسلام (فأصبحتم) اى فصرتم (بنعمته)

التى هى ذلك التألف (اخوانا) خبر أصبحتم اى اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله متراحين متناصحين متفقين على كلمة الحق (وكنتم على شفا حفرة من النار) شفا الحفرة وشفتها حرفها وجانبها اى كنتم مشرفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو ادركم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها مثل لحياتهم التى تتوقع بعد الوقوع فى النار بالقعود على حرفها مشرفين على الوقوع فيها (فأنقذكم) اى خلصكم ونجاكم بان هداكم للاسلام (منها) اى الحفرة (كذلك) اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده اى مثل ذلك التبيين الواضح (يبين الله لكم آياته) اى دلائله (لعلكم تهتدون) طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه والاشارة ان اهل الاعتصام طائفتان احداهما اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال والثانية اهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب لان مشربهم الاحوال فقال تعالى لهم واعتصموا بالله هو مولاكم اى مقصودكم وقال للمتعلقين بالاسباب واعتصموا بحبل الله جميعا وهو كل سبب يتوسل به الى الله فالمعتصم بحبل الله هو المتقرب الى الله باعمال البر ووسائط القربة واذا وجد الاعتصام وجد عدم التفرق بخلاف عدم الاعتصام فانه سبب للتفرق فى الظاهر والباطن فأما فى الظاهر فيلزم منه مفارقة الجماعة فاقتلوه كائنا من كان واما فى الباطن فيظهر منه الاهواء المختلفة التى توجب تفرق الامة كما قال عليه السلام ستفترق أمتى اثنتين وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة قالوا يارسول الله ومن الفرقة الناجية قال من كانوا على ما انا عليه واصحابى واعلم انه تعالى امر المؤمنين اولا بالتقوى وثانيا بالاعتصام وثالثا بتذكر النعمة لان فعل الانسان لابد وان يكون معللا اما بالرهبة واما بالرغبة والرهبة متقدمة على الرغبة لان دفع الضرر مقدم على جلب النفع كما ان التخلية قبل التحلية فقوله اتقوا الله حق تقاته اشارة الى التخويف من عقاب الله ثم جعله سببا للامر بالتمسك بدين الله ثم اردفه بالرغبة وهى قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم فعلى العاقل الانقياد لامر الله والطاعة لحكمه والاعتصام بحبله وعدم التفرق فى الدين والتقوى حق التقى من الله سبحانه قيل ونعم ما قيل * متقى را بود چهار نشان * حفظ احكام شرع اول دان * ثانيا انجه دست رس باشد * برفقيران وبيكسان بخشد * عهد را با وفا كند پيوند * هرچه باشد ازان شود خرسند * وهذا معنى قول الشيخ النصر ابادى علامة المتقى اربعة حفظ الحدود وبذل المجهود والوفاء بالعهود والقناعة بالموجود قال القشيرى رحمه الله حق التقوى ان يكون على وفق الامر لا يزيد من قبل نفسه ولا ينقص وحق التقوى اولا اجتناب الزلة ثم اجتناب الفضلة ثم التوقى عن كل خلة ثم التنقى عن كل علة فاذا اتقيت عن شهود تقواك بعد اتصافك بتقواك فقد اتقيت حق تقواك انتهى فمن بقى فيه شئ من اثر الوجود فقد اشرك شركا خفيا ولم يصل الى حقيقة الشهود * حضورى گرهمى خواهى ازو غائب مشو حافظ * متى ما تلق من تهوى دع الدنيا واهملها * قال ابو مدين رحمه الله شتان بين من همته الحور والقصور ومن همته رفع الستور ودوام الحضور فطوبى لمن سار اليه بالجذبات الالهية على قدم التحقيق وطار بتجلى الصفات الربانية وجناح التوفيق قال سهل رضى الله عنه ليس للعبد الا مولاه واحسن احواله ان يرجع الى مولاه اذا عصى قال يارب استر علىّ فاذا استر عليه قال يارب تب علىّ فاذا تاب عليه قال يارب وفقنى حتى اعمل فاذا عمل قال يارب وفقنى حتى اخلص فاذا اخلص قال يارب تقبل منى فعلى العاقل ان يتمسك بهذا الحبل المتين (ولتكن منكم) اى لتوجد منكم (امة يدعون الى الخير) جماعة داعية الى الخير اى الى ما فيه صلاح دينى ودنيوى فالدعاء الى الخير عام فى التكليف من الافعال والتروك ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله فقال (ويأمرون بالمعروف) وهو ما استحسنه الشرع والعقل وهو الموافقة (وينهون عن المنكر) وهو ما استقبحه الشرع والعقل وهو المخالفة (واولئك) الموصوفون بتلك الصفات الكاملة والافراد فى كاف الخطاب لان المخاطب كل من يصلح للخطاب (هم المفلحون) اى هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفيد اختصاص المسند بالمسند اليه ثم ان من فى قوله منكم للتبعيض وتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل أثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها ولانها من عظائم الامور وعزآئمها التى لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه فنهاه عن منكر وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة وينكر على

من لا يزيده

من لا يزيده انكاره الا اغاديا اوعلى من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين وكان ناقصة اى كونوا امة يدعون الآية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطاب للعامة * عن النبي عليه السلام انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله واوصلهم للرحم وقال عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن حذيفة يأتى على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثورى اذا كان الرجل محببا فى جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المداهن فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم فى اسفلها وصار بعضهم فى اعلاها فكان الذى فى اسفلها يمر بالماء على الذين فى اعلاها فتأذوا به فأخذ فاسا فجعل ينقر اسفل السفينة فأتوه فقالوا مالك قال تأذيتم بى ولا بد لى من الماء فان أخذوا على يديه انجوه وانجوا انفسهم وان تركوه اهلكوه واهلكوا انفسهم قال صلى الله عليه وسلم ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعذابه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر يوم القيامة ناس من أمتى من قبورهم الى الله على صورة القردة والخنازير بما داهنوا اهل المعاصى وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون فلا بد من توطين النفس على الصبر وتقليل العلائق وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الانبياء عليهم السلام قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ثم الامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهى عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح وطريق الوجوب السمع والعقل وعند البعض السمع وحده وشرط النهى بعد معرفة المنهى عنه ان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهى عنه وانما يحسن الذم عليه والنهى عن المعاودة الى مثله وان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبدأ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال تعالى فأصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا والمباشر كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد أجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذى بالقتال فالامام وخلفاؤه أولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤمرون بالصلاة ليتمرنوا عليها والعاصى يجب عليه النهى عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه والانكار لا يجب فلا يسقط بترك احدهما وجوب شئ منهما قال النبي عليه السلام ان الله ليؤيد هذا الدين بأهل الفسوق والتوبيخ فى قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على أمرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن بعض الصحابة أن الرجل اذا لم يستطع الانكار على منكر رآه فليقل ثلاث مرات اللهم ان هذا منكر واذا فعل ذلك فقد فعل ما عليه * كرت نهى منكر برايد زدست * نشايد چو بى دست وپايان نشست * چو دست وزبانرا نماند مجال * بهمت نمايند مردى رجال * يعنى اذا لم يستطع ان يغير المنكر بلسانه ويده فلينكره بقلبه فان الرجال يرون الرجولية بالهمة ويتضرعون الى الله فى دفع ما لا يقدرون على دفعه والاشارة فى الآية أن الامة التى يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون من وعيد من يأمر بالمعروف ولا يأتيه والذى يدل عليه ما روى أسامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعته يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه فى النار فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اهل النار عليه فيقولون اى فلان ما شأنك ألست تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه والداعى الى الخير فى الحقيقة شيوخ الطريقة فان من لم يعرف الله لم يعرف الخير اذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذى يكون للانسان بحسب النوع من معرفة الحق والوصول اليه كما كان للنبى عليه السلام والاضافى ما يتوصل به الى المطلق فالخير المدعو اليه اما الحق واما طريق الوصول اليه والمعروف كل ما يقرب اليه والمنكر كل ما يبعد عنه

فمن لم يكن له التوحيد والاستقامة لم يكن له مقام الدعوة فغير المستقيم وان كان موحدا وبما أمر بما هو معروف عنده منكر فى نفس الامر وربما نهى عما هو منكر عنده معروف فى نفس الامر لكن بالغ فى مقام الجمع واحتجب بالحق عن الخلق فكثيرا ما يستحل محرما ويحرم حلالا فهم أهل الحجاب وأهل الفلاح المطلق هم الذين لم يبق لهم حجاب وهم خلفاء الله فى ارضه اوصلنا الله واياكم الى معرفة حقيقة الحال وشرفنا بالوصول الى جنابه المتعال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) هم أهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا (واختلفوا) باستخراج التأليفات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية قال الامام تفرقوا بابدانهم بأن صار كل واحد من اولئك الاحبار رئيسا فى بلد ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعى انه على الحق وان صاحبه على الباطل وأقول انك اذا أنصفت علمت ان اكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله العفو والرحمة انتهى (من بعد ما جاءهم البينات) اى الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة (واولئك لهم عذاب عظيم) فى الآخرة بسبب تفرقهم فانه يدوم ولا ينقطع ولما امر الله هذه الامة بأن يكونوا آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر وذلك لا يتم الا اذا كان الآمر بالمعروف قادرا على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتغلبين ولا تحصل هذه القدرة الا اذا حصلت الالفة والمحبة بين أهل الحق والدين فلا جرم حذرهم الله عن التفرقة والاختلاف لكيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف فعلى المؤمنين ان لا يكونوا اشتين بمقتضى طباعهم غير متابعين لامام ولا متفقين على كلمة واحدة باتباع مقدم يجمعهم على طريقة واحدة فان لم يكن لهم مقتدى وامام تتحد عقائدهم وسيرهم وآراؤهم بمتابعته وتتفق كلمتهم فى الآخرة على محسوس اوضح من ظهوره فى الدنيا ممن دعا الى الله على بصيرة كالرسول وأتباعه الذين ألحقهم الله بدرجات الدنيا فى الدعاء اليه على بصيرة كلماتهم وعاداتهم واهوآئهم لمحبته وطاعته كانوا مهملين متفرقين فرآئس للشيطان كشريدة الغنم تكون للذئب ولهذا قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه لا بد للناس من امام بار أو فاجر ولم يرسل نبى الله رجلين فصاعدا الشأن الاوامر أحدهما على الآخر وأمر الآخر بمتابعته وطاعته ليتحد الامر وينتظم والا وقع الهرج والمرج واضطرب امر الدين والدنيا واختل نظام المعاش والمعاد قال عليه السلام من فارق الجماعة قيد شبر لم ير بحبوحة الجنة وقال يد الله مع الجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد الاترى ان الجمعية الانسانية اذا لم تنضبط برياسة القلب وطاعة العقل كيف اختل نظامها وآلت الى الفساد والتفرق الموجب لخسار الدنيا والآخرة ولما نزل قوله تعالى وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فعلى العاقل ان يسلك الى صراط التوحيد ولوازمه وحقوقه ويجتنب عن سبل الشيطان واسباب الدخول فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت أن اقاتل الناس الى أن قال وحسابهم على الله أراد بقوله وحسابهم على الله انه لا يعلم انهم قالوها معتقدين لها فالمشرك لا قدم له على صراط التوحيد وله قدم على صراط الوجود والمعطل لا قدم له على صراط الوجود فالمشرك ما وحد الله هنا فهو من الموقف الى النار مع المعطلة ومن هو من أهل النار الا المنافقين فلا بد لهم أن ينظروا الى الجنة ومافيها من النعيم فيطمعون فذلك نصيبهم من الجنان ثم يصرفون الى النار وهذا من عدل الله فقوبلوا بأعمالهم فالشرع هنا هو الصراط المستقيم ولا نزال فى كل ركعة من الصلاة نقول اهدنا الصراط المستقيم فهو أحد من السيف وادق من الشعر وظهوره على علم وكشف قال على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فمن تمسك بالشرع المتين والقرآن المبين واهتدى الى هذا الصراط المستقيم وتخلص من التفرق الموجب للعذاب الاليم فليس عليه حساب ولا صراط فى الآخرة بل هو مع الانبياء والاولياء فى النعيم المقيم ومن زلت قدمه عن الشرع فى الدنيا بارتكاب المحظورات زلت فى الآخرة ايضا اذ من كان فى الدنيا اعمى محجوبا غير واصل كان فى الآخرة ايضا كذلك والعياذ بالله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزالون على الصراط كثير واكثر من يزل عنه النساء وقال رأيت النار واكثر اهلها النساء فانهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير فلو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم اذا رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك خيرا قط فانظر كيف زلت اقدامهن عن الصراط فى الآخرة وما ذلك الا لكونها زالة عن صراط الشرع فى الدنيا

بالاعتقاد

بالاعتقاد والاعمال ونعم ما قال الجامي عقل زن ناقص است ودين ناقص نيز * هركزش كامل اعتقاد مكن * كربدست ازوى اعتبار مكير * ورنكو بروى اعتماد مكن * فاذا وقفت على هذا التفصيل فاجتهد أيها العبد الذليل فى طريق المتابعة والموافقة للانبياء والكاملين وتمسك بذيل شيخ واصل الى اليقين لعله يجمع باذن الله شملك بعد ما تبدد وصلك وتفرق حالك فان الطريق المجهول لا بد له من مرشد والا فالهلاك عصمنا الله واياكم من الخلاف والاختلاف واسلكنا طريق الاخيار من الاسلاف وثبتنا فيه الى آخر الآجال وحشرنا بأهل الفضل والكمال (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) اى اذكروا أيها المؤمنون يوم تبيض وجوه كثيرة وتسود وجوه كثيرة وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكون الخوف فيه يقال لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه ابيض وجهه اى استبشر ولمن وصل اليه مكروه اغبر لونه وتبدلت صورته فمعنى الآية ان المؤمن يرد يوم القيامة على ما قدمت يداه فان كان ذلك من الحسنات استبشر بنعم الله وفضله واذا رأى الكافر أعماله القبيحة اشتد حزنه وغمه وقيل بياض الوجه وسواده حقيقتان فيوسم اهل الحق ببياض الوجوه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل باضداد ذلك والحكمة فى ظهورهما فى الوجوه حقيقة ان السعيد يفرح بان يعلم قومه انه من اهل السعادة قال تعالى مخبرا عنه ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين والشقى يغتم بعكس ذلك (فأما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم بعد ايمانكم) الهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه عليه السلام اوجميع الكفرة حيث كفروا بعد ما أقروا بالتوحيد يوم الميثاق (فذوقوا العذاب) المعهود الموصوف بالعظم (بما كنتم تكفرون) بالقرآن ومحمد عليه السلام (وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) اى الجنة والنعيم المقيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى (هم فيها خالدون) كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك) اشارة الى الآيات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار وهو مبتدأ (آيات الله) خبره (نتلوها) جملة حالية من الآيات (عليك) اى نقرأها عليك يا محمد بواسطة جبريل (بالحق) حال مؤكدة من فاعل نتلوها اومن مفعوله اى ملتبسين اوملتبسة بالحق والعدل ليس فى حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن اوبزيادة عقاب المسيء اوبالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم بأعمالهم بموجب الوعد والوعيد (وما الله يريد ظلما) اى شيأ من الظلم (للعالمين) لأحد من خلقه كيف والظلم تصرف فى ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف فى ملك نفسه اوانه وضع الشيء فى غير موضعه وذلك قد يكون بمنع حق المستحق منه وقد يكون بفعل ما منع منه ولا ينبغى له ان يفعله وكل ذلك لا يتصور فى حقه تعالى فيستحيل تصور الظلم من الله فانه لا حق لأحد فيظلم بمنعه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله بل هو المالك على الاطلاق وافعاله محض حكمة وعدل (ولله ما فى السموات وما فى الارض) اى له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة اثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم فى مقام بيان عظمته تعالى (والى الله) اى الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة واستقلالا (ترجع الامور) اى امورهم فيجازى كلا منهم بما وعد له واوعده من غير دخل فى ذلك لأحد قط فان قيل الرجوع اليه يكون بعد الذهاب عنه ولم يكن فلم قال ذلك قلنا كانت كالذاهبة بهلاكها ثم اعادتها الان فى الدنيا يملك بعض الخلق بالتدبير وفى القيامة يكون كل ذلك لله تعالى * والاشارة ان الذين تبيض وجوههم يوم القيامة هم الذين ابيضت قلوبهم اليوم بنور الايمان والجمعية والوفاق مع الله والذين تسود وجوههم يومئذ هم الذين اسودت قلوبهم بالكفر والتفرق والاختلاف من الله وذلك لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله تعالى يوم تبلى السرائر اى يجعل ما فى الضمائر على الظواهر زراندودكانرا بآتش برند * بديد آيد آنكه كه مس يازرند * فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم وهم ارباب الطلب السائرون الى الله الذين انقطعوا فى بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على اعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون تسترون الحق بالباطل وتعرضون عن الحق فى طلب الباطل وكنتم معذبين بنار الهجران والقطيعة فى الدنيا ولكن ما كنتم تذوقون عذابها لان الناس

ينام والنائم لايذوق الم الجراحات حتى ينتبه فاذا ماتوا انتبهوا فيذوقوا ألم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله واما الذين ابيضت وجوههم فهم فى رحمة الجمعية والوفاق مع الله فى الدنيا وهم فيها خالدون فى الآخرة لانه يموت المرء على ماعاش فيه ويحشر على مامات عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على مامات عليه وقال من مات سكران فانه يعاين ملك الموت سكران ويعاين منكرا ونكيرا سكران ويبعث يوم القيامة سكران الى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجرى ماؤها دما لايكون له طعام ولا شراب الا منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى جبريل عليه السلام أن لااله الا الله انس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يامحمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم وينفضون عن رؤسهم التراب هذا يقول لااله الا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادى ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله مسودة وجوههم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النياحة على الميت من امر الجاهلية وان النائحة اذا لم تتب قبل أن تموت فانها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران ثم يعلى عليها بدرع من لهب النار وفى التنزيل الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان قال أهل التأويل كلهم يبعث كالمجنون عقوبة لهم وتمقيتا عند اهل الحشر فجعل الله هذه العلامة لاكلة الربا وذلك انه ارباه فى بطونهم فأثقلهم فهم اذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم نسأل الله الستر فى الدنيا والآخرة وهو الموفق للصالحات من الاعمال والافعال (كنتم خير أمة) كنتم من كان الناقصة التى تدل على تحقق شئ بصفة فى الزمان الماضى من غير دلالة على عدم سابق اولاحق ويحمل على الدوام اوالانقطاع بحسب معونة المقام ودلالة القرآئن فقولك كان زيد قائما محمول على الانقطاع وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما محمول على الدوام ومنه قوله تعالى كنتم خير أمة (اخرجت للناس) صفة لامة اظهرت لاجلهم ومصلحتهم ونفعهم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) جملة مستأنفة بين بها كونهم خير أمة كأنه قيل السبب فى كونكم خير الامم هذه الخصال الحميدة والمقصود بيان علة تلك الخيرية كقولك زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم لان ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يشعر بالعلية (وتؤمنون بالله) اى ايمانا متعلقا بكل مايجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) اى لو آمنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مماهم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بماوعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كأنه قيل هل منهم من آمن اوكلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبدالله بن سلام واصحابه (واكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر الخارجون عن الحدود (لن يضروكم الا اذى) استثناء مفرغ من المصدر العام اى لن يضروكم ابدا ضررا ما الاضرر اذى لايبالى به من طعن وتهديد لااثر له (وان يقاتلوكم) اى ان يخرجوا الى قتالكم (يولوكم الادبار) مفعول ثان ليولوكم اى يجعلوا ظهورهم مايليكم ويرجعوا الى ادبارهم منهزمين من غير أن ينالوا منكم شيأ من قتل أواسر (ثم لاينصرون) عطف على الشرطية وثم للتراخى فى المرتبة اى لاينصرون من جهة احد ولايمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بأنهم لايقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرب يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فلا ينهضون بجناح ولاترجع اليهم قوة ونجاح كما كان من حال بنى قريظة والنضير وقينقاع ويهود خيبر (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا) اى فى اى مكان واى زمان وجدوا فى دار الاسلام الزموا الذل اى هدر النفس والمال والاهل بحيث صار كشئ يضرب على الشئ فيحيط به (الا بحبل من الله وحبل من الناس) استثناء من اعم الاحوال اى ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هى عليه فى جميع الاحوال الاحال كونهم معتصمين بذمة الله وذمة المسلمين واستعير الحبل للعهد لانه سبب للنجاة والفوز بالمراد وعطف قوله وحبل من الناس على قوله بحبل من الله يقتضى المغايرة قال الامام فى وجهه الامان الحاصل للذمى قسمان احدهما الذى نص الله عليه وهو الامان الحاصل له باعطاء الجزية عن يد وقبوله اياها والثانى الامان الذى فوض الى رأى الامام واجتهاده فيعطيهم الامان مجانا تارة وببدل زآئد اوناقص اخرى على حسب اجتهاده فالاول هو المسمى بحبل الله والثانى هو المسمى بحبل المؤمنين فالامانان واقعان بمباشرة

المسلمين الا انهما متغايران بالاعتبار (وباؤا بغضب من الله) اى رجعوا بغضب كائن منه تعالى مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة) اى زى الافتقار فهى محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود فى غالب الامر فقراء امافى نفس الامر واما انهم يظهرون من انفسهم الفقر وان كانوا اغنياء موسرين فى الواقع (ذلك) اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) اى ذلك الذى ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد عليه السلام وتحريفهم اياها ولسائر الآيات القرءآنية (ويقتلون الانبياء بغير حق) اى فى اعتقادهم ايضا وهؤلاء المتأخرون وان لم يصدر عنهم قتل الانبياء لكنهم كانوا راضين بفعل اسلافهم مصوبين لهم فى تلك الافعال القبيحة وطالبين للقتل لو ظفروا به فكانوا بذلك كأنهم فعلوه بأنفسهم فلذا اسند القتل اليهم (ذلك) اشارة الى ماذكر من الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) اى كان بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضى الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر فان من توغل فى المعاصى والذنوب واستمر عليه الاجرام تتزايد ظلمات المعاصى على قلبه حالا فحالا ويضعف نور الايمان فى قلبه حالا فحالا ولم يزل الامر كذلك الى ان يبطل نور الايمان وتحصل ظلمة الكفر نعوذ بالله من ذلك واليه الاشارة بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فقوله تعالى ذلك بما عصوا اشارة الى علة العلة ولهذا المعنى قال ارباب المعاملات من ابتلى بترك الادب وقع فى ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع فى ترك الفريضة ومن ابتلى بترك الفريضة وقع فى استحقار الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع فى الكفر فعلى المؤمن ان لا يفتح باب المعصية على نفسه خوفا مما يؤدى اليه بل و يترك ايضا بعض ما ابيح له فى الشرع وذلك هو كمال التقوى قال عليه السلام لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به البأس وقال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه الحديث فمنع من الاقدام على الشبهات مخافة الوقوع فى المحرمات وذلك سد للذريعة والعارف متى قصد مخالفة أمره تعالى يجد من قلبه استحياء منه تعالى فينتهى عما نوى وعزم و يجتهد فى عبادة ربه قال الجنيد رحمه الله العبادة على رؤوس العارفين كالتيجان على رؤوس الملوك وروى فى يده سبحة فقيل له انت مع شرفك تأخذ فى يدك سبحة فقال طريق وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه ابدا قال الشيخ ابو طالب رحمه الله مداومة الاوراد من اخلاق المؤمنين وطريق العابدين وهى مزيد الايمان وعلامة الايقان قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله سألت استاذى عن ورد المحققين فقال اسقاط الهوى ومحبة المولى ابت المحبة ان تستعمل محبا لغير محبوبه وقال الورد رد النفس بالحق عن الباطل فى عموم الاوقات فليواظب العبد على الاوراد والطاعات وليجانب المعاصى والسيئات قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيى يارسول الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى وليحفظ البطن وما وعى وليذكر الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء

مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتى قبله ديگر ست * قال بعض المشايخ لو أن رجلا عاش مائتى سنة ولا يعرف هذه الاربعة فليس شئ احق به من النار احدها معرفة الله تعالى فى السر والعلانية وان لا معطى ولا مانع غيره والثانى معرفة عمل الله بان يعرف أن الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لرضى الله تعالى والثالث معرفة نفسه بان يعرف ضعفه انه لا يستطيع ان يرد شيأ مما قضى الله عليه والرابع معرفة عدو الله وعدو نفسه فيحاربه بالمعرفة حتى يكسره فان المعرفة سلاح العارف فمن كان عنده المعرفة الحقيقية كان غالبا على اعدائه الظاهرة والباطنة ووصل الى مراده والنفس عين العدو فعليك بالاحتراز من شره ومحاربته كل آن بالذكر والفكر والعمل الصالح عصمنا الله واياكم من الشرور (ليسوا سواء) اى ليس أهل الكتاب جميعا مستوين متعادلين فى المساوى والقبائح والمراد بنفى المساواة نفى المشاركة فى اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفى المساواة فى مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة فى اصل الاتصاف بها (من اهل الكتاب امة قائمة) كلام مستأنف لبيان عدم استوائهم وتمام الكلام يقتضى أن يقال ومنهم امة مذمومة الا انه أضمر بناء على ان ذكر أحد الضدين يغنى عن الآخر أى من اهل الكتاب جماعة قائمة اى مستقيمة

عادلة من اقت العود فقام بمعنى استقاموا وهم الذين أسلموا منهم كعبد الله بن سلام وغيره نزلت حين قالت احبار اليهود لعبد الله بن سلام وغيره من الذين أسلموا من اليهود ما آمن بمحمد الا شرارنا فلو كانوا خيارنا ماتركوا دين آبائهم اونزلت فى قوم يصلون صلاة الاوابين وهى اثنتا عشرة ركعة بعد صلاة المغرب (يتلون آيات الله) اى القرآن صفة اخرى لامة (آناء الليل) ظرف ليتلون اى فى ساعاته جمع أنى كعصا (وهم يسجدون) الجملة حال من فاعل يتلون اى يصلون اذلاتلاوة فى السجود وقال عليه الصلاة والسلام الا انى نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلاة لكونه ادل على كمال الخضوع والمراد بصلاتهم التهجد اذهو أدخل فى مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها فى المكتوبة وظيفة للامام واعتبار حالهم عند الصلاة على الانفراد يأباه مقام المدح (يؤمنون بالله واليوم الآخر) على الوجه الذى نطق به الشرع تعريض بان ايمان اليهود به مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما فى شئ اصلا (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) تعريض بمداهنتهم فى الاحتساب بل بتعكيسهم فى الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهى عن المعروف (ويسارعون فى الخيرات) المسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب فى الامر سارع فى توليه والقيام به وآثر الفور على التراخى اى يبادرون مع كمال الرغبة فى فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية تعريض بتباطئ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشر (واولئك) المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها (من الصالحين) اى من جملة من صلحت احوالهم عند الله تعالى واستحقوا رضاه وثناءه (وما يفعلوا من خير) كائنا ما كان مما ذكر أولم يذكر (فلن يكفروه) فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة وسمى منع الثواب ونقصه كفرانا مع انه لا يجوز أن يضاف الكفران الى الله تعالى اذليس لاحد عليه تعالى نعمة حتى يكفرها نظرا الى انه تعالى سمى ايصال الجزاء والثواب شكرا حيث قال فان الله شاكر عليم فلما جعل الشكران مجازا عن توفية الثواب جعل الكفران مجازا عن منعه وتعديته الى مفعولين وهما ماقام مقام الفاعل والهاء لتضمنه معنى الحرمان (والله عليم بالمتقين) بشارة لهم بجزيل الثواب واشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى والاشارة فى قوله وما تفعلوا من خيراى من خير يقربهم اليه فالله يشكره بتقربه اليهم اكثر من تقربهم اليه كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه باعا وقال انا جليس من ذكرنى وأنيس من شكرنى ومطيع من أطاعنى اى كما أطعتمونى بتصفية الاستعداد والتوجه نحوى اطعتكم بافاضة الفيض على حسبه والاقبال اليكم والله عليم بالذين اتقوا ما يحجبهم عنه فتجلى لهم بقدر زوال الحجاب قال ابو بكر الكتانى رأيت فى المنام شابا لم أر أحسن منه فقلت من أنت فقال التقوى قلت فأين تسكن قال فى كل قلب حزين ثم التفت الى فاذا امرأة سوداء اوحش ما يكون فقلت من أنت فقالت الضحك فقلت اين تسكنين فقالت فى كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت أن لا اضحك الاغلبة فعلى السالك ان تمسك بحبل التقوى ويأنس به فى الدنيا لعل الله يجعله انيساله فى قبره وحشره فالتقوى من ديدن الصلحاء وهم الذين يسارعون الى الخيرات ماداموا فى الحياة قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله افضل ما يسأل العبد من الله خيرات الدين ففى خيرات الدين خيرات الآخرة وفى خيرات الآخرة خيرات الدنيا وفى خيرات الدنيا ظهور خصائص الاولياء وهى أربعة أوصاف العبودية ونعوت الربوبية والاشراف على ما كان ويكون والدخول على الله فى كل يوم سبعين مرة والخروج كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة واستغفاره عليه الصلاة والسلام من نقص مارقى عنه باعتبار مارقى اليه اذذلك الاستغفار من مقتضى البشرية التى لا يمكن دفعها ووجه الاستغفار منه عليه السلام التفريق بين حالين كان فيهما بالعبودية اذلا يلحق النبى نقص بوجه ولا فتور بحال لثبوت عصمته ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين فينبغى للانسان ان يأخذ على نفسه ان لا يضيع لحظة حتى يأخذها بالذكر والشكر ومتى رأى خللا رفعه بالاستغفار وذكر الله تعالى علم الايمان وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث الله يحيى بن زكريا عليهما السلام الى بنى اسرائيل امره ان يأمرهم بخمس خصال ويضرب لكل خصلة مثلا امرهم ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وضرب لهم مثل الشرك كرجل اشترى عبدا من ماله ثم اسكنه دارا وزوجه ودفع اليه مالا وامره ان يتجر فيه ويأكل منه ما يكفيه ويؤدى اليه فضل الربح

فعمد العبد الى فضل الربح فجعل يعطيه لعدو سيده ويعطى لسيده منه شئ . أيسر افأيكم يرضى بفعال هذا العبد وأمرهم بالصلاة وضرب لهم مثلا للصلاة كمثل رجل استأذن على ملك من الملوك فاذن له فدخل عليه فأقبل عليه الملك بوجهه ليستمع مقالته ويقضى حاجته فالتفت يمينا وشمالا ولم يهتم لقضاء حاجته فأعرض عنه الملك فلم يقض حاجته وأمرهم بالصيام وضرب لهم مثلا فقال مثل الصائم كمثل رجل لبس جنة للقتال وأخذ سلاحه فلم يصل اليه عدوه ولم يعمل فيه سلاح عدوه وامرهم بالصدقة وضرب لهم مثلا للمتصدق فقال مثل المتصدق كمثل رجل اسره عدوه فاشترى منهم نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل فى بلادهم ويؤدى اليهم من كسبه القليل والكثير حتى يفتدى منهم نفسه فعتق وفك رقبته وامرهم بذكر الله تعالى وضرب لهم مثلا للذكر فقال مثل الذكر كمثل قوم لهم حصن ويقربهم عدو لهم فدخلوا حصنهم وأغلقوا ابوابه وحصنوا انفسهم من العدو ثم قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانا آمركم بالخصال الخمس التى امر الله بها يحيى عليه السلام وآمركم بخمس اخرى امرنى الله بها عليكم بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد فليسارع العبد الى الخيرات والحسنات وجميع الحالات ولا يتيسر ذلك الا لارباب الارادات واصحاب المجاهدات * نيايد نكوكارى ازبدركان * محالست دوزند كى ازسكان * توان پاك كردن ززنك آينه * وليكن نيايد زسنك آينه * بكوشش نرويد كل ازشاخ بيد * نه زنكى بكرمابه كردد سفيد * (ان الذين كفروا) اى بما يجب ان يؤمن به (لن تغنى عنهم) اى لن تدفع عنهم (اموالهم ولا اولادهم من الله) اى من عذابه تعالى (شيأ) اى شيأ يسيرا منه اوشيأ من الاغناء رد للكفار كافة حيث فاخروا بالاموال والاولاد قائلين نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وكانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه بالفقر ويقولون لو كان محمد على الحق لما تركه ربه فى الفقر والشدة وخص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد فأنفع الجمادات هو المال وانفع الحيوانات هو الولد فالكافر اذا لم ينتفع بهما فى الآخرة البتة دل ذلك على عدم انتفاعه بسائر الاشياء بالطريق الاولى (واولئك اصحاب النار) اى مصاحبوها على الدوام وملازموها (هم فيها خالدون) ابدا ولما بين ان اموال الكفار لا تغنى عنهم شيأ ثم انهم ربما انفقوا اموالهم فى وجوه الخيرات فيخطر ببال الانسان انهم ينتفعون بذلك فأزال الله بهذه الآية تلك الشبهة وبين انهم لا ينتفعون بتلك الانفاقات وان كانوا قد قصدوا بها وجه الله فقال (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا) اى حال ما ينفقه الكفرة قربة اومفاخرة وسمعة وطلبا لحسن الذكر بين الناس وعداوة لاهل الاسلام كما انفق ابو سفيان واصحابه مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد (كمثل ريح فيها صر) اى برد شديد مهلك فانه فى الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر (اصابت حرث قوم) اى زرع قوم (ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصى فباؤا بغضب من الله وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وأفظع (فأهلكته) عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما أنفقوا فى ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة بوجه من الوجوه فهو من التشبيه المركب (وما ظلمهم الله) بما بين من ضياع ما انفقوا من الاموال (ولكن أنفسهم يظلمون) لما انهم اضاعوها بأنفاقها لا على ما ينبغى وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص واعلم ان انفاق الكفار اما ان يكون لمنافع الدنيا اولمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق منه اثر البتة فى الآخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة ولعلهم أنفقوا أموالهم فى الخيرات ببناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والايتام والارامل وكان ذلك المنفق يرجو من ذلك الانفاق خيرا كثيرا فاذا قدم الآخرة رأى كفره مبطلا لآثار الخيرات وكان كمن زرع زرعا وتوقع منه نفعا كثيرا فأصابه ريح فاحرقته ولا يبقى معه الا الحزن والاسف هذا اذا أنفقوا الاموال فى وجوه الخيرات اما اذا انفقوها فيما ظنوا انه من الخيرات لكنه كان من المعاصى مثل انفاق الاموال فى ايذاء الرسول وفى قتل المؤمنين وتخريب ديارهم فالذى قلنا فيه اشد واشد ونظير هذه الآية وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ويدخل فيه ما ينفقه بعض صاحبى الغرض لنفى رجل صالح من بلده اوقتله اوايذائه ونعوذ بالله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن جسده فيم ابلاه وعن علمه ما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه فليبادر العاقل الى الانفاق من ماله والاخلاص

فى عمله قال عليه الصلاة والسلام يجاء يوم القيامة بصحف مختومة فتنصب بين يدى الله عز وجل فيقول الله تعالى للملائكة القوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا الا خيرا فيقول وهو أعلم ان هذا كان لغيرى ولا اقبل اليوم من العمل الا ما ابتغى به وجهى * زعمروای پسر چشم اجرت مدار * چو در خانهٔ زید باشی بكار * چه قدر آورد بندهٔ حور دیس * كه زیر قبادارد اندام پیس * قال منصور بن عمار رحمه الله كان لى اخ فى الله يعتقد فى ويزورنى فى شدتى ورخائى وكان كثير العبادة والتهجد والبكاء ففقدته اياما فقيل لى هو ضعيف مريض فأتيت بابه فطرقته فخرجت ابنته فدخلت فوجدته فى وسط الدار وهو مضطجع على فراشه وقد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه فقلت له يا اخى اكثر من قول لا اله الا الله ففتح عينيه ونظر الى شزرا ثم وثم حتى قلت له لئن لم تقلها لا غسلتك ولا كفنتك ولا صليت عليك فقال يا اخى منصور هذه كلمة قد حيل بينى و بينها فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فأين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام فقال يا اخى كل ذلك كان لغير وجه الله انما كنت افعل ذلك ليقال واذكر به واذا خلوت بنفسى غلقت الابواب وارخيت الستور وبارزت ربى بالمعاصى * وراوازه خواهى دراقليم فاش * برون حله كن كو درون حشو باش * فلا غرور للعاقل بكثرة الاعمال والاولاد والاموال اذا لم تكن نيته صحيحة فيما يجرى عليه من الاحوال فأين الذين آثروا العقبى بل المولى على كل ما سواه فوجدوا الفقر اعز من الغنى والذل ألذ من العزة وبذلوا اموالهم وارواحهم فى سبيل الله لعمرى قوم عز بزوا الوجود وقليل ما هم وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ثم قال يقول ابن آدم مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فافنيت اولبست فابليت اوتصدقت فامضيت قال عليه الصلاة والسلام ياعائشة ان اردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقى ثوبا حتى ترقعيه وقال عليه السلام اللهم من أحبنى فارزقه العفاف والكفاف ومن ابغضنى فأكثر ماله وولده فقد وقفت ايها العبد على حقيقة الحال وان المال لا يغنى عن المرء شيأ فعليك بالقناعة وتقليل الدنيا ولا تغتر بأصحاب الاموال والجاه * ازبى ذكر وشوق حق مارا * درد وعالم دل وزبانى بس * وزطعام ولباس اهل جهان * كهنه دلقى ونيم نانى بس (يا أيها الذين آمنوا) نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهاهم الله عن ذلك بقوله (لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل صاحب وليجته من يعرف اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب التى تلى بطنه كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) اى من دون المسلمين متعلق بلا تتخذوا (لا يألونكم خبالا) يقال الا فى الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين فى قولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع اى لا امنعك نصحا والخبال الفساد اى لا يقصرون لكم فى الفساد بالمكر والخديعة ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر (ودوا ما عنتم) اى تمنوا عنتكم اى مشقتكم وشدة ضرركم فى دينكم ودنياكم والفرق بين الجملة الاولى وبين هذه أن معناهما انهم لا يقصرون ضررا فى امور دينكم ودنياكم فان عجزوا عن ذلك فحب ذلك وتمنيه غير زائل من قلوبهم (قد بدت البغضاء من افواههم) البغضاء شدة البغض اى قد ظهرت علامة العداوة فى كلامهم الخارج من افواههم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم فى ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين (وما تخفى صدورهم اكبر) مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) ما بينا لكم فتعملون به والظاهر ان الجمل من قوله لا يألونكم الى هنا تكون مستأنفات على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة (ها انتم اولاء) اى انتم أيها المؤمنون اولاء المخطئون فى موالاتهم (تحبونهم ولا يحبونكم) لما بينكم من مخالفة الدين (وتؤمنون بالكتاب كله) اى بجنس الكتاب جميعا وهو حال من الضمير المفعول فى لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) نفاقا (واذا خلوا) فكان بعضهم مكان بعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) اى من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا والانامل جمع انملة بضم الميم وهو الطرف الاعلى من الاصبع والغيظ شدة الغضب قال الامام والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا شدة الغيظ على المؤمنين حتى تبلغ تلك الشدة الى عض الانامل كما يفعل ذلك احدنا اذا اشتد غيظه وعظم حزنه على فوات مطلوبه ولما كثر هذا الفعل من الغضبان صار

ذلك كناية عن الغضب حتى يقال فى الغضبان انه يعض يده غيظا وان لم يكن هناك عض وانما حصل لهم هذا الغيظ الشديد لما رأوا من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الى ان يهلكوا به اوباشتداده الى ان يهلكهم فالمراد اللعن والطرد لاعلى وجه الايجاب والا لماتوا من ساعتهم (ان الله عليم بذات الصدور) اى قل لهم ان الله عليم بعداوة الصدور فيعلم مافى صدوركم من البغضاء والحنق (ان تمسسكم حسنة) اى تصبكم ايها المؤمنون حسنة بظهوركم على عدولكم وغنيمة تنالونها وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم وخصب فى معاشكم (تسؤهم) اى تحزنهم حسدا الى مانلتم من خير ومنفعة (وان تصبكم سيئة) مساءة باخفاق سرية لكم اواصابة عدومنكم او اختلاف يكون بينكم اوجدب ونكبة (يفرحوا بها) يشمتون مما اصابكم من ضرروشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة للايذان بأن مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة (وان تصبروا) على عداوتهم اوعلى مشاق التكاليف (وتتقوا) ماحرم الله عليكم ونهاكم عنه (لايضركم كيدهم) مكرهم وحيلتهم التى دبروها لاجلكم والكيد حيلة لطيفة تقرب وقوع المكيد به فيها (شيأ) نصب على المصدرية اى لايضركم شيأ من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئا على الخصم (ان الله بما يعملون) فى عداوتكم من الكيد (محيط) علما فيعاقبهم على ذلك والاحاطة ادراك الشئ بكماله فينبغى للمرء ان يجانب اعداء الله ويصبر على اذاهم فانه امتحان له من الله مع انهم لايقدرون على غير القدح باللسان كما قال تعالى لن يضروكم الا اذى والطعن لم يتخلص منه الانبياء والاولياء فكيف انت يارجل وكلنا ذلك الرجل * توروى ازبرستيدن حق مپيچ * مهل تانگيرند خلقت بهيچ * رهايى نيابد كس ازدست كس * گرفتار را چاره صبرست وبس * وفى قوله تعالى لاتتخذوا بطانة من دونكم اشارة الى ان الحامل لاسرار الرجل ينبغى ان يكون من جنسه معتمدا عليه مؤتمنا وربما يفشى الرجل سره الى من لم يجزبه فى كل حاله فيفتضح عند الناس (ان الرجال صناديق مقفلة * وما مفاتيحها الا التجاريب) فلاتغتر بظاهر انسان حتى تعرف سريرته قال الامام الغزالى ولاتعول على مودة من لم تختبره حق الخبرة بأن تصحبه مدة فى دار أو موضع واحد فتجربه فى عزله وولايته وغناه وفقره اوتسافر معه اوتعامله فى الدينار والدرهم اوتقع فى شدة فتحتاج اليه فان رضيته فى هذه الاحوال فاتخذه أبالك ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلالك واذا بلغك من الاخوان غيبة اورأيت منهم شرا او اصابك منهم مايسوءك فكل امرهم الى الله ولاتشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر لشغله ومن بلاغات الزمخشرى ماقدع السفيه بمثل الاعراض وما اطلق عنانه بمثل العراض اى المعارضة ونعم ماقيل

اصبر على مضض الحسو * د فان صبرك قاتله
والنار تأكل نفسها * ان لم تجد ماتأكله

فالمجاملة من سير الصالحين وكان ابراهيم بن ادهم فى جماعة من اصحابه فكان يعمل بالنهار وينفق عليهم ويجتمعون بالليل فى موضع وهم صيام فكان يبطئ فى الرجوع من العمل فقالوا ليلة تعالوا نأكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا اسرع فأفطروا وناموا فلما رجع ابراهيم وجدهم نياما فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد الى شئ من الدقيق هناك فعجنه وأوقد النار وطرح الملة فانتبهوا وهو ينفخ فى النار واضعا محاسنه على التراب فقالوا له فى ذلك فقال قلت لعلكم لم تجدوا فطورا فنمتم فاحببت ان تستيقظوا والملة قد ادركت فقال بعضهم لبعض ابصروا اى شئ عملنا وما الذى به يعاملنا * بدى رابدى سهل باشد جزا * اگر مردى احسن الى من اساء * قال ذوالنون رحمه الله لاتصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة فليسارع العبد الى تحصيل حسن الخلق وتوطين النفس على الصبر على المكاره حتى يفوز مع الفائزين قال بعضهم كنت بمكة فرأيت فقيرا طاف بالبيت واخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومر فلما كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته اياما وهو يفعل مثله فيوما من الايام طاف ونظر فى الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فأخرجت الرقعة من جيبه واذا فيها واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وصيته لابن عباس رضى الله

تعالى عنه ان استطعت ان تعمل لله بالرضى فى اليقين فافعل والا ففى الصبر على ما تكره خير كثير ومقاساة
المجاهدات ومخالفة النفس وترك الشهوات واللذات والتزام الفقر والصبر على المكروهات من دين السلف
الصالحين واهل النفس الامارة وان كان يبدو من فمه علامات البغض لامثال هؤلاء الاخيار لكنه فى الحقيقة
يعود ضرره الى نفسه والمرء بالصبر على ما جاء به من مكاره اعتراضه الفاسد يكون مأجورا ومثابا عند الله تعالى
وتباين الناس بالصلاح والفساد وغير ذلك خير محض يعتبره العاقل ويزكى نفسه به فيا أيها الصلحاء ان الاشرار
متسلطون على الاخيار بالطعن وقصد الاضرار ولكن المتقى فى حصن الله الملك الجبار (واذ غدوت) اى
اذكر لهم يا محمد وقت خروجك غدوة اى اول النهار الى احد ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة
عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة (من اهلك) من منزل عائشة رضى
الله عنها فى المدينة وهذا نص على ان عائشة رضى الله عنها كانت اهلا للنبى صلى الله عليه وسلم قال تعالى
الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فدل هذا على انها كانت مطهرة مبرأة من كل قبيح الا يرى ان ولد
نوح لما كان كافرا قال انه ليس من اهلك وكذا امرأة لوط (تبوئ المؤمنين) اى تنزلهم (مقاعد) كائنة
ومهيئة (للقتال) او متعلق بقوله تبوئ اى لاجل القتال والمقاعد جمع مقعد وهو اسم لمكان القعود عبر
عن تلك الاماكن التى عينت لكل واحد من الصحابة ان يبيت فى ما عين له من تلك الاماكن امابان يتسع
فى استعمال القعود لمجرد المكان مع قطع النظر عن كونه مكان القعود كما فى قوله تعالى فى مقعد صدق
واما لان كل مكان انما عين لصاحبه لان يقعد وينتظر فيه الى ان يجيئ العدو فيقوموا عند الحاجة الى المحاربة
فسميت تلك الاماكن بالمقاعد لهذا الوجه (روى) ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابى بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر
الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا
الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم
ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء
الاكالب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام انى رأيت فى منامى بقرا مذبحة حولى اى قطيعا منها فأولتها
خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما اى كسرا فأولته هزيمة ورأيت كأنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها
المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة
يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا طلبا للسعادة الشهادة وطمعا فى الحسنى والزيادة فلم يزالوا به عليه الصلاة والسلام حتى
دخل ولبس لامته اى درعه فلما رأوا ذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحى يأتيه وقالوا
اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد اقام المشركون
باحد يوم الاربعاء والخميس فخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة وصلى على رجل من
الانصار مات فيه فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فمشى على
راحلته فجعل يصف اصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله فى عدوة
الوادى اى طرفه وجانبه وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا
بالنبل اى ادفعوا العدو عنا بالسهم حتى لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فاذا عاينوكم وولوكم الادبار
فلا تطلبوا المدبرين ثم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما خالف رأى عبد الله بن ابى وكان من قدماء اهل
المدينة ورئيس المنافقين شق عليه ذلك وقال اطاع الولدان وعصانى ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه
بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم اعداءهم فانهزموا فيتبعونكم ويصير الامر
على خلاف ما قاله محمد عليه الصلاة والسلام فلما التقى الفريقان انهزم عبد الله بالمنافقين وكان عليه السلام قد
خرج فى ألف رجل او تسعمائة وخمسين رجلا فلما بلغوا الشوط رجع ابن ابى بثلاثمائة وبقيت سبعمائة فقال
لقومه يا قوم علام نقتل أنفسنا واولادنا فتبعهم ابو جابر السلمى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال
عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم وكان الحيان من الانصار بنوا سلمة من الخزرج وبنوا حارثة من الاوس جناحى
عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقواهم الله تعالى حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام القوم طمعوا ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين فتركوا الموضع الذى امرهم النبى عليه السلام بالثبات فيه ثم اشتغلوا بطلب الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم انما حصل يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين وكانوا ثلاثة آلاف رجل فحملوا على المؤمنين وتفرق العسكر عن رسول الله عليه السلام حتى بقى معه سبعة من الانصار ورجلان من قريش فلما قصد الكفار النبى عليه الصلاة والسلام شجوا رأسه وكسروا رباعيته وثبت معه عليه السلام يومئذ طلحة ووقاه بيده فشلت اصبعاه وصار مجروحا فى أربعة وعشرين موضعا ولما اصابه عليه السلام ما اصاب من الشجة وكسر الرباعية وغلب عليه الغشى احتمله طلحة ورجع القهقرى وكلما ادركه واحد من المشركين كان يضعه عليه السلام ويقاتله حتى اوصله الى الصخرة وكان عليه السلام يقول اوجب طلحة ووقعت الصيحة فى العسكر ان محمدا قد قتل وكان فى جملة الصحابة رجل من الانصار يكنى اباسفيان نادى الانصار وقال هذا رسول الله فرجع اليه المهاجرون والانصار فشمل عز الشهادة اثنين وسبعين من المؤمنين واختص بشرا ئف نعم الله وجلائل كرمه حمزة سيد الشهداء وهنيئا له ان مثل به اذ مثل به وكثر فيهم الجراح فقال عليه الصلاة والسلام رحم الله رجلا ذب عن اخوانه وشد على المشركين بمن معه حتى كشفهم عن القتلى والجرحى وأعانهم الله حتى هزموا الكفار ثم ان كل ذلك يؤكد قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ وان المقبل من اعانه الله والمدبر من خذله الله ومن الله العصمة (والله سميع عليم) لما شاور النبى عليه السلام اصحابه فى ذلك الحرب وقال بعضهم اقم بالمدينة وقال آخرون اخرج اليهم وكان لكل احد غرض فى قوله فمن موافق ومن منافق قال تعالى انا سميع لما يقولون عليم بما يسرون (اذهمت) بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير والهم تعلق الخاطر بماله قدر (طائفتان منكم) أيها المؤمنون وهما بنوا سلمة من الخزرج وبنوا حارثة من الاوس (ان تفشلا) اى بان تجبنا وتضعفا وترجعا لظنهما الصواب فيه والفشل الضعف والظاهر أن همهما ليس بمعنى العزم والقصد المصمم وانما هو خطرات وحديث نفس كما لا تخلو النفس عند الشدائد من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه (والله وليهما) اى عاصمهما من اتباع تلك الخطرات والجملة اعتراض (وعلى الله) وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا واشتراكا (فليتوكل المؤمنون) فى جميع امورهم فانه حسبهم وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعى التوكل وموجباته والتوكل الاعتماد على الغير واظهار العجز قال الامام وفى الآية اشارة الى انه ينبغى ان يدفع الانسان ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك التوكل قال سهل بن عبد الله التسترى جملة العلوم ادنى باب من التعبد وجملة التعبد ادنى باب من الورع وجملة الورع أدنى باب من الزهد وجملة الزهد أدنى باب من التوكل وقال ايضا علامة المتوكل ثلاث لا يسأل ولا يرد ولا يحبس وكان ابراهيم الخواص رحمه الله مجردا فى التوكل وكان لا يفارقه ابرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له يا ابا اسحق لم تحمل هذا وأنت تمتنع من كل شئ فقال مثل هذا لا ينقص التوكل لان لله علينا فرائض والفقير لا يكون عليه غير ثوب واحد فربما تخرق ثوبه فاذا لم يكن معه ابرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته قال ابو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينما انا امشى فى الطريق اذ وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذه البئر لئلا يقع فيها احد فأتوا بقصب وطموا البئر فهممت ان اصيح ثم قلت فى نفسى أشكو الى من هو اقرب منهما فسكت فبينما انا بعد ساعة اذ انا بشئ قد جاء وكشف عن راس البئر وأدخل رجله وكأنه يقول لى تعلق بى فى هيئة له كنت أعرف ذلك منها فتعلقت به فاخرجنى فاذا هو سبع فمر وهتف بى هاتف يا أبا حمزة اليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت قال بعضهم من وقع فى ميدان التفويض يزف اليه المراد كما تزف العروس الى اهلها ولما زج بابراهيم عليه السلام فى المنجنيق واتاه جبريل فقال ألك حاجة قال اما اليك فلا واما الى الله فبلى قال سله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وقد قال نبينا عليه السلام يقول الله تعالى فمن شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين فعلى السالك

لمن يتوكل على الله و يفوض امره اليه فان كل ماقضى وقدر لايرد البتة وان تعدت نفسك فى ذلك قضا كشتى آنجا كه خواهد برد * وكرنا خدا جامه برتن درد * يكفيك علم الله بحالك فاقطع نظرك عن الاسباب والفتح ليس الا من مفتح الابواب مكن سعدبا ديده بردست كس * كه بخشنده برورد كارست وبس * اكرحق برستى زدرها بسست * كه كروى براند نخواند كسست * (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر بئر ماء بين مكة والمدينة حافرها رجل اسمه بدر فسمى به وكانت وقعة بدر فى السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة (وأنتم اذلة) حال من الضمير جمع ذليل وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل بجمع الكثرة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد للمقداد بن الاسود وهو اول من قاتل على فرس فى سبيل الله وتسعون بعيرا وست ادرع وثمانية سيوف وقلتهم انهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ستة وسبعون من المهاجرين وبقيتهم من الانصار وكان عدوهم فى حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وكان صاحب راية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بن ابى طالب رضى الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة رضى الله عنه (فاتقوا الله) فى الثبات مع رسوله كما اتقيتم يومئذ (لعلكم تشكرون) اى راجين ان تشكروا بما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة (اذ تقول) ظرف لنصركم وقت قولك (للمؤمنين) حين اظهروا العجز عن المقاتلة (الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد اعانة الجيش بالجيش والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة أن للاشعار بأنهم كانوا حينئذ كالا يسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرته (منزلين) اى حال كونهم نازلين من السماء باذنه تعالى قيل امدهم الله اولا بالف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله (بلى) ايجاب لما بعد أن وتحقيق له اى بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال (ان تصبروا) على لقاء العدو ومناهضتهم (وتتقوا) معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم (ويأتوكم) اى ان يجيئكم المشركون (من فورهم هذا) اى من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم لايتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم ويسهل فتحكم ان صبرتم واتقيتم (مسومين) من التسويم الذى هو اظهار سيما الشىء اى معلمين انفسهم او خيلهم فى اذنابها ونواصيها بالصوف الابيض قال عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت (روى) ان الملائكة كانوا بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير ابن العوام ونزلوا على الخيل البلق موافقة لفرس المقداد واكراما له (وما جعله الله) عطف على مقدر اى فامدكم به وما جعل الله ذلك الامداد بانزال الملائكة عيانا بشىء من الاشياء (الا بشرى لكم) بانكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) اى بالامداد وتسكن اليه من الخوف كما كانت السكينة لبنى اسرائيل (وما النصر الا كائن (من عند الله) لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانما امدهم بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر فينبغى للمؤمن ان لا يركن الى شىء من ذلك فان ترتب النصر عليها ليس الا بطريق جرى العادة (العزيز) الذى لا يغالب فى حكمه وقضيته (الحكيم) الذى يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (ليقطع) متعلق بنصركم اى نصركم الله يوم بدر ليهلك وينقص (طرفا من الذين كفروا) اى طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون (او يكبتهم) اى يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع فى القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وأو للتنويع دون الترديد (فينقلبوا خائبين) غير ظافرين بمبتغاهم وينهزموا منقطعى الآمال والخيبة هو الحرمان من المطلوب والفرق بينها وبين اليأس أن الخيبة لا تكون الا بعد التوقع واما اليأس فانه قد يكون بعد التوقع وقبله فنقيض اليأس الرجاء ونقيض الخيبة الظفر (ليس لك من الامر شىء) اعتراض (او يتوب عليهم او يعذبهم) عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم على الاطلاق فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان أسلموا او يعذبهم تعذيبا شديدا اخرويا ان اصروا وليس

لك من امرهم شيء وانما أنت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم (فانهم ظالمون) قد استحقوا التعذيب بظلمهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض) من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لأحد اصلا فله الامر كله (يغفر لمن يشاء) ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح (ويعذب من يشاء) ان يعذبه وقدم المغفرة لسبق رحمته تعالى غضبه وهذا صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له (والله غفور رحيم) لعباده والمقصود بيان انه وان حسن كل ذلك منه الا ان جانب الرحمة والمغفرة غالب لا على سبيل الوجوب بل على سبيل الفضل والاحسان فليبادر العاقل الى الاعمال التى يستوجب بها رحمة الله تعالى ولا ييأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين قال يارب فكيف ابشر المذنبين وأنذر الصديقين قال بشر المذنبين بأنى لا يتعاظمنى ذنب الا أغفره وانذر الصديقين ان لا يعجبوا بأعمالهم وانى لا اضع عدلى وحسابى على احد الا اهلكه وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه دخل على النبى عليه السلام فوجده يبكى فقال ما يبكيك يارسول الله قال جاءنى جبريل فقال ان الله يستحيى أن يعذب احدا قد شاب فى الاسلام فكيف لا يستحيى من شاب فى الاسلام ان يعصى الله فالواجب على الشيخ أن يعرف هذه الكرامة ويشكر الله ويستحيى منه ومن الكرام الكاتبين ويمتنع من المعاصى ويكون مقبلا على طاعة ربه فانه فى ساحل بحر المنون (روى) ان الحجاج لما اقام بالعراق يرهب ويفتك حتى استوثقت له الامور خرج عليه عبد الرحمن بن الاشعث بأهل العراق فأمده عبد الملك بأهل الشام فكانوا شيعته واستمرت بينه وبين ابن الاشعث الوقائع حتى هزمه الحجاج بدير الجماجم بعد ثمانين وقعة فى ستة اشهر وكان مع ابن الاشعث اكثر من مائتى ألف فلما هزموا قال الحجاج لاصحابه اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ثم نادى مناديه من رجع فهو آمن ودخل الكوفة وجاء الناس من المنهزمين يبايعونه فكان يقول لمن جاء يبايعه اشهد على نفسك بالكفر وخروجك عن الجماعة ثم تب فان شهد والا قتله فأتاه رجل من خثعم فقال اشهد على نفسك بالكفر فقال ان كنت عبدت ربى ثمانين سنة ثم اشهد على نفسى بالكفر لبئس العبد انا والله ما بقى من عمرى الا ظمئ حمار وانى انتظر الموت صباحا ومساء فأمر به فضرب عنقه وقدم بعده شيخ فقال الحجاج ما أظن الشيخ يشهد على نفسه بالكفر فقال يا حجاج أتخادعنى أنت عن نفسى انا أعرف بها منك وانى لأكفر من فرعون وهامان فضحك الحجاج وخلى سبيله فانظر الى ضعف ايمانه كيف ارتكب هذا القبح بعد ما جاوز حد الشباب الذى ليس بعده الا انتظار الموت صباحا ومساء من اقراره بالكفر مع غاية شيبه ومن لم تتداركه العناية الازلية لم يجئ منه شيء فعلى السالك ان يطمئن قلبه بالايمان ويجتهد الى أن يصل الى قوة اليقين ومن قوة اليقين التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ويرى الوسائط مسخرة لحكمه ولا ريب ان قوة اليقين بتصفية القلب عن كدورات النفس * چو پاك آفريدت بهش باش وپاك * كه ننكست ناپاك رفتن بخاك * بيابى بيفشان از آئينه كرد * كه صيقل نكيرد چو زنكار خورد * وجلاء القلب انما يحصل بذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة على النبى عليه السلام وخير الاذكار كلمة التوحيد وهى العروة الوثقى قال ابراهيم الخواص قدس سره دواء القلب خمسة تلاوة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع الى الله تعالى عند السحر ومجالسة الصالحين فعليك بالمواظبة لهذه الخصال لعلك تصل الى التزكية ودرجة الكمال بعون الله الملك العزيز المتعال (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا) والمراد بأكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لانه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه فى المأكولات مع ما فيه من زيادة التشنيع (اضعافا مضاعفة) زيادات مكررة كان الرجل فى الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم الى اجل ولم يكن المديون واجدا لذلك المال قال زدنى فى المال حتى ازيد فى الاجل فربما جعله مائتين ثم اذا حل الاجل الثانى فعل مثل ذلك ثم الى آجال كثيرة فيأخذ بسبب تلك المائة اضعافها واضعافا جمع ضعف حال من الربا اى متضاعفا ولما كان جمع قلة والمقصود الكثرة اتبعه بما يدل على الكثرة حيث وصفه بقوله مضاعفة وهى اسم مفعول لا مصدر وهذه الحال ليست لتقييد النهى بها حتى تنتفى الحرمة عند انتفائها بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم على ذلك (واتقوا الله) فيما نهيتم عنه خصوصا الربا واعماله (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح (واتقوا النار التى اعدت للكافرين) بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى ما يتعاطونه وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة وكان

ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية فى القرءآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه فى اصناف محارمه (واطيعوا الله) فى كل ما امركم به ونهاكم عنه (والرسول) الذى يبلغكم اوامره ونواهيه (لعلكم ترحمون) راجين لرحمته ولعل وعسى فى امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبراله قال القاشانى ولا يخفى على الفطن ما فيه من المبالغة فى التهديد على الربا حيث انى بلعل فى فلاح من اتقاه واجتنبه لان تعليق امكان الفلاح ورجاءه بالاجتناب منه يستلزم امتناع الفلاح لهم اذا لم يجتنبوه و يتقوه مع ايمانهم ثم اوعد عليه بالنار التى اعدت للكافرين مع كونهم مؤمنين فما اعظمها من مصيبة توجب عقاب الكفار للمؤمنين وما اشده من تغليظ عليه ثم امدّ التغليظ بالامر بطاعة الله ورسوله تعريضا بأن آكل الربا منهمك فى المعصية لا طاعة له ثم علق رجاء المؤمنين بطاعة الله ورسوله اشعارا بانه لا رجاء للرحمة مع هذا النوع من العصيان فهو يوجب اليأس من رحمته للمؤمنين لامتناعها لهم معه فانظر كيف درج التغليظ فى التهديد حتى ألحقه بالكفار فى الجزآء والعقاب انتهى بعبارته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه والمحلل * والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال على الوجه الذى نهى الله عنه وهو قسمان ربا النسيئة وربا الفضل اما ربا النسيئة فهو ما كان يتعارفه اهل الجاهلية ويتعاملون به وقد سبق آنفا واما ربا الفضل اى اخذ الفضل عند مقابلة الجنس بالجنس نقدا فهو أن يباع منّ من الحنطة بمنين منها وما اشبه ذلك وقد اتفق جمهور العلماء على تحريم الربا فى القسمين واعلم ان الربا يؤدى الى الحرص على طلب الدنيا اضعافا مضاعفة الى ما لا يتناهى كما قال عليه الصلاة والسلام لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب والحرص دركة من دركات النيران فلذا قال واتقوا النار التى اعدت للكافرين * قناعت كن اى نفس بداندكى * كه سلطان ودرويش بينى يكى * فالحرص على الدنيا وسعيها وجمعها مذموم منهى عنه والبذل والايثار وترك الدنيا والقناعة فيها محمود مأمور به يدل عليه قوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات فمن اخذ الربا لتكثير المال بلا احتياج كان كمن يقع على امه نعوذ بالله روى عن عبد الله بن سلام للربا اثنان وسبعون حوبا اصغرها كمن اتى امه فى الاسلام كذا فى تنبيه الغافلين واذا اخذه بوجه شرعى مع الاحتياج يجوز فى الفتوى ولكن التقوى فوق امر الفتوى والحيلة الشرعية فيه ذكرها قاضى خان حيث قال رجل له على رجل عشرة دراهم فأراد ان يجعلها ثلاثة عشر قالوا يشترى من المديون شيأ بتلك العشرة و يقبض المبيع ثم يبيعه من المديون بثلاثة عشر الى سنة فيقع التحرز عن الحرام ومثل هذا مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا احتاج الى الاستقراض فاستقرض من رجل فلم يعطه الا بالربا فالاثم على آخذ الربا دون معطيه لان له فيه ضرورة وهذا اذا كان الآخذ غنيا كما عرفت فالمرء الصالح يتباعد عن مثل هذه المعاملات فان الربا يضر بايمان المؤمنين وهو وان كان زيادة فى الحال لكنه نقصان فى الحقيقة فان الفقرآء الذين يشاهدون ان المرابى يأخذ اموالهم بسبب الربا يلعنونه ويدعون عليه وذلك يكون سببا لزوال الخير والبركة عنه فى نفسه وماله بل عما يتفرع من نقص عرضه وقدره وتوجه مذمة الناس اليه وسقوط عدالته وزوال امانته وفسق القلب وغلظته وآخذ الربا لا يقبل الله منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلاة وقد ثبت فى الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقرآء بخمسمائة عام فاذا كان الغنى من الوجه الشرعى الحلال كذلك فما ظنك بالغنى من الوجه الحرام فالانسان مع فقره وحاجته اذا توكل على الله واحسن الى عبيده فالله تعالى لا يتركه ضائعا جائعا فى الدنيا بل يزيد كل يوم فى جاهه وذكره الجميل ويميل قلوب الناس اليه واما اذا كان بخلاف ذلك فيكون امره عسيرا فى الدنيا والآخرة والعمل السوء ينزع به الايمان عند الموت فيستحق به صاحبه الخلود فى النار كالكفار نعوذ بالله من ذلك * وروى ابو بكر الوراق عن ابى حنيفة رحمه الله اكثر ما ينزع الايمان لاجل الذنوب من العبد عند الموت واسرعها نزعا للايمان ظلم العباد فاتق أيها المؤمن من الله ولا تظلم عباد الله بأخذ اموالهم من ايديهم بغير حق فانه حوب كبير عصمنا الله واياكم من سوء الحال (وسارعوا) اى بادروا واقبلوا (الى مغفرة) كائنة (من ربكم وجنة) الى ما يستحقان به كالاسلام والتوبة والاخلاص واداء الواجبات وترك المنهيات (عرضها السموات والارض) اى كعرضهما صفة لجنة وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل فان العرض فى العادة ادنى من الطول (اعدت للمتقين) اى هيئت لهم صفة اخرى لجنة وفيه دليل على ان

الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم اما الاول فلدلالة لفظ الماضى واما الثانى فلأن ما يكون عرضه كعرض جميع هذا العالم لا يكون داخلا فيه (روى) ان رسول هرقل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انك تدعوا الى جنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال عليه السلام سبحان الله فأين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله أعلم اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب من العالم والليل فى ضد ذلك الجانب فكذا الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل (الذين ينفقون) كل ما يصلح للانفاق وهو صفة مادحة للمتقين (فى السراء والضراء) اى فى حالتى الرخاء والشدة اى الغنى والفقر واليسر والعسر وفى الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اى لا يخلون فى حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير (والكاظمين الغيظ) عطف على الموصول والكظم الحبس والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب اى الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه (والعافين عن الناس) اى التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته (والله يحب المحسنين) الذين عمت فواضلهم وتمت فضائلهم ولامه يصلح للجنس فيدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم واعلم ان الاحسان الى الغير اما ان يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرر عنه اما ايصال النفع اليه فهو المراد بقوله الذين ينفقون فى السراء والضراء ويدخل فيه انفاق العلم وذلك بان يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه انفاق المال فى وجوه الخيرات والعبادات قال عليه الصلاة والسلام السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار واما دفع الضرر عن الغير فهو اما فى الدنيا وهو ان لا يشتغل بمقابلة تلك الاساءة باساءة اخرى وهو المراد بكظم الغيظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا واما فى الآخرة وهو أن يبرئ ذمته من التبعات والمطالبات فى الآخرة وهو المراد بقوله والعافين عن الناس (روى) انه ينادى مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان هؤلاء فى امتى قليل الا من عصمه الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت فهذه الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير ولما كانت هذه الامور الثلاثة مشتركة فى كونها احسانا الى الغير ذكر ثوابها فقال والله يحب المحسنين فان محبة الله العبد أعظم درجات الثواب قال الفضيل بن عياض الاحسان بعد الاحسان مكافأة والاساءة بعد الاساءة مجازاة والاحسان بعد الاساءة كرم وجود والاساءة بعد الاحسان لؤم وشؤم (حكى) ان خادما كان قائما على رأس الحسن بن على رضى الله عنه وهو مع اضيافه فى المائدة فانحرفت قصعة كانت فى يد الخادم فسقط منها شئ على الحسن فقال والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك فقال والله يحب المحسنين قال أنت حر لوجه الله وقد زوجتك فلانة فتاتى وعلىّ ما يصلحكما (قال الفاضل الجامى) جوانمردا جوانمردى بياموز * زمردان جهان مردى بياموز * درون از كين كين جويان نكه دار * زبان از طعن بد كويان نكه دار * نكويى كن بآن كو با تو بد كرد * كزآن بد رخنه در اقبال خود كرد * چو آيين نكوكارى كنى ساز * نكردد جز بتو آن نكويى باز * فعلى العاقل ان يسارع الى العمل بالحسنات من الاحسان وانواع الخيرات سريعا قبل الفوات لان فى التأخير آفات * كنون وقت تخم است اكر پرورى * كر اميد دارى كه خرمن برى * يعنى ان كنت تأمل الجنة فاعبد ربك بأنواع العبادات مادمت فى الحياة فان الفرصة غنيمة والمتأخر عن السير الى الله مغبون قيل بياساقى كه فى التأخير آفات ومن اضاع عمره فى الهوى فلا يلحقه يوم القيامة الا الحسرة والندامة * بمايه توان اى پسر سود كرد * چه سود آيد آنرا كه سرمايه خورد * والله تعالى خلق الانسان لدخول الجنة ودرجاتها والنار ودركاتها ثم ارسل المرسلين مبشرين بالجنة ومنذرين بالنار وحث بالاتقاء والحذر عن النار كما قال واتقوا النار التى اعدت للكافرين وحرض على المسارعة الى الجنة بقوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم اى سارعوا بقدم التقوى الى مقام من مقامات قرب ربكم وجنة عرضها السموات والارض يعنى طولها فوق السموات والارض والاشارة فيه ان الوصول اليها بعد العبور من ملك السموات والارض وهو المحسوسات التى تدركها الحواس الخمس والعبور عنها انما يكون بقدم التقوى الذى هو تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة كما قال اعدت للمتقين فان قدم التقوى الذى يولج به فى عالم الملكوت هو التزكية ويدل عليه ما قال عيسى عليه الصلاة والسلام لن يلج ملكوت السموات

والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هى الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت وهو التحلية بالصفات الروحانية وقوله اعدت للمتقين اى هم مخصوصون بها ومراتبهم فى الدرجات العلى وهو بقدر تقوى النفوس وتزكيتها عصمنا الله واياكم من الشرور والاوزار وشرفنا بمقامات الابرار والاخيار (والذين اذا فعلوا فاحشة) اى فعلة بالغة فى القبح كالزنى (او ظلموا انفسهم) بأن أذنبوا اى ذنب كان مما يؤاخذ به الانسان او الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك (ذكروا الله) تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده (فاستغفروا لذنوبهم) بأن ندموا على ما مضى مع العزم على تركه مثله فى المستقبل واما مجرد الاستغفار باللسان فلا اثر له فى ازالة الذنب وانما هو حظ اللسان من الاستغفار وهو توبة الكذابين (ومن) استفهام انكارى اى لا (يغفر الذنوب) اى جنس الذنوب احد (الا الله) بدل من الضمير المستكن فى يغفر وهو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه نصويبا للتائبين وتطييبا لقلوبهم و بشارة لهم بوصف ذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة واجلالا لهم واعلاء لقدرهم بانهم علموا ان لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان من كرمه ان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وان العبد اذا التجأ اليه فى الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه عفا عنه وتجاوز عن الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم وتحريضا للعباد على التوبة وبعثا عليها وعلى الرجاء وردعا عن اليأس والقنوط (ولم يصروا) عطف على فاستغفروا اى لم يقيموا (على ما فعلوا) من الذنوب فاحشة كانت او ظلما غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة ولا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار اى الصغيرة مع الاصرار كبيرة (وهم يعلمون) حال من فاعل يصروا اى لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهى عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير فى تحصيل العلم به (اولئك) اى اهل هذه الصفات (جزاؤهم) اى ثوابهم (مغفرة) كائنة (من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) اى لهم ذخر لا يبخس واجر لا يوكس وجنات لا تنقضى ولذات لا تقضى (ونعم اجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف اى ونعم اجر العاملين ذلك اى ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما تستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب فى الطاعات والزجر عن المعاصى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك قال ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ابن آدم انك ان تلقنى بقراب الارض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة بعد ان لا تشرك بى شيأ ابن آدم انك ان تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرنى اغفر لك * قال ثابت البنانى بلغنى ان ابليس بكى حين نزلت هذه الآية وهى قوله والذين الآية وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم ويصلى ثم يستغفر الله الا غفر الله له (روى) ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ما اقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل يا موسى كيف اجود برحمتى على من يبخل بطاعتى وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة * وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

قال القشيرى رحمه الله اوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام قل للظلمة حتى لا يذكرونى فانى اوجبت ان اذكر من يذكرنى وذكرى للظلمة باللعنة واعلم ان العمدة هى الايمان وذلك انما يحصل بالتوحيد المنافى للشرك وهو المؤدى الى التوبة والاستغفار ولكونه عمدة عد المؤمن الموحد من المتقين وصار سببا لدخول الجنة فينبغى للعبد ان يصرف اختياره الى جانب الامتثال للامر والاجتناب عن النهى فالله تعالى خالقه وان كان التوفيق الى جانب العمل ايضا من عنايته تعالى * نخست او ارادت بدل درنهاد * پس اين بنده بر آستان سر نهاد * وفقنى الله واياكم الى ما يحب ويرضى ويداوى بلطفه وكرمه هذه القلوب المرضى فان بيده مفاتيح الاصلاح والفوز بالبغية والظفر بالفلاح * شنيدستم كه ابراهيم ادهم * شبى بر تخت دولت خفت خرم * ز سقف خود شنيد او از پايى * ز جابر جست چون آشفته رايى * بتندى گفت اوكين كيست بربام * كه دارد بر سر اين قصر ما كام * جواب آمد كه اى شاه جهانگير * شترگم كرده مردم فلسم پير * ز خنده

كشت شه برجاى خودست * كه بربام آدمى هركز شتر جست * دكر بار باسخ آمد كاى جوان بخت * خدا جويى كسى كردست برتخت * خدا جويى وخورد وخواب وارام * شتر جويى بود بر كوشه بام * چو بشنيد اين پيام از هاتف غيب * فراغت كرد از دنيا بلا ريب * رسيد ازراه تجريدى بمنزل * پس از ادبار رشد مقبول ومقبل * فالواجب على طالب الحق ان يحفظ الادب حتى يرتقى بذلك الى اعلى الرتب ألا ترى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف كان يستغفر كل يوم سبعين مرة مع أن ذنبه كان مغفورا وبكمال ادبه وصل الى ما وصل حتى صار اتباعه سببا لمحبة الله تعالى كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ومع ذلك كان خوفه واجلاله فى غاية الكمال وهكذا ينبغى لمن اقتدى به وورثة المحسن وان كانت اولى ولكن التدارك أحسن من الاصرار فطوبى لمتدارك وصل الى الاحسان واجبر نال الى المحبوبية عند الله الرحمن (قد خلت من قبلكم سنن) اصل الخلو الانفراد والمكان الخالى هو المنفرد عمن يسكن فيه ويستعمل ايضا فى الزمان الماضى لان ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه وكذا الامم الخالية والسنن الوقائع اى قد مضت من قبل زمانكم وقائع سنها الله فى الامم المكذبة اى وضعها طريقة يسلكها على وفق الحكمة فالمراد بسنن الله تعالى معاملات الله فى الامم المكذبة بالهلاك والاستئصال بدليل قوله تعالى فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (فسيروا فى الارض) اى ان شككتم فى ذلك فسيروا وليس المراد الامر بالمسافرة فى الارض بسير الاقدام لا محالة بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت المعرفة بغير السير حصل المقصود ولعل اختيار لفظ سيروا مبنى على ان اثر المشاهدة اقوى من اثر السماع كما قيل ليس الخبر كالمعاينة وفى هذا المعنى قيل

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

(فانظروا) بنظر العين والمشاهدة (كيف) خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة فى محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار (كان عاقبة المكذبين) وعلى واوليائى (هذا) اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الخ (بيان للناس) وهم المكذبون اى ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا الى عواقب ما قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا اليهم والبيان هو الدلالة على الحق فى اى معنى كان بازالة ما فيه من الشبهة (وهدى) اى زيادة بصيرة وهو مختص بالدلالة والارشاد الى طريق الدين القويم والصراط المستقيم ليتدين به ويسلك (وموعظة) وهو الكلام الذى يفيد الزجر عما لا ينبغى فى الدين (للمتقين) اى لكم والاظهار للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم واعلم ان الامم الماضية خالفوا الانبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقى عليهم اللعن فى الدنيا والعقاب فى الآخرة فرغب الله تعالى امة محمد صلى الله عليه وسلم المصدقين فى تأمل احوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيا لهم الى الانابة والاعراض عن الاغترار بالحظوظ الفانية واللذات المنقضية فان الدنيا لا تبقى مع المؤمن ولا مع الكافر فالمؤمن يبقى له بعد موته الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى والكافر بخلافه فاللائق ان يجتهد فيما هو خير وابقى ولا ينظر الى زخارف الدنيا ثم فى هذا تسلية للمؤمنين فيما اصابهم يوم احد فان الكفار وان نالوا من المؤمنين بعض النيل لحكمة اقتضته فالعاقبة للمؤمنين قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وان الارض يرثها عبادى الصالحون ولو كانت الغلبة كل مرة للمؤمنين لصار الايمان ضروريا وهو خلاف ما تقتضيه الحكمة الالهية فعلى العاقل ان يفوض الامر الى الله ويعتبر بعين البصيرة فى الامور الخفية والجلية وقد قال الله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار * نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دكر مرغ بيند اندر بند * پند كير از مصائب دكران * تا نكيرند ديكران ز تو پند * والخوف من العاقبة من الصفات السنية للصلحاء (روى) انه يعذب الرجل فى النار ألف سنة ثم يخرج منها الى الجنة قال الحسن البصرى رحمه الله يا ليتنى كنت ذلك الرجل وانما قال الحسن ذلك لانه يخاف عاقبة امره وهكذا كان الصالحون يخافون عاقبة امرهم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله انك لتكثر القول بهذا الدعاء فهل تخشى قال صلى الله عليه وسلم ما يؤمننى يا عائشة

وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن فاذا اراد ان يقلب قلبا قلبه قال السدى انى لأنظر فى المرآة كل يوم مرارا مخافة ان يكون قد اسود وجهى والاشارة فى الآيتين ان الله خص السائرين الى الله بالمهاجرة عن الاوطان والمسافرة الى البلدان بمفارقة الخلان والاخدان ومصاحبة الاخوان غير الخوان ليعتبروا من سنن اهل السنن فقال تعالى قد خلت من قبلكم سنن اى امم لهم سنن فسيروا على سنن اهل السنة فى ارض نفوسكم الحيوانية بالعبور عن اوصافها الدنية واخلاقها الردية لتبلغوا اسماء قلوبكم الروحانية وتخلقوا بالاخلاق الربانية فانظروا كيف صار حاصل امر النفوس المكذبة بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية عند الوصول اليها هذا بيان للناس اى لاهل الغفلة والغيبة الناسين عهد الميثاق وهدى وموعظة للمتقين اى وعيان لاهل الهداية والشهود الذاكرين للعهود الذين اتعظوا بالتجارب والتقوى عما سوى الله تعالى قال بعض العلماء يامغرور أمسك وقس يومك بأمسك واتعظ بمن مضى من ابناء جنسك فانك بك قد حللت فى رمسك أين من احتط مولاه بنيل ما يهواه أين من افنى عمره فى خطاياه فتذكرانت أيها الغافل مصارعهم وانظر مواضعهم هل نفعهم رفيق رافقوه اومنعهم امانحلوا بخلالهم امانفردوا بأعمالهم فستصير فى مصيرهم فتدبر أمرك ومسكن فى مثل مساكنهم فاعمر قبرك يامسرورا بمنزله الرحب الانيق ستفلرقه يامشمرا من التراب ستعانقه اعتبر بمن سبقك فأنت لاحقه واذكر العهد الازلى فزك نفسك حياء من الله لعلك تصل الى ما تهواه من جنات وعيون ومقام كريم ووصال الى رب رحيم قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا فماذا يقعدك عن رفقة الصالحين وهل ترضى لنفسك يامسكين ان تقف فى مقام الجهال المعتدين اما علمت انك غدا تدان كما تدين اصلح الله احوالنا وصحح اقوالنا وافعالنا واعطانا آمالنا وختمنا بالخير اذا بلغنا آجالنا (ولا تهنوا) من الوهن وهو الضعف اى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم من الجراح يوم احد (ولا تحزنوا) على من قتل منكم وهى صيغة نهى ورد للتسكين والتصبير لا النهى عن الحزن (وانتم الاعلون) اى والحال انكم الأعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير أمرهم الى الدمار حسبما شاهدتم فى احوال أسلافهم لان الباطل يكون زهوقا وأصله اعليون فكرهوا الجمع بين اخت الكسرة والضمة (ان كنتم مؤمنين) والجواب محذوف دل عليه المذكور اى ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه ولا يتعلق بالنهى المذكور لأن الجزاء لا يتقدم على الشرط لكونهما كالكلمة الواحدة (ان يمسسكم) اى يصبكم (قرح) فتحا وضما اى جراحة (فقد مس القوم) اى الكفار ببدر (قرح مثله) قيل قتل المسلمون من الكافرين ببدر سبعين واسروا سبعين وقتل الكافرون من المسلمين باحد سبعين وأسروا سبعين والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون (وتلك الايام) اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هى داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة (نداولها بين الناس) ونصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال

فيوما علينا ويوما لنا ❊ ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة نقل الشئ من واحد الى واحد وقالوا تداولته الايدى اى تناقلته وليس المراد من هذه المداولة ان الله تعالى تارة ينصر المؤمنين واخرى ينصر الكافرين وذلك لان نصره تعالى منصب شريف فلا يليق بالكافر بل المراد انه تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين وانه لو شدد المحنة على الكفار فى جميع الاوقات وأزالها عن المؤمنين فى جميع الاوقات لحصل العلم الضرورى والاضطرارى بأن الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على اهل الايمان واخرى على اهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر فى الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله ولأن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصى فيكون اما تشديد المحنة عليه فى الدنيا أدبا له واما تشديد المحنة على الكافر فانه يكون غضبا من الله (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على علة محذوفة اى نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيما فعل غير واحدة وانما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم وهو امامن باب التمثيل اى ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم

المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز عن التميز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اى ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم اوهو على حقيقة معتبرة من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذى يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة فالمعنى ليعلم الله الذين آمنوا علما يتعلق به الجزاء (ويتخذ منكم شهداء) جمع شهيد أى ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء أحد (والله لا يحب الظالمين) ونفى المحبة كناية عن البغض اى يبغض الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين (وليمحص الله الذين آمنوا) عطف على يتخذ أى ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم (ويمحق الكافرين) ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا قال القاشانى ومن فوائد الابتلاء خروج ما فى استعداداتهم من الكمالات الى الفعل كالصبر والشجاعة وقوة اليقين وقلة المبالاة بالنفس واستيلاء القلب عليها والتسليم لامر الله وامثالها قال نجم الدين فى الكبرى ولا تهنوا يا سائرين الى الله فى السير اليه ولا تحزنوا على ما فاتكم من التنعمات الدنيوية والكرامات الاخروية وانتم الاعلون من اهل الدنيا والآخرة فى المقام عند ربكم ان كنتم مصدقين بهذه الاخبار تصديق الائتمار به ان يمسسكم قرح فى اثناء السير من المجاهدات وانواع البلاء والابتلاء فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح من المحن مثله وايام المحن والبلاء والابتلاء والامتحان نداولها بين السائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما منحة ويوما محنة وليختبرهم الله بالامتحان ويجعلهم مستعدين لمقام الشهادة ويتخذ منكم يا مبتلين بالنعمة والنقمة فى اثناء السير ارباب الشهود والمشاهدة والله لا يحب الذين يصرفون استعدادهم فى طلب غير الحق والسير اليه وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين يعنى ان كل غم وهم ومصيبة تصيب المؤمنين فى الله يكون تكفيرا لذنوبهم وتطهيرا لقلوبهم وتخليصا لارواحهم وتمحيصا لأسرارهم وما يصيب الكافرين من نعمة ودولة وحبور يكون سببا لكفرانهم ومزيد الطغيانهم وعمى لقلوبهم وتمردا لنفوسهم ومحقا لأرواحهم وسحقا لأسرارهم فاهل المحبة والمعرفة لا يخلون عن الابتلاء بقلة او ذلة او علة فان مقتضى الحكمة ذلك الا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام اشد البلاء على الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل (حكى) ان عيسى عليه السلام اجتاز جبلا فيه عابد يعبد الله عند عين من ماء لطهارته وشربه وبستان ينبت له الهندباء لقوته فسلم عليه المسيح فرد السلام عليه فقال له منذ كم انت ههنا تعبد الله قال منذ ثمانين سنة اسأل حاجة من الله فلم يقضها لى فقال عيسى وما هى قال أن يسكن قلبى ذرة من معرفته ومحبته فلا يفعل وأنت نبيه فسل لى هذه الحاجة فتوضأ عيسى من العين وصلى ركعتين وسأل حاجته ثم مضى وبقى ما بقى فى سفره فلما رجع الى ذلك المكان رآه خاليا والعين غائرة والبستان خراب فقال يا رب سألتك له المعرفة والمحبة فقبضت روحه فأوحى الله اليه يا عيسى اما علمت ان خراب الدنيا فى محبتى ومعرفتى ومن عرفنى وأحبنى لا يسكن الا الى ولا يقر قرارا فان احببت أن تراه فأشرف عليه فى هذا الوادى فأشرف عليه فاذا هو جالس قد ذهل وتحير وخرج لسانه على صدره شاخصا بصره نحو السماء فناداه عيسى والعابد لا يسمع فناداه وحركه فلم يشعر فأوحى الله الى عيسى فوعزتى وجلالى لو قطعته بالسيف ما شعر به لانى اسكنت قلبه معرفتى ومحبتى وهو أقل من ذرة ولو زدته ادنى شئ لطار بين السماء والارض وطاش فانظر الى اهل الله كيف تكون دنياهم خرابا لا يخلون من البلايا فاجتهد أنت ايضا أيها العبد فى تصحيح الدين لعلك تصل الى مقام اليقين والتمكين والمجاهدة تورث المشاهدة * چو يوسف كسى در صلاح وتميز * بسى سال بايدكه كردد عزيز (أم حسبتم) أم منقطعة والهمزة للانكار والاستبعاد والحسبان الظن والخطاب للذين انهزموا يوم احد أى بل أظننتم (ان تدخلوا الجنة) وتفوزوا بنعيمها (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل بعيد ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم اى لما تجاهدوا لان وقوع الشئ يستلزم كونه معلوما لله ونفى اللازم يستلزم نفى الملزوم فنزل نفى العلم منزلة نفى الجهاد للتأكيد والمبالغة لان انتفاء اللازم برهان على انتفاء الملزوم وفيه اشعار بان علمه بالاشياء على ما هى عليه ضرورى يقول الرجل ما علم الله فى فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفى

الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل تقول وعدنى ان يفعل كذا ولما يفعل اى لم يفعل وانا اتوقع فعله (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع والمعنى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر على الشدائد اى الجمع بينهما فلا ينبغى ان تحسبوا دخولها كما دخل الذين قتلوا وبذلوا مهجتهم وثبتوا على ألم الجراح والضرب من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا اصبرهم ومن البعيد أن يصل الانسان الى السعادة والجنة مع عدم اعمال هذه الطاعة (ولقد كنتم تمنون الموت) اى الحرب فانها من مبادى الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك (من قبل ان تلقوه) اى من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته (فقد رأيتموه) اى ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه (وأنتم تنظرون) معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمنى الشهادة بناء على ان فى تمنيها تمنى غلبة الكافر المسلم لان قصد متمنى الشهادة الى نيل كرامة الشهداء من غير أن يخطر بباله شئ غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة كما ان من يشرب دواء الطبيب النصرانى يقصد الى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسانا الى عدو الله وتنفيقا لصناعته واعلم ان حاصل الكلام ان حب الدنيا لا يجتمع مع سعادة الآخرة فبقدر ما يزداد احدهما ينتقص الآخر وذلك لان سعادة الدنيا لا تحصل الا باشتغال القلب بطلب الدنيا وسعادة الآخرة لا تحصل الا بفراغ القلب من كل ما سوى الله وامتلائه من حب الله وهذان الامران مما لا يجتمعان فلهذا السر وقع الاستبعاد الشديد فى هذه الآية من اجتماعهما وايضا حب الله وحب الآخرة لا يتم بالدعوى فليس كل من اقر بدين الله كان صادقا ولكن الفصل فيه تسليط المكروهات والمحرمات فان الحب هو الذى لا ينتقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء فان بقى الحب عند تسلط اسباب البلاء ظهر أن ذلك الحب كان حقيقيا فلهذه الحكمة قال أم حسبتم ان تدخلوا الجنة بمجرد تصديقكم الرسول قبل ان يبتليكم الله بالجهاد وتشديد المحنة قال القشيرى رحمه الله من ظن انه يصل الى محل عظيم دون مقاساة الشدائد ألقته امانيه فى مهواة الهلاك وان من عرف قدر مطلوبه سهل عليه بذل مجهوده قال الشاعر

وما جاد دهر بلذاته * على من يضن بخلع العذار

فالدولة العظمى هى سعادة الآخرة فانها باقية ودولة الدنيا فانية كما قيل * جهان مثال چراغيست دركذركه باد * غلام همت آنم كه دل برو ننهاد * وسئل الشبلى عن نعت العارف فقال لسانه بذكر الله ناطق وقلبه بمحبة الله صادق وسره بوعد الله واثق وروحه الى سبيل الله سابق وهو أبدا على الله عاشق فلا بد لأن يكون المرء من العارفين من ترك الدعوى والاقبال الى المولى وبذل الروح فى طريقه (حكى) عن حاتم الاصم انه قال لقينا الترك وكان بيننا صولة فرمانى تركى بوهق فأقلبنى عن فرسى ونزل عن دابته وقعد على صدرى واخذ بلحيتى هذه الوافرة واخرج من خفه سكينا ليذبحنى قال فوحق سيدى ما كان قلبى عنده ولا عند سكينه وانما كنت متحيرا أقول سيدى اسلمت نفسى اليك ان قضيت على ان يذبحنى هذا فعلى الراس والعين انما أنا لك وملكك فبينا انا اخاطب سيدى وهو قاعد على صدرى اذ رماه بعض المسلمين بسهم فما اخطأ حلقه فسقط عنى فقمت انا اليه فأخذت السكين من يده فذبحته بها فيا هؤلاء لتكن قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لا ترون من الآباء والامهات واعلموا ان من صبر واستسلم ظفر ومن فر انبع فلم يتخلص ونعم العون الصبر عند الشدائد * تحمل چو زهرت نمايد نخست * ولى شهد كردد چو در طبع رست * ز علت مدار اى خردمند بيم * چو دارو‌ى تلخت فرستد حكيم * ثبتنا الله واياكم (وما محمد) هو المستغرق لجميع المحامد لأن الحمد لا يستوجبه الا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه الا المستولى على الامد فى الكمال وأكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله محمد واحمد (الا رسول) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى الشعب من احد فى سبعمائة رجل جعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين راجلا وقال اقيموا بأصل الجبل وادفعوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ولا تنتقلوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فلا نزال

غالبين مادمتم فى مكانكم فجاء المشركون ودخلوا فى الحرب مع النبى عليه السلام واصحابه حتى حميت الحرب فاخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيفا وقال من يأخذه بحقه فأخذه ابودجانة فقاتل فى نفر من المسلمين قتالا شديدا وقاتل على بن ابى طالب حتى التوى سيفه وقاتل سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وكان النبى عليه السلام يقول لسعد ارم فداك ابى وامى فحمل هو واصحابه على المشركين فأنزل الله نصره عليهم فهزموا المشركين فلما نظر الرماة الى قوم هاربين اقبلوا على النهب بترك مركزهم فقال لهم عبد الله بن جبير لاتبرحوا مكانكم فقد عهد اليكم نبيكم فلم يلتفتوا الى قوله فجاؤا لاجل الغنيمة فبقى عبد الله بن جبير مع ثمانية نفر فخرج خالد بن الوليد مع خمسين ومائتى فارس من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقى من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين فهزموهم ورمى ابن قمئة النبى عليه السلام بحجر فكسر رباعيته وشجه وفيه يقول حسان بن ثابت

ألم تر ان الله ارسل عبده * ببرهانه والله أعلى وأمجد

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وتفرق عنه اصحابه وحمل ابن قمئة لقتل النبى عليه السلام فذب عنه مصعب بن عمير صاحب الراية يومئذ فقتله ابن قمئة ورجع فظن انه كان قتل النبى عليه السلام فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل وكان ذلك ابليس فرجع اصحابه منهزمين متحيرين فأقبل انس بن النضر عم انس بن مالك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وطلحة بن عبد الله فى رجال من المهاجرين والانصار فقال لهم ما يحبسكم قالوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم فقال ماتصنعون فى الحياة بعده موتوا كراما على مامات عليه نبيكم ثم اقبل نحو العدو فقاتل حتى قتل قال كعب ابن مالك انا اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين رأيت عينيه من تحت المغفر تزهران فنادى بأعلى صوتى الى عباد الله الى عباد الله فاجتمعوا اليه فلامهم رسول الله على هزيمتهم فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا الخبر بسوء فرعبت قلوبنا له فولينا مدبرين فوبخهم الله تعالى بقوله وما محمد الا رسول كسائر الرسل (قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول الرسالة والزام الحجة لاوجوده بين اظهر قومه (أفان مات اوقتل انقلبتم على اعقابكم) انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه عليه السلام بموت اوقتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به (ومن ينقلب على عقبيه) بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره (فلن يضر الله) بما فعل من الانقلاب (شيأ) اى شيأ من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب والله منزه عن النفع والضرر (وسيجزى الله الشاكرين) اى الثابتين على دين الاسلام الذى هو أجل نعمة وأعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وايفاء لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين ولما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اضطرب المسلمون فمنهم من دهش ومنهم من اقعد فلم يطق القيام ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ومنهم من أنكر موته بالكلية حتى غفل عمر رضى الله عنه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام فى الناس فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون انه عليه السلام توفى ان رسول الله مامات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأقطعن ايدى رجال وارجلهم يزعمون أن رسول الله مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت ثم تلا وما محمد الا رسول قال الراوى والله لكأن الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر رضى الله عنه فاستيقن الناس كلهم بموته صلى الله عليه وسلم وكانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة الرسول فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذى يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح كما يصيح الصبى فنزل اليه فاعتنقه فجعل يهدى كما يهدى الصبى الذى يسكن عند بكائه وقال لولم اعتنقه لحن الى يوم القيامة ما امر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب ولما ثقل النبى عليه السلام جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضى الله عنها واكرب أبتاه فقال لها ليس على ابيك كرب بعد اليوم فلما مات قالت يا ابتاه اجاب ربا دعاه يا ابتاه جنة الفردوس مأواه فلما دفن قالت فاطمة يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على نبيكم التراب وعاشت فاطمة بعد موته صلى الله

عليه وسلم ستة اشهر ثم مات * جهان اى برادر نماند بكس * دل اندر جهان آفرين بند وبس * فعلى العاقل ان يتدارك حاله قبل منيته حتى لا يفتضح عند رؤوس الخلائق يوم القيامة وكيف لا يسارع الى الاعمال الصالحة من يعلم ان يوم القيامة يوم يفزع فيه الانبياء والاولياء * دران روز كز فعل برسند وقول * اولوا العزم را تن بلرزد زهول * بجايى كه وحشت خورد انبيا * تو عذر كنه را چه دارى بيا * يعنى بأى عذر ترتكب الآثام ولا تبالى بحالك ثم ان الخلاص والفوز بالمرام فى الايمان التحقيقى قال الشيخ نجم الدين الكبرى الاشارة فى الآية ان الايمان التقليدى لا اعتبار له فينقلب المقلد عن ايمانه عند عدم المقلد به فمن كان ايمانه بتقليد الوالدين او الاستاذ او أهل البلد ولما يدخل الايمان فى قلبه ولم ينشرح صدره بنور الاسلام فعند انقطاعه بالموت عن هذه الاسباب المقلدة يعجز عن جواب سؤال الملكين فى قولهما من ربك فيقول هاه هاه لا ادرى واذ يقولان ما تقول فى هذا الرجل فيقول هاه لا ادرى كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان له لا دريت ولا تليت زدانندكان بشنو امروز قول * كه فردا نكيرت بپرسد بهول * غنيمت شمار اين گرامى نفس * كه بى مرغ قيمت ندارد قفس * يعنى البدن ليس له قدر بدون الروح فلا بد ان يغتنم العاقل انفاسه قبل ان يخرج الروح من قفصه (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) استثناء مفرغ من اعم الاسباب اى وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئته تعالى او الا باذنه لملك الموت فى قبض روحها والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد الرسول بالحفظ وتأخير الاجل ورد على المنافقين قولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فالمجاهد لا يموت بغير أجله والمتخلف عنه لا يسلم مع حضور اجله * بروز اجل نيزه جوشن درد * ز پيراهن بى اجل نكذرد * (كتابا) مصدر مؤكد لما قبله اذ المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وبعد تحقيق ان مدار الموت والحياة على محض مشيئة الله من غير أن يكون فيه مدخل لأحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة على اراداتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنية الى المطالب السنية فقيل (ومن يرد) اى بعمله (ثواب الدنيا نؤته منها) اى من ثوابها ما نشاء ان نؤتيه اياه وفيه تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) اى من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم (وسنجزى الشاكرين) نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين ما آتاهم الله من القوى والقدر الى ما خلقت هى لاجله من طاعة الله لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا ويدخل فى جنس الشاكرين المجاهدون المعهودون من الشهداء فى احد وغيرهم والآية وان وردت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الاعمال وذلك لان المؤثر فى طلب الثواب والعقاب المقصود والدواعى لا ظواهر الاعمال فان من وضع الجبهة على الارض فى صلاة الظهر والشمس قدامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله كان ذلك من اشرف دعائم الاسلام وان قصد به عبادة الشمس كان ذلك من اعظم دعائم الكفر وروى ابو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول يوم القيامة لمن قتل فى سبيل الله فيما ذا قتلت فيقول امرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان محارب وقد قيل ذلك ثم ان الله تعالى يأمر به الى النار فالمقاتل فى سبيل الله تحقيقا هو الذى يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا لا للذكر الجميل واراءة المكان واصابة الغنيمة * عبادت باخلاص نيت نكوست * وگرنه چه آيد زبى مغز پوست * بروى ريا خرقه سهلست دوخت * گرش باخدا در توانى فروخت * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه شمله ولا يأتيه منها الا ما كتب له وقال ايضا انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فمن عمل شوقا الى الجنة فقد رأى نعمة الجنة فثوابه فى الآخرة ومن عمل شوقا الى الحق فقد رأى نعمة وجود المنعم فثوابه فى الدنيا لانه حاضر لا غيبة له قريب لا يبعد وهو معكم اينما كنتم وقال ألا من طلبنى وجدنى ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا

خليلىّ هل ابصرتما او سمعتما * باكرم من مولى تمشى الى عبد

اتى زا آ زامن غير وعد وقال لى * اجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

فعلى السالك ان يهاجر الى الله ويجاهد من غير أن يخاف لومة لائم حتى يصل الى الله ويتخلص من الاضطرار قال القاشانى فى تاويلاته من كان موقنا بسر القدر شاهدا لمعنى قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كان من اشجع الناس (حكى) عن حاتم الاصم انه شهد مع شقيق البلخى بعض غزوات خراسان قال فلقينى شقيق وقد حمى الحرب فقال كيف تجد قلبك يا حاتم قلت كليلة الزفاف لا افرق بين الحالتين فوضع سلاحه وقال اما انا فهكذا ووضع رأسه على ترسه ونام بين المعركة حتى سمع غطيطه وهذا غاية فى سكون القلب الى الله تعالى ووثوقه به انتهى فاذا صحح العبد باطنه يسهل الله عليه كل عسير ويسخر له كل ما يخاف منه (حكى) عن ابراهيم الرقى انه قال قصدت ابا الخير الخراسانى مسلما عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويا فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدنى السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدنى فخرج وصاح على الاسد وقال ألم اقل لك لا تتعرض لاضيافى فتنحى فتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد * اوليا محبوب اللهست دان * كس نيازارد حبيش درجهان (وكأين) أصله اى دخلت الكاف عليها فحدث فيها معنى التكثير فهى بمعنى كم الخبرية (من نبى) تمييز لها والغالب فى تمييزها ان يكون مجرورا بمن ولم يجئ فى التنزيل الا كذا وجزء ممتنع لان آخره تنوين وهو لا يثبت مع الاضافة (قاتل معه ربيون كثير) خبر لقوله كأين لانها مبتدأ والفعل مسند الى ظاهره والربى منسوب الى الرب كالربانى وكسر الراء من تغييرات النسب فان العرب اذا نسبت شيأ الى شئ غيرت كما قالوا بصرى فى النسبة الى بصرة او منسوب الى الربة وهى الجماعة والمعنى كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء او جماعات كثيرة (فما وهنوا) عطف على قاتل اى فما فتروا وما انكسرت همتهم (لما اصابهم) فى اثناء القتال وهو علة للمنفى دون النفى (فى سبيل الله) ان جعل الضمير ان لجميع الربيين فما فى ما اصابهم عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره اللاحقة للكل وان جعلا للبعض الباقين بعد ما قتل الآخرون فهى عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم والخوف والحزن وغير ذلك (وما ضعفوا) عن العدو او الجهاد او فى الدين (وما استكانوا) اى وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف لاشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون لم يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبى عليه السلام وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابى المنافق فى طلب الامان من ابى سفيان (والله يحب الصابرين) اى على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره فى سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم (وما كان قولهم) بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها فى قوله تعالى (الا ان قالوا) والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شئ من الاشياء الا ان قالوا (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) اى صغائرنا (واسرافنا فى امرنا) اى تجاوزنا الحد فى ارتكاب الكبائر أضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط فى جنب الله هضما لها واستقصارا لهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم (وثبت اقدامنا) اى فى مواطن الحرب بالتقوى والتأييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق (وانصرنا على القوم الكافرين) تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير أن يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والتزلزل فى مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى (فآتاهم الله) بسبب دعائهم ذلك (ثواب الدنيا) اى النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل (وحسن ثواب الآخرة) اى وثواب الآخرة الحسن وهى الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى (والله يحب المحسنين) ومحبة الله للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهى مبدأ لكل سعادة والاشارة ان الله تعالى لما اراد لخواص عباده كرامة التخلق باخلاقه ابتلاهم بقتال العدو وثبتهم عند الملاقاة فاستخرج من معادن ذواتهم جواهر صفاته المكنونة فيها المكرمة بها بنوا آدم والصبر والاحسان من صفات الله

والله تعالى يحب صفاته ويحب من تخلق بصفاته ولهذا قال والله يحب الصابرين والله يحب المحسنين قال الامام
فى قوله تعالى والله يحب المحسنين فيه لطيفة دقيقة وهى ان هؤلاء اعترفوا بكونهم مسيئين حيث قالوا ربنا اغفر
لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا فلما اعترفوا بذلك سماهم الله محسنين كأنه تعالى يقول لهم اذا عرفت باساءتك وعجزك
فانا اصفك بالاحسان واجعلك حبيبا لنفسى حتى يعلم انه لاسبيل للعبد الى الوصول الى حضرة الله الا باظهار
الذلة والمسكنة والعجز * كنون بايدت عذر تقصير كفت * نه چون نفس ناطق زكفتن بخفت * تو بيش
از عقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب * (حكى) ان آصف بن برخيا اذنب ذنبا يوما
من الايام فأتى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال له ادع الله أن يغفر لى فدعا فغفر له ثم فعل ثانيا فغفر له
بدعائه ثانيا ثم وثم الى ان أوحى الله الى سليمان عليه السلام ان لا اجيب دعوتك فى حقه ان عاد بعد فلم يمكث
ان فعل مرة اخرى فجاء الى سليمان عليه السلام لكى يدعو فأخبره بان الله لا يغفر له فرفع الرجل العصا وخرج
الى الصحراء وضرب العصا الى الارض ورفع يده وقال يارب أنت أنت وأنا أنا أنت العائد بالمغفرة وأنا العائد
بالمعصية أنا الضعيف المجرم وأنت الغفور الرحيم ان لم تعصمنى من الذنوب فلا عودن ثم لاعودن كررها حتى
غشى عليه فأوحى الله تعالى الى سليمان عليه السلام أن قل لابن خالتك ان عدت فأغفرلك ثم أغفرلك ثم أغفرلك
ثم أغفرلك وأنا الغفار * كنونت كه چشمست اشكى ببار * زبان در دهانست عذرى بيار * فراشو چو بينى
در صلح باز * كه ناكه در توبه كردد فراز * مروزير بار كنه اى پسر * كه حال عاجز بود در سفر * فلا يغترنك
الشيطان بتزيين الدنيا عليك فانك تعلم فناءها وأوحى الله الى داود عليه السلام انى منزلك وذريتك الى دار بنيتها
على اربعة اركان احدها ان اخرب ما تعمرون والثانى ان اقطع ما تصلون والثالث أن اميت ما تلدون والرابع ان
افرق ما تجمعون ومن الله العصمة والتوفيق الى سواء الطريق (يا أيها الذين آمنوا) نزلت فى قول المنافقين
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان نبيا ما غلب وقتل فقال تعالى يا أيها المؤمنون
(ان تطيعوا الذين كفروا) وهم المنافقون وصفوا بالكفر قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير من طاعتهم
(يردوكم على اعقابكم) يدخلوكم فى دينهم اضاف الرد اليهم لدعائهم اليه والارتداد على العقب علم فى انتكاس
الامر ومثل فى الحور بعد الكور (فتنقلبوا خاسرين) كرامة الدنيا وسعادة الآخرة اما الاولى فلان اشق الاشياء
على العقلاء فى الدنيا الانقياد للعدو والتذلل له واظهار الحاجة اليه واما الثانية فلانه يحرم من الثواب المؤبد
ويقع فى العذاب المخلد (بل الله مولاكم) اى ليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فأطيعوه
واستغنوا به عن موالاتهم (وهو خير الناصرين) فخصوه بالطاعة والاستعانة (سنلقى فى قلوب الذين كفروا
الرعب) وهو ما قذف فى قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة
والغلبة والرعب خوف يملأ القلب (بما اشركوا بالله) اى بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم
ونصر المؤمنين عليهم (ما لم ينزل به) اى باشراكه (سلطانا) اى حجة وبرهانا وما مفعول بوقوع اشركوا عليه اى
آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا واصل السلطان القوة فسلطان الملك قوته وسلطان
المدعى حجته وبها يقوى على دفع المبطل وفيه ايذان بان المتبع فى الباب هو البرهان السماوى دون الآراء
والاهواء الباطلة (ومأواهم) اى ما يأوون اليه فى الآخرة (النار) لا ملجأ لهم غيرها (وبئس مثوى الظالمين)
والمخصوص بالذم محذوف اى النار وفى جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان
المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذى يأوى اليه الانسان * والاشارة ان الله
تعالى هو الذى يلقى الرعب والامن والرغبة والرهبة وغيرذلك فى قلوب العباد كما قال عليه السلام قلوب العباد
بيد الله يقلبها كيف يشاء وقال ما من قلب الابين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه فعلى
العبد ان يتضرع الى الله ويسأل منه الغلبة على النفوس الكافرة خصوصا النفس الامارة فانه ان اتبع هواها
واطاعها فى مشتهاها اردته الى أسفل سافلين البشرية فينقلب خاسرا * نمى تازد اين نفس سركش چنان *
كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه با نفس وشيطان برآيد بزور * مصاف پلنكان نيايد ز مور * قال
الشيخ ابو على الروذبادى قدس سره دخلت الآفة من ثلاثة سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة
فقيل له ما سقم الطبيعة قال اكل الحرام فقيل وما ملازمة العادة قال النظر والاستماع بالحرام والغيبة فقيل

ثم افساد العصمة قال كلما هاج فى النفس شهوة تبعها ومن لم يصحبه فى هذا الباب توفيق من ربه كان متروكا فى ظلمة نفسه ألا ترى الى قوله تعالى بل الله مولاكم اى يخرجكم من ظلمات البشرية الى انوار الربوبية فمن اتبع هواه وجعله مولى لنفسه فكيف يصاحبه الخروج من الظلمات وانما سببه ان ينقطع العبد الى مولاه الحقيق ولايعبد الااياه (حكى) عن الاصمعى انه قال ان فتى جميلا خرج فى سفرله فوقع فى فلاة من الارض وصاحبته امرأة فعشقته فقالت أيها الفتى هل تحسن شيأ من الشعر قال نعم قالت قل فأنشد

ولست من النساء ولسن منى * ولا ابغى الفجور الى الممات
فلا لا تطمعى فيما الدنيا * ولو قد طال سير فى الفلاة
فان الله يبصر فوق عرش * ويغضب للفعال الموبقات

قالت دعنا من شعرك هل تقرأ شيأ من القرءآن قال نعم قالت قل فقرأ قول الله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قالت دعنى من قرآءتك هذه فرجعت وهى خائبة فانظر الى حال الفتى ونوقيمعن شهوته كيف صبر عن المعصية والله يحب الصابرين * جوان چست مى بايدكه ازشهوت بپرهيزد * كه پير سست رغبت راخود آلت برنمى خيزد * ولذلك قال بعض المشايخ من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة وذلك لان الزهد بعد الاربعين بارد لايثمر نفعا كثيرا ولايغرنك هذا الخبر ويحملك على التكاسل فان المرء لايصل الى حيث يسقط عنه الامر والنهى والغرض هو العبادة الى ان يأتى اليقين فالشبان والشيوخ فى باب التكليف متساوون وربما يتدارك فى الشيخوخة مالايتدارك فى الشباب (قال الحافظ الشيرازى) اى دل شباب رفت ونچيدى كلى زعمر * پيرانه سر بكن هنرى ننگ ونام را (ولقد صدقكم الله وعده) نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا او بنزع الجار اى فى وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لاتبرحوا امكانكم فانا لانزال غالبين مادمتم فى هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقون نبلهم والباقون يضربون بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى (اذ تحسونهم) اى تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وذلك يكون بالقتل وهو ظرف لصدقكم (بأذنه) ملتبسين بمشيئته وتيسيره وتوفيقه حال من فاعل تحسونهم (حتى) ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية (اذا فشلتم) اى جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب (وتنازعتم فى الامر) اى فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا هذا وقال رئيسهم عبد الله بن جبير لانخالف امر الرسول عليه الصلاة والسلام فثبت مكانه فى نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى (وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون) اى من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه وقد سبق وقيد العصيان بما بعده تنبيها على عظم المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله تعالى اكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم ان يمتنعوا عن المعصية وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره (منكم من يريد الدنيا) وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب قال ابن مسعود رضى الله عنه ما علمت ان احدا منا يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة (ثم صرفكم عنهم) عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه اى ردكم عن الكفار وكفكم بالهزيمة بعد ان أظفركم عليهم فحالت الريح دبورا بعد ما كانت صبا (ليبتليكم) اى يعاملكم معاملة من يمتحنكم ليظهر ثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة (والله ذو فضل على المؤمنين) اى شأنه ان يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم فى جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة بحسب اقتضاء احوالهم ذلك (اذ تصعدون) متعلق بصرفكم والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض (ولا تلوون على احد) اى لاتلتفتون الى ما وراءكم ولايقف واحد منكم لواحد (والرسول يدعوكم) كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وهو الانهزام وترك قتال الكفار لا لاستعانة بهم (فاثابكم)

فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى والمعنى انه عليه السلام كان يدعوهم وهو واقف فى آخرهم لان القوم بسبب
الهزيمة قد تقدموه (فاثابكم) عطف على صرفكم اى فجازاكم الله بما صنعتم (غما) موصولا (بغم) من الاغتمام
بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم) اى لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد
وتعتادوا التجرع الغموم فلا تحزنوا على نفع فات او ضر آت (والله خبير بما تعملون) اى عالم بأعمالكم و بما قصدتم
بها واعلم ان الصبر واليقين والتوكل على الله والاتقاء عن ميل الدنيا وزخارفها ومخالفة الرسول مستلزم لامداد
النصر والظفر والفشل والتنازع والميل الى الدنيا وعصيان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موجب للابتلاء
والصرف عن العدو فمن اراد النصرة على الاعداء الظاهرة والباطنة لا يسلك طريقا غير ما عينه الشارع
ويرضى بالابتلاء ولا يغتم لآخرته بل يجد غم طلب الحق ألذ من نعيم الدنيا والآخرة ويصبر على مقاساة الشدائد
فى باب الدين * صبر آروار زورانه شاب * صبركن والله اعلم بالصواب * قال ذوالنون قدس سره العزيز
ان أدنى منازل المريد أن الله تعالى لو أدخله النار وأحاط به عذابه مع هذه الارادة لم يزدد قلبه الا حباله وانسابه
وشوقا اليه وكانت الجنة عنده اصغر فى جنب ارادته من خردلة بين السماء والارض فعلى السالك ان يذيق
نفسه مرارة الطاعة ويدخلها فى باب التسليم ليكون عند الله بما له قدر وسبق (حكى) عن على كرم الله وجهه انه
قال قلت لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى بكر الصديق رضى الله عنه يا خليفة رسول الله بم بلغت هذه
المنزلة حتى سبقتنا سبقا فقال بخمسة اشياء اولها وجدت الناس صنفين مريد الدنيا ومريد العقبى فكنت
انا مريد المولى والثانى مذ دخلت فى الاسلام ما شبعت من طعام الدنيا لان لذة معرفة الله شغلتنى عن لذائذ
طعام الدنيا والثالث مذ دخلت فى الاسلام ما رويت من شراب الدنيا لان محبة الله شغلتنى عن شراب الدنيا
والرابع كلما استقبلنى عملان عمل الدنيا وعمل الآخرة اخترت عمل الآخرة على عمل الدنيا والخامس صحبت النبى
صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته اقول ولذلك لم ينفك عن ملازمة صحبته ساعة حتى دخل معه فى الغار وقاسى
ما قاسى من الشدائد فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ومع ذلك لم يزغ قلبه عن مواصلته قط ولم يهتم بمخالفته اصلا
كما وقع ذلك من بعض الصحابة كما فى المنهزمين * كيست دانى صوفى صافى زرنك تفرقه * آنكه دارد
روى رنكى درين كاخ دورنك * نكسلد سررشته سرش زجانان كربفرض * روبروكيرد زيك سوشير و ديكر
سو پلنك * اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام ان يا ابراهيم أنت خليلى وانا خليلك فانظر فى أن لا تشغل سرك
بغيرى وانا انظر فى سرك فأراه مشتغلا بغيرى فتقطع خلتى منك لان الصادق فى دعوى خلتى من لو أحرق بالنار
لم يجعل سره الى غيرى اجلالا لحرمتى لان كل سر انفصل ساعة عن مشاهدتى لا يصلح لمحادثتى ونظرى ثم قال له
اسلم قال أسلمت لرب العالمين ثم ابتلاه حين رمى بالمنجنيق فى النار ولم يجزع على ما اصابه بل فوض امره الى الله
حتى شرفه الله بالخلة وجعل النار له بردا وسلاما فحسن الرضى على ما جاء من عند الله يوصل العبد الى المقامات
العلية والحالات السنية والعمدة هو التوحيد وبه تسهل قوة اليقين والوصول الى مقام الولاية وسئل يحيى
ابن معاذ عن صفة الولى فقال الصبر شعاره والشكر دثاره والقرآن معينه والحكمة علمه والتوكل صابونه
والفقر منيته والتقوى مطيته والغربة ملازمته والحزن رفيقه والذكر جليسه والله تعالى انيسه * قوت روح
اوليا ذكر حقست * پيشه ايشان شكر مطلقست * كرخبر دارى زاسرار خدا * روبراه ذكر
وطاعت حقنما (ثم انزل عليكم) عطف على قوله فأثابكم وانزل مجاز أى اعطى ووهب لكم أيها المؤمنون
(من بعد الغم) المذكور (امنة) اى امنا نصب على المفعولية (نعاسا) بدل منها وهو الوسن قال ابو طلحة رفعت
رأسى يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس وكنت ممن ألقى عليه النعاس
يومئذ فكان السيف يسقط من يدى فآخذه ثم يسقط السوط فآخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق
عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله تعالى (يغشى طائفة منكم) وهم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك
فى عموم الانزال للكل والجملة فى محل النصب على انها صفة لنعاسا (وطائفة) مبتدأ وهم المنافقون (قد اهمتهم
انفسهم) اى اوقعتهم فى الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها (يظنون بالله) حال من ضمير
اهمتهم (غير الحق) غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به سبحانه (ظن الجاهلية) بدل منه وهو الظن المختص

بالملة الجاهلية واهلها (يقولون) بدل من يظنون اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد (هل لنا من الامر) اى من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر (من شئ) من نصيب قط (قل ان الامر كله لله) اى الغلبة بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون (يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك) حال من ضمير يقولون اى مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب (يقولون) كأنه قيل اى شئ يخفون فقيل يحدثون انفسهم او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية (لو كان لنا من الامر شئ) كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم من ان الغلبة لله ولاوليائه وان الامر كله لله (ما قتلنا ههنا) ما غلبنا او ما قتل من قتل منا فى هذه المعركة على ان النفى راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط اولو كان لنا اختيار فى الخروج وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن أبى وغيره (قل) يا محمد تكذيبا لهم وابطالا لمعاملتهم (لو كنتم فى بيوتكم) اى لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون (لبرز) اى لخرج (الذين كتب عليهم القتل) اى فى اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز (الى مضاجعهم) الى مصارعهم التى قدره الله تعالى فيها وقتلوا هنالك البتة ولم تنفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله لا يرد وحكمه لا يعقب (وليبتلى الله ما فى صدوركم) علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كأنه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلى اى ليعاملكم معاملة من يبتلى ما فى صدوركم من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرآئر (وليمحص ما فى قلوبكم) من مخفيات الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس (والله عليم بذات الصدور) اى السرآئر والضمائر التى لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها (ان الذين تولوا) اعرضوا (منكم يوم التقى الجمعان) من المسلمين والكافرين وهم الذين انهزموا يوم احد (انما استزلهم الشيطان) اى انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ودعاهم اليه (ببعض ما كسبوا) من الذنوب والمعاصى التى هى مخالفة امر النبى عليه السلام وترك المركز والحرص على الغنيمة والحياة فحرموا التأييد وقوة القلب (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والنكتة فيه ان الشيطان خلق من النار فبالشيطان ونار وسوسته استخرج من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولى ليجعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم وهذا قوله عليه الصلاة والسلام لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ليعلم ان لله تعالى فى كل شئ من الخير والشر اسرارا لا يبلغ كنهها الا هو ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء والشيطان لا يقدر على اغوآء المخلصين من اهل اليقين والنورانيين وما لم يكن فى القلب ظلمة وشوب من الهوى بسبب ارتكاب الذنوب لم يكن له مجال للوسوسة فالسالكون الذين نجوا من ظلمات النفس لا يقدر الشيطان ان يقرب منهم فضلا عن وسوستهم (قيل) رأى الجنيد ابليس فى منامه عريانا فقال ألا تستحيى من الناس فقال هؤلاء ناس الناس اقوام فى مسجد الشونيزية افنوا جسدى واحرقوا كبدى قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرأيت جماعة وضعوا رؤسهم على ركبهم متفكرين فلما رأونى قالوا لا يغرنك حديث الخبيث فاذا تنور القلب بنور المعرفة لا يحوم حوله بالوسوسة الشيطان النارى * وعن ابى سعيد الخراز قدس سره قال رأيت ابليس فى المنام فأخذت عصاى لأضربه فقيل لى انه لا يفزع من هذا انما يخاف من نور يكون فى القلب قال حجة الاسلام الغزالى فى الاحياء (حكى) ان ابليس بث جنوده فى وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيأ وقد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم وقد صحبوا نبيهم وشهدوا نزول الوحى ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما رأينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشئ بعد الشئ من الذنوب فاذا آن آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فتبدل سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيأ لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوآئهم كيف شئتم لا يستغفرون فيغفر لهم فلا يتوبون فتبدل سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاولى فبث فيهم الاهوآء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط ابليس عليهم الاعدآء وقادوهم حيث شاؤا * نه ابليس در حق ما طعنه زد * كز ينان نيايد بجز كار بد * فغان از بديها كه در نفس ماست * كه ترسم شود ظن ابليس

راست * چوملعون پسند آمدش قهرما * خدايش براند اخت ازبهرما * بكابر سرارم ازين عار وننك * كه بااو بصلحيم وباحق بجنك * من بستان السعدى (ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا) وهم المنافقون القائلون لوكان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا (وقالوا لاخوانهم) لاجل اخوانهم وفى حقهم ومعنى الاخوة اتفاقهم نسبا اومذهبا وعقيدة (اذا ضربوا فى الارض) اى سافروا فيها وأبعدوا للتجارة وسائر المهام فماتوا فى سفرهم (اوكانوا) اى اخوانهم (غزا) جمع غازى كعفى جمع عافى وسجد جمع ساجد اى اذا خرجوا الى الغزو فقتلوا (لوكانوا عندنا) اى مقيمين بالمدينة (ماماتوا) فى سفرهم (وماقتلوا) فى الغزو وليس المقصود بالنهى عدم مماثلتهم فى النطق بهذا القول بل فى الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه (ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة كما فى قوله ربيته ليؤذينى وليست لام العلة والغرض لانهم لم يقولوه لذلك وانما قالوه لتثبيط المؤمنين عن الجهاد والمعنى انهم قالوا ذلك القول واعتقدوه لغرض من اغراضهم فكان عاقبة ذلك القول ومصيره الى الحسرة وهى اشد الندامة التى تقطع القوة والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا ووجه كون تكلم ذلك الكلام حسرة فى قلوبهم زاعمين ان من مات اوقتل منهم انما مات اوقتل بسبب تقصيرهم فى منع هؤلاء القتلى عن السفر والغزو ومن اعتقد ذلك لاشك انه تزداد حسرته وتلهفه واما المسلم الذى يعتقد ان الموت والحياة لايكون الا بقدر الله وقضائه لايحصل فى قلبه هذه الحسرة (والله يحيى ويميت) رد لقولهم الباطل اى هو المؤثر فى الحياة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة اوللسفر مدخل فى ذلك فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة * اى بسا اسب تيزروكه بماند * كه خرلنك جان بمنزل برد * بس كه درخاك تن درستان را * دفن كردند وزخم خورده نمرد (والله بما تعملون بصير) فلا تكونوا مثل هؤلاء المنافقين (ولئن قتلتم فى سبيل الله اومتم) فى سبيله وانتم مؤمنون واللام هى الموطئة للقسم المحذوف وجوابه قوله تعالى (لمغفرة من الله ورحمة) وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسده لكونه دالا عليه والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بأمر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك (خير مما يجمعون) اى الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم فان قيل كيف تكون المغفرة موصوفة بأنها خير مما يجمعون ولا خير فيما يجمعون اصلا قلنا ان الذى يجمعونه فى الدنيا قد يكون من باب الحلال الذى يعد خيرا وايضا هذا وارد على حسب قولهم ومعتقدهم ان تلك الاموال خيرات فقيل المغفرة خير من هذه الاشياء التى تظنونها خيرات (ولئن متم اوقتلتم) اى على اى وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية (لالى الله) اى الى المعبود بالحق العظيم الشان الواسع الرحمة الجزيل الاحسان (تحشرون) لا الى غيره فيوفى اجوركم ويجزل لكم عطاياكم واعلم ان هذه الآيات على ترتيب أنيق فانه قال فى الآية الاولى لمغفرة من الله وهى التجاوز عن السيئات وذلك اشارة الى من يعبد الله خوفا من عقابه ثم قال ورحمة وهى التفضل بالمثوبات وهو اشارة الى من يعبده لطلب ثوابه ثم قال فى آخر الآية لالى الله تحشرون وهو اشارة الى من يعبد الله لمجرد الربوبية والعبودية وهذا اعلى المقامات قال عبد الرحمن الجامى

جانا زدر تو دور نتوانم بود * قانع ببهشت وحور نتوانم بود * سر بردر تو بحكم عشقم نه بمزد * زين درجه كم صبور نتوانم بود * فبين الحشر الى مغفرة الله والحشر الى الله فرق كثير (روى) ان عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم آثار العبادة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو اكرم من ان لايخلصكم من عذابه ثم مر بأقوام آخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو اكرم من ان يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث ورأى آثار العبودية عليهم اكثر فسألهم فقالوا نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرغبة ولا لرهبة فقال انتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون * كر كند جاى بدل عشق جمال ازلت * چشم اميد بحوران بهشتى نتهى * كى مسلم شودت عشق جمال ازلى * تابر آفاق همه تهمت زشتى ننهى (حكى) ان امرأة قالت لجماعة ما السخاء عندكم قالوا بذل المال قالت هو سخاء اهل الدنيا والعوام فما سخاء الخواص قالوا بذل المجهود فى الطاعة قالت ترجون الثواب قالوا نعم قالت تأخذون العشرة بواحد لقوله تعالى فمن جاء بالحسنة فله عشر امثالها

فأين السخاء قالوا انما عندك قال العمل لله لا للجنة ولا للنار ولا للثواب وخوف العقاب وذلك لا يمكن الا بالتجريد والتفريد والوصول الى حقيقة الوجود فعلى السالك ان يعرض عن الدنيا والآخرة ويقبل على الله حتى يكشف عن وجهه الحجاب ويصل الى رب الارباب قال الامام فى تفسيره الانسان اذا توجه الى الجهاد اعرض قلبه عن الدنيا واقبل على الآخرة فاذا مات فكأنه تخلص من العدو ووصل الى المحبوب واذا جلس فى بيته خائفا من الموت حريصا على جمع الدنيا فاذا مات فكأنه حجب عن المعشوق وألقى فى دار الغربة ولا شك فى كمال سعادة الاول وكمال شقاوة الثانى انتهى فحشر الغافلين بالحجاب وحشر الواصلين باظهار الجناب فمن كان فى هذه الدنيا اعمى بحب المال والمنال كان فى الآخرة محجوبا عن مشاهدة الجمال (فبما رحمة من الله لنت لهم) ما مزيدة للتأكيد اى فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهى ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو (ولو) لم تكن كذلك بل (كنت فظا) جافيا فى المعاشرة قولا وفعلا (غليظ القلب) قاسيه غير رقيق فالفظ سيئ الخلق وغليظ القلب هو الذى لا يتأثر قلبه من شئ فقد لا يكون الانسان سيئ الخلق ولا يؤذى احدا ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم فظهر الفرق بينهما (لانفضوا من حولك) اى لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وتردوا فى مهاوى الردى (فاعف عنهم) فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم (واستغفر لهم) فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم (وشاورهم فى الامر) اى استخرج آراءهم واعلم ما عندهم فى امر الحرب اذ هو المعهود اوفيه وفى امثاله مما تجرى فيه المشاورة عادة استظهارا بآرائهم وتطييبا لقلوبهم ورفعا لاقدارهم وتمهيد السنة المشاورة للامة (فاذا عزمت) اى عقب المشاورة على شئ واطمأنت به نفسك (فتوكل على الله) فى امضاء امرك على ما هو أرشد وأصلح فان ما هو أصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور (ان الله يحب المتوكلين) عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خيرهم وصلاح والتوكل تفويض الامر الى الله والاعتماد على كفايته قال الامام دلت الآية على انه ليس التوكل ان يهمل الانسان نفسه كما يقوله بعض الجهال والا لكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل بل التوكل هو أن يراعى الانسان الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحكمة واعلم ان الله تعالى بين أن اصحاب النبى عليه الصلاة والسلام يتفرقون عنه لو كان فظا غليظا مع ان اتباعه دين وفراقه كفر فكيف يتوقع من يعامل الناس على خشونة اللفظ مع قسوة القلب ان ينقاد الناس كلهم له ويتابعوه ويطاوعوه فاللين فى القول انفذ فى القلوب واسرع الى الاجابة وادعى الى الطاعة ولذلك امر الله موسى وهرون به فقال فقولا له قولا لينا * بنرمى زدشمن توان كند پوست * چو بادوست سختى كنى دشمن اوست * چو سندان كسى سخت روبى نبرد * كه خايسك تأديب برسر نخورد * قال الامام فى تفسيره اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله فاما اذا ادى الى ذلك لم يجز قال الله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال للمؤمنين فى اقامة حد الزنى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله والتحقيق ان طرفى الافراط والتفريط مذمومان والفضيلة فى الوسط فورود الامر بالتغليظ مرة واخرى بالنهى عنه انما كان لاجل ان يتباعد عن الافراط والتفريط فيبقى على الوسط الذى هو الصراط المستقيم ولهذا السر مدح الله تعالى الوسط فقال وكذلك جعلناكم امة وسطا قال عليه السلام لا تكن مرا فتمعق ولا حلوا فتسترط * چو نرمى كنى خصم كردد دلير * وگر خشم گيرى شوند از تو سير * درشتى ونرمى بهم در بهست * چو رگ زن كه جراح ومرهم نهست * واعلم ان المقصود من البعثة ان يبلغ الرسول تكليف الله الى الخلق وهذا المقصود لا يتم الا اذا مالت قلوبهم اليه وسكنت نفوسهم لديه وهذا لا يتم الا اذا كان كريما رحيما يتجاوز عن ذنبهم ويعفو عن اساءتهم ويخصهم بوجوه البر والمكرمة والشفقة فلهذه الاسباب وجب ان يكون الرسول متبرئا من سوء الخلق وحيث يكون كذلك وجب ان يكون غير غليظ القلب بل يكون كثير الميل الى اعانة الضعفاء كثير القيام باعانة الفقراء كثير التجاوز عن سيئاتهم كثير الصفح عن زلاتهم فلهذا المعنى قال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولو انفضوا من حولك فات المقصود من البعثة والرسالة وهكذا ينبغى أن يكون علماء الآخرة الوارثون والمشايخ فان الناس على دين متبوعهم فى الظاهر والباطن وقلما يوجد من يتصف بالاخلاق الحسنة من المشايخ والعلماء فى هذا

الزمان الامن عصمه الله وهداه الى التمسك بالشريعة والتحقق باداب الحقيقة وهذه الحال ليست الالواحد بعد واحد (روى) انه خلا بأحنف المضروب به المثل فى الحلم رجل فسبه سبا قبيحا فقام الاحنف وهو يتبعه فلما وصل الى قومه وقف وقال يا اخى ان كان قد بقى من قولك فضلة فقل الآن ولا يسمعك قومى فتؤذى فانظر الى خلق الاحنف كيف عامل مع الرجل وجامل وقال له رجل دلنى على المروءة فقال عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح قال نجم الدين الكبرى فى تأويلاته كل لين يظهر فى قلوب المؤمنين بعضهم على بعض فهو رحمة الله ونتيجة لطفه مع عباده لامن خصوصية انفسهم فان النفس لامارة بالسوء وان كانت نفس الانبياء عليهم السلام انتهى وفى هذا الكلام تنبيه على ان الانبياء وان كان سلوكهم من النفس المطمئنة الى الراضية والمرضية والصافية الى ان بلغوا مبلغ النبوة والرسالة لكن نفوسهم متصفة بالامارية كسائر الناس ولكن الله يعصمهم من مقتضاها فافهم فانه محل اعتبار وامعان (ان ينصركم الله) النصر نوعان معونة ومنع اى ان يعنكم الله ويمنعكم من عدوكم كما فعل ذلك يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا احد يغلبكم (وان يخذلكم) الخذلان القعود عن النصرة والاسلام للهلكة اى ان يترككم فلم ينصركم كما فعله يوم احد (فمن ذا الذى ينصركم) استفهام انكارى مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة (من بعده) اى من بعد خذلانه وهذا تنبيه على ان الامر كله لله ولذا امر بالتوكل عليه فقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به من قبل ومن التوكل ان لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله تعالى ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك شاهدا غيره وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل سبعون ألفا من امتى الجنة بغير حساب قيل يارسول الله من هم قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم قال أنت منهم ثم قام آخر فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا * وعن بعضهم قال كنت فى البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامى واحدا فسارعت حتى ادركته فاذا هو امرأة بيدها ركوة وعكازة تمشى على الرعدة فظننت انها اعيت فأدخلت يدى فى جيبى فأخرجت عشرين درهما فقلت خذى هذه وامكثى حتى تلحقك القافلة فتكترى بها ثم ائتنى الليلة حتى اصلح امرك فقالت بيدها هكذا فى الهوآء فاذا فى كفها دنانير فقالت أنت اخذت الدراهم من الجيب وانا اخذت الدنانير من الغيب (قال الحافظ الشيرازى) پروازخانه كردون بدرونان مطلب * كاين سيه كاسه در آخر بكشد مهمانرا * قال القشيرى حقيقة النصر ان ينصرك على نفسك فانها اعدى عدولك وهى ان يهدم عنك دواعى فتنتها بعواصم رحمته حتى ينفض جنود الشهوات بهجوم وفور المنازلات فتبقى الولاية لله تعالى خالصة من رعونات الدواعى التى هى أوصاف البشرية وشهوات النفوس وان يخذلكم فالخذلان التخلية بينه وبين المعاصى فمن نصره قبض على يده عند الهم بتعاطى المكروه ومن خذله ألقى حبله على غاربه ووكله الى سوء اختياره فيهيم على وجهه فى فيافى البعد فتارة يشرق غير محتشم وتارة يغرب غير محترم ومن سبه الحق فلا آخذ ليده ولا جابر لكسره وعلى الله فليتوكل المؤمنون فى وجدان الامان من هذه الاخطار عند صدق الابتهال واسبال ثوب العفو على الاجرام عند خلوص الالتجاء بالتبرى من الحول والقوة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * جهان آفرين كرنه يارى كند * كجا بنده پرهيزكارى بود (وما كان لنبى) اى وما صح لنبى من الانبياء عليهم السلام وما استقام له (ان يغل) اى يخون فى المغنم فان الغلول هو اخذ شئ من مال الغنيمة خفية وخيانة والخيانة لكونها سببا للعار فى الدنيا وللنار فى العقبى تنافى منصب النبوة التى هى اعلى المناصب الانسانية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله عليه السلام عما ظن به الرماة يوم احد حتى تركوا المركز وافاضوا فى الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيأ فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم صلى الله عليه وسلم ألم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امرى فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة فى النهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماروى انه بعث طلائع فغنم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعدهم فقسمها بين الحاضر ولم يترك للطلائع شيأ فنزلت والمعنى ما كان لنبى ان يعطى قوما من العسكر ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل

بالسوية

بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا وتقبيحا لصورة الامر (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) اى يات بالذى غل بعينه يحمله على عنقه فيفتضح به على رؤوس الاشهاد وهو كقوله عليه السلام من غصب قدر شبر من الارض طوقه الله يوم القيامة من سبع ارضين قال عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقال صلى الله عليه وسلم هدايا الولاة غلول اى قبول الولاة الهدايا غلول لانه فى معنى الرشوة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ألا لا أعرفن احدكم يأتى ببعيره له رغاء و ببقره له خوار وشاة لها ثغاء فينادى يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيأ بلغتك وقيل لابى هريرة رضى الله عنه كيف يأتى بما غل وهو كثير كبير بأن غل اموالا جمة فقال ارأيت من كان ضرسه مثل احد وفخذه مثل ودقان وساقه مثل جبل ومجلسه ما بين المدينة وربذة ان يحمل مثل هذا ويجوز ان يراد بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) اى تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا اوشرا كثيرا أويسيرا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى (وهم) اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (لايظلمون) بزيادة عقاب اوبنقص ثواب (افمن اتبع رضوان الله) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير أمن اتقى فاتبع رضوان الله اى سعى فى تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وبترك المنكرات كالنبى ومن يسير بسيرته (كمن باء) اى رجع (بسخط) غضب عظيم لا يقادر قدره كائن (من الله) بسبب معاصيه كالغال ومن تدين بدينه والمراد أنهما لا يستويان (ومأواه) اى مأوى من باء بسخط من الله (جهنم وبئس المصير) والفرق بينه و بين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع (هم) راجع الى الموصولين باعتبار المعنى (درجات عند الله) اى طبقات مختلفة متفاوتة فى علمه وحكمه تعالى شبهوا فى تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بأن بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات ومراتب الخلق فى اعمال المعاصى والطاعات متفاوتة فوجب ان تتفاوت مراتبهم فى درجات العقاب والثواب لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والمعنى ذو درجات (والله بصير بما يعملون) من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها واعلم ان الغلول من الكبائر والغال خائن ومن حاله ان يكون الغالب عليه النفس وهواها والانبياء منسلخون عن صفات البشرية متصفون بصفات الربوبية معصومون من الرذائل وصفات النفس ودواعى الشيطان قائمون بالله فلا يمكن صدور أمثال ذلك منهم فالنبى فى جنة الصفات ومقام الرضوان والغال فى جحيم النفس وهاوية الهوى فلا يساوى حال الغال احوال الانبياء ولذلك قال هم درجات عند الله فعلى العاقل ان يسارع الى تكميل الدرجات والوصول الى احسن الحالات قالوا اهل الجنة اربعة اصناف الرسل والانبياء ثم الاولياء وهم اتباع الرسل على بصيرة و بينة من ربهم ثم المؤمنون وهم المصدقون بهم عليهم السلام ثم العلماء بتوحيد الله انه لا اله الا هو من حيث الادلة العقلية وهم المراد بأولى العلم فى قوله تعالى شهد الله وفيهم يقول الله يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وهؤلاء الطوائف الاربع يتميزون فى جنات عدن عند رؤية الحق فى الكثيب الابيض وهم فيه على اربعة مقامات طائفة منهم اصحاب منابر وهى الطبقة العليا الرسل والانبياء والطائفة الثانية هم الاولياء ورثة الانبياء قولا وعملا وحالا وهم اصحاب الاسرة والعرش والطبقة الثالثة العلماء بالله من طريق النظر البرهانى العقلى وهم اصحاب الكرسى والطبقة الرابعة هم المؤمنون المقلدون فى توحيدهم ولهم المراتب وهم فى المحشر مقدمون على اصحاب النظر العقلى وهم فى الكثيب يتقدمون على المقلدين * قيامت كه نيكان باعلى رسند * زقعر ثرا بر ثريا رسند * ترا خود بماند سر از ننك پيش * كه كردت برآيد عملهاى خويش * قيامت كه بازار مينو نهند * منازل باعمال نيكو نهند * والخلق متفاوتون فى الاعمال وتفاضلهم على مراتب فمنها بالسن ولكن فى الطاعة والاسلام فيفضل الكبير السن على الصغير السن اذا كانا على مرتبة واحدة من العمل. ومنها بالزمان فان العمل فى رمضان وفى يوم الجمعة وفى ليلة القدر وفى عشر ذى الحجة وفى عاشوراء اعظم من سائر الايام والازمان ومنها بالمكان فالصلاة فى المسجد الحرام افضل منها فى مسجد المدينة وهى من الصلاة فى المسجد الاقصى وهى منها فى سائر المساجد ومنها بالاحوال فان الصلاة بالجماعة أفضل من صلاة الشخص وحده ومنها بنفس الاعمال فان الصلاة افضل من اماطة الاذى ومنها فى العمل الواحد فالمتصدق

على رحمه صاحب صلة رحم وصدقة وكذا من اهدى هدية لشريف من اهل البيت افضل من ان يهدى لغيره واحسن اليه ومن الناس من يجمع فى الزمن الواحد أعمالا كثيرة فيصرف سمعه وبصره ويده فيما ينبغى فى زمان صومه وصدقته بل فى زمان صلاته فى زمان ذكره فى زمان نيته من فعل وترك فيوجر فى الزمان الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس كذلك * بضاعت بجندانكه آرى برى * اكر مفلسى شرمسارى برى * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس من يوم يأتى على ابن آدم الا ينادى فيه يا ابن آدم انا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك غدا شهيد فاعمل فى خيرا اشهد لك به غدا فانى لو قد مضيت لم ترنى ابدا ويقول الليل مثل ذلك فاعمل يا أخى عمل من يعلم انه راجع الى الله وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير وقد قال تعالى والله بصير بما يعملون فينبغى ان لا يغفل الانسان فى كل ساعاته (لقد من الله على المؤمنين) جواب قسم محذوف أى والله لقد انعم الله على من آمن مع الرسول عليه السلام من قومه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لزيادة انتفاعهم بها (اذبعث فيهم رسولا من انفسهم) اى من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وفى ذلك شرف عظيم لهم قال الله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من أنفسهم اى اشرفهم فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من أشرف قبائل العرب وبطونها (يتلو عليهم آياته) اى القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى (ويزكيهم) اى يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال واوضار الاوزار (ويعلمهم الكتاب والحكمة) اى القرآن والسنة (وان كانوا من قبل) اى من قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وتزكيته وتعليمه (لفى ضلال مبين) بين لا ريب فى كونه ضلالا وان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية واعلم ان الله تعالى ارسل محمدا الى اقوام عتاة اشراس فذلل منهم كل من عتا وعاس ونكس بمولده الاصنام على الراس وانشق ايوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرافة بعدد من سملك من الناس وخمدت نار فارس وبحيرة ساوة غاضت على غير القياس واختاره مولاه وقدمه على الخلق فهو بمنزلة العين من الراس وايام دولته كأيام التشريق وليلات الاعراس فتعجبت قريش من غنى بالفضل بعد فقر الافلاس فرماهم القرآن بسهام الجدل لاعن اقواس اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس فهو رحمة عامة للانام وله خطر جليل عند الخواص والعوام وفيما خطب به ابو طالب فى تزويج خديجة رضى الله عنها وقد حضر معه بنوا هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ابن اخى هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لى جبريل يا محمد قلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ولم اجد بنى أب افضل من بنى هاشم آدم ومن دونه تحت اللواء * زانكه بهر اوست خلق ماسوا * وعن ابن عباس رضى الله عنه ان قريشا كانت نورا بين يدى الله قبل ان يخلق آدم بالفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه * نور بهار عالم نور بهار آدم * وذكر ان عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم بينا هو نائم فى الحجر انتبه مذعورا قال العباس فتبعته وانا يومئذ غلام اعقل ما يقال فأتى كهنة قريش فقال رأيت كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهرى ولها اربعة اطراف طرف قد بلغ مشارق الارض وطرف قد بلغ مغاربها وطرف قد بلغ عنان السماء وطرف قد جاوز الثرى فبينا انا انظر عادت شجرة خضراء لها نور فبينا أنا كذلك قام على شيخان فقلت لاحدهما من أنت قال انا نوح نبى رب العالمين وقلت للآخر من أنت قال ابراهيم خليل رب العالمين ثم انتبهت قالوا ان صدقت رؤيالك ليخرجن من ظهرك نبى يؤمن به اهل السموات واهل الارض ودلت السلسلة على كثرة اتباعه وانصاره وقوتهم لتداخل حلق السلسلة ورجوعها شجرة تدل على ثبات امره وعلو ذكره وسيهلك من لم يؤمن به كما هلك قوم نوح وستظهر به ملة ابراهيم والى هذا وقعت اشارة النبى عليه الصلاة والسلام يوم حنين حيث قال انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب كأنه يقول انا ابن صاحب تلك الرؤيا مفتخرا بها لما فيها من علم نبوته وعلو كلمته ثم انه لا نهاية لاوصافه الشريفة واخلاقه الحميدة وانما الكلام فى ان يكون المرء ممتثلا بمحبته مقتفيا آثار سنته حتى يكون من امته حقيقة

والخدمة فى عتبة بابه من جهة الشريعة والطريقة من اقوى الوسائل الى الوصول (حكى) ان مريدا مدعيا قال
ان شيخى يعرف مقامى فى هذه الطريقة واستحقاقى للخلافة والنصب فى مقام الارشاد فماله لا يجيزنى بالخلافة
فسمع ذلك شيخه فاستخدمه اياما فأظهر ذلك الصوفى الكسل فى خدمته ولم يخدمه بالشوق والاجتهاد فراى
حاله الشيخ فقال منكرا لما ادعاه من لا يقدر على خدمة الخلق كيف يقدر على خدمة الخالق فانظر كيف جعل
خدمة الخلق من اسباب خدمة الخالق والوصول اليه وهكذا من كان فى قلبه ميل الى وصول الحق فلابد له ان
يرجع اولا الى خدمة شريعة النبى صلى الله عليه وسلم وسننه حتى يحبه النبى عليه الصلاة والسلام فيحبه الله تعالى
محالست سعدى كه راه صفا * توان رفت جز در پى مصطفا * شرفنا الله واياكم برعاية سننه وآدابه
والاقتفاء بآثار آله واصحابه انه المنان جزيل الاحسان واسع الغفران فى كل زمان (اولما اصابتكم مصيبة
قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) الواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده
وقد أصبتم فى محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم و بمثليها ما اصاب
المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم وأسر سبعين وأنى هذا مقول قلتم والمعنى أحين اصابكم من المشركين
نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا فالهمزة للتقرير والتقريع على قولهم لو كان
رسولا من عند الله لما انهزم عسكره من الكفار يوم احد وادى ذلك الى ان قالوا من اين هذه المغلوبية للمشركين
فكيف صاروا منصورين علينا مع شركهم وكفرهم بالله ونحن ننصر رسول الله ودين الاسلام وهو استفهام على
سبيل الانكار فأمر الله تعالى رسوله عليه السلام بأن يجيب عن سؤالهم الفاسد فقال (قل هو من عند انفسكم)
اى هذا الانهزام انما حصل بشؤم عصيانكم حيث خالفتم الامر بترك المركز والحرص على الغنيمة (ان الله
على كل شئ قدير) ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم
منه تعالى ما اصابكم (وما اصابكم يوم التقى الجمعان) اى جمعكم وجمع المشركين يريد يوم احد (فبإذن الله)
اى فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) اى وليتميز
المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل معه فى هذه الصلة
وهم عبد الله بن ابى واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن حرام
اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى (تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا)
عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه (قالوا) حين خيروا
بين الخصلتين المذكورتين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) اى لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم
عليه ليس بقتال بل القاء النفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دخلا واستهزاء (هم للكفر
يومئذ أقرب منهم للايمان) ومعنى كون قربهم الى الكفر أزيد يومئذ من قربهم الى الايمان انهم كانوا قبل ذلك
الوقت كاتمين للنفاق فكانوا فى الظاهر أبعد من الكفر فلما ظهر منهم ما كانوا يكتمون صاروا اقرب للكفر
فان كل واحد من انخذالهم برجوعهم عن معاونة المسلمين وكلامهم المحكى عنهم يدل على انهم ليسوا من المسلمين
(يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان وأضافة
القول الى الافواه تأكيد وتصوير فان الكلام وان كان يطلق على اللسانى والنفسانى الا ان القول لا يطلق
الا على ما يكون باللسان والفم فذكر الافواه بعده تأكيد كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه وتصوير لحقيقة القول
بصورة فرده الصادر عن آلته التى هى الفرد (والله اعلم بما يكتمون) من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض
فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بأمارات (الذين قالوا) مرفوع على انه بدل من واو يكتمون
(لاخوانهم) لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد أو اخوانهم فى النسب وفى سكنى الدار
فيندرج فيهم بعض الشهداء (وقعدوا) حال من ضمير قالوا بتقدير قد أى قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذال
(لو اطاعونا) اى فيما امرناهم ووافقونا فى ذلك (ما قتلوا) كما لم نقتل وفيه ايذان بأنهم امروهم بالانخذال
حين انخذلوا واغووهم كما غووا (قل) تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم (فادرأوا) اى ادفعوا (عن انفسكم
الموت ان كنتم صادقين) جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله اى ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم
من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذى كتب عليكم معلقا بسبب خاص

موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت فى امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سوآء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها أهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت ز پيش خطر تا توانى كريز * وليكن مكن باقضا پنجه تيز * كرت زند كانى نبشتست دير * نه مارت كزآيد نه شمشير وتير * واعلم ان الموت ليس له سن معلوم ولا اجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعدا لذلك وكان بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى فقد صوته امير تلك المدينة فسأل عنه فقيل انه مات فقال

مازال يلهج بالرحيل وذكره * حتى اناخ ببابه الجمال

فأصابه متيقظا متشمرا * ذا أهبة لم تلهه الآمال

روى انه مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع مناديا يادانيال قف ساعة تر عجبا فلم يرشيأ ثم نادى الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فأذا سرير مرصع بالدر والياقوت فأذا النداء من السرير اصعد يادانيال تر عجبا فارتقيت السرير فأذا فراش من ذهب مشحون بالمسك والعنبر فأذا عليه شاب ميت كأنه نائم واذا عليه من الحلى والحلل مالا يوصف وفى يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف اشد خضرة من البقل فأذا النداء من السرير أن احل هذا السيف واقرأ ما عليه قال فأذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم وانى عشت ألف عام وسبعمائة وافتضضت اثنى عشر ألف جارية وبنيت اربعين ألف مدينة وهزمت سبعين ألف جيش وفى كل جيش قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل وباعدت الحكيم وقربت السفيه وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الانصاف وكان يحمل مفاتيح الخزآئن اربعمائة بغل وكان يحمل الى خراج الدنيا فلم ينازعنى احد من اهل الدنيا فادعيت الربوبية فأصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بألف قفيز من در فلم اقدر عليه فمت جوعا يا اهل الدنيا اذكروا امواتكم ذكرا كثيرا واعتبروا بى ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى فأن اهلى لم يحملوا من وزرى شيأ فعلى العاقل ان لا يركن الى الدنيا ويتذكر مرجعه ويتجنب عن المنافقة والظلم والجور ويتصف بالاخلاص والعدل والاحسان فانه هو المفيد قال ابن الكمال پرده دارى ميكند در طاق كسرى عنكبوت * بوم نوبت ميزند بر قلعهٔ افراسياب * تخم احسان راچه دارى برفشان اى بى خبر * چونكه دانى دانهٔ عمرت خورد اين آسياب * جعلنا الله واياكم من المتيقظين الواصلين الى ذروة اليقين قبل حلول الاجل والحين (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) المراد بهم شهدآء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمرو وعثمان بن شهاب وعبد الله ابن جحش وباقيهم من الانصار قال القاشانى الافصح الابلغ ان يجعل الخطاب فى ولا تحسبن لكل احد لانه امر خطير يجب ان يبشر به كل واحد لتتوفر دواعيهم الى الجهاد وليتيقنوا بحسن الجزآء وان كان للرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد به نهى الامة وتنبيههم على حالهم والا فرسول الله اجل مرتبة من ذلك الحسبان (بل احياء) اى بل هم احياء (عند ربهم) خبر ثان للمبتدأ المقدر والعندية المكانية مستحيلة فتعين حملها على انهم مقربون منه تعالى قرب التكريم والتعظيم (يرزقون) من ثمار الجنة وتحفها وفيه تأكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والزلفى من الله تعالى والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا (ويستبشرون) معطوف على قوله فرحين عطف الفعل على الاسم لكون الفعل فى تأويل الاسم كأنه قيل فرحين ومستبشرين وبناء استفعل ليس للطلب بل هو بمعنى المجرد نحو استغنى الله اى غنى وقد سمع بشر الرجل بكسر العين فيكون استبشر بمعناه وقيل هو مطاوع ابشر نحو أراحه فاستراح فان البشرى حصلت لهم بابشار الله تعالى واليه اشار الزمخشرى فى الكشاف بقوله بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به والبيضاوى بقوله يسرون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) اى باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد فى سبيل الله فيلحقوا بهم (من خلفهم) متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم (ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هى المخففة اى يفرحون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم اذا ماتوا اوقتلوا

يفوزون بحياة ابدية لايدركها خوف وقوع محذور ولاحزن فوت مطلوب والخوف يكون بسبب توقع المكروه النازل فى المستقبل والحزن يكون بسبب فوت المنافع التى كانت موجودة فى الماضى فبين الله انه لاخوف عليهم مماسيأتيهم من اهوال القيامة وأحوالها ولاحزن لهم مما فاتهم من نعم الدنيا ولذاتها (يستبشرون بنعمة) كائنة (من الله) كرر ليبان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لايقادر قدرها وهى ثواب اعمالهم (وفضل) اى زيادة عظيمة كما فى قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة (وان الله لايضيع اجر المؤمنين) كافة سوآء كانوا شهدآء اوغيرهم وهو بفتح أن عطف على فضل منتظم معه فى سلك المستبشر به قال الامام الآية تدل على ان استبشارهم بسعادة اخوانهم من استبشارهم بسعادة أنفسهم لان الاستبشار الاول فى الذكر هو بأحوال الاخوان وهذا تنبيه من الله على ان فرح الانسان بصلاح حال اخوانه ومتعلقه يجب ان يكون اتم واكمل من فرحه وصلاح احوال نفسه واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان هؤلاء المقتولين وان فارقت ارواحهم من اجسادهم الا انهم احياء فى الحال واختلف القائلون بحياتهم فى الحال انها للروح اوللبدن ولابد ههنا من تقديم مقدمة ليتضح بها المقام وهى ان الانسان المخصوص ليس عبارة عن مجموع هذه البنية المخصوصة بل هو شئ مغاير لها وذلك لان اجزآء هذه البنية فى الذوبان والانحلال والتبدل والتغير بالسمن وضده والصغر وخلافه والانسان المخصوص شئ واحد باق من اول عمره الى آخره والباقى مغاير للمتبدل فثبت ان الانسان مغاير لهذا البدن المخصوص ثم بعد هذا يحتمل ان يكون جسما مخصوصا ساريا فى هذه الجثة سريان النار فى الفحم والدهن فى السمسم وماء الورد فى الورد و يحتمل ان يكون جوهرا قائما بنفسه ليس بجسم ولاحال فى الجسم وعلى كلا المذهبين لايبعد أن ينفصل ذلك الشئ حيا عند موت البدن فيثاب ويعذب على حسب اعماله والدلائل العقلية والنقلية الدالة على بقاء النفوس بعد موت الاجساد كثيرة متعاضدة فوجب المصير اليه وبه تزول الشبهات الواردة على القول بثواب القبر كما فى هذه الآية وعلى القول بعذاب القبر كما فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا اذا لم تمت النفوس بموت الابدان اوقلنا بأنه تعالى اماتها ثم اعاد الحياة اليها كما يدل عليه ماروى فى بعض الاخبار انه قال صلى الله عليه وسلم فى صفة الشهدآء ان ارواحهم فى اجواف طير خضر وانها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح فى الجنة حيث شاءت وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما راوا طيب مطعمهم ومسكنهم ومشربهم قالوا ياليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم وماصنع الله بنا كى يرغبوا فى الجهاد فقال الله تعالى انا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا فأنزل الله هذه الآية والذين اثبتوا هذه الحياة للاجساد اختلفوا فقال بعضهم انه تعالى يصعد اجساد هؤلاء الشهدآء الى السموات الى قناديل تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال يتركها فى الارض و يحييها ويوصل هذه السعادات اليها كذا فى تفسير الامام ولابن سينا رسالة فى علم النفس ولعمرى قد بلغ القصوى فى التحقيق فلطلبها من اراد وفضائل الشهدآء لانهاية لها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهيد لايجد ألم القتل الا كما يجد أحدكم ألم القرصة وله سبع خصال يغفر له فى اول قطرة قطرت من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار لياقوتة منه خير من الدنيا ومافيها ويزوج بثلاث وسبعين زوجة من الحور العين و يشفع فى سبعين من اقربائه ويروى انه اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى ادعوا الى خيرتى من خلقى فيقولون يارب من هم فيقول الشهدآء الذين بذلوا دماءهم واموالهم وانفسهم فيمرون على رب العزة وسيوفهم على اعناقهم فيدخلون مساكنهم فى الجنة وينصب يوم القيامة لوآء الصدق لابى بكر وكل صديق يكون تحت لوآئه ولوآء العدل لعمر وكل عادل يكون تحت لوآئه ولوآء السخاوة لعثمان وكل سخى يكون تحت لوآئه ولوآء الشهدآء لعلى وكل شهيد يكون تحت لوآئه وكل فقيه تحت لواء معاذ بن جبل وكل زاهد تحت لوآء ابى ذر وكل فقير تحت لوآء ابى الدردآء وكل مقرئ تحت لوآء ابى بن كعب وكل مؤذن تحت لوآء بلال وكل مقتول ظلما تحت لوآء الحسين بن على رضى الله عنهما فذلك قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بأمامهم قيل ارواح الشهدآء وان كانت فى عليين الا انها تزور قبورها كل جمعة على الدوام ولذلك يستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة قال عليه السلام مامن احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه قال الجنيد قدس سره من كانت حياته

بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كانت حياته بربه فانه ينتقل من حياة الطبع الى حياة الاصل وهى الحياة الحقيقية واذا كان القتيل بسيف الشريعة حيا مرزوقا فكيف من قتل بسيف الصدق والحقيقة * هرگز نميرد انكه دلش زنده شد بعشق * ثبتست بر جريدهٔ عالم دوام ما * قال القاشانى المقتول فى سبيل الله صنفان مقتول بالجهاد الاصغر وبذل النفس طلبا لرضى الله كما هو الظاهر ومقتول بالجهاد الاكبر وكسر النفس وقتلها بسفرة الحب وقمع الهوى كما روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال عند رجوعه من بعض الغزو رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكلا الصنفين ليسوا بأموات بل احياء عند ربهم بالحياة الحقيقية مجردين من دنس الطبائع مقربين فى حضرة القدس يرزقون فى الجنة المعنوية من الارزاق المعنوية اى المعارف والحقائق واشراق الانوار ويرزقون فى الجنة الصورية كما يرزق الاحياء اومن كليهما فان الجنان مراتب بعضها معنوية وبعضها صورية ولكل منهما درجات على حسب المعارف والعلوم والمكاسب والاعمال فالمعنوية جنة الذات وجنة الصفات وتفاضل درجاتها بحسب تفاضل المعارف والترقى فى الملكوت والجبروت والصورية جنة الافعال وتفاوت درجاتها بحسب تفاوت الاعمال والتدرج فى مراتب عالم الملك من السموات العلى والجنات المحتوية على جميع المنى وما روى من الحديث فى شهداء أحد فالطير الخضر فيه اشارة الى الاجرام السماوية والقناديل هى الكواكب اى تعلقت بالنيرات من الاجرام السماوية لنزاهتها وانهار الجنة منابع العلوم ومشارعها ثمارها الاحوال والكشوف والمعارف او الانهار والثمار الصورية على حسب جنتهم المعنوية او الصورية فان كل ما وجد فى الدنيا من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس وسائر الملاذ والمشتهيات موجود فى الآخرة فى عالم المثال وفى طبقات السماء ألذ وأصفى مما فى الدنيا يستبشرون بنعمة الأمن من العقاب اللازم للنقص والتقصير والنجاة من الحزن على فوات نعمة الدنيا الحصول ما هو أشرف وأصفى وألذ وأبقى من جنات الافعال وفضل هو زيادة جنات الصفات المشار اليها بالرضوان او نعمة جنة الصفات وفضل جنة الذوات وان أجر ايمانهم من جنة الافعال لا يضيع مع ذلك انتهى كلامه فلابد للسالك من بذل المال والبدن والروح حتى يحصل اهم انواع الفتوح * دلا طمع مبراز لطف بى نهايت دوست * چو لاف عشق زدى سر بباز چابك وچست (الذين استجابوا لله والرسول) اى اجابوا وأطاعوا فيما امروا به ونهوا عنه كما فى قوله تعالى فليستجيبوا (من بعد ما اصابهم القرح) اى الجرح فى غزوة احد (للذين احسنوا منهم) يدخل تحته الاتيان بجميع المأمورات (واتقوا) يدخل تحته الانتهاء عن جميع المنهيات (اجر عظيم) ثواب عظيم وجملة قوله للذين خبر مقدم مبتدأه اجر عظيم والجملة فى محل الرفع خبر الذين استجابوا وكلمة من فى قوله منهم ليست للتبعيض لان الذين استجابوا لله والرسول كلهم قد أحسنوا لا بعضهم بل هى لبيان الجنس ومحصل المعنى حينئذ الذين استجابوا لله والرسول لهم اجر عظيم لانهم وصفوا بوصفى الاحسان والتقوى مدحا لهم وتعليلا لعظم اجرهم بحسن فعالهم لا تقييدا (روى) ان اباسفيان واصحابه لما رجعوا من احد فبلغوا الروحاء وهو موضع بين مكة والمدينة ندموا وهموا بالرجوع حتى يستأصلوا ما بقى من المؤمنين فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس اى وقعتنا والعرب تسمى الوقائع اياما وذكرهم بأيام الله فخرج رسول الله عليه السلام ارآءة من نفسه ومن اصحابه جلدا وقوة ومعه جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم اى حملوا المشقة على انفسهم كيلا يفوتهم الاجر وألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت فهذه هى غزوة حمراء الاسد متصلة بغزوة احد واما غزوة بدر الصغرى فقد وقعت بعدها بسنة واليها الاشارة بقوله تعالى (الذين قال لهم الناس) يعنى الركب استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعى واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد أو لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه (ان الناس) يعنى اباسفيان واصحابه (قد جمعوا لكم) اى اجتمعوا (فاخشوهم) روى ان اباسفيان لما عزم على ان ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل نقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابوسفيان فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله فى قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بنى

عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين اولقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا أن نلتقى بموسم بدر الا ان هذا العام عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ان ارجع ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرآءة فاذهب الى المدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل وضمنها سهيل بن عمرو فجاء نعيم المدينة فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم ما هذا بالرأى اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد اى لم يتخلص الا شريد وهو الفار النافر المبعد أفترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم أحد فاثر هذا الكلام فى قلوب قوم منهم فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منهم قال والذى نفسى بيده لأخرجن ولو لم يخرج معى أحد فخرج فى سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل (فزادهم) القول (ايمانا) والمعنى لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله وازداد اطمئنانهم وأظهروا حمية الاسلام وأخلصوا النية عنده (وقالوا حسبنا الله) اى محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه (ونعم الوكيل) اى الموكول اليه هو أى الله (فانقلبوا بنعمة من الله) الفاء فصيحة اى خرجوا اليهم ووافوا الموعد فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها كائنة من الله تعالى وهى العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم (وفضل) اى ربح فى التجارة عظيم (لم يمسسهم سوء) سالمين من السوء اى لم يصبهم اذى ولا مكروه (روى) انه صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا الصغرى وكانت موضع سوق لبنى كنانة يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه هنالك أحدا من المشركين وأتوا السوق وكانت معهم نفقات وتجارات فباعوا واشتروا ارباوزبيبا وربحوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق (واتبعوا) فى كل ما أتوا من قول وفعل وهو عطف على انقلبوا (رضوان الله) الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) حيث تفضل بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجرأة على العدو وحفظهم من كل ما يسوؤهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء وروى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم (انما ذلكم) اى المثبط أيها المؤمنون وهو مبتدأ (الشيطان) خبره (يخوف اولياءه) المنافقين غلبة المشركين وقهرهم ليقعدوا عن قتالهم فهم المنافقون الذين فى قلوبهم مرض وقد تخلفوا عن رسول الله فى الخروج والمعنى ان تخويفه بالكفار انما يتعلق بالمنافقين الذين هم اولياؤه واما انتم أيها المؤمنون فأولياء الله وحزبه الغالبون لا يتعلق بكم تخويفه (فلا تخافوهم) اى الشيطان واولياءه من ابى سفيان وغيره (وخافون) فى مخالفة امرى (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعى الامن من شر الشيطان واوليائه والخوف على ثلاثة أقسام خوف العام وهو من عقوبة الله وخوف الخاص وهو من بعد الله وخوف الاخص وهو من الله والى هذه المراتب اشار النبى عليه السلام بقوله اعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك فعلى السالك ان يفنى عن نفسه وصفاتها ولا يرى فى الكون وجودا غير وجوده فلا يخاف الا منه فانه هو القاهر فوق عباده وهو الكافى جميع الامور قال نجم الدين الكبرى قدس سره آخر مقام الخلة ان يكبر على نفسه وجميع المكونات اربع تكبيرات ويتحقق له ان الله حسبه من كل شئ وهو نعم الوكيل عن نفسه وما سواه (قال الحافظ الشيرازى) من همان دمكه وضو ساختم از چشمهٔ عشق * چار تكبير زدم يكسره بر هر چه كه هست * يشير الى انه وقت قيامه بالعشق رأى وجود غير الله ميتا بمنزلة الجماد وقد قال كل شئ هالك الا وجهه وصلاة الميت بأربع تكبيرات لا غير وهذا هو الفناء عن نفسه وعن المكونات حققنا الله تعالى بحقيقة التوحيد قال ابو يزيد كنت اثنى عشرة سنة حداد النفس وخمس سنة مرآة قلبى وسنة أنظر فيها فاذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه اثنى عشرة سنة ثم نظرت فاذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطع فكشف لى فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم اربع تكبيرات وقيل لابى يزيد البسطامى بعد وفاته كيف كان حالك مع منكر ونكير فقال لما قالا لى من ربك قلت لهما سألا ربى فان قال هو عبدى يكفى والا فلو قلت انا عبده مرارا لا يفيد بلا قبوله وحقيقة العبودية

بالتبرى من جميع ماسوى الله ولومن صومه وصلاته وسائر عباداته (روى) ان ابايزيد فى آخر عمره دخل محرابه وقال الهى لا أذكر صومى ولا صلاتى ولا غيرهما بل اقول افنيت عمرى فى الضلالة فالآن قطعت زنارى وجئت بابك بالاستسلام وهو الاسلام وهذا هو الانصاف من نفسه حقيقة قال الشيخ السعدى فى حق شيخه السهروردى

شبى دائم ازهول دوزخ نخفت * بكوشم آمدم صبحگاهى كه كفت * چه بودى كه دوزخ زمن پرشدى * مگر ديكران رازرهايى بدى *

فالعاقل لايزكى نفسه ولا يراها محلا لكرامة الله بل يتواضع بحيث يرى اعماله السيئة كثيرة بالنسبة الى اعماله الصالحة بل ولا يرى فى نفسه الا العدم المحض واعلم ان من شعار المسلمين وعادة المؤمنين ان يجاهدوا فى سبيل الله ولا يخافوا لومة اللائمين ألا يرى ان الله تعالى كيف مدح قوما حالهم كذلك بقوله يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم فمن كان مع الله فهو يعصمه وينصره على اعدائه خصوصا عدو النفس الامارة * كسى را دانم اهل استقامت * كه باشد بر سر كوى ملامت * زاوصاف طبيعت پاك مرده * باطلاق هويت جان سپرده * برفته سايه وخرشيد مانده * تمام از كرد خود دامن فشانده * أوصلنا الله واياكم الى الخلوص واليقين والتمكين آمين

(ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) اى يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وهم المنافقون المتخلفون الذين يسارعون الى ما ابطنوه من الكفر مظاهرة للكفار وسعيا فى اطفاء نور الله (انهم لن يضروا الله شيأ) اى لن يضروا بذلك اولياء الله ودينه البتة شيأ من الضرر (يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى الآخرة) أى يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم فى الآخرة نصيبا ما من الثواب ولذلك تركهم فى طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ النهاية حتى اراد أرحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ فى الآخرة (ولهم) مع ذلك الحرمان الكلى بدل الثواب (عذاب عظيم) لا يقادر قدره (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) اى اخذوه بدلا منه رغبة فيما أخذوه واعراضا عما تركوه (لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم) ولما جرت العادة باغتباط المشترى بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك (ولا يحسبن الذين كفروا) الموصول مع صلته فاعل لا يحسبن (انما) بما فى حيزها سادة مسد مفعوليه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبى بالنسبة بين المبتدأ والخبر وما مصدرية او موصولة حذف عائدها وكان حقها فى قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت فى مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام فى خط المصاحف (نملى لهم) الاملاء الامهال واطالة المدة والملى مقصورا الدهر والملوان الليل والنهار لتعاقبهما اى ان املاءنا لهم اوان ما نمليه لهم (خير لانفسهم) من منعهم عن اراداتهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم (انما) كافة حقها الاتصال (نملى لهم ليزدادوا اثما) اللام لام الارادة عند اهل السنة القائلين بانه تعالى فاعل الخير والشر مريد لهما فان الاملاء الذى هو اطالة العمر لاشك انه من افعاله تعالى وانه ليس بخير لهم لانهم يتوسلون به الى ازدياد الاثم والطغيان فهو تعالى لما امهلهم واطال عمرهم بارادته واكتسبوا بذلك ما تم من الكفر والطغيان كان خالقا لتلك المآثم ايضا ولا تخلق الا بالارادة فهو مريد لها كما انه مريد لاسبابها المؤدية اليها وليست لام العلة لان افعاله تعالى ليست معللة بالاغراض وعند المعتزلة لام العاقبة (ولهم عذاب مهين) اى يهانون به فى الآخرة قال عليه السلام خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله ودلت الآية على ان اطالة عمر الكافر والفاسق وايصاله الى مراداته فى الدنيا ليس بخير بل هى نعمة فى الصورة ونقمة فى الحقيقة ألا يرى ان من اطعم انسانا خبيصا مسموما لا يعد ذلك نعمة عند الحقيقة لافضائه الى الهلاك والعقوبة فينبغى للعبد أن لا يغتر بطول العمر وامتداده ولا بكثرة امواله ولا اولاده * غره مشو بان كه جهانت عزيز كرد * اى بس عزيز راكه جهان كرد زود خوار * مارست اين جهان وجهان جوى ماركير * وزماركير ماربر آرد كهى دمار *

قال الله تعالى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج ان من نعمى على امتك أنى قصرت اعمارهم كيلا تكثر ذنوبهم واقللت اموالهم كيلا يشتد فى القيامة حسابهم وأخرت زمانهم كيلا يطول فى القبور حبسهم وقال ايضا يا أحمد لا تتزين بلين اللباس وطيب الطعام ولين الوطاء فان النفس مأوى كل شر وهى رفيق سوء

كما تجرها الى طاعة تجرك الى معصية وتخالفك فى الطاعة وتطيع لك فى المعصية وتطغى اذا شبعت وتتكبر اذا استغنت وتنسى اذا ذكرت وتغفل اذا امنت وهى قرينة للشيطان وقيل مثل النفس كمثل النعامة تأكل الكثير واذا حملت عليها لا تطير واذا قيل أنت طائر قالت انا بعير وهذه رجلى واذا حملت عليها شيأ قالت انا طائر وهذا جناحى فكثرة المال وكمال الاستغناء تغر النفس قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلهٔ ديكرست (قال السعدى) شنيده ام كه بقصاب كوسفندى كفت * دران زمانكه بخنجر سرش زتن ببريد * جزاى هر بن خارى كه خورده ام ديدم * كسى كه پهلوى چربم خورد چه خواهد ديد * وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت قلت يارسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع وشدّ الحجر من السغب فقال ياعائشة والذى نفسى بيده لوسألت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ياعائشة ان الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد قال عليه السلام الدنيا والآخرة ضرتان فمن يطلب الجمع بينهما فهو ممكور ومن يدعى الجمع بينهما فهو مغرور فمن رام مع متابعة الهوى البلوغ الى الدرجات العلى فهو غريق فى الغفلة فالله تعالى يمهله فى طغيان النفس بالحرص على الدنيا حتى يتجاوز فى طلبها حد الاحتياج اليها ويفتح ابواب المقاصد الدنيوية عليه ليستغنى بها وبقدر الاستغناء يزيد طغيانه * بناز ونعمت دنيا منه دل * كه دل برداشتن كاريست مشكل * فيا أيها الاخوان الذين مضوا قبلنا من الامم قد عاشوا طويلا وجمعوا كثيرا فتذكروا موتهم ومصارعهم تحت التراب وتأملوا كيف تبددت اجزاؤهم فى قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وهلكت بعدهم صغارهم وكبارهم وانقطعت آثارهم وديارهم فلم يرجع من كفر بنعمة الله الا الى العذاب والخسران ولم يصر الا الى دركات النيران فمن كانت غفلته كغفلتهم فسيصير الى ماصاروا اليه وان عاش طويلا فان الله يمهل ولا يهمل قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وما الحياة والتمتع بها الا قليل فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة لعلك تلحق بالجماعة من اهل الوصول وارباب القبول وجميع الطاعات من اسباب الفلاح خصوصا الصلاة أفضل العبادات واعلاها وأشرف الطاعات واسناها والصوم سبب الولوج فى ملكوت السموات وواسطة الخروج من رحم مضايق الجسمانيات المعبر عنه بالنشأة الثانية كما اشير اليه بقول عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين بل مجاهدة الصوم رابطة مشاهدة اللقاء واليه يشير الحديث القدسى وهو قوله جل شأنه الصوم لى وانا اجزى به يعنى انا جزاؤه ولهذا علق سبحانه نيل سعادة الرؤية بالجوع حيث قال فى مخاطبة عيسى عليه السلام تجوع ترانى * همى آيد از حق ندا متصل * تجوّع ترانى تجرد تصل * رزقنا الله واياكم (ما كان الله) مريدا (ليذر) لان يترك (المؤمنين) المخلصين (على ما أنتم عليه) الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره (حتى يميز الخبيث من الطيب) مازالشئ يميزه ميزا عزله وافرزه والمعنى ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه بأحوالكم او بالجهاد اوبالهجرة (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) اى وما كان الله ليؤتى احدكم علم الغيب فيطلع على ما فى القلوب من كفر وايمان (ولكن الله يجتبى) يصطفى (من رسله من يشاء) فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له مايدل عليها (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص اوبأن تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لايعلمون الا ما علمهم الله ولا يعلمون الا ما اوحى اليهم (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) النفاق (فلكم) بمقابلة ذلك الايمان والتقوى (اجر عظيم) لايبلغ كنهه وهذا الاجر على قدر عظم التقوى فان السير الى المقصد الاعلى والوصول الى منازل الاجتباء لاينتهيا الا بقدمى التقى * قدم بايد اندر طريقت نه دم * كه اصلى ندارد دم بى قدم * قال ابراهيم بن ادهم بت ليلة تحت صخرة بيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال احدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر ابراهيم بن ادهم فقال ذلك الذى حط الله درجة من درجاته فقال لم قال لانه اشترى بالبصرة التمر فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال قال ابراهيم فمضيت الى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل وأوقعت تمرة على تمره ورجعت الى بيت المقدس وبت فى الصخرة فلما كان بعض

الليل اذا انا بملكين قد نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه من ههنا فقال أحدهما ذلك الذى ردّ الثمرة الى مكانها فرفعت درجته فهذا هو التقوى على الحقيقة ومراعاة الحقوق على الوجه اللائق ولا يتيسر ذلك الا بالتوسل الى جناب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان غيب الحقائق والاحوال لا ينكشف بلا واسطة الرسول واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الخ وكيف يترقى الى حقيقة التقوى وعالم الاطلاق من تقيد برأيه واختياره قال الله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة فلابدّ من متابعة النبى عليه السلام حقا كه بى متابعت سيد رسل * هرگز كسى بمنزل مقصود ره نيافت * از هيچ او بهيچ درى ره نمى دهند * انرا كه زآستانهٔ اوروى دل بتافت * فالايمان بالله وبرسوله هو التصديق القلبى والارادة والتمسك بالشريعة والنجاة فيه لا فى غيره (روى) ان المؤمن اذا ورد النار بمقتضى قوله تعالى وان منكم الا واردها يصير الله ثواب التوحيد سفينة والقرآن حبلها والصلاة شراعها ويكون المصطفى عليه السلام ملاحها والمؤمنون يجلسون عليها ويكبرون الله وتجرى السفينة على بحر نار جهنم بريح طيبة فيعبرون عنها سالمين فيا أخى لا تضيع أيامك فان ايامك رأس مالك وانك مادمت قابضا على رأس مالك فانك قادر على طلب الربح فاجتهد فى تحصيله بالتوغل فى الطاعات والعبادات واحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه قبل الموت والفوت فان الموتى يتمنون ان يؤذن لهم بان يصلوا ركعتين او يقولوا مرة لا اله الا الله او يسبحوا مرة فلا يؤذن لهم ويتعجبون من الاحياء كيف يضيعون ايامهم فى الغفلة * اگر مرده مسكين زبان داشتى * بفرياد وزارى فغان داشتى * كه اى زنده هست امكان گفت * لب از ذكر چون مرده برهم مخفت * چو مارا بغفلت بشد روزكار * تو بارى دمى چند فرصت شمار * قال عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فتميز المنافق من المخلص كما يكون فى الدنيا بالاقوال والافعال وغيرهما كذلك يكون فى الآخرة ببياض وجه هذا وسواد وجه ذلك كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فعلى العاقل ان يتحمل مشاق الطاعات والتكاليف والامتحانات الالهية لعله يفوز بالمرام ويظفر بالبغية يوم يخيب المعرضون والمنافقون ويخسرون * خوش بود گر محك تجربه آيد بميان * تا سيه روى شود هركه دروغش باشد * قال بعض الكبار وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان عصمنا الله واياكم من المخالفة (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله) الموصول فاعل لا يحسبن والمفعول الاول محذوف لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم (هو) ضمير فصل لا محل له من الاعراب (خيرا لهم) من انفاقهم مفعول ثان للفعل المذكور (بل هو) اى البخل (شر لهم) لاستجلاب العقاب عليهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) بيان لقوله هو شر لهم اى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق اذ لا طوق ثمة فيكون من قبيل الاستعارة التمثيلية شبه لزوم وبال البخل واثمه بهم بلزوم طوق نحو الحمامة بها فى عدم زوال كل واحد منهما عن صاحبه فعبر عن لزوم الوبال بهم بالتطويق واشتق منه يطوقون كما يقال منه فلان طوق فى رقبة فلان وقيل هو على حقيقته وانهم يطوقون حية او طوقا من نار استدلالا بالحديث وسيجيئ (ولله) وحده لا لأحد غيره استقلالا واشتراكا (ميراث السموات والارض) اى ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات التى يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيله اوانه يورث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه فى سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة (والله بما تعملون) من المنع والاعطاء (خبير) فيجازيكم على ذلك واعلم ان البخل عبارة عن امتناع اداء الواجب والامتناع عن التطوع لا يكون بخلا ولذلك قرن به الوعيد والذم والواجب كثير كالانفاق على النفس والاقارب الذين يلزمه مؤونتهم والصدقة على الغير حال المخمصة وفى حال الجهاد عند الاحتياج الى التقوية بالمال ثم ان فى الآية اشارة الى ان البخل اكسير الشقاوة كما ان السخاء اكسير السعادة وذلك لان الله تعالى سمى المال فضله كما قال من فضله والفضل لأهل السعادة فبأكسير البخل يصير الفضل قهرا والسعادة شقاوة كما قال هو خيرا لهم بل هو شر لهم يعنى بأكسير البخل يجعلون خيرية ما آتاهم الله من فضله شرا لهم ولو انهم طرحوا على ما هو فضله اكسير السخاء لجعلوه خيرا لهم فصيروه سعادة ولصاروا بها اهل الجنة ولن يلج الجنة الشحيح ثم عبر عن آفة حب الدنيا والمال بالطوق لانها تحيط بالقلب ومنها تنشأ معظم الصفات الذميمة مثل البخل والحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب وغير ذلك ولهذا قال النبى عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة فبمنع الزكاة يصير الروح

الشريف العلوي النوراني محفوفا بهذه الصفات الخسيسة السفلية الظلمانية مطوقا بآفاتها وحيها وعذابها يوم القيامة وبعد المفارقة فانه من مات فقد قامت قيامته * نه منعم بمال از كسى بهترست * خر ار جل اطلس بپوشد خرست * هنر بايد وفضل ودين وكمال * كه كه آيد وكه رود جاه ومال * پسنديده رايى كه بخشيد وخورد * جهان از پى خويشتن كرد كرد * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون الآية وفي رواية يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يكون له ابل او بقر او غنم لا يؤدي حقها الا اتى بها يوم القيامة اعظم ما تكون واسمنه تطأه باخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت اخراها ردت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس قال ابو حامد مانع زكاة الابل يحمل بعيرا على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم ومانع زكاة البقر يحمل ثورا على كاهله له خوار وثقل يعدل الجبل العظيم ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء وثقل يعدل الجبل العظيم والرغاء والخوار والثغاء كالرعد القاصف ومانع زكاة الزرع يحمل على كاهله اعدالا قد ملئت من الجنس الذي كان يبخل به برا كان او شعيرا أثقل ما يكون ينادي تحته بالويل والثبور ومانع زكاة المال يحمل شجاعا اقرع له زبيبتان وذنبه قد انساب في منخريه واستدار بجيده وثقل على كاهله كأنه طوق بكل رحى في الارض وكل واحد ينادي ماهذا فيقول الملائكة هذا ما بخلتم به في الدنيا رغبة فيه وشحا عليه فمنع الزكاة سبب للعقاب في العقبى كما ان ايتاءها سبب للثواب في الاخرى وحصن لماله في الدنيا قال صلى الله عليه وسلم حصنوا اموالكم بالزكاة وداووا امراضكم بالصدقة واستقبلوا البلايا بالدعاء قال عليه السلام لا صلاة لمن لا زكاة له (روي) ان موسى عليه السلام مر برجل وهو يصلي مع حضور وخشوع فقال يارب ما أحسن صلاته قال الله تعالى لو صلى في كل يوم وليلة ألف ركعة وأعتق ألف رقبة وصلى على ألف جنازة وحج ألف حجة وغزا ألف غزوة لم ينفعه حتى يؤدي زكاة ماله وقال عليه الصلاة والسلام ملعون مال لا يزكى كل عام وملعون بدن لا يبتلى في كل اربعين ليلة ومن البلاء العثرة والنكبة والمرضة والخدشة واختلاج العين فما فوق ذلك فاذا سمعت هذه الاخبار وقفت على وزر من وقف على الاصرار ولم يؤد زكاة ماله بطيبة النفس وصفاء البال الى ان يرجع فقيرا ميتا بعد ما ساعدته الاحوال والاموال * پريشان كن امروز گنجينه چست * كه فردا كليدش نه در دست تست * تو با خود ببر توشهٔ خويشتن * كه شفقت نيايد ز فرزند وزن * بخيل توانكر بدينار وسيم * طلسمست بالاى كنجى مقيم * از ان سالها مى بماند زرش * كه لرزد طلسمى چنين بر سرش * بسنك اجل ناكهان بشكنند * بآسودكى كنج قسمت كنند * چو در زندكانى بدى با عيال * كرت مرك خواهند از ايشان منال * تو غافل در انديشهٔ سود مال * كه سرمايهٔ عمر شد پايمال * بكن سرمهٔ غفلت از چشم پاك * كه فردا شوى سرمه در چشم خاك (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه الصلاة والسلام كتب مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر رضي الله عنه ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا من اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنياء وانه ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما اعطانا الربا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاه وجحد ما قاله فنزلت ردا عليه وتصديقا لابي بكر والجمع حينئذ مع كون القائل واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعدله من العقاب كفاء والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة

والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع (سنكتب ما قالوا) اى سنكتب ما قالوه من الخطة الشنعاء في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتأكيد أي لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم عليه السلام (وقتلهم الانبياء) عطفه عليه ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم (بغير حق) متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اى كائنا بغير حق وجرم في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر (ونقول) عند الموت اوعند الحشر اوعند قرآءة الكتاب (ذوقوا عذاب الحريق) اى وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المرسلين الغصص (ذلك) اشارة الى العذاب المذكور (بما قدمت ايديكم) بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدى لان أكثر الاعمال يزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب (وان الله ليس بظلام للعبيد) محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقررة لمضمون ما قبلها اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم والاشارة في تحقيق الآيتين ان العبد اذا غلبت عليه الصفات الذميمة واستولى عليه الهوى والشيطان ومات قلبه تكاملت الصفة الامارية لنفسه فما ينطق الا عن الهوى ان هو الا وحى يوحيه اليه الشيطان كقوله تعالى ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم والنفس اذا تكملت بالهوى تدعى الربوبية كما ادعى فرعون وقال انا ربكم الاعلى فيكون كلامها من صفات الربوبية وان من صفات الربوبية قوله والله الغنى وأنتم الفقرآء فاذا تم فساد حال النفس الامارة بالسوء اثبتت صفات الربوبية لنفسها وصفات العبودية لربها كقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء اثبتوا لنفسهم صفات الربوبية وهى الغنى واثبتوا لله صفة العبودية وهى الفقر سنكتب ما قالوا اى سنميت قلوبهم باقوالهم هذه كما امتناها بأفعالهم وهى قتلهم الانبياء بغير حق يشير الى ان جزاء هذه الاقوال في حق الله مثل جزاء هذه الافعال في الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونقول ذوقوا عذاب القلب الميت الحريق بنار القهر والقطيعة ذلك بما قدمت ايديكم اى بشؤم معاملاتكم القولية والفعلية على وفق الهوى والطبيعة وخلاف الرضى والشريعة والله ليس بظلام للعبيد بان يضع الشئ في غير موضعه يعنى لا يجعل المصلح منهم مظهر صفة قهره ولا المفسد منهم مظهر صفة لطفه كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته وهذا كما يقال * ندهد هوشمند روشن راى * بفرومايه كارهاى خطير * بوريا باف اكرچه بافنده است * نبرندش بكاركاه حرير * واذا كان للعبد حسن الاستعداد يتحول القهر في حقه الى اللطف بشرط ان يجتهد ويبذل ما في وسعه وطاقته وكم من مؤمن يصير في مآله كافرا وكم من عكسه فاذا جاء حين السعادة انقلب الحال وكذا الشقاوة قال بعض المشايخ العباد على قسمين في اعمارهم فرب عمر اتسعت آماده وقلت امداده كاعمار بنى اسرآئيل اذ كان الواحد منهم يعيش الالف ونحوها ولم يحصل على شئ مما تحصل لهذه الامة مع قصر اعمارها ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده كعمر من فتح عليه من هذه الامة فوصل الى عناية الله بلمحة فقد قال أحمد بن ابى الحوارى رحمه الله قلت لابى سليمان الدارانى انى قد غبطت بنى اسرآئيل قال باى شئ قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالاوتار قال ما ظننت الا وقد جئت بشئ والله ما يريد الله منا ان ييبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق في عشرة ايام نال ما ناله ذلك في عمره الطويل فاذن من بورك له في عمره ادرك في يسير من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوآئر العبارة ولا تلحقه الاشارة لكثرته وعظمه ودقته ورقته وقد قال الشيخ الشاذلى رحمه الله في كتاب تاج العروس من قصر عمره فليذكر بالاذكار الجامعة

مثل

مثل سبحان الله عدد خلقه ونحو ذلك ويعني بقصر العمر والله أعلم ان يكون رجوعه الى الله في معترك المنايا
ونحوها من الامراض المخوفة والاعراض المهولة واذا كان الامر على ماذكر فالحذر الحذر لان كل الخذلان ان
تتفرغ من الشواغل ثم لاتتوجه اليه بصدق النية حتى يفتح عليك بما لاتصل الهمم اليه وتقل عوائقك
ثم لاترحل اليه عن عوالم نفسك والاستئناس بيومك وامسك فقد جاء خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ ومعناه والله أعلم ان الصحيح ينبغي ان يكون مشغولا بدين اودنيا والا فهو مغبون فيهما عصمنا
الله واياكم من الغبن والخذلان والخسران * مهل كه عمر به بيهوده بكذرد حافظ * بكوش وحاصل عمر عزيز را
درياب * قيل الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال (الذين) اى الذين (قالوا) وهم كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهودا (ان الله عهد الينا) اى امرنا في التوراة
وأوصانا (ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) فيكون دليلا على صدقه والقربان كل مايتقرب به
العبد الى الله من نسيكة وصدقة وعمل صالح وهو فعلان من القربة قال عطاء كانت بنوا اسرائيل يذبحون لله
تعالى فيأخذون الثروب واطايب اللحم فيضعونها وسط البيت والسقف مكشوف فيقوم النبي عليه السلام
في البيت ويناجي ربه وبنوا اسرائيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء لادخان لها ولها دوي
وحفيف حين تنزل من السماء فتأكل ذلك القربان اى تحيله الى طبعها بالاحراق فيكون ذلك علامة القبول
واذا لم يقبل بقي على حاله وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل القربان النار لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة
فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعدم
اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى (قل) اى تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم
(قد جاءكم) اى جاء اسلافكم وآباءكم (رسل) كثيرة العدد كبيرة المقدار (من قبلي بالبينات) اى المعجزات الواضحة
(وبالذي قلتم) بعينه من القربان الذي تأكله النار فقتلتموهم (فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) اى فيما دل عليه
كلامكم من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام
قد جاؤكم بما قلتم في معجزات اخر فمالكم لم تؤمنوا حتى اجترأتم على قتلهم (فان كذبوك) شروع في تسلية رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد كذب رسل من قبلك) تعليل لجواب الشرط اى فتسل واصبر فقد كذب الخ
(جاؤا بالبينات) اى المعجزات الواضحات صفة لرسل (والزبر) جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته
اذا حسنته اوالزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته (والكتاب المنير) اى التوراة والانجيل والزبور والكتاب
في عرف القرآن مايتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع والمنير
اى المضيئ البين بالامر والنهي والاشارة ان الله تعالى كما قدر ان بعض الامم يغلبون بعض انبيائهم ويقتلونهم
قبل الايمان او بعد الايمان بهم كذلك قدر أن بعض الصفات النفسانية يغلب على بعض الالهامات الربانية
والواردات الرحمانية فيمحوها كما قال تعالى يمحو الله مايشاء ويثبت قبل انقيادها لها او بعد ما انقادت لها
ليقضي الله امرا كان مفعولا وبالجملة ان الروح يصير بمجاورة الصفات النفسانية كالنفس في الدناءة فتصير
الصفات الذميمة غالبة عليه كما تغلب على الالهامات فعلى السالك ان يتجنب عن مصاحبة المفسدين ومجاورة
صفات النفس * نفس از همنفس بكيرد خوى * برحذر باش ازلقاى خبيث * باد جون برفضاى
بد كذرد * بوى بد كيرد ازهواى خبيث * فطوبى لعبد طهر نفسه من الصفات الرذيلة والعناد
والاصرار ورأى الحق حقا والباطل باطلا وانقطع عن ميل الدنيا واتباع الهوى وموافقة غير الله (روى) ان عيسى
عليه السلام مر بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال يامعشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا على سخط
ولو ماتوا على غير ذلك لتدافنوا فقالوا ياروح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسأل ربه فأوحى الله اليه اذا كان الليل
فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على الموتى ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك ياروح الله فقال
ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في عافية وأصبحنا في هاوية قال وكيف ذلك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا أهل
المعاصي قال وكيف كان حبكم الدنيا قال كحال حب الصبي لامه اذا أقبلت فرحنا واذا أدبرت حزنا قال فما بال
أصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجام من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال كيف أجبتني من بينهم
قال لاني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني فأنا معلق على شفير جهنم لاأدري أأنجو منها

ام أكبكب فيها واعلم ان الانكار والتكذيب من حب الدنيا والميل اليها لان الانبياء والاولياء يدعون الى الجنة والمولى وحفت الجنة بالمكاره والانسان اذا رأى ما يكرهه يتنفر عنه ثم اذا اقدم على الاتيان به واكره يأخذ بالانكار قال الله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وقد وصى الحكماء الالهية ان لا يجالس المريد أهل الانكار بل لا يلتفت اليهم أصلا اذ للمجاورة تأثير عظيم (كما قيل) عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد * بابدان يار كشت همسر لوط * خاندان نبوتش كم شد * سك اصحاب كهف روزى چند * بى مردم كرفت ومردم شد * قال مولانا جلال الدين قدس سره فى هذا المعنى * كر تو سنك وصخره ومرمر شوى * چون بصاحب دل رسى كوهر شوى * ساقنا الله واياكم الى طريقة اوليائه ومجالسة احبائه آمين (كل نفس ذائقة الموت) اى تخرج وتنفك من البدن بادنى شئ من الموت فكنى بالذوق عن القلة وهو وعد ووعيد للمصدق والمكذب من حيث انه كناية عن ان هذه الدار بعدها دار اخرى تميز فيها المحسن من المسيء ويتوفر على كل أحد ما يليق به من الجزاء وفى الحديث لما خلق الله آدم اشتكت الارض الى ربها لما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها فما من احد الا ويدفن فى التربة التى خلق منها (وانما توفون اجوركم) اى تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان اوشرا تاما وافيا (يوم القيامة) اى يوم قيامكم من القبور وفى لفظ التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة اوحفرة من حفر النيران (فمن زحزح عن النار) اى بعد عنها يومئذ ونحى والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (وادخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من أحب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس بما يحب ان يؤتى به اليه (وما الحياة الدنيا) اى لذاتها وزخارفها (الامتاع الغرور) شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغتر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة ومن آثر الآخرة عليها فهى له متاع بلاغ اى تبليغ الى الآخرة وايصال اليها فلذلك سماه الله خيرا حيث قال وانه لحب الخير لشديد فالعاقل لا يغتر بالدنيا فانها لين مسها قاتل سمها ظاهرها مطية السرور وباطنها مطية الشرور * ترا دنيا همى كويد شب وروز * كه هان ازصحبتم پرهيز وپرهيز * مده خود را فريب ازرنك وبويم * كه هست اين خنده من كريه آميز * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرأوا ان شئتم وظل ممدود ولموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما عليها واقرأوا ان شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور * بناز ونعمت دنيا منه دل * كه دل بر داشتن كاريست مشكل * فمن اتى بالطاعات واجتنب عن السيئات واعرض عن الدنيا ولذاتها فاز بالجنة ودرجاتها ومن عكس الامر عوقب بالحرمان فى دركات النيران (روى) ان جبريل عليه السلام جاء النبى صلى الله عليه وسلم متغير اللون فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن تغير لونه فقال جئتك وقد امر الله ان ينفخ فى نار جهنم فقال عليه السلام صف لى جهنم فقال لما خلق الله جهنم أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت والذى بعثك بالحق نبيا لوان جمرة منها وقعت لاحترقت أهل الدنيا ولو ان ثوبا من اثوابها علق بين السماء والارض لماتوا من نتن رائحته لها سبعة ابواب بعضها أسفل من بعض فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من سكان هذه الابواب فقال الباب الاول فيه المنافقون واسمه الهاوية والباب الثانى فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه ابليس واتباعه والمجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير والباب السابع فيه عصاة الموحدين واسمه النار يدخلونها ثلاثة أيام فأخبر سلمان حال النبى عليه السلام لفاطمة فسألت النبى فأخبرها النبى عليه السلام فقالت فاطمة رضى الله عنها كيف يدخلونها فقال صلى الله عليه وسلم اما الرجال فباللحى واما النساء فبالذوائب ثم انهم يخرجون من النار بشفاعة النبى عليه السلام فتبين ان من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وانزل الله على بعض انبيائه يا ابن آدم تشترى النار بثمن غال ولا تشترى الجنة بثمن رخيص قيل فى معناه ان فاسقا يتخذ ضيافة للفساق

بمائة درهم او مائتين فيشتري النار ولو اتخذ ضيافة للفقراء بدرهم اودرهمين يكون ثمن الجنة * غم وشادمانى نماند وليك * جزاى عمل ماند ونام نيك * كرم باى دارد نه ديهيم وتخت * بده كز تو اين ماند اى نيكبخت * مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم * كه بيش از تو بودست وبعد از توهم * واعلم ان البعد عن النار ودخول الجنة بالاجتناب عن المعاصي والمسارعة الى الطاعة وذلك بالهرب عن مقام النفس والدخول فى مقام القلب فان من دخل حرم القلب كان آمنا كما قال تعالى ومن دخله كان آمنا فمن وصل الى ذلك الحرم فقد خلص من انواع الآلام فهو وجنة عاجلة قال بعضهم للعارف جنة عاجلة وهى جنة المعرفة ثم ان اعظم اسباب دخول الجنة كلمة الاخلاص والتوحيد وفقنا الله واياكم ثم اعلم ان النفوس على ثلاثة اقسام قسم منها يموت ولا حشر له للبقاء كسائر الحيوانات وقسم يموت فى الدنيا ويحشر فى الآخرة كنفوس الانسان والملائكة والجن والشياطين وقسم منها يموت فى الدنيا ويحشر فى الدنيا والآخرة جميعا وهى نفوس خواص الانسان كما قال عليه الصلاة والسلام المؤمن حى فى الدارين على ان لها موتا معنويا فى الدنيا كما اشار اليه عليه السلام بقوله موتوا قبل ان تموتوا وهو الفناء فى الله بالله ولها حياة معنوية فى الدنيا كما قال تعالى اومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس وهو البقاء بنور الله ففى قوله كل نفس ذائقة الموت اشارة الى ان كل نفس مستعدة للفناء فى الله فلا بد لها من موت فمن كان موته بالاسباب تكون حياته بالاسباب ومن كان فناؤه فى الله يكون بقاؤه بالله وانما توفون اجوركم على قدر تقواكم وفجوركم فمن زحزح عن نار القطيعة واخرج من جحيم الطبيعة على قدمى الشريعة والطريقة وادخل الجنة الحقيقية فقد فاز فوزا عظيما وما الحياة الدنيا ونعيمها الا متاع الغرور أى متاع يغتر به المغرور والممكور (لتبلون) اصل الابتلاء الاختبار أى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسة اومفارقة وذلك انما يتصور ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيأ هو من مباديه العادية والجملة جواب قسم محذوف اى والله لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة (فى اموالكم) بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى الهلاك (وانفسكم) بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) اى من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى (ومن الذين اشركوا) من العرب كأبى جهل والوليد وابى سفيان وغيرهم (اذى كثيرا) من الطعن فى الدين الحنيف والقدح فى احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واصحابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال على المكروه ويستعدوا للقائها فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب (وان تصبروا) على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التقابل (وتتقوا) اى تبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث يتساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه (فان ذلك) يعنى الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزوماتها التى تنافس فيها المتنافسون اى مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعنى ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا واعلم ان مقابلة الاساءة تفضى الى ازدياد الاساءة فأمر بالصبر تقليلا لمضار الدنيا وامر بالتقوى تقليلا لمضار الآخرة فالآية جامعة لآداب الدنيا والآخرة فعلى العاقل ان يتخلق بأخلاق الانبياء والاولياء ويتأدب بآدابهم فانهم كانوا يصبرون على الاذى ولا يقابلون السفيه بمثل مقابلته واذا مروا باللغو مروا كراما * بدى را بدى سهل باشد جزا * اگر مردى احسن الى من اساء * وقد مدح الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلق النبى صلى الله عليه وسلم القرآن يعنى تأدب بآداب القرآن قيل مدار عظم الخلق بذل المعروف وكف الاذى اى احتماله ورسول الله عليه الصلاة والسلام كان موصوفا بهما وقد انزل الله فى معروفه ولا تبسطها كل البسط وتحمل الاذى انما يكون بصبر قوى وهو عليه السلام كان صبورا لتحمل الاذى اكثر من ان يحصى قال عليه السلام صل من قطعك واعف عمن ظلمك وأحسن الى من اساء اليك

وما امر عليه السلام غيره بها الا بعد أن تخلق بها واتجنه لابدان تتبعه فى تحمل الاذى وغيرها لاتسمع بدون الحمية القوية والابتلاءات التى تردمن طرف الحق كلها لتصفية النفس وتوجيهها من الخلق الى الخالق ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ما اوذى نبى مثل ما اوذيت كأنه قال ماصفى نبى مثل ماصفيت وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله على المشركين فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا فالابتلاء رحمة ونعمة (قال جلال الدين قدس سره) دردپشتم داد حق تامن زخواب * برجهم درنيم شب باسوز وتاب * دردها بخشيد حق از لطف خويش * تا نخسبم جمله شب چون كاوميش * والاشارة فى الآية لتبلون فى اموالكم وانفسكم بالجهاد الاصغر هل تجاهدون بها وتنفقونها فى سبيل الله وبالجهاد الاكبر اما الاموال فهل تؤثرون على انفسكم ولو كان بكم خصاصة واما الانفس فهل تجاهدون فى الله حق جهاده اولا ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب يعنى اهل العلم الظاهر ومن الذين اشركوا اى اهل الرياء من القرآء والزهاد اذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس وبذل المال واذية الخلق وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم الامور الذى هو من امور اولى العزم كما قال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومن لم يحافظ على هذه الامور كان من المدعين * مشكل آيد خلق را تغيير خلق * انكه بالذات است كى زائل شود * اصل طبع است وهمه اخلاق فرع * فرع لابد اصل را مائل شود * فظهر ان من لم يهد الله لا يهتدى الى مكارم الاخلاق وحسان الخصال وسنيات الاحوال (واذ اخذ الله) اى اذكر يا محمد وقت اخذه تعالى (ميثاق الذين اوتوا الكتاب) وهم علماء اليهود والنصارى وذلك الاخذ على لسان الانبياء عليهم السلام (لتبيننه) حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب قسم ينبىء عنه أخذ الميثاق كأنه قيل لهم بالله لتبيننه (للناس) وتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التى من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية (ولا تكتمونه) عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما فى قولك والله لا يقوم زيد (فنبذوه) النبذ الرمى والابعاد اى طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثوق بفنون التأكيد والقوه (وراء ظهورهم) ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشئ وراء الظهر مثل فى الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم فى كمال العناية (واشتروا به) اى بما الكتاب الذى امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اى تركوا ما امروا به واخذوا بدله (ثمنا قليلا) اى شيأ تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وهو ما تناولوه من سفلتهم فلما كرهوا ان يؤمنوا فينقطع ذلك عنهم كتموا ما علموا من ذلك واصروا وهم ان يكذبوه (فبئس ما يشترون) ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفة والمخصوص بالذم محذوف اى بئس شيأ يشترونه ذلك الثمن وظاهر الآية وان دل على نزولها فى حق اليهود والنصارى الذين كانوا يخفون الحق ليتوسلوا بذلك الى وجدان شئ من الدنيا الا ان حكمهما يعم من كتم من المسلمين احكام القرآن الذى هو اشرف الكتب وانهم اشراف اهل الكتاب قال صاحب الكشاف وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيأ لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم اولجر منفعة من حطام الدنيا لنفسه ء الادليل عليه ولا امارة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب الى غيرهم انتهى بعبارته فكل من لم يبين الحق للناس وكتم شيأ من هذه الامور دخل تحت وعيد الآية كذا فى تفسير الامام فعلى المرء ان يحسن نيته حال الاضمار والاظهار ويطهر سر يرته من لوث الاغراض والاوزار والانكار * زبان مى كند مرد تفسير دان * كه علم وادب ميفروشد بنان * بدين اى فرومايه دنيى مخر * چوخر بانجيل عيسى مخر * يعنى لا تشتر بالعلم والقرآن ما تربى به نفسك من شهواتك ولا تخف من الخلق فى اظهار الاحكام واصدع بما امرت به (حكى) ان الحجاج ارسل الى الحسن وقال ما الذى بلغنى عنك فقال ما كل الذى بلغك قلته ولا كل ما قلته بلغك قال انت الذى قلت ان النفاق كان مقموعا فأصبح قد تعمم وتقلد سيفا فقال نعم فقال وما الذى حملك على هذا ونحن نكرهه قال لان الله اخذ ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه * قال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وكان يقول طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه قال صلى الله عليه وسلم من كتم علما على اهله ألجم بلجام من نار قال

الفضيل

الفضيل رحمه الله لو أن اهل العلم اكرموا انفسهم وشحوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادلهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفسهم ولم يسألوا مانقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك مما فى ايدى الناس فذلوا وهانوا على الناس وعن الفضيل ايضا قال بلغنى ان الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاصنام فيقولون ربنا مابالنا فيقول الله ليس من يعلم كمن لايعلم فمن اشترى الدنيا بالدين فقد وقع فى خسران مبين ولايخفى ان مداره على حب الدنيا ساقنا الله واياكم الى طريق القناعة (حكى) ان ذا القرنين اجتاز على قوم تركوا الدنيا وجعلوا قبور موتاهم على ابوابهم يقتاتون بنبات الارض ويشتغلون بالطاعة فأرسل ذو القرنين الى رئيسهم فقال مالى حاجة الى صحبة ذى القرنين فجاء ذو القرنين فقال ماسبب قلة الذهب والفضة عندكم قال ليس للدنيا طالب عندنا لانها لاتشبع احدا فجعلنا القبور عندنا حتى لاننسى الموت ثم اخذ قحف انسان وقال هذا رأس ملك من الملوك كان يظلم الرعية ويجمع حطام الدنيا فقبضه الله تعالى وبقى عليه السيئات ثم اخرج آخر وقال هذا ايضا رأس ملك عادل مشفق فقبضه واسكنه جنته ورفع درجته ثم وضع يده على رأس ذى القرنين وقال من اى الرأسين يكون رأسك فبكى ذو القرنين وقال ان رغبت فى صحبتى شاطرتك مملكتى وسلمت اليك وزارتى فقال هيهات فقال ذو القرنين ولم قال لان الناس اعداء لك بسبب المال والمملكة وجميعهم احبابى بسبب القناعة * نيرزد عسل جان من زخم نيش * قناعت نكوتر بدوشاب خويش * كدايى كه هر خاطرش بندنيست * به از پادشاهى كه خرسند نيست * اكر پادشاهست اكر پينه دوز * چوخفتند كردد شب هردوروز (لاتحسبن) يا محمد او الخطاب لكل احد ممن يصلح له (الذين يفرحون بما اوتوا) اى بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق (فلا تحسبنهم) تأكيد لقوله لاتحسبن والمفعول الثانى له قوله (بمفازة من العذاب) اى ملتبسين بنجاة منه (ولهم عذاب اليم) بكفرهم وتدليسهم (ولله) اى خاصة (ملك السموات والارض) اى السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيف يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة من غيران يكون لغيره شائبة دخل فى شئ من ذلك بوجه من الوجوه وهو يملك امرهم و بعذبهم بما فعلوا لايخرجون عن قبضة قدرته ولا ينجون من عذابه يأخذهم متى شاء (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقابهم وكيف يرجو النجاة من كان معذبه هذا المالك القادر (روى) انه عليه السلام سأل اليهود عن شئ مما فى التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانهم كانوا يفرحون بما فعلوه من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بألف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم فى الغاية القاصية من العداوة والاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتى بشئ من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب و يود أن يمدحه الناس بما هو عارى منه من الفضائل وانواع البر وكون السبب خاصا لايقدح لايقدح فى عمومية حكم الآية واعلم ان الفرح بمتاع الدنيا وحب مدح الناس من صفات ارباب النفس الامارة المغرورين بالحياة الدنيا وتمويهات الشيطان المحجوبين عن السعادات الاخروية والقربات المعنوية قال الامام فى تفسيره وانت اذا انصفت عرفت ان احوال اكثر الخلق كذلك فأنهم يأتون بجميع وجوه الحيل فى تحصيل الدنيا ويفرحون بوجدان مطلوبهم ثم يحبون ان يحمدوا بأنهم من اهل العفاف والصدق والدين * اى برادر ازتو بهتر هيچ كس نشناسدت * زانچه هستى يك سرموخويش را افزون منه * كرفزون ازقدر تو بشناسدت نابخردى * قدرخود بشناس وپاى ازحدخود بيرون منه * فعلى العاقل ان لايتعدى طوره ولايفرح بما ليس فيه فانه لايغنى عنه شيأ قال بعض المشايخ الناس يمدحونك لما يظنون فيك من الخير والصلاح اعتبارا بما يظهر من سترالله عليك فكن انت ذاما لنفسك لما تعلمه منها من القبائح والمؤمن اذا مدح استحيى من الله ان يثنى عليه بوصف لايشهده من نفسه واجهل الناس من يترك يقين ماعنده من صفات نفسه التى لاشك فيها لظن ماعند الناس من صلاحية حاله قال الحارث بن المحاسبى رحمه الله الراضى بالمدح بالباطل كمن يهزأ به ويقال ان العذرة التى تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك ويفرح بذلك ويرضى بالسخرية به * بجبن ستايش فراجه مشو *

جو حاتم اصم باش وعيبت شنو * يعنى لاتغتر بالمدح حتى لاتقع فى بئر الهلاك ولكن كالشيخ حاتم الاصم صورة فان الخلق اذا ظنوك يتكلمون فى حقك مالاترضى به من القول لو سمعت فأذن تسمع عيوبك منهم وفى ذلك فائدة عظيمة لك لان المرء اذا عرف عيبه يجتهد فى قمعه والتحلى بالاوصاف الجميلة والعارف هو الذى يستوى قلبه فى المدح والذم لاينقبض من الذم ولا ينبسط من المدح وكيف ينبسط بما يتحقق به مما يقوله الخلق من هو اعرف بحال نفسه وان انبسط فهو المغرور والمدعى هو الذى يرى نفسه صادقا فى الاحوال والمعاملات وكل الحالات كأنه لايتعرض لشئ من الدنيا اصلا وحاله شاهدة عليه فى هذا الباب فأن المرء له محك فى اقواله وافعاله واحواله قال عليه السلام انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء هل يستطيع الذى يمشى فى الماء ان لاتبتل قدماه فمن هذا يعرف جهالة الذين يزعمون انهم يخوضون فى نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك من مكيدة الشيطان بل هم لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشى فى الماء يقتضى بللا لامحالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضى علاقة وظلمة فى القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال الشيخ ابو عبد الله القرشى رحمه الله شكا بعض الناس لرجل من الصالحين انه يعمل البر ولا يجد حلاوته فى القلب فقال لان عندك ابنة ابليس فى قلبك وهى الدنيا ولا بد للابوان يزور ابنته فى بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله الافسادا قال الله تعالى يا داود ان كنت تحبنى فأخرج حب الدنيا من قلبك فأن حبى وحبها لايجتمعان فى قلب ابدا وروى ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه لاتجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قالوا ومن الموتى قال الراغبون فى الدنيا المحبون لها * برمردهشيار دنيا خسست * كه هر مدتى جاى ديكر كسست * منه برجهان دل كه بيكانه ايست * چو مطرب كه هر روز در خانه ايست * نه لايق بود عشق بادلبرى * كه هر بامدادش بود شوهرى * عصمنا الله واياكم (ان فى خلق السموات والارض) وذلك ان اهل مكة سألوا رسول الله عليه الصلاة والسلام ان يأتيهم بآية لصحة دعواه لانه كان يدعوهم الى عبادة الله وحده فنزل ان فى خلق السموات والارض خلقين عظيمين ويقال فيما خلق الله فى السموات من الشمس والقمر والنجوم وماخلق الله فى الارض من الجبال والبحار والاشجار والوحوش والطيور (واختلاف الليل والنهار) يعنى ذهاب الليل ومجئ النهار ويقال فى اختلاف لونيهما اوفى تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة (لآيات لاولى الالباب) لعبرات كثيرة لذوى العقل الخالص من شوائب الاوهام والخيالات واللب خالص العقل فان العقل له ظاهر وله لب ففى اول الامر يكون عقلا وفى حال كماله ونهايته امره يكون لبا (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) نعت لاولى الالباب اى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين فان الانسان لايخلو عن هذه الهيئات غالبا (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) يعنى يعتبرون فى خلقهما وانما خص التفكر بالخلق لقوله عليه السلام تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق وانما نهى عن التفكر فى الخالق لان معرفة حقيقته المخصوصة غير ممكنة للبشر فلا فائدة لهم فى التفكر فى ذات الخالق ولما كان الانسان مركبا من النفس والبدن كانت العبودية بحسب النفس وبحسب البدن فأشار الى عبودية البدن بقوله الذين يذكرون الله الخ فان ذلك لايتم الا باستعمال الجوارح والاعضاء واشار الى عبودية القلب والروح بقوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض وعن عطاء بن ابى رباح قال دخلت مع ابن عمر وعبيد الله بن عمر على عائشة رضى الله عنها فسلمت عليها فقالت من هؤلاء فقلت عبيد الله بن عمر فقالت مرحبا بك يا عبيد الله بن عمر مالك لاتزورنا فقال عبيد الله زرغبا تزدد حبا قال ابن عمر دعونا من هذا حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله عليه السلام فبكت بكاء شديدا فقالت كل امره عجب اتانى فى ليلتى فدخل فى فراشى حتى الصق جلده بجلدى فقال يا عائشة أتأذنين لى ان اتعبد لربى فقلت والله انى لأحب قربك وهواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء فتوضأ منها ثم قام فبكى وهو قائم حتى بلغ الدموع حقويه حتى اتكأ على شقه الايمن ووضع يده اليمنى تحت خده الايمن فبكى حتى ادرت الدموع وبلغت الارض ثم اتاه بلال بعد ما اذن للفجر فلما رآه يبكى قال لم تبكى يا رسول الله وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال يا بلال أفلا اكون عبدا شكورا ومالى لاابكى وقد انزلت على الليلة ان فى خلق السموات والارض الى قوله فقنا عذاب النار ويل لمن قرأها

ولم يتفكر فيها وفي الحديث تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وفي التفضيل وجهان احدهما ان التفكر يوصلك الى الله والعبادة توصلك الى ثواب الله والذى يوصلك الى الله خير مما يوصلك الى غير الله والثانى ان التفكر عمل القلب والطاعة عمل الجوارح والقلب اشرف من الجوارح فكان عمل القلب اشرف من عمل الجوارح ثم شرع فى تعليم الدعاء تنبيها على ان الدعاء انما يجدى ويستحق الاجابة اذا كان بعد تقديم الوسيلة وهى اقامة وظائف العبودية من الذكر والفكر فقال (ربنا) يعنى يتفكرون ويقولون ربنا (ما خلقت هذا) اى السموات والارض وتذكير الضمير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما فى معنى المخلوق (باطلا) اى خلقا باطلا لاعبثا ضائعا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدأ والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية (سبحانك) اى تنزهك عما لا يليق بك من الامور التى من جملتها خلق ما لا حكمة فيه (فقنا عذاب النار) اى من عذاب النار الذى هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك وفائدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة وفيه اشارة الى عظم ذكر الله واشارة الى ثلاث مراتب اولاها الذكر باللسان وثانيتها التذكر بالقلب وثالثتها المعرفة بالروح لان ذكر اللسان يوصل صاحبه الى ذكر القلب فهو التفكر فى قدرة الله وذكر القلب يوصل الى مقام الروح فيعرف فى ذلك حقائق الاشياء ويشاهد الحكم الالهية فى خلق الله فيقول بعد المشاهدة ربنا ما خلقت هذا باطلا فينبغى للمؤمن ان يلازم ذكر الله بلسانه فى جميع الاحوال حتى يصل بسبب الذكر باللسان الى ذكر القلب ثم الى ذكر الروح ويحصل له اليقين والمعرفة ويخلص من ظلمة الجهل ويتنور بنور المعرفة قال بعضهم معنى لا اله الا الله للعوام لا معبود الا الله ومعناها للخواص لا محبوب ولا مقصود الا الله ومعناها لاخص الخواص لا موجود الا الله فانه يكون فى تلك الحالة مستهلكا فى بحر الشهود فلا يشعر بشئ سوى الله ولا يرى موجودا وفى تفسير الحنفى منقول فى التوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى اب اللب والى قشر والى قشر القشر وتمثيل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز فى قشرتيه العليا والسفلى فان له قشرتين وله اب واب دهن وهو اب اللب فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعناه قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد والثالثة ان يشاهد ذلك بواسطة نور الهى وذلك ان يرى الاشياء صادرة من الواحد القهار والرابعة ان لا يرى فى الوجود الا وجودا وهو مشاهدة الصديقين وهو الفناء فى التوحيد بمعنى انه فنى عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه فى الدنيا من السيف والسنان والثانى موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال من التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقد على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنها تحفظ صاحبها من العذاب فى الآخرة ان توفى عليها ولم يضعف بالمعاصى عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذا انكشف له لا فاعل بالحقيقة كما هى عليه لانه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لا فرق بينهما فى الاعتقاد بل فى صنعة تلفيق الكلام والرابع موحد بمعنى انه لا يرى غير الواحد وهذه الغاية القصوى فى التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثانى كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا الاخير فيها بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اخذ حطبا اطفأ النار واكثر الدخان وان ترك فى البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة فى حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هى البدن فيصون من السيف وانما يتجرد عند الموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانه يصون اللب ويحرسه من الفساد عند الادخار واذا انفصل امكن ان ينتفع به حطبا لكونه لا قدر له بالنسبة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمجاهدة التى تحصل بانشراح الصدر وانفتاحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه

وقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وكما ان اللب نفيس بالاضافة الى القشرة لانه المقصود لكن لايخلو عن شوب بالنسبة الى الدهن كذلك هذا التوحيد لايخلو عن ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لم يرسوى الواحد الحق انتهى مافى الخفى واعلم ان الآية تدل على جواز ذكر الله تعالى قائما واهذا قال المشايخ ولا بأس ان يقوموا ويروحا القلوبهم ولا يتحركوا فى ذلك ولا يستظهروا بحال ليس عندهم منه حقيقة والحاصل ان التوحيد اذا اقترن بالآداب فليس له وضع مخصوص يجوز قائما وقاعدا ومضطجعا ولكن ورد فى الاحاديث مايدل على استحباب الاخفاء فى ذكر الله وذكر شارح الكشاف ان هذا بحسب المقام والشيخ المرشد يأمر المبتدى برفع الصوت لتنقلع عن قلبه الخواطر الراسخة فيه كذا فى شرح المشارق ويوافقه ماذكر فى المظهر حيث قال الذكر برفع الصوت جائز بل مستحب اذا لم يكن عن رياء ليغتنم الناس باظهار الدين ووصول بركة الذكر الى السامعين فى الدور والبيوت والحوانيت وليوافق الذاكر من سمع صوته ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته وبعض المشايخ اختار الاخفاء لانه ابعد عن الرياء وهذا يتعلق بالنية فمن كانت نيته صادقة فرفع صوته بقراءة القرآن والذكر أولى لما ذكرنا ومن خاف من نفسه الرياء فالاولى له اخفاء الذكر لئلا يقع فى الرياء انتهى قيل اذا كان وحده فان كان من الخواص فالاخفاء فى حقه اولى وان كان من العوام فالجهر فى حقه اولى واذا كانوا مجتمعين على الذكر فالاولى فى حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة فانه اكثر تأثيرا فى رفع الحجب ومن حيث الثواب فلكل واحد ثواب ذكر نفسه وسماع ذكر رفقائه قال الله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او أشد قسوة شبه القلوب بالحجارة ومعلوم ان الحجر لاينكسر الا بقوة فقوة ذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد أشد من قوة ذكر شخص واحد كذا فى ذخرة العابدين قال حسين الواعظ الملقب بالكاشفى * كفت وكوى عاشقان دركارورب * جوشش عشقست نه ترك ادب * هركه كرد ازجام حق يك جرعه نوش * نه ادب ماند درونه عقل وهوش * والمقصود ان السالك اذا سلب اختياره عند التوحيد بغلبة الوجد فلا دخل لشيء من اوضاعه وحركاته فانه اذا ليس فى يده فلا يرد ماقيل * كارنادان كوته انديشست * يادكردن كسى كه دربيشست * فان الجهر وحركات الموحد بالنسبة الى مقامه وحاله ممدوحة جدا واما المتصلفون المتكلفون فحركاتهم وافعالهم من عند انفسهم وقد نهى المشايخ فى كتبهم عن امثال هؤلاء وافعالهم واقوالهم فعلى العاقل ان يراعى الآداب والاطوار ولا ينفك لحظة عن ذكر الملك الغفار (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اى المرعى الذى لامرعى بعده والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بأن العذاب الروحانى افظع (وماللظالمين من انصار) اراد بهم المدخلين وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين اى ومالظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس فى الآية دلالة على نفى الشفاعة لانها هى الدفع بطريق اللين والمسألة فنفى النصرة لايستلزم نفى الشفاعة (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان) اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه والمراد به الرسول عليه السلام فانه ينادى ويدعو الى الايمان حقيقة قال تعالى ادع الى سبيل ربك (أن آمنوا) اى آمنوا على أنّ أن تفسيرية اوبأن آمنوا على انها مصدرية (بربكم) بما لككم ومتولى اموركم ومبلغكم الى الكمال (فآمنا) اى فامتثلنا بامره واجبناندآءه (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) اى كبائرنا فان الايمان يجب ماقبله (وكفر عنا سيئاتنا) اى صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر (وتوفنا) اى اقبض ارواحنا (مع الابرار) اى مخصوصين بصحبتهم مغتنمين بجوارهم معدودين من زمرتهم فالمراد من المعية ليس المعية الزمانية لان ذلك محال ضرورة ان توفيهم انما هو على سبيل التعاقب بل المراد المعية فى الاتصاف بصفة الابرار حال التوفى وفيه اشعار بأنهم كانوا يحبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه فمن جعله الله ممن آمن بداعى الايمان فقد اكرمه مع اوليائه فى الجنان فطوبى للذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وطوبى لمن اتعظ بالموعظة الحسنة (قال الحافظ) نصيحت كوش كن جانا كه ازجان دوست تردارند * جوانان سعادتمند بند بيردانارا (قال الشيخ السعدى) بكوى آنچه دانى سخن سودمند * وكرهيچ كس رانيايد پسند * كه فردا پشيمان برآرد خروش * كه اوخ چراحق نكردم بكوش * قال ابو عامر الواعظ بينما انا جالس بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءنى غلام

واعطانى رقعة فاذا فيها اسعدك الله يا أخى اباعامر بلغنى قدومك واشتقت الى رؤيتك فذهبت مع الغلام فوصلنا الى بيت فى خربة له باب من جريد النخل واذا فيه شيخ مقعد مستقبل القبلة محزون من الخشية قد ذهبت عيناه من البكاء فسلمت عليه فرد على السلام فقال يا أباعامر لم يزل قلبى الى استماع موعظتك مشتاقا وبى داء قد أعيى الواعظين علاجه فقلت أيها الشيخ ارم ببصر قلبك فى ملكوت السماء وتنقل بحقيقة ايمانك الى جنة المأوى تر ما اعد الله فيها للاولياء ثم انظر فى نار لظى تر ما اعد الله للاشقياء فشتان ما بين الدارين وليس الفريقان على السواء فلما سمع قولى أن وصاح صيحة ثم قال والله لقد وقع دواؤك على الداء زدنى رحمك الله فقلت ان الله عالم بسريرتك فيطلع عليك عند استتارك ومبارزتك فلما سمع صاح صيحة اعظم من الاولى فخر ميتا فعند ذلك خرجت جارية عليها مدرعة وخمار من صوف قد ذهب السجود بجبهتها فقالت احسنت يا مداوى قلوب العارفين ان هذا الشيخ كان والدى وهو مبتلى بالسقم منذ عشرين سنة وكان يتمنى من الله ويقول حضرت مجلس ابى عامر فأحيى قلبى وطرد عنى غفلتى وان سمعته ثانيا قتلنى فجزاك الله خيرا ثم اكبت على والدها وجعلت تقبل بين عينيه وتبكى فقلت لها يا أيتها الباكية ان اباك نحبه قد مضى وورد دار الجزاء فان كان محسنا فله الزلفى وان كان مسيئا فوارد دار من اساء فصاحت ثم ماتت فبقيت حزينا عليهما فرأيتهما فى المنام فى احسن مقام عليهما حلتان خضراوتان فسألت عن حالهما فقال الشيخ (أنت شريكى فى الذى نلته * قم وشاهد يا اباعامر * وكل من ايقظ ذا غفلة * فنصف ما يعطاه للآمر) ثم قال قدمت على رب كريم غير غضبان فأسكننى الجنان وزوجنى من الحور الحسان فأحرص يا أباعامر على كثرة الدعاء والاستغفار الى الله الملك الغفار وطلب المغفرة آناء الليل واطراف النهار من شيم الاخيار والابرار واعلم ان من تنصح بكلمة فقد آمن بمنادى الحق على لسان عبده فنجا من نيرانه ووصل الى المغفرة والرحمة فى جنانه (روى) ان حدادا كان يمسك الحديد المحمى بيده فسئل عنه فقال عشقت امرأة فراودتها وعرضت عليها مالا فقالت ان لى زوجا لا احتاج الى المال ثم مات زوجها فطلبت ان أتزوجها فامتنعت وقالت لا اريد اذلال اولادى ثم بعد زمان احتاجت فأرسلت الى فقلت لا أعطيك شيأ حتى تعطينى مرادى فلما دخلت معها موضعا ارتعدت فقلت مالك فقالت اخاف الله السميع البصير فتركتها فقالت انجاك الله من النار فمن ذلك الوقت لا تحرقنى نار الدنيا وارجو من الله تعالى ان لا تحرقنى نار الآخرة فمن خشى الرحمن وذكر أنه بحضر من الله فهو لا يجترئ على الذنب والآثام فيسلم من عذاب النار ويتنعم فى دار السلام عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب واما الدعاء فهو مخ العبادة وينفع فى الدنيا فيدفع الآفات واما فى الآخرة فان الله يعطيه هدايا على ايدى الملائكة ويقول ان هذه فى مقابلة دعائك فى الدنيا * ازآستان حضرت حق سر چرا كشم * دولت درين سرا وكشايش درين درست (قال الحافظ) هركه خواهد كو بيا وهرچه خواهد كو بكو * كبر ونازو حاجب ودربان درين دركاه نيست * حقق الله رجاءنا وقبل دعاءنا وأعطانا ما هو خير لنا فى الدنيا والآخرة (ربنا وآتنا) اعطنا (ما وعدتنا على رسلك) على تصديق رسلك او على ألسنة رسلك من الثواب والكرامة (ولا تخزنا) لا تهنا (يوم القيامة) بأن تعصمنا عما يقتضيه (انك لا تخلف الميعاد) اسم مصدر بمعنى الوعد وهذه الدعوات وما فى تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم ان لا يكونوا من جملة الموعودين لسوء عاقبة او قصور فى الامتثال فمرجعها الى الدعاء بالتثبيت او للمبالغة فى التعبد والخشوع ثم قوله ولا تخزنا يوم القيامة شبيه بقوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما ظن الانسان انه على الاعتقاد الحق والعمل الصالح ثم انه يوم القيامة يظهر له ان اعتقاده كان ضالا وعمله كان ذنبا فهنالك تحصل الخجالة العظيمة والحسرة الكاملة والأسف الشديد وذلك هو العذاب الروحانى وهو أشد من العذاب الجسمانى ومما يدل على هذا انه سبحانه حكى عن هؤلاء العباد المؤمنين انهم طلبوا فى هذه الانواع الخمسة من الدعاء اشياء فأول مطالبهم الاحتراز عن العذاب الجسمانى وهو قوله فقنا عذاب النار وآخرها الاحتراز عن العذاب الروحانى وهو قوله ولا تخزنا يوم القيامة وذلك يدل على ما قلنا ولذلك قالوا الفرقة أشد من الحرقة (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) جور دوران وهرآن رنجى كه هست * سهلتر از بعد حق وغفلتست * كر جهاد وصوم سختست وخشن * ليك اين بهتر

زبعد ممتحن * فليسارع المؤمن الى الطاعات ليدخل فى زمرة من وعد الله لهم من الكرامات عن جابر رضى الله عنه كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا احدثكم بغرف الجنة قلنا بلى يارسول الله قال ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات مالا عين رأت ولا أذن سمعت قلت يارسول الله لمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام وعن ابى بكر الوراق رحمه الله طلبنا اربعة فوجدناها فى اربعة وجدنا رضى الله فى طاعته وسعة الرزق فى صلاة الضحى وسلامة الدين فى حفظ اللسان ونور القبر فى صلاة الليل وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل يمشى مرة ويسقط اخرى وتأخذه النار فاذا جاوزها التفت اليها ويقول سبحان من نجانى منك قد أعطانى شيأ مااعطاه لأحد من الاولين والآخرين فيرفع له شجرة عظيمة الظل فيشتاق الى ظلها فيقول اى رب ادننى منها ولا اسألك غيرها فيدنيه منها ويشرب من مائها ثم يرفع له شجرة اعظم من الاولى فيقول اى رب ادننى منها ويعاهد ان لا يسأل غيرها فيدنيه منها فيرفع له شجرة اعظم مما تقدم فيسأله ان يدنيه فاذا ادنى سمع اصوات اهل الجنة ويقول اى رب لو أوصلتها لا اسألك فيقول الله ياابن آدم ماأغدرك كم تعاهد وتكذب أترضى ان اعطيك مثل الدنيا ومثلها فيقول انستهزئ بى وأنت رب العالمين ثم ضحك ابن مسعود فقالوا مم تضحك فقال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مم ضحك رسول الله قال من ضحك رب العالمين فيقول الله لا استهزئ ولكنى على ما اشاء قدير (حكى) ان والدى معروف الكرخى كانا من النصارى وكان معلم النصارى يقول لمعروف قل ثالث ثلاثة فيقول معروف بل هو الاحد الصمد فيضربه المعلم فهرب يوما فقال والداه لو جاء معروف فعلى اى دين وجدناه تبعناه فجاء على دين الاسلام فأسلما قال النبى عليه السلام مامنكم من أحد الا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى الا شيأ قدمه ثم ينظر عن يساره فلا يرى الا شيأ قدمه فيستقبله النار فمن استطاع منكم ان يتقى النار ولو بشق تمرة فليفعل (حكى) ان عجوزا كافرة كانت تطعم الطير ذرة فى ايام الشتاء فرآها ذوالنون المصرى فقال ان الله تعالى لا يقبل من عدو ثم رآها فى الكعبة قد أسلمت فقالت ياذاالنون انما اعطانى الاسلام بما رأيته * بى كرم آدمى نه از بشرست * از شجر بلكه از حجر بترست * شجرى كان نمى دهد ثمرى * معتبر نيست لايق تبراست * عصمنا الله تعالى واياكم من النار وادخلنا الجنة مع الاصفياء والابرار (فاستجاب لهم ربهم) الى طلبتهم وهو أخص من اجاب فان اجاب معناه اعطاه الجواب وهو قد يكون بتحصيل المطلوب وبدونه واستجاب انما يقال لتحصيل المطلوب ويعدى بنفسه وباللام (انى) اى بانى (لااضيع عمل عامل منكم) وهو ما حكى عنهم من المواظبة على ذكر الله تعالى فى جميع حالاتهم والتفكر فى مصنوعاته استدلالا واعتبارا والثناء على الله بالاعتراف بربوبيته وتنزيهه عن العبث وخلق الباطل والاشتغال بالدعاء وجعل هذه الاعمال سببا للاستجابة يدل على ان استجابة الدعاء مشروطة بهذه الشروط وبهذه الامور فلما كان حصول هذه الشرائط عزيزا لاجرم كان الشخص الذى يكون مجاب الدعاء عزيزا (من ذكر او انثى) بيان لعامل وتأكيد لعمومه وهذا يدل على انه لا تفاوت فى الاجابة وفى الثواب بين الذكر والانثى اذا كانا جميعا فى التمسك بالطاعة على التوبة والفضل فى باب الدين بالاعمال لا بسائر صفات العاملين لأن كون بعضهم ذكرا او انثى او من نسب خسيس او شريف لا تأثير له فى هذا الباب (بعضكم من بعض) لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر قال الامام فيه وجوه احسنها ان يقال من بمعنى الكاف اى بعضكم كبعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية قال القفال هذا من قولهم فلان منى اى على خلقى وسيرتى وهى معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روت ام سلمة قالت يارسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزل قوله تعالى انى لااضيع الى آخره اى كما ان بعضكم من بعض كذلك انتم فى ثواب العمل تثاب المرأة العاملة كما يثاب الرجل العامل وبالعكس فلا اثيب بعضا واحرم آخر (فالذين هاجروا) تفصيل لاعمال العمال منهم وما اعدلهم من الثواب على المدح والتعظيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة من مبتدأ اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة (واخرجوا من ديارهم) اى اضطروا الى الخروج من ديارهم التى ولدوا فيها ونشأوا بها يذاء المشركين

قال الامام المرادمن قوله الذين هاجروا الذين اختاروا المهاجرة من اوطانهم فى خدمة الرسول والمرادمن الذين اخرجوا من ديارهم الذين ألجأهم الكفار ولاشك ان رتبة الاولين افضل لانهم اختاروا خدمة الرسول وملازمته على الاختيار فكانوا افضل (واوذوا فى سبيلى) فى سبيل الحق ودين التوحيد بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين (وقاتلوا) اى الكفار فى سبيل الله (وقتلوا) استشهدوا فى القتال (لأكفرن عنهم سيئاتهم) اى والله لأمحون عنهم سيئاتهم (ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا) الثواب فى الاصل اسم لما يثاب به كالعطاء اسم لما يعطى الا انه قد يوضع موضع المصدر فهو مصدر مؤكد بمعنى اثابة لان تكفير السيئات وادخال الجنة فى معنى الاثابة اى لأثيبنهم بذلك اثابة (من عند الله) صفة له اى كائنة من عند الله قصد بتوصيفه به تعظيم شأنه فان السلطان العظيم الشان اذا قال لعبده ألبسك خلعة من عندى دل ذلك على كون تلك الخلعة فى غاية الشرف واكد كون ذلك الثواب فى غاية الشرف بقوله (والله عنده حسن الثواب) اى حسن الجزاء على الطاعات قادر عليه وهو نعيم الجنة الباقى لا كنعيم الدنيا الفانى * نعيم آخرت باقيست اى دل * خنك آنكس كه باشد عبد مقبل * ولا يخفى ان هذا الجزاء العظيم والاجر الجسيم للذين جمعوا بين المهاجرة والاخراج من الاوطان والتأذى فى سبيل الله والقتال والمقتولية فعلى السالك ان يهاجر من وطن النفس والعمل السيئ والخلق الذميم ويخرج من بادر الطبيعة الى عالم الحقيقة حتى يدخل مقام العندية الخاصة فان ثمرات المجاهدات المشاهدات والعمل الصالح يستدل به على حسن العاقبة (روى) ان صفوان بن سليم كان يجتهد فى العبادة والقيام وكان يبيت على السطح فى ايام الشتاء لئلا يستريح من البرد وفى الصيف ينزل الى بيته ليعذب نفسه بحر الهوآء وكان عادته ذلك الى ان مات فى سجدته ووصل الى رحمة الله وجنته فهذا هو الاجتهاد فعليك به فان احتالت نفسك عليك فى ذلك فخدعها باخبار السلف واحوالهم وحكاياتهم كى ترغب فى الطاعة والاجتهاد فان فى ذلك نفعا كليا وتأثيرا عظيما (قال الفاضل الجامى قدس سره)

هجوم نفس وهوا كز سپاه شيطانند * چو زور بر دل مرد خدا پرست آرد * بجز جنود حكايات رهنمايان خود * چه تاب آنكه بران رهزنان شكست آرد * فان قالت النفس انهم كانوا رجالا اقوياء كيف يدانى بهم فى الطاعة من خلفهم فخدعها باخبار النساء كيف كن اناثا ومع ذلك لم يتخلفن عن مجاهدات الرجال حتى وصلن الى ماوصلوا اليه كرابعة العدوية وغيرها قال بعضهم

ولو كان النساء كمن ذكرنا * لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

(قال الشيخ السعدى قدس سره) زنانى كه طاعت برغبت برند * زمردان ناپارسا بكذرند * تراشرم نايد زمردئ خويش * كه باشد زنانرا قبول از تو بيش * قال الحسن البصرى رحمه الله ياعجبا لأقوام بلازاد وقد نودوا بالرحيل وحبس اولهم لآخرهم وهم قعود يلعبون (حكى) ان ملك الموت دخل على بعض الصالحين ليقبض روحه فقال مرحبا انا والله منذ خمسين سنة أتاهب لك ولما بلغ عبد الله بن المبارك النزع فتح عينيه ثم ضحك فقال لمثل هذا فليعمل العاملون قال بعض العلماء من اراد ان ينال الجنة فعليه ان يداوم على خمسة اشياء الاول ان يمنع نفسه من المعاصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والثانى ان يرضى باليسير من الدنيا لانه روى فى الخبر أن ثمن الجنة الطاعة وترك الدنيا والثالث ان يكون حريصا على الطاعات ويتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب المغفرة ووجوب الجنة قال الله تعالى وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون الرابع ان يحب الصالحين واهل الخير ويخالطهم ويجالسهم فان الصالح اذا غفر له يشفع لاخوانه واصحابه والخامس ان يكثر الدعاء ويسأل الله تعالى ان يرزقه ويختم له بخير والحاصل انه لابد للعاقل من التأهب لمعاده بتزكية النفس واصلاح القلب قال القاشانى فى تأويلاته عمل عامل منكم من ذكر القلب من الاعمال القلبية كالاخلاص واليقين والمكاشفة اوانثى النفس من الاعمال القالبية كالطاعات والمجاهدات والرياضات بعضكم من بعض يجمعكم اصل واحد وحقيقة واحدة هى الروح اى بعضكم منشأ من بعض فلااثيب بعضا واحرم آخر فالذين هاجروا من اوطان مألوفات النفس واخرجوا من ديار صفاتها اوهاجروا من احوالهم التى التذوا بها واخرجوا من مقاماتهم التى يسكنون اليها واوذوا فى سبيلى اى ابتلوا

فى سلوك سبيل افعالى بالبلاء والمحن والشدائد والفتن ليتميزوا بالصبر ويفوزوا بالتوكل اوفى سلوك سبيل صفاتى بسطوات تجليات الجلال والعظمة والكبرياء ليصلوا الى مقام الرضى وقاتلوا البقية بالجهاد فى وقتلوا فى الحب فى بالكلية لأكفرن عنهم سيئاتهم كلها من صفاتهم وكبائر بقايا ذواتهم فى تلويثاتهم ولأدخلنهم الجنات الثلاث المذكورة ثوابا اى عوضا عما اخذت منهم من الوجودات الثلاثة والله عنده حسن الثواب بل لا يكون عند غيره الثواب المطلق الذى لا ثواب وراءه ولهذا قال والله لانه اسم الذات الجامع لجميع الصفات فلم يحسن ان يقع غيره من الرحمن اوالرحيم اوسائر الاسماء موقعه (لايغرنك) الخطاب للنبى عليه السلام لان العصمة لاتزيل النهى فانه لوزال النهى عنه بذلك لبطلت العصمة فان العصمة هى الحفظ من الخلاف واذا زال النهى لم يكن خلاف فلاتكون عصمة فالمراد تثبيته على ماهو عليه من عدم التفاته الى الدنيا اوالخطاب له والمراد امته كما يخاطب سيد القوم ومقدمهم والمراد به كلهم كأنه قيل لايغرنكم (تقلب الذين كفروا فى البلاد) والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب وهو التقلب منزلة المسبب وهو اغترار المخاطب للمبالغة والمعنى لاتمدن عينيك ولاتستشرف نفسك الى ماهم عليه من سعة الرزق واصابة حظوظ الدنيا ولاتغتر بظاهر حالهم من التبسط فى الارض والتصرف فى البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون (روى) ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت (متاع قليل) اى ذلك التقلب متاع قليل لاقدرله فى جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ماالدنيا فى الآخرة الامثل مايجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع فاذا لايجدى وجوده لواجديه ولايضر فقدانه لفاقديه (ثم مأواهم) اى مصيرهم الذى يأوون اليه لايبرحونه (جهنم) التى لايوصف عذابها يعنى انه مع قلته سبب الوقوع فى نار جهنم ابد الآباد والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة العظيمة لم يعد ذلك نعمة (وبئس المهاد) اى بئس مامهدوا لأنفسهم جهنم (لكن الذين اتقوا ربهم) اى خافوه فلم يخالفوا امره ولانهيه (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) وجه الاستدراك انه تعالى لما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم فى البلاد لاجل التجارة وجاز أن يتوهم متوهم ان قلة النفع من لوازم التقلب من حيث هو استدرك ان المتقين وان تقلبوا وأصابوا ماأصابه الكفار اولم يصيبوا لهم مثوبات حتى لايقادر قدرها (نزلا من عند الله) حال من جنات لتخصصها بالوصف والنزل مايعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما (وماعند الله) لكثرته ودوامه (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وعن ابن مسعود رضى الله عنه مامن نفس برة ولافاجرة الاوالموت خيرلها اما البرة فان الله تعالى يقول وماعند الله خير للابرار واما الفاجرة فانه يقول انما نملى لهم ليزدادوا اثما وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شئ وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وان عند رجليه قرظا مصبورا وعند رأسه اهب معلقة فرأيت اثر الحصير فى جنبه فبكيت فقال مايبكيك فقلت يارسول الله ان كسرى وقيصر فيماهما فيه وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اماترضى ان يكون لهما الدنيا ولنا الآخرة * ازبى ذكر وشوق حق مارا * دردوعالم دل وزبانى بس * وزطعام ولباس اهل جهان * كهنه دلقى ونيم نانى بس * ومما وجد فى خزائن الاسكندر مكتوبا بالذهب الاحمر حركات الافلاك لاتبقى على احد نعمة فاذا اعطى العبد مالا اوجاها اورفعة فلتكن همته فى انتهاز الفرصة وتقليد المنن اعناق الرجال فان الدنيا والجاه والرفعة تزول اماذم طويل اومدح جزيل فأكرموا من له حسب فى الاصل اوقدم فى المروءة ولايغرنكم تقلب الزمان بأهله فان الدهر عثرات يجبر كما يكسر ويكسر كما يجبر والامر الى الله تعالى (قال جلال الدين الرومى قدس سره) چند كوبى من بكيرم عالمى * اين جهانرا بر كنم ازخود همى * كر جهان برف كردد سربسر * تاب خور بكدازدش بايك نظر * وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا انه من رغب فى الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر امله اعطاه الله تعالى علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا انه سيكون بعدكم قوم لايستقيم لهم الملك الابالقتل والتجبر ولا الغنى الابالفخر والبخل ولا المحبة الاباتباع الهوى ألا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر

على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه تعالى ثواب خمسين صديقا قال ابن عباس رضى الله عنه يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء وانيابها بادية مشوهة خلقها وتشرف على الخلائق فيقال اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف فى جهنم فتنادى يارب اين اتباعى واشياعى فيقول الله تعالى الحقوا بها اتباعها قال عليه السلام يحشر اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة ويؤمر بهم الى النار قالوا يارسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون سنة من الليل فاذا عرض لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه قالت عائشة رضى الله عنها قلت يارسول الله الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر على بطنه من السغب فقال ياعائشة والذى نفسى بيده لو سألت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ياعائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد (وروى) انه عليه السلام عرض عليه عشار من النوق وهى الحوامل منها فأعرض عنها وغض بصره مع انها من أحب الاموال اليهم وأنفسها عندهم لانها كانت تجمع الظهر واللحم واللبن ولعظمتها فى قلوبهم قال الله عز وجل واذا العشار عطلت فلما لم يلتفت اليها قيل له يارسول الله هذه انفس اموالنا فلم لم تنظر اليها قال قد نهى الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به الآية هذا معامله مع الدنيا وفى التوجه الى الآخرة ماكان يريد الا الرفيق الاعلى قال صلى الله عليه وسلم انا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم ومن دونه ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر والمقصود أن فى الفقر والقناعة فضيلة وان الفقراء يدخلون الجنة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاغنياء * اى قناعت توانكرم كردان * كه وراى تو هيج نعمت نيست * كنج صبر اختيار لقمانست * هركرا صبر نيست حكمت نيست * فعلى العبد العاقل ان يجتنب عن الدنيا واخوانها ويرغب فى الآخرة وجنانها بل يترقى الى الوصول الى الله تعالى قال ابو يزيد البسطامى قدس سره فى عباد الله عبد لو أعطى الجنات بزينتها الهرب منها كما يهرب اهل النار من النار وهو الذى غلب عليه محبة الله فلا يميل الى غيره ومن ذلك المقام قال ابو يزيد غاب قلبى عنى ثمانين سنة فلما اردت ان آخذه قيل اتطلب غيرنا (وحكى) عن بعض الصالحين انه رأى فى المنام معروفا الكرخى شاخصا بصره نحو العرش قد اشتغل عن الحور العين وقصور الجنة فسأل رضوان من هذا قال معروف الكرخى مات مشتاقا الى الله فأباح له ان ينظر اليه فطمح نظر العارف الجنة المعنوية وهى جنة معرفة الله ووصوله التى هى خير من جنة الفردوس واعلى عليين فليسارع السالك الى وصول هذه الجنة ودخولها قبل ادراك منيته وانقضاء عمره ومجئ اجله * حضورى كرهمى خواهى ازو غايب مشو حافظ * متى ماتلق من تهوى * دع الدنيا واهملها * اوصلنا الله واياكم الى الحضور واليقين (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله) نزلت فى عبد الله بن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران واثنين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا انصارى فأسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى فانه لما مات نعاه جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير أرضكم فقالوا من هو قال النجاشى فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فأبصر سرير النجاشى فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى حبشى لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية (وما انزل اليكم) من القرآن (وما انزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) اى متواضعين له من خوف عذابه ورجاء ثوابه وهو حال من فاعل يؤمن لان من فى معنى الجمع (لا يشترون) لا يأخذون (بآيات الله) المكتوبة فى التوراة والانجيل من نعت النبى عليه السلام (ثمنا قليلا) اى عرضا يسيرا من حطام الدنيا خوفا على الرياسة كفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم والجملة حال مما قبله (اولئك) اى اهل هذه الصفة (لهم اجرهم) اى المختص بهم الموعود لهم فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين (عند ربهم) نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف (ان الله سريع الحساب) لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تأمل ووعى صدر وكتب يد والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول اليهم

فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزآء والاشارة فى قوله ان الله سريع الحساب الى ان العلماء المتقين الذين يؤمنون بالواردات والالهامات والكشوف بارباب القلوب والخواطر الرحمانية وهم الحكماء الالهية يعجل الله فى جزآء اعمالهم بحسب نياتهم لتبليغهم الى مقاماتهم فى القرب قبل وفاتهم ولا يؤجل الى مابعد وفاتهم فان من كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى والانسان يموت كما يعيش ويبعث على مامات عليه وعن ابن عباس رضى الله عنه ان جبريل عليه السلام جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهو يقول مالى اراك مغموما حزينا قال عليه السلام يا جبريل طال تفكرى فى أمتى يوم القيامة قال فى امر اهل الكفر ام فى اهل الاسلام فقال يا جبريل فى امر اهل لا اله الا الله محمد رسول الله فأخذ بيده حتى اقامه الى مقبرة بنى سلمة ثم ضرب بجناحه الايمن على قبر ميت فقال قم باذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه ازرق العينين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه فقال له جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم قال يا محمد على هذا يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون فظهر أن الله سريع الحساب يوصل الى كل جزآء عمله فاما الواصلون فهم فى الجنة المعنوية فى الدنيا يتنعمون وأما الغافلون فهم فى نار البعد والفراق ولكنهم لا يحسون الالم قبل وفاتهم فاذا ماتوا انقلب الحال من المعنى الى الحس عصمنا الله واياكم من نار البعد وعذاب السعير وشرفنا بنعيم وصاله ورؤية جماله المنير * كنون بايداى خفته بيدار بود * چو مرك اندر آرد زخواب چه سود * تو پاك آمدى بر حذر باش و پاك * كه ننكست ناپاك رفتن بخاك * كنون بايد اين مرغ را پاى بست * نه آنكه كه سررشته بردت زدست * وذكر أن ابراهيم بن ادهم رحمه الله اراد ان يدخل الحمام فمنعه الحمامى وقال لاتدخل الا بأجرة فبكى ابراهيم وقال لا يؤذن لى ان ادخل بيت الشياطين مجانا فكيف بالدخول الى بيت النبيين والصديقين مجانا فظهر ان من كان فى الدنيا غافلا فهو فى الآخرة مع الغافلين وحسابه فى الآخرة على مقدار عمله فمن لم يعمل صالحا كان هنالك خاليا عن المثوبات * برفتند وهر كس درود آنچه كشت * نماند بجز نام نيكو وزشت * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة حورآء يقال لها العبة لو بصقت فى البحر بصقة لعذب البحر مكتوب على نحرها من احب ان يكون له مثلى فليعمل بطاعة ربى ونعم ماقيل

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلى سهر الليالى

تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلى

فلا بد من تدارك امر الآخرة وتوفيت امرأة الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوه اهل البصرة وخرج فيها الحسن البصرى فقال الحسن للفرزدق يا بافراس ما اعددت لهذا اليوم قال شهادة ان لا اله الا الله منذ ثمانين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها وانشد هذه الابيات

اخاف ورآء القبر ان لم يعافنى * اشد من القبر التهابا وأضيقا

اذا جاءنى يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من اولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة ازرقا

وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم ادخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار فنسأل الله سبحانه ان يجيرنا من النار ويدخلنا الجنة مع الابرار ويوفقنا للاعمال الصالحة المنجية ويجعلنا من الفرقة الناجية بحق النبى الذى به وصل من وصل الى الله عز وجل فى المشارق والمغارب وانتهى الى منازل المقاصد والمآرب (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدآئد كالمرض والفقر والقحط والخوف وغير ذلك من المشاق (وصابروا) وغالبوا اعدآء الله فى الصبر على شدآئد الحرب وأعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى والمصابرة نوع خاص من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته وكونه اكمل وافضل من الصبر على ماسواه والصبر هو حبس النفس عما لا يرضاه الله واوله التصبر وهو التكلف لذلك ثم المصابرة وهى معارضة ما يمنعه عن ذلك ثم الاصطبار والاعتياد والالتزام ثم الصبر وهو كماله

وحصوله من غير كلفة (ورابطوا) ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام ألا ادلكم على مايمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط (واتقوا الله لعلكم تفلحون) واتقوه بالتبرى مما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح اواتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المرتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة فعلم من هذا أن الصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة قيل تو كز سراى طبيعت نميروى بيرون * كجا بكوى طريقت كذر توانى كرد * ولابد من السلوك حتى يتجاوز العبد عن الاحوال والمقامات الى اقصى النهايات (وحكى) عن ابراهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله راجلا فاذا اعرابى على ناقة فقال ياشيخ الى اين فقال ابراهيم الى بيت الله قال كيف وانت راجل لاراحلة لك فقال ان لى مراكب كثيرة فقال ماهى قال اذا نزلت على بلية ركبت مركب الصبر واذا نزلت على نعمة ركبت مركب الشكر واذا نزل بى القضاء ركبت مركب الرضى واذا دعتنى النفس الى شئ علمت أن مابقى من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابى انت الراكب وانا الراجل سر فى بلاد الله فالاشتغال طول العمر بالمجاهدة لازم حتى تنقلع الاخلاق الذميمة من النفس وتتبدل بالاوصاف الشريفة من الصبر وغيره ومثل هذه المجاهدة هى المرابطة (روى) ان واحدا من الصلحاء كان يختم كل ليلة ويجتهد فى العبادة فقيل له انك تتعب نفسك وتوقعها فى المشقة فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال وكم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة فقال لو عمر المرء بعمر الدنيا لحق له ان يجتهد فى العبادة لهذا اليوم الطويل فانه اسهل بالنسبة اليه وكانت معاذة العدوية امرأة صالحة كانت اذاجاء النهار تقول هذا اليوم يوم موتى فتشتغل بالعبادة الى المساء فاذاجاء الليل تقول هذه الليلة ليلة موتى فتحييها الى الصباح الى ان ماتت على هذا النمط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لايفطر ولاينفتل عن صلاته الالحاجة فهذا فى الجهاد الاصغر فكيف الحال فى الجهاد الاكبر يعنى ان المثوبات والدرجات اكثر فى حفظ النفس ومراقبتها وحبسها على الطاعات والعبادات * نكه دار فرصت كه عالم دميست * دمى پيش دانا به ازعالميست * سمرازجيب غفلت براوركنون * كه فردا نماند بخجلت نكون (قال الحافظ) داناكه زد تفرج اين چرخ حقه باز * هنكامه بازچيد ودركفت وكو ببست * قال ابويزيد البسطامى رحمه الله العارف من كان همه هما واحدا ولم ينتقل قلبه الى مارأت عيناه وسمعت اذناه (روى) ان زاهدا كان يجتهد فى العبادة فرآه رجل قد صار لباسه ذاوسخ فقال أيها العابد لم لاتغسل ثوبك قال العابد لانه ان غسلته يتوسخ ثانيا قال الرجل فاغسله مرة اخرى قال العابد ان الله لم يخلقنا لأن نغسل ثيابنا ويذهب عمرنا بهذا العمل بل للطاعة والعبادة قال مولانا جلال الدين * اول استعداد جنت بايدت * تازجنت زندكانى زايدت * تداركنا الله تعالى بلطفه * وجاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى اصوم شهر رمضان واصلى كل يوم خمس صلوات ولا ازيد على هذا الانى فقير ليس على زكاة ولاحج فاذا قامت القيامة ففى اى دار اكون انا فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال اذا حفظت عينيك عن اثنين عن النظر الى المحرمات والنظر الى الخلق بعين الاحتقار وحفظت قلبك عن اثنين عن الغل والحسد وحفظت لسانك عن اثنين عن الكذب والغيبة تكون معى فى الجنة

(سورة النساء وهى مائة وخمس اوست اوسبع وسبعون اية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس) خطاب عام يتناول الموجودين فى زمان الخطاب ومن بعدهم دون المنقرضين بدليل انهم ما كانوا متعبدين بشرعنا فلو كان عاما لجميع بنى آدم لزم ان يتعبد وابشرعنا وهو محال (اتقوا ربكم) فى حفظ ما بينكم من الحقوق ومايجب وصله ومراعاته ولا تضيعوه ولا تقطعوا ما امرتم بوصله (الذى خلقكم) اى قدر خلقكم حالا بعد حال على اختلاف صوركم وألوانكم (من نفس واحدة) اى من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم وعقب الاتقاء بمنة الخلق كيلا يتقى الا الخالق وبين اتحاد الاب فان فى قطع التراحم حضا على التراحم

(وخلق منها) اى من تلك النفس يعنى من بعضها (زوجها) أمّكم حوّآء بالمدّ من ضلع من اضلاعه اليسرى (روى) ان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام واسكنه الجنة ألقى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حوّآء من قصيراه فلما انتبه وجدها عنده فمال اليها وألفها لانها كانت مخلوقة من جزء من اجزآئه واخرت حوّآء فى الذكر وان كانت مقدمة فى الخلق لان الواو لا ترتيب فيها (وبثّ) اى فرق ونشر (منهما) من تلك النفس وزوجها المخلوقة بطريق التوالد والتناسل (رجالا كثيرا) تذكيره للحمل على الجمع والعدد (ونساء) اى بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكن اكثر وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لان المراد به تمهيد للامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبنى جنسه على مادلت عليه الآيات التى بعدها فكأنه قيل اتقوا ربكم الذى وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا متفرعة من ارومة واحدة فيما يجب لبعضكم على بعض من حقوق المواصلة التى بينكم فحافظوا عليها ولا تغفلوا عنها (واتقوا الله) اى لا تقطعوا فى الدين والنسب اغصانا تتشعب من جرثومة واحدة (الذى تساءلون به) فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض اسألك بالله (والارحام) اى يسأل بعضكم بعضا بالله فيقول بالله وبالرحم وانا شدك الله والرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وجرت عادة العرب على ان احدهم اذا استعطف غيره يقرن الرحم فى السؤال والمناشدة بالله ويستعطف به فقوله والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله وقال صلى الله عليه وسلم مامن عمل حسنة اسرع ثوابا من صلة الرحم ومامن عمل سيئة اسرع عقوبة من البغى فينبغى للعباد مراعاة الحقوق لان الكل أخ لأب وأم هما آدم وحوآء سيما المؤمنين لان فيهم قرابة الايمان والدين وكذا الحال فى قرابة الطين (ان الله كان عليكم رقيبا) الرقيب هو المراقب الذى يحفظ عليك جميع افعالك اى حافظا مطلعا على جميع مايصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى مافى ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك فبين الله تعالى انه يعلم السر وأخفى وانه اذا كان كذلك فيجب ان يكون المرء حذرا خائفا فيما يأتى ويذر واعلم ان التقوى هى العمدة وهى سبب الكرامة العظمى فى الدنيا والعقبى (حكى) انه كان بالبصرة رجل معروف بالمسكى لانه كان يفوح منه رآئحة المسك فسئل عنه فقال كنت من احسن الناس وجها وكان لى حياء فقيل لابى لو أجلسته فى السوق لانبسط مع الناس فأجلسنى فى حانوت بزاز فجازت عجوز وطلبت متاعا فأخرجت لها ماطلبت فقالت لو توجهت معى لثمنه فمضيت معها حتى ادخلتنى فى قصر عظيم فيه قبة عظيمة فاذا فيها جارية على سرير عليه فرش مذهبة فجذبتنى الى صدرها فقلت الله الله فقالت لا بأس فقلت انى حاقن فدخلت الخلاء وتغوطت ومسحت به وجهى وبدنى فقيل انه مجنون فخلصت ورأيت الليلة رجلا قال لى اين انت من يوسف بن يعقوب ثم قال أتعرفنى قلت لا قال انا جبريل ثم مسح بيده على وجهى وبدنى فمن ذلك الوقت يفوح المسك علىّ من رآئحة جبريل عليه السلام وذلك ببركة التقوى * والتقوى فى عرف الشرع وقاية النفس عما يضرها فى الآخرة وهى على مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل اثم وهو المتعارف باسم التقوى وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لكفرنا والثالثة التنزه عن جميع مايشغله وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته ومن هذا القبيل ماحكى عن ذى النون المصرى انه لما جاء اليه بعض الوزراء وطلب الهمة وأظهر الخشية من السلطان قال له لو خشيت انا من الله كما تخشى أنت من السلطان لكنت من جملة الصديقين *

كر نبودى اميد راحت ورنج * باى درويش بر فلك بودى * ور وزير از خدا بترسيدى * همچنان كز ملك ملك بودى *

فينبغى للسالك ان يتقى ربه ويراقب الله فى جميع احواله كما قال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا والمراقبة * علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا اصل كل خير ولا يكاد يصل الى هذه الرتبة الابعد فراغه من المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ماسلف وأصلح حاله فى الوقت ولازم طريق الحق وأحسن مابينه وبين الله من مراعاة القلب وحفظه مع الله الانفاس وراقب الله سبحانه فى عموم احواله فيعلم انه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم احواله ويرى افعاله ويسمع اقواله ومن تغافل عن هذه الجملة

فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة قال سليمان بن على لحميد الطويل عظنى قال لئن كنت عصيت الله خاليا وظننت انه يراك فقد اجترأت على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فقد كفرت لقوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وكان بعض الصالحين له تلامذة وكان يخص واحدا منهم باقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره فقالوا له فى ذلك فقال ابين لكم فدفع لكل واحد من تلامذته طائرا وقال له اذبحه بحيث لا يراك احد ودفع الى هذا ايضا فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طيره وجاء هذا بالطير حيا فقال له هلا ذبحته فقال امرتنى ان اذبحه بحيث لا يراه احد ولم أجد موضعا الا يراه احد فقال لهذا اخصه باقبالى عليه * جهان مرآت حسن شاهد ماست * فشاهد وجهه فى كل ذرات (وآتوا اليتامى اموالهم) اليتامى جمع يتيم وهو من الناس المنفرد عن الأب بموته ومن سائر الحيوانات عن الأم وحق هذا الاسم ان يقع على الصغير والكبير لبقاء معنى الانفراد عن الأب الا انه غلب استعماله فى الصغير لاستغناء الكبير بنفسه عن الكافل فكأنه خرج عن معنى اليتم وهو الانفراد والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم سالمة لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغى ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها والمعنى ايها الاولياء والاوصياء احفظوا اموال اليتامى ولا تتعرضوا لها بسوء وسلموها اليهم وقت استحقاقهم تسليمها اليهم (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) تبدل الشئ بالشئ واستبداله به اخذ الاول بدل الثانى بعد أن كان حاصلا له اوفى شرف الحصول اى لا تستبدلوا الحلال المكتسب بالحرام المغتصب يعنى لا تستبدلوا مال اليتامى وهو حرام بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبعوث فى الارض فتأكلوه مكانه (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) المراد من الاكل التصرف لان اكل مال اليتيم كما يحرم فكذا سائر التصرفات المهلكة لتلك الاموال محرمة والدليل عليه ان فى المال مالا يصح ان يؤكل وانما ذكر الاكل لانه معظم ما يقع لاجله التصرف والى بمعنى مع قال تعالى من انصارى الى الله اى مع الله والاصح ان المعنى لا تأكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولى فقيرا واذا اكل مال اليتيم وله مال كان ذلك اقبح ولذا ورد النهى عن اكله مع مال نفسه بعد ان قال ولا تتبدلوا الخ (انه) اى الاكل المفهوم من النهى (كان حوبا كبيرا) اى ذنبا عظيما عند الله فاجتنبوه (روى) ان رجلا من بنى غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبى عليه السلام فنزلت هذه الآية فلما سمع العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه فى سبيل الله فقال عليه السلام ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا كيف بقى الوزر فقال ثبت الاجر للغلام وبقى الوزر على والده (قال الشيخ السعدى قدس سره) اززروسيم راحتى برسان * خو يشتن هم تمتعى بركير * جونكه اين خانه ازتو خواهد ماند * خشتى ازسيم وخشتى اززركير * قال تعالى وآتوا اليتامى اموالهم تزكية من آفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالامانة والديانة وسلامة الصدر وقال ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم تزكية من الجور والحيف والظلم وتحلية بالعدل والانصاف فان اجتماع هذه الرذائل كان حوبا كبيرا اى حجابا عظيما فعلى العاقل ان يزكى نفسه من الاخلاق الرديئة ولا يطمع فى حق احد جل اوقل بل يكون محسنا باذلا ماله على الارامل والايتام ويراعى حقوقهم بقدر الامكان وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ست موبقات ليس لهن توبة اكل مال اليتيم وقذف المحصنة والفرار من الزحف والسحر والشرك بالله وقتل نبى من الانبياء ويقال طوبى للبيت الذى فيه يتيم وويل للبيت الذى فيه يتيم يعنى ويل لاهل البيت الذين لم يعرفوا حق اليتيم وطوبى لهم اذا عرفوا حقه * يكى خار باى يتيمى بكند * بخواب اندرش ديد صدر خجند * كه ميكفت ودر روضها مى جميد * كزان خار برمن جه كلها دميد * وروى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عندى يتيم مم اضربه قال مما تضرب ولدك يعنى لا بأس ان تضربه للتأديب ضربا غير مبرح مثل ما يضرب الوالد ولده وروى عن الفضيل بن عياض انه قال رب لطمة انفع لليتيم من اكلة خبيص قال الفقيه فى تنبيه الغافلين ان كان هذا يقدر أن يؤدبه بغير ضرب ينبغى له ان يفعل

ذلك ولا يضربه فان ضرب اليتيم امر شديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اليتيم اذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله يا ملائكتي من ابكى الذى غيبت اباه فى التراب وهو اعلم به قال تقول الملائكة ربنا لا علم لنا قال فانى اشهدكم ان من ارضاه ارضه من عندى يوم القيامة * چو بينى يتيمى سرافكنده پيش * مده بوسه بر روى فرزند خويش * يتيم ار بكريد كه بارش برد * وكر خشم كيرد كه نازش خرد * الا تا نكريد كه عرش عظيم * بلرزد همى چون بكريد يتيم * اكر سايه خود برفت از سرش * تو در سايه خويشتن پرورش * قال الله تعالى لداود النبى عليه السلام كن لليتيم كالاب الرحيم واعلم انك كما تزرع كذلك تحصد واعلم ان المرأة الصالحة لزوجها كالملك المتوج بالذهب كلما رآها قرت عينه والمرأة السوء لبعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير * كرا خانه آباد وهمخوابه دوست * خدا را برحمت نظر سوى اوست * دلارام باشد زن نيك خواه * وليك از زن بد خدايا پناه * تهى پاى رفتن به از كفش تنك * بلاى سفر به كه در خانه جنك (وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى) الاقساط العدل والمراد بالخوف العلم عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقى لان الذى علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه وسبب النزول انهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتى يلونهن لكن لا رغبة فيهن بل فى مالهن ويسيئون فى الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وقيل هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا من سواهن من النساء والمعنى وان خفتم ان لا تعدلوا فى حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق (فانكحوا ما) موصولة او موصوفة اوثرت على من ذهابا بها الى الوصف اى نكاحا (طاب لكم من النساء) اى غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اى فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات (مثنى وثلاث ورباع) حال من فاعل طاب اى فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اى عدد شاء من الاعداد المذكورة لان بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر (فان خفتم ان لا تعدلوا) اى فيما بينهن ولو فى اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه فى حق اليتامى او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد (فواحدة) فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية (او ما) ولم يقل من ايذانا بقصور رتبة الاماء عن رتبة العقلاء (ملكت ايمانكم) اى من السرارى بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسرى لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين فى الموضعين وانما سوى فى السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السرارى من غير حصر فى عدد لقلة تبعتهن وخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم فيهن (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة (ادنى ان لا تعولوا) العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال فى الحكم جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل للعدل اى ما ذكر من اختيار الواحدة والتسرى اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله فى الاول وانتفاء خطره فى الثانى بخلاف اختيار العدد فى المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر (وآتوا النساء) اى اللاتى امر بنكاحهن (صدقاتهن) جمع صدقة وهى المهر (نحلة) فريضة من الله لانها مما فرضه الله فى النحلة اى الملة والشريعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اى اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة من الله او تدينا فانتصابها على انه مفعول له اى اعطوهن ديانة وشرعة او هبة وعطية من الله وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية منها ايضا او عطية من جهة الازواج من نحله اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك اى تعظم (فان طبن لكم عن شئ منه) الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به

الى المتعدد واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافى والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشئ اى كائن من الصداق وفيه بعث لهن الى تقليل الموهوب (نفسا) تميز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اى وهبن لكم شيأ من الصداق متجافيا عن نفوسهن طيبات غير خبيثات بما يضطرهن الى البذل من شكاية اخلاقكم وسوء معاشرتكم (فكلوه) اى فخذوا ذلك الشئ الذى طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية (هنيئا مريئا) صفتان من هنأ الطعام ومرأ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر أى اكلا هنيئا مريئا وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة (روى) ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيأ مما ساقه اليها فنزلت وفى الآية دليل على وجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس ولذا قيل يجوز الرجوع بما وهبن ان خدعن من الازواج وبيان لجواز معروفها وترغيب فى حسن المعاشرة بينهما فان خير الناس خيرهم لاهله وأنفعهم لعياله وفى الحديث جهاد المرأة حسن التبعل وكانت المرأة على عهد النبى عليه السلام تستقبل زوجها اذا دخل وتقول مرحبا بسيدى وسيد اهل بيتى وتقصد الى اخذ رداءه فتأخذه من عنقه وتعمد الى نعله فتخلعه فان رأته حزينا قالت ما يحزنك ان كان حزنك لآخرتك فزادك الله فيها وان كان لدنياك فكفاك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا فلان أقرئها منى السلام وأخبرها ان لها نصف اجر الشهيد وعلامة الزوجة الصالحة عند اهل الحقيقة ان يكون حسنها مخافة الله وغناها القناعة وحليها العفة اى التكفف عن الشرور والمفاسد وعبادتها بعد الفرائض حسن الخدمة للزوج وهمتها الاستعداد للموت * اكر پارسا باشد وخوش سخن * نكه در نكويى وزشتى مكن * زن خوب وخوش طبع كنجست ومار * رها كن زن زشت ناسازكار * يعنى لا تلتفت الى امرأة ليس لها حسن ولا موافقة لك بحسن الخلق (روى) ان الاسكندر كان يوما عنده جمع من ندمائه فقال واحد منهم ان الله تعالى اعطى لك مملكة كثيرة وشوكة وافرة فاكثر من النساء حتى يكثر اولادك ويبقوا بعدك قال الاسكندر اولاد الرجال ليست ماذكرت بل هى العادات الحسنة والسير المرضية والاخلاق الكريمة وليس مما يليق بالرجل الشجيع أن تغلب عليه النساء بعد ان غلب هو على اهالى الدنيا ونعم ماقيل * يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام * چو نيست پيش پدر اين قدر يقين كه پسر * زخيل بى خرد انست يا خردمندان * بسست سيرت نيكو حكيم را فرزند * زبون زن چه شود برا ميد فرزندان * (قال الشيخ السعدى قدس سره فى البستان) چه نغز آمد اين يك سخن زان دوتن * كه سر كشته بودند از دست زن * يكى كفت كس را زن بد مباد * دكر كفت زن در جهان خود مباد * زن نو كن اى دوست هر نو بهار * كه تقويم پارين نيايد بكار * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من أمتى يكونون فى جهنم كعمر الدنيا سبع مرات اولهم متسمنون مهزولون والثانى كاسون عارون والثالث عالمون جاهلون قيل من هؤلاء يا رسول الله قال اما المسمنون المهزولون فالنساء متسمنات باللحم مهزولات فى امور الدين واما الكاسون العارون فهن النساء كاسيات من الثياب عاريات من الحياء واما العالمون الجاهلون فهم اهل الدنيا التاجرون الكاسبون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فهؤلاء عالمون فى امور الدنيا جاهلون فى امور الآخرة لا يبالون من اين يجمعون المال وهم لا يشبعون من الحلال ولا يبالون من الحرام نعوذ بالله (ولا تؤتوا) ايها الاولياء (السفهاء) اى المبذرين من الرجال والنساء والصبيان واليتامى (اموالكم) اضاف الاموال الى الاولياء تنزيلا لاختصاصها بأصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكأن اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسى والنسبى مبالغة فى حملهم على المحافظة عليها وقد أيد ذلك حيث عبر عن جعلها مناط المعاش اصحابها بجعلها مناط المعاش الاولياء بقوله (التى جعل الله لكم قياما) اى جعلها الله شيأ تقومون به وتنتعشون فلو ضيعتموه لضعتم ولما كان المال سببا للقيام والاستقلال سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة فكأنها من فرط قيامهم بها واحتياجهم اليها نفس قيامهم (وارزقوهم فيها واكسوهم) الرزق من الله العطية من غير حد ومن العباد اجراء موقت محدود اى اطعموهم منها ولم يقل منها لئلا يكون ذلك امرا بأن يجعلوا بعض اموالهم رزقا لهم بل امرهم ان يجعلوا اموالهم مكانا لرزقهم بأن يتجروا فيها ويثمروا فيجعلوا ارزاقهم من الارباح لا من اصول الاموال

(وقولوا لهم قولا معروفا) كلاما لينا تطيب به نفوسهم قال القفال القول المعروف هو أنه ان كان المولى عليه صبيا فالولي يعرفه ان المال ماله وهو خازن له وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه وان كان المولى عليه سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلاة ورغبه في ترك التبذير والاسراف وعرفه ان عاقبة التبذير الفقر والاحتياج الى الخلق الى مايشبه هذا النوع من الكلام واذا كان رشيد افطلب ماله ومنعه الولي يأثم وفي الآية تنبيه على عظم خطر المال وعظم نفعه قال السلف المال سلاح المؤمن هيئ للفقر الذي يهلك دينه وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك قال الامام وقد رغب الله في حفظ المال في آية المداينة حيث امر بالكتاب والشهادات والرهن والعقل ايضا يؤيد ذلك لان الانسان مالم يكن فارغ البال لايمكنه القيام بتحصيل الدنيا والآخرة ولايكون فارغ البال الابواسطة المال لانه به يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار * شب پراكنده خسبد انكه بديد * نبود وجه بامدادانش * موركرد آورد بتابستان * تافراغت بود زمستانش * فمن اراد الدنيا بهذا الغرض كانت الدنيا في حقه من اعظم الاسباب المعينة على اكتساب سعادة الآخرة امامن أرادها لنفسها وعينها كانت من اعظم المعوقات عن كسب سعادة الآخرة فخير المال ما كان متاع البلاغ ولا ينبغي للمرء أن يسرف في المال الذي يبلغه الى الآخرة والجنة والقربة * چو دخلت نيست خرج آهسته تركن * كه ملاحان همى كويند سرودى * اكر باران بكوهستان نبارد * بسالى دجله كردد خشك رودى * درخت اندرخزانها برفشانند * زمستان لاجرم بى برك مانند * والاشارة ان الله تعالى جعل المال قياما لمصالح دين العباد ودنياهم فالعاقل منهم من يجعله قياما لمصالح دينه ما أمكنه ولمصالح دنياه بقدر حاجته الضرورية اليه والسفيه من جعله لمصالح دنياه ما امكنه والمنهي عنه ان تؤتوا اليه اموالكم كائنا من كان ومن جملة السفهاء النفس التي هي اعدى عدوك وكل ماانفقه الرجل على نفسه بهواها فهو مفاسد دينه ودنياه الا المستثنى منه كما اشار تعالى بقوله وارزقوهم يعني مايسد به جوع النفس واكسوهم يعني مايستر عورتها فان مازاد على هذا يكون اسرافا في حق النفس والاسراف منهي عنه وقولوا لهم قولا معروفا فالقول المعروف مع النفس ان يقول ان اكلت رزق الله ونعمه فأدي شكر نعمته بامتثال اوامره ونواهيه وأدي طعامك بذكر الله كما قال عليه السلام أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر واقل ذلك ان يصلي ركعتين اويسبح مائة تسبيحة اويقرأ جزأ من القرآن عقيب كل اكلة وسببه انه اذانام على الطعام من غير اذابته بالذكر والصلاة بعد اكله يقسو قلبه ونعوذ بالله من قسوة القلب ففي الاذابة رفع القسوة واداء الشكر واعلم ان في قوله تعالى ولاتؤتوا السفهاء الخ اشارة اخرى وهي ان اموال العلوم وكنوز المعارف لاتؤتى لغير اهلها من العوام ولا تذكر كما حكي ان بعض الكبار ذكر بعض الكرامات لولي فنقل ذلك بعض السامعين في مجلس آخر وانكره رجل فلما رجع الى الاصل قال لايباع الابل في سوق الدجاج * دريغست باسفله كفت از علوم * كه ضايع شود تخم درشوره بوم *

(وابتلوا اليتامى) اى واختبروا أيها الاولياء والاوصياء من ليس من اليتامى بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبأن تعطوهم من المال مايتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبأن تعطوا منه مايصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) بأن يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح (فان آنستم) اى شاهدتم وتبينتم (منهم رشدا) صلاحا في دينهم واهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير (فادفعوا اليهم اموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير أو بالعجز لايدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنه لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها بسبع سنين وهي مدة معتبرة في تغيير احوال الانسان لما قال عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله أونس منه رشد اولم يؤنس (ولاتأكلوها اسرافا) بغير حق حال اى مسرفين وليس فيه اباحة القليل وتحريم الاسراف بل هو بيان انه اسراف (وبدارا) اى مبادرين ومسارعين الى انفاقها مخافة (ان يكبروا) فتفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان تكبر اليتامى رشدا فينتزعوها من ايدينا ويلزمنا

تسليمها اليهم (ومن كان غنيا) من الاولياء والاوصياء (فليستعفف) فليتنزه عن اكلها وليمتنع وليقنع بما آتاه الله من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله واستعف ابلغ من عف كأنه يطلب زيادة العفة (ومن كان) من الاولياء والاوصياء (فقيرا فليأكل بالمعروف) اى بما عرف فى الشرع بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفيه ما يدل على ان للوصى حقا لقيامه عليها (فاذا دفعتم اليهم اموالهم) بعد ما راعيتم الشرآئط المذكورة (فأشهدوا عليهم) بأنهم تسلموها وقبضوها وبرئت منها ذممكم لما ان ذلك ابلغ من التهمة وانفى للخصومة وادخل فى الامانة وبرآءة الساحة وان لم يكن واجبا عند اصحابنا فان الوصى مصدق فى الدفع مع اليمين وقال مالك والشافعى لا يصدق فى دعواه الا بالبينة (وكفى بالله) الباء صلة (حسيبا) محاسبا وحافظا لاعمال خلقه فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم واعلموا ان اللائق للعاقل ان يحترز عن حق الغير خصوصا اليتيم فانه يجره الى نار الجحيم فأكل حقه من الكبائر ومن ابتلى بحق من حقوق العباد فعليه بالاستحلال قبل الانتقال الى دار السؤال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لاخيه او شئ فليتحلله منه اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص حيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقرب به ذلك الى الله فينال به لطفه الذى ادخره لارباب الايمان فى دفع مظالم العباد عنهم بارضائه اياهم قال العلماء اذا زنى بامرأة ولها زوج فلم يجعل ذلك الرجل فى حل لا يغفر له لان خصمه الآدمى فاذا تاب وجعله فى حل فان يغفر له ويكتفى بجعل منه ولا يذكر الزنى ولكن يقول كل حق لك على فاجعلنى فى حل منه ومن كل خصومة بينى وبينك وهذا اصلح بالمعلوم على المجهول وذلك جائز كرامة لهذه الامة لان الامم السالفة ما لم يذكروا الذنب لا يغفر لهم وكذا غصب اموال عباد الله واكلها وضربهم وشتمهم وقتلهم كلها من الحقوق التى يلزم فيها ارضاء الخصماء والتوبة والمبادرة الى الاعمال الصالحة والافعال الحسنة فاذا لم يتب العبد من امثال هذه ولم يرض خصماءه كان خاسرا خاليا عن العمل عند العرض الاكبر

نماند ستمكار بد روزكار * بماند برو لعنت پايدار * چنان زى كه ذكرت بتحسين كنند * چو مردى نه بر كور نفرين كنند * نبايد برسم بد آيين نهاد * كه كويند لعنت بران كين نهاد *

فينبغى للظالم ان يتوب من الظلم ويتحلل من المظلوم فى الدنيا فاذا لم يقدر عليه ينبغى ان يستغفر له ويدعو له فانه يرجى ان يحلله بذلك وعن فضيل بن عياض رحمه الله انه قال قرآءة آية من كتاب الله والعمل بها احب الى من ختم القرآن الف مرة وادخال السرور على المؤمن وقضاء حاجته احب الى من عبادة العمر كله وترك الدنيا ورفضها احب الى من التعبد بعبادة اهل السموات والارض وترك دانق من حرام احب الى من مائتى حجة من المال الحلال وقال ابو القاسم الحكيم ثلاثة اشياء تنزع الايمان من العبد اولها ترك الشكر على الاسلام والثانى ترك الخوف على ذهاب الاسلام والثالث الظلم على اهل الاسلام وعن ابى ميسرة قال اتى بسوط الى رجل فى قبره بعد ما دفن يعنى جاءه منكر ونكير فقالا له انا ضاربك مائة سوط فقال الميت انا كنت كذا وكذا يتشفع حتى حطا عنه عشرا ثم لم يزل بهما حتى صارت الى ضربة واحدة فقالا له انا ضاربك ضربة واحدة فضرباه ضربة واحدة التهب القبر نارا فقال لم ضربتمانى قالا مررت برجل مظلوم فاستغاث بك فلم تغثه فهذا حال الذى لم يغث المظلوم فكيف يكون حال الظالم واعلم ان الكبار يكفون انفسهم عن المشتبهات فضلا عن الحرام فان اللقمة الطيبة لها اثر عظيم فى اجابة الدعاء ولذا قال الشيخ نجم الدين الكبرى قدس سره اول شرآئط اجابة الدعاء اصلاح الباطن بلقمة الحلال وآخر شرآئطها الاخلاص وحضور القلب يعنى التوجه الاحدى اذ القلب الحاضر فى الحضرة شفيع له قال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين فحركة الانسان باللسان وصياحه من غير حضور القلب ولولة الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح فعلى العاقل ان يحترز عن الحرام والمشتبهات كى يستجاب دعاؤه فى الخلوات (للرجال نصيب) روى ان اوس بن صامت الانصارى رضى الله عنه خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله فنزلت هذه الآية فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله الخ فأعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى لابنى العم والمعنى لذكور اولاد الميت حظ كائن (مما ترك الوالدان والاقربون) من ذوى القرابة للميت والمراد المتوارثون منهم دون المحجوبين عن الارث وهم الابوان والزوجان والابن والبنت (وللنساء) اى لجماعة الاناث (نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه اوكثر) مما الاخيرة باعادة الجار بدل والهاء يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد فى الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق (نصيبا مفروضا) نصب على الاختصاص اى اعنى نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه (واذا حضر القسمة) اى قسمة التركة والميراث (اولوا القربى) للميت ممن لا يرث منه (واليتامى والمساكين) من الاجانب (فارزقوهم منه) اى اعطوهم شيأ من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة او مما ترك الوالدان والاقربون وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وكان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة وحضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بشئ من رثة المتاع فحثهم الله على ذلك تأديبا من غير ان يكون فريضة ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق (وقولوا لهم قولا معروفا) وهو ان يدعوا لهم ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه شرعا اوعقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا اوعقلا فهو منكر وفى الحديث كل معروف صدقة وفى المثل اصنع المعروف وألقه فى الماء فان لم يعرفه السمك يعرفه من سمك السماء * تو نيكى كن باب انداز اى شاه * اكر ماهى نداند داند الله * حكى ان حية اتت رجلا صالحا فقالت اجرنى من عدوى اجارك الله فقع لها رداءه فقالت يرانى فيه فان اردت المعروف فافتح فاك حتى ادخل فيه فقال اخشى ان تهلكينى قالت لا والله والله وسكان سمواته وارضه شاهدة على ذلك ففتح فاه فدخلت ثم عارضه رجل فى ذلك فأنكر فلما اندفع خوفها قالت بالحق اختر لنفسك كبدك اوفؤادك فقال اين العهد واليمين قالت ما رأيت احمق منك اذ نسيت العداوة التى بينى وبين ابيك آدم وما الذى حملك على اصطناع المعروف مع غير اهله فقال مهلينى حتى آتى تحت هذا الجبل ثم توجه الى الله فظهر رجل حسن الوجه طيب الرائحة واعطاه ورقة خضراء وامره بالمضغ ففعل فلم يلبث الا خرج قطع الحية من الاسفل فخلصه الله تعالى من شرها ثم سأل من انت فقال انا المعروف وموضعى فى السماء الرابعة وانت لما دعوت الله ضجت الملائكة فى السموات السبع الى الله فانطلقت الى الجنة واخذت من شجرة طوبى ورقة بأمر الله فاصنع المعروف فانه لا يضيع عند الله وان ضيعه المصطنع اليه * نكوكارى از مردم نيك راى * يكى را بده مى نويسد خداى * ومما يكتب من الصدقة الكلمة الطيبة والشفاعة الحسنة والمعونة فى الحاجة وعيادة المريض وتشييع الجنازة وتطييب قلب مسلم وغير ذلك واعلم ان الرجال فى الحقيقة اقوياء الطلبة والسلاك فلهم نصيب بقدر صدقهم فى الطلب ورجوليتهم فى الاجتهاد مما ترك المشايخ والاخوان فى الله والاعوان على الطلب وتركتهم بركتهم وسيرتهم فى الدين وانوارهمهم العلية ومواهب ولايتهم السنية والنساء ضعفاء القوم فلهم ايضا نصيب مفروض اى قدر معلوم على وفق صدق التجائهم اليه وجدهم فى الطلب وحسن استعدادهم لقبول فيض الولاية وهذا حال المجتهدين الذين هم ورثة المشايخ كما انهم ورثة الانبياء فأما المنتمون الى ولايتهم بالارادة وحسن الظن والمقتبسون من انوارهم والمقتفون على آثارهم والمتشبهون بزيهم والمتبركون بهم على تفاوت درجاتهم فهم بمثابة اولى القربى واليتامى والمساكين اذا حضروا القسمة عند محافل صحبتهم ومجامع سماعهم ومجالس ذكرهم فانها مقاسم خيراتهم وبركاتهم فارزقوهم منه اى من مواهب ولايتهم وآثار هدايتهم واعطاف عنايتهم والطاف رعايتهم وقولوا لهم قولا معروفا فى التشويق وارشاد الطريق والحث على الطلب والتوجه الى الحق والاعراض عن الدنيا وتقرير هوانها على الله وخسارة اهلها وعزة اهل الله فى الدارين وكمال سعادتهم فى المنزلين فاذا وقفت على هذا فاجتهد حتى لا تحرم من ميراث الحقيقة ونصيب المعرفة ونعم ما قيل * ميراث پدر خواهى توعلم پدر آموز * كين مال پدر خرج توان كرد بده روز * رزقنا الله وايا كم

واياكم ثمرات الاحوال وبلغنا الى تصفية الباطن واصلاح البال (وليخش الذين) صفتهم وحالهم انهم (لو تركوا) اى لو شارفوا ان يتركوا (من خلفهم) اى بعد موتهم (ذرية ضعافا) اولادا عجزة لا غنى لهم وذلك عند احتضارهم (خافوا عليهم) اى الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم والفقر والتكفف والمراد بالذين هم الاوصياء امروا ان يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى وليشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك فى انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة (فليتقوا الله) فى ذرارى غيرهم (وليقولوا قولا سديدا) اى وليقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب والترحيب ويدعوهم بيابنى ويا ولدى ولا يؤذوهم (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته وانما قيد به لانه اذا اكل منه بالمعروف عند الحاجة او بما قدر له به القاضى بقدر عمله فيه لم يعاقب عليه (انما يأكلون فى بطونهم) اى ملئ بطونهم يقال اكل فى بطنه اذا ملأه واسرف وفى معاه اذا اقتصد فيه (نارا) اى ما يجر الى النار ويؤدى اليها فكأنه نار فى الحقيقة (وسيصلون) اى سيدخلون يوم البعث (سعيرا) اى نارا مسعرة او هائلة مبهمة الوصف (روى) ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا (وروى) انه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم فى الدين الآية وفى الحديث قال النبى عليه السلام رأيت ليلة اسرى بى قوما لهم مشافر كشافر الابل احداهما قالصة على منخريه والاخرى على بطنه وخزنة جهنم يلقمونه جمر جهنم وصخرها فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما * كسى كزمرصر ظلمش دمادم * جراغ عيش مظلومان بميرد * نمى ترسد ازين كايزد تعالى * اكرجه ديركيرد سخت كيرد * وقد امر الله تعالى ان لا يؤذى اليتيم ويقال له القول السديد فكيف يكون حال من آذاه وغيره من المؤمنين واكل اموالهم بالغصب والظلم (روى) ان لجهنم جبابا يعنى مواضع كساحل البحر فيها حيات كالبخاتى وعقارب كالبغال الدلم فاذا استغاث اهل جهنم ان يخفف عنهم قيل لهم اخرجوا الى الساحل فيخرجون فتأخذ الحيات شفاههم ووجوههم ماشاء الله فيكشطن فيستغيثون فرارا منها الى النار فيسلط عليهم الجرب فيحك احدهم جلده حتى يبدو العظم فيقال يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقال ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين فعلى المرء ان يجتنب عن الايذاء وايصال الالم الى الخلق فان الدعاء السوء من المظلومين يقبل البتة فى حق الظالم والمؤذى خرابى كند مرد شمشيرزن * نجندانكه دود دل طفل وزن * رياست بدست كسانى خطاست * كه ازدست شان دستها برخداست * مكافات موذى بمالش مكن * كه بيخش برآورد بايد زبن * سركرك بايد هم اول بريد * نه جون كوسفندان مردم دريد * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبلوا الى ستا اتقبل لكم الجنة اذا حدثتم فلا تكذبوا واذا وعدتم فلا تخلفوا واذا ائتمنتم فلا تخونوا وغضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم عن الحرام وادخلوا الجنة (وروى) عن ابن المبارك انه قال ترك فلس من حرام افضل من مائة ألف فلس يتصدق بها عنه وعنه انه كان بالشام يكتب الحديث فانكسر قلمه فاستعار قلما فلما فرغ من الكتابة نسى فجعل القلم فى مقلمته فلما رجع الى مرو رأى القلم وعرفه فتجهز للخروج الى الشام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار فما ينفعكم الا بالورع قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله الزهد ثلاثة اصناف زهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فزهد الفرض هو الزهد فى الحرام وزهد الفضل هو الزهد فى الحلال وزهد السلامة هو الزهد فى الشبهات وكان حسان بن ابى سنان لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب باردا ستين سنة فرؤى فى المنام بعد ما مات فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا غير انى محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم اردها ومر عيسى عليه السلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فأحياه الله تعالى فقال من انت فقال كنت حمالا انقل للناس فنقلت يوما لانسان حطبا فكسرت منه خلالا تخللت به فأنا مطالب به مذ مت * خوف دارى اكر زقهر خدا * نروى راه حرام دنيا (يوصيكم الله) اى يأمركم ويعهد اليكم (فى اولادكم) اولاد كل واحد منكم اى فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به اى يعد كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه

(فان كن) اى الاولاد والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى (نساء) اى خلصا ليس معهن ذكر (فوق اثنتين)
خبر ثان (فلهن ثلثا ماترك) اى المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وحكم البنتين كحكم ما فوقهما (وان كانت)
اى المولودة (واحدة) اى امرأة واحدة ليس معها اخ ولا اخت (فلها النصف) مما ترك (ولابويه) اى لابوى
الميت (لكل واحد منهما السدس) كائنا ذلك السدس (مما ترك) المتوفى (ان كان له) اى للميت (ولد) او ولد ابن
ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير أن الاب فى صورة الانوثة بعد ما أخذ فرضه المذكور يأخذ ما بقى من
ذوى الفروض بالعصوبة (فان لم يكن له ولد) ولا ولد ابن (وورثه ابواه) فحسب (فلامه الثلث) مما ترك والباقى
للاب هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما احد الزوجين فلامه ثلث ما بقى من فرض احدهما
لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضى الله عنه فانه يفضى الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها فى الارث
بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع
(فان كان له اخوة) اى عدد من الاخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة
احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او محجوبين بالاب (فلامه السدس)
واما السدس الذى حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور (من بعد وصية) متعلق
بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية (يوصى بها) الميت وفائدة
الوصف الترغيب فى الوصية والندب اليها (او دين) عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف
بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار فى الصحة وانما قال بأو التى للاباحة دون الواو للدلالة على انهما
متساويان فى الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم
لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور (آباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا) الخطاب للورثة اى اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصى
ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصى بشئ فيوفر عليكم عرض الدنيا يعنى الاول
انفع وان كنتم تحكمون نظرا الى ظاهر الحال بانفعية الثانى وذلك لان ثواب الآخرة لتحقق وصوله الى صاحبه
ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحياة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد
واقصى (فريضة من الله) اى فرض الله ذلك الميراث فرضا (ان الله كان عليما) بالخلق ومصالحهم (حكيما)
فى كل ما قضى وقدر ودبر واعلم ان فى هذه الآية تنبيها على ان العبد ينبغى ان يجانب الميل الى جانبى الافراط
والتفريط برأيه وعقله بل يستمسك بالعروة الوثقى التى هى العدالة فى الامور كلها وهو الميزان السوى فيما بين
الضعيف والقوى وذلك لا يوجد الا بمراعاة امر الله تعالى والمحافظة على الاحكام المقضية الصادرة من العليم
بعواقب الامور الحكيم الذى يضع كل شئ فى مرتبته فعليكم بالعدل الذى هو أقرب للتقوى والتجانب
عن الجور بين العباد فى جميع الامور خصوصا فيما بين الاقارب فان لهم مزيد فضل على الاجانب ولمكانة صلة
الرحم عند الله قرن الارحام باسمه الكريم فى قوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام فحافظوا على
مراعاة حقوق اصولكم وفروعكم وآتوا كل ذى حق حقه فمن حقوق الوالدين على الولد ترك التأفيف والبر
والتكلم بقول لطيف وفى الخبر يسأل الولد عن الصلاة ثم عن حق الوالدين وتسأل المرأة عن الصلاة ثم عن حق
زوجها ويسأل العبد عن الصلاة ثم عن حق المولى ثم ان حق الوالدة اعظم من الوالد لكونها اكثر زحمة
ورحمة (روى) ان رجلا قال يا رسول الله ان امى هرمت عندى فأطعمها بيدى وأسقيها بيدى وأوضيها وأحملها
على عاتقى فهل جازيت حقها قال لا ولا واحدا من مائة قال ولم يا رسول الله قال لانها خدمتك فى وقت ضعفك
مريدة حياتك وأنت تخدمها مريدا مماتها ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيرا وجاء رجل الى النبى
عليه السلام ليستشيره فى الغزو فقال ألك والدة قال نعم قال عليه السلام فالزمها فان الجنة تحت رجليها ذكره
فى الاحياء قيل فيه ونعم ما قيل * جنت كه سراى مادرانست * زير قدمات مادرانست * روزى بكن
اى خداى ما را * جيزى كه رضاى مادرانست * ويطيع الوالدين فيما ابيح فى دين الاسلام وان كانا مشركين
ويهجرهما ان امراه بشرك او معصية قال تعالى وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما
چون نبود خويش را ديانت وتقوى * قطع رحم بهتر از مودت قربى * قال بعضهم كل مال لا يؤمن

من الهلاك مع الجهل فطلب علمه فرض عين سوآء كان من الامور الاعتقادية كمعرفة الصانع وصفاته وصدق النبي عليه السلام فى اقواله وافعاله او من الاعمال الحسنة المتعلقة بالظاهر كالصلاة والصوم وغيرهما او بالباطن كحسن النية والاخلاص والتوكل وغيرها او من السيئة المتعلقة بالظاهر كشرب الخمر واكل الربا والنظر الى اجنبية بشهوة او بالباطن كالكبر والعجب والحسد وسائر الاخلاق الرديئة للنفس فان معرفة هذه الامور فرض عين يجب على المكلف طلبها وان لم يأذن له ابواه واما ما سواها من العلوم فقيل لا يجوز له الخروج لطلبه الا باذنهما وفى فتاوى قاضى خان رجل طلب العلم وخرج بغير اذن والديه فلا بأس به ولم يكن عقوقا قيل هذا اذا كان ملتحيا فاذا كان امرد صبيح الوجه فلابويه ان يمنعاه واما حق الولد على الوالد فكالتسمية باسم حسن كاسماء الانبياء والمضاف الى اسمه تعالى لان الانسان يدعى فى الآخرة باسمه واسم ابيه قال عليه السلام انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم ولذا قيل يستحب تغيير الاسماء القبيحة المكروهة فان النبي صلى الله عليه وسلم سمى المسمى بالعاصى مطيعا وجاء رجل اسمه المضطجع فسماه المنبعث ومن حقه عليه الختان وهو سنة واختلفوا فى وقته قيل لا يختن حتى يبلغ لانه للطهارة ولا طهارة عليه حتى يبلغ وقيل اذا بلغ عشرا وقيل تسعا والاولى تأخير الختان الى ان يثغر الولد ويظهر سنه لما فيه من مخالفة اليهود لانهم يختنون فى اليوم السابع من الولادة ومن حقه ان يرزقه بالحلال الطيب وأن يعلمه علم الدين ويربيه بآداب السلف الصالحين (قال الشيخ سعدى رحمه الله فى حق الاولاد) بخردى درش زجر وتعليم كن * به نيك وبدش وعده وبيم كن * بياموز پرورده رادست رنج * وكردست دارى چو قارون كنج * بپايان رسد كيسهٔ سيم وزر * نكردد تهى كيسهٔ پيشه ور * وروى انس رضى الله عنه عن النبي عليه السلام قال يعق عنه فى اليوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب واذا بلغ سبع سنين عزل فراشه واذا بلغ عشر سنين ضرب على الصلاة واذا بلغ ست عشرة زوجه ابوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة والحاصل انه ينبغى ان لا يعقد الانسان على رأى نفسه بل يكل امره الى الله فانه أعلم وأرحم * والاشارة فى الآيات ان المشايخ للمريدين بمثابة الآباء للاولاد فان الشيخ فى قومه كالنبي فى أمته على ما قاله عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم انما لكم كالوالد لولده ففى قوله يوصيكم الله الآية اشارة الى وصايات المشايخ والمريدين ووراثتهم فى قرابة الدين لقوله تعالى اولئك هم الوارثون فكما ان الوراثة الدنيوية بوجهين بالسبب والنسب فكذلك الوراثة الدينية بهما اما السبب فهو الارادة ولبس خرقتهم والتبرك بزيهم والتشبه بهم واما النسب فهو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم ظاهرا وباطنا بصدق النية وصفاء الطوية مستسلما لاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية فان الولادة تتقدم على النشأة الاولى وهى ولادة جسمانية بان يتولد المرء من رحم الام الى عالم الشهادة وهو الملك والنشأة الثانية وهى ولادة روحانية بان يتولد السالك من رحم القلب الى عالم الغيب وهو الملكوت كما حكى النبي عليه السلام عن عيسى عليه السلام انه قال لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالشيخ هو الأب الروحانى والمريدون المتولدون من صلب ولايته هم الاولاد الروحانيون وهم فيما بينهم اولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله كقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وقال عليه السلام الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد ولهذا قال عليه السلام كل حسب ونسب ينقطع الا حسبى ونسبى لان نسبه كان بالدين كما سئل من النبي صلى الله عليه وسلم من آلك يا رسول الله قال آلى كل مؤمن تقى وانما يتوارث اهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية والذكورة والانوثة والاجتهاد وحسن الاستعداد وانما وارثهم العلوم الدينية واللدنية كما قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) چون گزيدى پير نازك دل مباش * سست وريزنده چو آب وگل مباش * چون گرفتى پير هن تسليم شو * همچو موسى زير حكم خضر رو * گر تو سنگ وصخره ومرمر شوى * چون بصاحب دل رسى گوهر شوى * يار خندان باغ را خندان كند * صحبت مردانت از مردان كند * (ولكم نصف ما ترك ازواجكم) من المال اذا متن وبقيتم بعدهن (ان لم يكن لهن ولد) اى ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان

اومتعددا منكم اومن غيركم و لباقى لورثتهن من ذوى الفروض والعصبات اوغيرهم اولبيت المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا (فان كان لهن ولد) على نحو مافصل (فلكم الربع مما تركن) اى تركت ازواجكم من المال والباقى لباقى الورثة (من بعد وصية) متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده (يوصين بها او) من بعد قضاء (دين) سوآء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار (ولهن الربع مما تركتم) ان متم وبقين بعدكم (ان لم يكن لكم ولد) ذكرا او انثى منهن اومن غيرهن اوولد ابن والباقى لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات اوذوى الارحام اولبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلا (فان كان لكم ولد) على التفصيل المذكور (فلهن الثمن مما تركتم) من المال والباقى للباقين (من بعد وصية توصون بها اودين) اى بعد اخراج الوصية وقضاء الدين هذا كله اذا لم يمنع مانع من الموانع الاربعة كقتل واختلاف دين ورق واختلاف دار (وان كان رجل) اى ذكر ميت (يورث) اى يورث منه من ورث لا من اورث صفة رجل (كلالة) خبر كان اى من لا ولد له ولا والد وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو الاعياء فى التكلم ونقصان القوة فيه فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لضعفها بالنسبة الى القرابة من جهتهما (او امرأة) عطف على رجل مقيد بما قيد به اى ان كان الميت انثى يورث منها كلالة (وله) اى وللميت الموروث منه سوآء كان رجلا او امرأة (اخ او اخت) كلاهما من الام بالاجماع لان حكم غيرهما مبين فى آخر السورة (فلكل واحد منهما) اى من الاخ والاخت من الام (السدس) من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة (فان كانوا) اى اولاد الام (اكثر) فى الوجود (من ذلك) اى من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او اكثر (فهم شركاء فى الثلث) يقتسمونه بالسوية لا يزيد نصيب ذكرهم على انثاهم والباقى لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات (من بعد وصية يوصى بها اودين غير مضار) قوله غير مضار نصب حالا من فاعل يوصى المقدر المدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول اى يوصى الميت بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مدخل الضرر على الورثة بما زاد على الثلث اوتكون الوصية لقصد الاضرار بهم وبأن يقر فى المرض بدين كاذبا (وصية من الله) اى يوصيكم الله وصية بها لا يجوز تغيرها قال عليه السلام من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة (والله عليم) بالمضار وغيره (حليم) لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال (تلك) اى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) شرآئعه التى هى كالحدود المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها (ومن يطع الله ورسوله) فى جميع الاوامر والنواهى التى من جملتها ما فصل ههنا (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) صيغة الجمع اى خالدين بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى (وذلك) اى هذا الثواب (الفوز العظيم) اى النجاة الوافرة يوم القيامة والظفر الذى لا ظفر وراءه (ومن يعص الله ورسوله) ولو فى بعض الاوامر والنواهى (ويتعد حدوده) شرآئعه المحدودة فى جميع الاحكام (يدخله نارا) اى عظيمة هائلة لا يقادر قدرها (خالدا فيها وله عذاب مهين) اى وله غير عذاب الحريق الجسمانى عذاب آخر لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحانى كما يؤذن به وصفه والجملة حالية وافرد خالدا فى اهل النار وجمع فى اهل الجنة لان فى الانفراد وحشة وعذابا للنفس وذلك انسب بحال اهل النار اعلم ان الاطاعة سبب لنيل المطالب الدنيوية والاخروية ويرشدك على شرف الاطاعة ان كلب اصحاب الكهف لما تبعهم فى طاعة الله وعده الله دخول الجنة * با بدان يار كشت همسر لوط * خاندان نبوتش كم شد * سگ اصحاب كهف روزى چند * پى مردم گرفت ومردم شد * فاذا كان من اتبع المطيعين كذلك فما ظنك بالمطيعين قال حاتم الاصم قدس سره الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة ومن كلامه من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب ومن ادعى محبة الله من غير ورع عن محارم الله فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى عليه السلام من غير محبة الفقرآء فهو كذاب وكلما ازداد العبد فى عبادة الله وطاعته ازداد قربا منه وبعدا من كيد الشيطان قال السرى سألت معروفا الكرخى عن الطائعين لله باى شئ قدروا على الطاعة قال بخروج الدنيا من قلوبهم ولو كانت فى قلوبهم ما صحت لهم سجدة (قال جلال الدين الرومى قدس سره) بند بگسل باش آزاد اى پسر * چند باشى بند سيم وبند زر * هر كه از ديدار برخوردار شد * اين جهان در چشم او مردار شد * ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز * ومن اكرمه الله بمعرفة عظمته

اضطر الى كمال طاعته (حكى) ان شابا من بنى اسرائيل رفض دنياه واعتزل الناس وجعل يتعبد فى بعض النواحى فخرج اليه رجلان من مشايخ قومه ليرداه الى منزله فقالا له يا مسكين اخذت بامر شديد لا صبر عليه فقال لهما الشاب قيامى بين يدى الله اشد من هذا فقالا الا ان كل اقربائك مشتاق اليك فعبادتك فيهم افضل فقال الشاب ان الله تعالى اذا رضى عنى يرضى كل قريب وبعيد فقالا له انت شاب لا تعلم وانا جربنا هذا الامر وانا نخاف العجب فقال لهما الشاب من عرف نفسه لم يضره العجب فنظر احدهما الى صاحبه فقال له قم فان هذا الشاب وجد ريح الجنة ولا يقبل قولنا وعن وهب بن منبه كان داود عليه السلام جعل نوبة عليه وعلى اهله واولاده ولا تمر ساعة من الليل الا وهو يصلى ويذكر ففى مرة تحرك قلبه بالنظر الى طاعته وكان بين يديه نهر فانطق الله ضفدعا فقال والذى اكرمك بالنبوة انه منذ خلقنى الله تعالى وانا قائم على رجل ما استرحت مع انى لا ارجو الثواب ولا اخاف العقاب فما عجبك فيه يا داود فعلم ان المحسن هو الذى يعلم انه مسيء ولا يعجب بطاعته فلا بد للمؤمن من العمل الصالح ومن الصون عما يبطله من رؤيته وسائر الامراض الفاسدة ولذلك كان الكبار يختارون الوحدة قال الامام جعفر الصادق وكذا سفيان الثورى هذا زمان السكوت وملازمة البيوت فقيل لسفيان اذا لازمنا بيوتنا فمن اين يحصل لنا الرزق قال اتقوا الله فان الله يرزق المتقين من غير كسب كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (قال جلال الدين الرومى) بر دل خود كم نه اندیشهٔ معاش * عیش كم نايد تو بردركاه باش (واللاتى) جمع التى (يأتين الفاحشة) الاتيان الفعل والمباشرة والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنى لزيادة قبحه على كثير من القبائح اى اللاتى يفعلن الزنى كائنات (من نسائكم) اى من زوجاتكم (فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) اى فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم (فان شهدوا) عليهن بذلك (فأمسكوهن فى البيوت) فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن (حتى يتوفاهن الموت) اى يأخذهن الموت ويستوفى ارواحهن وفيه تهويل للموت وابراز له فى صورة من يتولى قبض الارواح او يتوفاهن ملائكة الموت (او يجعل الله لهن سبيلا) اى طريقا يخرجن به من الحبس بأن تنكح فانه مغن عن السفاح اى الزنى (واللذان) تثنية الذى (يأتيانها) اى الفاحشة (منكم) هما الزانى والزانية بطريق التغليب قال السدى اريد بهما البكران منهما كما ينبىء عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار (فآذوهما) فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله وذلك بعد الثبوت (فان تابا) عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ (واصلحا) اى لعملهما وغيرا الحال (فأعرضوا عنهما) بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والاصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب (ان الله كان توابا) مبالغا فى قبول التوبة (رحيما) واسع الرحمة واعلم ان الرجل اذا زنى بامرأة وهما محصنان فحدهما الرجم لا غير وان كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وان كان احدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد والمحصن هو ان يكون عاقلا بالغا مسلما حرا دخل بامرأة بالغة عاقلة حرة مسلمة بنكاح صحيح فالرجم كان مشروعا فى التوراة ثم نسخ بآية الايذاء من القرآن ثم صار الايذاء منسوخا بآية الحبس وآية الايذاء وان كانت متأخرة فى الترتيب والنظم الا انها سابقة على الاولى نزولا ثم صار الحبس منسوخا بحديث عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ثم نسخ هذا كله بآية الجلد الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وصار الحد هو الجلد فى كل زان وزانية ثم صار هذا منسوخا بالرجم فى حق المحصن بحديث ماعز رضى الله عنه وبقى غير المحصن فى حكم الجلد وهو الترتيب فى الآيات والاحاديث وعليه استقر الحكم عندنا كذا فى تفسير التيسير فالواجب على كل مسلم ان يتوب من الزنى وينهى الناس عن ذلك فان كل موضع ظهر فيه الزنى ابتلاهم الله بالطاعون ويزيد فقرهم قال ابن مسعود رضى الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم اى قال ان تزنى بحليلة جارك وأشد الزنى ما هو مصر عليه وهو الرجل الذى يطلق امرأته وهو يقيم معها بالحرام ولا يقر عند الناس مخافة ان يفتضح فكيف لا يخاف فضيحة الآخرة يوم تبلى السرائر يعنى تظهر الاسرار فاحذر فضيحة ذلك اليوم واجتنب الزنى ولا تصر عليه فانه لا طاقة

لك مع عذاب الله وتب الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده ان الله كان توابا رحيما (قال مولانا جلال الدين الرومى قدس سره) مركب توبه عجائب مركبست * برفلك تازد بيك لحظه زپست * چون برارند از پشيمانى انين * عرش لرزد از انين المذنبين * عمرا گر بگذشت بيخش اين دم است * آب توبه اش ده اگر او بى نم است * بيخ عمرت را بده آب حيات * تا درخت عمر گردد با نبات * جمله ماضيها ازين نيكو شوند * زهر پارينه ازين گردد چو قند * والاشارة فى تحقيق الايتين ان اللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم هى النفوس الامارة بالسوء والفاحشة ماحرمته الشريعة من اعمال الظاهر وحرمته الطريقة من احوال الباطن وهى الركون الى غير الله قال عليه السلام سعد غيور وانا اغير منه والله اغير مناولهذا حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن فاستشهدوا على النفوس باتيان الفاحشة اربعة منكم اى من خواص العناصر الاربعة التى انتم منها مركبون وهى التراب ومن خواصه الخسة والركاكة والذلة والطمع والمهانة واللوم * والماء ومن خواصه اللين والعجز والكسل والانوثة والشره فى المأكل وفى المشرب * والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والحقد والعداوة والشهوة والزينة * والنار ومن خواصها التجبر والتكبر والفخر والصلف والغضب والحدة وسوء الخلق وغير ذلك مما يتعلق بالاخلاق الذميمة ورأسها حب الدنيا والرياسة واستيفاء لذاتها وشهواتها فان شهدوا اى ظهر بعض هذه الصفات من النفوس فأمسكوهن فى البيوت فاحبسوهن فى سجن المنع عن التمتعات الدنيوية فان الدنيا سجن المؤمن واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمس حتى يتوفاهن الموت اى تموت النفس اذا انقطع عنها حظوظها دون حقوقها والى هذا اشار بقوله عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا او يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيوب فتهب منها الطاف الحق وجذبات الالوهية التى جذبة منها توازى عمل الثقلين واللذان يأتيانها منكم اى النفس والقالب باتيان الفواحش فى ظاهر الافعال والاعمال وباطن الاحوال والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بترك الحظوظ وكثرة الرياضات والمجاهدات فان تابا ظاهرا وباطنا واصلحا الذلك فأعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر فان مع العسر يسرا ان الله كان توابا لمن تاب رحيما لمن اصلح * من تفسير نجم الدين الرازى الكبرى (انما التوبة على الله) اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته (للذين يعملون السوء) اى المعصية صغيرة كانت اوكبيرة فقوله انما التوبة على الله مبتدأ وخبره مابعده (بجهالة) اى يعملون ملتبسين بها اى جاهلين سفهاء فان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته وفى التيسير ليست هذه جهالة عدم العلم لانه ذنب لان ذلك عذر لكنها التغافل والتجاهل وترك التفكر فى العاقبة كفعل من يجهله ولايعلمه (ثم يتوبون من قريب) اى من زمان قريب وهو ماقبل حضور الموت اى قبل ان يغرغروا وسماه قريبا لأن امد الحياة الدنيا قريب قال تعالى قل متاع الدنيا قليل فعمر الدنيا قليل قريب الانقضاء فماظنك بعمر فرد ومن تبعيضية اى يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى مابين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففى اى جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب (فأولئك يتوب الله عليهم) اى يقبل توبتهم (وكان الله عليما) بخلقه يعلم اخلاصهم فى التوبة (حكيما) فى صنعه والحكيم لايعاقب التائب فعلى المؤمن ان يتدارك الزلة بالتوبة والاستغفار ويسارع فى الرجوع الى الملك الغفار (روى) ان جبريل عليه السلام اتاه عند موته فقال يامحمد الرب يقرئك السلام ويقول من تاب قبل موته بجمعة قبلت توبته قال صلى الله عليه وسلم الجمعة كثيرة فذهب ثم رجع وقال قال الله تعالى من تاب قبل موته بساعة قبلت توبته فقال الساعة كثيرة فذهب ثم رجع وقال ان الله يقرئك السلام ويقول ان كان هذا كثيرا فلو بلغ روحه الحلق ولم يمكنه الاعتذار بلسانه واستحيى منى وندم بقلبه غفرت له ولا ابالى قال صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر اى لم يبلغ روحه الحلقوم وعند ذلك يعاين مايصير اليه من رحمة او هوان ولا ينفع حينئذ توبة ولا ايمان قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الارواح وذلك عند غرغرته بالروح وانما يغرغر به اذا قطع الوتين فشخص من الصدر الى الحلقوم فعندها المعاينة وعندها حضور الموت فيجب على الانسان ان يتوب قبل المعاينة والغرغرة وهو معنى قوله تعالى ثم يتوبون من قريب وانما صحت منه التوبة فى هذا الوقت لان الرجاء باق ويصح الندم والعزم على ترك الفعل (قال السعدى)

طريقى بدست آر وصلحى بجوى * شفيعى برانكيزوعذرى بكوى * كه يك لحظه صورت نبندد امان * جو بيمانه برشد بدوروزمان * والتوبة فرض على المؤمنين ولها شروط اربعة الندم بالقلب وترك المعصية فى الحال والعزم على ان لا يعود الى مثلها وان يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفا منه لا من غيره قال الحسن البصرى استغفارنا يحتاج الى استغفار قال القرطبى فى تذكرته هذا يقوله فى زمانه فكيف فى زماننا هذا الذى يرى فيه الانسان مكبا على الظلم حريصا عليه لا يقلع والسبحة فى يده زاعما انه يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف ومن اظلم ممن اتخذ آيات الله هزوا فيلزم حقيقة الندم (روى) ان الملائكة تعرج الى السماء بسيئات العبد فاذا عرضوها على اللوح المحفوظ يجدون مكانها حسنات فيخرون على وجوههم ويقولون ربنا انك تعلم انا ما كتبنا عليه الا ما عمل فيقول الله تعالى صدقتم ولكن عبدى ندم على خطيئته واستشفع الى بدمعه فغفرت ذنبه وجدت عليه بالكرم وانا اكرم الاكرمين (قال مولانا جلال الدين قدس سره) اخر هر كريه آخر خنده ايست * مرد اخر بين مبارك بنده ايست * هركجا آب روان سبزه بود * هركجا اشك روان رحمت شود * تانكريد طفل كى جوشد لبن * تانكريد ابركى خندد جمن * قال احمد بن عبد الله المقدسى سألت ابراهيم بن ادهم عن بدء حاله فقال نظرت من شباك قصرى فرأيت فقيرا بفناء القصر قد اكل الخبز بالماء والملح ثم نام فدعوته وقلت له قد شبعت وتهيأت للنوم قال نعم فتبت الى الله ولبست الدلق مسوحا وقلنسوة من صوف وخرجت حافيا الى مكة واعلم ان الله اذا اراد بعبد خيرا اصطفاه لنفسه وجعل فى قلبه سراجا يفرق بين الحق والباطل ويبصر عيوب نفسه حتى يترك الدنيا وحطامها ويلقى عليها زمامها (قال جلال الدين الرومى) ملك برهم زن تو ادهم وار زود * تا بيابى همجو او ملك خلود * اين جهان خوجبس جانهاى شماست * هين رويد آن سو كه صحراى شماست (قال العطار قدس سره) نقاب از روى جون خورشيد بردار * اكر هستى زروى خود خبردار * زكوه قاف جسمانى كذركن * بدار الملك روحانى سفركن * مشو مغرور اين ملك مزور * نه عزت ماند ونه مال ونه زر * اكر رنكت فروشو يند زر خسار * خريدارت نباشد كس بيازار * عصمنا الله واياكم من الركون الى الدنيا وموت القلب بالاصرار على الهوى فى الصبح والمساء (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) اى الذنوب (حتى اذا حضر احدهم الموت) اى وقع فى سكرات الموت وشاهد ملك الموت سوى علامانه فان التوبة تقبل فيها (قال) عند النزع ومشاهدة ما فيه (انى تبت الآن) من ذنوبى يعنى لا يقبل التوبة منه ثمة لانها حالة الاضطرار دون حالة الاختيار (ولا الذين يموتون) عطف على الذين يعملون السيئات اى ليست التوبة للذين ماتوا (وهم كفار) مصرون على كفرهم اذا تابوا عند قرب الموت او عند معاينة العذاب فى الآخرة (اولئك) اى الفريقان (اعتدنا) اصله اعددنا ابدلت الدال الاولى تاء (لهم عذابا اليما) اى هيأنا لهم عذابا وجيعا دائما اعلم ان الله تعالى سوى بين من سوف التوبة واخرها الى حضور الموت من الفسقة وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة كأنه قال توبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء فى انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان الميت على الكفر قد فاته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لعدم محلها وتلك التوبة لكيلا يهمل المذنب فى امر التوبة ولا يتهاون العاقل فى المسارعة الى طلب المغفرة (قال جلال الدين الرومى قدس سره) كرسيه كردى تو نامه عمر خويش * توبه كن زانها كه كردستى تو بيش * توبه آريد و خدا توبه بذير * امر او كيريد او نعم الامير * واذا هب من الله رياح العناية تجد العبد يسرع الى التوبة ويعد نفسه الى اسبابها ويتأثر بشئ يسير فيتوب عن قبح معاملته قال ابو سليمان الدارانى اختلفت الى مجلس قاص فأثر فى قلبى كلامه فلما قمت لم يبق فى قلبى شئ فعدت ثانيا فبقى أثر كلامه فى قلبى حتى رجعت الى منزلى وكسرت آلة المخالفات ولزمت الطريق فحكى هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركيا اراد بالعصفور ذلك القاص وبالكركى اباسليمان * مرد بايد كه كيرد اندر كوش * ورنوشته است بند بر ديوار * قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم فمسارعة المذنب بالتوبة وترك الاصرار والرجوع الى باب الملك الغفار ومسارعة المطيع بالاجتناب عن السيئات وزيادة الخيرات والحسنات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب اليمين امين على صاحب الشمال فاذا عمل العبد حسنة يكتب له صاحب اليمين عشرا * نكوكارى از مردم نيك راى *

بكى رابده مى تو بسد خداى * واذا عمل سيئة واراد صاحب الشمال ان يكتب قال صاحب اليمين امسك فيمسك ست ساعات اوسبع ساعات فان استغفر فيها لم يكتب عليه وان لم يستغفر كتب سيئة واحدة فالواجب على كل مسلم ان يتوب الى الله حين يصبح وحين يمسى ولا يؤخرها قال ابو بكر الواسطى قدس سره التأنى فى كل شئ حسن الا فى ثلاث خصال عند وقت الصلاة وعند دفن الميت والتوبة عند المعصية وكان فى الامم الماضية اذا اذنبوا احرم عليهم حلال واذا اذنب واحد منهم ذنبا وجد على بابه اوعلى جبهته مكتوبا ان فلان ابن فلان قد اذنب كذا وتوبته كذا فسهل الله الامر على هذه الامة فقال ومن يعمل سوأ اويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (روى) ان الله لما لعن ابليس سأله النظرة فأنظره اى امهله الى قيام الساعة فقال انظر ماذا ترى فقال وعزتك لا اخرج من صدر عبدك حتى تخرج نفسه فقال الرب وعزتى وجلالى لا أحجب التوبة عن عبدى حتى تخرج نفسه فانظر الى رحمة الله ورأفته على عباده انه سماهم مؤمنين بعد ما اذنبوا فقال وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون وأحبهم بعد التوبة فقال ان الله يحب المتطهرين (قال الحافظ) بمهلتى كه سپهرت دهد زراه مرو * ترا كه كفت كه اين زال ترك دستان كفت * فينبغى ان لا يغتر الانسان بشئ من الاشياء فى حال من الاحوال فانه وان كان يمهل ولكن لا يهمل فان الموت يجيئ البتة اذا فنى العمر وامتلأ الاناء (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) مصدر فى موضع الحال من النساء كان الرجل اذا مات قريبه يلقى ثوبه على امرأته اوعلى خبائها ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل أحد ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيأ وان شاء عضلها اى حبسها وضيق عليها لتفتدى بما ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهى احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك (ولا تعضلوهن) عطف على ترثوا ولا لتأكيد النفى والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق وداء عضال ممتنع عسر العلاج وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن اى لا تضيقوا عليهن (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) اى من الصداق بأن يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) من بين بمعنى تبين اى القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء اى الفحش والسلاطة اى حدة اللسان اوالفاحشة الزنى وهو استثناء من اعم الاحوال اواعم الاوقات اواعم العلل اى ولا يحل لكم عضلهن فى حال من الاحوال اوفى وقت من الاوقات اولعلة من العلل الا فى حال اتيانهن بفاحشة اوالا فى وقت اتيانهن بها اوالا لاتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون فى طلب الخلع (وعاشروهن بالمعروف) خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف مالا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة فى المبيت والنفقة والاجمال فى القول ونحو ذلك (فان كرهتموهن) وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير أن يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن (فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) والمراد بالخير الكثير ههنا الولد الصالح او المحبة والألفة والصلاح فى الدين وهو علة للجزاء أقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كأنه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر أى فقد قربت كراهتك شيأ وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ماهو اصلح فى الدين وأحمد عاقبة وأدنى الى الخير وتحب ماهو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم اعلم أن معاشرتهن بالمعروف والصبر عليهن فيما لا يخالف رضى الله تعالى والا فالرد من مواضع الغيرة واجب فان الغيرة من اخلاق الله وأخلاق الانبياء والاولياء قال عليه السلام أتعجبون من غيرة سعد وأنا اغير منه والله أغير منى ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن اى ما كان من اعمال الظاهر وهو ظاهر واحوال الباطن وهو الركون الى غير الله والطريق المنبئ عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال ولا تخرج هى الى الاسواق دون الحمام قال الامام قاضى خان دخول الحمام مشروع للرجال والنساء خلافا لما قاله البعض (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الحمام وتنور وخالد

ابن الوليد دخل حمام حمص لكن انما يباح اذا لم يكن فيه انسان كشف العورة انتهى والناس فى زماننا لا يمتنعون عن كشف العورة اعاليهم واسافلهم فالمتقى يجتنب عن الدخول فى الحمام من غير عذر والحاصل ان المرأة اذا برئت من مواقع الخلل واتصفت بالعفة فعلى الزوج ان يعاشرها بالمعروف ويصبر على سائر اوضاعها وسوء خلقها وخلقها بخلاف ما اذا كانت غير ذلك (قال الشيخ السعدى قدس سره) چو مستور باشد زن خوبروى * بديدار او در بهشت است شوى * اكر پارسا باشد وخوش سخن * نكه در نكوبى وزشتى مكن * چو زن راه بازار كيرد بزن * وكرنه تو در خانه بنشين چو زن * ز بيكانكان چشم زن كور باد * چو بيرون شد از خانه در كور باد * شكوهى نماند دران خاندان * كه بانك خروس آيد ازما كيان * كريز از كفش دردهان نهنك * كه مردن به از زندكانى به تنك * ثم اعلم ان معاملة النساء اصعب من معاملة الرجال لانهن ارق دينا واضعف عقلا واضيق خلقا فحسن معاشرتهن والصبر عليهن مما يحسن الاخلاق فلاجرم يعد الصابر من المجاهدين فى سبيل الله وكان عليه السلام يحسن المعاشرة مع ازواجه المطهرة (روى) ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت وعرض عليه التزوج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبى قال فرأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها كأن ابواب السماء قد فتحت وكأن رجالا ينزلون ويسيرون فى الهوآء يتبع بعضهم بعضا وكلما نظر الى واحد منهم يقول لمن وراءه هذا هو المشؤم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك فخفت ان اسألهم الى ان مر بى آخرهم فقلت له من هذا المشؤم قال أنت قال فقلت ولم قال كنا نرفع عملك مع اعمال المجاهدين فى سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فلا ندرى ما احدثت فقال لاخوانه زوجونى فلم يكن يفارقه زوجتان او ثلاث وكثرة النساء ليست من الدنيا لان الزهاد والعباد كانوا يتزوجون ثلاثا واربعا قال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة قال بعض ارباب الاحوال كنت بمجلس بعض القصاص فقال ما سلم احد من الهوى ولا فلان وسمى بمن لا يليق ذكره فى هذا المقام لعظم الشان فقلت اتق الله فقال ألم يقل حبب الى فقلت ويحك انما قال حبب ولم يقل احببت قال ثم خرجت بالهم فرأيت النبى عليه السلام فقال لا تهتم فقد قتلناه قال فخرج ذلك القاص الى بعض القرى فقتله بعض قطاع الطريق فقال بعض العلماء اكثاره عليه السلام فى امر النكاح بفعل بواطن الشريعة قال الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول الانبياء زيدوا فى القوة بفضل نبوتهم وذلك ان النور اذا امتلأت منه الصدور ففاض فى العروق التذت النفس والعروق فأثار الشهوة وقواها واما الطيب فانه يزكى الفؤاد ويقوى القلب واصل الطيب انما خرج من الجنة بهبوط آدم منها بورقة تستر بها فتركت عليه واما الصلاة فهى مناجاة الله كما قال عليه السلام المصلى يناجى ربه فاذا عرفت حقيقة الحال فاياك والانكار فان كل عمل عند الاخيار له سر من الاسرار ولكن عقول العوام لا تحيط به وان عاشوا ألف عام (قال مولانا جلال الدين قدس سره) از محقق تا مقلد فرقهاست * كين چو داود است وآن ديكر صداست * كار درويشى وراى فهم تست * سوى درويشان بمنكر سست سست (وان اردتم استبدال زوج) اى تزوج امرأة ترغبون فيها (مكان زوج) ترغبون عنها بأن تطلقوها (وآتيتم احداهن) اى احدى الزوجات فالمراد بالزوج هو الجنس (قنطارا) اى مالا كثيرا (فلا تأخذوا منه) اى ذلك القنطار (شيأ) يسيرا فضلا عن الكثير (أتأخذونه) اى شيأ منه (بهتانا) باهتين او مفعول له اى للبهتان والظلم العظيم فان احدهم كان اذا تزوج امرأة فأعجبه غيرها واراد ان يتزوجها بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزويج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان فى اللغة الكذب الذى يواجه الانسان به صاحبه على جهة المكابرة واصله من بهت الرجل اذا تحير فالبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل فى الفعل الباطن ولذلك فسر ههنا بالظلم (واثما مبينا) اى آثمين عيانا او للذنب الظاهر (وكيف تأخذونه) اى لأى وجه ومعنى تفعلون هذا (وقد) والحال انه قد (افضى بعضكم الى بعض) قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك (واخذن منكم ميثاقا غليظا) عطف على ما قبله داخل فى حكمه اى أخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة والمعاشرة اوما اوثق الله عليكم فى شأنهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح بأحسان اوما اشار اليه النبى عليه

السلام بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله اعلم ان هذه المعاملات من تضييق النساء ومنعهن من الازواج واخذ ما فى ايديهن ظلما بعد ما اخذن ميثاقا غليظا فى رعاية حقوقهن كلها وامثالها ليست من امارة الايمان ونتائجه وثمراته لان المؤمن اخ المؤمن لا يظلمه ولا يشتمه قال عليه السلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقال الدين النصيحة وقد صرح بنفى الايمان عمن لا يحب لاخيه ما يحب لنفسه قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه من الخير * هر آنكه تخم بدى كشت وچشم نيكى داشت * دماغ بيهده بخت وخيال باطل بست * ز گوش پنبه برون آرو داد خلق بده * اگر تو مى ندهى دادرو زدادى هست * فعلى المرء ان يتصف فى جميع احواله للاجانب خصوصا الاقارب والازواج فان تحرى العدل اهم من الواجبات واعلم ان الآية لا دلالة فيها على جواز المغالاة فى المهر لان قوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا لا يدل على جواز ايتاء القنطار كما ان قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لا يدل على حصول الآلهة والحاصل انه لا يلزم من جعل الشئ شرطا لشئ آخر كون ذلك الشرط فى نفسه جائز الوقوع كذا قال الامام فى تفسيره ويؤيده ما قيل فى مرشد المتأهلين ان المرأة التى يراد نكاحها يراعى فيها خفة المهور قال صلى الله عليه وسلم خير نسائكم احسنهن وجوها وارخصهن مهورا وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه على عشرة دراهم واثاث البيت وكان رحى وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف وفى الخبر من بركة المرأة سرعة تزوجها وسرعة رحمها الى الولادة ويسر مهرها ولا بد للرجل ان يوفيها صداقها كملا او ينوى ذلك فمن نوى ان يذهب بصداقها جاء يوم القيامة زانيا كما ان من استدان دينا وهو ينوى ان لا يقضيه يصير سارقا ولا يماطل مهرها الا ان يكون فقيرا او تؤجله المرأة طوعا ويعلمها احكام الطهارة والحيض والصلاة وغير ذلك بقدر ما تؤدى به الواجب ويلقنها اعتقاد اهل السنة ويردها عن اعتقاد اهل البدعة وان لم يعلم فليسأل ولينقل اليها جواب المفتى وان لم يسأل فلا بد لها من الخروج للسؤال ومتى علمها الفرائض فليس لها الخروج الى تعلم او مجلس ذكر الا برضاه فمهما اهمل المرء حكما من احكام الدين ولم يؤد بها ولم يعلمها ومنعها عن التعلم شاركها فى الاثم وفى الحديث اشد الناس عذابا يوم القيامة من اجهل اهله قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾ ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقوله من النساء بيان لما نكح واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك اى لا تنكحوا التى نكحها آباؤكم ﴿الا ما قد سلف﴾ استثناء مما نكح مفيد للمبالغة فى التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال اى لا تنكحوا حلائل آبائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴿انه﴾ اى نكاحهن ﴿كان فاحشة﴾ اى فعلة قبيحة ومعصية شديدة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ﴿ومقتا﴾ ممقوتا عند ذوى المروءات والمقت اشد البغض ﴿وساء سبيلا﴾ نصب على التمييز اى بئس السبيل سبيل من يراه ويفعله فانه يؤدى صاحبه الى النار قيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلى واليه اشير بقوله انه كان فاحشة والقبح الشرعى واليه اشير بقوله مقتا والقبح العادى واليه الاشارة بقوله وساء سبيلا ومتى اجتمعت فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح والاشارة فى الآية ان الآباء هى العلويات والامهات هى السفليات وبازدواجهما خلق الله تعالى المتولدات منهما فيما بينهما ففى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء اشارة الى نهى التعلق والتصرف فى السفليات التى هى الامهات المتصرفة فيها آباؤكم العلوية الا ما قد سلف من التدبير الالهى فى ازدواج الارواح والاشباح فالحاجات الضرورية للانسان مستثناة به انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا يعنى التصرف فى السفليات والتعلق بها والركون اليها مما يلوث الجوهر الروحانى بلوث الصفات الحيوانية ويجعله سفلى الطبع بعيدا عن الحضرة محبا للدنيا ناسيا للرب ممقوتا للحق وساء سبيلا الى الهداية بالضلالة ﴿قال الحافظ﴾ غلام همت آنم كه زير چرخ كبود * ز هر چه رنگ تعلق پذيرد آزاد است ﴿قال مولانا الجامى﴾ اى كه در شرع خداوندان حال * مى كنى از سنت وفرضم سؤال * سنت آمد دل ز دنيا تافتن * فرض راه قرب مولا يافتن * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقرب الناس مجلسا الى الله يوم القيامة من طال حزنه وجوعه فى الدنيا افترش الناس الفراش وافترش الارض فالراغب من رغب فى مثل ما رغبوا والخاسر من خالفهما كانوا الشعير ولبسوا الخرق وخرجوا من الدنيا

المين (قال مولانا جلال الدين) هركه مجبو بست اوخود كود كيست * مردآن باشدكه بيرون ازشكيست
اى خنك آنكه جهادى ميكند * بربدن زجرى ودادى ميكند * اى بساكارا كه اول صعب كشت *
بعدازان بكشاده شد سختى كذشت * اندرين ره مى تراش ومى خراش * تادمى آخردمى فارغ مباش *
قال ابو على الدقاق رحمه الله من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سريرته بالمشاهدة قال الله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واعلم ان من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة قال
ابو الحسن الوراق كان اجل احكامنا فى مبادى امرنا فى مسجد ابى عثمان الايثار حتى يفتح علينا وان لانبيت
على معلوم ومن استقبلنا بمكروه لاننتقم لانفسنا بل نعتذر اليه ونتواضع له واذا وقع فى قلوبنا حقارة لاحدقنا
فى خدمته والاحسان اليه حتى يزول قال ابو حفص ما اسرع هلاك من لايعرف عيبه فان المعاصى بريد الكفر
عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت * كه كناه دكران برتونخواهند نوشت * من اكرنيكم
وكربد تو برو خود راباش * هركسى آن درود عاقبت كاركه كشت (حرمت عليكم امهاتكم)
اى نكاحهن لان المفهوم فى العرف من حرمة كل شئ ماهو الغرض المقصود منه فيفهم من تحريم النساء
تحريم نكاحهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله والامهات تعم الجدات
وان علون من الاب والام اومن قبل احدهما (وبناتكم) الصلبية وبنات الاولاد وان سفلن (واخواتكم) من
قبل الاب والام اومن قبل احدهما فيتضمن الاخوات من الجهات الثلاث واعلم ان حرمة الامهات والبنات كانت
ثابتة من زمن آدم عليه السلام الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن فى شئ من الاديان الالهية بل ان
زرادشت رسول المجوس قال بحله الا ان اكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذابا اما نكاح الاخوات فقد نقل
ان ذلك كان مباحا فى زمن آدم عليه السلام وانما حكم الله باباحة ذلك على سبيل الضرورة وذكر العلماء
ان السبب لهذا التحريم ان الوطئ اذلال واهانة فان الانسان يستحيى من ذكره ولا يقدم عليه الا فى الموضع
الخالى واكثر انواع الشتم لايكون الا بذكره واذا كان الامر كذلك وجب صون الامهات عنه لان انعام
الام على الولد اعظم وجوه الانعام فوجب صونها عن هذا الاذلال والبنت جزء من الانسان وبعض منه فيجب
صونها عن هذا الاذلال لان المباشرة معها تجرى مجرى الاذلال وكذا القول فى البقية ذكره الامام فى تفسيره
(وعماتكم) العمة كل انثى ولدها من ولد والدك قريبا اوبعيدا (وخالاتكم) الخالة كل انثى ولدها من ولد
والدتك قريبا اوبعيدا يعنى العمات ثم اخوات الآباء والاجداد وكذا الخالات ثم اخوات الامهات والجدات
سواء كن من قبل الاب والام اومن قبل احدهما (وبنات الاخ وبنات الاخت) من كل جهة ونوافلهما
وان بعدت واعلم ان الله تعالى نص على تحريم اربعة عشر صنفا من النسوان سبع منهن من جهة النسب وهن
هذه المذكورات وسبع اخرى من جهة السبب والى تعدادها شرع فقال (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة) اى حرم نكاح الامهات والاخوات كلتاهما من الرضاعة كما حرمتا من النسب
نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه
وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام
المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها
من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
وهو حكم كلى جارى على عمومه واما أم أخيه لاب وأخت ابنه لام وام أم ابنه وام عمه وام خاله لاب
فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه ضرورة حلهن فى صور الرضاع بل من جهة المصاهرة
الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح
والخامسة موطوءة جده الفاسدة (وامهات نسائكم) المراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء
كن مدخولا بهن ام لا وعليه جمهور العلماء وقد روى عن النبى عليه السلام انه قال فى رجل تزوج امرأة ثم طلقها
قبل الدخول بها انه لا بأس بأن يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها ويلحق بهن الموطوءات بوجه من
الوجوه المعدودات فيما سبق آنفا والممسوسات ونظائرهن وامهات ثم المرضعات كما تعم الجدات (وربائبكم
اللاتى فى حجوركم) اى حرم نكاح الربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده

فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية قال الام والحجور جمع حجر وفيه لغتان قال ابن السكيت حجر الانسان وحجره بالفتح والكسر هو ما يجمع على فخذيه من ثوبه والمراد بقوله فى حجوركم اى فى تربيتكم يقال فلان فى حجر فلان اذا كان فى تربيته والسبب فى هذه الاستعارة ان كل من ربى طفلا اجلسه فى حجره فصار الحجر عبارة عن التربية كما يقال فلان فى حضانة فلان واصله من الحضن الذى هو الابط ثم ان كون التربية فى حجر الراب ليس بشرط للحرمة عند جمهور العلماء والوصف فى الآية خرج على الاغلب لانهن كن لا يتزوجن غالبا اذا كانت لهن اولاد كبار ويتزوجن مع الاولاد الصغار ليستعن بالازواج على تربية الاولاد فخرج الكلام مخرج الغالب لا على الاشتراط كما فى قوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد والمباشرة فى غير المساجد حالة الاعتكاف حرام ايضا (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) اى كائنة تلك الربائب من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فمن متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهى كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفى حكم الدخول اللمس ونظائره (فان لم تكونوا) اى فيما قبل (دخلتم بهن) اصلا (فلا جناح عليكم) اى فى نكاح الربائب اذا فارقتموهن اى امهاتهن اومتن وهو تصريح بما اشعر به ما قبله (وحلائل ابنائكم) اى وحرم عليكم زوجات ابنائكم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها فى محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفى حكمهن مزنياتهم ومن يجرى مجراهن من الممسوسات ونظائرهن (الذين من اصلابكم) لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا فى حكم الابناء الصلبية فالمتبنى اذا فارق امرأته يجوز للمتبنى نكاحها وقد تزوج النبى عليه السلام زينب ابنة جحش الاسدية بنت عمته اميمة ابنة عبد المطلب حين فارقها زيد ابن حارثة وكان قد تبناه وادعاه ابنا فعيره المشركون بذلك لان المتبنى فى ذلك الوقت كان بمنزلة الابن فأنزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم (وان تجمعوا بين الاختين) اى وحرم عليكم الجمع بين الاختين فى النكاح لا فى ملك اليمين واما جمعهما فى الوطئ بملك اليمين فيلحق به بطريق الدلالة لاتحادهما فى المدار (الا ما قد سلف) استثناء منقطع اى لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به (ان الله كان غفورا) لمن فعل ذلك فى الجاهلية (رحيما) لمن تاب من ذنوبه واطاع لامر ربه فى الاسلام (والمحصنات) هن ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء اى عفهن عن الوقوع فى الحرام وقد ورد الاحصان فى القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج كما فى هذه الآية والثانى العفة كما فى قوله محصنين غير مسافحين والثالث الحرية كما فى قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما فى قوله فاذا احصن قيل فى تفسيره اى اسلمن وهى معطوفة على المحرمات السابقة اى وحرم عليكم ذوات الازواج كائنات (من النساء) وفائدته تأكيد عمومها ودفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم (الا ما ملكت ايمانكم) يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتى سبين ولهن الازواج فى دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين ان كن محصنات قال نجم الدين الكبرى قدس سره ان الله تعالى حرم المحصنات من النساء على الرجال عفة للحضانة وصحة للنسب ونزاهة لعرض الرجال عن خسة الاشتراك فى الفراش علوا للهمة فان الله يحب معالى الامور ويبغض سفسافها وقال الا ما ملكت ايمانكم يعنى ملكتم بالقوة والغلبة على ازواجهن من الكفار واقتطاعهن من حيز الاشتراك وافساد نسب الاولاد وتخليطه ولهذا اوجب الشرع فيها الاستبراء بحيضة (كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا (واحل لكم) عطف على حرمت عليكم وتوسيط قوله كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة فى الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة (ما وراء ذلكم) اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اى احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا وخص منه بالسنة ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها (ان تبتغوا) متعلق بالفعلين المذكورين اى حرمت واحل على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما واظهارهما اى بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا النساء اى تطلبوهن (باموالكم) بصرفها الى مهورهن او اثمانهن (محصنين) حال من فاعل تبتغون والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب (غير مسافحين) حال ثانية منه والسفاح الزنى والفجور من السفح الذى هو صب المنى سمى به لانه الغرض منه

ومفعول الفعلين محذوف اى محصنين فروجكم غير مسافحين الزوانى وهى فى الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة والمعنى لاتضيعوا اموالكم فى الزنى لئلا يذهب دينكم ودنياكم ولكن تزوجوا بالنساء فهو خير لكم وذكر الاموال يدل على ان غير المال لايصلح مهرا وان القليل لايكفى مهرا فان الدرهم ونحوه لايسمى مالا ثم هو عندنا لايكون اقل من عشرة دراهم قال صلى الله عليه وسلم لامهر اقل من عشرة (فما استمتعتم به منهن) اى فالذى استمتعتم به من النساء بالنكاح الصحيح من جماع اوخلوة صحيحة اوغير ذلك (فآتوهن اجورهن) مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به) اى فى ان تراضيتم بعد النكاح على زيادة المهر من جانب الزوج اوعلى الحط من المهر من جانب الزوجة وان تهب لزوجها جميع مهرها (من بعد الفريضة) اى بعد المفروضة للزوجة (ان الله كان عليما) بمصالح العباد (حكيما) فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم اعلم ان المحرم عندنا من حرم نكاحه على التأبيد بنسب اومصاهرة اورضاع ولو بوطئ حرام فخرج بالاول ولد العمومة والخؤولة وبالثانى اخت الزوجة وعمتها وخالتها وشمل ام المزنى بها وبنتها واباالزانى وابنه واحكامه تحريم النكاح وجواز النظر والخلوة والمسافرة الا المحرم من الرضاع فان الخلوة بها مكروهة وكذا بالصهرة الشابة وحرمة النكاح على التأبيد لامشاركة للمعرم فيها فان الملاعنة تحل اذا كذب نفسه اوخرج من اهلية الشهادة والمجوسية تحل بالاسلام اوتهودها اوتنصرها والمطلقة ثلاثا بدخول الثانى وانقضاء عدته ومنكوحة الغير بطلاقها وانقضاء عدتها ومعتدة الغير بانقضائها وكذا لامشاركة للمحرم فى جواز النظر والخلوة والسفر واما عبدها فكالاجنبى على المعتمد لكن الزوج يشارك المحرم فى هذه الثلاثة والنساء الثقات لايقمن مقام المحرم والزوج فى السفر ويختص المحرم النسيب بأحكام منها عتقه على قريبه لوملكه ولايختص بالاصل والفرع ومنها وجوب نفقة الفقير العاجز على قريبه الغنى فلا بد من كونه رحما من جهة القرابة فابن العم والاخ من الرضاع لايعتق ولاتجب نفقته ويغسل المحرم قريبه ومنها انه لايجوز التفريق بين صغير ومحرم ببيع اوهبة الافى عشر مسائل ومنها ان المحرمية مانعة من الرجوع فى الهبة وتختص الاصول والفروع من بين سائر المحارم بأحكام منها انه لايقطع احدهما بسرقة مال الآخر ومنها لايقضى ولايشهد احدهما للآخر ومنها تحريم موطوءة كل منهما على الآخر ولو بزنى ومنها تحريم منكوحة كل منهما على الآخر بمجرد العقد ومنه الابد خلون فى الوصية للاقارب وتختص الاصول بأحكام منها لايجوز له قتل اصله الحربى الادفعا عن نفسه وان خاف رجوعه ضيق عليه والجأه ليقتله غيره وله قتل فرعه الحربى كمحرمه ومنها لايقتل الاصل بفرعه ويقتل الفرع بأصله ومنها لايحد الاصل بقذف فرعه ويحد الفرع بقذف اصله ومنها لاتجوز مسافرة الفرع الاباذن اصله دون عكسه ومنها الولد عى الاصل ولد جارية ابنه ثبت نسبه والجد أب الاب كالاب عند عدمه بخلاف الفرع اذا ادعى ولد جارية اصله لم يصح الابتصديق الاصل ومنها لايجوز الجهاد الاباذنهم بخلاف الاصول لايتوقف جهادهم على اذن الفروع ومنها لاتجوز المسافرة الاباذنهم ان كان الطريق مخوفا والا فان لم يكن ملتحيا فكذلك والافلا ومنها اذا دعا احد ابويه فى الصلاة وجبت اجابته الا أن يكون عالما بكونه فيها ولم ار حكم الاجداد والجدات وينبغى الالحاق ومنها كراهة حجه بدون اذن من كرهه من ابويه ان احتاج الى خدمته ومنها جواز تأديب الاصل فرعه والظاهر عدم الاختصاص بالأب فالأم والاجداد والجدات كذلك ومنها تبعية الفرع للاصل فى الاسلام ومنها لايحبسون بدين الفرع والاجداد والجدات كذلك واختصت الاصول الذكور بوجوب الاعفاف واختص الأب والجد لأب باحكام منها ولاية المال فلاولاية للام فى مال الصغير الا الحفظ وشراء مالابد منه للصغير ومنها تولى طرفى العقد فلو باع الأب ماله من ابنه اواشترى وليس فيه غبن فاحش انعقد بكلام واحد ومنها عدم خيار البلوغ فى تجويز الأب والجد فقط واما ولاية الانكاح فلا تختص بهما فتثبت لكل ولى سواء كان عصبة اومن ذوى الأرحام وكذا الصلاة فى الجنازة لاتختص بهما وفى الملتقط من النكاح لوضرب المعلم الولد باذن الأب فهلك لم يغرم الاان يضربه ضربا لايضرب مثله ولوضرب باذن الأم غرم الدية اذاهلك والجد كالأب عند فقده الافى ثنتى عشرة مسألة (فائدة) يترتب على النسب اثناعشر حكما توريث المال والولاء وعدم صحة الوصية عند المزاحمة ويلحق بهما الاقرار بالدين فى مرض موته وتحمل

الدية وولاية التزويج وولاية غسل الميت والصلاة عليه وولاية المال وولاية الحضانة وطلب الحد وسقوط القصاص هذا كله من الاشباه والنظائر نقلته ههنا لفوائده الكثيرة وملاءمته المحل على مالا يخفى (ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات) من لم يستطع اى من لم يجد كما يقول الرجل لااستطيع ان احج اى لا اجد مااحج به ومنكم حال من فاعل يستطيع اى حال كونه منكم والطول القدرة وانتصابه على انه مفعول يستطيع وان ينكح فى موضع النصب على انه مفعول القدرة والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان والمعنى ومن لم يجد طول حرة اى ما يتزوج به الحرة المسلمة (فمما ملكت ايمانكم) فلينكح امرأة اوامة من النوع الذى ملكته ايمانكم (من فتياتكم المؤمنات) حال من الضمير المقدر فى ملكت الراجع الى ما اى من امائكم المسلمات والفتاة اصلها الشابة والفتاء بالمد الشباب والفتى الشاب والامة تسمى فتاة والعبد يسمى فتى وان كانا كبيرين فى السن لانهما لايوقران للرق توقير الكبار ويعاملان معاملة الصغار (والله اعلم بايمانكم) تأنيس بنكاح الاماء وازالة الاستنكاف منه اى اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم فى الايمان فربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة وايمان المرأة من ايمان الرجل فلا ينبغى للمؤمن ان يطلب الفضل والرجحان الا باعتبار الايمان والاسلام لا بالاحساب والانساب (بعضكم من بعض) انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام كما قيل (الناس من جهة التمثال اكفاء * ابوهمو آدم والام حواء) فبينكم وبين ارقائكم المواخاة الايمانية والجنسية الدينية لا يفضل حر عبدا الا برجحان فى الايمان وقدم فى الدين (فانكحوهن باذن اهلهن) اى واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفى اشتراط اذن الموالى دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له (وآتوهن اجورهن بالمعروف) اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتداء واللزاى المضايقة والالحاح (محصنات) حال من مفعول فانكحوهن اى حال كونهن عفائف عن الزنى (غير مسافحات) حال مؤكدة اى غير مجاهرات به والمسافح الزانى من السفح وهو صب المنى لان غرضه مجرد صب الماء (ولا متخذات اخدان) جمع خدن وهو الصديق سرا والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اى غير مجاهرات بالزنى ولا مسرات له وكان زناهن فى الجاهلية من وجهين السفاح وهو بالاجر من الراغبين فيه والمخادنة وهى مع صديق لها على الخصوص وكان الاول يقع اعلانا والثانى سرا وكانوا لا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية ولذا افرد الله كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على حرمتهما معا (فاذا احصن) اى بالتزويج (فان اتين بفاحشة) اى فعلن فاحشة وهى الزنى (فعليهن) فثابت عليهن شرعا (نصف ما على المحصنات) اى الحرائر الابكار (من العذاب) من الحد الذى هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف وجعلوا حد العبد مقيسا على الامة والجامع بينهما الرق والاحصان عبارة عن بلوغ مع عقل وحرية ودخول فى نكاح صحيح واسلام خلافا للشافعى فى الاسلام (ذلك) اى نكاح المملوكات عند عدم الطول (لمن خشى العنت منكم) اى خاف الزنى وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر اعظم من موافقة الاثم بأفحش القبائح وانما سمى الزنى به لانه سبب المشقة بالحد فى الدنيا والعقوبة فى العقبى (وان تصبروا) اى عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصى (خير لكم) من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق ولان حق المولى فيها فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيف ما يريد فى السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادى وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هى اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بالرخصة والتوسعة فنكاح الامة عند الطول والقدرة على نكاح الحرة لا يحل عند الشافعى وعند الحنفية يحل ما لم يكن عنده امرأة حرة ومحصله ان الشافعى اخذ بظاهر الآية وقال لا يجوز نكاح الامة الا بثلاثة شرائط اثنان فى الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت والثالث فى المنكوحة

وهى ان تكون امة مؤمنة لا كافرة كتابية وعند ابى حنيفة شئ من ذلك ليس بشرط فهو حمل عدم استطاعة الطول على عدم ملك فراش الحرة بأن لا يكون تحته حرة فحينئذ يجوز نكاح الامة وحمل النكاح على الوطئ وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل اى نكاح الامة المؤمنة افضل من نكاح الكتابية فجعله على الندب واستدل عليه بوصف الحرآئر مع كونه ليس بشرط قال فى التيسير واما قوله من فتياتكم المؤمنات ففيه اباحة المؤمنات وليس فيه تحريم الكتابيات فالغنى والفقير سوآء فى جواز نكاح الامة سوآء كانت مؤمنة او يهودية اونصرانية اعلم ان النكاح من سنن المرسلين وشرعة المخلصين الا ان الحال يختلف فيه باختلاف احوال الناس فهو واجب بالنسبة الى صاحب التوقان ومستحب بالنسبة الى من كان فى حد الاعتدال ومكروه بالنسبة الى من عجز عن الوقاع والانفاق قال فى الشرعة وشرحها ويختار للتزوج المرأة ذات الدين فان المرأة الصالحة خير متاع الدنيا فان بها يحصل تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكلف بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاوانى وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعسر عليه العيش فى منزله وحده اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاعت اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل معينة على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال ابو سليمان الدارانى الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة (قال الشيخ السعدى) زن خوب فرمان بر پارسا * كند مرد درويش را پادشا * سفر عيد باشد بران كدخداى * كه يارى زشتش بود در سراى * ثم ان بعضهم اختاروا البكر وقالوا انها تكون لك فاما الثيب فان لم يكن لها ولد فنصفها لك وان كان لها ولد فكلها لغيرك تاكل رزقك وتحب غيرك والحاصل ان اختيار نكاح المملوكات رخصة والصبر عنه عزيمة ولا ريب ان العزيمة اولى لانه بالصبر يترقى العبد الى الدرجات العلى وفى الخبر يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله تعالى جزآء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له أترضى ان نجزيك جزآء الشاكرين فيقول نعم يارب فيقول الله كلا انعمت عليك فشكرت وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزآء الشاكرين وقد يجمع العبد فضيلتى الصبر والشكر بأن يصبر على مقتضى النفس زمانا ثم بعد النيل والفوز يشكر على نعمه الجزيلة حققنا الله واياكم بحقائق الصبر والشكر * نعمت حق شمار وشكر گزار * نعمتش اگرچه نيست شمار * شكر باشد كليد گنج مزيد * گنج خواهى منه زدست كليد * (وقيل فى حق الصبر) چون بمانى بسته در بند حرج * صبر كن كه الصبر مفتاح الفرج * صبر كن حافظ بسختى روز وشب * عاقبت روزى بيابى كام را * ثم ان رحمته لعباده اوسع من ان تذكر ولذلك قال والله غفور رحيم ومن جملة رحمته بيان طرآئق من سلف وتقدم من اهل الرشاد ليسلكوا مناهجهم ويصلوا الى المراد وقال عليه السلام ياكريم العفو فقال جبريل اتدرى ما معنى كريم العفو هو ان يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدلها بحسنات بكرمه (قال جلال الدين) تو آريد وخدا توبه پذير * امر او گيريد اونعم الامير * سيآت ترا مبدل كرد حق * تا همه طاعت شود ان ماسبق (يريد الله ليبين لكم) اللام مزيدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف اى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفى عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم اوما تعبدكم به من الحلال والحرام (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) اى يدلكم على مناهج من تقدمكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) يرجع بكم عن معصيته الى طاعته بالتوفيق للتوبة مما كنتم عليه من الخلاف وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة (والله عليم) بكم (حكيم) فيما يريده لكم (والله يريد ان يتوب عليكم) بيان لكمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة بخلاف الاول فانه بيان ارادته تعالى لتوبته عليهم فلا تكرار (ويريد الذين يتبعون الشهوات) يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت (ان تميلوا) عن القصد والحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم (ميلا عظيما) اى بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال (يريد الله ان يخفف عنكم)

مافى عهد تكم من مشاق التكاليف خلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة وغيره من الرخص (وخلق الانسان ضعيفا) عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لايصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه فى مشاق الطاعات قال الكلبى اى لايصبر عن النساء قال سعيد بن المسيب ماايس الشيطان من ابن آدم الااتاه من قبل النساء وقد اتى على ثمانون سنة وذهبت احدى عينى واناا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف على نفسى فتنة النساء وقال ابو هريرة رضى الله عنه اللهم انى اعوذ بك من ان ازنى واسرق فقيل له كبر سنك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاف على نفسك من الزنى والسرقة قال كيف آمن على نفسى وابليس حى (قال الحافظ) چه جاى من كه بلغزد سپهر شعبده باز * ازين حيل كه در انبانهٔ بهانهٔ تست * والاشارة فى تحقيق الآيات ان الله تعالى أنعم على هذه الامة بارادة اربعة اشياء اولها التبيين وهوان يبين لهم الصراط المستقيم الى الله وثانيها الهداية وهوان يديهم الى الصراط المستقيم بالعيان بعد البيان وثالثها التوبة عليهم وهى ان يرجع بهم الى حضرته على صراط الله ورابعها التخفيف عنهم وهوان يوصلهم الى حضرته بالمعونة ويخفف عنهم المؤونة وهذا مما اختص به نبينا عليه السلام وامته لوجهين احدهما ان الله اخبر عن ذهاب ابراهيم عليه السلام الى حضرته باجتهاده وهو المؤونة بقوله انى ذاهب الى ربى سيهدين واخبر عن موسى عليه السلام بمجيئه وهو ايضا المؤونة وقال ولما جاء موسى لميقاتنا واخبر عن حال نبينا عليه السلام بقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا وهو المعونة تخفف عنه المؤونة واخبر عن حال هذه الامة بقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وهو ايضا بالمعونة وهى جذبات العناية والوجه الثانى ان النبى عليه السلام وأمته مخصوصون بالوصول والوصال مخفف عنهم كلفة الفراق والانقطاع فأما النبى عليه السلام فقد خص بالوصول الى مقام قاب قوسين اوادنى وبالوصال بقوله ما كذب الفؤاد مارأى واقطع سائر الانبياء عليهم السلام فى السموات السبع كما رأى ليلة المعراج آدم فى سماء الدنيا الى ان رأى ابراهيم عليه السلام فى السماء السابعة فعبر عنهم جميعا الى كمال القرب والوصول واما الامة فقال فى حقهم من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا فهذا هو حقيقة الوصول والوصال ولكن الفرق بين النبى والولى فى ذلك ان النبى مستقل بنفسه فى السير الى الله والوصول ويكون حظه من كل مقام بحسب استعداده الكامل والولى لايمكنه السير الا فى متابعة النبى وتسليكه فى سبيل الله قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ويكون حظه من المقامات بحسب استعداده فينبغى ان يسارع العبد الى تكميل المراتب والدرجات برعاية السنة وحسن المتابعة لسيد الكائنات قال جنيد البغدادى قدس سره مذهبنا هذا مقيد باصول الكتاب والسنة قال على كرم الله وجهه الطرق كلها مسدودة على الخلق الامن اقتفى اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم * كرت بايد كه بينى روى ايمان * رخ ازآيينهٔ امرش مكردان * زشرعش سرمپيچ ازهيچ رويى * كه همچون شانه ميكردد بمويى (قال الشيخ السعدى) خلاف پيمبر كسى ره كزيد * كه هركز بمنزل نخواهد رسيد * محالست سعدى كه راه صفا * توان رفت جز برپى مصطفا * ثم فى قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اشارة الى ان الانسان لايصبر عن الله لحظة لضعفه مهما يكون على الفطرة الانسانية فطرة الله التى فطر الناس عليها فانه يحبهم ويحبونه وهو ممدوح بهذا الضعف فان من عداه يصبرون عن الله لعدم اضطرارهم فى المحبة والانسان مخصوص بالمحبة واعلم ان هذا الضعف سبب لكمال الانسان وسعادته وسبب لنقصانه وشقاوته لانه يتغير لضعفه من حال الى حال ومن صفة الى اخرى فيكون ساعة بصفة بهيمة يأكل ويشرب ويجامع ويكون ساعة اخرى بصفة ملك يسبح بحمد ربه ويقدس له ويفعل مايؤمر ولا يعصى فيما نهاه عنه وهذه التغيرات من نتائج ضعفه وليس هذا الاستعداد لغيره حتى الملك لايقدر ان يتصف بصفات البهيمة والبهيمة لا تقدران تتصف بصفة الملك لعدم ضعف الانسانية وانما خص الانسان بهذا الضعف لاستكماله بالتخلق باخلاق الله واتصافه بصفات الله كما جاء فى الحديث الربانى انا ملك حى لاأموت ابدا عبدى اطعنى اجعلك ملكا حيا لاتموت ابدا فعند هذا الكمال يكون خير البرية وعند اتصافه بالصفات البهيمية يصير شر البرية * كى شوى انسان كامل * اى دل ناقص عقل (ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا) اى لاتأخذوا وعبر عن الاخذ بالاكل لان المقصود الاعظم من الاموال الاكل فكان الاكل محرما فكذلك سائر وجوه

التصرفات (اموالكم بينكم بالباطل) اى بوجه غير شرعى كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا والرشوة واليمين الكاذبة وشهادة الزور والعقود الفاسدة ونحوها (الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اى الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض او الا ان تكون الاموال اموال تجارة ويلحق بها اسباب الملك المشروعة كالهبة والصدقة والارث والعقود الجائزة لخروجها عن الباطل وانما خص التجارة بالذكر لكونها اغلب اسباب المكاسب وقوعا واوفقها لذوى المروآت والمراد بالتراضى مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعى حالة الافتراق عن مجلس العقد (ولا تقتلوا انفسكم) بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى الهلكة ويؤيده ماروى ان عمرا بن العاص رضى الله عنه تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم او بارتكاب المعاصى المؤدية الى هلاكها فى الدنيا والآخرة او باقتراف مايذلها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالنفس من كان من جنسهم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة (ان الله كان بكم رحيما) اى أمر بما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) اى القتل او اياه وسائر المحرمات المذكورة فيما قبل (عدوانا وظلما) افراطا فى التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم الظلم على النفس لتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية اى متعديا وظالما (فسوف نصليه) اى ندخله (نارا) اى نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب (وكان ذلك) اى اصلاء النار (على الله يسيرا) لتحقق الداعى وعدم الصارف قال الامام واعلم ان الممكنات بالنسبة الى قدرة الله على السوية وحينئذ يمتنع ان يقال ان بعض الافعال ايسر عليه من بعض بل هذا الخطاب نزل على القول المتعارف بيننا او يكون معناه المبالغة فى التهديد وهو ان احدا لا يقدر على الهرب منه ولا على الامتناع عليه فعلى العاقل ان يتجنب عن الوقوع فى المهالك ويبالغ فى حفظ الحقوق وقد جمع الله فى التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لانه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها ولذلك قيل * تو انكرا نزا وقفست وبذل ومهانى * زكاة وفطره واعتاق وهدى وقربانى * تو كى بدولت ايشان رسى كه نتوانى * جزاين دوركعت وان هم بصد پريشانى * فان وفقت للمال فاشكر له والا فلا تتعب نفسك ولا تقتلها كما يفعله بعض من يفتقر بعد الغنى لغاية ألمه واضطرابه من الفقر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بشئ فى الدنيا عذب به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم كان فيمن قبلكم جرح برجل أرابه فجزع منه فأخرج سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بارزنى عبدى بنفسه فحرمت عليه الجنة كذا فى تفسير البغوى وكذلك حكم من قتل نفسه لفقر او لغير ذلك من الاسباب واعلم ان اكل المال بالباطل مما يفسد دين الرجل ودنياه بل يضر بنفسه ويكون سببا لهلاكه فان بعض الاعمال يظهر اثره فى الدنيا (روى) ان رجلا ظالما غصب سمكة من فقير فطبخها فلما اراد اكلها عضت يده فأشار اليه الطبيب بالقطع فلم يزل يقطع من كل مفصل حتى وصل الى الابط فجاء الى ظل شجرة فأخذت عيناه فقيل له لا تتخلص من هذا الا بارضاء صاحبها المظلوم فلما ارضاه سكن وجعه ثم انه تاب واقلع عما فعل فرد الله اليه يده فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام وعزتى لولا انه ارضى المظلوم لعذبته طول حياته قال العلماء حرمة مال المسلم كحرمة دمه قال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله وقال عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيبة نفس منه فالظلم حرام شرعا وعقلا (قال الجامى) هزار كونه خصومت كنى بخلق جهان * ز بس كه درهوس سيم وآرزوى زرى * تراست دوست زروسيم خصم صاحب آن * كه كيرى از كفش از بظلم وحيله كرى * نه مقتضاى خرد باشد ونتيجهٔ عقل * كه دوست رابكذارى وخصم رابرى * فعلى السالك ان يجتنب عن الحرام ويأكل من الحلال الطيب ولبعض الاكابر دقة عظيمة واهتمام تام فى هذا الباب (حكى) ان بعض الملوك اوسل الى الشيخ ركن الدين علاء الدوله غزالا وقال انها حلال فقال الشيخ كنت بمشهد طوس فجاء الى بعض الامراء بأرنب وقال كل منها فانى رميتها بيدى فقلت الارنب حرام على قول الامام جعفر الصادق رضى الله عنه قال فى حياة الحيوان يحل اكل الارنب عند العلماء كافة الا ما حكى عن عبد الله بن عمرو بن العاص

وابن ابى ليلى انهما كرهاها كلهام انه جاء يوما بغزال فقال كل منها فانى رميتها بسهم عملته بيدى على فرس ورثتها عن ابى فقلت خطر ببالى ان واحدا من الامراء جاء الى مولانا الجمال باوزتين وقال كل منهما فانى قد أخذتهما بيازى فقال مولانا ليس الكلام فى الاوزتين وانما الكلام فى قوت البازى من دجاجة أية عجوز اكل حتى قوى للاصطياد فالغزال التى رميتها على فرسك وان كانت من الصيد لكن قوت الفرس من شعير اى مظلوم حصل فلم يأكل منها (حكى) ان خياطا قال لبعض الكبار هل اكون معينا للظلمة بخياطة ثيابهم فقال ليس الكلام فيك وانما الكلام فى الحداد الذى يعمل الابرة والحاصل ان لا بدّ من الاهتمام فى طلب الحلال وان كان فى زماننا هذا نادرا والوصول اليه عزيزا (قال الجامى) خواهى كه شوى حلال روزى * همخانه مكن عيال بسيار * دانى كه درين سراچه تنك * حاصل نشود حلال بسيار * رزقنا الله واياكم من فضله انه الجواد (ان تجتنبوا) الاجتناب التباعد ومنه الاجنبى (كبائر ما تنهون عنه) كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها (نكفر عنكم) التكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة والمعنى نغفر لكم (سيئاتكم) صغائركم ونمحها عنكم (وندخلكم مدخلا) بضم الميم اسم مكان هو الجنة (كريما) اى حسنا مرضيا اومصدر ميمى اى ادخالا مع كرامة قال المفسرون الصلاة الى الصلاة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد اوصرح بالوعيد فيه قال انس بن مالك رضى الله عنه انكم تعملون اليوم اعمالا هى فى اعينكم ادق من الشعر كنا نعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال القشيرى الكبائر على لسان اهل الاشارة الشرك الخفى ومن جملة ذلك ملاحظة الخلق واستجلاب قلوبهم والتودد اليهم والاغماض عن حق الله بعينهم واعلم ان اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر وعند انتفاء الصغائر والكبائر يمكن الدخول فى المدخل الكريم وهو حضرة اكرم الاكرمين قال عليه السلام ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وجملة الكبائر مندرجة فى ثلاثة اشياء * احدها اتباع الهوى والهوى ميلان النفس الى ما يستلذ به من الشهوات فقد يقع الانسان به فى جملة من الكبائر مثل البدعة والضلالة والارتداد والشبهة وطلب الشهوات واللذات والتنعمات وحظوظ النفس بترك الصلاة والطاعات كلها وعقوق الوالدين وقطع الرحم وقذف المحصنات وامثال ذلك ولهذا قال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال عليه السلام ما عبد اله أبغض على الله من الهوى * غبار هوا چشم عقلت بدوخت * سموم هوس كشت عمرت بسوخت * بكن سرمهٔ غفلت ازچشم پاك * كه فردا شوى سرمه درچشم خاك * وثانيها حب الدنيا فانه مطية كثير من الكبائر مثل القتل والظلم والغصب والنهب والسرقة والربا وأكل مال اليتيم ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتمانها واليمين الغموس والحيف فى الوصية وغيرها واستحلال الحرام ونقض العهد وامثاله ولهذا قال تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة وعنه صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل وقال ان الله تعالى قال وعزتى وجلالى انه ليس من الكبائر كبيرة هى اعظم عندى من حب الدنيا * عاقلان ميل بسوى تكنند اى دنيا * هم اميد كرم ولطف توجاهل دارد * هركه خواهد كه كند ازتو مرادى حاصل * حاصل آنست كه انديشهٔ باطل دارد * وثالثها رؤية الغير فان منها ينشأ الشرك والنفاق والرياء وامثاله ولهذا قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال عليه السلام اليسير من الرياء شرك وقال بعض المشايخ وجودك ذنب لا يقاس به ذنب آخر فمن تخلص من ذنب وجوده فلا يرى غير الله فلا يتشئ منه الشرك ولا حب الدنيا وتخلص من الهوى فيتحقق له الوصول واللقاء قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا لعمرى ان هذا لهو المدخل الكريم والفوز العظيم والنعيم المقيم فعلى العاقل ان يتخلص من الاغيار ويشاهد فى المجالى انوار الواحد القهار * كرچه زندانست بر صاحب دلان * هركجا بويى زوصل يار نيست * هيچ زندان عاشق محتاج را * تنكتر از صحبت اغيار نيست * ولذا قيل الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وماسوى الحق اغيار قال ابراهيم عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين فلا بدّ للسالك من يجتهد فى سلوكه ويتخلص من رق الغير كى يصل الى المراد والعاشق الصادق لا يكون

فی عبودیة غیر معشوقه ولایتسلی عن الدنیا والآخرة الابوصاله فلیس له مطلب سواه * عاشق که زهجر دوست دادی خواهد * یا بردر وصلش ایستادی خواهد * نا کس تراز وکس نبود در عالم * کز دوست بجز دوست مرادی خواهد * وهذا مقام شریف ومطلب عزیز اوصلنا الله تعالی وایاکم (ولا تتمنوا) التمنی عبارة عن ارادة مایعلم اویظن انه لایکون (ما فضل الله به بعضکم علی بعض) ای علیکم ان لاتتمنوا ما اعطاه الله بعضکم من الامور الدنیویة کالجاه والمال وغیر ذلک مما یجری فیه التنافس دونکم فان ذلک قسمة من الله تعالی صادرة عن تدبیر لائق بأحوال العباد مترتب علی الاحاطه بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلی کل احد من المفضل علیهم ان یرضی بما قسم له ولا یتمنی حظ المفضل ولا یحسده علیه لما انه معارضة لحکمة المقدر فالانصباء کالاشکال وکما ان اختلاف الاشکال مقتضی حکمة الهیة لم یطلع علی سرها احد فکذلک الاقسام وقیل لما جعل الله تعالی فی المیراث للذکر مثل حظ الانثیین قالت النساء نحن احوج ان یکون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقویاء وأقدر علی طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعلیل النهی بقوله تعالی (للرجال نصیب مما اکتسبوا وللنساء نصیب مما اکتسبن) فانه صریح فی جریان التمنی بین فریقی الرجال والنساء والمعنی لکل من الفریقین فی المیراث نصیب معین المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاکتساب علی طریقة الاستعارة التبعیة المبنیة علی تشبیه اقتضاء حاله لنصیبه باکتسابه ایاه تأکیدا لاستحقاق کل منهما لنصیبه وتقویة لاختصاصه به بحیث لایتخطاه الی غیره فان ذلک مما یوجب الانتهاء عن التمنی المذکور (واسألوا الله من فضله) ای لاتتمنوا ما یختص بغیرکم من نصیبه المکتسب له واسألوا الله تعالی ماتریدون من خزائن نعمه التی لانفاد لها فانه یعطیکموه (ان الله کان بکل شیء علیما) فهو یعلم مایستحقه کل انسان فیفضل له عن علم وحکمة وتبیان وفی الحدیث لن یزال الناس بخیر ماتباینوا ای تفاوتوا فاذا تساووا هلکوا وذلک لاختلال النظام المرتبط بذلک وقد یقال معناه انه لایغتم لتفاوت الناس فی المراتب والصنائع بأن یکون مثلا بعضهم امیرا وبعضهم سلطانا وبعضهم وزیرا وبعضهم رئیسا وبعضهم اهل الصنائع لتوقف النظام علیه واعلم ان مراتب السعادات امانفسانیة کالذکاء التام والحدس الکامل والمعارف الزائدة علی معارف الغیر بالکمیة والکیفیة وکالعفة والشجاعة وغیر ذلک وامابدنیة کالصحة والجمال والعمر الطویل فی ذلک مع اللذة والبهجة واماخارجیة ککثرة الاولاد الصلحاء وکثرة العشائر وکثرة الاصدقاء والاعوان والریاسة التامة ونفاذ القول وکونه محبوبا للقلوب الناس حسن الذکر فیهم فهی مجامع السعادات والانسان اذا شاهد انواع الفضائل حاصلة لانسان ووجد نفسه خالیا عن جملتها اوعن اکثرها فحینئذ یتألم قلبه ویتشوش خاطره ثم یعرض ههنا حالتان احداهما ان یتمنی زوال تلک السعادات عن ذلک الانسان والاخری ان لا یتمنی ذلک بل یتمنی حصول مثلها له والاول هو الحسد المذموم لان المقصود الاول لمدبر العالم وخالقه الاحسان الی عبیده والجود الیهم وافاضة انواع الکرم علیهم فمن تمنی زوال ذلک فکأنه اعترض علی الله فیما هو المقصود بالقصد الاول من خلق العالم وایجاد المکلفین وایضا ربما اعتقد فی نفسه انه احق بتلک النعم من ذلک الانسان فیکون هذا اعتراضا علی الله وقدحا فی حکمته وکل ذلک مما یلقیه فی الکفر وظلمات البدعة ویزیل عن قلبه نور الایمان وکما ان الحسد سبب الفساد فی الدین فکذلک هو سبب الفساد فی الدنیا فانه یقطع المودة والمحبة والموالاة وینقلب کل ذلک الی اضدادها فلهذا السبب نهی الله عباده عنه بقوله ولاتتمنوا الآیة فلا بد لکل عاقل من الرضی بقضاء الله تعالی (حکی) الرسول صلی الله علیه وسلم عن رب العزة انه قال من استسلم لقضائی وصبر علی بلائی وشکر لنعمائی کتبته صدیقا وبعثته یوم القیامة مع الصدیقین ومن لم یرض بقضائی ولم یصبر علی بلائی ولم یشکر لنعمائی فلیطلب ربا سوای * حاشا که من ازجور وجفای تو بنالم * بیداد لطیفان همه لطفست وکرامت * فهذا هو الکلام فیما اذا تمنی زوال تلک النعمة عن ذلک الانسان ومما یؤکد ذلک ماروی ابن سیرین عن ابی هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لایخطب الرجل علی خطبة اخیه ولایسوم علی سوم اخیه ولاتسأل المرأة طلاق اختها لتقوم مقامها فان الله هو رازقها والمقصود من کل ذلک المبالغة فی المنع من الحسد اما اذا لم یتمن ذلک بل تمنی حصول مثلها له فمن الناس من جوز ذلک الا ان المحققین قالوا هذا ایضا لایجوز لان تلک النعمة ربما کانت مفسدة فی حقه فی الدین ومضرة علیه فی الدنیا فلهذا السبب قال المحققون

انه لايجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان بل ينبغي ان يقول اللهم اعطني مايكون صلاحا في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي واذا تأمل الانسان كثيرا لم يجد احسن مما ذكره الله في القرآن تعليما العباده وهو قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وعن الحسن لا تمن احد المال فلعل هلاكه في ذلك المال كما في حق ثعلبة وهذا هو المراد من قوله واسألوا الله من فضله قال الشيخ كمال الدين القاشاني فلا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض من الكمالات المترتبة بحسب استعداد الاولية فان كل استعداد يقتضي بهويته في الازل كمالا وسعادة تناسبه وتختص به وحصول ذلك الكمال الخاص لغيره محال ولذلك ذكر طلبه بلفظ التمني الذي هو طلب مايمتنع حصوله للطالب لامتناع سببه للرجال اى الافراد الواصلين نصيب مما اكتسبوا بنور استعدادهم الاصلي وللنساء اى الناقصين القاصرين عن الوصول نصيب مما اكتسبن بقدر استعدادهم واسألوا الله من فضله اى اطلبوا منه افاضة كمال يقتضيه استعدادكم بالتزكية والتصفية حتى لايحول بينكم وبينه فتحتجبوا وتعذبوا بنيران الحرمان منه ان الله كان بكل شئ مما يخفى عليكم كامنا في استعدادكم بالقوة عليما فيجيبكم بما يليق بكم كما قال تعالى وآتاكم من كل ماسألتموه اى بلسان الاستعداد الذي ماد عاء احد به الا اجاب كما قال تعالى ادعوني استجب لكم انتهى وعلى هذا التأويل يكون قوله ولاتتمنوا نهيا ومنعا عن طلب المحال الذي فوق الاستعداد الازلي ويكون قوله واسألوا الله من فضله امرا وحثا على طلب الممكن الذي هو قدر استعدادكم كى لاتضيع فضيلة الانسانية فان بعض المقدورات قد يكون معلقا على الكسب فينبغي ان لايتكاسل العبد في العبادات وكسب الفضائل لينال الكمالات الكامنة في خزانة الاستعداد ويسأل الله تعالى دائما من فضله فانه مجيب الدعوات وولي الهداية والرشاد فمن طلب شيأ وجد وجد ومن قرع بابا وولج ولج (قال مولانا جلال الدين قدس سره) چون در معنى زني بازت كنند * بر فكرت زن كه شهبازت كنند * چون طلب كردى بجد آيد نظر * جد خطا نكند چنين آمد خبر * چون زچاهى ميكنى هر روز خاك * عاقبت اندر رسى باآب پاك * كفت پيغمبر كه چون كوبى درى * عاقبت زان دربرون آيد سرى * در طلب زن دائما توهر درست * كه طلب دره راه نيكو رهبرست (ولكل) اى لكل تركة ومال (جعلنا موالي) جمع مولى اى ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث (مما ترك الوالدان والاقربون) بيان لكل مع الفصل بالعامل وهو جعلنا لان لكل مفعول ثان له قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض والموالي هم اصحاب الفرائض والعصبات وغيرهما من الورثات ويجوز ان يكون المعنى ولكل قوم جعلناهم موالي اى ورثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا نصيب من رزق اى حظ منه (والذين عقدت ايمانكم) هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا فهو مؤخر عن ذوي الارحام واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد المماسكة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم حذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعني قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) بالفاء اى حظهم من الميراث (ان الله كان على كل شئ) من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع (شهيدا) اى شاهدا ففيه ترغيب في الاعطاء وتهديد على منع نصيبهم قال بعضهم المراد من الذين عقدت ايمانكم الحلفاء والمراد بقوله فآتوهم النصرة والنصيحة والمصافاة في العشرة والمخالصة في المخالطة فعلى كل احد ان ينصر اخاه المؤمن ويخالطه على وجه الخلوص والنصيحة لاعلى النفاق والعداوة قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى * بنى آدم اعضاى يكديكرند * كه در آفرينش زيك جوهرند * چو عضوى بدرد آورد روزكار * دكر عضوها را نماند قرار * توكز محنت ديكران بى غمى * نشايد كه نامت نهند آدمى * فالواجب ان يحب المرء للناس مايحب لنفسه من الخير وينصح لهم في ظاهر الامر فان النصيحة عماد الدين ويزيل مايوجب التاذي عن ظاهرهم واعمالهم

بالموعظة والزجر اى المنع عما لا يليق ويعاملهم بالرحمة والشفقة ولا يذكر احدا بما يكره فان ملكا وكل بالعبد يرد عليه ما يقول لصاحبه ولا يستبشر بمكروه احد كائنا من كان * مكن شادمانى بمرك كسى * كه دهرت نماند پس ازوى بسى * ويتودد الى الناس بالاحسان الى برهم وفاجرهم والى من هو اهل الاحسان والى من ليس بأهل له ويتحمل الاذى منهم وبه يظهر جوهر الانسان * تحمل چو زهرت نمايد نخست * ولى شهد كردد چو در طبع رست * ويجعل من شتمه او جفاه او آذاه ايذآء فى حل منه ولا يطمع فى السلامة من اذاهم فانه محال فان الله لم يقطع لسان الخلق عن نفسه فكيف يسلم مخلوق من مخلوق (روى) ان موسى عليه السلام قال الهى اسألك ان لا يقال لى ما ليس فى فأوحى الله اليه ما فعلت ذلك لنفسى فكيف افعل لك ويقوم بحاجات الناس ومهماتهم ففى الحديث من سعى فى حاجة لأخيه المسلم لله وله فيها صلاح فكأنما خدم الله الف سنة وييسر على المعسر تيسيرا ويفرج عن الغموم فان الله تعالى فى عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه المسلم وفى الحديث ان من موجبات المغفرة ادخال السرور على قلب أخيك المسلم قال الشيخ نجم الدين الكبرى فى قوله تعالى والذين عقدت أيمانكم يعنى الذين جرى بينكم وبينهم عقد الاخوة فى الله بأن اخذتم بأيمانكم أيمانهم بالارادة وصدق الالتجاء وتابوا على ايديكم فآتوهم بالنصح وحسن التربية والاهتمام بهم والقيام بمصالحهم على شرآئط الشيخوخة والتسليك بهم نصيبهم الذى اودع الله تعالى لهم عندكم بعلمه وحكمته ان الله كان على كل شئ من الودآئع ايما اودعه ولمن اودعه شهيدا يشهد عليهم يوم القيامة ان يخونوا فى اعطاء ودآئعهم بالخيانة ويسألكم عنها ويشهد لكم بالامانة ويجازيكم عليها خير الجزآء انتهى فالكاملون لا يخونون فى الامانات بل يسلمون الودآئع الى الارباب بحسب الاستعدادات ولا يفشون السر الى من ليس له اهلية فى هذا الباب والا يلزم الخيانة فى اسرار رب الارباب (قال مولانا جلال الدين الرومى) عارفانكه جام حق نوشيده اند * رازها دانسته و پوشيده اند * هركرا اسرار كار آموختند * مهر كردند ودهانش دوختند * بر لبش قفلست ودر دل رازها * كوش آن كس نوشد اسرار جلال * كوچو سوسن صد زبان افتاد ولال * تانكويد سر سلطان را بكس * تا نريزد قند را پيش مكس * در خورد دريا نشد جز مرغ اب * فهم كن والله اعلم بالصواب (الرجال قوامون على النساء) قائمون بالامر بالمصالح والنهى عن الفضائح قيام الولاة على الرعية مسلطون على تأديبهن وعلل ذلك بأمرين وهبى وكسبى فقال (بما فضل الله بعضهم على بعض) الضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اى بسبب تفضيله الرجال على النساء بالحزم والعزم والقوة والفتوة والمير والرمى والحماسة والسماحة والتشمير لخطة الخطبة وكتبة الكتابة وغيرهما من المخايل المخيلة فى استدعاء الزيادة والشمائل الشاملة لجوامع السعادة (وبما انفقوا من اموالهم) اى وبسبب انفاقهم من اموالهم فى نكاحهن كالمهر والنفقة وهذا دل على وجوب نفقات الزوجات على الازواج (روى) ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضى الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير ورفع القصاص فلا قصاص فى اللطمة ونحوها والحكم فى النفس وما دونها مذكور فى الفروع (فالصالحات) منهن (قانتات) مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج (حافظات للغيب) اى لمواجب الغيب اى لما يجب عليهن حفظه فى حال غيبة الازواج من الفروج والاموال والبيوت وعن النبى صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية واضافة المال اليها للاشعار بأن ماله فى حق التصرف فى حكم مالها (بما حفظ الله) ما مصدرية اى بحفظه تعالى اياهن اى بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اى بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن (واللاتى تخافون نشوزهن) خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل فى القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اى تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم (فعظوهن) فانصحوهن بالترغيب والترهيب قال الامام ابو منصور العظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة وهى بتذكير العواقب (واهجروهن) بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة والهجر الترك عن قلى (فى المضاجع) اى فى المراقد

فلا تدخلوهنّ تحت اللحف ولا تباشروهنّ جمع مضجع وهو موضع وضع الجنب للنوم (واضربوهنّ) ان لم ينجع مافعلتم من العظة والهجران غير مبرح ولا شائن ولا كاسر ولا خادش فالامور الثلاثة مترتبة ينبغي ان يدرج فيها (فان اطعنكم) بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى مايعدّ زاجرا (فلا تبغوا عليهنّ سبيلا) بالتوبيخ والاذية اى فأزيلوا عنهنّ التعرض واجعلوا ما كان منهنّ كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (ان الله كان عليا) اى اعلى عليكم قدرة منكم عليهنّ (كبيرا) اى اعظم حكما عليكم منكم عليهنّ فاحذروا واعفوا عنهنّ اذا رجعن لانكم تعصونه على علوّ شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم احق بالعفو عمن جنى عليكم اذا رجع قال فى الشرعة وشرحها اذا وقف واطلع من زوجته على فجور اى فسق او كذب او ميل الى الباطل فانه يطلقها الا ان لا يصبر عنها فيمسكها (روى) انه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لى امرأة لا تردّ يد لامس قال طلقها قال احبها قال امسكها خوفا عليه بأنه ان طلقها اتبعها وفسد هو ايضا معها فرأى مافى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه اولى فلا بدّ للرجال من تحمل المكاره الا انه لا ينبغي للمرء ان يكون ديوثا كما قال بعض العارفين * كر بزاز كفش دردهان نهنك * كه مردن به اززندكانى به ننك * وكان بعض العلماء يقول التحمل على اذى واحد من المرأة احتمال فى الحقيقة من عشرين اذى منها مثلا فيه نجاة الولد من اللطمة ونجاة القدر من الكسر ونجاة العجل من الضرب ونجاة الهرة من الزجر اى المنع من اكل فضول الخوان وسقاطه والثوب من الحرق والضيف من الرحيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وقال ايضا ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وقال ايضا لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجه من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا قال النبى عليه السلام مخاطبا لعائشة رضى الله عنها ايما امرأة تؤذى زوجها بلسانها الا جعل الله لسانها يوم القيامة سبعين ذراعا ثم عقد خلف عنقها ياعائشة وايما امرأة تصلى لربها وتدعو لنفسها ثم تدعو لزوجها الا ضرب بصلاتها وجهها حتى تدعو لزوجها ثم تدعو لنفسها ياعائشة وايما امرأة جزعت على ميتها فوق ثلاثة ايام احبط الله عملها ياعائشة وايما امرأة ناحت على ميتها الا جعل الله لسانها سبعين ذراعا وجرت الى النار مع من تبعها ياعائشة ايما امرأة اصابتها مصيبة فلطمت وجهها ومزقت ثيابها الا كانت مع امرأة لوط ونوح فى النار وكانت آيسة من كل خير وكل شفاعة شافع يوم القيامة ياعائشة وايما امرأة زارت المقابر الا لعنها الله تعالى ولعنها كل رطب ويابس حتى ترجع فاذا رجعت الى منزلها كانت فى غضب الله ومقته الى الغد من ساعته فان ماتت من وقتها كانت من اهل النار ياعائشة اجتهدى ثم اجتهدى فانكن صواحبات يوسف وفاتنات داود ومخرجات آدم من الجنة وعاصيات نوح ولوط ياعائشة مازال جبريل يوصينى فى امر النساء حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن ياعائشة انا خصم كل امرأة يطلقها زوجها ثم قال ياعائشة ومامن امرأة تحبل من زوجها حين تحبل الا ولها مثل اجر الصائم بالنهار والقائم بالليل الغازى فى سبيل الله ياعائشة مامن امرأة اتاها الطلق الا ولها بكل طلقة عتق نسمة وبكل رضعة عتق رقبة ياعائشة ايما امرأة خففت عن زوجها من مهرها الا كان لها من العمل حجة مبرورة وعمرة متقبلة وغفر لها ذنوبها كلها حديثها وقديمها سرها وعلانيتها عمدها وخطأها اولها وآخرها ياعائشة المرأة اذا كان لها زوج فصبرت على اذى زوجها فهى كالمتشحطة فى دمها فى سبيل الله وكانت من القانتات الذاكرات المسلمات المؤمنات التائبات كذا فى روضة العلماء وفيه تطويل قد اختصرته وحذفت بعضه * والاشارة فى الآية ان الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء لان وجودهنّ تبع لوجودهم وهم الاصول وهنّ الفروع فكما ان الشجرة فرع الثمرة بأنها خلقت منها فكذلك النساء خلقن من ضلوعهم فكما كان قيام حوّاء قبل خلقها وهى ضلع بآدم عليه السلام وهو قوام عليها فكذلك الرجال على النساء بمصالح امور دينهنّ ودنياهنّ قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا واختص الرجال باستعدادية الكمالية للخلافة والنبوّة فكان وجودهم الاصل ووجودهنّ تبعا لوجودهم للتوالد والتناسل قال عليه السلام كمل من الرجال كثير وما كمل من النساء الا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ومع هذا ما بلغ كمالهنّ الى حد يصلحن للخلافة او النبوّة وانما كان كمالهنّ بالنسبة الى النسوة لا الى الرجال لانهنّ بالنسبة اليهم ناقصات عقل ودين

حتى قال فى عائشة رضى الله عنها مع فضلها على سائر النساء خذوا ثلثى دينكم عن هذه الحميراء فهذا بالنسبة الى الرجال نقصان حيث لم يقل خذوا كمال دينكم ولكن بالنسبة الى النساء كمال لانه على قاعدة قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين يكون حظ النساء من الدين الثلث فكماله كان الثلثين بمثابة الذكور بمثل حظ الانثيين قال الفقير جامع هذه المجالس النفيسة * مرد بايد تاكه اقدامى كند * در طريقت غيرت نامى كند * چون نهٔ كامل زمردى دم مزن * چون نهٔ دلبر مكو از حسن تن * زن كه كامل شد زمردان دست برد * مرد ناقص چون زن ناقص بمرد * (وان خفتم) اى علمتم او ظننتم ايها الحكام (شقاق بينهما) اى خلافا بين المرأة وزوجها ولا تدرون من قبل ايهما يقع النشوز والشقاق المخالفة امالان كلا منهما يريد ما يشق على الاخر واما لان كلا منهما فى شق غير شق الآخر قال ابن عباس رضى الله عنه والجزم بوجود الشقاق لا ينافى بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل (فابعثوا) اى الى الزوجين لاصلاح ذات البين (حكما) رجلا عادلا صالحا للحكومة والاصلاح (من اهله) من اهل الزوج (وحكما) آخر على صفة الاول (من اهلها) اى اهل الزوجة فان الاقارب اعرف ببواطن احوالهم واطلب للصلاح بينهم وانصح لهم واسكن لنفوسهم لان نفوس الزوجين تسكن اليهما وتبرزما فى ضمائرهما من حب احدهما الآخر وبغضه (ان يريدا) اى الزوج والزوجة (اصلاحا) لهما اى ما بينهما من الشقاق (يوفق الله بينهما) يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة بحسن سعى الحكمين ويلقى فى نفوسهما المودة والرأفة وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه وفقه الله لما ابتغاه (ان الله كان عليما خبيرا) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق وفى الآية حث على اصلاح ذات البين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وقال صلى الله عليه وسلم الا انما الدين النصيحة قالها ثلاثا قالوا لمن يارسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المؤمنين ولعامتهم فالنصيحة لله تعالى ان تؤمن بالله ولا تشرك به شيأ وتعمل بما امر الله تعالى به وتنتهى عما نهى عنه وتدعو الناس الى ذلك وتدلهم عليه واما النصيحة لرسوله ان تعمل بسنته وتدعو الناس اليها واما النصيحة لكتابه ان تؤمن به وتتلوه وتعمل بما فيه وتدعو الناس اليه واما النصيحة للائمة ان لا تخرج عليهم بالسيف وتدعواهم بالعدل والانصاف وتدل الناس عليه واما النصيحة للعامة فهو ان تحب لهم ما تحب لنفسك وان تصلح بينهم ولا تهجرهم وتدعوهم بالصلاح ولا شك ان المصلحين هم خيار الناس بخلاف المفسدين فانهم شرار الخلق اذهم يسعون فى الارض بالفساد والتفريق وايقاظ الفتنة دون ازالتها وقد ورد الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها * ازان همنشين تا توانى كريز * كه مر فتنهٔ خفته را كفت خيز * ومن المفسدين من يوصل كلام احد الى احد فيه ما يسوءه ويحزنه فالعاقل لا يصغ الى مثل هذا القائل بدى در قفا عيب من كرد و خفت * بترز و قرينى كه آورد و كفت * يكى تيرى افكند و در ره فتاد * وجودم نيازرد و رنجم نداد * تو برداشتى و آمدى سوى من * همى در سپوزى به پهلوى من * والاشارة فى الآية انه اذا وقع الخلاف بين الشيخ الواصل والمريد المتكاسل فابعثوا متواسطين احدهما من المشايخ المعتبرين والثانى من معتبرى السالكين لينظرا الى مقالهما ويتحققا احوالهما ان يريد اصلاحا بينهما بما رأيا فيه صلاحهما يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية ان الله كان فى الازل عليما بأحوالهما خبيرا بما آلهما فقدر لكل واحد منهما بما عليهما وبما لهما كذا فى تأويلات الشيخ العارف نجم الدين الكبرى قدس سره وقد عرف منه ان التهاجر والمخالفة تقع بين الكاملين كما بين عوام المؤمنين ولا يمنع اختلافهم الصورى اتفاقهم المعنوى وقد اقتضت الحكمة الالهية ذلك فلمثل هذا سر لا يعرفه عقول العامة (قال مولانا جلال الدين فى بيان اتحاد الاولياء والكاملين) كر ازيشان مجتمع بينى دو يار * هم يكى باشند وهم شش صد هزار * برمثال موجها اعداد شان * در عدد آورده باشد بادشان * مؤمنان معدود وليك ايمان يكى * جسم شان معدود وليكن جان يكى * تفرقه در روح حيوانى بود * نفس واحد روح انسانى بود * والحاصل ان اهل الحق كلهم نفس واحدة والتفرقة بحسب البشرية والتخالف سبب لا ينافى توافقهم فى المعنى من كل وجه وجهة (واعبدوا الله) العبادة عبارة عن كل فعل وترك يؤتى به بمجرد امر الله تعالى بذلك وهذا يدخل فيه جميع اعمال القلوب وجميع اعمال الجوارح

(ولا تشركوا به شيأ) من الاشياء صنما اوغيره اوشيأ من الاشراك جليا وهو الكفر اوخفيا وهو الرياء (وبالوالدين احسانا) اى واحسنوا اليهما احسانا فالباء بمعنى الى كما فى قوله وقد احسن بى وبدأ بهما لان حقهما اعظم حقوق البشر فالاحسان اليهما بأن يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ولا يخشن فى الكلام معهما ويسعى فى تحصيل مطالبهما والانفاق عليهما بقدر المقدرة (وبذى القربى) وبصاحب القرابة من اخ اوعم اوخال اونحو ذلك بصلة الرحم والمرحمة ان استغنوا والوصية وحسن الانفاق ان افتقروا (واليتامى) بانفاق ما هو اصلح لهم اوبالقيام على اموالهم ان كان وصيا (والمساكين) بالمبار والصدقات واطعام الطعام اوبالرد الجميل (والجار ذى القربى) اى الذى قرب جواره اوالذى له مع الجوار اتصال بنسب اودين قال عليه السلام والذى نفسى بيده لا يؤدى حق الجار الامن رحم الله وقليل ماهم اتدرون ما حق الجار ان افتقر اغنيته وان استقرض اقرضته وان اصابه خير هنأته وان اصابه شر عزيته وان مرض عدته وان مات شيعت جنازته (والجار الجنب) اى البعيد اوالذى لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد هو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب (والصاحب بالجنب) اى الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك فى مسجد اومجلس اوغير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان (وابن السبيل) هو المسافر الذى سافر عن بلده وماله والاحسان بأن تؤويه وتزوده اوهو الضيف الذى ينزل عليك وحقه ثلاثة ايام وما زاد على ذلك فهو صدقة ولا يحل له ان يقيم عنده حتى يخرجه (وما ملكت ايمانكم) من العبيد والاماء والاحسان اليهم بأن يؤديهم ولا يكلفهم ما لا طاقة لهم ولا يكثر العمل لهم طول النهار ولا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة حسنة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه قال بعضهم كل حيوان فهو مملوك والاحسان اليه بما يليق به طاعة عظيمة (ان الله لا يحب من كان مختالا) اى متكبرا يأنف من اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم (فخورا) بما لا يليق يتفاخر عليهم ولا يقوم بالحقوق ويقال فخورا فى نعم الله لا يشكر قال الله تعالى لموسى عليه السلام ياموسى انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى وحدى لا شريك لى فمن لم يرض بقضائى ولم يشكر على نعمائى ولم يصبر على بلائى ولم يقنع بعطائى فليعبد ربا سواى ياموسى لولا من يسجد لى ما انزلت من السماء قطرة ولا انبت فى الارض شجرة ولولا من يعبدنى مخلصا لما امهلت من يجحدنى طرفة عين ولولا من يشكر نعمتى لحبست القطر فى الجو ياموسى لولا التائبون لخسفت بالمذنبين ولولا الصالحون لاهلكت الطالحين واعلم ان العبادة ان تعبد الله وحده بطريق اوامره ونواهيه ولا تعبد معه شيأ من الدنيا والعقبى فانك لو عبدت الله خوفا من شئ اوطمعا فى شئ فقد عبدت ذلك الشئ والعبودية طلب المولى بالمولى بترك الدنيا والعقبى والتسليم عند جريان القضاء شاكرا صابرا فى النعم والبلوى فلا بد من التوحيد الصرف وترك الشرك حتى يوصله الله الى مبتغاه (قال بعض العارفين) نقد هستى محو كن درلا اله * تا به بينى دارملك بادشاه * غير حق هرذره كان مقصودتست * تيغ لا بركش كه آن معبودتست * لا كه عرش وفرش رابرمى درد * ازفناسوى بقاره ميبرد * لا ترا ازنورهايى ميدهد * باخدايت آشنايى ميدهد * جون توخودرا ازميان برداشتى * قصر ايمانرا درى افراشتى * فاذا حصل المقصود ووصل العابد الى المعبود فحينئذ يصح منه بالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين الآية لان الاحسان من صفات الله تعالى لقوله تعالى الذى احسن كل شئ خلقه والاساءة من صفات الانسان لقوله ان النفس لأمارة بالسوء فالعبد لا يصدر منه الاحسان الا ان يكون متخلقا باخلاق نفسه كما قال تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وفيه اشارة اخرى وهى ان شرط العبودية الاقبال على الله بالكلية والاعراض عما سواه ولا يصدر منه الاحسان الا اذا اتصف باخلاق الله حتى يخرج من عهدة العبودية بالوصول الى حضرة الربوبية فتفنى عنك به وتبقى به للوالدين وغيرها محسنا لاحسانه بلا شرك ولا رياء فان الشرك والرياء من بقاء النفس ولهذا قال عقيب الآية ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا لان الاختيال والفخر من اوصاف النفس والله تعالى لا يحب النفس ولا اوصافها لان النفس لا تحب لله ولا المحبة من اوصافها فانها تحب الدنيا وزخارفها وما يوافق مقتضاها قال صلى الله عليه وسلم الشرك اخفى فى ابن آدم من دبيب

الجلة على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ومن خدم مخلوقا خوفا من مضرته او طمعا فى منفعته فقد اشرك عملا
كه داند چو در بند حق نيستى * اكر بى وضو در نماز ايستى * بروى ريا خرقه سهلست دوخت * كرش باخدا در توانى فروخت * اكر جز بحق ميرود جاده ات * در آتش فشانند سجاده ات * قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا يعنى الاعمال التى عملوها لغير وجه الله ابطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس وجاء رجل الى النبى عليه السلام فقال يارسول الله انى اتصدق بالصدقة فالتمس بها وجه الله تعالى واحب ان يقال لى فيه خير فنزل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه يعنى من خاف المقام بين يدى الله تعالى ويريد ثوابه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا رزقنا الله واياكم الاخلاص (الذين يبخلون) بما منحوا به وهو مبتدأ خبره محذوف اى احقاء بكل ملامة (ويأمرون الناس بالبخل) به اى بما منحوا به عطف على ما قبله (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) اى من المال والغنى (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافرا بنعمة الله فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) اى للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله وهو عطف على الذين يبخلون ورئاء الناس مفعوله وانما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق فيما لا ينبغى من حيث انه طرفا تفريط وافراط سوآء فى القبح واستتباع الذم واللوم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) ليحوزوا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة المنفقون اموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) اى بئس الصاحب والمقارن الشيطان واعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم (وماذا عليهم) اى على من ذكر من الطوائف (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله) ابتغاء لوجه الله لان ذكر الايمان بالله واليوم الآخر يقتضى ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اى وما الذى عليهم فى الايمان بالله تعالى والانفاق فى سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى (وكان الله بهم) وبأحوالهم المحققة (عليما) فهو وعيد لهم بالعقاب فقد اخبر الله تعالى بدناءة همة الاشقياء وقصور نظرهم وانهم يقنعون بقليل من الدنيا الدنية ويحرمون من كثير من المقامات الاخروية السنية ولا ينفقونه فى طلب الحق ورضاه بل ينفقونه فيما لا ينبغى * هركه مقصودش ازكرم آنست * كه برآرد بعالم آوازه * باشد ازمصر فضل وجود وكرم * خانه اوبرون زدروازه * قال بعض الحكماء مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج الى السوق وملأ كيسه حصى فيقول الناس ما املأ كيس هذا الرجل ولا منفعة له سوى مقالة الناس ولو اراد ان يشترى به شيأ لا يعطى له شئ كذلك الذى عمل للرياء والسمعة * قال حامد اللفاف اذا اراد الله هلاك امرئ عاقبه بثلاثة اشياء اولها يرزقه العلم ويمنعه عن عمل العلماء والثانى يرزقه صحبة الصالحين ويمنعه عن معرفة حقوقهم والثالث يفتح عليه باب الطاعة ويمنعه الاخلاص وانما يكون ذلك المذكور لخبث نيته وسوء سريرته لان النية لو كانت صحيحة لرزقه الله منفعة العلم ومعرفة حقوقهم واخلاص العمل * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه ايد زبى مغز پوست * چه زنار مغ درميانت چه دلق * كه درپوشى ازبهر پندار خلق * فعلى الفقير ان يتخلص من الرياء فى انفاقه وفى كل اعماله ويكون سخيا لا شحيحا فان شكر المال انفاقه فى سبيل الله (قال الشيخ العطار قدس سره) توانكركه ندارد پاس درويش * زدست غيرتش برجان رسد نيش (ويناسبه ما قال الحافظ) كنج قارون كه فرو ميرود ازقهر هنوز * خوانده باشى كه هم ازغيرت درويشانست * واذا كان بخيلا ومع هذا امر الناس بالبخل يكون ذلك وزرا على وزر قال صاحب الكشاف ولقد رأينا ممن بلى بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص بصره وحل حبوته واضطرب وزاغت عيناه فى رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزآئنه ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده انتهى وهذا مشاهد فى كل زمان لا يعطون ويمنعون من يعطى ان قدروا والحاصل انهم يجتهدون فى منع

من قصد خيرا كبناء القناطر والجسور وحفر الآبار وسائر الخيرات وذلك لكمال دناءتهم وقصور نظرهم وعدم شكرهم واللئيم لا يفعل الا ما يناسب طبعه * چو منعم كند سفله را روزكار * نهد بردل تنك درويش بار * چو بام بلندش بود خود پرست * كند بول وخاشاك بربام پست * (قال بشر بن الحارث) النظر الى البخيل يقسي القلب فلا بد من مجانبة مجالسته وصحبته * چونكه باشد مجاورت لازم * همجوار كريم بايد بود * كركنى باكسى مشاورة * آن مشاور حكيم بايد بود * ففي السخاء بركات فى الدين والدنيا والآخرة قيل ان مجوسيا تصدق بمائة دينار فرأى الشبلى ذلك فقال ما تنفعك هذه الصدقة فبكى المجوسى ونظر الى السماء فاذا رقعة وقعت عليه مكتوب فيها بخط اخضر

مكافأة السماحة دار خلد * وأمن من مخافة يوم بوس

وما نار بمعرقة جوادا * ولو كان الجواد من المجوس

يعنى ان الله تعالى يوفق السخى للايمان ان كان كافرا ولزيادة الطاعة والاخلاص فيها ان كان مؤمنا فيترقى الى الدرجات العلى ويليق بمشاهدة ربه الاعلى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب شيأ مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة الحمراء التى لا تكاد ترى من صغرها او الصغير جدا من اجزاء التراب او ما يظهر من اجزاء الهباء المنبث الذى تراه فى البيت من ضوء الشمس وهو الانسب بمقام المبالغة وهذا نفى للظلم لانه اذا نفى القليل نفى الكثير لان القليل داخل فى الكثير (وان تك حسنة) اى وان يك مثقال الذرة حسنة انث الضمير لتأنيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال (يضاعفها) اى يضاعف ثوابها لان تضاعف نفس الحسنة بأن يجعل الصلاة الواحدة صلاتين مما لا يعقل (ويؤت من لدنه) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد فى مقابلة العمل (اجرا عظيما) عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه قال فى التيسير وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع انه سمى الدنيا وما فيها قليلا وسمى هذا الفضل عظيما (روى) انه يؤتى يوم القيامة بالعبد وينادى مناد على رؤوس الاولين والآخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له اعط هؤلاء حقوقهم فيقول يارب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله للملائكة انظروا فى اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقى مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وادخله الجنة بفضله ورحمته والظاهر ان ذلك التضعيف يكون من جنس اللذات الموعود بها فى الجنة واما هذا الاجر العظيم الذى يؤتيه من لدنه فهو اللذة الحاصلة عند الرؤية وعند الاستغراق فى المحبة والمعرفة وانما خص هذا النوع بقوله من لدنه لان هذا النوع من الغبطة والسعادة والكمال لا ينال بالاعمال الجسدية بل انما ينال بما يودع الله فى جوهر النفس القدسية من الاشراق والصفاء والنور وبالجملة فذلك التضعيف اشارة الى السعادات الجسمانية وهذا الاجر العظيم اشارة الى السعادات الروحانية وورد فى الخبر الصحيح ان الله تعالى يقول للملائكة حين دخل اهل الجنة الجنة اطعموا اوليائى فيؤتى بألوان الاطعمة فيجدون لكل نعمة لذة غير ما يجدون للاخرى فاذا فرغوا من الطعام يقول الله تعالى اسقوا عبادى فيؤتى بأشربة فيجدون لكل شربة لذة بخلاف الاخرى فاذا فرغوا يقول الله تعالى انا ربكم قد صدقتكم وعدى فاسألونى اعطكم قالوا ربنا نسألك رضوانك مرتين او ثلاثا فيقول رضيت عنكم ولدى المزيد فاليوم اكرمكم بكرامة اعظم من ذلك كله فيكشف الحجاب فينظرون اليه ما شاء الله فيخرون اليه سجدا فيكونون فى السجود ما شاء الله تعالى ثم يقول لهم ارفعوا رؤسكم ليس هذا موضع عبادة فينسون كل نعمة كانوا فيها ويكون النظر اليه احب اليهم من جميع النعم * جان بيجمال جانان ميل جهان ندارد * وانكس كه اين ندارد حقا كه آن ندارد * فيهب ريح من تحت العرش على تل من مسك اذفر فينشر المسك على رؤسهم ونواصى خيولهم فاذا رجعوا الى اهاليهم يرون ازواجهم فى الحسن والبهاء افضل مما تركوهن ويقول لهم ازواجهم قد رجعتم احسن مما كنتم ومطمح نظر العارف الجنة المعنوية قال ابو يزيد البسطامى حلاوة المعرفة الالهية خير من جنة الفردوس واعلى عليين لو فتحوا الى الجنات الثمان واعطونى الدنيا والآخرة لم يقابل انينى وقت السحر طال انسى بالله وقال مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا اطيب الاشياء قيل وما هو قال معرفة الله تعالى (قال جلال الدين قدس سره) اى خنك انرا كه ذات خود شناخت * اندر امن سرمدى قصرى بساخت *

پس چو آهن کرچه تیره هیکلی * صیقلی کن صیقلی کن صیقلی * دفع کن ازمغز از بینی زکام *
تاکه ریح الله درآید از مشام * هیچ مکذار از تب وصفرا اثر * تا بیابی درجهان طعم شکر *
اوصلنا الله وایاکم الی معرفته وادخلنا الجنة برحمته (فكيف) محلها النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال
او الظرف اى فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم (اذا جئنا) يوم القيامة (من كل
امة) من الامم (بشهيد) يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الافعال وهو نبيهم (وجئنا
بك) احضرناك يا محمد (على هؤلاء) اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر من قوله بشهيد (شهيدا)
تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك لمجامع قواعدهم او اشارة الى المكذبين المستفهم عن حالهم
تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما يشهد سائر الانبياء على اممهم (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول) بيان
لحالهم التى اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف الخ وعصيان الرسول محمول على المعاصى المغايرة للكفر
فلا يلزم عطف الشئ على نفسه اى تمنى الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول والمراد الذين كفروا والذين عصوا
الرسول (لو تسوى بهم الارض) لو بمعنى ان المصدرية والجملة مفعول يود اى يودون ان يدفنوا فتسوى بهم
الارض كالموتى فتسوية الارض بهم كناية عن دفنهم او يودون انهم لم يبعثوا ولم يخلقوا وكأنهم والارض سواء
قال بعض الافاضل الباء للملابسة اى تسوى الارض ملتبسة بهم ولا حاجة الى الحمل على القلب لقلة الفرق
بين تسويتهم بالارض والتراب وتسويتها بهم (ولا يكتمون الله حديثا) عطف على يود اى ولا يقدرون على
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم او الواو للحال اى يودون ان يدفنوا فى الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا
ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم
جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح
يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فتقول ما جاءنا من نذير
فيقول من يشهد لك فيقول محمد وامته فيشهدون انه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم يدعى غيره
من الانبياء عليهم السلام ثم ينادى كل انسان باسمه واحدا واحدا وتعرض اعمالهم على رب العزة قليلها وكثيرها
حسنها وقبيحها وذكر ابو حامد فى كتاب كشف علوم الآخرة ان هذا يكون بعد ما يحكم الله تعالى بين البهائم
ويقتص للجماء من القرناء ويفصل بين الوحوش والطير ثم يقول لهم كونوا ترابا فتسوى بهم الارض فحينئذ يود
الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ويتمنى الكافر فيقول يا ليتنى كنت ترابا واعلم انه يعرض على
النبى عليه السلام اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم وتعرض على الله
يوم الخميس ويوم الاثنين وعلى الانبياء والآباء والامهات يوم الجمعة فتفكر يا اخى وان كنت شاهدا عدلا بانك
مشهود عليك فى كل احوالك من فعالك ومقالك واعظم الشهود لديك المطلع عليك الذى لا يخفى عليه خائنة
عين ولا يغيب عنه زمان ولا اين فاعمل عمل من يعلم انه راجع اليه وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير
والقليل والكثير * درخبر بازست وطاعات وليك * نه هركس توانا ست بر فعل نيك * همه برك بودن
همه ساختى * بتدبير رفتن نبرداختى * فلا تضيع ايامك فان ايامك رأس مالك وانك ما دمت قابضا على راس
مالك فانك قادر على طلب الربح لان بضاعة الآخرة كاسدة فى يومك هذا فاجتهد حتى تجمع بضاعة الآخرة
فى وقت الكساد فانما يجيئ يوم تصير هذه البضاعة عزيزة فاكثر منها فى يوم الكساد ليوم العزة فانك لا تقدر على
طلبها فى ذلك اليوم (روى) ان الموتى يتمنون ان يؤذن لهم بان يصلوا ركعتين او يؤذن لهم ان يقولوا مرة
واحدة لا اله الا الله او يؤذن لهم فى تسبيحة واحدة فلا يؤذن لهم ويتعجبون من الاحياء انهم يضيعون ايامهم
فى الغفلة * مهلكه عمر به بيهوده بكذر د حافظ * بكوش وحاصل عمر عزيز را درياب * قال القاشانى فى قوله
تعالى فكيف اذا جئنا الشهيد والشاهد ما يحضر كل احد مما بلغه من الدرجة وهو الغالب عليه فهو يكشف عن
حاله وعمله وسعيه ومبلغ جهده مقاما كان اوصفة من صفات الحق اورأيا فلكل امة شهيد بحسب ما دعاهم
اليه نبيهم وعرفه اليهم ولم يبعث الا بحسب ما يقتضيه استعداد امته فدعاهم الا الى ما يطلب استعدادهم
مما وصل اليه النبى من مقامه فى المعرفة فلا يعرف احد باطن امرهم وما هم عليه من احوالهم كنبيهم ولذلك
جعل كل نبى شهيدا على امته وقد ورد فى الحديث ان الله يتجلى لعباده فى صورة معتقدهم فيعرفه كل واحد

من اهل الملل والمذاهب ثم يتحوّل عن تلك الصورة فيبرز في صورة اخرى فلا يعرفه الا الموحدون الواصلون الى حضرة الاحدية من كل باب وكما ان لكل امة شهيدا فلكل اهل مذهب شهيد ولكل احد شهيد يكشف عن حال مشهوده واما المحمديون فهم شهداء على الامم ونبيهم شهيد عليهم لكونهم من الامم ولكون نبيهم حبيبا مؤتى بجوامع الكلم متمما لمكارم الاخلاق فلا جرم يعرفون الله عند التحول في جميع الصور اذا تابعوا نبيهم حق المتابعة ونبيهم يشهدهم ويعرف احوالهم انتهى بعبارته جعلنا الله واياكم من الكاملين الواصلين الى حق اليقين (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من افاضل الصحابة رضى الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا احدهم ليصلى بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون اعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما اعبد الى آخرها بطرح اللاءات فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلاة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها وتوجيه النهى الى قربان الصلاة مع ان المراد هو النهى عن اقامتها للمبالغة في ذلك قال في التيسير ثم النهى ليس عن عين الصلاة فانها عبادة فلا ينهى عنها بل هو نهى اكتساب السكر الذى يعجزه عن الصلاة على الوجه قال الامام ابو منصور رحمه الله وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة للعبد الآبق ولا للمرأة الناشزة ليس فيه النهى عن الصلاة لكن النهى عن الاباق والنشوز وهذا لان الاباق والنشوز والسكر ليست بالتى تعمل في اسقاط الفرض فالمعنى لا تقيموها حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولون اذ بتلك التجربة يظهر أنهم يعلمون ما سيقرأونه في الصلاة والسكر اسم لحالة تعرض بين المرء وعقله واكثر ما يكون من الشراب وقد يكون من العشق والنوم والغضب والخوف لكنه حقيقة في الاول فيحمل عليه هنا والسكارى جمع سكران كالكسالى جمع كسلان واجمعوا على انه لا يجوز بيع السكران وشراؤه ويؤاخذ بالاستهلاكات والقتل والحدود ويصح طلاقه وعتاقه عقوبة له عندنا خلافا للشافعى (ولا جنبا) عطف على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوى فيه المؤنث والمذكر والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر واصل الجنابة البعد والجنب مبعد عن القرآءة والصلاة وموضعها (الا عابرى سبيل) استثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقيده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه النهى اى لا تقربوا الصلاة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين فتعذرون بالسفر فتصلون بالتيمم (حتى تغتسلوا) غاية للنهى عن قربان الصلاة حالة الجنابة وفي الآية الكريمة اشارة الى ان المصلى حقه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكى نفسه عما يدنسها ولا يكتفى بأدنى مراتب التزكية عند امكان اعاليها (وان كنتم مرضى) جمع مريض والمرض على ثلاثة اقسام احدها ان يكون بحيث لو استعمل الماء لمات كما في الجدرى الشديد والقروح العظيمة وثانيها ان لا يموت باستعمال الماء ولكنه يجد الآلام العظيمة ويشتد مرضه او يمتد وثالثها ان لا يخاف الموت ولا الآلام الشديدة لكنه يخاف بقاء شين او عيب في البدن فالفقهاء جوزوا التيمم في القسمين الاولين وما جوزوه في القسم الثالث (او على سفر) عطف على مرضى اى او كنتم على سفر ما طال اوقصر وايراده مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعى عليه وبيان كيفيته وتعلق التيمم بالمرض والسفر مع اتم الحكم كذلك في كل موضع تحقق العجز حتى قال ابو حنيفة يجوز التيمم للجنابة في المصر اذا اعدم الماء الحار لان العجز عن استعمال الماء يقع فيها غالبا (او جاء احد منكم من الغائط) وهو المكان المنخفض المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد أن من يريده يذهب اليه ليوارى شخصه عن اعين الناس (او لامستم النساء) اى جامعتموهن يعنى اذا اصابكم المرض او السفر او الحدث او الجنابة (فلم تجدوا ماء) اى لم تقدروا على استعماله لعدمه او لبعده او لفقد آلة الوصول اليه من الدلو والرشاء او المانع عنه من حية او سبع او عدو (فتيمموا صعيدا طيبا) فاقصدوا شيأ من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابى حنيفة رحمه الله (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) الى المرفقين لما روى انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح بيديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره والباء زائدة اى فامسحوا وجوهكم وأيديكم (منه) اى من الصعيد

(ان الله كان عفوا غفورا) تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخطائين ويغفر للمذنبين لابد من ان يكون ميسرا لا معسرا * والاشارة ان الصلاة معراج المؤمن وميقات مناجاته والمصلى هو الذى يناجى ربه يعنى يا مدعى الايمان لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى اى لا تجدوا القربة فى الصلاة وانتم سكارى من الغفلات وتتبع الشهوات لان كل ما اوجب للقلب الذهول عن الله فهو ملتحق بالسكر ومن اجله جعل السكر على اقسام فسكر من الخمر وسكر من الغفلة لاستيلاء حب الدنيا واصعب السكر سكرك من نفسك فان من سكر من الخمر فقصاراه الحرقة ومن سكر من نفسه فى الوقت على الحقيقة له القطيعة والفرقة

اى اسير تنك نام خويشتن * بستة خود در ابدام خويشتن * ورنكنجى با خود اندر كوى او * كم شو از خود تا بيابى كوى او * تا تو نزديك خودى زين حرف دور * غائبى يابى اكر خواهى حضور * تا تو از غفلت چو باده مست شدى * لاجرم از طور وصلت پست شدى * حتى تعلموا ما تقولون ولماذا تقولون كما تقولون الله اكبر لتكبيرة الاحرام عند رفع اليدين ومعناه الله اعظم واجل من كل شئ فان كنت تعلم عند التقول به فينبغى ان لا يكون فى تلك الحالة فى قلبك عظمة شئ اخر وامارة ذلك ان لا تجد ذكر شئ فى قلبك مع ذكره تعالى ولا محبة شئ مع محبته ولا طلب شئ مع طلبه فانه تبارك وتعالى واحد لا يقبل الشركة فى جميع صفاته والا كنت كاذبا فى قولك الله اكبر بالنسبة الى حالك وكنت كالسكران لا تجد القربة من صلاتك لان القربة مشروطة بشرط السجود كما خوطب به واسجد واقترب والسجود ان تنزل من مركب اوصاف وجودك لتحمل على رفرف جوده الى قاب قوسين اوصاف وجوده لشهود جماله وجلاله وهذا هو سر التشهد بعد السجود ثم قال ولا جنبا الا عابرى سبيل يعنى كما لا تجدون القربة وانتم سكارى من الغفلات ايضا لا تجدونها مع جنابة استحقاق البعد وهى ملابسة الدنيا الدنية الا على طريق العبور بقدم ظاهر الشرع فى سبيل الاوامر والنواهى كعبور طريق الاعتداد بالمطعم والمشرب لسد الرمق وحفظ القوة والاكتساء لدفع الحر والبرد وستر العورة والمباشرة لحفظ النسل حتى تغتسلوا بماء القربة والانابة وصدق الطلب وحسن الارادة وخلوص النية من جنابة ملابسة الدنيا وشهواتها وان كنتم مرضى بانحراف مزاج القلب فى طلب الحق او على سفر التردد بين طلب الدنيا وطلب العقبى والمولى اوجاء احد منكم من الغائط من غائط تتبع الهوى او لامستم النساء اى لابستم الاشغال الدنيوية فاجنبتم وتباعدتم عن الله بعد ما كنتم مجاورى حظائر القدس ووقعتم فى رياض الانس فلم تجدوا ماء صدق الانابة والرجوع الى الحق بالاعراض والانقطاع عن الخلق فتيمموا صعيدا طيبا وهو تراب اقدام الرجال الطيبين من سوء الاخلاق والاعمال فامسحوا بوجوهكم تراب اقدامهم وتمسكوا بايديكم اذيال كرمهم مستسلمين بصدق الارادة لاحكامهم ان الله كان عفوا يعفو عنكم التعصب وعدم الانقطاع اليه بالكلية ولعله يعفو عنكم التلوث بالدنيا الدنية بهذه الخصلة المرضية غفورا لكم آثار الشقوة من غبار الشهوة فانهم يسعد بهم لانهم قوم لا يشقى بهم جليسهم * كليد كنج سعادت قبول اهل دلست * مبادكس كه درين نكته شك وريب كند * شبان وادئ ايمن كهى رسد بمراد * كه چند سال بجان خدمت شعيب كند (الم تر) الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين والرؤية بصرية لشهرة شنائع الموصوفين حتى انتظمت فى سلك الامور المشاهدة (الى الذين اوتوا نصيبا) حظا كائنا (من الكتاب) من علم الكتاب وهو التوراة والمراد بهم احبار اليهود اى الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان تشاهدهم وتتعجب من احوالهم نزلت فى حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان رئيس المنافقين عبد الله بن ابى ورهطه يثبطانهم عن الاسلام (يشترون الضلالة) كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية (ويريدون) اى لا يكتفون بضلالة انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم (ان تضلوا) انتم ايضا ايها المؤمنون (السبيل) المستقيم الموصل الى الحق وانما اراد واذلك ليكون الناس كلهم على دينهم فتكون لهم الرياسة على الكل واخذ المرافق من الكل (والله اعلم) اى منكم (باعدائكم) جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون لكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او هو اعلم بحالهم ومآل امرهم (وكفى بالله) الباء مزيدة (وليا) متكفلا فى جميع اموركم ومصالحكم او محبا لكم (وكفى بالله نصيرا) فى كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره او لا تبالوا بهم وبما يسومونكم

من السوء فانه تعالى معين يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والاشارة ان من رزق شيأ من علم الكتاب ظاهرا ولم يرزق اسراره وحقائقه وهم علماء السوء المداهنون فى دين الله حرصا على الدنيا وطمعا فى المال والجاه وحب الرياسه والقبول يشترون الضلالة وهى المداهنة واتباع الهوى فيبيعون الدين بالدنيا ويريدون ان تضلوا السبيل يا معشر العلماء الاتقياء وورثة الانبياء وطلاب الحق من بين الخلق عن سبيل الحق بما يحسدونكم وينكرون عليكم ويلومونكم ويؤذونكم بطريق النصح واظهار المحبة والله اعلم باعدائكم فلا تقبلوا نصيحتهم فيما يقطعون عليكم طريق الحق ويردونكم عنه ويصدونكم عن الله بالتحريض على طلب غير الله ورعاية حق غير الله واطيعوا امر الله تعالى فيما امركم به واعلم انك لا ترى حالا أسوأ ولا اقبح ممن جمع بين هذين الامرين اعنى الضلال والاضلال واكثر ما يكونان فى العلماء يطمعون فيما فى ايدى الخلق فيداهنون فيضلون فسبب زوال المداهنة قطع الطمع (روى) عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب فى جواره كل يوم شيأ من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل واخرج السنور اولا ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا أعطيك بعد اليوم لسنورك شيأ فقال ما احتسب عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك فهو كما قال فمن طمع فى ان تكون قلوب الناس عليه طيبة لم يتيسر له الحسبة فعلى العاقل ان يزكى نفسه عن الاخلاق الرديئة ويطهرها من الخصال الذميمة * چون طهارت نبود كعبه وبتخانه يكيست * نبود خير در آن خانه كه عصمت نبود (من الذين هادوا) خبر مبتدأ محذوف اى من الذين هادوا قوم (يحرفون الكلم عن مواضعه) الكلم اسم جنس ولذا ذكر الضمير فى مواضع وجمع المواضع لتكرره فى التوراة فى مواضع بحسب الجنس اى يزيلون لانهم لما غيروه ووضعوا مكانه غيره فقد ازالوه عن مواضعه التى وضعه الله فيها واما لوه عنها والتحريف نوعان احدهما صرف الكلام الى غير المراد بضرب من التأويل الباطل كما يفعل اهل البدعة فى زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم والثانى تبديل الكلمة باخرى وكانوا يفعلون ذلك نحو تحريفهم فى نعت النبى صلى الله عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله (ويقولون) فى كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبى عليه السلام ام لا بلسان المقال والحال (سمعنا) قولك (وعصينا) امرك عنادا وتحقيقا للمخالفة (واسمع) اى قولنا (غير مسمع) حال من المخاطب وهو كلام ذو وجهين احدهما المدح بأن يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها والثانى الذم بأن يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اى مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع فكأنهم قالوا ذلك تمنيا لاجابة دعوتهم عليه كانوا يخاطبون به النبى عليه السلام مظهرين له ارادة المعنى الاول وهم مضمرون فى انفسهم المعنى الاخير مطمئنون به (وراعنا) كلمة ذات جهتين ايضا محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وانتظرنا واصرف سمعك الى كلامنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اى الحمق او باجرائها مجرى شبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهى راعنا كانوا يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء حشمة منه عليه السلام وخوفا من بطش المؤمنين (ليا بألسنتهم) انتصابه على العلية اى يقولون ذلك للفتل بها اولصرف الكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا اوفتلا بها وضما لما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير (وطعنا فى الدين) اى قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية (ولو انهم) عندما سمعوا شيأ من اوامر الله ونواهيه (قالوا) بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا (سمعنا واطعنا) وبدل قولهم واسمع غير مسمع (واسمع) ولا يلحقون به غير مسمع وبدل قولهم راعنا (وانظرنا) ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اى لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال (لكان) قولهم ذلك (خيرا لهم) مما قالوا (واقوم) اى اعدل واسد فى نفسه واصوب من القيم اى المستقيم فالو المالم يكن فى الذى اختاروه خير اصلا فلم جعل هذا خيرا من ذلك وجوابه انه كذلك على زعمهم فخوطبوا على ذلك وهو كقوله آلله خير اما يشركون (ولكن لعنهم الله بكفرهم) اى ولكن قالوا ذلك

واستمروا

واستمروا على كفرهم فخذلهم الله وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك (الا قليلا) استثناء من ضمير المفعول فى لعنهم اى ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد امن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما وهو استثناء من ضمير لا يؤمنون اى لا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بموسى وكفرهم بمحمد عليهما السلام والاشارة ان العلماء السوء من هذه الامة يحرفون الكلم عن مواضعه بالفعال لا بالمقال كما كان اهل الكتاب يحرفونه بالمقال ويقولون سمعنا بالمقال فيما امر الله به من ترك الدنيا وزينتها واتباع الهوى ومن ايثار الآخرة على الاولى والانقطاع عن الخلق فى طلب المولى وعصينا بالفعال اذ لا يشمون روائح هذه المعاملات ولا يدورون حول هذه المقامات وينكرون على اهل هذه الكرامات ويستهزئون بانواع المقالات فلا يؤمنون بالقلوب السليمة الا قليلا منهم بان يكفروا بهوى نفوسهم ويؤمنوا بالايمان الحقيقى الذى هو من نتائج الارادة والصدق فى طلب الحق والاخلاص فى العمل لله وترك الدنيا وزخارفها بل بذل الوجود فى طلب المعبود (قال العطار) مشو مغرور اين نطق مزور * بنادانى مكن خودرا توسرور * اكر علم همه عالم بخوانى * چو بى عشقى از وحرفى ندانى * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لا يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة اى ريحها قال الشيخ الشاذلى العلم النافع هو الذى يستعان به على طاعة الله ويلزمك المخافة من الله والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه العلوم كالدنانير والدراهم ان شاء نفعك بها وان شاء اضرك معها والعلم ان قارنته الخشية فلك اجره وثوابه وحصول النفع به والا فعليك وزره وعقابه وقيام الحجة به وعلامة خشية الله ترك الدنيا والخلق ومحاربة النفس والشيطان (قال الشيخ السعدى قدس سره) دعوى كنى كه برترم از ديكران بعلم * چون كبر كردى از همه دونان فروترى * شاخ درخت علم ندانم بجز عمل * تا علم با عمل نكنى شاخ بى برى * علم آدميست وجوانمردى وادب * ورنه ددى بصورت انسان برابرى * ترك هواست كشتىء درياى معرفت * عارف بذات شو نه بدين قلندرى * هر علم را كه كار نه بندى چه فائده * چشم از براى آن بود آخر كه بنكرى (يا ايها الذين اوتوا الكتاب) اى التوراة (آمنوا بما نزلنا) من القرآن حال كونه (مصدقا لما معكم) من التوراة ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها فى القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها فى جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم بالاعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى عين الموافقة من حيث ان كلا منهما حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التى عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى (من قبل ان نطمس وجوها) الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اى آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها من عين وحاجب وانف وفم (فنردها على ادبارها) فنجعلها على هيئة ادبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها وهذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنه نجعلها كخف البعير وحافر الدابة فتكون الفاء للتسبيب اى بأن نردها على ادبارها او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر طمسها ثم ردها على ادبارها (او نلعنهم) اونخزى اصحاب الوجوه بالمسخ (كما لعنا اصحاب السبت) مسخناهم قردة وخنازير ووقوع الوعيد مشروط بالايمان ومعلق به وجودا وعدما يعنى ان وجد منهم الايمان لم يقع والا وقع وقد وجد الايمان منهم حيث آمن ناس منهم فلم يقع الوعيد (وكان امر الله) اى عذابه (مفعولا) كائنا لا محالة وهذا وعيد شديد لهم يعنى انتم تعلمون انه كان تهديد الله فى الامم السالفة واقعا لا محالة فكونوا على حذر من هذا الوعيد وارجعوا عن الكفر الى الايمان والاقرار بالتوبة والاستغفار اعلم ان المسخ قد وقع فى هذه الامة ايضا ومنه ما روى عن ابى علقمة انه قال كنت فى قافلة عظيمة فأمرنا رجلا نرتحل بامره وننزل بامره فنزلنا منزلا وهو يشتم ابابكر وعمر فقلنا له فى ذلك فلم يجب الينا بشئ فلما اصبحنا وقربنا واصلحنا الراحلة لم ينادنا مناديه فجئناه ننظر ما حاله وما يصنع فاذا هو متربع وقد غطى رجليه بكساء له فكشفنا عنه فاذا هو قد صار رجلاه كرجلى الخنازير فهيأنا راحلته وحملناه اليها فوثب من راحلته وقام برجليه وصاح ثلاث مرات

صيحة الخنازير واختلط بالخنازير وصار خنزيرا حتى لايعرفه منا احد كذا فى روضة العلماء (وروى) ان وحدا من رواة الاحاديث تحوّل رأسه رأس حمار لانكار وقوع مضمون حديث صحيح ورد فى حق المقتدى بالامام الرافع رأسه قبله او واضعه وحاصل الحديث ان من رفع رأسه قبل الامام اووضعه كيف لايخاف من ان يصير رأسه رأس حمار فوقع فيما وقع وهذا هو مسخ الصورة ومسخ المعنى اشدّ واصعب منه فان اعمى الصورة مثلا يمكن ان يكون فى الآخرة بصيرا ولكن من كان فى هذه اعمى يعنى بالقلب فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا وفضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة فعلى السالك ان يجتهد حتى لايردّ وجهه الناطق الى الله تعالى على الدنيا واتباع الهوى ولايمسخ صفاته الانسانية بالسبعية والشيطانية (قال الشيخ السعدى) باوترسم نشود شاهد روحانى دوست * كالتماس تو بجز عالم جسمانى نيست * سعى كن تازمقام حيوان دركذرى * كاهنست آينه ماداامكه نورانى نيست * خفتكارا چه خبر زمزمهٔ مرغ سحر * حيوانرا خبراز عالم انسانى نيست * قال الامام فى تفسير الآية وتحقيق القول فيها ان الانسان فى مبدأ خلقته ألف هذا العالم المحسوس ثم انه عند الفكر والعبودية كأنه يسافر من عالم المحسوسات الى عالم المعقولات فقدامه عالم المعقولات ووراءه عالم المحسوسات فالمخذول هو الذى يردّ من قدامه الى خلفه كما قال تعالى فى وصفهم نا كسوا رؤسهم انتهى فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الشر بعد الخير عن عبدالله بن احمد المؤذن قال كنت اطوف حول البيت واذا انا برجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول اللهم اخرجنى من الدنيا مسلما لايزيد على ذلك شيأ فقلت له لم لاتزيد على هذا الدعاء فقال لو علمت قصتى كنت تعذرنى فقلت وماقصتك قال كان لى اخوان وكان الاكبر منهما مؤذنا اذن اربعين سنة احتسابا فلما حضره الموت دعا بالمصحف فظننا ان يتبرك به فأخذه بيده واشهد على نفسه من حضر انه برئ مما فيه ثم تحول الى دين النصرانية فمات نصرانيا فلما دفن اذن الآخر ثلاثين سنة فلما حضره الموت فعل كما فعل الآخر فمات على النصرانية وانى اخاف على نفسى ان اصير مثلهما فأدعو الله تعالى ان يحفظ على دينى فقلت ماكان دينهما فقال كانا يتبعان عورات النساء وينظران الى المردان فهذا من آثار الرد واللعن والمسخ فنسأل الله تعالى ان يوفقنا لتزكية النفس واصلاحها ويختم عاقبتنا بالخير * خدايا بحب بنى فاطمه * كه برقول ايمان كنم خاتمه (ان الله لايغفران يشرك به) اى لايغفر الكفر ممن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسدّ باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدى الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصى انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شئ من الكفر والمعاصى (ويغفر مادون ذلك) اى ويغفر مادون الشرك فى القبح من المعاصى صغيرة كانت اوكبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لالكل احد بل (لمن يشاء) ان يغفر له ممن اتصف به فقط اى لابما فوقه قال شيخنا السيد الشانى سمى جامع القرءآن وهم المؤمنون الذين اتقوا من الاشراك بالله تعالى فيغفر لهم مادون الاشراك من الصغائر والكبائر لعدم اشراكهم به ولايغفر للمشركين مادون الاشراك ايضا لاشراكهم به فكما ان اشراكهم لايغفر فكذلك مادون اشراكهم لايغفر بخلاف المؤمنين فانه تعالى كما وقاهم من عذاب الاشراك بحفظهم عنه كذلك وقاهم من عذاب مادونه بمغفرته لهم (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) اى من افترى واختلق مرتكبا اثما لايقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا وهذه الآية من اجل الآيات التى كانت خيرا لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وماغربت واعظمها لانها تؤذن بان مادون الشرك من الذنب مغفور بحسب المشيئة والوعد المعلق بالمشيئة من الكريم محقق الانجاز خصوصا لعباده الموحدين المخلصين من المحدين كما قال لهم ان الله يغفر الذنوب جميعا (روى) ان وحشيا قاتل حمزة عم النبى عليه السلام كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اريد ان اسلم ولكن يمنعنى من الاسلام آية فى القرءآن نزلت عليك وهو قوله تعالى والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرّم الله الا بالحق ولايزنون وانى قد فعلت هذه الاشياء الثلاثة فهل لى من توبة فنزلت هذه الآية الا من تاب وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فكتب بذلك الى وحشى فكتب ان فى الآية شرطا وهو العمل الصالح فلا ادرى انا اقدر على العمل الصالح ام لا فنزل قوله ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فكتب بذلك الى وحشى فكتب اليه ان فى الآية شرطا فلا ادرى ايشاء ان يغفر لى ام لا فنزل قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا

من

من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فكتب الى وحشى فلم يجد الشرط فقدم المدينة واسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يشرك بالله شيأ دخل الجنة ورأى ابو العباس شريح فى مرض موته كان القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول اين العلماء فجاؤا فقال ماذا عملتم فيما علمتم فقلنا يارب قصرنا واسأنا فاعاد السؤال فكأنه لم يرض به واراد جوابا آخر فقلت اما انا فليس فى صحيفتى شرك وقد وعدت ان تغفر مادونه فقال الله تعالى اذهبوا فقد غفرت لكم ومات شريح بعده بثلاث ليال وهذا من حسن الظن بالله تعالى

كنونت كه چشمست اشكى ببار * زبان در دهانست عذرى بيار * كنون بايدت عذر تقصير كفت * نه چون نفس ناطق ز كفتن بخفت * غنيمت شمار اين كرامى نفس * كه بى مرغ قيمت ندارد قفس *

واعلم ان للشرك مراتب وللمغفرة مراتب فمراتب الشرك ثلاث الجلى والخفى والاخفى وكذلك مراتب المغفرة فالشرك الجلى بالاعيان وهو للعوام وذلك بان يعبد شيء من دون الله تعالى كالاصنام والكواكب وغيرها فلا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية فى اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية والشرك الخفى بالاوصاف وهو للخواص وذلك شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية فى العبادة كالدنيا والهوى وماسوى المولى فلا يغفر الا بالوحدانية وهى افراد الواحد للواحد بالواحد والشرك الاخفى وهو للاخص وذلك رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهى فناء الناسوتية فى بقاء اللاهوتية ليبقى بالهوية دون الانانية فان الله لا يغفر بمراتب المغفرة ان يشرك به بمراتب الشرك ويغفر مادون ذلك لمن يشاء اى لمن يشاء المغفرة فيستغفر الله تعالى من مراتب الشرك فيغفر له بمراتب المغفرة ومن يشرك بالله بمراتب الشرك فقد افترى اثما عظيما اى جعل بينه وبين الله حجابا من اثبات وجود الاشياء وانانيته وهى اعظم الحجب كما قيل * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب * نيستى جولانكه اهل دلست * شاهراه عاشقان كاملست * چون وجودت محو كردى ازميان * نور وحدت چشم دل را شد عيان * شرك رهزن باشد اى دل درطريق * ذكر توفيق خدا را كن رفيق (الم تر الى الذين يزكون انفسهم) خطاب للنبى عليه السلام على وجه التعجيب اى الم تنظر الى اليهود الذين يطهرون نفوسهم من الذنوب والسيئات ولم يزكوها حقيقة بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وبقولهم نحن كالاولاد الصغار فهل عليهم ذنب اى انظر اليهم وتعجب من حالهم وادعائهم انهم ازكياء عند الله مع ماهم عليه من الكفر والاثم العظيم واللفظ عام يشتمل كل من زكى نفسه ووصفها بزيادة التقوى والطاعة والزلفى عند الله ففيه تحذير من اعجاب المرء بعمله (بل الله) يعنى هم لا يزكونها فى الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله (يزكى من يشاء) تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين فانه العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن وقبيح وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح (ولا يظلمون) اى يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون فى ذلك العقاب (فتيلا) اى ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى القلة والحقارة والظلم فى حق المعاقب الزيادة على حقه وفى حق المثاب النقصان منه (انظر كيف) اى فى اى حال اوعلى اى حال (يفترون على الله الكذب) فى زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة فى تقبيح حالهم (وكفى به) اى بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام (اثما مبينا) ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى بذلك وحده فى كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم ولو لم يكن لهم من الذنوب الا هذا الافتراء لكان اثما عظيما ونصب اثما مبينا على التميز قال الامام ابو منصور رحمه الله قول الرجل انا مؤمن ليس بتزكية النفس بل اخبار عن شيء اكرم به وانما التزكية ان يرى نفسه تقيا صالحا ويمدح به قال السرى قدس سره من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى فيجب على العبد المؤمن ان يمتنع عن مدح نفسه الا يرى الى قوله عليه السلام انا سيد ولد آدم كيف عقبه بقوله ولا فخر اى لست اقول هذا افتخارا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم لان افتخاره عليه السلام كان بالله وتقربه من الله لا بكونه مقدما على اولاد آدم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يكون بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه * اكر مردى ازمردئ خود مكوى * نه هر شهسوارى بدر برد كوى * كنه كار انديشناك ازخدا * بسى بهتر ازعابد خود نما * اكر مشك خالص ندارى مكوى * وكر هست خود فاش

كرددبوى (ونم ماقيل) جوزخالى درميان جوزها * مى نمايد خويشتن را ازصدا * والاشارة فى الآيتين ان الذين يزكون انفسهم من اهل العلوم الظاهرة بالعلم ويباهون به العلماء ويمارون به السفهاء لاتتزكى انفسهم بمجرد تعلم العلم بل تزيد صفاتهم المذمومة مثل المباهاة والمماراة والمجادلة والمفاخرة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وطلب الاستيلاء والغلبة على الاقران والامثال بل الله يزكى من يشاء التزكية ويتهيأ لها بتسليم النفس الى ارباب التزكية وهم العلماء الراسخون والمشايخ المحققون كما يسلم الجلد الى الدباغ ليجعله اديما فمن يسلم نفسه للتزكية الى المزكى ويصبر على تصرفاته كالميت فى يد الغسال ويصغ الى اشاراته ولا يعترض على معاملاته ويقاس شدآئد اعمال التزكية فقد افلح بما تزكى والمزكى هو النبى عليه السلام فى ايام حياته كما قال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم الآية وبعده هم العلماء الذين اخذوا التزكية ممن اخذوا منه قرنا بعد قرن من الصحابة والذين اتبعوهم باحسان الى يومنا هذا ولعمرى انهم فى هذا الزمان اعزمن الكبريت الاحمر (قال الشيخ الحسينى) درطريقت رهبرد انا كزين زانكه ره دورست ورهزن دركمين * رهبرى بايد بمعنى سربلند * ازشريعت وزطريقت بهره مند * اصل وفرع وجزء وكل آموخته * شمع ازنور علم افروخته * ظاهرش ازعلم كسبى باخدا * باطنش ميراث دارمصطفا * هركه ازدست عنايت بركرفت * روز اول دامن رهبر كرفت * هركه درزندان خودرأيى فتاد * بندا وراسالها نتوان كشاد * اى سليم القلب دشوارست كار * تانپندارى كه بس شدارست كار * فعلى السالك ان يتمسك بذيل المرشد ويتشبث به الى الوقوف على علم التوحيد ثم الفناء عن نفسه لان مجرد العرفان غير منج مالم يحصل التحقق بحقيقة الحال ولذا قال عليه السلام شر الناس من قامت عليه القيامة وهو حى اى وقف على علم التوحيد ونفسه لم تمت بالفناء حتى يحيى بالله فانه حينئذ زنديق قائل بالاباحة فى الاشياء عصمنا الله واياكم من المعاصى والفحشاء (ألم تر الى الذين) الى اليهود الذين (اوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة اى انظر يا محمد وتعجب من حالهم فكأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل (يؤمنون بالجبت) فى الاصل اسم صنم فاستعمل فى كل ما عبد من دون الله (والطاغوت) الشيطان ويطلق لكل باطل من معبود اوغيره (روى) ان حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة فى سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله تعالى وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى (ويقولون للذين كفروا) اى لاجلهم وفى حقهم (هؤلاء) اشارة الى الذين كفروا (اهدى من الذين امنوا سبيلا) اى اقوم دينا وارشد طريقة (اولئك) اشارة الى القائلين (الذين لعنهم الله) اى ابعدهم عن رحمته وطردهم (ومن يلعن الله) اى يبعده عن رحمته تعالى (فلن تجد له نصيرا) يدفع عنه العذاب دنيويا كان اواخرويا لابشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش (ام لهم نصيب من الملك) ام منقطعة ومعنى الهمزة انكاران يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان ملك الدنيا سيصير اليهم (فاذن لا يؤتون الناس نقيرا) اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون احدا مقدار نقير وهو النقرة فى ظهر النواة يضرب به المثل فى القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كل حالهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا أذلاء متفاقرين (ام يحسدون) منقطعة ايضا (الناس) بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه (على ما آتاهم الله من فضله) يعنى النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما (فقد آتينا) يعنى ان حسدهم المذكور فى غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا (آل ابراهيم) الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء اعمامه (الكتاب) المنزل من السماء (والحكمة) اى النبوة والعلم (وآتيناهم) مع ذلك (ملكا عظيما) لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته صلى الله عليه وسلم ويحسدونه

على ايتائها قال ابن عباس رضى الله عنه الملك فى آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام (فمنهم) من اليهود (من آمن به) بمحمد عليه السلام (ومنهم من صد عنه) اى اعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) نارا مسعورة اى موقدة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعدلهم من سعير جهنم واعلم ان الله تعالى وصف اليهود فى الآية المتقدمة بالجهل الشديد وهو اعتقادهم ان عبادة الاوثان افضل من عبادة الله تعالى ثم وصفهم بالبخل والحسد فالبخل هو ان لا يدفع الى احد شيأ مما آتاه الله من النعمة والحسد هو ان يتمنى ان لا يعطى الله غيره شيأ من النعم فالبخل والحسد يشتركان فى من يريد منع النعمة عن الغير فأما البخيل فيمنع نعمة نفسه عن غيره واما الحاسد فيريد ان يمنع نعمة الله عن عباده فهما شر الرذائل وسببهما الجهل اما البخل فلأن بذل المال سبب لطهارة النفس ولحصول سعادة الآخرة وحبس المال سبب لحصول مال الدنيا فى يده فالبخل يدعوك الى الدنيا ويمنعك عن الآخرة والجود يدعوك الى الآخرة ويمنعك عن الدنيا ولاشك ان ترجيح الدنيا على الآخرة لا يكون الا من محض الجهل واما الحسد فلأن الالهية عبارة عن ايصال النعم والاحسان الى العبيد فمن كره ذلك فكأنه اراد عزل الاله عن الالهية وذلك محض الجهل ثم ان الحسد لا يحصل الا عند الفضيلة فكلما كانت فضيلة الانسان اتم واكمل كان حسد الحاسدين عليه اعظم (قال السعدى) شور بختان بآرزو خواهند * مقبلانرا زوال نعمت وجاه * كر نبيند بروز شبپره چشم * چشمهٔ آفتابرا چه كناه * راست خواهى هزار چشم چنان * كور بهتر كه آفتاب سياه * ولا يسود الحسود والبخيل فى جميع الزمان الا ترى ان الله تعالى جعل بخل اليهود كالمانع من حصول الملك لهم فهما لا يجتمعان وذلك لان الانقياد للغير امر مكروه لذاته وا لانسان لا يتحمل المكروه الا اذا وجد فى مقابلته امرا مطلوبا مرغوبا فيه وجهات الحاجات محيطة بالناس فاذا صدر من انسان احسان الى غيره صارت رغبة المحسن اليه فى ذلك المال سببا لصيرورته منقادا مطيعا له فلهذا قيل بالبر يستعبد الحر فأما اذا لم يوجد هذا بقيت النفرة الطبيعية عن الانقياد للغير خالصا من المعارض فلا يحصل الانقياد البتة (قال السعدى) خورش ده بكنجشك وكبك وحمام * كه يك روزت افتد هماى بدام * زراز بهر خوردن بود اى پسر * زبهر نهادن چه سنك وچه زر * وقد شبه بعض الحكماء ابن آدم فى حرصه على الجمع وخاتمة عاقبته بدود القز الذى يكاد ينسج على نفسه بجهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره فاللائق بشأن المؤمن القناعة بما رزقه الودود وترك الحرص والبذل من الموجود وقيل لما عرج النبى عليه السلام اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام ما بال هذا الرجل فى هذه الحظيرة لا تمسه النار فقال جبريل عليه السلام هذا حاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده فالجود صارف عن المرء عذاب الدنيا والعقبى وباعث لوصول الملك فى الاولى والاخرى ثم ان الملك على ثلاثة اقسام ملك على الظواهر فقط وهذا هو ملك الملوك وملك على البواطن فقط فهذا هو ملك العلماء وملك على الظواهر والبواطن معا وهذا هو ملك الانبياء عليهم السلام فاذا كان الجود من لوازم الملك وجب فى الانبياء ان يكونوا فى غاية الجود والكرم والرحمة والشفقة ليصير كل واحد من هذه الاخلاق سببا لانقياد الخلق لهم وامتثالهم لأوامرهم وكمال هذه الصفات كان حاصلا لمحمد عليه السلام (ان الذين كفروا بآياتنا) القرآن وسائر المعجزات (سوف) كلمة تذكر للتهديد والوعيد يقال سوف افعل وتذكر للوعد ايضا فتفيد التأكيد (نصليهم نارا) ندخلهم نارا عظيمة هائلة (كلما نضجت جلودهم) اى احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) غير يذكر ويراد به الضد تقول الليل غير النهار وايضا يقال للمثل المتبدل تقول للماء الحار اذا برد هذا غيره وهو المراد هنا اى اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة والحاصل انه يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك صغت من خاتمى خاتما غيره فالخاتم الثانى هو الاول وانما الصياغة اختلفت فان قلت الجلود العاصية اذا احترقت فلو خلق الله تعالى مكانها جلودا اخرى وعذبها كان ذلك تعذيبا لمن لم يعص وهو غير جائز قلت العذاب للجلدة الحساسة وهى التى عصت لا للجلد مطلقا والذات واحدة فالعذاب لم يصل الا الى العاصى (ليذوقوا العذاب) اى ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اى ادام لك على عزك وزادك فيه قال الحسن تأكلهم النار فى كل يوم سبعين مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا (وروى) مرفوعا

ان جلد الكافر اربعون ذراعا وضرسه مثل احد وشفته العليا تضرب سرته وبين لحمه وجلده ديدان كحمر الوحش تركض بين جلده ولحمه وحيات كأعناق البخت وعقارب كالبغال وهذا ليس بزيادة تخلق وتعذيب من غير معصية لكن اذا زيد ذلك فى صورته كان ذلك ثقلا على العبد ويكون نفس الثقل عقوبة عليه كسائر عقوبات جهنم من السلاسل والاغلال والعقارب والحيات فان قلت انما يقال فلان ذاق العذاب اذا ادرك شيأ قليلا منه والله تعالى قد وصف انهم كانوا فى اشد العذاب فكيف يحسن ان يذكر بعد ذلك انهم ذاقوا العذاب قلت المقصود من ذكر الذوق الاخبار بأن احساسهم بالعذاب فى كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان ولا زوال بسبب ذلك الاحتراق ودوام الملابسة ولعل السر فى تبديل الجلود مع قدرته تعالى على بقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقائها ابدا انهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق (ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه شئ مما يريده بالمجرمين (حكيما) يعاقب من يعاقب على حكمته اعلم ان هذا العذاب والتبديل الذى فى الآخرة كان حاصلا له فى الدنيا ولكن لم يكن يذوقه كالنائم يجرح نفسه بحديدة فى يده فتكون الجراحة حاصلة له فى الدنيا ولكن لم يذق ألمها حتى ينتبه فالناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعلى العبد ان يعمل على وفق الشرع وخلاف النفس والهوى حتى يجعل الله تعالى باكسير الشرع نحاس الصفات الظلمانية النفسانية فضة الصفات النورانية الروحانية فاذا تخلص فى الدنيا من شوب المعصية باصلاح النفس والجريان على وفق الشرع لم يحتج فى الاخرة الى التهذيب والتنقيح بالنار (روى) ان اصحاب الكبائر من موحدى الامم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير تائبين ولا نادمين منهم من دخل النار فى الباب الاول فى جهنم حتى لا تزرق اعينهم ولا تسود وجوههم ولا يقرنون مع الشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران فى النار حرم الله تعالى اجسادهم ووجوههم على النار من اجل السجود فمنهم من تأخذه النار الى قدميه ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ومنهم من تأخذه الى عنقه قدر ذنوبهم واعمالهم ثم ان منهم من يمكث فيها شهرا ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها واطولهم فيها مكثا كقدر الدنيا منذ خلقت الى يوم تفنى وكان ابن السماك يقول فيما يعاتب نفسه يا نفس تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وفى الجنة تطمعين ان تدخلين هيهات هيهات ان للجنة قوما آخرين ولها اعمال غير ما تعملين ويحك اخذت بزى كسرى وقيصر والفراعنة وتريدين ان ترافقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الجلال فاعرض نفسك على كتاب الله فيما وصف اولياءه واعداءه فانظر من اى الصنفين انت * برادرز كاربدان شرم دار * كه دررويى نيكان شوى شرمسار * نريزد خدا آب روى كسى * كه ريزد كناه آب چشمش بسى *

وذكر عن يزيد بن مرثد انه كان لا تنقطع دموع عينيه ساعة ولا يزال باكيا فسئل عن ذلك فقال لو أن الله تعالى اوعدنى بأنى لو اذنبت لحبسنى فى الحمام ابدا لكان حقيقا على ان لا تنقطع دموعى فكيف وقد أوعدنى ان يحبسنى فى نار اوقد عليها ثلاثة آلاف سنة اوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء كالليل المظلم قال ابو هريرة رضى الله عنه لا تغبطن فاجرا بنعمته فان وراءه طالبا حثيثا وهى جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا (قال الحافظ) قلندران حقيقت به نيم جو نخرند * قباى اطلس انكس كه ازهنر عاريست * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت همته الاخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت همته الدنيا فرق الله عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب الله له (قال السعدى) انكس ازدزد بترسد كه متاعى دارد * عارفان جمع بكردند وپريشانى نيست * هركرا خيمه بصحراى قناعت زده اند * كر جهان لرزه بكيرد غم ويرانى نيست (والذين آمنوا) بالله وبمحمد والقرآن وسائر الآيات والمعجزات (وعملوا الصالحات) التى امر الله بها (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) اى مقيمين فيها لا يخرجون منها ولا يموتون (لهم فيها ازواج مطهرة) اى مما نساء الدنيا عليه من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية كالحيض والنفاس والحقد والحسد وغير ذلك (وندخلهم ظلا ظليلا) فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس اى لا تزيله وسجسجا وهو من الزمان ما لا حر فيه ولا برد ومن المكان ما لا سهولة فيه ولا حزونة والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك

فان قلت اذا لم يكن فى الجنة شمس تؤذى بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل وايضا يرى فى الدنيا ان المواضع التى يدوم الظل فيها ولا يصل نور الشمس اليها يكون هواؤها عفنا فاسدا مؤذيا فما معنى فى وصف هواء الجنة بذلك قلت ان بلاد العرب كانت فى غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة وهذا المعنى جعلوه كناية عن الراحة قال عليه السلام السلطان ظل الله فى الارض فاذا كان الظل عبارة عن الراحة كان الظل الظليل كناية عن المبالغة العظيمة فى الراحة قال الامام فى تفسيره هذا ما يميل اليه خاطرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة ما يقطعها اقرأوا ان شئتم وظل ممدود وفى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين فوضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرأوا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة شباب جعد جرد مرد ليس لهم شعر الا فى الرأس والحاجبين واشفار العينين يعنى ليس لهم شعر عانة ولا شعر من الابط على طول آدم عليه السلام ستون ذراعا وعلى مولد عيسى عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة بيض الالوان خضر الثياب يوضع لاحدهم مائدة بين يديه فيقبل الطائر فيقول يا ولى الله اما انى قد شربت من عين السلسبيل ورعيت من رياض الجنة تحت العرش واكلت من ثمار كذا فاطعم منى فيطعم فيكون احد جانبيه مطبوخا والآخر مشويا فيأكل منهما ما شاء الله وعليه سبعون حلة ليس فيها حلة على لون آخر قال الفقيه ابو الليث من اراد ان ينال هذه الكرامة فعليه ان يداوم على خمسة اشياء الاول ان يمنع نفسه من جميع المعاصى * ونهى النفس بفرمود الله * بايدت ترك هوى ترك كناه * والثانى ان يرضى باليسير من الدنيا لان ثمن الجنة ترك الدنيا * اين زن زانيه شوى كش دنيارا * كرعلى وار طلاقش ندهم نامردم * والثالث ان يكون حريصا على الطاعات فيتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب المغفرة ودخول الجنة * عمل بايد اندر طريقت نه دم * كه سودى ندارد دم بى قدم * والرابع ان يحب الصالحين واهل الخير ويخالطهم ويجالسهم * نخست موعظه پير مجلس اين حرفست * كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد * فلزم ان يكون مصاحب الانسان اهل خير لان الصحبة مؤثرة وان واحدا من الصلحاء اذا غفر الله له يشفع لاخوانه واصحابه * اميدست از آنان كه طاعت كنند * كه بى طاعتانرا شفاعت كنند * والخامس ان يكثر الدعاء ويسأل الله تعالى ان يرزقه الجنة وان يجعل خاتمته فى الخير غنيمت شمارند مردان دعا * كه جوشن بود پيش تير بلا (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) نزلت فى عثمان بن عبد الدار الحجبى وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى على بن ابى طالب كرم الله وجهه يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلى اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله تعالى فى شأنك قرآنا وقرأ عليه فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة فى اولاد عثمان ابدا ثم أن عثمان هاجر ودفع المفتاح الى ابنه شيبة فهو فى ولده الى اليوم (واذا حكمتم) اى ويأمركم اذا قضيتم (بين الناس ان تحكموا بالعدل) والانصاف والتسوية (ان الله نعما يعظكم به) اى نعم شيأ يعظكم به تأدية الامانة والحكم بالعدل فما نكرة بمعنى شئ ويعظكم به صفته والمخصوص بالمدح محذوف (ان الله كان سميعا) لما يقوله الحزنة (بصيرا) بما تعمله الامناء اى اعملوا بأمر الله ووعظه فانه اعلم بالمسموعات والمبصرات يجازيكم على ما يصدر منكم اعلم ان الامانة عبارة عما اذا وجب لغيرك عليك حق فأديت ذلك الحق اليه والحكم بالحق عبارة عما اذا وجب للانسان على غيره حق فامرت من وجب عليه ذلك الحق بان يدفع الى من له ذلك الحق ولما كان الترتيب الصحيح ان يبذل الانسان نفسه فى جلب المنافع ودفع المضار ثم يشتغل بحال غيره لا جرم انه تعالى ذكر الامر بالامانة اولا ثم بعده ذكر الامر بالحكم بالحق ونزول هذه الآية عند القصة المذكورة لا يوجب كونها مخصوصة بهذه القصة بل يدخل فيه جميع انواع الامانات فاعلم ان معاملة الانسان اما ان تكون مع ربه او مع سائر العباد او مع نفسه ولا بد من رعاية الامانة فى جميع هذه الاقسام الثلاثة

اما رعاية الامانة مع الرب فهى فعل المامورات وترك المنهيات وهذا بحر لا ساحل له قال ابن مسعود الامانة فى كل شئ لازمة فى الوضوء والجنابة والصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك مثلا ان امانة اللسان ان لا يستعمله فى الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وامانة العينين ان لا يستعملها فى النظر الى الحرام وامانة السمع ان لا يستعمله فى سماع الملاهى والمناهى واستماع الفحش والاكاذيب وغيرها وكذا القول فى جميع الاعضاء (قال السعدى) زبانان ازبهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش حق شناس * كذرگاه قرآن وپندست كوش * به بهتان وباطل شنيدن مكوش * دو چشم از پى صنع بارى نكوست * نه عيب برادر بود كير دوست * واما القسم الثانى وهو رعاية الامانة مع سائر الخلق فيدخل فيه رد الودائع ويدخل فيه ترك التطفيف فى الكيل والوزن ويدخل فيه ان لا يفشى على الناس عيوبهم ويدخل فيه عدل الامرآء مع رعيتهم وعدل العلماء مع العوام بأن يرشدوهم الى اعتقادات واعمال تنفعهم فى دنياهم واخراهم ويدخل فيه امانة الزوجة للزوج فى حفظ فرجها وفى ان لا تلحق بالزوج ولدا تولد من غيره وفى اخبارها عن انقضاء عدتها واما القسم الثالث وهو امانة الانسان مع نفسه وهو ان لا يفعل الا ما هو الانفع والاصلح له فى الدين والدنيا وان لا يقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره فى الآخرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته قال عليه السلام لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له فعلى العبد المؤمن ان يؤدى الامانات كلها ما استطاع ويتعظ بمواعظ الحق فى كل زمان فان الوعظ نافع جدا امروز قدر پند عزيزان شناختم * يارب روان ناصح ما از تو شاد باد * قاله الحافظ وقال فى موضع پند حكيم محض صوابست ومحض خير * فرخنده بخت آنكه بسمع رضا شنيد * ثم ان من كان حاكما وجب عليه ان يحكم بالعدل ويؤدى الامانات الى اهلها قال الحسن ان الله اخذ على الحكام ثلاثا ان لا يتبعوا الهوى وان يخشوه ولا يخشوا الناس وان لا يشتروا بآياته ثمنا قليلا قال صلى الله عليه وسلم ينادى مناد يوم القيامة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برى لهم قلما اولاق لهم دواة فيجمعون ويلقون فى النار (قال السعدى) جهان نماند وآثار معدلت ماند * بخير كوش وصلاح وبعدل كوش وكرم * كه ملك ودولت ضحاك مردمان آزار * نماند وتا بقيامت برو بماند رقم * قال عليه السلام من دل سلطانا على الجور كان مع هامان وكان هو والسلطان من اشد اهل النار عذابا فمقتضى الايمان هو العدل والسعى للصلاح ونظام العالم واجرآء الشرع والاحتراز عن الرشوة فان من اخذها لا يسامح فى الشرع وغضب الاسكندر يوما على بعض شعرآئه فاقصاه وفرق ماله فى اصحابه فقيل له فى ذلك فقال اما اقصائى له فلجرمه واما تفريق ماله فى اصحابه فلئلا يشفعوا فيه فانظر كيف كان اخذ المال سببا لعدم الشفاعة لانهم لو استشفعوا فى حقه فشفعوا لزم الاسترداد فلما طمعوا تركوا الشفاعة * از تو كر انصاف آيد در وجود * به كه عمرى در ركوع ودر سجود (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) وهم امرآء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدى بهم من المهتدين واما امرآء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله والرسول فى وجوب الطاعة فانهم اللصوص المتغلبة لاخذهم اموال الناس بالقهر والغلبة وانما افرد بالذكر طاعة الله ثم جمع طاعة الرسول مع طاعة اولى الامر حيث قال تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ولم يقل واطيعوا اولى الامر منكم تعليما للادب وهو ان لا يجمعوا فى الذكر بين اسمه سبحانه وبين اسم غيره واما اذا آل الامر الى المخلوقين فيجوز (فان تنازعتم فى شئ) اصل النزع الجذب لان المتنازعين يجذب كل واحد منهما الى غير جهة صاحبه اى ان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم فى امر من امور الدين (فردوه الى الله) فارجعوا فيه الى كتاب الله (والرسول) اى الى سنته صلى الله عليه وسلم وتعلق اصحاب الظواهر بظاهر هذه الآية فى ان الاجتهاد والقياس لا يجوز لان الله تعالى امر بالرجوع الى الكتاب والسنة ولا يوجد فى كل حادثة نص ظاهر فعلم انه امر بالنظر فى موضوعاته والعمل على مدلولاته ومقتضياته ولكن الآية فى الحقيقة دليل على حجة القياس كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس (ان كنتم تؤمنون بالله

واليوم الآخر) فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله فظاهر واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة (ذلك) اى الرد الى الكتاب والسنة (خير) لكم من التنازع واصلح (واحسن) فى نفسه (تأويلا) اى عاقبة ومآلا ودلت الآية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم قال صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وقال صلى الله عليه وسلم من عامل الناس فلم يظلمهم ومن حدثهم فلم يكذبهم ومن وعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته ولا بد للامراء من خوف الله وخشيته باجراء الشرائع والاحكام واتباع سنن النبى عليه السلام حتى يملأ الله قلوب الناظرين اليهم رعبا وهيبة فحينئذ لا يحتاجون الى محافظة الصور والهيئة الظاهرة (روى) ان كاتب الروم ارسل الى عمر رضى الله عنه هدايا من الثياب والجبة فلما دخل الرسول الى المدينة قال اين دار الخليفة وبناؤه فقيل ليس له دار عظيم كما توهمت انما له بيت صغير فدلوه عليه فاتاه فوجد له بيتا صغيرا حقيرا قد اسود بابه لطول الزمان فطلبه فلم يصادفه وقيل انه خرج الى السوق لحاجته وحوائج المسلمين اى للاحتساب فخرج الرسول الى طلبه فوجده نائما تحت ظل حائط قد توسد بالدرة فلما رآه قال عدلت فامنت فنمت حيث شئت وامراؤنا ظلموا فاحتاجوا الى الحصون والجيوش (قال السعدى) بادشاهى كه طرح ظلم افكند * باى ديوار ملك خويش بكند * نكند جور بيشه سلطانى * كه نيايد ز كرك جوبانى * ومن كلام اردشير الدين اساس الملك والعدل حارسه فالم يكن له اس فهدوم ومالم يكن له حارس فضائع (وروى) ان انوشروان كان له عامل على ناحية فكتب اليه يعلمه بجودة الريع ويستأذنه فى الزيادة على الرسوم فامسك عن اجابته فعاوده العامل فى ذلك فكتب اليه قد كان فى ترك اجابتك ما حسبتك تنزجر به عن تكليف مالم تؤمر به فاذن قد أبيت الا تماديا فى سوء الادب فاقطع احدى اذنيك واكفف عما ليس من شأنك فقطع العامل اذنه وسكت عن ذلك الامر وبالجملة فالظلم عار وجزاؤه نار والاجتناب منه واجب على كل عاقل واذا كان نية المؤمن العدل فليجانب اهل الظلم وليجتنب عن اطاعتهم فان الاطاعة لاهل الحق لا لغيرهم قال عليه السلام من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير العادل فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى واعلم ان الولاة انما يكونون على حسب اعمال الرعايا واحوالهم صلاحا وفسادا (روى) انه قيل للحجاج بن يوسف لم لا تعدل مثل عمر وانت قد ادركت خلافته افلم تر عدله وصلاحه فقال فى جوابهم تباذروا اى كونوا كابى ذر فى الزهد والتقوى اتعمر لكم اى اعاملكم معاملة عمر فى العدل والانصاف وفى الحديث كما تكونون يولى عليكم احدكم يعنى ان تكونوا صالحين فيجعل وليكم رجلا صالحا وان تكونوا طالحين فيجعل وليكم رجلا طالحا (وروى) ان موسى عليه السلام ناجى ربه فقال يارب ما علامة رضاك من سخطك فاوحى اليه اذا استعملت على الناس خيارهم فهو علامة رضاى واذا استعملت شرارهم فهو علامة سخطى ثم اعلم بأن المراد باولى الامر فى الحقيقة المشايخ الواصلون ومن بيده امر التربية فان اولى امر المريد شيخه فى التربية فينبغى للمريد فى كل وارد حق يدق باب قلبه او اشارة او الهام او واقعة تنبئ عن اعمال او احوال فى حقه ان يضرب على محك نظر شيخه بما يرى فيه الشيخ من المصالح ويشير اليه او يحكم عليه يكون منقاد الأوامره ونواهيه لانه اولوا امره واما الشيخ فاولوا امره الكتاب والسنة فينبغى له ان ما سنح له من الغيب بوارد الحق من الكشوف والشواهد والاسرار والحقائق يضرب على محك الكتاب والسنة فما صدقاه ويحكمان عليه فيقبله والا فلا لان الطريقة مقيدة بالكتاب والسنة كذا ذكره الشيخ الكامل نجم الدين الكبرى فى تأويلاته (ألم تر الى الذين يزعمون) اى يدعون والمراد بالزعم هنا الكذب لان الآية نزلت فى المنافقين (انهم آمنوا بما انزل اليك) اى بالقرآن (وما انزل من قبلك) اى بالتوراة وغيرها من الكتب المنزلة وكانه قيل ماذا يفعلون فقيل (يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى عليه السلام لانه كان يقضى بالحق ولا يلتفت الى الرشوة ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف لانه كان شديد الرغبة الى الرشوة واليهودى كان محقا والمنافق كان مبطلا ثم اصر اليهودى على قوله فاحتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى مات وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت فهبط

جبرا ئيل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف سمى به لافراطه فى الطغيان وعداوة الرسول وفى معناه ومن يحكم بالباطل ويؤثر لاجله (وقد امروا ان يكفروا به) اى والحال انهم قد امروا ان يتبرأوا من الطاغوت (ويريد الشيطان) اى كعب بن الاشرف اوحقيقة الشيطان عطف على يريدون (ان يضلهم ضلالا بعيدا) اى اضلالا بعيدا لاغاية له فلا يهتدون (واذا قيل لهم) اى للمنافقين (تعالوا) اى جيئوا (الى ما انزل الله) اى الى ما امره فى كتابه (والى الرسول) والى ما امره رسوله (رأيت المنافقين) اظهار المنافقين فى مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية (يصدون عنك) حال من المنافقين (صدودا) اى يعرضون عنك اعراضا اوأى اعراض (فكيف) يكون حالهم وكيف يصنعون يعنى انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه (اذا اصابتهم مصيبة) اى وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم (بما قدمت ايديهم) بسبب ما عملوا من الجنايات التى من جملتها التحاكم الى الطاغوت وعدم الرضى بحكم الرسول (ثم جاؤك) للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم (يحلفون بالله) حال من فاعل جاؤك (ان اردنا الا احسانا وتوفيقا) اى ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا سخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار (اولئك) اى المنافقون (الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب (فاعرض عنهم) اى لا تقبل اعتذارهم ولا تفرح عنهم بدعائك (وعظهم) اى ازجرهم عن النفاق والكيد (وقل لهم فى انفسهم) اى فى حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التى يعلمها الله تعالى اوفى انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها فى السر انجع (قولا بليغا) مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له المقصود والقول البليغ بأن يقول ان الله يعلم سركم وما فى قلوبكم فلا يغنى عنكم اخفاؤه فأصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم من رذيلة الكفر وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك وشرا من ذلك واغلظ عسى ان تنجع فيهم الموعظة (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) اى وما ارسلنا رسولا من الرسل لشئ من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى فى طاعته وامره المبعوث اليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) وعرضوها للعذاب بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك (جاؤك) تائبين من النفاق (فاستغفروا الله) بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) بأن يسأل الله ان يغفر لهم عند توبتهم فان قلت لو تابوا على وجه صحيح لقبلت توبتهم فما الفائدة فى ضم استغفار الرسول الى استغفارهم قلت التحاكم الى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله وكان ايضا اساءة الى الرسول عليه السلام وادخالا للغم الى قلبه عليه السلام ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الغير (لوجدوا الله) لصادفوه حال كونه تعالى (توابا) مبالغا فى قبول التوبة (رحيما) مبالغا فى التفضل عليهم بالرحمة بدل من توابا (فلا) اى ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال (وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) اى يجعلوك حكما يا محمد ويترافعوا اليك (فيما شجر بينهم) اى فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه (ثم لا يجدوا) عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اى فتقضى بينهم ثم لا يجدوا (فى انفسهم حرجا) ضيقا (مما قضيت) اى مما قضيت به يعنى يرضون بقضائك ولا تضيق صدورهم من حكمك (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم وفى هذه الآيات دلائل على ان من رد شيأ من اوامر الله واوامر الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خارج عن الاسلام سوآء رده من جهة الشك اومن جهة التمرد وذلك يوجب صحة ما ذهبت الصحابة اليه من الحكم بارتداد مانعى الزكاة وقتلهم وسبى ذراريهم فاتباع الرسول عليه السلام فرض عين فى الفرائض العينية وفرض كفاية فى الفروض على سبيل الكفاية وواجب فى الواجبات وسنة فى السنن وهكذا ومخالفته تزيل نعمة الاسلام * خلاف پيمبر كسى ره كزيد * كه هركز بمنزل نخواهد رسيد * فالنبى صلى الله عليه وسلم هو الدليل فى طريق الحق ومخالفة الدليل ضلالة (قال الحافظ) بكوى عشق منه بى دليل راه قدم * كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون

هواه تابعا لما جئت به وقال عليه السلام من ضيع سنتي اى جعلها ضائعة بعدم اتباعها حرمت عليه شفاعتي وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ سنتي اكرمه الله تعالى باربع خصال المحبة فى قلوب البررة والهيبة فى قلوب الفجرة والسعة فى الرزق والثقة فى الدين فاتما امته من اتبعه ولا يتبعه الا من اعرض عن الدنيا فانه عليه السلام مادعا الا الى الله تعالى واليوم الآخر وماصرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر مااعرضت عنها واقبلت على الله وصرفت الاوقات لاعمال الآخرة فقد سلكت سبيله الذى سلكه وبقدر ذلك اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته ولو أنصفنا لعلمنا انا من حين نمسى الى حين نصبح لانسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا نتحرك الا لاجل الدنيا الفانية ثم نطمع فى ان نكون غدا من امته واتباعه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي على الناس زمان تخلق سنتي فيه وتتجدد فيه البدعة فمن اتبع سنتي يومئذ صار غريبا وبقي وحيدا ومن اتبع بدع الناس وجد خمسين صاحبا اواكثر فقال الصحابة يارسول الله عليك السلام هل بعدنا احد أفضل منا قال بلى قالوا أفيرونك يارسول الله قال لا قالوا فكيف يكونون فيها قال كالملح فى الماء تذوب قلوبهم كما يذوب الملح فى الماء قالوا فكيف يعيشون فى ذلك الزمان قال كالدود فى الخل قالوا فكيف يحفظون دينهم يارسول الله قال كالفحم فى اليدان وضعته طفئ وان امسكته اوعصرته احرق اليد وعن ابى نجيح العرباض بن سارية رضى الله عنه قال وعظنا رسول الله موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة فعلى المؤمن ان يتبع سنة الرسول ويجتنب عن كل ماهو بدعة وضلالة ويصلح ظاهره بالشريعة وباطنه بالطريقة حتى ينال شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ويتخلص من عذاب النار ويدخل الجنة مع الابرار فالمؤمن فى الآخرة فى الجنات كشجرة مثمرة لاتنفك عن البستان والمنافق فى الدركات كشجرة غير مثمرة تقلع من البستان وتوقد بها النار (قال الفردوسى) درختى كه شيرين بودبار او * نكردد كسى كرد ازار او * وكرزانك شيرين نباشد برش * زباى اندر آرندناكه سرش * بماند بباغ آن ودر آتش اين * تو خواهى چنان باش وخواهى چنين (ولو انا كتبنا عليهم) اى اوجبنا اوفرضنا على هؤلاء المنافقين (ان اقتلوا انفسكم اواخرجوا من دياركم) كما اوجبناه على بنى اسرائيل حين طلبوا التوبة من ذنوبهم (مافعلوه) اى المكتوب المدلول عليه بكتبنا (الا قليل منهم) الا ناس قليل منهم وهم المخلصون (ولو انهم فعلوا مايوعظون به) من متابعة الرسول وطاعته والمشى تحت رايته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب (لكان) اى فعلهم ذلك (خيرا لهم) اى احمد عاقبة فى الدارين (واشد تثبيتا) لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه (واذا) كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم من لدنا) من عندنا (اجرا عظيما) ثوابا كثيرا فى الآخرة لاينقطع (ولهديناهم صراطا مستقيما) يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم واعلم ان قتل النفس فى الحقيقة قمع هواها التى هى حياتها وافناء صفاتها والخروج من الديار خروج من المقامات التى سكنت القلوب بها وألفتها من الصبر والتوكل والرضى والتسليم وامثالها لكونها حاجبة عن التوحيد والفناء فى الذات كما قال الحسين بن منصور لابراهيم بن ادهم حين سأله عن حاله واجابه بقوله ادور فى الصحارى واطوف فى البرارى بحيث لاماء ولا شجر ولا روض ولا مطر هل حالى حال التوكل اولا فقال اذا افنيت عمرك فى عمران باطنك فأين الفناء فى التوحيد * جان عارف دوست را طالب شده * نورحق باهستيش غالب شده * بر توذات ازجناب كبريا * كرده اوراغرقهٔ بحر فنا * وعن ابراهيم بن ادهم قال دخلت جبل لبنان فاذا انا بشاب قائم وهو يقول يامن شوقى اليه وقلبى محب له ونفسى له خادم وكلى فناء فى ارادتك ومشيئتك فانت ولا غيرك متى تخيبنى من هذه العذرة قلت رحمك الله ماعلامة حب الله قال اشتهاء لقائه قلت فما علامة المشتاق قال لاله قرار ولاسكون فى ليل ولا نهار من شوقه الى ربه قلت فما علامة الفانى قال لايعرف الصديق من العدو ولا الحلو من المر من فنائه عن رسمه ونفسه وجسمه قلت فما علامة الخادم قال انه يرفع قلبه وجوارحه وطمعه من ثواب الله (قال الحافظ) توبندكى چوكدايان

بشرط مزد مكن * كه دوست خود روش بنده پروری داند * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وبالجملة انه لا بد للسالك من اقامة وظائف العبادات والاوراد فان الله اودع انوار الملكوت فى اصناف الطاعات فان من فاته صنف او اعوزه من الموافقات جنس فقد من النور بمقدار ذلك وليس للوصول سبيل ولا الى الفناء دليل غير العبودية وترك ما سوى الحق * بشب حلاج را ديدند در خواب * بريده سر بكف بر جام جلاب * بدو گفتند چونى سر بريده * بگو تا چيست اين جام گزيده * چنين گفت او كه سلطان نكونام * بدست سر بريده ميدهد جام * كسى اين جام معنى ميكند نوش * كه كرد اول سر خود را فراموش * كما قيل من لم يركب الاهوال لم ينل الاموال فيا ايها العبد الذى لا يفعل ما يوعظ به ولا يخاف من ربه كيف تركت ما هو خير لك وأعرضت عما ينفعك فليس لك الآن الا التوبة عما يوقعك فى المعاصى والمنهيات والرجوع الى الله بالطاعات والعبادات والفناء عن الذات بالاصغاء الى المرشد الرشيد الواصل الى سر التفريد وقبول امره وعظته وتسليم النفس الى تربيته ودوام المراقبة فى الطريق ومن الله التوفيق (ومن يطع الله والرسول) والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل بجميع الاوامر والنواهى (روى) ان ثوبان مولى رسول الله اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال مابى من وجع غير أنى اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة على لقائك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لأنى عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلتك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين (فأولئك) اشارة الى المطيعين (مع الذين انعم الله عليهم) اى اتم الله عليهم النعمة وهذا ترغيب للمؤمنين فى الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الى الله وارفعهم درجات عنده (من النبيين) بيان للمنعم عليهم وهم الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل (والصديقين) المبالغين فى الصدق والاخلاص فى الاقوال والافعال الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هى عليها (والشهداء) الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله (والصالحين) الذين صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد فى الدرجة لان التساوى بين الفاضل والمفضول لا يجوز ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة (وحسن اولئك رفيقا) فى معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا اى النبيين ومن بعدهم ورفيقا تمييز وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوى فيه الواحد والمتعدد والرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة فى المعاشرة قولا وفعلا (ذلك الفضل) مبتدأ والفضل صفته وهو اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم (من الله) خبره اى لا من غيره (وكفى بالله عليما) بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله وهذه الآية عامة فى جميع المكلفين اذ خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ فكل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات والمراتب الشريفة عند الله تعالى (روى) عن بعض الصالحين انه قال اخذتنى ذات ليلة سنة فنمت فرأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون فقوم يمضى بهم الى الجنة وقوم يمضى بهم الى النار قال فأتيت الجنة فناديت يا أهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنان فى محل الرضوان فقالوا لى بطاعة الرحمان ومخالفة الشيطان ثم اتيت باب النار فناديت يا اهل النار بماذا نلتم النار قالوا بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمان * كجا سر برآريم ازين عار و ننك * كه با او بصلحيم وباحق بجنك * نظر دوست نادر كند سوى تو * چو در روى دشمن بود روى تو * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قيل ومن ابى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى فعلى المرء ان يتبع الرسول ويتبع اولياء الله فان الانبياء لهم وحى الهى والاولياء لهم الهام ربانى والاتباع لهم لا يخلو عن الاتباع للرسول قال عليه السلام المرء مع من احب فان احب الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين

كان معهم فى الجنة وفى الآية تنبيه على انه ينبغى للعبد أن لا يتأخر عن مرتبة الصلاح بل يسعى فى تكميل الصلاح ثم يترقى الى مرتبة الشهادة ثم الى الصديقية وليس بين النبوة وبين الصديقية واسطة رزقنا الله واياكم الفوز بهذا النعيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا واول الصدق استواء السر والعلانية والصادق من صدق فى اقواله والصديق من صدق فى جميع اقواله وافعاله واحواله وكان جعفر الخواص يقول الصادق لا تراه الا فى فرض يؤديه او فضل يعمل فيه وثمرات الصدق كثيرة فمن بركاته فى الدنيا انه حكى عن ابى عمر الزجاجى انه قال ماتت امى فورثت دارا فبعتها بخمسين دينارا وخرجت الى الحج فلما بلغت بابل استقبلنى واحد من القافلة وقال اى شئ معك فقلت من نفسى الصدق خير ثم قلت خمسون دينارا فقال ناولنيها فناولته الصرة فحلها فاذا هى خمسون وقال لى خذها فلقد أخذنى صدقك ثم نزل عن الدابة فقال اركبها فقلت لا اريد فقال لا وألح فركبتها فقال وانا على اثرك فلما كان العام القابل لحق بى ولازمنى حتى مات (قال الحافظ) بصدق كوش كه خورشيد زايد از نفست * كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست * يعنى ان الصبح الكاذب تعقبه الظلمة والصبح الصادق يعقبه النور فمن صدق فقد بهر منه النور (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) اى تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التى يقى بها نفسه ويعصم بها روحه (فانفروا) فاخرجوا الى جهاد العدو (ثبات) جماعات متفرقة سرية بعد سرية الى جهات شتى وذلك اذا لم يخرج النبى عليه السلام جمع ثبة وهى جماعة من الرجال فوق العشرة ومحلها النصب على الحالية (او انفروا جميعا) مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وذلك اذا خرج النبى عليه السلام (وان منكم) خطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين والمنافقين (لمن) الذى اقسم بالله (ليبطئن) ليتأخرن عن الغزو ويتخلفن تثاقلا من بطأ لازم بمعنى ابطأ او ليبطئن غيره ويثبطه عن الجهاد وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابى وهو الذى ثبط الناس يوم احد والاول انسب لما بعده وهو قوله تعالى حكاية يا ليتنى كنت معهم وبالجملة المراد بالمبطئين المنافقون من العسكر لانهم كانوا يغزون نفاقا (فان اصابتكم مصيبة) نالتكم نكبة من الاعداء كقتل وهزيمة (قال) اى المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لربه (قد انعم الله على) اى بالقعود والتخلف عن القتال (اذ لم اكن معهم شهيدا) اى حاضرا فى المعركة فيصيبنى ما اصابهم (ولئن اصابكم فضل) كائن (من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن) ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذى هو (يا) قوم (ليتنى كنت معهم) فى تلك الغزوة (فأفوز فوزا عظيما) اى آخذ حظا وافرا من الغنيمة وانما وسطه بينهما لئلا يفهم من مطلع كلامه أن تمنيه معية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما فى البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة فى البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) اى يبيعونها بها ويأخذون الآخرة بدلها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر اى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب الآخرة الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اى ليتركوا ما كانوا عليه من التثبيط والنفاق والقعود عن القتال فى سبيل الله (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما) لا يقادر قدره وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغى ان يثبت فى المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه الا الجهاد فى سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم وألسنتكم وذلك بان تدعوا عليهم بالخذلان والهزيمة وللمسلمين بالنصر والغنيمة وتحرضوا القادرين على الغزو وفى الحديث من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا اى كان خلفا لاهل بيته فى اقامة حوائجهم وتتميم

مصالحهم وفضائل الجهاد لا تكاد تضبط فعلى المؤمن ان يكون فى طاعة ربه باى وجه كان من الوجوه التعبدية فان الآية الاولى وهى قوله يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم الآية وان نزلت فى الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات * مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال قبل ان تجيئ فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا او يمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وعن الزبير بن عدى قال اتينا انس بن مالك فشكونا اليه مانلقى من الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده اشد منه شرا حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم (قال الحافظ) روزى اكر غمى رسدت تنك دل مباش * روشكر كن مباد كه ازبد بتر شود * واعلم ان العدة والسلاح فى جهاد النفس والشيطان يعنى آلة قتالهما ذكر الله وبه يتخلص الانسان من كونه اسير الهوى النفسانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وعن ابى واقد الحارث بن عوف رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى المسجد والناس معه اذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما احدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها واما الآخر فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلاثة اما احدهم فاوى الى الله فآواه الله واما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه واما الآخر فاعرض فأعرض الله عنه * بذكرش هرچه بينى درخروشست * دلى داند درين معنى كه كوشست نه بلبل بركلش تسبيح خوانيست * كه هرخارى بتوحيدش زبانيست (ومالكم) اى اى شئ حصل لكم من العلل أيها المؤمنون حال كونكم (لا تقاتلون فى سبيل الله) اى تاركين القتال يعنى لاعذر لكم فى ترك المقاتلة وهذا استفهام بمعنى التوبيخ ولا يقال ذلك الاعند سبق التفريط (والمستضعفين) عطف على السبيل بحذف المضاف لا على اسم الله وان كان اقرب لان خلاص المستضعفين سبيل الله لا سبيلهم والمعنى فى سبيل الله وفى خلاص الذين استضعفهم الكفار بالتعذيب والاسر وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وانما خصهم بالذكر مع ان سبيل الله عام فى كل خير لان تخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار من اعظم الخير وأخصه (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين والولدان الصبيان جمع ولد وانما ذكرهم معهم تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم فى الاستسقاء ودلت الآية على ان استنقاذ الاسارى من المسلمين من ايدى الكفار واجب بما قدروا عليه من القتال واعطاء المال (الذين) صفة للمستضعفين (يقولون) يعنى لا حيلة لهؤلاء المستضعفين ولا ملجأ الا الله فيقولون داعين (ربنا اخرجنا من هذه القرية) مكة (الظالم اهلها) بالشرك الذى هو ظلم عظيم وبأذية المسلمين (واجعل لنا من لدنك وليا) اى ولى علينا او الى المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا يحفظ علينا ديننا وشرعنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) ينصرنا على اعدآئنا ولقد استجاب الله دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة قبل الفتح وجعل لمن بقى منهم الى الفتح خير ولى وأعز ناصر ففتح مكة على يدى نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم اى تولية ونصرهم اى نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فجعل يضعف قدرا الضعيف للحق ويعز العزيز بالحق فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا حتى صاروا اعز اهلها (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) اى المؤمنون انما يقاتلون فى دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل فى اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) اى فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه (فقاتلوا اولياء الشيطان) كأنه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله اولياء الشيطان (ان كيد الشيطان) الكيد السعى فى فساد الحال على جهة الاحتيال (كان ضعيفا) اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله بالكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شئ وأوهنه وهذا كما يقال للحق دولة

وللباطل

وللباطل جولة قالوا ادخال كان فى امثال هذه المواقع لتأكيد بيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد
الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف قال الامام فى تفسيره ان كيد الشيطان كان ضعيفا لان الله ينصر
اولياءه والشيطان ينصر اولياءه ولاشك ان نصرة الشيطان لاوليائه اضعف من نصرة الله لاوليائه
الاترى ان اهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا حال حياتهم فى غاية الفقر والذلة
واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرضوا ولا يبقى فى الدنيا رسمهم ولاطللهم قيل النار حفت بالشهوات
وان فى كل نفس شيطانا يوسوس اليها وملكا يلهمها الخير فلا يزال الشيطان يزين ويخدع ولايزال الملك
ينهيها ويلهمها الخير فايهما كانت النفس معه كان هو الغالب قيل ان كيد الشيطان والنفس بمثابة الكلب ان
قاومته مزق الاهاب وقطع الثياب وان رجعت الى ربه صرفه عنك برفق فالله تعالى جعل الشيطان عدوا للعباد
ليوحشهم به اليه وحرك عليهم النفس ليدوم اقبالهم عليه فكلما تسلطا عليهم رجعوا اليه بالافتقار وقاموا
بين يديه على نعت اللجأ والاضطرار قال احمد بن سهل اعدآؤك اربعة الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة
والشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع والنفس وسلاحها النوم وسجنها السهر والهوى وسلاحه الكلام
وسجنه الصمت واعلم ان كيد الشيطان ضعيف فى الحقيقة فان الله ناصر لاوليائه كل حين ويظهر ذلك الامداد
فى نفوسهم بسبب تزكيتهم النفس وتخلية القلب عن الشواغل الدنيوية ولامتلاء اسرارهم بنور التوحيد
فان الشيطان ظلمانى يهرب من النورانى لامحالة (روى) ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذن يوما
على النبى عليه السلام وعنده نساء من قريش يسألنه عالية اصواتهن على صوته فلما دخل ابتدرن
الحجاب فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك فقال ما اضحكك يارسول الله بابى انت وامى فقال صلى الله عليه وسلم
عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك بادرن الحجاب فقال عمر انت احق ان يهبن يارسول الله ثم
اقبل عليهن فقال اى عدوات انفسهن اتهبننى ولاتهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن انت افظ واغلظ من
رسول الله فقال عليه السلام ياابن الخطاب فوالذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا الاسلك فجا
غير فجك (وروى) عن وهب بن منبه انه قال كان عابد فى بنى اسرائيل اراد الشيطان ان يضله فلم يستطع
من اى جهة اراده من الشهوة والغضب وغير ذلك فاراده من قبل الخوف وجعل يدلى الصخرة من الجبل
فاذا بلغه ذكر الله تباعد عنه ثم تمثل بالحية وهو يصلى فجعل يلتوى على رجليه وجسده حتى يبلغ رأسه وكان
اذا اراد السجود التوى فى موضع رأسه فجعل ينحيه بيده حتى يتمكن من السجود فلما فرغ من صلاته وذهب
جاء اليه الشيطان فقال له فعلت لك كذا وكذا فلم استطع منك على شئ فاريد ان اصادقك اى ان اكون صديقا
لك فانى لااريد ضلالتك بعد اليوم فقال العابد مالى حاجة فى مصادقتك فقال الشيطان الاتسألنى باى شئ
اضل به بنى آدم قال نعم قال بالشح والحدة والسكر فان الانسان اذا كان شحيحا قللنا ماله فى عينه فمنعه من حقوقه
ورغب فى اموال الناس * كريمانرا بدست اندر درم نيست * خداوندان نعمت را كرم نيست *
وقيل فى بعض الاشعار * باشد جوابر بى مطر وبحر بى كهر * انرا كه باجمال نكو جود يار نيست *
واذا كان الرجل حديدا ادرناه بيننا كما تريد الصبيان الاكرة ولو كان يحيى الموتى لم نبال به * اكر آيد زدوستى كنهى *
بكناهى نشايد آزردن * ورزبانرا بعذر بكشايد * بايدت خشم رافروخوردن * زانكه نزديك
عاقلان بترست * عفونا كردن از كنه كردن * واما اذا سكر قدناه الى كل شئ كما تقاد العنز باذنها
مى مزيل عقل شد اى ناخلف * تابجندى مخمورى در روزكار * آدمى را عقل بايد در بدن *
ورنه جان در كالبد دارد حمار * فعلى العاقل ان يجاهد فى سبيل الله فان المجاهدة على حقيقتها تقوى الروح
الضعيف الذى استضعفه النفس بالاستيلاء عليه ويتضرع الى الله بالصدق والثبات حتى يخرج من قرية
البدن الظالم اهلها وهو النفس الامارة بالسوء ويتشرف بولاية الله تعالى فى مقام الروح رزقنا الله واياكم
فتح باب الفتوح آمين ياميسر كل عسير (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم) روى ان ناسا
اتوا النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة وشكوا اليه ما يلقون من اذى المشركين قالوا
كنا فى عز فى حالة الجاهلية والآن صرنا اذلة فلو اذنت لنا قتلنا هؤلاء المشركين على فرشهم فقال صلى الله
عليه وسلم كفوا ايديكم اى امسكوا عن القتال (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) واشتغلوا بما امرتم به فانى لم أومر

بقتالهم وكانوا فى مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال فى وقت بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه بل نفورا من الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية لان حب الحياة والنفرة من القتل من لوازم الطباع وذلك قوله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) اى فرض عليهم الجهاد (اذا فريق) اذا للمفاجأة وفريق مبتدأ (منهم) صفته (يخشون الناس) خبره والجملة جواب لما اى فاجأ فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم (كخشية الله) مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اى يخشونهم متشبهين باهل خشية الله تعالى (او اشد خشية) عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله وكلمة او للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله او خشية بعضهم اشد منها (وقالوا) عطف على جواب لما اى فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا (ربنا لم كتبت علينا القتال) فى هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريقة تمنى التخفيف (لولا اخرتنا الى اجل قريب) اى هلا امهلتنا وتركتنا الى الموت حتى نموت باجالنا على الفراش وهذا استزادة فى مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذرا من الموت وحبا للحياة (قل) اى تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفانى وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقى (متاع الدنيا قليل) اى ما يتمتع وينتفع به فى الدنيا سريع النقض وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل ولو استشهدتم فى القتال صرتم احياء فتتصل الحياة الفانية بالحياة الباقية (والآخرة) اى ثوابها الذى من جملته الثواب المنوط بالقتال (خير) لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل (لمن اتقى) حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلاص بمواجب التكليف (ولا تظلمون فتيلا) عطف على مقدر اى تجزون ولا تنقصون ادنى شئ من اجور اعمالكم التى من جملتها مسعاتكم فى شأن القتال فلا ترغبوا عنه اعلم ان الآخرة خير من الدنيا لان نعم الدنيا قليلة ونعم الآخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الآخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالهموم والغموم والمكاره ونعم الآخرة صافية عن الكدورات ونعم الدنيا مشكوكة فان اعظم الناس تنعما لا يعرف انه كيف تكون عاقبته فى اليوم الثانى ونعم الآخرة يقينية فعلى العاقل ان يختار ما هو خير من كل وجه وهو الآخرة على ما هو شر من كل جهة وهو الدنيا (قال السعدى فى بعض قصائده) عمارت با سراى ديكر انداز * كه دنيارا اساسى نيست محكم * فريدون را سرآمد پادشاهى * سليمان را برفت ازدست خاتم * وفادارى مجوى ازدهر خونخوار * محالست انكبين دركام ارقم * مثال عمر سر بر كرده شمعيست * كه كوته بازمى باشد دمادم * ويا برفى كداز آن بر سر كوه * كزو هر لحظه جزئى ميشود كم * روى ان رجلا اشترى دارا فقال لعلى رضى الله عنه اكتب القبالة فكتب بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فقد اشترى مغرور من مغرور دارا دخل فيها فى سكة الغافلين لا بقاء لصاحبها فيها الحد الاول ينتهى الى الموت والثانى الى القبر والثالث الى الحشر والرابع الى الجنة او الى النار والسلام فقرأ على الرجل فرد الدار وتصدق بالدنانير كلها وتزهد فى الدنيا فهذا هو طلب العارفين حقيقة الحال قال القشيرى رحمه الله ملكك من الدنيا ثم قللها فلم يعطها لك شيأ ثم لو تصدقت منها بشق تمرة استكثره منك وهذا غاية الكرم وشرط المحبة وهو استقلال الكثير من نفسه واستكثار القليل من حبيبه واذا كان قيمة الدنيا قليلة فاخس من الخسيس من رضى بالخسيس بدلا من النفيس وقال ان الله تعالى اختطف المؤمن من الكون بالتدريج فقال اولا قل متاع الدنيا قليل فاختطفهم من الدنيا بالعقبى ثم استلبهم عن الكونين بقوله والله خير وابقى فلا بد للسالك ان يترقى الى اعلى المنازل ويسعى من غير فتور وكلال (قال مولانا جلال الدين) اى برادر بى نهايت دركهيست * هر كجا كه مى رسى بالله مايست * وثمرة المجاهدة لا تضيع البتة بل تجزى كل نفس بما عملت قال بعض المشايخ انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد ان يعطيهم ظاهرا وباطنا وكل ما فى الجنة لا يوافق ما فى الدنيا الا من حيث التسمية ولانه تعالى اجل اقدارهم عن ان يجازيهم فى دار لا بقاء لها قال تعالى وما عند الله خير وابقى ثم الجزاء فى تلك الدار له علامة فى هذه الدار وهى انه من وجد ثمرة عمله عاجلا وهى الحلاوة فيه والتوفيق لغيره والشكر عليه فهو دليل على وجود القبول لان الجزاء على ذلك مقصور قال ابراهيم بن ادهم لو يعلم الملوك

ما نحن فيه لجالدوناعليه بالسيوف وقال بعضهم ليس شئ من البر الا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم المكابدة فى ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وانما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه فمن سره ان يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله فى قلبه وقيل لبعضهم هل تعرف الله فغضب وقال ترانى اعبد من لا اعرف فقال له السائل اوتعصى من تعرف (قال السعدى) عمرى كه ميرود بهمه حال سعى كن * تا در رضاى خالق بيچون بسر برى * وقال ايضا پيرى ودى وروه نداىسق * تونه پيرى كه طفل كتابى (اينما تكونوا يدرككم الموت) المقدر بالاجل اوالعذاب وفى لفظ الادراك اشعار بأنهم فى الهرب منه وهو مجد فى طلبهم وهو كلام مبتدأ لا محل له من الاعراب (ولو كنتم فى بروج مشيدة) اى وان كنتم فى قصور عالية الى السماء محكمة بالشيد وهو الجص لا يصعد اليها بنوا ادم قال مجاهد فى هذه الآية كان فيمن قبلكم امرأة وكان لها اجير فولدت جارية فقالت لاجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل ماولدت هذه المرأة قال جارية قال اما هذه الجارية لا تموت حتى تزنى بمائة ويتزوجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الاجير فى نفسه فأنا اريد هذه بعدان تفجر بمائة لاقتلنها فأخذ شفرة فدخل فشق بطن الصغيرة وخرج على وجهه وركب البحر وخيط بطن الصبية فعولجت وبرئت وشبت فكانت تزنى فأتت ساحلا من ساحل البحر فأقامت عليه تزنى ولبث الرجل ماشاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير فقال لامرأة من اهل الساحل اطلبى لى امرأة من اجمل النساء اتزوجها فقالت ههنا امرأة من اجمل النساء ولكنها تفجر فقال ائتينى بها فأتتها فقالت قد قدم رجل له مال كثير وقال لى كذا وكذا فقالت انى تركت الفجور ولكن ان اراد ان يتزوجنى تزوجته قال فتزوجها فوقعت منه موقعا فبينما هو يوما عندها اذ اخبرها بأمره فقالت انا تلك الجارية وارته الشق فى بطنها وقد كنت افجر فما ادرى بمائة او اقل او اكثر فقال زوجها فى نفسه ان الرجل الذى كان خارج الباب قال يكون موتها بالعنكبوت ثم اخبرها بذلك قال فبنى لها برجا فى الصحراء وشيده فبينما هى يوما فى ذلك البرج اذا عنكبوت فى السقف فقالت هذا يقتلنى لا اقتلنه اذ لا يقتله احد غيرى فحركته فسقط فأتته فوضعت ابهام رجلها عليه فشدخته فساح سمه بين ظفرها واللحم فاسودت رجلها فماتت وفى ذلك نزلت هذه الآية اينما تكونوا يدرككم الموت واجمعت الامة على ان الموت ليس له سن معلوم ولا اجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعدا لذلك قال عليه السلام اكثروا ذكر هاذم اللذات يعنى الموت وهو كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وابلغ فى الموعظة فان من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه اللذة الحاضرة ومنعه من تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج الى تطويل الوعاظ وتزويق الالفاظ والا ففى قوله عليه السلام اكثروا ذكر هاذم اللذات مع قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ما يكفى السامع ويشغل الناظر فيه (قال الحافظ) سپهر برشده پرويزنست خون افشان * كه ريزه اش سر كسرى وتاج پرويزست (قال السعدى) جهان اى پسر ملك جاويد نيست * زدنيا وفادارى اميد نيست * نه بر باد رفتى سحر گاه وشام * سرير سليمان عليه السلام * باخر نديدى كه بر باد رفت * خنك آنكه با دانش وداد رفت * والاشارة فى الآية ان يا اهل البطالة فى زى الطلبة الذين غلب عليكم الهوى وحب الدنيا فاقعدكم عن طلب المولى ثم رضيتم بالحياة الدنيا واطمأننتم بها اينما تكونوا يدرككم الموت اضطرارا ان لم تموتوا قبل ان تموتوا اختيارا ولو كنتم فى بروج مشيدة اى اجساد مجسمة قوية امزجتها اوصلنا الله واياكم الى حقيقة الفناء والبقاء آمين (وان تصبهم حسنة) اى نعمة كخصب (يقولوا هذه من عند الله) نسبوها الى الله (وان تصبهم سيئة) بلية كقحط (يقولوا هذه من عندك) اضافوها اليك يا محمد وقالوا ان هى الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها (قل كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) يبسط ويقبض حسب ارادته (فما لهؤلاء القوم) اى اى شئ حصل لليهود والمنافقين من العلل حال كونهم (لا يكادون يفقهون حديثا) اى لا يقربون من فهم حديث عن الله تعالى كالبهائم ولو فهموا لعلموا ان الكل من عند الله والفقه هو الفهم ثم اختص من جهة العرف بعلم الفتوى (ما اصابك) يا انسان (من حسنة) من خير ونعمة (فمن الله) تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافىء نعمة

الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته (وما اصابك من سيئة) من بلية وشئ تكرهه (فمن نفسك) لانها السبب فيها لاستجلابها المعاصى وهو لا ينافى قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غيران الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله عنها مامن مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يغفر الله اكثر واعلم ان للاعمال اربع مراتب منها مرتبتان لله تعالى وليس للعبد فيهما مدخل وهما التقدير والخلق ومنها مرتبتان للعبد هما الكسب والفعل فان الله تعالى منزه عن الكسب وفعل السيئة وانهما يتعلقان بالعبد ولكن العبد وكسبه مخلوق خلقه الله تعالى كما قال والله خلقكم وما تعملون فهذا تحقيق قوله قل كل من عند الله اى خلقا وتقديرا لا كسبا وفعلا فافهم واعتقد فانه مذهب اهل الحق وارباب الحقيقة كذا فى التأويلات النجمية قال الضحاك ما حفظ الرجل القرءآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قال فنسيان القرءآن من اعظم المصائب (وارسلناك للناس رسولا) اى رسولا للناس جميعا لست برسول للعرب وحدهم بل انت رسول العرب والعجم كقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس فرسولا حال قصد بها تعميم الرسالة والجار متعلق بها قدم عليها للاختصاص (وكفى بالله شهيدا) على رسالتك بنصب المعجزات وفى التأويلات النجمية يشير بقوله تعالى وارسلناك للناس رسولا اى الناس الذين قد نسوا الله ونسوا ما شاهدوا منه وما عاهدوا عليه الله وارسلناك اليهم لتبلغهم كلامنا وتذكرهم ايامنا وتجدد لهم عهودنا وترغبهم فى شهودنا وتدعوهم الينا وتهديهم الى صراطنا وتكون لهم سراجا منيرا يهتدون بهداك ويتبعون خطاك الى ان توصلهم الى الدرجات العلى وتنزلهم فى المقصد الاعلى وكفى بالله شهيدا اى شاهدا لاحبائه واوليائه لئلا يكتفوا براحة دون لقائه انتهى (قال الحافظ) يوسف عزيزم رفت اى برادر آن زحمن * كز غمش عجب ديدم حال پير كنعان * وفى الآية تعليم الادب وروية التأثير من الله تعالى روى ان ابابكر رضى الله عنه ابتلى بوجع السن سبع سنين فاعلم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل عليه السلام عن حاله فقال لم تذكر يا ابابكر فقال كيف اشكو مما جاء من الحبيب فلا بد من التخلق بالاخلاق الحسنة لان الكل من عند الله وانما ارسل الله رسوله لاخراج الناس من الظلمات الى النور فاذا تأدبوا بالآداب النبوية وصلوا الى الحقيقة المحمدية (قال الشيخ العطار) دعوتش فرمود بهر خاص وعام * نعمت خود در ابر وكرده تمام * مبعث اوسر نكونى بتان * امت او بهترين امتان * بر ميان دوكتف خورشيدوار * داشته مهر نبوت آشكار * وكان خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم اشارة الى عصمته من وسوسة الشيطان لان الخناس يجيء من بين الكتفين فيدخل خرطومه قبل قلب الانسان فيوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس وراءه وكان حول خاتم النبوة شعرات مائلة الى الخضرة مكتوب عليه محمد نبى امين وقيل غير ذلك والتوفيق بين الروايات بتعدد الخطوط وتنوعها بحسب الحالات والتجليات او بالنسبة الى انظار الناظرين ثم انه قد اتفق اهل العلم على افضلية شهر رمضان لانه انزل فيه القرءآن ثم شهر ربيع الاول لانه مولد حبيب الرحمن واما افضل الليالى فقيل ليلة القدر لنزول القرءآن فيها وقيل ليلة المولد المحمدى لولاه ما انزل القرءان ولا تعينت ليلة القدر فعلى الامة تعظيم شهر المولد وليلته كى ينالوا منه شفاعته ويصلوا الى جواره (من يطع الرسول فقد اطاع الله) لانه فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى روى انه عليه السلام قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت (ومن تولى) اى اعرض عن طاعته (فما ارسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب قوله حفيظا حال من كاف ارسلناك وعليهم متعلق بحفيظا (ويقولون) اذا امرتهم بأمر (طاعة) اى امرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) اى خرجوا (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) اى زورت خلاف ما قلت لها يا محمد فالضمير للخطاب او ما قالت لك من ضمان الطاعة فالضمير للغيبة والاشتقاق البيت من البيتوتة ولما كان غالب الافكار التى يستقصى فيها الانسان واقعا فى الليل اذ هنالك يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل سمى الفكر المستقصى مبيتا (والله يكتب ما يبيتون) يثبته فى صحائف اعمالهم للمجازاة (فأعرض عنهم) قلل المبالاة بهم (وتوكل على الله) فى الامور كلها سيما فى شأنهم (وكفى بالله وكيلا)

يكفيك معرتهم و ينتقم لك منهم اذا قوى امر الاسلام وعز انصاره والوكيل هو العالم بما يفوض اليه من التدبير (افلا يتدبرون القرآن) يتأملون فى معانيه و يتبصرون مافيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشئ وما يؤول اليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تأمل (ولو كان من عند غير الله) اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا و بعضه ركيكا و بعضه يصعب معارضته و بعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على مادل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية وهل يجوز ان يقال بعض كلام الله ابلغ من بعض قال الامام السيوطى فى الاتقان جوزه قوم لقصور نظرهم فينبغى ان يعلم ان معنى قول القائل هذا الكلام ابلغ من هذا الكلام ان هذا فى موضعه له حسن ولطف و بلاغة وذاك فى موضعه له حسن ولطف وهذا الحسن فى موضعه اكمل وابلغ من ذلك فى موضعه فلا ينبغى ان يقال ان قل هو الله احد ابلغ من تبت بل ينبغى ان يقال تبت يدا ابى لهب دعاء عليه بالخسران فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران احسن من هذه وكذلك فى قل هو الله احد لا توجد عبارة تدل على وحدانيته ابلغ منها فالعالم اذا نظر الى تبت يدا ابى لهب فى باب الدعاء بالخسران ونظر الى قل هو الله احد فى باب التوحيد لا يمكنه ان يقول احدهما ابلغ من الآخر وقال بعض المحققين كلام الله فى الله افضل من كلامه فى غيره فقل هو الله احد افضل من تبت يدا ابى لهب لان فيه فضيلة الذكر وهو كلام الله وفضيلة المذكور وهو اسم ذاته وتوحيده وصفاته الايجابية والسلبية وسورة تبت فيها فضيلة الذكر فقط وهو كلام الله تعالى قال الغزالى فى جوهر القرآن ومن توقف فى تفضيل الآيات اول قوله عليه السلام افضل سورة واعظم سورة بانه اراد فى الاجر والثواب لا ان بعض القرآن افضل من بعض فالكل فى فضل الكلام واحد والتفاوت فى الاجر لا فى كلام الله تعالى من حيث هو كلام الله القديم القائم بذاته تعالى انتهى يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة قولهم ان هذه الآية فى غاية الفصاحة كما قال القاضى عند قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعى ماءك الآية يشعر بجواز القول بالتفاوت فى طبقات الفصاحة كما عليه علماء البلاغة ومن هنا (قال من قال) در بيان ودر فصاحت كى بود يكسان سخن * كرچه كوينده بود چون جاحظ وچون اصمعى * دركلام ايزد بيچون كه وحى منزلست * كى بود تبت يدا مانند يا ارض ابلعى * قال العلماء القرآن يدل على صدقه عليه السلام من ثلاثة اوجه احدها اطراد الفاظه فى الفصاحة وثانيها اشتماله على الاخبار عن الغيوب والثالث سلامته من الاختلاف وسبب سلامته منه على ما ذهب اليه اكثر المتكلمين ان القرآن كتاب كبير مشتمل على انواع كثيرة من العلوم فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه انواع من الكلمات المتناقضة لان الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا انه ليس من عند غير الله وانما هو وحى اوحى اليه عليه السلام من عند الله بوساطة جبرآئيل فمن اطاعه فيه فقد اطاع الله والاطاعة سبب لنيل المطالب الدنيوية والاخروية و يرشدك على شرف الاطاعة ان كلب اصحاب الكهف لما تبعهم فى طاعة الله وعده دخول الجنة (كما قال السعدى) سك اصحاب كهف روزى چند * پى مردم كرفت ومردم شد * فاذا كان من تبع المطيعين كذلك فما ظنك بالمطيعين وكان من صلى ولم يؤد الزكاة لم تقبل منه الصلاة ومن شكر الله فى نعمائه ولم يشكر الوالدين لا يقبل منه فكذلك من اطاع الله ولم يطع الرسول لا يقبل منه والاشارة ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان لو صفه بالفناء فانيا فى الله باقيا بالله قائما مع الله فكان خليفة الله على الحقيقة فيما يعامل الخلق حتى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكان الله خليفته فيما يعامله الخلق حتى قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولهذا كان يقول صلى الله عليه وسلم الله خليفتى على امتى فمن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا فانك لست لك حافظا فكيف لهم فانهم تولوا عنى لا عنك فانما على حسابهم لا عليك وفى قوله تعالى ويقولون طاعة اشارة الى احوال اكثر مريدى هذا الزمان اذا كانوا حاضرين فى الصحبة ينعكس تلألؤ اشعة انوار الولاية فى مرءآة قلوبهم فيزدادون ايمانا مع ايمانهم وارادة مع ارادتهم فيصغون بآذانهم الواعية الى الحكم والمواعظ الحسنة ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق و يقولون السمع والطاعة فيما يسمعون و يخاطبون به فاذا برزوا من عندك وهب لهم رياح الهوى وشهوة الحرص وتمايلت قلوبهم عن مجازات القرار على الولاية وعاد المشئوم الى طبعه بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون اى يغير عليهم ما يغيرون

على انفسهم لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فاعرض عنهم فاصفح عنهم واصبر معهم وتوكل على الله لعل الله يصلح بالهم ولا يجعل التغيير وبالهم ويحسن عاقبتهم ومآلهم وكفى بالله وكيلا للمتوكلين عليه والملتجئين اليه ثم اخبر عن الدوآء كما اخبر عن الدوآء بقوله افلا يتدبرون القرءآن والاشارة ان العباد لو كانوا يتدبرون القرءآن ويتفكرون فى آثار معجزاته وانوار هداياته ونظم آياته وكمال فصاحته وجمال بلاغته وجزالة الفاظه ورزانة معانيه ومتانة مبانيه وفى اسراره وحقائقه ودقة اشاراته ولطائفه وانواع معالجاته لامراض القلوب من اصابة ضرر الذنوب لوجدوا فيه لكل دآء دوآء ولكل مرض شفاء ولكل عين قرة ولكل وجه غرة ولرأوا كأسه موصوفا بالصفاء محفوظا من القذى بحرا لاتنقضى عجائبه وبرا لاتنتهى غرآئبه روحا لاتباغض فيه ولا خلاف وجنة لاتناقض فيها ولا اختلاف ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولم يجدوا فيه نقيرا ولا قطميرا انتهت من التأويلات النجمية (وفى المثنوى) چون تودر قرآن حق بگريختى * باروان انبيا آميختى * هست قرآن حالهاى انبيا * ماهيان بحر پاك كبريا * وربخوانى ونه قرآن پذير * انبيا واوليا راديده گير (واذا جاءهم) اى بلغ ضعفة المسلمين (امر من الامن او الخوف) اى خبر من السرايا الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفر وغنيمة او نكبة وهزيمة (اذاعوا به) اى افشوا ذلك الخبر واظهروه لعدم خبرتهم بالاحوال واستنباطهم للامور وكانت اذاعتهم مفسدة يقال اذاع السر واذاع به والباء مزيدة (ولو ردوه) اى ذلك الخبر (الى الرسول والى اولى الامر منهم) بترك التعرض له وجعله بمنزلة غير المسموع وتفويض امره الى رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ورأى كبار اصحابه كالخلفاء الاربعة اوراى امرآء السرايا فكبار الصحابة اولوا امر على معنى انهم البصرآء بالامور وان لم يكن لهم امر على الناس والامرآء اولوا الامر على الناس مع كونهم بصرآء بالامور (لعلمه) اى لعلم تدبير ما اخبروا به على اى وجه يذكرونه (الذين) اى الرسول واولوا الامر الذين (يستنبطونه منهم) اى يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم الصحيحة ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر يقال انبط الحفار اذا بلغ الماء وسمى القوم الذين ينزلون بالبطائح بين العراقين نبطا لاستنباطهم الماء من الارض وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعدآء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعدآء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون منه فالمراد بالمستنبطين منهم على كلا الوجهين الرسول واولوا الامر ومن فى قوله يستنبطونه منهم اما تبعيضية واما بيانية تجريدية وفى الآية نهى عن افشاء السر قيل لبعض الادباء كيف حفظك للسر قال انا قبره ومن هذا قيل صدور الابرار قبور الاسرار (وفى المثنوى) وربگويى بايكى دو الوداع * كل سر جاوز الاثنين شاع * نكته كان جست ناگه از زبان * همچو تيرى دان كه جست آن از كمان * وانگردد از ره آن تير اى پسر * بند بايد كرد سيلى راز سر * وفى الآية اشارة الى ارباب السلوك اذا فتح لهم باب من الانس او الهيبة او الحضور او الغيبة من آثار صفات الجمال والجلال اشاعوه الى الاغيار ولو كان رجوعهم فى حل هذه المشكلات الى سنن الرسول صلى الله عليه وسلم والى سير اولى الامر منهم وهم المشايخ البالغون الواصلون ومن كان له شيخ كامل فهو ولى امره لعلمه الذين يستنبطونه منهم وهم ارباب الكشوف بحقائق الاشياء فهم الغواصون فى بحار اوصاف البشرية المستخرجون من اصداف العلوم درر حقائق المعرفة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال الرسول وانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) بالكفر والضلال (الا قليلا) اى الا قليلا منكم فان من خصه الله بعقل راجح وقلب غير متكدر بالانهماك فى اتباع الشهوات يهتدى الى الحق والصواب ولا يتبع الشيطان ولا يكفر بالله وان فرض عدم انزال القرءآن وبعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما ممن كان على دين المسيح قبل بعثته وقال الشيخ نجم الدين قدس سره فى تاويلاته لعلى الاستثناء راجع الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه فانه كان قبل مبعث النبى عليه السلام يوافقه فى طلب الحق قالت عائشة رضى الله عنها لم اعقل ابوى قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشيا (وروى عن النبى عليه السلام كنت وابو بكر كفرسى رهان سبقته فتبعنى ولو سبقنى لتبعته وفى الحقيقة كان النبى عليه السلام فضل الله

ورحمته

ورحمته يدل عليه قوله تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا الى قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلولا وجود النبى عليه السلام وبعثته لبقوا فى تيه الضلالة تائهين كما قال تعالى ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين يعنى قبل بعثته وكانوا قد اتبعوا الشيطان الى شفا حفرة من النار وكان عليه السلام فضلا ورحمة عليهم فانقذهم منها كما قال تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها (قال الشيخ العطار قدس سره) خويشتن را خواجهٔ عرصات كفت * انما انا رحمة مهداة كفت * (وقال حضرة الهدايى قدس سره) سرمايهٔ سعادت عالم محمد است * مقصود از بن طينت آدم محمد است * درصورت آدم آمد اكرچه مقدما * درمعنى پيشوا ومقدم محمد است * كرچه هدايى رسالت مكرم است * محبوب حق محمد وخاتم محمد است * قال بعض الحكماء ان الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء واذنيه من العبرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الاخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة فلما اكمله بهذه الصفة ارسله الى هذه الامة فقال هذا هديتى اليكم فاعرفوا قدر هديتى وعظموه كذا فى زهرة الرياض وقيل فى وجه عدم ارتحال جسده الشريف النظيف من الدنيا مع ان عيسى عليه السلام قد عرج الى السماء بجسده انه انما بقى جسمه الطاهر هنا لاصلاح عالم الاجساد وانتظامه فانه مظهر الذات وطلسم الكائنات فجميع الانتظام بوجوده الشريف كذا فى الواقعات المحمودية نقلا عن حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس الله سره آمين آمين يارب العالمين (فقاتل فى سبيل الله) الفاء جزائية والجملة جواب لشرط مقدر أى ان تثبط المنافقون وقصر الآخرون وتركوك وحدك فقاتل انت يا محمد وحدك فى الطريق الموصل الى رضى الله وهو الجهاد ولا تبال بما فعلوا (لا تكلف الا نفسك) مفعول ثان للفعل المخاطب المجهول اى الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود والتكلف اسم لما يفعل بمشقة او تصنع فالمحمود منه ما فعل بمشقة حتى ألف ففعل بمحبة كالعبادات والمذموم منه ما يتعاطى تصنعا ورياء (وحرض المؤمنين) على القتال اى رغبهم فيه بذكر الثواب والعقاب او بوعد النصرة والغنيمة وما عليك فى شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد أبا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى فى ذى القعدة وهى سوق من المدينة على ثمانية اميال ويقال لها حمراء الاسد ايضا فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية فخرج صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكبا فكفاهم الله القتال كما قال (عسى الله ان يكف) اى يمنع (بأس الذين كفروا) البأس فى الاصل المكروه ثم وضع موضع الحرب والقتال قال تعالى لا يأتون البأس الا قليلا وعسى من الله واجب لانه فى اللغة الاطماع والكريم اذا اطمع انجز وقد فعل حيث ألقى فى قلوب الكفرة الرعب حتى رجعوا من مر الظهران وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثمانى ليال وكان معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر فى سورة آل عمران (والله اشد بأسا) اى من قريش (واشد تنكيلا) اى تعذيبا وعقوبة ينكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدى اليها ويجوز ان يكونا جميعا فى الدنيا وان يكون احدهما فى الدنيا والآخر فى العقبى ثم له ثلاثة اوجه احدها ان معناه ان عذاب الله تعالى اشد من جميع ما ينالكم بقتالهم لان مكروههم ينقطع ثم تصيرون الى الجنة وما يصل الى الكفار والمنافقين من عذاب الله يدوم ولا ينقطع والثانى لما كان عذاب الله اشد فهو اولى ان يخاف ولا يجرى فى امره بالقتال منكم خلاف وهذا وعيد والثالث لما كان عذاب الله أشد فهو يدفعهم عنكم ويكفيكم امرهم وهذا وعد وانما جبن المتقاعدون لشدة بأس الكفار وصولتهم ولكن الله قاهر فوق عباده وقوة اليقين رأس مال الدين والموت تحفة المؤمن الكامل خصوصا اذا كان فى طريق الجهاد والدنيا سريعة الزوال ولا تبقى على كل حال وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كثيرا ما ينشد هذه الابيات

لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويردى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجرى الرياح له * والانس والجن فيما بينها ترد

اين الملوك التى كانت لعزتها * من كل اوب اليها وافد يفد.
حوض هنالك مورود بلا كذب * لا بد من ورده يوما كما وردوا

وفى التأويلات النجمية فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك المعنى فجاهد فى طلب الحق نفسك فان فى طلب الحق لا تكلف نفسا اخرى الا نفسك وفيه معنى آخر لا تكلف نفس اخرى بالجهاد لاجل نفسك لان جهادك من نفسك لا من نفس اخرى فدع نفسك وتعال فانك صاحب يوم لا تملك نفس لنفس شيأ وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اختص بهذا المقام من جميع الانبياء والمرسلين وان يكون فانى النفس والذى يدل عليه ان الانبياء يوم القيامة يقولون لبقاء نفوسهم نفسى نفسى ويقول النبى عليه السلام لفناء نفسه امتى امتى فافهم جدا ثم قال وحرض المؤمنين على القتال يعنى فى الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا ظاهرا وباطنا فالظاهر الكفار والباطن النفس والله اشد بأسا واشد تنكيلا فى استيلاء سطوات صفات قهره عند تجلى صفة جلاله للنفس من بأس الكافر عليها انتهى (وفى المثنوى) اندرين ره مى تراش ومى خراش * تادمى آخر دمى فارغ مباش * اى شهان كشتيم ما خصمى برون * ماند خصمى زو بتر در اندرون * كشتن اين كار عقل وهوش نيست * شير باطن سخرهٔ خرگوش نيست * سهل شيرى دانكه صفها بشكند * شير آنست آنكه خود را بشكند (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها والشفاعة الحسنة هى التى روعى بها حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب اليه خير وابتغى بها وجه الله تعالى ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت فى امر جائز لا فى حد من حدود الله ولا فى حق من الحقوق (ومن يشفع شفاعة سيئة) وهى ما كانت بخلاف الحسنة (يكن له كفل منها) اى نصيب من وزرها مساو لها فى المقدار من غير ان ينقص منه شئ وعن مسروق انه شفع شفاعة فأهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك لا اتكلم فيما بقى منها ومن بلاغات الزمخشرى شيئان شينان فى الاسلام الشفاعة فى الحدود والرشوة فى الاحكام والحدود عقوبة مقدرة يجب على الامام اقامتها حقا لله تعالى لئلا يتضرر العباد فالتعزير ليس بحد اذ ليس له قدر معين فان اكثره تسعة وثلاثون سوطا واقله ثلاثة وكذا القصاص لا يسمى حدا لانه حق العبد وهو ولى القصاص ولهذا سقط بالعفو والاعتياض فحد الزنى لغير المحصن مائة جلدة وللعبد نصفها وحد شرب الخمر ثمانون سوطا للحر واربعون للعبد مفرقا على بدنه كما فى حد الزنى وحد القذف كحد الشرب فمن قذف محصنا او محصنة بصريح الزنى حد بطلب المقذوف المحصن لان فيه حق العبد من حيث دفع العار عنه وكذا طلب المسروق منه شرط القطع فى السرقة فهذه حدود لا يجرى فيها الشفاعة اذا الحق علم القاضى بالواقعة ولهذا قال فى ترجمة وصايا الفتوحات المكية * ونزديك حاكم در حدود الله شفاعت مكن * از ابن عباس رضى الله عنه در خواست كردند درباب دزدى شفاعت كند ابن عباس رضى الله عنه كفت هركه شفاعت كند وهركه قبول كند هردو درلعنت اندرا كر پيش از انكه بحاكم معلوم نشود ميكفتيد مى شد * انتهى ولما كانت الشفاعة فى القصاص غير الشفاعة فى الحدود قال صلى الله عليه وسلم ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر ذكره الامام الغزالى رحمه الله وافصح الحديث عن ان الشفاعة هى التوسط بالقول فى وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية وخلاصه من مضرة ما كذلك واذا كانت فى امر غير مشروع لا تكون صدقة بل سيئة وذكر فى ترجمة الوصايا ايضا چون براى كسى شفاعت كنى وكار او ساخته شود زنهار هديهٔ او قبول مكن كه * رسول الله صلى الله عليه وسلم * از اجلهٔ ربوا نهاده است * شيخ اكبر قدس سره الاطهر * فرمود كه در بعض بلاد عرب يكى از اعيان مرا بخانهٔ خود دعوت كرد وترتيبى كرده بود وكرامتى مهيا داشته چون طعام احضار كردند ورا بسلطان بلند حاجتى بود ازمن طلب شفاعت كرد وسخن من نزد سلطان درغايت قبول بود شيخ فرمود كه اورا كفتم * نعم وبرخاستم وطعام نخوردم وهدايا قبول نكردم وحاجت او پيش سلطان كزاردم * واملاك وى بوى باز كشت ومرا هنوز حديث نبوى وقوف نبود ولكن مروءت من چنين تقاضا كرد واستنكاف كردم كه كسى را بمن حاجتى باشد * وازوى بمن نفعى عائد شود ودر حقيقت

ان

آن بعنايت وعصمت حق بود * انتهى وبالجملة ينبغى للمؤمن ان يشفع للجانى الى المجنى عليه بل ومن حقوق الاسلام ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى فى قضاء حاجته بما يقدر عليه (قال السعدى) كرا زحق نه توفيق خيرى رسد * كى از بنده خيرى بغيرى رسد * اميد است از انانكه طاعت كنند * كه بى طاعتانرا شفاعت كنند * ومن الشفاعة الحسنة الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى وعن النبى عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود والدعوة على المسلم بضد ذلك وانما يستجاب الدعاء بظهر الغيب لبعده عن شائبة الطمع والرياء بخلاف دعاء الحاضر للحاضر لانه قلما يسلم من ذلك فالغائب لا يدعو للغائب الا لله خالصا فيكون مقبولا والصلاة على النبى عليه السلام فى الصلاة وغيرها دعاء من العبد المصلى لمحمد صلى الله عليه وسلم عن ظهر الغيب فشرع ذلك رسول الله وامر الله به فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ليعود هذا الخير من الملك على المصلى ولهذا جوز الحنفية قرآءة الفاتحة لروح المطهر عليه السلام ومنعها الشافعية لان الدعاء بالترحم يوهم التقصير ولذا لا يقال عند ذكر الانبياء رحمة الله عليهم بل عليهم السلام والجواب ان نفع القرآءة يعود على القارئ فأى ضرر فى ذلك (وكان الله على كل شئ مقيتا) اى مقتدرا مجازيا بالحسنة والسيئة من اقات على الشئ اذا اقتدر عليه اوشهيدا حفيظا قال الامام الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى معنى المقيت خالق الاقوات وموصلها الى الابدان وهى الاطعمة والى القلوب وهى المعرفة فيكون بمعنى الرازق الا انه اخص منه اذ الرزق يتناول القوت وغير القوت والقوت ما يكتفى به فى قوام البدن اويكون معناه المستولى على الشئ القادر عليه والاستيلاء يتم بالقدرة والعلم وعليه يدل قوله تعالى وكان الله على كل شئ مقيتا اى مطلعا قادرا فيكون معناه راجعا الى العلم والقدرة فوصفه بالمقيت اتم من وصفه بالقادر وحده وبالعالم وحده لانه دال على اجتماع المعنيين وبذلك يخرج هذا الاسم من الترادف * والاشارة فى الآية من يشفع شفاعة حسنة لايصال نوع من الخيرات الى الغير يكن له نصيب منها فانها من خصوصيتها ان يكون له نصيب منها اى له نصيب من هذه الحسنة فى تلك الخصوصية قد يشفع شفاعة حسنة ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له اى فى جبلته كفل منها يعنى من تلك السيئة التى هى ايصال نوع من الشر فبها قد يشفع شفاعة سيئة كما قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا ان الله كان فى الازل على كل شئ مقيتا شهيدا فى ايجاد المحسن والمسئ مقتدرا عليما حفيظا يعطيهما استعدادا لشفاعة حسنة وسيئة لا يقدر ان اليوم على تبديل استعدادهما لقابلية الخير والشر فافهم جدا (قال الحافظ) نقش مستورى ومستى نه بدست من وتست * آنچه استاد ازل كفت بكن آن كردم (وقال السعدى) كرت صورت حال بد يا نكوست * نكاريدهٔ دست تقدير اوست * (واذا حييتم بتحية) التحية مصدر من حيى كالتسمية من سمى اصلها تحيية كتفعلة واصل الاصل تحييى بثلاث ياآت فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التأنيث وادغمت الاولى فى الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء واصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت فى كل دعاء لان الدعاء بالخير لا يخلو شئ منه عن الدعاء بنفس الحياة اوبما هو السبب المؤدى الى قوتها وكمالها اوبما هو الغاية المطلوبة منها وكانت العرب اذا لقى بعضهم بعضا يقول حياك الله اى جعل الله لك حياة واطال حياتك ويقول بعضهم عش ألف سنه ثم استعملها الشرع فى السلام وهى تحية الاسلام قال تعالى فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قيل تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وفى السلام مزية على تحية العرب وهى حياك الله لما انه دعاء بالسلامة من الآفات الدينية والدنيوية فانه اذا قال الانسان لغيره السلام عليك فقد دعا فى حقه بالسلامة منها ويتضمن الوعد بسلامة ذلك الغير وامانه منه كأنه قال انت سليم منى فاجعلنى سليما منك والسلامة مستلزمة لطول الحياة وليس فى الدعاء بطول الحياة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب فى فضله ومزيته ومعنى الآية اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين (فحيوا بأحسن منها) اى بتحية احسن منها بأن تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبأن تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلم وهو ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته منتهى الامر فى السلام لكونه مستجمعا لجميع فنون المطالب

التي هي السلامة من المضار ونيل المنافع ودوامها وتمامها ولهذا اقتصر على هذا القدر في التشهد (روى عنه عليه السلام انه قال من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة والمبتدئ بالسلام ان شاء يقول السلام عليكم وان شاء يقول سلام عليكم لان كل واحد من التعريف والتنكير وارد في الفاظ القرءآن قال الله تعالى والسلام على من اتبع الهدى وسلام على عباده الذين اصطفى لكن التنكير اكثر والكل جائز واما التحليل من الصلاة فلابد فيه من الالف واللام بالاتفاق ومعنى الجمع في السلام عليكم الخطاب الى الرجل والملكين الحافظين معه فانهما يردان السلام ومن سلم عليه الملك فقد سلم من عذاب الله تعالى (اوردوها) اى ردوا مثلها او اجيبوا به لأن رد عينها محال فحذف المضاف نحو واسأل القرية قال في الكشاف رد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره (وروى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية اى اين رد الاحسن المذكور في الآية فقال عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فيكون قوله عليه السلام وعليك اى وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من قبيل رد المثل وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها قال ابو يوسف من قال لآخر اقرئ فلانا مني السلام وجب عليه ان يفعل واذا ورد سلام في كتاب فجوابه واجب بالكتاب للآية (ان الله كان على كل شئ حسيبا) الحسيب بمعنى المحاسب على العمل كالجليس بمعنى المجالس اى انه تعالى كان على كل شئ من اعمالكم سيما رد السلام بمثله اوبأحسن منه محاسبا مجازيا فحافظوا على مراعاة التحية حسبما امرتم به فالجمهور على ان الآية في السلام فالسنة ان يسلم الراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير ويسلم على الصبيان وهو أفضل من تركه قال في البستان وبه نأخذ ويسلم على اهل بيته حين يدخله فان دخل بيتا ليس فيه احد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان الملائكة ترد عليه السلام ويسلم على القوم حين يدخل عليهم وحين يفارقهم ايضا فمن فعل ذلك شاركهم في كل خير عملوه بعده قال القرطبي ولا يسلم على النساء الشابات الاجانب خوف الفتنة من مكالمتهن بنزغة شيطان او خائنة عين واما السلام على المحارم والعجائز فحسن ويسلم على اهل الاسلام من عرف منهم ومن لم يعرف ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قال ابن الشيخ في حواشيه ومن دخل الحمام ورأى الناس متزرين يسلم عليهم وان لم يكونوا متزرين لا يسلم عليهم لانه لا يسلم على المشتغل بمعصية انتهى لكن قال الامام الغزالي في الاحياء لا يسلم عند الدخول اى في الحمام وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان احب ان يجيب قال عافاك الله ولا بأس ان يفتتح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام انتهى ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرءان جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة وكذا لا يرد القاضي اذا سلم عليه الخصمان وكذا لا يسلم القاضي على الخصوم اذا جلس للحكم لتبقى الهيبة وتكثر الحشمة وبهذا جرى الرسم بان الولاة والامراء لا بأس بان لا يسلموا اذا دخلوا فالمحتسب لا يسلم على اهل السوق في طوافه للحسبة ليبقى على الهيبة وقال بعضهم لا يسع القاضي والوالي والامير ترك السلام اذا دخلوا لانه سنة فلا يسعهم ترك السنة بسبب تقلد العمل وكذا المتصدق اذا سلم عليه السائل اوان سؤاله لا يرد وكذا من له ورد من القرءآن والدعوات فسلم عليه احد في حال ورده لا يرده وكذا اذا جلس في المسجد للتسبيح اوللقرآءة اولانتظار الصلاة واذا دخل الزائر في المسجد فسلم عليه احد من الداخلين في المسجد يجوز واذا لم يكن في المسجد احد الامن يصلي ينبغي ان يقول الداخل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ولا يسلم فانه تكليف جواب في غير محله حتى لا يرده قبل الفراغ وبعده وهو الصحيح ولا يبادر بالسلام على الذمي الا لضرورة اوحاجة له عنده ولا بأس بالدعاء للكافر والذمي بما يصلحه في دنياه قال ابن الملك الدعاء لاهل الكتاب بمقابلة احسانهم غير ممنوع لما روى ان يهوديا حلب للنبي عليه السلام لقحة فقال عليه السلام اللهم جمله فبقي سواد شعره الى قريب من سبعين سنة قال النووي الصواب ان ابتداء اهل الكتاب بالسلام حرام لانه اعزاز ولا يجوز اعزاز الكفار وقال الطيبي المختار

ان

ان المبتدع لا يبدأ بالسلام ولو سلم على من لا يعرفه فظهر ذميا اومبتدعا يقول استرجعت سلامى تحقيرا له
واما الاكل مع الكافر فان كان مرة اومرتين لتأليف قلبه على الاسلام فلا بأس فانه صلى الله عليه وسلم اكل
مع كافر مرة فحملناه على انه كان لتأليف قلبه على الاسلام ولكن تكره المداومة عليه كما فى نصاب الاحتساب
وفيه ايضا هل يحتسب على المسلم اذا شارك ذميا الجواب نعم اما فى المفاوضة فلأنها غير جائزة بين المسلم والذمى
فكان الاحتساب عليه لدفع التصرف الفاسد واما فى العنان فلأنها مكروهة بين المسلم والذمى * من شرح
الطحاوى فكان الاحتساب لدفع المكروه واذا سلم الذمى فقل عليك بلاواو وهو الرواية من الثقات
اوعليك مثله قال فى الكشف ولا يقال لاهل الذمة وعليكم بالواو لانها للجمع وقال عليه السلام اذا سلم عليكم
احد من اليهود فانما يقول السام عليكم فقل عليك اى عليك مثله (روى انه عليه السلام اتاه ناس من اليهود
فقالوا السام عليكم يا أبا القاسم فقال عليكم فقالت عائشة بل عليكم السام والزام فقال عليه السلام يا عائشة
ان الله لا يحب الفحش والتفحش قالت فقلت اما سمعت ما قالوا قال أوليس قد رددت عليهم فيستجاب لى فيهم
ولا يستجاب لهم فى) والسنة الجهر فى السلام لقوله عليه السلام افشوا السلام وعن ابى حنيفة رحمة الله عليه
لا يجهر بالرد يعنى الجهر الكثير (وحكى ان سياحا دخل على عالم فسلم عليه فرد عليه السلام وخافت ثم دخل عليه
غنى فسلم فرد عليه الجواب وجهر فصاح السياح وقال رحمك الله ما تقول فى السلام أعلى نوعين ام على ثلاثة
انواع فقال لا بل على نوع واحد فقال ايد الله الفقيه ارى السلام ههنا على نوعين فتحير الفقيه وخجل فى نفسه
فقال ايد الله الفقيه اسألك مسألة ما تقول فيمن حلف لا يدخل الدار التى بنيت بغير سنة فدخل دارك هذه أيحنث
ام لا فسكت الفقيه فلم يجبه فقال تلاميذ الفقيه للسياح اخرج فانك شغلتنا فقال ايها الشبان ما مثله ومثلكم
الا كمثل ضال ضل طريقه فجعل يسترشد من ضال مثله ارشده ام لا فهذا استاذكم ضل طريق الآخرة وانتم
جئتم تطلبون منه ان يرشدكم فانى يرشدكم ثم خرج كذا فى روضة العلماء (قال الصائب) زبى دردان علاج
درد خود جستن بآن ماند * كه خار از پا برون اردكسى با نيش عقربها * الى هنا كلام الاحياء فاذا
بلغ المقابر ومر بها قال وعليكم السلام اهل الديار من المسلمين والمؤمنين رحم الله المستقدمين منكم
والمستأخرين منا انتم لنا سلف ونحن لكم تبع وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسال الله لنا ولكم العافية
وفى الحديث ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام قال ابن السيد
على فى شرح الشرعة ولعل المراد انه يرد السلام بلسان الحال لا بلسان المقال يؤيده ما ورد فى بعض الاخبار
من انهم يتأسفون على انقطاع الاعمال عنهم حتى يتحسرون على رد السلام وثوابه انتهى قال الامام السيوطى
رحمه الله الاحاديث والآثار تدل على ان الزائر متى جاء علم به المزور وسمع كلامه وانس به ورد عليه وهذا عام
فى حق الشهداء وغيرهم وانه لا توقيت فى ذلك وهو الاصح لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع لامته
ان يسلموا على اهل القبور سلام من يخاطبون من يسمع ويعقل قال ارباب الحقيقة للروح اتصال بالبدن بحيث
يصلى فى قبره ويرد على المسلم عليه وهو فى الرفيق الاعلى ومقره فى عليين ولا تنافى بين الامرين فان شأن
الارواح غير شأن الابدان وانما يأتى الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد ان الروح مما يعهد
من الاجسام التى اذا شغلت مكانا لم يمكن ان تكون فى غيره وقد مثل بعضهم بالشمس فى السماء وشعاعها
فى الارض كالروح المحمدى يرد على من يصلى عليه عند قبره دائما مع القطع بان روحه فى اعلى عليين وهو لا ينفك
عن قبره كما قال عليه السلام ما من مسلم يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام فان قلت هل يلزم
تعدد الحياة من تلك وكيف يكون ذلك قلت يؤخذ من هذا الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم حى على الدوام
فى البرزخ الدنيوى لانه محال عادة ان يخلو الوجود كله من واحد يسلم على النبى عليه السلام فى ليل اونهار
فقوله صلى الله عليه وسلم رد الله على روحى اى ابقى الحق فى شعور حياتى الحسى فى البرزخ وادراك حواسى من
السمع والنطق فلا ينفك الحس والشعور الكلى عن الروح المحمدى الكلى ليس له غيبة عن الحواس والاكوان
لانه روح العالم الكلى وسره السارى (قال العطار قدس سره فى نعت النبى المختار) خواجه كزهرچه كويم
بيش بود * درهمه چيزى همه در پيش بود * وصف اودر كفت چون ايد مرا * چون عرق از شرم
خون آيد مرا * اوفصيح عالم ومن لال او * كى توانم داد شرح حال او * وصف اوكى لايق اين نا كسست *

واصف اوخالق عالم بست * انبيا ازوصف توحيران شده * سرشناسان نيز سركردان شده *
والاشارة فى الآية واذا حييتم بتحية من الخير والشر فحيوا باحسن منها اما الخير فبخير احسن منه واما الشر فبحلم
وعفو أومكافاة بالخير أوردوها يعنى كافئوا المحسن بمثل احسانه والمسيء بمثل اساءته يدل عليه قوله تعالى
وجزآء سيئة سيئة مثلها وقال وان تعفوا اقرب للتقوى وقد ورد عن النبى عليه السلام عن جبريل عن الله تعالى
فى تفسير قوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال النبى عليه السلام تعفو عمن ظلمك وتصل
من قطعك وتعطى من حرمك ان الله كان على كل شئ من العفو والاحسان حسيبا محاسبا فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره كذا فى التأويلات النجمية (الله) مبتدأ وخبره قوله (لا اله الا هو)
اى لا اله فى الارض ولا فى السماء غيره (ليجمعنكم) جواب قسم محذوف اى والله ليحشرنكم من قبوركم (الى)
حساب (يوم القيامة) والقيامة بمعنى القيام والتاء للمبالغة لشدة ما يقع فيه من الهول (لا ريب فيه) حال من
اليوم اى حال كون ذلك اليوم لا شك فيه انه كائن لا محالة اوصفة مصدر محذوف اى جمعا لا ريب فيه فضمير فيه
يرجع الى الجمع (ومن اصدق من الله حديثا) انكار لان يكون احدا كثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره
بوجه لانه نقص وهو على الله محال دون غيره وفى الحديث (كذبنى ابن آدم) اى نسبنى الى الكذب (ولم يكن له
ذلك) يعنى لم يكن التكذيب لائقا به بل كان خطأ (وشتمنى) الشتم وصف الغير بما فيه نقص وازرآء (ولم يكن له ذلك
فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى) يعنى لن يحيينى الله تعالى بعد موتى (وليس اول الخلق باهون على
من اعادته) بل اعادته اسهل لوجود اصل البنية وهذا مذكور على طريق التمثيل لان الاعادة بالنسبة الى قوانا
ايسر من الانشاء واما بالنسبة الى قدرة الله تعالى فلا سهولة له فى شئ ولا صعوبة (واما شتمه اياى فقوله
اتخذ الله ولدا) وانما صار هذا شتما لان التولد هو انفصال الجزء من الكل بحيث ينمو وهذا انما يكون فى المركب وكل
مركب محتاج (وانا الاحد) اى المنفرد بصفات الكمال من البقاء والتنزه وغيرهما (الصمد) بمعنى المصمود بمعنى
المقصود اليه فى كل الحوآئج (الذى لم يلد) هذا نفى للتشبيه والمجانسة (ولم يولد) هذا وصف بالقدم والاولية (ولم
يكن له كفوا احد) هذا تقرير لما قبله كذا فى شرح المشارق لابن الملك واعلم ان القيامة ثلاث الصغرى وهى موت
كل احد قال النبى عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والوسطى وهى موت جميع الخلائق بالنفخة الاولى
والكبرى وهى حشر الاجساد والسوق الى المحشر للجزآء بالنفخة الثانية (وفى المثنوى) سازد اسرافيل روزى
ناله را * جان دهد پوسيدهٔ صد ساله را * هين كه اسرافيل وقتند اوليا * مرده راز يشان حياتست ونما * وانما
تحصل الحياة الباقية بعد الفناء عن النفس واوصافها وطريقه ذكر الله تعالى بالاخلاص فاذا تجلى معنى لفظ
الجلالة الذى هو الاسم الاعظم يضمحل العالم والوجود ويحصل الاستغراق فى بحر التوحيد فاذا استغرق فيه
يغيب عنه ماسوى الله تعالى كما ان الانسان اذا استغرق فى الماء لا يرى الغير اصلا قال الشيخ ابو يزيد البسطامى
ومن قال الله وقلبه غافل عن الله فخصمه الله وحكى ان بعض الصلحاء دخل ليلة بقبوليجة فى بلدة بروسة فرأى
انه قد وضع سرير على الحوض وعليه بنت سلطان الجن ومعها جماعة كثيرة من هذه الطائفة فسألهم عن اصل
ماء قبوليجة فأرسلت بعض جماعتها الى اصله فرأى انه ماء بارد فقال كيف يكون هذا اصله وهو حار فقالوا
جماعتنا يذكرون فى رأس هذا الماء فى كل اسبوع الاسم الله والاسم هو فبحرارته يسخن الماء فتأثير الذكر غير
منكر خصوصا من لسان ارباب التزكية والتصفية (وفى المثنوى) ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز *
چشم نركس را ازين كركس بدوز * والاشارة فى الآية الله لا اله الا هو يعنى كان الله فى الازل لا اله اى لم يكن
معه احد يوجد الخلق من العدم الا هو ليجمعنكم فى العدم مرة اخرى الى يوم القيامة فيفرقكم فيها فريق
فى الجنة وفريق فى السعير وفريق فى مقعد صدق عند مليك مقتدر لا ريب فيه اى لا شك فى الرجوع الى هذه
المنازل والمقامات ومن اصدق من الله حديثا ليحدثكم بمصالح دينكم ودنياكم ومفاسد أخراكم واولاكم
ويهديكم الى الهدى وينجيكم من الردى كذا فى التأويلات النجمية (فمالكم) أيها المؤمنون والمراد بعضهم قوله
ما مبتدأ ولكم خبره والاستفهام للانكار والنفى (فى المنافقين) متعلق بما تعلق به الخبر اى شئ كائن لكم فيهم
اى فى امرهم وشأنهم (فئتين) اى فرقتين وهو حال من الضمير المجرور فى لكم والمراد انكار ان يكون للمخاطبين
شئ مصحح لاختلافهم فى امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرآئهم مجرى المجاهرين بالكفر

فى جميع الاحكام وذلك ان ناسا من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راجلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون فانزل الله تعالى الآية (والله اركسهم) حال من المنافقين اى والحال انه تعالى ردهم الى الكفر واحكامه من الذل والصغار والسبى والقتل والاركاس الرد والرجع يقال ركست الشئ واركسته لغتان اذا رددته وقلبت آخره على اوله (بما كسبوا) اى بسبب ما كسبوا من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتريدون) ايها المخلصون القائلون بايمانهم (ان تهدوا من اضل الله) اى تجعلوه من المهتدين ففيه توبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدى الى المحال الذى هو هداية من اضل الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعى فى هدايتهم وارادة لها (ومن يضلل الله) اى ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان (فلن تجد له سبيلا) من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو (ودوا لو تكفرون) بيان لغلوهم وتماديهم فى الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم فى انفسهم وكلمة لو مصدرية فلا جواب لها اى تمنوا ان تكفروا (كما كفروا) نصب على انه نعت لمصدر محذوف اى كفرا مثل كفرهم فما مصدرية (فتكونون سواء) عطف على تكفرون والتقدير ودوا كفركم وكونكم مستوين معهم فى الضلال وفيه اشارة الى ان من ود الكفر لغيره كان ذلك من امارات الكفر فى باطنه وان كان يظهر الاسلام لانه يريد تسوية الاعتقاد فيما بينهما وهذا من خاصية الانسان يحب ان يكون كل الناس على مذهبه واعتقاده ودينه وقال صلى الله عليه وسلم الرضى بالكفر كفر (فلا تتخذوا منهم اولياء) اى اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم (حتى يهاجروا فى سبيل الله) اى حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام لا لغرض من اغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه (فان تولوا) اى عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة (فخذوهم) اذا قدرتم عليهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) اى جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا والاشارة فى الآية الى ارباب الطلب السائرين الى الله تعالى فانهم نهوا عن اتخاذ اهل الدنيا احباء وعن مخالطتهم حتى يهاجروا عما هم فيه من الحرص والشهوة وحب الدنيا ويوافقوهم فى طلب الحق وامروا بأن يعظوهم بالوعظ البليغ ويقتلوهم اى انفسهم وصفاتها الغالبة كما رأوهم (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال (او جاؤكم) عطف على الصلة اى والذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين (حصرت صدورهم) حال باضمار قد اى وقد ضاقت صدورهم فان الحصر بفتحتين الضيق والانقباض (ان يقاتلوكم) اى ضاقت عن أن يقاتلوكم مع قومهم (او يقاتلوا قومهم) معكم والمراد بالجائين الذين حصرت صدورهم عن المقاتلة بنو مدلج وهم كانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم فضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم ولانه تعالى قذف الرعب فى قلوبهم وضاقت صدورهم عن قتال قومهم لكونهم على دينهم نهى الله تعالى عن قتل هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد للمؤمنين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدم (ولو شاء الله لسلطهم) اى بنى مدلج (عليكم) بأن قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم قال فى الكشاف فان قلت كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط (فلقاتلوكم) عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) اى فان لم يتعرضوا لكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله تعالى (والقوا اليكم السلم) اى الانقياد والاستسلام (فما جعل الله

لكم عليهم سبيلا) اى طريقا بالاسر اوبالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية فى استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم قال بعضهم الآية منسوخة بآية القتال والسيف وهى قوله تعالى اقتلوا المشركين وقال آخرون انها غير منسوخة وقال اذا حملنا الآية على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة قال الحدادى فى تفسيره لا يجوز مهادنة الكفار وترك احد منهم على الكفر من غير جزية اذا كان بالمسلمين قوة على القتال واما اذا عجزوا عن مقاومتهم وخافوا على انفسهم وذراريهم جاز لهم مهادنة العدو من غير جزية يؤدونها اليهم لان حظر الموادعة كان بسبب القوة فاذا زال السبب زال الحظر (ستجدون) قوما (آخرين يريدون ان يأمنوكم) اى يظهرون لكم الصلح يريدون ان يأمنوا منكم بكلمة التوحيد يظهرونها لكم (ويأمنوا قومهم) اى من قومهم بالكفر فى السر وهم قوم من اسد وغطفان اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم (كلما ردوا الى الفتنة) دعوا من جهة قومهم الى قتال المسلمين (اركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها اشرا من كل عدو شرير (فان لم يعتزلوكم) بالكف عن التعرض لكم بوجه ما (ويلقوا اليكم السلم) اى لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم (ويكفوا ايديهم) اى لم يكفوها عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) اى تمكنتم منهم (واولئكم) الموصوفون بما عد من الصفات القبيحة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) اى حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر وغدرهم واضرارهم باهل الاسلام * والاشارة فى الآية الاولى ان الاختلاف واقع بين الامة فى ان خذلان المنافقين هل هو امر من عند انفسهم او امر من عند الله وقضائه وقدره فبين الله بقوله فما لكم فى المنافقين فئتين اى صرتم فرقتين فرقة يقولون الخذلان فى النفاق منهم وفرقة يقولون من الله وقضائه وقدره والله اركسهم بما كسبوا يعنى ان الله اركسهم بقدره وردهم بقضائه الى الخذلان بالنفاق ولكن بواسطة كسبهم ما ينبت النفاق فى قلوبهم ليهلك من هلك عن بينة ولهذا مثال وهو أن القدر كتقدير النقاش الصورة فى ذهنه والقضاء كرسمه تلك الصورة لتلميذه بالاسرب ووضع التلميذ الاصباغ عليها متبعا لرسم الاستاذ كالكسب والاختيار فالتلميذ فى اختياره لا يخرج عن رسم الاستاذ وكذلك العبد فى اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر ولكنه متردد بينهما ومما يؤكد هذا المثال والتأويل قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقال واصبر وما صبرك الا بالله وذلك مثل ما ينسب الفعل الى السبب الاقرب تارة والى السبب الابعد اخرى فالاقرب كقولهم قطع السيف يد فلان والابعد كقولهم قطع الامير يد فلان ونظيره قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وفى موضع الله يتوفى الانفس حين موتها قال ابن نباتة (اذا ما الاله قضى امره * فانت لما قد قضاه السبب) فعلى هذه القضية من زعم ان لا عمل للعبد اصلا فقد عاند وجحد ومن زعم انه مستبد بالعمل فقد اشرك فاختيار العبد بين الجبر والقدر لأن اول الفعل وآخره الى الله فالعبد بين طرفى الاضطرار مضطر الى الاختيار فافهم جدا كذا فى التأويلات النجمية واعلم ان الجبرية ذهبت الى انه لا فعل للعبد اصلا ولا اختيار وحركته بمنزلة حركة الجمادات والقدرية الى ان العبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير الله تعالى ومذهب اهل السنة والجماعة الجبر المتوسط وهو اثبات الكسب للعبد واثبات الخلق لله تعالى واما مشاهدة الآثار فى الافعال من الله تعالى كما عليه اهل المكاشفة فذلك ليس من قبيل الجبر (قال فى المثنوى) كر بپرانيم تيران نى زماست * ما كمان وتير اندازش خداست * اين نه جبر اين معنى جباريست * ذكر جبارى براى زاريست * زارئ ما شد دليل اضطرار * خجلت ما شد دليل اختيار * (وما كان لمؤمن) اى وما صح له ولا لاق بحاله (ان يقتل مؤمنا) بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك (الا خطأ) اى ليس من شأنه ذلك فى حال من الاحوال الا حال الخطأ فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية فالمؤمن مجبول على ان يكون محلا لان يعرض له الخطأ كثيرا والخطأ ما لا يقارنه القصد الى الفعل او الى الشخص اولا يقصد به زهوق الروح غالبا اولا يقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه (روى) ان عياش بن ابى ربيعة وكان اخا ابى جهل لأمه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبى عليه السلام فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابى انيسة فاتياه وهو فى اطم اى جبل فقتل منه ابو جهل فى الذروة والغارب وقال

أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك ولك علينا ان لا نكرهك على شئ ولا نحول بينك وبين دينك حتى نزل وذهب معهما فلما بعدا من المدينة شدا يديه الى خلف بحبل وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخى فمن انت يا حارث لله علىّ ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل وثاقه حتى يرجع عن دينه ففعل بلسانه مطمئنا قلبه على الايمان ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش لظهر قبا فانحنى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت (ومن قتل مؤمنا خطأ) صغيرا كان او كبيرا (فتحرير رقبة) اى فعليه اعتاق نسمة عبر عن النسمة بالرقبة كما يعبر عنها بالرأس (مؤمنة) محكوم باسلامها سواء تحققت فيها فروع الايمان وثمراته بان صلت وصامت اولم يتحقق فدخل فيها الصغير والكبير والذكر والانثى وهذا التحرير هو الكفارة وهى حق الله تعالى الواجب على من قتل مؤمنا مواظبا على عبادة الله تعالى والرقيق لا يمكنه المواظبة على عبادة الله تعالى فاذا اعتقه فقد اقامه مقام ذلك المقتول فى المواظبة على العبادات (ودية مسلمة الى اهله) اى مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث بعد قضاء الدين منها وتنفيذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له (الا ان يصدقوا) اى يتصدق اهله عليه سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وفى الحديث كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه المقدر عند قوله ودية مسلمة او بمسلمة اى تجب الدية ويسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه لان الدية حق الورثة فيملكون اسقاطها بخلاف التحرير فانه حق الله تعالى فلا يسقط بعفو الاولياء واسقاطهم واعلم ان الدية مصدر من ودى القاتل المقتول اذا اعطى وليه المال الذى هو بدل النفس وذلك المال يسمى الدية تسمية بالمصدر والتاء فى آخرها عوض عن الواو المحذوفة فى الاول كما فى العدة وهى اى الدية فى الخطأ من الذهب ألف دينار ومن الفضة عشرة آلاف درهم وهى على العاقلة فى الخطأ وهم الاخوة وبنوا الاخوة والاعمام وبنوا الاعمام يسلمونها الى اولياء المقتول ويكون القاتل كواحد من العاقلة يعنى يعطى مقدار ما اعطاه واحد منهم لانه هو الفاعل فلا معنى لاخراجه ومؤاخذة غيره وسميت الدية عقلا لانها تعقل الدماء اى تمسكه من ان يسفك الدم لان الانسان يلاحظ وجود الدية بالقتل فيجتنب عن سفك الدم فان لم تكن له عاقلة كانت الدية فى بيت المال فى ثلاث سنين فان لم يكن ففى ماله (فان كان) اى المقتول (من قوم عدو لكم) كفار محاربين (وهو مؤمن) ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم بالهجرة الى دار الاسلام او بان اسلم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات (فتحرير رقبة مؤمنة) اى فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله لكونهم كفارا ولانهم محاربون (وان كان) اى المقتول المؤمن (من قوم) كفرة (بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد موقت او مؤبد (فدية) اى فعلى قاتله دية (مسلمة الى اهله) من اهل الاسلام ان وجدوا (وتحرير رقبة مؤمنة) كما هو حكم سائر المسلمين (فمن لم يجد) اى رقبة لتحريرها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها وهو ما يصلح ان يكون ثمنا للرقبة فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وسائر حوائجه الضرورية من المسكن وغيره (فصيام) اى فعليه صيام (شهرين متتابعين) وايجاب التتابع يدل على ان المكفر بالصوم لو افطر يوما فى خلال شهرين او نوى صوما آخر فعليه الاستئناف الا ان يكون الفطر بحيض او نفاس او نحوهما مما لا يمكن الاحتراز عنه فانه لا يقطع التتابع والاطعام غير مشروع فى هذه الكفارة بدليل الفاء الدالة على ان المذكور كل الواجب واثبات البدل بالرأى لا يجوز فلا بد من النص (توبة) كائنة (من الله) ونصبه على المفعول له اى شرع لكم ذلك توبة اى قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته فان قيل قتل الخطأ لا يكون معصية فما معنى التوبة قلت ان فيه نوعا من التقصير لان الظاهر انه لو بالغ فى الاحتياط لما صدر عنه ذلك فقوله توبة من الله تنبيه على انه كان مقصرا فى ترك الاحتياط (وكان الله عليما) بحاله اى بانه لم يقصد القتل ولم يتعمد فيه (حكيما) فيما امر فى شأنه * والاشارة فى قوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ان تربية النفس وتزكيتها ببذل المال وترك الدنيا مقدم على تربيتها بالجوع والعطش وسائر المجاهدات فان حب الدنيا رأس كل خطيئة وهى عقبة لا يقتحمها الا الفحول من الرجال كقوله تعالى فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة الآية وان اول قدم السالك ان يخرج من الدنيا وما فيها وثانيه ان يخرج من النفس وصفاتها كما قال دع نفسك وتعال والامساك عن المشارب كلها من الدنيا والآخرة على الدوام انما هو بجذبة من الله تعالى

واعطائه القابلية لذلك (كما قيل) داد حق را قابليت شرط نيست * بلكه شرط قابليت داد حق * حكى ان اولاد هارون الرشيد كانوا زهادا لا يرغبون فى الدنيا والسلطنة فلما ولد له ولد قيل له ادخله فى بيت من زجاج يعيش فيه مع التنعم والترنم والاغانى حتى يليق للسلطنة ففعل فلما كبر كان يوما يأكل اللحم فوقع عظم من يده فانكسر الزجاج فرأى السماء والارض فسأل عنهما فاجابوا على ما هو فطلب منهم ان يخرجوه من البيت فلما خرج رأى ميتا وجاء اليه وتكلم له فلم يتكلم فسأل عنه فقالوا هو ميت لا يتكلم وقال وانا ا كون كذلك قالوا كل نفس ذآئقة الموت فتركهم وذهب الى الصحرآء فذهبوا معه فاذا خمسة فوارس جاؤا اليه ومعهم فرس ليس عليه احد فاركبوه واخذوه وغابوا وليس كل قلب يصلح لمعرفة الرب كما ان كل بدن لا يصلح لخدمته ولهذا قال تعالى وكان الله عليما اى بمن يصلح للجذبة والخدمة (قال الصائب) درسر هر خام طينت نشئه منصور نيست * هر سفالى راصداى كاسه فغفور نيست * وهذا لا يكون بالدعوى فان المحك يميز الجيد والزيوف وعالم الحقيقة لا يسعه القيل والقال الا يرى ان من كان سلطانا اعظم لا يرفع صوته بالتكلم لانه فى عالم المحو وكان امر سليمان عليه السلام لآصف بن برخيا باتيان عرش بلقيس مع انه فى مرتبة النبوة لذلك اى لما انه كان فى عالم الاستغراق فلم يرد التنزل وقوله عليه السلام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل اشارة الى تلك المرتبة اللهم اجعلنا من الواصلين الى جناب قدسك والمتنعمين فى محاضر قولك وانسك (ومن يقتل مؤمنا) حال كون ذلك القاتل (متعمدا) فى قتله اى قاصدا غير مخطئ (روى) ان مقيس بن صبابة الكنانى كان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا فى بنى النجار فأتى رسول الله عليه السلام وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه الزبير بن عياض الفهرى وكان من اصحاب بدر الى بنى النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله عليه السلام ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدى ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فتكون مسبة عليك اى عارا اقتل هذا الفهرى الذى معك فتكون نفس مكان نفس وتبقى الدية فضلة فرماه بصخرة فشدخ رأسه فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها الى مكة كافرا وهو يقول

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بنى النجار اصحاب قارع
وادركت ثارى واضطجعت موسدا * وكنت الى الاوثان اول راجع

فنزلت الآية وهو الذى استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن آمنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (ونعم ما قيل) هركه كند بخود كند * كرهمه نيك وبد كند (فجزآؤه) الذى يستحقه بجنايته (جهنم) وقوله تعالى (خالدا فيها) حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه مقام الكلام كانه قيل فجزآؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها (وغضب الله عليه) عطف على مقدر تدل عليه الشرطية دلالة واضحة كأنه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتأكيدا لمضمونها حكم الله بان جزآءه ذلك وغضب عليه اى انتقم منه (ولعنه) اى ابعده عن الرحمة بجعل جزآئه ما ذكر (واعد له) فى جهنم (عذابا عظيما) لا يقادر قدره واعلم ان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب والكلام فى كفر من استحل دم المؤمن وخلوده فى النار حقيقة فاما المؤمن اذا قتل مؤمنا متعمدا غير مستحل لقتله فلا يكفر بذلك ولا يخرج من الايمان فان اقيد ممن قتله كذلك كان كفارة له وان كان تائبا من ذلك ولم يكن مقادا كانت التوبة ايضا كفارة له لان الكفر اعظم من هذا القتل فاذا قبلت توبة الكافر فتوبة هذا القاتل اولى بالقبول وان مات بلا توبة ولا قود فامره الى الله تعالى ان شاء غفر له وارضى خصمه وان شاء عذبه على فعله ثم يخرجه بعد ذلك الى الجنة التى وعده بايمانه لان الله لا يخلف الميعاد فالمراد بالخلود فى حقه المكث الطويل لا الدوام مع ان هذا اخبار منه تعالى بان جزآءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزآء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى يجزى كل سيئة مثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير وقد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزآؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا فهذا التشديد والتغليظ الذى هو سنة الله تعالى لا يتعلق بالقاتل التائب ولا بمن قتل عمدا بحق كما فى القصاص بل يتعلق بمن لم يتب وبمن قتل ظلما وعدوانا وفى الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لاشترك فى دمه وفيه من اعان على قتل

مسلم بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وقد روى ان داود عليه السلام اراد بنيان بيت المقدس فبناه مرارا فكلما فرغ منه تهدم فشكا الى الله تعالى فأوحى الله اليه ان بيتى هذا لا يقوم على يدى من سفك الدماء فقال داود يارب الم يك ذلك القتل فى سبيلك قال بلى ولكنهم أليسوا من عبادى فقال يارب فأجعل بنيانه على يدى من فأوحى الله اليه أن لؤمر ابنك سليمان يبنيه والغرض من هذه الحكاية مراعاة هذه النشأة الانسانية وان اقامتها اولى من هدمها الا ترى الى اعدآء الدين انه قد فرض الله فى حقهم الجزية والصلح ابقاء عليهم وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل انقضاء ماعليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وفى الحديث اول مايحاسب عليه العبد الصلاة واول مايقضى بين الناس فى الدماء ثم يحاسب العبد ويقضى عليه فى حق زكاته وغيرها هل منعها اوأداها الى غير ذلك من الاحوال الجزئية ثم اعلم ان المقتول اذا اقتص منه الولى فذلك جزآؤه فى الدنيا وفيما بين القاتل والمقتول الاحكام باقية فى الآخرة لان الولى وان قتله فانما اخذ حق نفسه للتشفى ودرء الغيظ فاما المقتول فلم يكن له فى القصاص منفعة كذا فى تفسير الحدادى ولا كفارة فى القتل العمد لقوله عليه السلام خمس من الكبائر لا كفارة فيهن الاشراك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وقتل النفس عمدا واليمين الغموس والولى مخير بين ثلاث فى القتل العمد القصاص والدية والعفو وذلك لان فى شرع موسى عليه السلام القصاص وهو القتل فقط وفى دين عيسى عليه السلام العقل او العفو فحسب وفى ملتنا للتشفى القصاص وللترفه الدية وللتكرم العفو وهو أفضل (قال السعدى) بدى رابدى سهل باشد جزا * اكر مردى احسن الى من اسا * والاشارة فى الآية ان القلب مؤمن فى اصل الفطرة والنفس كافرة فى اصل الخلقة وبينهما عداوة جبلية وقتال اصلى وتضاد كلى فان فى حياة القلب موت النفس وفى حياة النفس موت القلب فلما كانت نفوس الكفار حية كانت قلوبهم ميتة فسماهم الله الموتى ولما كانت نفس الصديق ميتة وقلبه حيا قال النبى عليه السلام من اراد ان ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر الى الصديق فالاشارة فى قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا الى القلب والنفس يعنى النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مؤمنا متعمدة للعداوة الاصلية باستيلاء صفاتها البهيمية والسبعية والشيطانية على القلب الروحانى وغلبة هواها عليه حتى يموت القلب بسمها القاتل فجزآؤه اى جزآء النفس جهنم وهى سفل عالم الطبيعة خالدا فيها لان خروج النفس عن سفل الطبيعة انما كان بحبل الشريعة والتمسك بحبل الشريعة انما كان من خصائص القلب المؤمن كقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فالايمان والعمل الصالح من شأن القلب وصنيعه فاذا مات القلب وانقطع عمله تخلد النفس فى جهنم سفل عالم الطبيعة ابدا وغضب الله عليها ولعنها بأن يبعدها ويطردها عن الحضرة والقربة ويحرمها من ايصال الخير والرحمة اليها بخطاب ارجعى الى ربك واعدلها عذابا عظيما هجرانا عن حضرة العلى العظيم وحرمانا من جنات النعيم كذا فى التأويلات النجمية (يا أيها الذين آمنوا) نزلت الآية فى شأن مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان اسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان عليه السلام بعث سرية الى قومه كان عليها غالب بن فضالة الليثى فلما وصلت السرية اليهم هربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما وصلوا فدك كبروا وكبر مرداس معهم وكان فى سفح جبل ومعه غنمه فنزل اليهم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد وساق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة مامعه وهو يقول لا اله الا الله فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفى رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه فنظرت اصادق هو ام كاذب ثم قرأ الآية على اسامة فقال يارسول الله استغفر لى فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فمازال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لى وامر برد الاغنام وتحرير رقبة مؤمنة والمعنى ايها المؤمنون (اذا ضربتم فى سبيل الله) اى سافرتم وذهبتم للغزو من قول العرب ضربت فى الارض اذا سرت لتجارة اوغزو اونحوهما (فتبينوا)

التفعل بمعنى الاستفعال الدال على الطلب اى اطلبوا بيان الامر فى كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام) اى لمن حياكم بتحية الاسلام (لست مؤمنا) وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه (تبتغون عرض الحياة الدنيا) حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأنى لكن لا على ان يكون النهى راجعا الى القيد فقط كما فى قولك لا تطلب العلم تبتغى به الجاه بل اليهما جميعا اى لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذى هو حطام سريع النفاد وعرض الدنيا ما يتمتع به فيها من المال نقدا كان او غيره قليلا كان او كثيرا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وتسميته عرضا تنبيه على انه سريع الفناء قريب الانقضاء (فعند الله مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل امثاله لماله وهو تنبيه على ان ثواب الله تعالى موصوف بالدوام والبقاء (كذلك) اى مثل ذلك الذى ألقى اليكم السلام (كنتم) انتم ايضا (من قبل) اى فى مبادى اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها (فمن الله عليكم) بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء للعطف على كنتم (فتبينوا) الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم فى اوآئل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن (ان الله كان بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها (خبيرا) فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه قال الامام الغزالى رحمه الله الخبير هو الذى لا تعزب عنه الاخبار الباطنة ولا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبر وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا وحظ العبد من ذلك ان يكون خبيرا بما يجرى فى عالمه وعالمه قلبه وبدنه والخفايا التى يتصف القلب بها من الغش والخيانة والتطواف حول العاجلة واضمار الشر واظهار الخير والتجمل باظهار الاخلاص والافلاس عنه ولا يعرفها الا ذو خبرة بالغة قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسها وخدعها فحاربها وتشمر لمعاداتها واخذ الحذر منها فذلك من العباد جدير بأن يسمى خبيرا انتهى كلام الامام (قال السعدى) نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند گرفتن عنان * كه بانفس وشيطان برايد بزور * مصاف پلنگان نيايد زمور * ودلت الآية على ان المجتهد قد يخطئ كما اخطأ اسامة وان خطأه قد كان مغتفرا حيث لم يقتص منه وعلى ان الذكر اللسانى معتبر كما ان ايمان المقلد صحيح لكن ينبغى للمؤمن ان يترقى من الذكر اللسانى الى الذكر القلبى ثم الى الذكر الروحى ويحصل له التعين والمعرفة ويخلص من ظلمة الجهل ويتنور بنور المعرفة لان الانسان يموت كما يعيش * عن ابن عباس ان جبريل عليه السلام جاء الى النبى عليه السلام فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهو يقول مالى اراك مغموما حزينا قال عليه السلام يا جبريل طال تفكرى فى امتى يوم القيامة قال أفى امر اهل الكفر ام اهل الاسلام فقال يا جبريل فى امر اهل لا اله الا الله محمد رسول الله فاخذ بيده حتى اقامه الى مقبرة بنى سلمة ثم ضرب بجناحه الايمن على قبر ميت قال قم باذن الله فقام الرجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه ازرق العينين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه فقال له جبريل عد الى مكانك فعاد كما كان ثم قال يا محمد على هذا يبعثون يوم القيامة وعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون هركسى آن درود عاقبت كاركه كشت * والاشارة فى الآية الى البالغين الواصلين بالسير الى الله ان يا أيها الذين آمنوا ووقفوا بمجرد الايمان بالغيب اذا ضربتم فى سبيل الله يعنى سرتم بقدم السلوك فى طلب الحق حتى صار الايمان ايقانا والايقان احسانا والاحسان عيانا والعيان غيبا وصار الغيب شهادة والشهادة شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وبهما اقسم الله بقوله وشاهد ومشهود فافهم جدا وهذا مقام الشيخوخية فتبينوا عن حال المريدين وتثبتوا فى الرد والقبول وفى قوله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا اشارة الى ارباب الطلب فى البدء والارادة اى اذا تمسك احد بذيل ارادتكم وألقى اليكم السلام بالانقياد والاستسلام لكم فلا تقولوا لست مؤمنا اى صادقا مصدقا فى التسليم لاحكام الصحبة وقبول التصرف فى المال والنفس على شرط الطريقة ولا تردوه

ولا تنفروه

ولا تنفروه بمثل هذه التشديدات وقولوا له كما امر الله موسى وهرون عليهما السلام فقولا له قولا لينا فما انتم اعز من الانبياء ولا المريد المبتدئ اذل من فرعون ولا يملوانكم امر رزقه فتجتنبون منه طلبا للتخفيف والى هذا المعنى اشار بقوله تبتغون عرض الحياة الدنيا فلا تهتموا لاجل الرزق فعند الله مغانم كثيرة ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب كذلك كنتم من قبل اى كذلك كنتم ضعفاء فى الصدق والطلب محتاجين الى الصحبة والتربية بدوآء الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وقبولهم اياكم والاقبال على تربيتكم وايصال رزقكم اليكم وشفقتهم وعطفهم عليكم فتبينوا ان تردّوا صادقا اهتماما لرزقه اوتقبلوا كاذبا حرصا على تكثير المريدين ان الله كان فى الازل بما تعملون اليوم من الردّ والقبول والاحتياج الى الرزق الذى تهتمون له خبيرا بتقدير امور قدّرها فى الازل وفرغ منها كما قال عليه السلام ان الله فرغ من الخلق والرزق والاجل وقال الضيف اذا نزل نزل برزقه واذا ارتحل ارتحل بذنوب مضيفه كذا فى التأويلات النجمية (لا يستوى القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين) حال من القاعدين اى كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم كما سيأتى من الحسنى (غير اولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدون فان قلت كلمة غير لا تتعرف بالاضافة فكيف جاز كونها صفة للمعرفة قلت اللام فى القاعدون للعهد الذهنى فهو جار مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم والاظهر انه بدل من القاعدون والضرر المرض والعاهة من عمى اوعرج اوشلل اوزمانة اونحوها وفى معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت رضى الله عنه انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت ان ترضها اى تكسرها ثم سرّى عنه وازيل ما عرض له من شدة الوحى فقال اكتب فكتبت لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سرّى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر قال زيد أنزلها الله وحدها فالحقتها فالمراد بالقاعدين هم الاصحاء الذين اذن لهم فى القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية قال ابن عباس رضى عنه هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول (والمجاهدون) عطف على القاعدون (فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) اى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة فى الاجر والثواب فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفى الاستوآء قلت فائدته تذكير ما بينهما من التفاوت العظيم ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم) جملة موضحة لما نفى الاستوآء فيه فان انتفاء الاستوآء بينهما يحتمل ان يكون بزيادة درجة احدهما على درجة الآخر وبنقصانها فبين الله تعالى بهذه الجملة ان انتفاء استوآئهما انما هو بانه تعالى فضل المجاهدين كانه قيل مالهم لا يستوون فاجيب بذلك (على القاعدين) غير اولى الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف (درجة) تنوينها للتفخيم كما سيأتى ونصبها بنزع الخافض اى بدرجة اوعلى المصدرية لانه لتضمنه معنى التفضيل ووقوعه موقع المرة من التفضيل كان بمنزلة ان يقال فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) اى المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب * قوله كلا مفعول اول لوعد والحسنى مفعوله الثانى وتقديم الاول على الفعل لافادة القصر تأكيدا للوعد اى كلا منهم ما وعد الله الحسنى لا احدهما فقط والجملة اعتراض جئ بها تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول قال الفقهاء وهذا يدل على ان الجهاد فرض كفاية وليس مفروضا على كل احد بعينه لانه تعالى وعد القاعدين عنه الحسنى كما وعد المجاهدين ولو كان الجهاد واجبا على كل احد على التعيين لما كان القاعد اهلا لوعد الله تعالى اياه بالحسنى (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) عطف على قوله فضل الله (اجرا عظيما) نصب على المصدر لان فضل بمعنى آجر أى آجرهم اجرا عظيما وايثاره على ما هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان لفضل لتضمنه معنى الاعطاء اى واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل نصب بنزع الخافض اى فضلهم باجر عظيم (درجات) بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل

(منه) صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اى درجات كائنة منه تعالى وهى سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا اوسبعمائة درجة وفى الحديث ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز أن يكون انتصاب درجات على المصدرية كما فى قولك ضربه اسواطا اى ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات (ومغفرة) بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اى مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التى لا يكفرها سائر الحسنات التى لا يأتى بها القاعدون ايضا حتى تعد من خصائصهم (ورحمة) بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اى غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبىء عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنوانى بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتى تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما فى قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يفهم كنهها وحيث كان تحقق هذا العنوان البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شأن التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا فى الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثانى ما انعم به فى الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبىء عنه تقديم الاول وتأخير الثانى وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم فى الدنيا درجة واحدة وفى الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما فى الذكر ما هو متوسط بينهما فى الوجود اعنى الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (وكان الله غفورا) لذنوب من جاهد فى سبيله (رحيما) يدخله الجنة برحمته وهو تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة قال القشيرى رحمه الله ان الله سبحانه جمع اولياءه فى الكرامات لكنه غاير بينهم فى الدرجات فمن غنى وغيره اغنى منه ومن كبير وغيره اكبر منه هذه الكواكب منيرة لكن القمر فوقها واذا طلعت الشمس بهرت اى غلبت جميعها بنورها انتهى فالجنة مشتركة بين الواصلين البالغين والطالبين المنقطعين بعذر وعوام المؤمنين القاعدين عن الطلب بلا عذر لكن الطائفة الاولى فى واد والآخريان فى واد آخر لا يستوون عند الله تعالى (قال المولى الجامى) اى كند بدن چو طفل صغير * مانده دردست خواب غفلت اسير * بيش ازان كت اجل كند بيدار * كر نمردى زخواب سر بردار * انما السائرون كل رواح * يحمدون السرى لدى الاصباح * ودلت الآية على ان اولى الضرر مساوون للمجاهدين فى الاجر والثواب روى عنه عليه السلام انه لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال ان فى المدينة لأقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم حابس العذر وهم الذين صحت نياتهم وتعلقت قلوبهم بالجهاد وانما منعهم عن الجهاد الضرر * هر كسى ازهمت والاى خويش * سود برد درخور كالاى خويش * قال عليه السلام اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدى ما كان يعمله فى الصحة الى ان يبرأ وقال المفسرون فى قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان من صار هرما كتب الله له اجر عمله قبل هرمه غير منقوص وقالوا فى تفسير قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله ان المؤمن ينوى الايمان والعمل الصالح لو عاش ابدا فيحصل له ثواب تلك النية ابدا قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت فى قوله تعالى فى اواخر سورة التوبة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله والنصيحة لهما طاعة لهما والطاعة لهما فى السر والعلن وتوليهما فى السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه كذا فى تفسير الارشاد واعلم ان الجهاد من افاضل المكاسب واماثل الحرف فلا ينبغى للعاقل ان يترك الجهاد او التحدث به فان من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه فقد مات ميتة

جاهلية ومعنى التحدث طلبه الغزو واخطاره بالبال قال بعض الكبار السبق بالهم لا بالقدم وفى الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ومعناه ان من انعم الله عليه بهاتين النعمتين وهما صحة الجسد بالعافية التى هى كالتاج على رؤس الاصحاء لا يراه الا السقيم والفراغ من شواغل الدنيا وعلقها فمن حصل له هاتان النعمتان واشتغل عن القيام بواجب حق الله تعالى فهذا هو الذى غبن بضياع حظه ونصيبه من طاعة الله وبذل النفس فى الخدمة وتحصيل ما ينفعه لآخرته من أنواع الطاعات والقربات اللهم اجعلنا من المنتفعين بحياتهم والمتوجهين اليك فى مرضهم وصحتهم ولا تقطعنا عنك ولو لحظة عين ولا تشغلنا عن الوصل بالبين انك انت الغفور الرحيم (ان الذين توفاهم الملائكة) يحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن احوال قوم معينين انقرضوا ومضوا وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التاءين واصله تتوفاهم وعلى هذا تكون الآية عامة فى حق كل من كان بهذه الصفة والظاهر أن لفظ المضارع ههنا على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها بشهادة كون خبر أن فعلا ماضيا وهو قالوا والمراد بتوفى الملائكة اياهم قبض ارواحهم عند الموت والملك الذى فوض اليه هذا العمل هو ملك الموت وله اعوان من الملائكة واسناد التوفى الى الله تعالى فى قوله الله يتوفى الانفس وفى قوله هو الذى يحييكم ثم يميتكم مبنى على أن خالق الموت هو الله تعالى (ظالمى انفسهم) فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بأمور الدين فانها نزلت فى ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فانه تعالى لم يكن يقبل الاسلام بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة الا بالهجرة اليها ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح قال الله تعالى فيمن آمن وترك الهجرة الذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وهو حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة وحق الحال ان يكون نكرة الا ان اصله ظالمين انفسهم فتكون الاضافة لفظية (قالوا) اى الملائكة للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم فى اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك (فيم كنتم) اى فى اى شئ كنتم من امور دينكم كأنه قيل فماذا قالوا فى الجواب فقيل (قالوا) متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم (كنا مستضعفين فى الارض) اى فى ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها (قالوا) ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم (ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم فى عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بأنهم كانوا مقهورين تحت أيديهم وانهم اخرجوهم اى الى بدر كارهين فرد عليهم بأنهم كانوا بسبيل من الخلاص من قهرهم متمكنين من المهاجرة (فاولئك) الذين حكيت احوالهم الفظيعة (مأواهم) اى فى الآخرة (جهنم) كما أن مأواهم فى الدنيا دار الكفر لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وكون جهنم مأواهم نتيجة لما قبله وهو الجملة الدالة على ان لا عذر لهم فى ذلك اصلا فعطف عليه عطف جملة على اخرى (وساءت مصيرا) مصيرهم جهنم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الاستثناء منقطع فان المتوفين ظالمى انفسهم اما مرتدون او عصاة بتركهم الهجرة مع القدرة عليها وهؤلاء المستضعفون اى المستذلون المقهورون تحت ايدى الكفار ليسوا بقادرين عليها فلم يدخلوا فيهم فكان الاستثناء منقطعا والجار والمجرور حال من المستضعفين اى كائنين منهم فان قلت المستثنى المنقطع وان لم يكن داخلا فى المستثنى منه لكن لا بد ان يتوهم دخوله فى حكم المستثنى منه ومن المعلوم ان لا يتوهم دخول الاطفال فى الحكم السابق وهو كون مأواهم جهنم فكيف ذكر فى عداد المستثنى قلت للمبالغة فى التحذير من ترك الهجرة وايهام انها لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم اذا بلغوا حتى كأنها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه فيكون فى حكم المنكر واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل (فاولئك) اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز (عسى الله

ان يعفو عنهم) ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه (وكان الله عفوا غفورا) معنى كونه عفوا صفحه واعراضه عن العقوبة ومعنى كونه غفورا ستر القبائح والذنوب فى الدنيا والآخرة فهو كامل العفو تام الغفران (قال السعدى) پس پرده بيند عملهاى بد * هم او پرده پوشد ببالاى خود * وفى الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا تمكن الرجل فيه من اقامة امور دينه بأى سبب كان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليه السلام قال الحدادى فى تفسيره فى قوله تعالى ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها دليل انه لا عذر لاحد فى المقام على المعصية فى بلده لاجل المال والولد والاهل بل ينبغى ان يفارق وطنه ان لم يمكنه اظهار الحق فيه ولهذا (روى) عن سعد بن جبير انه قال اذا عمل بالمعاصى بارض فاخرج منها * سعديا حب وطن كرچه حديث است صحيح * نتوان مرد بسختى كه من اينجا زادم * والاشارة فى الآية ان المؤمن عام وخاص وخاص الخاص كقوله فنهم ظالم لنفسه وهو العام ومنهم مقتصد وهو الخاص ومنهم سابق بالخيرات وهو خاص الخاص فالذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم هم العوام الذين ظلموا أنفسهم بتدسيتها من غير تزكيتها عن اخلاقها الذميمة وتحليتها بالاخلاق الحميدة ليفلحوا فخابوا وخسروا كما قال تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها قالوا فيم كنتم اى قالت الملائكة حين قبضوا ارواحهم فى اى غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتبطلون استعدادكم الفطرى وفى اى وادمن اودية الهوى تهيمون وفى اى روضة من رياض الدنيا كنتم تؤثرون الفانى على الباقى وتنسون الطهور والساقى واخوانكم يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ويهاجرون عن الاوطان ويفارقون الاخوان والاخدان قالوا كنا مستضعفين فى الارض اى عاجزين فى استيلاء النفس الامارة وغلبة الهوى مأسورى الشيطان فى حبس البشرية قالوا ألم تكن ارض الله اى ارض القلب واسعة فتهاجروا فيها فتخرجوا من مضيق ارض البشرية فتسلكوا فى فسحة عالم الروحانية بل تطيروا فى هوآء الهوية فاولئك يعنى ظالمى أنفسهم مأواهم جهنم البعد عن مقامات القرب وساءت مصيرا جهنم البعد لتاركى القرب والمتقاعدين عن جهاد النفس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين صفتهم لا يستطيعون حيلة فى الخروج عن الدنيا لكثرة العيال وضعف الحال ولا على قهر النفس وغلبة الهوى ولا على قمع الشيطان فى طلب الهدى ولا يهتدون سبيلا الى صاحب ولاية يتمسكون بعروته الوثقى ويعتصمون بحبل ارادته فى طلب المولى فيخرجهم من ظلمات ارض البشرية الى نور سماء الربوبية على اقدام العبودية وهم المقتصدون المشتاقون ولكنهم بحجب الانانية محجوبون ومن شهود جمال الحق محرومون فعذرهم بكرمه ووعدهم رحمته وقال فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم السكون عن الله والركون الى غير الله وكان الله فى الازل عفوا ولعفوه امكنهم التقصير فى العبودية غفورا ولغفرانه امهلهم فى اعطاء حق الربوبية كذا فى التأويلات النجمية (ومن يهاجر فى سبيل الله) ترغيب فى المهاجرة وتأنيس لها وسبيل الله ما امر بسلوكه (يجد فى الارض مراغما كثيرا) اى متحولا يتحول اليه ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيد للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل المهاجر بما فيه من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال ارغم الله انفه اى ألصقه بالرغام ولما كان الانف من جملة الاعضاء فى غاية العزة والتراب فى غاية الذلة جعل قولهم رغم انفه كناية عن الذلة (وسعة) فى الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا) اى مفارقا قومه وأهله وولده (الى الله ورسوله) اى الى طاعة الله وطاعة رسوله (ثم يدركه الموت) اى قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة (فقد وقع اجره على الله) الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب (وكان الله غفورا) مبالغا فى المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التى من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج (رحيما) مبالغا فى الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المحذرة عن ترك الهجرة الى مسلمى مكة قال جندب ابن ضمرة من بنى الليث لبنيه وكان شيخا كبيرا لا يستطيع ان يركب الراحلة احملونى فانى لست من المستضعفين وانى لأهتدى الطريق ولى من المال ما يبلغنى المدينة وأبعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير

متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم وهو موضع قريب من مكة أشرف على الموت فاخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فلما بلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو توفى بالمدينة لكان اتم أجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فأنزل الله هذه الآية نحن هذا قالوا المؤمن اذا قصد طاعة ثم اعجزه العذر عن اتمامها كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة وفى الكشاف قالوا كل هجرة لغرض دينى من طلب علم او حج او جهاد اوفرار الى بلد يزداد فيه طاعة اوقناعة وزهدا فى الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت فى طريقه فأجره واقع على الله انتهى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره من مات قبل الكمال فراده يجئ اليه كمان من مات فى طريق الكعبة يكتب له اجر حجين يقول الفقير سمى الذبيح المتخلص بحقى سمعت مرة شيخى العارف العلامه ابقاه الله بالسلامه وهو يقول عند تفسير هذه الآية ان الطالب الصادق اذا سافر من ارض بشريته الى مقام القلب فمات قبل ان يصل الى مراده فله نصيب من اجر البالغين الى ذلك المقام لصدق طلبه وعدم انقطاعه عن الطريق الى حد الموت بل الله يكمله فى عالم البرزخ بوساطة روح من ارواحه او بوساطة فيضه ومثل هذا جاء فى حق بعض السلاك وله نظير فى الشريعة كما روى عن الحسن البصرى رحمه الله انه قال بلغنى ان المؤمن اذا مات ولم يحفظ القرآن امر حفظته ان يعلموه القرآن فى قبره حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة مع اهله فاذا كان طالب القرآن الرسمى بالغا الى مراده وان فى البرزخ لحرصه على التحصيل فليس ببدع ان يكون طالب القرآن الحقيقى واصلا الى مرامه فى عالم المثال المقيد لشغفه على التكميل اقول واما ما قال الشيخ الكبير صدر الدين القنوى قدس سره فى الفلك الآخر من الفلوك من المتفق شرعا وعقلا وكشفا ان كل كمال لم يحصل للانسان فى هذه النشأة وهذه الدار فانه لا يحصل له بعد الموت فى الدار الآخرة انتهى فلعله فى حق أهل الحجاب الذين قعدوا عن الطلب رأسا لا فى حق أهل الحجاب الذين سلكوا فماتوا قبل الوصول الى مكاشفة الافعال ومشاهدة الصفات ومعاينة الذات * قال المولى الجامى فى شرح الكلمة الشعيبية من الفصوص الحكمية فما يدل على عدم الترقى بعد الموت من قوله تعالى ومن كان فى هذه اعمى الآية انما هو بالنسبة الى معرفة الحق لا لمن لا معرفة له اصلا فانه اذا انكشف الغطاء ارتفع العمى بالنسبة الى الدار الآخرة ونعيمها وجحيمها والاحوال التى فيها واما قوله عليه السلام اذا مات ابن آدم انقطع عمله فهو يدل على ان الاشياء التى يتوقف حصولها على الاعمال لا تحصل ومالا يتوقف عليها بل يحصل بفضل الله ورحمته فقد يحصل وذلك من مراتب التجلى انتهى كلامه فعلى السالك ان لا ينقطع عن الطريق ويرجو من الله التوفيق كى يصل الى منزل التحقيق (قال الحافظ الشيرازى) كاروان رفت تودرراه كمين كاه بخواب * وه كه بس بيخبر از غلغل چندين جرسى * بال بكشاى صفير از شجر طوبى زن * حيف باشد چوتو مرغى كه اسير قفسى * تا چو مجمر نفسى دامن جانان كيرم * جان نهاديم بر آتش زپى خوش نفسى * چند پويد بهواى تو بهر سو حافظ * يسر الله طريقا بك يا ملتمسى * وفى التأويلات النجمية ان الاشارة فى الآية من غاية ضعف الانسان وحياته الحيوانية واستيلاء الشيطان يكون الخوف غالبا على الطالب الصادق فى بدء طلبه فكما اراد أن يسافر عن الاوطان ويهاجر عن الاخوان طالبا فوائد اشارة سافروا تصحوا وتغنموا لازالة مرض القلب ونيل صحة الدين والفوز بغنيمة صحبة شيخ كامل مكمل وطبيب حاذق مشفق ليعالج مرض قلبه ويبلغه كعبة طلبه فتسول له النفس اعداد الرزق وعدم الصبر ويعده الشيطان بالفقر فقال تعالى على قضية والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ومن يهاجر فى سبيل الله اى طلب الله يجد فى الارض مراغما كثيرا اى بلادا أطيب من بلاده واخوانا فى الدين أحسن من اخوانه وسعة فى الرزق وفيه اشارة اخرى وهى ومن يهاجر عن بلد البشرية فى طلب حضرة الربوبية يجد فى ارض الانسانية مراغما كثيرا اى متحولا ومنازل مثل القلب والروح والسر وسعة اى وسعة فى تلك العوالم الوسيعة اوسعة من رحمة الله كما اخبر الله تعالى على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام عن تلك الوسعة والسعة بقوله لا يسعنى ارضى ولا سمائى وانما يسعنى قلب عبدى المؤمن فافهم يا كثير الفهم قصير النظر قليل العبر ثم قال دفعا للهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية فى التخويف بالموت والابعاد بالفوت ومن يخرج من بيته اى بيت بشريته بترك الدنيا وقمع الهوى وقهر النفس بهجرانه صفاتها وتبديل اخلاقها مهاجرا الى الله طالبا له فى متابعة رسوله

ثم يدركه الموت قبل وصوله فقد وقع اجره على الله يعني فقد أوجب الله تعالى على ذمة كرمه بفضله ورحمته ان يبلغه الى اقصى مقاصده وأعلى مراتبه في الوصول بناء على صدق نيته وخلوص طويته اذا كان المانع من اجله ونية المؤمن خير من عمله وكان الله غفورا الذنب بقية انانية وجوده رحيما عليه بتجلي صفة جوده ليبلغ العبد الى كمال مقصوده بمنه وكرمه وسعة جوده انتهى كلام التأويلات (واذا ضربتم في الارض) شروع في بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض اى اذا سافرتم اى مسافرة كانت للهجرة او للجهاد اولغيرهما (فليس عليكم جناح) اى حرج ومأثم في (ان تقصروا) شيأ (من الصلاة) فهو صفة لمحذوف والقصر خلاف المد يقال قصرت الشئ اى جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشئ لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله من الصلاة ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير أن تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأى سيبويه اى شيأ من الصلاة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل والمراد قصر الرباعيات بالتنصيف فانها تصلى في السفر ركعتين فالقصر انما يدخل في صلاة الظهر والعصر والعشاء دون المغرب والفجر وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلاثة أيام ولياليها الايام للمشي والليالي للاستراحة بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد ولا اعتبار بابطاء الضارب اى المسافر السائر واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام لم يقصر ثم تلك المسيرة ستة برد جمع بريد كل بريد اربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال بأميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر أميال البادية كل ميل اثنا عشر ألف قدم وهي اربعة آلاف خطوة فان كل ثلاثة اقدام خطوة وظاهر الآية الكريمة التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل لكن عندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة توفية اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق الله بها عليكم وهو يدل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد فليس لنا الا التدين بما شرع الله والعمل بما حكم قال في الاشباه القصر للمسافر عندنا رخصة اسقاط بمعنى العزيمة بمعنى ان الاتمام لم يبق مشروعا حتى اثم به وفسدت لو أتم ومن لم يقعد على رأس الركعتين فسدت صلاته لاتصال النافلة بها قبل كمال اركانها وان قعد في آخر الركعة الثانية قدر التشهد اجزأته الاخريان نافلة ويصير مسيئا بتأخير السلام قال في تفسير الحدادي المسافر اذا صلى الظهر اربعا ولم يقعد في الثانية قدر التشهد فسدت صلاته كمصلي الفجر أربعا انتهى فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت ورد ذلك بنفي الجناح قلت لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي ثم ان العاصي كالمطيع في رخصة السفر حتى ان الآبق وقاطع الطريق يقصران لان المقيم العاصي يمسح يوما وليلة كالمقيم المطيع فكذا المسافر ولان السفر ليس بمعصية فلا يعتبر غرض العاصي (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهون من القتال وغيره فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة والقصر ثابت بهذا النص في حال الخوف خاصة واما في حال الامن فبالسنة قال المولى ابو السعود في تفسيره وهو شرط معتبر في شرعية ما ذكر بعده من صلاة الخوف المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته ثم قال بعد كلام بل نقول ان الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلاة وفي مقدار مدة القصر الذي نيط به القصر فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال الأمن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب انتهى وعن ابن عباس رضي الله عنه قال سافر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين مكة والمدينة لا يخاف الا الله فصلى ركعتين كذا في الوسيط (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) اى ظاهر العداوة وكمال عداوتهم من موجبات التعرض لكم بقتال او غيره (واذا كنت) يا محمد (فيهم) اى مع المؤمنين الخائفين (فاقمت لهم الصلاة) اى اذا اردت ان تقيم بهم الصلاة قال ابن عباس لما رأى المشركون رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأصحابه قاموا الى صلاة الظهر وهو يؤمهم وذلك فى غزوة ذات الرقاع ندموا على تركهم الاقدام على قتالهم فقال بعضهم دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى أحب اليهم من آبائهم واولادهم واموالهم يريدون صلاة العصر فان رأيتموهم قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبرائيل عليه السلام بهؤلاء الآيات بين الصلاتين فعلمه كيفية اداء صلاة الخوف واطلعه الله على قصدهم ومكرهم ذهب الجمهور الى ان صلاة الخوف ثابتة مشروعة بعده صلى الله عليه وسلم فى حق كل الائمة غايته انه تعالى علم رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية اداء الصلاة حال الخوف لتقتدى به الائمة فيننا واليهم الخطاب الوارد له عليه السلام قال فى الكشاف ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضرا لجماعة فى حال الخوف عليه ان يؤمهم كما ام رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التى كان يحضرها ألا يرى ان قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم لم يوجب كونه عليه السلام مخصوصا بها دون غيره من الائمة بعده فكذا صلاة الخوف فاندفع قول من قال صلاة الخوف مخصوصة بحضرة الرسول عليه السلام حيث شرط كونه بينهم (فلتقم طائفة منهم معك) بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم (وليأخذوا) اى الطائفة القائمة معك وهم المصلون (أسلحتهم) اى لايضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كأنهم يأخذونها ابتداء (فاذا سجدوا) اى القائمون معك واتموا الركعة (فليكونوا من ورائكم) اى فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة (ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا) بعد وهى الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة (فليصلوا معك) الركعة الباقية ولم يبين فى الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روى عن ابن عمر وابن مسعود أن النبى عليه السلام حين صلى صلاة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما فى الآية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان هذا اذا كان مسافرا اوفى الفجر لان الركعة الواحدة شطر صلاته واما اذا كان مقيما اوفى المغرب فيصلى بالطائفة الاولى الركعتين لانهما الشطر وفى الكافى لو اخطأ الامام فصلى بالاولى ركعة وبالثانية ركعتين اى فى المغرب فسدت صلاة الطائفتين وتفصيل كيفية الصلاة عند الخوف من عدو أو سبع كمى مؤونته باب صلاة الخوف فى الفروع فارجع له (وليأخذوا) اى هذه الطائفة (حذرهم) وهو التحذر والتيقظ (وأسلحتهم) ان قلت الحذر من قبيل المعانى فكيف يتعلق به الاخذ الذى لا يتعلق الا بما هو من قبيل الاعيان كالسلاح قلت انه من قبيل الاستعارة بالكناية فانه شبه الحذر بآلة يستعملها الغازى وجعل تعلق الاخذ به دليلا على هذا التشبيه المضمر فى النفس فيكون استعارة تخييلية ولا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز من حيث ان اسناد الاخذ الى الاسلحة حقيقة والى الحذر مجاز وذلك لان الاخذ على حقيقته وانما المجاز ايقاعه فافهم ولعل زيادة الامر بالحذر فى هذه المرة كونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبى عليه السلام فى شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحروب وتكليف كل من الطائفتين بأخذ الحذر والاسلحة لما ان الاشتغال بالصلاة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن ذكرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به ما بعد الآية قال الامام الواحدى فى قوله تعالى وليأخذوا حذرهم رخصة للخائف فى الصلاة لان يجعل بعض فكره فى غير الصلاة (ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) الخطاب للفريقين بطريق الالتفات اى تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به فى الحرب لا مطلقا (ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) رخصة لهم فى وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وهذا يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وقال الفقهاء حمل السلاح فى صلاة الخوف مستحب لان الحمل ليس من اعمال الصلاة والامر فى قوله تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم محمول على الندب (وخذوا حذركم) امرهم مع ذلك بأخذ الحذر أى بالتيقظ والاحتياط لئلا يهجم عليهم العدو غيلة قال ابن عباس رضى الله عنه غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم محاربا بنى أنمار فهزمهم الله تعالى فنزل النبى عليه الصلاة والسلام والمسلمون ولا يرون من العدو أحدا فوضعوا

اسلحتهم وخرج رسول الله يمشي لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه عليه السلام وبين اصحابه فجلس في أصل شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فانحدر من الجبل ومعه السيف وقال لاصحابه قتلني الله ان لم اقتل محمدا فلم يشعر رسول الله الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال عليه السلام الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله ليضربه فانكب على وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله فأخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني قال لا أحد قال عليه السلام تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأعطيك سيفك قال لا ولكن أشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فأعطاه سيفه فقال غورث والله لأنت خير مني فقال عليه السلام انا أحق بذلك منك فرجع غورث الى أصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فرجع رسول الله الى اصحابه وأخبرهم بالخبر (ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا) تعليل للامر بأخذ الحذر أي اعد لهم عذابا مهينا بأن يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه بأيديكم (فاذا قضيتم الصلاة) صلاة الخوف اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فظهر منه ان القضاء يستعمل فيما فعل في وقته ومنه قوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم (فاذكروا الله) حال كونكم (قياما) اي قائمين (وقعودا) اي قاعدين (وعلى جنوبكم) اي مضطجعين اي فداوموا على ذكر الله تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (فاذا اطمأننتم) سكنت قلوبكم من الخوف وأمنتم بعد ما تضع الحرب اوزارها (فأقيموا الصلاة) اي الصلاة التي دخل وقتها حينئذ أي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها ومن حمل الذكر على ما يعم الذكر باللسان والصلاة من الحنفية فله ان يقول في تفسير الآية فداوموا على ذكر الله في جميع الاحوال واذا اردتم اداء الصلاة فصلوها قائمين حال الصحة والقدرة على القيام وقاعدين حال المرض والعجز عن القيام ومضطجعين على الجنوب حال العجز عن القعود (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) اي فرضا موقتا قال مجاهد وقته تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حالة الخوف ايضا على الوجه المشروع وقيل مفروضا مقدرا في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين فلابد أن تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه قال في شرح الحكم العطائية ولما علم الله تعالى ما في العباد من وجود الشره المؤدي الى الملل القاطع عن بلوغ العمل جعل الطاعات في الاوقات اذ جعل في اليوم خمسا وفي السنة شهرا وفي المائتين خمسا وفي العمر زورة رحمة بهم وتيسيرا للعبودية عليهم ولو لم يقيد الطاعات بأعيان الاوقات لمنعهم عنها وجود التسويف فاذا يترك معاملته تعاميا وبطرا وبطالة واتباعا للهوى وانما وسع الوقت كي تبقى حصة الاختيار وهذا سر الوقت وكان الواجب على الامة ليلة المعراج خمسين صلاة فخفف الله عنهم وجازاهم بكل وقت عشرا فأجر خمسين في خمسة أوقات قالوا وجه يكون يوم القيامة على الكافر خمسين ألف سنة لانه لما ضيع الخمسين عوقب بكل صلاة ألف سنة كما اقروا على انفسهم بقولهم لم نك من المصلين وفي الحديث من ترك صلاة حتى مضى وقتها ثم قضى عذب في النار حقبا والحقب ثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم ألف سنة مما تعدون يعني ترك الصلاة الى وقت القضاء اثم لو عاقب الله به يكون جزاؤه هكذا ولكن الله يتكرم بان لا يجازي به اذا تاب عنه كذا في مشكاة الانوار وفي الحديث خمسة لا تطفأ نيرانهم ولا تموت ديدانهم ولا يخفف عنهم من عذابها مشرك بالله وعاق لوالديه والزاني بحليلة جاره ورجل سلم اخاه الى سلطان جائر ورجل اوامرأة سمع المؤذن يؤذن ولم يجب من غير عذر يعني اخرها عن وقتها بغير عذر كذا في روضة العلماء وفي الحديث ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيأ أحب اليه من الصلاة ولو كان شيء أحب اليه من الصلاة تعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد وكان اخر ما اوحى به الى النبي عليه السلام الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم واعلم ان لله عبادا قد منحهم ديمومية الصلاة فهم في صلاتهم دائمون من الازل الى الابد وليس هذا يدرك بالعقول القاصرة ولا يعقلها الا العالمون بالله تعالى وفي التأويلات النجمية ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعني واجبا في جميع الاوقات حين فرضت بقوله أقيموا الصلاة اي ادموها رخص فيها بخمس صلوات في خمسة أوقات لضرورة ضعف الانسانية كما كان

الصلاة الخمس خمسين صلاة حين فرضت ليلة المعراج فجعلها بشفاعة النبي عليه السلام خمسا وهذا لعوام الخلق والا ثبت دوام الصلاة للخواص بقوله والذينهم على صلاتهم دآئمون (وفى المثنوى) پنج وقت آمد نماز رهنمون * عاشقانش فى صلاة دائمون * نيست زرغبا وظيفهٔ ماهيان * زانكه بى دريا ندارد انس وجان * هيچ كس با خويش زرغبا نمود * هيچ كس با خود بنوبت يار بود * دردل عاجز بجز معشوق نيست * درميان شان فارق وفاروق نيست (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) نزلت فى بدر الصغرى وهى موضع سوق لبنى كنانة كانوا يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام (روى) ان أبا سفيان قال عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى فلما كان القابل ألقى الله الرعب فى قلبه فندم على ما قال فبعث نعيم بن مسعود ليخوف المؤمنين من الخروج الى بدر فلما أتى نعيم المدينة وجد المؤمنين يتجهزون للخروج فقال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ففتر المؤمنين فقال عليه السلام لأخرجن ولو لم يخرج معى أحد فأنزل الله هذه الآية ارشادا لما طرأ عليهم الوهن فى ابتغاء القوم اى طلب ابى سفيان وقوله والمعنى لا تفتروا ولا تضعفوا فى طلب الكفار بالقتال اى لا يورثنكم ما أصابكم يوم أحد من القتل والجراحات فتورا وضعفا (ان تكونوا تألمون) من الجراح (فانهم) اى القوم (يألمون كما تألمون) اى ان كان لكم صارف عن الحرب وهو أنكم تألمون من الجراح فلهم مثل ذلك من الصارف ولكم اسباب داعية الى الحرب ليست لهم كما اشار اليها بقوله (وترجون من الله) من الثواب والنصر (ما لا يرجون) والحاصل ليس ما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب فى الآخرة ما لا يخطر ببالهم قطعا (وكان الله عليما) مبالغا فى العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم (حكيما) فيما يأمر وينهى فجدوا فى الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة وفى امره بابتغاء القوم بالقتال لهم حكمة بالغة كاملة ومصلحة تامة شاملة فاطلبوهم بالقتال فان الله يعذبهم فى الدنيا بأيديكم وفى الآخرة بايدى الزبانية فهل ينتظرون الا سنة الله فى الكافرين الاولين وهو انزال العذاب بهم حين كذبوا انبياءهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بجعل التعذيب غير تعذيب وغير التعذيب تعذيبا ولن تجد لسنة الله تحويلا بلا بنقل التعذيب عنهم الى غيرهم والحاصل انه لا يبدل نفس السنة ولا يحول محل السنة اذ لقد حق القول عليهم ولا يبدل القول لديه وفى الآية الكريمة حث على الشجاعة والتجلد واظهار الغلظة كما قال تعالى وليجدوا فيكم غلظة قيل * هست نرمى آفت جان سمور * وزدرشتى ميبرد جان خار پشت * قال سلمان الفارسى رضى الله عنه اذا اضطرب قلب المؤمن عند محاربة الكافر تحدر ذنوبه كتحدر اوراق الشجرة بهبوب النسيم وقال عطية بن قيس اذا خرجت غازيا فان خطر ببالى كثرة العدد والعدد رجعت عن السفر خوفا من الغرور وان خطر قلتهما قلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ومن كلمات بهرام) هر انكه سرتاج دارد * بايدكه دل از سر بردارد (بيت) هر انكه پاى نهد در نكار خانهٔ ملك * يقين كه مال وسر وهرچه هست در بازد (ومن كلمات السعدى) در قزا كند مرد بايد بود * بر مخنث سلاح جنك چه سود * يقول الفقير سمعت من حضرة شيخى وسندى الذى هو بمنزلة روحى من جسدى انه قال السلطان والوزير بالنسبة الى العساكر الاسلامية كالقلب بالنسبة الى الاعضاء والجوارح الانسانية فاذا ثبتوا كان القلب اذا اصلح صلح الجسد كله فان كان اقبال الامام بعشر مراتب كان اقبال قومه بمرتبة واحدة وان كان بمائة مرتبة كان اقبالهم بعشر مراتب وهكذا واما ادباره فعكسه فان كان بمرتبة كان ادبار القوم بعشر مراتب وان كان بعشر مراتب كان أدبارهم بمائة مرتبة وهكذا وليس الدخول بدار من باب تفرج البلدان والخروج الى المسير والتنعم فلا بد لكل مجاهد أن يجتهد فى خدمة الدين ويتوكل على الله ويعتمد على وعده ويصبر على البلاء حتى يبلغ الكتاب اجله وان اتى الباب فلا يستعجل الامناء ولا يمين ولا يحزن بمكث الفتح المطلوب بل ينتظر الى فرج الله بالنصر والفتح عن قريب فان انكسار القلوب مفتاح ابواب الغيوب ومدار انفتاح انواع الفتوح والاشارة فى الآية ولا تهنوا فى ابتغاء القوم اى فى طلب النفس وصفاتها والجهاد معها ان تكونوا تألمون فى الجهاد معها وتتعبون بالرياضات والمجاهدات وملازمة الطاعات والعبادات ومداومة الذكر ومراقبة القلب فى طلب الحق والقبول والوصول الى المقامات العلية فانهم يعنى النفس والبدن فى طلب الشهوات الدنيوية واللذات الحيوانية والمرادات

الجسمانية يألمون ويتعبون فى طلبها كما تألمون وترجون من الله العواطف الازلية والعوارف الابدية مالا يرجون النفوس الرديه من همها الدنيه التى لا تتجاوز من قصورها عن المقاصد الدنيوية وكان الله فى الازل عليما باستعداد كل طائفة من اصناف الخلق حكيما فيما حكم لكل واحد منهم من المقاصد والمشارب قد علم كل اناس مشربهم وكل حزب بما لديهم فرحون (انا أنزلنا اليك الكتاب) اى القرءآن انزالا (بالحق) (روى) ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فأخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود على ذلك فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل اليهودى ليدفع فضيحة البهتان عن صاحبهم طعمة وقالوا له عليه السلام أن يعاقب اليهودى و يقطع يده بناء على شهادة قوم طعمة على برآءته وعلى ان اليهودى هو السارق ولم يظهر له عليه السلام ما يوجب القدح فى شهادتهم بناء على كون كل واحد من الشاهد والمشهود له من المسلمين ظاهرا فلذلك مال طبعه الى نصرة الخائن والذب عنه الا انه لم يحكم بذلك بل توقف وانتظر الوحى فنزلت الآية ناهية عنه ومنبهة على ان طعمة وشهوده كاذبون وان اليهودى برئ من ذلك الجرم (لتحكم بين الناس بما اراك الله) اى بما عرّفك وأوحى به اليك فأراك ليس من الرؤية البصرية ولا من التى بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل بل هو منقول من رايت بمعنى الاعتقاد والمعرفة وسميت المعرفة المذكورة رؤية لكونها جارية مجرى الرؤية فى القوة والظهور والخلوص من وجوه الريب (ولا تكن) اى فاحكم به ولا تكن (للخائنين) أى لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه فانه روى ان قومه علموا ان تلك السرقة عمل طعمة بناء على انه سارق فى الجاهلية لكنهم بيتوا طول ليلهم واتفقوا على أن يشهدوا بالسرقة على اليهودى دفعا عن طعمة عقوبة السرقة فلذلك وصفهم الله جميعا بالخيانة او المراد بالخائنين هو وكل من يتسير بسيرته (خصيما) اى مخاصما للبرآء اى لا تخاصم اليهودى لاجلهم (واستغفر الله) مما هممت به تعويلا على شهادتهم قال ابن الشيخ ولما صدر عنه عليه السلام الهم بذلك الحكم الذى لو وقع لكان خطأ فى نفسه امر الله تعالى اياه عليه السلام بان يستغفر لهذا العذر وان كان معذورا فيه عند الله بناء على ان حسنات الابرار سيئات المقربين (ان الله كان غفورا رحيما) مبالغا فى المغفرة والرحمة لمن يستغفره (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الاختيان والخيانة بمعنى اى يخونونها بالمعصية وانما قال يختانون أنفسهم وان كانوا ما خانوا أنفسهم لان مضرة خياناتهم راجعة اليهم كما يقال فيمن ظلم غيره ما ظلم الا نفسه كذا فى تفسير الحدادى والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببرآءته من قومه فانهم شركاء له فى الاثم والخيانة (ان الله لا يحب) عدم المحبة كناية عن البغض والسخط (من كان خوانا) مفرطا فى الخيانة مصرا عليها (أثيما) منهمكا فيه أطلق على طعمة لفظ المبالغة الدال على تكرر الفعل منه مع ان الصادر منه خيانة واحدة واثم واحد لكون طبعه الخبيث مائلا الى تكثير كل واحد من الفعلين وقد روى انه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق متاع أهله فسقط الحائط عليه فقتله قيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضى الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكى وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى اول مرة (يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) اى لا يستحيون منه سبحانه وهو أحق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه (وهو معهم) عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه (اذ) ظرف منصوب بالعامل فى الظرف الواقع خبرا وهو معهم (يبيتون) يدبرون ويزورون (ما لا يرضى) الله (من القول) من رمى البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور فان طعمة قال ارمى اليهودى بانه سارق الدرع وأحلف انى لم أسرقها فتقبل يمينى لانى على دينهم ولا تقبل يمين اليهودى وقال قوم طعمة من الانصار نشهد زورا لندفع شين السرقة وعقوبتها عن هو واحد منا (وكان الله بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والخافية (محيطا) لا يفوت عنه شئ (ها أنتم) مبتدأ (هؤلاء) خبره والها فى اول كل منهما للتنبيه والجملة التى بعدها هذه الجملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك والخطاب مع قوم من

المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه بسبب انهم كانوا في الظاهر من المسلمين (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) المجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وعن قومه في الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه (أم من يكون عليهم وكيلا) حافظا وحاميا من بأس الله وانتقامه وفي التأويلات النجمية وكيلا يتكلم بوكالتهم يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله (قال السعدي) دران روز كز فعل پرسند وقول * اولوا العزم راتن بلرزد زهول * بجايى كه دهشت خورد انبيا * تو عذر كنه را چه دارى بيا * فعلى العبد ان يتوب قبل الموت من كل معصية توبة نصوحا ويتدارك مافرط من تقصيره في فرآئض الله ويرد المظالم الى أهلها حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه شتما أو قذفا أو استهزآء أو غيبة ويده ضربا وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسرتك في ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السيئات وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا او تظهر عذرا فكيف بك يا مسكين في يوم ترى فيه صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك فتوهن نفسك يا أخي اذا تطايرت الكتب ونصبت الموازين وقد نوديت باسمك على رؤس الخلائق أين فلان ابن فلان هلم الى العرض على الله وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك الى الله لا يمنعها اشتباه الاسماء باسمك اذا عرفت انك المراد بالدعاء اذا فزع النداء قلبك فعلمت انك المطلوب فارتعدت فرآئصك واضطربت جوارحك وتغيرلونك وطار قلبك تخطى بك الصفوف الى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه وقد رفع الخلائق اليك أبصارهم وأنت في ايديهم وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بنفر من الناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رآئحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله تعالى لاهلها ثم نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل ان ترينا ما أريتنا من ثواب ما اعددت لاوليائك فيقول الله تعالى ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم فاذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ترون الناس خلاف ما يطوى عليه قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني تركتم للناس ولم تتركوني يعني لاجل الناس فاليوم اذيقكم أليم عقابي مع ما حرمتكم يعني من جزيل ثوابي قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم كذا في تنبيه الغافلين فاذا عرفت هذا فاجتهد في ان لا تكون من الذين لا يستحيون من الله واجعل خيانتك امانة واثمك طاعة وظلمك عدلا وتزويرك صدقا محضا واستغفر الله فان الاستغفار دوآء الاوزار وبه ينفتح باب الملكوت الى الله الملك الغفار (ومن يعمل سوأ) عملا قبيحا متعديا يسوء به غيره ويخزيه كما فعل طعمة بقتادة واليهودي (او يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء مادون الشرك والظلم الشرك لان الشرك ظلم عظيم وقيل هما الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة الصادقة وشرطت التوبة لان الاستغفار لا يكون توبة بالاجماع ما لم يقل معه تبت واسأت ولا اعود اليه ابدا فاغفر لي يا رب كما في تفسير الحدادي (يجد الله غفورا) لذنوبه كائنة ما كانت (رحيما) متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زآئدة وعن علي رضي الله عنه قال حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر رضي الله عنه قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله الاغفر الله له وتلا هذه الآية ومن يعمل سوأ الخ * اى كه بى حد گناه كردستى * مى نترسى ازان فعال شنيع * توبه كن تا رضاى حق يابى * كه به از توبه نيست هيچ شفيع (ومن يكسب اثما) من الآثام (فانما يكسبه على نفسه) بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وفي التأويلات النجمية فانما يكسبه على نفسه فان رين الاثم يظهر في الحال في صفاء مرءآة قلبه يعميه عن رؤية الحق ويصمه عن سماع الحق كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته (ومن يكسب خطيئة) صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب (او اثما) كبيرة او ما كان عن عمد (ثم يرم به) اى يقذف بأحد المذكورين ويسببه (بريئا) اى مما رماه به ليحمله عقوبة العاجلة كما فعل طعمة بزيد اليهودي (فقد احتمل) اى بما فعل من تحميل جريرته على البرى (بهتانا) لا يقادر قدره

(واثما مبينا) اى بينا فاحشا لانه بكسب الاثم آثم وبرمى البرئ باهت فهو جامع بين الامرين وسمى رمى البرئ بهتانا لكون البرئ متحيرا عند سماعه لعظمه فى الكذب يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير و يقال بهته بهتانا اذا قال عنه مالم يقله اونسب اليه مالم يفعله (روى) عنه عليه السلام انه قال الغيبة ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان كان فى اخى ما أقول قال ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وفى التأويلات النجمية فقد احتمل صاحب النفس بهتانا ابهت القلوب عن العبودية والطاعة واثما مبينا بما اثمت به نفسه من المعاصى واثم بها قلبه فيكون بمنزلة من جعل اللب وهو القلب جلدا وهو النفس وهذا من اكبر الشقاوة فلا ينقطع عنه العذاب اذا صار كل وجوده جلودا فيكون من جملة الذين قال الله تعالى فيهم سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها لانهم بدلوا الالباب بالجلود ههنا انتهى واعلم ان الاستغفار فرار العبد من الخلق الى الخالق ومن الانانية الى الهوية الذاتية وذلك عند صدق الطلب ومن طلبه وجده كما قال ألا من طلبنى وجدنى قال موسى عليه السلام أين اجدك يارب قال ياموسى اذا قصدت الى فقد وصلت الى فلا بد من الاستغفار مطلقا و يقال سلطان بلا عدل كنهر بلا ماء وعالم بلا عمل كبيت بلا سقف وغنى بلا سخاوة كسحاب بلا مطر وشاب بلا توبة كشجر بلا ثمر وفقير بلا صبر كقنديل بلا ضوء وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وتهذيب الاخلاق قبل الموت من سنن الاخيار والعمل الصالح قرين الرجل كما ان السوء كذلك * ناكهان بانك درسراى افتاد * كه فلان ازمحل وعده رسيد * دوستان آمدند تاب كور * قدمى چند وبازپس كرديد * وين كزو دسترس نميدارى * مال وملك وقباله برده كليد * وين كه پيوسته با تو خواهد بود * عمل تست ونفس پاك وپليد * نيك درياب وبد مكن زنهار * كه بدونيك بازخواهى ديد (حكى) ان الشيخ وفا المدفون بقسطنطينية فى حريم جامعه الشريف اهدى اليه ثمانون ألف درهم من قبل السلطان بايزيد الثانى ليعقد عقد النكاح لبعض بناته فقال لا افعل ولو اعطيت الدنيا وما فيها قيل ولم قال لان لى اورادا الى الضحى لا انفك عنها ساعة وانام من الضحى الى الظهر لا أترك منه ساعة واما بعد الظهر فأنتم لا ترضونه لان النهار يكون فى الانتقاص وهكذا يكون طالب الحق فى ليله ونهاره فان الدنيا فانية فالحى الباقى هو الله تعالى فلا بد من طلبه (ولولا فضل الله عليك ورحمته) بالعصمة (لهمت طائفة منهم) اى من بنى ظفر وهم الذابون عن طعمة (ان يضلوك) اى بان يضلوك عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك مع علمهم بان الجانى هو صاحبهم وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى نفى تأثيره (وما يضلون الا انفسهم) لان وباله عليهم (وما يضرونك من شئ) محل الجار والمجرور النصب على المصدرية اى وما يضرونك شيأ من الضرر لان الله عاصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لاميلا فى الحكم (وأنزل الله عليك الكتاب) اى القرآن (والحكمة) اى ما فى القرآن من الاحكام وعرفك الحلال والحرام (وعلمك) بالوحى من الغيب وخفيات الامور (ما لم تكن تعلم) ذلك الى وقت التعليم (وكان فضل الله عليك عظيما) اذ لا فضل أعظم من النبوة العامة والرياسة التامة ومن ذلك الفضل العظيم عصمته وتعليمه ما لم يعلم * قال الحدادى فى تفسيره وفى هذه الآيات دلالة انه لا يجوز لاحد ان يخاصم لغيره فى اثبات حق اونفيه وهو غير عالم بحقيقة امره وانه لا يجوز للحاكم الميل الى أحد الخصمين وان كان احدهما مسلما والآخر كافرا وان وجود السرقة فى يدى انسان لا يوجب الحكم بها عليه انتهى واعلم ان هذه الآية جامعة لفضائل كثيرة منها بيان ان وبال الشر يعود على صاحبه كما ان منفعة الخير تعود على فاعله (قال الصائب) اول بظالمان اثر ظلم ميرسد * بيش ازهدف هميشه كمان ناله ميكند * (حكى) ان الله تعالى ايبس يد رجل ذبح عجل بقرة بين يدى امه ثم ردها برد فرخ سقط من وكره الى امه يقال ثلاثة لا يفلحون بائع البشر وقاطع الشجر وذابح البقر (وحكى) ان امرأة وضعت لقمة فى فم سائل ثم ذهبت الى مزرعة فوضعت ولدها فى موضع فأخذه الذئب فقالت يارب ولدى فاخذ آخذ عنق الذئب واستخرج ولدها من غير أذى ثم قال هذه اللقمة لتلك اللقمة التى وضعتها فى فم السائل فكل يرى اثر صنعه فى الدنيا ايضا ومنها ان العلم والحكمة من أعظم الفضائل والمراد العلم النافع المقرب الى الله تعالى اعاذنا الله مما لا ينتفع منه على ما قال عليه الصلاة والسلام فى دعائه واعوذ بك من علم لا ينفع فان العلم النافع لا ينقطع مدده فى الآخرة ايضا على ماروى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه اذا مات ابن آدم انقطع عمله الامن ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعوله ومنها ان لا يرى العبد الفضائل والخيرات من نفسه

بل من فضل الله ورحمته وليس للعبدان يزكى نفسه فان الانفس ليست بمحل التزكية فمن استحسن من نفسه شيأ فقد اسقط من باطنه انوار اليقين والكامل لايرى لنفسه قدرا فكيف لعمله وكل ما يعمله العبد من بدايته الى نهايته لايقابل لنعمة الوجود (حكى) عن شاه شجاع الكرمانى انه كان جالسا فى مسجد فقام فقير وسأل الناس فلم يعطوه شيأ فقال الكرمانى من يشترى حج خمسين سنة بمن من الخبز فيعطى هذا الفقير وكان هنالك فقيه فقال أيها الشيخ قد استخففت بالشريعة فقال الكرمانى لاارى لنفسى قيمة فكيف ارى لعملى وليس المراد التعطيل عن العمل بل يعملون جميع الحسنات ولا يرون لها قدرا بل يرون التوفيق لها من فضل الله تعالى (قال السعدى) كرازحق توفيق خيرى رسد * كه ازبنده خيرى بغيرى رسد * چوروبى بخدمت نهى برزمين * خدارا ثنا كوى وخودرا مبين * والاشارة فى الآية ان فضل الله موهبة من مواهب الحق يؤتيه من يشاء وليس لأحد فيه مدخل بالكسب والاستجلاب وبذلك يهدى العبد للايمان ويوفقه للعمل الصالح والعظيم فى قوله وكان فضل الله عليك عظيما هو الله تعالى اى ان الله العظيم هو فضل الله عليك ورحمته كما انك فضل الله ورحمته على العالمين ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك ومن فضل الله عليه انه لم يضله شئ من الروحانيات والجسمانيات عن طريق الوصول اللهم احفظنا من الموانع فى طريق الوصول اليك آفاقية اوانفسية وألحقنا بفضلك بالنفوس القدسية (لاخير فى كثير من نجواهم) اى فى كثير من تناجى الناس وهو فى اللغة سر بين اثنين وذهب الزجاج الى ان النجوى ما تفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان اوظاهرا قال مجاهد هذه الآية عامة فى حق جميع الناس غير مختصة بقوم طعمة وان نزلت فى تناجى قوم السارق لتخليصه (الامن امر) اى الا فى نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لاخير فى قيامهم الاقيام زيد (بصدقة اومعروف) المعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة واول اهل الجنة دخولا اهل المعروف وصنائع المعروف تقى مصارع السوء * تونيكى كن باب انداز اى شاه * اكرماهى نداند داند الله * وفى الحديث عمل ابن آدم كله عليه لاله الاما كان من امر بمعروف اونهى عن منكر اوذكر الله (او اصلاح بين الناس) عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز فى ذلك حدود الشرع الشريف وفى الحديث ألا اخبركم بأفضل درجة من الصلاة والصدقة قالوا بلى يارسول الله قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة فلا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وعن ابى ايوب الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم قال بلى يارسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر فى افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر أن عمل الخير المتعدى الى الناس اما لايصال المنفعة اولدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله عز وجل الامن امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله أو اصلاح بين الناس (ومن يفعل ذلك) اشارة الى الامور المذكورة اعنى الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشاربه الى متعدد وانما بنى الكلام على الامر حيث قال اولا الامن امر فهو كلام فى حق الآمر بالفعل ورتب الجزاء على الفعل حيث قال ومن يفعل فهو كلام فى حق الفاعل وكان المناسب للاول ان يبين حكم الآمر ويقول ومن يأمر بذلك ليدل على انه لما دخل الآمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه ففيه تحريض الآمر بالامور المذكورة على فعلها (ابتغاء مرضاة الله) اى طلب رضى الله تعالى علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به غير الحرمان (قال السعدى) كرت بيخ اخلاص دربوم نيست * ازين در كسى چون تو محروم نيست * زعمرواى پسر چشم اجرت مدار * چودرخانه زيد باشى بكار (فسوف نؤتيه اجرا عظيما) يقصر عنه الوصف ويستحقر دونه ما فات من اعراض الدنيا (ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته (ويتبع غير سبيل المؤمنين) اى غير ما هم مستمرون عليه من اعتقاد وعمل وهو الدين القيم (نوله ما تولى) اى نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلى بينه و بين ما اختار (ونصله جهنم) اى ندخله فيها (وساءت مصيرا) اى جهنم

(روى) ان طعمة عاند حكم الله وخالف رسول الله خوفا من فضاحة قطع اليد فهرب الى مكة واتبع دين اهلها ومات كافرا فعلى العاقل ان لا يخالف الجماعة وهم المؤمنون فان الشاة الخارجة عن القطيع يأكلها الذئب وسبيل المؤمنين هو السبيل الحق الموصل الى الجنة والقربة والوصلة واللقاء والاشارة انه لا خير فى كثير من نجواهم اى الذين يتناجون من النفس والشيطان والهوى لانهم شرار ولا فيما يتناجون به لانهم يأمرون بالسوء والفحشاء والمنكر ثم استثنى وقال الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس اى الا فيمن امر بهذه الخيرات فان فيه الخير وهو الله تعالى فانه يأمر بالخيرات بالوحى عموما ويأمر بالخاطر الرحمانى والالهام الربانى خواص عباده فالخاطر يكون بواسطة الملك وبغير الواسطة كما قال عليه السلام ان للملك لمة وان للشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير ولمة الشيطان ايعاد بالشر والالهام ما يكون من الله تعالى بغير الواسطة وهو على ضربين ضرب منه ما لا شعور به للعبد أنه من الله وضرب منه ما يكون باشارة صريحة يعلم العبد انه آت من الله تعالى لتعليم نور الالهام وتعريفه لا يحتاج الى معرفة آخر أنه من الله تعالى وهذا يكون للولى وغير الولى كما قال بعض المشايخ حدثنى قلبى عن ربى وقال عليه السلام ان الحق لينطق على لسان عمر وقال كادت فراسته ان تسبق الوحى ثم قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله اى ومن يفعل بما الهمه الله طلبا لمرضاته فسوف نؤتيه اجرا عظيما ذكر بفاء التعقيب قوله فسوف يعنى عقيب الفعل نؤتيه اجرا وهو جذبة العناية التى تجذبه عنه وتوصله الى العظيم ثم قال ومن يشاقق الرسول اى يخالف الالهام الربانى الذى هو رسول الحق اليه من بعد ما تبين له الهدى بتعريف الالهام ونوره ويتبع غير سبيل المؤمنين الموقنين بالالهام بان يتبع الهوى وتسويل النفس وسبيل الشيطان نوله ما تولى اى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملاته التى تولى بها الى جهنم سفليات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية وساءت مصيرا اى ماصار اليه من عبادة الهوى واتباع النفس والشيطان واشراكهم بالله فى المطاوعة كذا فى التأويلات النجمية (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) يقال جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم أشرك بالله شيأ منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جرآءة وما توقعت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى عند الله فنزلت هذه الآية فالشرك غير مغفور الا بالتوبة عنه وما سواه مغفور سوآء حصلت التوبة اولم تحصل لكن لا لكل احد بل لمن يشاء الله مغفرته (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة قال الحدادى اى فقد ذهب عن الصواب والهدى ذهابا بعيدا وحرم الخير كله والفائدة فى قوله بعيدا ان الذهاب عن الجنة على مراتب ابعدها الشرك بالله تعالى انتهى فالشرك أقبح الرذآئل كما ان التوحيد أحسن الحسنات والسيئات على وجوه كأكل الحرام وشرب الخمر والغيبة ونحوها لكن اسوء الكل الشرك بالله ولذلك لا يغفر وهو جلى وخفى حفظنا الله منهما وكذا الحسنات على وجوه ويجمعها العمل الصالح وهو ما اريد به وجه الله واحسن الكل التوحيد لانه اساس جميع الحسنات وقامع السيئات ولذلك لا يوزن قال عليه السلام كل حسنة يعملها ابن آدم توزن يوم القيامة الا شهادة أن لا اله الا الله فانها لا توضع فى ميزانه لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك ثم ان الله تعالى بين كون ضلالهم ضلالا بعيدا فقال (ان) بمعنى ما النافية (يدعون) اى المشركون وهو بمعنى يعبدون لان من عبد شيأ فانه يدعوه عند احتياجه اليه (من دونه) الضمير راجع الى الله تعالى (الا اناثا) جمع انثى والمراد الاوثان وسميت اصنامهم اناثا لانهم كانوا يصورونها بصورة الاناث ويلبسونها أنواع الحلل التى تتزين بها النساء ويسمونها غالبا باسماء المؤنثات نحو اللات والعزى ومناة والشئ قد يسمى انثى لتأنيث اسمه اولانها كانت جمادات لا ارواح فيها والجماد يدعى انثى تشبيها له بها من حيث انه منفعل غير فاعل ولعله تعالى ذكره بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهى جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة فان من المشركين من يعبد الملائكة ويقول الملائكة بنات الله تعالى قال الله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى مع اعترافهم بان اناث كل شئ اخسه وارذله (وان يدعون) اى وما يعبدون بعبادة الاصنام

(الا شيطانا مريدا) لانه الذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته فى ذلك عبادة له قيل كان فى كل واحد من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة والكهنة يكلمهم وقال الزجاج المراد بالشيطان ههنا ابليس بشهادة قوله تعالى بعد هذه الآية لأتخذن وهو قول ابليس ولا يبعد أن الذى يتراءى للسدنة هو ابليس والمريد هو الذى لا يعلق بخير فقيل من مرد أى تجرد للشر وتعرى من الخير يقال شجرة مرداء اى لا ورق عليها وغلام امرد اذا لم يكن على وجهه شعر (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان اى أبعده من رحمته الى عقابه بالحكم له بالخلود فى جهنم ويسقط بهذا قول من قال كيف يصح ان يقال لعنه الله وهو فى الدنيا لا يخلو من نعمة تصل اليه من الله تعالى فى كل حال لانه لا يعتد بتلك النعمة مع الحكم له بالخلود فى النار (وقال) عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن الدال على فرط عداوته للناس فان الواو الواقعة بين الصفات انما تفيد مجرد الجمعية (لأتخذن) هذه اللام واللامات الآتية كلها للقسم (من عبادك نصيبا مفروضا) اى مقطوعا واجبا قدر لى وفرض وهو اى النصيب المفروض لابليس كل من اطاعه فيما زين له من المعاصى قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كما فى حديث المشارق يقول الله تعالى اى فى يوم الموقف يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك فيقول أخرج بعث النار يعنى من أهلها والبعث بمعنى المبعوث قال وما بعث النار ماهنا بمعنى كم العددية ولذا اجيب عنها بالعدد قال اى الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال النبى عليه السلام فذلك التقاول حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها كاينا عن شدة أهوال يوم القيامة وترى الناس سكارى اى من الخوف وما هم بسكارى اى من الخمر ولكن عذاب الله شديد قال اى الراوى واشتد ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل الباقى من الالف فقال أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجلا والخطاب للصحابة وغيرهم من المؤمنين ثم قال والذى نفسى بيده انى لأرجو ان تكونوا ربع اهل الجنة قال الراوى فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذى نفسى بيده انى لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذى نفسى بيده انى لارجو أن تكونوا شطر اهل الجنة وترقى عليه السلام فى حديث آخر من النصف الى الثلثين وقال ان أهل الجنة مائة وعشرون صنفا وهذه الامة منها ثمانون ان مثلكم فى الامم اى الكفرة كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود فلا يستبعد دخول كل المؤمنين الجنة فان قيل كيف علم ابليس انه يتخذ من عباد الله نصيبا قيل فيه اجوبة منها ان الله تعالى لما خاطبه بقوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين علم ابليس انه ينال من ذرية آدم ما تمناه ومنها انه لما وسوس لآدم فنال منه طمع فى ذريته ومنها ان ابليس لما عاين الجنة والنار علم ان لهما سكانا من الناس (ولأضلنهم) عن الحق واضلاله وسواس ودعاء الى الباطل ولو كان اليه شئ من الضلالة سوى الدعاء اليها لأضل جميع الخلق ولكنه لما قال عليه السلام فى حقه خلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شئ يعنى انه يزين للناس الباطل وركوب الشهوات ولا يخلق لهم الضلالة (ولأمنينهم) الامانى الباطلة بان يخيل للانسان ادراك ما يتمناه من المال وطول العمر وقيل يمنى الانسان اى يوهمه انه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا عقاب ولا حساب وقيل بأن يوهمه انه ينال فى الآخرة حظا وافرا من فضل الله ورحمته (ولآمرنهم) بالبتك اى القطع والشق (فليبتكن آذان الانعام) اى فليقطعنها بموجب امرى ويشقنها من غير تلعثم فى ذلك ولا تأخير يقال بتكه اى قطعه ونقل الى بناء التفعيل اى التبتيك للتكثير واجمع المفسرون على ان المراد به ههنا قطع آذان البحائر والسوائب والانعام الابل والبقر والغنم اى لاحملنهم على ان يقطعوا آذان هذه الاشياء ويحرموها على أنفسهم بجعلها للاصنام وتسميتها بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا وكان أهل الجاهلية اذا أنتجت ناقة احدهم خمسة ابطن وكان آخرها ذكرا بحروا اذنها وامتنعوا من ركوبها وحلبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى واذا القيها المعيى لم يركبها وقيل كانوا يفعلون ذلك بها اذا ولدت سبعة ابطن والسائبة المخلاة تذهب حيث شاءت وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة او يقول ان قدم غائبى من السفر أو ان وصلت الى وطنى او ان ولدت امرأتى ذكرا او نحو ذلك فناقتى سائبة فكانت كالبحيرة وكذا من كثر ماله يسيب واحدة منها تكرما وكانت لا ينتفع بشئ منها ولا تمنع عن ماء ومرعى الى ان تموت فيشترك فى اكلها الرجال والنساء والوصيلة هى من الغنم اذا ولدت سبعة ابطن فان كان الولد السابع ذكرا ذبحوه لآلهتهم وكان لحمه للرجال دون النساء وان كان انثى كانوا

يستعملونها وكانت بمنزلة سائر الغنم وان كان ذكرا وانثى قالوا ان الاخت وصلت اخاها فلا يذبحون اخاها من اجلها وجرى مجرى السائبة وكانت المنفعة للرجال دون النساء فهى فعيلة بمعنى فاعلة والحامى هو البعير الذى ولد ولد ولده وقيل هو الفحل من الابل اذا ركب ولد ولده قالوا انه قد حمى ظهره فيهمل ولا يركب ولا يمنع عن الماء والمرعى واذا مات يأكله الرجال والنساء (ولآمرنهم) بالتغيير (فليغيرن خلق الله) عن نهجه صورة وصفة ويندرج فيه امور منها فقء عين الحامى وكانت العرب اذا بلغت ابل أحدهم ألفا عوروا عين فحلها والحامى الفحل الذى طال مكثه عندهم ومنها خصاء العبيد وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى خصاء البهائم لمكان الحاجة ومنعوه فى بنى آدم وعند أبى حنيفة يكره شراء الخصيان واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم قال فى نصاب الاحتساب قرأت فى بعض الكتب ان معاوية دخل على النساء ومعه خصى مجبوب فنفرت منه امرأة فقال معاوية انما هو بمنزلة امرأة فقالت اترى ان المثلة فيه قد أحلت ما حرم الله من النظر فتعجب من فطنتها وفقهها ومنها الوشم وهو أن يغرز الجلد بابرة ثم يحشى بكحل او بنيلج وهو دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخضر قال بعض اصحاب الشافعى وجبت ازالته ان امكن بالعلاج والا فبالجرح ان لم يخف فوت عضو ومنها الوشر وهو ان تحدد المرأة اسنانها وترققها تشبها بالشواب ومنها التنمص وهو نتف شعور الوجه يقال تنمصت المرأة اذا تزينت بنتف شعر وجهها وحاجبها والنامصة المرأة التى تزين النساء بالنمص والمنمص والمنماص المنقاش وقد لعن النبى عليه السلام النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة والواصلة هى التى تصل شعر غيرها بنفسها والمستوصلة هى التى تأمر غيرها بان توصل ذلك الى شعرها قال ابن الملك الواصلة هى التى تصل الشعر بشعر آخر زورا والمستوصلة هى التى تطلبه والرجل والمرأة سواء فى ذلك هذا اذا كان المتصل شعر الادمى لكرامته فلا يباح الانتفاع بشىء من اجزائه اما غيره فلا بأس بوصله فيجوز اتخاذ النساء القراميل من الوبر وقيل فيه تفصيل ان لم يكن لها زوج فهو حرام ايضا وان كان فان فعلته بأذن الزوج او السيد يجوز والا فلا ثم انها ان فعلت ذلك بصغيرة تأثم فاعلته ولا تأثم المفعولة لانها غير مكلفة ويدخل فى التنمص نتف شعر العانة فان السنة حلق العانة ونتف الابط ومنها السحق وهو لكونه عبارة عن تشبه الانثى بالذكور من قبيل تغيير خلق الله عن وجهه صفة وفى الحديث المرفوع سحاق النساء زنى بينهن وكذا التخنث لما فيه من تشبه الذكر بالانثى وهو اظهار اللين فى الاعضاء والتكسر فى اللسان ومنها اللواطة لما فيها من اقامة ما خلق لدفع الفضلات مقام موضع الحراثة والنظر الى صبيح الوجه بالشهوة حرام ومجالسته حرام لانه عورة من القرن الى القدم وجاء فى بعض الروايات ان مع كل امرأة شيطانين ومع كل غلام ثمانية عشر شيطانا ومنها عبادة الشمس والقمر والكواكب والحجارة فان عبادتها وان لم تكن تغيير الصورها لكنها تغيير لصفتها فان شيأ منها لم يخلق لان يعبد من دون الله وانما خلق لينتفع به العباد على الوجه الذى خلق لاجله وكذا الكفر بالله وعصيانه فانه ايضا تغيير خلق الله عن وجهه صفة فانه تعالى فطر الخلق على استعداد التحلى بحلية الايمان والطاعة ومن كفر بالله وعصاه فقد ابطل ذلك الاستعداد وغير فطرة الله صفة ويؤيده قوله عليه السلام كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وكذا استعمال الجوارح فى غير ما خلقت لاجله تغيير لها عن وجهها صفة والجمل الاربع وهى لأتخذن ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم كل واحدة منها مقول للشيطان فلا يخلو اما ان يقولها بلسان جسمه او بلسان فعله وحاله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) بايثار ما يدعو اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته (فقد خسر خسرانا مبينا) لانه ضيع رأس ماله بالكلية وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار (يعدهم) ما لا ينجزه من طول العمر والعافية ونيل لذائذ الدنيا من الجاه والمال وقضاء شهوات النفس (ويمنيهم) ما لا ينالون نحو أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء او نيل المثوبات الاخروية من غير عمل (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بألسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله اى ما يعدهم لشىء الا لان يغرهم واعلم ان العمدة فى اغواء الشيطان ان يزين زخارف الدنيا ويلقى الامانى فى قلب الانسان مثل ان يلقى فى قلبه انه سيطول عمره وينال من الدنيا امله ومقصوده ويستولى على اعدائه ويحصل له ما تيسر لارباب المناصب والاموال وكل ذلك غرور لانه ربما لا يطول عمره وان طال فربما لا ينال امله ومطلوبه

وان طال عمره ووجد مطلوبه على أحسن الوجوه فلابد ان يفارقه بالموت فيقع فى اعظم انواع الغم والحسرة فان تعلق القلب بالمحبوب كلما كان اشد واقوى كانت مفارقته اعظم تأثيرا فى حصول الغم والحسرة ولذلك قيل
الفت مكير هجر والف هيچ باكسى * تابشنوى الم نشوى وقت انقطاع * فنبه سبحانه وتعالى على ان الشيطان انما يعد ويمنى لاجل ان يغتر الانسان و يخدعه و يفوت عنه اعز المطالب وانفع المآرب فالعاقل من لايتبع وساوس الشيطان و يبتغى رضى الرحمن بالتمسك بكتابه العظيم وسنن رسوله الكريم والعمل بهما ليفوز فوزا عظيما وكفى بذلك نصيحة (اولئك) اشارة الى اولياء الشيطان وهو مبتدأ (مأواهم) اى مستقرهم وهو مبتدأ ثان (جهنم) خبر للثانى والجملة خبر للاول (ولا يجدون عنها محيصا) اى معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اى كائنا عنها ولايجوز أن يتعلق بيجدون لانه لايتعدى بعن ولا بقوله محيصا لانه اما اسم مكان وهو لايعمل مطلقا واما مصدر ومعمول المصدر لايتقدم عليه * والاشارة ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم السعداء وخلق النار وخلق لها أهلا وهم الاشقياء وخلق الشيطان مزينا وداعيا وآمرا بالهوى فمن يرى حقيقة الاضلال ومشيئته من ابليس فهو ابليس وقد قال تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء والنصيب المفروض من العباد هم طائفة خلقهم الله تعالى أهل النار كقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وهم اتباع الشيطان ههنا وقد لعن الله الشيطان وأبعده عن الحضرة اذ كان سبب ضلالتهم كما قال عليه السلام الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وانما لعن الله الدنيا وأبغضها لانها كانت سببا للضلالة وكذلك الشيطان ولا يغتر بوعد الشيطان الا الضال بالضلال البعيد الازلى ولذا لو لم منه الشرك المقدر بمشيئة الله الازلية واما من خلقه الله أهلا للجنة فقد غفر له قبل ان خلقه ومن غفر له فانه لايشرك بالله شيأ وعن ابن عباس رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ تطاول ابليس وقال انا شئ من الاشياء فلما نزل فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة يئس ابليس وتطاولت اليهود والنصارى ثم لما نزل قوله تعالى الذين يتبعون النبى الامى يئس اليهود والنصارى وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصة فهم خلقوا للرحمة ودخلوا الجنة بالرحمة ولهم الخلود فى الرحمة وبقى العذاب للشيطان واتباعه من الانس والجن ولهم الخلود فى النار كما قال الله تعالى ولا يجدون عنها محيصا لانهم خلقوا لها فلا بد من الدخول فيها (قال الحافظ)
بيرما گفت خطا برقلم صنع نرفت * آفرين برنظر باك خطا پوشش باد * فافهم تفز ان شاء الله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) صلاح الاعمال فى اخلاصها فالعمل الصالح هو ما اريد به وجه الله تعالى و ينتظم جميع انواعه من الصلاة والزكاة وغيرهما (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) اى انهار الماء واللبن والخمر والعسل (خالدين فيها ابدا) اى مقيمين فى الجنة الى الابد فنصب ابدا على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل قال الحدادى انما ذكر الطاعة مع الايمان وجمع بينهما فقال آمنوا وعملوا الصالحات ليتبين بطلان توهم من يتوهم انه لاتضر المعصية والاخلال بالطاعة مع الايمان كما لاتنفع الطاعة مع الكفر وليتبين استحقاق الثواب على كل واحد من الامرين (وعد الله حقا) اى وعد الله لهم هذا وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لانه مضمون الجملة الاسمية التى قبل وعد لان الوعد عبارة عن الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها والثانى مؤكد لغيره لان الخبر من حيث انه خبر يحتمل الصدق والكذب (ومن اصدق من الله قيلا) استفهام انكارى اى ليس احد أصدق من الله قولا ووعدا وانه تعالى أصدق من كل قائل فوعده اولى بالقبول ووعد الشيطان تخييل محض ممتنع الوصول وقيلا نصب على التمييز والقيل والقال مصدران كالقول (ليس بامانيكم) جمع امنية بالفارسية آرزو كردن (ولا امانى اهل الكتاب) اى ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأمانى أهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح وامانى المسلمين ان يغفر لهم جميع ذنوبهم من الصغائر والكبائر ولا يؤاخذوا بسوء بعد الايمان ولمانى أهل الكتاب ان لايعذبهم الله ولا يدخلهم النار الا اياما معدودة لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فلا يعذبنا وعن الحسن ليس الايمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل ان قوما ألهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل قال بعضهم الرجاء ما قارنه عمل والا فهو أمنية والامنية منية اى موت اذ هى موجبة لتعطيل نوآئد الحياة (قال السعدى) قيامت كه بازار مينو نهند *

منازل باعمال نيكو نهند * بضاعت بچند انكه آرى برى * اكر مفلسى شرمسارى برى * كسى راكه حسن عمل بيشتر * بدركاه حق منزلت بيشتر * ثم انه تعالى اكد حكم الجملة الماضية وقال (من يعمل سوأ) عملا قبيحا (يجز به) عاجلا او آجلا لما روى انه لما نزلت قال ابو بكر رضى الله عنه فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاوآء قال بلى يارسول الله قال هو ذلك قال ابو هريرة رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به بكينا وحزنا وقلنا يارسول الله ما ابقت هذه الآية من شئ قال اما والذى نفسى بيده انها لكما انزلت ولكن يسروا وقاربوا وسددوا اى اقصدوا السداد اى الصواب ولا تفرطوا فتجهدوا انفسكم فى العبادة لئلا يفضى ذلك بكم الى الملال فتتركوا العمل كذا فى المقاصد الحسنة (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) اى ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه (ومن يعمل من الصالحات) من للتبعيض اى بعضها وشيأ منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها وانما يعمل منها ماهو تكليفه وفى وسعه وكم من مكلف لاحج عليه ولا جهاد ولا زكاة وسقط عنه الصلاة فى بعض الاحوال (من ذكر او انثى) فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور لانه لا اعتداد بالعمل بدون الايمان فيه (فاولئك) المؤمنون العاملون (يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) اى لا ينقصون مما يستحقونه من جزآء اعمالهم مقدار النقير وهى النقرة اى الحفرة التى فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وهو علم فى القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصى لان المجازى ارحم الراحمين وفى الحديث ان الله وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده اعشاره اى سيئاته على حسناته قال النيسابورى حكمة تضعيف الحسنات لئلا يفلس العبد اذا اجتمع الخصماء فى طاعته فيدفع اليهم واحدة ويبقى له تسع فظالم العباد توفى من التضعيفات لا من أصل حسناته لان التضعيف فضل من الله تعالى وأصل الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة وقد ذكر الامام البيهقى فى كتاب البعث فقال ان التضعيفات فضل من الله تعالى لا تتعلق بها العباد كما لا تتعلق بالصوم بل يدخرها الحق للعبد فضلا منه سبحانه فاذا دخل الجنة اثابه بها (قال السعدى) نكوكارى از مردم نيك راى * يكى را بده مى نويسد خداى * جوانا ره طاعت امروز كير * كه فردا جوانى نيايد ز پير * ره خير بازست وطاعت وليك * نه هر كس توانايست برفعل نيك * همه برك بودن همى ساختى * بتدبير رفتن نپرداختى * واعلم ان جميع الاعمال الصالحة يزيد فى نور الايمان فعليك بالطاعات والحسنات والوصول الى المعارف الالهية فان العلم بالله أفضل الاعمال ولذلك لما قيل يارسول الله اى الاعمال أفضل قال العلم بالله فقيل الاعمال نريد قال العلم بالله فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وذلك انما يحصل بتصفية الباطن مع صيقل التوحيد وانواع الاذكار ولا يعقلها الا العالمون والاشارة ليس بأمانيكم يعنى بأمانى عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون ان يغفر الله لهم والله تعالى يقول وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ولا امانى أهل الكتاب يعنى العلماء السوء الذين يغرون الخلق بالرجاء المذموم ويقطعون عليهم طريق الطلب والجد والاجتهاد ومن يعمل سوأ يجز به فى الحال باظهار الرين على مرءآة قلبه بعد الذنب كما قال عليه السلام اذا اذنب عبد ذنبا نكت فى قلبه نكتة سودآء فان تاب ورجع منه صقل ولا يجد له من دون الله وليا يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة بالتوبة ولا نصيرا سوى الله ينصره بالظفر على النفس الامارة فيزكيها عن صفاتها وعلى الشيطان فيدفع شره وكيده ومن يعمل من الصالحات اى الخالصات من ذكر أو انثى يشير بالذكر الى القلب وبالانثى الى النفس وهو مؤمن مخلص فى تلك الاعمال فاولئك يدخلون الجنة المعنى ان القلب اذا عمل بما وجب عليه من التوجه الى العالم العلوى والاعراض عن العالم السفلى وغض البصر عن سوى الحق يستوجب دخول جنة القربة والوصلة والنفس اذا عملت بما وجب عليها من الانتهاء عن هواها وترك حظوظها واداء حقوق الله تعالى فى العبودية واطمأنت بها تستحق الرجوع الى ربها والدخول فى جنة عالم الارواح كما قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية

ولا يظلمون نقيرا فيما قدراهم الله من الاعمال الصالحات ولا من الدرجات والقربات فليس من تمنى نعمته من غير ان يتعنى فى خدمته كمن تعنى فى خدمته من غير ان يتمنى نعمته وأن بينهما بونا بعيدا من اعلى مراتب القرب الى اسفل سافلين البعد كذا فى التأويلات النجمية (ومن) استفهام انكارى (احسن دينا) الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار فان الشريعة من حيث انها يطاع لها دين ومن حيث انها تملى وتكتب ملة والاملال بمعنى الاملاء (ممن اسلم وجهه لله) اى جعل نفسه وذاته سالمة خالصة لله تعالى بان لم يجعل لاحد حقا فيها لا من جهة الخالقية والمالكية ولا من جهة العبودية والتعظيم وقوله دينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل فى الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما (وهو محسن) الجملة حال من فاعل اسلم اى والحال انه آت بالحسنات تارك للسيئات وقد فسره النبى عليه السلام بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والاحسان حقيقة الايمان واعلم ان دين الاسلام مبنى على امرين الاعتقاد والعمل فالله سبحانه اشار الى الاول بقوله اسلم وجهه لله والى الثانى بقوله وهو محسن اى فى الانقياد له بان يكون آتيا بجميع ما كلفه به على وجه الاجلال والخشوع (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها بين الاديان كلها بخلاف ملة موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام (حنيفا) حال من فاعل اتبع اى مائلا عن الاديان الزائغة ثم ان الله تعالى رغب فى اتباع ملته فقال (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اى اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها (ولله ما فى السموات وما فى الارض) كأنه قيل لم خص الله تعالى ابراهيم عليه السلام بالخلة وله عباد مكرمون فاجاب بان جميع ما فى السموات وما فى الارض من الموجودات له تعالى خلقا وملكا يختار منها ما يشاء ومن يشاء (وكان الله بكل شئ محيطا) احاطة علم وقدرة فكل واحد من علمه وقدرته محيط بجميع ما يكون داخلا فيهما وما يكون خارجا عنهما ومغايرا لهما مما لا نهاية له من الصدورات الخارجة عن هذه السموات والارضين (روى) ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا وفى الخبر تعجب الملائكة من كثرة ماله وخدمه وكان له خمسة الاف قطيع من الغنم وعليها كلاب المواشى بأطواق الذهب فتمثل له ملك فى صورة البشر وهو ينظر أغنامه فى البيداء فقال الملك سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح فقال ابراهيم عليه السلام كرر ذكر ربى ولك نصف ما ترى من اموالى فكرر الملك فنادى ثانيا كرر تسبيح ربى ولك جميع ما ترى من مالى فتعجب الملائكة فقالوا جدير أن يتخذك الله خليلا فعلى هذا انما سمى الخليل خليلا على لسان الملائكة قال القاضى فى الشفاء الخلة ههنا أقوى من النبوة لان النبوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة ومن شرط الخلة استسلام العبد فى عموم احواله لله بالله وان لا يدخر شيأ مع الله لا من ماله وجسده ولا من نفسه ولا من روحه وخلده ولا من اهله وولده وهكذا كان حال ابراهيم عليه السلام * جانكه نه قربانئ جانان بود * جيفه تن بهتر از ان جان بود * هركه نه شد كشته بشمشير دوست * لاشه مردار به از جان اوست * ومن شرط المحبة فناء المحب فى المحبة وبقاؤه فى المحبوب حتى لم تبق المحبة من المحب الا الحبيب وهذا حال محمد صلى الله عليه وسلم قيل لمجنون بنى عامر ما اسمك قال ليلى قال شيخى وسندى ومن هو بمنزلة روحى فى جسدى فى كتاب اللائحات البرقيات ان الخلة والمحبة الالهية الاحدية تجلت لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بحقيقتها ولابراهيم عليه السلام بصورتها ولغيرهما بخصوصياتها الجزئيات بحسب قابلياتهم ونبينا عليه السلام فى مقام الخلة والمحبة بمنزلة المرتبة الاحدية الذاتية وابراهيم عليه الصلاة والسلام بمنزلة المرتبة الواحدية الصفاتية وغيرهما بمنزلة المرتبة الواحدية الافعالية والى هذه المقامات والمراتب اشارة فى البسملة على هذا الترتيب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه بالفعل وابراهيم عليه السلام خليل الرحمن وحبيبه بالفعل وغيرهما من الانبياء عليهم السلام اخلاء الرحيم واحباؤه

بالفعل انتهى كلام الشيخ العلامه ابقاه الله بالسلامه واعلم انه عليه السلام قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابابكر خليلا يعنى لو جازلى ان اتخذ صديقا من الخلق يقف على سرى لاتخذت ابابكر خليلا ولكن لايطلع على سرى الا الله ووجه تخصيصه بذلك ان ابابكر رضى الله عنه كان اقرب بسر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما روى انه عليه السلام قال ان ابابكر لم يفضل عليكم بصوم ولا صلاة ولكن بشئ كتب فى قلبه وانفهم من عدم اتخاذه عليه السلام احدا خليلا انفصاله عما سوى الله تعالى فكل الكائنات متصل به وهو غير متصل بشئ اصلا سوى الله سبحانه وتعالى اللهم ارزقنا شفاعته قال الشيخ السعدى فى نعته الشريف * شبى برنشست ازفلك دركذشت * بتمكين جاه ازملك دركذشت * چنان كرم درتيه قربت براند * كه درسدره جبريل ازوبا زماند * فهذا انفصاله عن العلويات والسفليات ووصوله الى حضرة الذات (ويستفتونك) اى يطلبون منك الفتوى واشتقاق الفتوى من الفتى وهو الشاب القوى الحدث لانها جواب فى حادثة واحداث حكم اوتقوية لبيان مشكل (فى) حق توريث (النساء) اذ سبب نزولها ان عيينة بن حصين اتى النبى عليه السلام فقال اخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما كانورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت (قل الله يفتيكم فيهن) يبين لكم حكمه فى حقهن والافتاء تبيين المبهم وتوضيح المشكل (وما يتلى عليكم فى الكتاب) عطف على اسم الله اى يفتيكم الله وكلامه فيكون الافتاء مسندا الى الله والى مافى القرآن من قوله يوصيكم الله فى اولادكم فى اوائل هذه السورة ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين كما يقال اغنانى زيد وعطاؤه فان المسند اليه فى الحقيقة شئ واحد وهو المعطوف عليه الا انه عطف عليه شئ من احواله للدلالة على ان الفعل انما قام بذلك الفاعل باعتبار اتصافه بتلك الحال (فى) شأن (يتامى النساء) متعلق بيتلى كما ان فى الكتاب متعلق به ايضا والاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه (اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن) اى فرض لهن من الميراث وغيره (وترغبون) عطف على لاتؤتونهن عطف جملة مثبتة على جملة منفية (ان تنكحوهن) اى فى نكاحهن لجمالهن ومالهن وترغبون عن نكاحهن اى تعرضون لقبحهن وفقرهن فان كانت اليتيمة جميلة موسرة رغب وليها فى تزوجها والارغب عنها وما يتلى فى حقوقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوها ونحوها من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم (و) فى (المستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوامين بالامور (و) فى (ان تقوموا لليتامى) فى اموالهم وحقوقهم (بالقسط) اى العدل وهو ايضا عطف على يتامى النساء وما يتلى فى حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك (وما) شرطية (تفعلوا من خير) على الاطلاق سواء كان فى حقوق المذكورين اوغيرهم (فان الله كان به عليما) فيجازيكم بحسبه فعلى العاقل ان يطيع الله تعالى فيما امر ولا يأكل مال الغير بل يجتهد فى ان ينفق ماقدر عليه على اليتامى والمساكين قال حاتم الاصم من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب ومن ادعى محبة الله من غير ورع عن محارم الله فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى عليه السلام من غير محبة الفقراء فهو كذاب وفى قوله تعالى وما تفعلوا حث على فعل الخير وترغيب (حكى) ان امرأة جاءت الى حانوت ابى حنيفة تريد شراء ثوب فأخرج ابو حنيفة ثوبا جديدا قيمته اربعمائة درهم فقالت المرأة انى امرأة ضعيفة ولى بنت اريد تسليمها الى زوجها فبعنى هذا الثوب بما يقوم عليك فقال ابو حنيفة خذيه باربعة دراهم فقالت المرأة لم تسخر بى فقال ابو حنيفة معاذ الله ان اكون من الساخرين ولكنى كنت اشتريت ثوبين فبعت احدهما برأس المال الذى نقدت فى الثوبين الا اربعة دراهم فبقى هذا على باربعة دراهم فاخذت المرأة الثوب باربعة دراهم ورجعت مستبشرة فرحة (قال السعدى) بكيراى جوان دست درويش پير * نه خودرا بيفكن كه دستم بكير * كسى نيك بودى بهردوسراى * كه نيكى رساند بخلق خداى * واعلم ان النفس بمثابة المرأة لزوج الروح فكما اوجب الله على الرجال من الحقوق للنساء فكذلك اوجب على العبد الطالب الصادق من الحقوق للنفس كما قال عليه السلام لعبد الله بن عمر حين جاهد نفسه بالليل بالقيام وبالنهار بالصيام ان لنفسك عليك حقا فصم وافطر وقم ونم والرياضة الشديدة تقطع عن السير قال

عليه السلام ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق يريد لا تحملوا على انفسكم ولا تكلفوها ما لا تطيق فتعجز فتترك الدين والعمل * اسب تازى دونك همى ماند * شتر آهسته ميرود شب وروزى * وكان النبى عليه الصلاة والسلام يتوسط فى اعطاء نفسه حقها ويعدل فيها غاية العدل فيصوم ويفطر ويقوم وينام وينكح النساء ويأكل فى بعض الاحيان ما يجد كالحلوى والعسل والدجاج وتارة يجوع حتى يشد الحجر على بطنه من الجوع فيا أيها الغافل تنبه لرحيلك ومسراك واحذر ان تسكن الى موافقة هواك انتقل الى الصلاح قبل ان تنقل وحاسب نفسك على ما تقول وتفعل فان الله سبحانه بكل شئ عليم وبكل شئ محيط فاياك من الافراط والتفريط (وان امرأة خافت من بعلها) امرأة فاعل فعل يفسره الظاهر اى ان خافت امرأة خافت وتوقعت من زوجها (نشوزا) تجافيا عنها وترفعا من صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها من النشز وهو ما ارتفع من الارض فنشوز كل واحد من الزوجين كراهته صاحبه وترفعه عليه لعدم رضاه به (او اعراضا) بان يقل مجالستها ومحادثتها وذلك لبعض الاسباب من طعن فى سن او دمامة او شين فى خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك قال الامام المراد بالنشوز اظهار الخشونة فى القول او الفعل او فيهما والمراد بالاعراض السكوت عن الخير والشر والمراعاة والايذاء (روى) ان الآية نزلت فى خويلة ابنة محمد بن مسلمة وزوجها سعد ابن الربيع تزوجها وهى شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكت اليه ذلك (فلا جناح عليهما) حينئذ (ان يصلحا بينهما صلحا) اى فى ان يصلحا بينهما اصلاحا بان تحط له المهر أو بعضه او القسم كما فعلت سودة رضى الله عنها وكانت كبيرة مسنة وذلك ان ام المؤمنين سودة ابنة زمعة القست من رسول الله حين اراد عليه السلام ان يطلقها ان يمسكها وتجعل نوبتها لعائشة رضى الله عنها لما عرفت مكان عائشة من قلبه عليه السلام فأجازه النبى عليه السلام ولم يطلقها وكان عليه السلام بعد هذا الصلح يقسم لعائشة يومها ويوم سودة قال الحدادى مثل هذا الصلح لا يقع لازما لانها اذا ابت بعد ذلك الا المقاسمة على السوآء كان لها ذلك (والصلح) الواقع بين الزوجين (خير) اى من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد ويجوز أن لا يراد به التفضيل بل بيان انه خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور فاللام للجنس قال السيوطى فى حسن المحاضره فى احوال مصر والقاهره ان شئت ان تصير من الابدال فحول خلقك الى بعض خلق الاطفال ففيهم خمس خصال لو كانت فى الكبار لكانوا ابدالا لا يهتمون للرزق ولا يشكون من خالقهم اذا مرضوا ويأكلون الطعام مجتمعين واذا خافوا جرت عيونهم بالدموع واذا تخاصموا لم يتجاوزوا وتسارعوا الى الصلح ونعم ما قيل * ابلهست انكه فعل اوست لجاج * ابلهى را كجا علاج بود * تا توانى لجاج پيشه مكير * كافت دوستى لجاج بود (واحضرت الانفس الشح) اى جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها وكبر سنها وعدم حصول اللذة بمجالستها واصل الكلام احضر الله الانفس الشح فلما بنى للمفعول اقيم مفعوله الاول مقام الفاعل والشح البخل مع حرص فهو اخص من البخل وعن عبد الله بن وهب عن الليث قال بلغنى ان ابليس لقى نوحا فقال له ابليس يا نوح اتق الحسد والشح فانى حسدت آدم فخرجت من الجنة وشح آدم على شجرة واحدة منعها حتى خرج من الجنة ولقى يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس فى صورته فقال له اخبرنى باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الى المؤمن البخيل وابغضهم الى الفاسق السخى قال يحيى وكيف ذلك قال لان البخيل قد كفانى بخله والفاسق السخى اتخوف ان يطلع الله عليه فى سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لم اخبرك كذا فى آكام المرجان (وان تحسنوا) أيها الازواج بامساككهن بالمعروف وحسن المعاشرة مع عدم موافقتهن لطباعكم (وتتقوا) ظلمهن بالنشوز والاعراض ولم تضطروهن الى بذل شئ من حقوقهن (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم ويثيبكم عليه البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين (روى) ان رجلا من بنى آدم كانت له امرأة من اجلهم فنظرت اليه يوما فقالت الحمد لله قال زوجها مالك فقالت حمدت الله على انى وانك من اهل الجنة لانك رزقت مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله بالجنة للصابرين والشاكرين (قال السعدى) چو مستور شد زن خوب روى * بديدار او در بهشتست شوى * اكر پارسا باشد وخوش سخن * نكه در نكويى

وزشتى مكن (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) اى محال ان تقدروا على ان تعدلوا وتسووا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن فى شأن من الشؤون البتة ولذلك كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمى فيما املك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك واراد به التسوية فى المحبة وكان له فرط محبة لعائشة رضى الله عنها (ولو حرصتم) اى على اقامة العدل وبالغتم فى ذلك (فلا تميلوا كل الميل) اى فلا تجوروا على المرأة المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم به لا بما دونه من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم وما لا يدرك كله لا يترك كله وفى الحديث استقيموا ولن تحصوا اى لن تستطيعوا ان تستقيموا فى كل شئ حتى لا تميلوا (فتذروها) مجزوم عطف على الفعل قبله اى فلا تتركوا التى ملتم عنها حال كونها (كالمعلقة) وهى المرأة التى لا تكون ايما فتتزوج ولا ذات بعل يحسن عشرتها كالشئ المعلق الذى لا يكون فى الارض ولا فى السماء وفى الحديث من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وكان لمعاذ رضى الله عنه امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ فى بيت الاخرى فماتتا فى الطاعون فدفنهما فى قبر واحد (وان تصلحوا) ما كنتم تفسدون من امورهن (وتتقوا) الميل فيما يستقبل (فان الله كان غفورا) يغفر لكم ما مضى من ميلكم (رحيما) يتفضل عليكم برحمته (وان يتفرقا) اى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح اوغيره (يغن الله كلا) منهما اى يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته (من سعته) من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن مفارقة احدهما رغما لصاحبه (وكان الله واسعا حكيما) اى مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه وله حكمة بالغة فيما يحكم من الفرقة يجعل لكل واحد منهما من يسكن اليه فيتسلى به عن الاول وتزول حرارة محبته عن قلبه وينكشف عنه هم عشقه فعلى المؤمن ترك حظ النفس والدور مع الامر الالهى فى جملة اموره واحكامه والعمل فى حق النساء بقوله تعالى فامساك بمعروف اوتسريح باحسان والميل الى جانب العدل والاعراض عن طرف الظلم والاستحلال قبل ان يجئ يوم لا بيع فيه ولا خلال قال ابن مسعود رضى الله عنه يؤخذ بيد العبد أو الامة فينصب على رؤوس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان ابن فلان فمن كان له حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة ان يكون لها الحق على ابنها او اخيها او على ابيها او على زوجها ثم قرأ ابن مسعود رضى الله عنه فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيقول الرب تعالى للعبد آت هؤلاء حقوقهم فيقول رب لست فى الدنيا فمن اين اوتيهم فيقول للملائكة خذوا من اعماله الصالحة فأعطوا كل انسان منهم بقدر طلبته فان كان ولياً لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة رب فنيت حسناته وبقى الطالبون فيقول للملائكة خذوا من اعمالهم السيئة فأضيفوها الى سيئاته وصكوا له صكا الى النار فلا بد من التوبة والاستغفار والرجوع الى الملك الغفار والمجاملة فى المعاملة مع الاخيار والاشرار ودفع الاذى عن اهل الانكار والاقرار (حكى) ان ابا منصور بن ذكير كان رجلا زاهدا صالحا فلما دنت وفاته أكثر البكاء فقيل له لم تبكى عند الموت قال اسلك طريقا لم اسلكه قط فلما توفى رآه ابنه فى المنام فى الليلة الرابعة فقال يا أبت ما فعل الله بك فقال يا بنى ان الامر اصعب مما تعدّ أى تظن لقيت ملكا عادلا اعدل العادلين ورأيت خصماء مناقشين فقال لى ربى يا ابا منصور قد عمرتك سبعين سنة فما معك اليوم فقلت يا ربى حججت ثلاثين حجة فقال الله تعالى لم اقبل منك فقلت يا رب تصدقت باربعين ألف درهم بيدى فقال لم اقبل منك فقلت ستون سنة صمت نهارها وقمت لياليها فقال لم اقبل منك فقلت الهى غزوت اربعين غزوة فقال لم اقبل منك فقلت اذا قد هلكت فقال الله تعالى ليس من كرمى ان اعذب مثل هذا يا ابا منصور اما تذكر اليوم الفلانى نحيت الذرة عن الطريق كيلا يعثر بها مسلم فانى قد رحمتك بذلك فانى لا اضيع اجر المحسنين فظهر من هذه الحكاية ان دفع الاذى عن الطريق اذا كان سببا للرحمة والمغفرة فلأن يكون دفع الاذى عن الناس نافعا للدافع يوم الحشر خصوصا عدم الاذية للمؤمنين وخصوصا للاهل والعيال والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده اللهم اجعلنا من النافعين لا من الضارين آمين (ولله ما فى السموات وما فى الارض) اى من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق ارزاقهم وغير ذلك قال الشيخ نجم الدين قدس سره لله ما فى السموات من الدرجات العلى وجنات المأوى والفردوس الاعلى

ومافى الارض من نعيم الدنيا وزينتها وزخارفها والله مستغن عنها وانما خلقها لعباده الصالحين كما قال تعالى وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض وخلق العباد لنفسه كما قال واصطنعتك لنفسى (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) اى بالله قد أمرناهم فى كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام فى الكتاب للجنس يتناول الكتب السماوية ومن متعلقة بوصينا او بأوتوا (واياكم) عطف على الذين اى وصينا كم يا امة محمد فى كتابكم (ان اتقوا الله) اى بان اتقوا الله فأن مصدرية حذف منها حرف الجر اى امرناهم واياكم بالتقوى (و) قلنا لهم ولكم (ان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الارض) اى فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله (وكان الله غنيا) اى عن الخلق وعبادتهم لا تعلق له بغيره تعالى لا فى ذاته ولا فى صفاته بل هو منزه عن العلاقة مع الاغيار (حميدا) محمودا فى ذاته حمدوه اولم يحمدوه قال الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى والله تعالى هو الحميد لحمده لنفسه ازلا ولحمد عباده له ابدا ويرجع هذا الى صفات الجلال والعلو والكمال منسوبا الى ذكر الذاكرين له فان الحمد هو ذكر اوصاف الكمال من حيث هو كمال والحميد من العباد من حمدت عقائده واخلاقه واعماله كلها من غير مثنوية وذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم ومن يقرب منه من الانبياء ومن عداهم من الاولياء والعلماء كل واحد منهم حميد بقدر ما يحمد من عقائده واخلاقه واعماله واقواله (ولله مافى السموات ومافى الارض) ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا فلا تكرار فان كل واحد من هذه الالفاظ مقرون بفائدة جديدة (وكفى بالله وكيلا) فى تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه (ان يشأ يذهبكم أيها الناس) اى يفنكم ويستأصلكم بالمرة (ويأت بآخرين) اى يوجد دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر او خلقا آخرين مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اى ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم يعنى ان ابقاءكم على ما أنتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ففيه تهديد للعصاة (وكان الله على ذلك) اى افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم (قديرا) بليغ القدرة لا يعجزه مراد فاطيعوه ولا تعصوه واتقوا عقابه والآية تدل على كمال قدرته وصبوريته حيث لا يؤاخذ العصاة على العجلة وفى الحديث لا احد اصبر على اذى سمعه من الله انه يشرك به ويجعل له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم يعنى يقول بعض عباد الله وامائه ان له شريكا فى ملكه وينسب له ولدا ثم الله تعالى يعطيهم من انواع النعم من العافية والرزق وغيرهما فهذا كرمه ومعاملته مع من يؤذيه فخاطنك بمعاملته مع من يتحمل الاذى منه ويثنى عليه ثم ان تأخير العقوبة يتضمن لحكم منها رجوع التائب وانقطاع حجة المصر وفى الحديث ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قال الشيخ الكلاباذى بسط اليد كناية عن الجود يعنى يجود الله لمسيء الليل ولمسيء النهار بالامهال ليتوب كما روى انه عليه السلام قال صاحب اليمين امير على صاحب الشمال واذا عمل العبد حسنة كتب له عشر امثالها واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين أمسك فيمسك عنه سبع ساعات من النهار فان استغفر لم يكتب عليه وان لم يستغفر كتب سيئة واحدة انتهى كلامه (قال الصائب) برغفلت سياه دلان خنده ميزنند * غافل مشوز خندهٔ دندان نماى صبح يقال من لم ينزجر بزواجر القرآن ولم يرغب فى الطاعات فهذا اشد قسوة من الحجارة واسوء حالا من الجمادات فان دعوة الله عباده بكتبه على لسان الانبياء لئلا يغتروا بزخارف الدنيا الدنية ويترقوا من حضيض الحظوظ النفسانية الى معارج الدرجات العلى ولقد وصاك الله تعالى بالتقوى فعليك بالاخذ بالوصية فان التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وخير كثير فانه جامع الخير كله قال ابن عطاء للتقوى ظاهر وباطن فظاهرها حفظ حدود الشرع وباطنها الاخلاص فى النية وحقيقة التقوى الاعراض عن الدنيا والعقبى والاقبال والتوجه الى الحضرة العليا فمن وصل اليه فقد صار حرا عن رقية الكونين وعبد الله تعالى (قال الحافظ) زير بارند درختان كه تعلق دارند * اى خوشا سرو كه ازبار غم آزاد آمد (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) اى فعنده تعالى ثوابهما ان اراد و فاله يطلب الاخس منهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد

سالصالوجه الله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ماهى فى جنبه كلاشئ اى فعند الله ثواب الدارين فيعطى
كلا مايريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله
فى الآخرة من نصيب (وكان الله سميعا بصيرا) عالما بجميع المسموعات والمبصرات عارفا بالاغراض اى يعرف
من كلامهم مايدل على انهم مايطلبون من الجهاد سوى الغنيمة ومن افعالهم مايدل على انهم لايسعون
فى الجهاد الاعند توقع الفوز بالغنيمة قال الحدادى فى الآية تهديد للمنافقين المرآئين وفى الحديث ان فى النار
واديا تستعوذ منه جهنم كل يوم اربعمائة مرة اعد للقرآء المرآئين (قال السعدى) نكوسيرتى بى تكلف برون *
به از نيك نام خراب اندرون * هر آنكه افكند تخم برروى سنك * جوى وقت دخلش نيايد بجنك *
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر
على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا ثم قالت انى حرام على كل بخيل مرائى فينبغى
للمؤمن ان يحترز من الرياء ويسعى فى تحصيل الاخلاص فى العمل وهو أن لايريد بعمله سوى الله تعالى قال
بعضهم دخلت على سهل بن عبد الله يوم الجمعة قبل الصلاة فرأيت فى البيت حية فجعلت اقدم رجلا وأوخر
اخرى فقال سهل ادخل لايبلغ احد حقيقة الاخلاص وعلى وجه الارض شئ يخافه ثم قال هل لك حاجة
فى صلاة الجمعة فقلت بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة فاخذ بيدى فما كان قليلا حتى رأيت المسجد فدخلنا
وصلينا الجمعة ثم خرجنا فوقف ينظر الى الناس وهم يخرجون فقال أهل لااله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل
عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * فالمخلص فى عمله لايقبل عوضا
ولو اعطى له الدنيا ومافيها (حكاية) آورده اندكه جوانمردى غلام خويش را كفت سخاوت آن نيست كه
صدقه بكسى دهندكه اورا بشناسند صد دينار بستان وبيازار ببر واول درويشى كه بينى بوى ده غلام بيازار
رفت پيرى ديدكه حلاق سراو مى تراشيد زر بوى داد پير كفت كه من نيت كرده ام كه هر چه مرا فتوح شود بوى
دهم وحلاق را كفت بستان حلاق كفت من نيت كرده ام سراورا ازبراى خدا بتراشم اجر خود از حق تعالى
بصد دينار نمى فروشم وهيچ كس نستاندند غلام بازكشت وزر باز آورد كذا فى انيس الوحدة
وجليس الخلوة (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مبالغين فى العدل واقامة القسط فى جميع الامور
مجتهدين فى ذلك حق الاجتهاد (شهداء لله) بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى كما امرتم باقامتها وهو خبر
ثان (ولو) كانت الشهادة (على انفسكم) بان تقروا عليها لان الشهادة على النفس اقرار على ان الشهادة عبارة
عن الاخبار بحق الغير سوآء كان ذلك عليه اوعلى ثالث اوبان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة
المشهود عليه بان يكون سلطانا ظالما اوغيره (او الوالدين والاقربين) اى ولو كانت على والديكم واقاربكم
بأن تقروا وتقولوا مثلا أشهد أن لفلان على والدى كذا اوعلى اقاربى او بأن تكون الشهادة وبالا عليهم على مامر
آنفا وفى هذا بيان ان شهادة الابن على الوالدين لاتكون عقوقا ولايحل للابن الامتناع عن الشهادة على ابويه
لان فى الشهادة عليهما بالحق منعا لهما من الظلم واما شهادته لهما وبالعكس فلاتقبل لان المنافع بين الاولاد
والآباء متصلة ولهذا لايجوز أدآء الزكاة اليهم فتكون شهادة احدهما شهادة لنفسه اولتمكن التهمة (ان يكن)
اى المشهود عليه (غنيا) يبتغى فى العادة رضاه ويتقى سخطه (اوفقيرا) يترحم عليه غالبا وجواب الشرط
محذوف لدلالة قوله تعالى (فالله اولى بهما) عليه اى فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة طلبا لرضى الغنى اوترحما على
الفقير فان الله تعالى اولى بجنسى الغنى والفقير بالنظر لهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها
وفى الحديث انصر أخاك ظالما اومظلوما قيل يارسول الله كيف ننصره ظالما قال ان ترده عن ظلمه فان ذلك
نصره معنى ومنع الظالم عن ظلمه عون له على مصلحة دينه ولذا سمى نصرا (قال السعدى) بكمراه كفتن
نكو ميروى * كناه بزركست وجور قوى * بكوى آنچه دانى سخن سود مند * وكر هيچ كس را
نيايد پسند (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) يحتمل العدل والعدول اى فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا
بين الناس اوارادة ان تعدلوا عن الحق (وان تلووا) ألسنتكم عن شهادة الحق اوحكومة العدل بان تأتوا بها
لاعلى وجهها والى الشئ فتله وتحريفه ولى الشهادة تبديلها وعدم ادآئها على ماشاهده بان يميل فيها الى احد
الخصمين (اوتعرضوا) اى عن ادآئها واقامتها رأسا فالاعراض عنها كتمها (فان الله كان بما تعملون)

من لي الالسنة والاعراض بالكلية (خبيرا) فيجازيكم لامحالة على ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنه ان المراد بالآية القاضي يتقدم عليه الخصمان فيعرض عن احدهما او يدافع في امضاء الحق اولا يسوى بينهما في المجلس والنظر والاشارة ولا يمتنع ان يكون المراد بالآية القاضي والشاهد وعامة الناس فان اللفظ محتمل للجميع وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزول هذه الآية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقم شهادته على من كانت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجحد حقا هو عليه وليؤده فورا ولا يلجئه الى سلطان وخصومة ليقطع بها حقه وايما رجل خاصم الى فقضيت له على اخيه بحق ليس عليه فلا يأخذنه فانما اقطع له قطعة من نار جهنم كذا في تفسير الحدادي قال في الاشباه اى شاهد جاز له الكتمان فقل اذا كان الحق يقوم بغيره اوكان القاضي فاسقا اوكان يعلم انه لا يقبل انتهى قال الفقهاء وستر الشهادة في الحدود أفضل من ادائها لقوله عليه السلام للذى شهد عنده في الحد لو سترته بثوبك لكان خيرا لك وقوله عليه والسلام من ستر على مسلم عيبا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة وقال عليه السلام ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينهتك فيه عرضه وتستحل حرمته الا نصره الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ خذل مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته الا خذله الله تعالى في موضع يحب فيه نصرته وقال عليه السلام ادرأوا الحدود ما استطعتم (يحكى) ان مسلما قتل ذميا عمدا فحكم ابو يوسف بقتل المسلم فبلغ زبيدة امرأة هرون الرشيد فبعثت الى ابى يوسف وقالت اياك ان تقتل المسلم وكانت في عناية عظيمة بامر المسلم فلما حضر ابو يوسف وحضر الفقهاء وجيئ باولياء الذمي والمسلم قال له الرشيد احكم بقتله فقال يا امير المؤمنين هو مذهبي غير أني است أقتل المسلم به حتى تقوم البينة العادلة ان الذمي يوم قتله المسلم كان ممن يؤدي الجزية فلم يقدروا عليه فبطل دمه (بيت) تو روادار يكه من بي حجتي * بنهم اندر شهر باطل سنتي * وفي قوله تعالى شهداء لله اشارة الى عوام المؤمنين ان كونوا شهداء لله بالتوحيد والوحدانية بالقسط يوما ما ولو كان في آخر نفس من عمرهم على حسب ما قدر لهم الله تعالى واشارة الى الخواص ان كونوا شهداء الله اى حاضرين مع الله بالفردانية واشارة الى خواص الخواص ان كونوا شهداء الله في الله غائبين عن وجودكم في شهوده بالوحدة وفي اشارته الى الخواص شركة للملائكة كما قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فاما اشارته الى الاخص من الانبياء وكبار الاولياء وهم اولوا العلم مختصة بهم من سائر العالمين ولأولي العلم شركة في شهود شهد الله انه لا اله الا هو وليس للملائكة في هذا الشهود مدخل الا انهم قائمون بالقسط كذا في التأويلات النجمية (يا أيها الذين آمنوا) خطاب لكافة المسلمين (آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل) اى اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القرآن نزل منجما مفرقا بخلاف الكتب قبله فالمراد بالكتاب الاول القرآن وبالثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه وبالايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه على رسول معين لارشاد أمته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان يراد الايمان بكل واحد من تلك الكتب بل خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل وقيل الخطاب للمنافقين كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا نفاقا وهو ما كان بالالسنة فقط آمنوا اخلاصا وهو ما كان بها وبالقلوب وقيل الخطاب لمؤمني أهل الكتاب اذ روى ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت فالمعنى حينئذ آمنوا ايمانا عاما شاملا لجميع الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) اى بشئ من ذلك لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان بهم جميعا وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما انه بالكفر بأحدها لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا

عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لانهم وسائط بين الله و بين الرسل فى انزال الكتب (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه قالوا اول ما يجب على المرء معرفة مولاه اى يجب على كل انسان ان يسعى فى تحصيل معرفة الله تعالى بالدليل والبرهان فان ايمان المقلد وان كان صحيحا عند الامام الاعظم لكن يكون آثما بترك النظر والاستدلال فاول الامر هو الحجة والبرهان ثم المشاهدة والعيان ثم الفناء عن سوى الرحمان فرتبة العوام فى الايمان ما قال عليه السلام ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار والقدر خيره وشره وهو ايمان غيبى (وفى المثنوى) بندكى در غيب آيد خوب وكش * حفظ غيب آيد در استعباد خوش * طاعت وايمان كنون محمود شد * بعد مرك اندر عيان مردود شد * ومرتبة الخواص فى الايمان هو ايمان عيانى وكان ذلك بان الله اذا تجلى لعبده بصفة من صفاته خضع له جميع اجزاء وجوده وآمن بالكلية عيانا بعد ما كان يؤمن قلبه بالغيب ونفسه تكفر بما آمن به قلبه اذ كانت النفس عن تدمر روائح الغيب بمعزل فلما تجلى الحق للجبل جعله دكا وخر موسى النفس صعقا فالنفس فى هذا المقام تكون بمنزلة موسى فلما افاق قال تبت اليك وانا اول المؤمنين ومرتبة الاخص فى الايمان هو ايمان عيانى وذلك بعد رفع حجب الانانية بسطوات تجلى صفة الجلال فاذا افناه عنه بصفة الجلال يبقيه به بصفة الجمال فلم يبق له الاين وبقى فى العين فيكون ايمانا عينيا كما كان حال النبى عليه السلام ليلة المعراج فلما بلغ قاب قوسين كان فى حيز أين فلما جذبته العناية من كينونته الى عينونة أوادنى فأوحى الى عبده ما أوحى آمن الرسول بما أنزل اليه اى من صفات ربه فآمنت صفاته بصفاته تعالى وذاته بذاته فصار كل وجوده مؤمنا بالله ايمانا عينيا ذاته وصفاته فاخبر عنهم وقال والمؤمنون كل آمن بالله يعنى آمنوا بهوية وجودهم كذا فى التأويلات النجمية هذا هو الايمان الحقيقى رزقنا الله واياكم اياه (وفى المثنوى) بود كبرى در زمان بايزيد * كفت اورا يك مسلمان سعيد * كه چه باشد كر تو اسلام آورى * تا بيابى صد نجات وسرورى * كفت اين ايمان اكر هست اى مريد * آنكه دارد شيخ عالم بايزيد * من ندارم طاقت آن تاب آن * كان فزون آمد ز كوششهاى جان * كرچه در ايمان ودين ناموقنم * ليك در ايمان او بس موقنم * مؤمن ايمان اويم در نهان * كرچه مهرم هست محكم بردهان * باز ايمان خود كر ايمان شماست * نى بدان ميلستم ونى مشتهاست * آنكه صد ميلش سوى ايمان بود * چون شمارا ديد زان فاتر شود * زانكه نامى بيند ومعنيش نى * چون بيابانرا مفازه كفتنى * والى هذا التجريد والتفريد ينال العبد بالذكر والتوحيد قال عليه السلام فى وصيته لعلى رضى الله عنه يا على احفظ التوحيد فانه رأس مالى والزم العمل فانه حرفتى وأقم الصلاة فانها قرة عينى واذكر الحق فانه نصرة فؤادى واستعمل العلم فانه ميراثى اللهم لا تحرمنا من هذا الميراث (ان الذين آمنوا) يعنى اليهود بموسى (ثم كفروا) بعبادتهم العجل (ثم آمنوا) بعد عوده اليهم (ثم كفروا) بعيسى والانجيل (ثم ازدادوا كفرا) بكفرهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وازداد كذا يجيئ لازما ومتعديا يقال ازددت مالا اى زدته لنفسى ومنه قوله تعالى وازداد واتسعا (لم يكن الله) مريدا (ليغفر لهم) اى ما داموا على كفرهم (ولا ليهديهم سبيلا) اى ولا ليوفقهم طريقا الى الاسلام ولكن يخذلهم مجازاة لهم على كفرهم فان قيل ان الله لا يغفر كفر مرة فما الفائدة فى قوله ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا قيل ان الكافر اذا آمن غفر له كفره فاذا كفر بعد ايمانه لم يغفر له الكفر الاول وهو مطالب بجميع كفره (بشر المنافقين) وضع بشر موضع انذر واخبر تهكما بهم (بأن لهم عذابا اليما) اى وجيعا يخلص ألمه ووجعه الى قلوبهم وهذا يدل على ان الآية نزلت فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين (الذين) اى هم الذين (يتخذون الكافرين) اى اليهود (اولياء) احباء فى العون والنصرة (من دون المؤمنين) حال من فاعل يتخذون اى متجاوزين ولاية المؤمنين المخلصين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود (أيبتغون عندهم العزة) اى ايطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة وهم اذلاء فى حكم الله تعالى (فان العزة لله جميعا) تعليل لما يفيده الاستفهام الانكارى من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد العزة فى جنابه تعالى بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضى بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة

الانتفاع به قوله جميعا حال من المستكن فى قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدأ (وقد نزل عليكم) خطاب للمنافقين بطريق الالتفات والجملة حال من فاعل يتخذون قال المفسرون ان مشركى مكة كانوا يخوضون فى ذكر القرءآن ويستهزئون به فى مجالسهم فأنزل الله تعالى فى سورة الانعام وهى مكية واذارأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مافعله المشركون بمكة وكان المنافقون يقعدون معهم ويوافقونهم على ذلك الكلام الباطل فقال الله تعالى مخاطبا لهم وقد نزل عليكم اى والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة وفيه دلالة على ان المنزل على النبى عليه السلام وان خوطب به خاصة منزل على العامة (فى الكتاب) اى القرءآن الكريم (ان) مخففة اى ان الشان (اذا سمعتم آيات الله) فيه دلالة على ان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم فى آيات الله ولذلك يخبر عنه تارة بالرؤية واخرى بالسماع (يكفر بها ويستهزأ بها) حالان من آيات الله اى مكفورا ومستهزأ بها فى محل الرفع لقيامه مقام الفاعل والاصل يكفر بها احد ويستهزئ (فلا تقعدوا) جزاء الشرط (معهم) اى الكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها (حتى يخوضوا) الخوض بالفارسية درحديث شدن (فى حديث غيره) اى غير القرءآن وحتى غاية للنهى والمعنى انه تجوز مجالستهم عند خوضهم وشروعهم فى غير الكفر والاستهزاء وفيه دلالة على ان المراد بالاعراض عنهم اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط (انكم اذن مثلهم) جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهى غير داخلة تحت التنزيل واذن ملغاة عن العمل لاعتماد مابعدها على ماقبلها اى لوقوعها بين المبتدأ والخبر اى لاتقعدوا معهم فى ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم اى مثل اليهود فى الكفر واستتباع العذاب فان الرضى بالكفر كفر (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) يعنى القاعدين والمقعود معهم وهو تعليل لكونهم مثلهم فى الكفر ببيان مايستلزمه من شركتهم لهم فى العذاب واعلم ان الائتلاف ههنا نتيجة تعارف الارواح هنالك لقوله عليه السلام الارواح جنود مجندة الحديث فمن تعارف ارواح الكافر والمنافق هنالك يأتلفون ههنا ومن تناكر ارواحهم وارواح المؤمنين يختلفون ههنا (روت) عائشة رضى الله عنها ان امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت على فقلت لها فلانة ما اقدمك قالت اليكن قلت فأين نزلت قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال فلانة المضحكة عندكم قالت عائشة قلت نعم فقال فعلى من نزلت قالت على فلانة المضحكة قال الحمد لله ان الارواح جنود الخ (ونعم ماقيل) * مرغان كند باجنس پرواز * كبوتر با كبوتر باز با باز *
ولما كان الابد مرءآة الازل لا يظهر فيه الا ماقدر فى الازل لذا قال الله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا لانهم كانوا فى عالم الارواح فى صف واحد وفى الدنيا بذلك التناسب والتعارف فى فرق واحد وقال عليه السلام كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون وفى اشارة الآية نهى لاصحاب القلوب عن المجالسة مع ارباب النفوس والموافقة فى شئ من اهوآئهم فانهم ان يفعلوا ذلك يكونوا مثلهم يعنى يكون القلب كالنفس وصاحب القلب كصاحب النفس بالصحبة والمخالطة والمتابعة (قال الحافظ) نخست موعظۀ پير مجلس اين حرفست *
كه ازمصاحب ناجنس احتراز كنيد * قال الحدادى فى تفسيره اذن لم يجز جلوس المؤمن معهم لاقامة فرض اوسنة اما اذا كان جلوسه لاقامة عبادة وهو ساخط لتلك الحال لا يقدر على تغييرها فلا بأس بالجلوس كما روى عن الحسن انه حضر وابن سيرين جنازة وهناك نوح فانصرف ابن سيرين فذكر ذلك للحسن فقال ما كنا متى رأينا باطلا تركنا حقا أسرع ذلك فى ديننا ولم يرجع انتهى كلامه وذكر ان الله تعالى أوحى الى يوشع بن نون عليه السلام انى مهلك من قومك اربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبى وآكلوهم وشاربوهم واذا كان الرجل مبتلى بصحبة الفجار فى سفره للحج اوالغزاء لا يترك الطاعة بصحبتهم لكن يكرهه بقلبه ولا يرضى به فلعل الفاسق يتوب ببركة كراهة قلبه ومن دعى الى ضيافة فوجد ثمة لعبا اوغناء يقعد ان كان غير قدوة ويمنع ان قدر وان كان قدوة كالقاضى والمفتى ونحوهما يمنع ويقعد فان عجز خرج وان كان ذلك على المائدة اوكانوا يشربون الخمر خرج وان لم يكن قدوة وان علم قبل الحضور لا يحضر فى الوجوه كلها كذا فى تحفة الملوك (الذين يتربصون بكم) اى المنافقون هم الذين ينتظرون وقوع

امر لكم خيرا كان اوشرا (فان كان لكم) ايها المؤمنون (فتح من الله) اى ظفر ودولة وغنيمة (قالوا) اى لكم
(ألم نكن معكم) على دينكم مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم (وان كان للكافرين نصيب) اى ظهور على
المسلمين (قالوا) اى للكفرة (الم نستحوذ عليكم) الاستحواذ الاستيلاء اى الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم
فابقينا عليكم اى ترحما (ونمنعكم من المؤمنين) بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم
اوأمرجنا فى جنابكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم والا لكنتم نهبة للنوآئب فهاتوا نصيبا مما اصبتم وانما سمى
ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر
عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فمقصور على امر دنيوى سريع الزوال
(فالله يحكم بينكم) اى بين المؤمنين والمنافقين بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين (يوم القيامة) اى يحكم
حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب واما فى الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه
ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) اى ظهورا يوم القيامة
كما قد يجعل ذلك فى الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج وبيانه ان الله تعالى يظهر أثر ايمان المؤمن يوم القيامة
ويصدق موعدهم ولا يشاركهم الكفار فى شئ من اللذات كما شاركوهم اليوم حتى يعلموا ان الحق معهم دونهم
اذ لو شاركوهم فى شئ منها لقالوا للمؤمنين ما نفعكم ايمانكم وطاعتكم شيأ لانا شركنا واستوينا معكم فى ثواب
الآخرة واما ان كان المعنى سبيلا فى الدنيا فيراد بالسبيل الحجة وحجة المسلمين غالبة على حجة الكل وليس لأحد
ان يغلبهم بالحجة وقيل معنى السبيل الدولة الدائمة ولا دولة على الدوام للكافرين والا لكان الظهور والغلبة من
قبلهم دائما وليس كذلك فان اكثر الظفر للمسلمين وانما ينال الكفار من المؤمنين فى بعض الاوقات استدراجا ومكرا
وهذا يستمر الى انقراض اهل الايمان فى آخر الزمان وعن كعب قال اذا انصرف عيسى بن مريم والمؤمنون
من يأجوج ومأجوج لبثوا سنوات ثم رأوا كهيئة الرهج والغبار فاذا هى ريح قد بعثها الله لتقبض ارواح
المؤمنين فتلك آخر عصابة تقبض من المؤمنين ويبقى الناس بعدهم مائة عام لا يعرفون دينا ولا سنة يتهارجون
تهارج الحمر عليهم تقوم الساعة وفى الحديث الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى ان يقاتل آخر امتى الدجال ثم ان الله
تعالى يحكم بينكم يوم القيامة ليعلم من اهل العزة والكرامة ومن اهل الغرة والندامة كان الشمع يحكم بين
الصحيح والسقيم باظهار حالهما اذا جيء به فى حمام مظلم قد دخله الاصحاء والمرضى والجرحى ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا فان وبال كيدهم اليهم مصروف وجزآء مكرهم عليهم موقوف والحق من قبل
الحق تعالى منصور واهله والباطل بنصر الحق مخيب اصله وقد قيل الباطل يفور ثم يغور فعلى المؤمن صرف
علو الهمة فى الدين وفى تحصيل علم اليقين ولا يتربص للفتوحات الدنيوية ذاهلا عن الفتوحات الاخروية
بل عن فتوحات الغيب ومشاهدة الحق فان اهم الامور هو الوصول الى الرب الغفور قال ابو يزيد البسطامى
قدس سره ان لله خواص من عباده ولو حجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث اهل النار بالخروج
من النار ولما كان موسى كليم الله طفلا فى حجر تربية الحق تعالى ما تجاوز حده ولا تعدى قصده بل قال رب
انى لما انزلت الىّ من خير فقير فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال ما رضى بطعام الاطفال بل قال رب ارنى أنظر اليك
وكان غاية طلبه فى طفوليته هو الطعام والشراب وكان منتهى اربه فى رجوليته هو رفع الحجاب ومشاهدة
الاحباب فالباب مفتوح للطلاب لا حاجب عليه ولا بواب وانما المحجوب عن المسبب من وقف مع الاسباب
والمشروب حاضر والمحروم من حرم الشراب والمحبوب ناظر والمطرود من وقف ورآء الحجاب فمن انس بسواه
فهو مستوحش ومن ذكر غيره فهو غافل عنه ومن عول على سواه فهو مشرك فاذا لم يجد اليه سبيلا وفى ظله
مقيلا (ونعم ما قيل) تو محرم نيستى محروم ازانى * ونامحرمان اندر حرم نيست * (ان المنافقين
يخادعون الله) اى يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر (وهو خادعهم) اى الله تعالى
فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم فى الدنيا معصومى الدماء والاموال واعد لهم فى الآخرة
الدرك الاسفل من النار ولم يخلهم فى العاجل من فضيحة واحلال بأس ونقمة ورعب واثم وقال ابن عباس انهم
يعطون نورا يوم القيامة كالمؤمنين فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفئ نور المنافقين فينادون
المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم فتناديهم الملائكة على الصراط ارجعوا ورآءكم فالتمسوا نورا وقد علموا انهم

لايستطيعون الرجوع قال فيخاف المؤمنون حينئذ أن يطفأ نورهم فيقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) اى متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيأ عن كره لاعن طيب نفس ورغبة قوله كسالى كأنه قيل ما كسالى فقيل (يراأون الناس) اى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ليحسبوهم مؤمنين (ولايذكرون الله) عطف على يراأون (الا) ذكرا (قليلا) اذ المرآئى لايفعل الا بحضرة من يرآئيه وهو اقل احواله والمراد بالذكر التسبيح والتهليل قال فى الكشاف وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالى لم تسمع منه تهليلة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق اوقاته لايفتر عنه (مذبذبين بين ذلك) حال من فاعل يراأون وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اى مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان والهوى بينهما وحقيقة المذبذب مايذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) حال من ضمير مذبذبين اى لامنسوبين الى المؤمنين فيكونون مؤمنين ولا الى الكافرين فيكونون مشركين (ومن يضلل الله) لعدم استعداده للهداية والتوفيق (فلن تجد له سبيلا) موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان وكان صلى الله عليه وسلم يضرب مثلا للمؤمنين والمنافقين والكافرين كمثل رهط ثلاثة دفعوا الى نهر فقطعه المؤمن ووقف الكافر ونزل فيه المنافق حتى اذا توسط عجز فناداه الكافر هلم الى لاتغرق وناداه المؤمن هلم الى لتخلص فمازال المنافق يتردد بينهما اذ أتى عليه ماء فغرقه فكان المنافق لم يزل فى شك حتى يأتيه الموت * اى كه دارى نفاق اندردل * خار بادت خليده اندر حلق * هركه سازد نفاق بيشهٔ خويش * خوار كردد بنزد خالق وخلق * والاشارة ان المنافقين انما يخادعون الله فى الدنيا لان الله تعالى خادعهم فى الازل عند رش نوره على الارواح وذلك ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فلما رش نوره اصاب ارواح المؤمنين واخطأ ارواح المنافقين والكافرين ولكن الفرق بين المنافقين والكافرين ان ارواح المنافقين رأوا رشاش النور وظنوا انه يصيبهم فاخطأهم وارواح الكافرين ماشاهدوا ذلك الرشاش ولم يصبهم وكأن المنافقين خدعوا عند مشاهدتهم الرشاش اذ ما اصابهم فمن نتائج مشاهدتهم الرشاش واذا قاموا الى الصلاة ومن نتائج حرمانهم اصابة النور قاموا كسالى يراأون الناس كما يرونهم النور ولايذكرون الله الا قليلا لانهم يذكرونه بلسان لظاهر القالبى لابلسان الباطن القلبى والقالب من الدنيا وهى قليلة قليل مافيها والقلب من الآخرة وهى كثيرة كثير مافيها فالذكر الكثير من لسان القلب كثير والفلاح فى الذكر الكثير لا فى القليل لقوله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا اى بلسان القلب لعلكم تفلحون ولما كان ذكر المنافقين بلسان القالب كان قليلا فما أفلحوا به وانما كان ذكر المنافق بلسان الظاهر لانه رأى رشاش النور ظاهرا من البعد ولم يصبه فلو كان أصابه ذلك النور لكان صدره منشرحا به كما قال تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه اى على نور مما رش به ربه ومعدن النور هو القلب فكان قلبه ذاكرا لله بذلك النور فانه يصير لسان القلب فقليل الذكر منه يكون كثيرا فافهم جدا فلما كانت ارواح المنافقين مترددة متحيرة بين مشاهدة رشاش النور وبين الظلمة الخلقية لا الى هؤلاء الذين اصابهم النور ولا الى هؤلاء الذين لم يشاهدوا الرشاش لذلك كانوا مذبذبين بين ذلك المؤمنين والكافرين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله باخطاء ذلك النور كما قال ومن اخطأه فقد ضل فلن تجد له سبيلا ههنا الى ذلك النور يدل عليه قوله ومن يجعل الله له نورا فماله من نور اى ومن لم يجعل الله له قسمة من ذلك النور المرشش عليهم فماله اليوم نصيب من نور الهداية كذا فى التأويلات النجمية اللهم ارزقنا الذكر الكثير واعصمنا من الذنب الصغير والكبير يقال حصون المؤمن ثلاثة المسجد وذكر الله وتلاوة القرآن والمؤمن اذا كان فى واحد من ذلك اى من الاشياء الثلاثة فهو فى حصن من الشيطان قال على رضى الله عنه يأتى على الناس زمان لايبقى من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه يعمرون مساجدهم وهى خراب من ذكر الله تعالى شر أهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود (قال السعدى) كنون بايدت عذر تقصير كفت * نه چون نفس ناطق زكفتن بخفت * اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين آمين يامعين (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين) اى لاتتشبهوا بالمنافقين فى اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام احباء قوله من دون المؤمنين حال من فاعل لاتتخذوا اى متجاوزين ولاية المؤمنين (اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا

(مبينا) اى اتريدون بذلك ان تجعلوا الله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق فالسلطان هو الحجة يقال للامير سلطان يراد بذلك انه حجة ويجوز أن يكون بمعنى الوالى والمعنى حينئذ اتريدون ان تجعلوا سلطانا كائنا عليكم واليا امر عقابكم مختصا لله تعالى مخلوقا له منقاد الأمره (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) هو الطبقة التى فى قعر جهنم وهى الهاوية والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض والدركات فى النار مثل الدرجات فى الجنة كل ما كان من درجات الجنة أعلى فثواب من فيه اعظم وما كان من دركات النار اسفل فعقاب من فيه اشد وسئل ابن مسعود عن الدرك الاسفل فقال هو توابيت من حديد مبهمة عليهم لا ابواب لها فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله فى الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالدين والخداع للمسلمين فالمنافقون اخبث الكفرة فان قلت من المنافق قلت هو فى الشريعة من اظهر الايمان وأبطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ والتهديد والتشبيه مبالغة فى الزجر كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضى الله عنه من المنافق فقال الذى يصف الاسلام ولا يعمل به وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فأصبح قد عمم وقلد واعطى سيفا يعنى الحجاج قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل امة بمنافقيها وجئنا بالحجاج فضلناهم وعن عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وآل فرعون قال الله تعالى فى اصحاب المائدة فانى أعذبه عذابا لا اعذبه أحدا من العالمين وقال فى حق المنافقين ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وقال أدخلوا آل فرعون اشد العذاب قيل لا يمتنع ان يجتمع القوم فى موضع واحد ويكون عذاب بعضهم اشد من بعض ألا ترى ان البيت الداخل فى الحمام يجتمع فيه الناس فيكون بعضهم اشد اذى بالنار لكونه ادنى الى موضع الوقود وكذلك يجتمع القوم فى القعود فى الشمس وتأذى الصفراوى اشد واكثر من تأذى السوداوى والمنافق فى اللغة مأخوذ من النفق وهو السرب اى يستتر بالاسلام كما يستتر الرجل بالسرب وقيل هو مأخوذ من قولهم نافق اليربوع اذا دخل نافقاءه فاذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء واذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء والنافقاء والقاصعاء جحر اليربوع (ولن تجد لهم نصيرا) اى مانعا يمنع عنهم العذاب ويخرجهم من الدرك الاسفل من النار والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان (الا الذين تابوا) اى عن النفاق هو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم فى الخبر (واصلحوا) ما افسدوا من احوالهم من حال النفاق باتيان ما حسنه الشرع من افعال القلوب والجوارح (واعتصموا بالله) اى وثقوا به وتمسكوا بدينه وتوحيده (واخلصوا دينهم) اى جعلوه خالصا (لله) لا يبتغون بطاعتهم الاوجهه (فاولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات الحميدة (مع المؤمنين) اى المؤمنين المعهودين الذين لا يصدر عنهم نفاق أصلا والافهم ايضا مؤمنون اى معهم فى الدرجات العالية من الجنة لا يضرهم النفاق السابق وقد بين ذلك بقوله تعالى (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) لا يقادر قدره فيشاركونهم فيه ويساهمونهم وسوف كلمة ترجئة واطماع وهى من الله سبحانه ايجاب لانه اكرم الاكرمين ووعد الكريم انجاز وانما حذفت الياء من يؤتى فى الخط كما حذفت فى اللفظ لسكونها وسكون اللام فى اسم الله وكذلك سندع الزبانية ويدع الداع واعلم ان الكافر وان افسد رين الكفر صفاء روحه ولكن ما اضيف الى رين كفره رين النفاق فكان رين كفره منفذ من القلب الى اللسان فيخرج بخاره من لسانه باظهار الكفر وكان للمنافق مع رين كفره رين النفاق زائدا ولم يكن لبخار رينه منفذ الى لسانه فكان بخارات رين الكفر ورين النفاق تنفذ من منفذ قلبه الذى هو الى عالم الغيب فتراكم حتى انسد منفذ قلبه بها وختم عليه بافساد كلية الاستعداد من صفاء الروحانية فلم يتفق له الخروج عن هذا الاسفل ولا ينصره نصير بأخراجه لانه مخذول بعيد من الحق فى آخر الصفوف وقال تعالى ان ينصركم الله يعنى فى خلق ارواحكم فى صف ارواح المؤمنين فلا غالب لكم بان يردكم الى صف ارواح الكافرين وان يخذلكم بان يخلق ارواحكم فى صف ارواح الكافرين فمن ينصركم من بعده بان يخرجكم الى صف المؤمنين ثم استثنى منهم من كان كفره ونفاقه عارية وروحه فى اصل الخلقة خلقت فى صف المؤمنين ثم بأدنى مناسبة فى المحاذاة بين روحه وارواح الكافرين

والمنافقين ظهر عليه من نتائجها سوء الاة معلولة مع القوم اياما معدودة فما افسدت صفاء روحانيته بالكلية وما انسد منفذ قلبه الى عالم الغيب فهب له من مهب العناية نفحات الطاف الحق ونبه من نومة الغفلة ونبىء بالرجوع الى الحق بعد التمادى فى الباطل ونودى فى سره بان لا قصير لمن اختار الاسفل ولا يخرج منه الا الذين تابوا اى ندموا على مافعلوا ورجعوا عن تلك المعاملات الردئة واصلحوا ما افسدوا من حسن الاستعداد وصفاء الروحانية بترك الشهوات النفسانية والحظوظ الحيوانية واعتصموا بحبل الله استعانة على العبودية واخلصوا دينهم لله فى الطلب لايطلبون منه الا هو ثم قال من قام بهذه الشرائط فاولئك مع المؤمنين يعنى فى صف ارواحهم خلق روحه لافى صف ارواح الكافر بن وسوف يؤتى الله المؤمنين التائبين ويتقرب اليهم على قضية من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتانى يمشى اتيته اهرول وهذا هو الذى سماه اجرا عظيما والله العظيم كذا فى التأويلات النجمية (قال السعدى) خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند از خدا جز خدا (ما) استفهامية بمعنى النفى فى محل النصب بيفعل اى اى شئ (يفعل الله بعذابكم) الباء سببية متعلقة بيفعل اى بتعذيبكم (ان شكرتم وامنتم) اى أيشتفى به من الغيظ ام يدرك به الثأر ام يستجلب به نفعا ام يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك اى لايفعل بعذاب المؤمن الشاكر شيأ من ذلك لان كل ذلك محال فى حقه تعالى لانه تعالى غنى لذاته عن الحاجات منزه عن جلب المنفعة ودفع المضرة واما تعذيب من لم يؤمن او آمن ولم يشكر فليس لمصلحة تعود اليه تعالى بل لاستدعاء حال المكلف ذلك كاستدعاء سوء المزاج المرض والمقصود منه حمل المكلفين على الايمان وفعل الطاعات والاحتراز عن القبيح وترك المنكرات فكأنه قيل اذا اتيتم الحسنات وتركتم المنكرات فكيف يليق بكرمه ان يعذبكم وتعذيبه عباده لايزيد فى ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم القبيح لاينقص من سلطانه وجواب ان شكرتم محذوف لدلالة ماقبله عليه اى ان شكرتم وآمنتم فما يفعل بعذابكم والشكر ضد الكفر والكفر ستر النعمة فالشكر اظهارها وانما قدم الشكر على الايمان مع ان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولا ثبات مع عدم الايمان لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ماعليه من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم بعد امعان النظر فى الدلائل الدالة على ثبوته ووحدته فيؤمن به (وكان الله شاكرا) الشكر من العبد هو الاعتراف بالنعمة الواصلة اليه مع ضروب من التعظيم ومن الله تعالى الرضى اى راضيا باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلة واحدة الى عشرة الى سبعمائة الى ماشاء من الاضعاف (عليما) بحق شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم فينبغى لطالب الحق ان يخضع له خضوعا تاما ويشكره شكرا كثيرا قال الجرجانى فى قوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم اى لئن شكرتم القرب لأزيدنكم الانس وعن على رضى الله عنه اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر معناه من لم يشكر النعم الحاصلة لديه الواصلة اليه حرم النعم الفائتة منه القاصية عنه

چون بيابى تو نعمتى در چند * خرد باشد چو نقطه موهوم
شكران بافته فرومكذار * كه زنا يافته شوى محروم

فبالشكر والايمان يتخلص المرء من النيران والا فقد عرض نفسه للعذاب واستحق العذاب والعتاب وجه التعذيب ان التأديب فى الحكمة واجب فخلق الله النار ليعلم الخلق قدر جلال الله وكبريائه وليكونوا على هيبة وخوف من صنع جلاله ويؤدب بها من لم يتأدب بتأديب رسله الى خلقه وليعتبر أهل العقل بالنظر اليها فى الدنيا وبالاستماع لها فى الآخرة ولهذا السر علق النبى عليه السلام السوط حيث يراه أهل البيت لئلا يتركوا الادب (وروى) ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ماخلقت النار بخلا منى ولكن اكره ان اجمع اعدآئى واوليائى فى دار واحدة وادخل الله بعض عصاة المؤمنين النار ليعرفوا قدر الجنة ومقدار ما دفع الله عنهم من عظيم النقمة لان تعظيم النعمة واجب فى الحكمة والاشارة فى الآية ان الله تعالى يذكر العباد المؤمنين نعما من نعمه السالفة السابقة منها اخراجهم من العدم ببديع فطرته ومنها انه خلق ارواحهم قبل خلق الاشياء ومنها انه خلق ارواحهم نورانية بالنسبة الى خلق اجسادهم الظلمانية ومنها ان ارواحهم لما كانت بالنسبة الى نور القدم ظلمانية رش عليهم من نور القدم ومنها انه لما اخطأ بعض الارواح ذلك النور وهو ارواح الكفار والمنافقين وقد اصاب ارواح المؤمنين قال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم هذه النعم التى انعمت بها عليكم من غير استحقاق منكم فانكم ان شكرتم هذه النعم برؤيتها ورؤية

المنعم فقد امنتم بی ونجوتم من عذابی وهو ألم الفراق فان حقيقة الشكر رؤية المنعم والشكر على وجود المنعم ابلغ من الشكر على وجود النعم وقال واشكر والى اى اشكروا لوجودى وكان الله فى الازل شاكرا لوجوده ومن شكر لوجوده اوجد الخلق بجوده عليما بمن يشكره وبمن يكفره فاعطى جزآء شكر الشاكرين قبل شكرهم لان الله شكور واعطى جزآء كفر الكافرين قبل كفرهم لان الكافر كفور كذا فى التأويلات النجمية

(الجزؤ السادس من الثلاثين)

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) عدم محبته تعالى لشئ كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اى لا يحب الجهر من احد فى حق غيره بالسوء كائنا من القول (الامن ظلم) اى الاجهر المظلوم فان المظلوم له ان يجهر برفع صوته بالدعاء على من ظلمه اويذكر مافيه من السوء تظلما منه مثل ان يذكر انه سرق متاعى اوغصبه منى وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيردّ على الشاتم يعنى لو شتمه احد ابتدآء فله ان يردّ على شاتمه اى جاز أن يشتمه بمثله ولا يزيد عليه وقيل ان رجلا ضاف قوما اى اتاهم ضيفا فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بحال الظالم (ان تبدوا خيرا) اى خير كان من الاقوال والافعال (اوتخفوه اوتعفوا عن سوء) لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابدآء الخير واخفائه تمهيد وتوطئة له ولذلك رتب عليه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) فان ايراده فى معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اى كان مبالغا فى العفو عن العصاة مع كمال قدرته على المؤاخذة والانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله وهو حث المظلوم على العفو بعد مارخص له فى الانتصار والانتقام حملا على مكارم الاخلاق وعن على رضى الله عنه لاتنفرد دفع انتقام * صولت انتقام ازمردم * دولت مهترى كند باطل * ازره انتقام بكسوشو * تانمانى بمهترى عاطل * واعلم ان الله تعالى لا يحب اظهار الفضائح والقبائح الا فى حق ظالم عظم ضرره وكثر كيده ومكره فعند ذلك يجوز اظهار فضائحه ولهذا قال عليه السلام اذكروا الفاسق بمافيه كى يحذره الناس وورد فى الاثر ثلاثة ليست لهم الغيبة الامام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذى يدعو الناس الى بدعته ثم ان اكثر السوء قولى فان اللسان صغير الجرم كبير الجرم وفى الحديث البلاء موكل بالمنطق (يحكى) ان ابن السكيت جلس مع المتوكل يوما فجاء المعتز والمؤيد ابنا المتوكل فقال ايما احب اليك ابناى ام الحسن والحسين قال والله ان قنبر خادم على رضى الله عنه خير منك ومن ابنيك فقال سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات ومن العجب انه انشد قبل ذلك للمعتز والمؤيد وكان يعلمهما فقال

يصاب الفتى من عثرة بلسانه * وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته فى القول تذهب رأسه * وعثرته فى الرجل تبرا على مهل

(وفى المثنوى) اين زبان چون سنك وهم آهن وشست * وآنچه بجهد از زبان چون آتشست * سنك وآهن رامزن برهم كزاف * كه زروى نقل وكه ازروى لاف * زانكه تاريكست وهرسو پنبه زار * درميان پنبه چون باشد شرار * عالمى رايك سخن ويران كند * روبهان مرده راشيران كند * والاشارة فى الآية ان الله لا يحب الجهر بالسوء من القول من العوام ولا التحدث مع النفس من الخواص ولا الخطرة التى تخطر بالبال من الاخص الامن ظلم بمعاصى دواعى البشرية من غير اختيار اوبابتلاء من اضطرار وايضا لا يحب الجهر بالسوء من القول بافشاء اسرار الربوبية واسرار مواهب الالوهية الامن ظلم بغلبات الاحوال وتعاقب كؤوس عقار الجمال والجلال فاضطر الى المقال فقال باللسان الباقى لا باللسان الفانى انا الحق سبحانى وكان الله فى الازل سميعا لمقالهم قبل ابدآء حالهم عليما بأحوالهم ثم قال ان تبدوا خيرا يعنى مما كوشفتم به من الطاف الحق تنبيه للعق وافادة لهم بالحق اوتخفوه صيانة لنفوسكم عن آفات الشوائب واخذا بحظها عن المشارب أوتعفوا عن سوء مما يدعوكم اليه هوى النفس الامارة بالسوء اوتتركوا اعلان ماجعل الله اظهاره سوأ فان الله كان عفوا فيكون عفوا متخلقا باخلاقه متصفا بصفاته وايضا فان الله كان فى الازل عفوا عنك بان لم يجعلك من المخذولين حتى صرت عفوا عما سواه وكان هو قديرا على خذلانك حتى يقدر على ان لا يعفو عن مثقال ذرة لكفرانك ان الانسان لظلوم كفار كذا فى التأويلات النجمية (ان الذين يكفرون بالله ورسله) اى يؤدّى اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى (ويريدون

ان يفرقوا

ان يفرقوا بين الله ورسله) اى بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بأن يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم
قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) اى نؤمن ببعض الانبياء
ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى
ورسله وتفريق بين الله ورسله فى الايمان لانه تعالى قد أمرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبى من الانبياء
الا وقد أخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وسلم فمن كفر بواحد منهم كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث
لا يحتسب (ويريدون) بقولهم ذلك (ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) اى طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة
بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا واجمالا
فالكافر ببعض كالكافر بالكل فى الضلال كما قال فماذا بعد الحق الا الضلال (اولئك) الموصوفون بالصفات
القبيحة (هم الكافرون) اى الكاملون فى الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا (حقا) مصدر مؤكد
لمضمون الجملة اى حق ذلك اى كونهم كاملين فى الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرون اى هم الذين كفروا كفرا
حقا اى يقينا محققا لا شك فيه (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) سيذوقونه عند حلوله ويهانون فيه ثم انه تعالى
لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بذكر وعد المؤمنين فقال (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم) بان يؤمنوا
ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة وانما دخل بين على احد وهو يقتضى متعددا لعمومه من حيث انه وقع
فى سياق النفى فهو بمنزلة ولم يفرقوا بين اثنين او بين جماعة (اولئك) المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (سوف
يؤتيهم) اى الله تعالى (اجورهم) الموعودة لهم وسمى الثواب اجرا لان المستحق كالاجرة وسوف لتأكيد
الوعد اى الموعود الذى هو الايتاء والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر (وكان الله غفورا) لما فرط منهم
(رحيما) مبالغا فى الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم والآية الاولى تدل على ان الايمان لا يحصل بزعم المرء
وحسبانه انه مؤمن وانما يحصل بحصول شرائطه ونتائجه منه فمن نتائجه ما ذكر فى الآية الثانية من عدم
التفريق بين الرسل ومن نتائجه القبول من الله والجزاء عليه فمن اخطاه النور عند الرش على الارواح فقد كفر
كفرا حقيقيا ولذلك سماهم الله فى الكفر حقا ومن اصابه النور عند ذلك فقد آمن ايمانا حقيقيا ولذلك لا ينفع
الاول توسط الايمان كما لا يضر الثانى توسط العصيان (قال السعدى) قضا كشتى آنجا كه خواهد برد *
وكر ناخدا جامه برتن درد * (يحكى) انه كان شاب حسن الوجه وله احباب وكانوا فى الاكل والشرب والتنعم
والتلذذ فنفدت دراهمهم فاجتمعوا يوما واجمعوا على ان يقطعوا الطريق فخرجوا الى طريق وترقبوا القافلة فلم
يمر أحد من هذا الطريق الى ثلاثة ايام ورأى الشاب شيخا قال له ياولدى ليس هذا صنعتك فاستغفر الله تعالى
فان طلبتنى فانا اقرأ القرآن فى جامع السيد البخارى ببروسة المحروسة فاحترق قلب الشاب من تأثير الكلام
فقال لرفقائه لو تبعتم رأيى تعالوا اروح الى بروسة ونتجسس عن بعض التجار فنخرج خلفهم فنأخذ اموالهم
فقبلوا قوله فلما جاؤا الى بروسة قال لهم تعالوا نصل فى جامع السيد البخارى وندع عنده ليحصل مرادنا
فلما جاء الى الجامع ورأى الشيخ هناك يقرأ القرآن سقط على رجله وتاب وبقى عنده سنتين ثم بعد السنتين ارسله
هذا الشيخ الى حضرة الشيخ اق شمس الدين فرباه وصار كاملا بعد ان كان مؤمنا ناقصا قاطع الطريق ولذا ينظر
الى الخاتمة ولكن حسن العاقبة من سبق العناية فى البداية اللهم اجعلنا من المهديين آمين يامعين واعلم
ان الايمان والتوحيد هو اصل الاصول وهو وان كان لا يزيد ولا ينقص عند الامام الاعظم الا ان نوره يزيد
بالطاعات وينقص بالسيئات فينبغى لطالب الحق ان يراعى احكام الشريعة وآداب الطريقة ليتقوى جانب
روحانيته فان انوار الطاعات كالاغذية النفيسة للارواح خصوصا نور التوحيد والذكر ولذكر الله اكبر
وهو العمدة فى تصفية الباطن وطهارته قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره الادب ادبان فادب السر طهارة
القلب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب فعليك بترك الشرور والايمان الكامل بالله الغفور حتى تنال
الاجر الموفور والسرور فى دار الحضور (قال الصائب) از زاهدان خشك رسايى طمع مدار * سيل ضعيف
واصل دريا نميشود * فلابد من العشق فى طريق الحق ليصل الطالب الى السر المطلق ومجرد الامنية منية
والسفينة لا تجرى على اليبس كما قالت رابعة (يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) نزلت فى احبار
اليهود حين قالوا لرسول الله عليه السلام ان كنت نبيا صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه

السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على ألواح كما نزلت التوراة (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك) جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ما سألوه منك واستعظمت فقد سألوا موسى شيأ اكبر منه وأعظم وهذا السؤال وان صدر عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم فى كل ما يأتون وما يذرون اسند اليهم والمعنى ان لهم فى ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم (فقالوا) الفاء تفسيرية (ارنا الله جهرة) اى ارناه جهرة اى عيانا والجهر حقيقة فى ظهور الصوت لحاسة السمع ثم استعير لظهور المرئى بحاسة البصر ونصبها على المصدر لان المعاينة نوع من الرؤية وهم النقباء السبعون الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الجبل حين كلمه الله تعالى سألوه ان يريهم رؤية يدركونها بأبصارهم فى الدنيا (فاخذتهم الصاعقة) نار جاءت من السماء فاحرقتهم (بظلمهم) اى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا وفى التاويلات النجمية فقالوا ارنا الله جهرة وما طلبوا الرؤية على موجب التعظيم او على موجب التصديق ولا حملهم عليها شدة الاشتياق او ألم الفراق كما كان لموسى عليه السلام حين قال رب ارنى انظر اليك ولعل خرة موسى فى جواب لن ترانى كانت من شؤم القوم وما كان لنفسهم من سوء أدب هذا السؤال لئلا يطمعوا فى مطلوب لم يعطه نبيهم فما اعطوا بحال نبيهم لانهم كانوا اشقياء والسعيد من وعظ بغيره حتى ادركتهم الشقاوة الازلية فأخذتهم الصاعقة بظلمهم بان طمعوا فى فضيلة وكرامة ما كانوا مستحقيها ومن طبع كافرا ولو يرى الله جهرة فانه لا يؤمن به ومن طبع مؤمنا عند رشاش النور باصابته فانه يؤمن بنبى لم يره وكتاب لم يقرأه بغير معجزة او بينة كما كان الصديق رضى الله عنه حين قال النبى صلى الله عليه وسلم له بعثت فقال صدقت وكما كان حال اويس القرنى فانه لم ير النبى عليه السلام ولا المعجزة وقد آمن به (ثم اتخذوا العجل) اى عبدوه واتخذوه الها (من بعد ما جاءتهم البينات) اى المعجزات التى اظهرت لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر ونحوها لا التوراة لانها لم تنزل عليهم بعد وهذه هى الجناية الثانية التى اقترفها ايضا اوائلهم (فعفونا عن ذلك) اى تجاوزنا عنهم بعد توبتهم مع عظم جنايتهم وجريمتهم ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كأنه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفو عنكم ودلت الآية على سعة رحمة الله ومغفرته وتمام نعمته ومنته وانه لا جريمة تضيق عنها مغفرة الله وفى هذا منع من القنوط (وآتينا موسى سلطانا مبينا) اى تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا أنفسهم توبة عن معصيتهم فاحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فياله من سلطان مبين (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) الباء سببية متعلقة بالرفع والمعنى لاجل ان يعطوا الميثاق لقبول الدين (روى) ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبرائيل عليه السلام بقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا فرفع عنهم (وقلنا لهم) على لسان موسى والطور مشرف عليهم (ادخلوا الباب) اى باب القرية وهى اريحا على ماروى من انهم دخلوا اريحا فى زمن موسى عليه السلام او باب القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى (سجدا) اى متطامنين منحنين شكرا على اخراجهم من التيه فدخلوها زحفا وبدلوا ما قيل لهم (وقلنا لهم) على لسان داود (لا تعدوا) اى لا تظلموا باصطياد الحيتان يقال عدا يعدو عدوا وعداء وعدوانا اى ظلم وجاوز الحد والاصل لا تعدووا بواوين الاولى لام الكلمة والثانية ضمير الفاعل صار بالاعلال على وزن لا تفعوا (فى) يوم (السبت) وكان يوم السبت يوم عبادتهم فاعتدى فيه اناس منهم فاشتغلوا بالصيد (واخذنا منهم) على الامتثال بما كلفوه (ميثاقا غليظا) اى عهدا مؤكدا غاية التأكيد وهو قولهم سمعنا وأطعنا قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم بأى انواع العذاب اراد (فبما) ما مزيدة للتأكيد (نقضهم ميثاقهم) اى فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم فالباء متعلقة بفعل محذوف (وكفرهم بآيات الله) اى بالقرآن او بما فى كتابهم عندهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) كزكريا ويحيى عليهما السلام (وقولهم قلوبنا غلف) جمع اغلف اى هى مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ولا نفقه ما يقوله او هو تخفيف غلف بضم الغين واللام جمع غلاف اى هى اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره (بل طبع الله عليها بكفرهم) كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه

الاستطراد مسارعة على زعمهم الفاسد اى ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب
الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم وليست قلوبهم كما زعموا بل هى مطبوع عليها بسبب
كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام واضرابه أو ايمانا قليلا لا يعبأ به لنقصانه وهو ايمانهم
ببعض الرسل والكتب دون بعض اوبالايمان الغير المعتبر لا يجب ان يسموا مؤمنين فهم كافرون حقا واعلم ان
نقض الميثاق صار سببا لغضب الخلاق فعلى المؤمن ان يراعى احكام عهده وميثاقه ليسلم من البلاء وعن ابن
عمر رضى الله عنه قال اقبل علينا رسول الله فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا ابتليتم بهن واعوذ بالله
ان تدركوهن لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن مضت
فى اسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا الكيل والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم
ولم يمنعوا زكاة اموالهم الا امنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله
الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما فى ايديهم ومالم يحكم ائمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما انزل الله
الا جعل الله بأسهم بينهم (قال فى المثنوى) سوى لطف بى وفايان هين مرو * كان پل ويران بود نيكو شنو *
نقض ميثاق وعهود از بندكيست * حفظ ايمان ووفا كار تقيست * جرعه بر خاك وفا انكس كه ريخت *
كى تواند صيد دولت زو كريخت (وبكفرهم) عطف على قولهم اى عاقبنا اليهود بسبب كذا وكذا وبسبب
كفرهم بعيسى ايضا (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعنى نسبتها الى الزنى وبهتانا منصوب على انه مفعول به
نحو قال شعرا اوعلى المصدر الدال على النوع نحو جلست جلسة فان القول قد يكون بهتانا وغير بهتان
(وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) وصفهم له عليه الصلاة والسلام برسول الله انما هو بطريق
الاستهزاء به كما فى قوله تعالى يا أيها الذى نزل عليه الذكر فانهم على عداوته وقتله فكيف يقولون فى حقه انه رسول
الله ونظم قولهم هذا فى سلك سائر جناياتهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم وفرحهم بقتل النبى
والاستهزاء به (وما) اى والحال انهم ما (قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) اى وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول
فالفعل مسند الى الجار والمجرور نحو خيل اليه ولبس عليه (روى) ان رهطا من اليهود سبوه بان قالوا هو الساحر
ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عليه الصلاة والسلام ذلك دعا عليهم فقال اللهم انت ربى
وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتنى ولم آتهم من تلقاء نفسى اللهم فالعن من سبنى وسب امى فاستجاب
الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وسبوا امه قردة وخنازير فلما رأى ذلك يهودا رأس القوم واميرهم فزع لذلك
وخاف دعوته عليه ايضا فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام فبعث الله تعالى جبريل فاخبره
بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل
منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال
انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عليه السلام وألقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون
انه عيسى وقيل ان ططيانوس اليهودى دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى الله تعالى شبهه عليه فلما خرج
ظنوا انه عيسى فاخذ وقتل ثم صلب وامثال هذه الخوارق لا تستبعد فى عصر النبوة وقال كثير من المتكلمين
ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله الى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فأخذوا انسانا
وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لما كان قليل المخالطة
مع الناس فبهذا الطريق اندفع ما يقال اذا جاز ان يقال ان الله تعالى يلقى شبه انسان على انسان آخر فهذا يفتح
باب السفسطة حيث يجوز أن يقال اذا رأينا زيدا لعله ليس بزيد ولكنه شخص آخر ألقى شبه زيد عليه وعند ذلك
لا يبقى الطلاق والنكاح والملك موثوقا به لا يقال ان النصارى ينقلون عن اسلافهم انهم شاهدوه مقتولا
لانا نقول ان تواتر النصارى ينتهى الى اقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب كذا فى تفسير الامام الرازى
(وان الذين اختلفوا فيه) اى فى شأن عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعضهم
ان كان هذا المقتول عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم الوجه وجه عيسى
والبدن بدن صاحبنا فان الله تعالى لما ألقى شبه عيسى على المقتول ألقاه على وجهه دون جسده وقال من سمع
منه ان الله يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فقال قوم منهم

انه ما قتل وما صلب بل رفعه الله الى السماء وقال قوم منهم ان اليهود قتلوه فزعمت النسطورية ان المسيح صلب من جهة ناسوته اى جسمه وهيكله المحسوس لا من جهة لاهوته اى نفسه وروحه واكثر الحكماء يختارون ما يقرب من هذا القول قالوا لانه ثبت ان الانسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو اما جسم لطيف فى هذا البدن واما جوهر روحانى مجرد فى ذاته وهو مدبر فى هذا البدن والقتل انما ورد على هذا الهيكل واما النفس التى هى فى الحقيقة عيسى فالقتل ما ورد عليها لا يقال كل انسان كذلك فما وجه التخصيص لانا نقول ان نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الاشراق بالانوار الالهية عظيمة القرب من ارواح الملائكة والنفس متى كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن ثم انها بعد الانفصال عن ظلمة البدن تتخلص الى فسحة السموات وانوار عالم الجلال فتعظم بهجتها وسعادتها هنالك ومعلوم ان هذه الاحوال غير حاصلة لكل الناس وانما تحصل لاشخاص قليلين من مبدأ خلق آدم الى قيام الساعة وزعمت الملكانية من النصارى ان القتل والصلب وصل الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وزعمت اليعقوبية منهم ان القتل والصلب وقعا بالمسيح الذى هو جوهر متولد من جوهرين (لفى شك منه) اى لفى تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك أكد بقوله تعالى (ما لهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم والمعنى لكنهم يتبعون الظن (وما قتلوه) قتلا (يقينا) كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح فيقينا نعت مصدر محذوف على ان يكون فعيلا بمعنى المفعول وهو المتيقن (بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله واثبات لرفعه قال الحسن البصرى اى الى السماء التى هى محل كرامة الله تعالى ومقر ملائكته ولا يجرى فيها حكم احد سواه فكان رفعه الى ذلك الموضع رفعا اليه تعالى لانه رفع عن ان يجرى عليه حكم العباد ومن هذا القبيل قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله وكانت الهجرة الى المدينة وقوله انى ذاهب الى ربى اى الى موضع لا يمنعنى احد من عبادة ربى والحكمة فى الرفع انه تعالى اراد به صحبة الملائكة ليحصل لهم بركته لانه كلمة الله وروحه كما حصل للملائكة بركة صحبة آدم ابى البشر من تعلم الاسماء والعلم وان مثل عيسى عند الله كمثل آدم كما ذكر فى الآية وقيل رفع الى السماء لما لم يكن دخوله الى الوجود الدنيوى من باب الشهوة وخروجه لم يكن من باب المنية بل دخل من باب القدرة وخرج من باب العزة (وكان الله عزيزا) لا يغالب فيما يريده فعزة الله تعالى عبارة عن كمال قدرته فان رفع عيسى عليه السلام الى السموات وان كان متعذرا بالنسبة الى قدرة البشر لكنه سهل بالنسبة الى قدرة الله تعالى لا يغلبه عليه احد (حكيما) فى جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى فى امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا ولما رفع الله عيسى عليه السلام كساه الريش وألبسه النور وقطعه عن شهوات المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش فكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا قال وهب بن منبه بعث عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاث سنين فان قيل لم يرد الله تعالى عيسى الى الدنيا بعد رفعه الى السماء قيل أخر رده ليكون علما للساعة وخاتما للولاية العامة لانه ليس بعده ولى يختم الله به الدورة المحمدية تشريفا لها بختم نبى مرسل يكون على شريعة محمدية يؤمن بها اليهود والنصارى ويجدد الله تعالى به عهد النبوة على الامة ويخدمه المهدى واصحاب الكهف ويتزوج ويولد له ويكون فى امة محمد عليه السلام وخاتم اوليائه ووارثه من جهة الولاية واجع السيوطى فى تفسير الدر المنثور فى سورة الكهف عن ابن شاهين اربعة من الانبياء احياء اثنان فى السماء عيسى وادريس واثنان فى الارض الخضر والياس فاما الخضر فانه فى البحر واما صاحبه فانه فى البر قال الامام السخاوى رحمه الله حديث اخى الخضر لو كان حيا زارنى من كلام بعض السلف ممن انكر حياة الخضر واعلم ان الارواح المهيمة التى من العقل الاول كلها صف واحد حصل من الله ليس بعضها بواسطة بعض وان كانت الصفوف الباقية من الارواح بواسطة العقل الاول كما اشار صلى الله عليه وسلم انا ابو الارواح وانا من نور الله والمؤمنون فيض نورى فاقرب الارواح فى الصف الاول الى الروح الاول والعقل الاول روح عيسوى ولهذا السر شاركه بالمعراج الجسمانى الى السماء وقرب عهده بعهده فالروح العيسوى مظهر الاسم الاعظم وفائض من الحضرة الالهية فى مقام الجمع بلا واسطة اسم من الاسماء وروح من الارواح فهو مظهر الاسم الجامع الالهى ووارثه اولية ونبينا عليه السلام اصالة كذا فى شرح الفصوص ثم اعلم

ان قوما قالوا على مريم فرموها بالزنى وآخرين جاوزوا الحد فى تعظيمها فقالوا ابنها ابن الله وكلتا الطائفتين وقعتا فى الضلال ويقال مريم كانت ولية الله فشقى بها فرقتان اهل الافراط واهل التفريط وكذلك كل ولى له تعالى فمنكرهم شقى بترك احترامهم وطلب اذيتهم والذين يعتقدون فيهم مالا يستوجبون يشقون بالزيادة فى اعظامهم وعلى هذه الجملة درج الاكثرون من الاكابر كذا فى التأويلات النجمية (وفى المثنوى) نازنينى توولى درحد خويش * الله الله پامنه درحد بيش * جمله عالم زين سبب كمراه شد * كم كسى زابدال هم آكاه شد * دربايد تاكه سرآدمى * آشكارا كردداز بيش وكمى * زيرديوار بدن كنجست يا * خانه مارست وموروازدها (وان من اهل الكتاب) اى مامن اليهود والنصارى احد (الا ليؤمنن به) اى بعيسى (قبل موته) اى قبل موت ذلك الاحد من اهل الكتاب يعنى اذا عاين اليهودى امر الآخرة وحضرته الوفاة ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالت اتاك عيسى عليه السلام نبيا فكذبت به فيؤمن حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وتقول للنصرانى اتاك عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله فزعمت انه هو الله وابن الله فيؤمن بانه عبد الله حين لا ينفعه ايمانه قالوا لا يموت يهودى ولا صاحب كتاب حتى يؤمن بعيسى وان احترق اوغرق اوتردى اوسقط عليه جدار أواكله سبع اوأى ميتة كانت حتى قيل لابن عباس رضى الله عنه لوخر من بيته قال يتكلم به فى الهوآء قيل ارأيت لوضرب عنق احدهم قال يتلجلج به لسانه وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى ومامن اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى من السماء احد الاليؤمنن به قبل موته (وروى) عن النبى عليه السلام انه قال انا اولى الناس بعيسى لانه لم يكن بينى وبينه نبى ويوشك انه ينزل فيكم حكما عدلا فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض وكان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقتل الخنزير ويريق الخمر ويكسر الصليب ويذهب العضرة ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك الله فى زمانه الملل كلها غير ملة الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله فى زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال حتى لا يبقى احد من أهل الكتاب وقت نزوله الايؤمن به وتقع الامنة فى زمانه حتى ترتع الابل مع الاسود والبقر مع النمور والغنم مع الذئاب وتلعب الصبيان بالحيات لايؤذى بعضهم بعضا ثم يلبث فى الارض اربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه وفى الحديث ان المسيح جائى فمن لقيه فليقرئه منى السلام (ويوم القيامة يكون) اى عيسى عليه السلام (عليهم) اى على أهل الكتاب (شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا) اى بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عن اليهود (حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) ولمن قبلهم لالشئ غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصى التى اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات التى كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم كلحوم الابل وألبانها او الشحوم وفى التأويلات النجمية نكتة قال لهم حرمنا عليهم طيبات وقال لنا ويحل لهم الطيبات وقال كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فلم يحرم علينا شيأ بذنوبنا وكما آمنا من تحريم الطيبات فى هذه الآية نرجو أن يؤمننا فى الآخرة من العذاب الاليم لانه جمع بينهما فى الذكر فى هذه الآية وقال اهل الاشارة ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات وانا اقول الاسراف فى ارتكاب المباحات يوجب حرمان المناجاة انتهى كلام التأويلات (قال السعدى) مرودربى هرچه دل خواهدت * كه تمكين تن نورجان كاهدت (وبصدهم عن سبيل الله) اى بسبب منعهم عن دين الله وهو الاسلام ناسا (كثيرا) اوصدا كثيرا (واخذهم الربا وقد) اى والحال انهم قد (نهوا عنه) فان الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهى يدل على حرمة المنهى عنه (واكلهم اموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (واعتدنا) اى خلقنا وهيأنا (للكافرين منهم) اى للمصرين على الكفر لالمن تاب وامن من بينهم (عذابا اليما) وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم سيذوقونه فى الآخرة كما ذاقوا فى الدنيا عقوبة التحريم (لكن الراسخون فى العلم منهم) اى الثابتون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه وسماهم راسخين فى العلم لثباتهم فى العلم وتجردهم فيه لايضطربون ولا تميل بهم الشبه بمنزلة الشجرة الراسخة بعروقها فى الارض (والمؤمنون) اى من غير أهل الكتاب من المهاجرين والانصار (يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) خبر المبتدأ وهو الراسخون وما عطف عليه قال

في التأويلات النجمية كان عبد الله بن سلام عالما بالتوراة وقد قرأ فيها صفة النبي عليه السلام فلما كان راسخا
في العلم اتصل علم قرآنه بعلم المعرفة فقال لما رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت انه ليس بوجه
كذاب فآمن به ولما لم يكن للاحبار رسوخ في العلم وان قرأوا صفة النبي عليه السلام في التوراة فلما رأوا النبي
عليه السلام ما عرفوه فكفروا به انتهى ونعم ما قيل في حق الشرفاء

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر

(و) أعني (المقيمين الصلاة) فنصبه على المدح لبيان فضل الصلاة (و) هم (المؤتون الزكاة) فرفعه على المدح ايضا
وكذا رفع قوله تعالى (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع
الشرائع لانه المقصود بالآية (اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما) اى ثوابا وافرا في الجنة على جمعهم بين الايمان
والعمل الصالح وهو ما اريد به وجه الله تعالى ومن افاضل الاعمال الصلوات الخمس واقامتها وفي الحديث
من حافظ منكم على الصلوات الخمس حيث كان واين ما كان جاز الصراط يوم القيامة كالبرق اللامع في اول
زمرة السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان له كل يوم وليلة حافظ عليهن اجر شهيد وسر هذا
الحديث مفهوم من لفظ الصلاة ووجه تسميتها بها لان اشتقاقها من الصلى وهو النار والخشبة المعوجة
اذا ارادوا تقويمها يعرضونها على النار فتقوم وفي العبد اعوجاج لوجود نفسه الامارة فيه وسبحات وجه الله
الكريم حارة بحيث لو كشف حجابها لاحرقت تلك السبحات من ادركته ومن انتهى اليه البصر كما ورد
في الحديث فبدخول المصلي في الصلاة يستقبل تلك السبحات فيصيب المصلي من وهج السطوة الالهية
والعظمة الربانية ما يزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلي كالمصطلي بالنار ومن اصطلى بها زال بها
اعوجاجه فلا يعرض على نار جهنم الا تحلة القسم وبذلك المقدار من المرور يذهب اثر درنه ولا يبقى له احتياج
الى المكث على الصراط فيمر كالبرق اللامع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ان اولياء الله
المصلون ومن يقيم الصلوات الخمس التي كتبهن الله عليه ويصوم رمضان ويحتسب صومه ويؤتي الزكاة محتسبا
طيبة بها نفسه ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها فقال رجل من اصحابه يا رسول الله وكم الكبائر قال تسع
اعظمهن الاشراك بالله وقتل المؤمن بغير حق والفرار من الزحف وقذف المحصنة والسحر واكل الربا واكل
مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت العتيق الحرام قبلتكم احياء وامواتا لا يموت رجل
لم يعمل هؤلاء الكبائر ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة الا رافق محمدا في بحبوحة جنة ابوابها مصاريع الذهب واعلم
ان الراسخين في العلم هم الذين رسخوا بقدمي العمل والعلم الى ان بلغوا معادن العلوم فاتصلت علومهم الكسبية
بالعلوم العطائية اللدنية وفي الحديث اطلعت ليلة المعراج على النار فرأيت اكثر اهلها الفقراء قالوا
يا رسول الله من المال قال لا من العلم وفي الحديث العلم امام العمل والعمل تابعه قال حجة الاسلام الغزالي
رحمه الله في منهاج العابدين ولقد صرت من علماء امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الراسخين في العلم ان انت عملت
بعلمك واقبلت على عمارة معادك وكنت عبدا عالما عاملا لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد غير غافل فلك
الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكثيرة والثواب الجزيل وبناء امر العبادة كله على العلم سيما علم التوحيد وعلم
السر فلقد روى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع قال الهي وما العلم النافع
قال ان تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فان هذا الذي يقربك الي وعن علي رضي الله
عنه ما يسرني ان لو مت طفلا فادخلت الجنة ولم اكبر فاعرف ربي فان اعلم الناس بالله اشدهم خشية واكثرهم
عبادة واحسنهم في الله نصيحة (انا اوحينا اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شأنه في حقيقة الارسال
واصل الوحي كشأن سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والوحي والايحاء كالاعلام في خفاء
وسرعة اى انزلنا جبرائيل عليك يا محمد بهذا القرآن (كما اوحينا) اى ايحاء مثل ايحائنا (الى نوح والنبيين
من بعده) بدأ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبي عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض
قيل ان نوحا عليه السلام عمر الف سنة لم ينقص له سن ولا قوة ولم يشب له شعر ولم يبالغ احد من الانبياء

فى الدعوة ما بالغ ولم يصبر على اذى قومه ما صبر وكان يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا وكان يضرب من قومه حتى يغشى عليه فاذا افاق عاد و بلغ وقيل هو اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (واوحينا الى ابراهيم) عطف على أوحينا الى نوح داخل معه فى حكم التشبيه اى كما أوحينا الى ابراهيم (واسماعيل واسحق و يعقوب والاسباط) وهم اولاد يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر رجلا (وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان) خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تشريفا لهم واظهارا لفضلهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم وقدم ذكر عيسى على من بعده لان الواو للجمع دون الترتيب فتقديم ذكره فى الآية لا يوجب تقديمه فى الخلق والارسال والفائدة فى تقديمه فى الذكر رد على اليهود لغلوهم فى الطعن فيه وفى نسبه فقدمه الله فى الذكر لان ذلك ابلغ فى كبت اليهود فى تبرئته مما رمى به ونسب اليه (وآتينا) اى كما آتينا (داود زبورا) فالجملة عطف على اوحينا داخلة فى حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء والزبور هو الكتاب مأخوذ من الزبر وهو الكتابة قال القرطبى كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هى حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله عز وجل وكان داود يبرز الى البرية و يقرأ الزبور فيقوم معه علماء بنى اسرآئيل خلفه و يقوم الناس خلف العلماء و يقوم الجن خلف الناس وتجيئ الدواب التى فى الجبال اذا سمعت صوت داود فيقمن بين يديه تعجبا لما يسمعن من صوته و يجيئ الطير حتى يظللن على داود فى خلائق لا يحصيهن الا الله يرفرفن على رأسه وتجيئ السباع حتى تحيط بالدواب والوحش لما يسمعن فلما قارف الذنب وهو تزوج امرأة اوريا من غير انتظار الوحى بجبرآئيل ولم يروا ذلك فقيل ذلك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية وعن ابى موسى الاشعرى قال قال لى رسول الله لو رايتنى البارحة وانا استمع لقرآءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال فقلت اما والله يارسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته تحبيرا وعن ابى عثمان قال ما سمعت قط بربطا ولا مزمارا ولا عودا احسن من صوت ابى موسى وكان يؤمنا فى صلاة الغداة فنود انه يقرأ سورة البقرة من حسن صوته (قال السعدى) به از روى زيباست آواز خوش * كه آن حظ نفس است واين قوت روح * وعند هبوب الناشرات على الحمى * تميل غصون البان لا الحجر الصلد (ورسلا) نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه فى حكم التشبيه كما قيل اى وكما ارسلنا رسلا (قد قصصناهم عليك) اى سميناهم لك (من قبل) متعلق بقصصنا اى من قبل هذه السورة او اليوم وعرفناك قصتهم فعرفتهم (ورسلا لم نقصصهم عليك) اى لم نسمهم لك والرسل هم الذين اوحى اليهم بجبريل والانبياء هم الذين لم يوح اليهم بجبريل وانما أوحى اليهم بملك آخر أو برؤيا فى المنام او بشئ آخر من الالهام وعن ابى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله كم كانت الانبياء وكم كان المرسلون قال كانت الانبياء مائة ألف واربعة وعشرين ألفا وكان المرسلون ثلثمائة وثلاثة عشر وفى رواية سئل عن عدد الانبياء فقال مائة ألف واربعة وعشرون ألفا والاولى ان لا يقتصر على عدد فى التسمية لهذه الآية وخبر الواحد لا يفيد الا الظن ولا عبرة بالظن فى الاعتقاديات (وكلم الله موسى تكليما) عطف على انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة وتأكيد كلم بالمصدر يدل على انه عليه السلام سمع كلام الله حقيقة لا كما يقوله القدرية من ان الله تعالى خلق كلاما فى محل فسمع موسى ذلك الكلام لان ذلك لا يكون كلام الله القائم به والافعال المجازية لا تؤكد بذكر المصادر لا يقال اراد الحائط ان يسقط ارادة قال الفرآء العرب تسمى ما وصل الى الانسان كلاما بأى طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا فى نبوة سائر الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه جملة قادحا فى صحة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور أن نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بنى اسرآئيل كانوا فى العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعد اللتيا والتى وقد فضل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم (قال العطار) كرده در شب سوى معراجش روان * سر كل با او نهاده درميان * رفت موسى بر بساط آن جناب * خلع نعلين آمدش از حق خطاب * چون بنزديكى شد از نعلين دور * كشت در وادى المقدس غرق نور * باز در معراج شمع ذو الجلال * مى شنود آواز نعلين بلال * موسى عمران اكرچه بود شاه * هم نبود انجاش با نعلين راه *

ابن عنايت بين كه بهر جاه او * كرد حق با چاكر دركاه او * چاكرش را كرد مرد كوى خويش * داد بانعلين راهش سوى خويش * موسئ عمران چو آن رتبت بديد * چاكر او را چنان قربت بديد * گفت يارب امت او كن مرا * در طفيل همت او كن مرا * اوست سلطان وطفيل او همه * اوست دائم شاه وخيل او همه * (روى) ان موسى عليه السلام لما اتى طور سيناء انزل الله الظلمة على سبع فراسخ وطرد عنه الشيطان وطرد عنه الهوام ونحى عنه الملكين وكشف له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهواء ورأى العرش بارزا وكلمه الله وناجاه حتى اسمعه كلامه من غير واسطة وكيفية وصوت وحرف (رسلا) نصب على المدح اعنى رسلا (مبشرين) لاهل الطاعة بالجنة (ومنذرين) للعصاة بالنار (لئلا يكون) اللام متعلقة بارسلنا (للناس) خبر يكون (على الله) متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله (حجة) اى كائنة على الله وحجة اسم يكون والمعنى لئلا يكون للناس على الله معذرة يوم القيامة يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا مالم نكن نعلم من احكامك وينبهنا من سنة الغفلة لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها ففيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة وانما سميت المعذرة حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة فى فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة فى القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التى لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبى صلى الله عليه وسلم ما احد أغير من الله عز وجل لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى ولذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى ولذلك ارسل الرسل وانزل الكتاب (بعد الرسل) اى بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على ألسنتهم متعلق بحجة (وكان الله عزيزا) لا يغالب فى امر من الامور من قضية الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين (حكيما) فى جميع افعاله التى من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب (لكن الله) استدراك على مفهوم ما قبله من سؤالهم على وجه التعنت ان ينزل عليهم ما وصفوه من الكتاب فهو بمنزلة قولهم لا نشهد بان الله تعالى بعثك الينا رسولا حتى ينزل ما سألناه فقال تعالى انهم لا يشهدون بصدقك فى دعوى الرسالة لكن الله (يشهد بما انزل اليك) من القرآن المعجز الدال على نبوتك ان جحدوك وكذبوك فان انزال هذا القرآن البالغ فى الفصاحة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته واتيان ما يدانيه شهادة له عليه السلام بنبوته وصدقه فى دعوى الرسالة من الله تعالى فمعنى شهادة الله تعالى بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات (انزله بعلمه) حال من الفاعل اى ملتبسا بعلمه الخاص الذى لا يعلمه غيره وهو تأليف على نمط بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزل عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية (والملائكة يشهدون) ايضا بنبوتك فان قلت من اين يعلم شهادة الملائكة قلت من شهادة الله تعالى لان شهادتهم تبع لشهادته (وكفى بالله شهيدا) على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها كأنه تعالى قال يا محمد ان كذبك هؤلاء اليهود فلا تبال بهم فان الله تعالى وهو اله العالمين يصدقك فى دعواك وملائكة السموات ايضا يصدقونك فى ذلك ومن صدقه رب العالمين والملائكة اى ملائكة العرش والكرسى والسموات السبع اجمعون لا ينبغى له ان يلتفت الى تكذيب اخس الناس وهم هؤلاء اليهود (ان الذين كفروا) اى بما انزل الله ويشهد به وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقوله ما نعرف صفة محمد فى كتابنا (قد ضلوا) بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق (ضلالا بعيدا) لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه (ان الذين كفروا) اى بما ذكر آنفا (وظلموا) اى محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم فى المعاش والمعاد (لم يكن الله) مريدا (ليغفر لهم) لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر (ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم) لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التى هى طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلق الله لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع (خالدين فيها) حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة

واضحة

واضحة كأنه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها (ابدا) نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل (وكان ذلك) اى جعلهم خالدين فيها (على الله يسيرا) لاستحالة ان يتعذر عليه شئ من مراداته تعالى واعلم ان من كان فيه ذرة من النور المرشوش على الارواح يوم خلقها يخرج به من النار كما قال عليه السلام يخرج من النار من كان فى قلبه ذرة من الايمان ومن لم يكن فيه ذلك النور يخلد فى النار لانه وقع فى ظلمة عظيمة لا يمكن الخروج منها وقد ضل ضلالا بعيدا اى من يوم رش النور لا ضلالا قريبا من هذا اليوم لان ضلال اليوم من نتائج ضلال ذلك اليوم ومثل هذا لا يهتدى الى طريق الحق والقربة الى الله تعالى فيحترق فى عذاب القطيعة ابدا ولا يخرج من نار الفرقة سرمدا فعلى العبد ان يشهد بما شهد الله تعالى به ويقبل قول الله وقول الرسول وقول وارثيه من العلماء العاملين فانهم ينطقون عن الله وعن الرسول قال شقيق رحمه الله الناس يقومون من مجلسى على ثلاثة اصناف كافر محض ومنافق محض ومؤمن محض وذلك لانى افسر القرآن واقول عن الله عز وجل وعن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فمن لا يصدقنى فهو كافر محض ومن ضاق قلبه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم على انه لا يذنب كان مؤمنا مخلصا واول الامر الاعتقاد وذلك يحتاج الى العلم اولا والعمل ثانيا لانه ثمرته وسئل النبى عليه السلام عن العلم فقال دليل العمل قيل فما العقل قال عليه السلام قائد الخير قيل فما الهوى قال مركب المعاصى قيل فما المال قال رداء المتكبرين قيل فما الدنيا قال سوق الآخرة (يا أيها الناس) خطاب لعامة الخلق (قد جاءكم الرسول) يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ملتبسا (بالحق) وهو القرآن المعجز الذى شهد اعجازه على حقيته او بالدعوة الى عبادة الله وحده والاعراض عما سواه فان العقل السليم يشهد على انه الحق (من) عند (ربكم) متعلق بجاء اى جاء من عند الله وانه مبعوث مرسل غير متقول له (فآمنوا) بالرسول وبما جاءكم به من الحق والفاء للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها (خيرا لكم) منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار اى اقصدوا او أتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف اى آمنوا ايمانا خيرا لكم وهو الايمان باللسان والجنان (وان تكفروا) اى ان تصروا وتستمروا على الكفر (فان لله ما فى السموات والارض) من الموجودات سواء كانت داخلة فى حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه وآكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل فى جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اى كاهاله عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شئ منهما فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو غنى عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم او فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره (وكان الله عليما) مبالغا فى العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل فى ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا (حكيما) مراعيا للحكمة فى جميع افعاله التى من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم واعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم صورة النور الغيبى المرسل الى الاجساد فمن كان قابلا لافاضة نور دعوته فقد اهتدى ومن اخطأ فقد ضل واتفق المشايخ على ان من ألقى زمامه فى يد كلب مثلا حتى لا يكون تردده بحكم طبعه فنفسه اقوم لقبول الرياضة ممن جعل زمامه فى حكم نفسه يسترسل بها حيث شاء كالبهائم فلما تيقنت ان الواجب عليك ان تكون تابعا لا مسترسلا فلأن تتبع سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم الذى آدم ومن دونه من الاولياء والانبياء تحت لوائه خير لك بل واجب عليك وما اعظم حماقة من يحتاط بقول المنجم فى الاختلاج والفال وينقاد الى الاحتمالات البعيدة ثم اذا آل الامر الى خبر النبوة عن الغيب انكر فلا ترض لنفسك ان تصدق ابن البيطار فيما ذكره فى العقاقير والاحجار فتبادر الى امتثال ما امرك به ولا تصدق سيد البشر صلى الله عليه وسلم فيما يخبر عنه وتتوانى بحكم الكسل عن الاتيان بما امر به او فعل واعلم انك لما اخرجك الله من صلب آدم فى مقام ألست رددت الى اسفل السافلين ثم منه دعيت لترتفع بسعيك وكسبك الى اعلى عليين حيث ما قدر لك على حسب قابليتك ولا يمكنك ذلك الا بأمرين احدهما بمحبته صلى الله عليه وسلم بان تؤثر حبه على نفسك واهلك ومالك والثانى بمتابعته صلى الله عليه وسلم فى جميع ما امر به ونهى عنه وبذلك تستحكم مناسبتك به وبكمال متابعتك يحصل لك الارتفاع الى اوج الكمال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم انى رأيت الجيش بعينى) فيه اشارة الى ان هذا المثل مختص بالنبى عليه السلام لان ما انذر به من

الاهوال هي التي رآها بعينيه واما سائر الانبياء عليهم السلام فلم يكن لهم معراج ظاهر حتى يعاينوا تلك الاهوال (وانى انا النذير) وهو الذى يخوف غيره بالاعلام (العريان) وهو الذى لقى العدو فسلبوا ما عليه من الثياب فاتى قومه يخبرهم فصدق بعضهم لما عليه من آثار الصدق فنجوا وهذا القول مثل يضرب لشدة الامر وقرب المحذور وبرآءة الخبر من التهمة والكل موجود فى النبي عليه السلام (فالنجاء) بالمد نصب على الاغرآء اى اطلبوا النجاء وهو الاسراع (فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا) اى ساروا من اول الليل (فانطلقوا على مهلهم) وهو بفتح الميم والهاء ضد العجلة (وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش) اى اتاهم صباحا ليغير عليهم (فاهلكهم واجتاحهم) اى اهلكهم بالكلية (فذلك) اى المثل المذكور وهذا بيان لوجه المشابهة (مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق) وفيه اشارة الى ان مطلق العصيان غير مستأصل بل العصيان مع التكذيب بالحق كذا فى شرح المشارق لابن الملك رحمه الله تعالى (قال السعدى)
خلاف پيمبر كسى ره گزيد * كه هرگز بمنزل نخواهد رسيد * محالست سعدى كه راه صفا * توان رفت جز در پى مصطفا (يا أهل الكتاب) الخطاب للنصارى خاصة (لاتغلوا فى دينكم) اى لاتجاوزوا الحد فى دينكم بالافراط فى رفع شأن عيسى وادعاء ألوهيته والغلو مجاوزة الحد واعلم ان الغلو والمبالغة فى الدين والمذهب حتى يجاوز حده غير مرضى كما ان كثيرا من هذه الامة غلوا فى مذهبهم فمن ذلك مذهب الغلاة من الشيعة فى امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه حتى ادعوا الهيته وكذلك المعتزلة غلوا فى التنزيه حتى نفوا صفات الله وكذا المشبهة غلوا فى اثبات الصفات حتى جسموه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولدفع الغلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لاتطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم) اى لاتتجاوزوا عن الحد فى مدحى كما بالغ النصارى فى مدح عيسى حتى ضلوا وقالوا انه ولد الله (وقولوا عبد الله ورسوله) اى قولوا فى حق انه عبد الله ورسوله وفى تقديم العبد على الرسول كما فى التحيات ايضا نفى لقول اليهود والنصارى فان اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله فنحن نقول عبده ورسوله والغلو من العصبية وهى من صفات النفس المذمومة والنفس هى امارة بالسوء لاتأمر الا بالباطل * مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلهٔ ديگرست (ولاتقولوا على الله الا الحق) اى لاتصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك قوله الا الحق استثناء مفرغ ونصبه على انه مفعول به نحو قلت خطبة اونعت مصدر محذوف اى الا القول الحق وهو قريب من المعنى الاول (انما المسيح) مبتدأ وهو لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك (عيسى) بدل منه معرب من ايشوع (ابن مريم) صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه به من نبوته له تعالى ومريم بمعنى العابدة وسميت مريم مريم ليكون فعلها مطابقا لاسمها ولكون عيسى عليه السلام منسوبا الى امه تدعى الناس يوم القيامة باسماء امهاتهم ويدل عليه حديث التلقين بعد الدفن حيث يقال يا فلان ابن فلانة وفى النسبة الى الامهات ستر منه تعالى للعباد ايضا (رسول الله) خبر للمبتدأ اى انه مقصور على رتبة الرسالة لايتخطاها وهذا هو القول الحق (وكلمته) عطف على رسول الله اى تكون بكلمته وامره الذى هو كن من غير واسطة اب ولانطفة فان تكون بن الخلق كله وان كان بكلمة كن ولكن بالوسائط فان تعلق كن بتكوين الآباء قبل تعلقه بتكوين الابناء فلما كان تعلق امر كن بعيسى فى رحم مريم من غير تعلقه بتكوين اب له تكون عيسى بكلمة كن وكن هى كلمة الله فعبر عن ذلك بقوله وكلمته القاها الى مريم يدل عليه قوله ان مثل عيسى عند الله يعنى فى التكوين كمثل آدم خلقه من تراب يعنى سوى جسمه من تراب ثم قال له يعنى عند بعث روحه الى القالب كن فيكون وانما ضرب مثله بآدم فى التكوين لانه ايضا تكون بكلمة كن من غير واسطة اب (القاها الى مريم) اى اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام (وروح منه) عطف على كلمته ومنه صفة لروح ومن لابتداء الغاية مجازا لاتبعيضية كما زعمت النصارى لاستحالة التجزى على الله تعالى (وروى) انه كان لهرون الرشيد طبيب نصرانى وكان غلاما حسن الوجه جدا وكان كامل الادب جامعا للخصال التى يتوصل بها الى الملوك وكان الرشيد مولعا بان يسلم وهو يمتنع وكان الرشيد يمنيه الامانى ان اسلم فأبى فقال له ذات يوم مالك لاتؤمن قال ان فى كتابكم حجة على من انتحله قال وما هى قال قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فعنى بهذا ان عيسى عليه السلام جزء منه

فضاق قلب الرشيد وجمع العلماء فلم يكن فيهم من يزيل شبهته حتى قيل له قد وفد حجاج من خراسان وفيهم رجل يقال له علي بن الحسين بن واقد من اهل مرو وهو امام في علم القرآن فدعاه فجمع بينه وبين الغلام فسأله الغلام عن ذلك فاستعجم عليه الجواب في الوقت وقال قد علم الله يا امير المؤمنين في سابق علمه ان هذا الخبيث يسألني في مجلسك هذا وانه لم يخل كتابه عن جوابه وانه ليس يحضرني الآن ولله علي ان لا اطعم ولا اشرب حتى اؤدي الذي يجب من الحق ان شاء الله تعالى ودخل بيتا مظلما واغلق عليه بابه واندفع في قرآءة القرآن حتى بلغ من سورة الجاثية وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فصاح باعلى صوته افتحوا الباب فقد وجدت الجواب ففتحوا ودعا الغلام فقرأ عليه الآية بين يدي الرشيد وقال ان كان قوله وروح منه يوجب ان يكون عيسى بعضا منه وجب ان يكون ما في السموات وما في الارض بعضا منه فانقطع النصراني واسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل علي بن الحسين الواقدي المروزي بصلة جيدة فلما عاد علي بن الحسين الى مرو صنف كتابا سماه كتاب النظائر في القرآن وهو كتاب لا يوازيه كتاب قيل معنى كونه روحا انه ذو روح صادر منه تعالى كسائر ذوي الارواح الا انه تعالى اضاف روحه الى نفسه تشريفا وقيل المراد بالروح هو الذي نفخ جبرآئيل عليه السلام في درع مريم فدخلت تلك النفخة بطنها فحملت باذن الله من ذلك النفخ سمي النفخ روحا لانه كان ريحا يخرج من الروح واضاف تعالى نفخة جبريل الى نفسه حيث قال وروح منه بناء على ان ذلك النفخ الواقع من جبريل كان باذن الله تعالى وامره فهو منه وعن ابي بن كعب انه قال ان الله تعالى لما اخرج الارواح من ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم ثم ردهم الى صلبه امسك عنده روح عيسى الى ان اراد خلقه ثم ارسل ذلك الروح الى مريم فدخل في فيها فكان منه عيسى عليه السلام قيل خلق عيسى عليه السلام من ماء مريم ومن النفخ لا من احدهما فقط وهو الاصح عند المحققين قيل خرج في ساعة النفخ وقيل بعد المدة الكاملة بعد ثمانية اشهر والاول هو الاصح وفي التأويلات النجمية ان شرف الروح على الاشياء بانه ايضا كعيسى تكون بامر كن بلا واسطة شئ آخر فلما تكون الروح بامر كن وتكون عيسى بامر كن سمي روحا منه لان الامر منه تعالى كما قال قل الروح من امر ربي فكما ان احياء الاجسام الميتة من شأن الروح اذ ينفخ فيها فكذلك كان عيسى من شأنه احياء الموتى وابرآء الاكمه والابرص باذن الله وكذلك كان ينفخ في الطين فيكون طيرا باذن الله تعالى واعلم ان هذا الاستعداد الروحاني الذي هو من كلمة الله مركوز في جبلة الانسان وخلق منه اي من الامر وانما اظهره الله في عيسى من غير تكلف منه في السعي لاستخراج هذا الجوهر من معدنه لان روحه لم يركز في اصلاب الآباء وارحام الامهات كارواحنا فكان جوهره ظاهرا في معدن جسمه غير مخفي ببشرية أب وجوهرنا مخفي في معدن جسمنا ببشرية آبائنا الى آدم فمن ظهور انوار جوهر روحه كان الله تعالى يظهر عليه انواع المعجزات في بدء طفوليته ونحن نحتاج في استخراج الجوهر الروحاني من المعدن الجسماني الى نقل صفات البشرية المتولدة من بشرية الآباء والامهات عن معادننا باوامر استاذ هذه الصنعة ونواهيه وهو النبي عليه السلام كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فمن تخلص جوهر روحانيته من معدن بشريته وانسانيته يكون عيسى وقته فيحيي الله بانفاسه القلوب الميتة ويفتح به آذانا صما وعيونا عميا فيكون في قومه كالنبي في امته فافهم جدا (وفي المثنوى) عيسى اندر مهد دارد صد نفير * كه جوان نا كشته ما شيخيم وپير * پير پير عقل بايد اى پسر * نى سفيدى موى اندر ريش وسر * چون كرفتى پير من تسليم شو * همچو موسى زير حكم خضر شو * دست را مسپار جز در دست پير * پير حكمت كو عليم است وخبير * ثم اعلم انه لما كان النافخ جبرآئيل والولد سرآبيه كان الواجب ان يظهر عيسى على صورة الروحانيين والجواب انه انما كان على صورة البشر ولم يظهر على صورة الروحانيين لان الماء المحقق عند التمثل كان في امه وهي بشر ولاجل تمثل جبريل ايضا عند النفخ بالصورة البشرية لانها اكمل الصور كما اشار صلى الله تعالى عليه وسلم في تجلي الربوبية بصورة شاب قطط وظهور جبريل بصورة دحية فافهم والصورة التي تشهدها الام وتخيلها حال المواقعة لها تأثير عظيم في صورة الولد حتى قيل ونقل في الاخبار ان امرأة ولدت ولدا صورته صورة البشر وجسمه جسم الحية فلما سئلت عنها اخبرت انها رأت حية عند المواقعة وسمع ان امرأة ولدت ولدا له اعين اربع ورجلاه كرجل الدب وكانت قبطية جامعها زوجها وهي ناظرة الى دبين كانا عند زوجها

ولله اسرار فى تكوين الاجساد كيف يشاء وهو على كل شئ قدير كذا فى حل الرموز (فآمنوا بالله) وخصوه بالالوهية (ورسله) اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية يعنى ان عيسى من رسله فآمنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه آلها (ولا تقولوا ثلاثة) اى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى آلهين من دون الله اوالله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثانى العلم وبالثالث الحياة (انتهوا) اى عن التثليث (خيرا لكم) اى انتهاء خيرا لكم او ائتوا خيرا لكم من القول بالتثليث (انما الله آله واحد) اى واحد بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت اى منفرد فى آلهيته (سبحانه ان يكون له ولد) اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولدا وسبحوه تسبيحا من ذلك فانه يتصور لمن يتصور له مثل ويتطرق اليه فناء فان التوالد انما هو لحفظ النوع من الانقراض فلذلك لم تتوالد الملائكة ولا اهل الجنان فمن كان نشأته وتكونه للبقاء اذا لم يكن له ولد مع كونه حادثا ذا امثال فبالاولى ان لا يتخذ الله تعالى ولدا وهو ازلى منزه عن الامثال والاشباه (وفى المثنوى) لم يلد لم يولد است او از قدم * فى پدر دارد نه فرزند ونه عم (له ما فى السموات وما فى الارض) مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اى له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شئ من الاشياء التى من جملتها عيسى فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى قال ابن الشيخ فى حواشيه انه تعالى فى كل موضع نزه نفسه عن الولد ذكر أن جميع ما فى السموات والارض مختص به خلقا وملكا للاشارة الى ان ما زعمه المبطلون انه ابن الله وصاحبته مملوك مخلوق له لكونه من جملة ما فى السموات وما فى الارض فلا تتصور المجانسة والمماثلة بين الخالق والمخلوق والمالك والمملوك فكيف يعقل مع هذا توهم كونه ولدا له وزوجة (وكفى بالله وكيلا) اليه يكل الخلق امورهم وهو غنى عن العالمين فانى يتصور فى حقه اتخاذ الولد الذى هو شأن العجزة المحتاجين فى تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم او يعينهم دلت الآية على التوحيد (كل شئ ذاته لى شاهد * انما الله اله واحد) ومطلب اهل التوحيد اعلى المطالب وهو وراء الجنات وذوقهم لا يعادله نعيم (حكى) ان وليا يقال له سكرى بابا يكون له فى بعض الاوقات استغراق اياما حتى يظنونه ميتا ويضعون على فمه قدما فانتبه يوما فاراد ان يطلق زوجته ويترك اولاده وقال كنت فى مجلس النبى عليه السلام فى الملكوت مع الارواح وكان النبى عليه السلام يفسر قوله تعالى واآلهكم اله واحد يتكلم فى مراتب التوحيد على كرسى قوائمه اربع من الانوار الاربعة على حسب المراتب الاربع اى من النور الاسود فى مرتبة الطبيعة ومن النور الاحمر فى مرتبة النفس ومن النور الاخضر فى مرتبة الروح ومن النور الابيض فى مرتبة السر فقيل لى فى العرش ارسلوا سكرى بابا فان اولاده يبكون فلاجل ذلك اريد ان اترك الكل فتضرعوا وحلفوا بان لا يفعلوا مثل ذلك ابدا فقرغ ووجه التسمية بذلك انه كان يعطى سكرا الكل من يطلبه منه حتى طلبوا فى الحمام امتحانا له فضرب برجله رخام الحمام قال خذوه فانقلب سكرا فاعتقدوه وزالت شبهتهم قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى الملكوت ليس فى الفوق بل الملك والملكوت عندك هنا فان الله تعالى منزه عن الزمان والمكان والذهاب والاياب وهو معكم اينما كنتم فللسالك مرتبة ينظر فيها الى الله والى الحق ويسمى تلك بالمعية ثم بعد ذلك اذا وصل الى الفناء الكلى واضمحل وجوده يسمى ذلك بمقام الجمع ففى ذلك المقام لا يرى السالك ما سوى الله تعالى لكن احاطه نور لا يرى الظلمة ألا يرى ان من نظر الى الشمس لا يرى غيرها وتلك الرؤية ليست بحاسة البصر ولا كرؤية الاجسام بل كما ذكره العلماء وكمل الاولياء والانبياء صلوات الله عليهم اجمعين والموحد اذا كان موحدا او صله التوحيد الى الملكوت والجبروت واللاهوت اعنى الموحد يتخلص من الاثنينية ومن التقيد بالاكوان والاجسام والارواح فيشاهد عند ذلك سر قوله تعالى انما الله اله واحد اللهم اجعلنا من الواصلين (لن يستنكف المسيح) فى اساس البلاغة استنكف منه ونكف امتنع وانقبض انفا وحمية (أن يكون عبدالله) اى من ان يكون عبدا لله تعالى فان عبوديته شرف يتباهى بها وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره (روى) ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى بعار فنزلت (ولا الملائكة المقربون) عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا او المراد بهم

الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن فى طبقتهم (ومن يستنكف) اى يترفع (عن عبادته) اى عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى (ويستكبر) الاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق (فسيحشرهم اليه) اى فسيجمعهم اليه يوم القيامة (جميعا) المستنكف والمستكبر والمقر والمطيع فيجازيهم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم) اى ثواب اعمالهم من غير ان ينقص منها شيأ أصلا (ويزيدهم من فضله) بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (واما الذين استنكفوا) اى عن عبادته تعالى (واستكبروا فيعذبهم) بسبب استنكافهم واستكبارهم (عذابا اليما) وجيعا لا يحيط به الوصف (ولا يجدون لهم من دون الله) اى غيره تعالى (وليا) يلى امورهم ويدبر مصالحهم (ولا نصيرا) ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف وهو ولا الملائكة المقربون اعلى درجة من المعطوف عليه وهو المسيح حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام ولامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقامهم السموات العلى ولا نزاع لأحد فى علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع فى علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات كذا فى الارشاد قال فى التأويلات النجمية عند قوله تعالى ولا الملائكة المقربون ماذكرهم للفضيلة على عيسى وانما ذكرهم لان بعض الكفار قالوا الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله قال تعالى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذن قسمة ضيزى بل فضل الله المسيح عليهم بتقديم الذكر لان المسيح نسب اليه بالبنوة ونسبت الملائكة اليه بالبنتية وللذكر فضيلة وتقدم على الاناث كقوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين فقدم الله الذكر على الانثى وجعل له سهمين وللانثى واحدا فكما كان للذكر فضيلة على الانثى فكذلك للمسيح فضيلة على الملائكة وفضيلته على الملائكة اكبر واعظم يدل عليه ما صح عن جابر رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب كما خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة قال الله تعالى لا اجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان وانا اقول ومن فضيلة عيسى على الملائكة انه اجتمع فيه ما كان شرفا لآدم لانه من ذريته من قبل الام وما كان شرفا للملائكة اذ قال له ايضا كن فكان فقد وجد فى عيسى ما لم يوجد فى الملائكة ولم يوجد فى الملائكة شىء لا يوجد فى عيسى فافهم جدا انتهى كلام التاويلات واعلم ان اعظم الاستنكاف عن عبادة الله تعالى الشرك والاعراض عن توحيده كما ان اصل الاعمال التوحيد والايمان ثم ان الكبر من اكبر السيئات ولذا ورد فى بعض الاحاديث مقابلا للايمان قال عليه السلام لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان (قال السعدى) تراشهوت وكبر وحرص وحسد * چوخون در رگ اند وچوجان در جسد * گراين دشمنان تقويت يافتند * سراز حكم ورأى تو برتافتند * (حكى) ان قاضيا جاء الى ابى يزيد البسطامى رحمه الله يوما فقال نحن نعرف ما تعرفه ولكن لا نجد تأثيره فقال ابو يزيد خذ مقدارا من الجوز وعلق وعاءه فى عنقك ثم ناد فى البلد كل من يلطمنى ادفع له جوزة حتى لا يبقى منه شىء فاذا فعلت ذلك تجد التأثير فاستغفر القاضى فقال ابو يزيد قد اذنبت لانى اذكر ما يخلصك من كبر نفسك وانت تستغفر منه (قال السعدى) كسى را كه پندار در سر بود * مپندار هرگز كه حق بشنود * زعلمش ملال آيد از وعظ ننگ * شقايق بباران نرويد زسنگ * فعلى العاقل ان يتواضع فان الرفعة فى التواضع وهو من أفضل العبادة (يا أيها الناس) خطاب لعامة المكلفين (قد جاءكم برهان) كائن (من ربكم وانزلنا اليكم) بواسطة النبى عليه السلام (نورا مبينا) عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اى جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة والبرهان ما يبرهن به المطلوب وسمى القرآن نورا لكونه سببا لوقوع نور الايمان

في القلوب ولانه تبين به الاحكام كما تبين بالنور الاعيان (فاما الذين آمنوا بالله) حسبما يوجبه البرهان الذى اتاهم (واعتصموا به) اى امتنعوا به عن اتباع النفس الامارة وتسويلات الشيطان (فسيدخلهم فى رحمة منه) ثواب قدره بازآء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب (وفضل) احسان زائد عليه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم اليه) اى الى الله (صراطا مستقيما) هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة وهو مفعول ثان ليهدى لانه يتعدى الى مفعولين بنفسه كما يتعدى الى الثانى بالى يقال هديته الطريق وهديته الى الطريق ويكون اليه حالا منه مقدما عليه ولو اخر عنه كان صفة له والمعنى ويهديهم الى صراط الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى العقبى مؤديا ومنتهيا اليه تعالى والاشارة فى الآية ان الله تعالى اعطى لكل نبى آية وبرهانا ليقيم به الحجة على الامة وجعل نفس النبى عليه السلام برهانا منه وذلك لان برهان الانبياء كان فى الاشياء غير انفسهم مثل ما كان برهان موسى فى عصاه وفى الحجر الذى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا وكان نفس النبى عليه السلام برهانا بالكلية فكان برهان عينيه ما قال عليه السلام (لا تسبقونى بالركوع والسجود فانى اراكم من خلفى كما اراكم من امامى) وبرهان بصره ما زاغ البصر وما طغى وبرهان انفه قال (انى لاجد نفس الرحمان من قبل اليمن) وبرهان لسانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وبرهان بصاقه ما قال جابر رضى الله عنه انه امر يوم الخندق لا تخبزن عجينكم ولا تنزلن برمتكم حتى اجئ فجاء فبصق فى العجين وبارك ثم بصق فى البرمة وبارك فاقسم بالله انهم لأكلوا وهم ألف حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط اى تغلى وان عجيننا ليخبز كما هو وبرهان تفله انه تفل فى عين على كرم الله وجهه وهى ترمد فبرئ باذن الله يوم خيبر وبرهان يده ما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وانه سبح الحصى فى يده (قال العطار) داعى ذرات بودان پاك ذات * دركفش تسبيح ازان گفتى حصات * وبرهان اصبعه انه اشار باصبعه الى القمر فانشق فلقتين حتى رؤى حرآء بينهما * ماه را انگشت او بشكافته * مهر از فرمانش ازپس تافته * وبرهان ما بين اصابعه انه كان الماء ينبع من بين اصابعه حتى شرب منه ورفعه خلق عظيم وبرهان صدره انه كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء وبرهان قلبه انه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال ألم نشرح لك صدرك وقال نزل به الروح الامين على قلبك وامثال هذه البراهين كثيرة فمن اعظمها انه عرج به الى السماء حتى جاوز قاب قوسين وبلغ او أدنى وذلك برهان لنفسه بالكلية وما اعطى نبى قبله مثله قط وكان بعد ان اوحى اليه افصح العرب والعجم وكان من قبل اميا لا يدرى ما الكتاب ولا الايمان واى برهان اقوى واظهر واوضح من هذا والله اكرم هذه الامة به ومن عليهم فمن آمن به ايمانا حقيقيا بنور الله لا بالتقليد فتجذبه العناية وتدخله فى عالم الصفات فان رحمته وفضله صفته ويهديه بنور القرآن وحقيقة التخلق بخلقه الى جنابه تعالى فبالاعتصام يصعد السالك من الصراط المستقيم الى حضرة الله الكريم ولا بد للعبد من الاعمال والاكتساب فى البداية اتباعا للاوامر الواردة فى الكتب الالهية والسنن النبوية حتى ينتهى الى محض فضل الله تعالى فيكون هو المتصرف فى اموره ولذلك كان النبى عليه السلام يقول اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا اقل من ذلك وقد قال بعض الكبار المريد من لا مذهب له يعنى يتمسك باشق الاقوال والمذاهب من جميع المذاهب فيتوضأ من الرعاف والفصد مثلا وان كان شافعيا ومن المس وان كان حنفيا وتنوير الباطن لا يحصل الا بانوار الذكر والعبادة والمعرفة وتعين على ذلك العبادة الخالصة اذا اديت على وجه الكمال والخدمة بمقتضى السنة تصقله بازالة خبث الشهوات والاخلاق المذمومات والتوحيد افضل الاعمال الموصلة الى السعادة وفى الحديث ان الذين لا تزال السنتهم رطبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون وفى الحديث ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم كأنى انظر اليهم عند الصيحة ينفضون التراب عنهم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وعلى هذا الحديث اول المشايخ هذه الآية الكريمة والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين ولا تجعلنا من الغافلين آمين (يستفتونك) اى يطلبون منك الفتوى فى حق الكلالة (قل الله يفتيكم فى الكلالة) الافتاء تبيين المبهم وتوضيح المشكل والكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها فى الاضافة الى

قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين والمراد هنا الثانى اى الذى مات ولم يرثه احد من الوالدين ولا احد من الاولاد لما روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة اى لا يخلفنى ولد ولا والد فكيف اصنع فى مالى فنزلت (ان امرؤ هلك) استئناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله (ليس له ولد) صفة له اى ان هلك امرؤ غير ذى ولد ذكرا كان او انثى (وله اخت) عطف على قوله تعالى ليس له ولد او حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس فقط (فلها نصف ما ترك) اى بالفرض والباقى للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة (وهو) اى المرء المفروض (يرثها) اى اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه (ان لم يكن لها ولد) ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها فى الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها (فان كانتا اثنتين) عطف على الشرطية الاولى اى اثنتين فصاعدا (فلهما الثلثان مما ترك) الضمير لمن يرث بالاخوة والتأنيث والتثنية باعتبار المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين مع دلالة الف التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر فى اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما (وان كانوا) اى من يرث بطريق الاخوة (اخوة) اى مختلطة (رجالا ونساء) بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث (فللذكر) اى فللذكر منهم (مثل حظ الانثيين) يقسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل فى كتاب الله من الاحكام (روى) ان الصديق رضى الله عنه قال فى خطبته ان الآية التى انزلها الله تعالى فى سورة النساء فى الفرائض اولها فى الولد والوالد وثانيها فى الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية التى ختم بها السورة فى الاخت لابوين او لاب والآية التى ختم بها سورة الانفال انزلها فى اولى الارحام (يبين الله لكم) اى حكم الكلالة او احكامه وشرائعه التى من جملتها حكمها (ان تضلوا) اى كراهة ان تضلوا فى ذلك فهو مفعول لاجله على حذف المضاف وهو اشيع من حذف لا النافية بتقدير لئلا تضلوا (والله بكل شئ) من الاشياء التى من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم (عليم) مبالغ فى العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم والاشارة فى الآية ان الله تعالى لم يكل بيان قسمة التركات الى النبى صلى الله عليه وسلم مع انه تعالى وكل بيان اركان الاسلام من الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج اليه واحكام الشريعة وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ووكل اليه بيان القرآن العظيم وقال لتبين للناس ما نزل اليهم وتولى قسمة التركات بنفسه تعالى كما قال عليه السلام ان الله لم يرض بملك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسمة التركات واعطى كل ذى حق حقه الا فلا وصية لوارث وانما تولى قسمة التركات لان الدنيا مزينة للناس والمال محبوب الى الطباع وجبلت النفس على الشح فلو لم ينص الله تعالى على مقادير الاستحقاق وكان القسم موكولا الى النبى عليه السلام لكان الشيطان اوقع فى بعض النفوس كراهة النبى عليه الصلاة والسلام لذلك فيكون كفرا لقوله عليه السلام لا يكون احدكم مؤمنا حتى اكون اليه احب من نفسه وماله وولده والناس اجمعين كما وقع فى نفوس بعض شبان الانصار يوم حنين اذ افاء الله على رسوله اموال هوازن فطفق النبى عليه السلام يعطى رجالا من قريش المائة من الابل كل رجل منهم فقالوا يغفر الله لرسوله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث رسول الله بمقالتهم فارسل الى الانصار فجمعهم فى قبة من ادم ولم يدع معهم احدا من غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله فقال ما حديث بلغنى عنكم فقال الانصار اما ذوو آرائنا فلم يقولوا شيأ واما اناس حديثة اسنانهم فقالوا كذا وكذا للذى قالوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما اعطى رجالا حديثى عهد بكفر فأتألفهم او قال استألفهم افلا ترضون ان يذهب الناس بالاموال وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا اجل يا رسول الله قد رضينا فالنبى عليه السلام ازال ما اوقع الشيطان فى نفوسهم بهذه اللطائف فلو كان قسم التركات اليه لكان للشيطان مجال الى آخر الدنيا فى ان يوقع الشر فى نفوس الامة ولم يمكن ازالته من النفوس لتعذر الوصول الى الخلق كلهم فى حال الحياة وبعد الوفاة فتولى الله ذلك لانه بكل شئ عليم وانه بعباده غفور رحيم * بر وعلم يك ذره پوشيده نيست * كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست * فرو ماند كان را برحمت قريب * تضرع كنانرا بدعوت مجيب * ختم الكلمة بما نص على المقادير فى الميراث فضلا منه وقطعا لمواد الخصومات بين ذوى الارحام ورحمة على النسوان فى التوريث لضعفهن وعجزهن

عن الكسب واظهارا لتفضيل الذكور عليهن لنقصان عقلهن ودينهن وتبيانا للمؤمنين لئلا يضلوا بظن السوء بالنبي عليه السلام كما قال يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم كذا في التأويلات النجمية على صاحبها النفحات القدسية والبركات القدوسية

(تمت سورة النساء في اواسط جمادي الآخرة من سنة تسع وتسعين بعد الالف ويتلوها سورة المائدة وهي مائة وعشرون آية كلها مدنية الا اليوم اكملت لكم دينكم الآية فانها نزلت بعرفة عام حجة الوداع

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء يقال وفى بالعهد وفاء واوفى به ايفاء اذا اتى ما عهد به ولم يغدر والنقل الى باب افعل لا يفيد سوى المبالغة والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا ان حملنا الامر على معنى يعم الوجوب والندب واحتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية على ان من نذر صوم يوم العيد او ذبح الولد يجب عليه ان يصوم يوما يحل فيه الصوم ويذبح ما يحل ان يتقرب بذبحه لانه عهد والزم نفسه ذلك فوجب عليه الوفاء بما صح الوفاء به واحتج بها ايضا على حرمة الجمع بين الطلقات لان النكاح من العقود فوجب ان يحرم رفعه لقوله تعالى اوفوا بالعقود وقد ترك العمل بعمومه في حق الطلقة الواحدة بالاجماع فبقي فيما عداها على الاصل وفي الحديث ما ظهر الغلول في قوم الا ألقى الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنى في قوم الا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد الا سلط الله عليهم العدو * هركه اونيك ميكند يابد * نيك وبد هرچه ميكند يابد * ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بان يوفوا بجميع ما اوجبه عليهم من التكاليف شرع في ذكر التكاليف مفصلة فبدأ بذكر ما يحل ويحرم من المطعومات فقال عز وجل من قائل (احلت لكم بهيمة الانعام) البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اى احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز وذكر كل واحد من هذه الانواع الاربعة زوج بانثاه وانثاه زوج بذكره فكان جميع الازواج ثمانية بهذا الاعتبار من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين على التفصيل المذكور في سورة الانعام فالبهيمة اعم من الانعام لان الانعام لا تتناول غير الانواع الاربعة من ذوات الاربع والحق بالانعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما (الا ما يتلى عليكم) استثناء من بهيمة الانعام بتقدير المضاف اى الا محرم ما يتلى عليكم اى الا الذى حرمه المتلو من القرآن من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة بعد هذه الآية او بتقدير نائب الفاعل اى الا ما يتلى عليكم فيه آية كريمة (غير محلى الصيد) الصيد بمعنى المصدر اى الاصطياد في البر او المفعول اى اكل صيده بمعنى مصيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شائع في الكتاب والسنة (وانتم حرم) اى محرمون حال من الضمير في محلى والحرم جمع حرام بمعنى محرم يقال احرم فلان اذا دخل في الحرم او في الاحرام وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كأنه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها (ان الله يحكم ما يريد) من تحليل وتحريم على ما توجبه الحكمة ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم المحللات والاشارة في الآية اوفوا بالعقود التي جرت بيننا يوم الميثاق وعلى عهود العشاق وعقودهم على بذل وجودهم لنيل مقصودهم عاقدوا على عهد يحبهم ويحبونه ولا يحبون دونه فالوفاء بالعهد الصبر على الجفاء والجهد فمن صبر على عهوده فقد فاز بمقصوده عند بذل وجوده احلت لكم بهيمة الانعام اى ذبح بهيمة النفس التي هي كالانعام في طلب المرام الا ما يتلى عليكم غير محل الصيد وانتم حرم يعنى الا النفس المطمئنة اذ تليت عليها ارجعي الى ربك فانها تنفرت من الدنيا وما فيها فانها كالصيد في الحرم وانتم حرم بالتوجه الى كعبة الوصال باحرام الشوق الى حضرة الجمال والجلال متجردين عن كل مرغوب ومرهوب منفردين من كل مطلوب

ومحبوب ان الله يحكم بذبح النفس اذا كانت موصوفة بصفة البهيمة ترتع فى مراتع الحيوان السفلية ويحكم بترك ذبحها ويخاطبها بالرجوع الى حضرة الربوبية عند اطمئنانها مع ذكر الحق واتصافها بالصفات الملكية العلوية ماير يد كما يريد كذا فى التأويلات النجمية (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) نزلت فى الحطيم واسمه شريح بن ضبيعة البكرى اتى المدينة من اليمامة وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له الى م تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لى امراء لا اقطع امرا دونهم لعلى اسلم وآتى بهم وقد كان النبى عليه السلام قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان ثم خرج شريح من عنده فقال عليه السلام لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه فانطلق فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام المقبل خرج حاجا فى حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدى فقال المسلمون للنبى عليه السلام هذا الحطيم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبى عليه السلام انه قد قلد الهدى فقالوا يا رسول الله هذا شئ كنا نفعله فى الجاهلية فابى النبى عليه السلام فأنزل الله هذه الآية وكان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك والشعائر جمع شعيرة وهى اسم لما اشعر اى جعل شعارا اى علما للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والافعال التى هى علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعى والحلق والنحر والمعنى لا تتهاونوا بحرمتها ولا تقطعوا اعمال من يحج بيت الله ويعظم مواقف الحج (ولا الشهر الحرام) اى ولا تستحلوا القتل والغارة فى الشهر الحرام وهو شهر الحج والاشهر الاربعة الحرم وهى ذو العقدة وذو الحجة والمحرم ورجب والافراد لارادة الجنس (ولا الهدى) بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدى الى الكعبة من ابل او بقر او شاة تقربا الى الله تعالى جمع هدية (ولا القلائد) اى ذوات القلائد من الهدى بتقدير المضاف وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى اى ولا تحلوا ذوات القلائد منها خصوصا وهى جمع قلادة وهى ما يشد على عنق البعير وغيره من نعل او لحاء شجرة او غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له (ولا آمين البيت الحرام) اى ولا تحلوا قوما قاصدين زيارة الكعبة بان تصدوهم عن ذلك باى وجه كان (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) حال من المستكن فى آمين اى قاصدين زيارته حال كونهم طالبين الرزق بالتجارة والرضوان اى على زعمهم لان الكافر لا نصيب له فى الرضوان اى رضى الله تعالى ما لم يسلم قال فى الارشاد انهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد فى كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم من المكاره العاجلة لاسيما فى ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره انتهى وهذه الآية الى ههنا منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يأمن كافر بالهدى والقلائد قال الشعبى لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية (واذا حللتم فاصطادوا) تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كأنه قيل واذا حللتم من الاحرام فلا جناح عليكم فى الاصطياد (ولا يجرمنكم) يقال جرمنى فلان على ان صنعت كذا اى حملنى والمعنى لا يحملنكم (شنآن قوم) اى شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر شنئت اضيف الى المفعول او الفاعل فالمعنى على الاول بغضكم لبعض لحذف الفاعل وعلى الثانى بغض قوم اياكم لحذف المفعول (ان صدوكم عن المسجد الحرام) اى لان منعوكم عن زيارته والطواف به للعمرة عام الحديبية (ان تعتدوا) ثانى مفعولى يجرمنكم اى لا يحملنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام على اعتدائكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفى (وتعاونوا) اى ليعن بعضكم بعضا (على البر والتقوى) اى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) اى لا يعن بعضكم بعضا على شئ من المعاصى والظلم للتشفى والانتقام وليس للناس ان يعين بعضهم بعضا على العدوان حتى اذا تعدى واحد منهم على الآخر تعدى ذلك الآخر عليه لكن الواجب ان يعين بعضهم بعضا على ما فيه البر والتقوى واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا الحذف منه احدى التاءين تخفيفا وانما اخر النهى عن الامر مع تقدم التخلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات

فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس (واتقوا الله) فى جميع الامور التى من جملتها مخالفة ماذكر من الاوامر والنواهى فثبت وجوب الاتقاء فيهما بالطريق البرهانى (ان الله شديد العقاب) فانتقامه اشد لمن لا يتقيه واعلم ان شعائر الله فى الحقيقة هى مناسك الوصول الى الله وهى معالم الدين والشريعة ومراسم آداب الطريقة باشارة ارباب الحقيقة فان حقيقة البر هو التفرد للحق وحقيقة التقوى هو الخروج عما سوى الله تعالى فالوصول لا يمكن الا بهما لكنهما خطوتان لا يمكن للمريد الصادق ان يتخطى بهما الا بمعاونة شيخ كامل مكمل واصل موصل فانه دليل هذا الطريق (قال الحافظ) بكوى عشق منه بى دليل راه قدم * كه من بخويش نمودم صد اهتمام ونشد * (وقال ايضا) شبان وادئ ايمن كهى رسد بمراد * كه چندسال بجان خدمت شعيب كند * وفى الآية اشارة الى تعظيم ما عظمه الله من الزمان والمكان والاخوان وقد فضل الاشهر والايام والاوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والامم بعضها على بعض لتتسارع القلوب الى احترامها وتتشوق الارواح الى احيائها بالتعبد فيها وترغب الخلق فى فضائلها وفضل الامكنة بعضها على بعض ليعظم الاجر بالاقامة فيها وخلق الله الناس سعيدا وشقيا والعبرة بالخاتمة وكل مخلوق من حيث انه مخلوق الله حسن حتى انه ينبغى ان يكون النظر الى الكافر من حيث انه مخلوق الله لا من حيث كفره وان لم يرض بكفره فعلى الناظر بنظر التوحيد ان يحسن النظر ولا يحقر احدا من خلق الله ولا يشتغل بالعداوة والبغضاء (قال السعدى) دلم خانهٔ مهر يارست وبس * ازان مى نكنجد درو كين كس * ومن كلمات اسد الله كرم الله وجهه العداوة شغل يعنى من اشتغل بالعداوة ينقطع عن الاشتغال بالامور المفيدة النافعة لان القلب لا يسع الاشتغالين المتضادين * هركه پيشه كند عداوت خلق * ازهمه چيزها جدا كردد * كه دلش خستهٔ عنا باشد * كه تنش بستهٔ بلا كردد * وكان صلى الله عليه وسلم موصوفا بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال فعليك ان تقتدى به ولما مدح الله الانبياء عليهم السلام ووصف كل نبى بصفة قال له تعالى فبهداهم اقتده ففعل فصار مستجمعا لكمال خصال الخير وكان كل واحد منهم مخصوصا بخصلة مثل نوح بالشكر وابراهيم بالحلم وموسى بالاخلاص واسماعيل بصدق الوعد ويعقوب وايوب بالصبر وداود بالاعتذار وسليمان بالتواضع وعيسى بالزهد فلما اقتدى بهم اجتمع له الكل فانت أيها المؤمن من امة ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فاتق الله واستحى من رسول الله كى تنجو من العقاب الشديد والعذاب المديد وتظفر بالخلد الباقى والنعيم المقيم وتنال ما نال اليه ذو القلب السليم (حرمت عليكم الميتة) اى تناولها فان التحليل والتحريم انما يتعلقان بالافعال دون الاعيان والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح (والدم) اى الدم المسفوح اى المصبوب كالدماء التى فى العروق لا الكبد والطحال وكان اهل الجاهلية يصبونها فى امعاء ويشوونها ويقولون لم يحرم من فزدله اى من فصدله (ولحم الخنزير) لعينه لا لكونه ميتة حتى لا يحل تناوله مع وجود الذكاة فيه وفائدة تخصيص لحم الخنزير بالذكر دون لحم الكلب وسائر السباع ان كثيرا من الكفار الفوا لحم الخنزير فخص بهذا الحكم وذلك ان سائر الحيوانات المحرم اكلها اذا ذبحت كان لحمها طاهرا لا يفسد الماء اذا وقع فيه وان لم يحل اكله بخلاف لحم الخنزير قال فى التنوير وليس الكلب بنجس العين قال العلماء الغذاء يصير جزأ من جوهر المغتذى ولا بد وان يحصل للمغتذى اخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا فى الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة فى المشتهيات فحرم اكله على الانسان لئلا يتكيف بتلك الكيفية ومن جملة خبائث الخنزير انه عديم الغيرة فانه يرى الذكر من الخنازير ينزو على انثى له ولا يتعرض له لعدم غيرته فاكل لحمه يورث عدم الغيرة (وما اهل لغير الله به) اى رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى قال الفقهاء ولو سمى الذابح النبى عليه السلام مع الله فقال باسم الله ومحمد حرمت الذبيحة وفى الحديث لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله قال النووى المراد به الذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم او لموسى او لغيرهما ذكر الشيخ الماوردى ان ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارى بتحريمه لانه مما اهل به لغير الله وقال الرافعى هذا غير محرم لانهم انما يذبحونه استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم كذا فى شرح المشارق لابن ملك (والمنخنقة) اى التى

ماتت بالخنق وهو احتباس النفس بسبب انعصار الحلق واكل المنخنقة حرام سوآء حصل اختناقها بفعل آدمي اولا مثل ان يتفق ان تدخل البهيمة رأسها بين عودين من شجرة فتختنق فتموت وكان اهل الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها وهذه المنخنقة من جنس الميتة لانها ماتت من غير تذكية (والموقوذة) المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته قال قتادة كانوا يضربونها بالعصى فاذا ماتت اكلوها وهي في معنى المنخنقة ايضا لانها ماتت ولم يسل دمها (والمتردية) التي تردت من مكان عال او في بئر فماتت قبل الذكاة والتردي هو السقوط مأخوذ من الردى وهو الهلاك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم اذا ترديت رميتك من جبل فوقعت في ماء فلا تأكل فانك لا تدري اسهمك قتلها ام الماء فصار هذا الكلام اصلا في كل موضع اجتمع فيه معنيان احدهما حاظر والآخر مبيح انه يغلب جهة الحظر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهة فدع ما يريبك الى ما لا يريبك ألا وان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وعن عمر رضي الله عنه انه قال كاندع تسعة اعشار الحلال مخافة الربا (والنطيحة) التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وهو بالفارسية سروزدن والتاء في هذه الكلمات الاربع لنقلها من الوصفية الى الاسمية وكل ما لحقته هذه التاء يستوي فيه المذكر والمؤنث وقيل التاء فيها لكونها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كأنه قيل حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة وخصت الشاة بالذكر لكونها اعم ما يأكله الناس والكلام يخرج على الاعم الاغلب ويكون المراد الكل (وما اكل السبع) اى وما أكل منه السبع فمات وكان اهل الجاهلية يأكلونه والسبع اسم يقع على ماله ناب ويعدو على الانسان والدواب ويفترسها كالاسد وما دونه وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل (الا ما ذكيتم) اى الا ما ادركتم ذكاته من هذه الاشياء وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح فانه يحل لكم فاما ما صار بجرح السبع الى حالة المذبوح فهو في حكم الميتة فلا يكون حلالا وان ذبحته وكذلك المتردية والنطيحة اذا ادركتها حية قبل ان تصير الى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالا ولو رمى الى صيد في الهوآء واصابه فسقط على الارض ومات كان حلالا لان الوقوع على الارض من ضرورته وان سقط على جبل او شجر ثم تردى منه فمات فلا يحل وهو من المتردية الا ان يكون السهم اصاب مذبحه في الهوآء فيحل كيف ما وقع لان الذبح قد حصل باصابة السهم المذبح واما ما ابين من الصيد قبل الذكاة فهو ميتة والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمرى وهو اسم لما اتصل بالحلقوم وهو الذي يجرى فيه الطعام والشراب واقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع الحلقوم والمرى وكماله ان يقطع الودجان معهما ويجوز بكل محدد من حديد او قصب او زجاج او حجر او نحوها فان جمهور العلماء على ان كل ما افرى الاوداج وانهر الدم فهو من آلات الذكاة ما خلا السن والظفر والعظم ما لم يكن السن والظفر منزوعين لان الذبح بهما يكون خنقا واما المنزوعان منهما اذا افريا الاوداج فالذكاة جائزة بهما عندهم والذكاة الذبح التام الذي يجوز معه الاكل ولا يحرم لان اصل الذكاة اتمام الشيء ومنه الذكاء في الفهم اذا كان تام العقل وفي الحديث الذكاة ما بين اللبة واللحيين فعلى هذا اللحم القديد الذي يجيء الى دار الاسلام من دار الفلاق لا يجوز اكله لانهم يضربون رأس البقر ونحوه بفأس ومثله فيموت فلا توجد الذكاة (وما ذبح على النصب) النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة قال الامام من الناس من قال النصب هي الاوثان وهذا بعيد لان هذا معطوف على قوله وما اهل لغير الله به وذلك هو الذبح على اسم الاوثان ومن حق المعطوف ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وقال ابن جريج النصب ليست باصنام فان الاصنام احجار مصورة منقوشة وهذه النصب احجار كانوا نصبوها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للاصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويضعون اللحوم عليها فقال المسلمون يا رسول الله كان اهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ونحن احق ان نعظمه وكان عليه السلام لم يكره ذلك فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الى هنا كلام الامام (وان تستقسموا بالازلام) جمع زلم وهو القدح اى وحرم عليكم الاستقسام بالقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة قداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل اى خال عن الكتابة فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بواسطة

ضرب القداح وقيل هو استقسام الجزور بالقداح على الانصباء المعلومة اى طلب معرفة كيفية قسمة الجزور وقد تقدم تفصيله عند تفسير قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر فى سورة البقرة (ذلكم) اشارة الى الاستقسام بالازلام (فسق) اى تمرد وخروج عن الحدود دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربى وشرك وجهالة ان كان هو الصنم فظاهر هذه الآية يقتضى ان العمل على قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج من اجل نجم كذا فسق لان ذلك دخول فى علم الغيب ولا يعلم الغيب الا الله كذا فى تفسير الحدادى واعلم ان استعلام الغيب بالطريق الغير المشروع كاستعلام الخير والشر من الكهنة والمنجمين منهى عنه بخلاف استعلام الغيب بالاستخارة بالقرآن وبصلاة الاستخارة ودعائها وبالنظر والرياضة لانه استعلام بالطريق المشروع وان طلب ما قسم له من الخير ليس منهيا عنه مطلقا بل المنهى عنه هو الاستقسام بالازلام وفى الحديث العيافة والطرق والطيرة من الجبت والمراد بالطرق الضرب بالحصى وفى الحديث من تكهن او استقسم او تطير طيرة ترده من سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة (اليوم) اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية ونظيره قولك كنت بالامس شابا واليوم قد صرت شيخا فانك لا تريد بالامس اليوم الذى قبل يومك ولا باليوم اليوم الذى انت فيه وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة يوم عرفة حجة الوداع والنبى عليه السلام واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واياما كانت فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى (يئس الذين كفروا من دينكم) اى من ابطالكم اياه ورجوعكم عنه بان تحللوا هذه الخبائث بعد ان جعلها الله محرمة او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى (فلا تخشوهم) اى من ان يظهروا عليكم (واخشون) واخلصوا الى الخشية (اليوم اكملت لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد (واتممت عليكم نعمتى) بالهداية والتوفيق او باكمال الدين والشرائع او بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهى عن حج المشركين وطواف العريان (ورضيت لكم الاسلام دينا) اى اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير ولله دينا نصب حالا من الاسلام ويجوز ان يكون رضيت بمعنى صيرت فقوله دينا مفعول ثان له قال جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول قال جبريل عليه السلام قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية فى كتابكم تقرأونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اى آية قال اليوم اكملت الخ قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى عليه السلام وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا قال ابن عباس رضى الله عنه كان ذلك اليوم خمسة اعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس ولم تجتمع اعياد اهل الملل فى يوم قبله ولا بعده (وروى) انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله عنه فقال النبى عليه السلام ما يبكيك يا عمر قال ابكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاذا اكمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية تنعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وقيل توفى يوم الثانى عشر من شهر ربيع الاول وكانت هجرته فى الثانى عشر منه (قال السعدى) جهان اى برادر نماند بكس * دل اندر جهان آفرين بند و بس * جهان اى پسر ملك جاويد نيست * ز دنيا وفادارى اميد نيست * منه دل برين سال خورده مكان * كه گنبد نپايد برو گردكان (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات (فى مخمصة) اى مجاعة يخاف منها الموت او مباديه (غير متجانف لاثم) حال من فاعل الجواب المحذوف اى فليتناول مما حرم غير مائل ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينتزعها من مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد (فان الله غفور رحيم) لا يؤاخذه باكلها وهو تعليل للجواب المقدر (وروى) ان رجلا قال يا رسول الله

انا نكون بارض فتصيبنا المخمصة فمتى تحل لنا الميتة فقال مالم تصطبحوا اوتغتبقوا اوتحتفوا بها بقلا فشانكم بها ومن امتنع من الميتة حال المخمصة اوصام ولم يأكل حتى مات اثم بخلاف من امتنع من التداوى حتى مات فانه لا يأثم لانه لا يقين بان هذا الدوآء يشفيه ولعله يصح من غير علاج والاشارة فى الآيات ان ظاهرها خطاب لاهل الدنيا والآخرة وباطنها عتاب لاهل الله وخاصته حرمت عليكم يا أهل الحق الميتة وهى الدنيا باسرها (قال فى المثنوى) درجهان مرده شان آرام نيست * كين علف جز لايق انعام نيست * والدم ولحم الخنزير يعنى حلالها وحرامها قليلها وكثيرها وذلك لان من الدم ماهو حلال والخنزير كله حرام والدم بالنسبة الى اللحم قليل واللحم بالنسبة الى الدم كثير وما اهل لغير الله به يعنى كل طاعة وعبادة وقرآءة ودراسة ورواية تظهرون به لغير الله والمنخنقة والموقوذة يعنى الذين يخنقون نفوسهم بالمجاهدات ويقذونها بانواع الرياضات بنهيها عن المرادات وزجرها عن المخالفات للرياء والسمعة والمتردية والنطيحة الذين يردون نفوسهم من اعلى عليين الى اسفل سافلين بالتناطح مع الاقران والمماراة مع الاخوان والتفاخر بالعلم والزهد بين الاخدان وفى قوله وما اكل السبع الا ما ذكيتم اشارة الى انه فيما تحتاجون اليه من القوت الضرورى كونوا محترزين من اكيلة السباع وهم الظلمة الذين يتهاوشون فى جيفة الدنيا تهاوش الكلاب ويتجاذبونها بمخالب الاطماع الفاسدة الا ما ذكيتم بكسب حلال ووجه صالح بقدر ضرورة الحال وما ذبح على النصب يشير الى ما ذبح عليه النفس بانواع الجد والاجتهاد من المطالب الدنيوية والاخروية وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق يعنى لا تكونوا مترددين متفئلين فى طلب المرام مبتغين لحصول المقصود متهاونين فى بذل الوجود فاذا انتهيتم عن هذه المناهى وتخلصتم من هذه الدواهى واخلصتم لله فى الله بالله وخرجتم من سجن الانانية وسجين الانسانية بالجذبات الربانية فقد عادت ليلتكم نهارا وظلمتكم انوارا اليوم يئس الذين كفروا من النفس وصفاتها والدنيا وشهواتها من دينكم وتيقنوا ان ما بقى لكم الرجوع الى ملتهم ولا الصلاة الى قبلتهم فلا تخشوهم فانكم خلصتم من شبكة مكايدهم ونجوتم من عقد مصايدهم واخشونى فان كيدى متين وصيدى مهين وبطشى شديد وحبسى مديد اليوم اشارة الى الازل اكملت لكم دينكم اى جعلت الكمالية فى الدين من الازل نصيبا لكم من جميع اهل الملل والاديان واتممت عليكم نعمتى التى انعمت بها عليكم فى الازل من الكمالية الآن باظهار دينكم على الاديان كلها فى الظاهر واما فى الحقيقة فسيجيئ شرحه ورضيت لكم الاسلام دينا تستكملون به الى الابد بحيث من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وذلك لان حقيقة الدين هى سلوك سبيل الله بقدم الخروج من الوجود المجازى للوصول الى الوجود الحقيقى والانسان مخصوص به من سائر الموجودات ولهذه الامة اختصاص بالكمالية فى السلوك من سائر الامم فالدين من عهد آدم عليه السلام كان فى التكامل بسلوك الانبياء سبيل الحق الى عهد النبى عليه الصلاة والسلام فكل نبى سلك فى الدين مسلكا ازله بقربه من مقامات القرب ولكن ما خرج احد منهم بالكلية من الوجود المجازى للوصول الى الوجود الحقيقى بالكمال فقيل للنبى عليه السلام اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فسلك النبى جميع المسالك التى سلكها الانبياء باجمعهم فلم يتحقق له الخروج ايضا بقدم السلوك من الوجود المجازى بالكلية حتى تداركته العناية الازلية لاختصاصه بالمحبوبية بجذبات الربوبية واخرجته من الوجود المجازى ليلة اسرى بعد ما عبر به على الانبياء كلهم وبلغ فى القرب الى الكمالية فى الدنو وهو سر اوادنى فاستسعد سعادة الوصول الى الوجود الحقيقى فى سر فاوحى الى عبده ما اوحى وفى الحقيقة قيل له فى تلك الحالة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ولكن فى حجة الوداع فى يوم عرفة عند وقوفه بعرفات اظهر على الامة عند اظهاره على الاديان كلها وظهور كمالية الدين بنزول الفرآئض والاحكام بالتمام فقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ويدل على هذا التأويل ما روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل ابتنى بيوتا فاحسنها واجملها واكملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بناؤها قال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانا اللبنة متفق على صحته فصح ما قرر من مقامات الانبياء وتكامل الدين بهم وكماليته بالنبى عليه السلام وبخروجه من الوجود المجازى بالكلية وان الانبياء لم يخرجوا

منه بالكلية ويدل على هذا المعنى ايضا ان الانبياء كلهم يوم القيامة يقولون نفسي نفسي لبقية الوجود والنبي عليه السلام امتي امتي لفناء الوجود فافهم جدا ومن كرامة هذه الامة اشتراكهم في كمالية الدين مع النبي بمتابعته وقال واتممت عليكم نعمتي وهي اسباب تحصيل الكمال ومعظمها بعثة النبي عليه الصلاة والسلام ورضيت لكم الاسلام دينا وهو استسلام الوجود المجازي الى النبي وخلفائه بعده ليطرح عليه اكسير المتابعة فيبدل الوجود المجازي المحبي بالوجود الحقيقي المحبوبي كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم يعني ويغفر بالوجود الحقيقي ذنوب الوجود المجازي فافهم جدا وتنبه فمن اضطر في مخمصة يعني فمن ابتلي بالتفاته الى شئ من الدنيا والآخرة مضطرا اليه في غاية الاضطرار والابتلاء لسر التربية غير متجانف لاثم يعني غير مائل اليه للاعراض عن الحق ولكن من فترة تقع للصادقين او وقفة تكون للسالكين ثم يتدارکونها بصدق الالتجاء الى الحق وارواح المشايخ والاستعانة بهم وطلب الاستغفار من ولاية البنين واعانتهم فان الله غفور لما ابتلاهم به رحيم بان يهديهم الى الصراط المستقيم باقامة الدين القويم كذا في التأويلات النجمية (يسألونك ماذا احل لهم) ما للاستفهام وذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي احل لهم من المطاعم ان قلت مفعول يسأل انما يكون مفردا فكيف وقع على الجملة قلت لتضمن السؤال معنى القول (قل احل لكم الطيبات) اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر منه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث والطيب في اللغة المستلذ المشتهى فالتقدير كل ما يستلذ ويشتهى والعبرة في الاستلذاذ والاستطابة باهل المروءة والاخلاق الجميلة فان اهل البادية يستطيبون اكل جميع الحيوانات كذا قال الامام في تفسيره (وما علمتم) عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اي وصيد ما علمتموه (من الجوارح) حال من الموصول جمع جارحة بمعنى كاسبة قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار وجوارح الانسان اعضاؤه التي يكتسب بها ويحتمل ان يكون من الجرح بمعنى تفريق الاتصال فان الجوارح تجرح الصيد غالبا والمراد بالجوارح في الآية كل ما يكسب الصيد على اهله من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب ومن سباع الطير كالصقر والبازي والعقاب والنسر والباشق والشاهين ونحوها مما يقبل التعليم فان صيد جميعها حلال (مكلبين) اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد ومضريها عليه مشتق من الكلب وذكر الكلب لكونه اقبل للصيد والتأديب فيه وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم فان قلت يلزم ان يكون المعنى وصيد ما علمتم معلمين ولا فائدة قلت فائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه فكأنه قيل وما علمتم ماهرين في تعليم الجوارح حاذقين فيه مشتهرين به (تعلمونهن) حال ثانية (مما علمكم الله) من الحيل وطرق التعليم والتأديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وان ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه قال صاحب الكشاف قوله تعالى تعلمونهن مما علمكم الله فيه تنبيه على ان كل من يأخذ علما ينبغي ان يأخذه ممن هو متبحر في ذلك العلم غواص في بحار لطائفه وحقائقه وان احتاج في ذلك الى ارتكاب سفر بعيد قال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين فكم من آخذ من غير متقن ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله (فكلوا مما امسكن عليكم) من تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وما موصولة حذف عائدها وعلى متعلقة بامسكن اي فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم يأكلن منه واما ما اكلن منه فهو مما امسكن على انفسهن لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسكه على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم ومنهم ابو حنيفة يؤكل مما بقي من جوارح الطير ولا يؤكل مما بقي من الكلب والفرق انه يمكن ان يؤدب الكلب على الاكل بالضرب ولا يؤدب البازي على الاكل (واذكروا اسم الله عليه) الضمير لما في ما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما في ما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكاته وعن ابي ثعلبة قال قلت يا نبي الله انا بأرض قوم اهل كتاب افنأكل في آنيتهم وبأرض صيد اصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال اما ما ذكرت من آنية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل وعن انس

رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يضحى بكبشين املحين اقرنين يطأ على صفاحهما ويذبحهما
بيده ويقول بسم الله والله اكبر كذا فى تفسير البغوى والمستحب ان يقول بسم الله الله اكبر بلا واو لان ذكر الواو
يقطع فور التسمية كما فى شرح مختصر الوقاية وكره ترك التوجه الى القبلة وحلت كذا فى الذخيرة ومتروك التسمية
عمدا حرام لانه ميتة بخلاف متروكها نسيانا فانه حلال (واتقوا الله) فى شأن محرماته (ان الله سريع الحساب)
سريع اتيان حسابه اوسريع تمامه اذا شرع فيه يتم فى اقرب مايكون من الزمان والمعنى على التقدير بن انه
يؤاخذكم سريعا فى كل ما جل ودق ودلت الآية على اباحة الصيد قال فى الاشباه الصيد مباح الا للتلهى اوحرفة
كذا فى البزازية وعلى هذا فاتخاذه حرفة كصيادى السمك حرام (يحكى) عن ابراهيم بن ادهم انه قال كان ابى
من ملوك خراسان فركبت الى الصيد فاثرت ارنبا اذهتف بى هاتف يا ابراهيم الهذا خلقت ام بهذا امرت
ففزعت ودفعت ثم اخذت ففعلت ثانيا ثم هتف بى هاتف من قربوس السرج والله مالهذا خلقت ولا بهذا امرت
فنزلت فصادفت راعى ابى ولبست جبته وتوجهت الى مكة ولما نزلت هذه الآية اذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها ونهى عن اقتناء ما لا ينتفع بها وامر بقتل الكلب العقور وما يضر ويؤذى
ورفع عما سواها مما لا ضرر فيه وفى الحديث من اتخذ كلبا الا كلب ماشية اوصيد اوزرع انتقص من اجره كل
يوم قيراط والحكمة فى ذلك انه ينبح الضيف ويروع السائل كذا فى تفسير الحدادى وفى الحديث لا تدخل
الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب والمراد بالملائكة ملائكة الرحمة والاستغفار أى النازلون بالبركة
والرحمة والطائفون على العباد للزيارة واستماع الذكر لا الكتبة فانهم لا يفارقون المكلفين طرفة عين والمراد
بالصورة صورة ذى الروح لمشابهته بيوت الاصنام وبعض الصور يعبد فابغض الاشياء الى الخواص ما عصى
الله به واما الكلب فلانه نجس فاشبه المتبرز وزاد فى بعض الاحاديث ولا جنب الا ان يتوضأ قال فى الترغيب
والترهيب ورخص للجنب اذا نام او اكل اوشرب ان يتوضأ ثم قيل هذا فى حق كل من اخر الغسل لغير عذر
ولعذر اذا امكنه الوضوء فلم يتوضأ وقيل هو الذى يؤخره تهاونا وكسلا ويتخذ ذلك عادة انتهى قال فى الشرعة
وشرحه الابن السيد على ولا ينام بعد الوطئ نومة خفيفة فانه اروح للنفس لكن السنة فيه ان يتوضأ اولا وضوءه
للصلاة ثم ينام وكذا اذا اراد الاكل جنبا ولو اراد العود فليتوضأ والمراد به التنظف بغسل الذكر واليدين
لا الوضوء الشرعى كما ذهب اليه بعض المالكية والاشارة فى الآية ان ارباب الطلب واصحاب السلوك يسألونك
ماذا احل لهم اوحرم عليهم من الدنيا والآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا حرام على اهل الآخرة والآخرة
حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله تعالى قل احل لكم الطيبات وهى ما لا يقطع عليكم طريق
الوصول الى الله فان الله طيب لا يقبل الا الطيب وكل مأكول ومشروب وملبوس ومقول ومعقول ومعمول
طلبتموه بحظ من الحظوظ فقد لوثتموه للوث داعى الوجود فهو من الخبيثات لا يصلح الا للخبيثين وما طلبتموه
بالحق للقيام باداء الحقوق مطيبا بنفحات الشهود فهو من الطيبات لا يصلح الا للطيبين وفى قوله ان الله سريع
الحساب اشارة الى انه تعالى يحاسب العباد على اعمالهم قبل ان يفرغوا منها ويجازيهم فى الحال بالاحسان
احسان القربة ورفعة الدرجة وجذبة العناية وبالاساءة اساءة البعد والطرد الى السفل والخذلان (ونعم ما قيل)
هركه كند بخود كند ورهمه نيك وبد كند (قال الصائب) جرا زغير شكايت كنم كه همجو حباب * هميشه
خانه خراب هواى خويشتنم (اليوم) اراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية او يوم
النزول (احل لكم الطيبات) وهى ما لم تستخبثه الطباع السليمة وهى طباع اهل المروءة والاخلاق الجميلة
اوما لم يدل نص شارع ولا قياس مجتهد على حرمته (وطعام الذين اوتوا الكتاب) اى اليهود والنصارى والمراد
بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها (حل لكم) اى حلال وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب
فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ أبو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده
وقال صاحباه هما صنفان صنف يقرأون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرأون كتابا ويعبدون النجوم
فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب فى اخذ الجزية منهم دون اكل
ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم
ولو ذبح يهودى اونصرانى على اسم غير الله كالنصرانى يذبح باسم المسيح فذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل

فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم مايقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي او النصراني فذكر اسم غير الله وانت تسمع فلا تأكله واذا غاب عنك فكل فقد أحل الله لك (وطعامكم حل لهم) فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك (والمحصنات من المؤمنات) رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة ماتقدم عليه اى حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر والعفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ماهو الاولى لالنفى ماعداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابى حنيفة خلافا للشافعى (والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) اى هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضى الله عنه لاتحل الحربيات قال الحدادى واستدل بعض الفقهاء بظاهر الآية على انه لايجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية والصحيح انه يجوز بظاهر قوله تعالى باذن اهلهن بدليل حل ذبائحهن وانما خص الله المحصنات باباحة نكاحهن مع جواز نكاح غيرهن لان الآية خرجت مخرج الامتنان والمنة فى نكاح الحرائر العفائف اعظم واتم يدل على ذلك انه لاخلاف فى جواز النكاح بين المسلم والامة المؤمنة وان كان فى الآية تخصيص المحصنات من المؤمنات والافضل لمن اراد النكاح ان لايعدل عن نكاح الحرائر الكتابيات مع القدرة عليهن وذلك ان نكاح الامة يؤدى الى ارقاق الولد لان الولد يتبع امه فى الرق والحرية ولاينبغى لأحد أن يختار رق ولده كما لاينبغى ان يختار رق نفسه (اذا آتيتموهن اجورهن) اى مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى واذا ظرفية عاملها حل المحذوف (محصنين) حال من فاعل آتيتموهن اى حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله (غير مسافحين) اى غير مجاهرين بالزنى (ولا متخذى اخدان) اى ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى قال الشعبى الزنى ضربان السفاح وهو الزنى على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنى فى السر والله تعالى حرمهما فى هذه الآية واباح التمتع بالمرأة على جهة الاحصان (ومن يكفر بالايمان) اى ومن ينكر شرائع الاسلام التى من جملتها مابين ههنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها (فقد حبط عمله) اى بطل عمله الصالح الذى عمله قبل ذلك (وهو فى الآخرة من الخاسرين) هو مبتدأ من الخاسرين خبره وفى متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق قال الحدادى فقد بطل ثواب عمله وهو فى الآخرة من المغبونين غبن نفسه ومنزله وصار الى النار لايغنى عن المرأة الكتابية اسلام زوجها ولاينفعها ذلك ولايضر المسلم كفر زوجته الكتابية (قال السعدى) برقتند وهركس درود آنچه كشت * نماند بجز نام نيكو وزشت * واعلم ان الكفر اقبح القبائح كما ان الايمان احسن المحاسن وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا وعن كعب الاحبار ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما من بين اولاده وقال اوصيك باثنتين وانهاك عن اثنتين فاما الاوليان فاحداهما شهادة ان لا اله الا الله فانها تخرق السموات السبع ولا يحجبها شئ ولو وضعت السموات والارض ومافيهن فى كفة ووضعت هى فى الاخرى لرجحت واما الثانية فان تكثر من قول سبحان الله والحمد لله فانها جامعة للثواب واما الاخريان فالشرك بالله والاتكال على غير الله قال القاضى عياض انعقد الاجماع على ان الكفار لاتنفعهم اعمالهم ولايثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم يكون اشد من بعض بحسب جرائمهم واما حسناتهم فمقبولة بعد اسلامهم على ماورد فى الحديث قال فى نصاب الاحتساب مايكون كفرا بلاخلاف يوجب احباط العمل ويلزمه اعادة الحج ان كان قد حج ويكون وطؤه مع امرأته حراما والولد المتولد فى هذه الحالة يكون ولد الزنى وان كان اتى بكلمة الشهادة بعد ذلك اذا كان الاتيان على وجه العادة ولم يرجع عما قال لان الاتيان بكلمة الشهادة على وجه العادة لايرفع الكفر وما كان فى كونه كفرا اختلاف فان قائله يؤمر بتجديد النكاح والتوبة والرجوع عن ذلك بطريق الاحتياط واما ما كان خطأ من الالفاظ ولايوجب الكفر فقائله مؤمن على حاله ولايؤمر بتجديد النكاح ويؤمر بالاستغفار والرجوع عن ذلك انتهى كلام النصاب والرجل والمرأة فى ذلك سواء حتى لو تكلمت المرأة بما يكون كفرا تبين من زوجها فعلى العبد الصالح ان يختار من النساء صالحة عفيفة متقية قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره لاتعطى الولاية لولد الزنى قال وأشكر الله تعالى على ان جعلنى اول ولد ولدته امى فانه ابعد من ان يصدر ألفاظ الكفر من احد ابوى قال

وارثه الاكبر الشيخ الشهير بالهدايى قدس سره قلت والفقير كذلك والاشارة فى الآية احل لكم يا ارباب الحقيقة فى اليوم الذى قدر كمالية الدين فيه لكم فى الازل جميع الطيبات التى تتعلق بسعادة الدارين بل احل لكم التخلق بالاخلاق الطيبات وهى اخلاق الله المنزهات عن الكميات والكيفيات المبرءآت من النقائص والشبهات وطعام الذين اوتوا الكتاب وفى الحقيقة هم الانبياء عليهم السلام حل لكم اى غذيتم بلبان الولاية كما غذوا بلبان النبوة من حلمتى الشريعة والحقيقة وطعامكم حل لهم يعنى منبع لبن النبوة والولاية واحد وان كان الثدى اثنين فشربتم لبان ألطافنا من مشرب الولاية وشرب الانبياء لبان افضالنا من مشرب النبوة قد علم كل اناس مشربهم وللنبى عليه السلام شركة فى المشارب كلها وله اختصاص فى مجلس المقام المحمود من المحبوب بمشرب ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى لا يشاركه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل وكذلك حل لكم المحصنات من المؤمنات وهى ابكار حقائق القرءآن التى احصنت من افهام الازواج المؤمنات بها وهى ازواج العلماء وخواص هذه الامة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وهى ابكار حقائق الكتب المنزلة على الامة السالفة التى احصنت من الذين انزل عليهم الكتب وادرجت فى القرءآن واخفيت لكم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم يعنى فى القرءآن من قرة اعين وهى ابكار حقائق جميع الكتب المنزلة فافهم جدا كلها لكم اذا آتيتموهن اجورهن اى مهور هذه الابكار وهى بذل الوجود محصنين يعنى متعففين فى بذل الوجود فيكون على وجه الحق وبتصرف المشايخ الواصلين غير مسافحين على وفق الطبع وخلاف الشرع وبتصرف الهوى ولا متخذى اخدان يعنى فى بذل الوجود لا يكون ملتفتا الى شئ من الكونين ولا الى احد فى الدارين سوى الله ليكون هو المشرب ومنه الشراب وهو الحريف والساقى ومن يكفر بالايمان بهذه المقالات والكمالات اذ حرم من العيان من هذه السعادات فقد حبط عمله الذى عمله على العمياء والتقليد وهو فى الآخرة من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى والمولى كذا فى التأويلات النجمية (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) المراد بالقيام اما القيام الذى هو من اركان الصلاة فالتقدير اذا اردتم القيام لها بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب لان الجزاء لابد وان يتأخر عن الشرط يعنى صحة قيام الصلاة بالطهارة واما القيام الذى هو من مقدمات مباشرة الصلاة فالتقدير اذا قصدتم الصلاة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الآخر فالوضوء من شرائط القيام الاول دون الثانى وهذا الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال فلا يلزم الوضوء على كل قائم الى الصلاة سواء كان محدثا ام لا كما يقتضيه ظاهر الآية (فاغسلوا وجوهكم) الغسل اجراء الماء على المحل وتسييله سواء وجد معه الدلك ام لا والوجه ما يواجهك من الانسان وحده من قصاص الشعر الى اسفل الذقن طولا ومن شحمة الاذن الى شحمة الاذن عرضا يجب غسل جميعه فى الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين واهداب العينين والشارب والعذار والعنفقة وان كانت كثيفة وعند الامام لا يجب غسل ما تحت الشعر ففرض اللحية عنده مسح ما يلاقى الوجه دون ما استرسل من الذقن لانه لما سقطت فرضية غسل ما تحت اللحية انتقلت فرضيته الى خلفه وظاهر الآية ان المضمضة والاستنشاق غير واجبين فى الوضوء لان اسم الوجه يتناول الظاهر دون الباطن فهما من السنن (وايديكم الى المرافق) الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم والمرافق جمع مرفق وهو مجتمع طرفى الساعد والعضد ويسمى مرفقا لانه الذى يرتفق به اى يتكأ عليه من اليد (وامسحوا برؤسكم) الباء مزيدة كما فى ألقى بيده والمسح الاصابة وقدر الواجب عند ابى حنيفة ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع فان للرأس جوانب اربعة ناصية وقذال وفودان والقذال مؤخر الرأس خلف الناصية وفودا الرأس جانباه فى الواقعات المحمودية قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى انكشف لى وجه الاختلاف فى مقدار مسح الناصية وهو أن بدن الانسان مربع فبالقياس اليه ينبغى ان يكون الممسوح ربع الرأس واما اعتبار قدر ثلاثة اصابع فبالنظر الى حال نفس الرأس فانه مسدس والسدس فيه قدر ثلاثة اصابع قال المرحوم حضرة محمود الهدايى قلت فحينئذ ينبغى ان يكون الاعتبار الاخير أولى لانه بالنظر الى حال نفسه بخلاف الاول لانه بالقياس الى البدن فقال حضرة الشيخ افتاده وجه اولوية الاول ان البدن اكثر من الرأس فاتباع الاول بالاكثر اولى انتهى قال الحدادى واما مسح الاذنين فهو سنة فيمسح ظاهر اذنيه بابهاميه

وظاهرهما بمسحتيه بماء الرأس واما مسح الرقبة فمستحب وفي الحديث من مسح رقبته في الوضوء امن من الغل يوم القيامة (وارجلكم الى الكعبين) بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وانما جاء التحديد في المغسولات قال في الاشباه غسل الرجلين افضل من المسح على الخفين لمن يرى جوازه والا فهو أفضل وكذا بحضرة من لا يراه انتهى وذهبت الروافض الى ان الواجب في الرجلين المسح ورووا في المسح خبرا ضعيفا شاذا قال صاحب الروضة خف الروافض مثل في السعة لانه لا يرى المسح على الخف ويرى المسح على الرجلين فيوسعه ليتمكن من ادخال يده فيه ليمسح برجله وعن ابن المغيرة عن ابيه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في سفر فقال أمعك ماء قلت نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فافرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من الصوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى اخرجهما من اسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني ادخلتهما طاهرين فمسح عليهما كذا في تفسير البغوى واطبق العلماء على ان وجوب الوضوء مستفاد من هذه الآية ومن سننه النية فينوى رفع الحدث او اقامة الصلاة ليقع قربة واستعمال السواك في غلظة الخنصر وطول الشبر حالة المضمضة تكميلا للانقاء او قبل الوضوء وعند فقده يعالج بالاصابع وينال بالاصبع ثواب السواك وفي الهداية الاصح ان السواك مستحب وعن مجاهد قال ابطأ جبريل عليه السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اتاه فقال له النبي عليه السلام ما حبسك يا جبريل قال وكيف آتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ وما نتنزل الا بامر ربك والبراجم مفاصل الاصابع والعقد التي على ظاهرها يجتمع فيها من الوسخ وفي الحديث نقوا براجمكم فامر بتنقيتها لئلا تدرن فتبقى فيها الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة وفي الحديث نظفوا لثاتكم جمع لثة بالتخفيف وهي اللحمة التي فوق الاسنان دون الاسنان فامر بتنظيفها لئلا يبقى فيها وحل الطعام فتتغير عليه النكهة وتتنكر الرائحة ويتأذى الملكان لانه طريق القرآن ومقعد الملكين وتنفر الملائكة من الرائحة الكريهة وفي الحديث ان العبد اذا تسوك ثم قام يصلى قام الملك خلفه فيستمع لقرآءته فيدنو منه حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شئ من القرآن الا صار في جوف الملك فطهروا افواهكم للقرآن وفي الحديث ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك ويقول المتوضى بعد التسمية الحمد لله الذي جعل الماء طهورا وعند المضمضة اللهم اسقني من حوض نبيك كأسا لا اظمأ بعدها ابدا اللهم اعني على ذكرك وشكرك وتلاوة كتابك وعند الاستنشاق اللهم لا تحرمني من رآئحة نعمك وجنانك او يقول اللهم أرحني رآئحة الجنة ولا ترحني رآئحة النار وعند غسل الوجه اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه او يقول اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي بذنوبي يوم تسود وجوه اعدآئك وعند غسل اليد اليمنى اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند غسل اليد اليسرى اللهم لا تعطني كتابي بشمالي ولا من ورآء ظهري وعند مسح الرأس اللهم حرم شعري وبشري على النار وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك اللهم غشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وعند مسح الاذنين اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وعند مسح رقبته اللهم اعتق رقبتي من النار وعند غسل الرجل اليمنى اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل فيه الاقدام وعند غسل الرجل اليسرى اللهم اجعل لي سعيا مشكورا وذنبا مغفورا وعملا مقبولا وتجارة لن تبور ويقول بعد الفراغ أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين الذين انعمت عليهم واجعلني من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والحكمة في تخصيص الاعضاء الاربعة في الوضوء ان آدم عليه السلام لما توجه الى الشجرة بالوجه وتناولها باليد ومشى اليها بالرجل ووضع يده على رأسه أمره بغسل هذه الاعضاء تكفيرا للخطايا وقد جاء في الحديث ان العبد اذا غسل وجهه خرجت خطاياه حتى تخرج من تحت اشفار عينيه وكذلك في بقية الاعضاء وقيل خص بغسل هذه الاعضاء الامة المحمدية لتكونوا غرا محجلين بين الامم كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وددت انا قد رأينا اخواننا قالوا اولسنا اخوانك يا رسول الله قال أنتم اصحابي

واخواننا الذين يأتون بعد قالوا كيف تعرف من يأتون بعد من امتك يارسول الله فقال ارأيتم لو ان رجلا له خيل غر محجلة بين اظهر خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى يارسول الله قال فانهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء وانا فرطهم على الحوض واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز غير انه يستحب تجديد الوضوء لكل فرض وفي الحديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وللتجديد اثر ظاهر في تنوير الباطن وكان بعض اهل الله يتوضأ عند الغيبة والكذب والغضب لظهور غلبة النفس وتصرف الشيطان فالوضوء هو النور الذي به تضمحل ظلمات النفس والشيطان وكان على وجه بعضهم قرح لم يندمل اثنتي عشرة سنة لضرر الماء له وكان مع ذلك لم يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة ونزل في عين بعضهم ماء اسود فقال الكحال لابد من ترك الوضوء اياما والا فلا يعالج فاختار ذهاب بصره على ترك الوضوء وداوم الطهارة مستجلب لمزيد الرزق كما قال عليه السلام دم على الطهارة يوسع عليك الرزق والسنة ان يصلي بعد الوضوء ركعتين تسمى شكر الوضوء (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة قال ما عملت عملا ارجى عندي من اني لم اتطهر طهورا في ساعة من ليل اونهار الاصليت بذلك الطهور ما كتب لي ان اصلي قال في الاسرار المحمدية لابن فخر الدين الرومي ويصلي شكر الوضوء وان في الاوقات المكروهة لا الاوقات المحرمة كما قبل صلاة الفجر وبعدها وبعد صلاة العصر ايضا لانها من الصلوات ذوات الاسباب واما الاوقات المحرمة كطلوع الشمس وزوالها وغروبها فلا تجوز فيه أصلا فيصبر الى وقت اباحة الصلاة فيصليها حينئذ الا اذا كان بمكة * عن جبير ان النبي عليه السلام قال يابني عبد مناف لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت وصلى أية شاء من ليل اونهار وعن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتى تغرب الشمس الا بمكة الا بمكة انتهى كلام الاسرار والاشارة في الآية ان الخطاب في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا هو خطاب مع الذين آمنوا ايمانا حقيقيا عند خطاب ألست بربكم بقولهم بلى وهم اهل الصف الاول يوم الميثاق آمنوا بعد ما عاينوا واهل الصف الثاني آمنوا اذ شاهدوا واهل الصف الثالث آمنوا اذ سمعوا الخطاب واهل الصف الرابع آمنوا تقليدا لا تحقيقا لانهم ما عاينوا ولا شاهدوا ولا سمعوا الخطاب الحق بسمع الفهم والدراية بل سمعوا اسماع القهر والنكاية فتحيروا حتى سمعوا جواب أهل الصفوف الثلاثة اذ قالوا بلى فقالوا بتقليدهم بلى فلا جرم ههنا ما آمنوا وهم الكفار وان آمنوا ما آمنوا على التحقيق بل بالتقليد او بالنفاق وهم المنافقون واهل الصف الثالث هم المسلمون وعوام المؤمنين فكما آمنوا هنالك بسماع الخطاب فكذلك ههنا آمنوا بالسماع كقوله تعالى اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا واما أهل الصف الثاني وهم خواص المؤمنين وعوام الاولياء فكما انهم آمنوا هنالك اذ شاهدوا فكذلك ههنا آمنوا بشواهد المعرفة كما قال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا ومن ههنا قال بعضهم ما نظرت في شيء الا ورأيت الله فيه واما أهل الصف الاول وهم الانبياء وخواص الاولياء فكما آمنوا هنالك اذ عاينوا فكذلك ههنا آمنوا اذ عاينوا كقوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه وذلك في ليلة المعراج اذ أوحى الى عبده ما أوحى قال آمن الرسول بما انزل اليه من ربه وكان ايمان موسى عليه السلام نوعا من هذا لما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين وقال علي رضي الله عنه لم اعبد ربا لم اره وقال بعضهم رأى قلبي ربي وقال آخر ما نظرت في شيء الا ورأيت الله فيه فخاطب أهل الصف الاول بقوله يا ايها الذين آمنوا تحقيقا انتم اهبطوا عن ممالك القرب الى مهالك البعد ومن رياض الانس الى سباخ الانس اذا قمتم من نوم الغفلة وانتبهتم من رقدة الفرقة الى الصلاة هي معراجكم للرجوع الى مقام قربكم كما قال واسجد واقترب فاغسلوا وجوهكم التي توجهتم بها الى الدنيا ولطختموها بالنظر الى الاغيار بماء التوبة والاستغفار وايديكم الى المرافق اي واغسلوا ايديكم عن التمسك بالدارين والتعلق بما في الكونين حتى الصديق الموافق والرفيق المرافق وامسحوا برؤسكم ببذل نفوسكم وارجلكم الى الكعبين اي واغسلوا ارجلكم عن طين طينتكم والقيام بانانيتكم كذا في التأويلات النجمية (قال الحافظ) من همانم كه وضو ساختم از چشمهٔ عشق * چار تكبير زدم

بكسره برهرچه كه هست (وان كنتم جنبا فاطهروا) اى فتطهروا ادغمت تاء التفعل فى الطاء لقرب مخرجهما واجتلبت همزة الوصل ليمكن الابتداء فقيل اطهروا وهذا التطهر عبارة عن الاغتسال والاطهار هو انتطهر بالتكلف والمبالغة فلا يكون الا بغسل جميع ظاهر البدن حتى لو بقى العجين بين اظفاره ويبس لم يجز غسله لان الماء لا يصل تحته ولو بقى الدرن جاز الا ان ما تعذر ايصال الماء اليه كداخل العين ساقط بخلاف باطن الانف والفم حيث يمكن غسلهما ولا ضرر فيه فيجب والدلك ليس بفرض لانه متمم فيكون مستحبا وليس البدن كالثوب لان النجاسة تخللت فيه دون البدن ففرض الغسل غسل الفم والانف وسائر البدن وسنته غسل يديه لكونهما آلة التطهر وفرجه لانه مظنة النجاسة ونجاسة حقيقية ان كانت على سائر بدنه لئلا تتلاشى عند اصابة الماء والوضوء وضوءه للصلاة الا انه يؤخر غسل رجليه الى ما بعد صب الماء على جميع بدنه ان كانتا فى مستنقع الماء تحرزا عن الماء المستعمل وتثليث الغسل المستوعب هكذا حكى غسل رسول الله ويبتدئ بمنكبه الايمن ثم الايسر ثم الرأس فى الاصح وليس على المرأة نقض ضفيرتها ولا بلها ان بل اصلها لان كون الشعر من البدن باعتبار اصوله فيكتفى ببل اصوله فيما فيه حرج وفيما لا حرج فيه يجب ايصال الماء الى جميعه كالضفيرة المفتولة وحكم المنقوضة ليس كذلك بل يجب ايصال الماء الى جميعها لعدم الحرج فيها والرجل يجب عليه ايصال الماء الى جميع شعره والفرق ان حلق الشعر للمرأة مثلة دون الرجل والحرج مندفع عنه بغير الضفيرة وادنى ما يكفى من الماء فى الغسل صاع وفى الوضوء مد والصاع ثمانية ارطال والمد رطلان لما روى ان النبى عليه السلام كان يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد ثم اختلفوا هل المد من الصاع او من غيره فهذا ليس بتقدير لازم حتى لو اسبغ الوضوء والغسل بدون ذلك جاز ولو اغتسل باكثر منه جاز ما لم يسرف فهو المكروه كذا فى الاختيار شرح المختار والجنب الصحيح فى المصر اذا خاف الهلاك من الاغتسال جاز له التيمم فى قولهم ولما المحدث فى المصر اذا خاف الهلاك من التوضئ اختلفوا فيه على قول ابى حنيفة رحمه الله والصحيح انه لا يباح له التيمم كذا فى فتاوى قاضى خان والمرأة اذا وجب عليها الغسل ولم تجد سترة من الرجال تؤخره والرجل اذا لم يجد سترة من الرجال لا يؤخره ويغتسل وفى الاستنجاء اذا لم يجد سترة يتركه والفرق ان النجاسة الحكمية اقوى والمرأة بين النساء كالرجل بين الرجال كذا فى الاشباه وفى الحديث ثلاثة لا تقربهم الملائكة جيفة الكافر والمتضمخ بالخلوف والجنب الا ان يتوضأ وفى الحديث لا ينقع بول فى طست فى البيت فان الملائكة لا تدخل بيتا فيه بول منتقع ولا تبولن فى مغتسلك وفى الاغتسال منافع بدنية وفوائد دينية منها مخالفة الكفار فانهم لا يغتسلون وازالة الدنس والابخرة الرديئة النفسانية التى تورث بعض الامراض وتسكين حرارة الشهوات الطبيعية قال الشيخ النيسابورى فى كتاب اللطائف فوائد الطهارة عشر طهارة الفؤاد وهو صرفه عما سوى الله تعالى وطهارة السر المشاهدة وطهارة الصدر الرجاء والقناعة وطهارة الروح الحياء والهيبة وطهارة البطن أكل الحلال والعفة عن اكل الحرام والشبهات وطهارة البدن ترك الشهوات وازالة الادناس وطهارة اليدين الورع والاجتهاد وطهارة اللسان الذكر والاستغفار قال الثعلبى فى تفسير هذه الآية قال على رضى الله عنه اقبل عشرة من احبار اليهود فقالوا يا محمد لماذا امر الله بالغسل من الجنابة ولم يأمر من البول والغائط وهما اقذر من النطفة فقال صلى الله عليه وسلم ان آدم لما اكل من الشجرة تحول فى عروقه وشعره فاذا جامع الانسان نزل من اصل كل شعرة فافترضه الله على وعلى امتى تطهيرا وتكفيرا وشكرا لما انعم الله عليهم من اللذة التى يصيبونها قال فى بدائع الصنائع فى احكام الشرائع انما وجب غسل جميع البدن بخروج المنى ولم يجب بخروج البول والغائط وانما وجب غسل الاعضاء المخصوصة لا غير لوجوه احدها ان قضاء الشهوة بانزال المنى استمتاع بنعمة يظهر أثرها فى جميع البدن وهى اللذة فامر بغسل جميع البدن شكرا لهذه النعمة وهذا لا يتقدر فى البول والغائط والثانى ان الجنابة تأخذ جميع البدن ظاهره وباطنه لان الوطئ الذى هو سببها لا يكون الا باستعمال جميع ما فى البدن من القوة حتى يضعف الانسان بالاكثار منه ويقوى بالامتناع عنه واذن اخذت الجنابة جميع البدن الظاهر والباطن بقدر الامكان ولا كذلك الحدث فانه لا يأخذ الا الظاهر من الاطراف لان سببه يكون بظواهر الاطراف من الاكل والشرب ولا يكون باستعمال جميع البدن فاوجب غسل ظاهر الاطراف لا سائر البدن والثالث ان غسل الكل او البعض وجب وسيلة الى الصلاة التى هى خدمة الرب سبحانه والقيام بين يديه

وتعظيمه فيجب ان يكون المصلى على اطهر الاحوال وانظفها ليكون اقرب الى التعظيم واكمل فى الخدمة وكمال
تعظيم النظافة يحصل بغسل جميع البدن وهذا هو العزيمة فى الحدث ايضا الا ان ذلك مما يكثر وجوده فاكتفى
منه باكثر النظافة وهى تنقية الاطراف التى تنكشف كثيرا ويقع عليها الابصار ابدا واقيم ذلك مقام غسل
كل البدن دفعا للحرج وتيسيرا وفضلا من الله ورحمة ولا حرج فى الجنابة لانها لا تكثر فبقى الامر فيها على العزيمة
انتهى كلام البدآئع هذا غسل الحى واما غسل الميت فشريعة ماضية لما روى ان آدم عليه السلام لما قبض
نزل جبريل بالملائكة وغسلوه وقالوا لاولاده هذه سنة موتاكم وفى الحديث للمسلم على المسلم ستة حقوق
ومن جملتها ان يغسله بعد موته ثم هو واجب عملا بكلمة على ولكن اذا قام به البعض سقط عن الباقين لحصول
المقصود واريد بالسنة فى حديث آدم الطريقة ولو تعين واحد لغسله لا يحل له اخذ الاجرة عليه وانما وجب
غسل الميت لانه تنجس بالموت كسائر الحيوانات الدموية الا انه يطهر بالغسل كرامة له ولو وجد ميت فى الماء
فلا بد من غسله لان الخطاب بالغسل توجه لبنى آدم ولم يوجد منهم فعل وقيل ان الميت اذا فارقته الروح وارتاح
من شدة النزع انزل فوجب على الاحياء غسله كذا فى حل الرموز وكشف الكنوز والفرق بين غسل
الميت والحى انه يستحب البدآءة بغسل وجه الميت بخلاف الحى فانه يبدأ بغسل يديه ولا يمضمض ولا يستنشق
بخلاف الحى ولا يؤخر غسل رجليه بخلاف الحى ان كان فى مستنقع الماء ولا يمسح رأسه فى وضوء الغسل
بخلاف الحى فى رواية كذا فى الاشباه والاشارة فى الآية وان كنتم جنبا بالالتفات الى غيرنا فاطهروا بالنفوس
عن المعاصى وبالقلوب عن رؤية الطاعات وبالاسرار عن رؤية الاغيار وبالارواح عن الاسترواح من غيرنا وبسر
السر عن لوث الوجود فلا بد من الطهارة مطلقا (قال الحافظ) چون طهارت نبود كعبه و بتخانه يكيست *
نبود خير دران خانه كه عصمت نبود * وفى وجوب الغسل اشارة وتنبيه الى وجوب الغسل الحقيقى
لوجود القلب والروح ولتلوثه بحب الدنيا وشهواتها فيجب غسلها بماء التوبة والندامة والاخلاص فهو
اوجب الواجبات وآكدها واستقصاء اهل الله فى تطهير الباطن اكثر واشد من استقصائهم فى طهارة الظاهر
وقد يكون فى بعض متصوفة الزمان تشدد فى الطهارة فلو اتسخ ثوبه يغسله ولا يبالى بما فى باطنه من الغل
وسائر الصفات الذميمة (قال السعدى قدس سره) كراجامه پاكست وسيرت پليد * در دوزخش را نبايد كليد *
والقرآن لا يمسه الا المطهرون (وان كنتم مرضى) مرضا يخاف منه الهلاك او ازدياده باستعمال الماء
(او) كنتم مستقرين (على سفر) طال او قصر (او جاء احد منكم من الغائط) هو المكان الغائر المطمئن والمجيئ
منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليوارى شخصه عن اعين الناس (او لامستم النساء)
ملامسة النساء مماسة بشرة الرجل بشرة المرأة وهى كناية عن الجماع ومثل هذه الكناية من الآداب القرآنية
اذ التصريح مستهجن (فلم تجدوا ماء) المراد من عدم وجدان الماء عدم التمكن من استعماله لان ما لا يتمكن
من استعماله كالمفقود (فتيمموا صعيدا طيبا) اى فتعمدوا شيأ من وجه الارض طاهرا فالصعيد هو وجه
الارض ترابا او غيره سمى صعيدا لكونه صاعدا طاهرا والطيب بمعنى الطاهر سوآء كان منبتا ام لا حتى لو فرضنا
صخرا لا تراب عليه فضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا عند ابى حنيفة رحمه الله (فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه) اى من ذلك الصعيد اى الى المرفقين لما روى انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه
ولانه بدل من الوضوء فيقدر بقدره والباء مزيدة ومن لابتدآء الغاية والمعنى فانقلوا بعد وضعهما على الصعيد
الى الوجوه والايدى من غير ان يتخللها ما يوجب الفصل (ما يريد الله) بالامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم
(ليجعل عليكم من حرج) اى تضييقا عليكم فى الدين (ولكن يريد ليطهركم) اى لينظفكم او ليطهركم من الذنوب
فان الوضوء مكفر لها كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل قام الى وضوئه يريد الصلاة ثم غسل
كفيه نزلت خطيئة كفيه مع اول قطرة فاذا تمضمض نزلت خطيئة لسانه وشفتيه مع اول قطرة واذا غسل
وجهه ويديه الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب هو عليه وكان كيوم ولدته امه او ليطهركم بالتراب
اذا اعوزكم التطهير بالماء (وليتم) بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم (نعمته عليكم) فى الدين او ليتم
برخصته انعامه عليكم بعزآئمه والرخصة ما شرع بناء على الاعذار والعزيمة ما شرع اصالة (لعلكم تشكرون)
نعمته واعلم ان المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج البعيد ومن طهارة البدن وهو القشر القريب

طهارة القلب وهو لب الباطن وطهارة القلب من نجاسات الاخلاق اهم الطهارات ولكن لايبعد ان يكون الطهارة الظاهر ايضا تأثير فى اشراق نورها على القلب فاذا اسبغت الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك صادفت فى قلبك انشراحا وصفاء كنت لاتصادفه قبله وذلك لسر العلاقة التى بين عالم الملك وعالم الملكوت فان ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت وكما ينحدر من معارف القلب آثار الى الجوارح فكذلك قد يرتفع من احوال الجوارح التى هى من عالم الشهادة آثار الى القلب ولذلك امر الله بالصلاة مع انها حركات الجوارح التى من عالم الشهادة ولذلك جعلها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا ومن الدنيا فقال حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة ولا يستبعدان يفيض من الطهارة الظاهرة اثر على الباطن وان اردت لذلك دليلا من الشرع فتفكر فى قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمس بخمس اذا اكل الربا كان الخسف والزلزلة واذا جار الحكام قحط المطر واذا ظهر الزنى كثر الموت واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة لهم وان كنت تطلب لهذا مثلا من المحسوسات ايضا فانظر الى ما يفيض الله من النور بواسطة المرآة المحاذية للشمس على بعض الاجسام المحاذية للمرآة وبالجملة ان الله تعالى جعل الوضوء والتيمم من اسباب الطهارة فلابد من الاجتهاد فى تحصيل الطهارة مطلقا وان كان التوفيق من الله تعالى (كما قال الحافظ) فيض ازل بزور زرار آمدى بدست * آب خضر نصيبهٔ اسكندر آمدى * والاشارة فى الآية وان كنتم مرضى بمرض حب الدنيا اوعلى سفر فى متابعة الهوى اوجاء احد منكم من الغائط فى قضاء حاجة شهوة من الشهوات اولامستم النساء وهى الدنيا فى تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار فتيمموا صعيدا طيبا فتمعكوا فى تراب اقدام الكرام فانه طهور للذنوب العظام وامسحوا بوجوهكم من تراب اقدامهم وشمروا لخدمتهم وايديكم لان فيه شفاء لقساوة القلوب ودواء لمرض الذنوب ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج بهذه الذلة والصغار ولكن يريد ليطهركم من الذنوب الكبار واكبر الكبائر الشرك بالله واعظم الشركاء الوجود مع وجود المعبود وهذا ذنب لايغفر الا بالتمرغ فى هذا التراب ولوث لم يطهر الا بالالتجاء الى هذه الابواب وليتم نعمته عليكم بعد ذوبان نحاس انانيتكم بنار تصرفات هممهم العالية بطرح اكسير انوار الهوية لعلكم تشكرون اذ تهتدون بانوار الهوية الى رؤية انوار النعمة كذا فى التأويلات النجمية (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم فى شكره فان قيل ذكر نعمة الاسلام مشعر بسبق النسيان وكيف يعقل من المسلم ان ينساها مع اشتغاله باقامة وظائف الاسلام على التوالى والدوام قلنا المواظبة على وظائف الشئ تنزل منزلة الامر الطبيعى المعتاد فينسى كونها نعمة الهية فتكون اقامة وظائفه اتباعا لمقتضى الطبيعة فلا تكون عبادة وانما تكون شكرا لو وقع اتباعا للامر (وميثاقه الذى واثقكم به) اى عهده المؤكد الذى اخذه عليكم وقوله تعالى (اذ قلتم سمعنا واطعنا) ظرف لواثقكم به وفائدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى حال اليسر والعسر والمنشط والمكره (واتقوا الله) فى نسيان نعمه ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) اى بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال واعلم ان اول النعم التى انعم الله بها على المؤمنين اخراجهم من ظلمة العدم الى نور الوجود قبل كل موجود وخلقهم فى احسن تقويم لقبول الدين القويم وهدايتهم الى الصراط المستقيم واستماع ألست بربكم وجواب بلى وتوفيقهم للسمع والطاعة ولولم تكن نعمة التوفيق لقالوا سمعنا وعصينا كما قال أهل الخذلان والعصيان وعن عبد الرحمن ابن عوف بن مالك الاشجعى قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة اوثمانية اوسبعة فقالوا ألا تبايعون رسول الله وكنا حديثى عهد ببيعته فقلنا قد بايعناك يارسول الله قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا وقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الصلوات الخمس وتطيعوا اوامره جلية وخفية ولا تسألوا الناس فلقد رأيت بعض اولئك النفر يسقط سوط احدهم فما يسأل احدا يناوله اياه حتى يكون هو ينزل فيأخذه وعن ابى ذر رضى الله عنه قال بايعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا واوثقنى سبعا وأشهد الله على سبعا ان لا اخاف فى الله لومة لائم وعنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم

اوصيك بتقوى الله بسر امرك وعلانيتك واذا اسأت فأحسن ولاتسألن احدا شيأ وان سقط سوطك ولاتقبض امانة (قال الحافظ الشيرازى) وفاوعهد نكو باشد اربياموزى * وكرنه هركه تو بينى ستمكرى داند *
اللهم اجعلنا من الموفين بعهودهم آمين (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) مقيمين لاوامره ومتمسكين بها معظمين لها مراعين لحقوقها (شهدآء بالقسط) اى بالعدل خبر بعد خبر (ولا يجرمنكم) اى ولا يحملنكم (شنئان قوم) اى شدة بغضكم للمشركين (على ان لاتعدلوا) اى على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب مالايحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم (اعدلوا هو) اى العدل (اقرب للتقوى) التى امرتم بها واذا كان وجوب العدل فى حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه فى حق المسلمين (واتقوا الله) فانه ملاك الامر وزاد سفر الآخرة (ان الله خبير بما تعملون) من الاعمال فيجازيكم بذلك وحيث كان مضمون هذه الجملة التعليلية منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) التى من جملتها العدل والتقوى والمفعول الثانى لوعد محذوف وهو الجنة كما صرح به فى غير هذا الموضع (لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر عظيم) اى ثواب عظيم فى الجنة وهذه الجملة مفسرة لذلك المحذوف تفسير السبب للمسبب فان الجنة مسببة عن المغفرة وحصول الاجر فلا محل لها من الاعراب (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) التى من جملتها ماتليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى (اولئك) الموصوفون بماذكر من الكفر وتكذيب الآيات (اصحاب الجحيم) ملابسوها ملابسة مؤبدة وفيه مزيد وعد للمؤمنين لان الوعيد اللاحق باعدآئهم مما يشفى صدورهم ويذهب ماكانوا يجدونه من اذاهم فان الانسان يفرح بأن يهدد اعدآؤه واعلم ان الله تعالى صرح للمؤمنين الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد مانهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى لكون الحامل عليه البغض والشنئان فعلى المؤمن العدل فى حق الاولياء والاعدآء خصوصا فى حق نفسك واهلك واولادك لما ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ووجد فى سرير انوشروان مكتوبا الملك لايكون الا بالامارة والامارة لاتكون الا بالرجال ولاتكون الرجال الا بالاموال ولاتكون الاموال الا بالعمارة ولاتكون العمارة الا بالعدل بين الرعايا والسلطان شريك رعاياه فى كل خير عملوه (قال الحافظ) شاه رابه بود ازطاعت صدساله وزهد * قدريك ساعته عمرى كه درو داد كند * وفى ترجمة وصايا الفتوحات لمحمد بن واسع * ازاكابر دين است روزى بربلال بن برده كه والى وقت بود درآمد واو درعيش بود وپيش او برف نماده ويتنعم تمام نشسته محمد بن واسع را كفت يا اباعبد الله اين خانه مارا چون بينى كفت اين خانه خوش است وليكن بهشت ازين خوشتراست وذكر آتش دوزخ ازامثال اين غافل كرد اندبرسيدكه چه ميكوبى درباب قدر كفت درهمر ازكان تو كه درين مقابر مدفونند فكرى بكن تاازقدر برسيدن مشغول شوى كفت براى من دعا كن كفت دعاى من چه ميكنى وبردركاه تو چندين مظلومند همه برتو دعا ميكنند ودعاى ايشان بيشتر بالاميرود ظلم مكن وبدعاء من حاجت نيست ومن كلمات بهلول لهرون حين قال له من انا قال أنت الذى لو ظلم احد فى المشرق وأنت فى المغرب سألك الله عن ذلك يوم القيامة فبكى هرون (وفى عين المعانى) العالم لايدخل على الظلمة تحاميا عن الدعاء لهم بالبقاء فورد من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب ان يعصى الله فى ارضه فلابد من النصيحة وترك المداهنة وفى الحديث ماترك الحق لعمر من صديق وقال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر

لما ادمت النصح والتحقيقا * لم يتركالى فى الوجود صديقا

(قال السعدى) بكوى انچه دانى سخن سودمند * وكرهيچ كس رانيايد پسند * وبالجملة ان العدل من احسن الاخلاق (وحكى) ان انوشروان لما مات كان يطاف بتابوته فى جميع مملكته وينادى مناد من له علينا حق فليأت فلم يوجد احد فى ولايته له عليه حق من درهم ولذا اشتهر بالعدل اشتهار حاتم بالجود حتى صار العادل لقبا له فلفظ العادل انما يطلق عليه لعدم جوره وظهور عدله لالمجرد المدح والثناء عليه واما سلاطين الزمان فلظهور جورهم وعدم اتصافهم بالعدل منعوا عن اطلاق العادل عليهم اذ اطلاقه عليهم حينئذ انما يكون لمجرد المدح لهم والثناء عليهم فيكون كذبا وكفرا لجواز اطلاق العادل على الكافر المنصف وعدم جواز اطلاقه على المسلمين الجائرين ليس بالنظر الى متانة العدل بل ذلك ليس الا ان العدل والجور متناقضان

فلا يجتمعان قال فى زهرة الرياض اذا كان يوم القيامة ينصب لوآء الصدق لابى بكر رضى الله عنه وكل صديق يكون تحت لوآئه ولوآء العدل لعمر رضى الله عنه وكل عادل يكون تحت لوآئه ولوآء السخاوة لعثمان رضى الله عنه وكل سخى يكون تحت لوآئه ولوآء الشهدآء لعلى رضى الله عنه وكل شهيد يكون تحت لوآئه وكل فقيه تحت لوآء معاذ بن جبل وكل زاهد تحت لوآء ابى ذر وكل فقير تحت لوآء ابى الدردآء وكل مقرئ تحت لوآء ابى بن كعب وكل مؤذن تحت لوآء بلال وكل مقتول ظلما تحت لوآء الحسين بن على فذلك قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم الآية والعدل فى الحقيقة هو الوسط المحمود فى كل فعل وقول وخلق وهو المأمور به فى قوله تعالى فاستقم كما امرت ولقد صار من نال اليه كالكبريت الاحمر والمسك الاذفر ومن الله الهداية والتوفيق آمين (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) متعلق بنعمة الله (اذ هم قوم) ظرف لنفس النعمة اى اذكروا انعامه عليكم فى وقت همهم وقصدهم (ان يبسطوا اليكم ايديهم) اى بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه (فكف ايديهم عنكم) عطف على هم وهو النعمة التى اريد تذكيرها وذكر الهم ايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها اى منع ايديهم ان يمدوا اليكم عقيب همهم بذلك لانه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذى قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روى ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان فى غزوة ذى انمار وهى غزوة ذات الرقاع وهى السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون على ان لا كانوا اقدموا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هى احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فردهم الله تعالى بكيدهم بان انزل صلاة الخوف وقيل هو ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بنى قريظة ومعه الشيخان وعلى رضى الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فأجلسوه فى صفة وهموا بقتله به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج النبى عليه السلام وقيل هو ما روى انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق اصحابه فى العضى يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابى فأخذه وسله فقال من يمنعك منى فقال عليه السلام الله فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول عليه السلام فقال من يمنعك منى فقال لا احد أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله (واتقوا الله) عطف على اذكروا اى اتقوه فى رعاية حقوق نعمته فلا تخلوا بشكرها (وعلى الله) اى عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا واشتراكا (فليتوكل المؤمنون) فانه يكفيهم فى ايصال كل خير ودفع كل شر واعلم ان التوكل عبارة عن الاعتصام بالله تعالى فى جميع الامور ومحله القلب والحركة بالظاهر لا تنافى توكل القلب بعد ما تحقق للعبد أن التقدير من قبل الله فان تعسر شئ فبتقديره واعلى مراتب التوكل ان يكون بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل تحركه القدرة الازلية وهو الذى قوى يقينه ألا ترى الى ابراهيم عليه السلام لما همّ نمرود وقومه ان يبسطوا اليه ايديهم فرموه فى النار جاءه جبريل وهو فى الهوآء فقال ألك حاجة قال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبى الله ونعم الوكيل وانظر الى حقيقة توكل النبى عليه السلام حيث كف الله عنه وعن اصحابه ايدى المشركين ورأساؤهم يقدروا ان يتعرضوا له بل ابتلوا فى اغلب الاحوال بما لا يخطر ببالهم من البلايا جزآء لهم على همهم بالسوء (وفى المثنوى) قصه عاد وثمود از بهر جيست * تا بدانى كه انبيا را نازكيست * فالتوكل من معالى درجات المقربين فعلى المؤمن ان يتحلى بالصفات الحميدة ويسير فى طريق الحق بسيرة حسنة ودخل حكيم على رجل فرأى دارا متجددة وفرشا مبسوطة ورأى صاحبها خاليا من الفضائل فتنخع فبزق على وجهه فقال ما هذا السفه أيها الحكيم فقال بل هو عين الحكمة لان البصاق يزق الى اخس ما كان فى الدار ولم ار فى دارك اخس منك لخلوك عن الفضائل الباطنة فنبه بذلك على دناءته وقبحه لكونه مسترسلا فى لذاته مستغرقا اوقاته لعمارة ظاهره (قال الحافظ رحمه الله) قلندران حقيقت بنيم جو نخرند * قباى اطلس آنكس كه از هنر عاريست * ثم اعلم ان كل شئ بقضاء الله تعالى وان الله يختبر عباده بما اراد فعليهم ان يعتمدوا

عليه فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعن ابى عثمان قال كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فأتاه ابليس فقال انت الذى تزعم ان كل شئ بقضاء قال نعم قال ألق نفسك من الجبل وقل قدر على قال يالعين الله يختبر العباد وليس العباد يختبرون الله وما على العبد الا التوكل والشكر على الانعام ومن جملة انعام الله تعالى الاخراج من ظلمة العدم الى نور الوجود بامر كن والله يعلم ان رجوع العباد الى العدم ليس بهم ولا اليهم كما لم يكن خروجهم بهم فان خروجهم كان بجذبة امر كن فكذلك رجوعهم لا يكون الا بجذبة امر ارجعى فعليهم ان يكونوا واثقين بكرم الله وفضله مسارعين فى طلب مرضاة الله جاهدين على وفق الاوامر والنواهى فى الله ليهديهم الى جذبات عنايته ولطفه (ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرآئيل) اى بالله قد اخذ الله عهد طائفة اليهود والالتفات فى قوله تعالى (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) للجرى على سنن الكبرياء اولان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سيأتى اى شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به وقد روى ان النبى عليه السلام جعل للانصار ليلة العقبة اثنى عشر نقيبا وفائدة النقيب ان القوم اذا علموا ان عليهم نقيبا كانوا اقرب الى الاستقامة والنقيب والعريف نظيران وقيل النقيب فوق العريف قال فى شرح الشرعة العريف فعيل بمعنى مفعول وهو سيد القوم والقيم باموز الجماعة من القبيلة والمحلة يلى امورهم ويتعرف الامير منه احوالهم وهو دون الرئيس والعرافة كالسيادة لفظا ومعنى وفى الحديث العرافة حق ولا بد للناس من عرفاء ولكن العرفاء فى النار يعنى ان سيادة القوم جائزة فى الشرع لان بها ينتظم مصالح الناس وقضاء اشغالهم فهى مصلحة ورفق للناس تدعو اليها الضرورة وقوله ولكن العرفاء فى النار اى اكثرهم فيها اذ المجتنب عن الظلم منهم يستحق الثواب لكن لما كان الغالب منهم خلاف ذلك اجراه مجرى الكل كذا فى شرح المصابيح (قال السعدى) رياست بدست كسانى خطاست * كه از دستشان دستها برخداست * مكن تاتوانى دل خلق ريش * وگرميكنى ميكنى بيخ خويش * نماند ستمكار بد روزگار * بماند برو لعنت پايدار * مها زورمندى مكن بركهان * كه بريك نمط مى نماند جهان * دل دوستان جمع بهتر كه گنج * خزينه تهى به كه مردم برنج * بقومى كه نيكى پسندد خداى * دهد خسرو عادل نيك راى * چو خواهد كه ويران كند عالمى * كند ملك در پنجهٔ ظالمى * (وقال الله) اى لبنى اسرآئيل فقط اذهم المحتاجون الى الترغيب والترهيب (انى معكم) اى بالعلم والقدرة والنصرة اسمع كلامكم وأرى اعمالكم وأعلم ضمائركم فأجازيكم بذلك وتم الكلام هنا ثم ابتدأ بالجملة الشرطية فقال مخاطبا لبنى اسرآئيل ايضا (لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى) اى بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف (وعزرتموهم) اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وهو المنع والدفع ومنه التعزير ومن نصر انسانا فقد ذب عنه عدوه يقال عزرت فلانا اى فعلت به ماردّه عن القبيح ويمنعه عنه (واقرضتم الله) بالانفاق فى سبيل الخير او بالتصدق بالصدقات المندوبة فظهر الفرق بين هذا الاقراض وبين اخراج الزكاة فانها واجبة (قرضا حسنا) وهو أن يكون من حلال المال وخياره برغبة واخلاص لا يشوبها رياء ولا سمعة ولا يكدرها منّ ولا اذى وانتصابه يحتمل ان يكون على المصدر به لانه اسم مصدر بمعنى اقراضا كما فى انبتها نباتا حسنا بمعنى انباتا ويحتمل ان يكون على المفعولية على انه اسم للمال المقرض (لاكفرن عنكم سيئاتكم) جواب للقسم المدلول عليه باللام سادّ مسدّ جواب الشرط (ولادخلنكم جنات) اى بساتين (تجرى من تحتها) اى من تحت اشجارها ومساكنها (الانهار) الاربعة واخره لضرورة تقدم التخلية على التحلية (فمن كفر) اى برسلى وبشئ مما عدّ فى حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب والترهيب (بعد ذلك) الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا (منكم) متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر (فقد ضلّ سوآء السبيل) اى وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطأ خطأ فاحشا لا عذر معه أصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة (روى) ان بنى اسرآئيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا من ارض الشام وهى الارض المقدسة وكانت لها ألف قرية فى كل قرية ألف بستان وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها وانى ناصركم وامر موسى عليه السلام ان يأخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على

قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بنى اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب سبط افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع وقد عاش ثلاثة الاف سنة وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله ويروى ان الماء طبق ما على الارض من جبل فى طوفان نوح وما جاوز ركبتى عوج وكانت امه عنق احدى بنات آدم وكان مجلسها جريبا من الارض فلما لقى عوج النقباء وعلى رأسه حزمة حطب اخذ الاثنى عشر نقيبا وجعلهم فى الحزمة فانطلق بهم الى امرأته وقال انظرى الى هؤلاء الذين يزعمون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال ألا اطحنهم برجلى فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك (وروى) انه جعلهم فى كمه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه فقال ارجعوا الى قومكم فأخبروهم بما رأيتم وكان لا يحمل عنقودا من عنبهم الا خمسة انفس اواربعة بينهم فى خشبة ويدخل فى شطر رمانة اذا نزع حبها خمسة انفس فجعلوا يتعرفون بأحوالهم فلما رجعوا قال بعضهم لبعض انكم ان اخبرتم بنى اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبى الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون فيكونان هما يريان رأيهما فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر جمل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الا كالب ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا فى فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى جبل فقور منه صخرة عظيمة على قدر المعسكر ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذى لرأسه فانثقبت فوقعت فى عنق عوج فطوقته فصرعته وأقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة أذرع وكذا طول العصا فترامى فى السماء عشرة اذرع فما اصابت العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فأقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى جذوا رأسه وهكذا سنة الله فيما اراد حيث ينصر اولياءه بما لا يخطر ببالهم ولله فى كل فعله حكمة تامة ومصلحة شاملة واعلم ان الله تعالى كما جعل فى امة موسى من النقباء المختارين المرجوع اليهم عند الضرورة اثنى عشر كذلك جعل من كمال عنايته فى هذه الامة من النجباء البدلاء واعزة الاولياء اربعين رجلا فى كل حال وزمان كما قال النبى عليه السلام يكون فى الامة اربعون على خلق ابراهيم وسبعة على خلق عيسى وواحد على خلق فهم على مراتب درجاتهم ومناصب مقاماتهم امنة هذه الامة كما قال عليه السلام بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم يدفع الله البلاء قال ابو عثمان المغربى البدلاء اربعون والامناء سبعة والخلفاء من الائمة ثلاثة والواحد هو القطب عارف بهم جميعا ومشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه وهو امام الاولياء الثلاثة الذين هم الخلفاء من الائمة وهو يعرفهم وهم لا يعرفونه والخلفاء الثلاثة يعرفون السبعة الذين هم الامناء ولا يعرفهم اولئك السبعة والسبعة يعرفون الاربعين الذين هم البدلاء ولا يعرفهم البدلاء الاربعون وهم يعرفون سائر الاولياء من الامة ولا يعرفهم من الاولياء احد فاذا نقص من الاربعين واحد جعل مكانه واحد من الاولياء واذا نقص من السبعة واحد جعل مكانه واحد من الاربعين واذا نقص من الثلاثة واحد جعل مكانه واحد من السبعة واذا مضى القطب الذى هو الواحد فى العدد وبه قوام اعداد الخلق جعل بدله واحد من الثلاثة هكذا الى ان يأذن الله تعالى فى قيام الساعة كما فى التأويلات النجمية * وقال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر القطب يحفظ المركز والامام الايمن يحفظ عالم الارواح والامام الايسر يحفظ عالم الاجساد والاوتاد الاربعة يحفظون الشرق والغرب والجنوب والشمال والابدال السبعة يحفظون اقاليم الكرة علوا وسفلا انتهى كلامه فى كتاب العظمة ويقول الفقير جامع هذه المجالس اللطائف سمعت من حضرة شيخى وسندى الذى بمنزلة روحى فى جسدى ان قطب الوجود اذا انتقل الى الدار الآخرة يكون خليفته فى الجانب الايسر من الافراد دون الجانب الايمن وذلك لان يسار الامام يمين ويمينه يسار حين الاستقبال الى القوم واليه الاشارة بقوله تعالى واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة فان لفظة ما عند اهل التحقيق نافية واهل اليسار اهل الجلال والفناء

واهل

واهل اليمين اهل الجمال والبقاء فافهم هذا السر البديع وكن ممن ألقى سمعه وهو شهيد فان المنكر الغافل طريد عن الحق بعيد * بسروقت شان خلق كى ره برند * كه چون آب حيوان بظلمات درند (قال الصائب) سخن عشق باخرد كفتن * برلب مرده نيشتر زدنست * ثم تحقيق قوله تعالى لئن اقمتم الصلاة ان اقامة الصلاة فى اداء مهابان تجعل الصلاة معراجك الى الحق وتديم العروج بدرجاتها الى ان تشاهد الحق كما شاهدت يوم الميثاق ودرجاتها اربع القيام والركوع والسجود والتشهد على حسب دركات نزلت بها من اعلى عليين وجوار رب العالمين الى اسفل السافلين القالب وهى العناصر الاربعة التى خلق منها قالب الانسان فالمتولدات منها على اربعة اقسام ولكل قسم منها طلمة وخاصية تحجبك عن مشاهدة الحق وهى الجمادية وخاصيتها التشهد ثم النباتية وخاصيتها السجود ثم الحيوانية وخاصيتها الركوع ثم الانسانية وخاصيتها القيام يشير اليك بالتخلص من حجب أوصاف الانسانية واعظمها الكبر وهو من خاصية النار والركوع يشير اليك بالتخلص من حجب صفات الحيوانية واعظمها الشهوة وهى من خاصية الهوآء والسجود يشير اليك بالتخلص من حجب طبع النباتية واعظمها الحرص على الجذب للشئ والنمو وهو من خاصية الماء والتشهد يشير اليك بالتخلص من حجب طبع الجمادية واعظمها الجمودية وهى من خاصية التراب ومن هذه الصفات الاربع تنشا بقية صفات البشرية فاذا تخلصت من هذه الدركات والحجب ورجعت بهذه المدارج الاربعة الى جوار رب العالمين وقربه فقد اقمت الصلاة مناجيا ربك مشاهدا له كما قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه كذا فى التأويلات النجمية (فبما نقضهم ميثاقهم) اى فبسبب نقض اليهود عهدهم وهو أنهم كذبوا الرسل بعد موسى وقتلوا الانبياء ونبذوا الكتاب وضيعوا فرآئضه وما مزيدة لتأكيد الكلام وتمكينه فى النفس (لعناهم) اى طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا أومسخناهم قردة وخنازير أواذللناهم بضرب الجزية عليهم (وجعلنا قلوبهم قاسية) اى غليظة شديدة بحيث لا تتأثر من الآيات والنذر وحجر قاسى اى صلب غير لين (يحرفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافترآء عليه والمراد بالتحريف اما تبديلهم نعت النبى صلى الله عليه وسلم واما تبديلهم بسوء التأويل وقد سبق فى سورة البقرة (ونسوا حظا) اى وتركوا نصيبا وافرا (مما ذكروا به) من التوراة اومن اتباع محمد عليه السلام والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فتركت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم لما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية (وروى) ان الله تعالى غير العلم على امية بن ابى الصلت وكان من بلغاء الشعرآء كان نائما فاتاه طائر وادخل منقاره فى فيه فلما استيقظ نسى جميع علومه (قال الحافظ) نه من ز بى عملى درجهان ملولم وبس * ملالت علما هم زعلم بى عملست * واعلم ان العلماء العاملين والمشايخ الواصلين لا يزالون يذكرون الناس كل عصر يوم الميثاق ومخاطبة الحق اياهم تشويقا لهم الى تلك الاحوال فمن سامع ومن معرض فالسامع لكونه معرضا عن الدنيا والعقبى وصل الى جوار المولى فكان مقبولا مرحوما والمعرض لكونه مقبلا على ماسوى المولى لم ينل شيأ فكان مردودا ملعونا لانه نقض عهده مع الله سبحانه وتعالى (وفى المثنوى) بى وفايى چون سكانرا عار بود * بى وفايى چون روا دارى نمود * حق تعالى فخر آورد از وفا * كفت من اوفى بعهد غيرنا (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) اى خيانة على انها مصدر كاللاغية والكاذبة قال الله تعالى لا تسمع فيها لاغية اى لغوا والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها اويكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم (الا قليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وهو استثناء من الضمير المجرور فى منهم (فاعف عنهم واصفح) اى اعرض عنهم ولا تتعرض لهم بالمعاقبة والمؤاخذة ان تابوا وآمنوا اوعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف وهو قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر بالصفح وحث على الامتثال وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره (قال السعدى) عدو را بالطاف كردن به بند * كه نتوان بريدن بتيغ وكمند * چو دشمن كرم بيند واطف وجود * نيايد دكر خبث ازو در وجود * وكر خواجه با دشمنان نيك خوست * بسى بر نيايد كه كردند دوست * وكان عليه السلام مجسما له مكارم اخلاق يضيق نطاق بيان الواصفين عنها (ومن حكايات المولوى فى المثنوى)

كافران مهمان پيغمبر شدند * وقت شام ايشان بمسجد آمدند * كفت اى ياران من قسمت كنيد * كه شما
برازمن وخوى منيد * هريكى يارى يكى مهمان كزيد * درميان يك زفت بود وبى نديد * جسم ضخمى
داشت كس اورانبرد * ماند در مسجد چو اندر جامه درد * مصطفى بردش چو واماند ازهمه *
هفت بز شيرده بردر رمه * كه مقيم خانه بودندى بزان * بهر دوشيدن براى وقت خوان * نان وآش
وشيران هر هفت بز * خورد آن بوقحط عوج ابن غز * جمله اهل بيت خشم آلو شدند * كه همه در شير بز
طامع شدند * معده طبلى خوار همچون طبل كرد * قسم هجده آدمى تنها بخورد * وقت خفتن رفت
ودر حجره نشست * پس كنيزك از غضب در را ببست * ازبرون زنجير در رادر فكند * كه ازو بد خشمكين
ودردمند * كبر را در نيم شب تا صبحدم * چون تقاضا آمد ودرد شكم * ازفراش خويش سوى در شتافت *
دست بردر چون نهاد او بسته يافت * در كشادن حيله كردان حيله ساز * نوع نوع وخود نشد
آن بندباز * شد تقاضا بر تقاضا خانه تنك * ماند او حيران وبى درمان ودنك * حيله كرد او بخواب
اندرخزيد * خويشتن درخواب ودرويرانه ديد * زانكه ويرانه بد اندر خاطرش * شد بخواب اندر همانجا
منظرش * خويش درويرانهٔ خالى چو ديد * اوچنان محتاج واندردم بريد * كشت بيدار وبديد
آن جامه خواب * پرحدث ديوانه شد از اضطراب * كفت خوابم بدتر از بيداريم * كه خورم آن
سو واين سو مى ريم * بانك مى زد واثبورا واثبور * همچنانكه كافر اندر قعر كور * منتظر كه كى
شود اين شب بسر * يا برايد در كشادن بانك در * تا كريزد او چو تيرى از كمان * تا نبيند هيچكس
اورا چنان * مصطفى صبح آمد ودر را كشاد * صبح آن كمراه را اوراه داد * جامه خواب پرحدث را
يك فضول * قاصدا آورد در پيش رسول * كه چنين كردست مهمانت ببين * خندهٔ زد رحمة
للعالمين * كه بيار آن مطهره اينجا به پيش * تا بشويم جمله را با دست خويش * او بجد مى شست
آن احداث را * خاص ز امر حق نه تقليد وريا * كه دلش مى كفت كين را تو بشو * كه در اينجا هست
حكمت تو بتو * كافرك راهيكل بد ياد كار * ياوه ديد آنرا او كشت او بى قرار * كفت آن حجره كه شب جا
داشتم * هيكل آنجا بى خبر بكذاشتم * كه چه شرمين بود شرمش حرص برد * حرص اژدرهاست بى چيزست
خرد * ازپى هيكل شتاب اندر دويد * در وثاق مصطفى وانرا بديد * كان يد الله آن حدث را هم بخود * خوش
همى شويد كه دورش چشم بد * هيكلش از ياد رفت وشد پديد * اندروشورى كريبان را دريد * مى زد او دودست
را بر رو وسر * كله را ميكوفت بر ديوار ودر * انچنانكه خون ز بينى وسرش * شد روان ورحم كرد آن مهترش *
چون ز حد بيرون بلرزيد وطپيد * مصطفى اش دركنار خود كشيد * ساكنش كرد وبسى بنواختش * ديده اش
بكشاده داد اشناختش * آب بر روز دد در آمد در سخن * كى شهيد حق شهادت عرضه كن * كشت مؤمن
كفت اورا مصطفى * كامشب هم باش وتو مهمان ما * كفت والله تا ابد ضيف توام * هر كجا باشم بهر
جا كه روم * يارسول الله رسالت را تمام * تو نمودى همچو شمع بى غمام (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا
ميثاقهم) اى واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم من اليهود ومن متعلقة باخذنا والتقديم
للاهتمام وانما قال قالوا انا نصارى ولم يقل ومن النصارى تنبيها على انهم نصارى بتسميتهم انفسهم بهذا الاسم
ادعاء لنصرة الله بقولهم لعيسى عليه السلام نحن انصار الله وليسوا موصوفين بانهم نصارى بتوصيف الله
اياهم بذلك ومعنى اخذ الميثاق هو ما اخذ الله عليهم فى الانجيل من العهد المؤكد باتباع محمد صلى الله عليه وسلم
وبيان صفته ونعته (فنسوا حظا) اى تركوا نصيبا وافرا (مما ذكروا به) فى تضاعيف الميثاق من الايمان
وما يتفرع عليه من افعال الخير (فاغرينا) اى ألزمنا والصقنا من غرى بالشئ اذا لزمه ولصق به واغراه غيره
(بينهم) ظرف لاغرينا (العداوة) وهى تباعد القلوب والنيات (والبغضاء) اى البغض (الى يوم القيامة)
غاية للاغراء اوللعداوة والبغضاء اى يتعادون ويتباغضون الى يوم القيامة (وسوف ينبئهم الله) اى يخبرهم
فى الآخرة (بما كانوا يصنعون) وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت اى
يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتأكيد الوعيد
والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم فى ذلك قيل الذى ألقى العداوة بين النصارى رجل يقال له بولس

وكان بينه و بين النصارى قتال قتل منهـم خلقا كثيرا فاراد أن يحتال بحيلة يلقى بها بينهم القتال فيقتل بعضهم بعضا فجاء الى النصارى وجعل نفسه اعور وقال لهم ألا تعرفونى فقالوا أنت الذى قتلت ماقتلت منا وفعلت مافعلت فقال قد فعلت ذلك كله والآن تبت لانى رأيت عيسى عليه الصلاة والسلام فى المنام نزل من السماء فلطم وجهى لطمة فقأ عينى فقال اى شئ تريد من قومى فتبت على يده ثم جئتكم لاكون بين ظهرانيكم واعلمكم شرآئع دينكم كما علمنى عيسى عليه السلام فى المنام فاتخذوا له غرفة فصعد تلك الغرفة وفتح كوة الى الناس فى الحائط وكان يتعبد فى الغرفة وربما كانوا يجتمعون اليه ويسألونه و يجيبهم من تلك الكوة وربما يأمرهم بان يجتمعوا ويناديهم من تلك الكوة ويقول لهـم بقول كان فى الظاهر منكرا وينكرون عليه فكان يفسر ذلك القول تفسيرا يعجبهم ذلك فانقادوا كلهم له وكانوا يقبلون قوله بما يأمرهم به فقال يوما من الايام اجتمعوا عندى فقد حضرنى علم فاجتمعوا فقال لهم أليس خلق الله تعالى هذه الاشياء فى الدنيا كلها لمنفعة بنى آدم قالوا نعم فقال لم تحرمون على انفسكم هذه الاشياء يعنى الخمر والخنزير وقد خلق لكم ما فى الارض جميعا فأخذوا قوله فاستحلوا الخمر والخنزير فلما مضى على ذلك ايام دعاهـم وقال حضرنى علم فاجتمعوا فقال لهم من اى ناحية تطلع الشمس فقالوا من قبل المشرق فقال ومن اى ناحية يطلع القمر والنجوم فقالوا من قبل المشرق فقال ومن يرسلهم من قبل المشرق قالوا الله تعالى فقال فاعلموا انه تعالى فى قبل المشرق فان صليتم له فصلوا اليه فحول صلاتهم الى المشرق فلما مضى على ذلك ايام دعا طائفة منهم وامرهم بان يدخلوا عليه فى الغرفة وقال لهـم انى اريد أن اجعل نفسى الليلة قربانا لاجل عيسى وقد حضرنى علم فاريد ان اخبركم فى السر لتحفظوا عنى وتدعوا الناس الى ذلك بعدى و يقال ايضا انه اصبح يوما وفتح عينه الاخرى ثم دعاهم وقال لهم جاءنى عيسى الليلة وقال قد رضيت عنك فمسح يده على عينى فبرئت والآن اريد أن اجعل نفسى قربانا له ثم قال هل يستطيع احد أن يحيى الموتى و يبرئ الاكمه والابرص الا الله تعالى فقالوا لا فقال ان عيسى قد فعل هذه الاشياء فاعلموا انه هو الله تعالى فخرجوا من عنده ثم دعا طائفة اخرى فاخبرهم بذلك ايضا انه كان ابنه ثم دعا طائفة ثالثة واخبرهم بذلك ايضا وقال انه ثالث ثلاثة واخبرهم انه يريد ان يجعل نفسه الليلة قربانا فلما كان بعض الليالى خرج من بين ظهرانيهم فاصبحوا وجعل كل فريق يقول قد علمنى كذا وكذا وقال الفريق الآخر أنت كاذب بل علمنى كذا وكذا فوقع بينهم القتال فاقتتلوا وقتلوا خلقا كثيرا وبقيت العداوة بينهم الى يوم القيامة وهم ثلاث فرق منهم النسطورية قالوا المسيح ابن الله والثانية الملكانية قالوا ان الله تعالى ثالث ثلاثة المسيح وامه والله والفرقة الثالثة اليعقوبية قالوا ان الله هو المسيح * درتصور ذات اورا كنج كو * تادر آيد در تصور مثل او * كر بغايت نيك وكربد كفته اند * هرچه زو كفتند از خود كفته اند * مى مكن چندين قياس اى حق شناس * زانكه نايد ذات بيچون در قياس * فعلى المؤمن ان يلاحظ قوله تعالى وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وان يشتغل بنفسه عن غيره وفى الحديث مامنكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه و بينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا ماقدم وينظر اشأم منه فلا يرى الا ماقدم فينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة يعنى من لم يجد شيأ يتقى به النار فليتق منها بقول حسن يطيب به قلب المسلم فان الكلمة الطيبة من الصدقات * والاشارة فى الآية ان الله تعالى اخذ الميثاق من اليهود والنصارى على التوحيد كما اخذ من هذه الامة يوم الميثاق ولكنه لما وكل الفريقين الى انفسهم نسوا ماذكروا به فما بقى لهم حظ من ذلك الميثاق بابطال الاستعداد الفطرى لكمال الانسانية فصاروا كالانعام بل هم اضل اى بل كالسباع يتحارشون ويتناوشون بالعداوة والبغضاء الى يوم القيامة فان ارباب الغفلة لاألفة بينهم وان اصحاب الوفاق لاوحشة بينهم واما هذه الامة لما ايدت بتأييد الاله اذ كتب فى قلوبهم الايمان بقلم خطاب ألست بربكم يوم الميثاق وايدهم بروح منه مانسوا حظا مما ذكروا به وقيل لنبيهم عليه الصلاة والسلام وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال تعالى خطابا لهم اذلم ينسوا حظهم ولم ينقضوا ميثاقهم فاذكرونى اذكركم على ان ذكره اياهم كان قبل وجودهم وذكرهم اياه حين ذكرهم المحبة وقال يحبهم و يحبونه كذا فى التأويلات النجمية (ياأهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى والكتاب جنس شامل للتوراة والانجيل (قد جاءكم رسولنا) الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه (يبين لكم) حال من رسولنا اى حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة

(كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) اى كثيرا كائنا من الذى كنتم تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب اى التوراة والانجيل الذى أنتم اهله والمتمسكون به كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى بأحمد عليهما السلام فى الانجيل (ويعفو عن كثير) مما تخفونه اى لا يظهره ولا يخبره اذا لم يضطر اليه امر دينى صيانة لكم عن زيادة الافتضاح (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) المراد بالنور والكتاب هو القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفى على الناس من الحق او الاعجاز الواضح والعطف المنبىء على تغاير الطرفين لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثانى القرآن (يهدى به الله) وحد الضمير لان المراد بهما واحد بالذات اولانهما فى حكم الواحد فان المقصود منهما دعوة الخلق الى الحق احدهما رسول الهى والآخر معجزته وبيان ما يدعو اليه من الحق (من اتبع رضوانه) اى رضاه بالايمان به (سبل السلام) اى طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب على ان يكون السلام بمعنى السلامة كاللذاذ واللذاذة والرضاع والرضاعة اوسبيل الله تعالى وهو شريعته التى شرعها للناس على ان يكون السلام هو الله تعالى وانتصاب سبل بنزع الخافض فان يهدى انما يتعدى الى الثانى بالى او باللام كما فى قوله تعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم (ويخرجهم) الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد فى اتبع باعتبار اللفظ (من الظلمات) اى ظلمات فنون الكفر والضلال (الى النور) الى الايمان وسمى الايمان نورا لأن الانسان اذا آمن ابصر به طريق نجاته فطلبه وطريق هلاكه فحذره (باذنه) اى بتيسيره وارادته (ويهديهم الى صراط مستقيم) اى طريق هو أقرب الطرق الى الله تعالى ومؤدى اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطف عليها تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى كما فى قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واعلم ان الله تعالى بعث النبى صلى الله عليه وسلم نورا يبين حقيقة حظ الانسان من الله تعالى وانه تعالى سمى نفسه نورا بقوله تعالى الله نور السموات والارض لانهما كانتا مختفيتين فى ظلمة العدم فالله تعالى اظهرهما بالايجاد وسمى الرسول نورا لأن اول شئ اظهره الحق بنور قدرته من ظلمة العدم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم كما قال اول ما خلق الله نورى ثم خلق العالم بما فيه من نوره بعضه من بعض فلما ظهرت الموجودات من وجود نوره سماه نورا وكل ما كان اقرب الى الاختراع كان اولى باسم النور كان عالم الارواح اقرب الى الاختراع من عالم الاجسام فلذلك سمى عالم الانوار والعلويات نورانيا بالنسبة الى السفليات فاقرب الموجودات الى الاختراع لما كان نور النبى عليه السلام كان اولى باسم النور ولهذا كان يقول انا من الله والمؤمنون منى وقال تعالى قد جاءكم من الله نور وروى عن النبى عليه السلام انه قال كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم باربعة عشر ألف عام وكان يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لما خلق الله آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذفنى فى صلب ابراهيم ثم لم يزل تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط قال العرفى فى قصيدته النعتية * اين بس شرف كوهر تومنشى تقدير * آن روز كه بكذاشتى اقليم قدم را * تاحكم نزول تودر ين دار نوشته است * صدره بعبث بازتراشيد قلم را * وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعترف آدم بالخطيئة قال يا رب اسألك بحق محمد أن تغفر لى فقال الله يا آدم كيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف الى اسمك الا اسم احب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الى غفرت لك ولولا محمد لما خلقتك رواه البيهقى فى دلائله (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) لا غير كما يقال الكرم هو التقوى نزلت فى نصارى نجران وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل فى بدن انسان معين اوفى روحه (قل) يا محمد تبكيتا لهم ان كان الامر كما تزعمون (فمن) استفهامية انكارية (يملك) الملك الضبط والحفظ التام عن حزم اى يمنع (من الله) اى من قدرته وارادته (شيئا) وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك شيئا منها (ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا) احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان

المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية وكيف يكون الها من لا يقدر على دفع الهلاك عن نفسه ولا عن غيره والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب ولعل نظم امه فى سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتأكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كأنه قيل قل فمن يملك من الله شيأ ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض وقد أهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) اى ما بين قطرى العالم الجسمانى لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما فى السموات من الملائكة وما فى اعماق الارض والبحار من المخلوقات وهو تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اى من فى الارض كذلك اى له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لأحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه (يخلق ما يشاء) اى يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كأنه قيل يخلق اى خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنس كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شئ من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فينسب كل اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده (والله على كل شئ قدير) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله (وفى المثنوى) دامن اوكير اى يار دلير * كو منزه باشد از بالا وزير * نى چو عيسى سوى كردون برشود * نى چو قارون درزمين اندر رود * ربى الاعلاست دردان مهان * رب ادنى درخوران ابلهان * وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى عليه السلام قال من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل وعن الحارث الاشعرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى أوحى الى يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات ان يعمل بهن ويأمر بنى اسرائيل ان يعملوا بهن فكأنه ابطأ بهن فأتاه عيسى فقال ان الله امرك بخمس كلمات ان تعمل بهن وتأمر بنى اسرائيل ان يعملوا بهن فاما ان تخبرهم واما ان اخبرهم فقال يا اخى لا تفعل فانى اخاف ان سبقتنى بهن ان يخسف بى او اعذب قال فجمع بنى اسرائيل بيت المقدس حتى امتلأ المسجد وقعدوا على الشرفات ثم خطبهم فقال ان الله أوحى الى بخمس كلمات ان اعمل بهن وآمر بنى اسرائيل ان يعملوا بهن * اولاهن ان لا تشركوا بالله شيأ فان مثل من اشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب او ورق ثم اسكنه دارا فقال اعمل وارفع الى فجعل يعمل ويرفع الى غير سيده فأيكم يرضى ان يكون عبده كذلك فان الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيأ واذا قمتم الى الصلاة فلا تلتفتوا فان الله يقبل بوجهه الى وجه عبده ما لم يلتفت وآمركم بالصيام ومثل ذلك كمثل رجل فى عصابة معه صرة من مسك كلهم يحب ان يجد ريحها وان الصيام عند الله اطيب من ريح المسك وآمركم بالصدقة ومثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فاوثقوا يده الى عنقه وقربوه ليضربوا عنقه فجعل يقول هل لكم ان افدى نفسى منكم فجعل يعطى القليل والكثير حتى فدى نفسه وآمركم بذكر الله كثيرا ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا فى اثره حتى اتى حصنا حصينا فاحرز نفسه فيه وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان الذى هو اكبر الاعداء الا بذكر الله (قال فى المثنوى) ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز * چشم نركس را ازين كركس بدوز * ذكر حق پاكست چون پاكى رسيد * رخت بربندد برون آيد پليد * مى كريزد ضدها از ضدها * شب كريزد چون برافروزد ضيا * چون درآيد نام پاك اندر دهان * نى پليدى ماند ونى اندهان * قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا آمركم بخمس الله امرنى بهن بالسمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان يراجع والربقة بكسر الراء وفتحها وسكون الباء الموحدة واحدة الربق وهى عرى فى حبل يشد به البهم وتستعار

لغيره (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) اى قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك او المعنى نحن من الله بمنزلة الابناء للآباء وقربنا من الله كقرب الوالد لولده وحبنا اياه كحب الوالد لولده وغضب الله علينا كغضب الرجل على ولده والوالد اذا سخط على ولده فى وقت يرضى عنه فى وقت آخر وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قل) الزاما لهم وتبكيتا (فلم يعذبكم بذنوبكم) اى ان صح ما زعمتم فلاى شئ يعذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه سيعذبكم فى الآخرة اياما معدودة بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع (بل) اى لستم كذلك (أنتم بشر ممن خلق) اى من جنس ما خلق الله تعالى من غير مزية لكم عليهم (يغفر لمن يشاء) ان يغفر له من اولئكم المخلوقين وهم الذين آمنوا بالله تعالى وبرسله (ويعذب من يشاء) ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به تعالى وبرسله (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) من الموجودات لا ينتمى اليه تعالى شئ منها الا بالمملوكية والعبودية والكل تحت مملوكيته يتصرف فيه كيف يشاء ايجادا واعداما واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء ما زعموا (واليه المصير) فى الآخرة خاصة لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فيجازى كلا من المحسن والمسيئ بما يستدعيه عمله من غير مانع يمنعه وليست المحبة بالدعوى بل لها علامات ولله در من قال

تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

والله تعالى لا يحب من خالف شيأ من شريعة النبى عليه السلام من سننها وفروضها وحلالها وحرامها وانما يحب من اطاع امره ولا فرق بين الناس من حيث الصورة البشرية وانما تفاوتهم من حيث العلم والعمل والتقرب الى الله تعالى (قال السعدى) ره راست بايدنه بالاى راست * كه كافرهم ازروى صورت جو ماست * وانما يظهر التفاوت فى الآخرة لانها دار الجزاء فطوبى لعبد تفكر فى حاله ومصيره فرغب فى الزهد والطاعة قبل مضى الوقت (قال فى المثنوى) كربينى ميل خود سوى سما * پردولت بركشا همچون هما * ور بينى ميل خود سوى زمين * نوحه ميكن هيچ منشين از حنين * عاقلان خود نوحها پيشين كنند * جاهلان آخر بسر برمى زنند * زابتداى كار آخر رابيين * تانباشى تو پشيمان يوم دين * (وحكى) ان رجلا جاء الى صائغ يسأل منه الميزان ليزن رضاض ذهب له فقال الصائغ اذهب فانه ليس لى غربال فقال الرجل لا تسخر بى آت الميزان فقال الصائغ ليس لى مكنسة ثم قال اطلب منك الميزان ايها الصائغ وانت تجيبنى بما يضحك منه فقال انما قلت ما قلت لانك شيخ مرتعش فعند الوزن يتفرق رضاضك من يدك بسبب ارتعاشك ويسقط الى التراب فتحتاج الى المكنسة والغربال للتخليص فبسبب فكرى لعاقبة امرك قلت ما قلت * من ز اول ديدم آخر را تمام * جاى ديكر رو ازينجا والسلام * واعلم ان احباء الله هم اولياء الله على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم فنهم عوام ومنهم خواص ومنهم اخص ولكل منهم مقام معلوم من المحبة ورأى بعضهم معروفا الكرخى تحت العرش وقد قال الله تعالى للملائكة من هذا فقالوا أنت اعلم يارب فقال هذا معروف الكرخى سكر من حبى فلا يليق الا اللقائى وكمال الحب انما يحصل بعد تزكية النفس فان النفس اذا كانت مغضوبة لا تنال الرحمة فى حقها وصاحبها انما يحب الله تعالى من وراء حجاب اللهم اجعلنا ممن يحبك حبا شديدا ويسلك فى محبتك طريقا سديدا (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) حال كونه (يبين لكم) الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد (على فترة) كائنة (من الرسل) مبتدأة من جهتهم وعلى متعلق بجاءكم على الظرفية اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية يقال فتر الشئ يفتر فتورا اذا سكنت حركته وصارت اقل مما كانت عليه وسميت المدة بين الانبياء فترة لفتور الدواعى فى العمل بتلك الشرائع ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعث بعد انقطاع الرسل لان الرسل كانت متواترة بعضها فى اثر بعض الى وقت رفع عيسى عليه السلام (ان تقولوا) تعليل لمجيئ الرسول بالبيان على حذف المضاف اى كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم فى مراعاة احكام الدين (ما جاءنا

من

من بشير) يبشرنا بالجنة (ولا نذير) يخوفنا بالنار وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها
(فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف تنبئ عنه الفاء الفصيحة وتبين انه معلل به اى لا تعتذروا بذلك فقد
جاءكم بشير أى بشير ونذير اى نذير على ان التنوين للتفخيم وفى الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست
آثار الوحى وكانوا احوج مايكون اليه (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى
وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبى وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين
عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة وتسع وتسعون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة
واربعة انبياء على ماروى الكلبى ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى وقيل لم يكن
بعد عيسى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بما فى تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان
عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضى دهر طويل بعد انقطاع الوحى ليعدوه اعظم
نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يتعللوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم من غفلتهم كذا فى
الارشاد وفى الحديث انا اولى الناس بعيسى ابن مريم فانه ليس بينى وبينه نبى قال ابن الملك بطل بهذا قول من قال
الحواريون كانوا انبياء بعد عيسى عليه السلام انتهى ومعنى قوله نبى اى نبى داع للخلق الى الله وشرعه واما خالد
ابن سنان فانه اظهر بدعواه الانبياء عن البرزخ الذى بعد الموت وما اظهر نبوته فى الدنيا وقصته انه كان مع قومه
يسكنون بلاد عدن فخرجت نار عظيمة من مغارة فأهلكت الزرع والضرع فالتجأ اليه قومه فاخذ خالد يضرب
تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة منه الى المغارة التى خرجت منها ثم قال لاولاده انى ادخل المغارة خلف
النار لاطفئها وامرهم ان يدعوه بعد ثلاثة ايام تامة فانهم ان نادوه قبل ثلاثة ايام فهو يخرج ويموت وان صبروا
ثلاثة ايام يخرج سالما فلما دخل صبروا يومين واستفزهم الشيطان فلم يصبروا ثلاثة ايام فظنوا انه هلك فصاحوا به
فخرج خالد من المغارة وعلى رأسه ألم حصل من صياحهم فقال ضيعتمونى واضعتم قولى ووصيتى واخبرهم بموته
وامرهم ان يقبروه ويرقبوه اربعين يوما فانه يأتيهم قطيع من الغنم يتقدمه حمار أبتر مقطوع الذنب فاذا حاذى
قبره ووقف فلينبشوا عليه قبره فانه يقوم ويخبرهم باحوال البرزخ والقبر عن يقين ورؤية فانتظروا اربعين يوما
فجاء القطيع وتقدمه حمار ابتر فوقف حذاء قبره فهم مؤمنوا قومه ان ينبشوا عليه فابى اولاده خوفا من العار
لئلا يقال لهم اولاد المنبوش قبره فحملتهم الحمية الجاهلية على ذلك فضيعوا وصيته واضاعوه فلما بعث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته بنت خالد فقال عليه السلام مرحبا بابنة نبى اضاعه قومه وانما امر خالد أن
ينبش عليه ليسأل ويخبر أن الحكم فى البرزخ على صورة الحياة الدنيا فيعلم بذلك الاخبار صدق الرسل كلهم بما
اخبروا به فى حياتهم الدنيا فكان غرض خالد عليه السلام ايمان العالم كله بما جاءت به الرسل من احوال
القبر والمواطن والمقامات البرزخية ليكون رحمة للجميع فانه تشرف بقرب نبوته من نبوة محمد عليه السلام وعلم
خالد أن الله ارسله رحمة للعالمين ولم يكن خالد برسول فاراد أن يحصل من هذه الرحمة فى الرسالة المحمدية على
حظ اوفر ولم يؤمر بالتبليغ فاراد أن يحظى فى البرزخ بذلك التبليغ من مقام الرسالة ليكون اقوى فى العلم فى حق
الخلق اى ليعلم قوة علمه بأحوال الخلائق فى البرزخ فاضاعه قومه وانما وصف النبى قومه بأنهم اضاعوا نبيهم
اى وصية نبيهم حيث لم يبلغوه مراده من اخبار أحوال القبر كذا فى الفصوص وشروحه واتفق العلماء على انه
صلى الله عليه وسلم ولد بمكة عام الفيل فى عاشر شهر ربيع الاول فى ليلة يوم الاثنين منه فلما تشرف العالم بوجوده
الشريف وعنصره اللطيف اضاءت قلوب الخلق واستنارت فهداهم الله به عليه السلام فأبصره من أبصر
وعمى من عمى وبقى فى الكفر والضلال * دركارخانهٔ عشق از كفر ناكزيرست * آتش كرا بسوزد كر بولهب
نباشد * وانما اضاف تعالى الرسول الى نفسه وقال رسولنا وما اضاف اليهم لان فائدة رسالته لم تكن
راجعة اليهم ولما خاطب هذه الامة واخبرهم عن مجئ الرسول ما اضافه الى نفسه وانما جعله من انفسهم
فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم لان فائدة رسالته كانت راجعة الى أنفسهم كما فى التأويلات النجمية فعلى
المؤمن ان يقتفى اثر الرسول صلى الله عليه وسلم ويتفكر فى الوعد والوعيد فقد جاء البشير والنذير بحيث لم يبق
للاعتذار مجال اصلا وروى ان جبير بن مطعم قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالجحفة فقال أليس تشهدون ان
لا اله الا الله وحده لاشريك له وانى رسول الله وان القرآن جاء من عند الله فقلنا بلى قال فابشروا فان هذا

القرآن طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده ابدا (واذ قال موسى لقومه) اى اذكر يا محمد لاهل الكتاب ما حدث وقت قول موسى لبنى اسرائيل ناصحا لهم (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) اى انعامه عليكم (اذ جعل فيكم انبياء) فى وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء فلرشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث فى امة من الامم ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء وكثرة الاشراف والافاضل فى القوم شرف وفضل لهم ولا شرف أعظم من النبوة (وجعلكم ملوكا) اى جعل فيكم اومنكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وجعل الكل فى مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وقال الذى وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعدما كنتم فى ايدى القبط فى مملكة فرعون بمنزلة أهل الجزية قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى اصحاب خدم وحشم وكانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وقال بعضهم من له امرأة يأوى اليها ومسكن يسكنه وخادم يخدمه فهو من الملوك وكذا من كان مسكنه واسعا وفيه ماء جارى فهو ملك (وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) هى ارض بيت المقدس طهرت من الشرك وجعلت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين (التى كتب الله لكم) اى كتب فى اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم (ولا ترتدوا) لا ترجعوا (على ادباركم) اى مدبرين خوفا من الجبابرة فهو حال من فاعل لا ترتدوا ويجوز أن يتعلق بنفس الفعل اى ولا ترجعوا على اعقابكم بخلاف ما امر الله (فتنقلبوا) فتنصرفوا حال كونكم (خاسرين) اى مغبونين بفوت ثواب الدارين (قالوا) اى بنوا اسرائيل عند امر موسى ونهيه غير ممتثلين لذلك (يا موسى ان فيها قوما جبارين) اى متغلبين لا تتاتى مقاومتهم والجبار العالى الذى يجبر الناس ويكرههم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اى اجبره عليه وذلك ان النقباء الاثنى عشر الذين خرجوا لتجسس الاخبار وانتهوا الى مدينة الجبارين لما رجعوا الى موسى واخبروه بما عاينوا من قوتهم وشوكتهم وطول قدودهم وعظم اجسامهم وان الرجل من بنى اسرائيل ليدخل تحت قدمهم لعظمه ووسعته قال لهم موسى اكتموا شأنهم ولا تخبروا به احدا من أهل العسكر فيفشلوا فاخبر كل واحد منهم قريبه وابن عمه الا رجلين وفيا بما قال لهما موسى احدهما يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف فتى موسى والآخر كالب بن يوفنا ختن موسى على اخته مريم بنت عمران وكان من سبط يهودا فشاع الخبر بين بنى اسرائيل فلذا قالوا ان فيها قوما جبارين (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها (فان يخرجوا منها) بسبب من الاسباب التى لا تعلق لنا بها (فانا داخلون) حينئذ (قال رجلان) كأنه قيل هل اتفقوا على ذلك اوخالفهم البعض فقيل قال رجلان وهما كالب ويوشع (من الذين يخافون) الله تعالى دون العدو ويتقونه فى مخالفة امره ونهيه وهو صفة لرجلان (انعم الله عليهما) بالتثبيت والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده وهو صفة ثانية لرجلان (ادخلوا عليهم الباب) اى باب بلد الجبارين وهو اريحا وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم فى بلدهم اى باغتوهم وضاغتوهم فى المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا (فاذا دخلتموه) اى باب بلدهم وهم فيه (فانكم غالبون) من غير حاجة الى القتال فانا قد رأيناهم وشاهدناهم ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم فى المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر (وعلى الله) خاصة (فتوكلوا) بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وانما التأثير من عناية العزيز القدير (ان كنتم مؤمنين) به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما (قالوا) غير مبالين بقول ذينك الرجلين مصرين على القول الاول (يا موسى انا لن ندخلها) اى ارض الجبابرة (ابدا) اى دهرا طويلا (ما داموا فيها) اى فى ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض لان الابد يعم الزمن المستقبل كله ودوام الجبارين فيها بعض منه (فاذهب) الفاء فصيحة اى فاذا كان الامر كذلك فاذهب (أنت وربك فقاتلا) اى فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به تعالى وبرسوله وعدم مبالاة بهما لا انهم قصدوا ذهابهما حقيقة لان من هو فى صورة الانسان يستبعد منه انه يجوز حقيقة الذهاب والمجيء على الله تعالى الا ان يكون من المجسمة (انا ههنا

قاعدون

قاعدون) اراد بذلك عدم التقدم لاعدم التأخر (قال) موسى عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة (رب انى لا املك الا نفسى واخى) اى الا طاعة نفسى وأخى (فافرق بيننا) يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق والدعاء به على ما قبله (وبين القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقون (قال) الله تعالى (فانها) اى الارض المقدسة (محرمة عليهم) تحريم منع لا تحريم تعبد وتكليف لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين (اربعين سنة) ظرف لمحرمة فالتحريم موقت بهذه المدة لامؤبد فلا يكون مخالفا لقوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم فى هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقى (يتيهون فى الارض) اى يتحيرون فى البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم (فلا تأس) فلا تحزن والاسى الحزن (على القوم الفاسقين) روى انه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم فلبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ وهم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم جادين فاذا امسوا كانوا فى الموضع الذى ارتحلوا منه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيئ لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وماؤهم من الحجر الذى يحملونه وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق الفرك والتأديب واصح الاقاويل ان موسى وهرون كانا معهم فى التيه ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار لابراهيم ولملائكة العذاب قال فى التأويلات النجمية والتعجب فى ان موسى وهرون بشؤم معاملة بنى اسرائيل بقيا فى التيه اربعين سنة وبنوا اسرائيل ببركة كرامتهما ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى فى التيه ليعلم اثر بركة صحبة الصالحين واثر شؤم صحبة الفاسقين انتهى (قال الحافظ) ملول همرهان بودن طريق كاردانى نيست * بكش دشوارئ منزل بياد عهد آسانى * روى ان موسى عليه السلام خرج من التيه بعد أربعين سنة وسار بمن بقى من بنى اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته فحارب الجبابرة وفتحها واقام بها ما شاء الله ثم قبضه الله ولا يعلم قبره الا الله وهذا أصح الاقاويل لاتفاق العلماء على ان عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام قال السدى فى وفاة هرون ان الله أوحى الى موسى انى متوفى هرون فائت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا هما بشجرة لم ير مثلها فاذا ببيت مبنى وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك اعجبه وقال ياموسى انى احب ان انام على هذا السرير قال فنم عليه فلما نام جاء ملك الموت فقال ياموسى خدعتنى فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به الى السماء فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل وليس معه هرون قالوا ان موسى قتل هرون وحسده على حب بنى اسرائيل اياه فقال لهم موسى ويحكم كان اخى أفترونى اقتل اخى فلما كثروا عليه صلى ركعتين ثم دعا فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال صعد موسى وهرون الجبل فقال بنوا اسرائيل أنت قتلته فآذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفت بنوا اسرائيل انه قد مات فبرأه الله مما قالوا ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم وأبكم وقال عمرو بن ميمونة مات هرون وموسى فى التيه مات هرون قبل موسى وكانا خرجا الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه موسى وانصرف الى بنى اسرائيل فقالوا اقتلته لحبنا اياه وكان محببا فى بنى اسرائيل فتضرع موسى الى ربه فأوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فنادى ياهرون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال انا قتلتك فقال لا ولكننى مت قال فعد الى مضجعك وانصرفوا واما وفاة موسى عليه الصلاة والسلام قال ابن اسحق كان صفى الله موسى قد كره الموت وأعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبئ يوشع بن نون فكان يغدو ويروح عليه فيقول له موسى يانبى الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يانبى الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عن شئ مما احدث الله اليك حتى تكون أنت الذى تبتدئ به وتذكره ولا يذكر له شيأ ولما رأى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت وفى الحديث جاء ملك الموت الى موسى

فقال له اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها فرجع ملك الموت الى الله تعالى فقال انك ارسلتنى
الى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عينى قال فرد الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدى فقل له الحياة تريد فان كنت
تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت
قال فالآن من قريب قال رب ادننى من الارض المقدسة قدر رمية بحجر قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لو انى عنده لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال محمد بن يحيى قد صح حديث ملك الموت
وموسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرده الا كل مبتدع كذا فى تفسير الثعلبى وفى حديث آخر ان ملك
الموت كان يأتى الناس عيانا حتى اتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية وقال
وهب خرج موسى لبعض حاجاته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ قط أحسن منه ومثل ما فيه
من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن يحفر هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا
العبد من الله بمنزل ما رأيت مضجعا أحسن من هذا قالوا يا كليم الله أتحب ان يكون لك قال وددت قالوا
فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس أسهل نفس فقبض الله روحه
ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه (وروى)
ان يوشع رآه بعد موته فى المنام فقال كيف وجدت الموت قال كشاة تسلخ وهى حية وكان عمر موسى مائة
وعشرين سنة فلما مات موسى وانقضت الاربعون بعث الله يوشع نبيا فأخبره ان الله قد أمره بقتال الجبابرة
فصدقوه وتابعوه فتوجه ببنى اسرائيل الى اريحاء معه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة اريحاء ستة أشهر فلما كان
السابع نفخوا فى القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبارين فهزموهم
وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها
وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم البقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس
علىّ وقال للشمس انك فى طاعة الله تعالى وانا فى طاعة الله فسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقيم حتى ينتقم
من اعداء الله قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد فى النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتتبع ملوك
الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت الشام كلها لبنى اسرائيل
وفرق عماله فى نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله الى يوشع ان فيها غلولا فمرهم فليبايعوك فبايعوه
فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجواهر وكان قد غله
فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن فى جبل افرائيم
وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة وتدبيره امر بنى اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

جهان اى برادر نماند بكس * دل اندر جهان آفرين بند وبس

(واتل عليهم) اى على اهل الكتاب
(نبأ ابنى آدم) اى خبر ابنى البشر وهما قابيل وهابيل (بالحق) اى تلاوة ملتبسة بالحق والصحة ذكر العلماء
ان حواء كانت تلد فى كل بطن ولدين ذكرا وانثى الا شيثا فانها ولدته منفردا فولدت اول بطن قابيل واخته
اقليما ثم ولدت فى البطن الثانية هابيل واخته ليوذا فلما أدركوا أوحى الله الى آدم انه يزوج كلا منهما توأمة الآخر
لانه لم يكن يومئذ الا اختاهما وكانت توأمة قابيل أجمل فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله
بل من جهة آدم فقال لهما قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فأكلته ولم تتعرض
لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل (اذ قربا قربانا) ظرف لنبأ والقربان اسم لما يتقرب به
الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة وتوحيده لما انه فى الاصل مصدر والتقدير اذ قرب كل منهما قربانا (فتقبل
من احدهما) هو هابيل وكان صاحب ضرع وقرب جملا سمينا او كبشا ولبنا وزبدا فنزلت نار من السماء بيضاء
لا دخان لها فأكلته بعد دعاء آدم عليه السلام وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار فأكلتها
وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلتها الطير والسباع وقيل ما كان فى ذلك الوقت فقير يدفع اليه ما يتقرب به
الى الله تعالى فكانت علامة قبوله ما ذكر من مجيئ النار والاكل وروى سعيد بن جبير وغيره نزلت نار من السماء
فاحتملت قربان هابيل ورفع بها الى الجنة فلم يزل يرعى الى ان فدى به الذبيح عليه السلام (ولم يتقبل من الآخر)
وهو قابيل كان صاحب زرع وقرب اردأ ما عنده من القمح ولم تتعرض له النار أصلا لانه سخط حكم الله

ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى اخس ما عنده فنزلا عن الجبل الذى قربا عليه وقد غضب قابيل لرد قربانه وكان يضمر الحسد فى نفسه الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت فلما غاب آدم اتى قابيل هابيل وهو فى غنمه فعند ذلك (قال) اى من لم يتقبل قربانه لاخيه (لاقتلنك) اى والله لاقتلنك قال ولم قال لان الله تقبل قربانك ورد قربانى وتنكح اختى الحسناء وأنكح اختك الدميمة فيحدث الناس انك خير منى ويفخر ولدك على ولدى (قال) الذى تقبل قربانه وماذنبى (انما يتقبل الله) اى القربان (من المتقين) لا من غيرهم وانما تقبل قربانى ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه اى انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلى فلم تقتلنى والتقوى من صفات القلب لقوله عليه السلام التقوى ههنا واشار الى القلب وحقيقة التقوى ان يكون العامل على خوف ووجل من تقصير نفسه فيما اتى به من الطاعات وان يكون فى غاية الاحتراز من ان يأتى بتلك الطاعة لغرض سوى طلب مرضاة الله وان يكون فيه شركة لغير الله تعالى (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك) اى والله لئن مددت الى يدك وباشرت قتلى حسبما أوعدتنى به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك فى وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله (انى اخاف الله رب العالمين) قيل كان هابيل اقوى ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت قال البغوى وفى الشرع جائز لمن اريد قتله ان ينقاد ويستسلم طلبا للاجر كما فعل عثمان رضى الله عنه (انى اريد أن تبوء باثمى واثمك) تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف تنبيها على كفاية كل منهما فى العلية والمعنى انى اريد باستسلامى لك وامتناعى عن التعرض لك ان ترجع باثمى اى بمثل اثمى لو بسطت يدى اليك وباثمك ببسط يدك الى كما فى قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم اى على البادئ عين اثم سبه ومثل سبه صاحبه بحكم كونه سببا له وكلاهما نصب على الحالية اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له (فتكون من اصحاب النار) فى الآخرة (وذلك) اشارة الى كونه من اصحاب النار (جزاء الظالمين) اى عقوبة من لم يرض بحكم الله تعالى (فطوعت له نفسه قتل اخيه) من طاع له المرتع اذا اتسع اى وسعته وسهلته اى جعلته سهلا وهونته وتقدير الكلام فصورت له نفسه ان قتل اخيه طوع له سهل عليه ومتسع له لا ضيق فيه ولا حرج فان قتل النفس بغير حق لا سيما قتل الاخ اذا تصوره الانسان يجده شيأ عاصيا نافرا كل النفرة عن دائرة الشرع والعقل بعيدا عن الاطاعة والانقياد البتة ثم ان النفس الامارة اذا استعملت القوة السبعية الغضبية صار ذلك الفعل اسهل عليها فكانت النفس صيرته كالمطيع لها بعد ان كان كالعاصى المتمرد عليها ويتم الكلام بدون اللام بان يقال فطوعته نفسه قتل اخيه الا انه جيئ باللام لزيادة الربط كما فى قولك حفظت لزيد ماله مع تمام الكلام بان يقال حفظت مال زيد (فقتله) قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا او حية ووضع رأسه على الحجر ثم شدخها بحجر آخر وقابيل ينظر فتعلم منه فوضع رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصى عليه او اغتاله وهو نائم وغنمه ترعى وذلك عند جبل ثور أو عقبة حراء او بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم وكان لهابيل يوم قتله عشرون سنة وعن بعض الكبار أن آدم لما هبط الى الارض تفكر فيما اكل فاستقاء فنبتت شجرة السم من قيئه فاكلت الحية ذلك السم ولذا صارت مؤذية مهلكة وكان قد بقى شئ مما اكل فلما غشى حواء حصل قابيل ولذا كان قاتلا باعثا للفساد فى وجه الارض (فاصبح من الخاسرين) خسر دينه ودنياه قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر دنياه وآخرته اما الدنيا فانه اسخط والديه وبقى مذموما الى يوم القيامة واما الآخرة فهو العقاب العظيم (فبعث الله غرابا) ارسله (يبحث فى الارض) البحث بالفارسية بكندن (ليريه) المستكن الى الله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثانى بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا (كيف يوارى) يستر (سوأة اخيه) اى جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى وقيل عورته لانه كان قد سلب ثيابه وكيف حال من ضمير يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى (روى) انه لما قتله تركه بالعراء اى الارض الخالية عن الاشجار ولم يدر ما يصنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من بنى آدم فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره اربعين يوما او سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها وواراه وقابيل

ينظر اليه وكأنه قيل فاذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل (قال ياويلتا) هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى ياويلتي احضري فهذا اوانك والنداء وان كان اصله لمن يتأتى منه الاقبال وهم العقلاء الاان العرب تتجوز وتنادي مالا يعقل اظهار اللتحسر ومثله ياحسرة على العباد والويل والويلة الهلكة (اعجزت ان اكون) اي عن ان اكون (مثل هذا الغراب فأواري سوأة اخي) تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله فأواري بالنصب عطف على اكون اي اعجزت عن كوني مشبها بالغراب فمواريا (فاصبح من النادمين) أي على قتله لما كان من التصعب في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وغيرذلك فلما كان ندمه لاجل هذه الاسباب لا للخوف من الله بسبب ارتكاب المعصية لم يكن ندمه توبة ولم ينتفع بندمه (روى) انه لما قتل ابن ادم اخاه رجفت الارض بما عليها سبعة ايام ثم شربت الارض دمه كشرب الماء فناداه الله أين اخوك هابيل قال ماادري ماكنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله تعالى على الارض يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا قال مقاتل كان قبل ذلك يستأنس السباع والطيور والوحوش فلما قتل قابيل هابيل نفروا فلحقت الطيور بالهواء والوحوش بالبرية والسباع بالغياض واشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وامر الماء واغبرت الارض فقال آدم قدحدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قدقتل هابيل وكان جسد قابيل ابيض قبل ذلك فاسود فسأله آدم عن اخيه فقال ماكنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم حزينا على قتل ولده مائة سنة لايضحك وأنشأ يقول وهو اول من قال الشعر

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذي لون وطعم * وقل بشاشة الوجه الصبيح

وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب ان محمدا والانبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال آدم مرثية قال لشيث يابني انك وصي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط بالعربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزيد فيه ابيات منها

ومالي لااجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح

ارى طول الحياة علي غما * فهل انا من حياتي مستريح

وروى عن انس رضي الله عنه انه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن يوم الثلاثاء فقال يوم الدم فيه حاضت حواء وفيه قتل ابن آدم اخاه فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل علمه الله تعالى ساعات الليل والنهار واعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منها وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لاتأمن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب أنت ايضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار وهو اول من عبد النار وكان لايمر به احد الارماه فاقبل ابن له اعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه هذا ابوك قابيل فرمى الاعمى اباه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى قتلت اباك فرفع يده فلطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت ابي برميتي وقتلت ابني بلطمتي قال مجاهد فعقلت احدى رجلي قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة وجهه الى الشمس حيثما دارت عليه في الصيف حظيرة من نار وفي الشتاء حظيرة من ثلج وهو اول من عصى الله في الارض من ولد آدم وهو اول من يساق الى النار وفي الحديث لاتقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل وهو اب يأجوج ومأجوج شر اولاد تو الدوا من شر والد قالوا واتخذ اولاد قابيل الات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنى والفواحش حتى غرقهم الله بالطوفان ايام نوح وبقي نسل شيث وفي التواريخ لماذهب قابيل الى سمت اليمن كثروا وخلفوا وطفقوا يتحاربون مع اولاد آدم يسكنون في الجبال والمغارات

والغياض الى زمن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث ففرقهم مهلاييل الى اقطار الارض وسكن هو في ارض بابل وكان كيومرث اخاه الصغير وهو أول السلاطين في العالم فاخذوا يبنون المدن والحصون واستمر الحرب بينهم الى آخر الزمان واعلم ان الكدر لا يرتفع من الدنيا وانما يرتفع التكدر عن قلوب اهل الله تعالى كالنار والماء لا يرتفعان ابدا لكن يرتفع احراق النار لبعض كما وقع لابراهيم عليه السلام واغراق الماء لبعض كما وقع لموسى عليه السلام والدنيا تذهب على هذا فطوبى لمن رضي وصبر (قال الحافظ) در ين چمن كل بيخار كس نچيد آرى * چراغ مصطفوى باشرار بولهبيست (وله) مكن زغصه شكايت كه در طريق طلب * براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد * والاشارة في الآيات ان آدم الروح بازدواجه مع حوآء القلب ولد قابيل النفس وتوأمته أقليميا الهوى في بطن اولا ثم ولد هابيل القلب وتوأمته ليوذا العقل وكان اقليميا الهوى في غاية الحسن لان القلب يميل الى طلب المولى وما عنده وهو محبب اليه وكان ليوذا العقل في نظر هابيل القلب في غاية القبح والدمامة لان القلب به يعقل عن طلب الحق والفناء في الله ولهذا قيل العقل عقيلة الرجال وفي نظر قابيل النفس ايضا في غاية القبح لان النفس به تعقل عن طلب الدنيا والاستهلاك فيها فالله تعالى حرم الازدواج بين التوأمين كما امر بازدواج توأمة كل واحد منهما الى توأم الاخرى لئلا يعقل القلب عن طلب الحق بل يحرضه الهوى على الاستهلاك والفناء في الله ولهذا قال بعضهم لولا الهوى ماسلك احد طريقا الى الله فان الهوى اذا كان قرين النفس يكون حرصا فيه تنزل النفس الى اسفل سافلين الدنيا وبعد المولى واذا كان قرين القلب يكون عشقا فيه يصعد القلب الى اعلى عليين العقبى وقرب المولى ولهذا سمي العشق هوى كما قال الشاعر

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبي فارغا فتمكنا

ولتعقل النفس عن طلب الدنيا بل يحرضها العقل على العبودية وينهاها عن متابعة الهوى فذكر آدم الروح لولديه ما امر الله به فرضي هابيل القلب وسخط قابيل النفس وقال هي اختي يعني أقليميا الهوى ولدت معي في بطن وهي أحسن من اخت هابيل القلب يعني ليوذا العقل وانا أحق بها ونحن من ولائد جنة الدنيا وهما من ولائد ارض العقبى فانا احق بأختي فقال له ابوه انها لا تحل لك يعني اذ كان الهوى قرينك فتهلك في اودية حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها فابى ان يقبل قابيل النفس هذا الحكم من آدم الروح وقال ان الله تعالى لم يامر به وانما هذا من رأيه فقال لهما آدم الروح قربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها فخرجا ليقربا وكان قابيل النفس صاحب زرع يعني مدبر النفس النامية وهي القوة النباتية فقرب طعاما من اردى زرعه وهو القوة الطبيعية وكان هابيل القلب راعيا يعني مواشي الاخلاق الانسانية والصفات الحيوانية فقرب جملا يعني الصفة البهيمية وهي احب الصفات اليه لاحتياجه اليها لضرورة التغذي والبقاء ولسلامتها بالنسبة الى الصفات السبعية الشيطانية فوضعا قربانهما على جبل البشرية ثم دعا آدم الروح فنزلت نار المحبة من سماء الجبروت فأكلت جمل الصفة البهيمية لانها حطب هذه النار ولم تأكل من قربان قابيل النفس حبة لانها ليست من حطبها بل هي من حطب نار الحيوانية فهذا تحقيق قوله تعالى واتل عليهم الآية * والاشارة في قوله فطوعت له نفسه اي نفس قابيل النفس طوعت له وجوزت قتل اخيه وهو القلب لان للنفس اعدى عدو القلب فقتله فأصبح من الخاسرين يعني في قتل القلب خسارة النفس في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فتحرم عن الواردات والكشوف والعلوم الغيبية التي منشأها القلب وعن ذوق المشاهدات ولذة المؤانسات فتبقى في خسران جهولية الانسان كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر واما في الآخرة فتخسر الدخول في جنات النعيم ولقاء الرب الكريم والنجاة من الجحيم والعذاب الاليم * وفي قوله فبعث الله اشارات منها ليعلم ان الله قادر على ان يبعث غرابا او غيره من الحيوان الى الانسان ليعلمه ما لم يعلم كما يبعث الملائكة الى الرسل والرسل الى الامم ليعلموهم ما لم يعلموا ومنها ان لا يعجب الملائكة والرسل انفسهم باختصاصهم بتعليم الحق فانه يعلمهم بواسطة الغراب كما يعلمهم بواسطة الملائكة والرسل ومنها ليعلم الانسان انه محتاج في التعلم الى غراب ويجوز أن يكون مثل غراب في العلم ومنها ان لله تعالى في كل حيوان بل في كل ذرة آية تدل على وحدانيته واختياره حيث يهدي المعاملات المعقولة من الحيوانات الغير العاقلة ومنها اظهار لطفه مع عباده في اسباب التعيش حتى اذا اشكل عليهم امر كيف يرشدهم الى الاحتيال بلطائف الاسباب لحله كذا في التأويلات النجمية (من اجل ذلك) شروع فيما هو المقصود بتلاوة

النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بنى اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه
اى من اجل كون القتل على سبيل العدوان مشتملا على انواع المفاسد من خسارة جميع الفضائل الدينية
والدنيوية وجميع السعادات الاخروية كما هى مندرجة فى اجمال قوله فأصبح من الخاسرين ومن الابتلاء
بجميع ما يوجب الحسرة والندامة من غير ان يكون لشئ منها ما يدفعه البتة كما هو مندرج فى اجمال قوله
فأصبح من النادمين واجل فى الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه وهيجه استعمل فى تعليل الجنايات اى فى جعل
ما جناه الغير علة لامر يقال فعلته من اجلك اى بسبب ان جنيت ذلك وكسبته ثم اتسع فيه واستعمل
فى كل تعليل ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى (كتبنا على بنى اسرائيل) وتقديمها عليه للقصر اى من ذلك
ابتدئ الكتب ومنه نشأ لا من شئ آخر اى قضينا عليهم فى التوراة وبينا (انه من قتل نفسا) واحدة من النفوس
(بغير نفس) اى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (او فساد فى الارض) اى فساد يوجب اهدار دمها كالشرك وقطع
الطريق وهو عطف على ما اضيف اليه غير بمعنى نفى كلا الامرين معا كما فى قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت
صلاته لا نفى أحدهما كما فى قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلاته (فكأنما قتل الناس جميعا) من حيث
انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سوآء فى استجلاب
غضب الله والعذاب العظيم وقوله جميعا حال من الناس او تأكيد (ومن احياها) اى تسبب لبقاء حياتها بعفو
او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة (فكأنما احيى الناس جميعا) فكأنما فعل ذلك بالناس
جميعا والمقصود من التشبيه المبالغة فى تعظيم امر القتل بغير حق والترغيب فى الاحتراز عنه (ولقد جاءتهم) اى
أهل الكتاب (رسلنا بالبينات) اى وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات الواضحة بتقرير ما كتبنا
عليهم تأكيدا لوجوب مراعاته وتأييدا لتحتم المحافظة عليهم (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) اى بعد ما ذكر
من الكتب وتأكيدا لامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى وثم للتراخى فى الرتبة والاستبعاد
(فى الارض لمسرفون) فى القتل غير مبالين به والاسراف فى كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به
قوله بعد ذلك وقوله فى الارض يتعلقان بقوله لمسرفون وهو خبر ان وبهذا اى بقوله تعالى ولقد جاءتهم رسلنا
اتصلت القصة بما قبلها وفى التأويلات النجمية اعلم ان كل شئ ترى فيه آية من الله تعالى فهو فى الحقيقة رسول
من الله اليك ومعه آية بينة ومعجزة ظاهرة يدعوك بها الى الله ثم ان كثيرا من الذين شاهدوا الآيات وتحققوا
البينات بعد رؤية الآيات فى الارض لمسرفون اى فى ارض البشرية مجاوزون حد الشريعة والطريقة بمخالفة
اوامر الله ونواهيه انتهى واعلم ان اهل الغفلة يشاهدون الآثار لكنهم غافلون عن الحقيقة فهم كأنهم لا بصر لهم
بل غيرة الحق تمنعهم من الرؤية الصحيحة لكونهم اغيارا غير لائقين بالدخول فى المجلس الخاص (قال الحافظ)
معشوق عيان ميكذرد بر تو وليكن * اغيار همى بيند ازان بسته نقابست * وكل ذرة من ذرات
الكائنات وان كانت قائمة بالحق وبنوره فى الحقيقة الا ان الدنيا خيال يحتاج السالك الى العبور عن مسالكه
الى ان ينتهى الى الحق (وفى المثنوى) اين جهان را كه بصورت قائمست * كفت پيغمبر كه حكم نائمست *
از ره تقليد تو كردى قبول * سالكان اين ديده پيدا بى رسول * روز در خوابى مكو كين خواب نيست *
سايه فرعست اصل جز مهتاب نيست * خواب بيداريست آن دان اى عضد * كه نبيند خفته كو در
خواب شد * او كمان برده كه اين دم خفته ام * بى خبر زان كوست در خواب دوم * وهذه اى اليقظة من
المنام على الحقيقة لا تتيسر الا لارباب المكاشفة الصحيحة واصحاب المشاهدة الواضحة اللهم افض علينا من هذا
المقام (انما جزآء الذين يحاربون الله ورسوله) اى يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما
تعظيما لهم والمراد بالمحاربة قطع الطريق وهو انما يكون من قوم اجتمعوا فى الصحرآء وتعرضوا الدماء المسلمين
واموالهم وازواجهم واماءهم ولهم قوة وشوكة تمنعهم ممن ارادهم (ويسعون فى الارض فسادا) حال من
فاعل يسعون اى مفسدين نزلت فى قوم هلال بن عويمر الاسلمى وكان وادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله فهو آمن
لا يهاج فمر قوم من بنى كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ حاضرا فقطعوا عليهم
وقتلوهم واخذوا اموالهم فان قلت بنفس ارادة الاسلام لا يخرج الشخص عن كونه حربيا والحد لا يجب بقطع

الطريق عليه وان كان مستأمنا قلت معناه يريدون نعلم احكام الاسلام فانهم كانوا مسلمين اويقال جاؤا على قصد الاسلام فهم بمنزلة أهل الذمة والحد واجب بالقطع على أهل الذمة ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل (أن يقتلوا) اى حدا من غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة جارحة اولا (او يصلبوا) اى يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا ولا يصلبوا بعد ما قتلوا لان الصلب حيا أبلغ فى الردع والزجر لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية (او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف) اى أيديهم اليمنى من الرسغ وأرجلهم اليسرى من الكعب ان اقتصروا على اخذ مال من مسلم اوذمى وكان فى المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم او ما يساويها قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه (او ينفوا من الارض) ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعى للفساد والمراد بالنفى عندنا هو الحبس فانه نفى عن وجه الارض بدفع شرهم عن أهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن (ذلك لهم خزى) كائن (فى الدنيا) اى ذل وفضيحة قوله ذلك مبتدأ ولهم خبر مقدم على المبتدأ وهو الخزى والجملة خبر لذلك (ولهم فى الآخرة) غير هذا (عذاب عظيم) لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وفى الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اى كائنا فى الآخرة (الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبىء عنه قوله تعالى (فاعلموا ان الله غفور رحيم) اما ما هو من حقوق الآدميين فانه لا يسقط بهذه التوبة فان قطاع الطريق ان قتلوا انسانا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قتلهم حدا وكان ولى الدم على حقه فى القصاص والعفو وان اخذوا مالا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وكان حق صاحب المال باقيا فى ماله وجب عليهم رده واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه ويقام الحد عليه فى الدنيا كما يضمن حقوق العباد وان سقط عنه العذاب العظيم فى العقبى والآية فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يعنى ان المشرك المحارب لو آمن بعد القدرة عليه فلا سبيل عليه بشىء من الحدود ولا يطالب بشىء مما اصاب فى حال الكفر من دم او مال كما لو آمن قبل القدرة عليه واما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليه اى قبل ان يظفر به الامام سقطت عنه العقوبة التى وجبت حقا لله ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فان كان قد قتل فى قطع الطريق سقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولى القتل ان شاء عفا عنه وان شاء استوفاه وان كان قد أخذ المال يسقط عنه القطع وان كان جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال وقال بعضهم اذا جاء تائبا قبل القدرة عليه لا يكون لاحد تبعة فى دم ولا مال الا ان يوجد معه مال بعينه فيرده على صاحبه * روى عن على رضى الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق ويسفك الدماء ويأخذ الاموال فقبل توبته ولم يجعل عليه تبعة أصلا واما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شىء من الحقوق اعلم ان قطع الطريق واخافة المسافرين من اقبح السيئات كما ان دفع الاذى عن الطريق من أحسن الصالحات وفى الحديث عرضت على اعمال امتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن اعمالها الاذى يماط عن الطريق ووجدت فى مساوى اعمالها النخاعة تكون فى المسجد لا تدفن وفى الحديث من اشار الى اخيه اى اخيه المسلم والذمى فى حكمه بحديدة اى بما هو آلة القتل لانه جاء فى رواية بسلاح مكان بحديدة فان الملائكة تلعنه يعنى تدعو عليه بالبعد عن الجنة اول الامر لانه خوف مسلما باشارته وهو حرام لقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل لمسلم ان يروع المسلم اولانه قد يسبقه السلاح فيقتله كما صرح به فى رواية مسلم لا يشير أحدكم الى اخيه فانه لا يدرى لعل الشيطان ينزغ فى يده وان كان اخاه اى المشير اخا المشار اليه لابيه وامه يعنى فان كان هازلا ولم يقصد ضربه كنى به عنه لان الاخ الشقيق لا يقصد قتل اخيه غالبا * والاشارة فى الآية ان محاربة الله ورسوله معاداة اولياء الله فان فى الخبر الصحيح حكاية عن الله تعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالحرب وانى لاغضب

لاولسائى كما يغضب الليث لجروه الايرى ان بلعم بن باعوراء فى زمن موسى عليه السلام كان بحيث اذا نظر رأى العرش فلما مال الى الدنيا وأهلها ميلة واحدة ولم يترك لولى من اوليائه حرمة واحدة سلب الله معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود فجزاء مثل هذا المحارب ان يقتل بسكين الخذلان او يصلب بحبل الهجران على جذع الحرمان اوتقطع ايديه عن اذيال الوصال وارجله من خلاف عن الاختلاف او ينفى من ارض القربة والائتلاف فله فى الدنيا بعد وهوان وفى الآخرة عذاب القطيعة والهجران الا الذين تابوا الى الله واستغفروا واعتذروا عن اولياء الله من قبل ان تقدروا عليهم برد الولاية أيها الاولياء فان ردكم رد الحق وقبولكم قبول الحق وان مردود الولاية مفقود العناية (قال الحافظ) كليد كنج سعادت قبول اهل دلست * مبادكس كه درين نكته شك وريب كند (وفى المثنوى) لاجرم انراء بر تو بسته شد * چون دل اهل دل از تو خسته شد * زودشان دریاب واستغفار كن * همچوابرى كريها وزاركن * تا كلستان شان سوى تو بشكفد * ميوهاى پخته برخود واكفد * هم بران دركرد كم ازسك مباش * باسك كهف ارشدستى خواجه تاش *

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) اى اخشوا عذابه واحذروا معاصيه (وابتغوا) اى اطلبوا لانفسكم (اليه) اى الى ثوابه والزلفى منه (الوسيلة) اى القربة بالاعمال الصالحة قوله تعالى اليه متعلق بالوسيلة قدم عليها للاهتمام وليست بمصدر حتى يمتنع ان يتقدم معمولها عليها بل هى فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله تعالى من وسل الى كذا تقرب اليه والجمع الوسائل وقال عطاء الوسيلة أفضل درجات الجنة وفى الحديث سلوا الله لى الوسيلة فانها درجة فى الجنة لا ينالها الاعبد واحد وارجو من الله ان يكون هو أنا وفى الحديث من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة اما الوسيلة فهى اعلى درجة فى جنة عدن وهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصلت له بدعاء امته فعل ذلك الحق سبحانه لحكمة اخفاها فانا بسببه نلنا السعادة من الله وبه كنا خير أمة اخرجت للناس وبه ختم الله بنا الامم كما ختم به النبيين وهو صلى الله عليه وسلم مبشر كما أمر ان يقول ولنا وجه خاص الى الله تعالى نناجيه منه ويناجينا وكذا كل مخلوق له وجه خاص الى ربه فامرنا عن امر الله ان ندعو له بالوسيلة حتى ينزل فيها بدعاء امته وهذا من باب الغيرة الالهية انتهى (وجاهدوا فى سبيله) بمحاربة الاعداء الظاهرة والباطنة (لعلكم تفلحون) بالوصول الى الله والفوز بكرامته والاشارة فى الآية ان الله تعالى جعل الفلاح الحقيقى فى اربعة اشياء احدها الايمان وهو اصابة رشاشة النور فى بدء الخلقة وبه يخلص العبد من حجب ظلمة الكفر وثانيها التقوى وهو منشأ الاخلاق المرضية ومنبع الاعمال الشرعية وبه يخلص العبد من ظلمة المعاصى وثالثها ابتغاء الوسيلة وهو فناء الناسوتية فى بقاء اللاهوتية وبه يتخلص العبد من ظلمة أوصاف الوجود ورابعها الجهاد فى سبيل الله وهو اضمحلال الانانية فى اثبات الهوية وبه يتخلص العبد من ظلمة الوجود ويظفر بنور الشهود فالمعنى الحقيقى يا أيها الذين آمنوا باصابة النور اتقوا الله بتبديل الاخلاق الذميمة وابتغوا اليه الوسيلة فى افناء الاوصاف وجاهدوا فى سبيله ببذل الوجود لعلكم تفلحون بنيل المقصود من المعبود كذا فى التأويلات النجمية واعلم ان الآية الكريمة صرحت بالامر بابتغاء الوسيلة ولا بد منها البتة فان الوصول الى الله تعالى لا يحصل الا بالوسيلة وهى علماء الحقيقة ومشايخ الطريقة (قال الحافظ) قطع اين مرحله بى همرهى خضر مكن * ظلماتست بترس از خطر كمراهى * والعمل بالنفس يزيد فى وجودها واما العمل وفق اشارة المرشد ودلالة الانبياء والاولياء فيخلصها من الوجود ويرفع الحجاب ويوصل الطالب الى رب الارباب قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى كنت انا وصاحب لى قد أوينا الى مغارة لطلب الدخول الى الله واقمنا فيها ونقول يفتح لنا غدا او بعد غد فدخل علينا يوما رجل ذو هيبة وعلمنا انه من اوليائه الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف يكون حال من يقول يفتح لنا غدا او بعد غد يا نفس لم لا تعبدين الله لله فتيقظنا وتبنا الى الله وبعد ذلك فتح علينا فلا بد من قطع التعلق من كل وجه لينكشف حقيقة الحال (قال الحافظ) فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ * كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد * وفى صحبة الاخيار والصلحاء شرف عظيم وسعادة عظمى (وحكى) ان خادم الشيخ ابى يزيد البسطامى كان رجلا مغربيا فجرى الحديث عنده فى سؤال منكر ونكير فقال المغربى والله ان يسألانى لاقولن لهما فقالوا له ومن اين يعلم ذلك فقال اقعدوا

على قبرى حتى تسمعونى فلما انتقل المغربى جلسوا على قبره فسمعوا المسألة وسمعوه يقول اتسألونى وقد حملت فروة ابى يزيد على عنقى فضوا وتركوه ولا تستبعد امثال هذا فان جواب المجيب المدقق يذهب معه من هنا فحصل مثل هذا الزاد (وفى المثنوى) كنج زرى كوچو خسپى زير ريك * با تو باشد آن نباشد مرد ريك * پيش پيش ان جنازت مى رود * مونس كور وغريبى ميشود (ان الذين كفروا لو ان لهم) اى لكل واحد منهم (ما فى الارض) اى من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها وهو اسم ان ولهم خبرها (جميعا) توكيد للموصول او حال منه (ومثله) عطف على الموصول اى ضعفه (معه) ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول (ليفتدوا به) متعلق بما تعلق به خبر ان اعنى الاستقرار المقدر فى لهم وبه متعلق بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده لاجراء انه مجرى اسم الاشارة كأنه قيل بذلك (من عذاب يوم القيامة) متعلق بالافتداء ايضا اى لو ان ما فى الارض ومثله ثابت لهم لجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ وافتدوا به (ما تقبل منهم) ذلك وهو جواب لو ولو بما فى حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وفى الحديث يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له ارأيت لو كان لك ملئ الارض ذهبا اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له انك كنت سئلت ما هو الايسر من ذلك اى ما هو أسهل من الافتداء المذكور وهو ترك الاشراك بالله تعالى واتيان كلمة الشهادة (ولهم عذاب اليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم (يريدون) كأنه قيل فكيف يكون حالهم اوماذا يصنعون فقيل انهم يريدون (ان يخرجوا من النار) له وجوه الاول انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهنالك يريدون الخروج ولات حين مناص والثانى انهم يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم والثالث انهم يتمنون ويريدون بقلوبهم (وما هم) اى يريدون ذلك والحال انهم ليسوا (بخارجين منها) لانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها (ولهم عذاب مقيم) اى دائم لا ينقطع وهو تصريح بعدم تناهى مدته بعد بيان شدته وفى الحديث يقال لاهل الجنة لكم خلود ولا موت ولاهل النار يا أهل النار خلود ولا موت اى لكم خلود فى النار (روى) ان هذين القولين يكونان بعد أن يؤتى بالموت فى صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار وانما يمثل الموت بهذا المثال ليشاهدوا باعينهم ويستقر فى انفسهم ان الموت ارتفع فيزداد أهل الجنة فرحا وأهل النار ترحا وتخصيص صورة الكبش لانه لما كان فداء عن اسماعيل الذى نبينا عليه السلام من نسله كان فى المعنى فداء عن جميع الاحياء فى الدنيا لانهم خلقوا لاجله فناسب ان يكون فداء عنهم فى دار الآخرة ايضا كذا فى شرح المشارق لابن الملك واعلم ان الكفر وجزاءه وهو الخلود فى النار أثر اخطاء رشاش النور الالهى فى عالم الارواح وقد انعم الله تعالى على المؤمنين باصابة ذلك النور (وفى المثنوى) مؤمنان كان عسل زنبور وار * كافران خود كان زهرى همچو مار * جنبش خلق از قضا و وعده است * تيزئ دندان زسوز معده است * نفس اول راند بر نفس دوم * ماهى از سر كنده باشد نى زدم * تو نميدانى كزين دو كيستى * جهد كن چندانكه بينى چيستى * چون نهى بر پشت كشتى بارروا * بر توكل ميكنى ان كاررا * تو نميدانى كه از هردو كئ * غرقه اندر سفر يا ناجئ * چونكه بر توكست جمله كارها * كار دين اولى كزين يابى رها * قال بعض الصلحاء رأيت فى منامى كأنى واقف على قناطر جهنم فنظرت الى هول عظيم فجعلت أفكر فى نفسى كيف العبور على هذه فاذا قائل يقول يا عبد الله ضع حملك واعبر قلت وما حملى قال دع الدنيا (قال الحافظ) تاكى غم دنياى دنى اى دل دانا * حيفست زخوبى كه شود عاشق زشتى * وفى الحديث (يؤتى بانعم أهل الدنيا) الباء فيه للتعدية وانعم افعل تفضيل من النعمة اى باكثرهم نعمة (من أهل النار يوم القيامة فيصبغ فى النار صبغة) يعنى يغمس فيها مرة اراد من الصبغ الغمس اطلاقا للملزوم على اللازم لان الصبغ انما يكون بالغمس غالبا ثم اراد من غمسه فيها اصابة نفحة من النار به (ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب) شدة العذاب انسته ما مضى عليه من نعم الدنيا (ويؤتى باشد الناس بؤسا) اى شدة وبلاء فى الدنيا (من أهل الجنة فيصبغ صبغة من الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط) كذا فى شرح المشارق لابن ملك * هرچند غرق بحر گناهم ز صد جهت * گر آشناى عشق شوم ز اهل رحمتم (والسارق

والسارقة) وهو مبتدأ محذوف الخبر اى حكم السارق والسارقة ثابت فيما يتلى عليكم فقوله تعالى (فاقطعوا ايديهما) بيان لذلك الحكم المقدر فما بعد الفاء مرتبط بما قبلها ولذلك اتى بها فيه لانه هو المقصود مما قبلها ولو لم يأت بالفاء لتوهم انه اجنبى وانما قدر الخبر لان الامر انشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والمراد بايديهما أيمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه وتفصيل ما يتعلق بالسرقة سيجيئ فى آخر المجلس (جزآء بما كسبا نكالا من الله) منصوبان على المفعول له والمعنى فاقطعوهما مكافاة لهما على ما فعلا من فعل السرقة وعقوبة رادعة لهما من العود ولغيرهما من الاقتدآء بهما وبما كسبا متعلق بجزآء ومن الله صفة نكالا اى نكالا كائنا منه تعالى والنكال اسم بمعنى التنكيل مأخوذ من النكول وهو الامتناع (والله عزيز) غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه (حكيم) فى شرآئعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرآئع المنطوية على فنون الحكم والمصالح (فمن تاب) من السراق الى الله تعالى (من بعد ظلمه) اى من بعد أن ظلم غيره بأخذ ماله والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته (وأصلح) اى امره بالتفصى عن تبعات ما باشره والعزم على ان لا يعود الى السرقة (فان الله يتوب عليه) اى يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه قال الحدادى لا تقطع يده اذا رد المال قبل المرافعة الى الحاكم واما اذا رفع الى الحاكم ثم تاب فالقطع واجب فان كانت توبته حقيقية كان ذلك زيادة درجات له كما ان الله تعالى ابتلى الصالحين والانبياء بالبلايا والمحن والامراض زيادة لهم فى درجاتهم وان لم تكن توبته حقيقية كان الحد عقوبة له على ذنبه وهو مؤاخذ فى الآخرة ان لم يتب (ان الله غفور رحيم) مبالغ فى المغفرة والرحمة ولذلك يقبل التوبة (ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به الجميع والاستفهام الانكارى لتقرير العلم والمراد بذلك الاستشهاد على قدرته تعالى على ما سيأتى من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اى ألم تعلم ان الله له السلطان القادر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته (يعذب من يشاء) ان يعذبه ولو على الذنب الصغير وهو عدل منه (ويغفر لمن يشاء) ان يغفر له ولو كان الذنب عظيما وهو الفضل منه اى يعذب لمن توجب الحكمة تعذيبه ويغفر لمن توجب الحكمة مغفرته (والله على كل شئ قدير) فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة قال ابن الشيخ انه تعالى لما اوجب قطع يد السارق وعقاب الآخرة لمن مات قبل التوبة ثم ذكر انه يقبل توبته ان تاب اردفه ببيان انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فيعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء يحسن منه التعذيب تارة والمغفرة اخرى لانه مالك جميع المحدثات وربهم والههم والمالك له ان يتصرف فى ملكه كيف شاء واراد لا كما زعمت المعتزلة من ان حسن افعاله تعالى ليس لاجل كونه الها للخلق ومالكا بل لاجل كونها على وفق مصالح الخلق ومتضمنة لرعاية ما هو الاصلح لهم انتهى واعلم ان السرقة هى اخذ مكلف خفية قدر عشرة دراهم مضروبة من حرز لا ملك له فيه ولا شبهته فاحترز بالمكلف عن اخذ صبى ومجنون وبالخفية وهو ركن السرقة عن الغصب وقطع الطريق وقوله قدر عشرة دراهم اى عينا او قيمة وهذا نصاب السرقة فى حق القطع واما فى حق العيب فاخذ ما دون عشرة يعد سرقة ايضا شرعا ويعد عيبا حتى يرد العبد به على بائعه وعند الشافعى نصاب السرقة ربع دينار ولنا قوله عليه السلام لا قطع الا فى ربع دينار أو فى عشرة دراهم والاخذ بالاكثر اولى احتيالا لدرء الحد والمعتبر فى هذه الدراهم ما يكون عشرة منها وزن سبعة مثاقيل واحترز بالمضروبة عما قيمته دونها حتى اذا سرق تبرا عشرة لا يساوى عشرة مضروبة لا يجب القطع وقوله من حرز اى من مال ممنوع من ان يصل اليه يد الغير سوآء كان المانع بناء او حافظا قال البغوى اذا سرق شيأ من غير حرز كثمر فى حائط لا حارس له او حيوان فى برية لا حافظ له او متاع فى بيت منقطع عن البيوت لا قطع عليه وقيد بقوله ولا شبهته لانه لو كان له شبهة فى المسروق كما اذا سرق من بيت المال او فى الحرز كما اذا سرق من بيت اذن للناس بالدخول فيه كالحمام والرباط لا يقطع لان القطع يندرئ بالشبهة وكذا لا قطع بسرقة مال سيده لوجود الاذن بالدخول عادة وكذا بسرقة مال زوجته او زوجها ولو من حرز خاص لآخر لا يسكنان فيه لان اليد المبسوطة لكل من الزوجين فى مال الآخر ثابتة

وهو مانع عن القطع وكذا لا قطع بسرقة مال من بينهما قرابة ولاء لجريان الانبساط بين الاصول والفروع بالانتفاع فى المال والدخول فى الحرز ولا بسرقة من بيت ذى رحم محرم ولو كان المسروق مال غيره لعدم الحرز ويقطع يمين السارق من زنده وهو مفصل الذراع فى الكف ويحسم بان يدخل فى الدهن الحار بعد القطع لقطع الدم لانه لو لم يحسم لافضى الى التلف والحد زاجر لا متلف ولهذا لا يقطع فى الحر الشديد والبرد الشديد وان سرق ثانيا بعد ما قطعت يده اليمنى تقطع رجله اليسرى من المفصل وان سرق ثالثا لا يقطع بل يحبس حتى يتوب ويظهر عليه سيما الصالحين والتائبين لقول على رضى الله عنه فيمن سرق ثلاث مرات انى لاستحيى من الله ان لا ادع له يدا يأكل بها ويستنجى ورجلا يمشى عليها وفى الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وفيه دليل على ان التوبة يعلم اثرها وتثبت السرقة بما يثبت به شرب الخمر أى بالشهادة او بالاقرار مرة ونصابها رجلان لان شهادة النساء غير مقبولة فى الحدود وطلب المسروق منه شرط القطع لان الخيانة على ملك الغير لا تظهر الا بخصومته ولا فرق فى القطع بين الشريف والوضيع وعن عائشة رضى الله عنها قالت سرقت امرأة مخزومية فاراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يقطع يدها فاستشفع لها اسامة بن زيد وكان النبى عليه الصلاة والسلام يحبه فلم يقبل وقال يا اسامة انشفع فى حد من حدود الله انما اهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وفى الحديث نهى عن الشفاعة فى الحدود وبعد بلوغ الامام ولهذا رد رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة اسامة واما قبله فالشفاعة من المجنى عليه جائزة والستر على الذنب مندوب اذا لم يكن صاحب شر واذى (قال السعدى) پس پرده بيند عملهاى بد * هم اوپرده پوشد بيالاى خود * وفى الحديث ايضا دلالة على وجوب العدل فى الرعية واجراء الحكم على السوية قال الامام ابو منصور فان قيل ما الحكمة فى قطع يد قيمتها ألوف بسرقة عشرة دراهم فكيف يكون قطعها جزاء لفعل السارق وقد قال تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قلنا جزاء الدنيا محنة يمتحن بها المرء ولله تعالى ان يمتحن بما شاء ابتداء اى من غير ان يكون ذلك جزاء على كسب العبد ولان القطع ليس بجزاء ما اخذ من المال ولكن لما هتك من الحرمة ألا يرى انه قال جزاء بما كسبا فيجوز أن يبلغ جزاء هتك تلك الحرمة قطع اليد وان قصر على العشرة علم ذلك لان مقادير العقوبات انما يعلمها من يعلم مقادير الجنايات واذا كان الامر كذلك فالحق التسليم والانقياد انتهى ونعم ما قال يونس بن عبيد فى باب الترهيب لا تأمن من قطع فى خمسة دراهم خير عضو منك ان يكون عذابه هكذا غدا كما فى منهاج العابدين فعلى العاقل ان يتوب عن الزلل وينقطع عن الحيل ويتوجه الى الله الاعلى الاجل (وفى المثنوى) حيلها وچارها گر اژدهاست * پيش الا الله آنها جمله لاست * قفل زفتست وگشاينده خدا * دست در تسليم زن اندر رضا * ثم ان الله تعالى انما بدأ بالسارق فى هذه الآية قبل السارقة وفى آية الزنى بدأ بالزانية لان السرقة تفعل بالقوة والرجل اقوى من المرأة والزنى يفعل بالشهوة والمرأة اكثر شهوة والمرأة ادعى من الرجل الى نفسها منه اليها ولهذا لو اجتمع جماعة على امرأة لم يقدروا عليها الا بمرادها ولهذا قيل قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ولم يقل وعصت حواء مع انها اكلت قبل آدم ودعته الى الاكل وقيل انما قطعت يد السارق لانها باشرت ولم يقطع ذكر الزانى للمباشرة خوفا قطع النسل وتحصل ايضا لذة الزنى بجميع البدن قال النيسابورى قطعت يد السارق لانها اخذت المال الذى هو يد الغنى وعماده كأنه اخذ يد انسان فجزوا يده اتناولها حق الغير وقيل قال الله تعالى ولله خزائن السموات والارض فكل ما عند العبد من مال فهو خزانة الحق عنده والعبد خازنه فهما تعدى خزانة مولاه بغير اجازة استحق السياسة بقطع آلة التعدى الى خيانة خزانته وهى اليد المتعدية ثم ان السرقة كما تكون من المال كذلك تكون من العبادات وفى الحديث اسوء الناس سرقة الذى يسرق من صلاته قالوا يا رسول الله كيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وفى الحديث ان الرجل ليصلى ستين سنة وما تقبل له صلاة لعله يتم الركوع ولا يتم السجود ويتم السجود ولا يتم الركوع كذا فى الترغيب والترهيب فمثل هذا المصلى يقطع يمينه عن نيل الوصال فلا يصل الى مراده بل يبقى فى الهجران والقطيعة اذ هو اساء الادب بل قصر فيما امر الرب سبحانه وتعالى (يا ايها الرسول) خاطبه صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف (لا يحزنك الذين) اى صنع الذين فان الذوات مع قطع

النظر عن العوارض لا توجب الحزن والفرح (يسارعون فى الكفر) اى يقعون فى الكفر سريعا فى اظهاره
اذا وجدوا منه فرصة والمقصود نهيه عليه السلام عن ان يحزن بصنيعهم بناء على انه تعالى ناصره عليهم والمعنى
لا تحزن ولا تبال بتهافتهم فى الكفر سريعا (من الذين) بيان للمسارعين فى الكفر (قالوا آمنا بأفواههم) متعلق
بقالوا والفائدة فى بيان تعلقه بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم واللسان الاشارة الى أن ألسنتهم ليست معبرة
عما فى قلوبهم وان ما يجرون على السنتهم لا يجاوز أفواههم وانما نطقوا به غير معتقدين له بقلوبهم (ولم تؤمن
قلوبهم) جملة حالية من ضمير قالوا جيئ بها للتصريح بما اشار اليه بقوله بأفواههم (ومن الذين هادوا) عطف
على من الذين قالوا وبه يتم بيان المسارعين فى الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود (سماعون) خبر
مبتدأ محذوف والتقدير هم اى المنافقون واليهود سماعون (للكذب) اللام اما لتقوية العمل واما لتضمن
السماع معنى القبول واما لام كى والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون فى سماع الكذب اوفى قبول ما تفتريه
احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابهم او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بالزيادة
والنقص والتبديل فان منهم من يسمع من الرسول عليه السلام ثم يخرج و يقول سمعت منه كذا وكذا ولم يسمع
ذلك منه (سماعون لقوم آخرين) خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين
الاولين واللام مثل اللام فى سمع الله لمن حمده فى الرجوع الى معنى من اى قبل منه حمده والمعنى مبالغون فى قبول
كلام قوم آخرين (لم يأتوك) صفة اخرى لقوم اى لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء
قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) صفة اخرى لقوم اى يميلونه
ويزيلونه عن مواضعه بعد أن وضعه الله فيها اما لفظا باهماله اوتغيير وصفه واما بحمله على غير المراد واجرائه فى
غير مورده (يقولون) صفة اخرى لقوم اى يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة
مشيرين الى كلامهم الباطل (ان اوتيتم) من جهة الرسول (هذا) المحرف (فخذوه) واعملوا بموجبه فانه الحق
(وان لم تؤتوه) بل اوتيتم غيره (فاحذروا) قبوله واياكم واياه (روى) ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين
وحدهما الرجم فى التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة فقدم الرهط
حتى نزلوا على قريظة والنضير فقالوا لهم انكم خبير بهذا الرجل ومعه فى بلده وقد حدث فينا حدث فلان
وفلانة فجرا وقد احصنا فنحب ان تسألوا لنا محمدا عن قضائه فيه فقالت لهم قريظة والنضير اذا والله يأمركم
بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وكنانة بن ابى الحقيق وغيرهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانى والزانية اذا احصنا ما حدهما فى كتابك فقال هل ترضون
بقضائى قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك
و بينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا
قالوا نعم فقال اى رجل هو فيكم قالوا هو اعلم يهودى بقى على وجه الارض بما انزل الله على موسى فى التوراة
قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له عليه السلام انت ابن صوريا قال نعم قال وأنت اعلم يهودى قال كذلك
يزعمون قال اتجعلونه بينى و بينكم قالوا نعم قال له النبى عليه السلام انشدك بالله الذى لا اله الا هو الذى أنزل
التوراة على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم واغرق آل فرعون والذى ظلل عليكم الغمام
وأنزل عليكم المن والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على من احصن
قال ابن صوريا نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان تحرقنى التوراة ان كذبت اوغيرت ما اعترفت لك ولكن
كيف هى فى كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه
الرجم فقال ابن صوريا والذى أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله فى التوراة على موسى فقال له النبى عليه
السلام فماذا كان اول ما ترخصتم به فى امر الله تعالى قال كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا
عليه الحد فكثر الزنى فى اشرافنا حتى زنى ابن عم ملكنا فلم يرجم ثم زنى رجل آخر فى اسوة من الناس فاراد ذلك
الملك رجمه فقام دونه قومه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا ابن عمك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيأ
دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة بحبل مطلى بالقار
ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل دبر الحمار يطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم

فقال له

قالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال انهم انه قد نشدنى بالتوراة ولولا خشية التوراة ان تهلكنى لما اخبرته فامر بهما النبى صلى الله عليه وسلم فرجما عند باب المسجد وقال اللهم انى اول من احيى امرك اذ اماتوه فأنزل الله تعالى يا أيها الرسول الآية (ومن) شرطية (يرد الله فتنته) اى ضلالته او فضيحته كائنا من كان (فلن تملك له) فلن تستطيع له (من الله شيئا) فى دفعها (اولئك) المنافقون واليهود (الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) اى من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية (لهم) اى للمنافقين واليهود (فى الدنيا خزى) اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزى اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم فى كتمان نص التوراة (ولهم فى الآخرة) اى مع الخزى الدنيوى (عذاب عظيم) هو الخلود فى النار (سماعون للكذب) تكرير لما قبله (اكالون للسحت) اى الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة (فان جاؤك) الفاء فصيحة اى واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات (فاحكم بينهم او أعرض عنهم وان تعرض عنهم) بيان لحال الامرين اثر التخيير (فلن يضروك شيأ) من الضرر بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل الذى امرت به كما حكمت بالرجم (ان الله يحب المقسطين) العادلين فيحفظهم من كل مكروه ومحذور ويعظم شأنهم وفى الحديث المقسطون عند الله على منابر من نور (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو أهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة اورفعها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه (ثم يتولون) عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب وثم للتراخى فى الرتبة (من بعد ذلك) اى من بعد ما حكموك وهو تصريح بما علم قطعا لتأكيد الاستبعاد والتعجيب اى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك (وما اولئك) الموصوفون بما ذكر (بالمؤمنين) اى بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق لكتابهم ثانيا أو بك وبه وفى الآيات ذم للظلم ومدح للعدل وقدح فى الحرام والرشوة وفى الحديث كل لحم انبتة السحت فالنار اولى به وفيه لعن الله الراشى والمرتشى والرائش واراد بالرائش الذى يمشى بينهما (وفى المثنوى) اى بسا مرغى پرنده دانه جو ✱ كه بريده حلق او وهم حلق او ✱ اى بسا ماهى در آب دوردست ✱ كشته از حرص گلو مأخوذ شست ✱ اى بسا مستور در پرده بده ✱ شومى فرج وگلو رسوا شده ✱ اى بسا قاضئ حبر نيك خو ✱ از گلو در شوتى آورد رو ✱ بلكه در هاروت وماروت آن شراب ✱ از عروج چرخشان شد سد باب ✱ ذكر فى ادب القاضى للخصاف الرشوة على اربعة اوجه اما ان يرشوه لانه قد خوفه فيعطيه الرشوة ليدفع الخوف عن نفسه او يرشوه ليسوى امره بينه وبين السلطان او يرشوه ليتقلد القضاء من السلطان او يرشو القاضى ليقضى له ففى الوجه الاول لا يحل الاخذ لان الكف عن التخويف كف عن الظلم وانه واجب حقا للشرع فلا يحل اخذه لذلك ويحل للمعطى الاعطاء لانه جعل المال وقاية للنفس وهذا جائز موافق للشرع وفى الوجه الثانى ايضا لا يحل الاخذ لان القيام بامور المسلمين واجب بدون المال فلا يحل له الاخذ وفى الوجه الثالث لا يحل له الاخذ والاعطاء واما الرابع فحرام الاخذ سواء كان القضاء بحق اوظلم اما الظلم فلوجهين احدهما انه رشوة والثانى انه سبب للقضاء بالجور واما الحق فلوجه واحد وهو أنه اخذ المال لاقامة الواجب واما الاعطاء فان كان بجور لا يجوز وان كان بحق جاز قال ابن مسعود رضى الله عنه من شفع شفاعة يرد بها حقا اويدفع بها ظلما فاهدى له فقبل فهو سحت وفى نصاب الاحتساب ان المحتسب او القاضى اذا اهدى اليه ممن يعلم انه يهدى لاحتياجه الى القضاء والحسبة لا يقبل ولو قبل كان رشوة واما ممن يعرف انه يهدى للتودد والتحبب لا للقضاء والحسبة فلا بأس به وكان الصحابة رضى الله عنهم يتوسعون فى قبول الهدايا بينهم وهذا لان الهدية كانت عادتهم وكانوا لا يلتمسون منهم شيأ وانما كانوا يهدون لاجل التودد والتحبب وكانوا يستوحشون برد هداياهم فلا يكون فيه

معنى الرشوة فلهذا كانوا يقبلونها قال قوم ان صلات السلاطين تحل للغنى والفقير اذا لم يتحقق انها حرام وانما التبعة على المعطى قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض من اليهود مع قول الله تعالى اكالون للسحت واما حال السوق فمتى علمت ان الحرام هو الاكثر فلا تشتر الا بعد التفتيش وان كان كثيرا وليس بالاكثر فلك السؤال ولقد كان النبي عليه الصلاة والسلام واصحابه يشترون من الاسواق مع علمهم بان فيهم أهل الربا والغصب والغلول قال الحدادي ومن السحت ثمن الخمر والخنزير والميتة وعسب الفحل واجرة النائحة والمغنية والساحر وهدية الشفاعة ومهر البغي وحلوان الكاهن هكذا قال عمر وعلى وابن عباس رضى الله عنهم قالوا والمال الذى يأخذه المغني والقوال ونحوهما حكم ذلك اخف من الرشوة فان صاحب المال اعطاه عن غير اختيار بغير عقد قال ابن كيسان سمعت الحسن يقول اذا كان لك على رجل دين فاكلت فى بيته فهو سحت فعليك أيها المؤمن المتقي بالاحتياط فى امورك حتى لا تقع فى الشبهات بل فى الحرام وانما تحصل التصفية للقلب بأكل الغذاء الحلال (قال الحافظ) صوفى شهربين كه جون لقمهٔ شبهه ميخورد * پاردمش دراز باد آن حيوان خوش علف * والمقصود من البيت تشبيه الذى لا يحترز عن الشبهات بالحيوان فى الاكل من كل ما يجده من غير تفرقة ولان تناول الشبهات من كمال الحرص لانه لو لم يكن له حرص لكان له قناعة بالحلال ولو قليلا والحيوان يعظم من كثرة الاكل والشرب والنوم وهى حكم الطبيعة (انا أنزلنا التوراة) حال كونها (فيها هدى) تهدى شرائعها واحكامها الى الحق وترشد الناس اليه (ونور) تكشف ما انبهم من الاحكام وما يتعلق بها من المستورة بظلمات الجهل (يحكم بها النبيون) اى انبياء بنى اسرائيل اى يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها (الذين اسلموا) ان قلت النبيون اعظم من الاسلام فكيف يمدح نبى بانه رجل مسلم وما الوصف به بعد الوصف بالنبوة الا تنزل من الاعلى الى الادنى قلت قد يذكر الوصف مدحا للوصف ففائدة التوصيف تنويه شأن الصفة والتنبيه على عظم قدرها حيث وصف بها عظيم كما وصف الانبياء بالصلاح والملائكة بالايمان وقد قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف (قال)

ما ان مدحت محمدا بمقالتى * لكن مدحت مقالتى بمحمد

(للذين هادوا) متعلق بيحكم اى يحكمون فيما بينهم واللام لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كأنه قيل لاجل الذين هادوا (والربانيون والاحبار) عطف على النبيون اى هم ايضا يحكمون باحكامها وهم الزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود (بما استحفظوا من كتاب الله) اى بالذى استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سألوهم ان يحفظوها من التضييع والتحريف على الاطلاق ولا ريب فى ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم فى اجراء احكامها من غير اخلال بشئ منها والباء سببية متعلقة بيحكم اى ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم وسألوهم ان يحفظوه (وكانوا عليه شهداء) اى رقباء لا يتركونهم ان يغيروا فهو من الشهود بمعنى الحضور (فلا تخشوا الناس) كأنه من كان أيها الرؤساء والاحبار واقتدوا فى مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء واشياعهم (واخشون) فى الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء نهوا ان يخشوا غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ودلالة الآية تتناول حكام المسلمين (ولا تشتروا بآياتى) الاشتراء استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا منه ثم استعير لاخذ شئ بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطى ونبذ اى لا تستبدلوا بآياتى التى فيها بان تخرجوها منها او تتركوا العمل بها وتأخذوا لانفسكم بدلا منها (ثمنا قليلا) من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة فى نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها * آن جهان جيفه است ومردار ورخيص * برچنين مردار چون باشم حريص * پس حيات ماست موقوف فطام * اندك اندك جهد كن فهم الكلام * ولما كان الاقدام على التحريف لدفع ضرر كما اذا خشى من ذى سلطان او لجلب نفع كما اذا طمع فى الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به منكرا له كائنا من كان كما يقتضيه ما فعلوه من التحريف (فأولئك هم الكافرون) لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم بانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج

عنه (وكتبنا) فرضنا عطف على انزلنا التوراة (عليهم) اى على الذين هادوا (فيها) اى فى التوراة (ان النفس بالنفس) اى تقاد بها اذا قتلها بغير حق (والعين) تفقأ (بالعين) اذا فقئت بغير حق (والانف) تجذم (بالانف) المقطوعة بغير حق (والاذن) تصلم (بالاذن) المقطوعة ظلما (والسن) تقلع (بالسن) المقلوعة بغير حق (والجروح قصاص) اى ذات قصاص بحيث تعرف المساواة واما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم او جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه لانه لا يمكن الوقوف على نهايته ففيه ارش او حكومة (فمن تصدق) اى من المستحقين (به) اى بالقصاص اى فمن عفا عنه فالتعبير بالتصدق للمبالغة فى الترغيب فيه (فهو) اى التصدق (كفارة له) اى للمتصدق يكفر الله تعالى بها ما سلف من ذنبه واما الكافر اذا عفا فلا يكون عفوه كفارة له مع اقامته على الكفر وفى الحديث من اصيب بشئ من جسده فتركه لله كان كفارة له وفى الحديث ثلاث من جاء بهن يوم القيامة مع الايمان دخل الجنة من اى ابواب الجنة شاء وتزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله ومن قرأ دبر كل صلاة مكتوبة قل هو الله احد عشر مرات ومن ادى دينا خفيا وقال بعضهم الهاء كناية عن الجارح والقاتل يعنى اذا عفا المجنى عليه عن الجانى فعفوه كفارة لذنب الجانى لا يؤخذ به فى الآخرة كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافى فعلى الله (ومن لم يحكم بما انزل الله) من الاحكام والشرائع (فاولئك هم الظالمون) المبالغون فى الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشئ فى غير موضعه (وقفينا على آثارهم) عطف على انزلنا التوراة اى آثار النبيين المذكورين (بعيسى بن مريم) اى ارسلناه عقيبهم وجئنا به بعدهم يقال قفوت اثره قفوا وقفوا اى اتبعته فهو يتعدى الى واحد واذا قلت قفيت على اثره بفلان يكون المعنى اتبعته اياه وحقيقة التقفية الاتيان بالشئ فى قفا غيره والتضعيف فيه ليس للتعدية فان فعل المضعف قد يكون بمعنى فعل المجرد كقدر وقدر وانما تعدى الى الثانى بالباء فمفعوله الاول محذوف اى اتبعنا النبيين الذين ذكرناهم بعيسى وجعلناه ممن يقفوهم فحذف المفعول وجعل على آثارهم كالقائم مقامه (مصدقا لما بين يديه من التوراة) حال من عيسى (وآتيناه الانجيل) عطف على قفينا (فيه هدى ونور) كما فى التوراة وهو فى محل النصب على انه حال من الانجيل اى كائنا فيه ذلك كأنه قيل مشتملا على هدى ونور (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) عطف عليه داخل فى حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التوراة زيادة تقرير (وهدى وموعظة للمتقين) عطف على مصدقا منتظم معه فى سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه (قال الحافظ) گر انگشت سليمانى نباشد * چه خاصيت دهد نقش نگينى * فكما ان الانتفاع بالخاتم انما يكون لمن كان له مشرب سليمانى كذلك الانتفاع بالكتاب انما يكون لمن له تقوى ربانى (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) اى آتيناه الانجيل وقلنا ليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه (ومن لم يحكم بما انزل الله) منكرا له مستهينا به (فاولئك هم الفاسقون) المتمردون الخارجون عن الايمان وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما فى التوراة خاصة وفيه تهديد عظيم للحكام وفى الحديث يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة العذاب ما يتمنى انه لم يفصل بين احد فى تمرتين فاذا كان هذا حال القاضى العدل فما ظنك بالجائر والمرتشى * بو حنيفه قضا نكرد وبمرد * تو بميرى اگر قضا نكنى * وفى الحديث القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قاض قضى بغير حق وهو يعلم فذاك فى النار وقاض قضى وهو لا يعلم فاهلك حقوق الناس فذاك فى النار وقاض قضى بحق فذاك فى الجنة كذا فى المقاصد الحسنة للامام السخاوى (حكى) ان بنى اسرائيل كانوا ينصبون لاجراء الاحكام بينهم حكاما ثلاثة حتى اذا رفع الخصم الامر الى واحد منهم فلم يرض به الآخر ترافعا الى الثانى ثم الى الثالث ليطمئن قلبه فذات يوم تصور ملك بصورة انسان يريد امتحان هؤلاء الحكام فركب على رمكة وقام على رأس بئر فاذا رجل اتى ببقرة له مع عجلها ليسقيها فلما سقاهما واراد الرجوع اشار الملك الى العجل فجاء الى جنب الرمكة فكلما نادى صاحبه ودعاه لم يستمع ولم يذهب الى الام فجاء الرجل ليسوقه باى وجه يمكن فقال الملك يا هذا الرجل ان العجل قد ولدته رمكتى هذه فاذهب وخلنى وعجلى فقال الرجل يا عجبا العجل ملكى قد ولدته بقرتى هذه فتنازعا وترافعا الى القاضى الاول فسبق الملك الرجل الى القاضى وقال ان قضيت لى بالعجل دفعت لك كذا فقبله

القاضى فلما نحا كما حكم بالعجل للملك فلم يرض به الرجل فترافعا الى الثانى فحكم هو ايضا بالعجل للملك فلم يرض به الرجل ايضا فترافعا الى الثالث فلما عرض الملك الرشوة عليه قال لا استطيع هذا الحكم فانى قد حضت فقال الملك ايش تقول هل تحيض الرجال والحيض من خواص النساء فقال القاضى له تتعجب من كلامى ولا تتعجب من كلامك فكما ان الرجال لا تحيض فكذلك الرمكة لا تلد عجلا فقال الملك هنالك قاضيان فى النار وقاض فى الجنة وهذا الكلام منقول من لسانه كذا ذكر البعض نقلا عن فم حضرة الشيخ الشهير بهدآئى الاسكدارى قدس سره (وأنزلنا اليك) يا محمد (الكتاب) اى القرءآن حال كونه ملتبسا (بالحق) والصدق حال كونه (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) اى مصدقا لما تقدمه من جنس الكتب المنزلة من حيث انه نازل حسبما نعت فيه وموافقا له فى التوحيد والعدل واصول الشرآئع (ومهيمنا عليه) اى رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغير فانه يشهد لها بالصدق والصحة والثبات وتقرر اصول شرآئعها وما يتأبد من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب ان تميز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام كونه مهيمنا عليها (فاحكم بينهم) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا كان شان القرءآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب عند تحاكمهم اليك (بما أنزل الله) اى بما أنزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية فى الكتب الالهية (ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق) بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب بطريق الالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدى لواحد وهو اخبار بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل والمعنى لكل امة كائنة منكم أيها الامم الباقية والخالية جعلنا اى عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد أمة تتخطى شرعتها التى عينت لها فالامة من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التوراة والتى كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبى عليهما السلام شرعتهم الانجيل واما انتم أيها الموجودون فشرعتكم القرءآن ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هى الطريقة الى الماء شبه بها الدين الذى شرعه الله اى سنه من نحو الصوم والصلاة والحج والنكاح وغير ذلك من وجوه الصلاح لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحياة الابدية كما ان الماء سبب للحياة الفانية والمنهاج الطريق الواضح فى الدين من نهج الامر اذا وضح قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرآئع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعتنا لا من حيث انها شرعة للاولين (ولو شاء الله) ان يجعلكم امة واحدة (لجعلكم امة واحدة) اى جماعة واحدة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم فى شئ من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل (ولكن) لم يشأ ذلك اى ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم (ليبلوكم) اى ليعاملكم معاملة من يبتليكم (فيما آتاكم) من الشرآئع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشيئة الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم فى معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى (وفى المثنوى) كر بسوزد باغت انكورت دهد * درميان ماتمى سورت دهد * لا نسلم واعتراض ازما برفت * چون عوض مى آيد ازمفقود رفت (فاستبقوا الخيرات) اى اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم فى الدارين من العقائد الحقية والاعمال الصالحة المندرجة فى القرءآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل (الى الله مرجعكم جميعا) اى مرجع من آمن ومن لم يؤمن جميعا حال من ضمير الخطاب (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) اى فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه فى الدنيا من امر الدين والشريعة وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التى هى وظيفة الاخبار (وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم) عطف على الكتاب اى انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه (واحذرهم) مخافة

ان

ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) اى يضلوك و يصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق فالمراد بالفتنة ههنا الميل عن الحق والوقوع فى الباطل كما فى قوله عليه السلام اعوذبك من فتنة المحيا اى العدول عن الطريق المستقيم وكل من صرف من الحق الى الباطل واميل عن القصد فقد فتن (روى) ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله فنزلت واستدل العلماء بهذه الآية على ان الخطأ والنسيان جائز على الرسل لانه تعالى قال واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك والتعمد فى مثل هذا غير جائز على الرسل فلم يبق الا الخطأ والنسيان (فان تولوا) اى اعرضوا عن الحكم بما انزل الله واراد وا غيره (فاعلم انما يريد الله) اى فاعلم ان اعراضهم من اجل ان الله يريد (ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) اى يعجل لهم العقوبة فى الدنيا بان يسلطك عليهم ويعذبهم فى الدنيا بالقتل والجلاء والجزية ويجازيهم بالباقى فى الآخرة فالمراد ببعض ذنوبهم ذنب توليهم عن حكم الله تعالى وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع عظمه واحد من جملتها (وان كثيرا من الناس لفاسقون) اى متمردون فى الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود والمعهودة فلذا يتولون عن حكم الله (أفحكم الجاهلية يبغون) انكار وتعجب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وهى الملة الجاهلية التى هى هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحى (ومن احسن من الله حكما) انكار لان يكون احد حكمه أحسن من حكمه تعالى اومساوى له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفى المساواة وانكارها رشدك اليه العرف المطرد والاستعمال الناشئ فانه اذا قيل من اكرم من فلان او الافضل من فلان فالمراد به حتما انه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وحكما نصب على التميز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن حكمه احسن من حكم الله (لقوم يوقنون) اى عندهم واللام للبيان فيتعلق بمحذوف كما فى سقيالك فان سقيا دعاء للمخاطب بان يسقيه الله فيكون لك بيانا له اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عزوجل احسن الاحكام واعدلها وليست اللام متعلقة بقوله حكما لان حكم الله لا يخص قوما دون قوم فقد دلت الآيات على ان الدين واحد من حيث الاصول مختلف من جهة الفروع ولله ان يحكم فى كل عصر وزمان بما اراد ففيه حكم ومصالح فعلينا بالتسليم والانقياد وترك الاعتراض والمسارعة الى الخيرات قبل الموت والفوت وفى الحديث (اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك) لان الرجل يقدر على الاعمال فى حال شبابه مالا يقدر عليه فى حال هرمه ولان الشاب اذا تعود فى المعصية لا يقدر على الامتناع منها فى هرمه (وصحتك قبل سقمك) لان الصحيح نافذ الامر فى ماله ونفسه لانه اذا مرض ضعف بدنه عن الطاعة وقصرت يده عن ماله الا فى مقدار ثلثه (وفراغك قبل شغلك) يعنى فى الليل تكون فارغا وبالنهار تكون مشغولا فينبغى ان تصلى بالليل فى حال فراغك وتصوم بالنهار فى وقت شغلك خصوصا فى ايام الشتاء لان الصوم فى الشتاء غنيمة المؤمن كما قال عليه السلام الشتاء غنيمة المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفى رواية اخرى الليل طويل فلا تقصره بمنامك والنهار مضيئ فلا تكدره بآثامك (وغناك قبل فقرك) يعنى اذا كنت راضيا بما اعطاك الله من القوت فاغتنم ذلك ولا تطمع فيما فى ايدى الناس (وحياتك قبل مماتك) لان الرجل مادام حيا يقدر على العمل فاذا مات انقطع عمله ولهذا تتمنى الموتى ان يعودوا الى الدنيا فيهللوا مرة او يصلوا ركعة فالفرصة غنيمة والعمر قليل (قال الحافظ) بكذشتن فرصت اى برادر * كرم روى چو ميغ باشد * درياب كه عمر بس عزيزست * كرفوت شود دريغ باشد (وقال السيد الشريف لابنه) نصيحت همينست جان پدر * كه عمرت عزيزست ضايع مكن * فينبغى للعاقل ان لا يضيع ايامه (قال الحكيم) بكود كى بازى * بجوانى مستى * به پيرى سستى * خدارا كى پرستى * فاذا تم شغلك بالشريعة فاجتهد فى الطريقة وهى باطن الشريعة واقتد باولى الالباب فانه كما ان لكل نبى شرعة ومنهاجا كذلك لكل ولى طريقة مسلوكة مخصوصة وقد ضل من ضل منارهم (يا أيها الذين آمنوا) خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم لما روى ان عبادة بن الصامت

رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله
من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى انى رجل اخاف الدوآئر لا ابرأ من ولاية موالى وهم
يهود بنى قينقاع فقال تعالى (لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء) اى لا تتخذوا أحدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم
ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع فى نفسه
لا يتعلق به النهى (بعضهم اولياء بعض) اى بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق
لا من الفريق الآخر لانه لا موالاة بين فريقى اليهود والنصارى رأسا والكل متفقون على الكفر مجمعون على
مضارتكم ومضارّكم فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة (ومن يتولهم منكم) اى من يتخذهم اولياء (فانه منهم)
اى هو على دينهم ومعهم فى النار وهذا اذا تولاهم لدينهم واما الصحبة لمعاملة شرآء شئ منهم اوطلب عمل منهم مع
المخالفة فى الاعتقاد والامور الدينية فليس فيه هذا الوعيد قال المولى ابو السعود وفيه زجر شديد للمؤمنين عن
اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة فى الحقيقة (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) تعليل لكون
من يتولاهم منهم اى لا يرشد الذين ظلموا انفسهم بترك اخوانهم المؤمنين وبموالاة اعدآء الله بل يخليهم وشأنهم
فيقعون فى الكفر والضلالة اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا اقل من ذلك (قال الحافظ) درره عشق
ازان سوى فناصد خطرست * تانكويى كه چو عمرم بسر آمد رستم (فترى) يا محمد اوكل من له اهلية للخطاب
رؤية بصرية (الذين فى قلوبهم مرض) اى مرض النفاق ورخاوة العقد فى الدين (يسارعون فيهم) حال من
الموصول اى مسارعين فى موالاتهم ومعاونتهم وايثار فى على الى للدلالة على انهم مستقرون فى الموالاة وانما
مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر منها والمراد بهم عبد الله بن ابى واضرابه الذين كانوا يسارعون
فى موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يأمنون ان تصيبهم صروف الزمان كما قال
تعالى (يقولون) معتذرين (نخشى ان تصيبنا دآئرة) وهو حال من ضمير يسارعون والدآئرة من الصفات الغالبة
التى لا يذكر معها موصوفها اى يدور علينا دآئرة من دوآئر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة
للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض ولعلهم كانوا
يظهرون للمؤمنين انهم يريدون بالدوآئر المعنى الاخير ويضمرون فى انفسهم المعنى الاول (فعسى الله ان يأتى
بالفتح) رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى
منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين والمراد بالفتح فتح مكة
او فتح قرى اليهود من خيبر وفدك اوهو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين قال
الحدادى وسمى النصر فتحا لان فيه فتح الامر المغلق (او امر من عنده) بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء
والشأفة قرحة تخرج فى اسفل القدم فتكوى وتذهب يقال فى المثل استأصل الله شأفته اى اذهبه الله
كما اذهب تلك القرحة بالكى (فيصبحوا) اى اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر (على ما اسروا فى انفسهم
نادمين) وهو ما كانوا يكتمون فى انفسهم من الكفر والشك فى امره صلى الله عليه وسلم (ويقول الذين آمنوا)
عند ظهور ندامة المنافقين وهو كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة اى ويقول الذين
آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة
وعدم المفارقة فى السرآء والضرآء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا
يترقبون ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم (اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم
لمعكم) اى بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكى عنهم ولئن قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره
والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم فى ذلك والخطاب فى معكم لليهود من جهة المؤمنين وجهد
الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف
الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالى بتعريفه لفظا لانه مأول بنكرة اى مجتهدين فى ايمانهم او على المصدر اى
اقسموا اقسام اجتهاد فى اليمين (حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين) جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى
لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية فى المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه
بالاستفهام الانكارى اى بطلت اعمالهم التى عملوها فى شأن الموالاة وسعوا فى ذلك سعيا بليغا حيث لم يكن

لليهود دولة فغبنوا بما صنعوا من المساعى وتحملوا من مكاره المشاق (قال الحافظ) اسم اعظم بكند كار خودای دل خوش باش * كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود * واعلم ان للحق دولة وللباطل صولة والباطل يفور ثم يغور فعلى المؤمن ان لا يميل الى جانب الباطل وأهله اصلا كائنا من كان (روى) عن ابى موسى الاشعرى انه قال قلت لعمر بن الخطاب ان لى كاتبا نصرانيا فقال مالك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا اما سمعت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء قلت له دينه ولى كتابه قال لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ أقصاهم الله وروى انه قال لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصرانى والسلام يعنى هب انه مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره قال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر شاهدت فى دمشق ان الرجال والنساء كانوا يوالون النصارى ويسامحون فى المعاملة ويذهبون باطفالهم وصغارهم الى الكنائس ويرشون عليهم بطريق التبرك من ماء المعمودية وهذا كفر والعياذ بالله والمعمودية ماء للنصارى اصفر كانوا يغمسون فيه اولادهم ويعتقدون انه تطهير للمولود كالختان لغيرهم وقس عليه تعظيم نوروز النصارى واهداء شئ فى ذلك اليوم اليهم والمشاركة معهم ويلزم الحسبة فى بعض الامور قطعا لعرق الموالاة وفى ملتقطة الناصرى ولا أدع المشرك يضرب البربط قال محمد كل شئ امنع من المسلم فانى امنع من المشرك الا الخمر والخنزير ولكن يمنع أهل الكفر من ادخال الخمور والخنازير فى الاسواق على سبيل الشهرة لان فيها استخفافا للمسلمين وماصالحناهم ليستخفوا بالمؤمنين وان حضر لهم عيد لا يخرجون فيه صليبهم ويمنعون من اظهار بيع المزامير والطنبور واظهار الغناء وغير ذلك مما منع منه المسلم ويمنعون من احداث الكنيسة قال عليه الصلاة والسلام لا خصاء فى الاسلام ولا كنيسة والمراد بالخصاء خصاء بنى آدم فيجوز خصاء البهائم وبه نقول فكما يجوز ذبح الحيوان لحاجة الناس الى لحمه فكذلك يجوز خصاء الحيوان اذا كان فى ذلك منفعة للناس فان قلت لم لا يجوز خصاء بنى آدم وفيه منفعة ايضا قيل لا منفعة فيه لانه لا يجوز للخصى ان ينظر الى النساء كما لا يجوز للفحل كذا فى بستان العارفين ثم اعلم ان النفس والشيطان والقوى الشريرة فى وجود الانسان كاليهود والنصارى فكما انه يلزم مجانبتهم وعدم موالاتهم لان الله تعالى عاداهم وامر بمعاداتهم فكذلك ماذكر من النفس وغيرها لا يجوز موالاتها والحمل على هواها لانها تسوق الى النار نار جهنم ونار القطيعة فالمؤمن مأمور بالمعاداة لمن عادى الله تعالى مطلقا والا لم يصح ايمانه (وفى المثنوى) آنچه در فرعون بود اندر تو هست * ليك اژدرهات محبوس چه هست * چه خرابت ميكند نفس لعين * دور مى اندازدت سخت اين قرين * آتشت را هيزم فرعون نيست * زانكه چون فرعون اورا عون نيست * يعنى ان فرعون ساعده اسباب الدعوى والهوى ولذلك قال ماقال وفعل مافعل واما أنت فليس لك الاسباب مساعدة ولا تجد عونا فى هواك ولذا لا تظهر صورة ما اظهره

(يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) هذا من الكائنات التى اخبر عنها القرآن قبل وقوعها (روى) انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو امدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو أسود العنسى كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده حتى اخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل معاذ بن جبل وسادات اليمن فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وامرهم ان يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض الى حرب الاسود فقتله فيروز الديلمى على فراشه قال ابن عمر فاتى الخبر النبى عليه السلام من السماء الليلة التى قتل فيها فقال عليه الصلاة والسلام قتل الاسود البارحة قتله رجل مبارك قيل ومن هو قال فيروز فبشر عليه السلام اصحابه بهلاك الاسود وقبض عليه السلام من الغد واتى خبر مقتل العنسى المدينة فى آخر شهر ربيع الاول وكان ذلك اول فتح جاء ابا بكر رضى الله عنه والفرقة الثانية من المرتدين بنو احنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب وكان قد تنبأ فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر سنة عشر من الهجرة زعم انه اشرك مع رسول الله فى النبوة وكتب الى النبى عليه السلام من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك وبعث بذلك الكتاب رجلين من اصحابه فقال لهما رسول الله عليه السلام لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما ثم اجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فرض عليه السلام وتوفى فبعث

ابو بكر خالد بن الوليد الى مسيلمة الكذاب فى جيش كثير حتى اهلكه الله على يدى وحشى غلام مطعم بن عدى قاتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديد وكان وحشى يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام يريد فى جاهليتى واسلامى والفرقة الثالثة بنوا اسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة آخر من ارتد وادعى النبوة فى حياة رسول الله عليه السلام واول من قوتل بعد وفاته عليه السلام من اهل الردة فبعث ابو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد وافلت طليحة فمر على وجهه هاربا نحو الشام ثم انه اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه ثم ان الله تعالى لما قبض نبيه عليه السلام ارتد عامة العرب الا أهل مكة وأهل المدينة وأهل البحرين من عبد القيس فقال المرتدون اما الصلاة فنصلى واما الزكاة فلا نغصب اموالنا فكلم ابو بكر فى ذلك فقال والله لا افرق بين ما جمع الله تعالى بقوله اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة والله لو منعونى عقودا مما ادّوا الى رسول الله لقاتلتهم عليه فبعث الله عز وجل عصائب مع ابى بكر رضى الله عنه فقاتل على ما قاتل عليه نبى الله حتى أقروا بالزكاة المفروضة قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعى الزكاة قالوا هم اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره وقال ابن مسعود رضى الله عنه كرهنا ذلك فى الابتداء ثم حمدناه فى الانتهاء وقيل ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من ابى بكر لقد قام مقام نبى فى قتال أهل الردة قال الشيخ العطار فى نعت ابى بكر رضى الله عنه * هرچه بود از بارگاه كبريا * ريخت در صدر شريف مصطفا * آن همه در سينه صديق ريخت * لاجرم تا بود از تحقيق ريخت * وقال الحسن لولا ما فعل ابو بكر لالحد الناس فى الزكاة الى يوم القيامة قال فى الاشباه المعتمد فى المذهب عدم الاخذ كرها قال فى المحيط ومن امتنع عن اداء الزكاة فالساعى لا يأخذ منه كرها ولو أخذ لا يقع المأخوذ عن الزكاة لكونها بلا اختيار ولكن يجبره بالحبس ليؤدى بنفسه (فسوف يأتى الله) مكانهم بعد اهلاكهم (بقوم يحبهم) اى يريد بهم خير الدنيا والآخرة (ويحبونه) اى يريدون اطاعته ويتحرزون عن معاصيه قيل هم اهل اليمن قال عليه السلام الايمان يمان والحكمة يمانية وانما نسب الايمان اليهم اشعارا بكماله فيهم لان من اتصف بشىء وقوى قيامه به نسب ذلك الشىء اليه لا ان يكون فى ذلك نفى له عن غيرهم فلا منافاة بينه وبين قوله عليه الصلاة والسلام الايمان فى أهل الحجاز ثم ان المراد بذلك الموجودون منهم فى ذلك الزمان لا كل أهل اليمن فى كل الاحيان كذا فى شرح المشارق لابن الملك وقيل هم الانصار رضى الله عنهم وقيل هم أهل فارس وفى الحديث لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله ابناء فارس وفيه فضيلة لهذه القبيلة (اذلة على المؤمنين) جمع ذليل اى ارقاء ورحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى لتضمين معنى العطف والحنو (اعزة على الكافرين) اى اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه (يجاهدون فى سبيل الله) صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم (ولا يخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة فى سبيل الله وبين التصلب فى الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا فى جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيأ يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم مبالغتان كأنه قيل لا يخافون من شىء من اللومات الواقعة من اى لائم كان فالمبالغة الاولى انتفاء الخوف من جميع اللومات والثانية انتفاء الخوف من جميع اللوام كل ذلك لان النكرة فى سياق النفى تعم (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة التى وصف بها القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة فى سبيل الله وانتفاء خوف اللوم من كل واحد (فضل الله) اى لطفه واحسانه لا انهم مستقلون فى الاتصاف بها (يؤتيه من يشاء) ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (والله واسع) كثير الفواضل والالطاف (عليم) مبالغ فى العلم بجميع الاشياء التى من جملتها من هو أهل للفضل والتوفيق (قال الحافظ) سكندر را نمى بخشند آبى * بزور وزر ميسر نيست اين كار * واعلم ان من السالكين من يقطع العقبات ويخرق الحجب فى سبعين سنة ومنهم من يقطعها فى عشر بن سنة ومنهم من يحصل له فى سنة ومنهم من يقطعها فى شهر بل فى جمعة بل فى ساعة حتى ان منهم من تحصل له فى لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة الا تذكر سحرة فرعون ما كان مدتهم الا لحظة حيث رأوا معجزة موسى قالوا آمنا برب العالمين فابصروا الطريق وقطعوه حقه فصاروا من ساعة الى ساعة بل اقل من العارفين بالله (وحكى) ان ابراهيم ابن ادهم كان على ما كان عليه من امر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد الطريق الحق فلم يكن الا مقدار سيره من بلخ الى مرو الروذ حتى صار بحيث

اشار الى رجل سقط من القنطرة فى الماء الكثير هنالك ان قف فوقف الرجل مكانه فى الهواء فتخلص وان رابعة البصرية كانت امة كبيرة يطاف بها فى سوق البصرة لا يرغب فيها احد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم فاعتقها فاختارت الطريق الحق فاقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها قرآء البصرة وعلماؤها العظم منزلتها واما الذى لم تسبق له العناية ولا توجهت له ولم يعامل بالفضل فيوكل الى نفسه فربما يبقى فى شعب من عقبة واحدة من العقبات سبعين سنة ولا يقطعها وكم يصيح وكم يصرخ ما اظلم هذا الطريق واشكله وأعسر هذا الامر واعضله فان قلت لم اختص هذا بالتوفيق الخاص وحرم هذا وكلاهما مشتركان فى ربقة العبودية فعند هذا السؤال تنادى من سرادق الجلال ان الزم الادب واعرف سر الربوبية وحقيقة العبودية فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ذلك تقدير العزيز العليم وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * رضا بداده بده وزجبين كره بكشاى * كه بر من وتو در اختيار نكشادست * اللهم اجعلنا ممن سبقت له العناية وتقدم فى حقه التوفيق الخاص والهداية آمين يارب العالمين (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) اى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تخطئوهم الى الغير قال فى التأويلات النجمية موالاة الله فى معاداة ماسوى الله كما قال الخليل عليه السلام فانهم عدو لى الا رب العالمين وموالاة الرسول فى معاداة النفس ومخالفة الهوى كما قال عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله وولده والناس اجمعين وموالاة المؤمنين فى مؤاخاتهم فى الدين كقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وقال عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) بدل من الذين آمنوا (وهم راكعون) حال من فاعل الفعلين اى يعملون ماذكر من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى والمقصود تمييز المؤمن المخلص ممن يدعى الايمان ويكون منافقا لأن الاخلاص انما يعرف بكونه مواظبا على الصلاة والزكاة فى حال الركوع اى فى حال الخشوع والاخبات لله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) اى ومن يتخذهم اولياء (فان حزب الله هم الغالبون) اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتشريفا لهم باضافتهم اليه تعالى وتعريضا بمن يوالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان وحزب الرجل اصحابه والحزب الطائفة يجتمعون لأمر حزبهم اى اصابهم واعلم ان الغلبة على اعدآء الله الظاهرة والباطنة كالهوى والنفس والشيطان انما تحصل بنصرة الله تعالى كما قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم وليست النصرة والغلبة الا بتأثير الله تعالى وهو المعز وكل العزة منه تعالى (وروى) ان الله تعالى شكا من هذه الامة ليلة المعراج شكايات الاولى انى لم اكلفهم عمل الغد وهم يطلبون منى رزق الغد والثانية انى لا ارفع ارزاقهم الى غيرهم وهم يرفعون عملهم الى غيرى والثالثة انهم يأكلون رزقى ويشكرون غيرى ويخونون معى ويصالحون خلقى والرابعة ان العزة لى وانا المعز وهم يطلبون العزة من سواى والخامسة انى خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون ان يوقعوا انفسهم فيها فمن اتبع هوى النفس ولم يهتم لتزكيتها فقد سعى فى الحاق نفسه بزمرة الاعدآء فلم يكن منصورا البتة اذ لا يحصل الى من الخسارة الا الخسارة والهوى مقتضى النفس والنفس ظلمانية ولا يتولد من الظلمانى الا الظلمة (قال فى المثنوى) عكس نورانى همه روشن بود * عكس ظلمانى همه كلخن بود * عكس هر كس را بدان اى ببين * پهلوى جنسى كه خواهى مى نشين * فعلى المؤمن ان يجتهد بالصوم والصلاة ووجوه العبادات الى ان يزكى نفسه عن سفساف الاخلاق ويغلب الاعدآء الباطنة والغلبة عليها مفتاح الغلبة على الاعدآء الظاهرة ولذا ترى الانبياء والاولياء منصورين مظفرين على كل حال وهذه النصرة والولاية من آثار عناية الله السابقة فكما ان من رش عليه من نور الازل لم يرظلمة ابدا كذلك من لم يهتد بذلك النور فى بداية الامر لم يصل الى المراد الى آخر العمر (قال الحافظ) با آب زمزم وكوثر سفيد نتوان كرد * كليم بخت كسى راكه بافتند سياه (يا أيها الذين آمنوا) روى ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهاهم الله تعالى عن الموالاة وقال (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) قوله الذين

اتخذوا مفعول اول لقوله لا تتخذوا ومفعوله الثانى قوله اولياء ودينكم مفعول اول لقوله اتخذوا وهزوا مفعوله الثانى والهزؤ السخرية والاستهزاء واللعب بالفارسية بازى ومعنى اتخاذهم دين المسلمين مهزوا به وتلاعبهم به اظهارهم ذلك باللسان مع الاصرار على الكفر فى القلب وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة (من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) بيان للمستهزئين ومن قبلكم متعلق باوتوا (والكفار) بالنصب عطف على الموصول الاول والمراد المشركون خصوا به لتضاعف كفرهم فالنهى عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كأهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (اولياء) وجانبوهم كل المجانبة (واتقوا الله) فى ذلك بترك موالاتهم (ان كنتم مؤمنين) اى حقا لان الايمان يقتضى الاتقاء (واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها) اى الصلاة او المناداة (هزوا ولعبا) كان المؤذنون اذا اذنوا للصلاة تضاحكت اليهود فيما بينهم وتغامزوا سفها واستهزاء بالصلاة وتجهيلا لأهلها وتنفيرا للناس عنها وعن الداعى اليها (ذلك) اى الاستهزاء المذكور مستقر (بانهم قوم لا يعقلون) اى بسبب عدم عقلهم فان السفه يؤدى الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل فى الجملة لما اجترأوا على تلك العظيمة (وفى المثنوى) كشتى بى لنكر آمد مرد شر * كه ز باد كژ نيابد او حذر * لنكر عقلست عاقل را امان * لنكرى در يوزه كن از عاقلان * قال العلماء ثبوت الاذان ليس بالمنام وحده بل هو ثابت بنص هذه الآية فان المعنى اذا دعوتم الناس الى الصلاة بالاذان والنداء الدعاء بارفع الصوت وفى الاذان حكم منها اظهار شعائر الاسلام وكلمة التوحيد والاعلام بدخول وقت الصلاة وبمكانها والدعاء الى الجماعة الى غير ذلك ولو وجد مؤذن حسن الصوت يطلب على اذانه الاجر والرزق وآخر يتبرع بالاذان لكن غير حسن الصوت فايهما يؤخذ فيه وجهان اصحهما انه يرزق حسن الصوت فان لحسن الصوت تأثيرا كما ان لقبحه تغييرا وتنفيرا (وفى المثنوى) يك مؤذن داشت بس آواز بد * درميان كافرستان بانك زد * چند كفتندش مكو بانك نماز * كه شود جنك وعداوتها دراز * او ستيزه كرد و پس بى احتراز * كفت دركافرستان بانك نماز * خلق خائف شد ز فتنه عامه * خود بيامد كافرى با جامه * شمع وحلوا با چنان جامه لطيف * هديه آورد و بيامد چون أليف * بت پرستان كين مؤذن كو كجاست * كه صلا و بانك او راحت فزاست * دخترى دارم لطيف وبس سنى * آرزو مى بود او را مؤمنى * هيچ اين سودا نمى رفت از سرش * پندها مى داد چندين كافرش * هيچ چاره مى ندانستم دران * تا فرو خواند اين مؤذن آن اذان * كفت دختر چيست اين مكروه بانك * كه بكوشم آمد اين دو چار دانك * من همه عمر اين چنين آواز زشت * هيچ نشنيدم درين دير وكنشت * خواهرش كفتا كه اين بانك اذان * هست اعلام در شعار مؤمنان * باورش نامد بپرسيد از دكر * ان ديكر هم كفت آرى اى پدر * چون يقين كشتش رخ او زرد شد * از مسلمانى دل او سرد شد * باز رستم من ز تشويش عذاب * دوش خوش خفتم دران بى خوف خواب * راحتم اين بود از آواز او * هديه آوردم بشكر آن مرد كو * چون بديدش كفت اين هديه پذير * كه مرا كشتى مجير و دستكير * كر بمال وكر بثروت فردمى * من دهانت را پر از زر كردمى * ورد فى التأذين فضائل وفى الحديث اول الناس دخولا الجنة الانبياء ثم الشهداء ثم بلال مع مؤذنى الكعبة ثم مؤذنوا بيت المقدس ثم مؤذنوا مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم سائر المؤذنين على قدر اعمالهم وفى الحديث ثلاثة لا يكترثون من الحساب ولا تفزعهم الصيحة ولا يحزنهم الفزع الاكبر حامل القرآن العامل بما فيه يقدم على الله سيدا شريفا ومؤذن اذن سبع سنين لا يأخذ على اذانه طمعا وعبد مملوك أحسن عبادة ربه وادى حق مولاه واذا اجتمع الاذان والامامة فى شخص فالامامة أفضل لمواظبة النبى عليه السلام عليها وانما لم يؤذن لانه عليه السلام لو أذن لكان كل من تخلف عن الاجابة كافرا ولانه لو كان داعيا لم يجز ان يشهد لنفسه ولانه لو أذن وقال أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله لتوهم ان ثمة نبيا غيره ولأن الاذان رآه غيره فى المنام فوكله الى غيره وايضا انه عليه السلام كان اذا عمل عملا اثبته اى جعله ديمة وكان لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بتبليغ الرسالة وهذا كما قال سيدنا عمر رضى الله عنه لولا الخليفى لاذنت وكره اللحن فى الاذان لما روى ان رجلا جاء الى ابن عمر رضى الله عنه فقال انى احبك فقال انى ابغضك فى الله فقال لم فقال لانه بلغنى انك تغنى فى اذانك يعنى تلحن

وذلك مثل ان يقول آلله بمد الالف الاولى لانه استفهام وشك وان يقول اكبار بمد الباء لانه اسم الشيطان وغير ذلك الى آخر كلمات الاذان واجابة المؤذن واجبة على كل من سمعه وان كان جنبا او حائضا اذا لم يكن فى الخلاء او فى الجماع وذكر تاج الشريعة ان اجابة المؤذن سنة وقال النووى مستحبة فيقول بمثل ما يقول المؤذن وضعف تقبيل ظفرى ابهاميه مع مسبحتيه والمسح على عينيه عند قوله محمد رسول الله لانه لم يثبت فى الحديث المرفوع لكن المحدثين اتفقوا على ان الحديث الضعيف يجوز العمل به فى الترغيب والترهيب فقط ويقول عند حى على الصلاة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعند حى على الفلاح ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وعند قوله الصلاة خير من النوم صدقت وبالخير نطقت وفى قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها وحين ينتهى الى قوله قد قامت الصلاة يجيب بالفعل دون القول وروى عن ميمونة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بين صف الرجال والنساء فقال يا معشر النساء اذا سمعتن اذان هذا الحبشى واقامته فقلن كما يقول فان لكن بكل حرف الف درجة قال عمر رضى الله عنه هذا فى النساء فما للرجال قال ضعفان يا عمر (قال حضرة الشيخ الشهير باقتاده افندى) حبذا الكلام ونعم النداء الاذان فعند قوله الله أكبر الله أكبر لو انكشف وتجلى عظمة الله تعالى وكبرياؤه وعند قوله أشهد أن لا اله الا الله لو انكشف وحدانيته وعند أشهد أن محمدا رسول الله لو انكشف حقانيته وعند الحيعلتين لو ظهر الطلب من الطالب الى المطلوب وعند الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله لو تجلى الذات لتم المقصود وحصل المراد انتهى ومن فضائل الاذان انه لو أذن خلف المسافر فانه يكون فى امان الى ان يرجع وان اذن فى اذن الصبى واقيم فى اذنه الاخرى اذا ولد فانه امان من ام الصبيان واذا وقع هذا المرض ايضا وكذا اذا وقع حريق او هجم سيل او برد او خاف من شئ كما فى الاسرار المحمدية والاذان اشارة الى الدعوة الى الله حقيقة والداعى هو الوارث المحمدى يدعو أهل الغفلة والحجاب الى مقام القرب ومحل الخطاب فمن كان اصم عن استماع الحق استهزأ بالداعى ودعوته لكمال جهالته وضلالته ومن كان ممن القى السمع وهو شهيد يقبل الى دعوة الله العزيز الحميد وينجذب الى حضرة العزة ويدرك لذات شهود الجمال ويغتنم مغانم اسرار الوصال

جوانا سرمتاب از پند پيران * كه رأى پيرت از بخت جوان به (قل يا أهل الكتاب) روى ان نفرا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال عليه السلام اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم اهل دين اقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فأنزل الله هذه الآية اى قل لهؤلاء اليهود الفجرة (هل تنقمون منا) من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه اى ما تعيبون وما تنكرون منا دينا لعلة من العلل (الا ان آمنا بالله) اى الا لأن آمنا بالله فهو مفعول له لتنقمون على حذف المفعول به الذى هو الدين (وما انزل الينا) من القرآن المجيد (وما انزل من قبل) اى من قبل انزاله من التوراة والانجيل وسائر الكتب الالهية (وان اكثركم فاسقون) عطف على ان آمنا اى ولأن اكثركم متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم مع ان كلهم فاسقون لانهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والفساد وقيل هو عطف على ان آمنا على انه مفعول به لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كأنه قيل ما تكرهون من جهتنا الا الايمان بالله وبجميع كتبه المنزلة والاختلاف كم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه (قل هل انبئكم) الخطاب لليهود (بشر من ذلك) الاشارة الى المنقوم وهو الايمان والمنقوم منهم المؤمنون اى هل اخبركم بما هو شر فى الحقيقة لا ما تعتقدونه شرا وان كان فى نفسه خيرا محضا قال ابن الشيخ ومن المعلوم قطعا انه لا شر فى دين الاسلام فالمراد الزيادة المطلقة (مثوبة عند الله) اى جزاء ثابتا فى حكمه تعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة مختصة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريق التهكم ونصبها على التمييز من بشر (من لعنه الله وغضب عليه) خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما اشير اليه بكلمة ذلك اى هو دين من لعنه الله وهم اليهود وأبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات (وجعل منهم القردة والخنازير) اى مسخ بعضهم قردة فى زمن داود عليه السلام بدعائه عليهم حين اعتدوا فى السبت واستحلوه ومسخ بعضهم خنازير فى زمن عيسى عليه

السلام بعدما كلهم من المائدة وحين كفروا بعد ماراوا الآيات البينة وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير ولما نزلت هذه الآية قال المسلمون لليهود يا اخوة القردة والخنازير فنكسوا رؤسهم وافتضحوا (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من وضميره المستكن يعود الى من اى اطاع الشيطان فيما سوّل له (اولئك) الموصوفون بتلك القبائح والفضائح (شرّ مكانا) جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم (واضل عن سواء السبيل) عطف على شرّ مقرّر له اى اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل فى الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم فى اصل الشرارة والضلال واعلم أن كل صنف من الناس يفرح بما لديه ويبغض الآخر بما هو عليه ولكن الحق احق ان يتبع فالمؤمن يحب المؤمن فان المحبة من الاخلاق الحسنة والاوصاف الشريفة وفى الحديث ان من عباد الله عبادا ماهم بانبياء وشهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قالوا يارسول الله اخبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطون فوالله ان وجوههم انوار وانهم يعلون منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وسئل عبد الله السالمى باى شئ يعرف اولياء الله من بين عباده فقال بلطافة اللسان وحسن الخلق وبشاشة الوجه وسخاوة النفس وقلة الاعتراض وقبول الاعتذار وكمال الشفقة على عامة الخلق (قال الحافظ) تاج شاهى طلبى كوهر ذاتى بنماى * ورخوداز كوهر جمشيد وفريدون باشى * قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى لا تزال البغضاء بين البيراميين وبين الخلوتية وكذا بينهم وبين اتباع السيد البخارى مع ان البغضاء لا تليق باهل الحق الا يرى انا لم نسمع من دور آدم الى خاتم النبيين عليهم السلام نوع بغض بين نبيين أصلا مع انه قد يتفق فى بعض الاوقات ان يجتمع ثلاثة واربعة من الانبياء وكذا اتباعهم لا يطعنون فى واحد منهم (قال السعدى) دلم خانهٔ مهر يارست وبس * ازان مى نكنجد درو كين كس * قال بعضهم القلوب ثلاثة قلب يطير فى الدنيا حول الشهوات وقلب يطير فى العقبى حول الكرامات وقلب يطير فى سدرة المنتهى حول المناجاة (قال الحافظ) غلام همت رندان بى سرو پايم * كه هردو كون نيرزد به پيش شان يك كاه * فعلى العاقل ان يشتغل بالتوحيد كى يتخلص من ظلمات النفس وهواها والشيطان ووساوسه نظر عمر بن الخطاب الى شاب فقال يا شاب ان وقيت شر ثلاثة فقد وقيت شر الشيطان ان وقيت لقلقك وقبقبك وذبذبك قال الاصمعى اللقلق اللسان والقبقب البطن والذبذب الفرج (واذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم اوله مع من عنده من المسلمين اى اذا جاؤكم اظهروا الاسلام (وقد) اى والحال انهم قد (دخلوا) ملتبسين (بالكفر وهم قد خرجوا) من عندك ملتبسين (به) اى بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وصيغة التفضيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يظن نفاقهم من اماراته اللائحة عليهم ويتوقع انه يظهره الله (وفى المثنوى) نيست بازى با مميز خاص او * كه بود تمييز عقلش غيب كو * هيچ سحر وهيچ تلبيس ودغل * مى نبندد پرده بر اهل دول (وترى) يا محمد رؤية بصرية (كثيرا منهم) اى من اليهود والمنافقين حال كونهم (يسارعون فى الاثم) اى الكذب على الاطلاق وايثار كلمة فى على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون فى الاثم وانما مسارعتهم من بعض مراتبه الى بعض آخر منها كقوله تعالى اولئك يسارعون فى الخيرات لا انهم خارجون منه متوجهون اليه كما فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة (والعدوان) اى الظلم المتعدى الى الغير (واكلهم السحت) اى الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) اى لبئس شيأ كانوا يعملونه والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار (لولا) حرف تحضيض (ينهاهم الربانيون والاحبار) المراد بهم العلماء الا ان الربانى الزاهد العارف الواصل والحبر العالم العامل المقبول (عن قولهم الاثم) وهو قولهم آمنا وليسوا بمؤمنين (واكلهم السحت) مع علمهم بقبحها ومشاهدتهم لمباشرتهم لها (لبئس ما كانوا يصنعون) هو ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون لان الصنع اقوى من العمل فان العمل انما يسمى صناعة اذا صار مستقرا راسخا متمكنا فجعل جرم من عمل الاثم والعدوان

واكل السحت ذنبا غير راسخ وذنب التاركين للنهي عن المنكر ذنبا راسخا وفي الآية مما ينعي على العلماء من توانيهم في النهي عن المنكرات مالا يخفى (قال الشيخ السعدي) كرت نهي منكر برآيد زدست * نشايد چوبي دست وپايان نشست * چودست وزبانرا نماند مجال * بهمت نمايند مردي رجال * قال عمر ابن عبد العزيز ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا اظهروا المعاصي فلم ينكروا استحق القوم جميعا للعقوبة ولولا حقيقة هذا المعنى في التوبيخ على المشايخ والعلماء في ترك النصيحة لما اشتغل المحققون بدعوة الخلق وتربيتهم لاستغراقهم في مشاهدة الحق وموانستهم به قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندي قدس سره السالك اذا وصل الى الحقيقة اما ان يرسل للارشاد او يبقى في حضور الوصلة ولا يريد الفرقة كالشيخ ابي يزيد البسطامي فانه لا يختار الارشاد ولكن الارشاد طريقة الانبياء عليهم السلام فانه ما من نبي الا وهو قد بعث وارسل لارشاد الخلق ولم يبق في عالم الحضور (قال في المثنوي) خطابا من قبل الله تعالى الى حضرة النبي عليه السلام هين بمكذار اي شفار نجوررا * توز چشم كور عصاي كوررا * ني تو كفتي قائد اعمى براه * صد ثواب واجر يابد از اله * هركه او چل كام كوري را كشد * كشت آمرزيده ويابد رشد * پس بكش توزين جهان بي قرار * چوق كوران را قطار اندر قطار * كار هادي اين بود تو هادئ * ماتم آخر زمانرا شادئ * هين روان كن اي امام المتقين * اين خيال انديشكانرا تا يقين * خيز دردم تو بصور سهمناك * تا هزاران مرده بررويد زخاك * واهل الحقيقة والعلماء العاملون المتجردون عن الغرض سوى اعلاء كلمة الله تعالى محفوظون في اقوالهم وافعالهم (وحكي) ان زاهدا من التابعين كسر ملاهي مروان بن الحكم الخليفة فاتي له به فامر بان يلقى بين يدي الاسد فالقي فلما دخل ذلك الموضع افتتح الصلاة فجاءت الاسد وجعلت تحرك ذنبها حتى اجتمع عليه ما كان في ذلك الموضع من الاسد فجعلت تلحسه بألسنتها وهو يصلي ولا يبالي فلما اصبح مروان قال ما فعل بزاهد ناقيل القي بين يدي الاسد قال انظروا اهل اكلته فجاؤا فوجدوا الاسد قد استأنست به فتعجبوا من ذلك فاخرجوه وحملوه الى الخليفة فقال له اما كنت تخاف منها قال لا كنت مشغولا متفكرا طول الليل لم اتفرغ الى خوفهم فقال له فيماذا تتفكر قال في هذه الاسد حيث جاءت تلحسني بألسنتها فكنت اتفكر ألعابها طاهر ام نجس فتفكري في هذا منعني عن الخوف منها فتعجب منه فخلى سبيله كذا في نصاب الاحتساب (وقالت اليهود) قال المفسرون ان الله تعالى كان قد بسط النعمة على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله عنهم ما بسط عليهم من النعمة فعند ذلك قالت اليهود (يد الله مغلولة) اي مقبوضة ممسكة عن العطاء وغل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اي لا تمسكها عن الانفاق (غلت ايديهم) دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة اي امسكت ايديهم عن الانفاق في الخير وجعلوا بخلاء واليهود ابخل الناس ولا امة ابخل منهم (ولعنوا) اي ابعدوا وطردوا من رحمة الله تعالى (بما قالوا) اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وهذا الدعاء عليهم تعليم للعباد والا فهو اثر العجز تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (بل يداه مبسوطتان) اي ليس شأنه عز وجل كما وصفوه بل هو موصوف بغاية الجود ونهاية الفضل والاحسان وهذا المعنى انما يستفاد من تثنية اليد فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه جميعا ويد الله من المتشابهات وهي صفة من صفات الله تعالى كالسمع والبصر والوجه ويداه في الحقيقة عبارة عن صفاته الجمالية والجلالية وفي الحديث كلتا يديه يمين * اديم زمين سفرهٔ عام اوست * برين خوان يغما چه دشمن چه دوست (ينفق كيف يشاء) اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي ان يضيق عليهم (وفي المثنوي) چونكه بد كردي بترس ايمن مباش * زانكه تخمست وبروياند خداش * چند كاهي اوبروياند كه تا * آيدت زان بد پشيمان وحيا * بارها او شد بي اظهار فضل * باز كيرد از بي اظهار عدل * تا كه اين هرد وصفت ظاهر شود * ان مبشر كرد وابن منذر شود (وليزيدن كثيرا منهم) وهم علماؤهم ورؤساؤهم قوله كثيرا مفعول اول ليزيدن (ما انزل اليك من ربك) وهو القرآن وما فيه من الاحكام وهو فاعل يزيدن (طغيانا وكفرا) مفعول ثان للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم

وكفرا على كفرهم القديم اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا (والقينا بينهم) اى بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة اما الجبرية فهم الذين ينسبون فعل العبد الى الله تعالى ويقولون لا فعل للعبد اصلا ولا اختيار وحركته بمنزلة حركة الجمادات واما القدرية فهم الذين يزعمون ان كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير الله والمرجئة هم الذين لا يقطعون على أهل الكبائر بشئ من عفو او عقوبة بل يرجئون الحكم فى ذلك اى يؤخرونه الى يوم القيامة واما المشبهة فهم الذين شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثلوه بالمحدثات (العداوة والبغضاء) اى جعلناهم مختلفين فى دينهم متباغضين كما قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فلا تكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم فى ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدى الى الاضرار بالمسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض بلا عكس كلى (الى يوم القيامة) متعلق بالقينا (كلما اوقدوا نارا للحرب) اى كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه (اطفأها الله) اى ردهم الله وقهرهم بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم وفى المثنوى خطابا من قبل الله تعالى الى حضرة صاحب الرسالة عليه السلام * هركه در مكر تو دارد دل كرو * كردنش را من زنم تو شاد شو * بر سر كوريش كوريها نهم * او شكر بندارد وزهرش دهم * جيست خود الاحق آن تركمان * بيش باى برّه بيلان جهان * آن جراغ او به بيش صرصرم * خود جه باشد اى مهين بيغمبرم * (ويسعون فى الارض فسادا) اى يجتهدون فى الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او فى موضع المصدر اى يسعون للفساد او يسعون سعى فساد (والله لا يحب المفسدين) ولذلك اطفأ نائرة افسادهم ولا يجازيهم الا شرا واعلم ان الله تعالى مهما وكل الانسان الى خساسة طبعه وركاكة نظره وعقله فلا يترشح منه الا ما فيه من الاقوال الشنيعة والافعال الرذيلة ولذلك قالت اليهود يد الله مغلولة (ونعم ما قال فى المثنوى) در زمين كرنيشكر ورخود نى است * ترجمان هر زمين نبت وى است * واهل الحسد يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولكن لا يزيدهم الحسد الا الطغيان فيكون مصائب قوم عند قوم فوائد كذلك فوائد قوم عند قوم مصائب قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ان جماعة السيد البخارى حسدوا الناحى قصدوا القتل بالسلاح واشتغلوا بالاسماء القهرية على حسب طريقهم فلم اقاتل دفعا للفتنة ثم رأيت فى موضع قرب جامع السيد البخارى قد اخذ طريق ماء عظيم فلم يبق الا طريق ضيق فلما قربت منه لم يبق اثر من الماء ثم انه مات كثير من تلك الجماعة ولكن لم اباشر انا فى حقهم شيأ قال كيف اميل الى مشيختهم وتصرف ثمانية عشر الف عالم بيدى بقدرة الله تعالى فى الباطن وان كنت عاجزا فى الظاهر (وحكى) ان مولانا جلال الدين اشتغل عند صلاح الدين شركوه بعد المفارقة من شمس الدين التبريزى فلما سمعه بعض اتباع مولانا ارادوا قتله فارسل اليه مولانا ابنه السلطان ولد فقال الشيخ صلاح الدين ان الله تعالى اعطانى قدرة على قلب السماء الى الارض فلو اردت اهلكتهم بقدرة الله تعالى لكن الاولى ان ندعو لاصلاحهم فدعا الشيخ فامن السلطان ولد فلانت قلوبهم واستغفروا اللهم بحق اصفيائك خلصنا من رذائل الاوصاف وسفساف الاخلاق انك انت القادر الخلاق (ولو ان اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى (آمنوا) بما يجب به الايمان (واتقوا) من المعاصى مثل الكذب واكل السحت ونحو ذلك (لكفرنا عنهم سيئاتهم) اى لعفونا عنهم وسترنا عليهم ذنوبهم وهو الخلاص من العذاب (ولادخلناهم جنات النعيم) اى ولجعلناهم خالدين فيها وهو الظفر بالثواب وفيه تنبيه على ان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابى لا يدخل الجنة ما لم يسلم (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل) اى عملوا بما فيهما من التصديق بسيد المرسلين والوفاء لله تعالى بما عاهدوا فيهما واقامة الشئ عبارة عن رعاية حقوقه واحكامه كاقامة الصلاة (وما انزل اليهم من ربهم) من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للتصريح ببطلان ما كانوا يدعون من عدم نزوله الى بنى اسرائيل (لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) اى لوسع الله عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض بانزال المطر واخراج النبات وفيه تنبيه على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شؤم جناياتهم

لا لقصور

لاالقصور فى فيض الفياض (وفى المثنوى) هين مراقب باش كردل بايدت * كز پى هرفعل چيزى زايدت * اين بلا از كودنى آيد ترا * كه نكردى فهم نكته رمزها * وكأنه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان والتقوى والاقامة فقيل (منهم امة مقتصدة) اى طائفة عادلة غير غالية ولا مقصرة كعبد الله بن سلام واضرابه ممن آمن من اليهود وثمانية واربعين ممن آمن من النصارى والاقتصاد فى اللغة الاعتدال فى العمل من غير غلو ولا تقصير (وكثير منهم) مقول فى حقهم (ساء ما كانوا يعملون) وفيه تعجب بحسب المقام اى ما اسوء عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه وفى الآية بيان ان التقوى سبب لتوسعة الرزق واستقامة الامر فى الدنيا والآخرة قال عبد الله القلانسى ركبت سفينة فى بعض اسفارى فبدت ريح شديدة فاشتغل أهل السفينة بالدعاء والنذر واشاروا الىّ بالنذر ايضا فقلت انى مجرد عن الدنيا فألحوا علىّ فقلت ان خلصنى الله لا آكل لحم الفيل فقالوا لمن يأكل لحم الفيل حتى تكفه عن نفسك فقلت هكذا خطر ببالى فخلصنى الله بجماعة ورمانا الى ساحل البحر فمضى ايام لم نجد ما نأكل فبينا نحن جياع اذ ظهر جرو فيل فقتلوه واكلوا لحمه ولم آكل رعاية لنذرى وعهدى فألحوا علىّ فقالوا انه مقام الاضطرار فلم اقبل قولهم ثم ناموا فجاءت ام الجرو ورأت عظام ولدها وشمت الجماعة فردا فردا فكل من وجدت رائحته أهلكته ثم جاءتنى فلما لم تجد الرائحة وجهت الىّ ظهرها واشارت الىّ بالركوب فركبت فحملتنى وأوصلتنى تلك الليلة الى موضع واشارت الىّ بالنزول فنزلت ولقيت وقت السحر جماعة فأخذونى الى البيت واضافونى فاخبرتهم قصتى على لسان ترجمان فقالوا من ذلك الموضع الى هنا مسيرة ثمانية ايام وقد قطعتها فى ليلة واحدة فظهر من هذه الحكاية انه برعاية جانب التقوى والوفاء بالعهد يستقيم امر المرء من جهة الدين والدنيا وان شهوة واحدة من شهوات الدنيا الها حزن طويل وكيد عظيم بل هلاك كما وقع لتلك الجماعة التى اكلوا جرو الفيل * وقتى زنبورى مورى راديدكه بهزار حيله دانه بخانه ميكشد ودران رنج بسيارى ديد اورا كفت اى مور اين چه رنجست كه برخود نهادهٔ بياكه مطعم ومشرب من بين كه هر طعامكه لطيف ولذيذ ترست تا ازمن زياده نيايد بپادشاهان نرسد هر انجاكه خواهم نشينم وآنچه خواهم كزينم وخورم ودرين سخن بودكه بر پريد و بدكان قصابى برمسلوخى نشست قصاب كه كارد دردست داشت بران زنبور مغرور زد دوپاره كرد برزمين انداخت ومور بيامد وپاى كشان اورامى برد وكفت رب شهوت ساعة اورثت صاحبها حزنا طويلا زنبور كفت مرابجايى مبركه نخواهم مور كفت هركه ازروى حرص وشهوت جايى نشيندكه خواهد بجايى كشندش كه نخواهد * واعلم ان قوله تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اشارة الى ما يحصل بالوهب الرحمانى وما يحصل بالكسب الانسانى فمن عمل بما علم واجتهد فى طريق الحق كل الاجتهاد ينال مراتب الاذواق والمشاهدات فيحصل له جنتان جنة العمل وجنة الفضل وهذا الرزق المعنوى هو المقبول (وفى المثنوى) اين دهان بستى دهانى بازشد * كه خورندهٔ لقمهاى رازشد * كرزشير ديو تن راوابرى * درفطام او بسى نعمت خورى * اللهم امدنا بفيض فضلك واحسانك (يا أيها الرسول بلغ) جميع (ما انزل اليك من ربك) مما يتعلق بمصالح العباد فلا يرد ان بعض الاسرار الالهية يحرم افشاؤه قال ابو هريرة حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين من العلم فاما احدهما فقد بثثته واما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم والتحقيق ان ما يتعلق بالشريعة عام تبليغه وما يتعلق بالمعرفة والحقيقة خاص ولكل منهما أهل فهو كالامانة عند المبلغ يلزم دفعها الى اربابها (وان لم تفعل) اى ان لم تبلغ جميعه خوفا من ان ينالك مكروه (فما بلغت رسالته) لان كتمان بعضها ككتمان الكل والرسالة لا سبيل لها ان يبلغها الا باللسان فلذلك لم يرخص له فى تركها وان خاف فهذا دليل لقولنا فى المكره على الطلاق والعتاق اذا تكلم به وقع لان تعلق ذلك باللسان لا بالقلب والاكراه لا يمنع فعل اللسان فلا يمنع النفاذ كذا فى التيسير (والله يعصمك من الناس) امان من الله تعالى للنبى عليه السلام كيلا يخاف ولا يحذر كما روى فى الخبر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخل المدينة قالت اليهود يا محمد انا ذووا عدد وباس فان لم ترجع قتلناك وان رجعت زودناك واكرمناك فكان عليه السلام يحرسه مائة من المهاجرين والانصار يبيتون عنده ويخرجون معه خوفا من اليهود فلما نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس علم ان الله يحفظه من كيد اليهود وغيرهم فقال للمهاجرين والانصار انصرفوا الى رحالكم فان الله قد عصمنى من اليهود فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يخرج وحده

فى اول الليل وعند السحر الى اودية المدينة وحيث ماشاء يعصمه الله مع كثرة اعدآئه وقلة اعوانه وكان الشج والرباعية قبل ذلك اولان المراد العصمة من القتل وقد حفظه من ذلك واما سائر البلايا والمحن فذلك مما كان يجرى على سائر الانبياء والاولياء قال الكرمانى ماوقع من الابتلاء والسقم فى الانبياء عليهم السلام لنيل جزيل الاجر وليعلم انهم بشر تصيبهم محن الدنيا ومايطرأ على الاجسام وانهم مخلوقون فلا يفتتن بما ظهر على ايديهم من المعجزات انتهى (ان الله لا يهدى القوم الكافرين) تعليل لعصمته عليه السلام اى لا يمكنهم مما يريدون لك من الاضرار وفيه اشارة الى ان من سنة الله تعالى ان لا يهدى الى حضرته قوما جحدوا نبوة الانبياء وما قبلوا رسالة الرسل ليبلغوا اليهم ما انزل اليهم من ربهم اوانكروا على الاولياء وما استمسكوا بعروة ولايتهم ليوصلوهم الى الله تعالى سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وفى الآية ايضا اشارة الى ان من امتثل لامر الخالق يعصمه من مضرة المخلوق كما عصم النبى عليه السلام وابو بكر الصديق رضى الله عنه فى الغار حين الهجرة فاذا عصم الله من امتثل لامره يعصم ايضا من يستشفع برسوله عليه السلام ويهديه الى سوآء الصراط (حكى) ان سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطأ الجيش بارض الروم واسر فانطلق هاربا يلتمس الجيش فاذا بالاسد فقال يا ابا الحارث انا سفينة مولى رسول الله فكان من امرى كيت وكيت فاقبل الاسد يتبصبص حتى قام الى جنبه كلما سمع صوتا اهوى اليه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الاسد (قال السعدى فى البستان) يكى ديدم ازعرصهٔ رودبار * كه پيش آمدم بر پلنكى سوار * چنان هول ازان حال بر من نشست * كه ترسيدنم پاى رفتن ببست * تبسم كنان دست برلب كرفت * كه سعدى مدار انچه آيد شكفت * توهم كردن ازحكم داور مپيچ * كه كردن نپيچد زحكم توهيچ * محالست چون دوست دارد ترا * كه دردست دشمن كذارد ترا * وعن جابر رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الغزوات فنزل مع قومه فى واد فتفرق الناس يستظلون بالاشجار وينامون واستظل عليه السلام بشجرة معلقا سيفه بغصنها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فلما حضرنا رأينا اعرابيا فقال عليه السلام (ان هذا اخترط على سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى فقلت الله) يعنى يمنعنى الله منك (فسقط السيف من يده فأخذته فقلت من يمنعك منى فقال كن خير آخذ) قال الراوى قال له النبى عليه السلام اتشهد ان لا آله الا الله وانى رسول الله قال لا ولكن اعاهدك على ان لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى عليه السلام سبيله وفى الحديث كمال توكل النبى عليه السلام وتصديق قوله والله يعصمك من الناس واستحباب مقابلة السيئة بالحسنة كذا فى شرح المشارق لابن الملك رحمه الله تعالى (قل) يا محمد مخاطبا لليهود والنصارى (يا أهل الكتاب لستم على شئ) اى دين يعتد به ويليق بان يسمى شيأ لظهور بطلانه ووضوح فساده (حتى تقيموا التوراة والانجيل) ومن اقامتهما الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان الكتب الآلهية بأسرها آمرة بالايمان بما صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولهما ومالم ينسخ من فروعهما (وما انزل اليكم من ربكم) اى القرآن المجيد بالايمان به ونسب الانزال اليهم لانهم كانوا يدعون عدم نزوله الى بنى اسرآئيل (وليزيدن كثيرا منهم) وهم علماؤهم ورؤساؤهم (ما انزل اليك من ربك) اى القرآن (طغيانا وكفرا) على طغيانهم وكفرهم القديمين وهو مفعول ثان ليزيدن (فلا تأس على القوم الكافرين) اى فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم وفى الآية اشارة الى ان حقيقة الدين انما هى احكام ظاهرة وباطنة والتزين بالاعمال ظاهرا وبالاحوال باطنا وهذا لا يتصور الا بمقدمتين ونتائج اربع فاما المقدمتان فاولاهما الجذبة الآلهية وثانيتهما التربية الشيخية واما النتائج فاولاها الاعراض عن الدنيا وما يتعلق بها كلها وثانيتها التوجه الى الحق بصدق الطلب وهما من نتائج الجذبة ثم تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق الآلهية وهما من نتائج التربية الشيخية باستعداد القوة النبوة والقوم الكافرون هم اهل الانكار يتعلقون بظاهر الدين ولا يعرفون ورآءه غاية وليس الامر كذلك فان لكل ظاهر باطنا (وفى المثنوى) فائده هر ظاهرى خود باطنست * همچو نفع اندر دواها كامنست * هيچ خطاطى نويسد خط بفن * بهر عين خط نه بهر خواندن * كه كند بينش مى نبيند غير اين * عقل او بى سير چون نبت زمين * نبت راچه

خوانده چه ناخوانده * هست پای او بكل درمانده * كرسرش جنيد بسر بادرو * تو بسر جنبانيش غره مشو * آن سرش كويد سمعنا اى صبا * پاى اوكويد عصينا خلنا * والحامل على الانكار هو الحسد كما كان لطائفة اليهود والنصارى فلابد من تزكية النفس من مثل هذا القبيح (حكى) ان تلميذا للفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال يا استاذ لاتقرأ هذه ثم سكت ثم لقنه فقال لا اله الا الله فقال لا اقولها لانى برئ منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكى اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه فى النوم وهو يسحب الى جهنم فقال باى شئ نزع الله المعرفة عنك وكنت اعلم تلامذتى فقال بثلاثة اولها بالنميمة فانى قلت لاصحابى بخلاف ماقلت لك والثانى بالحسد حسدت اصحابى والثالث كان لى علة فجئت الى الطبيب وسألته عنها فقال تشرب فى كل سنة قدحا من الشراب فان لم تفعل بقيت بك العلة فكنت اشربه نعوذ بالله من سخطه الذى لا طاقة لنا به كذا فى منهاج العابدين (ان الذين آمنوا) اى بالسنتهم فقط وهم المنافقون (والذين هادوا) اى دخلوا فى اليهودية (والصابئون) اى الذين صبت قلوبهم ومالت الى الجهل وهم صنف من النصارى يقال لهم السائحون يحلقون اوساط رؤوسهم وقد سبق فى سورة البقرة (والنصارى) جمع نصران وهو معطوف على الذين هادوا وقوله والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والجملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الخ والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك وانما لم يعطف على ماقبله بل جعل مع خبره المحذوف جملة مستقلة اتى بها فى خلال الجملة الاولى على نية التأخير للدلالة على ان الصابئين مع كونهم اشد الفرق المذكورين فى هذه الآية ضلالا اذا قبل توبتهم وغفر ذنوبهم على تقدير الايمان الصحيح والعمل الصالح فقبول توبة باقى الفرق اولى واحرى (من آمن بالله واليوم الآخر) اى من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد (وعمل صالحا) حسبما يقتضيه الايمان بهما وقوله من فى محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف الخ والجملة خبران (فلا خوف عليهم) حين يخاف الكفار العقاب (ولا هم يحزنون) حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما قال الحدادى فى تفسيره امانفى الحزن عن المؤمنين ههنا فقد ذهب بعض المفسرين الى انه لايكون عليهم حزن فى الآخرة ولا خوف ونظيره قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولا تحزنوا وقال بعضهم ان المؤمنين يخافون ويحزنون لقوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة فقالت عائشة واسوأتاه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اما سمعت قول الله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قالوا وانما نفى الله تعالى فى هذه الآية الحزن عن المؤمنين لان حزنهم لما كان فى معرض الزوال ولم يكن له بقاء معهم لم يعتد بذلك انتهى (وفى المثنوى) لاتخافوا هست نزل خائفان * هست در خور از براى خائف آن * هركه ترسد مر ورا ايمن كنند * مر دل ترسنده راساكن كنند * آنكه خوفش نيست چون كويى مترس * درس چه دهى نيست او محتاج درس * واعلم ان اولياء الله لا خوف عليهم فيما يكون على شئ لانهم يقيمون القرآن عملا بالظاهر والباطن ولاهم يحزنون على ما يقاسون من شدائد الرياضات والمجاهدات ومخالفات النفس فى ترك الدنيا وشم الهوى ولا على ما اصابهم من البلاء والمحن والمصيبات والآفات لانهم تخلصوا من التقليد وفازوا بالتحقيق وارتفع عنهم تعب التكاليف فهم مع الله فى جميع احوالهم فعلى المؤمن معالجة مرضه القلبى من الاوصاف الرذيلة والتخلص من النفاق واللحاق باهل الاتفاق قال ابراهيم الخواص قدس سره دواء القلب خمسة قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع الى الله عند السحر ومجالسة الصالحين قال حضرة الشيخ الشهير بالهدائى قدس سره ونحن نقول المصلح فى الحقيقة هو الله ولكن اشد الاشياء تأثيرا هو الذكر قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال على رضى الله عنه يأتى على الناس زمان لايبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه يعمرون مساجدهم وهى خراب من ذكر الله شر أهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود (قال السعدى) علم چندانكه بيشتر خوانى * چون عمل در تو نيست نادانى * نه محقق بود نه دانشمند * چارپايى بروكتابى چند * آن تهى مغز را چه علم وخبر *

كه بروهيزمست وبادفتر * واعلم ان زبدة العلوم هي العلم بالله وماسواه فمن محسناته ومن علم فهو كامل في نفسه الا ان العمل هو المقصود ومجرد القرآءة لايغني شيأ ولا يجلب نفعا فطوبى لمن صاحب رفيق التوفيق (لقد اخذنا ميثاق بني اسرآئيل) اي بالله قد اخذنا عهدهم بالتوحيد وسائر الشرآئع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة (وأرسلنا اليهم رسلا) ذوي عدد كثير واولي شان خطير ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم (كلما جاءهم رسول بما لاتهوى انفسهم) جواب شرط محذوف كأنه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما يخالف هواهم من الشرآئع ومشاق التكاليف عصوه وعادوه كأنه قيل كيف عصوهم فقيل (فريقا كذبوا) اي فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار (وفريقا يقتلون) اي فريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا كزكريا ويحيى عليهما السلام (وحسبوا ان لاتكون فتنة) اي حسب بنوا اسرآئيل وظنوا ان لايصيبهم من الله تعالى بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وجه حسبانهم انهم وان اعتقدوا في انفسهم انهم مخطئون في ذلك التكذيب والقتل الا انهم كانوا يقولون نحن ابناؤه واحباؤه وكانوا يعتقدون ان نبوة اسلافهم وآبائهم تدفع عنهم العذاب الذي يستحقونه بسبب ذلك القتل والتكذيب (فعموا) عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتيب مابعدها على ماقبلها اي امنوا بأس الله تعالى فقادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعد ماهداهم الرسل الى المعاملة الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة اي عملوا معاملة الاعمى الذي لايبصر (وصموا) عن استماع الحق الذي ألقوه عليهم اي عملوا معاملة الاصم الذي لايسمع ولذلك فعلوا بهم مافعلوا قال المولى ابو السعود وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرآئيل حين خالفوا احكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا أرمياء عليه السلام (ثم تاب الله عليهم) حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد وبعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرآئيل من اسر بخت نصر بعد مهلكهم وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه في ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا عليه (ثم عموا وصموا) وهو اشارة الى المرة الاخرى من مرتي افسادهم وهو اجترآؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام (كثير منهم) بدل من الضمير في الفعلين قال الحدادي قوله كثير منهم يقتضي في المرة الثانية انهم لم يكفروا كلهم وانما كفر أكثرهم كما قال تعالى ليسوا سوآء من اهل الكتاب امة قائمة وقال تعالى منهم امة مقتصدة (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم وفق اعمالهم ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط الله عليهم بخت نصر فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله اربعين ألفا ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هنالك على اقصى مايكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عزوعلا الى ماحكى عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة الاخرى من الافساد فبعث الله عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوآئف ففعل بهم مافعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ماصدقتموني فقتل عليه ألوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ماتركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله منكم ثم قال يايحيى قد علم ربي وربك مااصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لاابقي احدا منهم فهدأ واعلم ان من مقتضى النفس نسيان العهد بينها وبين الله ونسيان نعمه بالكفران وكيف الكفران والانسان غريق في بحر كرمه ولطفه فيجب عليه شكر ذلك وارسال الرسل وتوضيح السبل ونزول المطر وانبات الارض وصحة البدن وقوة القلب واندفاع الموانع ومساعدة الاسباب كل ذلك من النعم الجليلة (وحكي) ان دانيال عليه السلام وجد خاتمه في عهد عمر رضي الله عنه وكان على فصه اسدان وبينهما رجل يلحسانه وذلك ان بخت نصر لما تتبع الصبيان وقتلهم وولد هو ألقته امه في غيضة رجاء ان ينجو منه فقيض الله سبحانه اسدا يحفظه ولبوة ترضعه وهما يلحسانه فلما كبر صور ذلك في خاتمه حتى لاينسى نعمة الله عليه ولابد في قطع طريق الآخرة من تحمل المشاق والقيام بالحقوق الواجبة بينه وبين الخلاق ذكر عن الفضيل انه قال من عزم على قطع طريق الآخرة فليجعل في نفسه اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض الجوع والاسود

ذم الناس والاجر بمخالفة الشيطان والاخضر الوقائع بعضها على بعض اى المصائب والاوجاع واذا كان المرء اعمى واصم فى هذا الطريق فلا جرم يضل ولا يهتدى (قال فى المثنوى) كور راهر كام باشد ترس چاه * باهزاران ترس مى آيد براه * مرد بينا ديده عرض راه را * پس بداندا ومغاك وچاه را * ماهيانرا بحر نگذارد برون * خاكيانرا بحر نگذارد درون * اصل ماهى آب وحيوان از گلست * حيله وتدبير اينجا باطلست * قفل زفتست وگشاينده خدا * دست در تسليم زن اندر رضا * والعصيان وان كان سببا للنسيان ورين العمى والصمم الاان ماقضاه الله وقدره لا يتغير فليبك على نفسه من ضاع عمره فى الهوى وتتبع الشهوات فلم يجد الى طلب الحق سبيلا والى طريق الرشد دليلا اللهم انك انت الهادى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) نزلت فى نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما وهم المار يعقوبية قالوا ان الله حل فى ذات عيسى واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح) اى قالوا ذلك والحال قد قال المسيح مخاطبا لهم (يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) فانى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا الخالق وخالقكم (انه) اى الشأن (من يشرك بالله) اى شيأ فى عبادته اوفيما يختص به من الصفات والافعال (فقد حرم الله عليه الجنة) فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه الى المحرم فانها دار الموحدين (ومأواه النار) فانها هى المعدة للمشركين (وما للظالمين) بالاشراك (من انصار) اى من احد ينصرهم بانقاذهم من النار لما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة وهو من تمام كلام عيسى ثم حكى ما قاله النسطورية والملكانية من النصارى فقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) اى احد ثلاثة آلهة والالهية مشتركة بينهم وهم الله وعيسى ومريم (ومامن اله الا اله واحد) اى والحال ليس فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا آلهية موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة (وان لم ينتهوا عما يقولون) عن مقالتهم الاولى والثانية ولم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم) اى والله ليمسنهم ووضع الموصول موضع الضمير لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن بيانية حال من الذين (عذاب اليم) نوع شديد الالم من العذاب يخلص وجعه الى قلوبهم (أفلا يتوبون الى الله) اى أيصرون فلا يتوبون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة وهمزة الاستفهام لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم وتحضيض على التوبة (ويستغفرونه) بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول (والله غفور رحيم) اى والحال انه تعالى مبالغ فى المغفرة يغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) اى ما هو الا مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها كالرسل الماضية من قبله خصه الله تعالى بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عزوجل وانما موسى وعيسى مظاهر شؤونه وافعاله (وامه صديقة) اى ما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق اى صدق الاقوال فى المعاملة مع الخلق وصدق الافعال والاحوال فى المعاملة مع الخالق لا يصدر منهن ما يكذب دعوى العبودية والطاعة (كانا يأكلان الطعام) ويفتقران اليه افتقار الحيوانات فكيف يكون الها من لا يقيمه الا أكل الطعام (انظر كيف نبين لهم الآيات) الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال (ثم انظر أنى يؤفكون) اى كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اى ان بياننا الآيات امر بديع فى بابه واعراضهم عنها مع تعاضد ما يوجب قبولها ابدع (قل) يا محمد الزاما لهؤلاء النصارى ومن سلك طريقتهم من اتخاذ غير الله الها (أتعبدون من دون الله) اى متجاوزين اياه (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعنى عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما مع ان اصله ان يطلق على غير العاقل نظرا الى ما هو عليه فى ذاته فانه عليه الصلاة والسلام فى اول احواله لا يوصف بعقل ولا بشئ من الفضائل فكيف يكون الها (والله هو السميع العليم) بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر وهو حال من فاعل تعبدون (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق) اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالوهية كما ادعته النصارى او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة كما زعمته اليهود (ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا

من قبل) يعنى اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام فى شريعتهم (واضلوا كثيرا
اى من تابعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سواء السبيل) عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه
لما كذبوه وبغوا عليه وحسدوه قال الشيخ نجم الدين فى تأويلاته ان النصارى لما ارادوا ان يسلكوا طريق الحق
بقدم الفعل و ينظروا الى احوال الانبياء بنظر العقل تاهوا فى اودية الشبهات وانقطعوا فى بوادى الهلكات
جل جناب القدس عن ادراك عقول الانس هيهات هيهات وهذا حال من يحذو حذوهم ويقفو اثرهم فاطرت
النصارى عيسى عليه السلام اذ نظروا بالعقل فى امره فوجدوه مولودا من ام بلا أب فحكم عقلهم ان لا يكون
مولود بلا أب فينبغى ان يكون هو ابن الله واستدلوا على ذلك بأنه يخلق من الطين كهيئة الطير و يبرئ الاكمه
والابرص ويحيى الموتى ويخبر عما يأكلون فى بيوتهم وما يدخرون وهذا من صفات الله تعالى ولو لم يكن المسيح
ابن الله لما امكنه هذا وانما امكنه لان الولد سر أبيه وقال بعضهم ان المسيح لما استكمل تزكية النفس عن صفات
الناسوتية حل لاهوتية الحق فى مكان ناسوتيته فصار هو الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم اعلم ان
امة محمد لما سلكوا طريق الحق بأقدام جذبات الالوهية على وفق المتابعة الحبيبية اسقط عنهم كلفة الاستدلال
ببراهين الوصول والوصال كما كان حال الشبلى حين غسل كتبه بالماء وكان يقول نعم الدليل انتم ولكن اشتغالى
بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال (وفى المثنوى) چون شدى بربامهاى آسمان * سرد باشد جست
وجوى نردبان * آينه روشن كه شد صاف وجلى * جهل باشد برنهان صيقلى * پيش سلطان
خوش نشسته بس قبول * زشت باشد جستن نامه رسول * فهؤلاء القوم بعد ما وصلوا الى سرادقات
حضرة الجلال شاهدوا بانوار صفات الجمال ان الانسان هو الذى حمل امانة الحق من بين سائر المخلوقات
وهى نور فيض الالوهية بواسطة الانبياء فهم مخصوصون بأحسن التقويم فى قبول هذا الكمال فتحقق لهم
ان عيسى عليه السلام صار قابلا بعد التزكية للتحلية بفيض الخالقية والمحبية كان يخلق من الطين كهيئة
الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بأذن الله و يبرئ الاكمه والابرص و يحيى الموتى بأذن الله لا بلاذنه اعنى كان صورة
الفعل منه ومنشأ صفة الخالقية حضرة الالوهية وهذا كما ان لكرة البلور المخروط استعدادا فى قبول فيض
الشمس اذا كانت فى محاذاتها فتقبل الفيض وتحرق المحلوج المحاذى لها بذلك الفيض فصدر الفعل المحرق من
الكرة ظاهرا ومنشأ الصفة المحرقية حضرة الشمس حقيقة فصار للكرة بحسن الاستعداد قابلية لفيض الشمس
وظهر منها صفات الشمس وما حات الشمس فى كرة البلور تفهم ان شاء الله وتغتنم فكذلك حال الانبياء فى المعجزات
وكبار الاولياء فى الكرامات والفرق ان الانبياء مستقلون بهذا المقام والاولياء متبعون قال الامام الغزالى
فى قول ابى يزيد انسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فاذا انا هو اذ من انسلخ من شهوات نفسه
وهواها وهمها لا يبقى فيه متسع لغير الله ولا يكون له هم سوى الله واذا لم يحل فى القلب الا جلال الله وجماله صار
مستغرقا كأنه هو لا انه هو تحقيقا وقوله ايضا سبحانى ما اعظم شأنى يحمل على انه قد شاهد كمال حظه من
صفة القدس فقال سبحانى ورأى عظيم شأنه بالاضافة الى شأن عموم الخلق فقال ما اعظم شانى وهو مع ذلك يعلم
قدسه وعظم شأنه بالاضافة الى الخلق ولا نسبة له الى قدس الرب وعظم شأنه وقول من قال من الصوفية انا الحق
فوارد على سبيل التجوز ايضا كما يقول الشاعر انا من اهوى ومن اهوى انا وذلك متأول عند الشاعر فانه لا يعنى
به انه هو تحقيقا بل كأنه هو فانه مستغرق بالهم به كما يكون مستغرق الهم بنفسه فيعتبر هذه الحالة بالاتحاد على
سبيل التجوز قال الشيخ ابو القاسم الجرجانى ان الاسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد
فى السلوك غير واصل فان قلت ما معنى الوصول قلت معنى السلوك هو تهذيب الاخلاق والاعمال والمعارف
وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن والعبد فى جميع ذلك مشغول بنفسه عن ربه الا انه مشتغل بتصفية
باطنه ليستعد للوصول وانما الوصول هو ان ينكشف له جلية الحق ويصير مستغرقا به فان نظر الى معرفته
فلا يعرف الا الله وان نظر الى همته فلا همة له سواه فيكون كله مشغولا لا بكله مشاهدة وهما لا يلتفت فى ذلك
الى نفسه ليعمر ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الاخلاق وكل ذلك طهارة وهى البداية واما النهاية فان ينسلخ
عن نفسه بالكلية و يتجرد له فيكون كأنه هو وذلك هو الوصول (وفى المثنوى) كاركاه گنج حق در نيستيست *
غره هستى چه دانى نيست چيست * آب كوزه چون در آب جو شود * محو گردد دروى وجوا وشود

(لعن الذين كفروا) حال كونهم (من بنى اسرآئيل) اى طردوا وابعدوا من رحمة الله تعالى (على لسان داود) متعلق بلعن يعنى اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم العنهم واجعلهم آية ومثلا لخلقك فمسخوا قردة (وعيسى بن مريم) اى على لسان عيسى بن مريم يعنى كفار اصحاب المائدة لما كانوا من المائدة ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كالعنت اصحاب السبت واجعلهم آية فمسخوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل مافيهم امرأة ولا صبى كأنه قيل بأى سبب وقع ذلك فقيل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدآئهم ماحرم عليهم (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) استئناف اى لا ينهى بعضهم بعضا عن قبيح يعملونه واصطلحوا على الكف عن نهى المنكر (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجيب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم (ترى كثيرا منهم) اى من أهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركى مكة ليتفقوا على محاربة النبى عليه السلام والرؤية بصرية (يتولون الذين كفروا) حال من كثيرا لكونه موصوفا اى يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (لبئس ماقدمت لهم انفسهم) اى لبئس شيأ قدموا ليردوا عليه يوم القيامة (ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف اى موجب سخط الله والخلود فى العذاب لان نفس السخط المضاف الى البارى تعالى لا يقال له انه المخصوص بالذم انما المخصوص بالذم هو الاسباب الموجبة له (ولو كانوا) اى الذين يتولون المشركين من أهل الكتاب (يؤمنون بالله والنبى) اى نبيهم (وما انزل اليه) اى الى ذلك النبى من التوراة والانجيل (ما اتخذوهم) اى المشركين (اولياء) لان تحريم ذلك مصرح فى شريعة ذلك النبى وفى الكتاب المنزل اليه فالايمان يمنع من التولى قطعا (ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم وفى الآيات امور * الاول ان الانسان الكامل الذى يصلح لخلافة الحق هو مظهر صفات لطف الحق وقهره فقبولهم قبول الحق وردهم رد الحق ولعنهم لعن الحق وصلاتهم صلاة الحق فمن لعنوه فقد لعنه الحق ومن صلوا عليه فقد صلى الحق عليه لقوله تعالى لنبيه وحبيبه عليه السلام ان صلاتك سكن لهم وقال هو الذى يصلى عليكم فظهر اللعن كان لسان داود وعيسى وكانت اللعنة من الله تعالى حقيقة لقوله كالعنا اصحاب السبت وهم الذين لعنهم داود وصرح ههنا ان اللعن كان منه تعالى وان كان على لسان داود عليه السلام (وفى المثنوى) اين نكردى تو كه من كردم يقين * اى صفاتت در صفات ما دفين * مارميت اذرميت كشته * خويشتن در موج چون كف هشته (وفى محل آخر) كه ترا از تو بكل خالى كند * تو شوى پست او سخن عالى كند * كرچه قرآن از لب پيغمبراست * هركه كويد حق نكفت او كافرست * والثانى ان الله تعالى سمى العصيان منكرا لانه يوجب النكرة كما سمى الطاعة معروفا لانها توجب المعرفة والاقدام على الفعل المنكر معصية والاصرار على المعصية كالكفر فى كونه سببا للرين المحيط بجوانب القلب ومن ذلك ترك النهى عن المنكر وفى الحديث يحشر يوم القيامة اناس من امتى من قبورهم الى الله تعالى على صورة القردة والخنازير بما داهنوا اهل المعاصى وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون فالمداهنة من اعمال الكفار والدعوة الى الله من اخلاق الاخيار (وفى المثنوى) هركسى كو از صف دين سركش است * ميرود سوى صفى كان واپس است * تو ز كفتار تعالوا كم مكن * كيمياى پس شكرفست آن سخن * كرمسى كرد دز كفتارت نفير * كيميا راهيچ ازوى وامكير * اين زمان كربست نفس ساحرش * كفت تو سورش كند در آخرش * قل تعالوا قل تعالوا اى غلام * هين كه ان الله يدعو للسلام * والثالث ان المؤمن والكافر ليسا من جنس واحد وتولى الكافر موجب لسخط الله لان موالاة الاعدآء توجب معاداة الاولياء فينبغى للمؤمن الكامل ان يقطع عن صحبة الكفار والفجار واهل البدع والاهوآء وارباب الغفلة والانكار (وفى المثنوى) ميل مجنون پيش آن ليلى روان * ميل ناقه پس پى طفلش دوان * كفت اين ناقه چوهردو عاشقيم * باد وضد پس همره نالايقيم * نيستت بروفق من مهر ومهار * ترك بايد از تو صحبت اختيار * جان زهجر عرش اندر فاقة * تن زعشق خار بن چون ناقة * جان كشاده سوى بالا بالها * درزده تن درزمين چنكالها * اللهم خلصنا من خلاف الجنس مطلقا (لتجدن) يا محمد (أشد الناس) مفعول اول للوجدان (عداوة) تمييز (للذين آمنوا) متعلق بعداوة (اليهود)

مفعول ثان للوجدان (والذين أشركوا) يعنى مشركى العرب معطوف على اليهود (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) اعرابه كاعراب ماسبق اما عداوة اليهود والمشركين المنكرين للمعاد فلشدة حرصهم الذى هو معدن الاخلاق الذميمة فان من كان حريصا على الدنيا طرح دينه فى طلب الدنيا واقدم على كل محظور ومنكر فلا جرم تشتد عداوته مع كل من نال جاها اومالا واما مودة النصارى فلانهم فى اكثر الامر معرضون عن الدنيا مقبلون على العبادة وترك طلب الرياسة والتكبر والترفع وكل من كان كذلك فانه لا يحسد الناس ولا يؤذيهم بل يكون لين العريكة فى طلب الحق سهل الانقياد له انظر الى كفر النصارى مع كونه اغلظ من كفر اليهود لان كفر النصارى فى الالوهية وكفر اليهود فى النبوة واما قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله فانما قاله طائفة منهم ومع ذلك خص اليهود بمزيد اللعنة دونهم وما ذاك الا بسبب حرصهم على الدنيا ويؤيده قوله عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة قال البغوى لم يرد به جميع النصارى لانهم فى عداوتهم للمسلمين كاليهود فى قتلهم المسلمين واسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم واحراق مصاحفهم لا مودة ولا كرامة لهم بل الآية نزلت فيمن اسلم منهم مثل النجاشى واصحابه وكان النجاشى ملك الحبشة نصرانيا قبل ظهور الاسلام ثم اسلم هو واصحابه قبل الفتح ومات قبله ايضا وقال اهل التفسير ائتمرت قريش ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثب كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعمه ابى طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل باصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا واراد به النجاشى واسمه اصحمة بالمهملتين وهو بالحبشية عطية وانما النجاشى اسم الملك كقولهم قيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس فخرج اليها سرا احد عشر رجلا واربع نسوة منهم عثمان ابن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك فى رجب فى السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه هى الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابى طالب وتتابع المسلمون اليها فكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان * سعد يا حب وطن كرچه حديث است صحيح * نتوان مرد بسختى كه من اينجا زادم * فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرا ابن العاص وصاحبه بالهدايا الى النجاشى وبطارقته ليردوهم اليهم فعصمهم الله فلما انصرفا خائبين واقام المسلمون هناك بخير دار وحسن جوار الى ان هاجر رسول الله وعلا امره وذلك فى سنة ست من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى على يد عمرو ابن امية الضمرى ليزوجه ام حبيبة بنت ابى سفيان وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها فمات زوجها فأرسل النجاشى الى ام حبيبة جارية يقال لها ابرهة تخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فاعطتها اوضاحا لها سرورا بذلك وامرها ان توكل من يزوجها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص فانكحها على صداق اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله النجاشى فانفذ اليها على يد ابرهة اربعمائة دينار فلما جاءتها بها اعطتها خمسين دينارا فردتها وقالت امرنى الملك ان لا آخذ منك شيأ وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمدا صلى الله عليه وسلم وآمنت به فحاجتى منك ان تقرئيه منى السلام قالت نعم ثم امر الملك نساءه ان يبعثن الى ام حبيبة بما عندهن من عود وعنبر وكان عليه السلام يراه عليها وعندها فلا ينكر قالت ام حبيبة فخرجنا فى سفينتين وبعث معنا النجاشى الملاحين فلما خرجنا من البحر ركبنا الظهر الى المدينة ورسول الله عليه السلام بخيبر فخرج من خرج اليه واقمت بالمدينة حتى قدم النبى عليه السلام فدخلت عليه فكان يسألنى عن النجاشى فقرأت عليه من ابرهة السلام فرد عليها السلام فانزل الله عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم يعنى اباسفيان مودة يعنى تزويج ام حبيبة ولما جاء اباسفيان تزويج ام حبيبة برسول الله عليه الصلاة والسلام قال ذاك الفحل لا يقرع انفه ثم قال عليه السلام لا ادرى انا بفتح خيبر اسر ام بقدوم جعفر وبعث النجاشى بعد قدوم جعفر الى رسول الله ابنه ازهر بن اصحمة بن ابحر فى ستين رجلا من الحبشة وكتب اليه يا رسول الله أشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت ابنى ازهر وان شئت ان آتيك بنفسى فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا سفينة فى اثر جعفر واصحابه فلما بلغوا

اواسط البحر غرقوا وكان جعفر يوم وصل المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل فى سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام منهم بحيرا الراهب فقرأ عليهم رسول الله سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن فآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فأنزل الله تعالى هذه الآية ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعنى وفد النجاشى الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا اصحاب الصوامع (ذلك) اى كونهم اقرب مودة للمؤمنين (بان منهم) اى بسبب ان منهم (قسيسين) وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشئ اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم فى تتبع العلم قاله الراغب وقال قطرب القسيس العالم بلغة الروم وعن عروة بن الزبير انه قال ضيعت النصارى الانجيل وادخلوا فيه ماليس منه وبقى واحد من علمائهم على الحق والدين وكان اسمه قسيسا فمن كان على مذهبه ودينه فهو قسيس (ورهبانا) هو جمع راهب كراكب وركبان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع والترهب التعبد مع الرهبة فى صومعة والتنكير لافادة الكثرة ولابد من اعتبارها فى القسيسين ايضا اذهى التى تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة بجنس الخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والافمن اليهود ايضا قوم مهتدون ألا يرى الى عبد الله ابن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الخ لكنهم لما لم يكونوا فى الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود (وانهم لا يستكبرون) عطف على ان منهم اى وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه ويتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كانت فى كافر اقول ذكر عند حضرة شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة رجولية بعض أهل الذمم ومروءته فقال انه من آثار السعادة الازلية ويرجى ان ذلك يدعوه الى الايمان والتوحيد ويصير عاقبته الى الفلاح (قال الحافظ) كارى كنيم ورنه خجالت برآورد * روزى كه رخت جان بجهان دكركشيم * تم الجزء السادس

(الجزء السابع من الثلاثين)

(واذا سمعوا ما انزل الى الرسول) عطف على لا يستكبرون اى ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأنفهم عنه (ترى اعينهم تفيض من الدمع) اى تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذى هو الانصباب من الامتلاء مبالغة ومن الدمع متعلق بتفيض ومن لابتداء الغاية والمعنى تفيض من كثرة الدمع والرؤية بصرية وتفيض حال من المفعول (مما عرفوا من الحق) من الاولى لابتداء الغاية متعلق بمحذوف على انها حال من الدمع والثانية لبيان الموصول فى قوله ما عرفوا اى حال كونه ناشئا ومبتدأ من معرفة الحق حاصلا من اجله وبسببه كأنه قيل ماذا يقولون عند سماع القرآن فقيل (يقولون ربنا آمنا) بهذا القرآن (فاكتبنا مع الشاهدين) اى اجعلنا فى جملة الذين شهدوا بأنه حق (ومالنا) اى اى شئ حصل لنا (لانؤمن بالله) حال من الضمير فى لنا اى غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفى الى السبب والمسبب جميعا (وما جاءنا من الحق) عطف على الجلالة اى بالله وما جاءنا من الحق حال من فاعل جاءنا اى جاءنا فى حال كونه من جنس الحق اومن لابتداء الغاية متعلقة بجاءنا ويكون المراد بالحق البارى تعالى (ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع فى صحبة الصالحين وانما قدر المبتدأ ليكون الحال هو الجملة الاسمية لان المضارع المثبت لايقع حالا بالواو الا بتأويل تقدير المبتدأ (فأثابهم الله) اى اعطاهم وجازاهم (بما قالوا) اى عن اعتقادهم بدليل قوله مما عرفوا من الحق (جنات) اى بساتين (تجرى من تحتها الانهار) اى تجرى من تحت اشجارها ومساكنها وغرفها انهار الماء والعسل والخمر واللبن (خالدين فيها وذلك) الثواب (جزاء المحسنين) اى الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) عطفوا على ذلك عطف التكذيب بآيات الله على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين (اولئك اصحاب الجحيم) أهل النار الشديدة الوقود وهم الذين استتروا بحجب اوصاف البهيمية والسبعية والشيطانية فأصمهم الله واعمى ابصارهم سمعوا ولم يسمعوا وشاهدوا ولم يبصروا بخلاف

من قال لهم الله ألست بربكم فاسمعهم كلامه ووفقهم للجواب حتى شهدوا بربوبيته فقالوا بلى شهدنا فكذلك ههنا اسمعهم كلامه وعرفهم حقيقة كلامه فاشتاقوا اليه وتذكر قلوبهم ماشاهدوا عند الميثاق من تلك المشاهدة فبكوا ابكاء الشوق وبكاء المعرفة (وفى المثنوى) خوى بد در ذات تو اصلى نبود * كز بد اصلى مى نايد جز جحود * آن بدى عاريتى باشد كه او * آرد اقرار وشود او توبه جو * همچو آدم ذلتش عاريه بود * لاجرم اندر زمان توبه نمود * چونكه اصلى بود جرم آن بليس * ره نبودش جانب توبه نفيس * (حكى) ان سلطانا زار قبر أبى يزيد قدس سره فسأل عن حاله من بعض اصحاب ابى يزيد فقال من رآه لم يدخل النار فقال السلطان ان اباجهل رأى النبى عليه السلام ومع ذلك يدخل النار وليس شيخك فوق النبى عليه السلام فقال أيها السلطان ان اباجهل لم ير النبى صلى الله عليه وسلم بل رأى يتيم ابى طالب فلو رأى انه رسول الله لآمن به وخلص من النار وبنور العرفان آمنت بلقيس فانها لما رأت كتاب سليمان شاورت قومها فقالوا نقاتله فقالت انه يدعى النبوة والانبياء عباد الله المكرمون لا يقاتلهم احد فبعد الامتحان آمنت به (قال المولوى) چون سليمان سوى مرغان سبا * يك صفيره كرد بست آن جمله را * جز مكر مرغى كه بد بى بال وپر * يا چو ماهى كنك بد از اصل كر * نى غلط گفتم كه كر كو هر نهد * پيش وحى كبريا سمعش دهد * چونكه بلقيس از دل وجان عزم كرد * بر زمان رفته هم افسوس خورد * ترك مال وملك كرد او انچنان * كه بترك نام وننك آن عاشقان * آن غلامان وكنيزان بناز * پيش چشمش همچو پوسيده پياز * باغها وقصرها وآب رود * پيش او از عشق او كلخن نمود * عشق در هنكام استيلا وخشم * زشت كرداند لطيفانرا بچشم * هر زمرد را نمايد كندنا * غيرت عشق اين بود معنى لا * لا اله الا هو اينست اى پناه * كه نمايد مه ترا ديك سياه * واعلم انه فى العالم العلمى وفق من وفق بجرى على ذلك التوفيق فى هذا العالم العينى الشهادى ثم لا يزال على ذلك فى جانب الابد حتى يدخل الجنة الصورية الحسية مع اذواق الروحانية المعنوية خالدا فيها فهذا هو ثمرة ذلك البذر ومحصول ذلك الزرع والحرث كما قال الله تعالى فاثابهم الله بما قالوا الخ فعلى المؤمن ان يجتهد فى تحصيل اليقين ويدخل الجنة العاجلة التى هى المعرفة الالهية كما قال مما عرفوا من الحق ويتخلص من نار البعد والفراق كما قال اولئك اصحاب الجحيم (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم) اى لا تمنعوا ما طاب ولذ منه انفسكم كمنع التحريم (ولا تعتدوا) اى لا تتجاوزوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فان محرم ما احل الله يحل ما حرم الله او ولا تسرفوا فى تناول الطيبات فان الاسراف تجاوز الى الحرام كتناول المحرمات (ان الله لا يحب المعتدين) اى لا يرضى عمل المعتدين على انفسهم المتجاوزين حدود الله (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) اى ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم الله حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة قال عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذى ونمى فاما الجوامد كالطين والتراب وما لا يغذى فمكروه الا على وجه التداوى (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) تأكيد للوصية بما امر به فان قوله كلوا حلالا وان كان المراد به ههنا الاباحة والتحليل الا انه انما اباح اكل الحلال فيفيد تحريم ضده فأكد التحريم المستفاد منه بقوله واتقوا الله وزاده تأكيدا بقوله الذى انتم به مؤمنون فان الايمان يوجب التقوى بالانتهاء عما نهى عنه وعدم التجاوز عما حد له قال الامام قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله يدل على انه تعالى قد تكفل برزق كل احد فانه لو لم يتكفل برزقه لما قال كلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزقه وجب ان لا يبالغ فى الطلب وان يعول على وعده واحسانه فانه اكرم من ان يخلف الوعد ولذلك قال عليه السلام فاتقوا الله واجملوا فى الطلب (قال الحافظ) ما آبروى فقر وقناعت نمى بريم * با پادشه بكوى كه روزى مقدرست (وقال الصائب) رزق اكر برآدمى عاشق نمى باشد چرا * از زمين كندم كريبان چاك مى آيد چرا * قال أهل التفسير ذكر النبى عليه السلام يوما النار ووصف القيامة وبالغ فى الانذار فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان ابن مظعون الجمحى وتشاوروا واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا فى الارض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته ام حكيم بنت امية

واسمها خولة وكانت عطارة أحق ما بلغني عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب على رسول الله وكرهت ان
تبدي خبر زوجها فقالت يارسول الله ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فرجع رسول الله فلما جاء عثمان اخبرته
زوجته بذلك فمضى الى رسول الله فسأله النبي عليه السلام عن ذلك فقال نعم فقال عليه السلام اما اني لم آمر
بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم
والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال قوم حرموا النساء والطعام
والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لا آمركم ان تكونوا قسيسين ولا رهبانا فانه ليس من ديني ترك اللحم
والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الاجتهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وحجوا
واعتمروا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من هلك قبلكم بالتشديد
شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله هذه الآية (وروى) ان
عثمان بن مظعون جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان نفسي تحدثني بان اختصي فائذن
لي في الاختصاء قال مهلا يا عثمان فان اختصاء امتي الصيام (وفي المثنوى) هين مكن خود را خصي رهبان
مشو * زانكه عفت هست شهوت را كرو * بي هوا نهي از هوا ممكن نبود * غازيي بر مردكان نتوان
نمود * پس كلوا از بهر دام شهوتست * بعد از ان لاتسرفوا ان عفتست * چونكه رنج صبر نبود
مر ترا * شرط نبود پس فرو نايد جزا * حبذا آن شرط وشادا ان جزا * آن جزاى دل نواز جان فزا *
قال يارسول الله ان نفسي تحدثني بان اترهب في رؤوس الجبال قال مهلا يا عثمان فان ترهب امتي الجلوس
في المساجد لانتظار الصلاة قال يارسول الله ان نفسي تحدثني ان اخرج من مالي كله قال مهلا يا عثمان فان
صدقتكم يوما بيوم وتعف نفسك وعيالك وترحم المساكين واليتيم فتعطيها أفضل من ذلك قال يارسول الله
ان نفسي تحدثني ان اطلق امرأتي خولة قال مهلا يا عثمان فان الهجرة في امتي من هجر ما حرم الله عليه او هاجر
الى في حياتي او زار قبري بعد وفاتي او مات وله امرأة او امرأتان او ثلاث او اربع قال يارسول الله فان نهيتني ان
لا اطلقها فان نفسي تحدثني ان لا اغشاها قال مهلا يا عثمان فان المسلم اذا غشي امرأته او ماملكت يمينه فلم
يكن له من وقعته تلك ولد كان له وصيف في الجنة وان كان له من وقعته تلك ولد فمات قبله كان له فرطا وشفيعا
يوم القيامة وان مات بعده كان له نورا يوم القيامة قال يارسول الله ان نفسي تحدثني ان لا آكل اللحم قال مهلا
يا عثمان فاني احب اللحم وآكله اذا وجدته ولو سألت ربي أن يطعمنيه في كل يوم لأطعمنيه قال يارسول الله
فان نفسي تحدثني ان لا امس الطيب قال مهلا يا عثمان فان جبرائيل عليه السلام امرني بالطيب غبا وقال
يوم الجمعة لامترك له يا عثمان لاترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل ان يتوب صرفت الملائكة وجهه
عن حوضي يوم القيامة وعن ابي موسى الاشعري قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الدجاج
ورأيته يأكل الرطب والبطيخ وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي عليه السلام كان يأكل الدجاج والفالوذج
وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة قال ان في بطن المؤمن زاوية لايملأها الا الحلو
وجاء رجل الى الحسن فقال له ان لي جارا لا يأكل الفالوذج قال ولم قال لئلا يؤدي شكره قال افيشرب الماء
البارد قال نعم قال ان جارك هذا جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته في الفالوذج وسئل
فضيل عن ترك الطيبات من الحوارى واللحم والخبيص للزهد وقال لمن قال لا آكل الخبيص ليتك تأكل وتتقي
ان الله لايكره ان تأكل الحلال الصرف كيف برك لوالديك وصلتك للرحم كيف عطفك على الجار كيف رحمتك
للمسلمين كيف كظمك للغيظ كيف عفوك عمن ظلمك كيف احسانك الى من اساء اليك كيف صبرك واحتمالك
للاذى انت الى احكام هذا احوج منك الى ترك الخبيص والحاصل ان الافراط في الرهبانية والاحتراز
التام عن اللذات والطيبات مما يوقع الضعف في الاعضاء الرئيسة التي هي القلب والدماغ واذا وقع الضعف
فيهما اختلت الفكرة وباختلالها تفوت عنها الكمالات المتعلقة بالقوة النظرية رأسا وينتقص كمالاتها المتعلقة
بالقوة العملية فان تمامها وكمالها يبنى على كمال القوة النظرية وايضا الرهبانية التامة توجب خرابية الدنيا
وانقطاع الحرث والنسل فلما كانت عمارة الدنيا والآخرة منوطة بترك تلك الرهبانية والمواظبة على المعرفة
والمحبة والطاعة اقتضت الحكمة ان لايحرم الانسان ماطاب ولذ مما احل الله كما نطقت الآية به ولكن اشارة

الآية ايضا الى الاعتدال كما قال ولا تعتدوا فالاعتدال فى التناول وكذا فى الرياضة ممدوح جدا ولذا ترى
المرشد الكامل يأمر المريد فى ابتداء امره بترك اللحم والدسم والجماع وغيرها ولكن على الاعتدال بحسب
مزاجه فان للرياضات تأثيرا عظيما فى اصلاح الطبيعة وهو اهم مهم فى باب السلوك جدا فلا متمسك لارباب
الظاهر فى ترك الرياضة مطلقا وقد اشار النبى عليه الصلاة والسلام فى وصاياه لعثمان بن مظعون الى جملة من الامر
فافهم وارشد الى طريق الصواب ولا تفريط ولا افراط فى كل باب (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم)
اليمين تقوية احد الطرفين بالمقسم به واللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم وهو عند الامام
الاعظم ان يحلف على شئ يظن انه كذلك وليس كما يظن مثل ان يرى الشئ من بعيد فيظن انه كذا فيقول
والله انه كذا فاذا هو بخلافه فلا مؤاخذة فى هذا اليمين باثم ولا كفارة واما الغموس وهى حلفه على امر ماض
او حال كذبا عمدا مثل قوله والله لقد فعلت كذا وهو لم يفعله وعكسه ومثل والله ما لهذا على دين وهو
يعلم ان له عليه دينا فحكمها الاثم لانها كبيرة قال عليه السلام من حلف كاذبا ادخله الله النار ولا كفارة
فيها الا التوبة قوله فى ايمانكم صلة يؤاخذكم كما ان باللغو صلة له اى لا يؤاخذكم فى حق ايمانكم بسبب
ما كان لغوا منها بان لا يتعلق بها حكم دنيوى ولا اخروى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) اى
بتعقيدكم الايمان وتوثيقها بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث اى نقض
ما عقدتم فحذف للعلم به وهذه اليمين هى اليمين المنعقدة وهى الحلف على فعل امر او تركه فى المستقبل (فكفارته)
اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره وعند الامام لا يجوز التكفير قبل الحنث لقوله عليه السلام من حلف
على يمين ورأى غيرها خيرا فليأت بالذى هو خير ثم ليكفر عن يمينه (اطعام عشرة مساكين من اوسط
ما تطعمون اهليكم) محل من اوسط النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين
طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون من فى عيالكم من الزوجة والاولاد والخدم اى من اقصده فى النوع
او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين كالفطرة ولو اطعم فقيرا واحدا عشرة ايام اجزأه ولو اعطاه دفعة
لا يجوز الا عن يوم واحد (او كسوتهم) عطف على اطعام فيكسو كل واحد من العشرة ثوبا يستر عامة بدنه وهو
الصحيح ولا يجزئ السراويل لان لابسه يسمى عريانا عرفا (او تحرير رقبة) اى او اعتاق انسان كيف ما كان
مؤمنا كان او كافرا ذكرا او انثى صغيرا او كبيرا ولا يجوز الاعمى والاصم الذى لا يسمع اصلا والاخرس لفوات
جنس المنفعة ومقطوع اليدين او ابهاميهما او الرجلين او يد ورجل من جانب واحد ومجنون مطبق لان الانتفاع
ليس الا بالعقل ومدبر وام ولد لاستحقاقهما الحرية بجهة فكان الرق فيهما ناقصا ومكاتب ادى بعضا لانه تحرير
بعوض فيكون تجارة والكفارة عبادة فلا بد ان تكون خالصة لله تعالى وكذا لا يجوز معتق بعضه لانه ليس
برقبة كاملة ومعنى او فى الآية ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وخيار التعيين للمكلف اى لا يجب
عليه الاتيان بكل واحد من هذه الامور الثلاثة ولا يجوز له تركها جميعا ومتى اتى بواحدة منها فانه يخرج عن
العهدة فاذا اجتمعت هذه القيود الثلاثة فذلك هو الواجب المخير (فمن لم يجد) اى شيأ من الامور المذكورة
(فصيام) اى فكفارته صيام (ثلاثة ايام) متتابعات عند الامام الاعظم (ذلك) اى الذى ذكرت لكم وامرتكم به
(كفارة ايمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا ايمانكم) بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر وبان تبروا
فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير فان عجز عن البر او رأى غير المحلوف عليه خيرا منه فله حينئذ ان يحنث ويكفر
كما قال الفقهاء من اليمين المنعقدة ما يجب فيه البر كفعل الفرائض وترك المعاصى لان ذلك فرض عليه فيتأكد
باليمين ومنها ما يجب فيه الحنث كفعل المعاصى وترك الواجبات وفى الحديث من حلف ان يطيع الله فليطعه
ومن حلف ان يعصيه فلا يعصه ومنها ما يفضل فيه الحنث كهجران المسلم ونحوه وما عدا هذه الاقسام الثلاثة
من الايمان التى يستوى فيها الحنث والبر يفضل فيه البر حفظا لليمين ولا فرق فى وجوب الكفارة بين العامد
والناسى والمكره فى الحلف والحنث لقوله عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق واليمين
(كذلك) اشارة الى مصدر الفعل الآتى لا الى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم
الاشارة من الفخامة ومحله فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا
مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة اى مثل ذلك البيان

البديع (يبين الله لكم آياته) اعلام شريعته واحكامه لابيانا ادنى منه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج والاشارة ان من عقد اليمين على الهجران من الله تعالى فكفارته اطعامه عشرة مساكين وهم الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة فانها مدخل الآفات وموئل الفترات من اوسط ماتطعمون اهليكم وهم القلب والروح والسر والخفى وطعامهم الشوق والمحبة والصدق والاخلاص والتفويض والتسليم والرضى والانس والهيبة والشهود والكشوف وأوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر والتشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء فاطعام الحواس الظاهرة والقوى الباطنة هذه الاطعمة باستعمالها فى التعبد بها والتحفظ عما ينافيها اوكسوتهم وهى الباس الحواس والقوى بلباس التقوى اوتحرير رقبة النفس عن عبودية الهوى والحرص على الدنيا فمن لم يجد السبيل الى هذه الاشياء فصيام ثلاثة ايام وذلك لان الايام لاتخلو عن ثلاثة اما يوم مضى اويوم حضر اويوم قد بقى فصيام اليوم الذى قد مضى بالامساك عما عقد عليه اوقصد اليه اوبالصبر على التوبة عنه وصيام الذى قد حضر بالامساك عن التغافل عن الاهم وبالصبر على الجد والاجتهاد ببذل الجهد فى طلب المراد وصيام اليوم الذى قد بقى بالامساك عن فسخ العزيمة فى ترك الجريمة ونسخ الاخلاص فى طلب الخلاص وبالصبر على قدم الثبات فى تقديم الطاعات والمبرات وصدق التوجه الى حضرة الربوبية بمساعى العبودية * مكن وقت ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف (قال ابن الفارض قدس سره)

وكن صارما كالوقت فالمقت فى عسى * واياك علّ فهى اخطر علة

(وفى المثنوى) اى كه صبرت نيست ازدنياى دون * چونت صبرست ازخداى دوست چون * چونكه بى اين شرب كم دارى سكون * چون زابرارى جدا وزيشربون * اعلم ان الطالب الصادق عند غلبات الشوق ووجدان الذوق يقسم عليه بجماله وجلاله ان يرزقه شظية من اقباله ووصاله وذلك فى شريعة الرضى لغو وفى مذهب التسليم سهو فيعفو عنه رحمة عليه لضعف حاله ولايؤاخذه بمقاله وان الاولى الذوبان والجمود بحسن الرضى بحسب جريان احكام المولى فى القبول والرد والاقبال والصد وايثار الاستقامة فى اداء حقوقه على الكرامة وعلى لذة تقريبه واقباله وشهوده ووصوله ووصاله كما قال قائلهم

اريد وصاله ويريد هجرى * فأترك ماارىد لما يريد

كذا فى التأويلات النجمية (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر) هذه هى الآية الرابعة من الآيات الاربع التى نزلت فى الخمر وقد سبق التفصيل فى سورة البقرة ويدخل فى الخمر كل مسكر (والميسر) اى القمار كله فيدخل فيه النرد والشطرنج والاربعة عشر والكعب والبيضة وغير ذلك مما يقامرون به (والانصاب) اى الاصنام المنصوبة للعبادة واحدها نصب بفتح النون وسكون الصاد (والازلام) هى سهام مكتوب على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى يطلبون بها علم ماقسم من الخير والشر قال المفسرون كان اهل الجاهلية اذا اراد احدهم سفرا اوغزوا اوتجارة اوغير ذلك طلب علم انه خير اوشر من الازلام وهى قداح كانت فى الكعبة عند سدنة البيت على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى وبعضها غفل لاكتابة عليها ولاعلامة فان خرج السهم الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى يجتنبون عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ماقسم لهم دون مالم يقسم لهم وهى جمع زلم (رجس) قذر يعاف عند العقول اى تكرهه وتنفر منه العقول السليمة والرجس بمعنى النجس الا ان النجس يقال فى المستقذر طبعا والرجس اكثر ما يقال فى المستقذر عقلا وسميت هذه المعاصى رجسا لوجوب اجتنابها كما يجب اجتناب الشئ المستقذر (من عمل الشيطان) صفة لرجس اى رجس كائن من عمله اى من تزيينه لانه هو الداعى اليه والمرغب فيه والمزين له فى قلوب فاعليه (فاجتنبوه) اى الرجس (لعلكم تفلحون) اى راجين فلاحكم امر بالاجتناب وهو تركه جانبا وظاهر الامر على الوجوب (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) وهو اشارة الى المفاسد الدنيوية اما العداوة فى الخمر فهى ان الشاربين اذا سكروا عربدوا وتشاجروا كما فعل الانصارى الذى شج سعد بن ابى وقاص بلحى الجمل واما العداوة فى الميسر فهى ان الرجل كان يقامر على الاهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الاهل والمال مغتاظا على حرفائه والفرق بين العداوة والبغضاء ان كل عدو مبغض بلا عكس كلى وقوله تعالى فى الخمر

متعلق بيوقع على ان تكون كلمة فى هنا لافادة معنى السببية كما فى قوله عليه السلام ان امرأة دخلت النار فى
هرة اى يوقع بينكم هذين الشيئين فى الخمر بسبب شربهما وتخصيص الخمر والميسر تنبيها على انهما المقصودان
بالبيان لان هذه الآية خطاب مع المؤمنين والمقصود نهيهم عن الخمر والميسر وانما ضم الانصاب والازلام اليهما
مع ان تعاطى ما مختص باهل الجاهلية تأكيدا لقبح الخمر والميسر واظهارا لكون هذه الاربعة متقاربة
فى المفسدة (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) اى يمنعكم عنهما وهو اشارة الى المفاسد الدينية فان شرب
الخمر يورث الطرب واللذة الجسمانية والنفس اذا استغرقت فى اللذة غفلت عن ذكر الله وعن الصلاة وكذا من
يقامر بالميسر ان كان غالبا صار استغراقه فى لذة الغلبة يورثه الغفلة عن العبادة وان صار مغلوبا صار شدة
اهتمامه بان يحتال بحيلة يصير بها غالبا مانعا من ان يخطر بباله شئ سواه وتخصيص الصلاة بالافراد مع دخولها
فى الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده (فهل انتم منتهون) لفظه استفهام
ومعناه امر اى انتهوا وهذا نهى بالطف الوجوه ليكون أدعى الى الانتهاء فلما سمعها عمر رضى الله عنه قال انتهينا
يارب وحرمت الخمر فى سنة ثلاث من الهجرة بعد وقعة احد (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) فيما امر به وهو
عطف على اجتنبوه (واحذروا) عما نهيا عنه (فان توليتم) اى اعرضتم عن الامتثال والطاعة (فاعلموا انما
على رسولنا البلاغ المبين) وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اى خروج وقامت عليكم
الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل ومابقى بعد ذلك الا العقاب اعلم ان الله تعالى قرن الخمر والميسر بالاصنام
ففيه تحريم بليغ لهما ولعل قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن مستفاد من هذه الآية وفى الحديث
من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الاساود وسم العقارب اذا شربه تساقط لحم وجهه فى الاناء قبل
ان يشربها فاذا شربها تفسخ لحمه كالجيفة يتأذى به اهل الموقف ومن مات قبل ان يتوب من شرب الخمر كان
حقا على الله ان يسقيه بكل جرعة شربها فى الدنيا شربة من صديد جهنم وفى الحديث لعن الله الخمر وشاربها
وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها وفى الحديث من شرب
الخمر بعد ان حرمها الله على لسانى فليس له ان يزوج اذا خطب ولا يصدق اذا حدث ولا يشفع اذا شفع
ولا يؤمن على امانة فمن ائتمنه على امانة فاستهلكها فحق على الله ان لا يخلف عليه (قال الحسين الواعظ
الكاشفى فى تفسيره) بى غمكى دان جكر آميخته * بر جكر بى غمكان ريخته * بى خبر آن مردكه
جيزى جشيد * كش قلم بى خبرى دركشيد * والاشارة يا ايها الذين آمنوا ايمانا حقيقيا مستفادا من
كتابة الحق بقلم العناية فى قلوبهم انما الخمر والميسر والانصاب والازلام فاما الخمر فانها تخمر العقل وهو نور
روحانى علوى من الاوليات المخلوقات ومن طبعه الطاعة والانقياد والتواضع لربه كالملك وضده الهوى
وهو ظلمانى نفسانى سفلى من اخريات المخلوقات ومن طبعه التمرد والمخالفة والاباء والاستكبار عن عبادة
ربه كالشيطان فاذا خمر الخمر نور العقل صار مغلوبا لا يهتدى الى الحق وطريقه ثم يغلب ظلمة الهوى فتكون
النفس امارة بالسوء وتستمد من الهوى فتتبع بالهوى السفلى جميع شهواتها النفسانية ومستلذاتها الحيوانية
السفلية فيظفر بها الشيطان فيوقعها فى مهالك المخالفات كلها ولهذا قال عليه السلام الخمر ام الخبائث
لان هذه الخبائث كلها تولدت منها واما الميسر فان فيه تهييج أكثر الصفات الذميمة وهى الحرص والبخل
والكبر والغضب والعداوة والبغض والحقد والحسد واشباهها وبها يضل العبد عن سواء السبيل واما الانصاب
فهى تعبد من دون الله فهى تصير العبد مشركا بالله واما الازلام فما يلتفت اليه عند توقع الخير والشر والنفع
والضر من دون الله تعالى من المضلات فان الله هو الضار والنافع ثم قال تعالى رجس من عمل الشيطان يعنى
هذه الاشياء اخبث شئ من اعمال الشيطان التى يغوى بها العباد ويضلهم عن صراط الحق وطريق الرشاد
فاجتنبوه اى اجتنبوا الشيطان ولا تقبلوا وساوسه واتركوا هذه الاعمال الخبيثة لعلكم تفلحون تخلصون
من مكايد الشيطان وخباثة هذه الاعمال كذا فى التأويلات النجمية (ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح) اى اثم وحرج (فيما طعموا) اى تناولوا اكلا او شربا فيتناول شرب الخمر واكل مال الميسر
فأنزل الله تعالى هذه الآية (اذا ما اتقوا) ان يكون فى ذلك شئ من المحرمات (وآمنوا وعملوا الصالحات) اى
واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة (ثم اتقوا) عطف على اتقوا داخل معه فى حيز الشرط اى اتقوا ما حرم

عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق (وامنوا) اى بتحريمه (ثم اتقوا) اى ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من
قبل على ان الشروط بالاتقاء فى كل مرة اباحة كل ما طعموه فى ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ
اباحة بعضه حينئذ (واحسنوا) اى عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية
والقالبية (والله يحب المحسنين) فلا يؤاخذهم بشئ وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله
محبوبا ومقام المحبوبية فوق جميع المراتب ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب الله وقد فسر
الاحسان بان تعبد الله كأنك تراه يعنى ان الاحسان مرتبة المشاهدة فاذا ارتقى العبد من الايمان الغيبى الى
الايمان الشهودى ثم فنى عن كل قيد حتى عن الاطلاق فقد تم امره وكان طعمه وشربه وتصرفه فى المكونات
مما لا يضره لانه قد استوفى الشرائط كلها فلا يقاس عليه غيره ثم ان المحسن مطلقا يتناول كل اهل معروف
ويستحق المدح والثناء (وفى المثنوى) محسنان مردند واحسانها بماند * اى خنك آنرا كه اين مركب براند *
ظالمان مردند وماند آن ظلمها * واى جانى كو بود مكر ودها * گفت پيغمبر خنك آنرا كه او * شد زدنيا
ماند از وفعل نكو * مرد محسن مرد واحسانش نمرد * نزد يزدان دين واحسان نيست خرد *
واى آن كو مرد وعصيانش نمرد * تا نپندارى بمركش جان ببرد * وورد فى فضائل عشر ذى الحجة ان
من تصدق فى هذه الايام بصدقة على مسكين فكأنما تصدق على رسل الله وانبيائه ومن عاد فيه مريضا فكأنما
عاد اولياء الله وبدلاءه ومن شيع جنازة فكأنما شيع جنائز شهداء بدر ومن كسا مؤمنا كساه الله تعالى من
حلل الجنة ومن الطف يتيما اظله الله فى القيامة تحت عرشه ومن حضر مجلسا من مجالس العلم فكأنما حضر
مجالس انبياء الله ورسله كذا فى روضة العلماء (قال السعدى) باحسانى آسوده كردن دلى * به از الف
ركعت بهر منزلى * (حكى) انه وقع القحط فى بنى اسرائيل فدخل فقير سكة من السكك وكان فيها بيت غنى
فقال تصدقوا على لاجل الله فاخرجت اليه بنت الغنى خبزا حارا فاستقبله الغنى فقال من دفع اليك هذا الخبز
فقال ابنة من هذا البيت فدخل وقطع يد ابنته اليمنى فحول الله حاله فافتقر ومات فقيرا ثم ان شابا غنيا استحسن
الابنة لكونها حسناء فتزوجها وادخلها داره فلما جن الليل احضرت مائدة فمدت اليد اليسرى فقال الفتى
سمعت ان الفقراء يكونون قليلى الادب فقال مد يدك اليمنى فمدت اليسرى ثانيا وثالثا فهتف بالبنت هاتف
اخرجى يدك اليمنى فان الرب الذى اعطيت الخبز لاجله رد عليك يدك اليمنى فاخرجت يدها اليمنى بامر الله تعالى واكلت
معه كذا فى الروضة * تو نيكى كن بآب انداز اى شاه * اگر ماهى نداند داند الله (يا ايها الذين آمنوا)
نزلت عام الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة والحديبية بتخفيف الياء الاخيرة وقد تشدد موضع قريب
من مكة اراد عليه السلام زيارة الكعبة فسار مع اصحابه من المدينة وهم ألف وخمسمائة واربعون رجلا
فنزلوا الحديبية فابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث كانوا متمكنين
من صيدها اخذا بأيديهم وطعنا برماحهم فهموا باخذها فانزل الله يا ايها الذين آمنوا (ليبلونكم الله) يقال
بلوته بلوا جربته واختبرته واللام جواب قسم محذوف اى والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف
احوالكم (بشئ من الصيد) اى بتحريم شئ حقير هو الصيد بمعنى المصيد كضرب الامير فمن بيانية قطعا والمراد صيد
البر مأكولا وغير مأكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد وفى الحديث خمس فواسق يقتلن فى الحل
والحرم الحية والعقرب والغراب والفارة والكلب العقور واراد بالكلب العقور الذئب على ما ورد فى بعض
الروايات (تناله ايديكم ورماحكم) اى تصل اليه ايديكم ورماحكم بحيث تأخذون بأيديكم وتطعنون
برماحكم فالتأكيد القسمى فى ليبلونكم انما هو لتحقيق ما وقع من ان عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم
لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شئ للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة
التى تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلى به اهل ايلة من
صيد السمك يوم السبت وفائدته التنبيه على ان من لم يتثبت فى مثل هذا كيف يتثبت عند ما هو اشد منه من المحن
(ليعلم الله من يخافه بالغيب) الخوف من الله بمعنى الخوف من عقابه وبالغيب حال من مفعول يخافه وهو عقاب
الله اى ليتميز الخائف من عقابه الاخروى وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخاف كذلك
لضعف ايمانه فيقدم عليه فعلم الله تعالى لما كان مقتضى ذاته وامتنع عليه التجدد والتغير كما امتنع ذلك على ذاته

جعل ههنا مجازا عن تميز المعلوم وظهوره على طريق اطلاق السبب على المسبب حيث قال القاضى ذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره وابو السعود انما عبر عن ذلك بعلم الله اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل فى حملهم على الخوف (فمن اعتدى بعد ذلك) اى بعد بيان ان ماوقع ابتلاء من جهته تعالى بما ذكر من الحكمة والمعنى فمن تعرض للصيد بعد ما بينا ان ماوقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تميز المطيع من العاصى (فله عذاب اليم) لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية والمراد عذاب الآخرة ان مات قبل التوبة والتعزير والكفارة فى الدنيا بنزع ثيابه فيضرب ضربا وجيعا مفرقا فى اعضائه كلها ماخلا الوجه والرأس والفرج ويؤمر بالكفارة والاشارة فى الآية ان الله تعالى جعل البلاء للولاء كاللهب للذهب فقال يا أيها الذين آمنوا ايمان المحبين للذين تجردوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها من الحلال واحرموا بحج الوصول وعمرة الوصال ليبلونكم الله فى اثناء السلوك بشئ من الصيد وهو ماسنح من المطالب النفسانية الحيوانية والمقاصد الشهوانية الدنيوية تناله ايديكم اى ما يتعلق بشهوات نفوسكم ولذات أبدانكم ورماحكم اى ما يتعلق بالمال والجاه ليعلم الله من يخافه بالغيب وهو يعلم ويرى اى ليظهر الله ويميز بترك المطالب والمقاصد فى طلب الحق من يخافه بالغيبة والانقطاع عنه ويحترز عن الالتفات لغيره فمن اعتدى بعد ذلك اى تعلق بالمطالب بعد الطلب فله عذاب اليم من الرد والصد والانقطاع عن الله كذا فى التأويلات النجمية قال اوحد المشايخ فى وقته ابو عبد الله الشيرازى قدس سره رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول من عرف طريقا الى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به احدا من العالمين يقول الفقير سمى الذبيح الحق غفر الله ذنوبه انما كان عذابه اشد لانه رجع عن طريقه بعد معرفته انه الحق الموصل الى الله تعالى وليس من يعلم كمن لا يعلم وسبب الرجوع الامتحانات فى الطريق (قال فى المثنوى) قلب چون آمد سيه شد در زمان * زر در آمد شد مزرئ اوعيان * دست وبا انداخت زر در بوته خش * در رخ آتش همى خندد درخش (قال الحافظ) ترسم كزين چمن نبرى آستين كل * كز كلشنش تحمل خارى نميكنى * فينبغى للطالب الصادق ان يتحمل مشاق الرياضات ويزكى نفسه عن الشهوات ويحترز عن اكل ما يجده من الحلال فضلا عما حرم الله الملك المتعال فان اصلاح الطبيعة والنفس وان كان بفضل الله وعنايته لكن الصوم وتقليل الطعام من الاسباب القوية فى هذا الباب (يحكى) ان سالكا خاطب نفسه بعد رياضات شديدة فقال من انت ومن انا فقالت له نفسه انت انت وانا انا فاشتغل بالتزكية ثانيا حتى حج ماشيا مرات فسأل ايضا فاجابت بما اجابت به اولا فاشتغل اشد من الاول وعالجها بتقليل الطعام حتى امات نفسه فسأل من انت فقالت انت انت وانا صرت فانية ولم يبق من وجودى اثر فاستراح بعون الله تعالى وسئل حضرة المولوى هل يعصى الصوفى قال لا الا ان يأكل طعاما قبل الاشتهاء فانه سم له ودآء اللهم أعنا على اصلاح هذه النفس الامارة (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد) وهو عند ابى حنيفة اسم لكل ممتنع متوحش من الحيوانات سوآء كان مأكول اللحم اولم يكن والمراد ماعدا الفواسق وهى العقرب والحية والغراب والفارة والكلب العقور فانها تقتل فى الحل والحرم (وانتم حرم) جمع حرام وهو المحرم وان كان فى الحل وفى حكمه من فى الحرم وان كان حلالا اى لا بس حله فالمحرم لا يتصيد اصلا سوآء كان فى الحل اوفى الحرم بالسلاح اوبالجوارح من الكلاب والطير والحلال يتصيد فى الحل دون الحرم اى حرم مكة ومقداره من قبل المشرق ستة اميال ومن الجانب الثانى اثنا عشر ميلا ومن الجانب الثالث ثمانية عشر ميلا ومن الجانب الرابع اربعة وعشرون ميلا هكذا قال الفقيه ابو جعفر وانما ذكر القتل دون الذبح للايذان بكونه فى حكم الميتة فكل ما يقتله المحرم من الصيد لا يكون مذكى وغير المذكى لا يجوز اكله والمعنى لا تقتلوه والحال انتم محرمون (ومن) شرطية (قتله) اى الصيد المعهود البرى مأكولا كان اوغير مأكول حال كون القاتل كائنا (منكم) اى من المؤمنين ولعل المقصود من التقييد بالحال توبيخ المؤمن على عدم جريانه على مقتضى ايمانه (متعمدا) حال ايضا من فاعل قتله اى ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوى فيها الخطأ والعمد لان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ (فجزآء) اى فعليه جزآء وفدية (مثل ما قتل) اى مماثل لما قتل فهو صفة لجزآء والمراد به عند ابى حنيفة وابى يوسف المثل باعتبار القيمة لا باعتبار الخلقة والهيئة

فيتقوم الصيد حيث صيد أوفى اقرب الاماكن اليه ان قتل فى بر لا يباع ولا يشترى فيه فان بلغت قيمته قيمة هدى تخير الجانى بان يشترى بها ماقيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أوصاعا من تمر وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل مالا يبلغ طعام مسكين تصدق به اوصام عنه يوما كاملا لان الصوم ممالا يتبعض فيكون قوله تعالى (من النعم) بيانا للهدى المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ماقتل من النعم والنعم فى اللغة من الابل والبقر والغنم فاذا انفردت الابل قيل انها نعم واذا انفردت البقر والغنم لم تسم نعما (يحكم به) اى بمثل ماقتل صفة لجزآء (ذوا عدل منكم) اى رجلان عدلان من المسلمين (هديا) الهدى مايهدى الى البيت تقربا الى الله تعالى من النعم ايسره شاة واوسطه بقرة واعلاه بدنة اى ناقة وهو حال مقدرة من الضمير فى به والمعنى مقدرا انه يهدى (بالغ الكعبة) صفة لهديا لان الاضافة لفظية والاصل بالغا الكعبة ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم حتى لودفع الهدى المماثل للمقتول الى فقرآء الحرم لم يجز بالاتفاق بل يجب عليه ذبحه فى الحرم وله ان يتصدق به بعد ذبحه فى الحرم حيث شاء عند ابى حنيفة (اوكفارة) عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزآء (طعام مساكين) عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف (اوعدل ذلك صياما) عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزآء مماثل للمقتول هو من النعم اوطعام مساكين اوصيام ايام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفا لازما للجزآء يقدر به الهدى والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثانى فيختار الجانى كلا منها بدلا من الآخرين قال الفرآء العدل بالكسر المثل من جنسه والعدل بالفتح المثل من غير جنسه فعدل الشئ ماعادله من جنسه كالصوم والاطعام وعدله ماعدل به فى المقدار كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار فى ذلك للجانى عند ابى حنيفة وابى يوسف وللحكمين عند محمد (ليذوق) متعلق بالاستقرار فى الجار والمجرور اى فعليه جزآء ليذوق قاتل الصيد (وبال امره) اى سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال فى الاصل المكروه والضرر الذى ينال فى العاقبة من عمل سوّلته نفسه (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد محرما قبل التحريم (ومن عاد) الى قتل الصيد بعد النهى عنه وهو محرم ومن شرطية (فينتقم الله منه) اى فهو ممن ينتقم الله منه لان الفعل اذا وقع جزآء لا يحتاج الى الحرف بخلاف الجملة الاسمية فقدّر المبتدأ لئلا تصير الفاء الجزآئية لغوا والمراد بالانتقام التعذيب فى الآخرة واما الكفارة فعن بعضهم انها واجبة على العائد وعن بعضهم انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر واصل الانتقام الانتصار والانتصاف واذا اضيف الى الله تعالى اريد به المعاقبة والمجازاة (والله عزيز) غالب لا يغالب (ذوانتقام) شديد ممن اصرّ على العصيان والاعتدآء قال الله تعالى مخاطبا لخليله يا ابراهيم خف منى كما تخاف من السبع الضارى يعنى ان الله تعالى اذا اراد اجرآء قضائه على احد لا يفرق بين نبىّ وولىّ وعدوّ كما لا يفرق السبع المفترس بين نفاع وضرار فهو تعالى شديد البطش فكيف يتخلص المجرمون من يد قهره وانتقامه فليحذر العاقل من المخالفة والعصيان بقدر الاستطاعة والامكان ايما كان فان الانسان لا يحصد الا ما يزرع (قال فى المثنوى) جمله دانند اين اكر تونكروى * هرچه مى كاريش روزى بدروى * والعجب ان الانسان الضعيف كيف يعصى الله القوىّ وليس الامن الانهماك فى الشهوات والغفلة عن الله تعالى والنكتة فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم انه اباح الصيد لمن كان حلالا وهم اهل السلوّ من العوام الذين رضوا من الكمالات الدينية بالاعمال البدنية من قصور هممهم الدنية وحرّم الصيد على من كان حراما وهم اهل المحبة المحرمون من الدنيا لزيارة كعبة الوصلة يعنى من قصدنا فعليه بحسم الاطماع جملة ولا ينبغى ان يكون له مطالبة بحال من الاحوال الا طلب الوصال و يقال العارف صيد الحق ولا يكون للصيد صيد ومن قتله منكم اى من الطلاب اذا التفت لشئ من الدنيا متعمدا وهو واقف على مضرته وعالم بما فيه فيغلب عليه الهوى و يقع فيه بحرص النفس فجزآء مثل ماقتل من النعم يجازى نفسه برياضة ومجاهدة ومماثل أمهاتك اللذة والشهوة يحكم به ذوا عدل منكم وهو القلب والروح يحكمان على مقدار الايمان وعلى انواع الرياضات بتقليل الطعام والشراب او ببذل المال او بترك الجاه اوبالعزلة والخلوة وضبط الحواس هديا بالغ الكعبة اى خالصا لله تعالى فيما يعمل بحيث يصلح لقبول الحق من غير ملاحظة الخلق

اوكفارة طعام مساكين وهم العقل والقلب والسر والروح والخفى فانهم كانوا محرومين من اغذيتهم الروحانية من صدق التوجه الى الحق وخلوص الاعراض عن الخلق وتجرع الصبر على المكروهات والفطام عن المألوفات والشكر على الموهوبات والرضى بالمقدرات والتسليم للاحكام الازليات اوعدل ذلك صياما والصيام هو الامساك عن ملاحظة الاغيار وطلب الاختيار والركون الى غير الملك الجبار ليذوق النفس الامارة وبال امره اى تتألم بألم هذه المعاملات التى على خلاف طبعها جزاء وكفارة لما نالت من لذة الشهوات وحلاوة الغفلات عفا الله عما سلف من الطالبين قبل اقدامهم على الطلب ومن عاد الى تعلق شئ من الدنيا بعد الخروج عنها بقدم الصدق فينتقم الله منه بالخذلان فى الدنيا والخسران فى العقبى والله عزيز لا يوجد لمن تعلق بالكونين حتى يتجرد الطالب عن القليل والكثير والصغير والكبير ذوانتقام ينتقم من احبائه باحتجاب التعزز بالكبرياء والعظمة على قدر التفاتهم الى غيره وملاحظتهم ماسواه وينتقم من اعدائه بما قاله ونقلب افئدتهم وابصارهم الآية من التأويلات النجمية (وفى المثنوى) عاشق صنع توام درشكر وصبر * عاشق مصنوع كى باشم چو كبر * عاشق صنع خدا بافر بود * عاشق مصنوع اوكافر بود * فعلى الطالب الصادق ان يقطع عن الالتفات الى الغير ويتصل الى من بيده الخير والله الموفق والمعين (احل لكم) الخطاب للمحرمين (صيد البحر) اى ما يصاد فى المياه كلها بحرا كان اونهرا اوغديرا وهو مالا يعيش الا فى الماء مأكولا كان اوغير مأكول فما يعيش فى البر والبحر كالبط والضفدع والسرطان والسلحفاة وجميع طيور الماء لا يسمى صيد البحر بل كل ذلك صيد البر ويجب الجزاء على قاتله قال الامام جميع مايصطاد فى البحر ثلاثة اجناس السمك وجميع انواعه حلال والضفادع وجميع انواعها حرام واختلفوا فيما سوى هذين الجنسين فقال ابو حنيفة انه حرام وقال الاكثرون انه حلال لعموم هذه الآية وقال محيى السنة جملة حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره اما السمك فميتته حلال مع اختلاف انواعها قال النبى عليه الصلاة والسلام احلت لنا ميتتان السمك والجراد ولا فرق بين ان يموت بسبب اوبغير سبب وعند ابى حنيفة يحل الا ان يموت بسبب من وقوع على حجر اوانحسار الماء عنه ونحو ذلك واما غير السمك فقسمان قسم يعيش فى البر كالضفدع والسرطان ولا يحل اكله وقسم يعيش فى الماء ولا يعيش فى البر الا عيش المذبوح فاختلف فيه فذهب قوم الى ان لا يحل شئ منها الا السمك وهو قول ابى حنيفة وذهب قوم الى ان ميتة الكل حلال لان كلها سمك وان اختلف صورها كالجريث يقال له حية الماء لكونه على شكل الحية واكله مباح بالاتفاق (وطعامه) اى طعام البحر وهو ما قذفه البحر ولفظه اونضب عنه الماء اى غار وبقى هو فى ارض يابسة فيؤخذ من غير معالجة فى اخذه وقال المولى ابو السعود وطعامه اى ما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد التعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع مايصاد فى المياه والانتفاع به انتهى (متاعا لكم) نصب على انه مفعول له قال المولى ابو السعود مختص بالطعام كما ان نافلة فى قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب اى احل لكن طعامه تمتعا للمقيمين يأكلونه طريا (وللسيارة) منكم يتزودونه قديدا (وحرم عليكم صيد البر) وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش فى الماء فى بعض الاوقات كطير الماء (مادمتم حرما) ما مصدرية ظرفية اى مدة دوامكم محرمين لا خلاف فى الاصطياد انه حرام على المحرم فى البر فاما عين الصيد فظاهر الآية يوجب حرمة ماصاد الحلال على المحرم وان لم يكن له مدخل فيه لكن مذهب ابى حنيفة انه يحل له ماصاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ماذبحه قبل احرامه لان الخطاب للمحرمين وكأنه قيل حرم عليكم ماصدتم فى البر فيخرج منه مصيد غيرهم (واتقوا الله) فيما نهاكم عنه من جميع المعاصى التى من جملتها اخذ الصيد فى الاحرام (الذى اليه تحشرون) لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه كما قال تعالى الى ربك يومئذ المساق اى المنتهى والمرجع بسوق الملائكة الى حيث امرهم الله اما الى الجنة واما الى السعير وفى الحديث من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن اشفق من عذاب جهنم كف نفسه عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن اراد سهولة الموت فليبادر الى الخيرات فمن لم يترك شهوته لم يرض عنه ربه بطاعته ومن لم يتق الله فى سره لم ينتفع بما ابداه من علامة التقوى (وفى المثنوى) كافرم من كر زيان كردست كس * دره ايمان وطاعت يكنفس * كار تقوى دارد ودين وصلاح * كه ازان باشد بدو عالم فلاح * والاشارة فى الآية احل لكم أيها المستغرقون فى بحر الحقائق صيد البحر

ماتصيدون من بحر المعرفة بالمشاهدات والكشوف وطعامه متاعا لكم وللسيارة يعنى تشبعون بما يرد عليكم من وارد الحق وتجلى الصفات كما قال عليه السلام ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وتطعمون منه السائرين الى الله من اهل الارادة كقوله تعالى فكلوا منها واطعموا البائس الفقير وهذا حال المشايخ واهل التربية من العلماء الراسخين وحرم عليكم أيها الطلاب صيد للبر وهو ماسنح فى اثناء السير الى الله من مطالب الدنيا والآخرة كما قال عليه السلام الدنيا حرام على اهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وكلتاهما حرامان على أهل الله مادمتم حرما اى مادمتم محرمين الى كعبة الوصول متوجهين الى حضرة الوصال فان حكم المتوجه ينافى حكم الواصل الكامل لان من وصل صار محوا والمتوجه صاح وبون بين الصاحى والماحى فان افعال الصاحى به ومنه واحوال الماحى ليست به ولا منه والله غالب على امره فبى يسمع وبى ينطق وبى يبطش ولهذا قال تعالى واذا حللتم فاصطادوا اى اذا فرغتم من مناسك الوصول وسلكتم مسالك الاصول سقط عنكم كلف المحرمين ومؤونات المسافرين وثبت لكم لزوم العاكفين واحكام الطائفين كما قال واتقوا الله الذى اليه تحشرون يعنى اتقوا بالله الذى اليه تجمعون وتصلون عما سواه لكيلا تحوروا بعد ما تكوروا نعوذ بالله من الحور بعد الكور كذا فى التأويلات النجمية المسماة ببحر الحقائق اللهم افض علينا من بركات اوليائك وادر علينا من كاسات احبائك وأودائك (جعل الله الكعبة) اى صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه اى لتربعه والعرب تسمى كل بيت مربع كعبة تشبيها له بكعب الرجل الذى عند ملتقى الساق والقدم فى كونه على هيئته فى التربيع وقيل سميت كعبة لارتفاعها عن الارض واصلها من الخروج والارتفاع وسمى الكعب كعبا لنتوه وخروجه من جانبى القدم ومنه قيل للجارية اذا قاربت البلوغ وخرج ثدياها كاعب والكعبة لما ارتفع ذكرها فى الدنيا واشتهر امرها فى العالم سميت بهذا الاسم ولذلك انهم يقولون لمن عظم قدره وارتفع شأنه فلان علا كعبه قال صاحب اسئلة الحكم جعل الله لبيته العتيق اربعة اركان وهى فى الحقيقة ثلاثة اركان لانه شكل مكعب ولذلك سميت بالكعبة تشبيها بالكعب فسر كونه على اربعة اركان بالوضع الحادث اشارة الى قلوب المؤمنين لان قلب المؤمن لا يخلو من اربعة خواطر الهى وملكى ونفسانى وشيطانى فركن الحجر بمنزلة الخاطر الالهى واليمانى بمنزلة الملكى والشامى بمنزلة النفسانى والركن العراقى بمنزلة الشيطانى لان الشرع شرع ان يقال عنده اعوذ بالله من الشقاق والنفاق وبالذكر المشروع تعرف مراتب الاركان واما سر كونه مثلث الشكل المكعب فاشارة الى قلوب الانبياء عليهم السلام لميز الله رسله وانبياءه بالعصمة التى اعطاهم والسهم اياها فليس لنبى الا ثلاثة خواطر الهى وملكى ونفسى ولغيرهم هذه وزيادة الخاطر الشيطانى فمنهم من ظهر حكمه عليه فى الظاهر وهم عامة الخلق ومنهم من يخطر له ولا يؤثر فى ظاهره وهم المحفوظون من اوليائه بالعصمة الوجوبية للانبياء والحفظ الجوازى للاولياء (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجيئ الصفة كذلك وسمى البيت الحرام لان الله تعالى حرمه وعظم حرمته فالحرام بمعنى المحرّم وفى الحديث ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض قال ابن ملك اعلم ان مكة شرفها الله حرمها ابراهيم عليه السلام لما صح عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة وماروى انه عليه السلام قال ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات فالمراد به كتابته فى اللوح المحفوظ ان ابراهيم سيحرمه انتهى كلامه يقول الفقير ان حرمته العرضية وان كانت حادثة لكن حرمته الذاتية قديمة وتلك الكتابة من الحرمة الذاتية عند الحقيقة وقد جاء فى بعض التفاسير فى قوله تعالى ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين انه لم يجبه بهذه المقالة من الارض الا أرض الحرم فلذلك حرمها فصارت حرمتها كحرمة المؤمن انما حرم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه فأرض الحرم لما قالت اتينا طائعين حرم صيدها وشجرها وخلاها فلا حرمة الا الذى طاعة وفى الخبر لم يأكل الحيتان الكبار صغارها فى ارض الحرم فى الطوفان لحرمتها (قياما للناس) مفعول ثان للجعل ومعنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اما الاول فلانه يتوجه اليه الحجاج والعمار فيكون ما فى البيت من المناسك العظيمة والطاعات الشريفة سببا لحط الخطيئات وارتفاع الدرجات ونيل الكرامات واما الثانى فلانه يجبى الى الحرم ثمرات كل شيء ويربح فيه التجار وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة ولا يتعرض لهم احد بسوء فى الحرم حتى ان الرجل اذا اصاب ذنبا فى الجاهلية والاسلام اوقتل قتيلا لجأ الى الحرم ويأمن فيه قال المحيى

فى فتوح الحرمين مدح حضرة الكعبة * هيچ نى هيچ ولى هسم نبود * كه او نه بربن در رخ اميد سود *
هادئ ره نيست بجز لطف دوست * آمدنت را طلب از زد اوست * تا نزند سر زچمن نوكلى * نغمه سرايى
نكند بلبلى (والشهر الحرام) اى وجعل الشهر الحرام الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة قياما لهم ايضا
فالمفعول الثانى محذوف ثقة بما مر ووجه كون الشهر الحرام سببا لقيام الناس ان العرب كان يتعرض بعضهم
لبعض بالقتل والغارة فى سائر الاشهر فاذا دخل الشهر الحرام زال الخوف وقدروا على سفر الحج والتجارات
آمنين على انفسهم واموالهم فكان سببا لاكتساب منافع الدين والدنيا ومصالح المعاش والمعاد وقد فضل الله
الاشهر والايام والاوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والامم بعضها على بعض لتبادر النفوس وتسارع القلوب
الى ادراكها واحترامها وتتشوق الارواح الى احيائها بالتعبد فيها ويرغب الخلق فى فضائلها قال الامام
النيسابورى عشر ذى الحجة أفضل الايام واحبها عند الله تعالى بعد شهر رمضان لانها هى التى ناجى فيها كليم الله
موسى ربه وفيها احرم جميع الخلق بالحج ووجد آدم التوبة فى ايام العشر واسماعيل الفداء وهود النجاة ونوح
الانجاء ومحمد الرسالة واصحابه الرضوان فى البيعة وبشارة خيبر وفتح الحديبية ونزول المغفرة بقوله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وغير ذلك من الآيات والكرامات وصيام يوم من العشر كصيام ألف
يوم وقيام ليلة منها كعبادة من حج واعتمر طول سنته فصوم هذا العشر مستحب استحبابا شديدا لاسيما التاسع
وهو يوم عرفة لكن يستحب الفطر يوم عرفة للحجاج لئلا يلحقهم فتور عن اداء الطاعات المشروعة فى ذلك
اليوم ويؤدوها على الحضور والكمال وفى الحديث خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت انا والنبيون لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير (والهدى) اى وجعل الله الهدى ايضا قياما لهم
وهو ما يهدى الى البيت ويذبح هناك ويفرق لحمه بين الفقراء فانه نسك المهدى وقوام لمعيشة الفقراء فكان
سببا لقيام امر الدين والدنيا يقول الفقير ومنه يعرف ان المقصود من القربان دفع حاجة الفقراء ولذا يستحب
للمضحى ان يتصدق بأ كثر اضحيته بل بكلها * هر كسى از همت والاى خويش * سود برد او در خور كالاى
خويش * وللحجاج يوم عيد القربان مناسك الذهاب من منى الى المسجد الحرام فلغيرهم الذهاب الى
المصلى موافقة لهم والطواف فلغيرهم صلاة العيد لقوله عليه السلام الطواف بالبيت صلاة واقامة السنن
من الحلق وقص الاظفار ونحوها فلغيرهم ازالة البدعة واقامة السنة والقربان فلغيرهم ايضا ذلك ولكن
ليس كل مال يصلح لخزانة الرب ولا كل قلب يصلح لمعرفة الرب ولا كل نفس تصلح لخدمة الرب (وفى المثنوى)
آن توكل كو خليلانه ترا * تا نبرد تيغت اسماعيل را * آن كرامت چون كليمت از كجا * تا كنى
شهراه قعر نيل را (والقلائد) اى وجعل الله القلائد ايضا قياما للناس وهى جمع قلادة وهى ما يقلد به الهدى
من نعل اولحاء شجر ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له بركوب اوحمل والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهى البدن
وهى الناقة والبقرة مما يجوز فى الهدى والاضاحى وخصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر
ولذا ضحى عمر رضى الله عنه بنجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى
القلوب ووجه كون القلائد سببا لقيام الناس ان من قلد هديا لم يتعرض له احد وربما كانوا يقلدون رواحلهم
اذا رجعوا من مكة من لحاء شجر الحرم فيأمنون بذلك وكان اهل الجاهلية يأكل الواحد منهم القضيب والشجر
من الجوع وهو يرى الهدى والقلائد فلا يتعرض له تعظيما له (ذلك) اشارة الى الجعل منصوب بفعل مقدر أى
شرع الله ذلك وبين (لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة
لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة
الشارع وعلى عدم خروج شئ من علمه المحيط (وان الله بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص للتأكيد
(اعلموا ان الله شديد العقاب) وعيد لمن انتهك محارمه وأصر على ذلك (وان الله غفور رحيم) وعد لمن حافظ على
مراعاة حرماته تعالى او اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه (ما على الرسول الا البلاغ) اى تبليغ الرسالة فى امر
الثواب والعقاب وهو تشديد فى ايجاب القيام بما امر به اى الرسول قد أتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد
عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد فى التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)
اى ما تظهرون من القول والعمل وما تخفون فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا (قال السعدى) بر وعلم يك ذره

پوشیده نیست * که پنهان و پیدا بنزدش یکیست * والاشارة فى الآية ان الله تعالى كما جعل الكعبة فى الظاهر قياما للعوام والخواص يلوذون به ويستنجعون بالتضرع والابتهال هنالك حاجاتهم الدنيوية والاخروية كذلك جعل كعبة القلب فى الباطن قياما للخواص وخواص الخواص ليلوذوا به بطريق دوام الذكر ونفى الخواطر بالكلية واثبات الحق بالربوبية والواحدية بان لا موجود الا هو ولا وجود الا له ولا مطلوب ولا محبوب الا هو وسماه البيت الحرام ليعلم انه بيت الله على الحقيقة وحرام ان يسكن فيه غيره فيراقبه عن ذكر ما سوى الحق وحبه وطلبه الى ان يفتح الله ابواب فضله ورحمته والشهر الحرام هو ايام الطلب والسير الى الله حرام على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدى هو النفس البهيمية تساق الى كعبة القلب مع القلائد وهى اركان الشريعة فتذبح على عتبة القلب بسكين آداب الطريقة عن شهواتها ولذاتها الحيوانية وفى قوله تعالى ذلك لتعلموا الآية اشارة الى ان العبد اذا وصل الى كعبة القلب فيرى بيت الله ويشاهد أنوار الجمال والجلال فبتلك الانوار يشاهد ما فى السموات وما فى الارض لانه ينظر بنور الله فيعلم على التحقيق ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم اعلموا ان الله شديد العقاب بسدل الحجاب لغير الاحباب ممن ركنوا الى الدنيا واغتروا بزينتها وشهواتها وان الله غفور رحيم لطالبيه وقاصدى حضرته بفتح الابواب ورفع الحجاب ما على الرسول الا البلاغ بالقال والحال والله يعلم ما تبدون من الايمان باقرار اللسان وعمل الاركان وما تكتمون من تصديق الجنان او التكذيب وصدق التوجه وخلوص النية فى طلب الحق كذا فى التأويلات النجمية (قل لا يستوى الخبيث والطيب) نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم بسبب انه كان فيهم الحطيم وقد اتى المدينة فى السنة السابقة واستاق سرح المدينة فخرج فى العام القابل وهو عام عمرة القضاء حاجا فبلغ ذلك اصحاب السرح فقالوا للنبى عليه السلام هذا الحطيم خرج حاجا مع حجاج اليمامة فخل بيننا وبينه فقال عليه السلام انه قلد الهدى ولم يأذن لهم فى ذلك بسبب استحقاقهم الأمن بتقليد الهدايا فنزلت الآية تصديقا له عليه السلام فى نهيه اياهم عن تعرض الحجاج وان كانوا مشركين وقد مضت هذه القصة فى اول السورة عند قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وبقى حكم هذه الآية الى ان نزلت سورة البرآءة فنسخ بنزولها لانه قد كان فيها انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وفيها اقتلوا المشركين فنسخ حكم الهدى والقلائد والشهر الحرام والاحرام وأمنهم بها دون الاسلام وسبب النزول وان كان خاصا لكن حكمه عام فى نفى المساواة عند الله بين الردى وبين الجيد ففيه ترغيب فى الجيد وتحذير عن الردى ويتناول الخبيث والطيب امورا كثيرة فمنها الحرام والحلال فمثقال حبة من الحلال ارجح عند الله من ملئ الدنيا من الحرام لان الحرام خبيث مردود والحلال طيب مقبول فهما لا يستويان ابدا كما ان طالبيهما كذلك اذ طالب الخبيث خبيث وطالب الطيب طيب والله تعالى يسوق الطيب الى الطيب كما انه يسوق الخبيث الى الخبيث كما قال الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات والطيب عند سادات الصوفية قدس الله اسرارهم ما كان بلا فكر وحركة نفسانية سوآء سيق من طرف صالح او فاسق لانه رزق من حيث لا يحتسب وهو مقبول وخلافه مردود ولا بعد فى هذا لان حسنات الابرار سيئات المقربين وبينهما بون بعيد وايضا الخبيث من الاموال ما لم يخرج منها حق الله والطيب ما اخرجت منه الحقوق والخبيث ما انفق فى وجوه الفساد والطيب ما انفق فى وجوه الطاعات والطيب من الاموال ما وافق نفع الفقرآء فى اوقات الضرورات والخبيث ما دخل عليهم فى وقت استغنائهم فاشتغلت خواطرهم بها ومنها المؤمن والكافر والعادل والفاسق فالمؤمن كالعسل والكافر كالسم والعادل كشجرة الثمرة والفاسق كشجرة الشوك فلا يستويان على كل حال ومنها الاخلاق الطيبة والاخلاق الخبيثة فمثل التواضع والقناعة والتسليم والشكر مقبول ومثل الكبر والحرص والجزع والكفران مردود لان الاول من صفات الروح والثانى من صفات النفس والروح طيب علوى والنفس خلافه (وفى المثنوى) هين مرو اندر پى نفسى چو زاغ * كو بگورستان برد نه سوى باغ * نفس اكر چه زيركست وخرده دان * قبله اش دنياست اورا مرده دان * ومن اخلاق النفس حب المال والكبار قد عدوا المال الطيب حجابا فما ظنك بالخبيث منه فلا بد من تصفية الباطن وتخليته عن حب ما سوى الله تعالى ومنها العلوم النافعة والعلوم الغير النافعة فالنافعة كعلوم الشريعة وغير

النافعة كعلوم الفلاسفة * علم دين فقهست وتفسير وحديث * هركه خواند غير ازين كردد خبيث *
ومنها الاعمال الصالحة والاعمال الغير الصالحة فما اريد به وجه الله تعالى فهو صالح وما اريد به الرياء والسمعة
فهو غير صالح * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * قال فى التأويلات
النجمية الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب ما يوصلك الى الله وايضا الطيب هو الله الواحد والخبيث ماسواه
وفيه كثرة (ولو اعجبك كثرة الخبيث) الواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر اى لو لم يعجبك كثرة الخبيث
ولو اعجبتك وكلتاهما فى موضع الحال من فاعل لا يستوى اى لا يستويان كائنين على كل حال مفروض وجواب
لو محذوف والمعنى والتقدير ان الخبيث ولو اعجبتك كثرته يمتنع ان يكون مساويا للطيب فان العبرة بالجودة
والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث ومعنى
الاعجاب السرور بما يتعجب منه يقال يعجبنى امر كذا اى يسرنى والخطاب فى اعجبك لكل واحد من الذين
امر النبى عليه السلام بخطابهم (فاتقوا الله) فى تحرى الخبيث وان كثروا آثروا الطيب وان قل (يا اولى الالباب)
ياذوى العقول الصافية وهم فى الحقيقة من تخلصت قلوبهم وارواحهم من قشور الابدان والنفوس (لعلكم
تفلحون) راجين ان تنالوا الفلاح وهو سعادة الآخرة ثم ان التقوى على مراتب قال ابن عطاء التقوى فى الظاهر
مخالفة الحدود وفى الباطن النية والاخلاص وقال فى قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وهو صدق قولك لا اله
الا الله وليس فى قلبك شئ سواه ومن وصايا حضرة المولوى قبيل وفاته اوصيكم بتقوى الله فى السر والعلانية
وبقلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام وهجر المعاصى والآثام وترك الشهوات على الدوام واحتمال الجفاء من
جميع الانام وترك مجالسة السفهاء والعوام ودوام مصاحبة الصالحين الكرام فان خير الناس من ينفع الناس
وخير الكلام ما قل ودل واعلم ان النافع هو التقوى والسبب المنجى هو الايمان والعمل الصالح دون الحسب
والنسب فلا يغرنك الشيطان بكثرة اموالك واولادك ووفرة مفاخر آبائك واجدادك فاصل البول الماء الطيب
الصافى والله تعالى يخرج الميت من الحى (يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) روى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام
فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم
فاتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا
منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه فنزلت وعن ابن عباس رضى الله عنه انه عليه السلام كان يخطب
ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين ابى فقال
فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت ان تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان
لاشياء والمساءة معلقة بالابداء والابداء معلق بالسؤال فالمعنى لا تسألوا عن اشياء ان تسألوا عنها فى زمان الوحى
تظهر لكم وان تظهر لكم تغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه قال البغوى فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يأمر به
فى كل عام فيسوءه ومن سأل عن نسبه لم يأمن ان يلحقه بغيره فيفتضح (عفا الله عنها) استئناف مسوق لبيان
ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها فى نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها
وفيه من حثهم على الجد فى الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا اى عفا الله عن
مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج فى كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسبب
مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) اى مبالغ فى مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصى
ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم فالجملة اعتراض تذييلى مقرر لعفوه تعالى (قد سألها قوم)
اى سألوا هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها فى كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل
للمبالغة فى التحذير (من قبلكم) متعلق بسألها (ثم اصبحوا بها) اى بسببها (كافرين) فان بنى اسرائيل
كانوا يستفتون انبياءهم فى اشياء فاذا امروا تركوها فهلكوا كما سأل قوم ثمود صالحا الناقة وسأل قوم عيسى
مائدة قال ابو ثعلبة ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها
وعفا عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها قال الحسين الواعظ الكاشفى فى تفسيره * پس نيكبخت آنست كه
از حال ديكران عبرت كيرد بقول وفعل فضولى اشتغال ننمايد ودرين باب كفته اند * بكوى انچه كفتن

ضرورت شود * ذكر كفته هارا فرو بند در * بجاى آرفعلى كه لازم بود * زافعال بى حاصل اندر كذر *
وكان رجل يحضر مجلس ابى يوسف كثيرا و يطيل السكوت فقال له يوما مالك لاتتكلم ولا تسأل عن مسألة
قال اخبرنى أيها القاضى متى يفطر الصائم قال اذا غابت الشمس قال فان لم تغب الى نصف الليل فتبسم وتمثل
بيت جرير

وفى الصمت زين للحلى وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلما

وفى الحديث عجبت من بنى آدم وملكاه على نابيه فلسانه قلمهما وريقه مدادهما كيف يتكلم فيما لا يعنيه
والاشارة فى الآيتين ان الله تعالى نهى اهل الايمان ان يتعلموا العلوم اللدنية وحقائق الاشياء بطريق السؤال
لانها ليست من علوم القال وانما هى من علوم الحال فقال يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن اشياء اى عن حقائق
اشياء ان تبد لكم بيانها بطريق القال تسؤكم اذ لم تهتدوا الى الحقائق ببيان القال فتقع عقولكم المشوبة
بآفات الهوى والوهم والخيال فى الشبهات فتهلكوا فى اوديتها كما كان حال طوائف الفلاسفة اذ طلبوا علوم
حقائق الاشياء بطريق القال والبراهين المعقولة فما كانت منها مندرجة تحت نظر العقول المجردة عن شوائب
الوهم والخيال اصابوها وما ضاق نطاق العقول عن دركها استزلهم الشيطان عند البحث عن الصراط المستقيم
واوقعهم فى اودية الشبهات وبوادى الهلكات فهلكوا واهلكوا خلقا عظيما بتصانيفهم فى العلوم
الالهية وبعضهم خلطوها بعلم الاصول وقرروا شبهاتهم فيها فضلوا واضلوا عن سواء السبيل وما علموا ان تعلم
علوم الحقائق بالقال محال وان تعلمها انما يحصل بالحال كما كان حال الانبياء مع الله فقد علمهم علوم الحقائق
بالاراءة لا بالرواية فقال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال فى حق النبى عليه السلام
لنريه من آياتنا وقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقال عليه السلام ارنا الاشياء كما هى وكما كان حال الامة
مع النبى عليه السلام كان يعلمهم الكتاب بالقال والحكمة بالحال بطريق الصحبة وتزكية نفوسهم عن شوائب
آفات النفس واخلاقها كقوله تعالى يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى فيمن
تحقق له فوائد الصحبة على موائد المتابعة سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ثم قال
وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اى وان كان لابد لكم من السؤال عن حقائق الاشياء فاسألوا عنها بعد
نزول القرآن اى من القرآن ليخبركم عن حقائقها على قدر عقولكم اما العوام منكم فيؤمنون بمتشابهات
القرآن فانه لبيان حقائق الاشياء ويقولون كل من عند ربنا ولا يتصرفون فيها بعقولهم طلبا للتأويل فانه
لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون فى العلم وهم الخواص واما اخص الخواص فيفهمون مما يشير القرآن اليه
من حقائق الاشياء بالرموز والاشارات والمتشابهات مالا يفهم غيرهم كما اشار بقصة موسى والخضر الى ان تعلم
العلم اللدنى انما يكون بالحال فى الصحبة والمتابعة والتسليم وترك الاعتراض على الصاحب المعلم لا بالقال
ولا بالسؤال لقوله تعالى هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا يعنى فى المتابعة
وترك الاعتراض قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ يعنى
ان من شرط المتابعة ترك السؤال عن افعال المعلم وغيرها فلما لم يستطع موسى معه صبرا ليتعلم بالحال وفتح
باب القال والسؤال فقال اخرقتها لتغرق اهلها اقتلت نفسا زكية فما واساه الخضر وقال الم اقل لك
انك لن تستطيع معى صبرا قال يعنى موسى ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى يشير الى ان تعلم العلم اللدنى
بالحال فى الصحبة والمتابعة والتسليم لا بالقال والسؤال وفى السؤال الانقطاع عن الصحبة فافهم جدا فلما عاد
فى الثالثة الى السؤال وقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بينى وبينك ثم قال عفا الله عنها اى عما
سألتم وطلبتم من علوم الحقائق بالقال قبل نزول هذه الآية والله غفور لمن تاب ورجع الى الله فى طلب علوم
الحقائق بالقال والسؤال حليم لمن طلب بالحال يحلم عنهم فى اثناء ما يصدر منهم مما ينافى امر الطلب الى ان يوفقهم
لما يوافق الطلب ثم قال قد سألها قوم من قبلكم يعنى من مقدمى الفلاسفة فقد شرعوا فى طلب العلوم الالهية
بالقال ونظر العقل فوقعوا فى اودية الشبهات ثم اصبحوا بها كافرين اى بسبب الشبهات التى وقعوا فيها بتتبع
القيل والقال وكثرة السؤال وترك متابعة الانبياء عليهم السلام كذا فى التأويلات النجمية (ما جعل الله)
هو الجعل التشريعى ويتعدى الى واحد اى ماشرع وما وضع وما سن (من) مزيدة لتأكيد النفى (بحيرة)

كان أهل الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى فهى فعيلة من البحر وهو الشق بمعنى المفعولة (ولا سائبة) كان الرجل منهم يقول اذا قدمت من سفرى اوبرئت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها فهى فاعلة من قولهم ساب الماء يسيب سيبا اذا جرى على وجه الارض ويقال ايضا سابت الحية فالسائبة هى التى تركت حتى تسيب حيث شاءت (ولا وصيلة) كانوا اذا ولدت الشاة انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها واستحيوا الذكر من اجل الانثى فلا يذبح لالهتهم فمعنى الآية ما جعل الله انثى تحلل ذكرا محرما عند الانفراد فهى فعيلة بمعنى فاعلة (ولا حام) كانوا اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فهو اسم فاعل من حمى يحمى اى منع يقال حماه يحميه اذا حفظه (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) اى يكذبون عمدا حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحى الخزاعى فانه كان اقدم من ملك مكة وكان اول من غير دين اسماعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى روى انه عليه السلام قال فى حقه رأيت عمر ابن لحى الخزاعى يجر قصبه فى النار يؤذى اهل النار بريح قصبه والقصب المعى هذا شأن رؤسائهم وكبارهم (واكثرهم) وهم اراذلهم الذين يوقعونهم فى معاصى رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يعقلون) انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون فى اسر التقليد (واذا قيل لهم) اى للاكثر على سبيل الهداية والارشاد (تعالوا الى ما انزل الله) من الكتاب المبين للحلال والحرام (والى الرسول) الذى انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادى الى الحق وانقيادهم للداعى الى الضلال وحسبنا مبتدأ وما وجدنا خبره وهو فى الاصل مصدر والمراد به اسم الفاعل اى كافينا الذى وجدنا عليه آباءنا (اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون) الواو للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها والتقدير ايحسبهم ذلك اى ايكفيهم وجدان آبائهم على هذا المقال اويقولون هذا القول ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ من الدين ولا يهتدون للصواب والمعنى ان الاقتداء انما يكون بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة قال الحسين الواعظ فى تفسيره * يعنى ايشان جاهل وكمراه بودند تقليد ايشان نافع نيست بلكه تقليد عالم مى بايد تا كار بتحقيق انجامد (مثنوى) از مقلد تا محقق فرقهاست اين يكى كوهست وان ديكر صداست دست دربينا زنى آيى براه دست دركورى زنى افتى بچاه * قال الشيخ على دده فى اسئلة الحكم اما ما ورد فى الاحاديث النبوية فى حق الدجاجلة وظهورها بين الامة فلا شك عند اهل العلم ان الدجاجلة هم الائمة المضلون لاسيما من متصوفة الزمان اومتشيخيهم وقد شاهدناهم فى عصرنا هذا قاتلهم الله حيثما كانوا انتهى قال بعضهم قلت لمتشبه بالصوفية ظاهرا بعنى جبتك لماعلم من احواله فقال اذا باع الصياد شبكته فبأى شئ يتصيد * بروى ريا خرقه سهلست دوخت * كرش باخدا در توانى فروخت * بنزديك من شبرو راهزن * به از فاسق پارسا پيرهن * والاشارة ان الشيطان كما سلط على قوم اغراهم على التصرف فى انعام اجسامهم ونفوسهم مبتدعين غير متبعين وهم يزعمون ان هذه التصرفات لله وفى الله وفى قوله ما جعل الله من بحيرة اشارة الى من يتصرف بما لم يؤمر به كمن يشق اذنه او يثقبها ويجعل فيها الحلقة من الحديد او يثقب صدره اوذكره ويجعل عليه القفل او يجعل فى عنقه الغل او يحلق لحيته مثل ما يفعل هؤلاء القلندرية * قلندرى نه بريشست وموى وياابرو * حساب راه قلندر بدانكه موى بموست * كذشتن ازسرمو در قلندرى سهلست * چو حافظ آنكه زسر بكذرد قلندر اوست * ولا سائبة وهم الذين يدورون فى البلاد مسيبين خليعى العذار يرتعون فى مراتع البهيمية والحيوانية بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة وهم يدعون انهم أهل الحق قد لعب الشيطان بهم فاتخذوا الههم هواهم ولا وصيلة وهم الذين يبيحون المحرمات ويستحلون الحرمات ويتصلون بالاجانب من طريق الاخوة والابوة كالاباحية والزنادقة فيغتر به ويظن انه بلغ مقام الوحدة وانه محى عن النقصان بكل حال ولا يضره مخالفات الشريعة اذ هو بلغ مقام الحقيقة فهذا كله من وساوس الشيطان وهو اجس النفس ما امر الله بشئ من ذلك ولا رخص لاحد فيه فهؤلاء الذين وضعوا هذه الطريقة وابتدعوها لا يعلمون

شيا

شيأ من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الى الحقيقة فانهم أهل الطبيعة وارباب الخديعة ولقد شاعت فى الآفاق فتنهم وكلت فيهم عزتهم وما لهم من دافع ولا مانع ولا وازع على ان الخرق قد اتسع على الراقع

اری ألف بان لا يقوم بهادم * فكيف ببان خلفه ألف هادم

(يا أيها الذين امنوا عليكم انفسكم) اى الزموا اصلاح انفسكم وحفظها عما يوجب سخط الله وعذاب الآخرة (لا يضركم) ضلال (من ضل) بالفارسى زيانى نرساند شمارا بى راهئ آنكس كه كمراه شد (اذا اهتديتم) اذا كنتم مهتدين والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة و يتمنون ايمانهم وفيهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهى (الى الله) لا لأحد سواه (مرجعكم) رجوعكم يوم القيامة (جميعا) الضال والمهتدى (فينبئكم بما كنتم تعملون) فى الدنيا من اعمال الهداية والضلال اى فيجازيكم على ذلك فهو وعد ووعيد للفريقين المهتدين والضالين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره ولا يتوهمن ان فى الآية رخصة فى ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسب الطاقة * اكر بينى كه نابينا وچاهست * اكر خاموش بنشينى كناهست * وفى الحديث من رأى منكم منكرا ان استطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روى ان الصديق قال يوما على المنبر يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هى وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله تعالى يا أيها الذين الآية فيقول احدكم على نفسى والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر اوليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعن خياركم فلا يستجاب لهم ولو قيل لرجل لم لا تأمر بالمعروف قال مرا چه كارست اوقيل لرجل فلان را امر معروف كن فقال مرا اوچه كرده است لوقال من عافيت كزيده ام اوقال مرا با اين فضولى چه كار يخاف عليه الكفر فى هذه الصور (قال المولوى) نوز كفتار تعالوا كم مكن * كيمياى بس شكرفست اين سخن * كر كسى كردد ز كفتارت نفير * كيميارا هيچ ازوى وامكير * فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض لا يسقط الا عند العجز عن ذلك وكان السلف معذورين فى بعض الازمان فى ترك الانكار باليد واللسان * چو دست وزبان را نماند مجال * بهمت نمايند مردى رجال * والحاصل ان هذا يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال والاوقات فعلى المحب ان لا يتجاوز عن الحد ويراعى حكم الوقت فان لكل زمان دولة ورجالا والاشارة يا أيها الذين آمنوا اى ايمان الطالبين الموقنين بان الوجدان فى الطلب كما قال تعالى الا من طلبنى وجدنى عليكم انفسكم فاشتغلوا بتزكيتها فانه قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فلا تشتغلوا قبل تزكيتها بتزكية نفوس الخلق ولا تغتروا بارادة الخلق وبقولهم وحسن ظنهم فيكم وتقربهم اليكم فانها للطالب سم الساعة وان مثل السالك المحتاج الى المسلك والذى يدعى ارادته و يتمسك به كمثل غريق فى البحر محتاج الى سابح كامل فى صنعته لينجيه من الغرق فيتشبث به غريق آخر فى البحر وهو يأخذ بيده لينجيه فيهلكان جميعا فالواجب على الطالب المحق ان يتمسك بذيل ارادة صاحب دولة فى هذا الشان مسلك كامل و يستسلم للاحكام ولا يلتفت الى كثرة الهالكين فانه لا يهلك على الله الا هالك لا يضركم أيها الطالبون من ضل من المغرقين اذا اهتديتم الى الحق به الى الله مرجعكم جميعا ايها الطالبون بجذبات العناية على طريق الهداية والمضلون بسلاسل القهر والخذلان على طريق المكر والعصيان فينبئكم بما كنتم تعملون اى فيذيقكم لذة ثواب اعمالكم اوالم عقوبة اعمالكم والمعنى ليس للطالب ان يلتفت فى اثناء سلوكه الى احد من اهل الصدق والارادة بان يقبله لتربيته و يغتر بانه شيخ يقتدى به الى ان يتم امر سلوكه بتسليك مسلك كامل واصل ثم ان يرى شيخه ان له رتبة الشيخوخة فيثبته باشارة الحق فى مقام التربية ودعوة الخلق فحينئذ يجوز له ان يكون هاديا مرشدا للمريدين باحتياط وافر فقد قال تعالى ولكل قوم هاد فاما فى زماننا هذا فقد آل الامر الى ان من لم يكن مريدا قط يدعى الشيخوخة ويخبر بالشيخوخة الجهال والضلال من جهالته وضلالته حرصا لانتشار ذكره وشهرته وكثرة مريديه وقد جعلوا هذا الشان العظيم والبناء الجسيم لعب الصبيان وضحكة الشيطان حتى يتوارثونه كلما مات واحد منهم كانوا يجلسون ابنه مقامه صغيرا كان او كبيرا ويلبسون منه الخرق و يتبركون به وينزلونه منازل المشايخ فهذه مصيبة قد عمت

واعل هذه طريقة قد تمت فاندرست آثارها والله اعلم باخبارها الى ههنا من الاشارة من التأويلات النجمية (يا أيها الذين آمنوا) تصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه (روى) ان تميم بن اوس الدارى وعدى بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابى مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدما الى الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه اسماء جميع ما معه وطرحه فى درج الثياب ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بأن يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فقالوا لهما هل باع صاحبكما شيأ من متاعه قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق شيأ على نفسه قالا لا انما مرض حين قدم البلد فلم يلبث ان مات قالوا فانا وجدنا فى متاعه صحيفة فيها تسمية متاعه وفيها اناء منقوش مموه بالذهب وزنه ثلاثمائة مثقال قالا ما ندرى انما اوصى الينا بشئ وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا ومالنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو أنهما لم يخونا شيأ مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم انه وجد الاناء فى مكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بنى سهم اولياء بديل فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيأ فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى فان عثر الآية فقام عمرو ابن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما واتفق العلماء على ان هذه الآية اشكل ما فى القرآن اعرابا ونظما وحكما (شهادة بينكم) اى شهادة الخصومات الجارية بينكم فبين ظرف اضيف اليه شهادة على طريق الاتساع فى الظروف بان يجعل الظرف كأنه مفعول للفعل الواقع فيه فيضاف ذلك الفعل اليه على طريق اضافته الى المفعول نحو يا سارق الليلة اى يا سارقا فى الليلة وارتفاع الشهادة على انها مبتدأ (اذا حضر احدكم الموت) اى شارفه وظهرت علائمه ظرف للشهادة (حين الوصية) بدل من الظرف وفى ابداله منه تنبيه على ان الوصية من المهمات المقررة التى لا ينبغى ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها (اثنان) خبر للمبتدأ بتقدير المضاف لئلا يلزم حمل العين على المعنى اى شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين او فاعل شهادة بينكم على ان خبرها محذوف اى فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان واختلفوا فى هذين الاثنين فقال قوم هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصى وقال آخرون هما الوصيان لان الآية نزلت فيهما ولانه قال تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان ولا يلزم الشاهدين الايصاء وان صح الى واحد الا انه ورد فى الآية الايصاء الى اثنين احتياطا واعتضاد الأحدهما بالآخر وعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت والشهيد الذى حضرته الوفاة فى الغزو حتى لو مضى عليه وقت صلاة وهو حى لا يسمى شهيدا لان الوفاة لم تحضره فى الغزو (ذوا عدل منكم) هما صفتان للاثنان اى صاحبا امانة وعقل من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحرى ما هو اصلح له او من اهل دينكم يا معشر المؤمنين وهذه جملة تامة تتناول حكم الشهادة على الوصية فى الحضر والسفر (او آخران من غيركم) عطف على اثنان اى او شهادة عدلين آخرين من غيركم اى من الاجانب او من غير اهل دينكم اى من اهل الذمة وقد كان ذلك فى بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما فى السفر ثم نسخ بقوله تعالى واشهدوا ذوى عدل منكم فلا يقبل شهادة الذمى على المسلم لعدم ولايته عليه والشهادة من باب الولاية وتقبل شهادة الذمى على الذمى لان اهل الذمة بعضهم اولياء بعض (ان انتم ضربتم فى الارض) اى سرتم وسافرتم فيها (فاصابتكم مصيبة الموت) عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى لامر الشهادة كما هو الغالب المعتاد فى الاسفار فشهادة بينكم شهادة آخرين او فانه يشهد آخران فقوله تعالى ان انتم ضربتم تقييد لقوله او آخران من غيركم (تحبسونهما) استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اى تقفونهما وتصبرونهما للتحليف (من بعد الصلاة) من صلة واللام للعهد الخارجى اى بعد صلاة العصر لتعينها عندهم للتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع اهل الايمان

يعظمون ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روى ان النبي عليه السلام وقتئذ حلف من حلف قال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر بمكة بين الركن والمقام وفي المدينة عند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي سائر البلدان في اشرف المساجد وقال ابو حنيفة لا يختص الحلف بزمان ولا مكان (فيقسمان بالله) عطف على تحبسونهما (ان ارتبتم) شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اى ان ارتاب فيهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله (لا نشترى به ثمنا) جواب القسم اى مقسم عليه فان قوله فيقسمان يتضمن قسما مضمرا فيه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا منه ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في المأخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله اى من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اى لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وطمع الدنيا (ولو كان) اى المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام وهو الميت (ذا قربى) اى قريبا منا في الرحم تأكيد لتبرئهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه كأنهما قالا لا نأخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فقد انضم اليها ما هو اقوى منها وأدعى الى الحلف كاذبا وهي صيانة حظ انفسهما فلا يتحقق ما قصداه من المبالغة في التنزه عنه والتبرى منه قلت صيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل راجعة اليه (ولا نكتم شهادة الله) معطوف على لا نشترى به داخل معه في حكم القسم وشهادة الله منصوب على انها مفعول بها اضيفت اليه تعالى لانه هو الآمر بها وبحفظها وعدم كتمانها وتضييعها (انا اذا) اى اذ كتمناها (لمن الآثمين) اى العاصين (فان عثر) اى اطلع بعد التحليف (على انهما استحقا اثما) اى فعلا ما اوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بأيديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه (فآخران) اى رجلان آخران وهو مبتدأ خبره (يقومان مقامهما) اى مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق (من الذين) حال من فاعل يقومان اى من اهل الميت الذين (استحق عليهم الاوليان) من بينهم اى الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اى باليمين ومفعول استحق محذوف اى استحق عليهم ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر فاستحق مبني للفاعل والاوليان فاعله وهو تثنية الاولى بالفتح بمعنى الاقرب وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اى من الذين استحق عليهم الاثم اى جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كأنه قيل ومن هم فقيل الاوليان (فيقسمان بالله) عطف على يقومان (لشهادتنا) المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اى ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها (احق) بالقبول (من شهادتهما) اى من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع انه لا حقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما (وما اعتدينا) عطف على جواب القسم اى ما تجاوزنا فيها شهادة الحق وما اعتدينا عليهما بابطال حقهما (انا اذا) اى اذا اعتدينا في يميننا (لمن الظالمين) انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوى نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيأ بالتغلظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بأيمانهم وانما انتقل اليمين الى الاولياء لان الوصيين ادعيا انهما ابتاعاه والوصي اذا اخذ شيأ من مال الميت وقال انه اوصى به حلف الوارث اذا انكر ذلك وتحليف المنكر ليس بمنسوخ (ذلك) اى الحكم الذي تقدم تفصيله (ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها) اى اقرب الى ان تؤدى الشهود الشهادة على وجهها الذي

تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروى هذا كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور (او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم) بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كأنه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فاى الخوفين وقع حصل المقصود الذى هو الاتيان بالشهادة على وجهها (واتقوا الله) فى شهادتكم فلا تحرفوها وفى ايمانكم فلا تحلفوا ايمانا كاذبة وفى اماناتكم فلا تخونوها وفيما بينه الله من الاحكام فلا تخالفوا احكمه (واسمعوا) ماتوعظون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين اى الى طريق الجنة اوالى مافيه نفعهم واعلم ان الشهادة فى الشرع الاخبار عن امر حضره الشهود وشاهدوه اما معاينة كالافعال نحو القتل والزنى اوسماعا كالعقود والاقرارات فلا يجوزله ان يشهد الا بما حضره وعلمه وسمعه ولهذا لا يجوز له اداء الشهادة حتى تذكر الحادثة وفى الحديث اذا علمت مثل الشمس فاشهد والا فدع وفى الشهادة احياء حقوق الناس وصون العقود عن التجاحد وحفظ الاموال على اربابها وفى الحديث اكرموا الشهود كم فان الله يستخرج بهم الحقوق ومن تعين للتحمل لا يسعه ان يمتنع اذا طلب لما فيه من تضييع الحقوق الا ان يقوم الحق بغيره بان يكون فى الصك سواه ممن يقوم الحق به فيجوزله الامتناع لان الحق لا يضيع بامتناعه وهو مخير فى الحدود بين الشهادة والستر لان اقامة الحدود حسبة والستر على المسلم حسبة والستر افضل وفى الحديث من ستر على مسلم ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة ثم اعلم ان اليمين الفاجرة تبقى الديار بلاقع فينبغى لطالب الآخرة ان يجتنب عن الكذب لطمع الدنيا وان يختار الصدق فى كل قول وفعل (قال الحافظ) طريق صدق بياموز از آب صافى دل * براستى طلب آزادكى چو سرو چمن * والامانة من الاوصاف الجليلة والله تعالى يأمر باداء الامانات وان قل اصحابها فى هذا الزمان ولله در القائل * امين مجوى ومكو باكسى امانت عشق * درين زمانه مكر جبرئيل امين باشد * وعاقبة الخيانة الافتضاح (كما قال الصائب) خيانتهاى پنهان ميكشد آخر برسوايى * كه دزد خانكى راشحنه در بازار ميكردد * فلا بد من التقوى وسماع الاحكام الازلية والله لا يهدى الى حضرته القوم الفاسقين يعنى الذين كانوا خارجين عند رشاش النور واصابته كما قال عليه السلام فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطأه فقد ضل عصمنا الله واياكم من مخالفة امره ولا يجعلنا ممن ضاع انفاس عمره انه هو الموفق والمرشد والوهاب (يوم يجمع الله الرسل) اى اذكروا يوم يجمع الله الرسل وهو يوم القيامة والمراد جمعهم وجمع اممهم وانما لم يذكر الامم لانهم اتباع لهم (فيقول) اى الله تعالى للرسل (ماذا اجبتم) اى اى اجابة اجبتم من جهة الامم حين دعوتموهم الى توحيدى وطاعتى اجابة اقرار وتصديق ام اجابة انكار وتكذيب فماذا فى محل النصب على انه مفعول مطلق للفعل المذكور بعده وفيه اشارة الى خروجهم من عهدة الرسالة كما ينبغى والا لصدر الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالتى ولم يقل ماذا اجابوا بناء على كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم فان قلت ماوجه السؤال مع انه تعالى لا يخفى عليه شئ قلت توبيخ القوم كما ان قوله تعالى واذا الموءودة سئلت باى ذنب قتلت المقصود منه توبيخ من فعل ذلك الفعل بها (قالوا) كأنه قيل فماذا يقول الرسل هنالك فقيل يقولون (لا علم لنا) بما كنت انت تعلم (انك انت علام الغيوب) تعليل لذلك اى لانك تعلم ما اضمروه وما اظهروه ونحن لا نعلم الا ما اظهروه فعلمنا فى علمك كالمعدوم وهذا الجواب يتضمن التشكى من الامم كأنه قيل علمك محيط بجميع المعلومات فتعلم بما ابتلينا من قبلهم وكابدنا من سوء اجابتهم فنلتجئ اليك فى الانتقام منهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذا الجواب انما يكون فى بعض مواطن القيامة وذلك عند زفرة جهنم وجثو الامم على الركب لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا قال نفسى نفسى فعند ذلك تطير القلوب من اماكنها فيقول الرسل من شدة هول المسألة وهول الموطن لا علم لنا انك انت علام الغيوب وترجع اليهم عقولهم فيشهدون على قومهم انهم بلغوهم الرسالة وان قومهم كيف ردوا عليهم فان قيل كيف يصح ذهول العقل مع قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر قيل ان الفزع الاكبر دخول جهنم (قال السعدى) دران روز كز فعل پرسند وقول * اولو العزم راتن بلرزد ز هول * بجايى

كه دهشت خوردانبيا * تو عذركنه راچه دارى بيا * برادرز كاربدان شرم دار * كه دررو ى نيكان شوى شرمسار * سرازجيب غفلت برآوركنون * كه فردا نماند بخجلت نكون * وقيل قولهم لاعلم لنا ليس المقصود منه نفى العلم بجوابهم حال التبليغ ولا وقت حياة الانبياء بل المقصود نفى علمهم بما كان من الامم بعد وفاة الانبياء فى العاقبة وآخر الامر الذى به الاعتبار لان الثواب والعقاب انما يدوران على الخاتمة وذلك غير معلوم لهم فلهذا المعنى قالوا لاعلم لنا وفى الحديث انى على الحوض انظر من يرد على منكم والله ليقطعن دونى رجال فلاقولن اى ربى منى ومن امتى فيقول انك لاتدرى ما احدثوا بعدك مازالوا يرجعون على اعقابهم وهو عبارة عن ارتدادهم اعم من ان يكون من الاعمال الصالحة الى السيئة او من الاسلام الى الكفر وفى الحديث يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وامته فيشهدون انه قد بلغ فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدآء على الناس انما شهد محمد وامته بذلك مع انهم بعد نوح لعلمهم بالقرءان ان الانبياء كلهم قد بلغوا اممهم ما ارسلوا به وقد جاء فى الرواية ثم يؤتى بمحمد فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم فذلك قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا فعلى العاقل ان يجيب الى دعوة الحق وينتصح بنصيحة الناصح الصدق * امروزقدر بندعزيزان شناختم * يارب روان ناصح ما از تو شادباد * واعلم ان القيامة يوم يتجلى الحق فيه بالصفة القهارية قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قال حضرة شيخنا العلامه ابقاه الله بالسلامه هذا ترتيب انيق فان الذات الاحدى يدفع بوحدته الكثرة ويقهره الاثار فيضمحل الكل فلا يبقى سواه تعالى وقيامة العارفين دآئمة لانهم يكاشفون الامور ويشاهدون الاحوال فى كل موطن على ماهى عليه وهى القيامة الكبرى وحشر الخواص بل الاخص اللهم اجعلنا ممن مات بالاختيار قبل الموت بالاضطرار (اذ قال الله يا عيسى بن مريم) اى اذكروا أيها المؤمنون وقت قول الله تعالى لعيسى بن مريم وهو يوم القيامة (اذكر نعمتى) اى انعامى (عليك وعلى والدتك) وليس المراد بأمره عليه السلام يومئذ بذكر النعم تكليف الشكر اذ قد مضى وقته فى الدنيا بل ليكون حجة على من كفر حيث اظهر الله على يده معجزات كثيرة فكذبه طائفة وسموه ساحرا وغلا آخرون فاتخذوه الها فيكون ذلك حسرة وندامة عليهم يوم القيامة والفائدة فى ذكرامه ان الناس تكلموا فيها ما تكلموا ثم عد الله تعالى عليه نعمة نعمة فقال (اذ ايدتك) ظرف لنعمتى اى اذكر انعامى عليكما وقت تأييدى لك (بروح القدس) اى بجبريل الطاهر على ان القدس الطهر واضيف اليه الروح مدحا له بكمال اختصاصه بالطهر كما فى رجل صدق ومعنى تأييده به ان جبريل عليه السلام يجعل حجته ثابتة مقررة (تكلم الناس فى المهد وكهلا) استئناف مبين لتأييده عليه السلام والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سوآء اى من غير أن يوجد تفاوت بين كلامه طفلا وبين كلامه كهلا فى كونه صادرا عن كمال العقل وموافقا لكمال الانبياء والحكماء فانه تكلم حال كونه فى المهد اى فى حجر الام او الذى يربى فيه الطفل بقوله انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وتكلم كهلا بالوحى والنبوة فتكلمه فى تينك الحالتين على حد واحد وصفة واحدة من غير تفاوت معجزة عظيمة حصلت له وما حصلت لاحد من الانبياء قبله ولا بعده وكل معجزة ظهرت منه كما انها نعمة فى حقه فكذلك هى نعمة فى حق امه لانها تدل على برآءة ساحتها مما نسبوها اليه واتهموها به وحمل مريم ما كان من الرجال كسائر النساء وانما كان بروح منه كما قال تعالى ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا فهذه نعمة خاصة بمريم وكذلك ولادة عيسى وخلقته ما كانت من نطف الرجال وانما كانت كلمته ألقاها الى مريم وروح منه فهذه نعمة خاصة بعيسى والكهل من الرجال الذى جاوز الثلاثين ووخطه الشيب اى خالطه وقيل المراد بتكلمه كهلا ان يكلم الناس بعد ان ينزل من السماء فى آخر الزمان بناء على انه رفع قبل ان اكهل فيكون قوله تعالى وكهلا دليلا على نزوله (وروى) ان الله تعالى ارسله وهو ابن ثلاثين سنة فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه وينزل على هذا السن ثم يكهل (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) اى اذكر نعمتى عليكما وقت تعليمى لك جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان بالذكر مع دخولهما فى الجنس اظهارا لشرفهما والمراد بالحكمة العلم والفهم لمعانى الكتب المنزلة واسرارها وقيل هى استكمال النفس بالعلم بها وبالعمل بمقتضاها

(واذ تخلق من الطين كهيئة الطير) اى تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير (باذنى) اى بتسهيلى وتيسيرى (فتنفخ فيها) اى فى الهيئة المصورة (فتكون) اى تلك الهيئة (طيرا باذنى) فالخلق حقيقة لله تعالى ظاهر على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب كما ان النفخ فى مريم كان من جبريل والخلق من الله تعالى سألوا منه عليه السلام على وجه التعنت فقالوا له اخلق لنا خفاشا واجعل فيه روحا ان كنت صادقا فى مقالتك فأخذ طينا وجعل منه خفاشا ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض وانما طلبوا منه خلق خفاش لانه اعجب من سائر الخلق ومن عجائبه انه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور وله ضرع يخرج منه اللبن ولا يبصر فى ضوء النهار ولا فى ظلمة الليل وانما يرى فى ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل ان يسفر جدا ويضحك كما يضحك الانسان ويحيض كما تحيض المرأة فلما رأوا ذلك منه ضحكوا وقالوا هذا سحر (وتبرئ الاكمه والابرص باذنى) الاكمه الذى ولد اعمى والابرص هو الذى به برص اى بياض فى الجلد ولو كان بحيث اذا غرز بابرة لا يخرج منه الدم لا يقبل العلاج ولذا خصا بالذكر وكلاهما مما اعيى الاطباء (وفى المثنوى)

صومعهٔ عيسى است خوان اهل دل * هان هان اى مبتلا اين در مهل * جمع كشتندى ز هر اطراف خلق * از ضرير وشل ولنك واهل دلق * او چو كشتى فارغ از اوراد خويش * چاشتكه بيرون شدى آن خوب كيش * پس دعا كردى وكفتى از خدا * حاجت ومقصود جمله شد روا * بى توقف جمله شادان درامان * از دعاى او شدندى باروان * آزمودى تو بسى آفات خويش * يافتى صحت ازين شاهان كيش * چند آن لنكى تو رهوارشد * چند جانت بى غم وآزار شد (واذ تخرج الموتى باذنى) اى تحيى الموتى وتخرجهم من قبورهم احياء قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية كما سبق تفصيله فى سورة آل عمران قال الكلبى كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى بياحى وياقيوم وهو الاسم الاعظم عند العلماء المحققين (واذ كففت بنى اسرائيل عنك) اى منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك (اذ جئتهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة ظرف لكففت (فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) اى ما هذا الذى جئت به الا سحر ظاهر ردا وانكارا فبقوا على مرض الكفر ولم يعالجوا بعلاج الايمان على يد الحكيم الالهى الحاذق (حكى) عن الشبلى انه اعتل فحمل الى البيمارستان وكتب على بن عيسى الوزير الى الخليفة فى ذلك فأرسل الخليفة اليه مقدم الاطباء ليداويه فما نجحت مداواته قال الطبيب للشبلى والله لو علمت ان مداواتك فى قطعة لحم من جسدى ما عسر على ذلك قال الشبلى دوائى فيما دون ذلك قال الطبيب وما هو قال بقطعك الزنار فقال الطبيب أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فاخبر الخليفة بذلك فبكى وقال نفذنا طبيبا الى مريض وما علمنا انا نفذنا مريضا الى طبيب قال اليافعى هذا هو الطبيب الحاذق وحكمته من الحكمة التى بها العلل تزول وفيه اقول

اذا ما طبيب القلب أصبح جسمه * عليلا فمن ذا للطبيب طبيب

فقل هم اولوا علم لدنى وحكمة * الهية يشفى بذا القلوب

وكل مرشد كامل فهو عيسى وقته فان قلت ان اولياء الله هم الاطباء حقيقة ومن شأن الطبيب ان يعالج ويبرئ دون ان يهلك ويمرض فما شأن ابراهيم الخواص اشار باصبعيه الى عينى رجل فى برية اراد أن يسلب منه ثيابه فسقطتا قلت انما دعا ابراهيم على اللص بالعمى ودعا ابراهيم بن ادهم على الذى ضربه بالجنة لان الخواص شهد من اللص انه لا يتوب الا بعد العقوبة فرأى العقوبة أصلح له وابن ادهم لم يشهد توبة الظالم فى عقوبته فتفضل عليه بالدعاء فتوة منه وكرما فحصلت البركة والخير بدعائه للظالم فجاء مستغفرا معتذرا فقال له ابراهيم الرأس الذى يحتاج الى الاعتذار تركته ببلخ وقد كان الانبياء يدعون مطلقا بحسب الاحوال والمصالح وكل ذلك باذن الله تعالى فهم فى دعائهم فانون عن انانيات وجودهم لا يصدر من لسانهم الا حق مطابق للواقع والحكمة والاولياء تلوا لهم فى ذلك ولكن الناس لا يعلمون (وفى المثنوى) چون يا طن بنكرى دعوى كجاست * او ودعوى پيش آن سلطان فناست * مات زيد زيد اكر فاعل بود * ليك فاعل نيست او عاطل بود * او زروى لفظ نحوى فاعلست * ورنه او مفعول وموتش قاتلست (واذ اوحيت الى الحواريين) جمع حوارى يقال فلان حوارى فلان اى صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وكان بعضهم من الملوك وبعضهم من

صيادى السمك و بعضهم من القصارين و بعضهم من الصباغين اى اذكر يا محمد وقت ان امرتهم على ألسنة رسلى او ألهمت اياهم والقيت فى قلوبهم (ان) مفسرة لما فى الايحاء من معنى القول (آمنوا بى) اى بوحدانيتى فى الربوبية والالوهية (وبرسولى) اى وبرسالة رسولى ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا (قالوا) كأنه قيل فماذا قالوا حين أوحى اليهم ذلك فقيل قالوا (آمنا واشهد بأننا مسلمون) اى مخلصون فى ايماننا من اسلم وجهه لله اى اخلص (اذ قال الحواريون) منصوب باذكر (يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء) هذا السؤال كان فى ابتداء امرهم قبل ان تستحكم معرفتهم بالله ولذلك اساؤا الادب مع عيسى عليه الصلاة والسلام حيث لم يقولوا يا رسول الله او يا روح الله وخاطبوه باسمه ونسبوه الى امه ولو وفقوا للادب لقالوا يا روح الله ونسبوه الى الله ثم رفضوا الادب مع الله وقالوا هل يستطيع ربك كالمتشكك فى استطاعته وكمال قدرته على ما يشاء كيف يشاء ثم اظهروا دناءة همتهم وخساسة نهمتهم اذ طلبوا بواسطة مثل عيسى من الله تعالى مائدة دنيوية فانية وما رغبوا فى فائدة دينية باقية ولو رغبوا فى الفائدة الدينية لنالوا المائدة الدنيوية ايضا قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب والمائدة الخوان الذى عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليها ونظيره قولهم شجرة مطعمة قال فى الشرعة وضع الطعام على الارض أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم على السفرة وهى على الارض والاكل على الخوان فعل الملوك اى آداب الجبارين لئلا يتطأطأوا عند الاكل وعلى المنديل فعل العجم اى أهل فارس من المتكبرين وعلى السفرة فعل العرب وهى فى الاصل طعام يتخذه المسافر للسفر ثم سمى بها الجلد المستدير المحمول هو فيه (قال) كأنه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال (اتقوا الله) اى من امثال هذا السؤال (ان كنتم مؤمنين) اى بكمال قدرته تعالى او بصحة نبوتى (قالوا نريد ان نأكل منها) تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال لا نريد بالسؤال ازالة شبهتنا فى قدرته تعالى على تنزيلها او فى صحة نبوتك حتى يقدح ذلك فى الايمان والتقوى بل نريد أن نأكل منها اى أكل تبرك يشفى بسببها مرضانا ويتقوى بها اصحاؤنا ويستغنى بها فقراؤنا وقيل مرادهم اكل احتياج لانهم قالوا ذلك فى زمن المجاعة والقحط (وتطمئن قلوبنا) لكمال قدرته تعالى بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال (ونعلم) علما يقينا (ان) مخففة اى انه (قد صدقتنا) فى دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل (ونكون عليها من الشاهدين) نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر (قال عيسى بن مريم) لما رأى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها (اللهم) اى يا الله والميم عوض عن حرف النداء وهى كلمة عظيمة من قالها فقد ذكر الله تعالى بجميع اسمائه وفى الميم سبعون اسما من اسمائه تعالى قد اندرجت فيها (ربنا) ناداه سبحانه مرتين اظهارا لغاية التضرع ومبالغة فى الاستدعاء (أنزل علينا مائدة من السماء) متعلق بأنزل (تكون لنا عيدا) صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها عيدا ولنا حال منه اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستفاد من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا (روى) انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا (وآية) كائنة (منك) دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى (وارزقنا) اى المائدة والشكر عليها (وانت خير الرازقين) تذييل جارٍ مجرى التعليل اى خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض (قال الله انى منزلها عليكم) اجابة الى سؤالكم (فمن يكفر بعد) اى بعد تنزيلها (منكم) حال من فاعل يكفر (فانى اعذبه) بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة (عذابا) اسم مصدر بمعنى التعذيب اى تعذيبا (لا اعذبه) صفة لعذابا والضمير له اى اعذبه تعذيبا لا اعذب ذلك التعذيب اى مثل ذلك التعذيب (احدا من العالمين) اى من عالمى زمانهم او من العالمين جميعا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب مثل ذلك غيرهم (روى) ان عيسى عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره ثم دعا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلنى

من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها امثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل الذى عليها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوكة يسيل دسمها وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيى بأذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية فلبثت المائدة يوما واحدا فأكل من أكل منها ثم طارت ولم تنزل بعد ذلك اليوم وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا اى تنزل يوما ولا تنزل يوما يجتمع عليها الفقرآء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفئ طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتى فى الفقرآء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس بذلك اى تعاظم على الاغنياء والاصحاء حتى شكوا وشككوا الناس فى شأن المائدة ونزولها من السماء حقيقة فمسخ منهم من مسخ فأصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة فى الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به وجعل يدعوهم بأسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم فلا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا وكذلك كل ممسوخ والاشارة ان الله تعالى سلخ صورة الانسانية عن حقائق صفات الحيوانية والبسهم الصور من حقائق صفاتهم فمسخوا خنازير ليعتبر الخلق ويتحقق لهم ان الناس يحشرون على صور صفاتهم يوم تبلى السرآئر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه كما قال عليه السلام يموت الناس على ما عاشوا فيه ويحشرون على ما ماتوا عليه يعنى يحشرون على صورة صفاتهم التى ماتوا عليها (وفى المثنوى)

هر خيالى كو كند در دل وطن * روز محشر صورتى خواهد بدن * وانكه حشر حاسدان روز كزند
بى كمان بر صورت كركان كنند * حشر پر حرص وخس ومردارخوار * صورت خوكى بود در روز شمار
زانيانرا كنده اندام نهان * خمرخوارا نراهمه كنده دهان * سيرتى كاندر وجودت غالبست
هم بران تصوير حشرت واجبست * قال القاضى فى تفسيره وعن بعض الصوفية المائدة عبارة عن حقائق المعارف فانها غذآء الروح كما ان الاطعمة غذآء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها وقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحواب فيها فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو أعلى من مقامه لعله لا يتحمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا انتهى كلام القاضى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره ان قوم عيسى عليه السلام عصوا مرة فرفعت المائدة وانا نعصى فى كل وقت مع ان نعم الله تعالى مترادفة وذلك لان المائدة التى نزلت عليهم من مرتبة الصفة والنعم الفائضة علينا من مرتبة الذات وما هو من الذات لا يتغير ولا يتبدل وانما التغير فى الصفة وقد بقى هنا شئ وهو أن الاعياد اربعة لاربعة اقوام احدها عيد قوم ابراهيم كسر الاصنام حين خرج قومه الى عيدلهم والعيد الثانى عيد قوم موسى واليه الاشارة بقوله تعالى فى سورة طه قال موعدكم يوم الزينة والعيد الثالث عيد قوم عيسى واليه الاشارة بقوله تعالى ربنا انزل علينا مائدة الآية والعيد الرابع عيد امة محمد عليه السلام وهو ثلاثة عيد يتكرر كل اسبوع وعيدان يأتيان فى كل عام مرة من غير تكرر فى السنة فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع وهو مرتب على اكمال الصلوات المكتوبات لان الله فرض على المؤمنين فى اليوم والليلة خمس صلوات وان الدنيا تدور على سبعة أيام فكلما كمل دور اسبوع من ايام الدنيا واستكمل المسلمون صلواتهم شرع لهم فى يوم استكمالهم يوم الجمعة وهو اليوم الذى كمل فيه الخلق وفيه خلق آدم وادخل الجنة واخرج منها وفيه ينتهى امر الدنيا فتزول وتقوم الساعة فيه وفيه الاجتماع على سماع الذكر والموعظة وصلاة الجمعة وجعل ذلك لهم عيدا ولذلك نهى عن افراده بالصوم وفى شهود الجمعة شبه من الحج ويروى انها حج المساكين وقال سعيد بن المسيب شهود الجمعة أحب الى من حجة نافلة والتكبير فيها يقوم مقام الهدى على

قدر

قدر السبق وشهود الجمعة يوجب تكفير الذنوب الى الجمعة الاخرى اذا سلم ما بين الجمعتين من الكبائر كما ان الحج المبرور يكفر ذنوب تلك السنة الى الحجة الاخرى وقد روى اذا سلمت الجمعة سلمت الايام واما العيدان اللذان يتكرران فى كل عام انما يأتى كل واحد منهما مرة واحدة فأحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مرتب على اكمال الصيام وهو الركن الثالث من اركان الاسلام ومبانيه فاذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم استوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب وآخره عتق من النار والعيد الثانى عيد النحر وهو اكبر العيدين وأفضلهما وهو مترتب على اكمال الحج وهو الركن الرابع من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون حجهم غفر لهم وانما يكمل الحج يوم عرفة والوقوف بعرفة ركن الحج الاعظم وروى انس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما الفطر والاضحى واجمعت الامة على هذا من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا بلا نكير منكر فهذه اعياد الدنيا تذكر اعياد الآخرة وقد قيل كل يوم كان للمسلمين عيدا فى الدنيا فهو عيدهم فى الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه فيوم الجمعة فى الجنة يدعى يوم المزيد ويوم الفطر والاضحى يجتمع أهل الجمعة فيهما للزيارة هذا لعوام أهل الجنة واما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا والخواص كانت ايام الدنيا كلها لهم اعيادا فصارت ايامهم فى الآخرة كلها أعيادا واما اخص الخواص فكل نفس عيد لهم قال فى التأويلات النجمية ربنا أنزل علينا مائدة من السماء اى مائدة الاسرار والحقائق التى تنزلها من سماء العناية علينا أطعمة الهداية تكون لنا يعنى لاهل الحق وارباب الصدق عيدا نفرح به لاولنا وآخرنا اى لاول انفاسنا وآخرها فان ارباب الحقيقة يراقبون الانفاس اولها وآخرها لتصعد مع الله وتهوى مع الله ففى صعود النفس مع الله يكون عيدا لهم وفى هويه مع الله يكون عيدا لهم (كما قال بالفارسية) صوفيان دردمى دوعيد كنند (واذ قال الله يا عيسى بن مريم) اى اذكر يا محمد للناس وقت قول الله تعالى لعيسى عليه السلام فى الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤوس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته تعالى (ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين) مفعول ثان للاتخاذ (من دون الله) حال من فاعل اتخذونى كأنه قيل صيرونى وامى الهين اى معبودين متجاوزين عن الوهية الله تعالى ومعبوديته والمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما فى قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا لان احدا منهم لم يذهب الى القول بالهية عيسى ومريم مع القول بنفى الهية الله تعالى ولما لم يكن المقصود انكار نفس القول بل قصد توبيخ من قال به ولى حرف الاستفهام المبتدأ ولم يقل كذا لانه يفيد انكار نفس القول قال المولى ابو السعود رحمه الله ليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشى وعليه قوله تعالى ءانت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بأمره عليه السلام او من تلقاء انفسهم كما فى قوله تعالى ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل انتهى قال فى التأويلات النجمية الاثبات بعد الاستفهام نفى كما ان النفى بعد الاستفهام اثبات كقوله ألست بربكم اى انا ربكم ونظير النفى فى الاثبات قوله تعالى ءاله مع الله اى ليس مع الله اله فمعناه ما قلت انت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ولكنهم بجهلهم قد بالغوا فى تعظيمك حتى اطروك وجاوزا حدك فى المدح ولهذا قال النبى عليه السلام لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم انتهى فان قيل ما وجه هذا السؤال مع علمه تعالى ان عيسى عليه الصلاة والسلام لم يقله قيل ذلك لتوبيخ قومه وتعظيم امر هذه المقالة قال ابو روق اذا سمع عيسى هذا الخطاب ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم وهذا الخطاب وان كان ظاهره مع عيسى ولكن كان حقيقة مع الامة لان سنة الله ان لا يكلم الكفار يوم القيامة ولا ينظر اليهم (قال) كأنه قيل فماذا يقول عيسى حينئذ فقيل يقول (سبحانك) علم للتسبيح اى انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال فى حقك ذلك (ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق) اى ما يستقيم وما ينبغى لى ان اقول قولا لا يحق لى ان اقوله (ان كنت قلته) اى هذا القول (فقد علمته) لانى لا اقدر على هذا القول الا بان توجده فى وتكونه بقولك كن فصدوره عنى مستلزم لعلمك به قطعا فحيث انتفى العلم انتفى الصدور حتما ضرورة ان عدم

اللازم مستلزم لعدم الملزوم (تعلم ما فى نفسى) اى ما اخفيه فى نفسى كما تعلم ما اعلنه (ولا اعلم ما فى نفسك) اى ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك فعبر عما يخفيه الله من معلوماته بقوله ما فى نفسك للمشاكلة لوقوعه فى صحبة قوله تعلم ما فى نفسى فان معلومات الانسان مختفية فى نفسه بمعنى كون صورها مرتسمة فيها بخلاف معلومات الله تعالى فان علمه تعالى حضورى لا تنقطع صورة شئ منها فى ذاته فلا يصح ان يحمل النفس على المعنى المتبادر (انك انت علام الغيوب) ما كان وما يكون (ما قلت لهم الا ما امرتنى به) تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه اى ما امرتهم الا ما امرتنى به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد فى الاستفهام (ان اعبدوا الله ربى وربكم) تفسير للضمير فى به وفى امرت معنى القول وليس تفسيرا لما فى قوله ما امرتنى لانه مفعول لصريح القول والتقدير الا ما امرتنى به بلفظ هو قولك ان اعبدوا الله ربى وربكم (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا اراعى احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان (ما دمت فيهم) اى مدة دوامى فيما بينهم (فلما توفيتنى) اى قبضتنى اليك من بينهم ورفعتنى الى السماء (كنت انت الرقيب عليهم) اى انت لا غيرك كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب لها فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا (وانت على كل شئ شهيد) مطلع عليه مراقب له فعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة (ان تعذبهم فانهم عبادك) اى فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا التعذيب حيث عبدوا غيره تعالى (وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) اى فلا عجز ولا استقباح فانك القادر والقوى على الثواب والعقاب الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل فان قلت مغفرة المشرك قطعية الانتفاء بحسب الوجود وتعذيبه قطعى الوجود فما معنى ان المستعمل فيما كان كل واحد من جانبى وجوده وعدمه جائزا محتمل الوقوع قلت كون غفران المشرك قطعى الانتفاء بحسب الوجود لا ينافى كونه جائز الوجود بحسب العقل فصح استعمال كلمة ان فيهما لانه يكفى فى صحة استعمالها مجرد الامكان الذاتى والجواز العقلى وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان تعذبهم اى من كفر منهم وان تغفر لهم اى من آمن منهم (روى) انه لما نزلت هذه الآية احيى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ليلته وكان بها يقوم وبها يقعد وبها يسجد ثم قال امتى امتى يا رب فبكى فنزل جبرائيل عليه السلام فقال الله يقرئك السلام ويقول لك انا سنرضيك فى امتك ولا نسوءك (قال الله) اى يقول الله تعالى يوم القيامة عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه فى ضمن بيان حال الصادقين الذين هو فى زمرتهم (هذا) اى يوم القيامة وهو مبتدأ وخبره ما بعده (يوم ينفع الصادقين صدقهم) المراد الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف فالجانى المعترف يوم القيامة بجنايته لا ينفعه اعترافه وصدقه وكذا الجانى المعترف فى الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه فانه ليس المراد كل من صدق فى اى شئ كان بل فى الامور الدينية التى معظمها التوحيد الذى نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة به والصادقون الرسل الناطقون بالصدق الداعون الى ذلك والامم المصدقون لهم المقتدون بهم عقدا وعملا (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) كأنه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وهو الفوز الكبير قوله ابدا اى الى الابد تأكيد للخلود يعنى بالفارسية * زمان بود ايشان نهايت ندارد (رضى الله عنهم) بالطاعة (ورضوا عنه) بنيل الكرامة والرضوان فيض زائد على الجنات لا غاية وراءه ولذلك قال تعالى (ذلك) اى نيل الرضوان (هو الفوز العظيم) اى النجاة الوافرة وحقيقة الفوز نيل المراد وانما عظم الفوز لعظم شأن المطلوب الذى تعلق به الفوز وهو الرضى الذى لا مطلب وراءه اصلا (لله ملك السموات والارض وما فيهن) تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا فى حق المسيح وامه اى له تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واماتة واحياء وامرا ونهيا من غير أن يكون لشئ من الاشياء مدخل فى ذلك (وهو على كل شئ قدير) بالغ فى القدرة منزه عن العجز والضعف ومقدس تبارك وتعالى وتقدس * نيست خلقش را دكر كس مالكى * شركتش دعوى كند چون هالكى * واحد اندر ملك او را يار نى * بندكانش را جز او سالار نى * واعلم ان الآية نطقت بنفع

الصدق يوم القيامة فلا ينفع الكذب والرياء بوجه من الوجوه أصلا * دلا دلات خبرت كنم براه نجات * مكن بفسق مباهات وزهد هم مفروش * فعلى العاقل ان يجتهد فى طريق الصدق فان الصدق بعد الايمان يجر الى الاحسان وقبل الايمان الى الايمان كما حكى عن ابراهيم الخواص قدس سره انه كان اذا اراد سفرا لم يعلم احدا ولم يذكره وانما يأخذ ركوته ويمشى قال حامد الاسود فبينما نحن معه فى مسجد اذ تناول ركوته ومشى فاتبعته فلما وافينا القادسية قال لى يا حامد الى اين قلت يا سيدى خرجت بخروجك قال انا اريد مكة ان شاء الله تعالى قلت وانا اريد مكة ان شاء الله تعالى فلما كان بعد ايام اذا بشاب قد انضم الينا فمشى يوما وليلة معنا لا يسجد لله تعالى سجدة فتقربت من ابراهيم وقلت ان هذا الغلام لا يصلى فجلس وقال يا غلام مالك لا تصلى والصلاة اوجب عليك من الحج فقال يا شيخ ما على صلاة قلت ألست بمسلم قال لا قلت فاى شئ انت قال نصرانى ولكن اشارتى فى النصرانية الى التوكل وادعت نفسى انها احكمت حال التوكل فلم اصدقها فيما ادعت حتى اخرجتها الى هذه الفلاة التى ليس فيها موجود غير المعبود اثير ساكنى وامتحن خاطرى فقام ابراهيم ومشى وقال دعه معك فلم يزل سائرا معنا حتى وافينا بطن مرو فقام ابراهيم ونزع خلقانه فطهرها بالماء ثم جلس وقال له ما اسمك قال عبد المسيح فقال يا عبد المسيح هذا دهليز مكة يعنى الحرم وقد حرم الله على امثالك الدخول اليه قال الله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والذى اردت ان تكشف من نفسك قد بان لك فاحذر أن تدخل مكة فان رأيناك بمكة انكرنا عليك قال حامد فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا الى الموقف فبينما نحن جلوس بعرفات اذا به قد اقبل عليه ثوبان وهو محرم يتصفح وجوه الناس حتى وقف علينا فاكب على ابراهيم فقبل رأسه فقال له ما وراءك يا عبد المسيح فقال له هيهات انا اليوم عبد من المسيح عبده فقال له ابراهيم حدثنى حديثك قال جلست مكانى حتى اقبلت قافلة الحاج فقمت وتنكرت فى زى المسلمين كأنى محرم فساعة وقعت عينى على الكعبة اضمحل عندى كل دين سوى دين الاسلام فأسلمت فاغتسلت واحرمت وها انا اطلبك يومى فالتفت الى ابراهيم وقال يا حامد انظر الى بركة الصدق فى النصرانية كيف هداه الى الاسلام ثم صحبناه حتى مات بين الفقراء رحمه الله سبحانه وتعالى

سلام على ذى الوجد من كل عاشق * سلام على السادات من كل صادق
سلام على الناجين من كل كافة * سلام على ذى الصحو من سكر غفلة
سلام على من فات من قبل فوته * سلام على من مات من قبل موته

اللهم اجعلنا من الناجين فانا من زمرة المحتاجين آمين يا معين

تمت سورة المائدة مع ما فيها من الفائدة والحمد لله على نعمه المتوافرة والصلاة على رسوله وآله صلاة متكاثرة وذلك فى اليوم الثالث من شهر الله المحرم المنتظم فى سلك سنة ألف ومائة ويتلوها سورة الانعام وهى مكية وآيها مائة وخمس وستون وقيل ست آيات اوثلاث من قوله قل تعالوا مدنية ومن الله ارجوا اتمامه بفضله وكرمه وهو قاضى الحاجات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة الانعام نزلت بمكة جملة واحدة ليلا معها سبعون الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين ولهم زجل اى صوت بالتسبيح والتحميد والتمجيد حتى كادت الارض ترتج فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان ربى العظيم سبحان ربى العظيم وخر ساجدا وروى عنه مرفوعا من قرأ سورة الانعام يصلى عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره ثم دعا عليه السلام بالكتاب وامر بكتابتها من ليلته تلك وروى عنه عليه السلام مرفوعا من قرأ ثلاث آيات من اول سورة الانعام الى قوله تكسبون حين يصبح وكل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل اعمالهم الى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد كلما اراد الشيطان ان يلقى فى قلبه شيأ من الشر ضربه بها وجعل بينه وبين الشيطان سبعين الف حجاب فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى يا ابن آدم امش تحت ظلى وكل من ثمار جنتى واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فأنت عبدى وانا ربك لا حساب عليك ولا عذاب كذا رواه الامام الواحدى فى الوسيط (الحمد لله) الالف واللام فى الحمد لاستغراق الجنس واللام فى لله للاختصاص لانه تعالى قال بربهم يعدلون ودفع تسويتهم بربهم مما جعل مقصودا بالذات

وفى التأويلات النجمية اللام لام التمليك يعنى كل حمد يحمده أهل السموات والارض فى الدنيا والآخرة ملك له وهو الذى اعطاهم استعداد الحمد ليحمدوه بآثار قدرته على قدر استعدادهم واستطاعتهم لكن حمد الخلق له مخلوق فان وحمده لنفسه قديم باق فان قيل أليس شكر المنعم واجبا مثل شكر الاستاذ على تعليمه وشكر السلطان على عدله وشكر المحسن على احسانه قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله فالجواب ان الحمد والتعظيم المتعلق بالعبد المنعم نظرا الى وصول النعمة من قبله وهو فى الحقيقة راجع اليه تعالى لانه تعالى لو لم يخلق نفس تلك النعمة ولو لم يحدث داعية الاحسان فى قلب العبد المحسن لما قدر ذلك العبد على الاحسان والانعام فلا محسن فى الحقيقة الا الله ولا مستحق للحمد الا هو تعالى وفى تعليق الحمد باسم الذات المستجمع لجميع الصفات اشارة الى انه المستحق له بذاته سواء حمده حامد اولم يحمده قال البغوى حمد الله نفسه تعليما لعباده اى احمدوه (وفى المثنوى) چونكه آن خلاق شكر وحمد جوست * آدمى را مدح جويى نيز خوست * خاصه مرد حق كه در فضلست جست * پر شود زان باد چون خيك درست * ورنباشد اهل زان باد دروغ * خيك بدريست كى باشد فروغ (الذى خلق السموات) بما فيهما من الشمس والقمر والنجوم (والارض) بما فيهما من البر والبحر والسهل والجبل والنبات والشجر خلق السموات وما فيها فى يومين يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الارض وما فيها فى يومين يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وفى تعليق الحمد بالخلق تنبيه على استحقاقه تعالى باعتبار افعاله وآلائه ايضا وتخصيص خلق السموات والارض بالذكر لانهما اعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبرة والمنافع لهم وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات قالوا ما بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام السماء الدنيا موج مكفوف اى متصادم بعضه على بعض يمنع بعضه بعضا اى ممنوع من السيلان والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديدة والرابعة نحاس اوصفر والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء واما الارض فهى تراب لاغير والاكثرون على تفضيل الارض على السماء لان الانبياء خلقوا من الارض وعبدوا فيها ودفنوا فيها وان الارض دار الخلافة ومزرعة الآخرة وأفضل البقاع على وجه الارض البقعة التى ضمت جسم الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم فى المدينة المنورة لان الجزء الاصلى من التراب محل قبره صلى الله عليه وسلم ثم بقعة الحرم المكى ثم بيت المقدس والشام منه ثم الكوفة وهى حرم رابع وبغداد منه (وجعل الظلمات والنور) الجعل هو الانشاء والابداء كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما فى الآية الكريمة وللتشريعى ايضا كما فى قوله ما جعل الله من بحيرة الآية اى ما شرع وما سن وجمع الظلمات لكثرة اسبابها فان سببها تخلل الجرم الكثيف بين النير والمحل المظلم وذلك التخلل يتكثر بتكثر الاجرام المتخللة بخلاف النور فان سببه ليس الا النار حتى ان الكواكب منيرة بنارية فيها فهى اجرام نارية وان الشهب منفصلة من نار الكوكب قال الحدادى وانما جمع الظلمات ووحد النور لان النور يتعدى والظلمة لا تتعدى (روى) ان هذه الآية نزلت تكذيبا للمجوس فى قولهم الله خالق النور والشيطان خالق الظلمات وفى التيسير انه رد على الثنوية فى اضافتهم خلق النور الى يزدان وخلق الظلمات الى اهرمن وعلى ذلك خالق كل خير وشر (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على الجملة السابقة وثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية بطلانه والباء متعلقة بيعدلون وقدم المعمول على العامل للاهتمام وتحقيق الاستبعاد ويعدلون من العدل وهو التسوية يقال عدلت هذا بهذا اذا ساويته والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اى يسوون به غيره فى العبادة التى هى اقصى غايات الشكر الذى رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشئ من مبادى الحمد والاشارة ان الله تعالى خلق سموات القلوب وارض النفوس وجعل الظلمات فى النفوس وهى صفاتها البهيمية والحيوانية واخلاقها السبعية والشيطانية والنور فى القلوب وهو صفاتها الملكية واخلاقها الروحانية الباقية فمن غلب عليه النور وهو صفة الملكية الروحانية يميل الى عبودية الحق تعالى ويقبل دعوة الانبياء ويؤمن بالله ورسوله ويتحلى بحلية الشريعة فالله تعالى يكون وليه فيخرجه من ظلمات الصفات الخلقية الحيوانية الى الصفات الملكية كقوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ومن غلب

عليه الظلمات البشرية الحيوانية واتبع طاغوت الهوى واستلذ بشهوات الدنيا فالطاغوت يكون وليه فيخرجه من نور الصفات الروحانية الى ظلمات الصفات الحيوانية كقوله تعالى والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فهذا معنى قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون يعنى بعد ان خلق سموات القلوب وارض النفوس وجعل فيهن الظلمات النفسانية والنور الروحانى مال نفوس الكفار بغلبات صفاتها الى طاغوت الهوى فعبدوه وجعلوه عديلا لربهم كذا فى التأويلات النجمية (حكى) انه جاء جماعة من فقهاء اليمن الى الشيخ العارف بالله ابى الغيث ابن جيل قدس سره يمتحنونه فى شئ فلما دنوا منه قال مرحبا بعبيد عبدى فاستعظموا ذلك فلحقوا شيخ الطريقين وامام الفريقين ابا الذبيح اسمعيل بن محمد الحضرمى قدس سره فاخبروه بما قاله الشيخ ابو الغيث المذكور لهم فضحك وقال صدق الشيخ أنتم عبيد الهوى والهوى عبده * غلام همت آنم كه زير چرخ كبود * زهرچه رنك تعلق پذيرد آزادست (هو) اى الله تعالى (الذى خلقكم) اى ابتدأ خلقكم أيها الناس (من طين) اى تراب مخلوط بالماء فانه المادة الاولى للكل لما انه منشأ لآدم الذى هو أصل البشر قال السدى بعث الله جبريل الى الارض ليأتيه بطائفة منها فقالت الارض انى اعوذ بالله منك ان تنقص منى فرجع جبرآئيل ولم يأخذ شيأ * معدن شرم وحيا بد جبرآئيل * بست آن سوكندها بروى سبيل * قال يارب انها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت كالمرة الاولى فرجع * خاك لرزيد ودرآمد دركريز * كشت اولابه كنان واشك ريز * رفت ميكائيل سوى رب دين * خالى ازمقصود دست وآستين * كفت اسرافيل رايزدان ما * كه برو زان خاك پركن كف بيا * آمد اسرافيل هم سوى زمين * بازآغازيد خاكستان حنين * زود اسرافيل باز آمد بشاه * كفت عذر ماجرا نزد اله * فبعث ملك الموت فعاذت منه بالله فقال وانا اعوذ بالله ان اخالف امره فأخذ من وجه الارض فخلط الحمرآء والسودآء والبيضاء فلذلك اختلف الوان بن آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلف اخلاقهم فقال الله تعالى لملك الموت رحم جبرآئيل وميكائيل الارض ولم ترحمها لاجرم اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك * كفت يزدانش بعلم روشنم * كه تراجلاد اين خلقان كنم * وروى عن ابى هريرة خلق الله آدم من تراب وجعله طينا ثم تركه حتى كان حمأ مسنونا اى اسود متغيرا منتنا ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالا كالفخار اى يابسا مصوتا كالمطبوخ بالنار ثم نفخ فيه من روحه وانما خلق من تراب لان مقام التراب مقام التواضع والمسكنة ومقام التواضع الرفعة والثبات ولذا ورد من تواضع رفعه الله وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم احينى مسكينا وامتنى مسكينا وهو الحكمة فى تعذيب الانسان بالنار لا بالماء لان الظرف المعمول من التراب اذا تنجس ببول اوقذر آخر لا يطهر بالماء فالانسان المتنجس بنجاسة المعاصى لا يطهر الا بالنار وهو الحكمة ايضا فى التيمم عند عدم الماء ويقبر كل جسد فى الموضع الذى اخذت منه طينته التى خمرت فى اول نشأة ابناء آدم عليه السلام قال الامام مالك لا اعرف اكبر فضل لابى بكر وعمر رضى الله عنهما من انهما خلقا من طينة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقرب قبرهما من حضرة الروضة المقدسة المفضلة على الاكوان بأسرها زادها الله تشريفا وتعظيما ومهابة (ثم قضى) اى كتب لموت كل واحد منكم (اجلا) خاصا به اى حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم (واجل مسمى) اى حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ خبره قوله (عنده) اى مثبت معين فى علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد فى اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هى باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم فى القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما ان مدار التسمية فى الاجل الاول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل فى اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن اولها قال حكماء الاسلام ان لكل انسان اجلين احدهما الآجال الطبيعية والثانى الآجال الاخترامية اما الآجال الطبيعية فهو الذى لو بقى الشخص على طبيعته ومزاجه ولم يعترضه العوارض الخارجية والآفات المهلكة لانتهت مدة بقائه الى ان تحلل رطوبته وتنطفئ حرارته الغريزيتان واما الآجال الاخترامية فهى التى تحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالحرق والغرق ولدغ الحشرات وغيرها من الامور المنفصلة قال بعض الافاضل الاجل هو الوقت المضروب لطريان الزوال على كل ذى روح ولا يطرأ عليه الا عند

حلول ذلك الوقت لا يتأخر عنه ولا يسبقه كما يدل عليه قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون فان قلت قوله تعالى واتقوا الله واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى صريح فى الدلالة على السبق على المسمى قلت تعدد الاجل انما هو بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فهو واحد قطعا تحقيقه انه تعالى عالم فى الازل كل الموجودات ومقدر لها حسبما شمله علمه فهو يقول فى الازل مثلا ان فلانا ان اتقى واطاع يبلغ الى اجله المسمى والمراد بالاجل ههنا الاجل الثانى الاطول وتوصيفه بالمسمية ليس للتخصيص لان الاجل المسمى على كل حال وان لم يتق ولم يطع لم يبلغ هذه المرتبة لكن يعلم انه يفعل احد الفعلين معينا فيقدر له الاجل المعين فيكون المقدر فى علم الله الاجل المعين وانا العدم اطلاعنا فى علم الله تعالى لم نعلم ان ذلك الفلان اى الفعلين فعل وايما الاجلين قضى له فاذا فعل احدهما المعين وحل الاجل المرتب عليه علمنا ان ذلك هو المقدر المسمى فالتردد بالنسبة الينا لا فى التقدير والا يلزم ان لا يكون علم الله تعالى بما فعل العبد قبل الوقوع وعلى هذا قول الله للكافر اسلم تدخل الجنة ولا تكفر تدخل النار مع علمه وتقديره عدم اسلامه فى الازل والامر والنهى لاظهار الاطاعة او المخالفة فى الظاهر كمن يريد اظهار عدم اطاعة عبده له للحاضرين فيأمره بشئ وهو يعلم انه لا يفعله والعلم بعدم الاطاعة للحاضرين المترددين انما يحصل بأمره وكذا صورة الطاعة وجميع المقدرات الالهية من افعال العباد الاختيارية من هذا القبيل فظهر ان التردد بالنسبة الينا دون علم الله الا ان يطلعنا عليه باخباره الواقع فى علمه كما اطلع نبيه عليه السلام على بعض ما وقع من حال الكفار فى زمانه بقوله ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله ختم الله على قلوبهم وقوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون فهذا اخبار بما فى علمه من انهم لا يختارون الايمان هذا غاية ما يقال فى هذا المقام والعلم عند الله الملك العلام (ثم انتم تمترون) استبعاد لامترائهم فى البعث بعد ما تبين انه تعالى خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا والمرية هى الشك المجتلب بالشبهة اصلها من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها للبدر لبنها للحلب والمرى استخراج اللبن من الضرع قال ابو السعود وصفهم بالامتراء الذى هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور فى اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار واعلم ان الانسان وقت كونه نطفة ينكر صيرورته بشرا سويا فى الزمان الآتى وعند تصوره بصورة البشر يلزمه الحجة فانكاره الحشر انكار عين ما كان فيه * پس مثال تو چو آن حلقه زنيست * كز درونش خواجه كويد خواجه نيست * حلقه زن زين نيست در يابدكه هست * پس ز حلقه برندارد هيچ دست * پس هم انكارت مبين ميكند * كز جماد او حشر صد فن ميكند * والاشارة ان الله تعالى قضى للروح من حكمته اجلا لايام فراقه عن الحضرة وبعده عن وطنه الحقيقى واجل مسمى عنده وهو اجل الوصلة بعد الفرقة فى مقام العندية كقوله فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فلاجل الفرقة مدى ومنتهى ولاجل الوصلة لا مدى ولا منتهى وانما قال مسمى لان وقت الوصلة مسمى عنده وهو حين يجذبه اليه بجذبة ارجعى الى ربك ولايام الوصلة ابتداء وهو حين تطلع شمس التوحيد من مشرق القلوب الى ان تبلغ حد استواء الوحدة ثم تستمر مد فلا غروب لها ثم انتم تمترون يا أهل الوصلة كما يمترى أهل الفرقة هذا محال جدا فعلى العاقل الاجتهاد قبل حلول الاجل والتهيئ للوصول بحسن التوجه والعمل قال بعض المشايخ من ضيع حكم وقته فهو جاهل ومن قصر فيه فهو غافل وفى الحديث ان لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان كانوا اعقل الناس كان همهم المسابقة الى ربهم عز وجل والمسارعة الى ما يرضيه زهدوا فى الدنيا وفى فضولها وفى رياستها ونعيمها فهانت عليهم فصبروا قليلا واستراحوا طويلا (روى) ان السرى السقطى قدس سره دخل عليه ابو القاسم الجنيد قدس سره وهو يبكى فقال له ما يبكيك قال جاءتنى البارحة الصبية فقالت يا ابت هذه ليلة حارة وهذا الكوز تعلقه ههنا قال السرى فغلبتنى عيناى فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء فقلت لمن أنت قالت لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان فتناولت الكوز وضربت به الارض قال الجنيد فرأيت الخزف المكسور ولم يرفعه حتى عفا عليه التراب يا هذا انظر الى تركهم النعيم لم يرضوا لانفسهم ان يشربوا ماء باردا او يأكلوا طعاما لذيذا لحين راقبوا الاوقات عوضهم الله حالات خارجة عن حسابات

الساعات فلا انتهاء لاذواقهم اصلا (وهو) اى الله تعالى، مبتدأ خبره قوله (الله) باعتبار المعنى الوصفى اى المعبود ولذا تعلق به قوله (فى السموات وفى الارض) والمعنى وهو المعبود والمستحق للعبادة فيهما ولا يلزم من كونه تعالى معبودا فيهما كونه متحيزا فيهما فانه منزه عن الزمان والمكان يروى ان امام الحرمين استاذ الامام الغزالى نزل ببعض الاكابر ضيفا فاجتمع عنده العلماء والاكابر فقام واحد من أهل المجلس فقال ما الدليل على تنزهه عن المكان وهو قال الرحمن على العرش استوى فقال الدليل عليه قول يونس فى بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فتعجب منه الناظرون فالتمس صاحب الضيافة بيانه فقال الامام ان ههنا فقيرا مديونا بألف درهم أدّ عنه دينه حتى ابينه فقبل صاحب الضيافة دينه فقال ان رسول الله لما ذهب فى المعراج الى ماشاء الله من العلى قال هنالك لا احصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك ولما ابتلى يونس عليه السلام بالظلمات فى قعر البحر ببطن الحوت قال لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فكل منهما خاطبه بقوله أنت وهو خطاب الحضور ولو كان هو فى مكان لما صح ذلك فدل ذلك على انه ليس فى مكان (يعلم سركم وجهركم) خبر ثان اى ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال (ويعلم ما تكسبون) اى ما تفعلون لجلب نفع اودفع ضرر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا اوعلانية فيجازيكم على كل ذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر وفى التأويلات النجمية وهو الله فى سموات الوجود وفى ارض النفوس يعلم سركم الذى اودع فيكم وهو سر الخلافة الذى اختص به الانسان لقبول الفيض الالهى وجهركم اى ماهو ظاهر منكم من الصفات الحيوانية والاحوال النفسانية ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد السرى والجهرى فى المأمورات والمنهيات من الخير والشر وقد خص الانسان بهذا الكسب ايضا دون الملك والحيوان فان الملك لا يقدران يكتسب من الصفات الحيوانية شيأ ولا الحيوان قادر على ان يكتسب من الصفات الملكية شيأ والانسان متصرف فى هاتين الصفتين وله اكتساب التخلق باخلاق الله بالتقرب الى الله باداء ما افترض عليه والتزام النوافل واجتناب النواهى الى ان يصير من خير البرية وله ايضا ان يكتسب من الشر ما يصير به شر البرية انتهى قال حسين الواعظ الكاشفى فى تفسيره الفارسى * درنقد النصوص فرموده كه انسان مرآتيست ذات وجهين دريك روى بش خصائص ربوبيت ودر روى ديكر نقايص عبوديت چون خصايص نكرى ازهمه موجودات بزركوارترو چون نقايص عبوديت شمارى ازهمه خوارترو بمقدارتر * چون درخودازاوصاف تو يابم اثرى * حاشا كه بود نكوتر ازمن دكرى * وآندم كه فتد بجمال خويشم نظرى * درهردوجهان نباشد ازمن بترى * پس حق سبحانه وتعالى مى فرمايدكه من اسرار خصائص شمادرتبه غيب ميدانم وآثار نقايص شمادرعالم شهادت مى شناسم وديكرميدانم آنچه شمامكينيد ازعلى كه سبب ترقى باشدبردرجات انسانيه ياموجب تنزل بدركات حيوانيه ودانستن اين داناى سالك رابران داردكه باصلاح وتزكيه اعمال مشغول شده ازحيز استيفاء حظوظ حيوانى بذروهٔ استئناس بانعيم روحانى متصاعد كردد * حيف باشدكه عمرانسانى * چون بهايم بخواب وخوركذرد * آدمى ميتواندازكوشش * كه مقام فرشته دركذرد * انتهى قال شيخنا العلامه ابقاه الله بالسلامه عند تأويل الحديث القدسى سر الانسان سرى وسرى سره يعنى سره ظاهرسرى وصورة سرى وسرى باطن سره وحقيقة سره ثم قال واعلم ان سر الانسان عبارة عن الحقيقة الانسانية الطاهرة على صورة الحقيقة الالهية كما قال عليه السلام خلق الله آدم على صورته ولما نزلت تلك الحقيقة الانسانية من مرتبة الغيب الى منزلة الشهادة وتجلى لها الحق سبحانه بجماله وجلاله اودع فى جانبها الشرقى نور جماله وجانبها الغربى ظلمة جلاله واقام فى الاول ملكا يهدى الى الحق وفى الثانى شيطانا يدعو الى الباطل والملك سادن قبضة الجمال ويد اللطف والشيطان خادم قبضة الجلال ويد القهر واذا اراد الحق ان يصرف تلك الحقيقة الانسانية الى الحق يأمر الملك ان يلهمها اياه فتراه بالنور الالهى الجمالى الذى فاض من تجلى الجمال فتتبعه وتقبله وتكون روحا مادام وتكون على الحق ثابتة ويصير قالبها الذى هو لوحه فى اثبات الحق قلبا ترتعى فى روضته ويتجلى لها الحق سبحانه بالتجليات الجمالية والالطاف الخالصة المورثة طمأنينتها وسكينتها وتكون على الاستسلام والطاعة والصبر والرضى وغير ذلك من الاخلاق الحميدة واما اذا اراد ان يصرفها الى الباطل فيخلى بينها وبين الشيطان فيلقنها اياه فلا تراه ولا تفهمه اى لا تعلم انه باطل يحجبها عن الحق لان الظلمة الحاصلة

من تجلي الجلال تمنعها عن ذلك فلا تجتنبه بل تأخذه وتصير نفسا مظلمة بعد كونها روحانيا نورانيا فتجريه
فى قالبها الذى هو محل لذلك ويكون ذلك القالب طبيعة مظلمة بعد كونه قلبا نورانيا فيتجلى الحق
تعالى بالتجليات الجلالية والاحوال القهرية التى تورث الاضطراب وعدم الاستسلام فتكون على المخالفة
والاعراض وتتصف بالاوصاف الذميمة بعد الاتصاف بالحميدة هكذا الى آخر الامر اذ ذلك سنته القديمة
وعادته الازلية الى ماشاء الله تعالى فانه اذا اراد بعبده خيرا يفقهه فى الدين ويجذبه الى نفسه مما سواه ولا يسلط
الشيطان عليه كما قال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان بل للملائكة السادنة لقبضة الجمال عليهم سلطان
بسلطانى عليهم واحكام القبضتين جارية فى العوالم فى الانفس والآفاق على ايدى سدنتهما الى تمام الامر
والحكم فى التقلب للغالب انتهى كلام حضرة الشيخ قدس سره وهو الذى ما جاء مثله بعد الصدر القنوى والله اعلم
اللهم اجعلنى من تابعيه حقيقة ومتبعيه شريعة وطريقة (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) ما نافية ومن
الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية والمراد بالآيات اما الآيات التنزيلية
فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل الى أهل مكة آية من الآيات القرآنية (الا كانوا عنها معرضين) غير ملتفتين
اى على وجه التكذيب والاستهزاء واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات
فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية الدالة على وحدانية الله تعالى الا كانوا عنها
معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى الى الايمان بمكونها وعن متعلقة بمعرضين والجملة فى محل النصب على
انها حال من مفعول تأتى فيها دلالة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له فى آن الاتيان كما يفصح
عنه كلمة لما فى قوله تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) فان الحق عبارة عن القرآن الذى اعرضوا عنه حيث
اعرضوا عن كل آية منه وعبر عنه بذلك لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شئ مغاير له فى الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان
الاول عين الثانى حقيقة وانما الترتيب بسبب التغاير الاعتبارى كما فى قوله تعالى فقد جاؤا ظلما وزورا بعد قوله
تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاؤه اى فعلوه من الظلم والزور
عين قولهم المحكى لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم
تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق لما كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج
اللازم البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد بذلك لكونه بلا تأمل تأكيدا لشناعته والمعنى
انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه أصلا من غير ان يتدبروا فى حاله
ومآله (فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن) سوف لتأكيد مضمون الجملة والانباء جمع نبأ وهو الخبر الذى
له عظم وشأن وما عبارة عن الحق المذكور وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة اى سيعلمون
ما يؤول اليه عاقبة استهزائهم بالآيات فقتلهم الله يوم بدر بالسيف (ألم يروا) لما ذكر تعالى قبائحهم من الاعراض
والتكذيب والاستهزاء اتبعه بما يجرى مجرى الموعظة فوعظهم بالقرون الماضية فقال الم يروا وهمزة الانكار
لتقرير الرؤية وهى عرفانية مستدعية لمفعول واحد والضمير لاهل مكة اى ألم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع
الاخبار (كم) عبارة عن الاشخاص استفهامية كانت اوخبرية (أهلكنا من قبلهم) من متعلقة
باهلكنا والمراد من قبل خلق أهل مكة اومن قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
(من قرن) مميز لكم عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما فى قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم واراد بالقرن الاول الصحابة وبالثانى التابعين
وبالثالث تابع التابعين وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان ثمانين سنة اوسبعين اوستين اواربعين اوثلاثين
اومائة فالمضاف على هذا محذوف اى من اهل قرن لان نفس الزمان لا يتعلق به الاهلاك (مكناهم فى الارض)
استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان
ذلك فقيل مكناهم وتمكين الشئ فى الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما
فقيل تارة مكنه فى الارض واخرى مكن له فى الارض حتى اجرى كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى
(مالم نمكن لكم) بعد قوله تعالى مكناهم فى الارض كأنه قيل فى الاول مكنا لهم وفى الثانى مالم نمكنكم

وما نكرة موصوفة بالجملة المنفية بعدها والعائد محذوف محلها النصب على المصدرية اى مكناهم تمكينا لم
نمكنه لكم و يحتمل ان يكون مفعولا به لمكناهم على المعنى لان معنى مكناهم اعطيناهم اى اعطيناهم مالم
نعطكم (وارسلنا السماء) اى المطر او السحاب (عليهم) متعلق بارسلنا (مدرارا) مغزارا اى كثير الدرور
والصب وهو حال من السماء قال ابن الشيخ المدرار مفعال وهو من ابنية المبالغة للفاعل كامرأة مذكار ومئناث
واصله من در اللبن درورا وهو كثرة وروده على الحالب يقال سحاب مدرار ومطر مدرار اذا تتابع منه المطر
فى اوقات الاحتياج اليه (وجعلنا الانهار) اى صيرناها (تجرى من تحتهم) اى من تحت اشجارهم ومساكنهم
وقصورهم والمعنى اعطيناهم من البسط فى الاجسام والامتداد فى الاعمار والسعة من الاموال والاستظهار
باسباب الدنيا فى استجلاب المنافع واستدفاع المضار لم مانعط اهل مكة ففعلوا مافعلوا من الكفران والعصيان
(فاهلكناهم بذنوبهم) اى اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب مايخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك
العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب (وانشأنا من بعدهم) اى احدثنا من بعد اهلاك
كل قرن (قرنا آخرين) بدلا من الهالكين وهو لبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ماذكر من اهلاك الامم
الكثيرة لم ينقص من ملكه شيأ بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى يعمر بهم بلاده ومن عادته تعالى اذهاب
اهل الظلم بعد الامهال ومجيئه باهل العدل والانصاف ونفى اهل الرياء والسمعة واثبات اهل الصدق
والاخلاص ولن يزال الناس من اهل الخير فى كل عصر وعن ابى الدرداء رضى الله عنه انه قال ان لله عبادا
يقال لهم الابدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع
وحسن النية وسلامة الصدر والرحمة بجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم اربعون
رجلا على مثل قلب ابراهيم عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشأ من يخلفه واعلم انهم
لا يسبون شيأ ولا يلعنون ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم اطيب الناس خبرا والينهم
عريكة واسخاهم نفسا لا تدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم انما قلوبهم تصعد
فى السقوف العلى ارتياحا الى الله تعالى فى استباق الخيرات اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون وهذا
بعض كلامه وفى قوله تعالى فاهلكناهم بذنوبهم اشارة الى ان الهلاك مطلقا صوريا ومعنويا بدنيا وماليا انما هو
بشؤم المعصية وكفران النعمة (ونعم ما قيل) شكر نعمت نعمتت افزون كند * كفر نعمت از كفت
بيرون كند * فمن اعرض عن المعجزات والكرامات والالهامات لاقباله على الدنيا وزينتها وشهواتها كان من
الانعام بل هم اضل لان الانعام ما كذبت بالحق وهو قد كذب * دريغ آدمى زاده بر محل * كه باشد
جو انعام بل هم اضل * وقوله تعالى فسوف يأتيهم اى فى الدنيا والآخرة انباء ما كانوا به يستهزؤن
اما فى الدنيا فمن استهزآئهم باقوال الانبياء والاولياء واحوالهم يصمهم الله و يعمى ابصارهم فلا يهتدون
الى حق ولا الى حقيقة سبيلا واما فى الآخرة فيعذبهم بعذاب القطيعة والبعد والحرمان والخلود فى النيران
حكى ان امام الحرمين كان يدرس يوما فى المسجد بعد صلاة الصبح فمر عليه بعض شيوخ الصوفية ومعه اصحابه
من الفقرآء وقد دعوا الى بعض المواضع فقال امام الحرمين فى نفسه ما شغل هؤلاء الا الاكل والرقص فلما رجع
الشيخ من الدعوة مر عليه وقال يا فقيه ما تقول فيمن صلى الصبح وهو جنب و يقعد فى المسجد ويدرس العلوم
ويغتاب الناس فذكر امام الحرمين انه كان عليه غسل ثم حسن اعتقاده بعد ذلك فى الصوفية اقول واول
الامر اعتقادهم ثم الاتباع بطريقتهم ثم الوصول الى مقاماتهم وقيل لابى القاسم الجنيد قدس سره ممن
استفدت هذه العلوم فقال من جلوسى بين يدى الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة واشار الى درجة
فى داره فهذه الطريقة لا تنكشف اسرارها ولا تتلألأ انوارها الا بعد اجتهاد تام وسلوك قوى والله الهادى
(ولو نزلنا عليك) روى ان بعض المشركين قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه
اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله فأنزل الله تعالى قوله ولو نزلنا عليك (كتابا
فى قرطاس) اى مكتوبا فى رق فالكتاب بمعنى مفعول (فلمسوه) اى الكتاب (بأيديهم) بعد ما رأوه بأعينهم
بحيث لم يبق لهم فى شأنه اشتباه فذكر اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا اى
سدت وذكر الايدى مع ان اللمس لا يكون عادة الا باليد لدفع التجوز فانه يتجوز به للتفحص كما فى قوله تعالى

وانا السنا السماء اى تفحصنا (لقال الذين كفروا) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو دأب المحجوج اللجوج (ان هذا) اى ماهذا الكتاب (الا سحر مبين) اى بين كونه سحرا على كل احد ولا شك ان من حرم التوفيق وكذب بالحق غيبا وحسدا كذب به عيانا وحسا فلوان اهل الانكار رأوا الاولياء والصالحين يطيرون فى الهوآء لقالوا هذا سحر وهؤلاء شياطين (وقالوا لولا انزل عليه ملك) شروع فى قدحهم فى النبوة صريحا بعد ما اشير الى قدحهم فيها ضمنا ولولا تحضيضية بمعنى الامر والضمير فى عليه للنبى عليه السلام اى هلا انزل عليه ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبى (ولو انزلنا ملكا لقضى الامر) ولو انزلنا ملكا على هيئة حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا يطيق مشاهدته قوى الآحاد البشرية لقضى الامر اى هلاكهم بالكلية (ثم لا ينظرون) اى لا يمهلون بعد نزوله طرفة العين ومعنى ثم بعد مابين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار وجعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة العذاب اشد من نفس العذاب واشق (ولو جعلناه ملكا) الهاء للمطلوب وهو ان يكون الشاهد على نبوته عليه السلام ملكا (لجعلناه رجلا) اى لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وكان جبرائيل عليه السلام يأتى النبى عليه السلام فى صورة دحية الكلبى وجاء الملكان الى داود عليه السلام فى صورة رجلين مختصمين اليه وجاءت الملائكة الى ابراهيم فى صورة الضيفان فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك وصورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء لقوتهم القدسية (وللبسنا عليهم) جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا لخلطنا عليهم بتمثيله رجلا (ما يلبسون) على انفسهم حينئذ بان يقولوا له انما أنت بشر ولست بملك والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس لكونه سببا للبسهم وفيه تأكيد لاستحالة جعله ملكا كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الامر عليهم من لبست الامر على القوم البسه من باب ضرب اذا شبهت وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب (ولقد استهزئ برسل من قبلك) برسل متعلق باستهزئ ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل وهو تسلية لرسول الله عليه السلام عما يلقاه من قومه اى وبالله لقد استهزئ برسل اولى شأن خطير وذوى عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (فحاق) عقيبه اى احاط او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا فى الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) ما موصولة اسمية والعائد الهاء فى به وبه متعلق بيستهزئون والموصول مع صلته فاعل حاق اى فاحاط بهم الذى كانوا يستهزئون به حيث اهلكوا لاجله فاسناد الاحاطة والاهلاك الى الرسل من قبيل الاسناد الى السبب والمعنى احاط الله بهم واهلكهم بسبب استهزآئهم بالرسل وقد انجز الله ذلك يوم بدر اى انجاز (قل سيروا فى الارض) اى سافروا فى الارض لتعرف احوال الامم الماضية (ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) اى تفكروا فى انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستئصال وثم لتفاوت مابين الواجبين فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر ومثله قوله توضأ ثم صل والعاقبة مصدر وهى منتهى الامر ومآله اعلم ان الاستهزآء من شيم النفوس المتمردة بارباب الدين من الانبياء والاولياء فى كل زمان وحين يروى ان النبى عليه السلام كان جالسا فى المسجد الحرام مع جماعة من المستضعفين بلال وصهيب وعمار وغيرهم فمر بهم ابو جهل فى ملأ من قريش فقال يزعم محمد ان هؤلاء ملوك الجنة فاستهزأ بفقرآء المسلمين وقد فعل الله به ما فعل يوم بدر فنال جزآء استهزآئه وذلك محل العبرة لاولى الابصار (وفى المثنوى) فى تراحفظ زبان ازراز كس * فى نظر كردن بغيرت بيش وبس * بيش چه بود باد مرلنزع خويش * بس چه باشد مردن ياران زبيش * (حكى) ان شيعيا يقال له ابن هيلان كان يتكلم بما لا ينبغى فى حق الصحابة فبينما هو يهدم حائطا اذ سقط عليه فهلك فدفن بالبقيع مقبرة المدينة فلم يوجد ثانى يوم فى القبر الذى دفن فيه ولا التراب الذى ردم به القبر بحيث يستدل بذلك لنبشه وانما وجدوا اللبن على حاله حسبما شاهده الجم الغفير حتى كان ممن وقف عليه القاضى جمال الدين وصار الناس يجيئون لرؤيته ارسالا الى ان اشتهر امره وعد ذلك من الآيات التى يعتبر بها من شرح الله صدره نسأل الله السلامة كذا فى المقاصد الحسنة للامام السخاوى فعلم منه عاقبة الطعن والاستهزآء وان الله تعالى ينقل جيفة الفاسق من المحل المتبرك به الى المكان المتشاءم منه كما ورد فى الحديث الصحيح من مات من امتى يعمل عمل قوم لوط نقله الله اليهم حتى يحشر معهم كما فى الدرر المنتثرة

للامام السيوطى وهذا صريح فى نقل جسده لان الحشر بالروح والجسد جميعا فكما ان الله تعالى ينقل اجساد الاشرار من مقام شريف الى محل وضيع كذلك ينقل اجسام الاخيار من مكان وضيع الى مقام شريف كالبقيع والحجون مقبرتى المدينة ومكة فان الله تعالى يسوق الاهل الى الاهل وهذا آخر الزمان وقلما يوجد فيه من هو متوجه الى القبلة فى الظاهر والباطن والحياة والممات ونعم ماقيل ذهب الناس وما بقى الا النسناس وهم الذين يتشبهون بالناس وليسوا بالناس وهم يأجوج ومأجوج اوحيوان بحرى صورته كصورة الانسان اوخلق على صورة الناس اشبهوهم فى شئ وخالفوهم فى شئ وليسوا من بنى آدم وقيل هم من بنى آدم (روى) ان حيا من عاد عصوا رسولهم فمسخهم الله نسناسا لكل رجل منهم يد ورجل من شق واحد ينقز كما ينقز الطير ويرعون كما ترعى البهائم فأين الاخيار واين أولوا الابصار مضوا والله ما بقى الا القليل (قال الحافظ)

تناهى الصبر مذحلت * بمأوى الاسد سرحان * وطار العقل اذ غنى * بمغنى الورق غربان

در ين ظلمت سرا تا كى ببوى دوست بنشينم * كهى انكشت در دندان وكه سر بر سر زانو * بيا اى طائر فرخ بياور مژده دولت * عسى الايام ان يرجعن قوما كالذى كانوا * اى كالوضع الذى كانوا عليه من الانتظام مطلقا (قل لمن ما فى السموات والارض قل لله) الجاء لاهل مكة الى الاقرار بان الكل من العقلاء وغيرهم لله خلقا وملكا وتصرفا كأنه يقول هل لكم سبيل الى عدم الاقرار بذلك مع كونه من الظهور بحيث لا يقدر أحد على انكاره وفى تصدى السائل للجواب قبل ان يجيب غيره ايماء الى ان مثل هذا السؤال لكون جوابه متعينا ليس من حقه ان ينتظر جوابه بل حقه ان يبادر الى الاعتراف بالجواب (كتب على نفسه الرحمة) جملة مستقلة داخلة تحت الامر مسوقة لبيان انه تعالى رؤف بالعباد لا يعجل عليهم بالعقوبة و يقبل منهم التوبة والانابة ومعنى كتب الرحمة على نفسه التزمها وأوجبها تفضلا واحسانا لانه تعالى منزه عن ان يجب عليه شئ حقيقة وفى التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى (ليجمعنكم الى يوم القيامة) جواب قسم محذوف اى والله ليجمعنكم فى القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاملكم بالعقوبة الدنيوية (لاريب فيه) اى فى اليوم اوفى الجمع (الذين خسروا انفسهم) اى بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وهو مبتدأ وخبره قوله (فهم لا يؤمنون) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر أدى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والخروج عن دائرة الرحمة الخاصة قال القاضى والمراد بالرحمة مايعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر وفى تفسير الكاشفى * مراد رحمت ذاتيه باشد كه رحمت مطلقه كويند واين رحمتيست كه برهمه چيز فرا رسيده ونتيجه ان عطا اد نيست بى سابقه سؤال واستدعا ورابطه حاجت واستحقاق چنانچه در مثنوى معنوى وارد ست درعدم ما مستحقان كى بديم * كه برين جان و برين دانش زديم * ما نبوديم وتقاضان ما نبود * لطف تو ناكفته ما مى شنود * قال الامام الاكمل فى شرح الحديث عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وانزل فى الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حوافرها عن ولدها خشية ان تصيبه فهذا مما يدل على كمال الرجاء والبشارة للمسلمين لانه حصل فى هذه الدار من رحمة واحدة ما حصل من النعم الظاهرة والباطنة فما ظنك بمائة رحمة فى الدار الآخرة وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قدم على النبى عليه السلام سبى فاذا امرأة من السبى تحلب ثديها وتسعى فاذا وجدت صبيا فى السبى اخذته فألصقته ببطنها وارضعته فقال لنا النبى عليه السلام اترون هذه طارحة ولدها فى النار قلنا لا وهى قادرة على ان لا تطرحه فقال الله ارحم بعباده من هذه بولدها (وفى المثنوى) آتش ازقهر خدا خود ذره ايست * بهر تهديد لئيمان دره ايست * باچنين قهرى كه زفت وفايقست * برد لطفش بين بروى سابقست * رحمت بيچون چنين دان اى پدر * زائد اندر وهم ازوى جزائر * قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى الفتوحات المكية وجدنا آية الرحمة وهى بسم الله الرحمن الرحيم تتضمن الف معنى كل معنى لا يحصل الا بعد انقضاء حول ولابد

من حصول هذه المعانى التى تضمنها بسم الله الرحمن الرحيم لانه ما ظهر الا ليعطى معناه فلا بد من كمال ألف سنة لهذه الامة اللهم ارحمنا اذا عرق الجبين وكثر الانين وبكى علينا الحبيب ويئس منا الطبيب اللهم ارحمنا اذا وارانا التراب وودعنا الاحباب وفارقنا النعيم وانقطع النسيم اللهم ارحمنا اذا نسى اسمنا وبلى جسمنا واندرس قبرنا وانطوى ذكرنا اللهم ارحمنا يوم تبلى السرائر وتبدى الضمائر وتنشر الدواوين وتحشر الموازين اللهم يا حى يا قيوم يا رحمن يا رحيم برحمتك نستعين هذه مناجاة حضرة الشيخ المذكور ولعمرى انها مناجاة شريفة ومناداة لطيفة (وله ما سكن فى الليل والنهار) روى ان كفار مكة اتوا رسول الله فقالوا يا رسول الله قد علمنا انك ما يحملك على ما تدعونا اليه الا الفقر والحاجة فنحن نجمع لك من القبائل اموالا تكون اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه من الدعوة فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ولله تعالى خاصة جميع ما استقر فيهما واشتملا عليه فان اراد يعطى رسوله مالا كثيرا ليكون اغنى الخلق نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما (وهو السميع) المبالغ فى سماع كل مسموع (العليم) المبالغ فى العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ من الاقوال والافعال وفى الخبر ان الله تعالى خلق جوهرتين احداهما مظلمة والاخرى مضيئة فاستخلص من المضيئة كل نور فخلق من نورها النهار ومن الباقى النار واستخلص من الظلمة كل ظلمة فخلق منها الليل وخلق من الباقى الجنة فالليل من الجنة والنهار من النار ولذلك كان الانس بالليل اكثر فالليل انس المحبين وقرة اعين المحبوبين وقدم الليل على النهار لان الليل لخدمة المولى والنهار لخدمة الخلق ومعارج الانبياء كانت بالليل والقدر فى الليل خير من ألف شهر وليس فى الايام مثلها وكان بعض الاولياء يقول اذا جاء الليل جاء الخلق الاعظم يقول الفقير جامع هذه المجالس امامن حجب عن سر الليل وحلاوة المناجاة فيه وذوق الخلوة والوحدة فالمحبوب اليه النهار كعلماء الرسوم الا ترى الى ثعلب النحوى يقول وددت ان الليل نهار حتى لا تنقطع عنى اصحابى وهذا حرص منه على الكثرة والالفة معها والا فكل معلم لم يكن اعلى حالا من المجتهدين الا ترى ان امامنا الاعظم كان يدرس ويحيى الليل هر كنج سعادت كه اوداد بحافظ * از يمن دعاى شب وورد سحرى بود * وعلم من التقرير المذكور افضلية الليل على النهار واعلم ان الكل خلق الله تعالى ولكل منهما ملك موكل به وفى الخبر عن سلمان رضى الله عنه قال الليل موكل به ملك يقال له شراهيل فاذا حان وقت الليل اخذ خرزة سوداء فدلاها من قبل المغرب فاذا نظرت اليها الشمس وجبت فى اسرع من طرفة العين وقد امرت ان لا تغرب حتى ترى الخرزة فاذا غربت جاء الليل وقد نشرت الظلمة من تحت جناحى ملك فلا تزال الخرزة معلقة حتى يجئ ملك آخر يقال له هراهيل بخرزة بيضاء فيعلقها من قبل المطلع فاذا رأتها الشمس طلعت فى طرفة عين وقد امرت ان لا تطلع حتى ترى الخرزة البيضاء فاذا طلعت جاء النهار فنشر النور من تحت جناحى ملك فلنور النهار ملك موكل ولظلمة الليل ملك موكل عند الطلوع والغروب كما وردت الاخبار (قل) يا محمد لكفار مكة ونزلت حين دعوه الى الشرك ودين آبائه (اغير الله اتخذ وليا) اى معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وقد اتخذنى الله فى ازليته حبيبا كما قال عليه السلام لو كنت متخذا خليلا غير الله لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن الله اتخذ صاحبكم خليلا اى لا اتخذ فالمنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا نفس اتخاذ الولى لكن قدم المفعول لكونه مناط الانكار (فاطر السموات والارض) مبدعهما اى خالقهما ابتداء لا على مثال سبق وهو بدل من الجلالة (وهو) اى والحال انه (يطعم ولا يطعم) اى يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه (قل انى امرت ان اكون اول من اسلم) وجهه لله مخلصا له لان النبى امام امته فى الاسلام (ولا تكونن من المشركين) اى وقيل لى لا تكونن من المشركين به تعالى فى امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وحقيقة الاسلام الاخلاص من حبس الوجود وما خلص منه غيره عليه السلام بالكلية ولهذا يقول الانبياء نفسى نفسى وهو يقول امتى امتى (قل انى اخاف ان عصيت ربى) اى بمخالفة امره ونهيه اى عصيان كان (عذاب يوم عظيم) اى عذاب يوم القيامة مفعول اخاف وفيه قطع لاطماعهم وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم (من يصرف عنه يومئذ) اى من يصرف عنه العذاب فى ذلك اليوم العظيم ويومئذ ظرف للصرف (فقد رحمه) اى نجاه وانعم عليه (وذلك) الصرف (الفوز المبين) اى النجاة الظاهرة (وان يمسسك الله بضر) دليل آخر على انه لا يجوز للعاقل ان يتخذ غير الله وليا اى بلية كمرض وفقر ونحو ذلك والباء للتعدية

وترجمته بالفارسية واكر برساند خدا بتو محنتى (فلا كاشف له) اى فلا قادر على كشف ذلك الضر ورفعه عنك (الاهو) تعالى وحده (وان يمسسك بخير) من صحة ونعمة ونحو ذلك (فهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على رفعه كقوله فلا راد لفضله وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اهدى الى النبى عليه السلام بغلة اهداها كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفنى خلفه ثم سار بى مليا ثم التفت الى فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرّف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب الفرج وان مع العسر يسرا فان قلت قد يتصور ان يكشف الانسان عن صاحبه كربة من الكرب قلت كاشف الضر فى الحقيقة هو الله تعالى اما بواسطة الاسباب او بغيرها (قال الحافظ) كر رنج پيشت آيد وكر راحت اى حكيم * نسبت مكن بغير كه اينها خدا كند * وكذا الاستعانة فى الحقيقة من الله تعالى فالاستعانة من الانبياء والاولياء انما هى استشفاع منهم فى قضاء الحاجة والموحد لا يعتقد أن فى الوجود مؤثرا غير الله تعالى (وهو القاهر) اى القادر الذى لا يعجزه شئ مستعليا (فوق عباده وهو الحكيم) فى كل ما يفعله ويأمر به (الخبير) بأحوال عباده وخفايا امورهم صور قهره تعالى وعلو شأنه بالعلو الحسى فعبر عنه بالفوقية بطريق الاستعارة التمثيلية فقوله وهو القاهر فوق عباده عبارة عن كمال القدرة كما ان قوله وهو الحكيم الخبير عبارة عن كمال العلم قال المولى الفنارى فى تفسيره الفوقية من حيث القدرة لا من حيث المكان لعلو شأنه تعالى عن ذلك فانه تعالى قاهر للممكنات معدومة كانت او موجودة لانه يقهر كل واحد منهما بضده فيقهر المعدومات بالايجاد والتكوين والموجودات بالافناء والافساد وفى التأويلات النجمية وقد عم قهره جميع عباده فقهر الكفار بموت القلوب وحياة النفوس اذ أخطأهم النور المرشش على الارواح فى بدء الخلقة فضلوا فى ظلمات الطبيعة وما اهتدوا الى نور الشريعة وقهر نفوس المؤمنين بانوار الشريعة فاخرجهم من ظلمات الطبيعة بالقيام على طاعته وقهر قلوب المحبين بلوعات الاشتياق فآنسها بلطف مشاهدته وقهر ارواح الصديقين بسطوات تجلى صفات جلاله وبالجملة لا ترى شيأ سواه الا وهو مقهور تحت اعلام عزته وذليل فى ميادين صمديته فعلى العبد ان يعرف مولاه ويشتغل بعبوديته وهو الله تعالى الذى خلق كل شئ واوجده وقهره (وحكى) عن الشيخ عبد الواحد بن زيد قدس سره قال كنت فى مركب فطرحتنا الريح الى جزيرة واذا فيها رجل يعبد صنما فقلنا له يا رجل من تعبد فاومأ الى الصنم فقلنا له ان الهك هذا مصنوع عندنا من يصنع مثله ما هذا باله يعبد قال فأنتم من تعبدون قلنا نعبد الذى فى السماء عرشه وفى الارض بطشه وفى الاحياء والاموات قضاؤه تقدست اسماؤه وجلت عظمته وكبر يائوه قال ومن اعلمكم بهذا قلنا وجه الينا رسولا كريما فاخبرنا بذلك قال ما فعل الرسول فيكم قلنا لما ادى الرسالة قبضه الملك اليه واختار له ما لديه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا نعم ترك عندنا كتابا الملك قال فأرونى كتاب الملك فانه ينبغى ان تكون كتب الملوك حسانا فأتيناه بالمصحف فقال ما اعرف هذا فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكى حتى ختمنا السورة فقال ينبغى لصاحب هذا الكلام ان لا يعصى ثم اسلم وحسن اسلامه ثم مات بعد ايام على احسن حال والحمد لله الملك المتعال فى الغدو والآصال انه هو المعبود المقصود واليه يأول كل امر موجود (قل اى شئ اكبر شهادة) روى ان قريشا قالوا لرسول الله يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد انك رسول الله فانهم انكروك فأنزل الله تعالى هذه الآية امر حبيبه عليه السلام بان يقول لهم اى شئ اعظم من جهة الشهادة (قل الله) اى الله اكبر شهادة فشهادته اكبر من شهادة الخلق فان شهادة الخلق وعلومهم لا تحيط بحقائق الاشياء كلها والحق سبحانه هو الذى يحيط علمه بجميع حقائق الاشياء امر له عليه السلام بان يتولى الجواب بنفسه للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره (شهيد) اى هو شهيد (بينى وبينكم) على صدقى (واوحى الى) من جهته تعالى (هذا القرآن) الشاهد بصحة رسالتى (لانذركم به) اى اخوفكم بما فيه من الوعيد أيها الموجودون وقت نزول القرآن (ومن بلغ) عطف على ضمير

المخاطبين اى بلغه القرءآن من الانس والجن الى يوم القيامة قال محمد بن كعب القرطبى من بلغه القرءآن فكانما رأى محمدا عليه السلام وسمع منه (أئنكم لتشهدون) الجاء لهم الى الاقرار باشراكهم اذ لا سبيل لهم الى انكاره لاشتهارهم به والاستفهام فيه للانكار والتوبيخ والمعنى بالفارسية آيا شما ميدهيد كواهى ميدهيد (ان مع الله آلهة اخرى قل) لهم (لااشهد) بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف (قل انما هو اله واحد) تكرير الامر للتأكيد اى بل انما اشهد انه تعالى لااله الاهو اى متفرد بالالوهية (واننى برئ مما تشركون) به من الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب) جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل (يعرفونه) اى محمدا عليه السلام بحليته ونعوته فى كتابهم (كما يعرفون ابناءهم) بحلاهم المعينة لهم روى ان رسول الله لما قدم المدينة قال عمر رضى الله عنه لعبد الله بن سلام انزل الله تعالى على نبيه هذه الآية فكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابنى ولأنا اشد معرفة بمحمد منى بابنى لانى لاادرى ماصنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام (الذين خسروا انفسهم) اى غبنوا انفسهم من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية وهو مبتدأ خبره قوله (فهم لايؤمنون) لما انهم مطبوع على قلوبهم والفاء السببية تدل على ان تضييع الفطرة الاصلية والعقل السليم سبب لعدم الايمان قال البغوى وذلك ان الله تعالى جعل لكل آدمى منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل اهل النار فى الجنة ولاهل النار منازل اهل الجنة فى النار وذلك هو الخسران (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) لوصفهم النبى المنعوت فى الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله تعالى وبقولهم الملائكة بنات وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك اى لا احد اظلم منه (او كذب بآياته) كأن كذبوا بالقرءآن وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التوراة وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب بآياته وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم كيف وهم قد جمعوا بينهما فأثبتوا مانفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته (انه) اى الشان (لايفلح الظالمون) اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن فى الغاية القاصية من الظلم (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا) يوم منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه والحشر جمع الناس الى موضع معلوم والضمير للكل وجميعا حال منه والمعنى ويوم نحشر الناس كلهم ثم نقول للمشركين خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد ما نقول كان من الاحوال والاهوال مالا يحيط به دائرة المقال والعطف بثم للتراخى الحاصل بين مقامات يوم القيامة فى المواقف فان فيه مواقف بين كل موقف وموقف تراخ على حسب طول ذلك اليوم (اين شركاؤكم) اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله فالاضافة مجازية باعتبار اثباتهم الشركة لآلهتهم (الذين كنتم تزعمون) اى تزعمونها شركاء شفعاء والزعم القول الباطل والكذب فى اكثر الكلام (ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا) الفتنة مرفوع على انه اسم تكن والخبر الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته اى لم تكن عاقبة كفرهم الذى التزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيأ من الاشياء الا جحوده والتبرى منه بان يقولوا (والله ربنا ما كنا مشركين) واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب وانما يقولون مع علمهم بانه بمعزل من النفع راسا من فرط الحيرة والدهش كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على انفسهم) بانكار صدور الاشراك عنهم فى الدنيا وتعجب من كذبهم فانه امر عجيب (وضل عنهم ما كانوا يفترون) عطف على كذبوا داخل فى حيز انظر اى كيف زال وذهب وبطل افتراؤهم فانهم كانوا يفترون فى حق الاصنام انها شفعاؤهم عند الله تعالى فبطل ذلك بالكلية يوم القيامة وفى الآيات امور الاول اطلاق لفظ الشئ على الله تعالى لكن بمعنى شائى لا بمعنى مشيئ وجوده فهو الشائى المريد والثانى انه يلزمه التبرى من الشرك عقيب التوحيد قال المولى الشهير باخى جلبى فى حواشى صدر الشريعة اسلام اليهود والنصارى مشروط بالتبرى من اليهودية والنصرانية بعد الاتيان بكلمتى الشهادة وبدون التبرى لايكونان مسلمين ولو أتيا بالشهادتين مرارا لانهما فسرا قولهما بانه رسول الله اليكم لكن هذا فى الذين اليوم بين ظهرانى اهل الاسلام اما اذا كان فى دار الحرب وحمل عليه رجل من

المسلمين فأتى بالشهادتين اوقال دخلت دين الاسلام اوفى دين محمد عليه السلام فهذا دليل توبته انتهى قال فى الدر المختصر فى صفة الايمان ان يقول لى ما امرنى الله تعالى به قبلته وما نهانى عنه انتهيت عنه فاذا اعتقد ذلك بقلبه واقر بلسانه كان ايمانا صحيحا وكان مؤمنا بالكل انتهى وايمان المقلد صحيح عند الامام الاعظم الا انه يأثم بترك النظر والاستدلال وفى فصل الخطاب من نشأ فى بلاد المسلمين وسبح الله تعالى عند رؤية صنائعه فهو خارج عن حد التقليد والثالث ان قوله تعالى كما يعرفون ابناءهم يشير الى ان الآباء قد تحقق عندهم انهم مصادر الابناء ومبدأ وجود الابناء منهم فكذلك اهل المعرفة تحقق عندهم ان الله تعالى مصدرهم ومبدأ وجودهم منه (قال الحافظ) درمكتب حقائق و پيش اديب عشق * هان اى پسر بكوش كه روزى پدر شوى * خواب وخورت زمرتبهٔ خويش دور كرد * آنكه رسى بخويش كه بى خواب وخور شوى * فالوصول الى المبدأ القديم بعد العبور من جسر الوصف الحادث والرابع ان النافع هو الايمان والتوحيد والصدق والاخلاص دون الشرك والكذب روى ان المشركين اذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن اهل التوحيد قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر فلا يفلحون وكذا اهل الرياء من اهل التوحيد يزعمون انهم على اليقين وكمال الاخلاص وافعالهم الصادرة عن جوارحهم تدل على خلاف ذلك فانما خلق الله جهنم لتطهير اهل الشرك مطلقا لكن اهل الكفر مخلدون فافهم المقام واعلم ان الله تعالى واحد وكل شئ يشهد على وحدته وعلى هذه الوحدة يعرفه ويشاهده اهل المعرفة والمشاهدة فان كثرة الآثار لا تنافى الوحدة كالنواة مع الشجرة (قال الحافظ) نادم وحدت زدى حافظ شوريده حال * خامهٔ توحيد كش بر ورق اين وآن (ومنهم من يستمع اليك) اذا قرأت القرآن روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان انى ارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت فالضمير للمشركين (وجعلنا) اى انشأنا (على قلوبهم) الضمير راجع الى من باعتبار المعنى (اكنة) اى اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس جمع كنان بالكسر وهو ما يستر به الشئ (ان يفقهوه) مفعول له بحذف المضاف اى كراهة ان يفقهوا ما يستمعون من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع (و) جعلنا (فى آذانهم وقرا) اى صمما وثقلا كراهة ان يستمعوه حق الاستماع وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبى عليه السلام وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له وهذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها فى اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن كما هو مذهب اهل السنة وفى الآية اشارة الى ان مكافاة من يستمع الى كلام الله تعالى والى حديث النبى عليه السلام والى كلمات ارباب الحقائق بالانكار ليأخذوا عليها ويطعنوا فيها ان يجعل الله تعالى حجابا على قلوبهم وسمعهم حتى لا يصل اليهم انوارها ولا يجدون حلاوتها ولا يفهمون حقائقها (قال المولى الجامى) عجب نبود كه از قرآن نصيبت نيست جز حرفى * كه از خورشيد جز كرمى نبيند چشم نابينا (وان يروا كل آية) من الآيات القرآنية اى يشاهدوها بسماعها (لا يؤمنوا بها) اى كفروا بكل واحدة منها وسموها سحرا وافتراء واساطير لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى) ابتدائية ومع هذا لا مانع من ان تفيد معنى الغاية اى بلغ بهم ذلك المنع من فهم القرآن الى انهم (اذا جاؤك يجادلونك) اى حال كونهم مجادلين لك (يقول الذين كفروا) اى لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون (ان هذا) اى ما هذا القرآن (الا اساطير الاولين) اى اباطيلهم واكاذيبهم جمع اسطورة بالضم كالاضاحيك والاعاجيب جمع اضحوكة واعجوبة (وفى المثنوى) چون كتاب الله بيامد هم بران * اين چنين طعنه زدند آن كافران * كه اساطير است وافسانهٔ نژند * نيست تعميق وتحقيقى بلند * نور قرآن اى پسر ظاهر مبين * ديو آدم را نبيند جز كه طين (وهم) اى الكفار (ينهون) الناس (عنه) اى عن القرآن والايمان به (وينأون عنه) اى يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم منه وتأكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهى عن المنهى عنه من متممات النهى ولعل

ذلك هو السر في تأخير النأى عن النهى والنأى البعد (وان يهلكون) اى ما يهلكون بالنهى والنأى (الا انفسهم) لان ضرره عليهم (وما يشعرون) اى والحال انهم ما يعلمون اى لا بأهلاك انفسهم ولا باقتضاء ذلك عليها من غير ان يضر وابذلك شيأ من القرآن والرسول والمؤمنين (ولو ترى اذ وقفوا على النار) الخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والعيان والوقف الحبس وجواب لو ومفعول ترى محذوف اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا يساعده التعبير (فقالوا يا) للتنبيه (ليتنا نرد) الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا) القرآنية (ونكون من المؤمنين) بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل ونصب الفعلين على جواب التمنى باضمار أن بعد الواو واجرآئها مجرى الفاء والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) اى ليس الامر على ما قالوه من انهم لو ردوا الى الدنيا لآمنوا فان التمنى الواقع منهم يوم القيامة ليس لاجل كونهم راغبين فى الايمان بل لانه ظهر لهم فى موقفهم ذلك ما كانوا يخفون فى الدنيا وهى النار التى وقفوا عليها والمراد بأخفائها تكذيبهم لها فان التكذيب بالشئ كفر به واخفاء له لا محالة (ولو ردوا) الى الدنيا فرضا (لعادوا لما نهوا عنه) من الشرك ونحوه واما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب كابليس قد عاين من آيات الله تعالى ثم عاند فلا راد لما قضاه الله تعالى ولا مبدل لما حكم فى الازل (وانهم لكاذبون) اى لقوم ديدنهم الكذب فى كل ما يأتون وما يذرون وبهذه الآية يفتى بقتل أهل البغى والفساد اذ لا يؤمن من ان يعودوا لما نهوا عنه (وفى المثنوى) آن ندامت از نتيجه رنج بود * چونكه رنج نبود ندامت نيست بود * چونكه شد رنج آن ندامت شد عدم * مى نيرزد خاك آن توبه عدم * ميكند او توبه و پير خرد * بانك لو ردوا لعادوا ميزند (وقالوا) عطف على عادوا داخل فى حيز الجواب (ان هى) اى ما الحياة فالضمير للحياة فان من الضمائر ما يذكر مبهما ولا يعلم ما يرجع اليه الا بذكر ما بعده (الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) بعد ما فارقنا هذه الحياة كأن لم يروا ما رأوا من الاحوال التى اولها البعث والنشور (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) اى حبسوا للسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده للعتاب والجواب محذوف اى لرأيت امرا عظيما (قال) لهم على لسان الملائكة مو بخا وهو استئناف (أليس هذا) البعث والحساب (بالحق قالوا بلى وربنا) انه لحق (قال فذوقوا العذاب) الذى عاينتموه (بما كنتم تكفرون) اى بسبب كفركم فى الدنيا بذلك وخص لفظ الذوق للاشارة الى ان ما يجدونه من العذاب فى كل حال هو ما يجده الذائق لكون ما يجدون بعده أشد من الاول (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) اى قد غبن الذين كذبوا بالبعث بعد الموت (حتى اذا جاءتهم الساعة) غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدى لا حد له (بغتة) حال من فاعل جاءتهم اى باغتة مفاجئة والبغت والبغتة مفاجأة الشئ بسرعة من غير ان يشعر به الانسان حتى لو كان له شعور بمجيئه ثم جاءه بسرعة لا يقال فيه بغتة والوقت الذى تقوم فيه القيامة يفجأ الناس فى ساعة لا يعلمها احد الا الله تعالى فلذلك سميت ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم وسميت الساعة ساعة لسعيها الى جانب الوقوع ومسافته الانفاس والمعنى انهم قد كذبوا الى ان ظهرت الساعة بغتة فان قيل انما يكذبون الى ان يموتوا والجواب ان زمان الموت آخر زمان من ازمنة الدنيا واول زمان من ازمنة الآخرة فمن انتهى تكذيبه الى هذا الوقت صدق انه كذب الى ان ظهرت الساعة بغتة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات فقد قامت قيامته (قالوا) جواب اذا (يا حسرتنا) الحسرة هى شدة الندم والتألم ونادوها مجازا لان الحسرة لا يتأتى منها الاقبال وانما المعنى على المبالغة فى شدة التحسر كأنهم نادوا الحسرة وقالوا ان كان لك وقت فهذا اوان حضورك ومثله يا ويلتنا والمقصود التنبيه على خطأ المنادى حيث ترك ما احوجه تركه الى نداء هذه الاشياء (على ما فرطنا فيها) اى على تفريطنا فى شأن الساعة وتقصيرنا فى مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة فعلى متعلق بالحسرة وما مصدرية والتفريط التقصير فى الشئ مع القدرة على فعله (وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم) حال من فاعل قالوا والاوزار جمع وزر وهو فى الاصل الحمل الثقيل يقال وزرته اى حملته ثقيلا ومنه وزير الملك لانه يتحمل اعباء ما قلده الملك من مؤونة رعيته وحشمه سمى به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه والحمل من توابع الاعيان الكثيفة لا من عوارض المعانى فلا يوصف به لعرض الا على سبيل التمثيل والتشبيه وذكر الظهور كذكر الايدى فى قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد

حمل الاثقال على الظهور كان المألوف هو الكسب بالايدى والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزارما عملوا من السيئات (الا ساء ما يزرون) اى بئس شيأ يزرون اى يحملون وزرهم قال السدى وغيره ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شئ صورة واطيبه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبنى فقد طالما ركبتك فى الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اى ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شئ صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طالما ركبتنى فى الدنيا وانا اليوم اركبك فهو معنى قوله تعالى وهم يحملون الخ فيكون الحمل على حقيقته لان للاعمال صورا تظهر فى الآخرة وان كان نفسها اعراضا واعلم ان الاوزار كثيرة لكن ذنب الوجود فوق الكل اذ هو الباعث على سائر الاوزار وهو ثقل مانع عن السلوك فعلى السالك ان يتوب عن الكل ويفنى فى طريق الحق فناء كليا (قال الحافظ) فكر خود وراى خود درعالم رندى نيست * كفرست درين مذهب خود بينى وخود رايى * قال بعضهم لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما يمكن الخروج من النفس بالله تعالى قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم قدس سره ذكر الله تعالى يرطب القلب ويلينه فاذا خلا عن الذكر اصابته حرارة النفس ونار الشهوات فقسا ويبس وامتنعت الاعضاء من الطاعة فاذا مددتها انكسرت كالشجرة اذا يبست لا تصلح الا للقطع وتصير وقودا للنار اعاذنا الله منها فالذكر والتوحيد والاتباع الى اهله هو اصل الاصول (حكى) عن على بن الموفق انه قال حججت سنة من السنين فى محمل فرأيت رجالا فأحببت المشى معهم فنزلت واركبت واحدا فى المحمل ومشيت معهم فتقدمنا الى البرية وعدلنا عن الطريق فنمنا فرأيت فى منامى جوارى معهن طشوت من ذهب واباريق من فضة يغسلن ارجل المشاة فبقيت انا فقالت احداهن لصواحبها أليس هذا منهم قلن هذا له محمل فقالت بلى هو منهم لانه احب المشى معهم فغسلن رجلى فذهب عنى كل تعب كنت اجده هذه حال من مشى مع ولى باعتقاد صحيح فكيف مع نبى فلو أن كفار مكة ومشركى العرب استمعوا الى النبى عليه السلام واتبعوا الذكر الذى انزل اليه لنجوا واسقطوا كل حمل عن ظهورهم ومشوا الى جنة الفردوس لكن الله تعالى يهدى من يشاء (وما الحياة الدنيا) على حذف المضاف اى ما اعمال الدنيا اى الاعمال المتعلقة بها من حيث هى هى (الا لعب ولهو) يلهى الناس ويشغلهم بمنفعته الزائلة عن الايمان والعمل الصالح المؤدى الى اللذة الدائمة واللعب عما يشغل النفس وينفرها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل (وللدار الآخرة) التى هى محل الحياة الاخرى (خير للذين يتقون) الكفر والمعاصى لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام مستمرة على الدوام (أفلا تعقلون) الفاء للعطف على مقدر أى اتغفلون فلا تعقلون اى الامرين خير وسميت الدنيا بالدنيا لدنوها قبل الآخرة اولدناءتها وسميت الآخرة بالآخرة لتأخرها عن خلقها وانما جعل الله الآخرة غائبة عن الابصار لانها لو كانت حاضرة لما جحدوها ولا رتفعت التكاليف والمحن فجعل ما على الارض زينة للابتلاء وحقيقة الدنيا ما يشغلك عن ربك قال اهل التحقيق السموات والارضون وما فيهما من عالم الكون والفساد يدخل فى حد الدنيا واما العرش والكرسى وما يتعلق بهما من الاعمال الصالحة والارواح الطيبة والجنة وما فيها فمن حد الآخرة وفى الخبر القدسى لما خلق الله الدنيا خاطبها بقوله يا دنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك ولهذا كانت الدنيا تجئ لبعض اوليائه وتكنس داره فى صورة العجوز ولبعض اوليائه تجئ كل يوم برغيف فان قلت ان الله تعالى خلق هذه الدنيا للمؤمن فلم امر بالزهد فيها قلت السكر اذا نثر على رأس الختن لا يلتقطه لعلو همته ولو التقطه لكان عيبا وفى الحديث جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس والضيف اذا كان حكيما لا يشبع من الطعام رجاء الحلواء (حكى) ان قاضيا من أهل بغداد كان مارا بزقاق كلخان مع خدمه وحشمه كالوزير فطلع الكلخانى وهو يهودى فى صورة جهنمى كأن القطران يقطر من جوانبه فأخذ بلجام بغلة القاضى فقال ايد الله القاضى ما معنى قول نبيكم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر اما ترى ان الدنيا جنة لك وأنت مؤمن محمدى والدنيا سجن لى وانا كافر يهودى والحديث دلالته بالعكس فاجاب القاضى وكان من الفضلاء الدنيا وما ترى من زينتها وحشمتها سجن لى بالنسبة الى ما وعد الله فى الجنة وجنة لك بالنسبة الى الدركات الموعودة فى النيران قيل مثل الدنيا والآخرة مثل رجل له امرأتان ان ارضى احداهما اسخط الاخرى واحتضر عابد فقال ما تأسفى على دار الآخرة والغموم والخطايا والذنوب

وانما تأسفى على ليلة نمتها ويوم افطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى * نه عمر خضر بماند نه ملك اسكندر * نزاع برسر دنياى دون مكن درويش * فالدنيا لا تبقى والآخرة خير وابقى يحكى ان جعفر بن سليمان رحمه الله قال مررت انا ومالك بن دينار رضى الله عنه بالبصرة فبينما ندور فيها مررنا بقصر يعمر واذا بشاب حسن يأمر ببناء القصر ويقول افعلوا واصنعوا فدخلنا عليه وسلمنا فرد السلام قال مالك كم نويت ان تنفق على هذا القصر قال مائة ألف درهم قال الا تعطينى هذا المال فأضعه فى حقه وأضمن لك على الله تعالى قصرا خيرا من هذا القصر بولدانه وخدمه وقبابه وخيمه من ياقوتة حمراء مرصع بالجوهر ترابه الزعفران ملاطه المسك لم تمسه يدان ولم يبنه بان قال له الجليل سبحانه كن فكان فأثر فى الشاب كلامه فأحضر البدر ودعا بدواة وقرطاس ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان انى ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك صفته كما وصفت والزيادة على الله واشتريت لك بهذا المال قصرا فى الجنة افسح من قصرك فى ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه الى الشاب وانفق ما اخذه من المال على الفقراء وما اتى على الشاب اربعون ليلة حتى مات ووصى ان يجعل الكتاب بين كفنه وبدنه ووجد مالك ليلة وفاته كتابا موضوعا فى المحراب فأخذه ونشره فاذا هو مكتوب بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم مالك بن دينار وفينا الشاب القصر الذى ضمنته له وزيادة سبعين ضعفا (وفى المثنوى) هركه پايان بين ترا ومسعودتر * جدتر او كارد كه افزون ديد بر * زانكه داندزين جهان كاشتن * هست بهر محشر وبرداشتن * اخرت قطار اشتران بملك * درتبع دنياش همچون پشم پشك * پشم بكزينى شترنبود ترا * ور بود اشتر چه قيمت پشم را * يعنى ان اخترت الدنيا التى هى كصوف الجمل واثرتها على الآخرة التى هى كنفس الجمل تكون محروما من الآخرة كما ان من اختار الصوف يحرم من الجمل بخلاف من كان الجمل ملكا له فانه لا قيمة عنده لصوفه ولا رغبة وقال فى محل آخر * باز كونه اى اسيران جهان * نام خود كرديد اميران جهان * اى تو بندى اين جهان محبوس جان * چند كويى خويش را خواجه جهان * تخته بندست انكه تختش خوانده * صدر پندارى وبر در مانده * پادشاهى نيست برريش خود * بى مرادتو شود در پشت سبيد * شرم دار از ريش خوارى كرامید * افتخار از رنك وبو وازمكان * هست شادى وفريب كودكان * كون ميكويد بيا من خوش پى ام * وان فسادش كفته او من لاشى ام * اى زخوبى بهاران لب كزان * بنكران سردى وزردى خزان * روز ديدى طلعت خورشيد خوب * مرك او را ياد كن وقت غروب * بدر را ديدى برين خوش چارطاق * حسرتش را هم ببين وقت محاق * كودكى از حسن شد مولاى خلق * بعد فرداشد خرف رسواى خلق * اى بديده لوتهاى چرب وچيز * فضله آنرا ببين در آبريز * مر خبث را كوكه آن خوبيت كو * برطبق آن زوق وآن نغزى وبو * پس انامل رشك استادان شده * درصناعت عاقبت لرزان شده * نركس چشم خمار همچو جان * آخر اعمش بين وآب از وى چكان * حيدرى كاندر صف شيران رود * آخر او مغلوب موشى ميشود * زلف جعد مشكبار عقل بر * آخر آن چون دنب زشت خنك وخر * خوش ببين كونش زاول باكشاد * واخران رسوايين وفساد * والاشارة الحياة التى تكون بالتمتعات الدنيوية النفسانية كلعب الصبيان ولهو أهل العصيان تزيد فى الحجب والسير من البشرية الى الروحانية بترك الشهوات والاعراض عن غير الحق والاقبال على الله خير للذين يتقون عما سوى الله بالله أفلا تعقلون ان الله تعالى خلقكم لهذا الشأن لا لغيره كما قال واصطنعتك لنفسى اللهم احفظنا من تضييع العمر واهدنا الى حقيقة الامر انك انت الوهاب الهادى (قد نعلم) قد هنا للتكثير والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه (انه) اى الشان (ليحزنك) يا محمد (الذى يقولون) فاعل يحزنك والعائد محذوف اى الذى يقوله كفار مكة وهو ما حكى عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك (فانهم لا يكذبونك) اى لا تعتد بما يقولون وكله الى الله تعالى فانهم فى تكذيبهم آيات الله لا يكذبونك فى الحقيقة (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) اى ولكنهم يكذبون بآيات الله وينكرونها فما يفعلون فى حقك فهو راجع الى فى الحقيقة لانك فانى عما سوى الله باق بالله وانا انتقم منهم لا محالة اشد انتقام والمراد بالظلم جحودهم والجحود عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه والباء متعلقة بالفعل والتقديم للقصر يقال جحد حقه وبحقه اذا انكره (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية

رسول

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان البلية اذا عمت طابت اى وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولوا شأن خطير وذووا عدد كثير اوكذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك (فصبروا على ما كذبوا واوذوا) اى على تكذيبهم وايذائهم (حتى اتاهم نصرنا) اى كان غاية صبرهم نصر الله تعالى اياهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والنصر الموعود للصابرين يحتمل ان يكون بطريق اظهار الحجج والبراهين ويحتمل ان يكون بطريق القهر والغلبة اوباهلاك الاعداء (قال الحافظ) اى دل صبوربا ش ومخور غم كه عاقبت * اين شام صبح كردد واين شب سحر شود (وقال ايضا) كرت چو نوح نبى صبر هست برغم طوفان * بلا بكردد وكام هزار ساله برآيد * (ولا مبدل لكلمات الله) اى مواعيده بالنصرة والغلبة كما قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) اى من خبرهم ما يسكن به قلبك وهو نصره تعالى اياك وقال المولى ابو السعود والجار والمجرور فى محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه اى بعض نبأ المرسلين او بتقدير الموصوف اى بعض من نبأ المرسلين (وان كان كبر عليك اعراضهم) اى عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن وعدم عدهم له من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوا اقتراحا لحرصك على اسلامهم (فان استطعت ان تبتغى نفقا) اى سربا ومنفذا (فى الارض) تنفذ فيه الى جوفها قال ابن الشيخ النفق سرب فى الارض له مخلص الى مكان آخر ومنه نافقاء اليربوع لان اليربوع يخرق الارض الى القعر ثم يصعد من ذلك الى وجه الارض من جانب آخر (او سلما) مصعدا (فى السماء) تعرج به فيها (فتأتيهم) منها (بآية) مما اقترحوه والجواب محذوف اى فافعل وجملة الشرطية الثانية جواب للشرطية الاولى والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر أن يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء لايمانهم وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه (ولو شاء الله) هدايتهم (لجمعهم على الهدى) ولكن لم يشأ ذلك لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه فلم يؤمنوا فلا تتهالك عليه (فلا تكونن من الجاهلين) بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة بدقائق شؤونه تعالى التى من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم وفى الآية تربية وتأديب للنبى عليه السلام من الله تعالى كما قال عليه السلام ان الله ادبنى فأحسن تأديبى لئلا يبالغ فى الشفقة على غير أهلها (انما يستجيب) اى يقبل دعوتك الى الايمان (الذين يسمعون) ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم (قال الحافظ) كوهر پاك ببايدكه شود قابل فيض * ورنه هر سنك وكلى لؤلؤ ومرجان نشود (والموتى) اى الكفار شبههم بهم فى عدم السماع (يبعثهم الله) من قبورهم (ثم اليه) تعالى لا الى غيره (يرجعون) اى يردون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه (وقالوا) اى رؤساء قريش (لولا) تحضيضية بمعنى هلا (نزل عليه آية من ربه) كالناقة والعصا والمائدة من الخوارق الملجئة الى الايمان (قل) لهم (ان الله قادر على ان ينزل آية) كما اقترحوا (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم ان جحدوها اعلم ان الناس فى الاديان على اربعة اقسام سعيد بالنفس والروح فى لباس السعادة وهم الانبياء واهل الطاعة والثانى شقى بالنفس فى لباس الشقاوة وهم الكفار والمصرون على الكبائر والثالث شقى بالنفس فى لباس السعادة مثل بلعم باعورا وبرصيصا وابليس والرابع سعيد بالنفس فى لباس الشقاوة كبلال وصهيب وسلمان فى اوآئل امرهم ثم بدل لباسهم بلباس التقوى والهداية فان قلت ما الحكمة فى ان الله تعالى خلق الخلق سعيدا وشقيا وقال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شاء لهداكم اجمعين قلنا قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه ان الله تعالى علم فى الازل ان فلانا فى خلقه يعصى لعدم سبق استعداده للسعادة فجعله شقيا لسبق القضاء عليه بمقتضى استعداده فى الاعيان الثابتة ومظهرية استعداده لشؤون الجلال كأنه سأل بلسان الاستعداد كونه شقيا يسأله من فى السموات والارض بلسان القال والحال والاستعداد كل يوم هو فى شان يفيض ويعطى كل شئ ما يستعد من السعادة والشقاوة على حسب الاستعدادات فى الاعيان الثابتة الغيبية العلمية وعلم سبحانه وتعالى ان عبده يطيع فجعله سعيدا اى بمقتضى استعداده للسعادة الاجمالى والقابلية المودعة فى النشأة الانسانية بقوله ألست بربكم قالوا بلى فتلك الاجابة منهم تدل على الاستعداد

السعادي الازلي فلولم يكن ذلك لما صح عليهم التكليف والخطاب يمحو الله مايشاء و يثبت وعنده ام الكتاب فاذا عرفت ان الانسان سعيد وشقي فاستعداد السعيد لايعطي الا الاقوال المرضية والافعال الحسنة والاخلاق الحميدة التي تورث الانبساط واستعداد الشقي لايعطي الا التي تورث الانقباض فلذا امر الله تعالى حبيبه بالصبر وتحمل الايذاء من اهل الشقاوة والقهر والجلال والابتلاء في الدنيا سبب للغفران وتكميل الدرجات التي لاتنال في الجنان الاعلى قدر البلاء وفي الخبران في الجنة مقامات معلقة في الهواء يأوي اليها أهل البلاء كالطير الى وكره ولا ينالها غيرهم وان الرجل يبتلى على حسب دينه فان كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي وما عليه خطيئة والبلاء سوط الله على عباده كيلا يركنوا الى الدنيا ولايشتغلوا بها او يفروا الى الله من ضرب سوطه كما يفر الخيل الى مستقره والآخرة هي دار القرار * مابلا رابكس عطانكنيم * تاكه نامش زاوليا نكنيم * وبالجملة فمن ابتلى بشيء من المصائب والبلايا فالعاقبة حميدة في الصبر وبالصبر يكون من الامة المرحومة حقيقة ويدخل في اثر النبي عليه السلام (ومامن دابة في الارض) من زائدة لتأكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف الدابة اي وما فرد من افراد الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض (ولاطائر) من الطيور في ناحية من نواحي الجو (يطير بجناحيه) كما هو المشاهد المعتاد فقيد الطيران بالجناح تأكيد كما يقال نظرت بعيني واخذت بيدي او هو قطع لمجاز السرعة لانه يقال طار فلان في الارض اي اسرع (الاامم امثالكم) محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها (مافرطنا في الكتاب من شيء) يقال فرط في الشيء ضيعه وتركه اي ماتركنا في القرآن شيأ من الاشياء المهمة التي بينا انه تعالى مراع فيها لمصالح جميع مخلوقاته على ماينبغي بل قد بينا كل شيء امامفصلا او مجملا اما المفصل فكقوله تعالى أن النفس بالنفس والعين بالعين واما المجمل فكقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا (روى) ان الامام الشافعي كان جالسا في المسجد الحرام فقال لاتسألوني عن شيء الا اجيبكم فيه من كتاب الله تعالى فقال رجل ماتقول في المحرم اذا قتل الزنبور فقال لاشيء عليه فقال اين هذا في كتاب الله فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول الآية ثم ذكر اسنادا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ثم ذكر اسنادا الى عمر رضي الله عنه انه قال للمحرم قتل الزنبور (ثم الى ربهم) اي الامم (يحشرون) يوم القيامة الى ربهم لاالى غيره فيقضي بينهم (والذين كذبوا بآياتنا) اي القرآن (صم) لايسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولايعدونها من الآيات ويقترحون غيرها وهو جمع اصم والمقصود تشبيه حالهم بحال الاصم لكن حذف حرف التشبيه للمبالغة (وبكم) لايقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك لايستجيبون دعوتك وهو جمع ابكم (في الظلمات) اي ظلمات الكفر خبر ثالث للمبتدأ (من يشأ الله) اضلاله اي ان يخلق فيه الضلال (يضلله) اي يخلقه فيه لكن لاابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل مافي ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله (ومن يشأ) هدايته (يجعله على صراط مستقيم) لايضل من ذهب اليه ولايزل من ثبت قدمه عليه وفي الآيات امور الاول ان غير الانسان من الامم ايضا وفي الحديث لولا ان الكلاب امة لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم وذلك لان الكلب الاسود شيطان لكونه اعقر الكلاب واخبثها واقلها نفعا واكثرها نعاسا ومن هذا قال احمد بن حنبل لايحل الصيد به والاشارة ان مايدب في ارض البشرية و يتحرك كالسمع والبصر واللسان والاعضاء كلها والنفس وصفاتها وكذا مايطير بجناحي الشريعة والطريقة كالقلب والروح وصفاتها امم امثالكم في السؤال عن افعالهم واحوالهم يدل عليه قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا والثاني ان الحشر عام كما قال ابو هريرة رضي الله عنه يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيأخذ للجماء من القرناء كما في الحديث لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء اي يقتص للشاة التي لاقرن لها من التي لها قرن قال ابن ملك وفيه دلالة على حشر الوحوش كما قال الله تعالى واذا الوحوش حشرت لكن القصاص فيها قصاص مقابلة لاقصاص تكليف انتهى ثم يقال للبهائم والوحوش والطيور كوني ترابا فتكون ترابا مثل تراب ارض ذلك العالم وعند ذلك يتمنى الكافر ويقول ياليتني كنت ترابا قال الحدادي والمراد بهذا الافناء للبهائم بعد ان احياها انه افناء لايكون فيه الم والثالث ان الذين ختم الله على قلوبهم فهم كالاصم والابكم الاصليين

ومن خاصة الابكم ان يكون اصم (كما قال فى المثنوى) داتماهر كنك اصلى كربود * ناطق آنكس شدكه ازماد رشود *
چون سليمان سوى مرغان سبا * يك صفيرى كرد بست آن جمله را * جز مكر مرغى كه بدبى بال و پر *
ياچوماهى كنك بداز اصل كر * فى غلط كفتم كه كر كر سر نهد * پيش وحى كبريا سمعش دهد * فقلوب
الخلق بيد الله تعالى يصرفها كيف يشاء (روى) ان كفار مكة اجتمعوا على قتل النبى عليه السلام فبينما هم كذلك
اذ دخل عليهم ابليس فقال لماذا اجتمعتم فاخبروه بالقصة فقال لابى جهل يا ابا الحكم لو أنك حملت صنمك والهك
الذى تعبده ووضعته بين يدى محمد وسجدت له ربما يسمع محمد منه شيأ وكان صنمه مرصعا بالجوهر والياقوت
فحمل ابو جهل صنمه ووضعه بين يدى النبى عليه السلام وسجد له وقال الهى نعبدك ونتقرب اليك هذا محمد شتمنا
بسببك ونطمع منك ان تنصرنا وتشتم محمدا فاخذ الصنم يتحرك ويتكلم ويشتم فدخل فى قلب النبى عليه السلام
شئ ورجع الى بيت خديجة فلم يلبث ان دق الباب فاذا شاب دخل وبيده سيف فسلم وقال مرنى يا رسول الله
حتى امتثل امرك فقال عليه السلام من أنت قال انا من الجن قال كم تبلغ قوتك قال اقدر ان اقلع جبلى حراء
وابى قبيس وارميهما فى البحر قال من اين اقبلت الساعة قال كنت فى جزيرة البحر السابع اذ أتانى جبرائيل فقال
أدرك فلانا الشيطان دخل فى الصنم وشتم النبى عليه السلام فاقتله بهذا السيف فأدركته فى الارض الرابعة
فقتلته فقال له عليه السلام ارجع فانى استعين بربى من عدوى وقال الشاب لى اليك حاجة هى ان ترجع
الى مكان كنت فيه امس فانهم يستخبرون ذلك الصنم ثانيا فرجع فى الغد ومعه ابو بكر الصديق فجاء ابو جهل
مع صنمه ففعل كما فعل بالامس فأخذ الصنم يتحرك ويقول لا اله الا الله محمد رسول الله وانا صنم لا انفع ولا اضر
ويل لمن عبدنى من دون الله فلما سمعوا ذلك قام ابو جهل وكسر صنمه وقال ان محمدا سحر الاصنام فظهر ان الله
تعالى يقول الحق من ألسنة المظاهر ولكن لا يسمع المنافق والكافر (قل) يا محمد لاهل مكة (ارأيتكم) الكاف
حرف خطاب اكد به ضمير الفاعل المخاطب لتأكيد الاسناد لا محل له من الاعراب كالكاف فى اياك وذلك الكاف
يدل على احوال المخاطب من الافراد والتذكير ونحوها فهو يطابق ما يراد به والتاء تبقى على حالة واحدة مفردة
مفتوحة ابدا نحو ارأيتك ارأيتكما أرأيتكم ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت
او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اى اخبرونى فجعل العلم او الابصار الذى هو سبب الاخبار مجازا
عن الاخبار وجعل الاستفهام الذى للتبكيت والالجاء الى الاقرار مجازا عن الامر بجامع الطلب (ان أتاكم
عذاب الله) فى الدنيا كما أتى من قبلكم من الامم (او أتتكم الساعة) اى القيامة المشتملة على ذلك العذاب وهو
العذاب الاخروى والساعة اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمى بها لانها ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم
(أغير الله تدعون) هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت (ان كنتم صادقين) جواب الشرط محذوف اى ان كنتم
صادقين فى ان اصنامكم آلهة كما انها دعواكم المعروفة فاخبرونى اغير الله تدعون ان أتاكم عذاب الله فان
صدقهم بهذا المعنى من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه (بل اياه تدعون) عطف على جملة منفية كأنه
قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون (فيكشف ما تدعون اليه) اى الى كشفه عطف على تدعون اى
فيكشف اثر دعائكم (ان شاء) كشفه فقبول الدعاء تابع لمشيئته تعالى فقد يقبله كما فى بعض دعواهم المتعلقة
بكشف العذاب الدنيوى وقد لا يقبله كما فى بعض آخر منها وفى جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروى الذى
من جملته الساعة فانه تعالى لا يغفر أن يشرك به فلا يشاء فى الآخرة (وتنسون ما تشركون) عطف على تدعون
ايضا اى تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا لما ركز فى العقول انه القادر على كشف العذاب
دون غيره فالنسيان هنا بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة (ولقد ارسلنا) اى وبالله لقد ارسلنا رسلا (الى امم) كثيرة
(من قبلك) اى كائنة من زمان قبل زمانك فمن لابتداء الغاية فى الزمان على مذهب الكوفية مثل نمت من اول
الليل وصمت من اول الشهر الى آخره وقال المحشى سنان چلبى من زائده على قول من جوز زيادتها فى الموجب
واما عند غيره فهى بمعنى فى كما فى قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة (فاخذناهم) الفاء فصيحة تفصح ان
الكلام مبنى على اعتبار الحذف اى فكذبوا رسلهم فأخذناهم (بالبأساء) اى بالشدة والفقر (والضراء) اى الضر
والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما (لعلهم يتضرعون) اى لكى يدعوا الله فى كشفهما بالتضرع والتذلل
ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم (فلولا) هلا (اذ جاءهم بأسنا) عذابنا (تضرعوا) اى لم يفعلوا ذلك مع قيام

مقتضى له فلولا يفيد اللوم والتنديم وذلك عند قيام الداعى الى الفعل وانتفاء العذر فى تركه (ولكن قست قلوبهم) استدراك على المعنى اى لم يتضرعوا ولكن يبست وجفت قلوبهم ولو كان فى قلوبهم رقة وخوف لتضرعوا (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) اى حسن لهم الكفر والمعاصى بان اغواهم ودعاهم الى اللذة والراحة دون التفكر والتدبر ولم يخطر ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله (فلما نسوا ما ذكروا به) عطف على مقدر اى فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه (فتحنا عليهم ابواب كل شئ) من فنون النعماء على منهاج الاستدراج (حتى) ابتدائية ومع ذلك غاية لقوله فتحنا (اذا فرحوا بما اوتوا) اى صاروا معجبين بحالهم فالفرح فرح البطر كفرح قارون بما اصابه من الدنيا (اخذناهم) بالعذاب (بغتة) اى فجأة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا كما قال أهل المعانى انهم انما اخذوا فى حال الراحة والرخاء ليكون اشد تحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية (فاذا هم مبلسون) متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير راجون فاذا للمفاجاة والابلاس بمعنى اليأس من النجاة عند ورود المهلكة والمعنى الحسرة والحزن (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد فالدابر يقال للتابع للشئ من خلفه كالولد للوالد يقال دبر فلان القوم يدبر دبرا ودبورا اذا كان آخرهم قال البغوى معناه انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذى هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصى مقام الطاعات (والحمد لله رب العالمين) على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التى نطقت بها رسلهم عليهم السلام وفى الآيات امور منها ان الله تعالى هو المرجع فى كل امر حال الاختيار والاضطرار والعاقل لا يلتجئ الى غيره تعالى لان ما سوى الله آلات واسباب والمؤثر فى الحقيقة هو الله تعالى فشأن المؤمن هو النظر الى بابه والاستمداد من جنابه حال السراء والضراء بخلاف الكافر فانه يفتح عينيه عند نزول الشدة والقبول هو الرجوع اختيارا فان العبد المطيع لا يترك باب سيده على كل حال ومنها ان الله تعالى يقلب الانسان تارة من البأساء والضراء الى الراحة والرخاء وانواع الآلاء والنعماء واخرى بعكس الامر كما يفعله الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه والزاما للحجة وازاحة للعلة ففى هذه المعاملة تربية له وفائدة عظيمة فى دينه ودنياه ان تفطن (قال الصائب) نهاد خفت نوسوهان بخرد مى كيد * وگرنه پست وبلند زمان سوهانست * ومنها ان الهلاك بقدر الاستدراج ونعوذ بالله تعالى من المكروه وفى الحديث اذا رأيت الله تعالى يعطى عبدا فى الدنيا على معصية ما يحب فان ذلك منه استدراج ثم قرأ صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به الآية وفى التأويلات النجمية فتحنا عليهم ابواب كل شئ اى من البلاء فى صورة النعماء لارباب الظاهر بالنعمة الظاهرة من المال والجاه والقبول والصحة وامثالها ولارباب الباطن بالنعمة الباطنة من فتوحات الغيب واراءة الآيات وظواهر الكرامات ورؤية الانوار وكشف الاسرار والاشراف على الخواطر وصفاء الاوقات ومشاهدة الروحانية واشباهها مما يربى به اطفال الطريقة فان كثيرا من متوسطى هذه الطائفة تعتريهم الآفات فى اثناء السلوك عند سآمة النفس من المجاهدات وملالتها من كثرة الرياضات فيوسوسهم الشيطان وتسول لهم انفسهم انهم قد بلغوا فى السلوك رتبة قد استغنوا بها عن صحبة الشيخ وتسليم تصرفاته فيخرجون من عنده ويشرعون فى الطلب على وفق انفسهم فيقعون فى ورطة الخذلان وسخرة الشيطان فيريهم الاشياء الخارقة للعادة وهم يحسبون انها من نتائج العبادة وكان بعضهم يسير فى البادية وقد اصابه العطش فانتهى الى بئر فارتفع الماء الى رأس البئر فرفع رأسه الى السماء وقال اعلم انك قادر ولكن لا اطيق هذا فلو قيضت لى بعض الاعراب يصفعنى صفعا ويسقينى شربة ماء كان خيرا لى ثم انى اعلم ان ذلك الرفق ليس من جهته وقال الشيخ ابو عبد الله القرشى قدس سره من لم يكن كارها لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصى فهى حجاب فى حقه وسترها عنه رحمة ومنها ان العجب مذموم مهلك وفى الحديث ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه * مرد معجب زاهل دين نبود * هيچ خود بين خداى بين نبود * بيخبر از جهان ومست بكيست * خويشتن

بين وبت برست بكيست * وعلامة رؤية التوفيق من الله تعالى ومنها ان النعمة لابدلها من الحمد والشكر وفى الخبر الصحيح اول من يدعى الى الجنة الحامدون لله على كل حال ولما حمد نوح عليه السلام بقوله الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وجد السلامة حيث قال تعالى يانوح اهبط بسلام منا فلابد من الحمد على السلامة سوآء كانت من جهة الدين اومن جهة الدنيا اذ كل منهما نعمة ودخل رجل على سهل بن عبد الله فقال ان اللص دخل دارى واخذ متاعى فقال اشكر الله لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وافسد التوحيد ماذا كنت تصنع يقول الفقير جامع هذه المجالس الشريفة سئلت فى المنام عن معنى الحمد فقلت الحمد اظهار الكمال بتهيئة اسبابه فقال السائل وهو واحد من سادات المشايخ ما تهيئة الاسباب فقلت ان ترفع يديك الى السماء وتنظر الى جانب الملكوت وتظهر الخضوع والخشوع وان تثنى على الله تعالى ثناء حقا كما ينبغى ثم استيقظت فجاء التفسير بحمد الله تعالى مشيرا الى مراتب الشكر (كما قال بعضهم) الشكر قيد للنعم * مستلزم دفع النقم * وهو على ثلاثة * قلب يد فاعلم وفم * والحمد لله تعالى ولى الانعام على الاستمرار والدوام (قل) يا محمد لاهل مكة (ارأيتم) اى اخبرونى ايها المشركون فان الرؤية بصرية كانت او علمية سبب الاخبار كما سبق (ان اخذ الله سمعكم) اى اصمكم (وابصاركم) اى اعماكم بالكلية (وختم على قلوبكم) بان غطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم بحيث تصيرون مجانين (من اله غير الله) من استفهامية مبتدأ واله خبره وغير صفة له (يأتيكم به) اى بما اخذه منكم وهى صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اى اخبرونى ان سلب الله عنكم اشراف اعضائكم من احد غير الله يأتيكم بها ومن المعلوم انه لا يقدر عليه الا الله سبحانه فهو المستحق للعبادة والتعظيم وهو احتجاج اخر على المشركين (انظر) يا محمد وتعجب (كيف نصرف الآيات) اى نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين قال الحدادى التصريف توجيه المعنى فى الجهات التى تظهرها اتم الاظهار (ثم هم يصدفون) اى يعرضون عنها فلا يؤمنون وثم لاستبعاد صدفهم اى اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها (قل ارايتكم) اى اخبرونى ايها المشركون (ان اتاكم عذاب الله بغتة اوجهرة) اى ليلا اونهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة اى الفجأة وفيما اتى نهارا الجهرة وهو المناسب لما فى سورة الاعراف من قوله تعالى أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون اوأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون والقرآن يفسر بعضه بعضا وهو اللائح بالبال (هل يهلك الا القوم الظالمون) الاستفهام بمعنى النفى ومتعلق الاستخبار محذوف اى اخبرونى ان اتاكم عذابه العاجل الخاص بكم بغتة اوجهرة كما اتى من قبلكم من الامم ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك هل يهلك الا القوم الظالمون اى ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم ووضع المظهر موضع المضمر ايذانا بأن مناط هلاكهم ظلمهم الذى هو وضعهم للكفر موضع الايمان (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) حالان مقدرتان من المرسلين اى ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم ففيهما معنى العلة الغائية قطعا اى لم نرسلهم لان يقترح عليهم الآيات ويتلهى بهم بل لأن يبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية التبشير الاخبار بالخبر السار والانذار الاخبار بالخبر الضار (فمن آمن) بهم (واصلح) عمله اودخل فى الصلاح (فلا خوف عليهم) من العذاب الذى انذروه دنيويا كان اواخرويا (ولاهم يحزنون) بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل (والذين كذبوا بآياتنا) وهى ما نطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار وبلغوه الى الامم (يمسهم العذاب) الاليم واسند المس الى العذاب مع ان حقه ان يسند الى الاحياء لكونه من الافعال المسبوقة بالقصد والاختيار على طريق الاستعارة بالكناية فجعل كأنه حى يطلب ايلامهم والوصول اليهم (بما كانوا يفسقون) اى بسبب فسقهم المستمر الذى هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة وفى الآيات ترغيب وترهيب (وفى الكلمات القدسية) يا ابن آدم لا تأمن مكرى حتى تجوز على الصراط (روى) ان الله تعالى قال يا ابراهيم ما هذا الوجل الشديد الذى اراه منك فقال يارب كيف لا اوجل وادم ابى كان محله القرب منك خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك وامرت الملائكة بالسجود له فبمعصية واحدة اخرجته من جوارك فأوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم اما عرفت ان معصية الحبيب على الحبيب شديدة (وعن مالك

ابن دينار) قال دخلت جبانة البصرة فاذا انا بسعدون المجنون فقلت كيف حالك وكيف انت قال يا مالك كيف يكون حال من امسى واصبح يريد سفرا بعيدا بلا اهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكى بكاء شديدا فقلت ما يبكيك فقال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت والبلى لكن بكيت ليوم مضى من عمري لم يحسن فيه عملي * كارى كنيم ورنه نجالت برآورد * روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم * ابكاني والله قلة الزاد وبعد المفازة والعقبة الكؤود ولا ادري بعد ذلك اصير الى الجنة ام الى النار فسمعت منه كلام حكمة فقلت ان الناس يزعمون انك مجنون فقال ما بي جنة ولكن حب مولاي خالط قلبي واحشائي وجرى بين لحمي ودمي وعظامي * دررە منزل ليلى كه خطرهاست درو * شرط اول قدم آنست كه مجنون باشى * كاروان رفت وتو درخواب وبيابان در پيش * كى روى ره زكه پرسى چه كنى چون باشى * وعلى تقدير الزلة فليبادر العاقل الى التوبة والاستغفار حتى يتخلص من عذاب الملك القهار كما قال تعالى فمن آمن واصلح فلا الخ (روى) ان الملائكة تعرج الى السماء بسيئات العبد فاذا عرضوها على اللوح المحفوظ يجدون مكانها حسنات فيخرون على وجوههم ويقولون ربنا انك تعلم انما كتبنا عليه الا ما عمل فيقول الله تعالى صدقتم ولكن عبدي ندم على خطيئته واستشفع الي بدمعته فغفرت ذنبه وجدت عليه بالكرم وانا اكرم الاكرمين فالايمان واصلاح العمل والندم على الزلل سبب النجاة في الدنيا والآخرة قال بعض الكبار ان الايمان والاسلام يمكن ان يكونا شيأ واحدا في الحقيقة ولكن خص كل منهما بنوع مجازا عرفيا فكل ما كان فيه التصديق القلبي اطلق عليه الايمان لوجود اصل معناه فيه كما لا يخفى (قل) يا محمد للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات واخرى غير ذلك (لا اقول لكم عندي خزآئن الله) اى لا ادعى ان خزآئن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيف اشاء استقلالا واستدعاء حتى تقترحوا على تنزيل الآيات اوانزال العذاب اوقلب الجبال ذهبا اوغير ذلك مما لا يليق بشأني فالخزآئن جمع خزينة بمعنى مخزونة قال الحدادي وليس خزآئن الله مثل خزآئن العباد وانما خزآئن الله تعالى خزآئن مقدوراته التي لا توجد الا بتكوينه اياها ويجوز أن يكون جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي وكانوا يقولون ان كنت رسولا من عند الله تعالى فوسع علينا منافع الدنيا وخيراتها فالمعنى لا ادعى ان مفاتيح الرزق بيدي فأقبض وابسط (ولا اعلم الغيب) عطف على محل عندي خزآئن الله ولا مزيدة مذكرة للنفي اى ولا ادعى ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة اووقت نزول العذاب اونحوهما (ولا اقول لكم اني ملك) من الملائكة حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي الى السماء ونحوه اوتعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني لا ادعى شيأ من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا على ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهته عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى (ان اتبع الا ما يوحى الي) اى ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي مدخل ما في الوحي اوفي الموحى بطريق الاستدعاء اوبوجه آخر من الوجوه أصلا والوحي ثلاثة ما ثبت بلسان الملك والقرآن من هذا القبيل وما ثبت باشارة الملك من غير ان يبينه بالكلام واليه الاشارة بقوله عليه السلام ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها والثالث ما تبدى لقلبه اى ظهر لقلبه بلا شبهة الهاما من الله تعالى بان اراه الله بنور من عنده كما قال لتحكم بين الناس بما أراك الله وابى الاشعرية واكثر المتكلمين ان يحكم عليه السلام بالاجتهاد كما تدل عليه الآية اذ تبين بها انه لا يتبع الا الوحي والجواب انه جعل اجتهاده عليه السلام وحيا باعتبار المآل فان تقريره عليه السلام على اجتهاده يدل على انه هو الحق كما اذا ثبت بالوحي ابتداء (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدي فانه عليه السلام لما وصف نفسه بكونه متبعا للوحي الالهي لزم منه ان يصف نفسه بالاهتداء ويصف من عانده واستبعد دعواه بالضلال فالعمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحي يجري مجرى عمل البصير (افلا تتفكرون) اى ألا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه فتهتدوا باتباع الوحي والعمل بمقتضاه فمناط التوبيخ عدم الامرين معا اى الاستماع والتفكر (وانذر به) اى خوف

من العذاب بما يوحى (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) اى يبعثوا ويجمعوا الى ربهم اى الى موضع لا يملك احد فيه نفعهم ولا ضرهم الا الله تعالى وقيل يخافون يعلمون لان خوفهم انما كان من علمهم (ليس لهم من دونه ولى) قريب ينفعهم (ولا شفيع) يشفع لهم وجملة النفى اى ليس فى موضع الحال من ضمير يحشرون فان المخوف هو الحشر على هذه الحال وقوله من دونه حال من اسم ليس اى متجاوزا الله تعالى والمراد بالموصول المؤمنون العاصون كما فى اكثر التفاسير وانما نفى الشفاعة لغيره مع ان الانبياء والاولياء يشفعون كما هو مذهب أهل السنة لانهم لا يشفعون الا باذنه فكانت الشفاعة فى الحقيقة من الله تعالى وقال المولى ابو السعود رحمه الله المراد بالموصول المجوزون من الكفار للحشر سواء كانوا جازمين بأصله كأهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين فى شفاعة آبائهم الانبياء كالاولين او فى شفاعة الاصنام كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون ممن امر بأنذارهم انتهى فالكلام على هذا ظاهر لان الظالمين ليس لهم من حميم ولا شفيع يطاع (لعلهم يتقون) تعليل للامر اى انذرهم لكى يتقوا الله باقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات او يتقوا الكفر والمعاصى والاشارة ان الله تعالى امر نبيه عليه السلام ان يكلم الكفار على قدر عقولهم فقال قل لا اقول لكم عندى خزآئن الله على انها عندى ولكن لا اقول لكم وهى علم حقائق الاشياء وماهياتها وقد كان عنده فى اراءة سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم وفى اجابة قوله عليه السلام ارنا الاشياء كما هى فى قوله اوتيت جوامع الكلم وما امره الله تعالى الا ان قل ليس عندى خزآئن الله قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر (ولا تبذر الاسرار) يعنى بيان الحقائق الذى هو غذآء القلب والروح كالسمراء يعنى الحنطة للعجم (فى ارض عميان) يعنى فى ارض استعداد هؤلاء الطوآئف الذين لا يبصرون الحق ولا يشاهدونه فى جميع الاشياء كما فى شرح الفصوص للمولى الجامى قدس سره (قال السعدى) در يغست باسفله كفت ازعلوم * كه ضايع شود تخم درشوره بوم * ولا اعلم الغيب فانه صلى الله عليه وسلم كان يخبر عما مضى وعما سيكون باعلام الحق وقد قال عليه السلام ليلة المعراج قطرت فى حلقى قطرة علمت ما كان وما سيكون فمن قال ان نبى الله لا يعلم الغيب فقد اخطأ فيما اصاب ولا اقول لكم انى ملك وان كنت قد عبرت عن مقام الملك حين قلت لجبرئيل تقدم فقال لو دنوت انملة لاحترقت (كما قال السعدى) شبى برنشست ازفلك بركذشت * بتمكين وجاه از ملك دركذشت * چنان كرم درتيه قربت براند * كه درسدره جبريل ازو بازماند * ان اتبع الا ما يوحى الى يعنى لا اخبركم عن مقاماتى واحوالى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل الا ما يوحى الى ان اخبركم وكيف اخبركم عما اعمى الله بصائركم عنه وانا به بصير فلا يستوى الاعمى والبصير ثم قال وانذر به يعنى اخبر بهذه الحقائق والمعانى الذين يخافون اى يرجون ان يحشروا الى ربهم بجذبات العناية ويتحقق لهم ليس لهم فى الوصول الى الله من دونه ولى يعنى من الاولياء ولا شفيع يعنى من الانبياء لان الوصول لا يمكن الا بجذبات الحق لعلهم يتقون عما سوى الله بالله فى طلب الوصول قال السرى السقطى قدس سره خرجت يوما الى المقابر فاذا ببهلول فقلت له اى شئ تصنع هنا قال اجالس قوما لا يؤذوننى وان غبت لا يغتابوننى فقلت له تكون جائعا فولى وانشأ يقول

تجوع فان الجوع من عمل التقى * وان طويل الجوع يوما سيشبع

قيل مثل الصالحين وما زينهم الله به دون غيرهم مثل جند قال لهم الملك تزينوا للعرض على غدا فمن كانت زينته احسن كانت منزلته عندى ارفع ثم يرسل الملك فى السر بزينة عنده ليس عند الجند مثلها الى خواص مملكته واهل محبته فاذا تزينوا بزينة الملك فخروا سائر الجند عند العرض على الملك فهذا مثل من وفقهم الله تعالى للاعمال الصالحة والاحوال الزكية ولا حاجة لهم الى ان يصفوا ما عندهم الى عامة الناس فان علمهم بذلك كاف وسيظهر يوم العرض الاكبر وعند الكثيب الاحمر (اولئك خدام كرام وسادة ونحن عبيد السوء بئس عبيد) (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) (روى) ان رؤساء قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوا فى مجلسه الشريف فقرآء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب وبلال وسلمان وغيرهم لو طردت

هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم وكان عليهم جباب صوف لا غيرلها السنالك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاذا نحن جئناك فاقمهم عناحتى يعرف العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء فاذا اقمنا عن مجلسك فاقعدهم معك ان شئت فهمّ عليه السلام ان يفعل ذلك طمعا فى ايمانهم فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلمه انه لا يحب ان تفضل غنيا على فقير ولا شريفا على ضيع لان طريقه فيما ارسل به الدين دون احوال الدنيا والطرد الابعاد وبالفارسية * هران از مجلس خود ان درو يشان را كه ميخوانند پروردگار خود را وذكر او ميكنند بامداد وشبانگاه * والمراد بذكر الوقتين الدوام ومن دام ذكره دام جلوسه مع الله كما قال انا جليس من ذكرنى (يريدون) بذكرهم وعبادتهم (وجهه) تعالى ورضاه لا شيأ من اغراض الدنيا حال من ضمير يدعون اى يدعونه تعالى مخلصين له وقيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر * عبادت باخلاص نيت نكوست * وگرنه چه آيد زبى مغز پوست * واشعارا بانه من اقوى موجبات الاكرام المنافى للابعاد (ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) لما لم يقتصر المشركون فى طعن فقراء المسلمين على وصفهم بكونهم موالى ومساكين بل طعنوا فى ايمانهم ايضا حيث قالوا يا محمد انهم انما اجتمعوا عندك وقبلوا دينك لانهم يجدون عندك مأكولا وملبوسا بهذا السبب والا فهم عارون عن دينك والايمان بك دفع الله تعالى ما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويلهم فقال ما عليك اى ليس عليك الا اعتبار ظاهر حالهم وهو اتسامهم بسمة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضى كما يقوله المشركون فضرة حساب ايمانهم لا ترجع الا اليهم لا اليك لان المضرة المترتبة على حساب كل نفس عائدة اليها لا الى غيرها فالمقصود منه دفع طعن الكفار وتثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على تربية الفقراء وادنائهم وضمير حسابهم وعليهم للذين يدعون ربهم وكلمة من فى قوله من شئ زائدة وهو فاعل عليك وعليهم لاعتمادها على النفى ومن حسابهم ومن حسابك صفة لشئ ثم قدمت فصارت حالا قال المولى ابو السعود وذكر قوله تعالى وما من حسابك عليهم من شئ مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة فى بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه فى سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (فتطردهم) جواب النفى نحو ما تأتينا فتحدثنا بنصب فتحدث على ان يكون المعنى انتفاء التحديث لانتفاء سببه الذى هو الاتيان والآية الكريمة من هذا القبيل فانه لو كانت مضرة حسابهم مستقرة على المخاطب لكان ذلك سببا للابعاد من يتوهم الوهن فى ايمانه فحكم بأن هذا السبب غير واقع حتى يقع مسببه الذى هو الطرد (فتكون من الظالمين) جواب النهى وهو ولا تطرد الذين الآية (وكذلك فتنا) ذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذى هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين فى امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه فى امر الدنيا من كمال سوء الحال والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اى ابتلينا (بعضهم ببعض) اى بعض الناس ببعضهم لا فتون غيره حيث قدمنا الآخرين فى امر الدنيا على الاولين المتقدمين عليهم فى امر الدنيا تقدما كليا (ليقولوا) اللام للعاقبة اى ليكون عاقبة امرهم ان يقول البعض الاولون مشيرين الى الآخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوى وتعاميا عما هو مناط التفضل حقيقة (اهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا) بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المتقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن رأسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى قال الكلبى ان الشريف اذا نظر الى الوضيع قد أسلم قبله استنكف وانف ان يسلم وقال قد سبقنى هذا بالاسلام فلا يسلم (أليس الله بأعلم بالشاكرين) رد لقولهم ذلك وابطال له اى أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفيه اشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون لحق نعمة الله تعالى فى تنزيل القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك وتعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله قال فى التأويلات النجمية وكذلك فتنا بعضهم ببعض يعنى الفاضل بالمفضول والمفضول بالفاضل فليشكر الفاضل وليصبر المفضول فان لم يشكر الفاضل فقد تعرض لزوال الفضل وان صبر المفضول فقد سعى فى نيل الفضل والمفضول الصابر يستوى مع الفاضل الشاكر كما كان سليمان فى الشكر مع ايوب فى الصبر فان سليمان مع كثرة

صورة اعماله فى العبودية كان هو وايوب مع عجزه عن صورة اعمال العبودية متساويين فى مقام نعم العبدية فقال الكل واحد منهما نعم العبد ففتنة الفاضل للمفضول رؤية فضله على المفضول وتحقيره ومنع حقه عنه فى فضله وفتنة المفضول فى الفاضل حسده على فضله وسخطه عليه فى منع حقه من فضله عنه فانه انقطع بالخلق اورأى المنع والعطاء من الخلق وهو المعطى والمانع لاغير فعلى العاقل ان يختار ما اختاره الله ولا يريد الا ما يريده (قال الكاشفى فى تفسيره الفارسى) دركشف الاسرار آورده كه ارادت برسه وجه است اول ارادت دنياى محض (كما قال تعالى تريدون عرض الدنيا) ونشان آن دو چيزاست درزيادتى دنيا بنقصان دين راضى بودن وازدرويشان ومسلمانان اعراض نمودن ودوم ارادت آخرت محض (كما قال تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها) وآن نيز دو علامت دارد درسلامتى دين بنقصان دنيا رضادادن ودرمؤانست والفت بروى درويشان كشادن سوم ارادت حق محض (كما قال تعالى يريدون وجهه) ونشان آن پاى برسر كونين نهادن است وازخود وخلق آزاد كشتن * مارا خواهى خطى بعالم دركش * دربحر فنا غرقه شو ودم دركش * فهم يريدون وجهه تعالى فكل يريدون منه وهم يريدونه ولا يريدون منه كما قيل

وكل له سؤل ودين ومذهب * ووصلكمو سؤلى ودينى رضاكمو

وتكلم الناس فى الارادة فاكثروا وتحقيقها اهتياج يحصل فى القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل الى الله تعالى فصاحب الارادة لايهدأ ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون وصوله اليه سكونا ولا قرارا كما فى التأويلات النجمية وفى الآية الكريمة بيان فضل الفقراء وعن ابى سعيد الخدرى قال جلست فى نفر من ضعفاء المهاجرين وكان بعضهم يستتر ببعض من العرى وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام سكت القارئ فسلم رسول الله وقال ما كنتم تصنعون قلنا يارسول الله كان قارئ يقرأ علينا وكنا نستمع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله الحمد لله الذى جعل من امتى من امرنى ان اصبر نفسى معهم قال ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له قال فما رأيت رسول الله عرف منهم احدا غيرى فقال ابشروا يامعاشر صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة وفى الحديث يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة فيعتذر الله عز وجل اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل فى الدنيا فيقول وعزتى وجلالى مازويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج ياعبدى الى هذه الصفوف وانظر الى من اطعمك اوكساك واراد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل به ذلك فى الدنيا فيأخذه بيده ويدخل الجنة (قال الحافظ) توانكرا دل درويش خود بدست آور * كه مخزن زر وكنج ودرم نخواهد ماند * برين رواق زبرجد نوشته اند بزر * كه جز نكويى اهل كرم نخواهد ماند * وفى الحديث لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة (قال الشيخ العطار قدس سره) حب درويشان كليد جنت است * دشمن ايشان سزاى لعنت است * اللهم اجعلنا من الاحباب ولا تطردنا خارج الباب (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) روى ان قوما جاؤا الى النبى عليه السلام فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فماتداركه الاستغفار وتدبير الاعتذار فسكت عنهم ولم يرد عليهم شيأ فانصرفوا مأيوسين فنزلت قال الامام كل من آمن بالله دخل هذا التشريف (فقل سلام عليكم) من كل مكروه وآفة والسلام بمعنى التسليم اى الدعاء بالسلامة فمعنى سلام عليكم سلمنا عليكم سلاما اى دعوت بان يسلمكم الله من الآفات فى دينكم ونفسكم وانما امره بأن يبدأهم بالسلام مع ان العادة ان الجائى يسلم على القاعد حتى ينبسط اليهم بالسلام عليهم لئلا يحتشموا من الانبساط اليه هذا هو السلام فى الدنيا واما فى الآخرة فتسلم عليهم الملائكة عند دخول الجنة كقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين والله يبتدئ بالسلام عليهم بقوله سلام قولا من رب رحيم وقوله فقل سلام عليكم يشير الى السلام الذى سلمه الله على حبيبه عليه السلام ليلة المعراج اذ قال له السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فقال فى قبول السلام السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين والذى تاب من بعد ظلمه منتظم فى سلك اهل الصلاح فورد الآية لا ينافى هذا المعنى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) اى قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان قال ابن الشيخ كلمة على تفيد الايجاب

واذا اجتمعا تأكد الايجاب وهو لا ينافى كونه تعالى فاعلا مختارا بل هو عبارة عن تأكيد وبيان لفضله وكرمه اه
قال فى التأويلات النجمية قال فى حديث ربانى "الجنة انما انت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى فيرحم بجنته
من شاء من عباده ويرحم بذاته من شاء من عباده (انه من عمل منكم سوأ) بدل من الرحمة والتقدير كتب على
نفسه انه من عمل الخ فان مضمون هذه الجملة لاشك انه رحمة والسوء بالفارسية كار بد (بجهالة) حال من فاعل
عمل اى عمله ملتبسا بجهالة حقيقة بان يفعله وهو لا يعلم ما يترتب عليه من المضرة والعقوبة او حكما بان يفعله
عالما بسوء عاقبته فان من عمل ما يؤدى الى الضرر فى العاقبة وهو عالم بذلك اوظان فهو فى حكم الجاهل
فهو حال مؤكدة لانها مقررة لمضمون قوله عمل سوأ لان عمل السوء لا ينفك عن الجهالة حقيقة او حكما قال اهل
الاشارة يشير بقوله منكم الى ان عامل السوء صنفان صنف منكم أيها المؤمنون المهتدون وصنف من غيركم
وهم الكفار الضالون والجهالة جهالتان جهالة الضلالة وهى نتيجة اخطاء النور المرشش فى عالم الارواح
وجهالة الجهولية وهى التى جبل الانسان عليها فمن عمل من الكفار سوأ بجهالة الضلالة فلا توبة له بخلاف من
عمل سوأ من المؤمنين بجهالة الجهولية المركوزة فيه فان له توبة كما قال تعالى (ثم تاب) اى رجع عنه (من بعده)
اى من بعد عمله (واصلح) اى ما افسده والاصلاح هو أن لا يعود ولا يفسد (فانه) خبر مبتدأ محذوف اى فامره
ان الله تعالى (غفور) له (رحيم) به قال الكاشفى فى تفسيره الفارسى امام قشيرى رحمه الله فرموده كه
اكر ملك بر تو ذلت مى نويسد ملك براى تو رحمت مى نويسد پس ترا دو كتابت است يكى ازلى ويكى وقتى مقرر است كه
كتابت وقتى كتابت ازلى را باطل نمى تواند ساخت مضمون اين آيت شريف شفاست بيماران بيمارستان كناه را
وشفا بشرط پرهيزست يعنى توبه واستغفار * دردمندان كنه را روز وشب * شربتى بهتر ز استغفار نيست *
ارزومندان وصال يار را * چاره غير از ناله وزارى نيست (وكذلك نفصل الآيات) الكاف مقحمة
لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده اى هذا التفصيل البديع
نفصل الآيات القرآنية ونبينها فى صفة أهل الطاعة وأهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ليظهر الحق
ويعمل به (ولتستبين سبيل المجرمين) اى تظهر طريقتهم فيجتنب عنها ورفع سبيل على انه فاعل فانه يذكر فى لغة
بنى تميم ويؤنث فى لغة أهل الحجاز ووجه الاستبانة والايضاح ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة
فعلى العاقل ان يسلك طريق الفوز والفلاح ويصل الى ما وصل اليه أهل الصلاح واول الطريق هو التوبة
والاستغفار قال العلماء تذكر أولا قبح الذنوب وشدة عقوبة الله ثم تذكر ضعفك وقلة حيلتك فى ذلك فمن لا يحتمل
قرص نملة وحر شمس كيف يحتمل نار جهنم ولسع حيات فينبغى ان تجتهد فى الخروج من الذنوب على اقسامها
التى بينك وبين عباد الله بالاستحلال ورد المظالم واما التى هى من ترك الواجبات من صلاة وصيام وزكاة فتقضى
ما امكن منها واما التى بينك وبين الله كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربا فتندم على ما مضى منها وتوطن
قلبك على ترك العود الى مثلها ابدا فاذا ارضيت الخصوم بما امكن وقضيت الفوائت بما تقدر عليه وبرأت
قلبك من الذنوب فينبغى ان ترجع اليه بحسن الابتهال والضراعة ليكفيك ذلك بفضله فتذهب فتغتسل وتغسل
ثيابك فتصلى ركعتين كما فى الحديث الصحيح ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين
ثم يستغفر الله الا غفر له وفى حديث آخر ايما عبد او امة ترك صلاته فى جهالته فتاب وندم على تركها فليصل يوم
الجمعة بين الظهر والعصر اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل منها الفاتحة وآية الكرسى والاخلاص والمعوذتين مرة
لا يحاسبه الله تعالى يوم القيامة ووجد صحيفة سيئاته حسنات ذكره فى مختصر الاحياء يقول الفقير جامع
هذه الفوائد ان هذا الحديث على تقدير صحته لا يفهم منه ان هذه الصلاة تكون قضاء لجميع ما فات منه وتقوم
بدله كيف وقد ذكر فى اوله التوبة والندامة ومن مقتضاها قضاء ما سلف كما مر آنفا ومعنى ان الله تعالى لا يحاسبه
يوم القيامة لا يقول له لم اخرت الصلاة التى فرضت عليك عن اوقاتها وذلك ببركة هذه الصلاة الشريفة التى هى
تأكيد لتوبته وزيادة فى اعتذاره وقد عرف فى الشرع ان العبد كما يحاسب على ترك الصلوات كذلك يحاسب
على تأخيرها عن اوقاتها وبهذا البيان انحل ما اشكل على بعض من مواظبة الناس على قضاء صلوات يوم وليلة
فى آخر جمعة من شهر رمضان بين الظهر والعصر فان ما يصلونه هى الصلاة المذكورة عند الحقيقة لكنهم
يغلطون فى زعمهم وفى الكيفية والله اعلم وفى كتاب الترغيب والترهيب انه جاء رجل الى رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم فقال واذنوباه واذنوباه مرتين اوثلاثا فقال له عليه السلام قل اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبي ورحمتك ارجى عندى من عملي فقالها ثم قال عد فعاد ثم قال عد فعاد ثم قال قم فقد غفر الله لك ومن استغفر للمؤمنين كل يوم كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وما الميت فى قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أب اوام اواخ اوصديق فاذا الحقته كانت أحب اليه من الدنيا ومافيها وان الله تعالى ليدخل على اهل القبور من دعاء اهل الارض امثال الجبال وان هدية الاحياء الى الاموات الاستغفار اللهم ربنا اغفرلي ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فانك مرجع كل تواب وأواب (قل انى نهيت) كان كفار قريش يدعونه عليه السلام الى دين آبائه فنزلت اى صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الآيات فى امر التوحيد (ان اعبد الذين تدعون) اى عن عبادة ما تعبدونه (من دون الله) كائنا ما كان (قل لا اتبع اهوآءكم) اشارة الى الموجب للنهى كأنهم قالوا لم نهيت عما نحن فيه ولم تمتنع عن متابعتنا اجاب بأن ما انتم عليه هوى وليس بهدى فكيف اتبع الهوى واترك الهدى (قد ضللت اذا) اى ان اتبعت اهوآءكم فقد ضللت اى تركت سبيل الحق (وما انا من المهتدين) من الذين سلكوا طريق الهدى عطف على ما قبله (قل انى على بينة) كائنة (من ربى) والبينة الحجة الواضحة التى تفصل بين الحق والباطل يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بحجة واضحة وشاهد صدق والمراد بها القرآن والوحى (وكذبتم به) جملة مستأنفة سيقت للاخبار بذلك والضمير المجرور للتنبيه والتذكير باعتبار البيان والبرهان والمعنى انى على بينة عظيمة كائنة من ربى وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التى من جملتها الوعيد بمجيء العذاب (ما عندى ما تستعجلون به) روى ان رؤساء قريش كانوا يستعجلون العذاب بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام حتى قام النضر بن الحارث فى الحطيم وقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اوائتنا بعذاب أليم والمعنى ليس ما تستعجلون به من العذاب الموعود فى القرآن وتجعلون تأخره ذريعة لتكذيبى فى حكمى وقدرتى حتى اجيء به واظهر لكم صدقه اى ليس امره بمفوض الى (ان الحكم) اى ما الحكم فى ذلك وغيره تعجيلا وتأخيرا (الا لله) وحده من غير ان يكون لى دخل ما فيه بوجه من الوجوه (يقص الحق) اى يقول الحق ويتبعه فى بيان جميع احكامه ولا يحكم الا بما هو حق فتأخير العذاب حق ثابت جار على حكمة بليغة واصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدى على صاحبه (وهو خير الفاصلين) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل (قل لو ان عندى) اى فى قدرتى ومكنتى (ما تستعجلون به) من العذاب الذى ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الى من جهته عز وجل (لقضى الامر بينى وبينكم) اى بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفى بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذى هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى (والله اعلم بالظالمين) اى بحالهم وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الى فلم يقض الامر بتعجيل العذاب فعابد الاصنام سوآء امهل اولا يذوق العذاب ولا يتخلص منه اصلا وكذا عابد الدنيا والنفس والشيطان والهوى فان ذلك فى نار الجحيم وهذا فى نار الفراق العظيم فعلى العاقل ان لا يتبع الهوى كما امر الله تعالى فقال قل لا اتبع اهوآءكم قال بعضهم جزت مرة ببلاد السواد فرأيت شيخا جالسا فى الهوآء فسلمت عليه فرد السلام على فقلت له بم جلست فى الهوآء قال خالفت الهوى فاسكننى فى الهوآء وجاء جماعة من فقهاء اليمن الى الشيخ الكبير ابى الغيث قدس سره يمتحنونه فى شيء فلما دنوا منه قال مرحبا بعبيد عبدى فاستعظموا ذلك فلحقوا شيخ الطريقين وامام الفريقين العالم العارف اباالذبيح اسماعيل بن محمد الحضرمى فأخبروه بما قاله الشيخ ابو الغيث لهم فضحك الشيخ وقال صدق الشيخ أنتم عبيد الهوى والهوى عبده وانما يتخلص المرء من الهوى بالتقوى (وفى المثنوى)

چونكه تقوى بست دودست هوا * حق كشايد هر دودست عقل را * پس حواس بيره محكوم توشد * چون خرد سالار ومخدوم توشد * واعلم ان الهوى من اوصاف النفس فالآيات متعلقة باصلاح النفس ومن كان على بينة من ربه وهى فى الحقيقة النور الذى ينشرح به الصدر يكون على الهدى لا على الهوى وله علامات كما لا يخفى (حكى) ان بعض الصالحين كان يتكلم على الناس ويعظهم فمر عليه فى بعض الايام يهودى

وهو يخوفهم ويقرأ قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فقال اليهودى ان كان هذا الكلام
حقا فنحن وأنتم سوآء فقال له الشيخ لا ما نحن سوآء بل نحن نرد ونصدر وانتم تردون ولا تصدرون ننجو نحن منها
بالتقوى وتبقون انتم فيها جثيا بالظلم ثم قرأ الآية الثانية ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فقال
اليهودى نحن المتقون فقال له الشيخ كلا بل نحن وتلا قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين
يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى فقال اليهودى هات برهانا على
صدق هذا فقال له الشيخ البرهان حاضر يراه كل ناظر وهو ان تطرح ثيابى وثيابك فى النار فمن سلمت ثيابه فهو
الناجى منها ومن احرقت ثيابه فهو الباقى فيها فنزعا ثيابهما فأخذ الشيخ ثياب اليهودى ولفها ولف عليها ثيابه
ورمى الجميع فى النار ثم دخل النار فأخذ الثياب ثم خرج من الجانب الآخر ثم فتحت الثياب فاذا ثياب الشيخ
المسلم سالمة بيضاء قد نظفتها النار وازالت عنها الوسخ وثياب اليهودى قد صارت حراقة مع انها مستورة وثياب
الشيخ المسلم ظاهرة للنار فلما رأى ذلك اسلم والحمد لله فهذه الحكاية مناسبة لما ذكر من الآيات اذ كفار قريش
كانوا من اهل الظلم والهوى فلم ينفعهم دعواهم فصاروا الى العذاب والمؤمنون كانوا من اهل العدل والبينة
والهدى فانجح تقواهم ووصلوا الى جنات مفتحة لهم الابواب ومن سلم لباسه من النار سلم وجوده بالطريق
الاولى بل الثوب فى الحقيقة هو الوجود الظاهرى الذى استتر به الروح الباطنى فلا بد من تطهيره المؤدى الى
تطهير الباطن يسره الله (وعنده) اى الله تعالى خاصة (مفاتح الغيب) اى خزائن غيوبه جمع مفتح بفتح الميم وهو
المخزن والكنز والاضافة من قبيل لجين الماء وهو المناسب للمقام كما فى حواشى سعدى چلبى المفتى ويجوز أن يكون
جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح اى آلة الفتح فالمعنى ما يتوصل به الى الغيب شبه الغيب بالخزائن المستوثق بها
بالاقفال واثبت انها مفاتح على سبيل التخييل ولما كان عنده تلك المفاتح كان المتوصل الى ما فى الخزائن من
المغيبات هو لا غير كما فى حواشى ابن الشيخ (لا يعلمها الا هو) تأكيد لمضمون ما قبله قال فى تفسير الجلالين وهى
الخمسة التى فى قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الآية رواه البخارى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم ما فى الارحام الا الله ولا يعلم ما فى غد الا الله ولا يعلم متى يأتى المطر
الا الله ولا يدرى باى ارض تموت النفس الا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله (ويعلم ما فى البر والبحر)
من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وهو بيان لتعلق علمه تعالى
بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سوآء فى الجلاء
(وما تسقط من) زائدة (ورقة الا يعلمها) يريد ساقطة وثابتة يعنى يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه
وهى مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات (ولا حبة) عطف على ورقة وهى بالفارسية دانه (فى ظلمات الارض)
اى كائنة فى بطونها الا يعلمها (قال الكاشفى) مراد تخميست كه درزمين افتد (ولا رطب) عطف على ورقة ايضا
وهو بالفارسية تر (ولا يابس) بالفارسية خشك اى ما يسقط من شئ من هذه الاشياء الا يعلمه قال الحدادى
الرطب واليابس عبارة عن جميع الاشياء التى تكون فى السموات وفى الارض لانها لا تخلو من احدى هاتين
الصفتين انتهى فيختصان بالجسمانيات اذ الرطوبة واليبوسة من اوصاف الجسمانيات (الا فى كتاب مبين)
هو اللوح المحفوظ فهو بدل اشتمال من الاستثناء الاول او هو علمه تعالى فهو بدل منه بدل الكل وقرئ ولا رطب
ولا يابس بالرفع على الابتدآء والخبر الا فى كتاب وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس
من شأنه السقوط قال الحدادى فان قيل ما الفائدة فى كون ذلك فى اللوح مع ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ
وان كان عالما بذلك قبل ان يخلقه وقبل ان يكتبه لم يكتبها ليحفظها ويدرسها قيل فائدته ان الحوادث اذا حدثت
موافقة للمكتوب ازدادت الملائكة بذلك علما ويقينا بعظيم صفات الله تعالى يقول الفقير ان الملائكة ليست
من اهل الترقى والتنزل فقصر الفائدة على ذلك مما لا معنى له بل نقول ان اللوح قلب هذا التعين كقلب الانسان
قد انتقش فيه ما كان وما سيكون وهو من مراتب التنزلات فقد ضبط الله فيه جميع المقدورات الكونية
لفوآئد ترجع الى العباد يعرفها العلماء بالله (قال الحافظ) معرفت نيست درين قوم خدايا مددى *
تا برم كوهر خود را بخريدار دكر * والاشارة فى الآية ان الله تعالى جعل لكل شئ من المكونات شهادة
تناسب ذلك الشئ وغيبا مناسبا له وجعل لغيب كل مفتاحا يفتح به باب غيب ذلك الشئ وشهادته فينفعل ذلك

الشئ كما اراده الله فى الازل وقدره وعنده مفاتح ذلك الغيب لايعلمها الاهو لانه لاخالق الاهو ليس لنبى ولا لولى مدخل فى علم هذه المفاتح ولا فى استعمالها الا انه مختص بالخالق فقط وسأضرب لك مثلا تدرك به هذه الحقيقة وذلك مثل نقاش للصورة فان لكل صورة مما ينقشه شهادة هى هيئتها وغيبا هو علم التصوير ومفتاحا يفتح به باب علم التصوير على هيئة الصورة لتنفعل الصورة كما هى ثابتة فى ذهن النقاش هو القلم والقلم بيد النقاش لامدخل لتصرف غيره فيه فالله تعالى هو النقاش المصور والصور هى المكونات المختلفة الغيبية والشهادية ولكل صورة منها خلقتها وتكوينها وقلم تصويرها الذى هو مفتاح يفتح به باب علم تكوينها على صورتها وكونها هو الملكوت فبقلم ملكوت كل شئ يكون كون كل شئ وقلم الملكوت بيد الله تعالى كما قال فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون وكان الاشياء مختلفة فالملكوتيات مختلفات وملكوت كل شئ من الجماد والنبات والحيوان والانسان والملك مناسب لصورته ولهذا جمع المفاتح ووحد الغيب وقال وعنده مفاتح الغيب لان الغيب هو علم التكوين وهو واحد فى جميع الاشياء وفى الملكوت كثرة كما فى اقلام المصور فافهم جدا ويعلم التكوين يعلم ما فى البر والبحر لان به كون البر وهو عالم الشهادة والصورة والبحر وهو عالم الغيب والملكوت يدل على هذا المعنى قوله عالم الغيب والشهادة وبهذا العلم ما تسقط من ورقة الا يعلمها لانه مكونها ومثبتها ومسقطها ولا حبة فى ظلمات الارض اى حبة الروح فى ظلمات صفات ارض النفس وايضا ولا حبة فى ظلمات الارض اى ارض القلب وظلمات صفات البشرية الا وهو ركبها ويعلم كمالها ونقصانها ولا رطب ولا يابس الرطب هو الموجود فى الحال واليابس هو المعدوم فى الحال وسيكون موجودا وايضا الرطب الروحانيات واليابس الجماديات وايضا الرطب المؤمن واليابس الكافر وايضا الرطب العالم واليابس الجاهل وايضا الرطب العارف واليابس الزاهد وايضا الرطب اهل المحبة واليابس اهل السلوة وايضا الرطب صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود وايضا الرطب الباقى بالله واليابس الباقى بنفسه الا فى كتاب مبين وهو أم الكتاب كذا فى التأويلات النجمية قدس سره مؤلفها العزيز الشريف (وهو الذى يتوفاكم بالليل) الخطاب عام للمؤمن والكافر أى ينيمكم فى الليل ويجعلكم كالميت فى زوال الاحساس والتميز ومن هنا ورد النوم اخ الموت والتوفى فى الاصل قبض الشئ بتمامه وعن على رضى الله عنه يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة يعنى ان الذى يرى الرؤيا هو الروح الانسانى وانه يرى فى عالم البرزخ ما صدر عن الروح الحيوانى من القبيح والحسن وهو ظل الروح الانسانى والتعبير بالحيوانى والانسانى اصطلاح الحكماء ولما اهل السلوك فيعبرون عنها بالروح وتنزله (ويعلم ما جرحتم بالنهار) اى ما كسبتم فيه بجوارح الانسان اعضاؤه التى يكتسب بها الاعمال خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على العادة (ثم يبعثكم فيه) اى يوقظكم فى النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله ويعلم بينهما لبيان ما فى بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على انه بعد علم ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفى بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخى كانه قيل هو الذى يتوفاكم فى جنس الليل ثم يبعثكم فى جنس النهار مع علمه بما تجترحون فيه (ليقضى اجل مسمى) اى ليبلغ المتيقظ آخر أجله المسمى له فى الدنيا وقضاء الاجل فصل الامر على سبيل التمام فمعنى قضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت والاجل آخر مدة الحياة (ثم اليه مرجعكم) اى رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة بأعمالكم التى كنتم تعملونها فى تلك الليالى والايام (وهو القاهر) مستعليا (فوق عباده) أى المتصرف فى امورهم لاغيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويجوز أن يكون فوق خبرا بعد خبر وليس معنى فوق معنى المكان لاستحالة اضافة الاماكن الى الله تعالى وانما معناه الغلبة والقدرة ونظيره فلان فوق فلان فى العلم اى اعلم منه (وفى المثنوى) دست بر بالاى دست اين تاكجا * تا بيزدان كه اليه المنتهى * كان يكى دريا ست بى غور وكران * جمله درياها چو سيلى پيش آن * حيلها وچارها كر اژدهاست * پيش الا الله انها جمله لاست (ويرسل عليكم حفظة) عطف على الجملة الاسمية قبلها اى يرسل عليكم خاصة أيها المكلفون ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن

المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين
عليه (قال الكاشفى) نه انديشى ازان روزيكه دروى * چكرها خون ودلها ريش بينى *
دهندت نامهٔ اعمال وكويند * بخوان تاكردهاى خويش بينى * مكن ورميكنى بارى دران كوش *
كه اندرنامه نيكى بيش بينى * وورد فى الخبر ان على كل واحد منا ملكين بالليل وملكين بالنهار يكتب احدهما
الحسنات والآخر السيئات وصاحب اليمين امير على صاحب الشمال فاذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشر
امثالها واذا عمل سيئة فاراد صاحب الشمال ان يكتب قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك عنه ست ساعات
اوسبع ساعات فان هو استغفر الله لم يكتب عليه وان لم يستغفر كتب سيئة واحدة فان قلت هل تعرف هؤلاء
الملائكة العزم الباطن كما يعرفون الفعل الظاهر قلت نعم لان الحفظة تنتسخ من السفرة وهى من الخزنة
التى وكلت باللوح وقد كتب فيه احوال العوالم واهاليها من السرآئر والظواهر فبعد وقوفهم على ذلك
يكتبون ثانيا من اول اليوم الى آخره ومن اول الليل الى آخره حسبما يصدر عن الانسان وقيل اذا هم العبد
بحسنة فاح من فيه رآئحة المسك فيعلمون بهذه العلامة فيكتبونها واذا هم بسيئة فاح منه ريح النتن
فان قلت الملائكة التى ترفع عمل العبد فى اليوم أهم الذين يأتون غدا ام غيرهم قلت قال بعض العلماء الظاهر
انهم هم وان ملكى الانسان لا يتغيران عليه مادام حيا وقال بعض المشايخ من جاء منهم لا يرجع ابدا مرة اخرى
ويجيئ آخرون مكانهم الى نفاد العمر واختلف فى موضع جلوس الملكين وفى الخبر النبوى نقوا افواهكم
بالخلال فانها مجلس الملكين الكريمين الحافظين وان مدادهما الريق وقلمهما اللسان وليس عليهما شيئ امر من
بقايا الطعام بين الاسنان ولا يبعد أن يوكل بالعبد ملائكة سوى هذين الملكين كل منهم يحفظه من اذى كما جاء
فى الروايات (حتى اذا جاء احدكم الموت) حتى هى التى يبتدأ بها الكلام وهى مع ذلك تجعل مابعدها من الجملة
الشرطية غاية لما قبلها كأنه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم
كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه (توفته رسلنا) الآخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت
واعوانه وانتهى هنالك حفظ الحفظة (وهم) اى الرسل (لا يفرطون) اى لا يقصرون فيما يؤمرون بالتوانى والتأخير
طرفة عين واعلم ان القابض لارواح جميع الخلق هو الله تعالى حقيقة وان ملك الموت واعوانه وسائط ولذلك اضيف
التوفى اليهم وقد يكون التوفى بدون وساطتهم كما نقل فى وفاة فاطمة الزهرآء رضى الله عنها وغيرها واعوان
ملك الموت اربعة عشر ملكا سبعة منها ملائكة الرحمة واليهم يسلم روح المؤمن بعد القبض وسبعة منهم ملائكة
العذاب واليهم يسلم روح الكافر بعد الوفاة قال مجاهد قد جعلت الارض لملك الموت كالطشت يتناول
من حيث يشاء يقول الفقير ليس على ملك الموت صعوبة فى قبض الارواح وان كثرت وكانت فى امكنة مختلفة
وكيفيته لا تعرف بهذا العقل الجزئى كما لا تعرف كيفية وسوسة الشيطان فى قلوب جميع اهل الدنيا (روى)
فى الخبر أن رسول الله دخل على مريض يعوده فرأى ملك الموت عند رأسه فقال يا ملك الموت ارفق به فانه مؤمن
فقال ملك الموت يا محمد ابشر وطب نفسا وقر عينا فانى بكل مؤمن رفيق انى لاقبض روح المؤمن فيصرخ
اهله فاعتزل فى جانب الدار فاقول مالى من ذنب وانى مأمور وان لى لعودة فالحذر الحذر ومامن اهل بيت مدر
ولا وبر فى بر وبحر الا وانا اتصفحهم فى كل يوم خمس مرات حتى انى لأعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله
لو اردت أن اقبض روح بعوضة لما قدرت عليها حتى يأمرنى الله تعالى بقبضها قال العلماء الموت ليس بعدم
محض ولا فناء صرف وانما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار
الى دار ولما خلق الله الموت على صورة كبش املح قال له اذهب الى صفوف الملائكة على هيئتك هذه فلم يبق
ملك الا غشى عليه ألفى عام ثم افاقوا فقالوا يا ربنا ماهذا قال الموت قالوا لمن ذلك قال على كل نفس قالوا لم خلقت
الدنيا قال ليسكنها بنوا آدم قالوا لم خلقت النساء قال ليكون النسل قالوا من يسلط عليه هذا هل يشتغل بالنساء
والدنيا قال ان طول الامل ينسيهم الموت حتى يكون منهم أخذ الدنيا وشهوة النساء ولذلك قيل الموت من اعظم
المصائب واعظم منه الغفلة عنه (ثم ردوا) عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم اى ردهم
الملائكة بعد البعث (الى الله) اى الى حكمه وجزائه فى موقف الحساب فالرد الى الله ليس على ظاهره لكونه
تعالى متعاليا عن المكان والجهة بل هو عبارة عن جعلهم منقادين لحكم الله تعالى مطيعين لقضائه

بان يساقوا الى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه (مولاهم) اى مالكهم الذى يملك امورهم على الاطلاق واما قوله تعالى وأن الكافرين لا مولى لهم فالمولى فيه بمعنى الناصر فلا تناقض وهو بدل من الجلالة (الحق) الذى لا يقضى الا بالعدل وهو صفة للمولى (ألا) اى اعلموا وتنبهوا (له الحكم) اى القضاء بين العباد يومئذ لا حكم لغيره فيه بوجه من الوجوه (وهو اسرع الحاسبين) يحاسب جميع الخلائق فى اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شان عن شأن لا يتكلم بآلة ولا يحتاج الى فكرة وروية وعقد يد ومعنى المحاسبة تعريف كل واحد ما يستحقه من ثواب وعقاب قال بعض العلماء المحاسبة لتقدير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها فيقدم الحساب على الميزان ولهذا لا ميزان لمن يدخل الجنة بلا حساب واعلم ان الحشر والحساب لا يكون على وجه الارض وانما يكون فى الارض المبدلة وهى ارض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولم يظلم عليها احد فاذا ثبت الحشر والحساب وان الله تعالى هو المحاسب وجب على العاقل ان يحاسب نفسه قبل ان يناقش فى الحساب لانه هو التاجر فى طريق الآخرة وبضاعته عمره وربحه صرف عمره فى الطاعات والعبادات وخسرانه صرفه فى المعاصى والسيئات ونفسه شريكه فى هذه التجارة وهى وان كانت تصلح للخير والشر لكنها أميل واقبل الى المعاصى والشهوات فلابد له من مراقبتها ومحاسبتها (قال السعدى) تو غافل در انديشهٔ سود ومال * كه سرمايهٔ عمر شد پايمال (قل) يا محمد لاهل مكة (من) استفهام (ينجيكم) اى يخلصكم ويعطى لكم نجاة (من ظلمات البر والبحر) من شدآئدهما واهوالهما فى اسفاركم استعيرت الظلمة للمشقة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار قيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اى اشتدت ظلمته حتى صار كالليل فى ظلمته بناء على ان الليل اذا لم يستتر بنور القمر ظهرت الكواكب صغارها وكبارها وكلما اشتدت ظلمته اشتد ظهور الكواكب (تدعونه تضرعا وخفية) اى معلنين ومسرين على ان يكون تضرعا وخفية مصدرين فى موضع الحال من فاعل تدعونه وتدعون حال من فاعل ينجيكم اى داعين اياه تعالى والتضرع اظهار الضراعة وهى شدة الفقر والحاجة الى الشئ (لئن انجانا) حال من فاعل تدعون ايضا على ارادة القول اى تدعونه قائلين والله لئن خلصنا (من هذه) الظلمات والشدآئد (لنكونن من الشاكرين) اى الراسخين فى الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة والشكر الاعتراف بالنعمة مع القيام بحقها وحق نعمة الله ان يطاع منعمها ولا يعصى فضلا عن ان يشرك به ما لا يقدر على شئ اصلا (قل) لهم (الله ينجيكم منها ومن كل كرب) اى غم سواها والكرب غاية الغم الذى يأخذ بالنفس (ثم انتم) بعد ما تشاهدون من هذه النعم الجليلة (تشركون) بعبادته تعالى غيره والمناسب لقولهم لنكونن من الشاكرين ان يقال ثم انتم لا تشكرون اى لا تعبدون لكن وضع تشركون موضعه تنبيها على ان الاشراك بمنزلة ترك الشكر رأسا (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا) لاجل اشراككم (من فوقكم) اى عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بقوم نوح عليه السلام بحيث اهلكهم بأن ارسل عليهم الطوفان والصاعقة والريح والصيحة واهلك قوم لوط وأصحاب الفيل بان امطر عليهم حجارة (او من تحت ارجلكم) اى من جهة السفل كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم ملوككم واكابركم ورؤساؤكم ومن تحت ارجلكم عبيدكم السوء وسفلتكم وسفهاؤكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح (او يلبسكم) من لبست عليه الامر اى خلطته من باب ضرب واما لبست الثوب فمن باب علم ومصدر الاول اللبس بالفتح والثانى بالضم والمعنى او يخلطكم (شيعا) منصوب على انه حال من مفعول يلبسكم وهو جمع شيعة كسدرة وسدر والشيعة كل قوم اجتمعوا على امر أى يخلطكم حال كونكم فرقا متحزبين على اهوآء شتى ومذاهب مختلفة كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال اى يهيج ويظهر فهذا الخلط هو خلط اضطراب لا خلط اتفاق (ويذيق بعضكم بأس بعض) يقاتل بعضكم بعضا ومن سنة الله تعالى ان يذيق الكافرين بأس المؤمنين وبالعكس وان يذيق بعض الكافرين بأس بعض وبعض المؤمنين بأس بعضهم كما هو فى اكثر الازمان والاعصار على حسب التربية المبنية على جماله وجلاله تعالى وفى الحديث سألت ربى ثلاثا فاعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألت ربى ان لا يهلك أمتى بالسنة فاعطانيها فسألته ان لا يهلك أمتى بالغرق فاعطانيها وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها اراد بالسنة قحطا يعم أمته وبالغرق بفتح الرآء ما يكون على سبيل العموم كطوفان نوح عليه السلام قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى البروسوى تأثير

طوفان نوح عليه السلام يظهر فى كل ثلاثين سنة مرة واحدة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت من السيل اه كلامه وأراد عليه السلام بالبأس الحرب والفتن وفى الحديث فناء امتى بالطعن والطاعون وفى آخر اذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع منها الى يوم القيامة وفيه معجزة للنبى عليه السلام حيث كان الامر كما اخبره والبأس الشدة فى الحرب وسبب دخول البأس عدم حكم الائمة بكتاب الله تعالى وسبب تسلط العدو نقض عهد الله وعهد رسوله كما جاء فى بعض الاحاديث (انظر) يا محمد (كيف نصرف) لهم (الآيات) القرءانية من حال الى حال بالوعد والوعيد اى نبين لهم آية على اثر آية ونوردها على وجوه مختلفة من اول السورة الى هنا (لعلهم يفقهون) كى يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد (وكذب به) اى بالعذاب الموعود او القرءآن المجيد الناطق بمجيئه (قومك) اى المعاندون منهم (وهو الحق) اى والحال ان ذلك العذاب واقع لا محالة اوأنه الكتاب الصادق فى كل مانطق (قل) لهم (لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت من العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه (لكل نبأ) اى خبر من اخبار القرءآن (مستقر) اسم زمان اى وقت يقع فيه ويستقر زمن عذابكم (وسوف تعلمون) عند وقوعه فى الدنيا اوفى الآخرة اوفيهما معا فعلى العاقل ان يتضرع الى الله تعالى فى دفع الشدآئد ولا يصر على ذنبه فانه سبب للابتلاء وكل ظلمة انما تجيئ من ظلمات النفس الامارة (كما قال فى المثنوى) هرچه بر تو آيد از ظلمات غم * آن ز بى شرمى وكستاخيست هم (قال الصائب) چراز غير شكايت كنم كه همچو حباب * هميشه خانه خراب هواى خويشتنم * والاشارة ان البر هو الاجسام والبحر هو الارواح فالارواح وان كانت نورانية بالنسبة الى الاجسام لكن بالنسبة الى الحق ونور ألوهيته ظلمانية كما قال عليه السلام ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمعناه اذا خلقتكم فى ظلمة الخلقية فمن ينجيكم من ظلمات بر البشرية وظلمات بحر الروحانية اذ تدعونه تضرعا اى بالجسم وخفية اى بالروح لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون حين تجلى لكم نور من انوار صفاته فبعضكم يشرك ويقول انا الحق وبعضكم يقول سبحانى ما اعظم شانى قل هو القادر على ان يبعث عليكم حين تقولون انا الحق وسبحانى عذابا من فوقكم بان يرخى حجابا بينه وبينكم يعذبكم به عزة وغيرة ا ومن تحت ارجلكم اى حجابا من اوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم اويلبسكم شيعا يجعل الخلق فيكم فرقا فرقة يقولون هم الصديقون وفرقة يقولون هم الزنادقة ويذيق بعضكم بأس بعض بالقتل والصلب وقطع الاعراق كما فعل بابن منصور قالوا وكان قد جرى من الحلاج قدس سره كلام فى مجلس حامد بن عباس وزير المقتدر بحضرة القاضى ابى عمر فافتى بحل دمه وكتب خطه بذلك وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء وقال له الحلاج ظهرى حمى ودمى حرام وما يحل لكم ان تتأولوا على بما يبيحه وانما اعتقادى الاسلام ومذهبى السنة وتفضيل الائمة الاربعة الخلفاء الراشدين وبقية العشرة من الصحابة رضى الله عنهم ولى كتب فى السنة موجودة فى الوراقين فالله الله فى دمى ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم الى ان استكملوا ما احتاجوا اليه وانفضوا من المجلس وحمل الحلاج الى السجن وكتب الوزير الى المقتدر يخبره بما جرى فى المجلس فعاد جواب المقتدر بان القضاة اذا كانوا قد أفتوا بقتله فليسلم الى صاحب الشرطة وليتقدم بضربه ألف سوط فان مات والا فيضرب ألف سوط آخر ثم ليضرب عنقه فسلمه الوزير الى الشرطى وقال له مارسم به المقتدر وقال ايضا ان لم يتلف بالضرب يقطع يده ثم رجله ثم يحز راسه وتحرق جثته وان خدعك وقال لك انا اجرى لك الفرات ودجلة ذهبا وفضة فلا تقبل منه ذلك ولا ترفع العقوبة عنه فتسلمه الشرطى ليلا واصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى الحجة من سنة تسع وثلاثمائة فاخرجه الى باب الطاق وهو يتبختر فى قيوده واجتمع من العامة خلق لا يحصى عددهم وضربه الجلاد ألف سوط ولم يتأوه ولما فرغ من ضربه قطع اطرافه الاربعة ثم حز رأسه ثم احرقت جثته ولما صار رمادا القاه فى دجلة ونصب الرأس ببغداد على الجسر وادعى بعض اصحابه انه لم يقتل ولكن القى شبهه على عدو من اعدآء الله تعالى كما وقع فى حق عيسى عليه السلام والاولياء ورثة للانبياء يقول الفقير لهذا التشبيه والتخييل نظائر فى حكايات المشايخ يجدها من تتبع ومرادى بيان جوازه لا اعتقاد انه كان كذلك فان قلت من حق ولاية الحلاج ان لا يحترق ولا يكون رمادا قلت ذلك غير لازم فان الاجساد مشتركة

فى قبول العوارض والا فات الاترى الى حال ايوب ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام وقد ذكر اهل التفسير فى اصحاب الرس انهم قتلوا الانبياء المبعوثين اليهم واكلوا لحومهم تمردا وعنادا اورسوا بئرهم بعظامهم ثم قد يكون فى هذه النشأة امور خارجة عن العادة خارقة كاحوال بعض الانبياء والاولياء الذين قتلوا مثلا ثم احياهم الله تعالى واما فى القبر فقد ثبت ان الارض لاتأكل اجساد الانبياء ومن يليهم (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) اذا منصوب بجوابه وهو فاعرض والمراد بالخطاب النبى عليه السلام وامته والخوض فى اللغة الشروع فى الشئ مطلقا الا انه غلب فى الشروع فى الشئ الباطل والآيات القرءآن والمعنى اذا رأيت الذين يشرعون فى القرءآن بالتكذيب والاستهزآء به والطعن فيه كما هو دأب كفار قريش (فاعرض عنهم) بترك مجالستهم والقيام عنهم عند خوضهم فى الآيات (حتى يخوضوا فى حديث غيره) اى استمر على الاعراض الى ان يشرعوا فى حديث غير آياتنا فالضمير الى الآيات والتذكير باعتبار كونها حديثا او قرءآنا (واما) اصله ان ما فادغمت نون ان الشرطية فى ما المزيدة (ينسينك الشيطان) اى ما امرت به من ترك مجالستهم (فلا تقعد بعد الذكرى) اى بعد ان تذكره فهو مصدر بمعنى الذكر ولم يجئ مصدر على فعلى غير ذكرى (مع القوم الظالمين) الذين وضعوا التكذيب والاستهزآء موضع التصديق والتعظيم وهذا الانساء محض احتمال يدل عليه كلمة ان الشرطية فلا يلزم وقوعه مع ان العلماء قد اتفقوا على جواز السهو والنسيان على الانبياء عليهم السلام والمراد بالشيطان ابليس اوواحدا من اكابر جنوده لان الذى هو قرينه عليه السلام أسلم فلا يأمره الا بخير بخلاف قرين كل واحد من الامة وفى الحديث فضلت على آدم بخصلتين كان شيطانى كافرا فاعانى الله عليه فاسلم وكان ازواجى عونالى وكان شيطان آدم وزوجته عونا على خطيئته ولما قال المسلمون لئن كنا نقوم كلما استهزأوا بالقرءآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت لانهم يخوضون ابدا رخص الله تعالى فى مجالستهم على سبيل الوعظ والتذكير فقال (وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ) الضمير فى حسابهم للخائضين ومن زائدة وشئ فى محل الرفع على انه مبتدأ للخبر المقدم وهو على الذين اى وما على المؤمنين الذين يجتنبون عن قبائح اعمال الخائضين ولو الهم شئ مما يحاسبون عليه من الجرائم والآثام (ولكن ذكرى) اى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير فنصب ذكرى على المصدرية والواو للعطف ولكن خالص للاستدراك فلا يلزم الجمع بين حرفى العطف كما ان اللام مع سوف تخرج عن كونها للحال وتخلص للتأكيد (لعلهم يتقون) اى يجتنبون الخوض حياء وكراهة لمساءتهم (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) المراد بالموصول الكفار الخائضون فى الآيات ودينهم هو الذى كلفوه وامروا باقامة مواجبه وهو دين الاسلام ومعنى اتخاذه لعبا ولهوا انهم سخروا به واستهزأوا واللعب عمل يشغل النفس وينفرها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل (وغرتهم الحياة الدنيا) واطمأنوا بها حتى زعموا ان لاحياة بعدها ابدا والمعنى اعرض عنهم واترك معاشرتهم وملاطفتهم ولاتبال بتكذيبهم واستهزآئهم ولا تشغل قلبك بهم وليس المراد ان يترك انذارهم لانه تعالى قال (وذكر به) اى بالقرءآن من يصلح للتذكير (ان تبسل نفس) اى لئلا تسلم الى الهلاك وترهن (بما كسبت) بسبب ما عملت من القبائح واصل البسل والابسال المنع ولذا صح استعمال الابسال فى معنى الاسلام الى الهلاك لان الاسلام الى الهلاك يستلزم المنع فانه اذا اسلم احد الى الهلاك كان المسلم اليه وهو الهلاك يمنع المسلم وهو الشخص من الخروج عنه والخلاص منه (وفى التفسير الفارسى للكاشفى) تاتسليم كرده نشود بهلاك يا رسوا نكرده نفس هر كافرى بسبب آنچه كرده است از بديها (ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع) استئناف مسوق للاخبار بذلك والاظهر انه حال من نفس كأنه فى قوة نفس كافرة اونفوس كثيرة كما فى قوله تعالى علمت نفس ما حضرت ومن دون الله حال من ولى اى ليس لتلك النفس غيره تعالى من يدفع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) اى تفد تلك النفس كل فدآء بان جاءت مكانها بكل ما كان فى الارض جميعا (لايؤخذ منها) اى لايقبل فقوله كل عدل نصب على المصدر فالعدل ههنا ليس بمعنى مايفتدى به كما فى قوله تعالى لايؤخذ منها عدل بل المراد المعنى المصدرى فان قلت الاخذ يتعلق بالاعيان لابالمعنى قلت نعم الا ان الامام قال الاخذ قد يستعمل بمعنى القبول كما فى قوله تعالى ويأخذ الصدقات اى يقبلها واذا احل الاخذ فى هذه الآية على القبول جاز اسناده

الى المصدر بلا محذور والمقصود من هذه الآية بيان ان وجوه الخلاص مفسدة على تلك النفس ومن ايقن بهذا كيف لا ترتعد فرائصه اذا اقدم على المعصية (اولئك) المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا (الذين ابسلوا) اى اسلموا الى العذاب (بما كسبوا) بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة (وفى التفسير الفارسى) آن گروه آن كسانند كه سپرده شده اند بهلاكت عذاب بسبب آنچه كرده اند از قبايح افعال قال ابو السعود اولئك الذين اسلموا الى ما كسبوا من القبائح انتهى وهو جعل معنى الباء كما فى قوله مررت بزيد (لهم شراب) كأنه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب (من حميم) اى من ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم وتتقطع به امعاؤهم (وعذاب اليم) بنار تشتعل بابدانهم (بما كانوا يكفرون) اى بسبب كفرهم المستمر فى الدنيا واعلم ان التكذيب بآيات الله تعالى والاستهزاء بها هو الكفر وعاقبة الكفر هو العذاب الاليم وكذا الاصرار على المعاصى يجر كثيرا من عصاة المؤمنين الى الموت على الكفر والعياذ بالله وعن ابى اسحق الفزارى قال كان رجل يكثر الجلوس الينا ونصف وجهه مغطى فقلت له انك تكثر الجلوس الينا ونصف وجهك مغطى اطلعنى على هذا فقال وتعطينى الامان قلت نعم قال كنت نباشا فدفنت امرأة فاتيت قبرها فنبشت حتى وصلت الى اللبن ثم ضربت بيدى الى الرداء ثم ضربت بيدى الى اللفافة فمددتها فجعلت تمدها هى فقلت اتراها تغلبنى فجثيت على ركبتى فجررت اللفافة فرفعت يدها فلطمتنى وكشف وجهه فاذا اثر خمس اصابع فى وجهه فقلت له ثم مه قال ثم رددت عليها لفافتها وازارها ثم رددت التراب وجعلت على نفسى ان لا انبش ما عشت قال فكتبت بذلك الى الاوزاعى فكتب الى الاوزاعى ويحك سله عمن مات من اهل السنة ووجهه الى القبلة فسألته عن ذلك فقال اكثرهم حول وجهه عن القبلة فكتبت بذلك الى الاوزاعى فكتب الى انا لله وانا اليه راجعون ثلاث مرات امامن حول وجهه عن القبلة فانه مات على غير السنة واراد بالسنة ملة الاسلام نسأل الله تعالى العفو والمغفرة والرضوان (قال الحافظ) يارب از ابر هدايت برسان بارانى * پيشتر زانكه چو كردى زميان برخيزم * وفى الآيات اشارة الى انه لا يصلح للطالب الصادق المجالسة مع الذين يخوضون فى احوال الرجال ولاحظ لهم منها سوى التزيى بزيهم واللبس لخرقتهم لان الطبع من الطبع يسرق * نفس ازهم نفس بگيرد خوى * بر حذر باش از لقاى خبيث * باد چون بر فضاى بد گذرد * بوى بد گيرد از هواى خبيث * فلا بد من الصحبة مع الاخيار والاتعاظ بكلمات الكبار وعن عبد الله بن الاحنف قال خرجت من مصر اريد الرملة لزيارة الروذبادى قدس سره فرآنى عيسى بن يونس المصرى فقال لى هل ادلك قلت نعم قال عليك بصور فان فيها شيخا وشابا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لاغنتك باقى عمرك قال فدخلت عليهما وانا جائع عطشان وليس على ما يسترنى من الشمس فوجدتهما مستقبلين القبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلمانى فقلت اقسمت عليكما بالله الا ما كلمتمانى فرفع الشيخ رأسه وقال يا ابن الاحنف ما اقل شغلك حتى تفرغت الينا ثم اطرق فاقمت بين يديهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب عنى الجوع والعطش فقلت للشاب عظنى بشئ انتفع به فقال نحن اهل المصائب ليس لنا لسان العظة فاقمت عندهما ثلاثة ايام بلياليها لم نأكل فيها شيأ ولم نشرب فلما كان عشية اليوم الثالث قلت فى قلبى لا بد من سؤالهما فى وصية انتفع بها باقى عمرى فرفع الشاب رأسه الى وقال عليك بصحبة من يذكرك الله بنظره ويعظك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت ظارهما وانشد لسان الحال

شدوا المطايا قبيل الصبح وارتحلوا * وخلفونى على الاطلال ابكيها

ثم ان النصيحة سهلة والمشكل قبولها ومن اراد الله تعالى هدايته وسبقت منه له عناية يجذبه لا محالة الى باب ناصح له فى ظاهره وباطنه فيهتدى بنور العظة والتذكير الى مسالك الوصول الى الله الخبير فيترقى من حضيض هوى النفس التى تلعب كالصبيان الى اوج هدى الروح الذى له وقار واطمئنان وعلو شان فهذه الآيات الكريمة تنادى على داء النفس ودوائها ومن الله الاعانة فى اصلاحها (قل اندعو) أنعبد والاستفهام للانكار (من دون الله) اى متجاوزين عبادة الله تعالى (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) اى ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وهو الاصنام والقادر على النفع والضر هو الله تعالى (ونرد على اعقابنا) جمع عقب بالفتح وكسر القاف مؤخر القدم اى نرجع من الاسلام الى الشرك باضلال المضل (بعد اذ هدانا الله) الى الاسلام وانقذنا من الشرك

(كالذى استهوته الشياطين) حال من فاعل نرد اى انرد على اعقابنا مشبهين بالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه واضلته (فى الارض) متعلق باستهوته (حيران) حال من هاء استهوته وهو صفة مشبهة مؤنثه حيرى والفعل منه حار يحار حيرة اى متحيرا ضالا عن الطريق (له اصحاب) الجملة صفة حيران اى لهذا المستهوى رفقة (يدعونه الى الهدى) اى يدعونه الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر مبالغة كأنه نفس الهدى (ائتنا) على ارادة القول على انه بدل من يدعونه اى يقولون له ائتنا شبه الله تعالى من اشرك وعبد غير الله مع قيام البرهان الفاصل بين الحق والباطل بشخص موصوف بثلاثة اوصاف الاول استهوته مردة الجن والغيلان فى المهامه والمفاوز والثانى كونه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدرى كيف يصنع والثالث ان يكون له اصحاب يدعونه قائلين له ائتنا فقد اعتسفت المهامه وضللت عن الجادة وهو لا يجيبهم ولا يترك متابعة الجن والشياطين والجن اجسام لطيفة تتشكل باشكال مختلفة وتقدر على ان تنفذ فى بواطن الحيوان نفوذ الهواء فى خلال الاجسام المتخلخلة (قل ان هدى الله) الذى هدانا اليه وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما عداه ضلال محض وغى بحت (و) قل ايضا (امرنا لنسلم لرب العالمين) اى بان نسلم فاللام بمعنى الباء والعرب تقول امرتك لتفعل وان تفعل وبان تفعل (وان) اى بان (اقيموا الصلاة واتقوه) تعالى فالاسلام رئيس الطاعات الروحانية والصلاة رئيس الطاعات الجسمانية والتقوى رئيس ما هو من قبيل التروك والاحتراز عن كل ما لا ينبغى (وهو الذى اليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة للحساب (وهو الذى خلق السموات والارض) اى العلويات والسفليات وما فيهما (بالحق) حال من فاعل خلق اى قائما بالحق والحكمة (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) يوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها والمعنى وامره المتعلق بكل شئ يريد خلقه من الاشياء فى حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اى المشهود له بالحقية المعروف بها (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) لا ملك فيه لغيره ولو مجازا كما فى الدنيا (عالم الغيب والشهادة) اى هو عالم ما غاب وما شوهد (وهو الحكيم) فى كل ما يفعله (الخبير) بجميع الامور الجلية والخفية وفى الحديث لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر قال ابو هريرة رضى الله عنه قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده ان عظم دائرة فيه كعرض السماء والارض ويقال ان فيه من الثقب على عدد ارواح الخلائق قالوا ان النفخة ثلاث اولاها نفخة الفزع فانهم اذا سمعوا النفخة يعلمون انهم يموتون يقينا ولم يبق من ايام الدنيا شئ فيأخذهم الفزع لاجل العرض والحساب والعذاب والنفخة الثانية الصعق وهو موت الخلائق اجمعين حتى لا يبقى الا الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والنفخة الثالثة نفخة البعث من القبور ومن النفخة الى النفخة اربعون عاما فعند موت جميع الخلائق تجعل ارواحهم فى الصور وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا لا تأكله الارض ابدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ويجمع الله ما تفرق من اجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الارض وما اصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما ابلته الشمس وذرته الرياح وذلك بعد ما انزل ماء من تحت العرش يقال له الحيوان فتمطر السماء اربعين سنة حتى يكون من الفوق اثنى عشر ذراعا ثم يأمر الله الاجساد فتنبت كنبات البقل فاذا جمعها واكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح يحيى حملة العرش ثم يحيى جبرائيل وميكائيل واسرافيل فينفخ فى الصور فتخرج الارواح من ثقب الصور كامثال النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فيقول الله تعالى ليرجعن كل روح الى جسده فتدخل الارواح فى الارض الى الاجساد ثم تدخل فى الخياشيم فتمشى فى الاجساد مشى السم فى اللديغ ثم تنشق الارض فأول من يخرج منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الامة شبابا كلهم ابناء ثلاث وثلاثين واللسان يومئذ بالسريانية سراعا الى ربهم هذا فى المؤمنين المخلصين واما الكافرون فيقولون هذا يوم عسير فيوقفون حفاة عراة مقدار سبعين عاما لا ينظر الله اليهم فتبكى الخلائق حتى تنقطع الدموع ثم تدمع دما حتى يبلغ منهم الاذقان ويلجمهم ثم يفعل الله فيهم ما يشاء فعليك بالاسلام الحقيقى والتسليم حتى تنجو وهو ترك الوجود كالكرة فى ميدان القدر مستسلما لصولجان القضاء لمجارى احكام رب العالمين وهو انما يحصل بمحض فضل الله تعالى لكن الانبياء والاولياء وسائط (كما اشار اليه صاحب المثنوى فقال) سازد اسرافيل روزى ناله را *

جان دهد پوسيدهٔ صد ساله را * انبيارا در درون هم نغمهاست * طالبانرا زان حيات بى بهاست *
نشنود ان نغمهارا كوش حس * كز ستمها كوش حس باشد نجس * هين كه اسرافيل وقتند اوليا * مرده را
زيشان حيانست ونما * نغمهاى اندرون اوليا * اولا كويدكه اى اجزاى لا * هين زلاى نفى سرها
برزنيد * اين خيال ووهم يكسو افكنيد * اى همه پوسيده در كون وفساد * جان باقيان نروييد ونزاد
(واذ قال ابراهيم لابيه آزر) اعلم ان ابراهيم عليه السلام لما سلم قلبه للعرفان ولسانه لاقامة البرهان على
فساد طريق اهل الشرك والطغيان وسلم بدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم انه سأل ربه وقال
واجعل لى لسان صدق فى الآخرين وجب فى كرم الله تعالى انه يجيب دعاءه ويحقق مطلوبه فاجاب دعاءه وجعل
جميع الطوآئف واهل الاديان والملل معترفين بفضله حتى ان المشركين ايضا يعظمونه ويفتخرون بكونهم من
اولاده ولما كانوا معترفين بفضله لاجرم جعل الله تعالى مناظرته مع قومه حجة على مشركى العرب اى واذكر
يا محمد لاهل مكة وقت قول ابراهيم لابيه آزر اى موبخاله على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وآزر عطف
بيان لابيه وهو تارح بفتح الراء وسكون الحاء المهملة علمان لاب ابراهيم كاسرائيل ويعقوب او آوز لقبه
وتارح اسم له وكان من قرية من سواد الكوفة يقال لها كوثى (أتتخذ اصناما آلهة) اى اتجعلها لنفسك آلهة
على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما اريد صيغة الجمع باعتبار الوقوع (انى اراك
وقومك) الذين يتبعونك فى عبادتها (فى ضلال) عن الحق (مبين) اى بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه والرؤية
اما علمية فالظرف مفعولها الثانى واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ ثم اعلم ان
عبادة الاصنام كفر فدلت الآية على ان آزر كان كافرا وذلك لا يقدح فى شأن نسب نبينا صلى الله عليه وسلم واما
قوله عليه السلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات فذلك محمول على انه ماوقع فى نسبه
من ولد من الزنى ونكاح اهل الجاهلية صحيح كما يدل عليه قوله عليه السلام ولدت من نكاح لا من سفاح اى
زنى وقوله لما خلق الله تعالى آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذفنى فى
صلب ابراهيم ثم لم يزل تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام حتى اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط
وروى ان حوآء لما وضعت شيثا انتقل النور المحمدى من جبينها الى جبهته فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال اخذ آدم
عليه العهود والمواثيق ان لا يودع هذا السر الا فى المطهرات المحصنات من النساء ليصل الى المطهرين من
الرجال فانتقل ذلك النور الى يانش ويقال انوش ثم الى قينان ثم الى مهلائيل ثم الى يرد ثم الى خنوخ على وزن ثمود
وهو ادريس عليه السلام ويقال اخنوخ ثم الى متوشلخ ثم الى لمك ثم الى نوح عليه السلام ثم الى سام ابى العرب
ثم الى ارفخشذ ثم الى شالخ ثم الى عابر على وزن ناصر ويقال عيبر على وزن جعفر ثم الى فالخ ويقال فالغ ثم الى
ارغو ويقال راغو ثم الى شاروخ ثم الى ناحود ثم الى تارح وهو آزر ثم الى ابراهيم عليه السلام ثم الى اسمعيل عليه
السلام وفيه لغة اخرى وهى اسمعين بالنون على ما حكاه النووى ثم الى قندار ثم الى حمل ثم الى النبت ثم الى
سلامان ثم الى يشجب على وزن ينصر ثم الى يعرب على وزن ينصر ايضا ثم الى الهميسع ثم الى اليسع ثم الى ادد ثم
الى ادو الى هنا اختلف فى اسماء اهل النسب بخلاف ما بعده ثم الى عدنان ثم الى معد ثم الى نزار ثم الى مضر ثم الى
الياس بفتح الهمزة فى الابتداء والوصل وقيل بكسر الهمزة ضد الرجاء ثم الى مدركة ثم الى خزيمة ثم الى كنانة ثم الى
النضر ثم الى مالك ثم الى فهر ثم الى غالب ثم الى لوى ثم الى كعب ويجتمع عمر رضى الله عنه مع النبى عليه السلام فى
النسب فى كعب ثم الى مرة ويجتمع ابو بكر مع النبى عليه السلام فى النسب فى مرة ثم الى كلاب ثم الى قصى ثم
الى عبد مناف ثم الى هاشم ثم الى عبد المطلب ثم الى عبد الله اب السر المصون والدر المكنون محمد المصطفى صلى
الله عليه وسلم ولم يرض بعض اهل العلم بما اشتهر بين الناس من عبادة قريش صنما استدلالا بقوله تعالى حكاية
عن ابراهيم عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام فى سورة ابراهيم وقوله تعالى فى حق ابراهيم وجعلها
كلمة باقية فى عقبه فى حم الزخرف والجواب ان الآية الاولى تدل بظاهرها على الابناء الصلبية ولو سلم دلالتها
على الاحفاد ايضا كما تدل على كل ولد من ذريته ومعنى الآية الثانية وجعل الله كلمة التوحيد كلمة باقية
فى نسله وذريته على انه لا تخلو سلسلة نسبه عن اهل التوحيد والايمان فلا تدل على ايمان كل اعقابه
واحفاده وهو اللائح بالبال والله اعلم بحقيقة الحال والاشارة فى الآية ان الله تعالى اظهر قدرته فى اخراج

الحى

الحي من الميت بقوله واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ اصناما آلهة دون الله اذ الاصل منهمك في الجحود لموت قلبه والنسل مضمحل في الشهود لحياة قلبه والاصنام مايعبد من دون الله الى اراك وقومك في ضلال مبين بما ارانى الله ملكوت الاشياء كما في التأويلات النجمية ومن بلاغات الزمخشري كم يحدث بين الخبيثين ابن لابوين والفرث والدم يخرج من بينهما اللبن (قال السعدى) چو كنعانرا طبيعت بى هنر بود * پيمبر زادكى قدرش نيفزود * هنر بنماى اكر دارى نه كوهر * كل ازخارست وابراهيم ازآزر * وقال خاكستر اكرچه نسب عالى دارد كه آتش جوهر علويست وليكن بنفس خود چون هنرى ندارد باخاك برابراست قيمت شكرنه ازنى است كه آن خاصيت وى است * فظهر ان الله تعالى من شأنه القديم اخراج الحي من الميت ولا يختص به نسب وكذا امر العكس ومن الله التوفيق (وكذلك نرى ابراهيم) ذلك اشارة الى الارآءة التى تضمنها قوله نرى لا الى اراءة اخرى يشبه بها هذه الارآءة كما يقال ضربته كذلك اى هذا الضرب المخصوص والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة والمعنى كذلك التبصير نبصره عليه السلام (ملكوت السموات والارض) اى ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر والاظهر انه مختص بملك الله عز سلطانه وهذه الارآءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اى عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها فان قيل رؤية البصيرة حاصلة لجميع الموحدين كرؤية البصر ومقام الامتنان يابى ذلك فالجواب انهم وان كانوا يعرفون اصل دليل الربوبية الا ان الاطلاع على آثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب اجناسها وانواعها واشخاصها واحوالها مما لا يحصل الا لاكابر الانبياء ولهذا كان عليه السلام يقول في دعائه ارنا الاشياء كما هى قال في التأويلات النجمية اعلم ان لكل شئ من العالم ظاهرا يعبر عنه تارة بالجسمانى لماله من الابعاد الثلاثة من الطول والعرض والعمق والتحيز وقبول القسمة والتجزى وتارة بالدنيا لدنوها الى الحس وتارة بالصورة لقبول التشكل ولادراكه بالحس وتارة بالشهادة لشهوده في الحس وتارة بالملك لتملكه والتصرف فيه بالحس وباطنا يعبر عنه تارة بالروحانى لخلوه عن الابعاد الثلاثة وعن التحيز والتجزى في الحس وتارة بالآخرة لتأخره عن الحس وتارة بالمعنى لتنزهه عن التشكل وبعده عن الحس وتارة بالغيب لغيبوبته عن الحس وتارة بالملكوت للملك عالم الملك والصورة به فان قيام الملك بالملكوت وقيام الملكوت بقدرة الحق كما قال الله تعالى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون اى من طريق الملكوت والملكوت من الاوليات التى خلقها الله تعالى من لا شئ بأمر كن اذ كان الله ولم يكن معه شئ يدل عليه قوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ فنبه على ان الملكوت لم يخلق من شئ وما سواه خلق من شئ وقد سمى الله تعالى ما خلق بالامر امرا وما خلق من الشئ خلقا فقال الا له الخلق والامر فالله تعالى ارى ابراهيم ملكوت الاشياء والآيات المودعة فيها الدالة على التوحيد انتهى وقد اطلق العلماء الملك على ما يدرك بالبصر والملكوت على ما يدرك بالبصيرة فالملكوت لا ينكشف لارباب العقول بل لاصحاب القلوب فان العقل لا يعطى الا الادراك الناقص بخلاف الكشف وتلك المكاشفة لا تحصل الا لاهل المجاهدة فانها ثمرة المجاهدة وهى مما يعز مناله جدا اللهم اجعلنا من اهل العيان دون السامعين للاثر (وليكون من الموقنين) اللام متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اى ليكون من زمرة الراسخين في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين من فوائده بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقى من مستتبعاته (فلما جن عليه الليل) اى ستره بظلامه (رأى كوكبا) جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب قيل كان ذلك هو الزهرة وقيل هو المشترى وكلاهما من الكواكب السبعة السيارة (قال) كأنه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل

المواقفة مع الخصم (هذا ربى) وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والكواكب والمستدل على فساد قول يحكيه
على رأى خصمه ثم يكر عليه بالابطال (فلما افل) اى غرب (قال لا احب الآفلين) اى الارباب المنتقلين من
مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم بمعزل عن استحقاق الربوبية قطعا (فلما رأى
القمر بازغا) اى مبتدئا فى الطلوع اثر غروب الكوكب (قال هذا ربى فلما افل) كما افل النجم (قال لئن لم يهدنى
ربى) الى جنابه (لأكونن من القوم الضالين) تعريض لقومه بانهم على ضلال ولعله عليه السلام كان اذ ذاك
فى موضع كان من جانبه الغربى جبل شامخ يستتر به الكواكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان
الكوكب قريبا منه وأفقه الشرقى مكشوف والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس
مما لا يكاد يتصور (فلما رأى الشمس بازغة) اى مبتدئة فى الطلوع (قال هذا) الجرم المشاهد (ربى هذا اكبر)
من الكوكب والقمر وهو تأكيد لما رامه من اظهار النصفة بقوله لاكونن من الضالين (فلما افلت) كما افل الكوكب
والقمر وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا (قال) مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم (يا قوم انى برئ مما تشركون)
بالله تعالى من الاصنام والاجرام المحتاجة الى محدث فقالوا له ما تعبد قال (انى وجهت وجهى) اى اخلصت
دينى وعبادتى وجعلت قصدى (للذى فطر السموات والارض) اى لله الذى خلقهما (حنيفا) اى مائلا عن
الاديان الباطلة كلها الى الدين الحق ميلا لا رجوع فيه (وما انا من المشركين) به تعالى فى شئ من الافعال والاقوال
وهذه حال من كانت صقالة مرآة قلبه عن طبع الطبع وتنزهت عن ظلمة هوى النفس وشهواتها فانه لا يلتفت
الى الاجرام والاكوان بل الى اليمين والشمال لان شوق الخلة الى الحضرة نصبه فى محاذاة ذاته المقدسة عن الجهة
(قال فى المثنوى) آفتاب از امر حق طباخ ماست * ابلهى باشد كه گوييم او خداست * آفتابت گر
بگيرد چون كنى * آن سياهى زو تو چون بيرون كنى * نى بدرگاه خدا آرى صداع * كه سياهى را
ببرداده شعاع * گر كشندت نيم شب خورشيد كو * تا بنالى يا امان خواهى ازو * حادثات اغلب بشب
واقع شود * وان زمان معبود تو غائب شود * سوى حق گر راستانه خم شوى * وارهى از اختران
محرم شوى (وحاجه قومه) اى جادلوه فى دينه وهددوه بالاصنام ان تصيبه بسوء ان تركها (قال اتحاجونى)
بنون ثقيلة اصله اتحاجوننى بنونين اولاهما نون الرفع والثانية نون الوقاية فاستثقل اجتماعهما فادغم الاولى
فى الثانية اى اتجادلوننى (فى الله) اى فى شأنه تعالى ووحدانيته (وقد هدان) اى والحال ان الله تعالى هدانى
الى الحق (ولا اخاف ما تشركون به) اى ما تشركون به تعالى من الاصنام ان يصيبنى بسوء لعدم قدرتها على
شئ (الا ان يشاء ربى شيأ) استثناء متصل والمستثنى منه وقت محذوف والتقدير لا اخاف معبودكم فى وقت
من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى شيأ من اصابة مكروه بى من جهتها وذلك انما يكون من جهته تعالى
من غير دخل لآلهتكم فيه اصلا (وسع ربى كل شئ علما) كأنه تعليل للاستثناء اى احاط بكل شئ علما فلا يبعد أن
يكون فى علمه تعالى ان يحيق بى مكروه من قبلها بسبب من الاسباب لا بالطعن فيها (افلا تتذكرون) اى
أتعرضون عن التأمل فى ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شئ ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على
اضرارى (وكيف أخاف ما اشركتم) بالله من الاصنام وهى لا تضر ولا تنفع والاستفهام انكار الوقوع ونفيه
بالكلية (ولا تخافون انكم اشركتم بالله) حال من ضمير أخاف بتقدير مبتدأ اى وكيف اخاف انا ما ليس فى حيز
الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذى ليس كمثله شئ
فى الارض ولا فى السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله (ما لم ينزل به) اى باشراكه (عليكم سلطانا)
اى حجة وبرهانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله
تعالى (فأى الفريقين أحق بالامن) انحن ام انتم قال المولى ابو السعود المراد بالفريقين الفريق الآمن فى محل
الامن والفريق الآمن فى محل الخوف (ان كنتم تعلمون) من احق به فاخبرونى (الذين آمنوا) اى احد الفريقين
الذين آمنوا (ولم يلبسوا ايمانهم) اى لم يخلطوه (بظلم) اى بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون أنهم
يؤمنون بالله تعالى وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب والشفاعة كما
قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط (اولئك لهم الامن) فقط من العذاب (وهم مهتدون)
الى الحق ومن عداهم فى ضلال مبين (وتلك) اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن الى قوله

وهم مهتدون (حجتنا) الحجة عبارة عن الكلام المؤلف للاستدلال على الشئ (آتيناها ابراهيم) اى ارشدناه اليها اوعلمناه اياها وهو حال من حجتنا لاصفة لانها معرفة بالاضافة (على قومه) متعلق بحجتنا والاشارة ان محجة السلوك الى الله تعالى انما هى تحقق بالآيات التى هى افعاله وهذه مرقاة لهم وهى الرتبة الاولى ثم شهود صفاته بارآءته لهم وهى الرتبة الثانية ثم التحقق بوجوده وذاته عند التجلى لاسرارهم وهذا مبدأ الوصول ولاغاية له فقوله وتلك اى اراءة الملكوت وشواهد الربوبية فى مرءآة الكواكب وصدق التوجه الى الحق والاعراض والتبرى مما سواه والخلاص من شرك الانانية والايمان الحقيقى والايقان بالعيان آتيناها ابراهيم وارشاه بذاتنا من غير واسطة حتى جعلها حجة على قومه (نرفع) الى (درجات) اى رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة (من نشاء) رفعه كما رفعنا درجات ابراهيم حتى فاق فى زمن صباه شيوخ اهل عصره واهتدى الى مالم يهتد اليه الاكابر الانبياء عليهم السلام * دادحق راقابليت شرط نيست * بلكه شرط قابليت داد اوست (ان ربك حكيم) فى كل مافعل من رفع وخفض (عليم) بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة ثم ان المقصود من المباحث الجارية بين ابراهيم وبين قومه انما هو الزام القوم وارشادهم الى طريق النظر والاستدلال وتنبيهم على ضلالهم فى امر دينهم كما هو المختار عند اجلاء المفسرين وعلى هذا المسلك جريت فى تفسير الآيات كما وقفت وقال بعضهم المقصود مما حكى الله عن ابراهيم من الاستدلال على وحدانية الله تعالى وابطال الوهية ماسواه نظره واستدلاله فى نفسه وتحصيل المعرفة لنفسه فيحمل على ان ذلك فى زمان مراهقته واول اوان بلوغه وان المراد بالملكوت الآيات قال الحدادى وهو الاقرب الى الصحة قال الكاشفى فى تفسيره الفارسى (وكذلك) وچنانكه بدونموده بوديم كمراهئ قوم اوراهمچنان (نرى ابراهيم) بنموديم ابراهيم را (ملكوت السموات والارض) عجائب وبدائع اسمانها وزمينها ازذروهٔ عرش تاتحت الثرى بروى منكشف ساخته تا استدلال كند بدان درقدرت كاملهٔ حق تعالى (وليكون من الموقنين) وتاباشد ازبى كمانان باموفق بوددرعلم استدلال درمعالم آورده كه نمرود بن كنعانكه بادشاهئ روى زمين تعلق بدوداشت درشهر بابل نشستى شبى درواقعه ديدكه كوكبى ازافق آن بلده طلوع نمودكه درشعشهٔ جمال اونورآفتاب وماه نابودكشت ازغايت فزع بيدارشد وكاهنان وحكماء مملكت تعبيراين واقعه برين وجه كردندكه درين سال بولايت بابل مولودى خجسته طالع ازخلوتخانهٔ عدم بفضاء صحراى وجود خرامدكه هلاك تواهل مملكت تو بدودست اوباشد وهنوز اين مولود ازمستقرصلب بمستودع رحم نپيوسته نمرود بفرمود تاميان زنان وشوهران تفريق كردند وبرهرده يكى برايشان مؤكل ساخت وآزررا كه يكى ازمحرمان ومقربان نمرود بودشبى بازن خود (اوفى بنت نمر) پنهان زموكلان خلوت دست داد وحامله شدوبامدادش راكاهنان بانمرود كفتندامشب آن كودك برحم پيوسته است نمرودخشم كرفته بفرمود تابرهرحامله يكى مؤكل ساختند تااكرپسر برايد بكشند زنانى كه درتفحص احوال حامله بودندچون مادرابراهيم را اثرحمل ظاهر نبود ازودركذشتند وديكر كسى بدو التفات نكردتا وقتى كه وضع حمل نزديك رسيد اوفى ترسيدكه اكرپسرى زايدناكاه خبربكسان نمرود رسد فى الحال اورابكشند بهانه ازشهر بيرون رفت وغارى درميان كوه نشان داشت دران غار ابراهيم رابزادودرخرقه پيچيد وهمانجا كذاشته درغار بسنك استواركردوآزررا كه ازحمل خبرداشت كفت كه ازترس كماشتكان نمرود بصحرا رفتم وپسرى بزادم وفى الحال بمردرخاكش دفن كردم وبازكشتم آزرباوركردواوفى روزديكر باغارآمد ديدكه ابراهيم انكشتان خودرا ازيكى شيروازديكرى عسل بيرون ميكشد ومى نوشد اوفى چون اين حال بديد خوش وقت شد وباشهر مراجعت نمود القصه ابراهيم چون شيرتربيت ازپستان عنايت الهى نوشيد بروزى چندان مى باليد كه كودك ديكردرماهى وبماهى چندان بزرك ميشدكه ديكرى درسالى * چوماه نوكه باروى دل افروز * بودزاينده نورش روزتاروز * چون بانزده ماهه شدباجوانان بانزده ساله مقابل كشت وازخانه بيرون آمد وكفته اندهفت سال باسيزده سال يا هفتده سال درغاربود برهرتقدير چون ابراهيم بزرك شد اوفى باآزر كفت كه پسرتوآن روزخبرمرك اوبدروغ دادم جوانى رسيده است درغايت خوب رويى ونيكوخويى پس آزررابغار اورد وابراهيم راوى نمود آزربجمال پسرخوش آمد وبااوكفت اين را ازغار بخانه آوركه بملازمت نمرود برم آزربرفت واوفى ازغاربدرآورد نمازشام بوددربايان غاركلهاى اسب واشتروومهاى كوسفندجمع بودند ابراهيم

ازمادر برسيدكه هر آينه اين هارا بروردكاری خواهد بودكه آفريده وروزی ميدهد پس مادررا كفت كه هيچ
مخلوقی را ازخالقی چاره نيست آفريده كاراوباشد وبعد تربيت يابد بروردكار من كيست مادرش كفت من بروردكار
توام ابراهيم كفت بروردكارتو كيست كفت پدرتوابراهيم كفت خدای اوكيست كفت نمرود كفت خدای
نمرود كيست مادرش بانك برابراهيم زدكه مثل اين سخنان مكوكه خطرعظيم دارددر زمان نمرود بعضی ستاره
وآفتاب وماه می برستيدند وبرخی بت برست بودند وجمعی برستش نمرودمی كردند ابراهيم بامادر بشهر روانه شد
(فلما جن عليه الليل رأى كوكبا) پس بعضی كه ستاره برست بودندی روی بوی سجده كردند (قال هذا ربی) ای
اينست بروردكارمن برسبيل استفهام يابزعم آن قوم (فلما افل قال لا احب الآفلين) پس قدری ديكر راه
رفتند وشب چهاردهم بود ماه طبق سيمين بركنارهٔ خوان سبز فلك نمودارشد (فلما رأى القمر بازغا) جمعی ماه
برستان پيش وی بسجده درفتادند (قال هذا ربی فلما أفل) يعنی ازخط نصف النهار بجانب مغرب ميل كرد
(قال لئن لم يهدنی ربی لاكونن من القوم الضالين) پس از آنجا دركذشتند ونزديك شهررسيدند آفتاب ابتداء
طلوع كرد جمعی متوجه اوشده عزم سجود كردند (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربی هذا اكبر فلما افلت قال
ياقوم انی بریء مما تشركون انی وجهت وجهی للذی فطر السموات والارض حنيفا) درحالتی كه
من مائلم ازهمه اديان بدين توحيد (وما انا من المشركين) درتفسير منير مذكوراست كه چون ابراهيم
عليه السلام بشهردرآمد اورابدين نمرود بردند اومردی ديدكه كريه منظر وابراهيم لورادبد برتختی نشسته
وغلامان ماه منظر وكنيزان بری بيكر كردتخت اوصف زده ازمادربرسيدكه اين چه كس است كه مرا بدين
اواورديه ايد كفتند خدای همه كس است برسيدكه اين ملازمان برحوالی تخت كيانند كفت آفريدكان
اويند ابراهيم تبسم فرمود وكفت ای مادرچكونه است كه اين خدای شماديكرانرا ازخودخوبترآفريده
است بايستی كه اوازيشان خوبتر بودی كذا فی ذلك التفسير للكاشفی مع اختصار (ووهبنا له) الهبة فی اللغة
التبرع والعطية الخالية عن تقدم الاستحقاق والضمير لابراهيم عليه السلام (اسحق) ابنه الصلبی وهو أب انبياء
بنی اسرآئيل (ويعقوب) بن اسحق (كلا هدينا) ای كل وحد منهما وفقنا وارشدنا الی الفضائل الدينية
والكمالات العلمية والعملية لا لاحدهما دون الآخر (ونوحا) منصوب بمضمر يفسره (هدينا من قبل) ای
من قبل ابراهيم وعدهداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد (و) هدينا (من
ذريته) ای ذرية نوح ولم يرد من ذرية ابراهيم لانه ذكر فی جملتهم يونس ولوطا ولم يكونا من ذرية ابراهيم كذا قال
البغوی وقال ابن الاثير فی جامع الاصول يونس من ذرية ابراهيم لانه كان من الاسباط فی زمن شعيب ارسله
الله الی نينوی من بلد الموصل ولا بعد فی عد لوط من ذرية ابراهيم ايضا باعتبار انه كان ابن اخيه هاجر معه الی
الشام قال سعدی چلبی المفتی ومحيی السنة يعنی البغوی اوثق من ابن الاثير (داود) بن ايشا (وسليمان) ابنه
وسلسلتهما تنتهی الی يهودا بن يعقوب (وايوب) من اموص بن رازخ بن روم بن عيصا بن اسحق بن ابراهيم
(ويوسف) بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (وموسى) بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوی بن يعقوب (وهرون)
هو اخو موسى اكبر منه بسنة وليس ذكرهم على ترتيب ازمانهم (وكذلك) ای كما جزيناهم برفعة الدرجات
(نجزی المحسنين) على احسانهم على قدر استحقاقهم فاللام للجنس ويجوز ان تكون الكاف مقحمة واللام
للعهد والمعنى ذلك الجزآء البديع الذی هو عبارة عما اوتی المذكورون من فنون الكرامات نجزيهم لا لجزآء آخر
ادنى منه فالمراد بالمحسنين هم المذكورون والاظهار فی موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذی هو
عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذی هو حسنها الوصفی المقارن لحسنها الذاتی (وزكريا)
ای وهديناه ايضا وهو ابن اذن وسلسلته تنتهی الی سليمان (ويحيى) ابنه (وعيسى) ابن مريم ابنة عمران من بنی
ماثان الذين هم ملوك بنی اسرآئيل وفی ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت فيكون الحسن والحسين
من ذرية سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم مع انتسابهما اليه بالام ومن آذاهما فقد آذى ذريته عليه السلام
يقول الفقير فاذا كان النسب من طرف الام صحيحا معتبرا فالذی كانت سيادته من طرفها مقبول كما هو من
طرف الاب اذ المعتبر انتهاء السلسلة الی الحسنين من ای جانب كان (والياس) ابن اخ هرون اخی موسى قال
البغوی الصحيح ان الياس غير ادريس لان الله تعالى ذكره فی ولد نوح وادريس هو جد أبی نوح (كل) منهم

(من الصالحين) الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى (واسمعيل) عطف على نوحا اى وهدينا اسمعيل بن ابراهيم كما هدينا نوحا ولعل الحكمة فى افراد اسمعيل عن باقى ذرية ابراهيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من ذرية اسمعيل والكائنات كانت تبعا لوجوده فما جعل الله اسماعيل تبعا لوجود ابراهيم ولا هدايته تبعا لهدايته لشرف محمد صلى الله عليه وسلم فلذا افرده عنهم واخره فى الذكر * آنچه اول شد بديد از جيب غيب * بود نور جان او بى هيچ ريب * بعد از ان نور مطلق زد علم * گشت عرش وكرسى ولوح وقلم * يك علم از نور پاكش علم اوست * يك علم ذريت آدم ازوست (واليسع) بن اخطوب بن العجوز واللام زائدة لانه علم اعجمى (ويونس) بن متى (ولوطا) بن هاران بن اخى ابراهيم (وكلا) منهم (فضلنا على العالمين) اى عالمى عصرهم بالنبوة لا بعضهم دون بعض (ومن آبائهم) من تبعيضية اى وفضلنا بعض آباء المذكورين كآدم وشيث وادريس اذ من الآباء من لم يكن نبيا ولا مفضلا مهديا (وذرياتهم) اى وبعض ذرياتهم من بعدهم كأولاد يعقوب ومن جملة ذرياتهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما فى تفسير الحدادى وانما اراد ذرية بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان فى ذرية بعضهم من كان كافرا (واخوانهم) كأخوة يوسف فى عصرهم ويحتمل ان يكون المراد بهم كل من آمن معهم فانهم كلهم دخلوا فى هداية الاسلام (واجتبيناهم) عطف على فضلنا اى اصطفيناهم (وهديناهم) اى ارشدناهم (الى صراط مستقيم) لا يضل من سلك اليه (ذلك) الهدى (هدى الله) الاضافة للتشريف (يهدى به من يشاء من عباده) وهم مستعدون للهداية والارشاد (ولو اشركوا) اى لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شأنهم (لحبط عنهم) اى بطل وذهب (ما كانوا يعملون) من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم وهذا غاية التوبيخ والترهيب للعوام والخواص لئلا يأمنوا مكر الله (اولئك) المذكورون من الانبياء الثمانية عشر (الذين آتيناهم الكتاب) اى جنس الكتاب المتحقق فى ضمن اى فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين (والحكم) اى الحكمة او فصل الخطاب على ما يقتضيه الحق والصواب (والنبوة) اى الرسالة (فان يكفر بها) اى بهذه الثلاثة (هؤلاء) اهل مكة (فقد وكلنا بها) اى امرنا بمراعاتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها (قوما ليسوا بها بكافرين) فى وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها وهم اصحاب النبى عليه السلام والباء صلة كافرين وفى بكافرين لتأكيد النفى (اولئك) الانبياء المتقدم ذكرهم (الذين هدى الله) اى هداهم الله الى الحق والنهج المستقيم (فبهداهم اقتده) اى فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى واحتج العلماء بهذه الآية على انه عليه السلام افضل جميع الانبياء عليهم السلام لان خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فداود وسليمان كانا من اصحاب الشكر على النعمة وايوب كان من اصحاب الصبر على البلية ويوسف كان جامعا بينهما وموسى كان صاحب المعجزات القاهرة وزكريا ويحيى وعيسى والياس كانوا اصحاب الزهد واسمعيل كان صاحب الصدق فكل منهم قد غلب عليه خصلة معينة فجمع الله كل خصلة فى حبيبه عليه السلام لانه اذا كان مأمورا بالاقتداء لم يقصر فى التحصيل * هرچه بخوبان جهان داده اند * قسم تو نيكو تر ازان داده اند * هرچه بناز ند بدان دلبران * جمله تراهست زيادت بران * وفى التأويلات النجمية اولئك الذين هداهم الله بصفاته الى ذاته فبهداهم اقتده لانهم سلكوا مسلكا غير مسلوك حتى انتهى سير كل واحد منهم الى منتهى قدره كما اخبرت انى رأيت آدم فى السماء الدنيا ويحيى وعيسى فى السماء الثانية ويوسف فى السماء الثالثة وادريس فى السماء الرابعة وهرون فى السماء الخامسة وموسى فى السماء السادسة وابراهيم فى السماء السابعة فاقتد بهم حتى تسلك مسالكهم الى ان تنتهى الى سدرة المنتهى وهو منتهى مقام الملائكة المقربين ثم يعرج بك الى المحل الادنى والمقام الارفع حتى تخرج من نفسك وتدنو اليه به الى ان تصل الى مقام قاب قوسين او ادنى مقاما لم يصل اليه احد قبلك لا ملك مقرب ولا نبى مرسل (قل) لكفار قريش (لا اسألكم عليه) اى على القرآن (اجرا) اى جعلا من جهتكم كما لم يسأله من قبلى من الانبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما امر

بالاقتداء بهم فيه (ان هو) اى ما القرآن (الا ذكرى للعالمين) اى الا عظة وتذكير لهم من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون آخرين وعلى هذا جرى الاولياء من اهل الارشاد اذ لا اجر للتعليم والارشاد اذ الاجر من الدنيا ولا يجوز طمع الدنيا الا لاهل الآخرة ولا لاهل الله تعالى وانما خدمة الدين مجردة عن الاغراض مطلقا (وما قدروا الله حق قدره) اصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشئ يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعلم مقداره ثم استعمل فى معرفة الشئ فى مقداره واحواله واوصافه فقيل لمن عرف شيأ هو يقدر قدره ولمن لم يعرفه بصفاته انه لا يقدر قدره ونصب حق قدره على المصدرية وهو فى الاصل صفة للمصدر اى قدره الحق وضميره يرجع الى الله تعالى واما ضمير الجمع فالى اليهود لما روى ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم خرج مع نفر الى مكة معاندين ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء وكان رجلا سمينا فاتى رسول الله بمكة فقال له عليه السلام انشدك بالذى انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله تعالى يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين وقد سمنت من مأكلتك التى تطعمك اليهود ولست تصوم اى تمسك فضحك القوم فخجل مالك بن الصيف فقال غضبا ما انزل الله على بشر من شئ فلما رجع مالك الى قومه قالوا له ويلك ما هذا الذى بلغنا عنك أليس ان الله انزل التوراة على موسى فلم قلت ما قلت قال اغضبنى محمد فقلت ذلك قالوا له وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق وتترك دينك فاخذوا الرياسة والحبرية منه وجعلوهما الى كعب بن الاشرف فنزلت هذه الآية والمعنى ما عرفوه تعالى حق معرفته فى اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى فى ذلك بل اخلوا بها اخلالا افضى بهم عن المعرفة بالقدر لكونه سببا لها وظرفا لقالها (اذ قالوا) منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما (ما انزل الله على بشر من شئ) اى كتاب ولا وحى مبالغة فى انكار انزال القرآن اذ القائلون من اهل الكتاب كما مر آنفا (قل) لهم على طريق التبكيت والقام الحجر (من انزل الكتاب الذى جاء به موسى) يعنى التوراة حال كون ذلك الكتاب (نورا) بينا بنفسه ومبينا لغيره بالفارسى روشنايى دهنده (وهدى) بيانا (للناس) وحال كونه (تجعلونه قراطيس) اى تضعونه فى قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم وهى جمع قرطاس بمعنى الصحيفة (تبدونها) صفة قراطيس اى تظهرون ما تحبون ابداءه منها (وتخفون كثيرا) مما فيها كنعوت النبى عليه السلام وآية الرجم وسائر ما كتموه من احكام التوراة (وعلمتم) أيها اليهود على لسان محمد (ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم) وهو ما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع فقوله علمتم حال من فاعل تجعلونه باضمار قد مفيد لتأكيد التوبيخ فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع للابداء والاخفاء شناعة عظيمة فى نفسها ومع ملاحظة كونه ما اخذا لعلومهم ومعارفهم اشنع واعظم (قل الله) اى انزله الله امره عليه السلام بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره تنبيها على انهم بهتوا وافحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا (ثم ذرهم) اى دعهم واتركهم (فى خوضهم) اى فى باطلهم الذى يخوضون فيه اى يشرعون فلا عليك بعد الاتبليغ والزام الحجة (يلعبون) حال من الضمير الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون ويقال لكل من عمل ما لا ينفعه انما انت لاعب (وهذا) القرآن (كتاب انزلناه) وصفه به ليعلم انه هو الذى تولى انزاله بالوحى على لسان جبريل وليس تركيب ألفاظه على هذه الفصاحة من قبل الرسول (مبارك) اى كثير الفائدة والنفع وكيف وقد احاط بالعلوم النظرية والعملية فان اشرف العلوم النظرية هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله واحكامه ولا يوجد كتاب يفيد معرفة هذه الامور مثل ما افاده القرآن واما العلوم العملية فالمطلوب منها اما اعمال الجوارح واما اعمال القلوب وهى المسمى بعلم الاخلاق وتزكية النفس فانك لا تجد شيأ منهما مثل ما تجده فى القرآن العظيم قال فى التأويلات النجمية مبارك على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى ربهم وعلى خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم ويخلقهم باخلاقه وفى كتاب المحبوب شفاء لما فى القلوب كما قيل

وكتبك حولى لا تفارق مضجعى * وفيها شفاء للذى انا كاتمه

اين چه منشور كريمست كه از هر شكنش * بوى جان برور احسان وعطا مى آيد * اين چه انفاس روان بخش عبير افشانست * كه از ورايحه مشك خطا مى آيد (مصدق الذى بين يديه) من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها (ولتنذر ام القرى) عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولانذارك اهل ام القرى

فالمضاف

فالمضاف محذوف والمراد بأم القرى مكة وسميت بها لان الارض دحيت من تحتها فهى اصل الارض كلها
كالام اصل النسل قال الكاشفى فى تفسيره الفارسى قرى جمع قريه است واورا ازقرا گرفته اند بمعنى جمع است
پس هرجا كه مجتمعى باشد ازشهر ودهه ازاقريه توان گفت (ومن حولها) اهل الشرق والغرب قال فى التأويلات
النجمية ام القرى هى الذرة المودعة فى القلب التى هى المخاطب فى الميثاق وقد دحيت جميع ارض القالب
من تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفؤاد والصفات والاخلاق بان يتنوروا بانواره
وينتفعوا باسراره ويتخلقوا باخلاقه (والذين يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من انواع العذاب (يؤمنون به) اى
بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به (وهم على صلاتهم
يحافظون) يعنى المؤمنون بالكتاب يداومون على الصلوات الخمس التى هى اشرف التكاليف والطاعات
ولذا خصص محافظتها من بين سائر العبادات وفى الآيات امور * الاول ان المخلوق لا يقدر قدر الخالق ولا يدركه
باعتبار كنه ذاته وتجرده عن التعينات الاسمائية والصفاتية (ع) بخيال در نكنجد تو خيال خود مرنجان *
فكل من عرف الله بآلة مخلوقة فهو على الحقيقة غير عارف ومن عرفه بآلة قديمة كما قال بعضهم عرفت ربى
بربى فقد عرف الله ولكن على قدر استعداده فى قبول فيض نور الربوبية الذى به عرف الله على قدره لانها بينت
ذاته وصفاته فالذى يقدر الله حق قدره هو الله تعالى لا غيره * كنه خردم درخور اثبات تو نيست * دانندهٔ
ذات تو بجز ذات تو نيست * ماللتراب ورب الارباب * والثانى ذم السمن كما عرف فى سبب النزول قال ابن الملك
السمن المذموم ما يكون مكتسبا بالتوسع فى المأكل لا ما يكون خلقة وفى الحديث ليأتى الرجل العظيم السمين
يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرأوا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قال العلماء معنى هذا
الحديث انه لا ثواب لهم واعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن فى موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو
فى النار قال القرطبى فى تذكرته وفيه من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما فى ذلك من تكلف المطاعم والاشتغال
بها عن المكارم بل يدل على تحريم كثرة الاكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن انتهى وفى الفروع
ان الاكل فرض ان كان لدفع هلاك نفسه ومأجور عليه ان كان لتمكينه من صومه وصلاته قائما ومباح الى
الشبع لتزيد قوته وحرام فوق الشبع الا لقصد قوة صوم الغد اولئلا يستحيى ضيفه (قال السعدى) باندازه
خور زادا كز مردمى * چنين پر شكم آدمى يا خمى * ندارند تن پروران آگهى * كه پر معده باشد زحكمت تهى
(قال الامام السخاوى فى المقاصد الحسنة) فى الحديث ان الله يكره الحبر السمين وفى التوراة ان الله ليبغض
الحبر السمين وفى رواية ان الله يبغض القارئ السمين قال الشافعى رحمه الله ما افلح سمين قط الا ان يكون
محمد بن الحسن فقيل له ولم قال لانه لا يفكر والعاقل لا يخلو من احدى حالتين اما ان يهتم لآخرته ومعاده اولدنياه
ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد فاذا خلا من المعنيين صار فى حد البهائم يعقد الشحم ثم قال الشافعى كان ملك
فى الزمان الاول كثير اللحم جدا فجمع المتطببين وقال احتالوا حيلة تخفف عنى لحمى هذا قليلا فما قدروا فنعت له
رجلا عاقلا اديبا متطببا فبعثوا فاشخص اليه بصره وقال ايعالجنى ذلك الفتى قال اصلح الله الملك انا رجل متطبب
منجم دعنى انظر الليلة فى طالعك اى دواء يوافق فاشفيك فهدأ عليه فقال أيها الملك الامان قال لك الامان
قال رأيت طالعك يدل على ان عمرك شهر فنى اعالجك وان اردت بيان ذلك فاحبسنى عندك فان كان
لقولى حقيقة فخل عنى والا فاقتص منى قال فحبسه ثم رفع الملك الملاهى واحتجب عن الناس وخلا وحده
مغتما ما يرفع رأسه يعد الايام كلما انسلخ يوم ازداد غما حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوما
فبعث اليه فاخرجه فقال ما ترى فقال اعز الله الملك انا اهون على الله من ان اعلم الغيب والله ما اعرف عمرى
فكيف اعرف عمرك انه لم يكن عندى دواء الا الهم فلم اقدر اجلب اليك الهم الا بهذه العلة فاذابت شحم الكلى
فاجازه واحسن اليه * والثالث ما فى قوله تعالى قل الله من لطائف العبارات من اهل الاشارات (قال فى التفسير
الفارسى شيخ ابو سعيد ابو الخير قدس سره در كلمهٔ قل الله ثم ذرهم فرموده كه الله بس وماسواه هوس وانقطع
النفس وشيخ الاسلام فرموده كه (قل الله) دل سوى او دار (ثم ذرهم) غير او را فرو كذار وشبلى با بعض اصحاب
خود ميگفت كه عليك بالله ودع ماسواه * چون تفرقهٔ دلست حاصل زهمه * دل را بيكى سپار وبگسل زهمه *
فالآية باشاراتها تدل على ان من اراد الوصول الى الله تعالى فلينقطع عما سواه فانه لعب ولهو واللاهى

والاعب ليس على شئ نسأل الله سبحانه ان يحفظنا من الاشتغال بما سواه * والرابع مدح القرآن وبيان فضيلته وفائدته قال احمد بن حنبل رأيت رب العزة فى المنام فقلت يارب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك قال كلامى يا أحمد قلت يارب بفهم ام بغير فهم قال بفهم وبغير فهم والنظر الى المصحف عبادة برأسه وله اجر على حدته ما عدا اجر القراءة وعن حميد بن الاعرج قال من قرأ القرآن وختمه ثم دعا أمّن على دعائه اربعة آلاف ملك ثم لا يزالون يدعون له ويستغفرون ويصلون عليه الى المساء او الى الصباح فعلى العاقل ان يجتهد حتى يختم القرآن فى اوائل الايام الصيفية والليالى الشتائية ليستزيد فى دعائهم واستغفارهم وفى الحديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه وينبغى ان يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يطلب عوضا ولا يقصد جزاء ولا شكورا بل يعلم للتقرب الى الله تعالى ويقتدى بالانبياء حيث قدم كل واحد منهم على دعوته قوله لا اسألكم عليه اجرا قال فى الاسرار المحمدية من اخذ الجراية ليتعلم فهى له حلال ولكن من تعلم ليأخذ الجراية فهى عليه حرام وفيه ايضا لا يتخذ صحيفة القرآن اذا درست وقاية للكتب بل يمحوها بالماء وكان من قبلنا يستشفى بذلك الماء وينبغى لقارئ القرآن ان يجوّد ويحسن صوته وفى الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحسنوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا قيل اراد بالتغنى الاستغناء وقيل الترنم وترديد الالحان وهو اقرب عند اهل اللغة كذا فى الاسرار ويحكى عن ظهير الدين المرغينانى انه قال من قال لمقرئ زماننا أحسنت عند قراءته يكفر كذا فى شرح الهداية لتاج الشريعة وقال فى البزازية من يقرأ القرآن بالالحان لا يستحق الاجر لانه ليس بقارئ قال الله تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج انتهى وسأل الحجاج بعض جلسائه عن ارق الصوت عندهم فقال احدهم ما سمعت صوتا ارق من صوت قارئ حسن الصوت يقرأ كتاب الله تعالى فى جوف الليل قال ذلك الحسن وقال آخر ما سمعت صوتا اعجب من ان ارتحل امرأتى ماخضا واتوجه الى المسجد بكيرا فيأتينى آت فيبشرنى بغلام فقال واحسناه فقال شعبة بن علقمة التميمى لا والله ما سمعت اعجب الىّ من ان اكون جائعا فاسمع خفخفة الخوان فقال الحجاج ابيتم يا بنى تميم الاحب الزاد والمقصود من هذه الحكاية بيان اختلاف مشارب الناس فمن احب الله وأنس بكلامه وتجرد عن الاغراض وكان القارئ متحاشيا من الانغام الموسقية وألحان اهل الفسق قارئا على لحون العرب محسنا صوته فلا مجال للطعن فيه والدخل ظاهرا وباطنا والله اعلم (ومن) استفهام مبتدأ اى لا احد (أظلم) خبره (ممن افترى على الله كذبا) مفعول افترى اى اختلق كذبا وافتعله فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى وهو اول من غير دين اسمعيل عليه السلام ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة قال عليه السلام فى حقه رأيته يجر قصبه فى النار قال قتادة كان مسيلمة يسجع ويتكهن كما قال فى معارضة سورة الكوثر انا اعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر انا كفيناك المكابر والمجاهر فانظر كيف كان سافل الالفاظ والبنا فاسد المعانى والجنى فادعى النبوة وكان قد ارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولين فقال عليه السلام أتشهدان ان مسيلمة نبى قالا نعم فقال عليه السلام لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما وفى الحديث بينا انا نائم اتيت بخزائن الارض فوضع فى يدى سواران من ذهب فكبرا علىّ وأهمانى فأوحى الىّ ان انفخهما فنفختهما فذهبا فاوّلتهما بالكذابين اللذين انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة قال القاضى وجه تأويلهما بالكذابين ان السوار كالقيد لليد يمنعها عن البطش فكذا الكذابان يقومان بمعارضة شريعته ويصدان عن نفاذ امرها قتل صاحب صنعاء وهو الاسود العنسى فى مرض موت النبى عليه السلام قتله فيروز الديلمى فلما بلغ خبر قتله النبى عليه السلام قال فاز فيروز وقتل صاحب اليمامة وهو مسيلمة فى عهد الصديق قتله الوحشى قاتل حمزة فلما قتله قال قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى اسلامى (او قال اوحى الىّ) من جهته تعالى (ولم يوح اليه) اى والحال انه لم يوح اليه (شئ) اصلا كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فى قوله فكذلك نزلت لقد اوحى الىّ كما اوحى اليه فى التحقيق انا اكون مثله ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فعلى ان ادعى نزول الوحى مثله فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع الى

الإسلام قبل فتح مكة اذ نزل النبي عليه السلام بمرو (ومن) اى ومن (قال سأنزل مثل ما أنزل الله) وهم المستهزئون الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى اذ الظالمون) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومفعول ترى محذوف لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين اذ هم فالظالمون مبتدأ وما بعده خبره واذ مضاف الى الجملة والمراد بالظالمين الجنس فيدخل فيهم المتنبئة وغيرهم وجواب لو محذوف اى لو ترى الظالمين فى هذا الوقت لرأيت امرا اعظيما (فى غمرات الموت) اى شدائده وسكراته جمع غمرة وهى الشدة الغالبة من غمره الماء اذا علاه وغطاه (والملائكة) اى ملك الموت واعوانه من ملائكة العذاب (باسطوا أيديهم) بقبض ارواحهم كالمتقاضى الملظ اى كالغريم الملازم الملح الذى يبسط يده الى من عليه الحق ويعنفه عليه فى المطالبة ولا يمهله ويقول له أخرج الى مالى عليك الساعة ولا ازال من مكانى حتى انزعه من كبدك وحدقتك اوباسطوها بالعذاب قائلين (اخرجوا انفسكم) اى ارواحكم البنا من اجسادكم وهذا القول منهم تغليظ وتعنيف والا فلا قدرة لهم على الاخراج المذكور او أخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا (اليوم) اى وقت الاماتة او الوقت الممتد بعده الى مالا نهاية له (تجزون عذاب الهون) اى العذاب المتضمن لشدة واهانة والهون الهوان اى الحقارة (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كاتخاذ الولد ونسبة الشريك وادعاء النبوة والوحى كذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها وفى الحديث ان المؤمن اذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر من الريحان وتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال لها ايتها النفس الطيبة اخرجى راضية مرضية ومرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال لها أيتها النفس الخبيثة اخرجى ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيجا اى صوتا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين كذا فى تفسير ابى الليث رحمه الله والاشارة ان الذين يراأون فى التأوه والزعقات واظهار المواجيد والحالات لهم من الله خطرات ونظرات وليس لهم منها نصيب الا الزفرات والحسرات والمتشبع بما لم يملك كلابس ثوبى زور وفى معناه انشدوا

اذا انسكبت دموع فى خدود * تبين من بكى ممن تباكى

والذى نزل نفسه منزلة المحدثين واهل الاشارة ولم يلق الى اسرارهم خصائص الخطاب ولم تلهم نفوسهم بها والذين يتشدقون ويتفيهقون فى الكلام الذين يدعون انهم يتكلمون بمثل ما انزل الله من الحقائق والاسرار على قلوب عباده الواصلين الكاملين فكلهم من الظالمين وتظهر مضرة ظلمهم وافترائهم عند انقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس من القالب كرها لتعلقها بشهوات الدنيا ولذاتها وحرمانها عن لذة الحقائق الغيبية والشهوات الاخروية اذ الملائكة يبسطون ايديهم بالقهر اليهم لنزع انفسهم بالهوان والشدة وهى متعلقة بحسب الافتراء والكذب واستعلاء رفعة المنزلة عند الخلق وطلب الرياسة باصناف المخلوقات فتكون شدة النزع والهوان بقدر تعلقها بها كما قال اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون يعنى آياته المودعة فى انفسكم تعرضون عنها وتراأون بما ليس لكم ولعل تعلق النفس ينقطع عن البدن بيوم او يومين او ثلاثة ايام وتعلقها عن اوصاف المخلوقات لا ينقطع بالسنين ولعلها الى الحشر والكفار الى الابد وهم فى عذاب النزع بالشدة ابدا وهو العذاب الاليم والعذاب الشديد ومن نتائج هذه الحالة عذاب القبر فافهم جدا (وحكى) عن بعض العصاة انه مات فلما حفروا قبره وجدوا فيه حية عظيمة فحفروا القبرا آخر فوجدوها فيه ثم كذلك قبرا بعد قبر الى ان حفروا نحوا من ثلاثين قبرا وفى كل قبر يجدونها فلما رأوا انه لا يهرب من الله هارب ولا يغلب الله غالب دفنوه معها وهذه الحية هى عمله (قال الحافظ) كارى كنيم ورنه خجالت بر آورد * روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء وهو بمعنى المستقبل اى تجيئوننا وانما ابرز فى صورة الماضى لتحققه كقوله تعالى أتى امر الله والخطاب لكفار قريش لانها نزلت حين قالوا افتخارا واستخفافا للفقراء نحن اكثر اموالا واولادا فى الدنيا وما نحن بمعذبين فى الآخرة (فرادى) جمع فرد أى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا (كما خلقناكم أول مرة) بدل من فرادى اى على الهيئة التى

ولدتم عليها في الانفراد أو حال من ضمير فرادى اى مشبهين ابتدآء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما اى ليس بهم شئ مما كان في الدنيا نحو البرص والعرج كذا في القاموس وفي الخبر انهم يحشرون يوم القيامة عراة حفاة غرلا قالت عائشة رضي الله عنها واسوءتاه الرجل والمرأة كذلك فقال عليه السلام لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض (وتركتم ما خولناكم) ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة والتخو يل تمليك الخول اى الخدم والاتباع واحدهم خائل او الاعطاء على غير جزاء (وراء ظهوركم) ما قدمتم منه شيأ ولم تحملوا نقيرا بخلاف المؤمنين فانهم صرفوا هممهم الى العقائد الصحيحة والاعمال الصالحة فبقيت معهم في قبورهم وحضرت معهم في محفل القيامة فهم في الحقيقة ما حضروا فرادى * چون از يخيا وارهى انجا روى * در شكر خانه ابد شاكر شوى (وما نرى معكم شفعاءكم) الاصنام (الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) اى شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم (لقد تقطع بينكم) اى وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اى اوقع الجمع بينهما قال الكاشفي منقطع كشت آنچه ميان شما بود از وصلت ومودت (وضل عنكم) اى بطل وضاع (ما كنتم تزعمون) انها شفعاؤكم فلم يقدر وعلى دفع شئ من العذاب عنكم او انها شركاؤكم لله في ربوبيتكم وهو الانسب لسياق النظم الا ترى الى قوله تعالى الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اعلم ان للانسان اعدآء اربعة هي المال والاهل والاولاد والاصدقاء وهي لا تدخل في القبر مع الميت فيبقى فريدا وحيدا منهم واصدقاء اربعة هي كلمة الشهادة والصلاة والصوم وذكر الله وهي تدخل في القبر وتشفع عند الله تعالى فتصحب الميت فلا يبقى وحيدا فعلى العاقل ان يتذكر في تجرده وتفرده فيسعى في تحصيل لباس له هو التقوى ومصاحب هو العمل الصالح وفي الحديث ان عمل الانسان يدفن معه في قبره فان كان العمل كريما اكرم صاحبه وان كان لئيما اسلمه وان كان عملا صالحا آنس صاحبه وبشره ووسع عليه قبره ونوره وحماه من الشدآئد والاهوال والعذاب والوبال وان كان عملا سيئا فزع صاحبه وروعه واظلم عليه قبره وضيقه وعذبه وخلى بينه وبين الشدآئد والاهوال والعذاب والوبال قال اليافعي وقد سمعت عن بعض الصالحين في بعض بلاد اليمن انه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس سمع في القبر صوتا ودقا عنيفا ثم خرج من القبر كلب اسود فقال له الشيخ الصالح ويحك ايش انت فقال انا عمل الميت قال فهذا الضرب فيك ام فيه قال بل في وجدت عنده سورة يس واخواتها فحالت بيني وبينه وضربت وطردت فانظر انه لما قوى عمله الصالح غلب على عمله الطالح وطرده عنه بكرم الله تعالى ولو كان عمله القبيح اقوى لغلب عليه وافزعه وعذبه (قال السعدى) غم وشادمانى نماند وليك * جزاى عمل ماند ونام نيك * مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم * كه پيش از تو بودست وبعد از تو هم * قال القشيري ولقد جئتمونا فرادى اى دخلتم الدنيا بخرقة وخرجتم منها بخرقة الا وتلك الخرقة ايضا لبسه ومادخلت الا بوصف التجرد وما خرجت الا بحكم التجرد ثم الاثقال والاوزار والاعمال والاوصال لا يأتى عليها حصر ولا مقدار فلا مالكم اغنى ولا حالكم يدفع عنكم ولا شفيع يخاطبنا فيكم ولقد تفرق وصلكم وتبدد شملكم وتلاشى ظنكم وخاب سعيكم انتهى كلام القشيري والاشارة ان المجئ الى الله يكون بالتجريد ثم بالتفريد ثم بالتوحيد فالتجريد هو التجرد عن الدنيا وما يتعلق بها والتفريد هو التفرد عن الدنيا والآخرة رجوعا الى الله خاليا عن التعلق بهما كما كان في بدء الخلقة روحا مجردا عن تعلقات الكونين كقوله لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة يعني اول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب فانه خلقة ثانية كما قال ثم انشأناه خلقا آخر وقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم فللعبد في السير الى الله كسب وسعي بالتجريد والتفريد عن الدنيا والآخرة كما قال وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يعني من تعلقات الكونين وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء يعني الاعمال والاحوال التي ظننتم انها توصلكم الى الله تعالى لقد تقطع بينكم وبينها عند انتهاء سيركم وضل عنكم ما كنتم تزعمون انها توصلكم الى الله فاذا وصل العبد الى سرادقات العزة انتهى سيره كما انتهى سير جبرآئيل ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وهو منتهى سير السائرين من الملك والانس والتوحيد هو التوحد لقبول فيض الوحدانية عن التجلي بصفات الواحدية لتوصل العبد بجذبة ارجعي الى ربك الى مقام الوحدة ولو لم تدركه العناية الازلية بجذبات الربوبية لانقطع عن السير في الله بالله وبقي في السدرة وهو يقول وما منا الا له مقام معلوم فافهم كذا في التأويلات

النجمية (ان الله فالق الحب) الفلق الشق بابانة والحب جمع حبة وهى اسم لجميع البزور المقصودة بذواتها كالبر والشعير والذرة ونحوها والمعنى شاق الحب بالنبات اى يشق الحبة اليابسة فيخرج منها ورق اخضر (والنوى) واحد تها نواة وهى الشئ الموجود فى داخل التمر مثل نواة الخوخ والمشمش والتمر ونحوها والمعنى شاق النوى بالشجر اى يشق النواة الصلبة فيخرج شجرة ذات اوراق واغصان (يخرج الحى من الميت) بيان لما قبله اى يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب (ومخرج الميت) كالنطفة والحب (من الحى) كالحيوان والنبات وهو معطوف على فالق الحب فالحى والميت مجاز عن النامى والجامد تشبيها للنامى بالحى والحى حقيقة فيما يكون موصوفا بالحياة المستتبعة للحس والحركة الارادية والميت حقيقة فيما يكون خالية عن صفة الحياة ممن تكون الحياة من شأنه ومنهم من حمل اللفظ على الحقيقة وقال يخرج من النطفة الميتة بشرا حيا ومن الدجاجة بيضة ميتة قال ابن عباس رضى الله عنه يخرج المؤمن من الكافر كما فى حق ابراهيم عليه السلام والكافر من المؤمن كما فى حق ولد نوح عليه السلام والعاصى من المطيع وبالعكس والعالم من الجاهل وبالعكس والعاقل من الاحمق وبالعكس والاشارة يخرج نخل الايمان من نوى الحروف الميتة فى كلمة لا اله الا الله ويخرج ميت النفاق من الكلمة الحية وهى لا اله الا الله (ذلكم) القادر العظيم الشان (الله) المستحق للعبادة وحده (فانى تؤفكون) فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا والافك فى اللغة قلب الشئ وصرفه والخطاب لكفار قريش لان السورة مكية (فالق الاصباح) خبر آخر لان والاصباح بكسر الالف مصدر بمعنى الدخول فى ضوء النهار سمى به الصبح اى فالق عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره (وجعل الليل سكنا) يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به اوسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه (والشمس والقمر) اى وجعلهما (حسبانا) اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات فانه تعالى قدر حركة الشمس بمقدار من السرعة والبطئ بحيث تتم دورتها فى سنة وقدر حركة القمر بحيث تتم الدورة فى شهر وبهذا التقدير تنتظم المصالح المتعلقة بالفصول الاربعة كنضج الثمار وامور الحرث والنسل ونحو ذلك مما يتوقف عليه قوام العالم وباختلاف منازل القمر وتجدد الاهلة فى كل شهر يعلم آجال الديون ومواقيت الاشياء فمعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حساب فالحسبان بالضم مصدر بمعنى الحساب والعد وبابه نصر واما الحسبان بكسر الحاء فهو من باب علم ومعناه الظن والتخمين وتقديم الشمس لضيائها على القمر لانها معدن الانوار الفلكية من البدور والنجوم واصلها فى النورانية وان انوارهم مقتبسة من نور الشمس على قدر تقابلهم وصفوة اجرامهم قال حضرة الشيخ الشهير باقتاده افندى قدس سره نور القمر ليس من نفسه وانما هو من عالم الانوار فهو ليس بناقص فى ذاته وانما ذلك بسبب عروض الكثافة بالتدريج ولولا ذلك لم تعرف الشهور والسنون والشمس والقمر عينا هذا التعين وظاهرهما الى الفوق والذى نراه جانبهما الداخل فهو تارة يفتح عينيه واخرى يغمض كما انا نفعل كذلك والكواكب ليست مركوزة فيه وانما هى بانعكاس الانوار فى بعض عروقه اللطيفة والذى يرى كسقوط النجم فكدفع الشمس من موضع الى موضع وهذا لا يطلع عليه الحكماء وانما يعرفه اهل السلوك ثم قال الليل والنهار فى عالم الآخرة ليسا بالظلمة والضياء بل لهما علامة اخرى بتجلى من التجليات فيعرفون به الليل والنهار وكيف يكون الليل هنا بالظلمة وقد قال عليه السلام لو خرج ورق من اوراقها الى الدنيا لاضاء العالم انتهى كلامه (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير البديع بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص (العليم) بما فيهما من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم (قال السعدى) ابر وباد ومه وخورشيد و فلك دركارند * تا تونانى بكف آرى وبغفلت نخورى * همه ازبهر توسر كشته وفرمان بردار * شرط انصاف نباشد كه توفرمان نبرى (وهو الذى) واوست خداوندى كه بقدرت كامله (جعل لكم) اى انشأ لاجلكم وابدع (النجوم) التى تختلف مواضعها من جهة الشمال والجنوب والصبا والدبور (لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) اى فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما تحقق عند ذلك قال الحدادى لتعرفوا بها الطرق من بلد الى بلد فى المفاوز ولجج البحار فى الليالى المظلمة فى السفن فان من النجوم ما يجعله السائر تلقاء وجهه ومنها ما يجعله على يمينه ومنها ما يجعله على يساره ومنها

مايجعله خلفه ليظهر له الطريق التى تؤديه الى بغيته وللنجوم فوائد اخر وهى انها زينة السماء ورمى الشياطين وغير ذلك (قد فصلنا الايات) اى بينا الآيات الدالة على قدرتنا فصلا فصلا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بها (وهو الذى انشأكم) مع كثرتكم (من نفس واحدة) من نفس آدم وحدها فانه خلقنا جميعا منه وخلق امنا حواء من ضلع من اضلاع آدم فصار كل الناس محدثة مخلوقة من نفس واحدة حتى عيسى فان ابتدآء تكونه كان من مريم التى هى مخلوقة من ماء ابويها وانما من علينا بهذا لان الناس اذا رجعوا الى اصل واحد كانوا اقرب الى ان يألف بعضهم بعضا قال اهل الاشارة ان الله تعالى كما خلق آدم ابتدآء وجعل اولاده منه كذلك خلق روح محمد صلى الله عليه وسلم قبل الارواح كما قال اول ما خلق الله روحى ثم خلق الارواح من روحه فكان آدم أبا البشر وكان محمد صلى الله عليه وسلم أبا الارواح واليه يشير قوله تعالى هو الذى انشأكم من نفس واحدة (فمستقر ومستودع) كل واحد منهما مصدر ميمى مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اى فلكم استقرار فى الاصلاب اوفوق الارض واستيداع فى الارحام اوتحت الارض وجعل صلب الأب مستقر النطفة ورحم الأم مستودعا لها لان النطفة حصلت فى صلب الأب لامن قبل الغير وحصلت فى رحم الام بفعل الغير فاشبهت الوديعة كان الرجل اودعها ما كان مستقرا عنده وقال الحسن يا ابن آدم أنت وديعة فى اهلك ويوشك ان تلحق بصاحبك وأنشد قول لبيد

وما المال والاهلون الاودبعة ✱ ولابد يوما ان ترد الودآئع

والقلب ايضا من الودآئع والامانات (قال الصائب) ترابكوهر دل كرده اند امانتدار ✱ نه دزد امانت حق رانكاه دار مخسب (قد فصلنا الآيات) المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها (لقوم يفقهون) غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر وانما ذكر مع ذكر النجوم يعلمون ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان ذلك اشارة الى آيات الآفاق وهذا الى آيات الانفس ولاشك ان آيات الآفاق اظهر واجلى وآيات الانفس ادق واخفى فكان ذكر الفقه لها انسب واولى لان الفقه عبارة عن الوقوف على المعنى الخفى واصل تركيب الفقه يدل على الشق والفتح والفقيه العالم الذى يشق الاحكام ويفتش عن حقائقها ويفتح ما استغلق منها فالفقه انما يطلق حيث يكون فيه حذاقة وتدقيق نظر قال الحدادى الفقه فى اللغة هو الفهم لمعنى الكلام الا انه قد جعل فى العرف عبارة عن علم الغيب على معنى انه استدراك معنى الكلام بالاستنباط من الاصول ولهذا لايجوز ان يوصف الله تعالى بانه فقيه لانه لايوصف بالعلم على جهة الاستنباط ولكنه عالم بجميع الاشياء على وجه احداتهى ثم هذه الآيات الآفاقية والانفسية تفصح عن صنع الله البديع وتدعو اهل الشرك الى التوحيد والايمان واهل الاخلاص الى الشهود والعيان واهل المعصية الى الطاعة والتوبة باللسان والجنان فان الامتنان بذكر النعم الجليلة يستدعى شكرا لها ومعرفة لحقها ولكل قوم وفريق سلوك الى طريق التحقيق على حسب ما انعم عليه من توحيد الافعال والصفات والذات فعلى العاقل ان يجتهد فى طلب الحق فان المقصود من ترتيب مقدمات العوالم آفاقية كانت اوانفسية هو الوصول الى الظاهر من جهة المظاهر وانما اصل الحجاب هو الغفلة وحكى ان الشيخ أبا الفوارس شاهين بن شجاع الكرمانى رحمه الله خرج للصيد وهو ملك كرمان فامعن فى الطلب حتى وقع فى برية مقفرة وحده فاذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا اليه سلم عليه وقال له ياشاه ماهذه الغفلة عن الله اشتغلت بدنياك عن آخرتك وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك انما اعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة الى الاشتغال عنه فبينما الشاب يحدثه اذ خرجت عجوز بيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب فدفع باقيه الى الشاه فشربه فقال ماشربت شيأ الذ منه ولاابرد ولا اعذب ثم غابت العجوز فقال الشاب هذه الدنيا وكلها الله الى خدمتى فما احتجت الى شئ الا احضرته الى حين يخطر ببالى امابلغك ان الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يادنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه فلما راى ذلك تاب وكان منه ما كان وانشد بعضهم

خدمت لما ان صرت من خدمك ✱ ودار عندى السرور من نعمك

وكانت الحادثات تطرقنى ✱ فاستحشمتنى اذ صرت من حشمك

اللهم اجعلنا من الملازمين لبابك ولا تقطعنا عن جنابك (وهو) اى الله تعالى (الذى انزل من السماء ماء)
خاصا هو المطر ثم التفت من الغيبة الى التكلم فقال (فاخرجنا) بعظمتنا فالنون للعظمة لا الجمع فان الملك العظيم
يعبر عن نفسه بلفظ الجمع تعظيما له (به) اى بسبب ذلك الماء مع وحدته (نبات كل شئ) ينبت كنبات الحنطة
والشعير والرمان والتفاح وغيرها. فشئ مخصص فلا يلزم ان يكون لكل شئ نبات كالحجر مثلا والنبت والنبات
ما يخرج من الارض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر اولم يكن كالنجم فان قيل كيف جعل الله المطر سببا
للنبات والفاعل بالسبب يكون مستعينا بفعل السبب والله تعالى مستغن عن الاسباب قيل لان المطر سبب
يؤدى الى النبات وليس بمولود له والله تعالى قادر على انبات النبات بدون المطر وانما يكون الفاعل بالسبب
مستعينا بذلك السبب اذا لم يمكنه فعل ذلك الشئ الا بذلك السبب كان الانسان اذا لم يمكنه ان يصعد السطح
الا بالسلم فان السلم آلة للصعود والظاهر انه اذا صعد السطح بالسلم لم يكن السلم آلة له لانه يمكنه ان يصعد السطح
بدون السلم (فأخرجنا منه) شروع فى تفصيل ما أجمل من الاخراج وقد بدأ بتفصيل حال النجم اى فأخرجنا من
النبات الذى لا ساق له شيأ غضا (خضرا) بمعنى اخضر وهو أى الشئ الاخضر الخارج من النبات ما تشعب
من اصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) صفة لخضرا اى نخرج من ذلك الخضر المتشعب (حبا متراكبا)
هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة (ومن النخل) شروع فى تفصيل
حال الشجر اثر بيان حال النجم وهو خبر مقدم (من طلعها) بدل منه باعادة العامل وهو شئ يخرج من النخل
كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود (قنوان) مبتدأ اى وحاصلة من طلع النخل قنوان جمع قنو وهو
للتمر بمنزلة العنقود للعنب (دانية) سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تأتى
بالثمر لا تنتظر الطول او ملتفة متقاربة وفيه اختصار معناه من النخل ما قنوانها دانية ومنها ما هى بعيدة فاكتفى
بذكر القريبة عن البعيدة لان النعمة فى القريبة اكمل واكبر وفى الحديث اكرموا عماتكم النخل فانها خلقت
من فضلة طينة آدم وليس من الشجر شجرة اكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران فاطعموا
نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فتمر انتهى فظهر ان السبب فى اطعام النفساء رطبا ان مريم رضى الله
عنها كان اوّل ما اكلت حين وضع عيسى عليه السلام هو الرطب كما قال تعالى فى سورة مريم وهزى اليك بجذع
النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وورد فى فضيلة السفرجل ايضا انه شكا بعض الانبياء الى الله تعالى من قبح
اولاد أمته فاوحى الله اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فى الشهر الثالث والرابع لان فيه
تصور الجنين فانه يحسن الولد (و) اخرجنا به (جنات) بساتين كائنة (من اعناب) فهو عطف على نبات كل شئ
ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس
لا يتأتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده وكل نبت متكاثف يستر بعضه بعضا فهو جنة من جن اذا استتر
والاعناب جمع عنب وهو بالفارسيه انكور (والزيتون والرمان) اى وأخرجنا ايضا شجر الزيتون وشجر
الرمان (مشتبها) اوراقهما ومشتملا على الغصن من اوله الى آخره فى كليهما وهو حال (وغير متشابه) ثمرهما
وفى التفسير الفارسى مشتبها درحالتى كه آن درختان بعضى ببعضى مانند در برك وغير متشابه ونه مانند
يكديكر در طعم ميوه چه بعضى بغايت ترش ميباشد وبعضى شيرين وبرخى ترش وشيرين (انظروا) يا مخاطبين
نظر اعتبار (الى ثمره) بميوهٔ هر درختى (اذا اثمر) اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به (وينعه)
والى حال نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة والينع فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقوله اذا اثمر
ظرف لقوله انظروا امر بالنظر فى اوّل حال حدوث الثمرة وفى كمال نضجها مع كونها نابتة من ارض واحدة
ومسقية بماء واحد ليعلم كيف تتبدل وتنتقل الى احوال مضادة للاحوال السابقة وحصول هذه
التغيرات مسند الى القادر الحكيم العليم المدبر لهذا العالم على وفق الرحمة والحكمة والمصلحة قال القرطبى
هذا الينع هو الذى يتوقف عليه جواز بيع الثمرة وهو أن يطيب اكل الفاكهة وتأمن العاهة وهو عند طلوع الثريا
بما اجرى الله تعالى عادته عليه روى ابو هريرة عن النبى عليه السلام انه قال اذا طلعت الثريا صباحا رفعت
العاهة عن اهل البلد وطلوعها صباحا فى اثنتى عشرة تمضى من شهر ايار وهو آخر الشهور الثلاثة من اوّل فصل
الربيع وهى آذار ونيسان وايار (ان فى ذلكم) اشارة الى ما امر بالنظر اليه (لآيات) عظيمة دالة على وجود القادر

الحكيم ووحدته (لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانهم المنتفعون بالاستدلال بها والاعتبار * والاشارة فى الآية ان الله تعالى ينزل من سماء العناية ماء الهداية فيخرج به انواع المعارف والاسرار على حسب مراتب اهل الزهد والفتوى واهل العشق والتقوى اذ القلب كالروضة ينشأ منه ماهو مستعد له وكل نبت يترجم عن ترابه (كما قال فى المثنوى) درزمين كرنى شكر ورخود نى است * ترجمان هر زمين نبت وى است * والنخل اعلى من غيره ولذا يقال انه اشارة الى اصحاب الولايات فمن ثمرات ولايتهم ماهو متدان للطالبين والمريدين يعنى منهم من يكون مربيا فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن التمسكين به وجملة شؤونهم ناظرة الى امر الله تعالى واذنه ولذا لايطعن فيهم الاجاهل وهم فى خلواتهم وجلواتهم يتفكهون من روضات القلوب ويتلذذون بلذآئذ حبات الغيوب وامرهم مستور عن الخلق واعينهم وعن بعضهم قال رأيت عند قبر النبى عليه السلام تسعة من الاولياء فتبعتهم فالتفت الى احدهم وقال اين تمر قلت اسير معكم لحبى فيكم فانى سمعت عمن زرعوه عليه السلام انه قال المرء مع من احب فقال احدهم انك لاتقدر على المسير الى هذا الموضع الذى نقصده فانه لايقدر عليه الامن بلغ سنه اربعين سنة فقال آخر دعه اهل الله برزقه فسرت معهم والارض تطوى من تحتنا طيا فلم نزل حتى انتهينا الى مدينة مبنية بالذهب والفضة واشجارها متكاثفة وانهارها مطردة رائقة وفواكهها كبيرة فائقة فدخلنا وأكلنا من ثمرها واخذت معى ثلاث تفاحات فلم يمنعونى من اخذها فسألتهم عند الانصراف عن المدينة قالوا مدينة الاولياء اذا أرادوا التنزه ظهرت لهم اينما كانوا مادخلها احد قبل الاربعين غيرك وكنت كلما جعت أكلت من التفاحة وهى لاتتغير ورجعت الى اهلى وقد بقى معى تفاحة واحدة غير التى ادخرتها لنفسى فعانقتنى اختى وقالت اين الذى اطرفتنا به من سفرك فقلت وما الذى اطرفتكم به وانا بعيد عن الدنيا وعن الراحة قالت فاين التفاحة فعميت عليها وقلت واى تفاحة قالت يامسكين والله لقد أدخلونى تلك المدينة وانابنت عشرين سنة واما أنت فلم ترها الابعد ان طردوك واناوالله جذبت اليها جذبة وخطبت اليها خطبة قلت اى اخت فالبدل الكبير منهم يقول لى لم يدخلها احد لم يبلغ اربعين سنة غيرك قالت نعم من المريدين واما المرادون فيدخلونها ولايرضون بها ومتى شئت اركبها فقلت قد شئت فقالت يامدينتى احضرى فوالله لقد رأيت المدينة بعينها تتدلى اليها وترف عليها فمدت يدها وقالت اين تفاحتك قال فتساقط على من التفاح ماعلانى فضحكت ثم قالت من عنده من الملك هذا يحتاج الى تفاحتك قال فاستحقرت والله نفسى عند ذلك وما كنت اعلم ان اختى منهم رضى الله عنها وعنهم (قال السعدى) نه هركس سزاوار باشد بصدر * كرامت بفضلست ورتبت بقدر (وجعلوا لله شركاء الجن) قال الكاشفى الاصح انها نزلت فى الزنادقة اعنى المجوس ويقال لهم الثنوية ايضا قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان فالله تعالى خالق الناس والدواب والانعام وكل خير ويعبرون عن الله بيزدان وابليس خالق السباع والحيات والعقارب وكل شر ويعبرون عن ابليس بأهرمن وهذا كقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وابليس من الجنة والمعنى وجعلوا الجن شركاء لله فى اعتقادهم الباطل (وخلقهم) حال من فاعل جعلوا بتقدير قد أى والحال انهم قد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لايخلق فالضمير للجاعلين ويحتمل ان يكون للجن اى والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكاله (وخرقواله) اى افتعلوا وافتروا له تعالى يقال خرق واخترق واختلق وافترى اذا كذب (بنين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) بحقيقة ماقالوه من خطأ اوصواب بل رمـا يقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا اى خرقوا ملتبسين بغير علم (سبحانه) اى تنزه تعالى بذاته تنزها لائقا به (وتعالى) من العلو اى استعلى ويجوز فى صفات الله تعالى علا ولايجوز ارتفع لان العلو قد يكون بالاقتدار والارتفاع يقتضى الجهة والمكان ولمافى السبحان والتعالى من معنى التباعد قيل (عما يصفون) اى تباعد عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا (بديع السموات والارض) اى هو مبدع من غير مثال سبق لفطرى العالم العلوى والسفلى بلامادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يكون له ولد فالفعيل بمعنى المفعل كالاليم والحكيم بمعنى المؤلم والمحكم والاضافة حقيقية وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى بديع سمواته وارضه

من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق (انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) اى من اين اوكيف يوجد له ولد والحال ان اسباب الولادة منتفية فان وجود الولد بلا والدة محال وان امكن بلا والد كعيسى عليه السلام والمراد بالصاحبة الزوجة (وفى المثنوى) لم يلد لم يولد است آوازقدم * نى پدر دارد نه فرزند ونه عم (وخلق كل شئ) انتظم بالتكوين والايجاد من الموجودات التى من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه * خالق افلاك وانجم برعلا * مردم وديو وپرى ومرغ را (وهو بكل شئ) من شأنه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا اوغير مخلوق (عليم) مبالغ فى العلم ازلا وابدا فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التى من جملتها ما يجوز عليه تعالى ومالا يجوز من المحالات التى كان ما زعموه فردا من افرادها (ذلكم) اى ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة أيها المشركون (الله) المستحق للعبادة خاصة مبتدأ وخبره (ربكم) اى مالك امركم * نيست خلقش رادكركس مالكى * شركتش دعوى كند جزها لكى (لا اله الا هو) اى لا شريك له اصلا (خالق كل شئ) مما كان وما سيكون فلا تكرار وهذه اخبار مترادفة (فاعبدوه) حكم مسبب عن مضمونها فان من جمع هذه الصفات استحق العبادة خاصة (وهو على كل شئ وكيل) اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم الدنيوية والاخروية ورقيب على اعمالكم فيجازيكم قال الامام الغزالى قدس سره والوكيل ينقسم الى من يفى بما وكل اليه وفاء تاما من غير قصور والى من لا يفى بالجميع والوكيل المطلق هو الذى يفى بالامور الموكولة اليه وهو ملئ بالقيام بها وفئ باتمامها وذلك هو الله تعالى فقط وقد فهمت من هذا مقدار مدخل العبد فى معنى هذا الاسم انتهى كلامه وعن الشيخ ابى حمزة الخراسانى رحمه الله قال حججت سنة من السنين فبينما انا امشى اذ وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه احد فأتيا بقصب وبارية وطمسا رأس البئر فهممت ان اصيح ثم قلت فى نفسى الجأ الى من هو أقرب منهما وسكت وفوضت امرى الى الله تعالى فبينما انا بعد ساعة اذا بشئ جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول تعلق بى فى همهمة منه كنت اعرف منها ذلك فتعلقت به فأخرجنى فاذا هو سبع فمر وهتف بى هاتف يا ابا حمزة أليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فالله تعالى قادر على ذلك وهو على كل شئ وكيل * والاشارة فى الآيات ان الله تعالى كما اخرج بماء اللطف والهداية من ارض القلوب لأربابها انواع الكمالات اخرج بماء القهر والخذلان من ارض النفوس لأصحابها انواع الضلالات حتى اشركوا بالله تعالى وقالوا ما قالوا من اسوأ المقال مع انه تعالى متفرد بالذات والصفات والافعال فعلى العاقل ان يستعيذ بالله من مكره وقهره ويستجلب بطاعته مزيد رضاه ورحمته ويقطع النظر عن الغير فى كل شر وخير فان الكل من الله تعالى وان كان لا يرضى لعباده الكفر * كناه اكرچه نبود اختيار ما حافظ * تو در طريق ادب كوش وكو كناه منست * اللهم لا تؤمنا مكرك فانه لا يأمن منه الا القوم الكافرون (لا تدركه الابصار) البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث انها محله وادراك الشئ عبارة على الوصول اليه والاحاطة به اى لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به (وهو يدرك الابصار) اى يحيط بها علمه (وهو اللطيف الخبير) فيدرك ما لا تدركه الابصار ولهذا اخص الابصار بادراكه تعالى اياها مع انه يدرك كل شئ لان الابصار لا تدرك نفسها ولا يجوز فى غيره ان يدرك البصر وهو لا يدركه ففيه دليل على ان الخلق لا يدركون بالابصار كنه حقيقة البصر وهو الشئ الذى صار به الانسان يبصر من عينيه دون ان يبصر من غيرهما من سائر اعضائه اعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الوقوف على كنه الشئ والاحاطة به والرؤية المعاينة وقد تكون الرؤية بلا ادراك لانه يصح ان يقال رآه وما ادركه فالادراك اخص من الرؤية ونفى الاخص لا يستلزم نفى الاعم فالله يجوز أن يرى من غير ادراك واحاطة كما يعرف فى الدنيا ولا يحاط به يعنى ان معرفة الله تعالى ممكنة من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية اذ منه ما لا تفيه الطاقة البشرية وهو ما وقع به الكمل فى ورطة الحيرة وأقروا بالعجز عن حق المعرفة وقالوا ما عرفناك حق معرفتك فذات الله تعالى من حيث تجرده عن النسب والاضافات لا يدرك ولهذا اسئل النبى عليه السلام هل رأيت ربك قال نور أنى اراه اى النور المجرد لا يمكن رؤيته وكذا اشار الحق فى كتابه لما ذكر

ظهور نوره فی مراتب المظاهر قال الله تعالی الله نور السموات والارض فلما فرغ من ذکر مراتب التمثیل قال نور علی نور فاحد النورین هو الضیاء والآخر هو النور المطلق الاصلی ولهذا تمم فقال یهدی الله لنوره من یشاء ای یهدی الله بنوره المتعین فی المظاهر والساری فیها الی نوره المطلق الاحدی فانما تتعذر الرؤیة والادراک باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والاضافات فاما فی المظاهر ومن وراء حجابیة المراتب فالادراک ممکن کما قیل (کالشمس تمنعک اجتلاء لوجهها * فاذا اکتست برقیق غیم امکنا) والی مثل هذا اشار النبی صلی الله علیه وسلم فی بیان الرؤیة الجنانیة المشبهة برؤیة الشمس والقمر فاخبر عن اهل الجنة انهم یرون ربهم وانه لیس بینه وبینهم حجاب الارداء الکبریاء علی وجهه فی جنة عدن فنبه صلی الله علیه وسلم علی بقاء الرتبة الحجابیة وهی رتبة المظاهر وتحقیقه ان اهل الاعتزال بالغوا فی نفی الرؤیة واستدلوا علی مذهبهم بما ورد فی الصحیحین عن ابی موسی جنتان من فضة آنیتهما ومافیهما وجنتان من ذهب آنیتهما ومافیهما ومابین القوم وبین ان ینظروا الی ربهم الارداء الکبریاء علی وجهه قالوا ان الرداء حجاب بین المرتدی والناظرین فلا تمکن الرؤیة وجوابهم انهم حجبوا وان المرتدی لایحتجب عن الحجاب اذ المراد بالوجه الذات وبرداء الکبریاء هو العبد الکامل المخلوق علی الصورة الجامعة للحقائق الامکانیة والالهیة والرداء هو الکبریاء واضافته للبیان والکبریاء رداؤه الذی یلبسه عقول العلماء بالله یقول الفقیر فی شرح هذا المقام قوله ولکنهم حجبوا الخ وذلک لان المرآة لاتکون حجابا للناظر کما ان اللباس کذلک بالنسبة الی البدن نفسه اذ لا واسطة بینهما فالرداء من المرتدی بمنزلة المرآة من الناظر وکذا المرتدی من الرداء بمنزلة الناظر من المرآة اذ المراد بالوجه الذات بطریق اطلاق اسم الجزء علی الکل فالمرتدی وهو الذات لایحتجب عن حجابه وانما یحتجب به عن الغیر کالقناع للعروس فانه کشف بالاضافة الیها وحجاب بالنسبة الی غیرها وبرداء الکبریاء الخ الحقیقة المحمدیة التی هی حقیقة الحقائق ولکل موجود حصة من تلک الحقیقة بقدر قابلیته لکنها فی نفسها حقیقة واحدة وهو الوجود العام الشامل کالحیوان الناطق فانه معنی واحد عام شامل لجمیع الافراد وکثرته بالنسبة الی تلک الافراد لاتنافی وحدته الحقیقیة فمعنی قوله علیه السلام ومابین القوم وبین ان ینظروا الی ربهم الارداء الکبریاء علی وجهه حقیقة کل منهما التی تجلی الذات فیها بحسب صفاء مرآتها ومعرفتها وتلک الحقیقة لیست بحجاب بین القوم وبین الذات الاحدیة اذ ماوراء تلک الحقیقة مع قطع النظر عن التجلی فیها وکونها مرآة له اطلاق صرف لایتعلق به رؤیة برداء أیا کان فکل ناظر ینکشف له جمال الذات من حقیقة نفسه فینظر الیه من تلک الحقیقة وهی لیست بحجاب للنظر ولا للذات اذ هی کالمرآة فالنظر الظاهری قید تام وماوراء تلک الحقیقة من الذات اطلاق صرف فلامناسبة بینهما بوجه من الوجوه وتلک الحقیقة بین التقیید والاطلاق برزخ جامع لهما کما قال علیه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فالعارف اذ لم یتعلق عرفانه بنفسه الکلیة وحقیقته الجامعة لایتأتی منه عرفان ربه لان ربه مطلق عن القیود والنسب والاضافات وهو بهذا الاعتبار لایتعلق به المعرفة واما نفسه المتجلی فیها الرب بحقائق اسمائه فتتعلق بها تلک الرؤیة من تلک الحیثیة فتکون حقیقة نفسه ومعرفتها مرآة معرفة ربه فلا حجاب بین المرتدی ورادئه اصلا وانما غلط من غلط بقیاس الغائب علی الشاهد وهو ممنوع باطل لانه لایلزم ان یکون هناک رداء مانع وبرزخ بین الناظر والمرتدی ولذا قال الکبریاء رداؤه الذی یلبسه عقول العلماء بالله فالتردد فی ان الرداء حجاب بین المرتدی والناظرین فلا یمکن الرؤیة انما هو من عمی البصیرة والعیاذ بالله وهو فی ثلاثة اشیاء ارسال الجوارح فی معاصی الله والتصنع بطاعة الله والطمع فی خلق الله فالحق لیس بمحجوب عنک لثبوت احاطته وانما المحجوب انت عن النظر الیه بما تراکم علی بصیرتک من العیوب العارضة ومایلازم بصرک من العیب اللازم الذی هو الفناء الحسی الذی لایرتفع الا فی الدار الآخرة فلذلک کانت الرؤیة موقوفة علیها والا فالحجاب فی حقه تعالی ممتنع غیر متصور فلا تکن ممن یطلب الله لنفسه ولا یطالب نفسه لربه فذلک حال الجاهلین وقال بعض المفسرین ان الادراک اذا قرن بالبصر کان المراد منه الرؤیة فانه یقال ادرکت ببصری ورأیت ببصری بمعنی واحد فمعنی قوله لاتدرکه الابصار ای لاتراه فی الدنیا فهو مخصوص برؤیة المؤمنین له فی الآخرة لقوله تعالی وجوه یومئذ ناضرة الی ربها ناظرة وحدیث الشیخین انکم سترون ربکم کما ترون القمر لیلة البدر والمراد تشبیه الرؤیة بالرؤیة فی الجلاء والوضوح لاتشبیه المرئی بالمرئی ای فی الجهة وانما یرونه

فى الآخرة لانها قلب الدنيا فالبصيرة هنالك كالبصر فى الدنيا فيكون البصر الظاهر فى الدنيا باطنا فى الآخرة والبصيرة الباطنة ظاهرة فيستعد الكل للرؤية بحسب حاله واما فى الدنيا فالرؤية غاية الكرامة فيعلم غاية الكرامة فيها لاكرم الخلق وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود الذى شاهد ربه ليلة المعراج بعينى رأسه يعنى رآه بالسر والروح فى صورة الجسم فكان كل وجوده الشريف عينا لانه تجاوز فى تلك الليلة عن عالم العناصر ثم عن عالم الطبيعة ثم عن عالم الارواح حتى وصل الى عالم الامر وعين الرأس من عالم الاجسام فانسلخ عن الكل ورأى ربه بالكل فافهم هداك الله الى خير السبل فان العبارة ههنا لا تسع غير هذا قال فى التأويلات النجمية لا تدركه الابصار اى لا تلحقه المحدثات لا الابصار الظاهرة ولا الابصار الباطنة تقدست صمديته عن كل لحوق ودرك ينسب الى مخلوق ومحدث بل وهو يدرك الابصار بالتجلى لها فيفنى المحدثات فيكون هو بصره الذى يبصر به فاستوت عند التجلى الابصار الظاهرة والباطنة فى الرؤية بنور الربوبية وهو اللطيف من ان يدركه المحدثات او يلحقه المخلوقات الخبير بمن يستحق ان يتجلى له الحق ويدرك ابصارها باطلاعه عليها فيستعدها للرؤية ومن لطف الله انه اوجد الموجودات وكون المكونات فضلا منه وكرما من غير أن يكون استحقاقها للوجود انتهى ولو رآه انسان فى الموطن الدنيوى لوجب عليه شكره ولو شكره لاستحق الزيادة ولا مزيد على الرؤية ولذلك حرمها وهذا هو المعنى فى قوله عليه السلام لن تروا ربكم حتى تموتوا قال ابن عطاء اتمام النعيم بالنظر الى وجه الله الكريم على الوجه اللائق بجلاله فى الدار الآخرة حسبما جاء الوعد الصدق بذلك كما فى الدنيا لان غالب النصوص يقتضى منع ذلك بل يكاد يقع الاجماع على نفى وقوع ذلك ومنعه شرعا وان جاز عقلا انتهى واما الرؤية فى المنام فقد حكيت عن كثير من السلف كابى حنيفة وعن ابى يزيد رحمه الله رأيت ربى فى المنام فقلت له كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك ثم تعال وروى عن حمزة القارئ انه قرأ على الله القرآن من اوله الى آخره فى المنام حتى اذا بلغ الى قوله وهو القاهر فوق عباده قال الله تعالى يا حمزة وانت القاهر ولا اخفاء فى ان الرؤية فى المنام نوع مشاهدة يكون بالقلب دون العين وفى الحديث رأيت ربى فى المنام فى صورة شاب امرد وسر تجليه فى صورة الانسانية بصفة الربوبية ان الحقيقة الانسانية اجمع الحقائق فانه تعالى لما استخلف الانسان وجعله خاتما على خزائن الدنيا والآخرة ظهر جميع ما فى الصورة الالهية من الاسماء فى النشأة الانسانية الجامعة بين النشأة العنصرية والروحانية واليه يشير قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته واطلاق الصورة على الحق مجاز باعتبار اهل الظاهر اذ لا تستعمل فى الحقيقة الا فى المحسوسات ففى المعقولات مجاز واما عند المحققين فحقيقة لان العالم الكبير بأسره صورة الحضرة الالهية ومظاهر اسمائها بحضراتها تفصيلا واجمالا والانسان الكامل صورته جمعا فان قلت الرؤية اقوى انواع الادراك ام العلم قلت قد قيل بالاول ولهذا يتلذذ المؤمنون برؤية الله تعالى فوق ما يتلذذون بمعرفته قال الامام فى الاحياء ان الرؤية نوع كشف وعلم الا انها اوضح واتم من العلم فاذا جاز تعلق العلم به ليس فى جهة جاز تعلق الرؤية من غير جهة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك من غير كيفية وصورة قال بعضهم الرؤية اعلى من المعرفة لان العارفين مشتاقون الى منازل الوصال والواصلين لا يشتاقون الى منازل المعرفة وقال بعضهم المعرفة ألطف والرؤية اشرف قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره وصلة العلماء على قدر علمهم واستدلالهم ووصلة الكمل على قدر مشاهدتهم وعيانهم لكن لا على وجه مشاهدة سائر الاشياء فانه تعالى منزه عن الكيف والاين بل هى عبارة عن ظهوره وانكشاف الوجود الحقيقى عند اضمحلال وجود الرائى وفنائه انتهى اقول فظهر من هذا ان من فنى عن ذاته وصفاته وافعاله واضمحل عن بشريته وهويته جاز ان يرى الله تعالى فى الدنيا بالبصيرة بعد الانسلاخ التام * چون تجلى كرد اوصاف قديم * پس بسوزد وصف حادث را كليم * وذلك كالشمس فى الخلاء لا يكاد فيه احد اصلا لان القلب من عالم الملكوت والبصيرة كالبصر له وعالم الملكوت مطلق عن قيود الامور الوهمية التى هى الزمان والمكان والجهة والكيفية وغيرها لانها من احكام عالم الملك فاين هذا من ذلك ولا يقاس احدهما على الآخر وحقيقة ذوق هذا المطلب الاعلى لا تعرف الا بالسلوك (قال الحافظ) شكر كمال حلاوت پس از رياضت يافت * نخست در شكن تنك ازان مكان كيرد * ثم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف ثم يسلك

في ايصالها الى المستحق سبيل الرفق دون العنف واذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الادراك تم معنى اللطيف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل الالله تعالى وحظ العبد من هذا الوصف الرفق بعباد الله تعالى والتلطف بهم في الدعوة الى الله تعالى والهداية الى سعادة الآخرة من غير ازراء وعنف ومن غير تعصب وخصام واحسن وجوه اللطف فيه الجذب الى قبول الحق بالشمائل والسير المرضية والاعمال الصالحة فانها اوقع وألطف من الالفاظ المزينة قال الشيخ الاكبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني اصلي ولم يقل صلوا كما قلت لكم لان الفعل ارجح في نفس التابع المقتدي من القول كما قيل

واذا المقال مع الفعال وزنته * رجح الفعال وخف كل مقال

انتهى (وفي المثنوى) پند فعلى خلق را جذاب تر * كه رسد در جان هر با كوش كر * والخبير هو الذى لا تعزب عنه الاخبار الباطنة ولا يجري في الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمى خبرة وسمى صاحبه خبيرا وحظ العبد من ذلك ان يكون خبيرا بما يجري في عالمه وعالمه قلبه وبدنه والخفايا التي يتصف القلب بها من الغش والخيانة والتطواف حول العاجلة واضمار الشر واظهار الخير والتجمل باظهار الاخلاص والافلاس عنه لا يعرفها الا ذو خبرة بالغة قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسها وخدعها فحاربها وتشمر لمعاداتها واخذ الحذر منها فذلك من العباد جدير بان يسمى خبيرا (قد جاءكم) اى قل يا محمد للناس وخصوصا لاهل مكة قد جاءكم (بصائر) كائنة (من ربكم) اى دلائل التوحيد وحقية النبوة ودلائل البعث والحساب والجزاء وغير ذلك والبصائر جمع بصيرة وهي نور تبصر به النفس كما ان البصر نور تبصر به العين فاستعير لفظ البصيرة من القوة المودعة في القلب لادراك المعقولات للحجة البينة لكون كل واحدة منهما سبب الادراك (فمن ابصر) اى الحق بتلك البصائر وآمن به (فلنفسه) ابصر لان نفعه لها (ومن عمى) اى لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر بالعمى عنه تقبيحا له وتنفيرا عنه (فعليها) وباله والاشارة ان الله تعالى اعطى لكل عبد بصيرة لقلبه يبصر بها الحقائق المودعة في الغيوب والكمالات المعدة لارباب القلوب كما اعطى بصرا لقالبه يبصر به الاعيان في الشهادة وما اعد لهم فيها من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح فمن نظر ببصر البصيرة الى المراتب العلوية الاخروية الباقية وابصر كمالات القرب وما اعد الله مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيشتغل بتحصيله ويقبل على الله بسلوك سبيله ويعرض عن الدنيا الدنية ويترك زينتها وشهواتها الفانية فذلك تحصيل سعادة وكرامة لنفسه فان الله غنى عن العالمين ومن عمى عن النظر بالبصيرة وغير هذه الكمالات لما ابصر ببصر القالب الى الدنيا وزينتها واستلذ بشهواتها واستحلى مراتعها الحيوانية فعميت بصيرته فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فذلك تحصيل شقاوة وخسارة على نفسه كذا في التأويلات النجمية (وما انا عليكم بحفيظ) وانما انا منذر ومبلغ والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها (وكذلك نصرف الآيات) اى ومثل هذا التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن المعاني الفائقة ولا نصرف ادنى منه من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال (وليقولوا درست) علة المحذوف واللام للعاقبة والدرس القراءة والتعلم اى وليقولوا في عاقبة امرهم درست صرفنا اى قرأت وتعلمت من غيرك نحو يسار وجبر كانا عبدين لقريش من سبى الروم كان قريش يقولون له عليه السلام انك تتعلم هذه الاخبار منهما ثم تقرأ علينا على زعم انها من عند الله (ولنبينه) عطف على ليقولوا واللام على الاصل اى التعليل لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار القرآن (لقوم يعلمون) وتخصيص التبيين بهم لانهم المنتفعون به (اتبع ما اوحى اليك من ربك) اى دم يا محمد على ما انت عليه من اتباع القرآن الذي عمدة احكامه التوحيد وان قدحوا في تصريف آياته (لا اله الا هو) لا شريك له اصلا (واعرض عن المشركين) ولا تبال باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم فانه لا يجوز الفتور في تبليغ الدعوة والرسالة بسبب جهل الجاهلين * بكوى آنچه دانى سخن سودمند * وكر هيچ كس را نيايد پسند * كه فردا پشيمان برآرد خروش * كه آوخ چرا حق نكردم بكوش (ولو شاء الله) توحيدهم وعدم اشراكهم (ما اشركوا) وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر

لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئى نحو الايمان واصراره على الكفر (وما جعلناك عليهم) متعلق بما بعده وكذا عليهم الآتى (حفيظا) رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم (وما انت عليهم بوكيل) من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم قال الحدادى وانما جمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معناهما فان الحافظ للشئ هو الذى يصونه عما يضره والوكيل بالشئ هو الذى يجلب الخير اليه فقد ظهر أن عدم قبول الحق من الشقاوة الاصلية ولذا لم يشأ الله سعادتهم وهدايتهم وعلامة الشقاوة جمود العين وقساوة القلب وحب الدنيا وطول الامل وعلامة السعادة حب الصالحين والدنو منهم وتلاوة القرآن وسهر الليل ومجالسة العلماء ورقة القلب وعن ابراهيم المهلب السائح رحمه الله قال بينا انا اطوف اذا بجارية متعلقة باستار الكعبة وهى تقول بحبك لى الارددت على قلبى فقلت ياجارية من اين تعلمين انه يحبك قالت بالعناية القديمة جيش فى طلبى الجيوش وانفق الاموال حتى اخرجنى من بلاد الشرك وادخلنى فى بلاد التوحيد وعرفنى نفسى بعد جهلى اياها فهل هذا يا ابراهيم الا العناية او محبة (قال الحافظ)

چون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست * آن به كه كار خود بعنايت رها كنند *

والواجب على العبد ان يسارع الى الاعمال الصالحة فانها من علامات السعادة والتأخير وطول الامل من علامات الشقاوة (حكى) ان بعض العباد كان يسأل الله تعالى ان يريه ابليس فقيل له اسأل الله العافية فابى الا ذلك فاظهره الله تعالى له فلما رآه العابد قصده بالضرب فقال له ابليس لولا انك تعيش مائة سنة لاهلكتك ولعاقبتك فاغتر بقوله فقال فى نفسه ان عمرى بعيد فافعل ما اريد ثم اتوب فوقع فى الفسق وترك العبادة وهلك وهذه الحكاية تحذرك طول الامل فانه آفة عظيمة (قال الصائب)

در سر اين غافلان طول امل دانى كه چيست * آشيان كردست مارى در كبوتر خانهٔ *

واعلم انه ما على الرسول عليه السلام الا التبليغ ودلالة كل قوم الى ما خلق له فيدعو العوام الى التوحيد والخواص الى الوحدانية وخواص الخواص الى الوحدة وكذا حال الولى الوارث لكن الوصول الى هذه المقامات انما يكون بهداية الله ومشيئته فليس فى وسع المرشد أن يوصل كل من اراد الى ما اراده فيبقى من بقى فى الاثنينية ويصل من يصل الى عالم الوحدة والسبب الموصل هو التوحيد فكما ان الكافر لا يكون مؤمنا الا بكلمة التوحيد فكذا المؤمن لا يكون مخلصا الا بتكرارها لان الشرك مطلقا جليا كان او خفيا لا يزول الا بالتوحيد مطلقا فالمؤمن الناقص كما انه لا يلتفت الى المشرك بالشرك الجلى وحاله كذلك المؤمن الكامل لا ينظر الى جانب المشرك بالشرك الخفى ولذا قال تعالى لا اله الا هو واعرض عن المشركين لكن الاعراض من حيث الحقيقة لا ينافى الاقبال من حيث الظاهر لاجل الدعوة حتى يلزم الحجة ويحصل الالزام والله يدعو الى دار السلام فالسلام على من اتبع الهدى والملام على من اتبع الهوى (قال الحافظ)

چه شكرهاست درين شهر كه قانع شده اند * شاهبازان طريقت بمقام مكسى

(ولا تسبوا) اى لا تشتموا أيها المؤمنون (الذين) اى الاصنام (يدعون) اى يدعونها آلهة ويعبدونها (من دون الله) اى متجاوزين عبادة الله تعالى والمراد بالداعين كفار مكة وقال المولى ابو السعود رحمه الله اى لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا (فيسبوا الله عدوا) اى تجاوزا عن الحق الى الباطل بأن يقولوا لكم مثل قولكم لهم وهو منصوب على المصدر لكونه نوعا من عامله لان السب من جنس العدو أو على انه مفعول له اى لاجل العدو (بغير علم) حال اى يسبونه غير عالمين بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به اى مصاحبين للجهل لانهم لو قدروا الله حق قدره لما اقدموا عليه فان قلت انهم كانوا مقرين بالله وعظمته وان الاصنام انما تعبد ليكونوا شفعاء عند الله فكيف يسبونه قلت انهم لا يفعلون ذلك صريحا لكن ربما يفضى فعلهم الى ذلك وايضا ان الغيظ والغضب انما يحمل الانسان على التكلم بما ينافى العقل الا يرى ان المسلم قد يتكلم لشدة غضبه بما يؤدى الى الكفر والعياذ بالله وفى الآية دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر الا يرى ان سب الاصنام وطعنها من اصول الطاعات وقد نهى الله تعالى عنه لكونه مؤديا الى معصية عظيمة وهى شتم الله وشتم رسوله وفتح باب السفاهة قال الحدادى وفى هذا دليل على ان الانسان اذا اراد ان يأمر غيره بالمعروف ويعلم ان المأمور يقع بذلك فى اشد مما هو فيه من شتم اوضرب اوقتل كان الاولى ان لا يأمره ويتركه على ما هو فيه (قال السعدى)

مجال سخن تا نيابى مكوى * چو ميدان نبينى نگهدار كوى

(كذلك) اى مثل ذلك التزيين القوى وهو تزيين المشركين سب الله تعالى وعبادة الاوثان (زينا لكل امة عملهم) من الخير والشر والطاعة والمعصية باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا (ثم الى ربهم) مالك امرهم (مرجعهم) اى رجوعهم بالبعث بعد الموت (فينبئهم) يس خبر دهد ايشانرا من غيرتا خير (بما كانوا يعملون) فى الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة وهى ان كل ما يظهر فى هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التى بها يظهر فى النشأة الآخرة فان المعاصى سموم قاتلة قد برزت فى الدنيا بصورة يستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم فى هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الطغاة وستظهر فى النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هى كذا فى تفسير الارشاد ويظهر صور الاعمال القبيحة لاهل السلوك فى البرزخ الدنيوى فيجتهدون فى تبديلها حكى عن الشيخ ابى بكر الضرير رحمه الله قال كان فى جوارى شاب حسن الوجه يصوم النهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاء فى يوما وقال يا استاذ انى نمت عن وردى الليلة فرأيت كأن محرابى قد انشق وكأنى بجوار قد خرجن من المحراب لم ار احسن اوجها منهن واذا فيهن واحدة شوهاء لم ار أقبح منها منظرا فقلت لمن انتن ولمن هذه فقلن نحن لياليك التى مضين وهذه ليلة نومك فلومت فى ليلتك هذه لكانت هذه حظك ثم انشأت الشوهاء تقول

اسأل لمولاك واردد فى الى حالى * فانت قبحتنى من بين اشكالى

وقد اردت بخير اذ وعظت بنا * أبشر فانت من المولى على حال

قالت جارية من الحسان

نحن الليالى اللواتى كنت تسهرها * تتلو القران بترجيع ورنات

وقد قال بعض الكبار انكشاف عيب النفس خير من انكشاف الملكوت اذ المقصود اصلاح الطبيعة والنفس والاكل والشرب والمنام من الصفات البهيمية التى هى مقتضى الطبيعة وفى التأويلات النجمية زينا لكل أمة من المقبولين اعمال اهل القبول ومن المردودين اعمال اهل الرد ثم الى ربهم مرجعهم اى باقدام تلك الاعمال كلا الفريقين يذهبون الى ربهم فينبئهم بما كانوا يعملون اما اهل القبول فيسلكون على اقدام الاعمال الصالحة طريق اللطف فينبئهم بالفضل والاحسان انهم كانوا يحسنون واما اهل الرد فيقطعون على اقدام المخالفات فى بوادى القهر والهلكات فينبئهم بالعدل والخسران انهم كانوا يسيئون انتهى (وفى المثنوى) جمله دانسته هين مكن زين بس فسون كروى * هرچه مى كاريش روزى بدروى * وعن بعض الصالحين قال كانت فى جانبى عجوز قد اضنتها العبادة فسألتها ان ترفق بنفسها فقالت يا شيخ اما علمت ان رفقى بنفسى غيبى عن باب المولى ومن غاب عنه مشتغلا بالدنيا عرض نفسه للمحن والبلوى وما قدر على اذا اجتهدت فكيف اذا قصرت ثم قالت واسوأتاه من حسرة السباق ولجعة الفراق فاما حسرة السباق فاذا قام القائمون من قبورهم وركب الابرار نجائب الانوار وساروا الى قصر من العز والجلال ورفعت لهم منازل المحبين وقدمت بين أيديهم نجائب المقربين وبقى المسبوق فى جملة المحزونين فعند ذلك ينقطع فؤاده حسرة وتأسفا ويذوب ندامة وتلهفا واما لجعة الفراق فعند تميز الناس والافتراق وذلك ان الله سبحانه اذا جمع الخلق فى صعيد واحد امر ملكا فنادى أيها المجرمون امتازوا ان المتقين قد فازوا وهو قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فيتميز الرجل من زوجته والولد من والدته والحبيب من حبيبه هذا يحمل مجللا الى رياض النعيم وهذا يساق مسلسلا مغلغلا الى عذاب الجحيم وقد طال منهم التلفت والوداع ودموعهم تجرى كالانهار بفجعة الفراق وانشدوا فى البين والفراق

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا * ورأيت كيف نكرر التوديعا

لعلمت ان من الدموع لأبحرا * تجرى وعاينت الدماء دموعا

(وأقسموا بالله) روى ان قريشا قالوا يا محمد انك تخبرنا ان موسى عليه السلام كانت معه عصا فيضرب بها

الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى وان صالحا عليه السلام
اخرج الناقة من الجبل فأتنا انت ايضا بآية بينة فان فعلت ذلك لنصدقنك ونؤمنن لك وحلفوا على ذلك
وبالغوا فى تأكيد الحلف فقال عليه السلام اى شئ تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا اوابعث لنا بعض موتانا
حتى نسأله عنك أحق ماتقول ام باطل اوأرنا الملائكة يشهدون لك فقال عليه السلام فان فعلت بعض
ماتقولون تصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فهم عليه السلام بالدعاء فجاء جبريل عليه السلام فقال ان شئت كان ذلك ولئن
كان فلم يصدقوا عنده ليعذبنهم بعذاب الاستئصال ولئن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فانزل الله تعالى هذه
الاية اى حلف كفار قريش بالله تعالى (جهد ايمانهم) مصدر فى موقع الحال اى جاهدين فى أيمانهم وجهد
الايمان اغلظها وأشدها (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل) لهم (انما الآيات) كلها (عند الله)
اى هو قادر عليها يظهر منها مايشاء وليس شئ منها بقدرتى وارادتى وانما انا نذير ثم بين تعالى الحكمة فى عدم
مجيئ الآيات فقال مخاطبا للمسلمين (ومايشعركم انها اذا جاءت لايؤمنون) اى اى شئ يعلمكم ان الآية التى
يقترحونها اذا جاءت لايؤمنون بل يبقون على ماكانوا عليه من الكفر والعناد اى لاتعلمون ذلك فتتمنون مجيئها
طمعا فى ايمانهم فانكر السبب اى الاشعار مبالغة فى نفى المسبب اى الشعور وفيه بيان ان أيمانهم فاجرة وانه
لايغنى وضوح الادلة لمن لم يساعده سوابق الرحمة (ونقلب افئدتهم) عطف على لايؤمنون اى ومايشعركم انا
حينئذ نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمون (وابصارهم) عن اجتلائه فلايبصرونه فلايؤمنون بها
(كما لم يؤمنوا به) اى بما جاء من الآيات (اول مرة) من انشقاق القمر ونحوه (ونذرهم) اى ندعهم عطف على
لايؤمنون داخل فى حكم الاستفهام الانكارى (فى طغيانهم) ضلالهم متعلق بنذرهم (يعمهون) اى
متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين فهو حال من الضمير المنصوب فى نذرهم ووجه هذا التقليب والترك فساد
استعدادهم واعراضهم عن الحق بالكلية فان الله تعالى لايفعل بهم ذلك مع توجههم الى الحق واستعدادهم
لقبوله فانه اجبار محض فان كان مقهورا مطبوعا على قلبه فليعلم ان ذلك لعدم تأثير اللطف فيه اصلا فلله الحجة
البالغة ومن الله الهداية والتوفيق

(تم الجزء السابع فى اوائل شهر ربيع الآخر من سنة ألف ومائة ويتلوه الجزء الثامن من الثلاثين)

(ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة) تفصيل ماذكر على الاجمال بقوله ومايشعركم انها اذا جاءت لايؤمنون اى ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا انزل علينا الملائكة فتراهم عيانا (وكلمهم الموتى) وشهدوا بحقية الايمان
بعد أن احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فائت بآية قال صاحب التيسير واحيينا لهم كل الموتى فكلموهم بان
شهدوا لك وان كانوا سألوا منك احياء اثنين من موتاهم قصى بن كلاب وجدعان بن عمرو وكانا كبيرين منهم
وصدوقين حيث قالوا لئن احييتهما فشهدا لك بالنبوة لنشهدنا نحن ايضا (وحشرنا) اى جمعنا (عليهم كل شئ قبلا)
جمع قبيل بمعنى كفيل وانتصابه على الحالية من المفعول اى كفلاء بصحة الامر وصدق النبي عليه السلام
اوجمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات اى وحشرنا كل شئ نوعا نوعا وفوجا فوجا من سائر المخلوقات
وفى التيسير اى وبعثنا كل حيوان من الفيل الى البعوض اى اقمنا القيامة (ما كانوا ليؤمنوا) فى حال من
الاحوال الداعية الى الايمان (الا أن يشاء الله) اى الا فى حال مشيئة الله لايمانهم وهيهات ذلك وحالهم حالهم
من التمادى فى العصيان والغلو فى التمرد والطغيان (ولكن اكثرهم يجهلون) اى ولكن اكثر المؤمنين يجهلون
عدم ايمانهم عند مجيئ الآيات لجهلهم عدم مشيئة الله تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لايكون فالجملة
مقررة لمضمون قوله تعالى ومايشعركم الآية واعلم ان الآية وان عظمت لاتضطر الى الايمان ان لم يشأ الله تعالى
فانه لاآية اعظم من قيام الساعة والله تعالى يقول ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وجملة الامر أن المشيئة تغير
الصحبة وعدمها من فساد الاستعداد فلذا بقى اهل الضلال فى يد القهر والجلال (قال السعدى) زوحشى
نه بايدكه مردم شود * بسعى اندرو تربيت كم شود * توان باك كردن زژنك آينه * ولكن نيايد
زسنك آينه (وقال الحافظ) كرجان بدهد سنك سيه لعل نكردد * باطينت اصلى جه كند
بدكهر افتاد (واما قول المولوى فى المثنوى) كرتوسنك وصخره ومرمر شوى * جون بصاحب

دل رسی کوهر شوی * فاشارة الى المستعد بحكم الاصل فان التربية تنفع فيه فجميع المعجزات من الانبياء والكرامات من الاولياء علمية كانت اوكونية تربية لمن فى زمانهم فمن حسن استعداده مال واهتدى ومن فسد اعرض وضل وترى كثيرا من المغرورين المشغولين باحكام طبائعهم الخبيثة ونفوسهم المتمردة يقولون كالطلبة لو أنا صادفنا المرشد الكامل ورأينا منه العلامة واضحة لكنا اول من يسلك بطريقتهم ويتمسك باذيال حقيقتهم فقل لهم ان الشمس شمس وان لم يرها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه الممرور والطالب المستعد لا يقع فى الامنية ولا يضيع نقد عمره بخسارة بل يجتهد كل حين بما امكن له من الطاعات ويكون فى طريق الطلب فان ما لا يدرك كله لا يترك قله (قال فى المثنوى) كركران وكرشتابنده بود * انكه جوينده است يابنده بود *
ثم هذا الاستعداد وانشراح الصدر فى طريق الحق نور من الله تعالى يقذفه فى قلب اى عبد شاء وليس بعد انه السن ولا بالشيخوخة وكم رأيت وسمعت من غلبه الحال فى عنفوان عمره وعنوان امره وعن بعض الصالحين قال حججت سنة من السنين وكانت سنة كثيرة الحر والسموم فلما كان ذات يوم وقد توسطنا ارض الحجاز انقطعت عن الحاج وغفلت قليلا فلم اشعر ليلا الا وانا وحدى فى البرية فلاح لى شخص امامى فاسرعت اليه ولحقته واذا به غلام امرد لا نبات بعارضيه كأنه القمر المنير والشمس الضاحية وعليه اثر الدلال والترف فقلت له السلام عليك يا غلام فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا ابراهيم فعجبت منه كل العجب ورابنى امره فلم أتمالك ان قلت له يا غلام سبحان الله من اين تعرفنى ولم ترنى قبلها فقال لى يا ابراهيم ما جهلت مذ عرفت ولا قطعت مذ وصلت فقلت ما الذى اوقعك فى هذه البرية فى مثل هذه السنة الكثيرة الحر والقحط فاجابنى يا ابراهيم ما آنس بسواه ولا ارافق غيره وانا منقطع اليه بالكلية مقر له بالعبودية فقلت له من اين المأكول والمشروب فقال لى تكفل به المحبوب فقلت والله انى خائف عليك لاجل ما ذكرت لك فاجابنى ودموعه تتحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب

فلوا جوع فذكر الله يشبعنى * ولا اكون بحمد الله عطشانا
وان ضعفت فوجد منه يحملنى * من الحجاز الى اقصى خراسانا

فقلت له بالله عليك يا غلام الا ما اعلمتنى حقيقة عمرك فقال اثنتا عشرة سنة ثم رجوته فدعا لى باللحوق الى اصحابى فلما وقفنا بعرفة ودخلنا الحرم اذا انا بالغلام وهو متعلق باستار الكعبة وهو يبكى ويناجى ثم وقع ساجدا ومات الى رحمة الله تعالى ثم رأيته فى المنام فقلت ما الذى فعل بك الهك فقال اوقفنى بين يديه وقال لى ما بغيتك فقلت الهى وسيدى انت بغيتى فقال لى انت عبدى حقا ولك عندى ان لا احجب عنك ما تريد فقلت اريد ان تشفعنى فى القرن الذى انا فيه قال شفعتك فيه ثم انه صافحنى فاستيقظت بعد المصافحة فلم ار أحدا الا ويقول لى يا ابراهيم لقد أزعجت الناس من طيب رائحة يدك قال بعض المحدثين ولم تزل رائحة الطيب تخرج من يد ابراهيم حتى قضى نحبه رحمه الله رحمة واسعة (وكذلك) اى كما جعلنا لك عدوا كأبى جهل وغيره من كفار قريش (جعلنا لكل نبى) قبلك (عدوا) وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ان عداوتهم وما يبتنى عليها مما لا خير فيه من الاقاويل الكاذبة والافاعيل الباطلة ليس مختصا به عليه السلام بل كما ابتلى هو ولقته بكيد الاعداء ابتلى جميع الانبياء واممهم (شياطين الانس والجن) اى مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى من البيانية وهو بدل من عدوا والشياطين جمع شيطان وهو يطلق على كل عات متمرد من الانس والجن والشيطان من الجن اذا أعياه المؤمن وعجز عن اغوائه ذهب الى متمرد من الانس فاغراه على المؤمن ليفتنه وعن مالك بن دينار انه قال شياطين الانس اشد علىّ من شياطين الجن وذلك انى ان تعوذت بالله من شياطين الجن ذهبت عنى وشياطين الانس تجيئنى فتجرنى الى المعاصى عيانا (يوحى بعضهم الى بعض) كلام مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به والوحى الكلام الخفى والقول السريع الذى يلقى سرا اى يلقى ويوسوس شياطين الجن والانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض (زخرف القول) اى المموه منه المزين ظاهره والباطل باطنه يقال فلان زخرف كلامه اذا زينه بالكذب والباطل (غرورا) مفعول له ليوحى اى ليغروهم (ولو شاء ربك) عدم ما ذكر من العداوة والايحاء (ما فعلوه) اى ما ذكر فاعيد ضمير الواحد الى الاثنين باعتباره (فذرهم) اى اذا كان ما فعلوه فى حقك بمشيئته تعالى فاتركهم (وما يفترون) وافتراءهم

اى كفرهم وسائر مكايدهم فان لهم فى ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم
البالغة البينة (ولتصغى اليه) الى زخرف القول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وانما لم ينصب لفقد
شرطه اذ الغرور فعل الموحى واصغاء الافئدة فعل الموحى اليه اى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول
ليغروهم به ولتميل اليه (افئدة) قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة) واما المؤمنون بها فلا يتصور منهم الميل
الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها (وليرضوه) لانفسهم بعد ما مالت اليه افئدتهم (وليقترفوا)
اى يكتسبوا بموجب ارتضائهم له (ما هم مقترفون) له من القبائح التى لا يليق ذكرها وهى ما قضى عليهم
فى اللوح المحفوظ يقال اقترف فلان ذنبا اذا عمله ومالا اذا اكتسبه وفى الآية اشارة الى ان البلايا للسائرين الى
الله هى المطايا وان اشد البلاء شماتة الاعداء فلما كانت رتبة الانبياء اعلى كانت عداوة الكفار لهم اوفى وفى ذلك
ترقيات لهم وتجليات (قال الحافظ) چه جورها كه كشيدند بلبلان از دى * ببوى آنكه دگر نوبهار باز آيد *
والاشارة فى شيطان الانس الى النفس الامارة بالسوء وهى اعدى الاعداء ولهذا قدم ذكره على الجن ههنا
بخلاف المواضع الاخر وليعلم ان عداوة النفس واصحاب النفوس اشد وأصعب من عداوة شياطين الجن
فان كيد الشيطان مع كيد الانسان ضعيف وارباب القلوب لا يصغون الى زخارف اقوال اصحاب النفوس
بل كلما تشتد عداوة الاعداء يقوى ايمان الاولياء * وفا كنيم وملامت كشيم وخوش باشيم *
كه در طريقت ما كافريست رنجيدن * وانما يتسلط الشيطان على ابن آدم بفضول النظر والكلام
والطعام ومخالطة الناس ومن اختلط فقد استمع الى الاكاذيب وعن بعض الشيوخ ان الشيطان أشد بكاء
على المؤمن اذا مات من بعض اهله لما فاته من افتتانه اياه فى الدنيا واذا عرج بروح المؤمن الى السماء قالت الملائكة
سبحان الذى نجى هذا العبد من الشيطان يا ويحه كيف نجا فعلى المؤمن ان يحترز من وساوسه وحديث نفسه
ايضا كيلا يفتضح عند الله وعند الناس فانه روى ان الوسواس الخناس يخبر بما وقع فى قلب ابن آدم وحدث به
نفسه وان لم يخبره لغيره كما حكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكر امرأة فى نفسه فجعل الناس يتحدثون به
فيما بينهم واعلم ان قرين المرء من الجن اذا أسلم سلم من شره ومن الجن قوم مؤمنون منتفعون بعلوم كل البشر
محبون (حكى) عن ابراهيم الخواص قال حججت سنة من السنين فبينا انا امشى مع اصحابى اذ عارضنى عارض من
سرى يقتضى الخلوة وخروجا عن الطريق الجادة فاخذت طريقا غير الطريق الذى عليه الناس فمشيت ثلاثة
ايام بلياليهن ما خطر على سرى ذكر طعام ولا شراب ولا حاجة فانتهيت الى برية خضراء فيها من كل الثمرات
والرياحين ورأيت فى وسطها بحيرة فقلت كأنها الجنة وبقيت متعجبا فبينا انا اتفكر اذا انا بنفر قد اقبلوا
سيماهم سيما الآدميين عليهم المرقعات الحسان فحفوا بى وسلموا علىّ فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
فوقع فى خاطرى انهم من الجن فقال قائل منهم قد اختلفنا فى مسألة ونحن نفر من الجن قد سمعنا كلام الله
تعالى من محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وسلبتنا نغمة كلامه جميع امور الدنيا وقد عين الله لنا هذه البحيرة
فى هذه البرية قلت وكم بيننا وبين الموضع الذى تركت فيه اصحابى فتبسم بعضهم وقال يا ابا اسحق لله عز وجل
عجائب واسرار الموضع الذى انت فيه لم يحضره آدمى قبلك الا شاب من اصحابهم توفى ههنا وذلك قبره اشار الى قبر
على شفير البحيرة حوله روضة ورياحين لم ار مثلها قبل ثم قال بينك وبين القوم الذين فارقتهم مسيرة كذا كذا شهرا
او قال كذا كذا سنة فقلت خبرونى عن الشاب فقال قائل منهم بينما نحن قعود على شفير البحيرة نتذاكر المحبة
اذ بشخص قد اقبل الينا وسلم علينا فرددنا عليه السلام فقلنا له من اين اقبل الشاب قال من مدينة نيسابور
قلنا له ومتى خرجت منها قال منذ سبعة ايام قلنا له وما الذى ازعجك على الخروج من وطنك قال سمعت قول الله
تعالى وانيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون قلنا له ما معنى الانابة وما معنى
الاسلام وما معنى العذاب فقال الانابة ان ترجع بك منك اليه والاسلام ان تسلم نفسك له وتعلم انه اولى بك منك
والعذاب هو عذاب الفرقة ثم صاح صيحة عظيمة فمات فواريناه وهذا قبره رضى الله عنه قال ابراهيم فتعجبت
مما وصفوا ثم دنوت من قبره واذا عند رأسه باقة نرجس كأنها رحى عظيمة وعلى قبره مكتوب هذا حبيب الله قتيل
الغيرة وعلى ورقها مكتوب صفة الانابة فقرأت ما هو على النرجس مكتوب فسألونى ان أفسره لهم ففسرته فوقع
فيهم الطرب فلما أفاقوا وسكنوا قالوا قد كفينا جواب مسألتنا قال ووقع علىّ النوم فما انتبهت الا وأنا قريب

من مسجد عائشة رضى الله عنها واذا فى وعائى باقة ريحان فبقيت معى سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد فقدتها رضى الله عنه وعنهم وعن جميع الصالحين (أفغير الله ابتغى حكما) الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر وغير مفعول ابتغى وحكما حال وتقديم المفعول للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره حكما لا مطلق الابتغاء والحكم ابلغ من الحاكم وأدل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وفى الكلام ارادة القول واضماره (روى) ان مشركى مكة قالوا يا محمد اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى يفصل بين المحق والمبطل فانهم قرأوا الكتب قبلك فانزل الله هذه الآية وقال قل يا محمد أأميل عن الحق فاطلب غير الله تعالى حال كون ذلك الغير قاضيا بينى وبينكم (وهو الذى انزل اليكم الكتاب) الجملة حال من فاعل ابتغى اى والحال ان الله تعالى هو الذى انزل اليكم وأنتم أمة أمية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب (مفصلا) اى مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق فى امر الدين شئ من التخليط والابهام فاى حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح فى ان القرآن الكريم كاف فى امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك) كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مبين ان الذين وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم من علماء اهل الكتابين عالمون بحقية القرآن ونزوله من عند الله تعالى والمعنى وعلماء اليهود والنصارى الذين فهمناهم التوراة والانجيل يعلمون ان ذلك الكتاب اى القرآن منزل من ربك حال كونه ملتبسا (بالحق) والصدق وهو بالفارسى براستى ودرستى وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن فى منزل (فلا تكونن من الممترين) اى من الشاكين فى انهم يعلمون بحقية القرآن لما لا تشاهد منهم آثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهى على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن وفى انه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التوبيخ والالهاب اى الثبات على اليقين كقوله فلا تكونن من المشركين فالفاء لترتيب النهى على نفس علمهم بحال القرآن ثم انه تعالى لما بين كمال الكتاب المذكور من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق بين ايضا كماله من حيث ذاته فقال (وتمت كلمة ربك) عبر عن الكتاب اى القرآن بالكلمة لانها الاصل فى الاتصاف بالصدق والعدل وبها ظهر الآثار من الحكم (صدقا وعدلا) مصدران نصبا على الحال اى صادقة وعادلة ومعنى تمامها عبارة عن بلوغها الغاية فى كونها كافية فى بيان ما يحتاج اليه المكلفون الى يوم القيامة علما وعملا وفى كونها صدقا وعدلا والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا فى الاخبار والمواعيد كالخبر عن وجود ذات الله تعالى وصفاته الثبوتية والسلبية وكالخبر عن احكام الله تعالى فى الوعد والوعيد والثواب والعقاب وكالخبر عن احوال المتقدمين وعن الغيوب المستقبلة وعدلا فى الاقضية والاحكام المتعلقة بالمكلفين من الجن والانس كالصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر التكاليف الشرعية سواء كانت امرا او نهيا (لا مبدل لكلماته) لا أحد يبدل شيأ من ذلك بما هو أصدق وأعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى (وهو السميع) لكل ما يتعلق به السمع (العليم) بكل ما يمكن أن يعلم فيدخل فى ذلك اقوال المتحاكين وأحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا ومحصول الآية ان القرآن حكم الله تعالى وحجته الغالبة بين الناس فلا عدول عنه الى غيره اذ لا يعدل عنه الا المنكر سواء كان انكاره عناديا كالعالم بحقيته او تكذيبيا كالجاهل بها وأما المقر فهو له جذبة الهية ينجذب بالعمل بما فيه الى درجات العلم والعرفان وكمال الايقان اذ هو كلمة حق وصدق والصدق يهدى الى الجنة والقربة والوصلة ولا ترتفع التكليفات عن العبد وان وصل الى تجلى الذات مادام فى عالم الدنيا لا كما زعمه بعض الزاعمين وأما فى عالم الآخرة فترتفع التكليفات فعبادة ذلك العالم التوحيد ليس الا ولا بد من رعاية الشريعة فى جميع المراتب فان الكمال فيه والا فهو ناقص ولذلك ترى المجاذيب لا يخلون عن نقصان ألا ترى أن الانبياء عليهم السلام لم يسمع عن واحد منهم عروض السفه والجنون فكامل العقل يحس صرير الباب وصوت الذباب فى حال استغراقه (حكى) ان الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر قال يوما لمريديه هل صدر منى شئ يخالف الشريعة قالوا لا فحمد الله تعالى وقال ما كنت هيهنا منذ ثلاثين سنة والانسان اشرف المخلوقات واشرف الانسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك صار مظهرا للفرقان الكريم من المبدأ القديم وهو الحكم الذى نصبه الله تعالى لاحقاق الحق وابطال الباطل * الا اى احمد مرسل * شود هر مشكل از تو حل *

كنم وصف تو اجمل تو يى سلطان هر مولى * شريعت از تو روشن شد طريقت هم مبرهن شد * حقيقت خود معين شد زهى سلطان بى همتا * واعلم ان هذه الآية متعلقة بمرتبة النفس واصلاحها فان ابتغاء حكم غير الله تعالى من هوى النفس فاصلاحها بالانقياد والتسليم وكل من له حظ من علم القرآن ظاهرا اوباطنا فهو وارث النبى عليه السلام بقدر حاله والحاكم هو عالم امر الله لا الجاهل قال على كرم الله وجهه من افتى الناس بغير علم لعنه السماء والارض وسألت بنت على البلخى اباها عن القيئ اذا خرج الى الحلق فقال يجب اعادة الوضوء فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يا على حتى يكون ملئ الفم فقال علمت ان الفتوى تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فآليت على نفسى ان لا افتى ابدا وسئل الشعبى عن مسألة فقال لا اعلم فقيل ألا تستحيى وأنت فقيه العراقين قال ولم لا أستحيى مما لا تستحيى منه الملائكة حيث قالت لا علم لنا الا ما علمتنا فعلى العامة ان يرجعوا فى الامور الظاهرة الى اعلم البلدة او العصر بقدر الامكان وعلى الخاصة ان يستفتوا فى الاحوال الباطنة من الاعرف وان كان أميا لا يعرف اصطلاحات العلماء اذ له حكمة معنوية تغنى عن الاصطلاحات وهو الذى يليق بان يسمى حكيما وقد اتفق اهل الله تعالى على ان العبد اذا وصل الى الله فالله تعالى يعلمه ويلهمه فيميز بين الحق والباطل ولا يكون ما يتكلمه خارجا عن الشريعة واليه يشير قول من قال ما اتخذ الله من ولى جاهل ولو اتخذه لعلمه وكما ان الاصحاب ما خرجوا عن حكم النبى عليه السلام كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وقال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم كذلك اهل الارادة ما خرجوا عن أمر المرشد الكامل اذ الحكم وان كان لله تعالى فى الحقيقة كما نطقت به الآية الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خليفة الله تعالى وكذا من ورثه قولا وحالا (وان تطع اكثر من فى الارض) وذلك ان اهل مكة كانوا يستحلون اكل الميتة ويدعون المسلمين الى اكلها وكانوا يقولون انما ذلك ذبح الله فهو أحل مما ذبحتم انتم بسكاكينكم فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ان تطع الكفار يا محمد لانهم اكثر من فى الارض (يضلوك عن سبيل الله) اى دينه وشريعته كأنه قيل كيف يضلون فقيل (ان يتبعون) اى ما يتبعون فى امور دينهم ومجادلتهم لك فى امر الميتة (الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب ان الضال المتصدى للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون فان سبيل الحق لا يسلك بالظن والتقليد والهوى وانما يسلك بالصدق والتحقيق والهدى (وان هم الا يخرصون) اى ما هم الا يكذبون على الله تعالى فى تحليل الميتة وغيره (ان ربك هو اعلم) بعلم (من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) فيجازى كلا منهم بما يستحقون فاحذر أن تكون من الفريق الاول قال الحدادى وانما قال أعلم لان الله يعلم الشئ من كل جهاته وغيره يعلم الشئ من بعض جهاته (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا أيها المؤمنون مما ذكر اسم الله تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط اومع اسم الله تعالى اومات حتف انفه فان الايمان بالآيات القرآنية يقتضى استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرمه (وما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) واى سبب حاصل لكم فى ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال الامام ان المشركين كانوا يبيحون اكل ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع فى انهم ايضا كانوا يبيحون اكل الميتة والمسلمون كانوا يحرمونها واذا كان كذلك كان ورود الامر باباحة ما ذكر اسم الله عليه عبثا لانه يقتضى اثبات الحكم فى المتفق عليه وترك الحكم فى المختلف فيه فاجاب بان معنى كلوا اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه ومعنى ان لا تأكلوا ان لا تجعلوا اكلكم مقصورا عليه فيفيد تحريما كل الميتة فقط (وقد فصل لكم) اى والحال انه تعالى قد بين لكم (ما حرم عليكم) مما لم يحرمه بقوله تعالى فى هذه السورة قل لا اجد فيما اوحى الى محرما الآية فبقى ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم الآية لانها مدنية وهذه السورة مكية فان قلت قوله تعالى قل لا اجد الآية مذكور بعد هذه الآية وصيغة فصل تقتضى التقدم قلت ان التأخر فى التلاوة لا يوجب التأخر فى النزول ويجوز أن يحمل على التفصيل بالوحى الغير المتلو كما ذهب اليه سعدى چلبى المفتى وجعله اولى عنده (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة فالاستثناء متصل

والمستثنى منه ما حرم وما مصدرية بمعنى المدة اى وقد فصل لكم الاشياء التى حرمت عليكم فى جميع الاوقات الاوقت الاضطرار اليها وان جعلت موصولة تعين ان يكون الاستثناء منقطعا لان ما اضطر اليه حلال فلا يدخل تحت ما حرم عليهم (وان كثيرا) من الكفار (ليضلون) الناس (باهوائهم) بما تهواه انفسهم من تحليل الميتة وغيرها (بغير علم) مقتبس من الشريعة الشريفة مستند الى الوحى (ان ربك هو اعلم بالمعتدين) المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام اعلم ان اهل الهوى على انواع فالمعتزلة والشيعة ونحوهما من اهل القبلة اهل هوى لانهم يخالفون اهل السنة والجماعة بتأويل الكتاب والسنة على حسب هواهم فيضلون الناس بهواهم كما يضل الكفار واهل الشرك واما اخذ الاشارات من الايات والاحاديث على وجه يطابق الشرع الشريف فذلك ليس بهوى بل هو عرفان محض (قال فى المثنوى) نوز قرآن اى پسر ظاهر مبين * ديو آدم را نبيند جز كه طين * ظاهر قرآن چو شخص آدميست * كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست * فالتقليد لاصحاب الاشارات ليس كالتقليد لاصحاب الضلالات لانهم بنوا امرهم على العيان واليقين لا على الظن والتخمين وكذا اهل الدنيا اهل هوى بالنسبة الى اهل العقبى فان الكون كله خيال وتابع الخيال لا يعد من العقلاء والرجال وعن بهلول رحمه الله قال بينما انا ذات يوم فى بعض شوارع البصرة اذ الصبيان يلعبون بالجوز واللوز واذا انا بصبى ينظر اليهم ويبكى فقلت هذا صبى يتحسر على ما فى ايدى الصبيان ولا شئ معه فيلعب به فقلت له اى بنى ما يبكيك اشترلك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان فرفع بصره الى وقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقلت اى بنى فلماذا خلقنا فقال للعلم والعبادة قلت من اين لك ذلك بارك الله فيك قال من قول الله عز وجل أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وكذا اهل العقبى اهل هوى بالنسبة الى اهل المولى فاهل المولى تجردوا عن تعلق الكونين وتجاوزوا عن اعتبار الوصل والبين وما نظروا الى شئ غيره (قال صاحب المحمدية) سالكان درگهت راه رد وعالم يك نفس * والهان حضرتت را از حور وجنت ملال * وقد حرم الله الدنيا على اهل الآخرة والآخرة على اهل الدنيا وحرم كلا منهما على اهل الله تعالى لكن من تناول من الدنيا قدر ما يسد به جوعته ويستر به عورته فانه ليس من اهل الدنيا لان ذلك من الضرورات البشرية وفيه اذن الله تعالى لمحافظة الدائرة البدنية التى هى الاس والاشارة فى قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين يعنى ان من امارات الايمان ان تأكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع وتذيبوه بذكر الله كما قال عليه السلام أذيبوا طعامكم بذكر الله فان الاكل على الغفلة والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث موت الجنان والحرمان من الجنان وفى هذا الحديث اشارة الى مشروعية الجهر اذ ذوبان الطعام فى صورة الجهر اظهر ويدل عليه ما ورد ايضا من الركعتين بعد الطعام او من تلاوة عشر آيات من القرآن اذ الحركة البدنية تفضى الى استمراء الطعام وانهضامه الذى به تحصل قوة البدن وبقوة البدن يقوى المرء على العبادة وفى العبادة بعد الطعام شكر للنعمة والشكر اما بالقلب او باللسان او بالاعضاء والجوارح (وذروا) اى اتركوا أيها المؤمنون (ظاهر الاثم وباطنه) من اضافة الصفة الى الموصوف اى الاثم الظاهر والاثم الباطن والمراد بالاثم ما يوجب الاثم وهو المعاصى كلها لانها لا تخلو من هذين الوجهين فيدخل فيه ما يعلن وما يسر سواء كان من اعمال القلوب او الجوارح فاعمال الجوارح ظاهرة كالاقوال والافعال واعمال القلوب باطنة كالعقائد الفاسدة والعزائم الباطلة وحقيقة ظاهر الاثم طلب نعم الدنيا وباطنه الميل الى نعم العقبى لان كلا منهما يصير سببا للبعد عن حضرة المولى * ظاهر وباطن خود پاك كن از لوث گناه * تا كه پاكيزه شوى درصف مردان اله (ان الذين يكسبون الاثم) اى يعملون المعصية ظاهرا وباطنا (سيجزون) سيعاقبون فى الآخرة (بما كانوا يقترفون) اى يكسبون فى الدنيا كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما * جهد داند اين اگر تو نكروى * هرچه ميكارى بش روزى بدروى * والاشارة ان الله تعالى كما خلق للانسان ظاهرا هو بدن جسمانى وباطنا هو قلب روحانى فكذلك جعل للاثم ظاهرا هو كل قول وفعل موافق للطبع مخالف للشرع وباطنا هو كل خلق حيوانى سبعى وشيطانى جبلت النفس عليه وذروا ظاهر الاثم وباطنه اى اتركوا الاعمال الطبيعية باستعمال الاعمال الشرعية واتركوا الاخلاق الذميمة النفسانية بالتخلق بالاخلاق الملكية الروحانية ان الذين يكسبون الاثم ظاهره وباطنه بالافعال

والاخلاق

والاخلاق سيجزون بما كانوا يقترفون عاجلا وآجلا اما عاجلا فلكل فعل وقول طبيعى ظلمة تصدأ مرءاة القلب بها فينحرف مزاج الاخلاق القلبية الروحانية ويتقوى مزاج الاخلاق النفسانية الظلمانية وبه يغلب الهوى ويميل الى الدنيا وشهواتها فباظهاركل خلق منها على وفق الهوى يزيد رينا وقسوة فى القلب فيحتجب به عن الله تعالى كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأما آجلا فبهذه الموانع والحجب ينقطع العبد عن الله ويبقى محجوبا معذبا فى النار خالدا مخلدا كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون كذا فى التأويلات النجمية اعلم ان العصاة كلهم فى خطر المشيئة بل الطائعون لايدرون بماذا يختم لهم فيا ايها العاصى لاتغتر فان العناية لاتحصل لكل عاص ولاتدرى انك ممن اراد الله تعالى عفوه فان المعفو من اول الامر وقع قليلا كما حكى عن مالك بن دينار قال رأيت بالبصرة قوما يحملون جنازة وليس معهم احد ممن يشيع الجنازة فسألتهم عنه فقالوا هذا رجل من كبار المذنبين قال فصليت عليه وانزلته فى قبره ثم انصرفت الى الظل فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره ونزل احدهما اليه وقال لصاحبه اكتبه من اهل النار فانه مافيه جارحة سلمت من المعاصى والاوزار فقال له صاحبه يااخى لاتعجل عليه اختبر عينيه قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر الى محارم الله قال فاختبر سمعه قال قد اختبرته فوجدته مملوأ بسماع الفواحش والمنكرات قال فاختبر لسانه قال قد اختبرته فوجدته مملوأ بالخوض فى المحظورات وارتكاب المحرمات قال فاختبر يديه قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بتناول الحرام ومالايحل من الشهوات واللذات قال فاختبر رجليه قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالسعى فى النجاسات والامور المذمومات قال يااخى لاتعجل عليه ودعنى انزل اليه فنزل اليه الملك الثانى واقام عنده ساعة وقال يااخى قد اختبرت قلبه فوجدته مملوأ ايمانا فاكتبه مرحوما سعيدا ففضل الله تعالى يستغرق ماعليه من الذنوب والخطايا (قال السعدى) عروسى بود نوبت ماتمت * كرت نيك روزى بود خاتمت * يعنى يوم وفاتك يكون يوم فرح وسرور ان كنت ممن قبض على الايمان نسأل الله عفوه ورجاه * الهى بحق بنى فاطمه * كه برقول ايمان كنم خاتمه (ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) اى عمدا اذ الناسى حال نسيانه لايكون مكلفا وذكر الله تعالى فى قلب كل مؤمن واما العامد فلأنه لما ترك التسمية عمدا فكأنه نفى مافى قلبه ويدخل فيه الميتة لانها مما لم يذكر اسم الله عليه وكذا ماذبح على اسم غيره تعالى (وانه) اى الاكل منه اوعدم ذكر التسمية (لفسق) اى خروج لما لايحل فان من ترك التسمية عامدا حال الذبح لايحل اكل ذبيحته عند الامام الاعظم واعلم ان المشركين جادلوا المسلمين فقالوا أتأكلون مما قتلتم ولاتأكلون مما قتله الله فانزل الله الآية واجاب بجواب اعم وبنى الحرمة على وصف يشمل الكل وهو ترك الذكر (وان الشياطين) اى ابليس وجنوده (ليوحون الى اوليائهم) اى يوسوسون الى المشركين والوحى القاء المعنى الى النفس مع الخفية (ليجادلوكم) ايها المؤمنون فى تحليل الميتة بالوساوس الشيطانية (وان اطعتموهم) فى استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم (انكم لمشركون) ضرورة أن من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد أشرك به تعالى بل آثره عليه * سبحانه والاشارة لاتأكلوا طعاما الابامر الله وعلى ذكر الله وفى طلب الله ليندفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وان ظلمة الطعام وشهوته مؤدية الى الفسق الذى هو الخروج من النور الروحانى الى الظلمة النفسانية وفى الحديث ان الشيطان يستحل الطعام الا يذكر اسم الله عليه اى لانه لايذكر اسم الله عليه بعد الشروع ومالم يشرع فيه احد لا يتمكن الشيطان من استحلاله وفيه اشارة الى انه ان سمى واحد من الآكلين حصل اصل السنة ومن نسى التسمية فى اول الطعام فانه يقول حين يذكر بسم الله اوله وآخره فاذا قال ذلك فقد تدارك تقصيره وهذا بخلاف الوضوء فان التسمية سنة فى اوله بحيث لونسيها فى اوله ثم تذكر فى وسطه لم يكن هذا تداركا لسنة التسمية وذلك لان الوضوء كله عمل واحد بخلاف الاكل فان كل لقمة اكلة وكان رجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه الا لقمة فلما رفعها الى فيه قال بسم الله اوله وآخره فضحك النبى عليه السلام ثم قال مازال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله تعالى استقاء مافى بطنه وهذا الحديث يدل على ان الشيطان يأكل بمضغ وبلع كما ذهب اليه قوم وقال آخرون اكل الشيطان صحيح لكنه تشمم واسترواح وانما المضغ والبلع لذوى الجثث والشياطين اجسام رقاق قال فى آكام المرجان كل مالم يسم عليه من طعام اوشراب اولباس اوغير ذلك مما ينتفع به فللشيطان فيه تصرف واستعمال اماباتلاف عينه كالطعام واما مع

بقاء عينه قال ثعلبة بن سهيل كنت اصنع شرابا لى اشربه فى السحر فاذا جاء السحر جئت فلا أجد شيأ فوضعت شرابا آخر وقرأت عليه يس فلما كان السحر جئت فاذا الشراب على حاله واذا شيطان اعمى يدور حول البيت وفى الحديث ان الشيطان حساس لحاس فاحذروه على انفسكم من بات وفى يده ريح غمر فاصابه شئ فلا يلومن الا نفسه قال بعض ارباب الاشارة انما حرم اكل مالم يذكر اسمه عليه لان العارف حبيب الله والحبيب لايذبح ولا يأكل ولايشرب ولا يلبس ولا يفرش ولا يفعل شيأ الا باسم حبيبه الاترى ان يعقوب عليه السلام كان يقول فى جميع احواله يوسف وانما وجبت التسمية عند الذبائح لان مرارة النزع شديدة وذكر اسم الله تعالى احلى من كل شئ فامرنا بالتسمية عند الذبائح كى تسمع الشاة ذكر الله عند الموت فلا تشتد مرارة النزع مع حلاوة اسم الله ولذلك قال عليه السلام لقنوا موتاكم بشهادة ان لا اله الا الله يسهل عليكم سكرات الموت فلما كان الاحياء والاماتة من الله تعالى وحده لم يجز أن يذبح باسم غيره تعالى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل ماذبح للجن وعلى اسمها واستنبط بعض الخلفاء عينا واراد اجراءها وذبح للجن عليها لئلا يغور ماؤها فاطعم ذلك ناسا فبلغ ذلك ابن شهاب فقال اما انه قد ذبح مالم يحل له واطعم الناس مالا يحل لهم وكان من عادة الجاهلية قبل الاسلام تزيين جارية حسناء والباسها احسن ثيابها والقاؤها فى النيل حتى يطلع ثم قطع الله تلك السنة الجاهلية على يدى من اخاف الجن وقمعها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهكذا هذه العين لو حفرها رجل عمرى لم يذبح لهم عصفورا فما فوقه ولكن لكل زمان رجال فلوداوم انسان على اسم الله لاتحرقه النار ولاتغرقه البحار ولاتنهشه الحيات ولاتضره السموم لان كل مضر خلق مخوفا لمن يخاف الله فاذا خاف العبد من الله بكماله فله التسخير والتأثير * توهم كردن از حكم داور مپيچ * كه كردن نپيچد زحكم توهيچ * محالست چون دوست داردترا * كه دردست دشمن كذاردترا * وقد ظهر لك من هذا كله ان احراق البخور والقاء ماء الورد ورشه وذبح شئ من مكان يتوهم فيه الجن كله شرك يجب ان يحترز عنه وكذا من ذبح دجاجة لتصويتها مثل الديك اوذبح ديكا لتصويته قبل الوقت وهو السحر والقاها فى مكان فقد ذبح ذلك للجن فى اعتقاده لانه اراد به صيانة نفسه واهله واولاده وماله من اصابة الجن والبلاء ولو كان لله تعالى لا كلها بل لو كان مخلصا لما فعل مثل هذا (اومن كان ميتا) روى عن ابن عباس ان اباجهل رمى النبى عليه السلام بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابوجهل وهو راجع من الصيد بيده قوس وكان يومئذ لم يؤمن بعد فلقى اباجهل فضرب رأسه بالقوس فقال ابوجهل اماترى ماجاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا فقال حمزة وانتم اسفه الناس تعبدون الحجارة من دون الله تعالى اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله فنزلت هذه الآيات والهمزة للانكار والنفى والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذى يدل عليه الكلام اى انتم أيها المؤمنون مثل المشركين ومن كان ميتا (فاحييناه) اعطيناه الحياة ومايتبعها من القوى المدركة والمحركة (وجعلناله) مع ذلك من الخارج (نورا) عظيما (يمشى به) اى بسببه (فى الناس) اى فيما بينهم آمنا من جهتهم (كمن مثله) اى صفته العجيبة (فى الظلمات) خبر مبتدأ محذوف اى هو فى الظلمات (ليس بخارج منها) بحال وهو حال من المستكن فى الظرف فمن الاولى موصولة مبتدأ وكمن خبرها وهى ايضا موصولة صلتها الجملة الاسمية الواقعة بعدها فالاولى تمثيل لمن هداه الله تعالى وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها فى الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل كحمزة رضى الله عنه والثانية تمثيل لمن بقى على الضلالة لايفارقها أصلا كأبى جهل (كذلك) اى كما زين للمؤمن من ايمانه (زين) اى من جهة الله تعالى بطريق الخلق اومن جهة الشيطان بطريق الوسوسة (للكافرين ماكانوا يعملون) اى ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصى وبهذا التزيين بقوا فى ظلمات الكفر والضلالة ولم يهتدوا الى نور الايمان والهداية قال ارباب الحقيقة الموت بهوى النفس والحياة بمحبة الحق وايضا الموت بالنكرة والحياة بالمعرفة وفرق بين حياة المعرفة وحياة البشرية فاهل العموم حى بحياة البشرية لكنه كالميت فى قبر قالبه لايمكنه الخروج من ظلمات وجوده المجازى واهل الخصوص حى بحياة المعرفة فحياة البشرية تزول لقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت بخلاف حياة المعرفة لقوله تعالى لنحيينه حياة طيبة وقوله عليه السلام المؤمن حى فى الدارين * نميرد هركرا جانش توباشى * خوشا جانى كه جانانش توباشى (قال الحافظ) هركز نميرد انكه دلش زنده شد بعشق * ثبت است برجريدهٔ

عالم دوام ما * وفى التفسير الفارسى شاه كرمانى اين آيت برخوانده (اومن كان ميتا فاحييناه) كفت نشان
اين آيت سه جيزست از خلق عزلت وباحق دعوت ودوام ذكر برزبان ودل وبزركى اين معنى را نظم فرموده
برروى خلايق درصحبت مكشاى * مى باش بكلى متوجه بخداى * غافل مشو از ذوق دل وذكر زبان *
تازنده جاويد شوى درد وسراى * واعلم ان الحى الحقيقى الذى ما كان ميتا ولا يموت ابدا هو الله تعالى
وماسواه فهو ميت لانه كان ميتا فى العدم وسيموت ايضا (قال الحافظ) من همانندم كه وضوساختم از چشمه
عشق * چار تكبير زدم يكسره تر هرچه كه هست * يعنى شاهدت جميع الخلق موتى بسبب الوصول
الى مقام العشق والفناء قال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر من شهد الخلق لافعل لهم فاز ومن شهدهم لاحياة
لهم فقد فاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وعن عبد الواحد بن زيد رحمه الله قال مررت براهب فسألته
منذ كم انت فى هذا الموضع فقال منذ اربع وعشرين سنة قلت من انيسك قال الفرد الصمد قلت ومن المخلوقين
قال الوحش فسألته وما طعامك قال ذكر الله تعالى قلت ومن المأكولات قال ثمار هذه الاشجار ونبات الارض
قلت افلا تشتاق الى احد قال نعم الى حبيب قلوب العارفين قلت ومن المخلوقين قال من كان شوقه الى الله تعالى
سبحانه كيف يشتاق الى غيره قلت فلم اعتزلت عن الخلق قال لانهم سراق العقول وقطاع طريق الهدى قلت
ومتى يعرف العبد طريق الهدى قال اذا هرب الى ربه من كل شئ سواه واشتغل بذكره عن ذكر ماسواه * ولكل
سالك خطوة فى السلوك الى ملك الملوك كما حكى ايضا عن الشيخ عبد الواحد بن زيد قال قصدت بيت المقدس
فضللت الطريق فاذا بامرأة اقبلت الى فقلت لها يا غريبة أنت ضالة فقالت كيف يكون غريبا من يعرفه
وكيف يكون ضالا من يحبه ثم قالت خذ رأس عصاى وتقدم بين يدى فاخذت رأس عصاها وتقدمت بين
يديها ست اقدام او اقل او اكثر فاذا انا بمسجد بيت المقدس فدلكت عينى وقلت لعل هذا غلط منى فقالت يا هذا
سيرك سير الزاهدين وسيرى سير العارفين فالزاهد سيار والعارف طيار ومتى يلحق السيار بالطيار ثم غابت عنى
فلم ارها بعد ذلك فظهر من هذه الحكاية ان للعارف نورا يمشى به الى حيث شاء والجاهل يبقى فى وادى الحيرة
ولا يجد سبيلا الا بتوفيق الله تعالى وهدايته فكما ان الاعمى والبصير ليسا على سوآء فكذلك البصير الجاهل
والعالم سوآء كان جهله وعلمه فى مرتبة الشريعة او الطريقة او المعرفة او الحقيقة فالله تعالى باين بين اهل الحال
كما باين بين اهل المقال وعظم النور وسعته بالنسبة الى فسحة القلب ومعرفته فالقلب بيد الله تعالى يقلبه كيف
يشاء ولذلك زين لاهل الايمان وجوه الخير والطاعات وزين لاهل الكفر صنوف الشر والسيئات لكن العباد
ليسوا بمجبورين فلهم اختيار فى الخروج من الظلمات فاذا لم يصرفوا استعداداتهم الى ما خلقوا لاجله بقوا
فى ظلمات الطبيعة والنفس هذا هو الكلام بالنسبة الى ظاهر الحال واما ان نظرت الى اسناد الاحياء والجعل
فى الآية المذكورة الى الله تعالى فمقتضى التوحيد ان الكل بيد الله ولا تأثير الا من عند الله فان وجدت خيرا
فلتحمد الله كثيرا فقد سبقت لك العناية وساعدك التوفيق فرب تقليد يوصل الى التحقيق والله الهادى (وكذلك)
اى كما صيرنا فى مكة فساقها اكابر (جعلنا فى كل قرية) متعلق بالفعل (اكابر) مفعول ثان جمع اكبر بمعنى عظيم
(مجرميها) مفعول اول جمع مجرم بالفارسية كنهكار (ليمكروا فيها) اى ليفعلوا المكر فى تلك القرية لانهم لاجل
رياستهم اقدر على المكر والغدر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم وكان صناديد قريش ومجرموها
اجلسوا على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يقولون
لكل من تقدم اياك وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب قال البغوى وذلك سنة الله تعالى ان جعل فى كل قرية
اتباع الرسل ضعفاءهم كما قال فى قصة نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون وجعل فساقهم اكابرها ليمكروا فيها
والمكر السعى بالفساد فى خفية ومداجاة والآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وما يمكرون الا بانفسهم)
لان وباله عليهم (وما) والحال انهم لا (يشعرون) بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم (واذا جاءتهم)
لما بين ان فساق كل قرية يكونون رؤساءها المتميزين بكثرة المال والجاه بين ما كان من رؤساء مكة من الجرم
والفسق وهو أنه اذا جاءتهم (آية) دالة على صحة النبوة (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله) من الوحى
والكتاب لما روى ان اباجهل قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى
يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحى كما يأتيه فارادوا اى قوم مكة ان تحصل لهم النبوة والرسالة

كما حصلنا لمجد عليه السلام وان يكونوا متبوعين لا تابعين قال صاحب التيسير وهذه غاية السفه ان يقال لرجل آمن فيقول لا أومن حتى يجعلني الله نبيا قال الامام الثعلبي المراد برسل الله هو حضرة النبي عليه السلام كانه المخاطب في قوله تعالى يا أيها الرسل وصيغة الجمع للتعظيم وفي شرح التعرف ان الله تعالى لم يجمع شمائل جميع الانبياء الا في النبي صلى الله عليه وسلم خاطبه بقوله يا ايها الرسل * هرچه خوبان همه دارند تو تنها داری * واعلم ان ما بين الجلالتين من هذه السورة من الاماكن التي يرجى فيها استجابة الدعاء فليحافظ على ذلك (الله اعلم) من كل شئ يعلم (حيث يجعل رسالته) اى الموضع الصالح لوضعها فيه ويضعها وهؤلاء ليسوا اهلا لها لان الاهلية بالفضائل النفسانية لا بالنسب والمال وحيث نصب على المفعولية بعلم المقدر توسعا (سيصيب الذين اجرموا) اى يصيبهم البتة مكان ما تمنوه من عز النبوة وشرف الرسالة (صغار) اى ذلة وحقارة بعد كبرهم (عند الله) اى يوم القيامة فهو منصوب بقوله سيصيب مجاز عن حشرهم يوم القيامة (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) اى بسبب مكرهم المستمر وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته واعلم ان النبوة اختصاص الهي عطائي غير كسبي كالسلطنة فلا ينالها المجاهد وان اتى بجميع الشرائط والاسباب وكذا الولاية لكنها كالوزارة فيجوز ان ينالها بعض المجاهدين فليس كل مجاهد واصلا وقد يكون الوصول بدون المجاهدة ايضا اذا كمل الاستعداد وسبقت العناية كما روى عن بعض شيوخ اليمن انه خرج يوما من زبيد الى نحو الساحل المعروف بالاهواز ومعه تلميذ له فمر في طريقه على قصب ذرة كبار فقال للتلميذ خذ معك من هذا القصب ففعل المريد وتعجب في نفسه وقال ما مراد الشيخ بهذا ولم يقل له الشيخ شيأ حتى اذا بلغ الى محلة لعبيد يقال لهم السناكم يأكلون الميتات ويشربون المسكرات ولا يعرفون الصلوات واذا بهم يشربون ويلعبون ويلهون ويطربون ويغنون ويضربون فقال الشيخ للتلميذ ائتني بهذا الشيخ الطويل الذى يضرب الطبل فأتاه التلميذ فقال له اجب الشيخ فرمى الطبل من رقبته ومشى معه الى الشيخ فلما وقف بين يديه قال الشيخ للتلميذ اضربه فضربه حتى استوفى منه الحد ثم قال له الشيخ امش قدامنا فمشى حتى بلغوا البحر فامره الشيخ ان يغسل ثيابه ويغتسل وعلمه كيفية ذلك وكيفية الوضوء ففعل ثم علمه كيف يصلى وتقدم الشيخ فصلى بهما الظهر فلما فرغوا من الصلاة قام الشيخ ووضع سجادته على البحر وقال له تقدم فقام ووضع قدميه على السجادة ومشى على الماء حتى غاب عن العين فالتفت التلميذ الى الشيخ وقال وامصيبتاه واحسرتاه لى معك كذا وكذا سنة ما حصل لى من هذا شئ وهذا في ساعة واحدة حصل له هذا المقام وهذه الكرامات العظام فبكى الشيخ قال يا ولدى وايش كنت انا هذا فعل الله تعالى قيل لى فلان من الابدال توفى فاقم فلانا مقامه فامتثلت الامر كما يمتثل الخدام وودت انه حصل لى هذا المقام فظهر ان الله تعالى اعلم حيث يجعل ولايته ايضا (قال الحافظ) چون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست * آن به كه كار خود بعنايت رها كنند * والاشارة ان القرية هي القالب واكابر مجرميها اى مفسدى حسن الاستعداد بقبول الشقاوة هي النفس والهوى والشيطان يمكرون فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع وما يمكرون الا بانفسهم لان فساد استعدادهم عائد الى انفسهم بحصول الشقاوة وفوات السعادة وما يشعرون ولا شعور لهم على ما يفعلون بانفسهم وان مرجعهم الى النار واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن اى النفس والهوى والشيطان من دأبهم ان لا يؤمنوا برؤية الآيات اذ جبلوا على التمرد والاباء والانكار ولسان حالهم يقول لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله اى القلب والسر والروح لانهم مهبط اسرار الحق والهاماته الله اعلم حيث يجعل رسالاته يخص بها القلب والسر والروح ونفسا اطمأنت بذكر الله فتستحق رسالة ارجعى الى ربك سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله يعني اصحاب النفس الامارة بالسوء لهم ذلة البعد من عند الله وعذاب شديد وهو عذاب الفرقة والانقطاع بما كانوا يمكرون اى بما افسدوا استعداد الوصلة وهو جزاء مكرهم وكيدهم كذا في التأويلات النجمية (فمن يرد الله) معناه بالفارسية پس هركرا خواهد خداى (ان يهديه) اى يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان (يشرح صدره للاسلام) فيتسع له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة بحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه فالمعنى من اراد الله منه الايمان قوى صوارفه عن الكفر ودواعيه الى الايمان وجعل قلبه قابلا لحلول الايمان مهيئا لتحليته به صافيا خاليا عما ينافيه ويمنعه ولما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب

المؤمن

المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله واعلم ان العلم علمان علم المعاملة وعلم المكاشفة فالاول هو العلم بما يتقرب اليه تعالى ومايبعد عنه وهو مقدم على الثانى الذى هو نور يظهر فى القلب فيشاهد به الغيب لانه الشرط له قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ولا ينفك عنه لان الحديث المذكور صرح بان الانابة والتجافى والاستعداد التى هى من علم المعاملة علامة ذلك النور وفى فضل المكاشفة ورد قوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلى على أمتى اذ غير المكاشفة تبع للعمل لثبوته شرطا له قال فى التأويلات النجمية كما كان الحجاب ارق كان الايمان اقوى والقلب انور وأصفى الى ان يصير الايمان ايقانا لكمال رقة الحجاب وتنور القلب الى ان يصير الايقان عيانا عند رفع الحجاب وتجلى الحق بصفة جماله الى ان يصير العيان عينا بتجلى صفة جلاله (ومن يرد ان يضله) اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه (يجعل صدره ضيقا) بالفارسية تنك (حرجا) بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان اى من اراد الله منه الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقوى دواعيه الى الكفر والحرج بالفتح مصدر وصف به مبالغة وبالكسر اسم الفاعل وهو المتزايد فى الضيق فهو أخص من الاول فكل حرج ضيق من غير عكس قيل الحرج موضع الشجر الملتف يعنى أن قلب الكافر لا يصل اليه الايمان كما لا تصل الراعية الى الموضع الذى التف فيه الشجر (كأنما يصعد فى السماء) قال الامام فى كيفية هذا التشبيه وجهان الاول كما ان الانسان اذا كلف الصعود الى السماء ثقل ذلك التكليف عليه وعظم وقعه عليه وقويت نفرته منه فكذلك الكافر يثقل عليه الايمان وتعظم نفرته منه والثانى ان يكون التقدير ان قلبه يتباعد عن الاسلام ويتباعد عن قبول الايمان فشبه ذلك البعد ببعد من يصعد من الارض الى السماء انتهى كما قال الكاشفى فى تفسيره الفارسى كوبى بالا ميرود درآسمان يعنى ميكر يزداز قبول حق ميخواهدكه بآسمان رود * واعلم ان القلوب متفاوتة فنها مايشق عليه الايمان وهى قلوب الكفرة ومنها مايشق عليه الذوق والوجدان وهى قلوب اهل النقصان من اهل الايمان فان بعض الناس منهم من يتباعد عن الكلمات العرفانية بل ينكر احوال اصحاب الفضائل النفسانية وهذا لان من انهمك فى الصفات الحيوانية وحكم عليه الصفات السبعية والشيطانية لايسوغ له الشرب من المشارب الروحانية ولذا وصى بكتم ما يتعلق بالاسرار عن الاغيار * چراصدف نكند چاك سينه راصائب * درين زمانه كه جوهر شناس نايابست (كذلك) اى مثل الجعل المذكور (يجعل الله الرجس) اى العذاب او الخذلان أو اللعنة او الشيطان اى يسلطه (على الذين لا يؤمنون) اى عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى معلل بما فى حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر والطغيان (وهذا) اى البيان الذى جاء به القرآن (صراط ربك) اى طريقه الذى ارتضاه حال كونه (مستقيما) لمن يسلكه فلا يعوج به حتى يورده الى الجنة (قد فصلنا الآيات) اى ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر (لقوم يذكرون) اى يتعظون وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات (لهم) كان سائلا يسأل عما اعد الله تعالى للمتذكرين بما فى تضاعيف الآيات فقيل لهم (دار السلام) اى السلامة من كل المكاره وهى الجنة (عند ربهم) حال من دار السلام اى نزله وضيافته كما تقول نحن اليوم عند فلان اى فى كرامته وضيافته وقيل العندية كناية عن وعدها والتكفل بها (وهو وليهم) اى مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم (بما كانوا يعملون) اى بسبب الاعمال الصالحة واعلم ان الله تعالى بين حسن الايمان وقبح الكفر وحال السعيد والشقى ورغب فى طريق الانبياء والاولياء وجعل العمل الصالح وهو ما اريد به وجه الله سببا لمحبة الله ودخول دار السلام وهى دار القرار التى يأمن من دخلها من العذاب مطلقا قال الله تعالى ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور (روى) ان عمر بن الخطاب جهز جيشا الى فتح بعض حصون ديار العجم اربعة آلاف فارس وامر عليهم ابنه عبد الله رضى الله عنه قال فسرنا حتى حاصرنا قلعة على جبل عال لا يصل اليه اسلحتنا فحاصرناها وكان فيها جيش من الكفار وكانت اميرتهم امرأة حسناء فحصل لنا تعب شديد ففى ذات يوم نظرت اميرتهم من المنظرة عسكرنا فرأت شابا حسنا من شبان العرب وكان شابا فارسا ماهرا فى الحرب فلما وقع نظرها عليه تأوهت فقالت لها بعض جواريها لم تأوهت يا ملكة وأنت فى حصار ومنعة فقالت ان حصننا هذا يفتحه هذا الشاب قالت وكيف ذلك قالت سترين بعد

ساعة ثم ارسلت اليه الملكة رسولا تقول هل اجد اليك سبيلا فتكون لى وأكون لك فقال الشاب نعم بشرطين ان تسلى الحصن الخارج الينا والداخل اليه فارسلت مع الرسول تستفهم اما الخارج فعرفنا وأما الداخل فما عرفنا فقال انما تسلى قلبك الى الله تعالى وتقربن له بالوحدانية فارسلت اليه قوما ادخل بعسكرك فانى قد فتحت لك الباب فلما دخل الحصن عرض عليها الاسلام فقالت اعلم انى ملكة ذات همة عالية فهل فى عسكرك من هو أكبر منك حتى اسلم على يديه قال نعم اميرنا وكبيرنا وهو ابن امير المؤمنين فلما حضرت بين يدى عبد الله ابن عمر رضى الله عنه عرض عليها الاسلام فقالت كالاول هل احد اكبر منك فى المسلمين حتى اسلم بين يديه فقال انما نعم والدى امير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقالت ارسلنى اليه حتى اسلم بين يديه فارسلها ومعها عسكر وأموال جزيلة اخرجتها معها من الحصار فلا زالت حتى وصلت الى عمر رضى الله عنه فقالت له يا امير المؤمنين هل هنا احد اكبر منك قال نعم محمد رسول الله وهذا قبره الشريف وأشار الى الروضة المطهرة فقالت لا اسلم الا بين يديه فأجابها لما قالت فلما أتت الروضة المنورة سلمت وجلست بأدب ووقار فى حضرة النبى عليه السلام وقالت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم قالت خرجت من الظلمات الى النور وأنا اخشى يا رسول الله ان يدنس ايمانى المعاصى فاسأل ربك الذى ارسلك الينا بالحق ان يقبض روحى قبل ان اعصيه مرة اخرى ثم وضعت رأسها على عتبة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فماتت من ساعتها فبكى عمر رضى الله عنه من حسن حالها وامر بغسلها وتجهيزها ودفنها بالبقيع بين الصحابة رضى الله عنهم (قال الحافظ) بروز واقعه تابوت من ز سرو كنيد * كه ميروم بهواى بلند بالايى * اللهم اجعلنا من الذين سلكوا الصراط المستقيم ووصلوا الى جنابك بالقلب السليم فنجوا من عذابك الاليم آمين يا كريم يا رحيم (ويوم يحشرهم جميعا) اى واذكر يا محمد لاهل مكة وغيرهم يوم يحشر الله الثقلين جميعا ويجمعهم فى موقف القيامة فيقول بطريق التوبيخ (يا معشر الجن) اى يا جماعة الشياطين فان المعشر الجماعة التى تضبطهم جهة واحدة وحصل بينهم معاشرتهم ومخالطتهم ويجمع على معاشر قال بعضهم سميت الجماعة بالمعشر لبلوغها غاية الكثرة فان العشر هو العدد الكامل الكثير الذى لا عدد بعده الا بتركيبه بما فيه من الآحاد فتقول احد عشر واثنا عشر فاذا قيل معشر فكأنه قيل محل العشر الذى هو الكثرة الكاملة وسمى الجن جنا لاجتنانهم اى استتارهم عن اعين الناس (قد استكثرتم من الانس) اى من اغوائهم واضلالهم اى اضللتم خلقا كثيرا من الانس (وقال أولياؤهم) اى أولياء الشياطين الذين أطاعوهم حال كونهم (من الانس) فهو حال من أولياؤهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) اى انتفع الانس بالجن والجن بالانس أما انتفاع الانس بالجن فمن حيث ان الجن كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات وما يتوصل به اليها ويسهلون طريق تحصيلها عليهم وأما انتفاع الجن بالانس فمن حيث ان الانس أطاعوهم ولم يضيعوا سعيهم والرئيس المطاع ينتفع بانقياد اتباعه له (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) اى ادركنا الوقت الذى وقت لنا وهو يوم القيامة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم * كنون بايداى خفته بيدار بود * چو مرك اندر آرد زخوابت چه سود * چه خوش كفت باكودك آموزكار * كه كارى نكرديم وشد روزكار * ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان بان المضلين قد أفحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم أصلا (قال) كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال (النار مثواكم) اى منزلكم فهو اسم مكان بمعنى مكان الاقامة (خالدين فيها) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخلق أربعة فخلق فى الجنة كلهم وخلق فى النار كلهم وخلقان فى الجنة والنار أما الذى فى الجنة كلهم فالملائكة وأما الذى فى النار كلهم فالشياطين وأما الذى فى الجنة والنار فالانس والجن لهم الثواب وعليهم العقاب (الا ما شاء الله) قال فى التأويلات النجمية الا من شاء الله أن يتوب ويرجع الى الله فلا تكون النار مثواه فالاستثناء راجع الى اهل التوبة فى الدنيا لا الى اهل الخلود فى النار انتهى وقال بعضهم ما مصدرية بتقدير مضاف كما فى آتيك خفوق النجم والاستثناء من مضمون الجملة التى قبله وهى قوله النار مثواكم خالدين فيها كأنه قيل يخلدون فى عذاب النار الابد كله الا أوقات مشيئة الله تعالى أن ينقلوا من النار الى الزمهرير فقد روى انهم ينقلون من عذاب النار ويدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم ففى الاستثناء تهكم بهم وفى تفسير الجلالين الا ما شاء الله من الاوقات التى يخرجون فيها

لشوب من حميم فانه خارجها كما قال الله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم فى النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سدّ عليهم الباب وقيل الا ماشاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الاوقت امهالكم الى وقت الادخال والخلود كما ينتقص من الآخر كذلك ينتقص من الاول هذا ماذهب اليه علماء الظاهر فى توجيه الاستثناء الا ان حضرة الشيخ نجم الدين قدس سره قال فى ذلك حفظا لظاهر الشرع وللعلماء بالله تحقيق بديع فى هذا المقام لا يحتمله عقول العوام ونحن نشير الى نبذ من ذلك ونوصى بالستر الاعلى السالك قال المولى رمضان فى شرح العقائد اعلم ان اهل النار لم يقنطوا من الخلاص حتى اذا ذبح كبش الموت بين الجنة والنار ونودى اهلهما بالخلود ايس اهل النار من الخلاص فاعتادوا بالعذاب ولم يتألموا حتى آل امرهم الى ان يتلذذوا به حتى لو صب عليهم نسيم الجنة استنكروه وتعذبوا به كالجعل يستطيب الروث ويتألم من الورد انتهى كلامه وهذا معنى ما قال الشيخ الاكبر والمسك الاذفر والكبريت الاحمر قدس سره الاطهر تبقى جهنم خالية وان العذاب من العذب انتهى ولا يغرنك ظاهر هذا الكلام الاكبرى فان اتفاق العلماء من الطرفين على ان المخلد لا يخرج من النار ولا تبقى جهنم خالية من جسده قال حضرة شيخنا وسندنا الذى فضله الله تعالى على العالمين بما خصه من كمالات الدين فكما اذا استقر اهل دار الجمال فيها يظهر عليهم اثر الجمال ويتذوقون دائما أبدا ويختفى منهم جلال الجمال واثره بحيث لا يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به قطعا سرمدا فكذلك اذا استقر اهل دار الجلال فيها بعد مرور الاحقاب يظهر على بواطنهم اثر جمال الجلال ويتذوقون به أبدا ويختفى منهم اثر نار الجلال بحيث لا يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به سرمدا لكن كما عرفت ليس كذلك الابعد انقطاع احراق النار بواطنهم وظواهرهم بعد مرور الايام والاحقاب وكل منهم تحرقه النار خمسين ألف سنة من سنى الآخرة لشركه يوم واحد من ايام الدنيا والظاهر عليهم بعد مرور الاحقاب هو الحال الذى يدوم عليهم أبدا وهو الحال الذى كانوا عليه فى الازل وما بينهما ابتلاآت رحمانية والابتلاء حادث قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون عصمنا الله واياكم من دار البوار انتهى كلام الشيخ رضى الله عنه (ان ربك حكيم) فى افعاله ومنها تخليد اولياء الشياطين فى النار (عليم) باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء (وكذلك) اى كما خذلنا عصاة الجن والانس حتى استمتع بعضهم ببعض (نولى بعض الظالمين بعضا) اى نسلط بعضهم على البعض فنأخذ من الظالم بالظالم (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصى وجاء من اعان ظالما سلطه الله عليه وعن ابن عباس رضى الله عنه اذا اراد الله بقوم خيرا ولى امرهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى امرهم شرارهم وجاء فى بعض الكتب الالهية انى انا الله ملك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن اطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الىّ اعطفهم عليكم وفى الحديث الظالم عدل الله فى الارض ينتقم به ثم ينتقم منه وفى المرفوع يقول الله عز وجل أنتقم ممن ابغض بمن ابغض ثم اصير كلا الى النار وفى الزبور انى لأنتقم من المنافق بالمنافق ثم انتقم من المنافقين جميعا وقول القائل كيف يجوز وصفه بالظلم وينسب الى انه عدل من الله تعالى جوابه ان المراد بالعدل هنا ما يقابل بالفضل فالعدل ان يعامل كل احد بفعله ان خيرا فخير وان شرا فشر والفضل ان يعفو مثلا عن المسيئ وهذا على طريق اهل السنة بخلاف المعتزلة فانهم يوجبون عقوبة المسيئ ويدعون ان ذلك هو العدل ومن ثمة سموا انفسهم اهل العدل والى ما صار اليه اهل السنة يشير قوله تعالى وقل رب احكم بالحق اى لا تمهل الظالم ولا تتجاوز عنه بل عجل عقوبته لكن الله تعالى يمهل من يشاء ويتجاوز عمن يشاء ويعطى من يشاء لا يسأل عما يفعل كذا فى المقاصد الحسنة للامام السخاوى (وفى المثنوى) چونكه بدكردى بترس ايمن مباش * زانكه تخمست وبروياند خداش * چند كاهى او بپوشاندكه تا * آيدت زان بد پشيمان وحيا * بارها پوشد پى اظهار فضل * بازكيرد از پى اظهار عدل * تاكه اين هردو صفت ظاهر شود * آن مبشر كردد اين منذر شود * واعلم ان الظلم مطلقا مفسد للاستعداد الفطرى الروحانى القابل للفيض الربانى ولذا لا ينجع فى الظالم الكلام الحق واكثر ما يكون من ارباب الرياسة للقدرة والغلبة وفى الحديث ان من اشراط الساعة اماتة الصلوات واتباع الشهوات وان تكون الامراء خونة والوزراء فسقة فوثب سلمان فقال بأبى وأمى أهذا كائن قال نعم يا سلمان عندها يذوب قلب المؤمن كما يذوب الملح فى الماء ولا يستطيع ان يغير قال

اويكون ذلك قال ثم يا سلمان ان اذل الناس يومئذ المؤمن يمشى بين اظهرهم بالمخافة ان تكلم اكلوه وان سكت
مات بغيظه كذا فى روضة الاخبار (قال السعدى) خبردارى از خسروان عجم * كه كردند بر زيردستان ستم *
نه آن شوكت و پادشاهى بماند * نه آن ظلم بر روستايى بماند * خطا كن تا توانى دل خلق ريش *
وكر ميكنى ميكنى بيخ خويش * اللهم احفظنا من الظلم والفساد انك حافظ العباد والبلاد (يا معشر الجن
والانس الم يأتكم) اى يقول الله تعالى يوم القيامة للثقلين جميعا ألم يأتكم فى الدنيا اى كل فريق منكم (رسل)
اى رسول معين من الله تعالى (منكم) صفة لرسل اى كائنة منكم اعلم ان الجن والانس مكلفون بالاتفاق لكن
الرسول اليهم يحتمل ان يكون من جنسهم كما كان جبريل ونحوه رسل الملائكة من جنسهم وخواص البشر رسل
الانس من انفسهم لان الجنس الى الجنس اميل والاستفادة والاستئناس فى الجنسية اظهر ويحتمل ان يكون
من غير جنسهم بأن يكون من البشر وذلك لا يمنع الاستفادة لانه يجوز أن يستفيد خواصهم من الرسل ويكونوا
رسل الرسول الى قومهم كاستفادة خواص البشر من خواص الملائكة وقد قام الاجماع على ان نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم مرسل الى الثقلين ودعا كل واحد من الفريقين الى الايمان بالله واليوم الآخر وقد كان
الانبياء قبله يبعثون الى قومهم خاصة واما سليمان عليه السلام فانه لم يبعث الى الجن بالرسالة العامة بل بالملك
والضبط والسياسة التامة فقوله تعالى رسل منكم اما محمول على المعنى الاول بان يكون الرسل من جنس
الفريقين وقد ذهب اليه الضحاك ومن تبعه حيث قالوا لا معنى للعدول عن الظاهر بغير ضرورة وأيدوه بما قال
ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى ومن الارض مثلهن فى كل ارض نبى مثل نبيكم وآدم كآدمكم ونوح
كنوح وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى وصححه صاحب آكام المرجان كيف وابن عباس رضى الله عنه
سلطان المفسرين بالاتفاق ولا معنى لقول السخاوى فى المقاصد الحسنة انه اخذه من الاسرائيليات وهذا
كما قالوا ان فى كل سماء كعبة حيالها يطوفها اهلها وكذا فى كل ارض ويناسب هذا ما قاله حضرة الشيخ
الشهير بافتاده افندى قدس سره خطابا لحضرة الهدائى الآن عوالم كثيرة يتكلم فيها محمود وافتاده كثير واما
محمول على المعنى الثانى وهو الذى ادعوا فيه الاجماع وفيه تفضيل شأن البشر فالرسل من الانس خاصة لكن لما
جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وقيل
الرسل بهم رسل الرسل وقد ثبت ان نفرا من الجن قد استمعوا القرآن وانذروا به قومهم هذا ما وفقنى الله تعالى
لترتيبه وتهذيبه فى هذا الباب والله يقول الحق ويهدى الى الصواب (يقصون عليكم آياتى) اى يقرأون عليكم
كتبى (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى يوم القيامة (قالوا) جوابا عند ذلك التوبيخ الشديد (شهدنا على انفسنا)
ان قد بلغنا وهو اعتراف منهم بالكفر واستحقاق العذاب وشهدنا انشاء الشهادة مثل بعت واشتريت فلفظ الماضى
لا يقتضى تقدم الشهادة (وغرتهم الحياة الدنيا) فلم يؤمنوا (وشهدوا على انفسهم) فى الآخرة (انهم كانوا)
فى الدنيا (كافرين) اى بالآيات والنذر التى أتى بها الرسل وهو ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا
بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة
على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (ذلك) اى ارسال الرسل (ان)
اللام مقدرة وهى مخففة اى لان الشأن (لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) اى بسبب ظلم منها (واهلها غافلون)
لم يرسل اليهم رسول يبين لهم قال البغوى وذلك ان الله تعالى اجرى السنة اى لا يأخذ احدا الا بعد وجود الذنب
وانما يكون مذنبا اذا امر فلم يأتمر ونهى فلم ينته ويكون ذلك بعد انذار الرسل وفى التفسير الفارسى استئصال
هيچ قوم نباشد الا بعد از تقدم وعيد واكر نه ايشانرا برحق حجت باشد كه لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك
قال فى التأويلات النجمية الاستعداد الروحانى لا يفسد باستيفاء الحظ الحيوانى فى الطفولية الا بعد أن يصير
العبد مستعدا لقبول فيض العقل وفيض الهام الحق عند البلوغ فيخالف الالهام ويتبع الهوى فيفسد
بذلك حسن الاستعداد لقبول الفيض الالهى كقوله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وهذا
كما انه تعالى لا يعذب قوما ما بلغتهم الدعوة حتى يبعث فيهم رسولا فيخالفونه فيعذبهم بها وقد عبر لسان
الشرع عن هذا المعنى بان لا يجرى عليه قلم تكاليف الشريعة الا بعد البلوغ بالاوامر والنواهى لانه اوان
ترقى الروح باستعمال المأمورات ونقصانه باستعمال المنهيات انتهى فعلى العاقل ان يتدارك حاله ويخاف

من الخطاب القهري يوم القيامة * كر بمحشر خطاب قهر كند * انبيارا چه جاى معذرتست *
قال الحسن البصري رحمه الله الناس فى هذه الدنيا على خمسة اصناف العلماء وهم ورثة الانبياء والزهاد
وهم الادلاء والغزاة وهم اسياف الله والتجار وهم امناء الله والملوك وهم رعاة الخلق فاذا اصبح العالم طامعا
وللمال جامعا فبمن يقتدى ولذا قال من قال * شيخ چون مائل بمال آيد مريد او معاش * مائل دينار هركز
مالك ديدار نيست * واذا اصبح الزاهد راغبا فبمن يستدل ويهتدى * اززاهدان خشك رسانى طمع مدار *
سيل ضعيف واصل دريا نميشود * واذا اصبح الغازى مرآئيا والمرآئى لا عمل له فمن يظفر بالاعداء
عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * واذا كان التاجر خائنا فمن يؤمن
ويرتضى * درين زمانه مكر جبرئيل امين باشد * واذا اصبح الملك ذئبا فمن يحفظ الغنم ويرعى * پادشاهى كه
طرح ظلم افكند * پاى ديوار ملك خويش بكند * نكند جور پيشه سلطانى * كه نيايد زكرك
چوپانى * والله ما اهلك الناس الا العلماء المداهنون والزهاد الراغبون والغزاة المرآؤون والتجار الخائنون
والملوك الظالمون وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ثم ان الاحكام الالهية قد بلغت الى كل اقليم وبلغ
الشاهد الغائب الى يومنا هذا من قديم وامتلأ الآذان من سماع الحق والكلام المطلق فلم يبق للسلطان
ولا للوزير ولا لغيرهما من الوضيع والخطير عذر ينجيه من الهلاك وقهر مالك الاملاك والتنبيه مقدم لكل خامل
ونبيه فهلاك القرى واهلها وظهور الظلمات فرعها واصلها انما هو من غفلة الانسان ايقظه الله الملك المنان
فلا تلومن عند وجود التنزل الانفس الابية وظهور التسفل الاطبعتك الغبية فقد استبان البرهان والحجة
ووضع لسالكيها المحجة ألم تسمع الى قوله تعالى فلله الحجة البالغة واراك انك ألقمت الحجر ولا تدرى مافعل بك
بل تمادى فى تعبك وتمرغ فى غضبك فعالج نفسك أيها المريض قبل الحلول الى الحضيض (ولكل) من المكلفين
من الثقلين مؤمنين كانوا اوكفارا (درجات مما عملوا) اى مراتب كائنة من اعمالهم صالحة كانت اوسيئة
فلأهل الخير درجات فى الجنة بعضها فوق بعض ولاهل الشرك دركات فى النار بعضها أشد عذابا من بعض
وفسروا الدرجات بالمراتب لان الدرجات غلب استعمالها فى الخير والثواب والكفار لاثواب لهم (وماربك
بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل من اعمالهم طاعة اومعصية والمقصود ان الله يجزى كل عامل بما عمل
(وربك الغنى) عن العباد والعبادة والغنى هو الذى لا يحتاج الى شئ فيكون وجود كل شئ عنده وعدمه سوآء
وغيره تعالى لا يسمى غنيا الا اذا لم يبق له حاجة الا الى الله تعالى فاصل الحاجة لا ينقطع عن غير الله لانه
فى وجوده وغناه يحتاج الى الغنى الحقيقى (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصى
وفى التأويلات النجمية يعنى مع غناه عن الخلق له رحمة قد اقتضت ايجاد الخلق ليربحوا عليه لا ليربح عليهم
(قال فى المثنوى) چون خلقت الخلق كى يربح على * لطف تو فرمود اى قيوم وحى * لا لان اربح
عليهم جود تست * كه شود زوجمله ناقصها درست * عفو كن اين بندكان تن پرست * عفو اى درياى
عفو اولیترست * عفو خلقان همچو جو وهمچو سيل * هم بدان درياى خود تازند خيل *
(ان يشأ يذهبكم) أيها العصاة اى يهلككم (ويستخلف) بالفارسى خليفه وجانشين شما سازد * (من بعدكم)
اى من بعد اذهابكم واهلاككم (مايشاء) اى خلقا آخر أطوع لله منكم وايثار ماعلى من لاظهار كمال الكبرياء
واسقاطهم عن رتبة العقلاء (كما انشأكم من ذرية قوم آخرين) اى من قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم
وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وفى التفسير الفارسى * همچنانكه شمارا پيدا كرد از ذريه
قومى ديكر كه پدران شما بودند (ان ما توعدون) اى الذى توعدون من البعث والعذاب (لآت) لواقع لا محالة
لا خلف فيه (وما أنتم بمعجزين) اى بفائتين ذلك وان ركبتم فى الهرب متن كل صعب وذلول (قل) لاهل مكة
(ياقوم اعملوا على مكانتكم) المكانة مصدر بمعنى التمكن وهو القوة والاقتدار اى اعملوا على غاية تمكنكم ونهاية
استطاعتكم يعنى اعملوا ما أنتم عاملون واثبتوا على كفركم وعداوتكم (انى عامل) ما كتب على من المصابرة
والثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والامر للتهديد من قبيل الاستعارة تشبيها للشر المهدد
عليه بالمأمور به الواجب الذى لابد ان يكون قال فى التأويلات النجمية اعملوا على مكانتكم اى على ما جبلتم
عليه نظيره قوله قل كل يعمل على شاكلته (فسوف تعلمون من) استفهامية اوموصولة (تكون له عاقبة الدار)

اى اينما تكون له العاقبة المحمودة التى خلق الله تعالى هذه الدار لها اوفسوف تعرفون الذى له العاقبة الحسنى فالدار دار الدنيا والعاقبة الاصلية لهذه الدار هى عاقبة الخير واما عاقبة السوء فمن نتائج تحريف الفجار (انه) اى ان الشان (لا يفلح) بسعد (الظالمون) اى الكافرون اى لا يظفرون بمرادهم وبالفارسى * بدرستى كه پيروزى ورستكارى نيابند ستمكاران يعنى كفار صاحب كشف الاسرار فرموده كه هم درين روزى بدانيد كه دنيا بكجا رسد ودولت فلاح كرا رسد ببينيد كه درويشان شكسته بال را بسراى كرامت چون خوانند وخواجكان صاحب اقبال راسوى زندان ندامت چون رانند * باش تا كل بينى آنهارا كه امروز زند جزو * باش تا كل يابى آنهارا كه امروز زند خار * تا كى ازدار الغرورى ساختن دار السرور * تا كى ازدار الغرورى ساختن دار القرار * وليس الفلاح الا فى العلم والعمل وترك الدنيا والكسل والزلل (حكى) عن بعضهم انه دخل عليه بعض الفقراء ولم يجد فى بيته شيأ من المتاع فقال اما لكم شئ قال بلى لنا داران احداهما دار أمن والاخرى دار خوف فما يكون لنا من الاموال نذخره فى دار الامن يعنى تقدمه للدار الآخرة فقال له انه لابد لهذا المنزل من متاع فقال ان صاحب هذا المنزل لايدعنا فيه وذلك ان الدنيا عارية ولابد للمعير ان يرجع فى عاريته فعاقبة الدار انما هى للاخيار الابرار الذين عملوا لله فى ليلهم ونهارهم ولم ينقطعوا عن التوجه اليه حال سكونهم وقرارهم وكان شاب يجتهد فى العبادة فقيل له فى ذلك فقال رأيت فى منامى قصرا من قصور الجنة مبنيا بلبنة من ذهب ولبنة من فضة وكذلك شرار يفه وبين كل شرافتين حورية لم ار الراؤون مثلها لما بها من الحسن والجمال وقد ارخين ذوائب شعورهن فتبسمت احداهن فى وجهى فأنارت الجنة بنور ثناياها ثم قالت يافتى جد لله تعالى فى طلبى لاكون لك وتكون لى فاستيقظت فحقيق على ان أجد فاذا كان هذا الاجتهاد فى طلب حورية فكيف بمن يطلب رب الحورية * فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ * كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد * فظهر ان الاجتهاد فى طريق الحق له عاقبة جيدة فانه موصل الى الجنة والقربة والوصلة فسيظهر اثره فى الدار الآخرة واما الظالمون الذين افسدوا استعداداتهم بما عملوا من المعاصى فانهم لا يفلحون بمثل هذه السعادة بل يرجعون الى دار البوار وحالهم فى الدنيا هى الخسارة لا غير فان الباطل يفور ثم يغور والدولة فى الدنيا والآخرة لاهل الايمان والخلاص من التنزل لا يحصل الا بالايمان فمن دخل فى حصن الايمان وقوة اليقين يترقى الى ماشاء الله تعالى من الدرجات والشيطان وان كان ينبح عليه خارج الحصن لكنه لا يضره وفى الحديث جددوا ايمانكم هو المراد الانتقال من مرتبة الى مرتبة فان أصل الايمان قدتم بالاول ولكن الايمان على ثمانى عشرة مرتبة والعناية من الله تعالى وتوحيد كل شخص على قدر يقينه وهو قد يكون على قدر يقينه فى ملك وجوده وقد لا يكون على قدر هذا اليقين فالذين يظهرون الدعوى فتوحيدهم فى ملك وجودهم فقط فلو أنهم جاوزوا الى هذا اليقين لندموا عليها ورغبوا عن انفسهم فعلى العاقل أن لايسامح فى باب الدين بل يجتهد فى تحصيل اليقين فان الاجتهاد باب لهذا التحصيل ووسيلة فى طريقة التكميل وان كان الله تعالى هو الموصل برحمته الخاصة والمؤثر فى كل الامور اللهم اجعلنا من اهل التوحيد الحقانى وشرفنا بالايمان العيانى فانك الغنى ونحن الفقراء (وجعلوا) اى مشركوا العرب (لله مما ذرأ) اى خلق (من الحرث) اى الزرع (والانعام نصيبا) ولشركائهم ايضا نصيبا (فقالوا هذا) النصيب (لله بزعمهم) اى بادعائهم الباطل من غير أن يكون ذلك بامر الله تعالى (وهذا لشركائنا) اى آلهتنا التى شاركونا فى اموالنا من المتاجر والزروع والانعام وغيرها فهو من الشركة لا من الشرك والاضافة الى المفعول (روى) انهم كانوا يعينون شيأ من الحرث والنتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيأ منهما لالهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحونه عندها ثم ان رأوا ماعينوا لله ازكى رجعوا وجعلوه لآلهتهم وان رأوا مالا لهتهم ازكى تركوه معتلين بان الله تعالى غنى وماذلك الا لحب آلهتهم وايثارهم لها (فما كان لشركائهم) من نماء الحرث والانعام (فلا يصل الى الله) اى الى المساكين والاضياف وقالوا لوشاء الله زكى نصيب نفسه (وما كان لله) من ذلك النماء (فهو يصل الى شركائهم) بذبح النسائك عندها والاجراء على سدنتها لانهم اذا لم ينم نصيب الآلهة يبدلون ذلك النامى الذى عينوه لله تعالى ويجعلونه لآلهتهم (ساء ما يحكمون) اى ساء الذى يحكمون حكمهم فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة

القربان بين الله تعالى وبين الهتهم (زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم) اى اولياؤهم من الجن اومن السدنة فقوله قتل مفعول زين وشركاؤهم فاعله وكان أهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر أومن التزويج اومن السبى وكان الرجل منهم يحلف بالله لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله روى أن عبد المطلب رأى فى المنام انه يحفر زمزم ونعت له موضعها وقام يحفر وليس له ولد يومئذ الا الحارث فنذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا لينحرن أحدهم لله تعالى عند الكعبة فلما تموا عشرة أخبرهم بنذره فاطاعوه وكتب كل واحد منهم اسمه فى قدح فخرج على عبد الله فاخذ الشفرة لينحره فقامت قريش من انديتها فقالوا لا تفعل حتى ننظر فيه فانطلق به الى عرافة فقالت قربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم واذا خرجت على الابل فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فقربوا من الابل عشرا فخرج على عبد الله فزاد عشرا عشرا فخرجت فى كل مرة على عبد الله الى أن قرب مائة فخرج القدح على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا سبع ولذلك قال عليه السلام انا ابن الذبيحين يريد اباه عبد الله واسمعيل عليه السلام (ليردوهم) اى ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة لظهور أن قصد السدنة لم يكن الارداء واللبس وانما كان ذلك قصد الشياطين (ولو شاء الله) اى عدم فعلهم ذلك (ما فعلوه) اى ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل (فذرهم وما يفترون) الفاء فصيحة اى اذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم على الله انه امرهم بدفن بناتهم احياء فان الله تعالى مع قدرته عليهم تركهم فاتركهم انت فان لهم موعدا يحاسبون فيه ولله تعالى فيما شاء حكم بالغة (وقالوا هذه) اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم (انعام وحرث حجر) اى حرام (لا يطعمها) بالفارسى بچشد ونخورد آنرا (الا من نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (بزعمهم) اى قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة (وانعام) خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه انعام اى قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم اى وهذه انعام (حرمت ظهورها) يعنون بها البحائر والسوائب والحوامى (وانعام) اى وهذه انعام كما مر وقوله تعالى (لا يذكرون اسم الله عليها) صفة لانعام لكنه غير واقع فى كلامهم المحكى كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما فى قوله تعالى انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله على احد التفاسير كأنه قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التى لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام (افتراء عليه) اى افتروا على الله افتراء يعنى انهم يفعلون ذلك ويزعمون ان الله تعالى امرهم به (سيجزيهم) بالفارسى زود باشد كه خدا جزا دهد ايشانرا (بما كانوا يفترون) اى بسبب افترائهم (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام) يعنون به اجنة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا) اى حلال للرجال خاصة دون الاناث وتأنيث خالصة محمول على معنى ما وتذكير محرم محمول على لفظه وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا (وان يكن ميتة) اى ولدت ميتة (فهم فيه) اى ما فى بطون الانعام (شركاء) يأكلون منه جميعا ذكورهم واناثهم (سيجزيهم وصفهم) اى جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى فى امر التحليل والتحريم (انه حكيم عليم) تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذى هو من مقتضيات الحكمة (قد خسر الذين قتلوا اولادهم) جواب قسم محذوف وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبى والفقر اى خسروا دينهم ودنياهم بالفارسى زيان كردند (سفها بغير علم) متعلق بقتلوا على انه علة له وبغير علم صفة لسفها اى لخفة عقلهم وجهلهم بان الله تعالى هو الرزاق لهم ولاولادهم (وحرموا) على انفسهم (ما رزقهم الله) من البحائر ونحوها (افتراء على الله) اى افتروا على الله افتراء حيث قالوا ان الله امرهم بها (قد ضلوا) عن الطريق المستقيم (وما كانوا مهتدين) اليه وان هدوا بفنون الهدايات روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اصحابه كان لا يزال مغتما بين يديه فقال عليه السلام مالك تكون محزونا فقال يارسول الله انى قد اذنبت فى الجاهلية ذنبا فاخاف أن لا يغفر لى وان أسلمت فقال عليه السلام اخبرنى عن ذنبك فقال يارسول الله انى كنت من الذين يقتلون بناتهم فولدت لى بنت فشفعت الى امرأتى أن اتركها فتركتها حتى كبرت وأدركت

فصارت من اجمل النساء فخطبوها فدخلت علىّ الحمية ولم يتحمل قلبى ان ازوجها اواتركها فى البيت بغير زوج فقلت للمرأة انى اريد ان اذهب الى قبيلة كذا فى زيارة اقربائى فابعثيها معى فسرّت بذلك وزينتها بالثياب والحلل واخذت علىّ المواثيق بان لااخونها فذهبت بها الى رأس بئر فنظرت فى البئر ففطنت الجارية بى انى اريد ان ألقيها فى البئر فالتزمتنى وجعلت تبكى وتقول ياأبى اى شئ تريد أن تفعل بى فرحمتها ثم نظرت فى البئر فدخلت علىّ الحمية ثم التزمتنى وجعلت تقول ياأبى لاتضيع امانة أمى فجعلت مرة انظر الى البئر ومرة انظر اليها وارحمها وغلبنى الشيطان فأخذتها وألقيتها فى البئر منكوسة وهى تنادى فى البئر ياأبى قتلتنى فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت فبكى رسول الله وقال لوامرت ان اعاقب أحدا بما فعل فى الجاهلية لعاقبتك بما فعلت واعلم انهم لما انسدّ عليهم طريق الثقة بالله حملتهم خشية الفقر على قتل الاولاد ولذلك قال اهل التحقيق من امارات اليقين وحقائقه كثرة العيال على بساط التوكل قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر من دخل هذا الطريق وهو ذو زوج فلايطلق اوعزب فلا يتزوج حتى يكمل فاذا كمل فهو فى ذلك على مايلقى اليه ربه انتهى واختار اكثر الكمل موت اولادهم لان كل مايشغل الطالب عن الله من الاموال والاولاد فهو فتنة ومنهم ابراهيم بن ادهم حيث اجتمع بولده بمكة فرأى فى قلبه ميلا اليه فقال الهى أمتنى اوهذا مشيرا الى ولده فمات والانسب ان يدفعه من قلبه بالتوحيد ولايدعو عليه بالموت لان الدعاء تصرّف من عند نفسه والمتصرّف فى الحقيقة هو الله فاذا ادخل عبده فى امر لايتولى العبد اخراج نفسه منه بل يصبر وينتظر الى امر الله تعالى وقلة المال مع كثرة العيال والصبر عليها من المجاهدات المعتبرة عند السلاك قال حضرة الشيخ افتاده افندى خطابا لحضرة الهدايى اذا اظهر اهل بيتك جوعا شديدا ورأيتهم قداشرفوا على الهلاك فعليك ان تتوكل على الله وتسلم الامر اليه بان تقول عن صميم قلبك لابمجرد لسانك الهى انا عبد ذليل مثلهم وهم عبادك فاحرى وامرهم اليك لااحل انابينك وبين عبادك يتم المقصود بالسهولة ويقضى الرب جميع حوائجك قال ويكون توكل الطالب على وجه لوأن اولاده ماتوا من الجوع لماترحم عليهم بل قال هذا الرب وهذا عبده وافوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد (قال الصائب) فكر آب اودانه دركنج قفس بيحاصلست * زير چرخ انديشهٔ روزى چرا باشد مراد (وهو الذى انشا) اى خلق يقال نشأ الشئ نشأة اذا ظهر وارتفع وانشأه الله تعالى اى اظهره ورفعه (جنات) اى بساتين من الكروم (معروشات) اى مرفوعات على مايحملها من خشب ونحوه (وغير معروشات) ملقيات على وجه الارض فان بعض الاعناب يعرش وبعضها لايعرش بل يلقى على وجه الارض منبسطا اوالمعروشات الاعناب التى يجعل لها عروش وغير المعروشات كل مانبت منبسطا على وجه الارض مثل القرع والبطيخ اوالمعروشات مايحتاج الى ان يتخذله عريش يحمل عليه فيمسكه وهو الكرم ومايجرى مجراه وغير المعروش مالايحتاج اليه بل يقوم على ساقه كالنخل والزرع ونحوهما من الاشجار والبقول اوالمعروشات مايحصل فى البساتين والعمرانات مما يهتم به الناس ويغرسونه وغير المعروشات ماأنبته الله تعالى فى البرارى والجبال (والنخل والزرع) اى أنشاهما وافرادهما بالذكر مع انهما داخلان فى الجنات لكونهما أعم نفعا من جملة مايكون فى البساتين والمراد بالزرع ههنا جميع الحبوب التى يقتات بها (مختلفا أكله) حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء اى انشأ كل واحد منهما فى حال اختلاف ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية قال البغوى ثمره وطعمه منها الحلو والحامض والجيد والردى (والزيتون والرمان) اى أنشأهما (متشابها وغير متشابه) نصب على الحالية اى يتشابه بعض افرادهما فى اللون والهيئة والطعم ولايتشابه بعضها مثل الرمانين لونهما واحد وطعمهما مختلف (كلوا من ثمره) اى من ثمر كل واحد من ذلك (اذا اثمر) وان لم يدرك ولم يينع بعد وفائدة التقييد بقوله اذا اثمر اباحة الاكل منه قبل ادراكه وينعه (وآتوا حقه يوم حصاده) اشهر الاقوال على ان المراد ماكان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد اى يوم قطع العنب والنخل ونحوهما بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار حتى نسخه افتراض العشر فيمايسقى بماء السماء ونصف العشر فيمايسقى بالدلو والدالية ونحوهما (ولاتسرفوا) اى فى التصدق كماروى أن ثابت بن قيس جذ خمسمائة نخلة فقسمها فى يوم واحد ولم يترك لاهله شيأ وقدجاء فى الخبر ابدأ بمن تعول وقيل الخطاب للسلاطين

اى لا تأخذوا فوق حقكم (انه لا يحب المسرفين) اى لا يرضى فعلهم (ومن الانعام) اى انشأ من الانعام (حمولة) ما يحمل عليه الاثقال (وفرشا) وما يفرش للذبح او يتخذ من صوفه ووبره وشعره ما يفرش ولعله من قبيل التسمية بالمصدر (كلوا مما رزقكم الله) من تبعيضية وما عبارة عن الحمولة والفرش اى كلوا بعض ما رزقكم الله اى حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم وتخصيص الاكل بالذكر من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه فى السائبة واخواتها لكونه معظم ما ينتفع به ويتعلق به الحل والحرمة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) اى لا تسلكوا الطريق التى سولها الشيطان لكم فى امر التحليل والتحريم فانه لا يدعوكم الا الى المعصية (انه لكم عدو مبين) اى ظاهر العداوة وقد أبان عداوته لابيكم آدم عليه السلام (ثمانية ازواج) بدل من حمولة وفرشا والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل فالاثنان المصطحبان يقال لهما زوجان لا زوج فعلى هذا يتول مقراضان ومقصان لا مقراض ومقص لانهما اثنان والمراد بالازواج الثمانية الانواع الاربعة لانها باعتبار مزاوجها ثمانية (من الضأن اثنين) بدل من ثمانية ازواج اى انشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة والضأن معروف وهو ذو الصوف من النعم (ومن المعز اثنين) اى انشأ من المعز زوجين التيس والعنز والمعز ذو الشعر من النعم (قل) لهم يا محمد (آلذكرين) من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس (حرم) اى الله تعالى كما تزعمون انه هو المحرم (ام الانثيين) وهما النعجة والعنز (اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) اى ام ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى (نبئونى بعلم) اى اخبرونى بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيأ مما ذكر (ان كنتم صادقين) فى دعوى التحريم عليه سبحانه (ومن الابل اثنين) عطف على قوله تعالى من الضأن اثنين اى وانشأ من الابل اثنين هما الجمل والناقة (ومن البقر اثنين) ذكرا وانثى (قل) افحاما لهم ايضا (آلذكرين) منهما (حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله تعالى حرم عليهم شيأ من الانواع الاربعة ذكرا وانثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة كالحام فانه اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموه ولم يمنعوه ماء ولا مرعى وقالوا انه قد حمى ظهره وكالوصيلة فان الشاة اذا ولدت انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها ويحرمون اناثها تارة كالبحيرة والسائبة فانه اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وكانوا اذا ولدت النوق البحائر والسوائب فصيلا حيا حرموا لحم الفصيل على النساء دون الرجال وان ولدت فصيلا ميتا اشترك الرجال والنساء فى لحم الفصيل ولا يفرقون بين الذكور والاناث فى حق الاولاد (ام كنتم شهداء) ام منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اى بل أكنتم حاضرين شاهدين (اذ وصاكم الله بهذا) اى حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبى فلا طريق لكم حسبما يؤول اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم (ليضل الناس) متعلق بافترى قال سعدى چلپى المفتى الظاهر ان اللام للعاقبة (بغير علم) حال من فاعل يضل اى ملتبسا بغير علم بما يؤدى بهم اليه (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا وآجلا فاذا نفى الهداية عن الظالم فما ظنك بمن هو أظلم (قل لا أجد فيما اوحى الىّ) طعاما (محرما) من المطاعم التى حرموها (على طاعم) اى طاعم كان من ذكر أو انثى ردا على قولهم ومحرم على ازواجنا وقوله تعالى (يطعمه) لزيادة التقرير (الا ان يكون) ذلك الطعام (ميتة) لم تذك وهى التى تموت حتف انفها (او دما مسفوحا) اى مصبوبا كالدماء التى فى العروق لا كالطحال والكبد فانهما جامدان وقد جاء الشرع باباحتهما وفى الحديث احلت لنا ميتتان ودمان والمراد من الميتتين السمك والجراد ومن الدمين الكبد والطحال وما اختلط باللحم من الدم وقد تعذر تخليصه من اللحم عفو مباح لانه ليس بسائل ايضا (او لحم خنزير فانه) اى الخنزير (رجس) اى قذر لتعوده اكل النجاسة قال الحدادى كل ما استقذرته فهو رجس ويجوز أن يعود الضمير الى اللحم وتخصيصه مع ان لحمه وشحمه وشعره وعظمه وسائر ما فيه كله حرام لكونه أهم ما فيه فان اكثر ما يقصد من الحيوان المأكول اللحم فالحل والحرمة يضاف اليه اصالة ولغيره

تمام قال سعدى جلبى المفتى الاصل عود الضمير الى المضاف لانه المقصود والمضاف اليه لتعريفه وتخصيصه (اوفسقا) عطف على لحم خنزير (اهل لغير الله به) صفة موضحة اى ذبح على اسم الاصنام وانما سمى ذلك فسقا لتوغله فى الفسق (فمن اضطر) اى اصابته الضرورة الداعية الى تناول شئ من ذلك (غير باغ) على مضطر مثله (ولا عاد) قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم) مبالغ فى المغفرة والرحمة لايؤاخذه بذلك والآية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد فيما اوحى اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك فى شئ آخر قال فى التأويلات النجمية يشير بالميتة الى ميتة الدنيا فانها جيفة مستحيلة كما قال بعضهم

وما هى الا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها

فان تجتنبها كنت سلما لاهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها

وفى الحديث اوحى الله الى داود ياداود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها أفتحب أن تكون كلبا مثلهم فتجر معهم (قال الحافظ) هماى چون توعالى قدر حرص استخوان حيفست * دريغا سايهٔ همت كه برنا اهل افكندى * والدم المسفوح هو الشهوات واللذات التى يهراق عليها دم الدين ولحم الخنزير هو كل رجس من عمل الشيطان كما قال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وحقيقة الرجس الاضطراب عن طريق الحق والبعد منه كما جاء فى الخبر لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس ايوان كسرى اى اضطرب وتحرك حركة سمع لها صوت فالرجس ما يبعدك عن الحق اوفسقا اهل لغير الله به اى خروجا عن طلب الحق فى طلب غير الحق (قال السعدى) خلاف طريقت بود كاوليا * تمنا كنند ازخدا جزخدا * فالشروع فى هذه الاشياء محرم لانها تحرمك من الله وقرباته الا ان يكون بقدر ما يدفع الحاجة الانسانية فان الضرورات تبيح المحظورات قال بعضهم فى قوله عليه السلام تمعددوا واخشوشنوا اى اقتدوا بمعد بن عدنان والبسوا الخشن من الثياب وامشوا حفاة فهو حث على التواضع ونهى عن الافراط فى الترفه والتنعم كما قال عليه السلام اياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين * بناز ونعمت دنيا منه دل * كه دل برداشتن كاريست مشكل * فعلى العاقل ان يكون ازهد الناس فى الدنيا ويتجرد عن الاسباب كالانبياء وكمل الاولياء وعن بعضهم قال رأيت فقيرا ورد على بئر ماء فى البادية فأدلى ركوته فيها فانقطع حبله ووقعت الركوة فيها فاقام زمانا وقال وعزتك لا ابرح الا بركوتى اوتأذن لى فى الانصراف عنها قال فرأيت ظبية عطشانة جاءت الى البئر ونظرت فيها وفاض الماء وطفح على البئر واذا بركوته على فم البئر فاخذها وبكى وقال الهى ما كان لى عندك محل ظبية فهتف به هاتف يامسكين جئت بالركوة والحبل وجاءت الظبية ذاهبة عن الاسباب لتوكلها علينا ففى هذه الحكاية ما يدل على كمال الانقطاع عن غير الله تعالى (وعلى الذين هادوا) اى على اليهود خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين (حرمنا كل ذى ظفر) كل ماله اصبع سواء كان ما بين اصابعه منفرجا كانواع السباع والكلاب والسنانير اولم يكن منفرجا كالابل والنعام والاوز والبط وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم (ومن البقر والغنم) متعلق بقوله (حرمنا عليهم شحومهما) لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكليتين (الا ما حملت ظهورهما) استثناء من الشحوم اى الا ما اشتملت على الظهور والجنوب من شحم الكتفين الى الوركين من داخل وخارج (اوالحوايا) عطف على ظهورهما اى اوالا الذى حملته الامعاء واشتمل عليها جمع الحوية كما فى الصحاح وهى المباعر والمصارين (اوما اختلط بعظم) عطف على ما حملت وهو شحم الالية واختلاطه بالعظم اتصاله بالعصعص وهو عجب الذنب اى عظمه واصله ويقال انه اول ما يخلق وآخر ما يبلى (ذلك) الجزاء (جزيناهم) اى اليهود (ببغيهم) اى بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق واخذهم الربا واكلهم اموال الناس بالباطل وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شئ مما احل لهم وقد انكروا ذلك وادعوا انها لم تزل محرمة على الامم الماضية فرد عليهم ذلك وأكد بقوله تعالى (وانا لصادقون) اى فى الاخبار عن كل شئ لاسيما فى الاخبار عن التحريم المذكور وفى الاخبار عن بغيهم (فان كذبوك) اى اليهود والمشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال (ولا يرد بأسه) عذابه (عن القوم المجرمين) حين ينزل (سيقول الذين أشركوا لوشاء الله) عدم اشراكنا

ما اشركنا

(ما أشركنا) نحن (ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) أرادوا به أن ما فعلوه حق مرضى عند الله تعالى (كذلك) اى كهذا التكذيب وهو قولهم انا انما أشركنا وحرمنا لكون ذلك مشروعا مرضيا عند الله تعالى وانك كاذب فيما قلت من أن الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرمتموه (كذب الذين من قبلهم) اى متقدموهم الرسل (حتى ذاقوا) غاية لامتداد التكذيب (بأسنا) الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم (قل هل عندكم من) زائدة (علم) من امر معلوم يصح الاحتجاج به على مازعمتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه لنا (ان تتبعون الا الظن) اى ما تتبعون فيما انتم عليه من الشرك والتحريم الا الظن الباطل من غير علم ويقين (وان انتم الا تخرصون) تكذبون على الله تعالى (قل فلله الحجة البالغة) الفاء جواب شرط محذوف اى واذا قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اى البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ بها اصحابها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان (فلو شاء) هدايتكم جميعا (لهداكم اجمعين) بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم لصرف اختيارهم الى سلوك طريق الحق وضلال آخرين لصرف هممهم الى خلاف ذلك (قل هلم) اسم فعل اى أحضروا (شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا) وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم ومذهبهم لا من يشهد بصحة دعواهم كائنا من كان ولذلك قيد الشهداء بالاضافة اليهم وانما أمر واباستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم (فان شهدوا) بعد ما حضروا بان الله تعالى حرم هذا (فلا تشهد معهم) اى فلا تصدقهم فانه كذب محض وبين لهم فساده (ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة) كعبدة الاوثان والموصول الثانى عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف فان من يكذب باياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس (وهم بربهم يعدلون) اى يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهى المذكور بل على ان اولئك جامعون لها متصفون بكلها واعلم ان الله تعالى أحل الطيبات وردّ ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من تحريم من عند انفسهم لان الدين يبتنى على الوحى لا على الهوى وحرم الخبائث كالخمر والميتة والدم والخنزير وغير ذلك اى تناولها وبيعها لان ما يحرم تناوله يحرم بيعه واكل ثمنه بخلاف ما اذا كان الانتفاع بغير ذلك كشحوم الميتة فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فان ذلك ليس بحرام وما حرمه الله تعالى اما ان يكون بلاء ونقمة كافعل اليهود وجزاء على انفسهم واما ان يكون رحمة ومنة لعلمه ان فيه ضررا نفسانيا اوروحانيا فالنفسانى كضرر السم وامثاله والروحانى كضرر لحوم السباع والمؤذيات وامثالها فانه يتعدى اخلاقها تغير الاخلاق الروحانية كما قال عليه السلام الرضاع يغير الطباع ومن ثم لما دخل الشيخ ابو محمد الجوينى بيته ووجد ابنه الامام ابا المعالى يرتضع ثدى غير أمه اختطفه منها ثم نكس رأسه ومسح بطنه وادخل اصبعه فى فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى خرج ذلك اللبن قائلا يسهل على موته ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه ثم لما كبر الامام كان اذا حصلت له كبوة فى المناظرة يقول هذه من بقايا تلك الرضعة فعلم ان من ارتضع امرأة فالغالب عليه اخلاقهما من خير وشر وكذا لحوم الحيوانات لها تأثير عظيم وفى الحديث عليكم بالبان البقر وسمنانها واياكم ولحومها فان ألبانها وسمنانها دواء وشفاء ولحومها داء وقد صح ان النبى عليه السلام ضحى عن نسائه بالبقر قال الحليمى هذا ليبس الحجاز ويبوسة لحم البقر ورطوبة لبنها وسمنها فكأنه يرى اختصاصه ذلك به وهذا التأويل المستحسن والا فالنبى عليه السلام لا يتقرب الى الله تعالى بالداء فهو انما قال ذلك فى البقر لتلك اليبوسة وجواب آخر انه عليه السلام ضحى بالبقر لبيان الجواز اولعدم تيسر غيره كذا فى المقاصد الحسنة ومن فوائد سمن البقر انه لو شرب منه على الريق خمسين درهما ينفع للجنون ويؤثر فى دفعه قال الفقيه ابو الليث يستحب للرجل ان يعرف من الطب مقدار ما يمتنع به عما يضر بدنه لان العلم علمان علم الابدان ثم علم الاديان واجاز عامة العلماء التداوى بالمحرمات عند الضرورة كاساغة اللقمة بالخمر اذا غص وفى الاشباه الطعام اذا تغير واشتد تغيره تنجس وحرم واللبن والزيت والسمن اذا انتن لا يحرم اكله والدجاجة اذا ذبحت ونتف ريشها واغليت فى الماء قبل شق بطنها صار الماء نجسا وصارت نجسة بحيث لا طريق لاكلها الا ان تحمل الهرة اليها لان تحمل الى الهرة فعلى العاقل ان يحترز عن الحرام وعما يضر بالبدن ومن المضر الامتلاء كما قال عليه السلام

رأس الدآء الامتلاء ورأس الدوآء الاحتماء * ان حكيمى كه در حكمت سفت * كل قليلا تعش كثيرا
كفت (قال السعدى قدس سره) ندارندتن پروران آكهى * كه پرمعده باشد زحكمت تهى * ومن الله
التوفيق (قل) يا محمد لكفار مكة (تعالوا) امر من تعالى والاصل فيه ان يقوله من فى مكان عال لمن هو
اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم فتكلم به كل من طلب ان يتقدم ويقبل اليه شخص سوآء كان الطالب فى علو
اوسفل اوغيرهما (أتل) جواب الامر اى اقرأ (ما حرّم ربكم) اى الذى حرمه ربكم اى الآيات المشتملة
عليه (عليكم) متعلق بحرّم (ان) مفسرة (لا) ناهية (تشركوا به) تعالى (شيأ) من الاشياء فتقدير الكلام ذلك
التحريم هو قوله لا تشركوا به شيأ اعلم ان هذه الآيات الثلاث الى قوله لعلكم تتقون تشتمل على عشر خصال جامعة
للخير كله لم ينسخهن شئ من جميع الكتب فهن محرمات على بنى آدم كلهم لم يختلفن باختلاف الامم والاعصار
من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار اولاهن قوله لا تشركوا به شيأ قدم الشرك لانه رأس
المحرمات ولا يقبل الله تعالى معه شيأ من الطاعات وهو ينقسم الى جلى وخفى فالجلى عبادة الاصنام والخفى
رؤية الاغيار مع الله الواحد القهار * تادم وحدت زدى حافظ شوريده حال * خامه توحيد كش
بر ورق اين وآن (وبالوالدين احسانا) اى واحسنوا بهما احسانا اى لا تسيئوا اليهما لان المحرم هو الاساءة
والامر بالشئ مستلزم للنهى عن ضده وكذا معنى اوفوا لا تبخسوا وانما وضع الامر موضع النهى للمبالغة فى
ايجاب مراعاة حقوقهما فان مجرد ترك الاساءة غير كاف فى قضاء حقوقهما وهذا هو الامر الثانى من الاحكام
العشرة وانما ذكر بعد تحريم الشرك تحريم العقوق لان الوالدين سببان قريبان لوجوده كما ان الله تعالى
موجده فالتقاعد عن اداء حقوقهما عقوق فهو اكبر الكبائر بعد الشرك قال بعض الاولياء كنت فى تيه
بنى اسرآئيل فاذا رجل يماشينى فتعجبت منه والهمت انه الخضر فقلت له بحق الحق من أنت قال انا أخوك الخضر
قلت بأى وسيلة رأيتك قال ببرك أمك * جنت كه سراى مادرانست * زير قدمات مادرانست
(ولا تقتلوا أولادكم) اى لا تدفنوا ابناتكم حية (من املاق) من أجل فقر والاملاق نفاد الزاد والنفقة يقال
املق الرجل اذا نفد زاده ونفقته من الملق وهو بذل المجهود فى طلب المراد (نحن نرزقكم واياهم) لا أنتم
فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وهذا هو الحكم الثالث من الاحكام العشرة وانما حرم قتل
الاولاد لما فيه من هدم بنيان الله وملعون من هدم بنيانه وفيه ابطال ثمرة شجرته ومحصوده وقطع نسله وترك
التوكل فى امر الرزق يؤدى الى تكذيب الله تعالى لانه قال وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها * ما آبروى
فقر وقناعت نمى بريم * باپادشه بكوى كه روزى مقدرست (ولا تقربوا الفواحش) اى الزنى وجئ بصيغة
الجمع قصدا الى النهى عن انواعها ولذلك ابدل منها بدل اشتمال قوله (ما ظهر منها وما بطن) اى ما يفعل منها
علانية فى الحوانيت كما هو دأب ارذالهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة اشرافهم وهذا هو الحكم
الرابع منها وتوجيه النهى الى قربانها للمبالغة فى النهى عنها ويدخل فى ذلك ما يبعده من الجنة ويدنيه من النار
وهو ما ظهر وما يبعده من الحق ويحجبه عنه وان لم يحجبه عن الجنة ولم يبعده منها وهو ما بطن وايضا ما ظهر
منها بالفعل وما بطن بالنية ومن الزنى زنى النظر * اين نظر ازدور چون تيرا ست بسم * عشقت افزون
ميشود صبر تو كم * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الشيطان من الرجل فى ثلاثة منازل فى عينيه
وفى قلبه وفى ذكره وهو من المرأة فى ثلاثة منازل فى عينيها وفى قلبها وفى عجزها (ولا تقتلوا النفس التى حرّم
الله) اى حرّم قتلها بأن عصمها بالاسلام اوبالعهد فيخرج منها الحربى (الا بالحق) استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اى لا تقتلوها فى حال من الاحوال الا حال ملابستكم بالحق الذى هو أمر الشرع بقتلها وذلك
بالكفر بعد الايمان والزنى بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة وهذا هو الحكم الخامس وفى القتل ترك تعظيم
امر الحق وترك الشفقة على الخلق وهما ملاك الدين والاشارة ان القتل الحق هو القتل فى طلب الحق والمقتول
فى سبيل الله هو حى عند ربه وعن ابى سعيد الخراز كنت بمكة فجزت يوما بباب بنى شيبة فرأيت شابا حسن
الوجه ميتا فنظرت فى وجهه فتبسم فى وجهى وقال لى يا أبا سعيد أما علمت أن الاحباب احياء وان ماتوا
وانما ينقلون من دار الى دار * مشو بمرك زامداد اهل دل نوميد * كه خواب مردم آكاه عين
بيداريست (ذلكم) اشارة الى ما ذكر من التكاليف الخمسة (وصاكم به) اى امركم ربكم بحفظه امرا موكدا

(لعلكم تعقلون) اى تستعملون عقولكم التى تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة
(ولا تقربوا مال اليتيم) اى لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه واليتيم من الانسان من لا اب له ومن الحيوان من
لا أم له والخطاب للاولياء والاوصياء (الا بالتى هى احسن) الا بالخصلة التى هى احسن ما يفعل بماله كحفظه
وتثميره (حتى يبلغ أشده) غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهى كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ
سلموه اليه وجعل ابو حنيفة غاية الاشد خمسا وعشرين سنة فاذا بلغها دفع اليه ماله ما لم يكن معتوها قال
الجوهرى حتى يبلغ اشده اى قوته وهو ما بين ثمانى عشرة الى ثلاثين وهو واحد جاء على بناء الجمع مثل آنك وهو
الاسرب ولا نظير لهما وكان سيبويه يقول واحده شدة وهذا هو الحكم السادس وانما وصى الله تعالى بحفظ
مال اليتيم لانه عاجز فتولى الله امره وأمر بالشفقة والنظر فى حقه * الا تا نكريد كه عرش عظيم *
بلرزد همى چون بكريد يتيم * (واوفوا الكيل) فى المكيلات اى أتموه ولا تنقصوا منه شيأ (والميزان)
فى الموزونات وهو بالفارسى ترازو (بالقسط) حال من فاعل اوفوا اى اوفوهما مقسطين اى ملتبسين
بالقسط وهو العدل فان قيل ايفاء الكيل والميزان هو عين القسط فما فائدة التكرير قلنا ان الله تعالى امر المعطى
بايفاء ذى الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق بأخذه من غير طلب زيادة (لا نكلف نفسا الا وسعها)
الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر للايذان بأن مراعاة العدل عسير فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه
معفو عنكم فاذا اجتهد الانسان فى الكيل والوزن ووقعت فيه زيادة يسيرة اونقصان يسير لم يؤاخذ به
اذا اجتهد جهده وان اعيد الكيل على ذلك فزاد اونقص لم يثبت التراجع اذا كان ذلك القدر من التفاوت
مما يقع بين الكيلين واما التقصير القصدى فليس بمعفو وينبغى الاحتياط بقدر الامكان (روى عن بعضهم)
انه قال لبعض الناس وهو فى النزع وكان يعامل الناس بالميزان قل لا اله الا الله فقال ما أقدر اقولها لسان
الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها قال فقلت له اما كنت توفى الوزن قال بلى ولكن ربما كان يقع فى الميزان
شئ من الغبار لا اشعر به وعن مالك بن دينار انه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من النار بين
يدى اكاف الصعود عليهما قال مالك فسألت اهله فقالوا كان له مكيالان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر
فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما ازداد الامر الا شدة وهذا
هو الحكم السابع والاشارة اوفوا بكيل العمر وميزان الشرع حقوق الربوبية واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان
الاقتصاد حظوظ العبودية من الالوهية لا نكلف نفسا فى ايفاء الحقوق واستيفاء الحظوظ الا بحسب
استعدادها (ع) هركس بقدر بال ور خويش مى برد (واذا قلتم) قولا فى حكومة اوشهادة اونحوهما (فاعدلوا)
فيه (ولو كان) المقول له اوعليه (ذا قربى) اى ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا لان مدار الامر اتباع الحق
المشروع وطلب مرضاة الله تعالى فلا فرق بين ذى قرابة واجنبى وهذا هو الحكم الثامن وحقيقة العدل فى
الكلام ان يذكر الله ولا يذكر معه غيره وان يتكلم لله وفى الله وبالله وهذا لا يتيسر الا لارباب التحقيق فان كلام
غيرهم مشوب بالغرض والدعوى * بانك هدهد كر بياموزد فتى * رازهدهد كو وپيغام سبا
(وبعهد الله اوفوا) اى ما عهد اليكم اى عهد كان من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع وغيرهما فهو
مضاف الى الفاعل او ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور فهو مضاف الى المفعول ويحتمل أن يراد به العهد
بين الانسانين ويكون اضافته الى الله تعالى من حيث انه أمر بحفظه والوفاء به * وفاء عهد نكو باشد ار
بياموزى * وكرنه هركه تو بينى ستمكرى داند * وهذا هو الحكم التاسع وحقيقة العهد ان لا يعبد الا مولاه
ولا يحب الا اياه ولا يرى سواه * ازدم صبح ازل تا آخر شام ابد * دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود *
(ذلكم) اشارة الى ما فصل من التكاليف الاربعة (وصاكم به) امركم به امرا مؤكدا (لعلكم تذكرون) تتذكرون
ما فى تضاعيفه وتعملون بمقتضاه (وان) بتقدير اللام علة للفعل المؤخر اى ولان (هذا) اى ما ذكر فى هذه
السورة من اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة (صراطى) اى مسلكى وشريعتى وسمى الشرع طريقا
لانه يؤدى الى الثواب فى الجنة ومعنى اضافته الى ضميره عليه السلام انتسابه اليه من حيث السلوك لا من
حيث الوضع كما فى صراط الله (مستقيما) حال مؤكدة اى مستويا قويما (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) اى الطرق
المختلفة التى عدا هذا الطريق مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل (فتفرق بكم) منصوب باضمار ان بعد الفاء

فى جواب النهى أصله فتتفرق حذفت منه احدى التاءين والباء للتعدية اى فتفرقكم وتزيلكم (عن سبيله) اى عن دين الله الذى ارتضى وبه أوصى وهو الاسلام وفيه تنبيه على أن صراطه عليه السلام عين سبيله تعالى وهذا هو العاشر من الخصال * خلاف پيغمبر كسى ره كزيد * كه هركز بمنزل نخواهد رسيد * محالست سعدى كه راه صفا * توان رفت جز در پى مصطفا (ذلكم) اى اتباع سبيله وترك اتباع سائر السبل (وصاكم به لعلكم تتقون) اتباع سبيل الكفر والضلالة ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية خط خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه واعلم أن الشرع ههنا هو الصراط المستقيم وهو أحد من السيف وأدق من الشعر ولذا الانزال فى كل ركعة من الصلاة تقول اهدنا الصراط المستقيم ومن زل عن هذا الصراط فى الدنيا زل عن صراط الآخرة ايضا قال عليه السلام الزالون عن الصراط كثير واكثر من يزل عنه النساء واكثر الرجال فى هذا الزمان فى حكم النساء فى اتباع الشهوات والاخذ بالعادات والدين بدا غريبا وعاد غريبا فلا يوجد من يستأنس به ويستأهل له الا نادرا (قال فى التفسير الفارسى) محققان برآنند كه صراط متعين نكردد الا ميان بدايتى ونهايتى وعارف داندكه بدايت همه از كيست ونهايت همه بكيست وشيخ صدر الدين قدس سره قونوى در اعجاز البيان فرموده كه احاطة حق بهمه ثابت است والله بكل شئ محيط وان احاطة وجودى باعلى باختلاف اقوال منتهاى سير صراط وغايت سير سالك خواهد چنانچه فرمود * صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور * هرجا قدمى زديم دركوى تو بود * هركوشه كه رفتيم سوى تو بود * كفتيم مكر سوى ديكر راهى هست * هرراه كه ديديم همه سوى تو بود (ثم آتينا موسى الكتاب) عطف على مقدر أى فعلنا تلك التوصية باتباع صراط الله ثم آتينا موسى الكتاب اى التوراة وثم للتراخى فى الاخبار كما فى قولك بلغنى ماصنعت اليوم ثم ماصنعت امس أعجب (تماما) مصدر من أتم بحذف الزوائد اى اتماما للكرامة والنعمة (على الذى احسن) اى على من احسن القيام به كائنا من كان من الانبياء والمؤمنين (وتفصيلا لكل شئ) وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين وهذا لا ينافى الاجتهاد فى شريعتهم كما لا ينافى قوله تعالى فى آخر سورة يوسف وتفصيل كل شئ فى شريعتنا لان التفصيل فى الاصول والاجتهاد فى الفروع (وهدى) من الضلالة (ورحمة) نجاة من العذاب لمن آمن به وعمل بما فيه (لعلهم) اى بنى اسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى (بلقاء ربهم يؤمنون) الباء متعلقة بيؤمنون اى كى يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب (وهذا) اى القرآن (كتاب انزلناه) ليس من قبل الرسول كما زعم المنكرون (مبارك) اى كثير النفع دينا ودنيا قال فى التأويلات النجمية مبارك عليك وبركته انه أنزل على قلبك بجعل خلقك القرآن ومبارك على امتك بانه حبل بينهم وبين ربهم ليوصلهم اليه بالاعتصام (فاتبعوه) واعملوا بما فيه (واتقوا) مخالفته (لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه والعمل بموجبه (ان تقولوا) على حذف المضاف كما هو رأى البصريين اى أنزلناه كراهة ان تقولوا يا أهل مكة يوم القيامة لم تنزله (انما انزل الكتاب) اى التوراة والانجيل (على طائفتين) كائنتين (من قبلنا) وهما اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لاشتهار الكتابين يومئذ فيما بين الكتب السماوية (وان) مخففة اى وانه (كنا عن دراستهم) قرآءتهم ولم يقل عن دراستهما لان كل طائفة جماعة (لغافلين) لا ندرى ما فى كتابهم اذلم يكن على لغتنا فلم نقدر على قرآءته (اوتقولوا لو أنا انزل علينا الكتاب) كما انزل عليهم (لكنا اهدى منهم) الى الحق الذى هو المقصد الاقصى اوالى ما فى تضاعيفه من جلائل الاحكام والشرائع ودقائقها لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب مع انا اميون (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف معلل به اى لا تعتذروا بذلك القول فقد جاءكم (بينة) كائنة (من ربكم) اى حجة واضحة (وهدى ورحمة) عبر عن القرآن بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته لانه على لغتهم ثم بالهدى والرحمة (فمن اظلم) اى لا احد أظلم (ممن كذب بآيات الله) اى القرآن (وصدف عنها) اى صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال فى القاموس صدف عنه يصدف أعرض وفلانا صرفه (سنجزى الذين) بالفارسى زود باشد كه جزادهم آنراكه (يصدفون) الناس (عن آياتنا) وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالتهم ايضا (سوء العذاب) اى شدته (بما كانوا يصدفون) اى بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على

التجدد

التجدد والاستمرار فعلى العاقل ان يعمل بالقرءآن ويرغب غيره بقدر الامكان لانه يكون شريكه فى الثواب الفائض من الله الوهاب والمعرض عن القرءان الذى هو غذاء الارواح كالمعرض عن شراب السكر الذى هو غذآء الاشباح وله ظاهر فسره العلماء وباطن حققه اهل التحقيق وكل قد علم مشربه وفى الحديث انزل القرءآن على سبعة احرف اى على سبع لغات وهى لغات العرب المشهورين بالفصاحة من قريش وهذيل وهوازن واليمن وطى وثقيف تسهيلا وتيسيرا ليقرأ كل طائفة بما يوافق لغتهم بشرط السماع من النبى عليه السلام اذلو كلفوا القرآءة بحرف واحد لشق عليهم اذ الفطام عن المألوف شاق او على سبع قرآآت وهى التى استفاضت عن النبى عليه السلام وضبطتها الائمة واضافت كل حرف منها الى من كان اكثر قرآءة به من الصحابة ثم اضيفت كل قرآءة منها الى من اختارها من القراء السبعة وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى ويقال ان جاحد القرآآت السبع كافر وجاحد الباقى آثم مبتدع ولما تنزل القرءآن العظيم من عالم الحقيقة كتب فى جميع الالواح وفى لوح هذا التعين حتى فى لوح وجودنا واودع القابلية فى كلى منها لقرآءته ومعرفته والمقصود الاصلى هو العمل به والتخلق باخلاقه دون تصحيح المخرج ورعاية ظاهر النظم فقط ونعم قول من قال نقد عمرش زفكرت معوج * خرج شددر رعايت مخرج * صرف كردش همه حيات سره * درقرآآت سبعه وعشره (قال الحافظ) عشقت رسد بفرياد كرخود بسان حافظ * قرآن زبر بخوانى ذرچارده روايت * وفى الحديث لوكان القرءآن فى اهاب ما مسته النار قال القاضى البيضاوى اى لوصور القرءآن وجعل فى اهاب والقى فى النار ما مسته ولا احرقته ببركة القرءآن فكيف بالمؤمن الحامل له المواظب على تلاوته وعن على رضى الله عنه من قرأ القرءآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات (وروى) عن بعض الاخيار من اهل التلاوة للقرءآن الكريم انه لما حضرته الوفاة كان كلما قالوا قل لا اله الا الله قال بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك القرءآن لتشقى الى قوله الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فلم يزل يعيدها كلما اعادوا عليه حتى مات على هذه الآية الكريمة فظهر ان الموت على ما عاش عليه الشخص وكان حرفة رجل بيع الحشيش وهو غافل عن الله فلما حضرته الوفاة كان كلما قيل له قل لا اله الا الله قال حزمة بفلس نسأل الله تعالى التوفيق للموت على الاسلام (هل ينظرون) هل استفهامية معناها النفى وينظرون بمعنى ينتظرون فان النظار يستعمل فى معنى الانتظار كأنه قيل انى امنت على اهل مكة الحجة وانزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا انما ينتظرون (الا ان تأتيهم الملائكة) اى ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم (او يأتى ربك) اى امره بالعذاب والانتقام وقال البغوى او يأتى ربك بلا كيف لفصل القضاء بين موقف القيامة انتهى او المراد باتيان الرب اتيان كل آية يعنى آيات القيامة والهلاك الكلى بقرينة قوله تعالى (او يأتى بعض آيات ربك) يعنى اشراط الساعة التى هى الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن وهم ما كانوا منتظرين لاحد هذه الامور الثلاثة وهى مجيء الملائكة او مجيء الرب او مجيء الآيات القاهرة من الرب لكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظرين شبهوا بالمنتظرين (يوم يأتى بعض آيات ربك) ظرف لقوله (لا ينفع نفسا ايمانها) كالمحتضر فان معاينة اشراط الساعة بمنزلة نفسها ووقوع العيان يمنع قبول الايمان لانه انما يقبل اذا كان بالغيب (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا اى من قبل اتيان بعض الآيات (او كسبت فى ايمانها خيرا) الآية تقتضى ان لا ينفع الايمان بدون العمل الصالح ومذهب اهل السنة انه نافع حيث ان صاحبه لا يخلد فى النار قال حضرة الشيخ الشهير بالهدآئى الاسكدارى فى الواقعات لاح لى فى توفيق هذه الآية على مذهب اهل السنة وجهان الاول ان يكون قوله اوكسبت معطوفا على آمنت المقدر لا على آمنت المذكور والتقدير لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل سواء آمنت ايمانا مجردا او كسبت فى ايمانها خيرا والثانى ان يعطف على آمنت المذكور ولكن يعتبر فى اللف مقدر فيكون النشر ايضا على اسلوبه والتقدير لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها خيرا لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا (قل انتظروا) ما تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلاثة لتروا اى شئ تنتظرون (انا منتظرون) لذلك وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل بما حل بكم من سوء العاقبة قال البغوى المراد ببعض الآيات طلوع الشمس من مغربها وعليه اكثر المفسرين قال الحدادى فى تفسيره قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة فى سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن من اين تطلع أمن مطلعها او من مغربها وكذا القمر فلا تزال كذلك حتى يأتى الله بالوقت الذى وقته لتوبة عباده وتكثر المعاصى فى الارض ويذهب المعروف فلا يأمر به احد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه احد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس تحت العرش فاذا مضى مقدار ليلة سجدت واستأذنت ربها من اين تطلع فلم يحر لها جوابا حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من اين يطلع فلا يحير له جوابا فيحبسان مقدار ثلاث ليال فلا يعرف مقدار تلك الليلة الا المتهجدون فى الارض وهم يومئذ عصابة قليلة فى هوان من الناس فينام احدهم تلك الليلة مثل ما ينام قبلها من الليالى ثم يقوم فيتهجد ورده فلا يصبح فينكر ذلك فيخرج وينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم مستديرة فينكر ذلك ويظن فيه الظنون فيقول أخففت قرآءتى أم قصرت صلاتى أم قمت قبل حينى ثم يقوم فيعود الى مصلاه فيصلى نحو صلاته فى الليلة الثانية ثم ينظر فلا يرى الصبح فيشتد به الخوف فيجتمع المتهجدون من كل بلدة فى تلك الليلة فى مساجدهم ويجأرون الى الله بالبكاء والتضرع فيرسل الله جبريل الى الشمس والقمر فيقول لهما ان الله يأمركما ان ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه فانه لاضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله بكاء يسمعه اهل السموات السبع واهل سرادقات العرش ثم يبكى من فيهما من الخلائق من خوف الموت والقيامة فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون والغافلون فى غفلاتهم اذا بالشمس والقمر قد طلعا من المغرب اسودان لاضوء للشمس ولا نور للقمر كهيئتهما فى كسوفهما فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر فيرتفعان كذلك مثل البعيرين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا فيتصارخ اهل الدنيا حينئذ ويبكون فاما الصالحون فينفعهم بكاؤهم ويكتب لهم عبادة واما الفاسقون فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب ذلك عليهم حسرة وندامة فاذا بلغ الشمس والقمر سرة السماء ومنتصفها جاء جبريل فأخذ بقرونهما فردهما الى المغرب فيغربان فى باب التوبة فقال عمر رضى الله عنه بأبى أنت وأمى يارسول الله ماباب التوبة فقال ياعمر خلق الله بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب ومابين المصراع الى المصراع اربعون سنة للراكب فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس من مغربها فاذا غربا فى ذلك الباب رد المصراعان والتأم بينهما فيصيركأن لم يكن بينهما صدع فاذا اغلق باب التوبة لم يقبل للعبد توبة بعد ذلك ولم ينفعه حسنة بعملها الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجزى كما قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل اوكسبت فى ايمانها خيرا وانما لم يقبل الايمان فى ذلك الوقت لانه ليس بايمان اختيارى فى الحقيقة وانما هو ايمان لخوف الهلاك قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (قال السعدى) چه سود از دزد آنكه توبه كردن * كه نتواند كمند انداخت بر كاخ * بلند از ميوه كو كوتاه كن دست * كه اين كوته ندارد دست بر شاخ * وعدم قبول الايمان والتوبة غير مخصوص بمن يشاهد طلوع الشمس من المغرب وهو الاصح والظاهر ان من تولد بعد طلوعها او ولد قبله ولم يكن مميزا بعد ذلك يقبل ايمانه وجعله فى شرح المصابيح اصح قالت عائشة رضى الله عنها اذا خرجت اول الآيات طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد بالاعمال قال الامام السيوطى رحمه الله يظهر المهدى قبل الدجال بسبع سنين ويخرج الدجال قبل طلوع الشمس بعشر سنين ويقوم المهدى سنة مائتين بعد الالف او اربع ومائتين والله اعلم وقبل ظهور المهدى اشراط اخر من خروج بنى الاصفر وغيرها وفى التأويلات النجمية ان الله تعالى جعل نفس الانسان وقلبه ارضا صالحا لقبول بذر الايمان وانباته وتربيته كما قال عليه السلام لا اله الا الله ينبت الايمان فى القلب كما ينبت الماء البقلة فلبذره قول المرء أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله عند تصديق القلب بشهادة اللسان وانما كان زمان هذه الزراعة زمان الدنيا لا زمان الآخرة ولهذا قال عليه السلام الدنيا مزرعة الآخرة فلا ينفع نفسا فى زمان الآخرة بذر ايمانها لم تكن بذرت من قبل فى زمان الدنيا اوكسبت فى ايمانها خيرا من الاعمال الصالحة التى ترفع الكلمة الطيبة وهى لا اله الا الله وتجعلها شجرة طيبة مثمرة تؤتى اكلها كل حين باذن ربها من ثمار المعرفة والمحبة والكشف والمشاهدة والوصول والوصال ونيل الكمال انتهى مافى التأويلات ونسأل الله ان يرزقنا التوفيق لتحقيق التوحيد (ان الذين) اى اليهود والنصارى (فرقوا

دينهم) اى بدّدوه وبعّضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم (وكانوا شيعا) جمع شيعة يقال شايعه على الامر اذا اتبعه اى فرقا تشيع كل فرقة اماما لها قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضى قبل النسخ واما بعده فالكل فى الهاوية (لست منهم فى شئ) لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمؤاخذة فى شئ (انما امرهم الى الله) تعليل للنفى المذكور اى هو يتولى وحده اولاهم واخراهم ويدبرهم كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة (ثم ينبئهم) اى يوم القيامة (بما كانوا يفعلون) عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة فى انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه من سوء عاقبته اى يظهر لهم على رؤوس الاشهاد ويعلمهم اى شئ شنيع كانوا يفعلونه فى الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء واعلم ان كل فعل شنيع وعمل قبيح فى الدنيا يتصور بصورة قبيحة فى الآخرة وهو قد كان بصورة قبيحة فى الدنيا ايضا لكنه برز لفاعله فى صورة مستحسنة امتحانا وابتلاء فصار كالشهد المختلط بالسم نعوذ بالله من سيئات الاعمال حفت الجنة بمكروهاتنا وحفت النيران بشهواتنا يعنى جعلت الجنة محفوفة بالاشياء التى كانت مكروهة لنا وجعلت النار محاطة بالاشياء التى كانت محبوبة لنا يعنى ان نفوسنا تميل اليها وتحب ان تفعلها لكونها على وفق هواها فكما ان فى الآفاق فرقا مختلفة ينفى بعضهم الصانع وبعضهم صفاته وبعضهم يعتقد فى حقه تعالى ما لا يجوز اعتقاده وبعضهم يجرى على ما جرى عليه الانبياء والاولياء من حسن العقيدة وصالح العمل كذلك فى الانفس قوى مختلفة لا تتحد فى البنية ولا تجتمع على امر واحد فالطبيعة على التشهى والنفس على الهوى والروح على الاقبال الى المولى والدين الحقيقى الذى فيه كمالية الانسان انما يوجد بتوافق الظاهر والباطن فمن فارقه بقلبه وتمسك ببعض شعاره وظاهره رياء وسمعة فهو من فرق اهل الدعوى من غير المعنى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى مخاطبا لحضرة الهدائى قدس الله اسرارهما اشكر الله على عدم اقترانك بالملاحدة فان الالحاد كمرض الجذام بعيد عن الاصلاح قال واظن انهم لا يخرجون من النار لانهم فى دعوى المقال بدون الحال انتهى ومن المدعين القلندرية وهم الذين يقصون لحاهم وشعورهم بل يحلقون * قلندرى نه برشست وموى وبابرو * حساب راه قلندر بدانكه موى بموست * كذشتن ازسر مو در قلندرى سهلست * جو حافظ انكه زسر بكذرد قلندر اوست * ومن الفرق المبتدعة الجوالقية وهم الذين يحلقون لحاهم ويلبسون الجوالق والكساء الغليظ وقد نهى النبى عليه السلام عن لباس الشهرة سواء كان من جنس الرقيق او الغليظ لانه اشتهار بذلك وامتياز به عن المسلمين وقد قال عليه السلام كن كواحد من الناس ولا ينفع الجوالق والكساء اذا كان المرء صاحب الرياء (قال السعدى) بروى ريا خرقه سهلست دوخت * كرش باخدا در توانى فروخت * كر آوازه خواهى دراقليم فاش * برون حله كن كو درون حشو باش (وقال) درفزا كند مرد بايد بود * بر مخنث سلاح جنك جه سود * وكان الشيخ قطب الدين حيدر مجذوبا صاحب حال جدا حتى حكى انه أخذ حديدا حارا من كير حداد صار كقطعة نار وألقاه على عنقه ساعة فلم يحترق فأخذ الحيدرية بذلك ولبسوا الحديد تقليدا ولبس الحديد اكثر اثما من لبس الذهب فعلى العاقل ان يجتنب عن البدعة واهلها (وروى) ان ابن المبارك رؤى فى المنام فقيل له ما فعل ربك فقال عاتبنى واوقفنى ثلاثين سنة بسبب انى نظرت باللطف يوما الى مبتدع فقال انك لم تعاد عدوى فى الدين فكيف حال القاعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين واعلم ان اهل الهوى والبدعة ليس مخصوصا بالبشر كما قال الاعمش تزوج الينا جنى فقلت له ما احب الطعام اليكم فقال الارز فاتيناه به فجعلت ارى اللقم ترفع ولا ارى أحدا فقلت هل فيكم من هذه الاهواء التى فينا قال نعم قلت فما الرافضة فيكم قال شرنا والروافض هم الذين رفضوا زيد بن على بن الحسين ابن على بن ابى طالب لعدم تبريه من ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ولزمهم هذا اللقب كل من غلا فى مذهبه واستجاز الطعن فى الصحابة واصله ان زيدا خرج بالكوفة داعيا لنفسه فبايعه جماعة من اهلها واتاه طائفة من أهل الكوفة وقالوا تبرأ من ابى بكر وعمر نبايعك فأبى فقالوا اذا نرفضك فمن ذلك سموا الروافض وقالت طائفة من اهل

الكوفة تتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما وخرجوا مع زيد فسموا الزيدية وسبب بغضهم للاصحاب انه لما وقعت الهزيمة في غزوة احد ونادى الشيطان ان قد مات محمد اعتقده الاصحاب غير علي رضي الله عنه حتى وقع النزاع فقال كرم الله وجهه هل اقتلكم لو لم يكن واقعا قالوا نعم فلما ظهر خلافه عفا عنهم فمن ثم احبوا عليا وتركوا الباقي وابغضوه * چون خدا خواهد كه پردهٔ كس درد * ميلش اندر طعنهٔ پاكان برد * فعلى العاقل ان يحب الصالحين حبا شديدا كي ينال منهم شفاعة يوم القيامة فويل لمن كان شفعاؤه خصماءه اللهم اعصمنا ولا تزغ قلوبنا واهدنا وسددنا فمنك التوفيق لسلوك طريق التحقيق (من جاء بالحسنة) اى من جاء يوم القيامة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان قال القاضي عياض انعقد الاجماع على ان الكفار لا تنفعهم اعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم يكون أشد عذابا من بعض بحسب جرائمهم انتهى ثم اذا اسلموا يثابون على الخيرات المتقدمة لما ورد في الحديث حسنات الكفار مقبولة بعد اسلامهم وفي تفسير الكاشفي هركه بيايد در دنيا بنكويى (فله عشر امثالها) اى فله عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى فالامثال ليس مميزا للعشر بل مميزها هو الحسنات والامثال صفة لمميزها ولذا لم يذكر التاء للعشر وقيل انما انث عشر وان كان مضافا الى ما مفرده مذكر لاضافة الامثال الى مؤنث هو ضمير الحسنة كقوله تعالى يلتقطه بعض السيارة (ومن جاء بالسيئة) اى بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين (فلا يجزى الا مثلها) بحكم الوعد واحدة بواحدة فان قيل كفر ساعة يوجب عقاب الابد على نهاية التغليظ فما وجه المماثلة واجيب بأن الكافر على عزم انه لو عاش أبدا لبقي على ذلك الاعتقاد فلما كان العزم مؤبدا عوقب بعقاب الابد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع عن ذلك الذنب فلا جرم كانت عقوبته منقطعة (وهم لا يظلمون) بنقص الثواب وزيادة العقاب قال الحدادي وانما قال ذلك لان التفضل بالنعم جائز والابتداء بالعقاب لا يجوز انتهى واعلم ان الحسنات العشر أقل ما وعد من الاضعاف (قال السعدى) نكوكارى از مردم نيك راى * يكى را بده مينويسد خداى * تو نيزاى پسر هركرا يك هنر * ببينى زده عيبش اندر گذر * وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص كما يقول القائل لئن اسديت الى معروفا لاكافئنك بعشر امثاله وحكمة التضعيف لئلا يفلس العبد اذا اجتمع الخصماء في طاعته فيدفع اليهم واحدة ويبقى له تسع فمظالم العباد توفى من التضعيفات لا من اصل حسناته لان التضعيف فضل من الله تعالى واصل الحسنة الواحدة عدل منه واحدة بواحدة وفي الحديث ويل لمن غلب آحاده على اعشاره اى سيئاته على حسناته وفي الحديث الاعمال ستة موجبتان ومثل بمثل وحسنة بحسنة وحسنة بعشر وحسنة بسبعمائة فأما الموجبتان فهو من مات ولا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات وهو مشرك بالله دخل النار وأما مثل بمثل فمن عمل سيئة فجزاء سيئة مثلها واما حسنة بحسنة فمن هم بحسنة حتى تشعر بها نفسه ويعلمها الله من قلبه كتبت له حسنة واما حسنة بعشر فمن عمل حسنة فله عشر امثالها واما حسنة بسبعمائة فالنفقة في سبيل الله * كنون بر كف دست نه هرچه هست * كه فردا بدندان گزى پشت دست * قال في أسئلة الحكم اعلم ان الشارع قد رتب الثواب للعمل لئلا يترك بل يرغب فيه فلا يكون ذلك العمل افضل من العمل المؤكد عليه الذى لم يترتب عليه ذلك الثواب فمن ذلك قوله عليه السلام من صلى الضحى اثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة من ذهب مع ان السنة الراتبة لفرض الظهر أفضل من الضحى ومن ذلك قوله عليه السلام من صلى ست ركعات بين المغرب والعشاء كتب الله له عبادة اثنتى عشرة سنة مع أن سنة المغرب أفضل من ذلك وانما رتب الثواب على ذلك لكثرة الغفلة فيه وأمثال ذلك كثيرة في الاخبار فلا يفضل على الراتب المؤكد وان لم يعين أجره غير الراتب من النوافل وان رتب أجره وقد اتفق أهل العلم انه لا يبلغ حد الفرض واجب وسنة راتبة او غير راتبة في الاجر والفضيلة في عمل او حكم ولا يبلغ مرتبة الراتبة نفل من الاحكام وان لم يتعين قدر اجرها فان السنن شرعت لتتميم نقائص الفرائض والنوافل الغير الراتبة لتتميم نقائص السنن الراتبة فلا ينوب نفل مناب فرض يجب قضاؤه فقضاء فرض لا يسقط بالنوافل كما يزعم بعض العوام بترك الفرائض ويرغب في النوافل مما ورد كثرة الاجر عليه كالصلاة بعد المغرب يزعم سقوط الفرائض بها او تنوب مناب القضاء وذلك غير مشروع أصلا وترتيب أجور الاعمال والاذكار موقوف على الوحى

والالهام

والالهام لاقدم فيه لتخمين العقول والاشارة فى الاية ان الله تعالى من كمال احسانه مع العبد احسن اليه بعشر حسنات قبل ان يعمل العبد حسنة واحدة فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها يعنى قبل ان يجئ بحسنة أحسن اليه بعشر حسنات حتى يقدر أن يجئ بالحسنة وهى حسنة الايجاد من العدم وحسنة الاستعداد بان خلقه فى أحسن تقويم مستعدا للاحسان وحسنة التربية وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل وحسنة انزال الكتب وحسنة تبيين الحسنات والسيئات وحسنة التوفيق وحسنة الاخلاص فى الاحسان وحسنة قبول الحسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها والسر فيه ان السيئة بذر يزرع فى ارض النفس والنفس خبيثة لانها امارة بالسوء والحسنة بذر يزرع فى ارض القلب والقلب طيب لان بذكر الله تطمئن القلوب وقد قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا وأما ما جاء فى القرآن والحديث من تفاوت الجزاء للحسنات فاعلم انه كما ان للاعداد اربع مراتب آحاد وعشرات ومئات وألوف والواحد فى مرتبة الآحاد واحد بعينه وفى مرتبة العشرات عشرة وفى مرتبة المئات مائة وفى مرتبة الألوف ألف فكذلك للانسان مراتب أربع النفس والقلب والروح والسر فالعمل الواحد فى مرتبة النفس اى اذا صدر منها يكون واحدا بعينه كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها اذهى فى مرتبة الآحاد وفى مرتبة القلب يكون بعشر امثالها لانه بمرتبة العشرات وفى مرتبة الروح يكون بمائة لانه بمرتبة المئات وفى مرتبة السر يكون بألف الى اضعاف كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية الى مالا يتناهى لانه بمنزلة الالوف والله اعلم وهم لا يظلمون المعنى ان الله تعالى قد أحسن اليهم قبل أن يحسنوا بعشر حسنات شاملات للحسنات الكثيرة فلا يظلمهم بعد ان احسنوا بل يضاعف حسناتهم يدل عليه قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما كذا فى التأويلات النجمية (قل) يا محمد لكفار مكة الذين يدعون انهم على الدين الحق وقد فارقوه بالكلية (اننى هدانى ربى) اى ارشدنى بالوحى وبما نصب فى الافاق والانفس من الآيات التكوينية (الى صراط مستقيم) موصل الى الحق (دينا) بدل من محل الى صراط والمعنى هدانى صراطا (قيما) مصدر بمعنى القيام وصف به الدين مبالغة والقياس قوما كعوض فأعل لاعلال فعله كالقيام (ملة ابراهيم) عطف بيان لدينا والملة من املت الكتاب اى امليته وما شرعه الله لعباده يسمى ملة من حيث انه يدون ويملى ويكتب ويتدارس بين من اتبعه من المؤمنين ويسمى دينا باعتبار طاعتهم لمن شرعه وسنه اى جعله لهم سننا وطريقا (حنيفا) حال من ابراهيم اى مائلا عن الاديان الباطلة ميلا لا رجوع فيه (وما كان من المشركين) اى ما كان ابراهيم منهم فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا وانما اضاف هذا الدين الى ابراهيم لان ابراهيم كان معظما فى عيون العرب وفى قلوب اهل سائر الاديان اذ اهل كل دين يزعمون انهم يتصلون الى دين ابراهيم عليه السلام فرد الله تعالى بقوله وما كان من المشركين على الذين يدعون انهم على ملته عليه السلام عقدا وعملا من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله والمشرك فى الحقيقة هو الذى يطلب مع الله تعالى شيأ آخر ومن الله غير الله (قال السعدى) خلاف طريقت بود كاوليا • تمنا كنند از خدا جز خدا (قل) اعيد الامر لما أن المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها (ان صلاتى) يعنى الصلوات الخمس المفروضة (ونسكى) اى عبادتى كلها وأصل النسك كل ما تقربت به الى الله تعالى ومنه قولهم للعابد ناسك ويقال أراد بالصلاة صلاة العيد وبالنسك الاضحية وعن انس رضى الله عنه عن رسول الله انه قرب كبشا املح اقرن فقال لا اله الا الله والله اكبر ان صلاتى ونسكى الى قوله تعالى وانا اول المسلمين ثم ذبح فقال شعره وصوفه فداء لشعرى من النار وجلده فداء لجلدى من النار ودمه فداء لدمى من النار ولحمه فداء للحمى من النار وعظمه فداء لعظمى من النار وعروقه فداء لعروقى من النار فقالوا يا رسول الله هنيئا مريئا هذا لك خاصة قال لا بل لامتى عامة الى أن تقوم الساعة أخبرنى به جبريل عليه السلام عن ربى عز وجل (ومحياى ومماتى) اى وما أنا عليه فى حياتى وأكون عليه عند موتى من الايمان والطاعة فالتقدير ذا محياى وذا مماتى فجعل ما يأتى به فى حياته وعند موته ذا حياته وذا موته كقولك ذا انا لك تريد الطعام فاضافته بأدنى ملابسة (لله رب العالمين لا شريك له) اى خالصة له تعالى لا أشرك فيها غيره (وبذلك) الاخلاص (امرت) لا بشئ غيره (وانا اول المسلمين) لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام أمته

وفيه بيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به يقتدى به عليه السلام من اسلم منهم والاشارة ان صلاتى ونسكى اى سيرى على منهاج الصلاة هو معراجى الى الله تعالى وذبيحة نفسى ومحياى حياة قلبى وروحى ومماتى اى موت نفسى لله رب العالمين لطاب الحق والوصول اليه لا شريك له فى الطلب من مطلوب سواه وبذلك امرت اى ليس هذا الطلب والقصد الى الله من نظرى وعقلى وطبعى انما هو من فضل الله ورحمته وهدايته وكمال عنايته اذ أوحى الى وقال وتبتل اليه تبتيلا وقال قل الله ثم ذرهم وانا اول المسلمين يعنى اول من استسلم عند الايجاد لامر كن وعند قبول فيض المحبة لقوله يحبهم ويحبونه والاستسلام للمحبة فى قوله يحبونه دل عليه قوله عليه السلام اول ما خلق الله نورى كذا فى التأويلات النجمية وفى الآية حث على التوحيد والاخلاص وعلامتهما التبرى من كل شئ سواه تعالى ظاهرا وباطنا ولو من نفسه والتحقق بحقائق المحبة الذاتية وعن مالك بن دينار قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام واذا شاب يمشى فى الطريق بلا زاد ولا راحلة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت أيها الشاب من اين قال من عنده قلت والى اين قال اليه قلت واين الزاد قال عليه قلت ان الطريق لا يقطع الا بالماء والزاد وهل معك شئ قال نعم قد تزودت عند خروجى بخمسة احرف قلت وما هذه الخمسة الاحرف قال قوله تعالى كهيعص قلت وما معنى كهيعص قال اما قوله كاف فهو الكافى واما الهاء فهو الهادى واما الياء فهو المؤوى واما العين فهو العالم واما الصاد فهو الصادق ومن كان صاحبه كافيا وهاديا ومؤويا وعالما وصادقا لا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج الى حمل الزاد والماء قال مالك فلما سمعت هذا الكلام نزعت قميصى على ان ألبسه اياه فأبى ان يقبله وقال أيها الشيخ العرى خير من قميص دار الفناء حلالها حساب وحرامها عقاب وكان اذا جن الليل يرفع وجهه نحو السماء ويقول يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصى هب لى ما يسرك واغفر لى ما لا يضرك فلما احرم الناس ولبوا قلت لم لا تلبى فقال يا شيخ اخشى ان اقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا اسمع كلامك ولا انظر اليك ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس ذبحوا وتقربوا اليك بضحاياهم وهداياهم وليس لى شئ أتقرب به اليك سوى نفسى فتقبلها منى ثم شهق شهقة فخر ميتا واذا قائل يقول هذا حبيب الله هذا قتيل الله قتل بسيف الله فجهزته وواريته وبت تلك الليلة متفكرا فى امره ونمت فرأيته فى منامى فقلت ما فعل الله بك قال فعل بى كما فعل بشهداء بدر قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الجبار * جان كه نه قربانئ جانان بود * جيفة تن بهتر از آنان بود * هركه نشد كشتهٔ شمشير دوست * لاشهٔ مرداربه ازجان اوست * نسأل الله الكريم ان يجعلنا على الصراط المستقيم (قل) يا محمد لمن يقول من الكفار ارجع الى ديننا (أغير الله أبغى) اطلب حال كونه (ربا) آخر فاشركه فى عبادته (وهو رب كل شئ) اى والحال ان ما سواه مربوب له مثلى فكيف يتصور أن يكون شريكا له فى العبودية (ولا تكسب كل نفس الا عليها) كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اى لا تكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) رد له بالمعنى الثانى اى لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس أخرى حتى يصح قولكم ولنحمل خطاياكم والوزر فى اللغة هو الثقل (ثم الى ربكم مرجعكم) اى الى مالك امركم رجوعكم يوم القيامة (فينبئكم) يومئذ (بما كنتم فيه تختلفون) اى يبين الرشد من الغى ويميز المحق من المبطل وفى الآية أمور * الاول ان غاية المبتغى ونهاية المرام هو الله الملك العلام فمن وجده فقد وجد الكل ومن فقده فقد فقد الكل والعاقل العاشق لا يطلب غير الله لانه الحبيب والمحب لا يتسلى بغير المحبوب (قال الحافظ) دردم ازطبيب نداند دواكه من * بى دوست خسته خاطر وبادردخوشترم * والثانى ان كل ما تكسب النفس من خير أو شر فهو عليها اما الشر فهى مأخوذة به وأما الخير فمطلوب منها صحة القصد والخلو من الرياء والعجب والافتخار به (قال السعدى) چه قدر آورد بندهٔ بدرديس * كه زير قبادارد اندام پيس * والنفس امارة بالسوء فلا تكسب الاسوأ والسوء عليها لا لها وهذا دأب النفس ما وكلت الى نفسها الا أن رحمها ربها كما قال ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ولهذا كان من دعائه عليه السلام رب لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك وهى اى النفس مأمورة بالسير الى الله بقدم

العبودية والاعمال الصالحة قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن الفضل العجب ممن يقطع الاودية والمفاوز والقفار
ليصل الى بيته وحرمه لان فيه آثار انبيائه كيف لا يقطع بالله نفسه وهواه حتى يصل الى قلبه فان فيه آثار
مولاه * والثالث ان كل نفس مؤاخذ بذنبه لا بذنب غيره فان قلت قوله عليه السلام من كانت عنده مظلمة لأخيه
من عرض او شئ فليستحلل منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم الا ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر
مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه يدل على خلاف ذلك وكيف يجوز
فى حكم الله وعدله ان يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها وتؤخذ حسنات من عملها فتعطى من
لم يعملها فالجواب على ما قال الامام القرطبى فى تذكرته ان هذا لمصلحة وحكمة لا نطلع عليها والله تعالى
لم يبن امور الدين على عقول العباد ولو كان كل ما لا تدركه العقول مردودا لكان اكثر الشرائع مستحيلا على
موضوع عقول العباد انتهى يقول الفقير ان الذنب ذنبان ذنب لازم وذنب متعد فالذنب اللازم كشرب الخمر
مثلا يؤخذ به صاحبه دون غيره فهذا الذنب له جهة واحدة فقط والذنب المتعدى كقتل النفس مثلا فهذا
وان كان يؤخذ به صاحبه ايضا لكن له جهتان جهة التجاوز عن حد الشرع وجهة وقوع الجناية على
العبد فحمل سيئاته وطرح حسناته عليه حمل سيئات نفسه فى الحقيقة وما طرح حسنات غيره فى نفس الامر
ولا ظلم اصلا فالآية والحديث متحدان فى المآل والله اعلم بحقيقة الحال * والرابع كما ان الاختلاف واقع بين اهل
الكفر والايمان كذلك بين اهل الاخلاص والرياء والشرع وان كان محكا يميز بين المحق والمبطل الا ان انكشاف
حقيقة الحال وظهور باطن الاقوال والافعال انما يكون يوم تبلى السرائر وتبدى الضمائر (وفى المثنوى)
چون كند جان بازگونه پوستين * چند واويلا برآيد ز اهل دين * برد كان هر زر نما خندان شده است *
زانكه سنگ امتحان پنهان شده است * قلب پهلو مى زند با زر بشب * انتظار روز مى دارد ذهب *
با زبان حال زر گويد كه باش * اى مزور تا برآيد روز فاش * وفى الحديث يخرج فى آخر الزمان اقوام
يجتلبون الدنيا بالدين يعنى يأخذونها ويلبسون لباس جلود الضأن من اللين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم
قلوب الذئاب فيقول الله تعالى ابى تغترون ام على تجترئون فبى حلفت لأبعثن على اولئك فتنة تدع الحليم فيها
حيران فعلى المؤمن ان يصحح الظاهر والباطن ويرفع الاختلاف فان الحق واحد فماذا بعد الحق الا الضلال واما
اختلاف الائمة فرحمة لعامة الناس وليس ذلك من قبيل الاختلاف بحسب المرآء والجدال بل بحسب
اختلاف الاشخاص والاحوال فالحق احق ان يتبع عصمنا الله واياكم من الاختلاف المفسد للدين والجدل
المزيل لاصل اليقين وجعلنا من اهل التوفيق للصواب انه الكريم المفيض الوهاب (وهو) اى الله تعالى (الذى
جعلكم) أيها الناس (خلائف الارض) من بعد بنى الجان او خلائف الامم السابقة البشرية او خلفاء الله
فى ارضه تتصرفون فيها والخلائف جمع الخليفة كالوصائف جمع الوصيفة وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفته
لانه يخلفه قال فى التأويلات النجمية هو جعل كل واحد من بنى آدم آدم وقته وخليفة ربه فى الارض وسر
الخلافة انه صوره على صورة صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما قادرا متكلما مريدا * آدمى چيست
برزخ جامع * صورت خلق وحق درو واقع * متصل باد قايق جبروت * مشتمل بر حقايق
ملكوت (ورفع بعضكم) فى الشرف والغنى (فوق بعض) الى (درجات) كثيرة متفاوتة (ليبلوكم فيما آتاكم)
من المال والجاه اى ليعاملكم معاملة من يبتليكم ويمتحنكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده (حكى) ان
جنيدا كان يلعب مع الصبيان فى صباوته فمر به السرى السقطى فقال ما تقول فى حق الشكر يا غلام قال الشكر
ان لا تستعين بنعمه على معاصيه (ان ربك) يا محمد (سريع العقاب) اى عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق
ما آتاه الله ولم يشكره وانما قال سريع العقاب مع انه موصوف بالحلم والامهال لان كل ما هو آت قريب
(قال الحافظ) بمهلتى كه سپهرت دهد ز راه مرو * ترا كه گفت كه اين زال ترك دستان كرد (وانه لغفور
رحيم) لمن راعاها كما ينبغى وفى الحديث يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام
فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى بالرجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه فى حلال فيقال له قف لعلك فرطت
فى هذا فى شئ مما فرض عليك من صلاة لم تصلها لوقتها او فرطت فى ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب
كسبت من حلال وأنفقت فى حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت فيقال لعلك اختلت فى هذا المال فى شئ من

مركب اوثوب باهيت به فقال لا يارب لم اختل ولم اباه في شئ فيقال لعلك منعت حق أحد امرتك ان تعطيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم اضيع شيأ مما فرضت على ولم أختل ولم أباه ولم اضيع حق أحد امرتنى أن أعطيه قال فيجيء باولئك فيخاصمونه فيقولون يارب اعطيته وجعلته بين اظهرنا وأمرته ان يعطينا فانه اعطانا وماضيع شيأ من الفرائض ولم يختل في شئ فيقال قف الآن هات شكر نعمة انعمتها عليك في اكلة اوشربة اولذة فلا يزال يسأل * واعلم ان الله تعالى كما أعطى المال والجاه ليتميز من هو على الشكر ومن هو على الكفران كذلك اعطى الحال اى استعداد الخلافة ليظهر من المتخلق باخلاق الله القائم باوامره في العباد والبلاد ومن الذى رجع القهقرى الى صفات البهائم والانعام فمن اضاع صفات الحق بتبديلها بصفات الحيوانات عوقب بالختم على قلبه وسمعه وبصره فهو لا يرجع الى مكان الغيب الذى خرج منه بل حبس في اسفل سافلين الطبيعة ومن تاب عن متابعة النفس والهوى ومخالفة الحق والهدى وآمن وعمل عملا صالحا للخلافة فقد اهتدى ولم يرجع القهقرى (حكى) عن ابراهيم بن ادهم انه حج الى بيت الله الحرام فبينما هو في الطواف اذ بشاب حسن الوجه قد أعجب الناس حسنه وجماله فصار ابراهيم ينظر اليه ويبكى فقال بعض اصحابه انا لله وانا اليه راجعون غفلة دخلت على الشيخ بلاشك ثم قال ياسيدى ماهذا النظر الذى يخالطه البكاء فقال له ابراهيم يااخى انى عقدت مع الله تعالى عقدا لا اقدر على فسخه والا كنت ادنى هذا الفتى واسلم عليه فانه ولدى وقرة عينى تركته صغيرا وخرجت فارا الى الله تعالى وهاهو قد كبر كما ترى وانى لاستحيى من الله سبحانه ان أعود لشئ خرجت عنه قال ثم قال لى امض وسلم عليه لعلى أتسلى بسلامك عليه وابرد نارا على كبدى قال فأتيت الفتى فقلت له بارك الله لابيك فيك فقال ياعم واين ابى ان ابى خرج فارا الى الله تعالى ليتنى اراه ولو مرة واحدة وتخرج نفسى عند ذلك هيهات وخنقته العبرة وقال والله لو رأيته واموت في مكانى قال ثم رجعت الى ابراهيم وهو ساجد في المقام وقد بل الحصى بدموعه وهو يتضرع الى الله تعالى ويقول

هجرت الخلق طرا في هواكا * وايتمت العيال لكى اراكا
فلو قطعتنى في الحب اربا * لما سكن الفؤاد الى سواكا

قال فقلت له ادع له فقال جنبه الله عن معاصيه واعانه على مايرضيه انتهى فانظر الى حال من ترك السلطنة واختار الفقر والقناعة وأنت تؤثر الغنى والمقال على الفقر والحال وفي الحديث اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا اى قدر مايمسك الرمق وقيل القوت هو الكفاية من غير اسراف وفيه بيان ان الكفاف افضل من الغنى لان النبى عليه السلام انما يدعو لنفسه بافضل الاحوال (قال الحافظ) درين بازار كرسودبست بادرويش خرسندست * الهى منعمم كردان بدرويشى وخرسندى * جعلنا الله واياكم من المقتفين لآثار سنة سيد المرسلين وحقق آمالنا من الوصول الى مقام التوكل واليقين انه لا يخيب رجاء سائله وداعيه ولا يقطع اجر عبده في كل مساعيه

تمت سورة الانعام بمعونة الملك العلام في سلخ جمادى الاولى المنتظم في سلك شهور سنة الف ومائة ويتلوها سورة الاعراف وهى مكية الا ثمانى آيات من قوله فاسألهم الى واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الى قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس وفقنا الله لختمها تقريرا وتحريرا آمين يامعين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المص) (ا) اشارة الى الذات الاحدية (ل) الى الذات مع صفة العلم (م) الى معنى محمد صلى الله عليه وسلم اى نفسه وحقيقته (ص) الى الصورة المحمدية وهى جسده وظاهره وعن ابن عباس رضى الله عنه ص جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن حين لا ليل ولا نهار أشار بالجبل الى جسد محمد صلى الله عليه وسلم وبعرش الرحمن الى قلبه كما ورد في الحديث قلب المؤمن عرش الله وقوله حين لا ليل ولا نهار اشارة الى الوحدة لان القلب اذا وقع في ظل ارض النفس واحتجب بظلمة صفاتها كان في الليل واذا طلع عليه نور شمس الروح واستضاء بضوئه كان في النهار واذا وصل الى الوحدة الحقيقية بالمعرفة والشهود الذاتى واستوى عنده النور والظلمة لفناء الكل فيه كان وقته لا ليل ولا نهار ولا يكون عرش الرحمن الا في هذا الوقت فمعنى الآية ان وجود الكل من اوله الى آخره كتاب

انزل اليك علمه كذا فى التأويلات القاشانية وقال الشيخ نجم الدين انه تعالى بعد ذكر ذاته وصفاته بقوله بسم الله
الرحمن الرحيم عرف نفسه بقوله المص يعنى الله اله من لطفه فرد عبده للمحبة والمعرفة وأنعم عليه بالصبر
والصدق لقبول كمالية المعرفة والمحبة بواسطة كتاب أنزل اليك انتهى وقال فى التفسير الفارسى المص نام
قرآنست يا اسم اين سوره يا هر حرفى اشارتست باسمى از اسمهاى الهى چون اله ولطيف وملك وصبور يا هر
حرفى كنايتست از صفتى چون اكرام ولطف ومجد وصدق يا ايمائيست باسم المصور يا بعض حروف دلالت
برانعام دارد بعض برافعال وتقدير چنان بود كه انا الله اعلم وأفصل منم خداى كه ميدانم وبيان ميكنم يا از همه
داناترم وحق از باطل جدا ميكردانم در حقايق سلمى كويد كه الف ازلست ولام ابد وميم ما بين ازل وابد وصاد
اشارتست باتصال هر متصلى وانفصال هر منفصلى وفى الحقيقه نه اتصال را مجال كنجايش است ونه انفصال را
مجال نمايش اين چه راهست اين برون از فصل ووصل * كاندرونه فرع مى كنجد نه اصل *
نى معانى فى عبارت فى عيان * فى حقايق فى اشارت فى بيان * برترست از مدركات عقل ووهم *
لاجرم كم كشت دروى فكر وفهم * چون بكلى روى كفت وكوى نيست * هيچكس را جز خموشى
روى نيست * يقول الفقير غفر الله ذنوبه ان الحروف المقطعة من المتشابهات القرآنية التى غاب علمها
عن العقول وانما أعطى فهمها الاهل الوصول وكل ما قيل فيها فهو من لوازم معانيها وحقائقها فلنا أن نقول
ان فيها اشارة الى ان هذا التركيب الصفاتى والفعلى الواحدى الابدى كان افرادا فى مرتبة الوحدة الذاتية
الازلية فبالتجلى الالهى صار المفرد مركبا والمقطع موصلا والقوة فعلا والجمع فرقا وتعين النسب والاضافات
كما أن اصل المركبات الكلامية هو حروف التهجى ثم بالتركيب يحصل اب ثم ابجد ثم الحمد لله وكما ان اصل الانسان
بالنسبة الى تعين الجسم هو النطفة ثم بالتصوير يحصل التركيب الجسمى والله أعلم (كتاب) اى هذا كتاب
(انزل اليك) اى من جهته تعالى (فلا يكن فى صدرك حرج منه) اى شك ما فى حقيته كما فى قوله تعالى
فان كنت فى شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر
كما ان المتيقن يعتريه انشراحه خاطب به النبى عليه السلام والمراد الامة اى لا ترتابوا ولا تشكوا قوله منه متعلق
بحرج يقال حرج منه اى ضاق به صدره ويجوز أن يكون الحرج على حقيقته اى لا يكن فيك ضيق صدر من
تبليغه مخافة أن يكذبوك فانه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره
من الاداء ولا ينبسط له فأمنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة بهم (لتنذر به) اى بالكتاب المنزل متعلق بانزل
(وذكرى للمؤمنين) اى ولتذكر المؤمنين تذكيرا (اتبعوا) ايها المكلفون (ما انزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن
(ولا تتبعوا من دونه) اى من دون ربكم الذى انزل اليكم ما يهديكم الى الحق وهو حال من الفاعل اى لا تتبعوا
متجاوزين الله تعالى (اولياء) من الجن والانس باطاعتهم فى معصية الله (قليلا ما تذكرون) بحذف احدى
التاءين وما مزيد لتأكيد العلة اى تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتأثرون بذلك
ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ثم شرع فى التهديد ان لم يتعظوا بما جرى على الامم
الماضية بسبب اصرارهم على اتباع دين أوليائهم فقال (وكم) للتكثير مبتدأ والخبر هو جملة ما بعدها (من قرية)
تمييز (اهلكناها) الضمير راجع الى معنى كم اى كثير من القرى أردنا اهلاكها او كثيرا منها على أن يكون
كم فى موضع نصب باهلكناها كما فى قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر (فجاءها) اى فجاء اهلها (بأسنا)
اى عذابنا (بياتا) مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اى بائتين كقوم لوط قال الحدادى سمى الليل بياتا
لانه يبات فيه والبيتوتة خلاف الظلول وهو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وهى بالفارسية * شب كذاشتن
(اوهم قائلون) عطف على بياتا اى قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب أهلكهم الله فى نصف النهار
وفى حر شديد وهم قائلون قال فى التفسير الفارسى * تخصيص اين دو وقت بجهت آنست كه زمان آسايش
واستراحتند وتصور وتوقع عذاب دران نيست پس بلية غير منتظر صعبتر وسخترست چنانچه نعمت غير مترقب
خوبتر ولذيذترست (فما كان دعواهم) اى دعاؤهم وتضرعهم (اذ جاءهم بأسنا) عذابنا وعاينوا اماراته
(الا ان قالوا) جميعا (انا كنا ظالمين) اى الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا عليه
وندامة وطمعا فى الخلاص وهيهات لانه لا تنفع التوبة وقت نزول العذاب اذ هو وارتفاع التكليف مقارنان

وقوم يونس مستثنى من هذا كما يجيء (وفى المثنوى) همچوان مرد مفلسف روزمرك * عقل رامى ديد پس بى بال وبرك * بى غرض مى كرد آندم اعتراف * كز ذكاوت رانده ايم اسب ازكذاف * ازغروری سر كشيديم ازرجال * آشنا كرديم دربحر خيال * آشنا هيچست اندر بحر روح * نيست انجا چاره جز كشتى نوح * اينچنين فرموده آن شاه رسل * كه منم كشتى درين دريای كل * يا كسى كودر بصيرتهای من * شد خليفه راستى برجای من * كشتى نوحيم دردريا كه تا * رونكردانى ز كشتى اى فتى (فلنسألن الذين ارسل اليهم) الفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية اى لنسألن الامم قاطبة يوم الحشر قائلين ماذا اجبتم المرسلين (ولنسألن المرسلين) عما اجيبوه اوالمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذى نفى بقوله تعالى ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام اوالاول فى موقف الحساب والثانى فى موقف العقاب وفى التفسير الكبير انهم لايسألون عن الاعمال ولكن يسألون عن الدواعى التى دعتهم الى الاعمال وعن الصوارف التى صرفتهم عنها (فلنقصن عليهم) اى على الرسل حين يقولون لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب (بعلم) اى عالمين بظواهرهم وبواطنهم (وما كنا غائبين) عنهم فى حال من الاحوال فيخفى علينا شئ من اعمالهم واحوالهم واعلم أن الرسل يقولون يوم الحشر اللهم سلم سلم ويخافون أشد الخوف على اممهم ويخافون على انفسهم والمطهرون المحفوظون الذين ماتدنست بواطنهم بالشبه المضلة ولاظواهرهم ايضا بالمخالفات الشرعية آمنون يغبطهم النبيون فى الذى هم عليه من الامن لما هم اى النبيون عليه من الخوف على اممهم فمن لقى الله تعالى فى ذلك اليوم شاهدا له بالاخلاص مقرا بنبيه صلى الله عليه وسلم بريئا من الشرك ومن السحر بريئا من اهراق دماء المسلمين ناصحا لله تعالى ولرسوله محبا لمن اطاع الله ورسوله مبغضا لمن عصى الله ورسوله استظل تحت ظل عرش الرحمن ونجا من الغم ومن حاد عن ذلك ووقع فى شئ من هذه الذنوب بكلمة واحدة اوتغير قلبه اوشك فى شئ من دينه بقى ألف سنة فى الحر والهم والعذاب حتى يقضى الله فيه بمايشاء (روى) ان ملكا من ملوك كندة كان طويل المصاحبة للهو واللذات كثير العكوف على اللعب فركب يوما للاصطياد اوغيره فانقطع عن اصحابه فاذا هو برجل جالس قد جمع عظاما من عظام الموتى وهى بين يديه يقلبها فقال ماقصتك أيها الرجل وما الذى بلغ بك ماأرى من سوء الحال ويبس الجلد وتغير اللون والانفراد فى هذه الفلاة فقال اما ماذكرت من ذلك فلانى على جناح سفر بعيد وبى موكلان مزعجان يحدوان بى الى منزل كبيت النمل مظلم القعر كريه المقر يسلمانى الى مصاحبة البلى ومجاورة الهلكى تحت اطباق الثرى فلوتركت بذلك المنزل مع ضيقه ووحشته وارتعاء خشاش الارض من لحمى حتى أعود رفاتا وتصير أعظمى رماما لكان للبلى انقضاء وللشقاء نهاية ولكنى ادفع بعد ذلك الى صيحة الحشر وارد أطول مواقف الجرائم ثم لاادرى الى اى الدارين يؤمر بى فأى حال يلتذ به من يكون هذا الامر مصيره فلما سمع الملك كلامه ألقى نفسه عن فرسه وجلس بين يدى وقال أيها الرجل لقد كدر مقالك على صفو عيشى وملك قلبى فأعد على بعض قولك فقال له اما ترى هذه التى بين يدى قال بلى قال هذه عظام ملوك غرتهم الدنيا بزخرفها واستحوذت على قلوبهم بغرورها فألهتهم عن التأهب لهذه المصارع حتى فاجأتهم الآجال وخذلتهم الآمال وسلبتهم بهاء النعمة وستنشر هذه العظام فتعود اجساما ثم تجازى بأعمالها فأما الى دار النعيم والقرار وأما الى دار العذاب والبوار ثم غاب الرجل فلم يدر اين ذهب وتلاحق اصحاب الملك به وقد تغيرلونه وتواصلت عبراته فلما جن عليه الليل نزع ماعليه من لباس الملك ولبس طمرين وخرج تحت الليل فكان آخر العهد به وانشدوا

افنى القرون التى كانت منعمة * كر الليلات اقبالا وادبارا

يا راقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

لا تأمنن بليل طاب اوله * فرب آخر ليل اجج النارا

قال الامام زين العابدين عجبت للمتكبر الفخور الذى كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت كل العجب لمن شك فى الله وهو يرى خلقه وعجبت كل العجب لمن انكر النشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء فعلى العاقل ان يعتبر بمن مضى قبل ان يجيء على رأسه القضا ويجتهد فى طريق الحق ذاكرا له فى الغدو والرواح ويتهيأ للموت قبل نزوله والوقت يمضى كالرياح فأين الذين وقعوا

فى انكار الرسل وتكذيب الانبياء مضوا والله الى دار الجزاء وسينقضى الزمان كله فلا يبقى احد على بساط العالم من ملك وجن وبنى آدم وتطوى صحائف الاعمال وتنشر يوم السؤال ويظهر كل جليل ودقيق فيا شقاوة اهل الخذلان ويا سعادة اهل التوفيق اللهم انا نسألك مراقبة الاوقات ومحافظة الطاعات والتمشى على الصراط السوى فى المسلك الصورى والمعنوى فاعن الضعفاء باقوى آمين يامعين (والوزن) اى وزن الاعمال والتميز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها والمعنى بالفارسيه سنجيدن اعمال هريك (يومئذ) اى يوم القيامة (الحق) بالفارسية راستست وبودنى (فمن ثقلت موازينه) اى حسناته التى توزن فهو جمع موزون ويجوز ان يكون جمع ميزان باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن وقال فى التأويلات النجمية وانما قال موازينه بالجمع لان كل عبد ينصب له موازين بالقسط تناسب حالاته فلبدنه ميزان يوزن به اوصافه ولروحه ميزان يوزن به نعوته ولسره ميزان يوزن به احواله ولخفيه ميزان يوزن به اخلاقه والخلق لطيفة روحانية قابلة لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال عليه السلام ماوضع فى الميزان اثقل من حسن الخلق وذلك لانه ليس من نعوت المخلوقين بل هو من اخلاق رب العالمين والعباد مأمورون بالتخلق بأخلاقه (فاولئك) الجمع باعتبار معنى من (هم) ضمير فصل يفيد اختصاص المسند بالمسند اليه (المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت موازينه) بالفارسية * عملهاى وزن كردهٔ اووان سبكى بمعصيت خواهد بود (فاولئك الذين خسروا انفسهم) بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ماعرضها للعذاب قال الحدادى الخسران اذهاب رأس المال ورأس مال الانسان نفسه فاذا هلك بسوء عمله فقد خسر نفسه (بما كانوا بآياتنا يظلمون) يعنى وضعوا التكذيب بها موضع التصديق قوله بما متعلق بخسروا ومامصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب قال فى التأويلات النجمية الوزن عند الله يوم القيامة لاهل الحق وارباب الصدق واعمال البر فلا وزن للباطل واهله ويدل عليه قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وروى انه يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فيوزن فلا يزن جناح بعوضة انتهى وهذه الرواية تدل على ان الموزون هو الاشخاص كما ذهب اليه بعض العلماء ولكن الجمهور على ان صحائف الاعمال هى التى توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت فى صحائفهم فيقرأونها فى موقف الحساب ويؤيده ماروى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مدى البصر فتخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فيطيش السجلات وتثقل البطاقة والبطاقة رقعة صغيرة وهى مايجعل فى طى الثوب يكتب فيها ثمنه وروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان الذى ينصب يوم القيامة فرأى كل كفة ملئ مابين المشرق والمغرب فغشى عليه فلما افاق قال الهى من يقدر أن يملأ كفته بالحسنات فقال الله تعالى ياداود اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة من صدقة وقال فى التفسير الفارسى * در تبيان از ابن عباس نقل ميكندكه درازى عمود ميزان پنجاه هزار ساله راهست وكفين او يكى از نورست ويكى از ظلمت حسنات در پلهٔ نور نهند وسيئات در پلهٔ ظلمت ويحكى عن بعضهم انه قال رأيت بعضهم فى المنام فقلت مافعل الله بك فقال وزنت حسناتى فرجحت السيئات على الحسنات فجاءت صرة من السماء وسقطت فى كفة الحسنات فرجحت فحلت الصرة فاذا فيها كف تراب ألقيته فى قبر مسلم ويجاء بعمل الرجل فيوضع فى كفة ميزانه فيخف فيجاء بشئ امثال الغمام فيوضع فى كفة ميزانه فترجح فيقال له أتدرى ماهذا فيقول لا فيقال له هذا فضل العلم الذى كنت تعلمه الناس وتستوى كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى لست من أهل الجنة ولا من أهل النار فيأتى الملك بصحيفة فيضعها فى كفة الميزان فيها مكتوب أف فترجح على الحسنات لانها كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا فيؤمر به الى النار فيطلب الرجل ان يرد الى الله تعالى فيقول ردوه فيقول أيها العبد العاق لاى شئ تطلب الرد الى فيقول الهى رأيت انى سائر الى النار وان لابد لى منها وكنت عاقا لابى وهو سائر الى النار مثلى فضعف على به عذابى وأنقذه منها فيضحك الله تعالى ويقول عققته فى الدنيا وبررته فى الآخرة خذ بيد أبيك وانطلق الى الجنة (قال الحافظ) طمع ز فيض كرامت مبركه خلق كريم * كنه ببخشد وبر عاشقان ببخشايد * واعلم ان السبعين الالف الذين يدخلون الجنة بلاحساب

لا يرفع لهم ميزان وكذا يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان فيصب لهم الأجر صبا حتى ان اهل العافية ليتمنون فى الموقف أن اجسامهم قد قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله فهم يكونون تحت شجرة فى الجنة تسمى شجرة البلوى قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال ارباب التحقيق التوحيد الرسمى يدخل فى الميزان لانه يوجد له ضد كما أشير اليه بحديث صاحب السجلات وأما التوحيد الحقيقى فلا يدخل فى الميزان لانه لا يعادله شئ اذ لا يجتمع ايمان وكفر بخلاف ايمان وسيئات ولهذا كانت لا اله الا الله أفضل الاذكار فالذكر بها أفضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو عند العلماء بالله لانها جامعة بين النفى والاثبات وحاوية على زيادة العلم والمعرفة فمن نفى بلا اله عين الخلق حكما لا علما فقد أثبت كون الحق حكما وعلما والاله من له جميع الاسماء وما هو الا عين واحدة هى مسمى الله الذى بيده ميزان الرفع والخفض قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره لا تدخل الموازين الا اعمال الجوارح وهى سبع السمع والبصر واللسان واليد والبطن والفرج والرجل واما الاعمال المعنوية فلا تدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيها العدل وهو الميزان المعنوى فحس لحس ومعنى لمعنى يقابل كل شئ بشاكلته قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء ينبغى أن يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها كذا فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى فعلى العاقل أن يسارع الى الطاعات ويبادر الى الحسنات خصوصا الى أحسن الحسنات وهو كلمتا الشهادة ليكون ممن ثقلت موازينه ويدخل فى زمرة المفلحين (ولقد مكناكم فى الارض) اى جعلنا لكم منها مكانا وقرارا وأقدرناكم على التصرف فيها على اى وجه شئتم (وجعلنا لكم فيها معايش) اى انشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما والخطاب لقريش فانه تعالى فضلهم على العرب بان مكنهم من الرحلة الى الشام اوان الصيف ومن الرحلة الى اليمن اوان الشتاء آمنين بسبب كونهم سكان حرم الله تعالى ومجاورى بيته الشريف ويتخطف الناس من حولهم فيتجرون بتينك الرحلتين ويكسبون ما يكون سببا لحياتهم من المأكل والمشارب والملابس وغيرها (قليلا ما تشكرون) فيما صنعت اليكم * والاشارة أن التمكين لفظ جامع للتمليك والتسليط والقدرة على تحصيل اسباب كل خير وسعادة دنيوية كانت او اخروية وكمال استعداد المعرفة والمحبة والطلب والسير الى الله ونيل الوصول والوصال وما تشرف بهذا التمكين الا الانسان وبه كرم وفضل وبه يتم امر خلافته ولهذا أمر الملائكة بسجود آدم وبه من الله على أولاده بقوله ولقد مكناكم فى الارض اى سيرناكم ووهبنا لكم فى خلافة الارض ما لم نمكن احدا غيركم فى الارض من الحيوانات ولا فى السماء من الملائكة وجعلنا لكم خاصة فيها معايش اى جعلنا لكل صنف من الملك والحيوان والشيطان معيشة يعيش بها وجعلنا لكم فيها معايش لان الانسان مجموع من الملكية والحيوانية والشيطانية والانسانية فمعيشة الملك هى معيشة روحه ومعيشة الحيوان هى معيشة بدنه ومعيشة الشيطان هى معيشة نفسه الامارة بالسوء ولما حصل للانسان بهذا التركيب مراتب الانسانية وانها لم تكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان وهى القلب والسر والخفى فمعيشة قلبه هى الشهود ومعيشة سره هى الكشوف ومعيشة خفيه هى الوصال والوصول قليلا ما تشكرون اى قليلا منكم من يشكر هذه النعم اى نعمة التمكن ونعمة المعايش برؤية هذه النعم والتحدث بها فان رؤية النعم شكرها والتحدث بالنعم ايضا شكر كذا فى التأويلات النجمية * نعمت بسى وشكر كزارنده اندكست * كوينده سپاس الهى زصد يكست * واعلم أن النعمة انما تسلب ممن لا يعرف قدرها ولا يؤدى شكرها روى أن بعض الانبياء عليهم السلام سأل الله تعالى عن امر بلعم وطرده بعد تلك الآيات والكرامات فقال الله تعالى لم يشكرنى يوما من الايام على ما أعطيته ولو شكرنى على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ أيها الرجل واحتفظ بركن الشكر جدا جدا واحمد الله على مننه التى اعلاها الاسلام والمعرفة وادناها مثلا توفيق لتسبيح أو عصمة من كلمة لا تعنيك عسى ان يتم نعمه عليك ولا يبتليك بمرارة الزوال فان امر الامور وأصعبها الاهانة بعد الاكرام والطرد بعد التقريب والفراق بعد الوصال (قال السعدى) نداند كسى قدر روز خوشى * مكر روزى افتد بسختى كشى * مكن تكيه بر دستگاهى كه هست * كه باشد كه نعمت نماند بدست * بسا اهل دولت ببازى نشست * كه دولت برفتش ببازى زدست *

فضيحت بود خوشه اندوختن * پس از خرمن خويشتن سوختن * تو پيش از عقوبت در عفو كوب *
كه سودى ندارد فغان زير چوب * اگر بنده كوشش كند بنده وار * عزيزش بدارد خداوندكار *
وگر كندرايست دربندگى * زجاندارى افتد بخربندگى * اللهم احفظنا من الكفران ووفقنا للشكر
كل حين وآن (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بصورته المخصوصة
عبر عن خلق نفس آدم وتصويره بخلق الكل وتصويرهم تنزيلا لخلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويرهم
من حيث ان المقصود من خلقه وتصويره تعمير الارض باولاده فكان خلقه بمنزلة خلق اولاده فالاسناد
فى ضمير الجمع مجازى (ثم قلنا للملائكة) كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص (اسجدوا لآدم) سجدة تحية
وتكريم لان السجود الشرعى وهو وضع الجبهة على قصد العبادة انما هو لله تعالى حقيقة (فسجدوا) اى الملائكة
بعد الامر من غير تلعثم (الا ابليس) اى لكن ابليس (لم يكن من الساجدين) اى ممن سجد لآدم والا فهو كان
ساجدا لله تعالى (قال) استئناف كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال (ما) اى اى شئ (منعك
ان لا تسجد) اى ان تسجد ولا صلة كما فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب اى ليتحقق علم اهل الكتاب (اذ امرتك)
اى وقت امرى اياك به (قال) ابليس (انا خير منه) اى الذى منعنى من السجود هو انى افضل منه لانك (خلقتنى
من نار وخلقته من طين) والنار جوهر لطيف نورانى والطين جسم كثيف ظلمانى فهو خير منه ولقد أخطأ
اللعين حيث لاحظ الفضيلة باعتبار المادة والعنصر * زادمى ابليس صورت ديد وبس * غافل از معنى
شد از مردود خس * نيست صورت چشم را نيكو بمال * تا ببينى شعشع نور جلال * (ونعم ماقيل ايضا)
صورت خاك ارچه دارد تيرگى درتيرگى * ليك بنگر كز ره معنى صفا اندر صفاست * اين همايون خاك
كاندر وصف او صاحب دلى * نكتة گفتش كه ازوى ديدهٔ جانرا جلاست * جستن كوكرد احمر ضايع
كردنست * روى برخاك سياه آوركه يكسر كيمياست (وفى المثنوى) كفت نار از خاك بى شك بهترست *
من زنار واوزخاك اكدرست * پس قياس فرع براصلش كنيم * او زظلمت من زنور روشنيم *
كفت حق نى بلكه لا انساب شد * زهد وتقوى فضل را محراب شد * اين نه ميراث جهان فانيست *
كه بانسابش بيان جانيست * بلكه اين ميراثهاى انبياست * وارث اين جانهاى اتقياست * پورآن
بوجهل شد مؤمن عيان * پورآن نوح نبى از گمرهان * زادهٔ خاكى منور شد چوماه * زادهٔ آتش
توبى زور وسياه * اين قياسات وتحرى روز بر * يا بشب مر قبله را كردست خبر * ليك باخورشيد
وكعبه پيش رو * اين قياس واين تحرى را مجو * كعبه ناديده مكن رو ومتاب * از قياس
الله اعلم بالصواب * وفى التأويلات النجمية ان شرف مسجودية آدم وفضيلته على ساجديه لم يكن بمجرد
خواصه الطينية وان تشرفه بشرف التخمير بغير واسطة كقوله تعالى مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى
وكقوله عليه السلام خمر الله طينة آدم بيده اربعين صباحا وانما كانت فضيلته عليهم لاختصاصه بنفخ الروح
المشرف بالاضافة الى الحضرة فيه من غير واسطة كما قال ونفخت فيه من روحى ولاختصاصه بالتجلى فيه عند
نفخ الروح كما قال عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم فتجلى فيه ولهذا السر ماامر الملائكة بالسجود بعد
تسوية قالب آدم من الطين بل امرهم بالسجود بعد نفخ الروح فيه كما قال الله تعالى انى خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وذلك لان آدم بعدان نفخ فيه الروح صار مستعدا للتجلى
لما حصل فيه من لطافة الروح ونورانيته التى يستحق بها التجلى ومن امساك الطين الذى يقبل الفيض الالهى
ويمسكه عند التجلى فاستحق سجود الملائكة فانه صار كعبة حقيقة (قال) الله تعالى (فاهبط) ياابليس (منها)
اى من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها وكانوا فى جنة عدن لا فى جنة الخلد وفيها خلق آدم
وهذا امر عقوبة على معصية (فما يكون لك) اى فما يصح ويستقيم لك ولا يليق بشأنك (ان تتكبر فيها) اى فى الجنة
ولادلالة فيه على جواز التكبر فى غيرها (فاخرج) تأكيد للامر بالهبوط (انك من الصاغرين) اى من الاذلاء
واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبرك وفى الآية تنبيه على ان الله تعالى انما طرده واهبطه لتكبره
لا لمجرد عصيانه وفى الحديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (وفى المثنوى) علتى بدتر زپندار
كمال * نيست اندر جان تو اى ذى دلال * از دل وازديده ات بس خون رود * تا زتو اين معجبى

بيرون رود * علت ابليس انا خير بدست * وين مرض درنفس هر مخلوق هست * كرچه خودرا بس شكسته بيند او * آب صافى دان وسركين زير جو * چون بشوراند ترا در امتحان * آب سركين رنك كردد درزمان * درتك جو هست سركين اى فتى * كرچه جو صافى نمايد مر ترا * وكان الاصحاب رضى الله عنهم يبكون دما من اخلاق النفس (وذكر) ان قاضيا جاء الى ابى يزيد البسطامى يوما فقال نحن نعرف ما تعرفه ولكن لا نجد تأثيره فقال ابو يزيد خذ مقدارا من الجوز وعلق وعاءه فى عنقك ثم ناد فى البلد كل من يلطمنى ادفع له جوزة حتى لا تبقى منه شيأ فاذا فعلت ذلك تجد التأثير فاستغفر القاضى فقال ابو يزيد قد اذنبت لانى اذكر ما يخلصك من كبر نفسك وأنت تستغفر من ذلك لكمال كبرك قال ابو جعفر البغدادى ست خصال لا تحسن بست رجال لا يحسن الطمع فى العلماء ولا العجلة فى الامرآء ولا الشح فى الاغنياء ولا الكبر فى الفقرآء ولا السفه فى المشايخ ولا اللؤم فى ذوى الاحساب فعليك بالتوحيد فانه سيف صارم يقطع عرق كل خلق مذموم (قال) الشيطان بعد كونه مطرودا (انظرنى) اى امهلنى ولا تمتنى (الى يوم يبعثون) اى آدم وذريته للجزآء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوآئهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد الموت (قال) الله تعالى (انك من المنظرين) اى من جملة الذين اخرت آجالهم الى وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسئول كما بين مدة المهلة فى قوله تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم النفخة الاولى يموت الخلق فيه ويموت ابليس معهم وبين النفخة الاولى والثانية اربعون سنة فاستجيب بعض دعائه لا كله والفتوى على ان دعاء الكافر يستجاب استدراجا ودل ظاهر قوله انك من المنظرين على ان ثمة منظرين غير ابليس وعن ابن عباس قال ان الدهر يمر بابليس فيهرم ثم يعود ابن ثلاثين * غافلان ازمرك مهلت خواستند * عاشقان كفتند نى زودباد * وانما انظره ابتلاء للعباد وتمييزا بين المخلص لله ومتبع الهوى وتعريضا للثواب بمخالفته وقيل انظره مكافأة له بعبادته التى مضت فى السماء وعلى وجه الارض ايعلم انه لا يضيع اجر العالمين وقيل امهله وابقاه الى آخر الدهر استدراجا له من حيث لا يعلم ليتحمل من الاوزار ما لا يتحمل غيره من الاشرار والكفار فأنظره الى يوم القرار ليحصل الاعتبار به لذوى الابصار بأن اطول الاعمار فى هذه الدار لرئيس الكفار وقائد زمرة الفجار واختلف العلماء هل كلم الله تعالى ابليس بغير واسطة اولا والصحيح انه انما كلمه بواسطة ملك لأن كلام البارى لمن كلمه رحمة ورضى وتكرم واجلال الا ترى ان موسى عليه السلام فضل بذلك على الانبياء ما عدا الخليل ومحمدا صلى الله عليه وسلم فان قيل اليس رسالته ايضا تشريفا وقد كانت لابليس على غير وجه التشريف كذلك كلامه يكون تشريفا لغير ابليس ولا يكون تشريفا لابليس قيل مجرد الارسال ليس بتشريف وانما يكون لاقامة الحجة بدلالة ان موسى عليه السلام ارسله الله الى فرعون وهامان ولم يقصد اكرامهما واعظامهما لعلمه بانهما عدوان وكان كلامه اياه تشريفا له وقوله تعالى ويوم يناديهم اى على لسان بعض ملائكته (قال) ابليس (فبما اغويتنى) الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف والاغواء الاضلال عن المنهج القويم والهمزة فيه للصيرورة اى بسبب ان صيرتنى غاويا ضالا عن الهدى محروما من الرحمة لاجلهم أقسم بعزتك (لأقعدن لهم) اى لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة (صراطك) اى على صراطك (المستقيم) الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فالقعود كناية عن الاجتهاد فى اغوآء بنى آدم فان من هلك بسبب الاجتهاد فى تكميل امر من الامور يقعد حتى يصير فارغ البال عما يشغله عن اتمام مقصوده ويتوجه اليه بكليته (ثم لآتينهم) پس بيايم بديشان (من بين ايديهم) اى من قبل الآخرة فاشككهم فيها وايضا من قبل الحسد فازين لهم الحسد على الاكابر من العلماء والمشايخ فى زمانهم ليطعنوا فى احوالهم واعمالهم واقوالهم (ومن خلفهم) من جهة الدنيا ارغبهم فيها وايضا من قبل العصبية ليطعنوا فى المتقدمين من الصحابة والتابعين والمشايخ الماضين ويقدحوا فيهم ويبغضوهم (وعن ايمانهم) من جهة الحسنات واوقعهم فى العجب والرياء وايضا من قبل الانبساط فأحرض المريدين على سوء الادب فى صحبة المشايخ وترك الحشمة والتعظيم والتوسع فى الكلام والمزاح لازلهم عن رتبة القبول (وعن شمائلهم) من جهة السيئات فازينها لهم وايضا من قبل المخالفة فآمرهم بترك اوامر المشايخ ونواهيهم لأوردهم به موارد الرد وأهلكهم بسطوات غيرة الولاية وردها بعد القبول والمقصود من الجهات

الاربع التى يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اى وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف المتجافى عنهم المار على عرضهم وجانبهم كما تقول جلست عن يمينه اذا جلست متجافيا عن جانب يمينه غير ملاصق له فكأنك انحرفت عنه وتجاوزت (ولا تجد اكثرهم شاكرين) اى مطيعين وفى التفسير الفارسى يعنى كافران باشندكه منعم رانشناسد وانما قال ظنا لا علما لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا وهو الشهوة والغضب ومبدأ الخير واحدا وهو العقل (قال السعدى) نه ابليس درحق ما طعنه زد * كزينان نيايد بجز كار بد * فغان ازبديها كه درنفس ماست * كه ترسم شود ظن ابليس راست * جوملعون پسند آمدش قهر ما * خدايش برانداخت ازبهر ما * كجا سربر آريم ازين عار وننك * كه با او بصلحيم وباحق بجنك (قال) الله تعالى لابليس (اخرج منها) اى من الجنة حال كونك (مذؤما) اى مذموما من ذأمه اذا ذمه فالذأم من المهموز العين والذم من المضاعف كلاهما بمعنى واحد وهو التعييب البليغ (مدحورا) اى مطرودا فاللعين مطرود من الجنة ومن كل خير لعجبه ونظره الى نفسه ففيه عبرة لكل مخلوق بعده (لمن تبعك منهم) اللام لتوطئة القسم ومن شرطية ومعناه بالفارسية * بخداى كه هركه درپى تو بيايد از اولاد آدم (لأملأن جهنم منكم اجمعين) جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط ومعنى منكم اى منك ومن ذريتك ومن كفار ذرية آدم وفى الحديث تحاجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون المتكبرون وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال الله تعالى لهذه أنت عذابى أعذب بك من اشاء وقال لهذه أنت رحمتى ارحم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها والتابعون للشيطان هم الذين يأتيهم من الجهات الاربع المذكورة فيقبلون منه ما امره فليحذر العاقل عن متابعته وليجتهد فى طاعة الله وعبادته حتى لا يدخل النار مع الداخلين وفى الحديث اذا كان يوم القيامة رفع الى كل مؤمن رجل من اهل الملل فقيل هذا فداؤك من النار وفى هذا الحديث دليل على كمال لطف الله بعباده وكرامتهم عليه حيث فدى اولياءه بأعدائه ويحتمل ان يكون معنى الفداء ان الله تعالى وعد النار لملأها من الجنة والناس فهى تستنجز الله موعده فى المشركين وعصاة المؤمنين فيرضيها الله تعالى بما يقدم اليها من الكفار فيكون ذلك كالمفاداة عن المؤمنين وقال بعضهم معناه ان المؤمنين يتوقون بالكفار من نفح النار اذا مروا على الصراط فيكونون وقاية وفداء لاهل الاسلام قال بعضهم رأيت أبا بكر بن الحسين المقرى فى المنام فى الليلة التى دفن فيها فقلت له أيها الاستاذ ما فعل الله بك قال ان الله تعالى أقام أبا الحسن العامرى صاحب الفلسفة فدائى وقال هذا فداؤك من النار وقد كان ابو الحسن توفى فى الليلة التى توفى فيها ابو بكر المقرى وفى الحديث يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى ولا يستبعد من فضل الله مع اهل الاسلام والايمان ان يفديهم بأهل الكفر والطغيان وذلك عدل من الله تعالى مع أهل المعصية وفضل على اهل طاعته خلافا للمعتزلة فانهم انكروا هذه واستدلوا بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى والذى صاروا اليه خلاف الكتاب والسنة قال الله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فلا يصح استدلالهم بالآية لان كل كافر معاقب بوزره والله اعلم بحقيقة الحال واليه المآل (ويا آدم) اى وقلنا لآدم بعد اخراج ابليس من الجنة يا آدم (اسكن أنت) اى لازم الاقامة على طريق الاباحة والتكريم (وزوجك) حواء والزوج فى كلام العرب هو العدد الفرد المزاوج لصاحبه فاما الاثنان المصطحبان فيقال لهما زوجان (الجنة) اى فيها وهى اما جنة الخلد التى جعلت دار الجزاء وعليه اكثر اهل العلم لوجوه ذكروها فى كتبهم اوجنة فى السماء هبطا منها اوجنة فى الارض كانت مرتفعة على سائر بقاع الارض ذات اشجار واثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور اعدها الله لهما وجعلها دار ابتلاء وعليه بعض المحققين من أهل الظاهر والباطن لانه كلف فيها ان لا يأكل من تلك الشجرة ولا تكليف فى الجنة الجزائية ولانه نام فيها واخرج منها ودخل عليه ابليس فيها ولا نوم فى الجنة ولا خروج بعد الدخول ولا يجوز دخول الشيطان فيها بعد الطرد والاخراج ولقول قابيل انا من اولاد الجنة كما لا يخفى ولما روى ان آدم لما احتضر اشتهى قطفا من عنب الجنة فانطلق بنوه ليطلبوه فلقيتهم الملائكة

فقالوا اين تريدون يا بنى ادم فقالوا ان ابانا اشتهى قطفا من عنب الجنة فقالوا لهم ارجعوا فقد كفيتموه فانتهوا اليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبرائيل وبنوه خلف الملائكة ودفنوه وقالوا هذه سنتكم فى موتاكم قالوا فلولا أن الوصول الى الجنة التى كان فيها آدم التى اشتهى منها القطف كان ممكنا لما ذهبوا يطلبون ذلك فدل على انها فى الارض لا فى السماء وقد ثبت أن النيل يخرج من الجنة ولا شك أنها من جنان الارض وبساتينها والله أعلم (فكلا من حيث شئتما) من اى مكان شئتما ومن اى شئ شئتما من نعم الجنة وثمارها موسعا عليكما (ولا تقربا هذه الشجرة) اختلفوا فى هذه الشجرة ايضا وقد ابهم الله ذكرها وتعيينها ولو كان فى ذكرها مصلحة تعود الينا لعينها لنا كما فى غيرها كذا فى آكام المرجان (فتكونا من الظالمين) اى فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم (فوسوس لهما الشيطان) قال فى الصحاح فوسوس لهما الشيطان يريد اليهما ولكن العرب توصل بهذه الحروف كلها الفعل انتهى والوسوسة الكلام الخفى المكرر بلقية الشيطان الى قلب البشر ليزين له ما هو المنكر شرعا وأول ما ابتدأهما به من كيده اياهما انه ناح عليهما نياحة احزنتهما حين سمعاها فقالا له ما يبكيك قال ابكى عليكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك فى نفسهما ثم اتاهما فوسوس اليهما وقال ما نهاكما كما يجيئ (ليبدى لهما) اى ليظهر لهما واللام للعاقبة لان اللعين انما وسوس لهما ليوقعهما فى المعصية لا لظهور عورتهما لكن لما كان عاقبة وسوسته ظهور سوآتهما شبه ظهورها بالغرض الحامل على الوسوسة ويحتمل ان يكون اللام لام الغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما اى يخزيهما بانكشاف عورتهما عند الملائكة وكان قد علم ان لهما سوءة بقراءته كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك وفى كون الانكشاف غرضا لابليس دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع ولم يقع نظر على رضى الله عنه الى عورته حذرا من ان يراها بالعين التى يرى بها جمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان النظر الى سوءته بهذه المرتبة فما ظنك بالنظر الى سوءة الغير وما أشد قبح كشف العورة قالت عائشة رضى الله عنها ما رأى منى ولا رايت منه اى العورة (ما وورى عنهما) اى الذى ستر عنهما وهو مجهول وارى (من سوآتهما) اى عورتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر لانهما قد ألبسا ثوبا يستر عورتهما والسوآت جمع السوءة والتعبير بلفظ الجمع عن اثنين لكراهة اجتماع لفظى التثنية ويحتمل ان يكون الجمع على اصل وضعه باعتبار ان كل عورة هى الدبر والفرج وذلك اربعة فهى جمع وسميت العورة سوءة لانه يسوء الانسان انكشافها (وقال) عطف على وسوس بيانا وتفصيلا لكيفية وسوسته (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة) اى عن اكلها لامر ما (الا) كراهة (ان تكونا ملكين) اى كالملائكة فى لطافة البنية والاستغناء عن التغذى بالاطعمة والاشربة ونحوهما وفضل الملائكة من بعض الوجوه لا يدل على فضلهم على الانبياء مطلقا لجواز أن يكون لنوع البشر فضائل اخر راجحة على ما للملك فليس المراد انقلاب حقيقتهما البشرية الى الحقيقة الملكية فانه محال قال سعدى المفتى فيه بحث اذ لا مانع منه عند الاشاعرة لتجانس الاجسام انتهى واعلم ان الله تعالى باين بين الملائكة والجن والانس فى الصورة والاشكال فمن حصل على بنية الانسان ظاهرا وباطنا فهو انسان فلو قلب الانسان الى بنية الملك لخرج بذلك عن كونه انسانا لكن الملك والشيطان لا يخرجان بالتشكلات الظاهرية المختلفة عن حقيقتهما (او تكونا من الخالدين) الذين لا يموتون ويخلدون فى الجنة (وقاسمهما) اى اقسم لهما فالقسم انما وقع من ابليس فقط الا انه عبر عن اقسامه بزنة المفاعلة للدلالة على انه اجتهد فى القسم اجتهاد المقاسم وهو الذى حلف فى مقابلة حلف شخص آخر (انى لكما لمن الناصحين) فيما اقول والنصح بذل المجهود فى طلب الخير فى حق غيره (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة وحطهما من المرتبة العالية وهى مرتبة الطاعة الى المنزلة السافلة وهى الحالة المغضبة والتدلية ارسال الشئ من الاعلى الى الاسفل كارسال الدلو فى البئر (بغرور) اى بسبب تغريره اياهما باليمين بالله كاذبا وكان اللعين اول من حلف بالله كاذبا وظن آدم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا فاغتر به فان شأن المؤمن ان يعتقد بصدق من حلف بالله لتمكن عظمة اسم الله تعالى فى قلبه وكان بعض العلماء يقول من خادعنا بالله خدعنا وفى الحديث المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما) اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها لخذهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما فاستحييا وفى الاخبار ان غيرهما لم ير عورتهما قيل كان

لباسهما فى الجنة ظفرا فى أشد اللطافة واللين والبياض يكون حاجبا من النظر الى اصل البدن فلما اصابا الخطيئة
نزع ذلك عن بدنهما وبقى عند رؤس الاصابع تذكيرا لما فات من النعم وتجديد الندم وقيل كان لباسهما نورا
يحول بينهما وبين النظر الى حد البدن وقيل كان حلة من حلل الجنة (وطفقا يخصفان) اى اخذا يرقعان
ويلزقان ورقة فوق ورقة (عليهما) اى على بدنهما او على سوآتهما من قبيل صغت قلوبكما فى التعبير عن المثنى
بالجمع لعدم التباس المراد فجاز أن يرجع اليه ضمير التثنية (من ورق الجنة) قيل كان ذلك ورق التين ولم يستره
من الشجر الا شجر التين فقال الله تعالى كما سترت آدم اخرج منك المعنى قبل الدعوى وسائر الاشجار يخرج
منها الدعوى قبل المعنى فلهذه الحكمة يخرج ثمر سائر الاشجار فى كمامها اولا ثم تظهر الثمرة من الكمام
ثانيا وشجرة التين اول ما يبدو ثمره يبدو بارزا من غير كمام وفى الآية دليل على ان كشف العورة قبيح من لدن آدم
عليه السلام الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر فى عقلهما من قبح كشف العورة (وناداهما ربهما)
مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ يحتمل ان يكون ذلك بأن اوحى اليهما بواسطة الملك ذلك الكلام او بأن
ألهمهما ذلك فى قلبهما قيل كانت خجلتهما بهذا العتاب أشد عليهما من كل محنة اصابتهما (ألم انهكما) وهو تفسير
للنداء فلا محل له من الاعراب (عن تلكما الشجرة وأقل لكما) عطف على انهكما اى ألم اقل لكما (ان الشيطان لكما
عدو مبين) اشارة الى قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ولكما متعلق بعدو
لما فيه من معنى الفعل (روى) ان الله تعالى قال لآدم ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة
فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال
العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز
(قالا) اعترافا بالخطيئة وتسارعا الى التوبة (ربنا) اى يا ربنا (ظلمنا انفسنا) اى ضررناها بالمعصية وعرضناها
للاخراج من الجنة (وان لم تغفر لنا) تستر علينا ذنبنا (وترحمنا) بقبول توبتنا (لنكونن من الخاسرين)
اى الهالكين الذين باعوا حظهم فى الآخرة بشهوة ساعة وهو دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر
والمغفرة مشكوك فيها فكان ذنب آدم صغيرة لانه لم يأكل من الشجرة قصدا لمخالفة حكم الله تعالى بل
انما اكل بناء على مقالة اللعين حيث اورثت فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله الى ان نسى
ذلك وزال المانع عن اكله فحمله طبعه عليه ولانه انما اقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فانه ظن ان النهى
للتنزيه او ان الاشارة فى قوله ولا تقربا هذه الشجرة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها
وقد كان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى انه عليه السلام أخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان
على ذكور أمتى حل لاناثها (قال) الله تعالى (اهبطوا) خطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس
(بعضكم لبعض عدو) جملة حالية من فاعل اهبطوا اى متعادين فطبع ابليس على العداوة كطبع العقرب على
اللدغ والذئب على السلب فعادى آدم لذهاب رياسته بين الملائكة بسبب خلافة آدم وامرنا بمعاداة ابليس
لان الابن يعادى عدو أبيه (ولكم فى الارض مستقر) قرار كاهى وآرام جاى (ومتاع) اى تمتع وانتفاع
(الى حين) هو حين انقضاء آجالهم فاغتم آدم وظن انه لا يرجع الى الجنة (قال) الله تعالى (فيها تحيون) اى
فى الارض تعيشون (وفيها تموتون) وتقبرون (ومنها تخرجون) للجزاء فعلم آدم من مضمون هذا الخطاب
انه يعود الى الجنة فصار متسليا بفضل الله تعالى ووعده قال الامام القشيرى ونعم ما قال اصبح آدم عليه السلام
محسود الملائكة مسجودا لكافتهم على رأسه تاج الوصلة وعلى جسده لباس الكرامة وفى وسطه نطاق القربة
وفى جيده قلادة الزلفى لا احد من المخلوق فوقه من الرتبة ولا شخص مثله فى الرفعة يتوالى عليه النداء كل لحظة
يا آدم يا آدم فلم يمس حتى نزع عنه لباسه وسلب استئناسه وتبدل مكانه وتشوش زمانه فاذا كان شؤم معصية
واحدة على من اكرمه الله بكل كرامة هكذا فكيف شؤم المعاصى الكثيرة علينا انتهى (قال الحافظ) جه كونه
دعوى وصلت كنم بجان كه شدست * تنم وكيل قضا ودلم ضمان فراق * وقضاء الله تعالى يجرى على كل احد نبيا
كان او وليا * نه من از پردهء تقوى بدر افتادم وبس * پدرم نيز بهشت ابد از دست بهشت * واعلم ان آدم تناول
من شجرة المحبة حقيقة فوقع فى شبكة المحنة وامر بالصبر على الهجر ووعد بالوجد بعد الفقد فكان ما كان
من الترقيات المعنوية بعد التنزلات الصورية * مقام عيش ميسر نمى شود بى رنج * بلى بحكم

بلا بسته انه حكم ألست * وشجرة العلم المجرد منهى عن ان يقربها احد بدون المكاشفة والمشاهدة والمعاينة فان صاحبه محجوب ومحروم من لذات ثمرات الحقيقة فليمكن المشاهدة همته من اول أمره الى ان يصل الى ذروة الكمال قبل مجيئ الآجال فان فاجأه الموت وهو فى الطريق فالله تعالى يوصله الى مطلبه ولو فى البرزخ وايضا لا ينبغى لاحد ان يقرب من شجرة التدبير فان التقدير كاف لكل غنى وفقير الا ترى الى قيام الصلاة فانه اشارة الى التقدير الازلى وهو التفويض والركوع اشارة الى التدبير الابدى وهو التسليم والسجدة اشارة الى الفناء الكلى عنهما اذ كما لا بد من التخلق بمثل هذه الصفات لا بد من الفناء عنها فى غاية الغايات قال تعالى فيها تحيون اى فى المحبة وصدق الطلب وقرع باب الفرج بالصبر والثبات على العبودية وفى طلب الحق تموتون على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى عالم الحقيقة يدل عليه قوله عليه السلام كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون * بكوش خواجه وازعشق بى نصيب مباش * كه بنده رانخرد كس بعيب بى هنرى * مرادر بن ظلمات آنكه رهنمايى كرد * دعاى نيم شبى بود وكريهٔ سحرى (يا بنى آدم) خطاب للناس كافة روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت الى آخر الآيات الثلاث (قد انزلنا عليكم لباسا) اى خلقناه لكم بانزال سببه من السماء وهو ماء المطر فانه تنبت الارض من القطن والكتان من ماء السماء وما يكون من الكسوة من اصواف الانعام فقوام الانعام ايضا من ماء السماء واعلم ان السماء فاعلة والارض قابلة والحوادث الارضية منسوبة الى السماء فكل ما فى الارض انما هو بتدبيرات سماوية (يوارى سوءآتكم) اى يستر عوراتكم فكشف العورة مع وجود ما يسترها من اللباس فى غاية القباحة ولا شك ان الشيطان أغوى من فعل ذلك كما أغوى آدم وحوآء فبدت لهما سوءآتهما ونستعيذ بالله من شره (وريشا) هو من قبيل ما حذف فيه الموصوف واقيمت صفته مقامه كأنه قيل ولباسا ريشا اى ذا ريش وزينة تتجملون به عبر عن الزينة بالريش تشبيها لها بريش الطائر لان الريش زينة الطائر كما ان اللباس زينة لبنى آدم كأنه قيل انزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوءآتكم ولباسا يزينكم فان الزينة غرض صحيح قال تعالى لتركبوها وزينة (قال الحسين الكاشفى) در تفسير امام زاهد فرموده كه لباس آنست كه از پنبه باشد وريش از ابريشم وكتان وپشم (ولباس التقوى) اى خشية الله تعالى مبتدأ خبره قوله (ذلك خير) شبهت التقوى بالملبوس من حيث انها تستر صاحبها وتحفظه مما يضره كما يحفظه الملبوس قال قتادة والسدى هو العمل الصالح لانه يقى من العذاب كأنه قال لباس التقوى خير من الثياب لان الفاجر وان كان حسن الثياب فهو بادى العورة قال الشاعر

انى كأنى أرى من لا حياء له * ولا أمانة وسط القوم عريانا

(قال الحافظ) قلندران حقيقت بنيم جو نخرند * قباى اطلس انكس كه از هنر عاريست (وفى التفسير الفارسى) ولباس التقوى وپوشش تقوى يعنى لباسى كه براى تواضع پوشند چون پشمينها وجامها درشت ذلك خير آن بهتراست كه از لباسهاى نرم * وفى الحديث من رق ثوبه رق دينه وقيل اول من لبس الصوف آدم وحوآء حين خرجا من الجنة وكان عيسى عليه السلام يلبس الشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث امسى فلبس الصوف والشعر علامة التواضع وفيه تشبيه بالمساكين والعاقل من اختار ما اختاره الصلحاء (قال الصائب) جمعى كه پشت گرم بعشق نيند * نازسمور ومنت سنجاب ميكشند * واعلم ان لكل جزء من اجزاء الانسان لباسا يوارى سوأة ذلك الجزء من ظاهره وباطنه فلباس الشريعة يوارى سوأة الافعال القبيحة بأحكام الشريعة فى الظاهر وسوأة الصفات الذميمة النفسانية والحيوانية باداب الطريقة فى الباطن والتقوى هو لباس القلب والروح والسر والخفى فلباس القلب من التقوى هو الصدق فى طلب المولى يوارى سوأة طمع الدنيا وما فيها ولباس الروح من التقوى محبة الحق تعالى يوارى به سوأة التعلق بغير المولى ولباس السر هو شهود أنواع اللقاء يوارى به سوأة رؤية ما سوى الله تعالى ولباس الخفى هو البقاء بهوية الحق يوارى به سوأة هوية الخلق يعنى همه تعينات مضمحل ومتلاشى كردد وحجاب پندار از سر موجودات متكثره دركشيده اند ومر لمن الملك اليوم بر غرفهٔ وحدت وقهار جلوه نمايد * ملك ملك اوست او خود مالكست * غير ذاتش كل شئ هالكست كل شئ ما خلا الله باطل * ان فضل الله غيم هاطل * ملك آمد پيش وجهش نيستست * هستى

اندرنيستى خود طرفه ايست (ذلك) اى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمته حيث اغناهم باللباس عن خصف الورق أو يتعظون فيتورعون عن القبائح نحو كشف العورة وفى الاسرار المحمدية العالم مشحون بالارواح فليس فيه موضع بيت ولازاوية الاوهو معمور بما لايعلمه الا الله ومايعلم جنود ربك الاهو قال حجة الاسلام فى كتابه معراج السالكين والدليل على ذلك أمر النبى عليه السلام بالتستر فى الخلوة وان لايجامع الرجل امرأته عريانين وكان الحسن والحسين وعبدالله ابن جعفر يدخلون الماء وعليهم السراويلات تسترا عن سكان الماء يحكى عن احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستعملت خبر النبى عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر فلم أتجرد فرأيت تلك الليلة فى المنام كأن قائلا يقول ابشر يا احمد فان الله تعالى قد غفر لك باستعمال السنة فقلت ومن أنت قال انا جبرآئيل فقد جعلك الله اماما يقتدى بك قال فى الشرعة وينوى بلبس الثياب ستر العورة والعيب الواقع فى البدن والتزين بها تودّدا الى اهل الاسلام لالحظ النفس فان ذلك اللبس بتلك النية يصفى وينور العقل عن الكدورات تصفية بحيث لايشوبه شئ من اهوية النفس وحظوظها ويؤجر عليه بتلك النية قبل الاعمال البهيمة ماكان بغير نية فعلى العاقل جمع الهمم بحيث لايسنح فى السر ذكر غيره تعالى (يابنى آدم لايفتننكم الشيطان) اى لايوقعنكم فى الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة باغوآئكم (كما اخرج ابويكم من الجنة) نعت لمصدر محذوف اى لايفتننكم فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم آدم وحوآء من الجنة فانه اذا قدر بكيده على ازلالهما فان يقدر على ازلال اولادهما اولى فوجب عليكم ان تحترزوا عن قبول وسوسته والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به وهو ابلغ من لاتقبلوا فتنة الشيطان (ينزع عنهما لباسهما) حال من ابويكم وعن ابن عباس رضى الله عنه ان لباسهما كان من الظفر اى كان يشبه الظفر فانه كان مخلوقا عليهما خلقة الظفر وأسند نزع اللباس الى الشيطان مع انه لم يباشر ذلك لكونه سببا فى ذلك النزع (ليريهما سوآتهما) اى ليظهر لهما عوراتهما وكانا قبل ذلك لايريانها من انفسهما ولا أحدهما من الآخر كما روى أن آدم كان رجلا طوالا وكأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بالخطيئة بدت سوأته وكان لايراها فانطلق هاربا فى الجنة فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسليني فقالت لست مرسلتك فناداه ربه يا آدم أمنى تفر قال لاولكنى استحييت (انه) اى الشيطان او الشأن (يراكم هو وقبيله) اى جنوده وذريته (من حيث لاترونهم) من لابتدآء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ومعناه بالفارسية * ازجايى كه شما اورانبى بينيد يعنى اجسام ايشان ازغايت رقت ولطافت در نظر شما نمى آيد وايشان اجسام شمارا بواسطهٔ غلظت وكثافت مى بينند حذر از چنين دشمن لازمست (وفى المثنوى) از نبى برخوان كه ديو وقوم او * مى برند از حال انسى خفيه بو * از رهى كه انس ازان آكاه نيست * زانكه محسوس درين اشباه نيست * مسلكى دارند ازديده درون * ما زدزديهاى ايشان سرنكون * دمبدم ضبط وزيانى ميكنند * صاحب نقب وشكاف وروزنند * ورؤيتهم ايانا من حيث لانراهم فى الجملة اى فى بعض احوالهم وهو حال بقائهم على صورهم الاصلية لايقتضى امتناع رؤيتنا اياهم بان يتمثلوا لنا كما تواتر من ان بعض الناس رأى الجن جهارا علنا قال فى آكام المرجان فى احكام الجان لوكشف الله اجسامهم وقوّى شعاع ابصارنا لرأيناهم اولو كثفهم وشعاع ابصارنا على ماهو عليه من غير ان يقوى لرأيناهم ألاترى ان الريح مادامت رقيقة لطيفة لاترى فاذا كثفت باختلاف الغبار رأيناها ولم يمتنع دخولهم فى ابداننا كما يدخل الريح والنفس المتردد الذى هو الروح فى ابداننا من التخرق والتخلخل وفى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وقد يحتاج فى ابرآء المصروع ودفع الجن عنه الى الضرب فيضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة او اربعمائة ضربة او اقل او اكثر والضرب انما يقع على الجنى ولايحس به المصروع ولو كان على الانسى لقتله وكذا يجوز دخولهم فى الاحجار اذا كانت متخلخلة كما يجوز دخول الهوآء فيها فان قلت لو دخل الجن فى جسد ابن آدم لتداخلت الاجسام ولاحترق الانسان قلت الجسم اللطيف يجوز ان يدخل الى مخاريق الجسم الكثيف كالهوآء الداخل فى سائر الاجسام ولايؤدى ذلك الى اجتماع الجواهر فى حيز واحد لانها لاتجتمع الا على طريق المجاورة لاعلى سبيل الحلول وانما يدخل

فى اجسامنا كما يدخل الجسم الرقيق فى الظروف والجن ليسوا بنار محرقة بل هم خلقوا من نار فى الاصل كما خلق آدم من التراب فالنسبة باعتبار الجزء الغالب قال فى بحر الحقائق الاشارة انهم انما يرونكم من حيث البشرية التى هى منشأ الصفات الحيوانية وانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم لا من حيث الروحانية التى هى منشأ علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم فى هذا المقام وانتم ترونهم بالنظر الروحانى بل بالنظر الربانى انتهى ثم قوله انه يراكم تعليل للنهى ببيان انه عدو صعب الاحتراز عن ضرره فان العدو الذى يراك ولا تراه شديد المؤونة لا يتخلص منه الا من عصمه الله فلا بد ان يكون العاقل على حذر عظيم من ضرره فان قيل كيف نحاربهم ونحترز عنهم ونحن لا نراهم قلنا لم نؤمر بمحاربة اعيانهم وانما امرنا بدفع وسوستهم وعدم قبول ما القاه فى قلوبنا بالاستعاذة منه الى الله تعالى (روى) عن ذى النون المصرى انه قال ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه فان كيد الشيطان كان ضعيفا (انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون) بما اوجدنا بينهم من التناسب فى الخذلان والغواية فصار بعضهم قرين بعض واغواه فالاولياء جمع ولى بمعنى الصديق ضد العدو يقال منه تولاه اى اتخذه صديقا وخليلا وذكر عن وهب بن منبه انه قال امر الله تعالى ابليس ان يأتى محمدا عليه السلام ويجيبه عن كل ما يسأله فجاء على صورة شيخ وبيده عكازة فقال له من أنت قال انا ابليس قال لماذا جئت قال أمرنى ربى ان آتيك واجيبك فأخبرك عما تسالنى فقال عليه الصلاة والسلام فكم اعداؤك من أمتى قال خمسة عشر انت يا محمد وامام عادل وغنى متواضع وتاجر صدوق وعالم متخشع ومؤمن ناصح ومؤمن رحيم القلب وثابت على التوبة ومتورع عن الحرام ومديم على الطهارة ومؤمن كثير الصدقة وحسن الخلق مع الناس ومن ينفع الناس وحامل القرآن مديم عليه وقائم الليل والناس نيام قال فكم رفقاؤك من أمتى فقال عشرة سلطان جائر وغنى متكبر وتاجر خائن وشارب الخمر والقتات وصاحب الزناء وآكل مال اليتيم وآكل الربا ومانع الزكاة والذى يطيل الامل فهؤلاء اصحابى واخوانى فظهر ان الشياطين كما انهم اولياء لاهل الكفر كذلك هم اولياء لمن هو فى حكم اهل الكفر من اهل المعصية ونسأل الله العناية والتوفيق ويحكى ان الخبيث ابليس تبدى ليحيى بن زكرياء عليهما السلام فقال انى اريد أن انصحك قال كذبت انت لا تنصحنى ولكن اخبرنى عن بنى آدم قال هم عندنا على ثلاثة اصناف اما الصنف الاول منها فأشد الاصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شئ ادركنا منه ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك فى عناء واما الصنف الثانى فهم فى ايدينا بمنزلة الكرة فى ايدى صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شئ قال يحيى بعد ذلك هل قدرت منى على شئ قال لا الا مرة واحدة فانك قدمت طعاما تأكله فلم ازل اشهيه اليك حتى اكلت منه اكثر مما تريد فنمت تلك الليلة فلم تقم الى الصلاة كما كنت تقوم اليها فقال له يحيى لا جرم انى لا اشبع من طعام ابدا قال له الخبيث لا انصح آدميا بعدك ولقى يحيى بن زكريا ابليس فى صورته ايضا فقال له اخبرنى من احب الناس اليك وابغض الناس اليك فقال احب الناس الىّ المؤمن البخيل وابغضهم الىّ الفاسق السخىّ قال يحيى وكيف ذلك قال لان البخيل قد كفانى بخله والفاسق السخىّ اتخوف ان يطلع الله عليه فى سخاه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لم اخبرك كذا فى آكام المرجان فى احكام الجان (واذا فعلوا) اى كفار قريش (فاحشة) اى فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف ونحوهما (قالوا) جوابا للناهين عنها محتجين على حسنها بأمرين الاول تقليد الآباء وهو قولهم (وجدنا عليها آباءنا) والثانى الافتراء على الله وهو قولهم (والله أمرنا بها) فأعرض الله تعالى عن رد احتجاجهم الاول لظهور فساده فان التقليد لا يعتبر دليلا على صحة الفعل الذى قام الدليل على بطلانه وان كان معتبرا فى غيره ورد الثانى بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انه امركم بذلك وذلك لان طريق العلم اما السماع من الله تعالى ابتداء اى من غير توسط رسول يبلغهم ان الله تعالى امرهم بذلك وانتفاؤه ظاهر واما المعرفة بواسطة الانبياء وهم ينكرون نبوة الانبياء على الاطلاق فلا طريق لهم الى العلم بأحكام الله تعالى فكان قولهم والله أمرنا بها قولا على الله بما لا يعلمون وهو أى قوله اتقولون من تمام القول المأمور به والهمزة لانكار الواقع

واستقباحه والاشارة فى الآية ان الفاحشة طلب الدنيا وحبها والحرص على جمعها فان أفحش الفواحش حب الدنيا لانه رأس كل خطيئة والمعنى اذا وقع اهل الغفلة فى طلب الدنيا وزينتها والتمتع بها بتلقين الشيطان وتدبيرهم وتزيينهم فيدعوهم داع الى الله وطلبه وترك الدنيا وطلبها قالوا وجدنا عليها آباءنا اى على محبة الدنيا وشهواتها والله امرنا بها اى بطلبها بالكسب الحلال قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اى لا يأمر بحب الدنيا والحرص على جمعها وانما يأمر بالكسب الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق العبودية اتقولون على الله مالا تعلمون اى أتفترون على الله مالا تعلمون آفته ولا وبال عاقبته ولا تعلمون ان ذلك من فتنة الشيطان وتزيينه واغوائه كذا فى التأويلات النجمية (وفى المثنوى)

اين جهان جيفه است ومردار رخيص * برچنين مردار چون باشم حريص (قل امر ربى بالقسط) بيان للمأمور به اثر نفى ما اسند اليه امره به تعالى من الامور المنهى عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شئ المتجاوز عن طرفى الافراط والتفريط وفى الخبر خير الامور اوساطها

توسط اذا ماشئت امرا فانه * كلا طرفى قصد الامور ذميم

(وأقيموا وجوهكم) معطوف على امر بتقدير قل لئلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار اى وقل لهم توجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها واقيموا وجوهكم نحو القبلة (عند كل مسجد) يحتمل ان يكون اسم زمان وان يكون اسم مكان اى فى كل وقت سجود اومكان سجود والمراد بالسجود الصلاة بطريق ذكر الجزء وارادة الكل وقال الكلبى معناه اذا حضرت الصلاة وانتم فى مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلى فى مسجدى واذا لم يكن عند مسجد فليأت اى مسجد شاء وليصل فيه وفى الفروع مسجد المحلة افضل من الجامع اذا كان الامام عالما ومسجد المحلة فى حق السوقى نهارا ما كان عند حانوته نهارا وليلا ما كان عند منزله قال الحدادى وهذه الاية تدل على وجوب فعل الصلاة المكتوبة فى الجماعة وفى الحديث من سمع النداء فلم يجبه فلا صلاة له الا من عذر وصلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وذلك لان كل صلاة اقيمت فى الجماعة كصلاة يوم وليلة اذا اقيمت بغير جماعة لان فرائض اليوم والليلة سبع عشرة ركعة والرواتب عشر فالجميع سبع وعشرون قال العلماء كل ماشرعت فيه الجماعة كالفرائض والتراويح ونحوهما فالمسجد فيه افضل من ثواب المصلين فى البيت بالجماعة لان فيه اظهار شعائر الاسلام كما ان ثواب المصلين فى البيت وحدانا دون ثواب المصلين فى البيت بالجماعة (وادعوه) اى واعبدوه فهو من اطلاق الخاص على العام فان الدعاء من ابواب العبادة وهو الخضوع للبارى مع اظهار الافتقار والاستكانة وهو المقصود من العبادة والعمدة فيها (مخلصين له الدين) اى الطاعة فان مصيركم اليه فى الآخرة * فردا كه پيشگاه حقيقت شود پديد * شرمنده رهروى كه عمل بر مجاز كرد

(كما بدأكم) اى انشأكم ابتداء (تعودون) اليه بأعادته فيجازيكم على اعمالكم والكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف تقديره تعودون عودا مثل ما بدأكم وهو بالهمزة بمعنى انشأ واخترع وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها بمعنى قيسوا الاعادة بالابتداء فلا تنكروها فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة اذ ليس بعثكم أشد من ابتداء خلقكم (فريقا) منصوب بمابعده (هدى) بأن وفقهم للايمان (وفريقا) نصب بفعل مضمر يفسره مابعده من حيث المعنى اى واضل فريقا (حق عليهم) سزاوار كشت برايشان (الضلالة) بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) تعليل لما قبله اى حقت عليهم الضلالة لاتخاذهم الشياطين اولياء وقبولهم مادعوا اليه بدون التأمل فى التمييز بين الحق والباطل وكل واحد من الهدى والضلال وان كان يحصل بخلق الله تعالى اياه ابتداء الا انه يخلق ذلك حسبما اكتسبه العبد وسعى فى حصوله فيه (ويحسبون انهم مهتدون) اى يظنون انهم على الهدى وفيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء من حيث انه تعالى ذم المخطئ الذى ظن انه فى دينه على الحق بأنه حق عليه الضلالة وجعله فى حكم الجاحد المعاند فعلم منه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفى فى صحة الدين بل لابد فيه من الجزم واليقين لانه تعالى ذم الكفار بأنهم يحسبون انهم مهتدون ولو كفى مجرد الحسبان فيه لماذمهم بذلك فعلى العاقل تحصيل اليقين وترك التقليد والاقتداء بأصحاب التحقيق والتوحيد فان المرء لا يعرف حاله ومقامه الا بالتعريف (ونعم ماقال الصائب) واقف نميشوند كه كم كرده اندراه *

بارهروان براهنمايى نى رسند * وكل واحد من التقليد الباطل والشك والرياء وحب الدنيا وحب الخلق مذموم لايجدى نفعا وعن ذى النون رضى الله عنه قال بينما انا فى بعض جبال لكان اذا برجل قائم يصلى والسباع حوله تربض فلما اقبلت نحوه نفرت عنه السباع فأوجز فى صلاته وقال ياأبا الفيض لو صفوت لطلبتك السباع وحنت اليك الجبال فقلت مامعنى قولك لو صفوت قال تكون لله خالصا حتى يكون لك مريدا قال فقلت فبم الوصول الى ذلك قال لاتصل الى ذلك حتى تخرج حب الخلق من قلبك كما خرج الشرك منه فقلت هذا والله شديد على فقال هذا ايسر الاعمال على العارفين فولاية الخلق مطلقا اذا كانت سببا للضلالة فما ظنك بولاية الشياطين سوآء كانوا شياطين الانس اوشياطين الجن فلابد من محبة الله تعالى فويل لمن جاوز محبة الله تعالى الى محبة ماسواه وقدذمه الله بقوله من دون الله نسأل الله تعالى ان لايزيغ قلوبنا بعد ما هدانا الى محبته وأرشدنا الى طريق طاعته وعبادته (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) الزينة وان كانت اسما لما يتزين به من الثياب الفاخرة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالزينة ههنا الثياب التى تستر العورة استدلالا بسبب نزول الآية وهو ان اهل الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة وقالوا لانطوف فى ثياب اصبنا فيها الذنوب ودنسناها بها فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة فأمرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولايتعروا عند كل مسجد سوآء دخلوه للصلاة اوللطواف وكانوا قبل ذلك يدعون ثيابهم ورآء المسجد عند قصد الطواف وفى تفسير الحدادى كانوا اذا قدموا منى طرح أحدهم ثيابه فى رحله فان طاف وهى عليه ضرب وانتزعت منه وكانت المرأة تطوف بالليل عريانة الا انها كانت تتخذ سيورا مقطعة تشدها فى حقويها فكانت السيور لاتسترها استرا تاما وهذه الآية اصل فى وجوب ستر العورة فى الصلاة والمعنى خذوا ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف اوصلاة قال شيخ الاسلام خواهر زاده فيه دليل على ان اللبس من احسن الثياب مستحب حالة الصلاة لان المراد من الزينة الثوب بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب انتهى فأخذ الثوب واجب ولباس التجمل مسنون وكان ابو حنيفة رحمه الله اتخذ لباسا لصلاة الليل وهو قميص وعمامة وردآء وسراويل قيمة ذلك ألف وخمسمائة درهم يلبسه كل ليلة ويقول التزين لله تعالى اولى من التزين للناس قال الفقهاء ولا اعتبار لستر الظلمة لان الستر وجب لحق الصلاة وحق الناس وفى التفسير الفارسى * كفته اندبزبان علم ستر عورتست براى نماز وبزبان كشف حضور دلست براى عرض راز * ذوق طاعت بى حضور دل نيابد هيچكس * طالب حق رادل حاضر برين دركاه بس (وكلوا واشربوا) ماطاب لكم من الاطعمة والاشربة (روى) ان بنى عامر فى ايام حجهم كانوا لايأكلون الطعام الاقوتا ولايأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت والاشارة كلوا مما يأكل اهل البيات فى مقام العبودية واشربوا مما يشربون كما قال عليه السلام ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وكان عليه السلام يخص رمضان من العبادات بمالايخص به غيره من الشهور حتى انه كان يواصل احيانا ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة وكان ينهى اصحابه عن الوصال فيقولون له فانك تواصل فيقول لست كاحدكم انى ابيت وفى رواية اظل عند ربى يطعمنى ويسقينى وقد اختلف العلماء فى هذا الطعام والشراب المذكور على قولين احدهما انه طعام وشراب حسى بالفم قالوا وهذا حقيقة اللفظ ولايجب العدول عنه وكان يؤتى بطعام من الجنة والثانى ان المراد به مايغذيه الله به من معارفه ومايفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه لقربه ونعيم محبته وتوابع ذلك من الاحوال التى هى غذآء القلوب ونعيم الارواح وقرة الاعين وبهجة النفوس (حكى) ان مريدا خدم الشيخ منصور الحلاج فى الكعبة حين كان مجاورا سنتين قال كان يجيء له طعام من ارباب الخيرات فأضعه عنده ثم اجده فى الصبح من غير نقصان فأطعمه فقيرا فمارأيته فى السنتين اكل لقمة قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى ان النبى عليه السلام انما أكل فى الظاهر لاجل أمته الضعيفة والافلا احتياج له الى الاكل والشرب وماروى من انه كان يشد الحجر فهو ليس من الجوع بل من كمال لطافته لئلا يصعد الى الملكوت فكان يشد الحجر حتى يحصل الاستقرار فى عالم الارشاد قال يعنى انه صلى الله عليه وسلم كان ينظر الى حدوث العالم فيتنعم بتجلى البقاء انتهى كلامه (ولاتسرفوا) بتحريم الحلال فان بتحريم الحلال يتحقق تضييع المال وهو اسراف اوبالتعدى الى الحرام بأن يتناول ماحرمه الله عليه من المأكول والمشروب والملبوس اوبافراط الطعام والشره عليه بأن يتناول

مالا يحتاج اليه البدن فى قوامه فان ذلك ايضا من قبيل الاسراف (ان الله لا يحب المسرفين) لا يرتضى فعلهم ولا يثنى عليهم قال بعضهم الاسراف هو ان يأكل الرجل كل مايشتهيه ولاشك ان من كان تمام همته مصروفا الى فكر الطعام والشراب كان اخس الناس واذلهم * خواجه رابين كه ازسحر تاشام * دارد انديشهٔ شراب وطعام * شكم ازخوش دلى وخوش حالى * كاه برميكند كهى خالى * فارغ ازخلد وايمن ازدوزخ * جاى اومنزلست ويامطبخ * شيخ الاسلام عبد الله الانصارى فرموده كه اكرهمه دنيارا لقمه سازى ودردهان درويشى نهى اسراف نباشد اسراف آن بودكه نه برضاى حق تعالى صرف كنى * يك جوانرا كه خيرداتم داشت * پند ميدادراهبى دردير * كاى پسر خير نيست دراسراف * كفت اسراف نيست اندرخير * قال فى التأويلات النجمية الاسراف نوعان افراط وتفريط فالافراط مايكون فوق الحاجة الضرورية اوعلى خلاف الشرع اوعلى وفق الطبع والشهوة اوعلى الغفلة اوعلى ترك الادب اوبالشره اوعلى غيرذلك والتفريط ان ينقص من قدر الحاجة الضرورية ويقصر فى حفظ القوة والطاقة للقيام بحق العبودية اويبالغ فى اداء حق الربوبية باهلاك نفسه فيضيع حقها اويضيع حقوق الربوبية بحظوظ نفسه اويضيع حقوق القلب والروح والسر التى هو مستعد لحصولها بحظوظ النفس فالمعنى لا تسرفوا اى لا تضيعوا حقوقنا ولا حقوقكم لحظوظكم انتهى وروى ان هرون الرشيد كان له طبيب نصرانى حاذق فقال لعلى بن حسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان فقال له ان الله تعالى قد جمع الطب كله فى نصف آية من كتابنا قال وماهى قال قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى وهل يؤثر عن رسولكم شئ من الطب قال نعم جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب فى الفاظ يسيرة قال وماهى قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وعودوا كل جسم مااعتاد فقال النصرانى ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا وعن ابن عباس كل ماشئت والبس ماشئت مااخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وينبغى لاهل الرخصة ان يقتصروا على اكلتين فى اليوم والليلة فى غير شهر رمضان ولاهل العزيمة على اكلة واحدة فان مافوق الاكلتين للطائفة الاولى ومافوق الاكلة للثانية تجاوز عن الحد وميل الى الاتصاف بصفات البهائم والهند جل معالجتهم الحمية يمنع المريض عن الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيبرأ فجانب الاحتماء اولى (قل) لماطاف المسلمون فى ثيابهم واكلوا اللحم والدسم عيرهم المشركون لانهم كانوا يطوفون عراة ولا يأكلون اللحم والدسم حال الاحرام فأمر الله حبيبه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم (من) استفهام انكار (حرّم زينة الله) من الثياب وسائر مايتجمل به (التى اخرج) بمحض قدرته (لعباده) من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع (والطيبات من الرزق) عطف على زينة الله اى من حرّم ايضا المستلذات من المآكل والمشارب كاللحوم والدسوم والالبان اعلم ان الرجل اذا أدّى الفرائض وأحب ان يتنعم بمنظر حسن وجوار جميلة فلا بأس به فمن قنع بأدنى المعيشة وصرف الباقى الى ماينفعه فى الآخرة فهو اولى لان ماعند الله خير وأبقى لان الاقتصار على ادنى مايكفيه عزيمة ومازاد عليه من التنعم ونيل اللذة رخصة دلت عليها هذه الآية ودلت ايضا على ان الاصل فى المطاعم والملابس والتجمل بأنواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من انكارى كما هو مذهب الشافعى واكثر اصحاب ابى حنيفة فانهم قالوا ان الاصل فى الاشياء الاباحة وذهب بعضهم الى التوقف وبعضهم الى الحظر ووجه قول القائلين بالاباحة انه سبحانه وتعالى غنى على الحقيقة جواد على الاطلاق والغنى الجواد لا يمنع ماله عن عبيده الا ماكان فيه ضرر فتكون الاباحة هى الاصل باعتبار غناه سبحانه وجوده والحرمة لعوارض فلم تثبت فبقى على الاباحة ووجه القول بالحظر ان الاشياء كلها مملوكة لله تعالى على الحقيقة والتصرف فى ملك الغير لا يثبت الا باباحة المالك فمالم تثبت الاباحة بقى على الحظر لقيام سببه وهو ملك الغير ووجه القول بالتوقف ان الحرمة والاباحة لا تثبت الا بالشرع فقبل وروده لا يتصور ثبوت واحدة منهما فلا يحكم فيها بحظر ولا اباحة قال عبد القاهر البغدادى وتفسير الوقف عندهم ان من فعل شيأ قبل ورود الشرع لم يستحق بفعله من الله تعالى ثوابا ولا عقابا (قل هى) اى الزينة والطيبات كما فى التفسير الفارسى (للذين آمنوا) اى مستقرة لهم (فى الحياة الدنيا) متعلق بآمنوا اوبالاستقرار الذى تعلق به للذين والمقصود الاصلى من خلق الطيبات تقوية المكلفين على طاعة الله تعالى

لاتقويتهم على الكفر والعصيان فهى مختصة بالاصالة للمؤمنين والكفار تبع لهم فى ذلك قطعا لمعذرتهم ولذا لم يقل هى للذين آمنوا ولغيرهم فى الدنيا (خالصة يوم القيامة) لايشاركهم فيها غيرهم وان اشترك فيها المؤمنون والكفار فى الدنيا وانتصابها على الحال من المنوى فى قوله للذين آمنوا ويوم القيامة متعلق بخالصة والاشارة فى الآية من يمنعكم عن طلب كمالات اخرجها الله تعالى من غيب الغيب لخواص عباده من الانبياء والاولياء ومن حرّم عليكم نيل هذه الكرامات والمقامات فمن تصدّى لطلبها وسعى لها سعيا فهى مباحة له من غير تأخير ولاقصور واضافة الزينة الى الله لانه اخرجها من خزآئن ألطافه وحقائق اعطافه فزين الابدان بالشرآئع وآثارها وزين النفوس بالآداب واقدارها وزين القلوب بالشواهد وانوارها وزين الارواح بالمعارف واسرارها وزين الاسرار بالطوالع واثمارها بل زين الظواهر بآثار التوفيق وزين البواطن بانوار التحقيق بل زين الظواهر بآثار السجود وزين البواطن بانوار الشهود بل زين الظواهر بآثار الجود وزين البواطن بأنوار الوجود والطيبات من الرزق وان ارزاق النفوس بحكم افضاله وارزاق القلوب بموجب اقباله والطيبات من الرزق على الحقيقة مالم يكن مشوبا بحقوق النفس وحظوظها ويكون خالصا من مواهبه وحقوقه قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا اى هذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السادات فى الدنيا مشوبة بشوائب الآفات النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيامة من هذه الآفات والكدورات كما قال ونزعنا مافى صدورهم من غل (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون مافى تضاعيفها من المعانى الرآئقة (قل انما حرّم ربى الفواحش) اى ماتفاحش قبحه من الذنوب وتزايد وهى الكبائر (ماظهر منها ومابطن) بدل من الفواحش اى جهرها * وسرها كالكفر والنفاق وغيرهما (والاثم) اى مايوجب الاثم وهو يعم الصغائر والكبائر (والبغى) اى الظلم اوالكبر افرده بالذكر مع دخوله فى الاثم للمبالغة فى الزجر عنه (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكد له لان البغى لايكون بالحق (وان تشركوا بالله) معطوف على مفعول حرّم اى وحرّم عليكم اشراككم به تعالى (مالم ينزل به) اى باشراكه وعبادته (سلطانا) اى حجة وبرهانا وهو تهكم بالمشركين لانه اذا لم يجز انزال البرهان بالاشراك كان ذكر ذلك تهكما بهم واستهزآء ومعلوم انه لابرهان عليه حتى ينزل (وأن تقولوا على الله مالاتعلمون) بالالحاد فى صفاته والافترآء عليه كقولهم والله امرنا بها وفى التأويلات النجمية الفواحش مايقطع على العبد طريق الرب ويمنعه عن السلوك ففاحشة العوام ماظهر منها ارتكاب المناهى ومابطن خطورها بالبال وفاحشة الخواص ماظهر منها مالانفسهم نصيب فيه ولو بذرة ومابطن الصبر عن المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ماظهر منها ترك ادب من الآداب اوالتعلق بسبب من الاسباب ومابطن منها الركون الى شئ من الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاثم هو الاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغى هو حب غير الله فانه وضع فى غير موضعه وان تشركوا بالله يعنى وان تستعينوا بغير الله مالم ينزل به سلطانا اى مالم يكن لكم به حجة ورخصة من الشرع بعة المنزلة وأن تقولوا على الله مالاتعلمون اى وان تحكموا بفتوى النفس وهواها أوتقولوا بنظر العقل على الله مالاتعلمون حقيقته وفيه معنى آخر وأن تقولوا فى معرفة الله وبيان احوال السائرين وشرح المقامات واثبات الكرامات ماأنتم عنه غافلون ولستم به عارفين انتهى ثم هدد الله المشركين المكذبين للرسل بقوله (ولكل أمة) من الامم المهلكة (أجل) حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم (فاذا جاء أجلهم) الضمير لكل أمة خاصة حيث لم يقل آجالهم اى اذا جاءها أجلها الخاص بها والوقت المعين لنزول عذاب الاستئصال عليها (لايستأخرون) عن ذلك الاجل (ساعة) اى شيأ قليلا من الزمان فانها مثل فى غاية القلة منه اى لايتأخرون اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم وحرمانهم من ذلك مع طلبهم له (ولايستقدمون) اى لايتقدمون عليه * أجل چون فردا آيدت پيش وپس * بيش وپس نكذاردت يكنفس * روى ان بعض الملوك كان متنسكا ثم رجع ومال الى الدنيا ورياسة الملك وبنى دارا وشيدها وأمر بها ففرشت ونجدت واتخذ مائدة ووضع طعاما ودعا الناس فجعلوا يدخلون عليه ويأكلون ويشربون وينظرون الى بنائه ويتعجبون من ذلك ويدعون له وينصرفون فمكث بذلك اياما ثم جلس هو ونفر من خاصة اصحابه فقال قد ترون سرورى بدارى هذه وقد حدثت نفسى ان اتخذ لكل واحد من اولادى مثلها فأقيموا عندى اياما استأنس

يحدثكم واشاوركم فيما اريد من هذا البناء فأقاموا عنده أياما يلهون ويلعبون ويشاورهم كيف يبنى وكيف يصنع ويرتب ذلك فبينما هم ذات ليلة فى لهوهم اذ سمعوا قائلا من اقصى الدار يقول

يا أيها البانى الناسى لميتته * لاتأمنن فان الموت مكتوب

هذى الخلائق ان سروا وان فرحوا * فالموت حتف لذى الآمال منصوب

لاتبنين ديارا لست تسكنها * وراجع النسك كيما يغفر الحوب

ففزع لذلك وفزع اصحابه فزعا شديدا وراعهم فقال هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال فهل تجدون ما اجد قالوا وما تجد قال مسكة على فؤادى وما اراها الا علة الموت فقالوا كلا بل البقاء والعافية فبكى ثم امر بالشراب فاهريق وبالملاهى فأخرجت اوقال فكسرت وتاب الى الله سبحانه ولم يزل يقول الموت الموت حتى خرجت نفسه رحمه الله (قال السعدى) خواجه در بند نقش يوانست * خانه ازپاى بست ويرانست (وقال) آنكه قرارش نكرفتى وخواب * تا كل ونسرين نفشاندى نخست * كردش كيتى كل رويش بريخت * خاربنان برسرخاكش برست * والاشارة لكل أمة اجل اى لكل قوم من السائرين الى الله والى الجنة والى النار مدة معلومة ومهلة موقتة فاذا جاء أجلهم مدتهم كما قدر الله فى الازل لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون هذا وعد للاولياء استمالة لقلوبهم ووعيد للاعداء سياسة لنفوسهم كذا فى التأويلات النجمية (يا بنى آدم) خطاب لكافة الناس (اما) اصله ان ماضمت كلمة ما الى ان الشرطية تأكيدا لما فيها من معنى الشرط (يأتينكم رسل) كائنون (منكم) اى من جنسكم فهو صفة لرسل (يقصون عليكم آياتى) صفة اخرى لرسل اى يبينون لكم احكامى وشرآئعى ومقتضى الظاهر كلمة اذا بدل ان لكون الاتيان محقق الوقوع فى علم الله تعالى لكنه سيق المعلوم مساق المشكوك للتنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لاواجب عقلا حتى لايقدر على عدم ارساله ولا واجب شرعا حتى يأثم بترك ارساله لانه لايجب على الله شئ لاعقلا ولاشرعا لكن مقتضى الحكمة ارسال الرسل لما فيه من الحكم والمصالح (فمن) شرطية بالفارسية پس هركه (اتقى) منكم التكذيب (واصلح) عمله واطاع رسوله الذى يقص آياته (فلا خوف عليهم) اى لايخافون ما يلحق العصاة فى المستقبل (ولاهم يحزنون) على ما فاتهم فى الدنيا لاستغراقهم فى الاستلذاذ بما اعد للمتقين فى دار الكرامة والرضوان (والذين كذبوا) منكم (بآياتنا) يعنى تكذيب رسل كردند (واستكبروا) وكبر آوردند وتعظم كردند يعنى سركشى نمودند (عنها) از ايمان بدلائل وحدت ما (اولئك اصحاب النار) ملازمان آتش اند (هم فيها خالدون) باقى اند ببقاء ابدى (فمن اظلم) اى فمن اعظم ظلما اى لااحد (ممن افترى على الله كذبا) اى ممن تقول عليه مالم يقل ويدخل فى التقول عليه اثبات الشريك والصاحبة والولد (اوكذب بآياته) اى كذب ماقاله وقد جعل الله الكذب عليه والتكذيب بآياته مساويا فى الاثم حيث قال (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الافترآء والتكذيب (ينالهم) برسد بديشان (نصيبهم) كائنا (من الكتاب) اى مما كتب لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) اى ملك الموت واعوانه (يتوفونهم) اى حال كونهم متوفين لأرواحهم قابضين لها وحتى وان كانت هى التى يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها من الفعل اى ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان تأتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم (قالوا) توبيخا لهم (أينما كنتم تدعون من دون الله) اى اين الآلهة التى كنتم تعبدونها فى الدنيا وما وصلت بأين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة (قالوا) اى الكفار (ضلوا عنا) اى غابوا عنا اى لاندرى مكانهم (وشهدوا على انفسهم) عطف على قالوا اى اعترفوا على انفسهم (انهم كانوا) اى فى الدنيا (كافرين) اى عابدين لمن لايستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا ماله وضلاله ولاتعارض بين هذا وبين قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين لاحتمال ذلك من طوآئف مختلفة اوفى اوقات مختلفة وفى الارشاد ولعله قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزآء كأنهما حاصلان عند ابتدآء التوفى كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السؤال والجواب وما يترتب عليهما من الامر بدخول النار وماجرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لامحالة (قال) الله تعالى لهم يوم القيامة اوأحد من الملائكة (ادخلوا فى أمم) اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم (قد خلت) اى مضت (من قبلكم من الجن والانس) يعنى كفار الامم الماضية من النوعين (فى النار) متعلق بقوله

ادخلوا وانما قدم الجن على الانس لتقدمهم عليهم فى الخلقة وذلك ان الله تعالى لما خلق الجن فمنهم مؤمن ومنهم كافر فلما استولى اهل الكفر منهم على اهل الايمان حتى استأصلوهم بعث الله اليهم جندا من الملائكة كان رئيسهم ابليس فسلطهم الله عليهم حتى اهلكوا جميعهم ثم خلق الله آدم بعدهم فخلق منه ذريته فمنهم كافر كقابيل ومنهم مؤمن كهابيل اذ كان فى كل زمان منهم أمة كافرة مستحقة لدخول النار وأمة مؤمنة مستحقة لدخول الجنة حتى الآن الى انقراض العالم كما قال عليه السلام لا تقوم الساعة وفى الارض من يقول الله الله (كلما دخلت أمة) من الامم السابقة واللاحقة اى فى النار (لعنت اختها) التى ضلت بالاقتداء بها فلعنت المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والمجوس المجوس وعلى هذا القياس ويلعن الاتباع القادة يقولون لعنكم الله انتم غررتمونا فالمراد الاخت فى الدين والملة ولم يقل اخاها لانه اراد الامة والجماعة (حتى اذا اداركوا فيها جميعا) غاية لما قبلها والمعنى انهم يدخلونها فوجا فوجا لاعنا بعضهم بعضا الى انتهاء تداركهم وتلاحقهم فى النار واجتماعهم فيها واصل اداركوا تداركوا ادغمت التاء فى الدال فاجتلبت همزة الوصل (قالت اخراهم) اى دخولا وهم الاتباع واخرى ههنا بمعنى آخرة مؤنث آخر مقابل اول لا مؤنث اخر بمعنى غير كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى (لاولاهم) اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله تعالى (ربنا هؤلاء اضلونا) اى سنوا لنا الضلال عن الهدى بالقاء الشبهة علينا فاقتدينا بهم (فآتهم عذابا ضعفا) اى مضاعفا (من النار) لانهم ضلوا وأضلوا (قال) الله (لكل) من الاولين والآخرين (ضعف) اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم فليس المراد تضعيف ما يستحق كل واحد من العذاب لانه ظلم بل تضعيفه عذاب الضلال بأن يضم اليه عذاب الاضلال والتقليد (ولكن لا تعلمون) ما لكم وما لكل فريق من العذاب (وقالت اولاهم) اى مخاطبين (لاخراهم) حين سمعوا جواب الله لهم (فما كان لكم علينا من فضل) من حيث الاجتناب عن الكفر والضلال فكيف تطمعون ان يكون عذابكم اخف من عذابنا ويكون عذابنا ضعف عذابكم والحال انا ما الجأنا كم على الكفر بل كفرتم لكون الكفر موافقا لهواكم (فذوقوا العذاب) المعهود المضاعف وهو قول القادة على سبيل التشفى (بما كنتم تكسبون) بسبب انچه بوديد كه كسب مى كرديد از كفر وحوالهٔ عذاب بديكرى ميكنيد * چه دانند اين اگر تو نكروى * هرچه مى كاريش روزى بدروى * واعلم ان الكفار اهل الانكار اعرضوا عن ارشاد الاخيار واكتسبوا سنناسيئة وذهلوا عن السنن الحسنة التى سنتها الانبياء العظام والاولياء الكرام ثم آل امرهم الى الاعتراف بجرائمهم وضلالهم حين لا ينفع الاقرار فعلى العاقل تدارك الحال قبل حلول الآجال وفى الحديث جددوا ايمانكم والمراد الانتقال من مرتبة الى مرتبة فان اصل الايمان قدتم بالاول ولكن الايمان على ثمانى عشرة مرتبة فالعناية من الله تعالى (وفى المثنوى) تازه نه از كفت سود وزيان * اى هوارا تازه كرده درنهان * تا هوا تازه است ايمان تازه نيست * كين هوا جز قفل آن دروازه نيست * فالله تعالى دعا الخلق الى الايمان بواسطة الانبياء عليهم السلام فمن اجاب اهتدى الى طريق الجنة ومن لم يجب سقط فى النار وقيل انما خلق الله النار لغلبة شفقته وهو انه كرجل يضيف الناس ويقول من جاء الى ضيافتى اكرمته ومن لم يجئ ليس عليه شئ ويقول مضيف آخر من جاء الى اكرمته ومن لم يجئ ضربته وحبسته ليبين غاية كرمه وهو آكد وأتم من الاكرام الاول قال بعضهم نار جهنم خير من وجه وشر من وجه كنار نمرود شر فى اعينهم وبرد وسلام على ابراهيم كالسوط فى يد الحاكم السوط خير للطاغى وشر للمطيع فمن اراد أن يسلم من عذاب النار فعليه بطريق الاخيار وكان المولى جلال الدين قدس سره يعظ يوما لاهل قرامان ويحكى ان من كان عاصيا ومات قبل التوبة من العصيان فانه يدخل النار بعدله تعالى فبعد احتراقه بقدر خطاه يخرجه الله تعالى منها ويعتقه ويدخله الجنة فقال شخص كان فى ذلك المجلس ليت هذا حصل قبل ان يهدم عرض المرء وينكسر فادع الله تعالى أيها المولى حتى يبشرنا بالجنة قبل انكسار الاعراض نسأل الله تعالى ان يعاملنا بلطفه وكرمه انه ولى الهداية والتوفيق (ان الذين كذبوا بآياتنا) وهى الحجج الدالة على اصول الدين من التوحيد ونبوة الانبياء والبعث والجزاء (واستكبروا عنها) اى تعظموا وترفعوا عن الايمان بها والعمل بمقتضاها وهم الكفار (لا تفتح) التشديد لكثرة الابواب (لهم ابواب السماء) اى لا تقبل ادعيتهم ولا اعمالهم ولا تعرج اليها ارواحهم كما هو شأن ادعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم وفى الحديث ان روح المؤمن يعرج

بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب الى ان تنتهى الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعى ذميمة فيهوى بها الى سجين وهو مقر ابليس الآن بالسبعة تحت الارض السابعة فالارواح كلها سعيدها وشقيها متصلة باجسادها فتعذب الارواح وتتألم الاجساد منه كالشمس فى السماء ونورها فى الارض واعلم ان ارواح العصاة من المؤمنين تكون بين السماء والارض بعضها فى الهوآء وبعضها فى افنية القبور الى سبعة ايام الى سنة الى غير ذلك من الزمان حتى تصعد وتتخلص بدعوات الاحياء وامداد الحسنات وتصل الى المقر السماوى الدنيوى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فى ما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقب الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه * هر كارى موقوف محال است محال است * والعرب اذا ارادت تأكيد النفى علقته بما يستحيل كونه كما قال الشاعر

اذا شاب الغراب أتيت اهلى * وصار القار كاللبن الحليب

والجمل زوج الناقة وانما يسمى جملا اذا اربع اى اذا دخل فى السنة السابعة فانه يقال له فى السنة السابعة رباع وللانثى رباعية بالتخفيف والخياط ما يخاط به فسم الخياط بالفارسية سوراخ سوزن وقرئ الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وهو الحبل الغليظ من القنب او حبل السفينة التى يقال له القلس وهى حبال مجموعة مفتولة (وكذلك) اى مثل ذلك الجزآء الفظيع وهو الحرمان من الجنة (نجزى المجرمين) اى جنس المجرمين فدخلوا فى زمرتهم دخولا اوليا (لهم من جهنم مهاد) من جهنم حال من مهاد ومعناه فراش من النار يضطجعون ويقعدون فيه (ومن فوقهم غواش) اى اغطية جمع غاشية وهو ما يغشى الشئ ويستره ومعنى الآية الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب حيث كانت غطاءهم ووطاءهم وفى الحديث الكافر يكسى لوحين من نار فى قبره (وكذلك) اى مثل ذلك الجزآء الشديد وهو التعذيب بالنار (نجزى الظالمين) ولما كان التعذيب المؤبد بنار جهنم أشد العقوبات دل ذكر الظلم معه على انه اعظم الاجرام واعلم ان فوت النعيم ايسر من مقاساة الجحيم والمصيبة العظمى هى الخلود وذكر عند الحسن البصرى ان آخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد عذب ألف عام ينادى يا حنان ويا منان فبكى الحسن وقال ليتنى كنت هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم أليس يوما يخرج والاشارة ان الذين كذبوا بآياتنا وهى السنن الحسنة المنزلة على الانبياء وما اظهره الله تعالى على يد الاولياء من الكرامات والعلوم اللدنية فانكروها واستكبروا عنها اى تكبروا عن قبولها والايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء اى ابواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون الجنة اى جنة القربة والوصلة حتى يلج الجمل اى جمل النفس المتكبرة فى سم الخياط وهو مدخل الطريقة التى بها تربى النفوس الامارة وتزكى لتصير مطمئنة فتستحق بها خطاب ارجعى الى ربك فالمعنى ان النفس المتكبرة لما صارت كالجمل لتكبرها لا تصلح لدخول جنة الحقيقة الابعد تزكيتها بأحكام الشريعة وآداب الطريقة حتى تصير بالتربية فى ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ما سوى الله تعالى ادق من الشعر بألف مرة فيلج فى سم خياط الفناء فيدخل الجنة جنة البقاء فافهم جدا وكذلك نجزى المجرمين الذى اجرموا على انفسهم الضعيفة اللطيفة حتى صارت من الاوزار كالجمل بأن نجعل لهم من جهنم المجاهدة والرياضة فراشا وهو قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش يعنى من مخالفة النفس وقمع الهوى يكون فراشهم ولحافهم حتى تحيط بهم فتذيبهم وتحرق منهم انانيتهم مع اثقال اوزارهم ليستحقوا دخول الجنة وكذلك نجزى الظالمين يعنى بهذه الطريقة نضع عنهم اوزارهم ونرد مظالمهم فى الدنيا ليردوا القيامة مستعدين لدخول الجنة ومن لم نجزه فى الدنيا بهذه الطريقة فنجزه فى الآخرة كما قال ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر فى الآخرة لعلهم يرجعون فيه كذا فى التأويلات النجمية فالمجاهدة وسلوك طريق التصفية من دأب الاخيار ذكر عن ابراهيم ابن ادهم انه لما أراد أن يدخل البادية أتاه الشيطان فخوفه ان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك ولا مركب فعزم على نفسه رحمه الله ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا يقطعها حتى يصلى تحت كل ميل من اميالها ألف ركعة وقام بما عزم عليه وبقى فى البادية اثنى عشرة سنة حتى ان الرشيد حج فى بعض تلك السنين فرآه تحت ميل يصلى فقيل له هذا ابراهيم بن ادهم فأتاه فقال كيف تجدك يا ابا اسحق فأنشد ابراهيم بن ادهم يقول

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

(قال الحافظ) دع التكاسل تغنم فقد جرى مثل * كه زاد راهروان چستيست وچالاكى (والذين آمنوا) بالآيات (وعملوا الصالحات) اى الاعمال الصالحات التى شرعت بالآيات وهى ما اريد به وجه الله تعالى (لا نكلف نفسا الا وسعها) اى طاقتها وقدرتها هو اعتراض بين المبتدأ والخبر للدلالة على ان استحقاق الخلود فى النعيم المقيم بسبب اتصافهم بالايمان والعمل الصالح على حسب ما تسعه طاقتهم وان لم يبذلوا مجهودهم فيه (اولئك اصحاب الجنة) ملازمان بهشت اند (هم فيها خالدون) حال من اصحاب الجنة (ونزعنا) النزع قلع الشئ عن مكانه (ما فى صدورهم) قلوبهم (من غل) وهو الحقد الكامن والبغض المخفى فى الصدور اى نخرج من قلوبهم اسباب الحقد الذى كان لبعضهم فى حق بعض فى الدنيا فان ذلك الحقد انما انشأ من التعلق بالدنيا وما فيها وبانقطاع تلك العلاقة انتهى ما يتفرع عليه من الحقد ومن جملة اسبابه ايضا ان الشيطان كان يلقى الوساوس الى قلوب بنى آدم فى الدنيا وقد انقطع ذلك فى الآخرة بسبب ان الشيطان لما استغرق فى عذاب النيران لم يتفرغ لالقاء الوسوسة فى قلب الانسان ويجوز ان يكون المراد نطهر قلوبهم من الغل نفسه حتى لا يكون بينهم الا التواد يعنى لا يحسد بعض اهل الجنة بعضا اذا رآه ارفع درجة منه ولا يغتم بسبب حرمانه من الدرجات الرفيعة العالية قال ابن عباس رضى الله عنه نزلت هذه الآية فى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وابن مسعود وعمار بن ياسر وسلمان وابى ذر ينزع الله فى الآخرة ما كان فى قلوبهم من غش بعضهم لبعض فى الدنيا من العداوة والقتل الذى كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر الذى اختلفوا فيه فيدخلون اخوانا على سرر متقابلين * پاك وصافى شو واز چاه طبيعت بدر آى * كه صفايى ندهد آب تراب آلوده (تجرى من تحتهم) اى من تحت شجرهم وغرفهم (الانهار) زيادة فى لذتهم وسرورهم (وقالوا) اى اهل الجنة اذا رأوا منازلهم (الحمد لله الذى هدانا) بفضله (لهذا) اى لدين وعمل جزاؤه هذا (وما كنا لنهتدى) اى لهذا المطلب الاعلى (لولا ان هدانا الله) ووفقنا له * كر بدرقه لطف تو نمايد راه * از راه تو هيچكس نكردد آكاه * آنكه كه برسند وبايد رفتن * توفيق رفيق نشد واويلاه * روى عن السدى انه قال فى هذه الآية ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة وجدوا عند بابها شجرة فى اصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما فى صدورهم من غل وهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعده ابدا والشعث انتشار شعر الرأس والاشعث مغبر الرأس ويقال شحب جسمه يشحب بالضم اذا تغير وشربوا واغتسلوا ويبشرهم خزنة الجنة قبل ان يدخلوها بأن يقولوا لهم ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فاذا دخلوها واستقروا فى منازلهم منها قالوا الحمد لله الآية واعلم ان الغل ظلمة الصفات البشرية وكدورتها وطهارة القلوب بنور الايمان والارواح بماء العرفان والاسرار بشراب طهور تجلى صفات الجمال وليس فى صدور اهل الحقيقة من غل وغش اصلا لا فى الدنيا ولا فى العقبى (لقد جاءت رسل ربنا) جواب قسم مقدر اى والله لقد جاؤا (بالحق) فالباء للتعدية او لقد جاؤا ملتبسين بالحق فهى للملابسة يقوله اهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا واستقروا فيه اظهارا لكمال نشاطهم وسرورهم قال الحدادى شهادة منهم بتبليغ الرسل للحق اليهم اى جاؤا بالصدق فصدقناهم (ونودوا ان تلكم الجنة) يعنى ان الملائكة ينادونهم حين رأى المؤمنون الجنة من بعيد بأن يقولوا لهم ان تلك التى رأيتموها هى الجنة التى وعدتم بها فى الدنيا فان مفسرة او مخففة وتلك مبتدأ اشير به الى ما رأوه من بعيد والجنة خبره واللام فيها للعهد (اورثتموها) اى اعطيتموها والجملة حال من الجنة (بما كنتم تعملون) فى الدنيا من الاعمال الصالحة اى بسبب اعمالكم فان قيل هذه الاية تدل على ان العبد يدخل الجنة بعمله وقد قال عليه السلام لن يدخل الجنة احدكم بعمله وانما تدخلونها برحمة الله تعالى وفضله فما وجه التوفيق بينهما اجيب بأن العمل لا يوجب دخول الجنة لذاته وانما يوجبه من حيث انه تعالى وعد للعاملين ان يتفضل بها بمحض رحمته وكمال فضله واحسانه ولما كان الوعد بالتفضل فى حق العاملين بمقابلة عملهم كان العمل بمنزلة السبب المؤدى اليها فلذلك قيل اورثتموها بأعمالكم كذا فى حواشى ابن الشيخ وفى الخبر انه يقال لهم يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتى

واقتسموها بأعمالكم وهى جنة الاعمال وهى التى ينزل الناس فيها باعمالهم فمن كان افضل من غيره فى وجوه التفاضل كان له من الجنة اكثر سوآء كان الفاضل بهذه الحالة دون المفضول اولم يكن فما من عمل الا وله جنة يقع التفاضل فيها بين اصحابها ورد فى الحديث الصحيح عن النبى عليه السلام انه قال لبلال يابلال بم سبقتنى الى الجنة فما وطئت منها موضعا الا سمعت خشخشتك فقال يارسول الله ما أحدثت قط الا توضأت وما توضأت الا صليت ركعتين فقال عليه السلام بهما فعلمنا انها كانت مخصوصة بهذا العمل فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرّم ومكروه الا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص ينا له من دخلها والتفاضل على مراتب فمنها بالسن ولكن فى الطاعة والاسلام فيفضل الكبير السن على الصغير السن اذا كانا على مرتبة واحدة من العمل ومنها بالزمان فان العمل فى رمضان وفى يوم الجمعة وفى ليلة القدر وفى عشر ذى الحجة وفى عاشورآء أعظم من سائر الزمان ومنها بالمكان فالصلاة فى المسجد الحرام افضل منها فى مسجد المدينة وهى من الصلاة فى المسجد الاقصى وهى منها فى سائر المساجد ومنها بالاحوال فان الصلاة بالجماعة أفضل من صلاة الشخص وحده ومنها بنفس الاعمال فان الصلاة أفضل من اماطة الاذى ومنها فى العمل الواحد فالمتصدق على رحمه صاحب صلة رحم وصدقة وكذا من اهدى هدية لشريف من أهل البيت أفضل ممن اهدى لغيره اواحسن اليه ومن الناس من يجمع فى الزمن الواحد اعمالا كثيرة فيصرف سمعه وبصره ويده فيما ينبغى فى زمان صومه وصدقته بل فى زمان صلاته فى زمان ذكره فى زمان نيته من فعل وترك فيؤجر فى الزمن الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك ومن الجنات جنة اختصاص الهى وهى التى يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا حدّ العمل وحدّه من اول ما يولد اى يستهل صارخا الى انقضاء ستة اعوام ويعطى الله من شاء من عباده من جنات الاختصاص ماشاء ومن أهلها المجانين الذين ماعقلوا ومن أهلها أهل التوحيد العلى ومن أهلها أهل الفترات ومن لم يصل اليهم دعوة رسول ومن الجنات جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهى الاماكن التى كانت معينة لاهل النار لودخلوها وفى الحديث كل من أهل النار يرى منزله فى الجنة فيقولون لوهدانا الله فيكون عليهم حسرة وكل من أهل الجنة يرى منزله فى النار فيقولون لولا ان الله هدانا * واعلم ان الجنة صورية ومعنوية صورية محسوسة مؤجلة ومعنوية معقولة معجلة وأهلها أهل الفناء فى الله والبقاء بالله (قال الحافظ) جنت نقدست اين جا عشرت وعيش وحضور * زانكه درجنت خدا بربنده ننويسد كناه * اللهم شرفنا بالجنان انك أنت المنان (ونادى اصحاب الجنة أصحاب النار) سرورا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم ووجه تيسر المناداة والمكالمة بين اهل الجنة وأهل النار مع ان بعد ما بين الجنة والنار لا يعلم مقداره الا الله تعالى اذ كل درجة من درجات الجنان يقابلها دركة من دركات النيران فأى درجة فيها العامل بسبب عمله يستحق تارك ذلك العمل بسبب تركه اياه دركة من دركات الجحيم فيكون أهل الدرجة مشرفا على أهل الدركة التى تقابلها كما قال تعالى فاطلع فرآه فى سوآء الجحيم فأمكن لهم تقريع أهل النار وتحسيرهم بقولهم (ان) تفسيرية للمنادى له لان النداء فى معنى القول او مخففة (قد وجدنا ماوعدنا ربنا) من الثواب والكرامة (حقا) بالفارسية راست ودرست (فهل وجدتم ماوعد ربكم) من العذاب والوعد يستعمل فى الخير والشر (حقا) حذف المفعول من الفعل الثانى حيث لم يقل ماوعدكم كما قال ماوعدنا اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد (قالوا نعم) اى وجدناه حقا فاعترفوا فى وقت لا ينفعهم الاعتراف ولذا قيل * كنون بايد اى خفته بيدار بود * جو مرك اندر آرد زخواب جه سود * تو پيش از عقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب (فأذن) پس اوازدهد (مؤذن) اوازدهنده وهو ملك ينادى من قبل الله تعالى ندآء يسمعه كل واحد من أهل الجنة وأهل النار وقيل هو صاحب الصور أى اسرافيل عليه السلام (بينهم) منصوب بأذن اى اوقع ذلك الاذان بين الفريقين اى فى وسطهم (ان) تفسيرية لان التأذين فى معنى القول او مخففة (لعنة الله) استقرت (على الظالمين) اى على الكافرين دون المؤمنين لان الظلم اذا ذكر مطلقا يصرف الى الكمال وكمال الظلم هو الشرك وهو اخبار وقيل هو ابتدآء لعن منه عليهم (الذين يصدون) يعرضون فهو لازم لان جعله متعديا بمعنى يمنعون الناس محوج الى تقدير المفعول ولا يصار اليه من غير ضرورة (عن سبيل الله) اى عن الدين الذى هو طريق الله الى جنته والسبيل

والسبيل الطريق وماوضح منه كذا فى القاموس (ويبغونها عوجا) اى يبغون لها عوجا بأن يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهى ابعد شئ منهما (وهم بالآخرة كافرون) جاحدون بالبعث بعد الموت فلما كان الظالمين بمعنى الكافرين كانت الاوصاف الجارية عليه من قبيل الصفات المؤكدة فان الظالم وصف فى الآية بثلاث صفات مختصة بالكفار الاولى كونهم صادين معرضين عن سبيل الله والثانية كونهم طالبين امالة سبيل الله ودينه الحق وتغييره الى الباطل بالقاء الشكوك والشبهات فى دلائل حقيته والثالثة كونهم منكرين للآخرة مختصين بهذا الوصف وكل واحدة من هذه الصفات الثلاث مقررة لظلمهم بمعنى الكفر * والاشارة ونادى اصحاب الجنة اى ارباب المحبة اصحاب النار بمعنى نار القطيعة ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا اى فيما قال ألا من طلبنى وجدنى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا اى فيما قال ومن يطلب غيرى لم يجدنى قالوا نعم فاجابوهم بلى وجدناه حقا فأذن مؤذن العزة والعظمة بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب فى غير موضع مطلبه وصرفوه فى غير مصرفه الذين يصدون اى وهم الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه ويبغونها عوجا اى يصرفون وجوههم الى الدنيا ومافيها وهم بالآخرة كافرون اى وهم ينكرون على اهل المحبة فيما يطلبون مما تأخر من حسهم وهم يطلبون مايدركون بالحواس الظاهرة دون ما فى الآخرة كذا فى التأويلات النجمية فالناس على مراتب بحسب اقرارهم وانكارهم وسلوكهم ووقوفهم (وفى المثنوى) كودكان كرچه بيك مكتب درآند * درسبق هريك زيك بالاترند * خود ملائك نيز ناهمتا بدند * زين سبب برآسمان صف صف شدند * فعلى السالك الاجتهاد فى طلب الحق الى ظهور كنز الحقيقة فان المطلب الاعلى عند من يميز النقد الجيد من البهرج والزيوف وعن ذى النون رضى الله عنه قال أوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام ياموسى كن كالطير الوحدانى يأكل من رؤوس الاشجار ويشرب الماء القراح اوقال من الانهار اذا جنه الليل اوى الى كهف من الكهوف استئناسا بى واستيحاشا ممن عصانى ياموسى انى آليت على نفسى ان لاأتم لمدعى عملا ولاقطعن أمل من أمل غيرى ولاقصمن من استند الى سواى ولاطيلن وحشة من أنس بغيرى ولاعرضن عمن أحب حبيبا سواى ياموسى ان لى عبادا ان ناجونى اصغيت اليهم وان نادونى أقبلت عليهم وان أقبلوا على أدنيتهم وان دنوا منى قربتهم وان تقربوا منى كفيتهم وان والونى واليتهم وان صافونى صافيتهم وان عملوا الى جازيتهم انا مدبر امرهم وسائس قلوبهم ومتولى احوالهم لم أجعل لقلوبهم راحة فى شئ الا فى ذكرى فهؤلاء سقامهم شفاء وعلى قلوبهم ضياء لايستأنسون الا بى ولا يحطون رحال قلوبهم الا عندى ولايستقربهم قرار فى الايواء الا الى (وبينهما) اى بين الفريقين اوبين الجنة والنار (حجاب) كسور المدينة حتى لايقدر أهل النار ان يخرجوا الى الجنة ولئلا يتأذى اهل الجنة بالنار ولايتنعم أهل النار بنعيم الجنة لان الحجاب المضروب بينهما يمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى لانه قدجاء ان الحور العين لونظرت واحدة منهن الى الدنيا نظرة لامتلأت الدنيا من ضوئها وعطرها وجاء فى وصف النار ان شرارة منها لووقعت فى الدنيا لاحرقتها قال الحدادى فان قيل كيف يصح هذا التأويل فى الحجاب بين الجنة والنار ومعلوم ان الجنة فى السماء والنار فى الارض قيل لم يبين الله حال الحجاب المذكور فى الآية ولاقدر المسافة فلايمتنع ان يكون بين الجنة والنار حجاب وان بعدت المسافة (وعلى الاعراف) اى اعراف ذلك الحجاب اى اعاليه وهو السور المضروب بينهما قيل هو جبل احد يوضع هناك جمع عرف وهو كل عال مرتفع ومنه عرف الديك والفرس سمى عرفا لانه بسبب ارتفاعه يكون اعرف مما انخفض منه (رجال) طائفة من المؤمنين تساوت حسناتهم وسيئاتهم فهم ينظرون الى النار وينظرون الى الجنة ومالهم رجحان بما يدخلهم احدى الدارين فاذا دعوا الى السجود وهو الذى يبقى يوم القيامة من التكليف يسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة وهو احد الاقوال فى تعيين اصحاب الاعراف وسيجيء الباقى (يعرفون) صفة رجال (كلا) اى كل فريق من اصحاب الجنة واصحاب النار (بسيماهم) اى بسبب علاماتهم التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده وهذا فى العرصات قبل دخول الجنة والنار فان المعرفة بعد الدخول تحصل بالمشاهدة والاحساس ولايحتاج الى الاستدلال بسيماهم واما النداء والصرف والاتيان فبعد الدخول (ونادوا) اى الرجال وهو صفة ثانية لرجال عدل الى لفظ الماضى تنزيلا للنداء منزلة الواقع (اصحاب الجنة أن) تفسيرية او مخففة (سلام عليكم)

يعنى اذا نظروا اليهم سلوا عليهم سلام التحية والاكرام وبشروهم بالسلامة من جميع المكاره والآفات (لم يدخلوها) حال من فاعل نادوا اى نادوا حال كونهم لم يدخلوها (وهم يطمعون) اى والحال انهم طامعون فى دخولها حال من فاعل يدخلوها اى نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين فى دخولها مترقبين له اى لم يدخلوها وهم فى وقت عدم الدخول طامعون وسبب طمعهم انهم من أهل لا اله الا الله ولا يرونها فى ميزانهم و يعلمون ان الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة ولوجيء بذرة لاحدى الكفتين لرجحت بها لانهما فى غاية الاعتدال فيطمعون فى كرم الله وعدله وانه لابد أن يكون لكلمة لا اله الا الله عناية بصاحبها فيظهر لها اثر عليهم فيقفون هنالك حتى يقضى الله فيهم مايشاء ثم يدخلهم الجنة برحمته وهم آخر من يدخل الجنة واذا اراد الله ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فالقوا فيه حتى تصلح الوانهم وفى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها ثم يؤتى بهم فيدخلون الجنة ويسمون مساكين أهل الجنة (قال الحافظ) هست اميدم على رغم عدو روز جزا * فيض عفوش ننهد بار گنه بر دوشم * (واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار) اى الى جهنم وفى عدم التعرض لتعلق انظارهم بأصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم بأصحاب النار بالصرف اشعار بأن التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثانى بخلافه وفى تفسير الزاهدى ان الملك يصرف ابصارهم اليهم بأمر الله تعالى (قالوا) متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) اى فى النار اى يدعون بذلك خوفا من الله تعالى لاجل معاصيهم والقول الثانى فى تعيين اصحاب الاعراف انهم الانبياء اجلسهم الله على اعالى ذلك السور تمييزا لهم عن سائر اهل القيامة ليكونوا مشرفين على أهل الجنة وأهل النار مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم شاهدين على أممهم وعلى هذا قوله لم يدخلوها وهم يطمعون حال من مفعول نادوا وهو اصحاب الجنة لان طمع دخول الجنة لا يليق باشراف أهل الموقف اى نادى اشراف أهل الموقف وهم على الاعراف اصحاب الجنة حال كون اصحابها لم يدخلوها وهم طامعون فى دخولها وكذا التقدير فى سائر الوجوه الآتية المرادة بها أهل الدرجات العالية والقول الثالث هم الشهداء الذين يميزون من بين اهل الموقف بالاستحقاق لمزيد التعظيم والاجلاس فى اعالى السور المضروب ليشاهدوا حكم الله تعالى فى اهل الموقف بمقتضى فضله وعدله والرابع هم افاضل المؤمنين فرغوا من شغل انفسهم وتفرغوا لمطالعة احوال الناس وفى الحديث اذا جمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم اناس وهم يسيرون فينطلقون سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقال لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين والخامس قوم صالحون فقهاء علماء وذلك لمزيتهم على غيرهم بشرف الفقه والعلم والسادس هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس باعمالهم وهم فى كل امة والسابع هم العباس وحمزة وعلى بن ابى طالب وجعفر ذو الجناحين رضى الله عنهم يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه والثامن انهم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل ادخالهم الجنة والنار عبر عنهم باسم الرجال لكونهم يرون فى صورة الرجال كما عبر به عن الجن فى قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن لكونهم فى صورة الرجال يقولون حين اشرفوا على اهل النار ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين لانهم مكلفون كبنى آدم فلا ينكر ان يدعوا الله لانفسهم بالامن والتاسع هم الشهداء الذين خرجوا الى الغزو وغزوا فى سبيل الله بغير اذن آبائهم فقتلوا شهداء فأعتقوا من النار بأن قتلوا فى سبيل الله واحتبسوا عن الجنة بعصيانهم آباءهم والعاشر قوم رضى عنهم آباؤهم دون امهاتهم اوامهاتهم دون آبائهم والحادى عشر انهم اولاد الزنى والثانى عشر اولاد المشركين والثالث عشر هم الذين ماتوا فى الفترة ولم يبدلوا دينهم وزمان الفترة هو الزمان الذى بين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما والرابع عشر هم قوم كانت لهم صغائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب فى الدنيا فوقفوا وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم فيقع فى مقابلة صغائرهم والخامس عشر هم الذين ذكرهم الله فى القرآن اصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة روى عن بعض الصالحين انه قال أخذتنى ذات ليلة سنة فنمت فرأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون فقوم يمضى بهم الى الجنة وقوم يمضى بهم الى النار قال فأتيت الى الجنة فناديت يا أهل الجنة بماذا نلتم سكنى

الجنان فى محل الرضوان فقالوا الى بطاعة الرحمن ومخالفة الشيطان ثم أتيت الى باب النار فناديت يا أهل النار بماذا نلتم النار قالوا بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن قال فنظرت فاذا بقوم موقوفون بين الجنة والنار فقلت ما بالكم موقوفون بين الجنة والنار فقالوا لنا ذنوب جلت وحسنات قلت فالسيئات منعتنا من دخول الجنة والحسنات منعتنا من دخول النار وأنشدوا

نحن قوم لنا ذنوب كبار * منعتنا من الوصول اليه
تركتنا مذبذبين حيارى * أمسكتنا عن القدوم عليه

هذا ما تيسر لى جمعه من الاقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال والاشارة ان بين أهل النار واهل الجنة حجابا وهو من اوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى أهل النار أهل الجنة من وراء ذلك الحجاب وبين أهل الجنة وأهل الله وهم اصحاب الاعراف حجابا وهو من الاوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية فلا يرى أهل الجنة أهل الله من وراء ذلك الحجاب كما قال الله تعالى وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم يعنى اصحاب الاعراف يعرفون أهل الجنة والنار بما يتوسمون فى سيماهم من آثار نور القلب وظلمته وسميت الاعراف اعرافا لانها مواطن أهل المعرفة وانما سمى الله اهل المعرفة رجالا لانهم بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال فى النساء ولا يتصرف فيهم شئ منه كقوله رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وحيث ماذكر الله الخواص ذكرهم برجال كقوله رجال صدقوا وكقوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا لان وجه الامتياز بين الخواص والعوام بالرجولية فى طلب الحق وعلو الهمة فان اصحاب الاعراف بعلو هممهم ترقوا عن حضيض البشرية ودركات النيران وصعدوا على ذروة الروحانية ودرجات الجنان وما التفتوا الى نعيم الدارين وماركنوا الى كمالات المنزلين حتى عبروا عن المكونات واقاموا على الاعراف وهى مرتبة فوق الجنان فى حظائر القدس عند الرحمن وهم مشرفون على أهل الجنة والنار فلما رأوا أهل الجنة وانهم فى شغل فاكهون وقد شغلوا بنعيمها عن المولى نادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم يعنى هنيئا لكم ما انتم فيه من النعيم المقيم والحور والقصور ثم أخبر عن همة اصحاب الاعراف فقال لم يدخلوها وهم يطمعون اى شاهدوا نعيم الجنة ودرجاتها ولم يركنوا الى شئ منها فعبروا عليها ولم يدخلوها وهم على الاعراف يطمعون فى الوصول الى الله والدخول فى الجنة التى اضافها الله تعالى الى نفسه بقوله وادخلى جنتى واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ابتلاء ليريهم انه تعالى من أية دركة خلصهم وبأية كرامة خصهم فيعرفوا قدر ما أنعم الله عليهم به ومن هذا القبيل يكون ما سنح لارباب الكمالات من الخواطر النفسانية وما ابتلاهم بشئ من الدنيا والجاه والقبول والاشتغال بالخلق ليعرفوا قدر العزلة والتجريد والانس مع الله فى الخلوات فى اداء حق الشكر ورؤية النعمة قالوا مع المنعم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اى بعد ان خلصتنا من اوصافهم واخلاقهم ودركاتهم وما هم فيه لاتجعلنا مرة اخرى من جهتهم ولا تدخلنا فى زمرتهم كذا فى التأويلات النجمية (ونادى اصحاب الاعراف) وهم الذين علت درجاتهم من الانبياء واشراف اهل الموقف وهو الانسب بما بعد الاية اذ قولهم ادخلوا الجنة لايليق بالمقصرين فى العمل (رجالا) من رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين اصحاب النار وهم ابوجهل بن هشام والوليد بن المغيرة وعاص بن وآئل واضرابهم (يعرفونهم بسيماهم) اى علاماتهم الدالة على سوء حالهم حينئذ وعلى رياستهم فى الدنيا والباء سببية (قالوا) بدل من نادى اى قال اصحاب الاعراف وهم على السور مخاطبين رؤساء الكفار توبيخا وشماتة (ما اغنى عنكم) ما استفهامية للتقريع اونافية ومعناه على الثانية دفع تكرد عذاب ازشما (جمعكم) اى اتباعكم واشياعكم اوجمعكم للمال (وما كنتم تستكبرون) ما مصدرية اى واستكباركم المستمر على الخلق يعنى استكبار شما مانع عذاب نشد (اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة) هو من تمام قول اصحاب الاعراف للرجال الذين هم رؤساء الكفرة فيكون فى محل النصب بالقول المتقدم والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة قوله لا ينالهم الله برحمة جواب أقسمتم ومعناه بالفارسية اين كروه انانندكه دردنيا سوكند ميخورديد كه البته خداى هركز بديشان نرساند بخشايش خودرا (ادخلوا الجنة) اى فالتفت اصحاب الاعراف الى فقراء المسلمين مثل بلال وصهيب وسلمان وخباب وامثالهم وقالوا لهم ادخلوا الجنة على رغم انوف رؤساء الكفار

لاخوف

(لاخوف عليكم) حين يخاف اهل النار (ولاانتم تحزنون) حين يحزن اهل النار وفى الآية ذم المال والاستكبار والافتخار بكثرة الخدم والاعوان والانصار * نه منعم بمال از كسى بهترست * خر ار جل اطلس بپوشد خرست * بدين عقل وهمت نخوانم كست * وكر ميرود صد غلام از پست * تكبر كند مرد حشمت برست * نداندكه حشمت بحلم اندرست * چو منعم كند سفله را روزكار * نهد بر دل تنك درويش بار * چو بام بلندش بود خودپرست * كند بول وخاشاك بر بام پست * واعلم ان حب المال والاستكبار من اخلاق النفس فلا بد للسالك من تزكيتها وكان من دعاء النبى عليه السلام اللهم حسن خلقى وخلقى وقد مدحه الله بقوله وانك لعلى خلق عظيم وكان عليه السلام يجالس الفقراء والمساكين ويواكلهم وكان يمر على الصبيان ويسلم عليهم واتى رجل فارتعد من هيبته فقال هوّن عليك فلست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وكان يجلس مختلطا باصحابه كانه احدهم فيأتى الغريب فلا يدرى ايهم هو حتى يسأل وكان لا يدعوه احد الا قال لبيك وكل ذلك من تواضعه صلى الله عليه وسلم قال ذو النون المصرى علامة السعادة حب الصالحين والدنو منهم وتلاوة القرآن وسهر الليل ومجالسة العلماء ورقة القلب * والاشارة ان المؤمنين والعلماء بعلم الظاهر فى بعض الاوقات يقولون لاهل المحبة والمعرفة وارباب الطلب من دناءة همتهم ان احدا منكم لا ينال درجة الوصول ومرتبة الوصال ويقسمون على ذلك ثم يقول الله لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة المضافة الىّ فى حظائر القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج منها ولا انتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ تفرغتم لشهود جمالنا ووجود وصالنا واعلم ان اهل النار يرون اهل الله وهم اصحاب الاعراف بالصورة ماداموا فى مواطن الكونين فاذا دخلوا جنة الحقيقة المضافة الى الله فى سرادقات العزة وعالم الجبروت انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فافهم جدا * وقد حكى عن باباجعفر الابهرى انه دخل على باباطاهر الهمدانى فقال ابن كنت فانى حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رأيتك ثم قال باباطاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الاخص فما رأيتنى فعلى السالك ان لا ينقطع عنهم وعن اعتقادهم وفى الحديث لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقرآء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة حب درويشان كليد جنت است * دشمن ايشان سزاى لعنت است * (قال فى المثنوى فى حق حسن الظن بالفقرآء) كر كدايان طامعند وزشت خو * در شكم خوران تو صاحب دل بجو * در تك دريا كهر باسنكهاست * فخرها اندر ميان ننكهاست * ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وحقيقة المسكين من لا شئ له غير الله تعالى وهو اهل الله واصحاب الاعراف (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة) بعد الاستقرار فى الدارين (ان) مفسرة او مخففة كما سبق غير مرة (افيضوا علينا) اى صبوا (من الماء) اى ماء الجنة حتى يطفئ عنا حر ما نجده من العطش وذلك انهم لما بقوا فيها جياعا عطاشا قالوا يا ربنا ان لنا قرابات فى الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيؤذن لهم فى ذلك فينظرون الى قراباتهم فى الجنة والى ماهم فيه من انواع النعيم فيعرفونهم ولا يعرفهم اهل الجنة لسواد وجوههم فينادون قراباتهم من اهل الجنة بعد اخبارهم بقرابتهم ويقولون افيضوا علينا من الماء (او مما رزقكم الله) من سائر الاشربة ليلائم الافاضة فان الاصل فيها ان تستعمل فى المائعات من المشروبات او من الاطعمة فنأكلها لعلها تدفع عنا الجوع على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قال ابو حيان الصحيح تضمين افيضوا معنى القوا وهؤلاء القائلون كانوا فى الدنيا عبيد البطون حريصين على الطعام والشراب حتى ماتوا على ما عاشوا فيه فحشروا على ما ماتوا عليه وان اهل الجنة لما اطالوا الجوع والعطش فى الدنيا وانما جوعوا بطونهم لوليمة الفردوس كان اشتغالهم فى الجنة بشهوات النفس وفى الآية بيان ان الانسان لا يستغنى عن الطعام والشراب وان كان فى العذاب قال ابو الجوزآء سألت ابن عباس رضى الله عنه اى الصدقة افضل قال الماء ارأيت اهل النار لما استغاثوا باهل الجنة قالوا افيضوا علينا من الماء وعن سعد ابن عبادة انه قال يارسول الله ان ام سعد ماتت فاى صدقة افضل قال عليه السلام الماء فحفر بئرا فقال عليه السلام هذه لام سعد يقول الفقير فى الحديث دلالة على نفع الصدقة فى الاموات كما ذهب اليه اهل السنة وتخصيص الماء اما لان ارض الحجاز احوج شئ اليه فيكون اكثر ثوابا واما لان جهنم بيت الحرارة واندفاعها

بضدها وهى البرودة التى من اوصاف الماء فان كل شئ يقابل بنقيضه والله اعلم (قالوا) روى انه لا يؤذن لاهل الجنة فى الجواب مقدار اربعين سنة ثم يؤذن لهم فى جوابهم فيقولون (ان الله حرمهما على الكافرين) اى منع طعام الجنة وشرابها عنهم منع المحرم عن المكلف فلا سبيل الى ذلك قطعا وانما جعل شراب الكافرين الحميم الذى يصهر به ما فى بطونهم والجلود وطعامهم الضريع والزقوم (الذين اتخذوا دينهم) الذى امروا بالتدين به وهو دين الاسلام (لهوا ولعبا) ملعبة يتلاعبون به يحرمون ما شاؤا ويحلون ما شاؤا ولا يتبعون امر الله تعالى وانما يتبعون اهواءهم التى زينها الشيطان لهم وقيل كان دينهم دين اسماعيل عليه السلام فغيروه وتدينوا بما شاؤا وصرفوا هماتهم فيما لا ينبغى ان تصرف اليه الهمم وطلبوا ان يفرحوا بما لا ينبغى ان يطلب وفى التفسير الفارسى دينهم عيد خود در الهوا ولعبا مشغول و بازيجه ايشان درعيد خود بحوالى كعبه مى امدند ودست ميزدند و بازيچه ميكردند انتهى و يرخص اللعب فى يوم العيد بالسلاح والركض اى التسابق بالافراس والارجل وغير ذلك مما هو مباح مشروع وكانوا يضربون فى القرن الاول بالدف ولكن لم يكن فيه جلاجل فما يفعلونه فى هذا الزمان وقت العيد والختان وعند اجتماع الاخوان من ضرب المزمار وضرب الدف الذى فيه جلاجل ونحوها هو آلة اللهو ليس بمرخص وقولهم ان فى ديننا فسحة انما هو بالنسبة الى الامور المرخصة الا يرى ان المزاح مباح اذا كان بما لا يخالف الشرع (وغرتهم الحياة الدنيا) بزخارفها العاجلة وطول الامل ولذلك كانوا يستهزؤن بالمسلمين كما روى فى الخبر ان اباجهل بعث الى النبى عليه السلام رجلا يستهزئ به ان اطعمنى من عنب جنتك اوشيأ من الفواكه فقال ابو بكر رضى الله عنه ان الله حرمهما على الكافرين فعلى العاقل ان لا يغتر بالدنيا لانها غدارة مكارة * درديدهٔ اعتبار خوابيست * بر رهكذرا جل سرابيست * مشغول مشو بسرخ و زردش * انديشه مكن زكرم وسردش * سرمايهٔ آفتست زنهار * خود رازفريب اونكهدار (فاليوم) اى يوم القيامة والفاء فصيحة (ننساهم) نفعل بهم ما يفعل الناسى بالمنسى من عدم الاعتداد بهم وتركهم فى النار تركا كليا شبه معاملته تعالى مع الكفار بمعاملة من نسى عبده من الخير ولم يلتفت اليه والا فالله تعالى منزه عن حقيقة النسيان (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له يعنى انه وان لم يصح وصفهم بنسيانه حقيقة لان النسيان يكون بعد المعرفة وهم لم يكونوا معترفين بلقاء يوم القيامة ومصدقين به لكنه شبه عدم اخطارهم لقاء الله تعالى ببالهم وعدم مبالاتهم به بحال من عرف شيأ ونسيه ومثل هذه الاستعارات كثير فى القرءآن لان تفهيم المعانى الواقعة فى عالم الغيب انما يكون بان يعبر عنها بما يماثلها من عالم الشهادة (وما كانوا بآياتنا يجحدون) عطف على ما نسوا اى وكما كانوا منكرين بأنها من عند الله انكارا مستمرا فما مصدرية ويظهر ان الكاف فى كما للتعليل فان التشبيه غير ظاهر فى ما كانوا الا باعتبار لازمه وهو الترك (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) اى بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القرءآن (على علم) حال من فاعل فصلناه اى عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اى مشتملا على حكم كثيرة (هدى ورحمة) حال من هاء فصلناه اى حال كون ذلك الكتاب هاديا وذا رحمة (لقوم يؤمنون) يصدقون انه من عند الله لانهم المنتفعون بآثاره المقتبسون من انواره (هل ينظرون الا تأويله) اى ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله) اى يوم يأتيهم عاقبة ما وعد وافيه وهو يوم القيامة وشاهدوا اتيانه عيانا (يقول الذين نسوه من قبل) اى تركوه ترك المنسى من قبل اتيان تأويله (قد جاءت رسل ربنا بالحق) الباء للتعدية او للملابسة اى ملتبسين به يعنى اعترفوا بان ما جاءهم الرسل به من حقية البعث والحساب والجزاء حق واضطروا الى ان يتمنوا امرين احدهما الخلاص من عذاب القبر بشفاعة الشفعاء كما قال (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم ويدفعوا عنا العذاب وثانيهما الرد الى الدنيا ليعملوا عملا صالحا كما قال (او نرد) اى او هل نرد الى الدنيا (فنعمل) بالنصب على انه جواب الاستفهام الثانى (غير الذى كنا نعمل) اى فى الدنيا يعنى نصدق الرسل ونعمل الاعمال الصالحة فبين الله تعالى ان الذى تمنوه لا يحصل لهم البتة حيث قال (قد خسروا انفسهم) بصرف اعمارهم التى هى رأس مالهم

الى

الى الكفر والمعاصى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) اى ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيامة * دى روز بد ودلم اميدى ميداشت * امروز برفت وناميدم بكذاشت *
واعلم ان الكفار تمنوا الرد الى الدنيا ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه (قال فى المثنوى) قصه ان آبكير ست اى عنود * كه درو سه ماهئ اشكرف بود * چند صيادى سوى ان آبكير * بركذشتند وبديدند آن ضمير * پس شتابيدند تادام آورند * ماهيان واقف شدند وهوشمند * انكه عاقل بود عزم راه كرد * عزم راه مشكل ناخواه كرد * كفت باابنها ندارم مشورت * كه يقين سستم كنند از مقدرت * مهر زاد وبود بر جانشان تنند * كاهلى وجهلشان برمن زند * مشورت را زنده بايد نكو * كه ترا زنده كند ان زنده كو * نيست وقت مشورت هين راه كن * چون على تو آه اندر چاه كن * محرم آن آه كميابست وبس * شب روو پنهان روى كن چون عسس * سوى دريا عزم كن زين آب كير * بحر جووترك اين كرداب كير * سينه راپاساخت مى رفت آن حذور * از مقام باخطر تابحر نور * رنجها بسيار ديد وعاقبت * رفت آخر سوى امن وعافيت * خويشتن افكند در درياى ژرف * كه نيابد حد انرا هيچ طرف * پس چو صيادان بياوردند دام * نيم عاقل را ازان شد تلخ كام * كفت اه من فوت كردم فرصه را * چون نكشتم همره آن رهنما * بركذشته حسرت آوردن خطاست * بازنايد رفته يادان هباست * ليك زان تنديشم و برخود زنم * خويشتن را اين زمان مرده كنم * همچنان مرده شكم بالافكند * آب مى بردش نشيب وكه بلند * هر يكى زان قاصدان بس غصه برد * كه دريغا ماهئ بهتر بمرد * پس كرفتش يك صياد ارجمند * پس بروتف كرد وبرخاكش فكند * غلط غلطان رفت پنهان اندر آب * ماند آن احمق همى كرد اضطراب * ازچپ وازراست مى جست آن سليم * تاكه بجهد خويش برهاند كليم * دام افكندند اندر دام ماند * احمقى اورا دران آتش نشاند * برسر آتش به پشت تابه * باحماقت كرد او هم خوابه * او همى جوشيد از تف سعير * عقل ميكفتش الم يأتك نذير * او همى كفت ازشكنجه وز بلا * همچو جان كافران قالوا بلى * بازمى كفتى كه اكراين بارمن * وارهم زين محنت كردن شكن * من نسازم جز بدرياى وطن * آبكيرى را نسازم من سكن * آب بيحد جويم وايمن شوم * تاابد در امن وصحت مى روم * ان ندامت از نتيجهٔ رنج بود * نى زعقل روشن چون كنج بود * ميكند او توبه و پيرخرد * بانك لوردوا لعادوا مى زند * فعلى العاقل ان يتدارك حاله ولا يطول آماله قال الامام الغزالى قدس سره من زرع واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول ارجو ان يحصل لى منه مائة قفيز فذلك منه رجاء والاخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما فذهب ونام واغفل سنته فاذا جاء وقت البيادر يقول ارجو ان يحصل لى مائة قفيز فهو امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا اجتهد فى عبادة الله تعالى والانتهاء عن معصية الله يقول ارجو ان يتقبل الله هذا اليسير و يتم هذا التقصير و يعظم الثواب و يعفو عن الزلل فهذا منه رجاء واما اذا اغفل ذلك وترك الطاعات فارتكب المعاصى ولم يبال بسخط الله ولا رضاه ووعده ووعيده ثم اخذ يقول انا ارجو من الله الجنة والنجاة من النار فذلك منه امنية لا حاصل تحتها و بين هذا قوله عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من يتبع نفسه هواها و يتمنى على الله عزوجل قال بعضهم ان الغموم ثلاثة غم الطاعة ان لا تقبل وغم المعصية ان لا تغفر وغم المعرفة ان لا تسلب قال يوسف ابن اسباط دخلت على سفيان فبكى ليله اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فحمل تبنا وقال الذنوب اهون على الله تعالى من هذا انما اخشى ان يسلبنى الله الاسلام فكل الرسل والابدال والاولياء مع كل هذا الاجتهاد فى الطاعة والحذر عن المعصية فاى شئ تقول اما كان لهم حسن الظن بالله قال بلى فانهم كانوا اعلم بسعة رحمة الله واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون الاجتهاد امنية وغرور جعلنا الله واياكم من العالمين بكتابه والواصلين الى جنابه دون من نسى الله واتبع هواه آمين آمين الف آمين (ان ربكم) الخطاب لكفار مكة المتخذين اربابا والمعنى بدرستى كه برورد كار شما على التحقيق (الله) خدا يست جامع جميع صفات كمال (الذى خلق السموات والارض) لا على مثال سبق (فى ستة ايام) اى فى ستة اوقات ولوشاء لخلقها فى اسرع من لحظة ولكنه علم عباده التأنى فى الامور (وفى المثنوى) مكر شيطانست تعجيل وشتاب * خوى رحمانست

صبروا حتساب * باتأنی کشت موجود از خدا * تابشش روز این زمین و چرخها * ورنه قادر بود کز کن فیکون * صد زمین و چرخ آوردی برون * این تأنی از پی تعلیم تست * صبر کن در کار دیر آی و درست * قالوا لا يحسن التعجيل الا في التوبة من الذنوب وقضاء الدين بعد انقضاء مدته وقرى الضيف وتزويج البكر بعد بلوغها ودفن الميت والغسل من الجنابة واعلم ان الله تعالى بالقادرية والخالقية اوجد السموات والارض وبالمدبرية والحكمية خلقهما في ستة ايام وانما حصر في الستة انواع المخلوقات الستة وهى الارواح المجردة والثانى الملكوتيات فمنها الملائكة والجن والشياطين وملكوت السموات ومنها العقول المفردة والمركبة والثالث النفوس كنفوس الكواكب ونفس الانسان ونفس الحيوان ونفس النبات والمعادن والرابع الاجرام وهى البسائط العلوية من الاجسام اللطيفة كالعرش والكرسى والسموات والجنة والنار والخامس الاجسام المفردة وهى العناصر الاربعة والسادس الاجسام المركبة الكثيفة من العناصر فعبر عن خلق كل منها بيوم والافالايام الزمانية لم تكن قبل خلق السموات والارض (ثم استوى على العرش) العرش يطلق على السرير الذى يجلس عليه الملوك وعلى كل ماعلاك واظل عليك وهو بهذين المعنيين مستحيل فى حقه تعالى فجعل الاستوآء على العرش كناية عن نفس الملك والعز والسلطنة على طريق ذكر اللازم وارادة الملزوم فالمعنى بعد ان خلق الله عالم الملك فى ستة ايام كما اراد استوى على الملك وتصرف فيه كيف شاء فحرك الافلاك وسير الكواكب وكور الليالى والايام ودبر امر مصنوعاته على ما تقتضيه حكمته وهذا معنى قول القاضى استوى امره اى استقر امر ربوبيته وجرى امره وتدبيره ونفذ قدرته فى مصنوعاته وتخصيص العرش لانه اعظم المخلوقات فانه الجسم المحيط بجميع الاجسام فالاستوآء عليه استواء على ما عداه ايضا من الجنة والنار والسموات والعناصر وغيرها وفى التفسير الفارسى ثم استوى پس قصد كرد على العرش بافرينش عرش قال الحدادى ويقال ثم هنا بمعنى الواو على طريق الجمع والعطف دون التراخى فان خلق العرش كان قبل خلق السموات والارض وقد ورد فى الخبر ان اول شئ خلق الله القلم ثم اللوح فامر الله القلم ان يكتب ما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق العرش ثم خلق حملة العرش ثم خلق السموات والارض قال شيخى العلامه ابقاه الله بالسلامه المراد بهذا الاستوآء استوآؤه سبحانه لكن لا باعتبار نفسه وذاته تعالى علوا كبيرا عما يقول الظالمون بل باعتبار امره الايجادى وتجليه التجلى الاحدى المعبر عنه فى القرآن بالحق واستوآء الامر الارادى الايجادى على العرش بمنزلة استوآء الامر التكليفى الارشادى على الشرع فكما ان كل واحد من الامرين قلب الآخر وعكسه المستوى السوى فكذلك كل واحد من العرش والشرع قلب الآخر وعكسه السوى المستوى انتهى باختصار قال فى التأويلات النجمية لما تم خلق المكونات من الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استوآء التصرف فى العالم وما فيه التدبر فى اموره من العرش الى تحت الثرى وانما خص العرش بالاستوآء لانه مبدأ الاجسام اللطيفة القابلة للفيض الرحمانى وهذا الاستوآء صفة من صفات الله تعالى لايشبه استوآء المخلوقين كالعلم صفة من صفاته لايشبه علم المخلوقين اذ ليس كمثله شئ وهو السميع العليم ولو امعنت النظر فى خصوصية خلافتك الحق تعالى لعرفت نفسك فعرفت ربك وذلك ان الله تعالى لما اراد خلق شخصك من النطفة المودعة فى الرحم استعمل روحك بخلافته ليتصرف فى النطفة ايام الحمل فيجعلها عالما صغيرا مناسبا للعالم الكبير فيكون بدنه بمثابة الارض ورأسه بمثابة السماء وقلبه بمثابة العرش وسره بمثابة الكرسى وهذا كله بتدبير الروح وتصرفه خلافة عن ربه ثم استوى الروح بعد فراغه من الشخص الكامل على عرش القلب استوآء مكانيا بل استوى ليتصرف فى جميع اجزآء الشخص ويدبر اموره بافاضة فيضه على القلب فان القلب هو القابل لفيض الحق تعالى الى المخلوقات كلها كان القلب مفتم فيض الروح الى القالب كله فاذا تأملت فى هذا المثال تأملا شافيا وجدته فى نفى التشبيه عن الصفات المنزهة المقدسة كافيا وتحققت حقيقة من عرف نفسه فقد عرف ربه ان شاء الله تعالى ثم انه تعالى لما ذكر استوآءه على العرش وأخبر بما أخبر من نفاذ أمره واطراد تدبيره بين ذلك بطريق الاستئناف فقال (يغشى الليل النهار) اى يجعل الليل غاشيا يغشى النهار بظلمته فيذهب بنور النهار ويغطيه بظلمة الليل ولم يذكر العكس اكتفاء بأحد الضدين وفيه اشارة الى ليل ظلمات النفس عند استيلاء صفاتها وغلبات هواها على نهار انوار القلب والى نهار القلب عند غلبات انواره واستيلاء المحبة عليه

(يطلبه حثيثا) حال من الليل اى يجعل الليل غاشيا النهار حال كون الليل طالباله اى لمجيئه عقيب الليل سريعا وحثيثا منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى يطلبه طلبا حثيثا اى سريعا ولما كان كل واحد من الليل والنهار يعقب الآخر ويجيء بعده من غير أن يفصل بينهما بشئ صار كأنه يطلب الآخر على منهاج واحد (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) عطف على السموات اى خلق كل هذه المخلوقات حال كونها مسخرات بقضائه وتصرفه اى مذللات لما يراد منها من الطلوع والافول والحركات المقدرة والاحوال الطارئة عليها (ألا) تنبيه معناه اعلموا (له) اى لله تعالى والتقديم للتخصيص (الخلق والامر) فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق وفى التأويلات النجمية ما خلق بأمره تعالى من غير واسطة امر وما خلق بواسطة خلق وذكر الامام ان العالم وهو ماسوى الله تعالى منحصر فى نوعين عالم الخلق وعالم الامر وان المراد بعالم الخلق عالم الاجساد والجسمانيات وبعالم الامر عالم الارواح والمجردات وان قوله تعالى ألا له الخلق والامر اشارة الى هذين العالمين عبر عن العالم الاول بعالم الخلق لان الخلق عبارة عن التقدير وكل ما كان جسما او جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين فعبر عنه بعالم الخلق وكل ما كان مجردا عن الحجم والمقدار كان من عالم الارواح ومن عالم الامر مكونات بمجرد أمر كن فخص كل واحد منهما باسم مناسب له وقيل ألا له الخلق والامر انتهى كلام الامام وقال حضرة شيخنا العلامه أبقاه الله بالسلامه الخلق عالم العين والكون والحدوث روحا وجسما والامر عالم العلم والالة والوجوب وعالم الخلق تابع لعالم الامر اذ هو أصله ومبدأه قل الروح من أمر ربى والله غالب على امره (تبارك الله رب العالمين) اى تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية قال ابن الشيخ اى تعاظم الاله الواحد الموجد للكل المتصرف فيه بالربوبية رد به على الكفرة الذين كانوا يتخذون اربابا فدعاهم الى التوحيد بالحكمة والحجة وصدر الآية بأن ردا لانكارهم فقال ان ربكم المستحق للربوبية ليس الا واحدا وهو الله الموجد للكل على الترتيب المحكم المتقن الدال على كمال العلم والحكمة والقدرة وهو الذى انشأ ملكه على مايشاهد ثم أخذ فى تدبيره كالملك المتمكن فى مملكته بتدبير ملكه انتهى (روى) ان الصاحب ابن عباد كان يتردد فى معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسأل اين المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم اى الكلب واخذ المتاع وتبارك الجبال فاستفسر منهم وعرف أن الرقيم هو الكلب وان المتاع هو ما يبل بالماء فيمسح به القصاع وان تبارك بمعنى صعد وتعالى وفى الحديث من لم يحمد الله على عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله ومن زعم ان الله خلق للعباد من الامر سببا فقد كفر بما انزل الله على انبيائه لقوله تعالى ألا له الخلق والامر قال الشاعر

الى الله كل الامر فى خلقه معا * وليس الى المخلوق شئ من الامر

(ادعوا ربكم) بمعنى المربى من التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله شيأ فشيأ وهو تعالى مربى الظواهر بالنعمة وهى النفوس ومربى البواطن بالرحمة وهى القلوب ومربى نفوس العابدين بأحكام الشريعة ومربى قلوب المشتاقين بآداب الطريقة ومربى اسرار المحبين بأنوار الحقيقة وهو أى الرب اسم الله الاعظم ولذلك كل اسم قلبته بطل معناه الا الرب فان مقلوبه البر وهو من اسمائه تعالى واليه يشير ماروى عن الخضر عليه السلام انه قال الاسم الاعظم مادعا به كل نبى وولى وعدو اشار الى انه مقدمة دعوات الانبياء نحو ربنا ظلمنا انفسنا الآية ونحوه والصحابة نحو ربنا ما خلقت هذا باطلا الآيات والاعداء نحو رب أنظرنى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا (تضرعا وخفية) التضرع زارى كردن كذا فى تاج المصادر يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة من باب فتح اى خضع وذل وهما حالان من فاعل ادعوا اى متضرعين متذللين مخفين الدعاء ليكون اقرب الى الاجابة لكون الاخفاء دليل الاخلاص والاحتراز عن الرياء (روى) عن الصحابة رضى الله عنهم انهم كانوا فى غزوة فاشرفوا على واد فجعلوا يكبرون ويهللون رافعى اصواتهم فقال عليه السلام لهم اربعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وانه لمعكم اى بالعلم والاحاطة وفى الحديث استحباب الاخفاء فى ذكر الله لكن ذكر شارح الكشاف ان هذا بحسب المقام والشيخ المرشد قد يأمر المبتدى برفع الصوت لينقلع عن قلبه الخواطر الراسخة فيه كذا فى شرح المشارق لابن الملك قال حسين الكاشفى فى الرسالة العلية اى درويش قومى كه كمين كاه نفس راديدند ودانستند ذكر بجهر كفتن مناسب نديدند كه بريا انجامد ومخفى بذكر

مشغول شدند وقول حق تعالى را كه واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخفية كار بستند وجمعى كه بمرتبهٔ اخلاص رسيدند وباطن خودرا ازريا پاك ساختند ذكر را بجهر كفتند وهريك را ازين دوطائفه برعمل خود دلائل است (وفى المثنوى) كفت ادعوا الله بى زارى مباش * تا بيايد فيضهاى دوست فاش * تاسقاهم ربهم آيد خطاب * تشنه باش الله اعلم بالصواب * وعن عمر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع يديه فى الدعاء لا يردهما حتى يمسح بهما وجهه وذلك ليصل شئ من البركة الفائضة على اليد الى الوجه كما قال تعالى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود وذلك المسح فى الحقيقة رجوع الى الحقيقة الجامعة فان الوجه هو الذات كما قال فى الاسرار المحمدية ان الانسان حال دعائه متوجه الى الله تعالى بظاهره وباطنه ولذا يشترط حضور القلب فيه وصحة الاستحضار فسر الرفع والمسح ان اليد الواحدة مترجمة عن توجهه بظاهره واليد الاخرى عن توجهه بباطنه واللسان مترجم عن جملته ومسح الوجه هو التبرك والتنبيه على الرجوع الى الحقيقة الجامعة بين الروح والبدن لان وجه الشئ حقيقته والوجه الظاهر مظهرها وقال ايضا السنة للداعى فى طلب الحاجة له أن ينشرهما يعنى كفيه الى السماء وللمكروب ان ينصب ذراعيه حتى يقابل بكفيه وجهه واذا دعا على احد ان يقلب كفيه ويجعل ظهرهما الى السماء والسنة ان يخرج يديه حين الدعاء من كميه قال سلطان العارفين ابو يزيد البسطامى دعوت الله ليلة فاخرجت احدى يدى والاخرى ماقدرت على اخراجهما من شدة البرد فنمت فرأيت فى منامى ان يدى الظاهرة مملوءة نورا والاخرى فارغة فقلت ولم ذلك يارب فنوديت اليد التى خرجت للطلب ملأناها والتى توارت حرمناها ورفع الايدى الى السماء والنظر اليها وقت الدعاء بمنزلة ان يشير سائل الى الخزانة السلطانية ثم يطلب من السلطان ان يفيض عليه سجال العطاء من هذه الخزانة قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فالسماء قبلة الدعاء ومحل نزول البركات والافضل ان يبسط كفيه ويكون بينهما فرجة وان قلت ولا يضع احدى يديه على الاخرى فان كان وقت عذر اوبرد فأشار بالمسبحة قام مقام بسط كفيه والمستحب ان يرفع يديه عند الدعاء بحذاء صدره كذا روى ابن عباس رضى الله عنه فعل النبى عليه السلام كذا فى القنية (انه لا يحب المعتدين) اى المجاوزين ما امروا به فى الدعاء وغيره نبه به على ان الداعى ينبغى ان لا يطلب مالا يليق كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين فالاولى للداعى ان يدعو بأهم الامور وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار كما قال النبى عليه السلام للاعرابى الذى قال انى اسأل الله الجنة وأعوذ به من النار انى لا أعرف دندنتك ولا دندنة معاذ وقال حولهما ندندن ومعناه انى لا أعرف ما تقول أنت ومعاذ يعنى من الاذكار والدعوات المطولة ولكنى أختصر على هذا المقدار فاسأل الله الجنة وأعوذ به من النار ومعنى قوله عليه السلام حولهما ندندن أن القصد بهذا الذكر الطويل الفوز بهذا الاجر الجزيل (ولا تفسدوا فى الارض) بالكفر والمعاصى (بعد اصلاحها) ببعث الانبياء وشرع الاحكام قال الحدادى وقيل معناه لا تعصوا فى الارض فيمسك المطر عنها ويهلك الحرث بمعاصيكم (وادعوه خوفا وطمعا) مصدران فى موقع الحال اى خائفين من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطامعين فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته (ان رحمة الله قريب من المحسنين) وتذكير قريب مع انه مسند الى ضمير الرحمة لتأويل الرحمة بالرحم فان الرحم بضم الراء بمعنى الرحمة قال الله تعالى وأقرب رحما قال الكسائى أراد أن اتيان رحمة الله قريب كقوله ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا اى لعل اتيانها والمعنى ان رحمة الله قريب من الداعين بلسان ذاكرشاكر وقلب حاضر طاهر وترجيح للطمع وتغليب لجانب الرحمة وتنبيه على وسيلة الاجابة أعنى الاحسان المفسر بأن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وفى الحديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة يعنى ليكن الداعى ربه على يقين بأن الله يجيب لان رد الدعاء اما للعجز فى اجابته اولعدم كرم فى المدعو اولعدم علم المدعو بدعاء الداعى وهذه الاشياء منتفية عن الله تعالى فانه عالم كريم قادر لا مانع له من الاجابة قال سهل ما اظهر عبد فقره الى الله تعالى فى وقت الدعاء فى شئ يحل به الا قال الله تعالى للملائكة لولا انه لا يحتمل كلامى لأجبته لبيك (وحكى) ان موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع فقال موسى لو كانت حاجته بيدى لقضيتها فأوحى الله تعالى اليه انا أرحم به

منك ولكنه يدعونى وله غنم وقلبه فى غنمه وانا لا اقبل دعوة عبد قلبه عند غيرى فذكر ذلك للرجل فتوجه الى الله بقلبه فقضيت حاجته فيلزم حضور القلب وحسن الظن بالله فى اجابة الدعاء (وحكى) عن بعض البله وهو فى طواف الوداع انه قال له رجل وهو يمازحه هل أخذت من الله برآءتك من النار فقال الابله لا وهل أخذ الناس ذلك فقال نعم فبكى ذلك الابله ودخل الحجر وتعلق بأستار الكعبة وجعل يبكى ويطلب من الله ان يعطيه كتابه بعتقه من النار فجعل اصحابه والناس يلومونه ويعرفونه ان فلانا مزح معك وهو لا يصدقهم بل بقى مستقرا على حاله فبينا هو كذلك اذ سقطت عليه ورقة من جهة الميزاب فيها مكتوب عتقه من النار فسر بها وأوقف الناس عليها وكان من آية ذلك الكتاب ان يقرأ من كل ناحية على السوآء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فعلم الناس انه من عند الله قيل دعاء العامة بالاقوال ودعاء الزاهدين بالافعال ودعاء العارفين بالاحوال واذا وفق الله عبدا الى نطق بأمر ما فما وفقه اليه الا وقد أراد اجابته فيه وقضاء حاجته وعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند اهل الطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال الشيخ المحقق ابن الفارض قدس سره ويحسن اظهار التجلد للعدى * ويقبح غير العجز عند الاحبة (قال الحافظ) فقير وخسته بدركاهت آمدم رحمى * كه جز دعاى توام نيست هيچ دست آويز * ودر مناجات شيخ الاسلام است كه خدايا اكر وفاداران بتو اميد دارند جفا كاران نيز بغير تو پناهى ندارند * والاشارة ان التضرع مايطلع عليه الخلق والخفية مايطلع عليه الحق اى تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب والاعتدآء فى الدعاء طلب الغير منه والرضى بماسواه ولا تفسدوا فى الارض اى فى ارض القلوب بعد اصلاحها اى بعد ان اصلحها الله برفع الوسائط بينه وبين القلوب فان فساد القلوب فى رؤية غير الحق وصلاحها فى رؤية الحق ويقال من افساد القلوب بعد اصلاحها ارسالها فى اودية المنى بعد امساكها عن متابعة الهوى ومن ذلك الرجوع الى الحظوظ بعد القيام بالحقوق وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا فى الاصطناع ان رحمة الله وهى بذل المتمنى قريب من المحسنين الذين يرون الله فى الطاعات اى يعبدونه طمعا فيه لا منه كذا فى التأويلات النجمية (وهو الذى يرسل الرياح) كل ما كان فى القرآن من ذكر الرياح فهو للرحمة وما كان من ذكر الريح فهو للعذاب ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام كان يجثو على ركبتيه عند هبوب الرياح ويقول اللهم اجعلها لنا رياحا ولا تجعلها ريحا اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وفى الحديث لا تسبوا الريح فاذا رأيتم ماتكرهون فقولوا اللهم انا نسألك من خير هذه الريح وخير مافيها وخير ماأمرت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر مافيها وشر ماأمرت به قال بعض المشايخ لا تعتمد على الريح فى استوآء السفينة وسيرها وهذا شرك فى توحيد الافعال وجهل بحقائق الامور ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه يعلم ان الريح لا تتحرك بنفسها بل لها محرك والمحرك له محرك الى ان ينتهى الى المحرك الاول الذى لا محرك له ولا يتحرك هو فى نفسه ايضا بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه سبحانه (بشرا) تخفيف بشر بضمتين جمع بشير نحو رغيف ورغف اى مبشرات (بين يدى رحمته) اى قدام رحمته التى هى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه الصبا ريح تهب من موضع طلوع الشمس عند استوآء الليل والنهار والدبور ريح تقابل الصبا اى تهب من موضع غروب الشمس والشمال بالفتح الريح التى تهب من ناحية القطب والجنوب الريح التى تقابل الشمال والجنوب تدر السحاب اى تستحلبه قال ابن عباس رضى الله عنه يرسل الله الرياح فتحمل السحاب فتمريه كما يمرى الرجل الناقة والشاة حتى تدر وفى الآية اطلاق الرحمة على المطر فقول من قال انى افر من الرحمة محمول على المطر (حتى اذا اقلت) غاية لقوله يرسل (سحابا) اى حملته ورفعته باليسر والسهولة بأن وجدته خفيفا قليلا يقال اقلت كذا اى حملته بالسهولة ومن حمل الشئ بسهولة لاشك انه يعده قليلا فلذلك اشتق هذا الفعل من القلة (ثقالا) جمع ثقيل اى بالماء جمعه مع كونه وصفا للسحاب لان السحاب اسم جنس يصح اطلاقه على سحابة واحدة وما فوقها فيكون بمعنى الجمع اى السحائب والسحاب هو الغيم الجارى فى السماء (سقناه) من السوق والضمير للسحاب والافراد باعتبار اللفظ والمعنى بالفارسية برانيم ماآن ابررا (لبلد ميت) اى لاحياء بلد لانبات فيه والبلد يطلق على كل موضع من الارض سوآء كان عامرا اى ذا عمارة اوغير عامر خاليا اومسكونا والطائفة منها بلدة والجمع بلاد (فانزلنا به الماء) اى بالبلد والباء للالصاق اى الصق انزال الماء بالبلد (فاخرجنا به) اى بسبب ذلك الماء

(من كل الثمرات) اى من كل انواعها والظاهر ان الاستغراق عرفى (كذلك نخرج الموتى) الاشارة فيه الى اخراج الثمرات اوالى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النباتية فيه وتطريته بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس (لعلكم تذكرون) بطرح احدى التاءين اى تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة قال ابن عباس وابو هريرة اذا مات الناس كلهم فى النفخة الاولى مطرت السماء اربعين يوما قبل النفخة الاخيرة مثل منى الرجال فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبتون فى بطون أمهاتهم وكما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيها الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون فى قبورهم فاذا نفخ فى الصور النفخة الثانية وهى نفخة البعث جاشوا وخرجوا من قبورهم وهم يجدون طعم النوم فى رؤسهم كما يجده النائم اذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون والاشارة فى الاية ان الرياح رياح العناية والسحاب سحاب الهداية والماء ماء المحبة فيخرج الله تعالى بهذا الماء ثمرات المشاهدات والمكاشفات وانواع الكمالات كذلك نخرج الموتى اى موتى القلوب من قبور الصدور ولعلكم تذكرون اى تذكرون ايام حياتكم دون حياض الانس ورياض القرب عند حظائر القدس واعلم ان العمدة هى العناية الازلية وهى تصل الى العباد فى الخلا والملا (حكى) انه قيل لولى من اولياء الله تعالى اذهب الى دار الشرك فان فيها صديقا فكان ذلك الولى يقدر على الاختفاء فذهب الى دار المشركين فأسره مشرك وباعه لخادم كنيسة فخدم فيها زمانا بالصدق فجاء السلطان يوما الى الكنيسة فخلاها ثم صلى فاستتر الولى ثم ظهر للسلطان فقال من أنت قال مسلم مثلك وقيل للولى هو الصديق ثم سأل الولى ذلك السلطان الصديق عن حاله فقال فى أحسن الاحوال وارغد عيش آكل الرزق الحلال واعبد خالصا عن الرياء واقتل الكفار وأعين المسلمين بحيث لو كنت سلطانهم ما قدرت ثم خرج من الكنيسة وقعد عند بابها فسأل عن البطارقة والرهبان والخدام ثم قتل الكل وقال تتكبرون عن خدمة بيت الرب بأنفسكم وتستخدمون غير اهل الملة ثم خلى سبيلى وفى هذه الحكاية اشارة الى ان الله تعالى اذا اراد أهلاك العدو بأدنى سبب من حيث لا يحتسب فان له الطافا خفية (قال الحافظ) تيغى كه آسمانش ازفيض خود دهد آب * تنها جهان بكيرد بى منت سپاهى * (وقال ايضا) دلا طمع مبراز لطف بى نهايت دوست * كه ميرسد همه را لطف بى نهايت او * فنظر أهل التوحيد وارباب البصيرة الى المؤثر الحقيقى والفيض الازلى لا الى الخلق والوسائط والاسباب نسأل الله تعالى ان يجعلنا من الذين فازوا بالسعادة الابدية والعناية السرمدية ويسلك بنا مسلك الحقيقة والطريقة الاحدية انه هو البر الرحيم (والبلد الطيب) اى الارض الكريمة التربة وفى التفسير الفارسى وزمين پاك از سنك وريك كه شايسته وصالح زراعت باشد (يخرج نباته بأذن ربه) بمشيئته وتيسيره ما اذن الله فى خروجه لا يكون الا أحسن اكثر عزيز النفع (والذى خبث) والبلد الذى خبث ترابه كالحرة والسبخة الحرة ارض ذات حجارة سود كأنها احرقت بالنار والسبخة الارض المالحة التى لا تنبت شيأ (لا يخرج) نباته فى حال من الاحوال (الا) فى حال كونه (نكدا) قليلا عديم النفع فهو مستثنى مفرغ من اعم الاحوال والنكد بكسر الكاف القليل الخير الممتنع عن افادة النفع على جهة البخل والضنة والمصدر النكد بفتحتين يقال نكد عيشهم بكسر الكاف ينكد بالفتح نكدا اذا اشتد عيشهم وضاق (كذلك) اى مثل ذلك التصريف البديع (نصرف الايات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وتخصيصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها كقوله تعالى هدى للمتقين والاية مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التى هى ماء حياة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وفى التفسير الفارسى هركاه كه باران مواعظ از سحاب كلام رب الارباب بردل مؤمن بارد انوار طاعات وعبادات بر جوارح او ظاهر كردد چون كافر استماع سخن كند زمين دلش تخم نصيحت قبول نكند از وهيچ صفت كه بكار آيد در ظهور نيايد (قال السعدى) زمين شوره سنبل برنيارد * درو تخم عمل ضايع مكردان (وقال الحافظ) كوهر پاك ببايد كه شود قابل فيض * ورنه هر سنك وكلى لؤلؤ ومرجان نشود * وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها اياما ثم أمر بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج

فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به اذا قبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته ياامير المؤمنين ياامير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده وقال لبيك يابهلول فقال ياامير المؤمنين حدثنا ايمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يمضى على جمل وتحته رحل رث فلم يكن ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك فى سفرك هذا ياامير المؤمنين خير لك من تكبرك فبكى هرون حتى سقطت الدموع على الارض وقال يابهلول زدنا رحمك الله فقال

هب انك قد ملكت الارض طرا * وان لك العباد فكان ماذا

أليس غدا مصيرك جوف قبر * ويحثو الترب هذا ثم هذا

فبكى هرون ثم قال احسنت يابهلول هل غيره قال نعم ياأمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فانفق فى ماله وعف فى جماله كتب فى خالص ديوان الله من الابرار فقال أحسنت يابهلول ثم امر له بجائزة فقال اردد الجائزة الى من اخذتها منه فلا حاجة لى فيها قال يابهلول ان يكن عليك دين قضيناه قال ياامير المؤمنين لا يقضى دين بدين اردد الحق الى اهله واقض دين نفسك ياامير المؤمنين من نفسك قال يابهلول فنجرى عليك ما يكفيك فرفع بهلول رأسه الى السماء ثم قال ياامير المؤمنين انا وأنت من عيال الله تعالى فمحال ان يذكرك وينسانى فأسبل هرون السجاف ومضى والمقصود من هذه الحكاية بيان استماع هرون الحق وقبوله وذلك لانه كان كالمكان الزاكى وقلبه حيا بالحياة الطيبة فلذا لم يخرج منه الا الاخلاق الجيدة واما ارض النفس الامارة التى هى البلد الخبيث فلا يخرج منها الا الاخلاق الذميمة والافعال الرديئة فمن كان قلبه حيا بنور الله انعكس نور قلبه على نفسه فتنورت النفس فتبدلت اوصافها بأوصاف القلب وتلاشت ظلمتها بنور القلب فيطمئن الى ذكر الله وطاعته كما هو من اوصاف القلوب وان كان القلب ميتا والنفس حية فظلمات صفات النفس تطل على القلب وتبدل صفاته بصفاتها عند استيلاء صفاتها عليه فيحصل اطمئنانه بالدنيا ومافيها نسأل الله تعالى ان يجعل اطمئناننا الى ذكره وفكره وشكره ويجعلنا من الذين يعرفون قدر نعمة الله وحق المنعم (لقد ارسلنا نوحا الى قومه) جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبى بن يرد ابن مهلاييل بن قينان بن انوش بن آدم عليهم السلام ونوح اول نبى بعد ادريس بعد شيث وكان نوح نجارا بعثه الله الى قومه على رأس اربعين سنة وكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة وفى التفسير الفارسى الى قومه بسوى قوم اوكه اكثر اولاد قابيل بودند وبت مى پرستيدند * وذلك ان قابيل لما قتل اخاه هابيل طرده آدم فسكن مع اولاده واتباعه فى اليمن وهو اول من عبد الصنم (فقال) اى نوح (ياقوم اعبدوا الله) وحده فان العبادة بالاشراك ليست من العبادة فى شئ (مالكم من اله غيره) اى من مستحق للعبادة وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على الابتداء ومن زائدة فى المبتدأ والخبر لكم (انى اخاف عليكم) اى ان لم تعبدوه حسبما أمرت به وهو بيان للداعى الى عبادته (عذاب يوم عظيم) اى عذاب يوم القيامة او يوم الطوفان (قال الملأ من قومه) استئناف اى الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملأون صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وبهجتهم (انا لنراك) يانوح (فى ضلال) ذهاب عن طريق الحق والصواب لمخالفتك لنا والرؤية قلبية (مبين) بين كونه ضلالا (قال) استئناف ايضا (ياقوم) ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق (ليس بى) الباء للملابسة اوللظرفية (ضلالة) بالغ فى النفى حيث نفى عن نفسه ملابسة ضلالة واحدة اى ليس بى شئ من افراد الضلال وحزئياته فضلا عن ان يكون بى ضلال عظيم بين كما بالغوا فى الاثبات حيث جعلوه مستقرا فى الضلال الواضح كونه ضلالا (ولكنى رسول) اى رسول كائن (من رب العالمين) فمن لابتداء الغاية مجازا والرسالة يلزمها الهدى التام الغير القابل للضلال فاستدرك الملزوم ليكون كالبرهان على استدراك اللازم كانه قال ولكنى على هدى كامل فى الغاية لانى رسول من رب العالمين (ابلغكم رسالات ربى) الرسالة صفة واحدة قائمة بذات الرسول متعلقة بالاضافة الى المرسل والمرسل اليه الا انها جمعت نظرا الى تعددها بحسب تنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وهى خمسون صحيفة وصحف ادريس وهى ثلاثون صحيفة (وانصح لكم) زيادة اللام مع تعدى النصح بنفسه يقال نصحتك للدلالة على امحاض النصح لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة فانه رب نصيحة ينتفع بها الناصح ايضا وليس

الامر ههنا كذلك والفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة ان تبليغ الرسالة معناه ان يعرف انواع تكاليف الله واحكامه والنصيحة المراد بها الترغيب فى الطاعة والتحذير من المعاصى والارشاد الى ما فيه مصالح المعاد قال الحدادى النصح اخراج الغش من القول والفعل (وأعلم من الله ما لا تعلمون) اى اعلم من قدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدآئه وان بأسه لا يردّ عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحى (أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم) الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اى استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم وحى اوموعظة من مالك اموركم ومربيكم (على رجل منكم) اى على لسان رجل من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لا مناسبة بينه تعالى وبين البشر من حيث انه تعالى فى غاية التقدس والتنزه والبشر فى غاية التعلق والتكدر فأنكر عليهم نوح عليه السلام لانه لا سبيل الى ان يكلف الله البشر بنفسه من غير واسطة لان حجاب العظمة والكبرياء يمنع من ان يتحقق بينهم الفيض والاستفاضة فتعين ان يكون التكليف بأن يرسل بشرا ذا جهتين يستفيض من عالم الغيب بجهة تجرده وصفاء روحانيته ويفيض لبنى نوعه بجهة مشاركته اياهم فى الحقيقة النوعية (لينذركم) علة للمجيئ اى ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصى (ولتتقوا) منها بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) اى ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجى التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجبة للرحمة بل هى منوطة بفضل الله تعالى وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعالى (فكذبوه) واستمروا على ذلك فى هذه المدة المتطاولة اذ هو الذى يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب روى ان نوحا عليه السلام دعا بهلاك قومه فأمره الله تعالى بصنع الفلك فلما تم دخل فيه مع المؤمنين فأرسل الله الطوفان واغرق الكفار وانجى نوحا مع المؤمنين فذلك قوله تعالى (فأنجيناه والذين معه) من المؤمنين وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة (فى الفلك) متعلق بالاستقرار الذى تعلق به الظرف اى والذين استقروا معه فى الفلك (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) اى استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من أصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للايذان بسبق الرحمة التى هى مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذى يظهر اثره بمقتضى جرآئمهم (انهم كانوا قوما عمين) اصله عميين جمع عم اصله عمى على وزن خضر فاعل كاعلال قاض قال اهل اللغة يقال رجل عم فى البصيرة وأعمى فى البصر والمعنى عمين قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد غير مستبصرين وهذا العمى مانع عن رؤية الآيات ومشاهدة البينات (قال الحافظ) جمال يار ندارد نقاب ورده ولى * غبار ره بنشان تانظر توانى كرد * بخلاف اعمى البصر اذا كان مستعدا للنظر فانه كم من أعمى قادر على الرؤية من حيث الحقيقة (قال الصائب) دل چو بيناست چه غم ديده اكر نابيناست * خانهٔ آيينه راروشنى ازروزن نيست * وفى الآية اشارة الى نوح الروح الذى ارسله الله الى قومه يلاد القالب وهو القلب وصفاته والنفس وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة ودعوة القلب والنفس وصفاتهما الى الله وعبوديته ومن صفات النفس وشأنها تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن قبول نصحه والروح يحذر قومه من عبادة الدنيا وزينتها لئلا يحرموا من مساعدة الرحمة فكذبه قومه من النفس وصفاتها فأنجينا الروح من ظلمات النفس وتمردها والذين معه وهم القلب وصفاته الذين قبلوا دعوة نوح الرسول وركبوا معه فى الفلك وهو فلك الشريعة والذين فأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اى النفس وصفاتها فى بحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن رؤية الله والوصول اليه هذه حال الانفس والآفاق واهليهما ولو اصغوا الى داعى الحق واجتنبوا عما ارتكبوا لنجوا كما حكى ان الشيخ بشارضى الله عنه كان يوما جالسا على شط نهر الملك فمرت به سفينة فيها جند ومعهم خمر وفواكه ونساء متبرجات وصبيان ومغانى وهم فى غاية من اللهو والطغيان فقال الشيخ بشاللملاح اتق الله وقدم الى الله فلم يلتفتوا الى كلامه فقال ايها النهر المسخر خذ الفجرة فهما الماء عليهم حتى طلع الى السفينة فأشرفوا على الغرق فصاحوا بالشيخ واعلنوا بالتوبة فعاد الماء الى حاله وحسنت توبتهم وكانوا بعد ذلك يكثرون من زيارته (قال الحافظ) امروز قدر پند عزيزان شناختم * يارب روان ناصح ما از تو شاد باد * فعلى العاقل ان يقبل النصيحة ممن فوقه ودونه فان النصيحة سهلة والمشكل قبولها ونعم ما قال السعدى مرد بايدكه

كيرد

كيرد اندر كوش * ور نوشت است پند بر ديوار * اللهم اجعلنا ممن قبل دعوتك ودخل جنتك (والى عاد) اى وارسلنا الى عاد وهم قوم من اهل اليمن وكان اسم ملكهم عادا فنسبوا اليه وهو عاد بن ارم بن سام بن نوح (اخاهم) اى واحدا منهم فى النسب لا فى الدين كقولهم يا اخا العرب (هودا) عطف بيان لاخاهم وهو هود ابن عبد الله بن رباح بن خلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وانما جعل الرسول من تلك القبيلة لانهم أفهم لكلامه واعرف بحاله فى صدقه وامانته واقرب الى اتباعه (قال) استئناف وفى التفسير الفارسى قبيلهٔ عاد مردم تن آور وبلند بالا بودند وازايشان در تمام روى زمين دران زمان قبيلهٔ عظيمه نبود ومردم بسيار بودند ومال فراوان داشتند وعمر در پرستش بت مى كذرانيدند حق سبحانه وتعالى هود را بديشان فرستاد پس هود بميان قبيله آمد وايشانرا بحق دعوت كرد * قال (يا قوم) اى قوم من (اعبدوا الله) وحده (ما لكم من اله غيره) غيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وهو الابتداء ومن زائدة فى المبتدأ ولكم خبره (افلا تتقون) الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اى الا تتفكرون فلا تتقون عذاب الله تعالى (قال الملأ الذين كفروا من قومه) استئناف كما مر وانما وصف الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن به عليه السلام كمرثد بن سعد وكتم ايمانه ولم يظهر الا عند مجيء وفد عاد الى مكة يستغيثون كما سيجيء * قال

عصت عاد رسولهم فأمسوا * عطاشا ما تبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء
فبصرنا الرسول سبيل رشد * فأبصرنا الهدى وجلى العماء
وان اله هود هو الهى * على الله التوكل والرجاء

والملأ اشراف القوم وهو فى الاصل بمعنى الجماعة (انا لنراك فى سفاهة) اى متمكنا فى خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك والسفاهة فى اللغة خفة الحلم والرأى (وانا لنظنك من الكاذبين) اى فيما ادعيت من الرسالة وفيه اشارة الى ان قلوب قوم هود ومنه خبيثة كقلوب قوم نوح لم يخرج منها الخبث الا نكدا فلما اراد هود عليه السلام ان يبذر فيها بذر التوحيد والمعرفة ولم تكن صالحة وقلما خرج منها الا نبت التسفيه والتكذيب سلكوا طريق سلفهم واخوانهم وصنعوا مثل حالتهم (وفى المثنوى) در زمين كر نى شكر ور خود نى است * ترجمان هر زمين نبت وى است * ريك وخاك اين زمين با ثبات * باز كويد بر تو انواع نبات (قال) اى هود عليه السلام سالكا طريق حسن المجادلة مع ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء وهكذا ينبغى لكل ناصح (يا قوم ليس بى سفاهة) اى شيء منها ولا شائبة من شوائبها والباء للملابسة او للظرفية (ولكنى رسول من رب العالمين) اى لكنى فى غاية الرشد والصدق لانى رسول رب العالمين فالاستدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه فى الغاية القصوى من الرشد والصدق والرشد هو الاهتداء لمصالح الدين والدنيا وهو انما يكون بالعقل التام (ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين) معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك قد سبق فى القصة المتقدمة مرجع الرسالات ومعنى النصح والفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة وفى قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين لان الجملة الحالية انما يؤتى بها لبيان هيئة ذى الحال والشيء لا يوصف الا بما يعلم المخاطب اتصافه به اولان فى جعل ذكر متعلق النصح والامانة من قبيل المهجور دلالة على انه اوحدى فيه موجد للحقيقتين كأنه صناعته (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) اى استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم وحى من مالك اموركم ومربيكم (على رجل منكم) اى على لسان رجل من جنسكم (لينذركم) ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصى فمن فرط الجهالة وغاية الغباوة عجبوا من كون رجل رسولا ولم يتعجبوا من كون الصنم شريكا (واذكروا اذ جعلكم خلفاء) شروع فى بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية اى اذكروا وقت استخلافكم قال صاحب الفرائد يشكل هذا بقولهم اذ واذا لوقوعهما ظرفين لازم واجيب بأن باب الاتساع واسع قال المولى ابو السعود ولعله معطوف على مقدر كأنه قيل لا تعجبوا من ذلك وتدبروا فى اموركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء (من بعد قوم نوح) اى فى مساكنهم او فى الارض بأن جعلكم ملوكا فان شداد بن

عاد بما ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان قال فى التأويلات النجمية جعل الله الخلق بعضهم خلفاء عن بعض وجعل الكل خلفاء فى الارض ولا يفنى جنسا منهم الا اقام قوما خلفا عنهم من ذلك الجنس فأهل الغفلة اذا انقرضوا اخلف عنهم قوما وأهل الوصلة اذا انقرضوا ودرجوا اخلف عنهم قوما (وزادكم فى الخلق) اى فى الابداع والتصوير بالفارسى وبيفزود شمارا فى الناس (بسطة) قامة وقوة فانه لم يكن فى زمانهم مثلهم فى عظم الاجرام كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة الصغير ستين ذراعا قال وهب كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكان عين احدهم يفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم والاشارة كان الله تعالى زاد قوما على من تقدمهم فى بسطة الخلق زاد قوما على من تقدمهم فى بسطة الخلق فكما اوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود الى المبانى اوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعانى قال الفرزق

وقد تلتقى الاسماء فى الناس والكنى * كثيرا ولكن فرقوا فى الخلائق

جمع الخليقة وهى الطبيعة وفى هذا المعنى قال الخاقانى * فى همه يك رنك دارد در نيستانها وليك * از يكى فى قند خيزد وزدكر فى بوريا (فاذكروا آلاء الله) جمع الى بمعنى النعمة وهو تعميم بعد تخصيص (لعلكم تفلحون) لكى يؤديكم ذلك اى ذكر النعم الى الشكر المؤدى الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب ولما لم يبق للقوم جواب الا التمسك بالتقليد (قالوا) مجيبين عن تلك النصائح الجليلة (أجئتنا) يا هود (لنعبد الله وحده) اى لنخصه بالعبادة (ونذر ما كان يعبد آباؤنا) اى نترك الآلهة التى كان آباؤنا يعبدونها ومعنى المجيء فى أجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل عن قومه يعبد فيه ربه كما كان يعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم واما من السماء كمجيء الملك منها استهزاء به عليه السلام لانهم كانوا يعتقدون ان الله تعالى لا يرسل الا الملك واما القصد على المجاز وهو أن يكون مرادهم بالمجيء مجرد قصد الفعل ومباشرته كأنهم قالوا أتريد منا ان نعبد الله وحده وتقصد أن تكلفنا بذلك كما يقال ذهب يشتمنى من غير ارادة معنى الذهاب (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى أفلا تتقون (ان كنت من الصادقين) اى فى الاخبار بنزول العذاب (قال) هود عليه السلام (قد وقع عليكم) اى قد وجب فيكون مجازا من باب اطلاق المسبب على السبب فان نزول العذاب عليهم مسبب عن وجوب نزوله فى علمه تعالى (من ربكم) اى من جهته تعالى (رجس) عقاب من الارتجاس الذى هو الاضطراب (وغضب) ارادة انتقام (أتجادلوننى فى اسماء) عارية عن المسمى جعل المجادل فيه اسماء مجردة عن المسميات لانهم كانوا يسمون الاصنام آلهة ويزعمون كونهم مستحقين للعبادة والحال انهم بمعزل عن الالوهية واستحقاق العبادة (سميتموها) اى سميتم بها (انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) اى حجة وبرهان فى عبادتها قوله سميتموها صفة للاسماء وكذا قوله ما نزل الله وقوله من سلطان مفعول انزل ومن مزيدة والمعنى أتجادلوننى فى مسميات لها اسم بدون ما يليق بها وتوجه الذم للتسمية الصرفة الخالية عن المعنى فلا يلزم ان يكون الاسم هو المسمى قال فى التفسير الفارسى فى اسماء دركار اين نامها يعنى اين بتان كه هريك را نامى نهاده ايد بعضى راساقيه مى كفتند وكمان ايشان آن بودكه باران از ايشان مى باردو بعضى راحافظه مى خواندند بظنه آنكه نكهبان درسفر ايشانند وهمچنين رازقه وسالمه واين ألفاظ اسما بودند بى مسما چه اصنام را كه جمادات بودند قدرت برينها نبوده پس هود عليه السلام فرمودكه شما جدال ميكنيد بدين چيزها كه ازروى جهالت شما نام نهاده ايد ايشانرا (فانتظروا) مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم اى فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا (انى معكم من المنتظرين) لما يحل بكم من العذاب (فأنجيناه) الفاء فصيحة كما فى قوله تعالى فانفجرت اى فوقع فأنجينا هودا (والذين معه) اى فى الدين (برحمة منا) اى برحمة عظيمة كائنة من جهتنا عليهم وفيه اشارة الى ان هودا مع رتبته فى النبوة ودرجته فى الرسالة انما نجا برحمة من الله هو والذين آمنوا معه ليعلم ان النجاة لا تكون باستحقاق العمل وانما تكون ابتداء فضل من الله ورحمة فما نجا الا بفضل الحق سبحانه (وقطعنا دابر) القوم (الذين كذبوا بآياتنا) اى استأصلناهم اى اهلكناهم جميعا بأن قطعنا عرقهم واصلهم لان دابر الشيء آخره فقطع دابر القوم اهلاكهم من اولاهم الى آخرهم (وما كانوا مؤمنين) عطف على كذبوا داخل معه فى حكم الصلة اى اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك أبدا وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق آياته

كان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا كانوا يسكنون اليمن بالاحقاف وهى رمال يقال رمل عالج ودهمان ومرين مابين عمان الى حضرموت وكانوا قد فشوا فى الارض وقهروا اهلها بقوتهم التى اعطاها الله اياهم وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا من اوسطهم فى النسب وأفضلهم فى الحسب فأمرهم ان يوحدوا الله ولا يعبدوا غيره وان يكفوا عن ظلم الناس فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس اذا نزل بهم بلاء وجهد مضوا الى البيت الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم وسألوا الله الفرج وكان اهل مكة يومئذ العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان رئيس العماليق يومئذ بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أمه من عاد فلما قحط المطر من عاد وجهدوا قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة يستسقوا فجهزوا قيل بن عتر ومرثد بن سعد فى سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو فى خارج مكة فأنزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية اسم احداهما وردة واسم الاخرى جرادة فغلبت جرادة على وردة فسميتا جرادتين فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذى اصابهم شق ذلك عليه وقال قد هلك اخوالى واصهارى جهدا وعطشا وهؤلاء مقيمون عندى والله ما ادرى كيف اصنع بهم استحيى ان آمرهم بالخروج الى حاجتهم فيظنون ان ذلك لثقل مقامهم على فشكا ذلك الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لايدرون من قاله لعل ذلك يخرجهم فقال معاوية

الا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
فيسقى ارض عاد ان عادا * قد امسوا ما يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم أيامى
وان الوحش تأتيهم جهارا * فلا تخشى لعادى سهاما
وانتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكمو التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض ياقوم لقد ابطأتم على اصحابكم فقوموا وادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم هودا وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لايقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقام قيل يستسقى فى المسجد وقال اللهم انى لم اجئ لمريض فأداويه ولا لاسير فأفاديه اللهم اسقنا فانا قد هلكنا اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم وقال القوم اللهم اعط قيلا ما يسألك واجعل سؤلنا مع سؤله فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء ياقيل اختر لنفسك ولقومك من هذا السحاب ماشئت فقال اخترت السوداء فانها اكثر السحاب ماء فنودى اخترت رمادا رمددا لايبقى من آل عاد ولدا ولا شيوخا الا فصاروا همدا ثم ساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة والبلاء الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها فرحوا وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها اى كل شئ مرت به فجاءتهم من تلك السحابة ريح عقيم سخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى دائما فكانت الريح تحمل الظعن مابين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وكانوا قد حفروا لارجلهم فى الارض وغيبوها الى ركبهم فجعلت الريح تدخل اقدامهم وترفع كل اثنين وتضرب بأحدهما الآخر فى الهواء ثم تلقيهما فى الوادى والباقون ينظرون حتى رفعتهم كلهم ثم رمت بالتراب عليهم فكان يسمع انينهم من تحت التراب فاعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة فما كان يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذ به انفسهم قالوا ولما اراد الله ارسال الريح العقيم الى عاد اوحى الى الريح ان تخرج الى عاد فتنتقم منهم فخرجت على قدر منخر ثور حتى رجفت الارض مابين المشرق والمغرب فقالت الخزان يارب لن نطيقها ولو خرجت على حالها لاهلكت مابين مشارق الارض

ومغار بها فأوحى الله تعالى اخرجي على قدر خرق الخاتم فخرجت على قدر ذلك قال السدى فلما بعث الريح
العقيم ودنت منهم نظروا الى الابل والرحال تطير بهم الريح بين السماء والارض فتبادروا الى البيوت فأخرجتهم
الريح من البيوت حتى اهلكتهم على ماذكر وسبب هلاك الابل وغيرها من الحيوانات اتصالها بهلاك أهل الغضب
والبلية اذا نزلت فانما تنزل عامة ولله تعالى حكم ومصالح جليلة فى كل مايحكم ويريد ولما نجا هود ومن معه
من المؤمنين اتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا وهكذا فعل كل نبى هلك قومه ونجا هو مع المؤمنين قال
بعضهم بين الركن والمقام وزمزم تسعة وتسعون نبيا وان قبر هود وشعيب وصالح واسمعيل فى تلك البقعة
وسبب الهجرة ان ارض أهل الكفر والمعاصى قد حل فيها غضب الله وذهب خيرها فاقتضى كمال الخشية
من جلال الله تعالى الرحلة الى دار الامان كما قال تعالى ومن دخله كان آمنا مع ان امكنة العبادات
على طبقات مختلفة متفاوتة فى مراتب الثواب فعمل واحد بمكة خير من ألف عمل فى غيرها اذ هى محل انفاس
الانبياء ونفوسهم ومحط رحال الاولياء ورؤسهم كما ان حال الازمنة كذلك فطوبى لعبد هاجر من ارض أهل
البدعة والهوى ونزل بأرض اهل السنة والهدى لان نظر الله تعالى على اهل الخير والصلاح وأما من اخلد الى
ارضه مع جمود أهلها وخمود نار محبتها لمجرد غرض دنيوى من المعاش وغيره فهو ممن اهبطه الله الى ارض
طبيعته وزحزحه عن جنته واراد خسرانه فى تجارته والا فالمهتدى الى سبيل السلام لايقيم مع الضالين
مع وضوح البرهان التام * سعديا حب وطن كرچه حديث است صحيح * نتوان مرد بسختى كه من
اينجا زادم * يقول الفقير اللهم انى هاجرت من ارض اهل البغى والفساد واخترت سلوك طريق اهل الرشاد
فانتقلت من ديار الروم الى ما يلحق بأرضك المقدسة أعنى بروسة المحروسة اللهم ثبت قدمى فى طريقك الحق
فانا الحق ارشدنى الى مافى الهجرة من السر المطلق آمين يامعين (والى ثمود) اى ارسلنا الى ثمود وهى قبيلة من
العرب سموا باسم أبيهم الاكبر ثمود بن عاد بن ارم بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى
وادى القرى وثمود فى كتاب الله مصروف وغير مصروف قال الله تعالى ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود فمن
صرفه جعله اسما للحى ومن لم يصرفه جعله اسما للقبيلة (اخاهم) من حيث النسب كهود عليه السلام
كما تقدم (صالحا) عطف بيان لأخاهم وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود
(قال) استئناف (ياقوم) بحذف ياء المتكلم (اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره) فيه اشارة الى ان الله
تعالى وان غاير بين الرسل من حيث الشرائع الا انه جمع بينهم فى التوحيد حيث سلك كل واحد منهم فى الدعوة
مسلك الآخر فقال نوح وهود وصالح ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره (روى) انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود
بلادها وخلفوهم فى الارض وكثروا وكانوا فى خصب وسعة فعتوا على الله وأفسدوا فى الارض وعبدوا
الاصنام فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله تعالى حتى شمط
وكبر فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية تكون مصداقا لقوله فقال أية آية
تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا فى يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك
اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوا الاستجابة فلم تجبهم
الى سؤلهم ولم يظهر اثر الانجاح فافتضحوا ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة فى ناحية الجبل
يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخدجة على خلقة الجمل فى الجسامة وغلظة العظام والقوائم
شبيهة بالبخت جوفاء وبراء عشراء فان فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك
لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة
عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لايعلم مابين جنبيها الا الله وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به
جندع ورهط من قومه ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم *
يكى بنور عنايت ره هدايت يافت * يكى بوادى خذلان بماند سركردان * يكى بوسوسه ديو رفت سوى
سقر * يكى زبهروى حق كرفت ملك جنان * فمكثت الناقة مع ولدها فى ارض ثمود ترعى الشجر وتشرب
الماء فبعد ظهور هذه المعجزة قال لهم صالح (قد جاءتكم بينة) اى آية ومعجزة ظاهرة وشاهدة بنبوتى (من ربكم)
متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة قال المولى ابو السعود وليس هذا الكلام منه عليه السلام اول

ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله فلم يقبلوا كلامه وكذبوه ألا ترى الى ما فى سورة هود من قوله تعالى هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها الى آخر الآيات (هذه ناقة الله لكم آية) استئناف كأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله انبهكم عليها او اشير اليها فى حال كونها آية وعلامة دالة على صحة نبوتى واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها كما يقال بيت الله اولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط معتادة يعنى كانت بالتكوين من غير اجتماع ذكر وانثى ولم تكن فى صلب ولا رحم ولم يكن للخلق فيها سعى ولكم بيان لمن هى آية له وخصوا بذلك لانهم هم الذين طلبوها وينتفعون بها لو تركوا العناد وطلبوا الاهتداء بالدليل والبرهان (فذروها) تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها اى دعوها (تأكل فى ارض الله) جواب الامر اى الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها ترتع ما ترتع فى ارض الحجر من العشب فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها وعدم التعرض للشرب للاكتفاء عنه بذكر الاكل (ولا تمسوها بسوء) الباء للملابسة اى لاتمسوها ملتبسين بسوء ولا تتعرضوا لها بشئ مما يسوءها اصلا من قتل اوضرب اومكروه اكراما لآية الله تعالى والسوء اسم جامع لأنواع الاذى ويجوز ان تكون الباء للتعدية والمعنى بالفارسية * وهرسانيد بوى هيچ بدى * وفيه مبالغة حيث نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة (فيأخذكم عذاب اليم) جواب للنهى قال فى التفسير الفارسى استحقاق عذاب نه بواسطة ضرر ناقه است بلكه باقامت ايشان بر كفر بعد از شهود معجزه وعقر ناقه دليل عتو ايشانست در كفر * والاشارة ان المعجزة للعوام ان يخرج لهم من حجارة الصخرة ناقة عشراء والمعجزة للخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر بسقب سر السر وهو الخفى وناقة الله التى تحمل امانة معرفته وتعطى ساكنى بلد القالب من القوى والحواس لبن الواردات الالهية فذروها تأكل فى ارض الله اى ترتع فى رياض القدس وتشرب فى حياض الانس ولا تمسوها بسوء مخالفات الشريعة ومعارضات الطريقة فيأخذكم عذاب اليم بالانقطاع عن مواصلات الحقيقة (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) اى اذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء فى ارض الحجر او خلفاء لقوم عاد من بعد اهلاكهم فنصب اذ على المفعولية كما سبق فى القصة المتقدمة (وبوأكم فى الارض) اى انزلكم فى ارض الحجر بالفارسى جاى داد شمارا * قال ابو السعود اى جعل لكم مباءة ومنزلا فى ارض الحجر بين الحجاز والشام (تتخذون من سهولها قصورا) استئناف مبين لكيفية التبوئة اى تبنون فى سهولها قصورا رفيعة على ان من بمعنى فى كما فى قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة اوسهولة الارض بما تعملون منها من اللبن والآجر (وتنحتون الجبال) اى الصخور والنحت نجر الشئ الصلب وانتصاب الجبال على المفعولية (بيوتا) حال مقدرة من الجبال كما تقول خط هذا الثوب قميصا قيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء وقيل انهم لطول اعمارهم كانوا يحتاجون الى ان ينحتوا من الجبال بيوتا لان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم (فاذكروا آلاء الله) اى احفظوا نعم الله عليكم فان حق آلائه تعالى ان تشكر ولا يغفل عنها (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) العثى أشد الفساد فقيل لهم لاتمادوا فى الفساد حال كونكم مفسدين فالمراد بهذه الحال تعريفهم بانهم على الفساد لاتقييد العامل والا لكان مفهومه مفيدا معنى تمادوا فى الفساد حال كونكم مصلحين وهذا غير جائز وقيل انما قيده به لما ان العثى فى الاصل مطلق التعدى وان غلب فى الفساد فقد يكون فى غير الفساد كما فى مقابلة غير الظالم الظالم المتعدى بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه السفينة فيكون التقييد بالحال تقييد العام بالخاص (قال) استئناف (الملأ) اى الاشراف والرؤساء (الذين استكبروا من قومه) اى تعظموا عن الايمان به (للذين استضعفوا) اللام للتبليغ اى للذين استضعفوهم واستذلوهم (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا بدل الكل والضمير للقوم (أتعلمون) اياشما ميدانيد (ان صالحا مرسل من ربه) قالوه بطريق الاستهزاء بهم (قالوا) اى المؤمنون المستضعفون (انا بما ارسل به) من التوحيد والعبادة (مؤمنون) عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأن يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى تنبيها على ان ارساله امر معلوم مقرر عندهم حيث أوردوه صلة للموصول ومن المعلوم ان الصلة لابد ان تكون جملة معلومة الانتساب الى ذات الموصول فكأنهم قالوا الاكلام فى ارساله لانه اظهر من أن يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى لما اتى به من هذا المعجز العظيم الخارق وانما الكلام فى الايمان به

فنحن مؤمنون به فهذا الجواب من اسلوب الحكيم وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقب (قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون) عدلوا عن الجواب المطابق وهو انا بما ارسل به كافرون لدلالته على ان ارساله معلوم مسلم عندهم كما دل عليه قول المؤمنين فكأنهم قالوا ليس ارساله معلوما لنا مسلما عندنا وليس هنالك الادعاؤه وايمانكم به ونحن بما آمنتم به كافرون فالمؤمنون فرعوا ايمانهم على الارسال الثابت والكفار فرعوا كفرهم على ايمان المؤمنين واعلم ان الله تعالى ذم الكفار بوجهين احدهما الاستكبار وهو رفع النفس فوق قدرها وجحود الحق والآخر انهم استضعفوا من كان يجب ان يعظموه ويجلوه ومدح المؤمنين حيث ثبتوا على الحق واظهروه مع ضعفهم عن مقاومة الكفار كما دل عليه قوله انا بما ارسل به مؤمنون (فعقروا الناقة) اى نحروها وبالفارسى پس پى كردند وبكشتند ناقه را اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة اولان ذلك كان برضاهم فكأنه فعله كلهم (روى) ان الناقة كانت ترد الماء غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها فى البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها الا تدع قطرة واحدة ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم كلها فيشربون ويدخرون ثم تصدر من اعلى الفج الذى وردت منه لانها لا تقدر ان تصدر من حيث ترد لضيقه قال ابو موسى الاشعرى أتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانوا اذا جاء يومهم وردوا الماء فيشربون ويسقون مواشيهم ويدخرون من الماء ما يكفيهم اليوم الثانى وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادى فيهرب منها انعامهم الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادى فيهرب منه مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتى المواشى قال الحدادى كان فى ثمود امرأة يقال لها صدوق كانت جميلة الخلق غنية ذات ابل وبقر وغنم وكانت من أشد الناس عداوة لصالح وكانت تحب عقر الناقة لاجل انها اضرت بمواشيها فطلبت ابن عم لها يقال له مصدع بن دهر وجعلت له نفسها ان عقر الناقة فأجابها الى ذلك ثم طلبت قدار بن سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا يزعمون انه ولد زنى ولكنه ولد على فراش سالف فقالت يا قدار ازوجك اى بناتى شئت على ان تعقر الناقة وكان منيعا فى قومه فأجابها ايضا فانطلق قدار ومصدع فاستغووا غواة ثمود فأتاهم تسعة رهط فاجتمعوا على عقر الناقة فأوحى الله تعالى الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم صالح بذلك فقالوا ما كنا نفعل ثم تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله وقالوا نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه فاذا رجعنا قلنا ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون اى يعلمون انا خرجنا فى سفر لنا وكان صالح لا ينام فى القرية وكان له مسجد خارج القرية يقال له مسجد صالح يبيت فيه فاذا اصبح اتاهم فوعظهم واذا امسى خرج الى المسجد فانطلقوا ودخلوا الغار فلما كان الليل سقط عليهم الغار فقتلهم فلما اصبحوا رآهم رجل فصاح فى القرية فقال ما رضى صالح حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق انما اجتمع التسعة الذين عقروا الناقة فقالوا هلموا لنقتل صالحا فان كان صالح صادقا منعنا قتله وان كان كاذبا الحقناه بناقته فأتوا ليلا فبيتوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة وقال بعضهم انطلق قدار ومصدع واصحابهما التسعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها مصدع فى اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم خرج قدار فعقرها بالسيف فخرت ترغو ثم طعنها فى لبتها ونحرها وخرج أهل البلد واقتسموا لحمها فلما رآها سقبها كذلك رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا ودموعه تنحدر حتى أتى الصخرة التى خلق منها فانفتحت فدخلها فذلك قوله تعالى فعقروا الناقة (وعتوا عن امر ربهم) اى استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح من الامر بقوله فذروها ومن النهى بقوله ولا تمسوها اواستكبروا عن اتباع امر الله وهو شرعه ودينه ويجوز ان يكون المعنى صدر عتوهم عن امر ربهم كأن أمر ربهم بترك الناقة كان هو السبب فى عتوهم ونحوه ومن هذه كما فى قوله وما فعلته عن امرى كذا فى الكشاف (وقالوا) مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والافحام (يا صالح ائتنا بما تعدنا) من العذاب على قتل الناقة (ان كنت من المرسلين) فان كونك من جملتهم يستدعى صدق ما تقول من الوعد والوعيد (فأخذتهم الرجفة) اى الزلزلة الشديدة لكن لا اثر ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادى العذاب فى الايام الثلاثة كما سيجيء ورد فى حكاية هذه القصة فأخذتهم الرجفة وفى موضع

فأخذتهم الصيحة وفى موضع فاهلكوا بالطاغية ولاتناقض لان الرجفة مترتبة على الصيحة لانه لما صيح بهم رجفت قلوبهم فماتوا فجاز ان يسند الاهلاك الى كل واحدة منهما وقال الحدادى فأخذتهم الزلزلة ثم صيحة جبريل (وفى التفسير الفارسى) پس فرا كرفت ايشانرا بسبب كشتن ناقه زلزله بعد از سفيدن صيحه عظيم وأما قوله بالطاغية فالباء فيها سببية والطاغية مصدر بمعنى الطغيان كالعاقبة والتاء للمبالغة كما فى علامة ومعناه اهلكوا بسبب طغيانهم (فأصبحوا فى دارهم) اى صاروا فى اراضيهم وبلدهم او فى مساكنهم (جاثمين) اى خامدين موتى لاحراك بهم وأصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اى قعود لاحراك بهم قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا بك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وأبلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو أليق به روى انهم لما عقروا الناقة هرب ولدها الى جبل فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم بعد بلوغ خبر القتل اليه ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها قال صالح لكل رغوة أجل يوم تمتعوا فى داركم اى فى بلادكم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقد عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح أبشروا بعذاب الله ونقمته فقالوا له وما علامة ذلك فقال تصبحون غداة يوم الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم السبت ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب اول يوم الاحد فكان الامر كما وصف نبيهم حيث اصبحوا يوم الخميس كأن وجوههم طليت بالزعفران صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فأيقنوا بالعذاب وعلموا ان صالحا قد صدق فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم واختفى فى موضع فلم يجدوه فجعلوا يعذبون اصحابه ليدلوهم عليه فلما اصبحوا يوم الجمعة اصبحت وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدماء فصاحوا بأجمعهم وضجوا وبكوا وعرفوا ان العذاب قد دنا اليهم وجعل كل واحد منهم يخبر الآخر بما يرى فى وجهه ثم اصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة كأنها طليت بالقار والنيل فصاحوا جميعا ألا قد حضر العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم ومن آمن به الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما كان يوم الاحد وهو اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر لئلا يتعرض لهم السباع لمرارته وتكفنوا بالانطاع وألقوا انفسهم على الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض اخرى لا يدرون من اين يأتيهم العذاب فأتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك فان قلت مشاهدة العلامات المذكورة تلجئ المكلف الى الايمان فهل يحتمل ان يبقى العاقل بعدها مصرا على كفره قلت لما شاهدوا علامات نزول العذاب خرجوا عن حد التكليف فلم تقبل توبتهم بعد ذلك (فتولى عنهم) اثر ما شاهد ما جرى عليهم من الهلاك تولى مغتما متحسرا على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى) پيغام پروردكار من كه باداء آن مامور بودم (ونصحت لكم) وقت الدعوة بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعى (ولكن لا تحبون الناصحين) صيغة المضارع حكاية حال ماضية اى شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين لان قول الناصح ثقيل والحق مر وهما يفيدان البغضة كما قال قائلهم

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة * وقد يستفيد البغضة المتنصح

وذلك ايضا من خباثة ارض النفس الخبيثة لم تقبل بذر النصح ولم ينبت فيها وروى عن جابر بن عبد الله انه قال لما مر النبى عليه السلام بالحجر فى غزوة تبوك يعنى مواضع ثمود قال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل ما أصابهم ثم قال لا تسألوا رسولكم الآيات فان هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله اليهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها وأراهم مرتقى الفصيل حيث ارتقى ثم اسرع رسول الله السير حتى جاوز الوادى وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال لعلى يا على أتدرى من أشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة ثم قال أتدرى من أشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك

(وفى المثنوى) ناقهٔ صالح بصورت بر شتر * پى بريدندش زجهل آن قوم مر * ناقة الله آب خورد ازجودميغ * آب حق راداشتند ازحق دريغ * شحنهٔ قهر خدا زيشان بجست * خونبهاى اشترى شهرى درست * صالح ازخلوت بسوى شهر رفت * شهر ديداندرميان دود وتفت * زاستخوانهاشان شنيد اوناله‌ها * اشك خون ازجان شان چون ژاله‌ها * صالح آن بشنيد وكريه ساز كرد * نوحه برنوحه كنان آغاز كرد * كفت اى قومى بباطل زيسته * وزشما من پيش حق بكريسته * حق بكفته صبركن برجورشان * پند شان ده بس نماند ازدورشان من بكفته پندشد بند ازجفا * شير پند ازمهر جوشد وزصفا * بس كه كردند ازجفا برجاى من * شير پند افسرد دررکهاى من * حق مرا كفته ترالطفى دهم * برسرآن زخمهامرهم نهم * صاف كرده حق دلم راچون سما * روفته ازخاطرم جورشما * درنصيحت من شده باردكر * كفت امثال سخنها چون شكر * شيرتازه ازشكر انكيخته * شير شهدى باسخن آميخته * درشما چون زهر كشته آن سخن * زانكه زهرستان بديد ازبيخ وبن * چون شوم غمكين كه غم شدسرنكون * غم شمابوديد اى قوم حرون * هيچ كس برمرك غم نوحه كند * ريش سرچون شدكسى مو بركند *
والاشارة لن صالح الروح ارسل بنفخة الحق الى بلد القلب وساكنيه ليدعوهم من الاوصاف الرديئة السفلية الظلمانية الحيوانية الى الاخلاق الحميدة العلوية النورانية الروحانية والنفس وصفاتها عقروا ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق والاستكبار وعتواعن امر ربهم من التوحيد والمعرفة فصاروا الى الهلاك وبقوا فى اودية الجهل والانكار عصمنا الله واياكم من كل مايسوء الروح ويمنع الفتوح (ولوطا) اى وأرسلنا لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ فهو ابن اخى ابراهيم كان من ارض بابل العراق فهاجر مع عمه ابراهيم الى الشام ونزل الاردن وهو كورة بالشام فأرسله الله الى اهل سدوم بلد بحمص (قال فى التفسير الفارسى) خداى تعالى ويرا پيغمبرى داد وباهل مؤتفكات فرستاد وآن پنج شهر بوده سدوم اعظم مدائن بود ودیكر عامه وداود وصابور اوصفود كويند درهرشهرى چهار بار هزار هزار آدمى بودند لوط عليه السلام بسدوم آمد وخلق رابخداى تعالى دعوت كرد وبيست سال درميان ايشان بود وبخيرات امر ميفرمود واز فواحش نهى فرمود ويكى ازفواحشها لواطه بود * كما حكى الله تعالى بقوله (اذ قال لقومه) مرقوم سدوم راكه لوط عليه السلام درميان ايشان بود * وهو ظرف لارسلنا المضمر اى ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم قيل الارسال قبل وقت القول لافيه وأجيب بان هذا من قبيل قولك فى ظرف المكان زيد فى ارض الروم فهو ههنا غير حقيقى فيكفى وقوع المظروف فى بعض اجزائه (أتأتون الفاحشة) انكار وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح اى البالغة الى غاية القبح وهى اللواطة والمعنى أتفعلونها (ماسبقكم بها) مافعلها قبلكم على أن الباء للتعدية كما فى قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اى ضربتها قبله (من احد) من مزيدة لتأكيد النفى وافادة الاستغراق (من العالمين) من للتبعيض والجملة استئناف نحوى اى مبتدأة جيء بها تأكيدا للانكار السابق كأنه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ (انكم لتأتون الرجال) بيان لتلك الفاحشة قرأ نافع وحفص انكم بطريق الخبر والباقون ءانكم بطريق الاستفهام يقال اتى المرأة اذا غشيها وفى ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة فى التوبيخ (شهوة) مفعول له وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغى أن يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لاقضاء الشهوة (من دون النساء) اى متجاوزين النساء اللاتى اباح الله لكم (بل أنتم قوم مسرفون) اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التى ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ يعنى انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحد فى كل شئ فمن ثمة اسرفوا فى باب قضاء الشهوة وتجاوزوا عما عين لها الى غيره (وما كان جواب قومه الا ان قالوا) استثناء مفرغ من أعم الاشياء اى ما كان جوابا من جهة قومه شئ من الاشياء الاقول بعضهم لبعض (اخرجوهم) اى لوطا ومن معه من المؤمنين (من قريتكم) اى الاهذا القول الذى يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط وليس المراد لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط ومواعظه الاهذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم فى المرة الاخيرة

من مراتب المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام الاهذه الكلمة الشنيعة والافقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله من قريتكم اى من بلدكم فان العرب تسمي المدينة قرية والمراد بلدة سدوم (انهم اناس يتطهرون) اى يطلبون الطهارة من الفواحش قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية بهم (فانجيناه) اى لوطا (وأهله) ابنتيه رعوزا وريثا وسائر من امن به فان الاهل يفسر بالازواج والاولاد وبالعبيد والاماء وبالاقارب وبالاصحاب وبالمجموع واهل الرجل خاصته الذين ينسبون اليه (الا امرأته) واهلة فانها تسر الكفر وتغري الكفار على انكار لوط وهو استثناء من اهله (كانت من الغابرين) استئناف بياني كأنه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين اى الباقين في ديارهم الهالكين فيها من الغبور بالغابري باقي بماندن والتذكير مع ان الظاهر ان يقال من الغابرات مبني على انه بقي في ديارهم رجال ونساء فغلب الرجال فقيل في حقها انها كانت منهم (وامطرنا) بارانيديم (عليهم) بركفار قوم لوط (مطرا) نوعا من المطر عجيبا وهي الحجارة اى ارسلنا عليهم الحجارة ارسال المطر (فانظر) خطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم (كيف كان عاقبة المجرمين) اى تفكر في آخر امر الكافرين المكذبين كيف فعلنا بهم قيل كان السبب في اختراعهم هذه الخصلة القبيحة اى اللواطة ان بلادهم وهي ارض الشأم اخصبت بانواع الثمار والحبوب فتوجه اليهم الناس من النواحي والاطراف اطلاب المعروف فتأذوا من كثرة ورود الفقراء فعرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فلما ألح الناس عليهم قصدوهم فأصابوا غلمانا صباحا فأخبثوا فاستحكم فيهم ذلك وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال الكلبي اول من فعل به ذلك الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عملوا ذلك العمل بكل من ورد عليهم من المرد قضاء لشهوتهم ودفعا لهجوم الناس عليهم وعاشوا بذلك العمل زمانا فلما كثر فيهم عجت الارض الى ربها فسمعت السماء فعجت الى ربها فسمع العرش فعج الى ربه فأمر الله السماء ان تحصبهم والارض ان تخسف بهم امطروا اولا بالحجارة ثم خسف بهم الارض وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم (وروى) ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه دلت الآية على ان اللواطة افحش الفواحش واقبحها الا ان الله تعالى ما امطر الحجارة على اهل الذنوب العظام مثل الزنى والعقوق والسرقة والقتل بغير الحق وغير ذلك من الكبائر حتى الشرك قال ابن سيرين ليس شئ من الدواب يعمل هذا العمل الا الخنزير والحمار فاللواطة ذنب عظيم يجب ان يحترز عنها وعن مباديها ايضا كاللمس والقبلة قال الامام من قبل غلاما بشهوة فكأنما زنى بامه سبعين مرة ومن زنى مع أمه مرة فكأنما زنى بسبعين بكرا ومن زنى مع البكر مرة فكأنما زنى مع سبعين الف امرأة وضرر النظر في الامرد أشد لامتناع الوصول في الشرع لانه لا يحل الاستمتاع بالامرد ابدا (قال الشيخ سعدى) خرابت كند شاهد خانه كن * برو خانه آباد گردان بزن * نشايد هوس باختن با كلى * كه هر بامدادش بود بلبلى * مكن بد بفرزند مردم نگاه * كه فرزند خويشت برآيد تباه * چرا طفل يك روزه هوشش نبرد * كه در صنع ديدن چه بالغ چه خرد * محقق همى بيند اندر ابل * كه در خوب رويان چين وچكل * وحكي ان سليمان ابن داود عليهما السلام قال يوما لعفريت من الجن ويلك اين ابليس قال يا نبي الله هل امرت فيه بشئ قال لا قال ابن هو قال انطلق يا نبي الله فانطلق ومشى العفريت بين يدى سليمان حتى هجم به على البحر فاذا ابليس على بساط على الماء فلما رأى سليمان ذعر منه وفرق فقام فتلقاه فقال يا نبي الله هل امرت في بشئ قال لا ولكن جئت لأسألك عن احب الاشياء اليك وابغضها الى الله تعالى فقال ابليس اما والله لولا مسألك الىّ ما أخبرتك ليس شئ ابغض الى الله تعالى من ان يأتى الرجل الرجل والمرأة المرأة وفي الحديث سحاق النساء زنى بينهن وفي ملتقطة الناصرى الغلام اذا بلغ مبلغ الرجال ولم يكن صبيحا فحكمه حكم الرجال وان كان صبيحا فحكمه حكم النساء وهو عورة من قرنه الى قدمه يعني لا يحل النظر اليه عن شهوة فأما السلام والنظر لا عن شهوة فلا بأس به ولذا لم يؤمر بالنقاب والامرد اذا كان صبيحا فأراد ان يخرج في طلب العلم فلا بأس به ان يمنعه وكان محمد بن الحسن صبيحا وكان ابو حنيفة يجلسه في درسه خلف ظهره اوخلف سارية المسجد حتى

لا يقع عليه بصره مخافة من خيانة العين مع كمال تقواه حتى ان واحدا من العلماء مات فرؤى فى المنام قد اسود وجهه فسئل عن ذلك فقال رأيت غلاما فى موضع كذا فنظرت اليه فاحترق وجهى فى النار قال القاضى سمعت الامام يقول ان مع كل امرأة شيطانين ومع كل غلام ثمانية عشر شيطانا ويكره مجالسة الاحداث والصبيان والسفهاء لانه يذهب بالمهابة ويورث التهمة (قال الشيخ سعدى) چو خواهى كه قدرت بماند بلند * دل اى خواجه درساده رويان مبند * وگر خود نباشد غرض درميان * حذر كن كه دارد بحرمت زيان * ويكره بيع الامرد ممن يعلم انه يفضى اليه غالبا لانه اعانة على المعصية فان قلت سلمنا ان الغلام ليس محلا للحرث والتولد لكنه يكون محلا لقضاء الشهوة واستيفاء اللذة فالعقل يقتضى ان يتصرف المالك فى ملكه كيف يشاء قلت الشرع لم يأذن فى هذا المحل بالتصرف لغاية قباحته ونهاية خباثته ومجرد المملوكية لا يقتضى التصرف فى المملوك الا ترى ان من ملك مجوسية او وثنية لم يجز له تصرف فيهما اصلا ما لم تدخلا فى الاسلام وكذا لا يجوز التصرف للسيدة فى عبدها المملوك فى محل لم يأذن الشرع بالتصرف فيه كالتقبيل والتفخيذ وغيرها من دواعى الوطئ فلو جاز للسيد التصرف فى عبده لجاز للسيدة التصرف فى عبدها بطريق الاولى لكونها محلا للحرث * والاتيان فى دبر الذكر هو اللواطة الكبرى وفى دبر المرأة هو اللواطة الصغرى وفى الحديث ملعون من اتى امرأة فى دبرها وهل تجوز اللواطة فى الجنة قيل ان كان حرمتها عقلا وسمعا لا تجوز وان كان سمعا فقط تجوز والصحيح انها لا تجوز فيها لان الله تعالى استبعدها واستقبحها فقال ما سبقكم بها من احد من العالمين وسماها خبيثة فقال كانت تعمل الخبائث والجنة منزهة عنها (قال المولى زيرك زاده فى حواشى الاشباه رحمه الله تعالى رحمة واسعة) قد قال الله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا وفى موضع آخر ولكم فيها ما تشتهى انفسكم والآية تدل على ان فى الجنة مردا ملاحا وبعد ان يكونوا غير مشتهين وغير المعقول فى الدنيا ان يكون خلاف الوضع والاستقذار وقطع النسل واما فى النشأة الاخروية فهذه المحذورات منتفية انتهى كلام زيرك زاده يقول الفقير هذا ليس بمرضى عند القلب السليم والعقل المستقيم يأبى عنه من يعرف القبيح من الحسن وينفر من يميز الزيوف والبهرج من النقد الجيد المستحسن فان الطواف فى الآية الاولى انما يدل على كونهم خدام اهل الجنة وان اهل الجنة يتلذذون بالنظر الى جمالهم وبهجتهم وهذا لا يقتضى التلذذ بالاستمتاع ايضا كما فى حق الحور والاشتهاء فى الآية الثانية وان كان عاما لكنه يجوز ان لا تكون اللواطة مشتهاة لاهل الجنة للحكمة التى عليها مدار حرمتها فى جميع الاديان كالزنى بخلاف الخمر فانها كانت حلالا فى بعض الاديان ولذا صارت من نعيم الجنان ايضا ومطلق ارتفاع موانع الحرمة لا يقتضى الحل والجواز الا ترى الى تستر اهل الجنة عند الوقاع فان أهليهم لا يظهرن لغير المحارم كما فى الواقعات المحمودية هذا واما حكم الوطئ بحسب الشرع فذهب الشافعى الى انه يقتل وذهب احمد بن حنبل الى انه يرجم وان كان غير محصن قال فى شرح الوقاية ان من اتى دبر أجنبى او امرأة فعند أبى حنيفة لا يحد بل يعزر ويودع فى السجن حتى يتوب وعندهما يحد حد الزنى فيجلد ان لم يكن محصنا ويرجم ان كان محصنا قال قيدنا بدبر الاجنبى لانه لو فعل ذلك بعبده اوأمته او بمنكوحته لا يحد اتفاقا لهما ان الصحابة اجمعوا على حده ولكن اختلفوا فى وجوهه فقال بعضهم يحبس فى انتن المواضع حتى يموت وقال بعضهم يهدم عليه الجدار انتهى وقد يقال يلقى من مكان عال كالمنارة قال ابو بكر الوراق يحرق بالنار صرح به فى شرح المجمع قال فى الزيادات والرأى الى الامام ان شاء قتله ان اعتاد ذلك وان شاء حبسه كما فى شرح الاكمل والظاهر ان ما ذهب اليه ابو حنيفة انما هو استعظام لذلك الفعل فانه ليس فى القبح بحيث ان يجازى كالقتل والزنى وانما التعزير لتسكين الفتنة الناجزة كما انه يقول فى اليمين الغموس انه لا يجب فيه الكفارة لانه لعظمه لا يستتر بالكفارة وفى كتاب الحظر والاباحة رجل وطئ بهيمة قال ابو حنيفة ان كانت البهيمة للواطئ يقال له اذبحها واحرقها ان لم تكن مأكولة وان كانت مما تؤكل تذبح ولا تحرق قال فى ترجمة المجلد الاخير من الفتوحات المكية * وازنكاح بهايم اجتناب كن نه شرع است ونه دين ونه مروت شخصى بود صالح اما قليل العلم درخانهٔ خود منقطع بود ناگاه بهيمهٔ خريد واورا بدان حاجتى ظاهر نه بعد از چندسال كسى از وى برسيد تواين را چه ميكنى وترا بوى شغلى وحاجتى نيست گفت دين خود را باين محافظت ميكنم او خود با آن بهيمه جمع مى آمده است تا از زنا

معصوم ماند اورا اعلام كردند كه آن حرامست وصاحب شرع نهى فرموده است بسيار كريست وتوبه كرد وكفت ندانستم پس بر تو فرض عين است كه ازدين خود باز جويى وحلال وحرام را تميز كنى تا تصرفات تو برطريق استقامت باشد انتهى كلام الترجمة وفى الحديث ومن لم يستطع فعليه بالصوم استدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لانه ارشد عند العجز عن التزوج الى الصوم الذى يقطع الشهوة فلو كان الاستمناء مباحا لكان الارشاد اليه اسهل وقد اباح الاستمناء طائفة من العلماء وهو عند الحنابلة وبعض الحنفية لاجل تسكين الشهوة جائز وفى رواية الخلاصة الصائم اذا عالج ذكره حتى امنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان ان قصد قضاء الشهوة وان قصد تسكين شهوته ارجو ان لا يكون عليه وبال وفى بعض حواشى البخارى والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله فاولئك هم العادون اى الظالمون المتجاوزون الحلال الى الحرام قال البغوى فى الآية دليل على ان الاستمناء باليد حرام قال ابن جريج سألت عطاء عنه فقال سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى واظنهم هؤلاء وعن سعيد ابن جبير عذب الله امة كانوا يعبثون بمذا كيرهم والواجب على فاعله التعزير كما قال ابن الملقن وغيره نعم يباح عند ابى حنيفة واحمد رحمهما الله اذا خاف على نفسه الفتنة وكذلك يباح الاستمناء بيد زوجته اوجاريته لكن قال القاضى حسين مع الكراهة لانه فى معنى العزل وفى التاتارخانية قال ابو حنيفة حسبه ان ينجو رأسا برأس كذا فى انوار المشارق لمفتى حلب الشهباء والله اعلم (والى مدين) اى وارسلنا الى قبيلة مدين وهم اولاد مدين ابن ابراهيم خليل الله عليه السلام (اخاهم) فى النسب اى واحدا منهم (شعيبا) عطف بيان لاخاهم وهو شعيب ابن ميكيل بن يشجر بن مدين الذى تزوج ريثا بنت لوط فولدت له وكثر نسله فصار مدين قبيلتهم قال الضحاك بكى شعيب من خشية الله حتى ذهب عيناه وصار أعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم (قال) استئناف بيانى (ياقوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره) مر تفسيره (قد جاءتكم بينة) معجزة (من ربكم) متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية اى بينة عظيمة كائنة من مالك اموركم ولم يذكر معجزته فى القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا عليه السلام قال فى التفسير الفارسى دوقرآن معجزه شعيب مذكور نيست ودر احاديث نيز بنظر قاصر نرسيده اما در آيات باهرات كه ذكر معجزات انبيا ميكنند ميكويد كه معجزه شعيب آن بود كه چون بكوه بلند برآمدى كوه سر فرود آوردى تا شعيب با آسانى بروى صعود كردى وذكر بعض معجزاته فى الكشاف فارجع اليه (فاوفوا الكيل) الكيل مصدر قولك كلت الطعام كيلا والمعنى المصدرى لا يمكن ايفاؤه لان النقص والاتمام من خواص الاعيان فحمله القاضى على حذف المضاف اى آلة الكيل وفسره ابو السعود بالمكيال ويؤيده قوله (والميزان) فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالمعاد فحمل الكيل على مايكال به كما يطلق العيش على مايعاش به وكان لهم مكيالان وميزانان احدهما اكبر من الآخر فاذا اكتالوا على الناس يستوفون بالاكبر واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون بالاصغر والمعنى ادوا حقوق الناس بالمكيال والميزان على التمام (ولا تبخسوا الناس) اى لا تنقصوا (اشياءهم) التى يشترونها بهما معتمدين على تمامها اى شئ كان واى مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير فالتعبير بالاشياء دون الحقوق للتعميم فان مفهوم الشئ اعم بالنسبة الى مفهوم الحق واعلم ان بخس الناس اشياءهم فى المكيل والموزون من خساسة النفس ودناءة الهمة وغلبة الحرص ومتابعة الهوى والظلم وهذه الصفات الذميمة من شيم النفوس وقد ورد الشرع بتبديل هذه الصفات وتزكية النفس فان الله تعالى يحب معالى الامور ويبغض سفسافها وفى الحديث ماذئبان جائعان ارسلا فى غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف وفى الحديث الصلاة امانة والوضوء امانة والوزن امانة والكيل امانة وورى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الكيل والوزن انتم قد وليتم امرا فيه هلكت الامم السالفة قبلكم (ولا تفسدوا فى الارض) اى بالكفر والحيف (بعد اصلاحها) بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع (ذلكم) اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه (خير لكم) من التطفيف والبخس والافساد وقيل خير ههنا ليس على بابه من التفضيل بل بمعنى نافع عند الله (ان كنتم مؤمنين) اى مصدقين بى فى قولى هذا (ولا تقعدوا بكل صراط)

الباء للالصاق اوالمصاحبة لان القعود ملصق بالمكان وان القاعد ملابسه و يحتمل ان تكون بمعنى فى لان القاعد يحل بمكان قعوده وان تكون بمعنى على لاستيلاء القاعد على المكان (توعدون) حال من فاعل لاتقعدوا ولم يذكر الموعد به ليذهب الذهن كل مذهب والمعنى ولاتقعدوا بكل طريق من طرق الدين موعدين اى مخوفين كالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم وصراط الله وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذارأوا احدا يسعى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المرصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لايفتننك عن دينك ويتوعدون من آمن به وقيل يقطعون الطريق (وتصدون) عطف على توعدون اى تمنعون وتصرفون (عن سبيل الله) اى السبيل الذى قعدوا عليه (من آمن به) اى بكل صراط وهو مفعول تصدون (وتبغونها) من باب الحذف والايصال والتقدير وتبغون لها انث ضمير السبيل لانه يذكر ويؤنث والمعنى وتطلبون لسبيل الله (عوجا) زيغا وعدولا عن الحق بالقاء الشبه اوبوصفها للناس بانها معوجة وهى ابعد شئ من شائبة الاعوجاج وفيه اشارة الى الذين قطعوا طريق الوصول الى الله على الطالبين بانواع الحيل بالمكايد وطلبوا الاعوجاج فيه باظهار الباطل كما قطعوا على انفسهم فان شر المعاصى مالايكون لازما لصاحبه بل يكون متعديا عنه الى غيره لان ضرر التعدية عائد الى المبتدئ بقدر الاثر فى التعدى (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم) بالبركة فى النسل والمال فصار ضعفكم قوة وفقركم غنى (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم واحذروا من سلوك مسالكهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به) من الشرائع والاحكام (وطائفة لم يؤمنوا) اى به قال فى التفسير الفارسى قومى ازمدين بشعيب عليه السلام ايمان آوردند جمعى ديكر انكار كردند وكفتند قوت وثروت ماراست نه مؤمنا نرا پس حق باماباشد واكر حق باايشان بودى بايستى كه توانكرى ووسعت معاش ايشانرا بودى شعيب عليه السلام فرمودكه اكرچه شماد وكروه شده ايد (فاصبروا) فتربصوا (حتى يحكم الله بيننا) اى الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين (وهو خير الحاكمين) اذلامعقب لحكمه ولاحيف فيه وهو اعدل القاضين

(تم الجزء الثامن فى اواخر شوال من سنة ألف ومائة ويتلوه الجزء التاسع)

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه) بعد ماسمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام وهو استئناف بيانى (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا) عطف على الكاف فى لنخرجنك وياشعيب اعتراض بين المتعاطفين ونسبة الاخراج اليه اولا والى المؤمنين ثانيا تنبيه على اصالته فى الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى (معك) فانه متعلق بالاخراج لابالايمان والمعنى والله لنخرجنك واتباعك (من قريتنا) بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وفيه اشارة الى ان من شأن المتكبرين ودأب المتجبرين الاستعلاء وان يخرج الاعز الاذل وذلك لمافيهم من بطر النعم وطغيان الاستغناء وعمه الاستبداد ولما كان حب الدنيا رأس كل خطيئة وفتنتها اعظم من كل بلية جعل الله تعالى اهلها فى البلاد سببا للهلاك والفساد كما قال الله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها الآية (قال الحافظ) اين مشوزعشوۀ دنيا كه اين عجوز * مكاره مى نشيند ومحتاله مى رود (اولتعودن فى ملتنا) العود هو الرجوع الى الحالة الاولى ومن المعلوم ان شعيبا لم يكن على دينهم وملتهم قط لان الانبياء لايجوز عليهم من الصغائر الامالیس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر الاانه اسند العود اليه والى من معه من المؤمنين تغليبا لهم عليه لان العود متصور فى حقهم والمعنى والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلى هو العود وانما ذكر النفى والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كأنهم قالوا الاندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا فى ملتنا وانما لم يقولوا اولنعيدنك على طريقة ماقبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطواعية حذار الاخراج باختيار أهون الشرين لااعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب وفيه اشارة الى ان اهل الخير كالايميلون الاالى اشكالهم فكذلك اهل الشر لايرضون ممن رأوا الايمان يساعدهم على ماهم عليه من احوالهم والاوحد فى بابه من باين نهج اضرابه * همه مرغان كنند باجنس پرواز * كبوتر باكبوتر بازباباز (قال) شعيب ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم فى ايمانهم الفاجرة (اولو كنا كارهين) تقديره أنعود فيها ولو كنا كارهين

اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها فلى أن الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لالانكار الواقع واستقباحه كالتى فى قوله تعالى اولو جئتك بشئ مبين (قد افترينا على الله كذبا) عظيما (ان عدنا فى ملتكم) التى هى الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه اى ان عدنا فى ملتكم (بعد اذ نجانا الله منها) فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ ان لله تعالى ندا وليس كمثله شئ وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق واى افتراء اعظم من ذلك (وما يكون لنا) اى وما يصح وما يستقيم لنا (ان نعود فيها) فى حال من الاحوال اوفى وقت من الاوقات (الا ان يشاء الله) اى الا حالة مشيئة الله تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبىء عنه قوله (ربنا) فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبىء عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته تعالى لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئة الله تعالى واياما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها فى حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ماذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له (وسع ربنا كل شئ علما) علما نصب على التمييز منقول عن الفاعلية تقديره وسع علم ربنا كل شئ كقوله واشتعل الرأس شيبا والمعنى احاطة علمه بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التى من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى (على الله توكلنا) فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ثم اعرض عن المعاندين وتوجه الى مناجاة رب العالمين فقال (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) احكم بيننا وبينهم واقض بما يدل على انا على الحق وهم على الباطل وافصل بما يليق بحال كل من الفريقين (وأنت خير الفاتحين) والفاتح هو الحاكم بلغة اهل عمان سمى فاتحا لانه يفتح المشكلات ويفصل الامور ويجوز أن يكون من فتح المشكل اذا بينه والمعنى اظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم وتميز المحق من المبطل وفى التأويلات النجمية احكم بيننا وبينهم باظهار حقيقة ماقدرت لنا من خاتمة الخير واظهار ماقدرت لهم من خاتمة السوء (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) عطف على قوله قال الملأ الذين استكبروا اى قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ماشاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين فى الايمان وخافوا أن يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان وتنفيرا لهم منه على طريقة التوكيد القسمى والله (لئن اتبعتم شعيبا) ودخلتم فى دينه وتركتم دين آبائكم (انكم اذا لخاسرون) اى فى الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم اوفى الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف (فأخذتهم الرجفة) اى الزلزلة الشديدة وكذا فى سورة العنكبوت وفى سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل ولعلها من مبادى الرجفة فأسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى قال ابن عباس رجفت بهم الارض واصابهم حر شديد فرفعت لهم سحابة فخرجوا اليها يطلبون الروح منها فلما كانوا تحتها سالت عليهم بالعذاب ومعه صيحة جبريل عليه السلام (فأصبحوا فى دارهم) اى صاروا فى مدينتهم وفى سورة هود فى ديارهم قال الحدادى اى بقرب دارهم تحت الظلة كما قال تعالى فأخذهم عذاب يوم الظلة (جاثمين) اى ميتين على وجوههم وركبهم لازمين لاماكنهم لابراح لهم منها وروى انهم احترقوا تحت السحابة فصاروا ميتين بمنزلة الرماد الجاثم اجساما ملقاة على الارض محترقة وقال ابن عباس فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم منه حرا شديدا فأخذ بانفاسهم فدخلوا جوف البيوت فلم ينفعهم ماء ولا ظل وانضجهم الحر فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة فتنادوا عليكم بها فخرجوا نحوها فلما اجتمعوا تحتها رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى وصاروا رمادا وهو عذاب يوم الظلة قال فى التأويلات النجمية من عنادهم رأوا الحق باطلا والباطل حقا والفلاح خسرانا والخسران فلاحا فأخذتهم الرجفة فصارت صورتهم تبعا لمعناهم فانهم كانوا جاثمين الارواح فى ديار الاشباح (الذين كذبوا شعيبا) استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ وخبره قوله تعالى (كأن لم يغنوا فيها)

اى استوصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اى عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لادخول بعده ابدا والمغنى المنزل والمغانى المنازل التى كانوا بها يقال غنينا بمكان كذا اى نزلنا فيه وفيه اشارة الى أن المكذبين والمتكبرين وان كانت لهم غلبة فى وقتهم ولكن تنقضى ايامهم بسرعة ويسقط صيتهم ويضمحل ذكرهم ويضمحل آثارهم ويكون اهل الحق مع الحق غالبا فى كل امر والباطل زاهق بكل وصف (وفى المثنوى) يك منار در ثناى منكران ۞ كو در بن عالم كه تا باشد فشان ۞ منبرى كو كه بر انجا مخبرى ۞ ياد آرد روزكار منكرى ۞ يار غالب شوكه تا غالب شوى ۞ يار مغلوبان مشوهين اى غوى (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير اى الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا الذين اتبعوه وبهذا الحصر اكتفى عن التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع فى سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه الآية (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم) قاله عليه السلام بعد ما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال (فكيف آسى) اى احزن حزنا شديدا بالفارسية پس چه كونه اندوه خورم وغمناك شوم فهو مضارع متكلم من الاسى من باب علم وهو شدة الحزن (على قوم كافرين) مصرين على الكفر ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم اوقاله اعتذارا من عدم تصديقهم له وشدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم (وفى المثنوى) چون شوم غمكين كه غم شد سرنكون ۞ غم شما بوديد اى قوم حرون ۞ كر بخوان اى راست خواننده مبين ۞ كيف آسى خلف قوم ظالمين ۞ قال فى التأويلات النجمية يعنى خرجت عن عهدة تكاليف التبليغ فانه ما على الرسول الا البلاغ فانه وان نصحت لكم فما على من اقراركم وانكاركم شئ ان أحسنتم فالميراث الجميل لكم وان اسأتم فالضرر بالتأثم عائد عليكم ومالك الاعيان اولى بها من الاعيان فالخلق خلقه والملك ملكه ان شاء هداهم وان شاء اغواهم فكيف آسى على قوم كافرين فلا تأسف على نفى وفقد ولا اثر من كون ووجود لان الكل صادر من حكيم بالغ فى حكمته كامل فى قدرته انتهى قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وهذا انما يحصل عند الفناء الكلى وهو للانبياء عليهم السلام وكمل الاولياء واعلم ان كل اهل ابتلاء ليس بمحل للرحمة عند نظر الحقيقة لان الله تعالى ابتلاه بسبب جفائه اياه فقد اكتسبه بعمله فكيف يترحم له ولذا كان أهل الحقيقة كالسيف الصارم مع كونهم ارحم خلق الله تعالى الاترى الى قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة (قال السعدى) كرا شرع فتوى دهد بر هلاك ۞ الا تا ندارى ز كشتنش باك ۞ والله تعالى غيور وعبده فى غيرته فالحلم والغضب بقدر ما اذن فيه الشرع من اخلاق الانبياء وهولا يقدح فى فراغ القلب عن كل وصف لان رعاية الاحكام الظاهرة لا تنافى التوغل فى الحقيقة فعلى العاقل ان يدور بالامر الالهى ويرفع عن لسانه وقلبه لم ولا وكيف فان الامر بيد الله تعالى لا بيده قال ابراهيم بن ادهم لرجل اتحب ان تكون لله وليا قال نعم قال لا ترغب فى شئ من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله واقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويواليك فعلم من هذا ان من كان اقباله الى نفسه والى هواها لا يجد الحق واقباله وموالاته فى كل حالاته ومقاماته كما لا يخفى (وما ارسلنا فى قرية) در شهرى وديهى (من) مزيدة (نبى) كذبه اهلها (الا اخذنا اهلها) استثناء مفرغ من أعم الاحوال والمعنى وما أرسلنا فى قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء المكذبين فى حال من الاحوال الا فى حال كوننا آخذين أهلها (بالبأساء) بالبؤس والفقر (والضراء) بالضر والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه (لعلهم يضرعون) كى بتضرع عوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة عن اكتافهم فان الشدة خصوصا الجوع يؤدى الى التواضع والانقياد فى حق اكثر العباد ومن بلاغات الزمخشرى المرض والحاجة خطبان امر من تنقيع الحظبان وهو بضم الخاء نوع من ورق الحنظل اصفر وهو ابلغ فى المرارة (ثم بدلنا) عطف على أخذنا داخل فى حكمه (مكان السيئة) التى اصابتهم (الحسنة) اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة لان ورود النعمة بعد الشدة يدعو الى الانقياد والاشتغال بالشكر

انما سميت الشدة سيئة لانها تسوء الانسان كما سمى الرخاء حسنة لانه يحسن اثره على الانسان والا فالسيئة هى الفعلة القبيحة والله تعالى لا يفعل القبيح والحسنة والسيئة من الالفاظ المستغنية عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء والشدة (حتى عفوا) كثروا عددا وعددا وأبطرتهم النعمة يقال عفا النبات اذا كثر وتكاثف ومنه اعفاء اللحى فى الحديث وهو أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى (قال الشاعر)

عفوا من بعد اقلال وكانوا * زمانا ليس عندهم بعير

(وقالوا) غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه (قد مس آباءنا الضراء والسراء) كما مسنا ذلك وما هو الا عادة الدهر يسيء تارة ويحسن اخرى فكما ان آباءنا قد ثبتوا على دينهم ولم ينتقلوا عنه مع ما اصابهم فاثبتوا أنتم على دينكم ولا تنتقلوا عنه (فأخذناهم) اثر ذلك (بغتة) فجأة أشد الاخذ وافظعه (وهم لا يشعرون) بنزول العقاب وهم لا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره وهو أشد وحسرته اعظم لان المرء اذا رأى مقدمات الابتلاء يوطن نفسه عليه بخلاف حال الفجأة (ولو ان اهل القرى) اى القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى من قرية (آمنوا واتقوا) مكان كفرهم وعصيانهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التى بعضها من السماء وبعضها من الارض واكثر أهل التفسير على ان بركات السماء هى المطر وبركات الارض النبات والثمار (ولكن كذبوا) الرسل (فأخذناهم) هذا الاخذ عبارة عما فى قوله تعالى فأخذناهم بغتة (بما كانوا يكسبون) من انواع الكفر والمعاصى وفى الآية دلالة على ان الكفاية والسعة فى الرزق من سعادة المرء اذا كان شاكرا والمراد بقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الكثرة التى تكون وبالا على من لا يشكر الله تعالى قال فى التفسير الفارسى درحقايق سلمى فرموده كه اكر بند كان بكرديدندى بمواعيد من وحذر كردندى از مخالفت بابترسيدندى از تهديد من دلهاء ايشانرا بنور مشاهدهٔ خود روشنى دادمى كه بركت سما اشارت بدانست وجوارح واعضاء ايشانرا بخدمت خود بياراستمى كه بركت زمين عبارت ازآنست * درزمين وآسمان درهاء جود * مى كشايند از پى أهل سجود * اززمين براطاعت بازكن * برهاى معرفت بروازكن (أفأمن أهل القرى) الهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه والفاء للعطف على قوله فأخذناهم بغتة والمعنى ابعد ذلك الاخذ أمن اهل مكة ومن حولها من المكذبين لك يا محمد (ان يأتيهم بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (وهم نائمون) فى فرشهم ومنازلهم لا يشعرون بالعذاب لغفلتهم (أوأمن اهل القرى) يا أين شدند أهل شهرها (ان يأتيهم بأسنا ضحى) ضحوة النهار وبالفارسى دروقت جاشت وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت (وهم يلعبون) اى يلهون من فرط الغفلة بصرف الهم فيما لا ينفع لا فى امر الدين ولا فى امر الدنيا او يشتغلون بما لا ينفعهم من امور الدنيا فان من اشتغل بدنياه واعرض عن آخرته فهو كاللاعب ملخص سخن آنست كه بعد از تكذيب رسل ازعذاب الهى ايمن نتوان بود نه بروز ونه بشب (أفأمنوا مكر الله) مكر الله استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان بأسه تعالى فى الوقتين المذكورين قال الحدادى انما سمى العذاب مكرا على جهة الاتساع والمجاز لان المكر ينزل بالممكور من جهة الماكر من حيث لا يشعر واما المكر الذى هو الاحتيال للاظهار بخلاف الاضمار فذلك لا يجوز على الله (فلا يأمن مكر الله) الفاء فاء جواب شرط محذوف اى اذا كان استدراجه واخذه على هذا الوجه فلا يأمن مكره بهذا المعنى (الا القوم الخاسرون) الذين ليسوا من القوم الرابحين قيل معنى الآية ولا يأمن عذاب الله من العصاة اولا يأمن عذاب الله من المذنبين والانبياء عليهم السلام لا يأمنون عذاب الله على المعصية ولهذا لا يعصون بأنفسهم انتهى قال فى التأويلات النجمية مكره تعالى مع اهل القهر بالقهر ومع اهل اللطف باللطف فلا يأمن مكر الله من اهل القهر الا القوم الخاسرون الذين خسروا سعادة الدارين ومن اهل اللطف الا الخاسرون الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى فعلى هذا اهل الله هم الآمنون من مكر الله لان مكر الله فى حقهم مكر باللطف دل عليه قوله اولئك لهم الامن وهم مهتدون ولهذا قال وهو خير الماكرين لان مكرهم مكر فى مستحقيه وغير مستحقيه بالقهر ومكره فى مستحقيه باللطف فافهم واعتبر

جدا انتهى واعلم ان الامن من مكر الله تعالى قد عد كفرا لكن هذا بالنسبة الى اهل المكر دون أهل الكرم
فان كل الاولياء مبشرون بالسلامة فى حياتهم الدنيوية كما قال تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا فلهم سلامة
دنيوية واخروية كما قال تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لكنهم يكتمون سلامتهم لكونهم مأمورين بالكتمان
وعلمهم بسلامتهم يكفى لهم ولا حاجة لهم بعلم غيرهم واما الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلهم ان يخبروا بسلامتهم
لكونهم شارعين فلا بد لغيرهم من العلم بسلامتهم حتى يؤمن ويقبل دعوتهم (أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها) عدى فعل الهداية باللام لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل قوله ان لو نشاء ومعنى يرثون
الارض من بعد اهلها يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها
والمعنى اولم يبين ويوضح لهم عاقبة امرهم ان سلكوا طريق اسلافهم (ان) مخففة اى ان الشأن (لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم) اى بجزاء ذنوبهم وسيئاتهم او بسبب ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم قال سعدى چلبى المفتى ويجوز
ان يضمن معنى اهلكناهم فلا حاجة الى تقدير المضاف (ونطبع على قلوبهم) عطف على ما يفهم من قوله تعالى
اولم يهد كانه قيل لا يهتدون ونطبع على قلوبهم اى نختم عليها عقوبة لهم (فهم لا يسمعون) اى اخبار الامم
المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما فى تضاعيفها من الهدايات قال الكاشفى كوش دل از استماع
سخن حق فائده داردنه كوش آب وكل * اين سخن از كوش دل بايد شنود * كوش كل اينجا ندارد
هيچ سود * كوش سر با جمله حيوان همدم است * كوش سر مخصوص نسل آدم است *
كوش سر چون جانب كوينده است * كوش سر مهلت اكر آكنده است (تلك القرى) يعنى قرى
الامم المار ذكرهم فاللام للعهد (نقص عليك) خوانده ايم برتو (من انبائها) من للتبعيض اى بعض
اخبارها التى فيها عظة وتذكير (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) الباء متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية
واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اى ملتبسين بالبينات والمعنى وبالله لقد جاء كل أمة من تلك الامم المهلكة
رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان
حتما (فما كانوا ليؤمنوا) اى فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام ان يؤمنوا عند مجيء الرسل بها
(بما كذبوا من قبل) الباء صلة لم يؤمنوا اى بما كذبوه من قبل مجيء الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب
فما كذبوه عبارة عن اصول الشرائع التى اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا أممهم اليها مثل ملة التوحيد
ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا فى زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التوحيد
قط بل كانت كل امة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء
رسلهم كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد ويجوز أن يكون المراد بعدم ايمانهم المذكور اصرارهم على ذلك
وبما اشير بقوله تعالى بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد فالمعنى حينئذ
فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات
المتتابعة فما كذبوه عبارة عن جميع الشرائع التى جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وعلى كلا التقديرين
فالضمائر الثلاثة متوافقة فى المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا
بما كذب به الآباء وحمله المولى ابو السعود على التعسف يقول الفقير لو كانت الضمائر الثلاثة متوافقة فى المرجع
ايضا وجعل التكذيب تكذيب الاباء فى الحقيقة وانما اسند الى الابناء ما حقه ان ينسب اليهم من حيث الاتصال
بينهم ورضى بعضهم عن بعض فيما فعله لكان معنى لا تعسف فيه اصلا كما سبق امثاله فى البقرة فى مخاطبات
اليهود المعاصرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (كذلك) فى محل النصب على انه مفعول (يطبع) اى مثل
ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع (الله على قلوب الكافرين) اى من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات
والنذر ويجوز ان يكون اشارة الى ما قبله اى مثل ذلك الطبع الذى طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية
يطبع على قلوب الكفرة الذين كتب عليهم ان لا يؤمنوا أبدا (وما وجدنا لاكثرهم) لقينا فوجدنا بمعنى صادفنا
(من عهد) من مزيدة فى المفعول والمضاف محذوف اذ لا وجه لنفى نفس العهد اى ما وجدنا لاكثرهم من وفاء
عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين وتخصيص هذا الشان بأكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا

لا يعاهدون ولا يفون ويحتمل ان يكون وجدنا بمعنى علمنا ويكون من عهد مفعوله الاول ولا كثرهم مفعوله الثانى (وان) مخففة اى ان الشان (وجدنا اكثرهم) اى علمنا اكثر الامم (لفاسقين) خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وفى ترجمة الجلد الاخير من الفتوحات المكية حق تعالى بموسى عليه السلام وحى كردكه باميد تو ايداورا بى بهره مكذار وهركه زينهار خواست اوراز ينهار ده موسى عليه السلام درسياحت بودناكاه كبوترى بركتف نشست وبازى عقب اوآمد وقصدان كبوتر داشت بركتف ديكر فرود آمد ان كبوتر درآستين موسى عليه السلام درآمد وزينهار ميخواست وباز بزبان فصيح بموسى اوازداد كه اى پسر عمران مرابى بهره مكذار وميان من ورزق من جدايى ميفكن موسى عليه السلام كفت چه زود مبتلا شدم ودست كرد تا ازران خود پارۀ قطع كند براى طعمۀ باز تا حفظ عهد كرده باشد وبكار هردو وفا نموده كفتند يا ابن عمران تعجيل مكن كه مارسولانيم وغرض آن بودكه صحت عهد تو آزمايش كنيم

ايا سامعا ليس السماع بنافع * اذا انت لم تفعل فما انت سامع
اذا كنت فى الدنيا عن الخير عاجزا * فما انت فى يوم القيامة صانع

ولا كلام فى وفاء الانبياء بعهودهم ونقض الفاسقين لمواثيقهم وانما الكلام فيمن ادعى الايمان والاسلام ثم لم يف بعهده يومامن الايام (قال الحافظ) وفامجوز كس ورسخن نمى شنوى * بهرزه طالب سيمرغ وكيميا مباش * وعن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة اوثمانية اوسبعة فقال الا تبايعون رسول الله وكنا حديثى عهد ببيعته فقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس فلقد رأيت بعض اولئك النفر يسقط سوط احدهم لم يسأل احدا يناوله اياه يعنى خوفا من نقض العهد واهتماما فى امر الوفاء فانظر الى هؤلاء الرجال ومبايعتهم ودخولهم فى طريق الحق ومسارعتهم فاذا احترزوا عن سؤال مناولة السوط الذى سقط من ايديهم فماظنك فى الاحتراز عما فوقه من الاحوال المتواردة عليهم وأنت يارجل وكلنا ذلك الرجل تجول فى ميدان الخواطر الفاسدة ثم لا تقنع بذلك بل تطير الى جانب مرادك من الافعال الباطلة والاقوال الكاسدة ولعمرى هذا ليس فى طريق العوام فكيف فى طريق الصوفية الذين عقدوا واعتقدوا على ان لا يخطر ببالهم سوى الله ولا يسألوا منه تعالى غير الوصول الى ذاته اين هم والله ان هذا زمان لم يبق من التصوف الا الاسم ولا من لباس التقوى الا الرسم نسأل الله تعالى ان يوجهنا الى محراب ذاته ويسلك بنا الى طريق افعاله وصفاته ويفيض علينا من سجال بركاته ويشرفنا بالخاصة من هداياته انه هو الفياض من مشرع عناياته (ثم بعثنا من بعدهم موسى) اى ارسلنا من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين وهم نوح وهود ولوط وصالح وشعيب عليهم السلام والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخى للايذان بأن بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى فان الله تعالى من كمال رحمته على خلقه يبعث عند انصرام كل قرن وانقراض كل قوم نبيا بعد نبى كما يخلف قوما بعد قوم وقرنا بعد قرن ويظهر المعجزات على يدى النبى ليخرجهم بظهور نور المعجزات من ظلمات الطبيعة الى نور الحقيقة فان أغلب أهل كل زمان وقرن واكثرهم غافلون عن الدين وحقائقه مستغرقون فى بحر الدنيا مستهلكون فى اودية الشهوات واللذات النفسانية الحيوانية ظلمات بعضها فوق بعض (باياتنا) حال من مفعول بعثنا وهو موسى اى بعثناه عليه السلام ملتبسا بآياتنا وهى الآيات التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم كما سيأتى (الى فرعون) هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما أن كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم وخاقان لكل من ملك الصين وتبع لكل من ملك اليمن والقيل لكل من ملك العرب والنجاشى لكل من ملك الحبش والخليفة لكل من ملك بغداد والسلطان لآل سلجوق واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان وكان من القبط وعمر اكثر من اربعمائة سنة (وملئه) اى اشراف قومه وتخصيصهم مع عموم رسالته للقوم كافة لاصالتهم فى تدبير الامور واتباع غيرهم لهم فى الورود والصدور (فظلموا بها) عدى بالباء لتضمين ظلموا معنى كفروا اى كفروا بالمعجزات وظلموا عليها بأن جعلوها سحرا فوضعوها فى غير موضعها (فانظر) بعين عقلك يا من من شأنه النظر والتأمل

(كيف كان عاقبة المفسدين) الى كيفية مافعلنا بهم فكيف خبر كان وعاقبة اسمها والجملة فى محل النصب بنزع الخافض اذ التقدير فانظر الى كذا ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بأن الظلم مستلزم للافساد وفى التفسير الفارسى حضرت موسى عليه السلام چون ازمصر فرار نمود ودر مدين بصحبت شعيب عليه السلام رسيد ودخترا وصفورا بعقد در آورده عزم مراجعت بامصر نمود در اثناى طريق بوادى ايمن رسيد وخلعت پيغمبرى يافت وبمعجزهٔ عصا ويد بيضا اختصاص پذيرفت حق سبحانه وتعالى فرمود كه بمصر رو وفرعون را بخداى تعالى دعوت كن موسى بيامد وبعد ازمدتى كه ملاقات فرعون دست داد آغاز دعوت كرد قال الحدادى نقلا عن ابن عباس كان طول عصا موسى عشرة اذرع على طوله وكانت من آس الجنة وكان يضرب بها الارض فيخرج بها النبات فيلقيها فاذا هى حية تسعى ويضرب بها الحجر فيتفجر وضرب بها باب فرعون ففزع منها فشاب رأسه فاستحيى فخضب بالسواد وأول من خضب بالسواد فرعون وهو حرام لا يجد فاعله رائحة الجنة قال صاحب المحيط هذا فى حق غير الغزاة اما من فعله من الغزاة ليكون اهيب فى عين العدو لا للتزين فغير حرام (وقال موسى) اى لما دخل على فرعون ومعه اخوه هرون بعثهما الله اليه بالرسالة قال (يافرعون انى رسول) اى اليك (من رب العالمين) ادعوك الى عبادة رب العالمين وانهاك عن دعوى الربوبية فقال له فرعون كذبت ما أنت برسول فقال موسى (حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق) اى جدير بأن لا اقول على الله الا الحق فوضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولك رميت على القوس وجئت على حالة حسنة اى رميت بالقوس وجئت بحالة حسنة اوضمن حقيق معنى حريص وفى المدارك ويجوز تعلق على بمعنى الفعل فى الرسول اى انى رسول حقيق جدير بالرسالة ارسلت على ان لا اقول على الله الا الحق انتهى وقرأ نافع علىّ بتشديد الياء ثم ان موسى لما ادّعى انه رسول من رب العالمين ذكر مايدل على صحة دعواه فقال (قد جئتكم ببينة) اى بمعجزة ظاهرة كائنة (من ربكم) يعنى العصا واليد (فارسل معى بنى اسرآئيل) اى فخلهم حتى يذهبوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدهم وسبب آن بودكه چون يعقوب عليه السلام با اولاد واحفاد خود بمصر آمدند همانجا قرار گرفتند ونسل ايشان بسيار شد ويعقوب ويوسف با برادران دركذشتند وملك ريان كه فرعون زمان يوسف بود وبعد پسرش مصعب بنى اسرآئيل را حرمت ميداشت ومتعرض ايشان نمى شد چون او بمرد وليد كه فرعون زمان موسى بود بر تخت سلطنت نشست وزبان بلاف انا ربكم الاعلى بكشاد بنى اسرآئيل دعوى اوقبول نكردند كفت پدر شمادر خريدهٔ كسان ما بود وشما بنده زاد كان ماييد پس ايشانرا ببندكى كرفت وكان يستعملهم فى الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب وبناء المنازل واشباه ذلك فلما جاء موسى اراد ان يرجع بهم الى موطن آبائهم الذى هو الارض المقدسة وكان بين اليوم الذى دخل فيه يوسف مصر واليوم الذى دخل فيه موسى اربعمائة عام (قال) فرعون وهو استئناف بيانى (ان كنت جئت باية) اى من عند من ارسلك كما تدعيه (فأت بها) فأحضرها عندى ليثبت بها صدقك فان الاتيان والمجيء وان كانا بمعنى واحد الا ان بينهما فرقا من حيث ان المجيء يلاحظ فيه نقل الشيء من جانب المبدأ والاتيان يلاحظ فيه ايصاله الى المنتهى فان مبدأ المجيء هو جناب المرسل ومنتهى الاتيان هو المرسل اليه (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (فالقى عصاه) من يده (فاذا هى ثعبان) وهو الحية الصفرآء الذكر اعظم الحيات لها عرف كعرف الفرس (مبين) اى ظاهر امره لا يشك فى كونه ثعبانا ولا يختلج ببال احد كونه من جنس العصا (روى) انه لما ألقاها صارت ثعبانا اشعر اى كان له على ظهره شعور سود مثل الرماح الطوال فاغرا فاه اى فاتحا بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا فصاح فرعون ياموسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بنى اسرآئيل فأخذه فعاد عصا * والاشارة ان الله تعالى جعل عصاه ثعبانا لانه أضافها الى نفسه حين قال هى عصاى ثم جعلها محل حاجاته حيث قال ولى فيها مآرب اخرى ففيه اشارة الى ان كل شيء اضفته الى نفسك ورأيته محل حاجاتك فانه ثعبان يبتلعك ولهذا قال فألقها ياموسى يعنى لا تتمسك بها ولا تتوكأ عليها والا كان قادرا على ان يجعلها فى يده ثعبانا كذا فى التأويلات النجمية ثم قال له فرعون هل معك آية اخرى قال نعم (ونزع يده) اى اخرجها من جيبه او من تحت ابطه

فاذاهى بيضاء للناظرين) اى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة ويجتمع عليها النظارة تعجبا من امرها وذلك ماروى انه أرى فرعون يده وقال ماهذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة من صوف ونزعها فاذاهى بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وفيه اشارة الى ان الايدى قبل تعلقها بالاشياء كانت بيضاء فلما تمسكت بالاشياء صارت ظلمانية فاذا نزعت عنها تصير بيضاء كما كانت فافهم جدا فلما شاهد فرعون هذه المعجزة تشاور مع اشراف قومه فى امر موسى (قال الملأ من قوم فرعون) اى الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته (ان هذا الساحر) جادويست (عليم) مبالغ فى علم السحر ماهر فيه ولما كان السحر غالبا فى ذلك الزمان ولا شك ان أهل كل صنعة على طبقات مختلفة بحسب الحذاقة والمهارة زعم القوم ان موسى كان حاذقا فى علم السحر بالغا فيه الى اقصى الغاية وانه جعل علمه وسيلة الى طلب الملك والرسالة فلذلك قالوا (يريد ان يخرجكم) بسحره (من ارضكم) مصر ويجعل الحكومة لبنى اسرائيل فلما سمع فرعون هذا قال (فماذا تأمرون) بفتح النون وما فى فماذا فى محل النصب على انه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باى شئ تأمروننى اى فاذا كان كذلك فماذا تشيرون (قالوا) لفرعون (ارجه) اصله ارجئه بهمزة ساكنة وهاء مضمومة والارجاء التأخير (واخاه) هرون وعدم التعرض لذكره قيل لظهور كونه معه حسبما تنادى به الآيات الاخر والمعنى أخر أمرهما ولا تعجل (وارسل فى المدائن) الجار متعلق بأرسل والمدائن جمع مدينة وهى البقعة المسورة المستولى عليها الملك والمدائن صعيد مصر وكان له مدائن فيها السحرة المعدة لوقت الحاجة اليهم والمعنى وابعث الشرط الى هذه المدائن (حاشرين) مفعوله محذوف اى حاشرين السحرة والمعنى ليحشروا ويجمعوا اليك من فيها من السحرة (يأتوك بكل ساحر عليم) اى ماهر فى السحر والسحر فى اللغة لطف الحيلة فى اظهار الاعجوبة وأصل ذلك من خفاء الامر ومن ذلك سمى آخر الليل سحرا لخفاء الشخص ببقاء ظلمته والسحر الرئة سميت بذلك لخفاء امرها بانتفاخها تارة وضمورها اخرى آورده اندكه هيچ قرن چندان ساحر نبوده كه درقرن موسى ورؤساء سحره باقصى مداين صعيد بودند در تفسير دمياطى آورده كه درمداين صعيد دوبرادر بودندكه ايشانرا درفن سحر وقوفى تمام بود چون فرستادهٔ فرعون بديشان رسيد مادر خودرا كفتند مارا بسر قبر پدر ما بر چنان كرد وايشان پدر خودرا آواز دادندكه پادشاه ملك مصر مارا طلبيده بجهت آنكه دوكس امده اندبى لشكر وسپاه وكار بروى تنك آورده وايشانرا عصاييست چون مى افكنند اژدها ميشود وهرچه پيش اوآيد مى خورد وفرعون داعيه نموده كه مارا باومعارضه فرمايد صاحب قبر جواب دادكه چون بمصر رسيد برسيدكه وقتى كه ايشان درخواب ميشوند آن عصاها اژدها ميشود يانه اكر ميكرددبدانيدكه جادوئى نيست چه سحر ساحر وقتى كه درخواب باشد اثرندارد چون حال بدين منوال باشد نه شما وهيچكس ازعالميان راقوت معارضه باايشان نخواهد بود القصه برادران باشاكردان و مصاحبان كه دوازده هزار بودند ودرزاد المسير كويد هفتاد هزار بمصر آمدند وبنزد فرعون جمع شدند توهموا انهم بالتأخير وحسن التدبير وبذل الجد والتشمير يغيرون شيأ من التقدير ولم يعلموا ان الحق غالب والحكم سابق وعند حلول الحكم فلا سلطان للعلم والفهم (وجاء السحرة فرعون) بعد ما ارسل اليهم الحاشرين (قالوا) واثقين بغلبتهم (ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كانهم قالوا لابد لنا من اجر عظيم حينئذ اوبطريق الاستفهام التقريرى بحذف الهمزة وقولهم ان كنا لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لالترددهم فى الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اى ان كنا نحن الغالبين لاموسى (قال نعم) اى ان لكم لاجرا (وانكم) مع ذلك (لمن المقربين) عندى فى المنزلة قال الكلبى قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسى وآخر من يخرج منه وفى التأويلات النجمية اجرى الله هذا على لسان فرعون حقا وصدقا بأنهم صاروا من المقربين عند الله لا عند فرعون انتهى * آورده اندكه مهتران جماعت چهارتن بودند وآن دوبرادركه شابور وغادور ميكفتند وديكر حطط ومصفى ودرلباب آورده كه اين چهار نيز مهترى بود شمعون نام چون بمصر آمدند وشابور وغادور واقعهٔ سؤال وجواب پدر باقوم كفتند ايشان ازقصهٔ خواب وبيدارئ موسى واژدهاشدن عصا استفسار بليغ نمودند معلوم شدكه هركاه موسى درخوابست عصا اژدها شده پاسبانى ميكند ايشانرا ترددى پديد آمد وغدغه درخاطر خطور كرد نهان ميداشتند تاوقتى كه فرعون موسى

راطلبيده ومقرر شدكه جادوان مناظره كنند ومجلس معارضه انتظام يافت ساحران وعصا ورسنى چند بميدان
آوردند فرعون بالاى تخت بتفرج بنشست ومردم مصر بنظاره حاضر شدند هفتاد هزار ساحر بريك طرف
وموسى وهارون بريك جانب بايستادند جادوان بطريق ادب پيش آمده (قالوا يا موسى اما ان تلقى) اى عصاك
اولا (واما ان نكون نحن الملقين) اى حبالنا وعصينا اولا خيروا موسى عليه السلام فان كلمة اما فى مثله للتخيير ويطلق
عليها حرف العطف مجازا قال المفسرون تأدبوا مع موسى عليه السلام فكان ذلك سبب ايمانهم (قال ألقوا)
ان قيل كيف قال ألقوا والامر بالسحر لا يجوز اجيب بجوز القوا ان كنتم محقين على زعمكم ويجوز أن يكون
امرهم بالالقاء لتأكيد المعجزة قال القاضى قال ألقوا كرما وتسامحا وازدراء بهم ووثوقا على شأنه يعنى ليس
امرهم بالالقاء قبله من قبيل الاباحة للسحر والرضى بالكفر والمعنى ألقوا ما تلقون (فلما القوا) ما ألقوا (سحروا
اعين الناس) جادويى كردند بر چشمهاى مردمان بأن خيلوا اليهم ما لا حقيقة له قال ابن الشيخ قلبوها وصرفوها
على ان تدرك الشئ على ما هو عليه بسبب ما فعلوه من التمويهات (واسترهبوهم) استفعل ههنا بمعنى افعل
والسين لتأكيد معنى الرهبة اى بالغوا فى ارهابهم (وجاؤا بسحر عظيم) فى وقته (روى) انهم جمعوا حبالا غلاظا
وخشبا طوالا كأنها حيات جسام غلاظ ولطخوا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا الزيبق داخل تلك العصى فلما
اثرت حرارة الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة جدا تخيل الناس انها تتحرك وتلتوى
باختيارها وصار الميدان كأنه مملوء بالحيات (واوحينا الى موسى ان ألق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون)
الفاء فصيحة اى فألقاها فصارت حية فاذا هى تلقف اى تلقم وتبتلع من لقف يلقف على وزن علم يعلم يقال
لقفته ألقفه لقفا وتلقفته اتلقفه تلقفا اذا اخذته بسرعة فأكلته وابتلعته ويأفكون اى يزورون من الافك
وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه (روى) انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها اقبلت على
الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم لا يعلم عددهم الا الله تعالى ثم اخذها موسى فصارت عصا
كما كانت واعدم الله بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام اوفرقها اجزاء لطيفة فقالت السحرة لو كان هذا سحرا
لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) اى ثبت وصدق موسى عليه السلام فى قوله انى رسول من رب العالمين
حيث صدقه الله تعالى بما اظهر على يده من المعجزة الباهرة (وبطل ما كانوا يعملون) اى ظهر بطلان ما كانوا
مستمرين على عمله وهو السحر (فغلبوا) اى فرعون واتباعه (هنالك) اى فى مجلسهم (وانقلبوا صاغرين)
اى صاروا اذلاء مبهوتين فالانقلاب هنا بمعنى الصيرورة (وألقى السحرة ساجدين) اى خروا سجدا كأنما ألقاهم
ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك ففى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم
فى سرعة الخرور وشدته حين شاهدوا المعجزة القاهرة بحال من ألقى على وجهه فعبر عن حالهم بما يدل على حال
المشبه به (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) ابدلوا الثانى من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون
لان فرعون وان ربى موسى وهو صغير الا انه لم يرب هرون قطعا قال ابن عباس آمنت السحرة واتبع موسى
من بنى اسرائيل ستمائة ألف (قال فرعون) منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه (آمنتم به) بهمزة
واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخى بحذف الهمزة كما مر فى ان لنا لاجرا
(قبل ان آذن لكم) اى بغير ان آذن لكم كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى لان الاذن منه ممكن
فى ذلك (ان هذا لمكر مكرتموه) يعنى ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور
المعجزة بل هو حيلة احتلتموها أنتم وموسى (فى المدينة) يعنى مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد (روى) ان موسى
وامير السحرة التقيا فقال له موسى ارأيتك ان غلبتك لتؤمنن بى وتشهدن أن ما جئت به الحق فقال الساحر والله
لئن غلبتنى لأومنن لك وفرعون يسمعهما وهو الذى نشأ عنه هذا القول (لتخرجوا منها اهلها) يعنى القبط وتخلص
لكم ولبنى اسرائيل (فسوف تعلمون) عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله (لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف) اى من كل شق طرفا يعنى ايديكم اليمنى وارجلكم اليسرى (ثم لاصلبنكم اجمعين) على شاطئ نهر
مصر على جذوع النخل تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع
الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماهم تعالى محاربة الله ورسوله (قالوا) ثابتين على ما احدثوا من الايمان وهو
استئناف بيانى (انا الى ربنا منقلبون) راجعون اى بالموت لا محالة سواء كان ذلك من قبلك ام لا فلا نبالى

بوعيدك اوانا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى (وفى المثنوى) جانهاى بسته اندر آب وكل * چون رهند از آب وكلها شاد دل * در هواى عشق حق رقصان شوند * همچو قرص بدر بى نقصان شوند * چون نقاب تن برفت از روى روح * از لقاى دوست دارد صد فتوح * ميزند جان درجهان آبكون * نعرهٔ ياليت قومى يعلمون (وما تنقم منا) اى وما تنكر وما تعيب منا (الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا (ربنا افرغ علينا صبرا) اى افض علينا من الصبر على وعيد فرعون ما يغمرنا كما يغمر الماء فافراغ الماء اى صبه من قبيل الاستعارة شبه الصبر على وعيد فرعون بالماء الغامر تشبيها مضمرا فى النفس وجعل نسبة الافراغ اليه تخييلا للاستعارة بالكناية لان الافراغ من لوازم الماء وملائماته (وتوفنا مسلمين) ثابتين على مارزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال ابن عباس رضى الله عنه فأخذ فرعون السحرة فقطعهم ثم صلبهم على شاطئ نيل مصر (وفى المثنوى) ساحران چون حق اوبشناختند * دست وپادر جرم هادر باختند * وفى القصة اشارة الى ان فرعون النفس ايضا منكر على ايمان سحرة صفاتها ويقول آمنتم به اى بموسى الروح من قبل ان آذن لكم يعنى بالايمان به ان هذا لمكر مكرتموه يا سحرة الصفات فى موافقة موسى الروح فى المدينة مدينة القالب والبدن لتخرجوا منها اهلها وهو اللذات والشهوات البدنية الجسمانية فان صفات النفس اذا آمنت ووافقت الروح وصفاته خرجت من البدن لذات الدنيا وشهواتها فسوف تعلمون حيلى ومكايدى فى ابطالكم واستيفاء اللذات والشهوات لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف بسكين التسويل عن الاعمال الصالحة ثم لاصلبنكم اجمعين فى جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها قالوا انا الى ربنا منقلبون لا الى الدنيا ومافيها وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا على قطع تعلقات الدنيا وتوفنا مسلمين لعبوديتك (وقال الملأ من قوم فرعون) روى ان فرعون بعد مارأى من موسى عليه السلام مارأى من معجزة العصا واليد البيضاء خافه أشد الخوف فلذلك لم يحبسه ولم يتعرض له بسوء بل خلى سبيله فلذلك قال له أشراف قومه (أتذر موسى وقومه) اى اتتركهم (ليفسدوا فى الارض) اى يفسدوا على الناس دينهم فى ارض مصر ويصرفوهم عن متابعتك (ويذرك) عطف على يفسدوا (وآلهتك) معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب والاصح كما فى التفسير الفارسى انه صنع لقومه اصناما على صورته وأمرهم بأن يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال أنا ربكم الاعلى (قال) فرعون مجيبا لهم (سنقتل ابناءهم) زود باشدكه بكشيم پسران ايشانرا (ونستحيى نساءهم) اى نتركهن احياء ولا نقتلهن بل نستخدمهن والمقصود سنعود الى قتل ابنائهم واستخدام نسائهم كما كنا نفعل وقت ولادة موسى ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه (وانا فوقهم قاهرون) اى مستعلون عليهم بالقوة كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك (قال موسى لقومه) تسلية لهم وعدة لحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وعجزوا عنه (استعينوا بالله) يارى خواهيد از خداى تعالى در دفع بلاى فرعون (واصبروا) على ماسمعتم من اقاويله الباطلة (ان الارض لله) اى ارض مصر (يورثها من يشاء من عباده) ميراث دهد هركرا ميخواهد ازبندكان خود (والعاقبة) عاقبة نيكو يانصرت وظفر يا بهشت (للمتقين) الذين انتم منهم لانه روى انه لما غلب سحرة فرعون وتبين نبوة موسى بسطوع حجته آمن بموسى من بنى اسرائيل ستمائة الف نفس واتقوا عن الشرك والعصيان وفيه ايذان بأن الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى (قال الحافظ) انكه پيرانه سرم صحبت يوسف بنواخت * اجر صبريست كه دركلبهٔ احزان كردم (قالوا) اى بنوا اسرائيل (اوذينا) اى من جهة فرعون (من قبل ان تأتينا) اى بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده (ومن بعد ماجئتنا) اى رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب (قال) اى موسى عليه السلام لما رأى شدة جزعهم مما يشاهدونه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به فى قوله ان الارض لله الآية (عسى ربكم ان يهلك عدوكم) اى يرجى ان ربكم قارب اهلاك عدوكم الذى فعل بكم مافعل وتوعدكم باعادته فعسى من العبد

لطمع مضمون خبرها ومن الله تعالى اطماع وما اطمع الله فيه فهو واجب لان الكريم اذا اطمع ووعد وفى فصير كأنه اوجبه على نفسه (ويستخلفكم فى الارض) اى يجعلكم خلفاء فى ارض مصر وفى الارض المقدسة (فينظر) النظر قد يراد به الفكر المؤدى الى العلم وقد يراد به تقليب الحدقة نحو المرئى ليترتب عليه الرؤية وكل واحد من المعنيين مستحيل فى حقه تعالى فهو مجاز عن الرؤية التى هى غاية للنظر اى فيرى (كيف تعملون) أحسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من شكر وكفران وطاعة وعصيان وفى الحديث (ان الدنيا حلوة خضرة) يعنى حسنة فى المنظر تعجب الناظر والمراد من الدنيا صورتها ومتاعها وانما وصفها بالخضرة لان العرب تسمى الشئ الناعم خضرا او لتشبهها بالخضراوات فى سرعة زوالها وفيه بيان كونها غرارة يفتتن الناس بحسنها وطعمها (وان الله مستخلفكم فيها) اى جاعلكم خلفاء فى الدنيا يعنى ان اموالكم ليست هى فى الحقيقة لكم وانما هى لله تعالى جعلكم فى التصرف فيها بمنزلة الوكلاء (فناظر كيف تعملون) اى تتصرفون قيل معناه جاعلكم خلفاء ممن كان قبلكم ومعطى ما فى ايديهم اياكم فناظر هل تعتبرون بحالهم وتتدبرون فى مآلهم (قال السعدى)

نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دكر مرغ بيند اندر بند * پند كير از مصائب دكران * تانكيرند ديكران زتو پند *

والاشارة ان فرعون النفس قال له قوم الهوى والغضب والكبر اتذر موسى الروح وقومه من القلب والسر والعقل ليفسدوا فى الارض فى ارض البشرية ويذرك وآلهتك من الدنيا والشيطان والطبع لا تعبد قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم وابناء صفات الروح والقلب والنفس اعمالها الصالحة اى نبطل اعمالهم بالرياء والعجب ونستحيى نساءهم اى الصفات التى منها تتولد الاعمال وانا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة والحيلة قال موسى الروح لقومه وهم القلب والعقل والسر استعينوا بالله واصبروا على جهاد النفس ومخالفاتها ومتابعة الحق ان الارض اى ارض البشرية لله يورثها من يشاء من عباده يورث ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فيتصف بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها والعاقبة للمتقين يعنى عاقبة الخير والسعادة للاتقياء والسعداء منهم قالوا يعنى قوم الروح له اوذينا من قبل أن تأتينا اى قبل ان تأتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا نتأذى من اوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ نتأذى من دواعى البشرية قال يعنى الروح عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها بالواردات الربانية ويدفع اذيته عنكم فيه يشير الى ان الواردات الروحانية لا تكفى لافناء النفس وصفاتها ولا بد فى ذلك من تجلى صفات الربوبية ويستخلفكم يعنى اذا تجلى الرب بصفة من صفاته لا يبقى فى ارض البشرية من صفات النفس صفة الا ويبدلها بصفات الروح والقلب ويستخلفها فى الارض فينظر كيف تعملون فى اقامة العبودية واداء شكر نعم الربوبية كذا فى التأويلات النجمية (ولقد اخذنا آل فرعون) اى قوم فرعون واهل دينه وآل الرجل خاصته الذين يؤول امره اليهم وامرهم اليه (بالسنين) جمع سنة وهى فى الاصل بمعنى العام مطلقا الا انها غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به حتى صارت كالعلم له كالنجم غلب على الثريا (ونقص من الثمرات) باصابة العاهات زيادة فى القحط لان الثمار قوت الناس وغذاؤهم وعن كعب يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان فى امصارهم (لعلهم يذكرون) كى يتذكروا ويتعظوا بذلك ويتيقنوا ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد فلعل علة الأخذ اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى بأغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتب الغرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير أن تكون هى علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه دلت الاية على ان المحن والشدائد والمصيبات موجبات الانتباه والاعتبار ولكن لاهل السعادة واولى الابصار فاما اهل الشقاوة فلا ينبههم كثرة النعمة ولا يوقظهم شدة النقمة (قال الشيخ سعدى) بكوشش نرويد كل از شاخ بيد * نه زنكى بكرمابه كردد سفيد (فاذا جاءتهم الحسنة) اى السعة والخصب وغيرهما من الخيرات (قالوا لنا هذه) اى لاجلنا واستحقاقنا لها ولم يروا ذلك فضلا من الله (وان تصبهم سيئة) اى جدب وبلاء (يطيروا بموسى ومن معه) اى يتشاءموا بموسى واصحابه ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وأصله يتطيروا ادغمت التاء فى الطاء لقرب مخرجهما واشتقاق التطير من الطير كالغراب وشبهه سمى

الشؤم

الشؤم ضد اليمن طيرا وطائرا تسمية للمدلول باسم مايدل عليه فانهم يجعلون الطير والطائر امارة ودليلا على شؤم الامر وبناء التفعل فيه للتجنب اى لبعد الفاعل عن اصله كتحوب اى تجنب وتباعد من الحوب وهو الاثم وسيجئ تفصيل الطيرة قال سعيد بن جبير كان ملك فرعون اربعمائة سنة فعاش ثلاثمائة سنة لايرى مكروها ولو ارى فى تلك المدة جوع يوم اوحمى يوم اووجع ساعة لما ادعى الربوبية ولما قالوا سبب ماجاءنا من الخير والحسنة هو استحقاق انفسنا اياه وسبب ما أصابنا من السيئة والشر هو شآمة موسى ومن معه كذبهم الله تعالى فى كل واحد من الحكمين بقوله (الا) اعلموا (انما طائرهم عند الله) اى سبب ما أصابهم من الخير والشر انما هو عند الله تعالى وصفة قائمة به وهى قضاؤه وتقديره ومشيئته وهو الذى أتى ماشاء أصابهم به وليس بيمن احد ولا بشؤمه عبر عما عند الله تعالى بالطائر تشبيها له بالطائر الذى يستدل به على الخير والشر أوسببه شؤمهم عند الله تعالى وهو اعمالهم السيئة المكتوبة عنده فانها التى ساقت اليهم مايسوءهم لاما عداها فالطائر عبارة عن الشؤم على طريق تسمية المدلول باسم الدليل بناء على انهم يستدلون بالطير على الشؤم (ولكن اكثرهم لايعلمون) أن مايصيبهم من الله تعالى اومن شؤم اعمالهم فيقولون مايقولون مما حكى عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بأن بعضهم يعلمون ذلك ولكن لايعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا واعلم ان التطير بمعنى التشاؤم والاسم منه الطيرة على وزن العنبة وهو مايتشاءم به من الفأل الردئ والأصل فى هذا ان العرب كانوا يتفاءلون بالطير فان خرج احدهم الى مقصده واتى الطير من ناحية يمينه يتيمن به ويتبرك ويسميه سانحا وان اتى من ناحية شماله يتشاءم به ويسميه بارحا فيرجع الى بيته ثم كثر قولهم فى الطير حتى استعملوه فى كل مايتشاءمون به وابطل النبى عليه السلام الطيرة بقوله الطيرة شرك قاله ثلاثا وانما قال شرك لاعتقادهم ان الطيرة تجلب لهم نفعا اوتدفع عنهم ضررا اذا عملوا بموجبها فكأنهم اشركوها مع الله تعالى قال عبد الله من خرج من بيته ثم رجع لم يرجعه الا الطيرة رجع مشركا اوعاصيا وذكر فى المحيط اذا صاحت الهامة فقال رجل يموت المريض كفر القائل عند بعض المشايخ واذا خرج الرجل الى السفر فصاح العقعق فرجع من سفره فقد كفر عند بعض المشايخ قال عكرمة كنا عند ابن عمر وعنده ابن عباس رضى الله عنهم فمر غراب يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن عباس لاخير ولاشر وانما اختص الغراب غالبا بالتشاؤم به اخذا من الاغتراب بحيث قالوا غراب البين لانه بان عن نوح عليه السلام لما وجهه لينظر الى الماء فذهب ولم يرجع ولذا تشاءموا به واستخرجوا من اسمه الغربة قال ابن مسعود لاتضر الطيرة الا من تطير ومعناه ان من تطير تطيرا منهيا عنه اويراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريده من حاجته فانه قد يصيبه مايكرهه فأما من توكل على الله ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفا ورجاء وقطعه عن الالتفات الى الاسباب المخوفة وقال ماامر به من الكلمات ومضى فانه لايضره فالمراد بالكلمات مافى قوله عليه السلام ليس عبد الا سيدخل قلبه الطيرة فاذا احس بذلك فليقل اللهم لاطير الاطيرك ولاخير الاخيرك ولااله غيرك ولاحول ولاقوة الابالله ماشاء الله كان لايأتى بالحسنات الا الله ولايذهب بالسيئات الا الله واشهد ان الله على كل شئ قدير ثم يمضى الى حاجته اى كل ما اصاب الانسان من الخير والشر واليمن والشؤم ليس الا بقضائك وتقديرك وحكمك ومشيئتك وفى الحديث (الشؤم فى المرأة والفرس والدار) فشؤم المرأة سوء خلقها اوغلاء مهرها اوقيل ان لاتلد وشؤم الفرس عدم انقياده اوانه لايغزى عليه وشؤم الدار ضيقها اوسوء جارها وهذا الحكم على وجه الغلبة لاالقطع خص الثلاث بالذكر لان فيها يصل الضرر الكثير الى صاحبها اولانها اقرب الى الآفة فمايبتلى به الانسان فمن تشاءم بالمذكورات فليفارقها واعترض عليه بحديث (لاطيرة) اجاب ابن قتيبة بأن هذا مخصوص منه اى لاطيرة الا فى هذه الثلاث وسمع فيلسوف صوت مغنى بارد فقال يزعم اهل الكهانة ان صوت البوم يدل على موت الانسان فان كان ماذكروه حقا فصوت هذا يدل على موت البومة * زيبقم دركوش كن تانشنوم * يادرم بكشاى تابيرون روم * وتساقطت النجوم فى ايام بعض الامراء فخاف من ذلك واحضر المنجمين والعلماء فما اجابوا بشئ فقال جميل الشاعر

هذى النجوم تساقطت * لرجوم اعداء الامير

فتفاءل به وامر له بصلة حسنة ولابأس بأن يتفاءل بالفأل الحسن وكان النبى عليه السلام يحب الفأل ويكره

الطيرة والفأل الحسن هي الكلمة الصالحة يسمعها من أخيه نحو ان يسمع أحد وهو طالب امر يا واجد يا نجيح او يكون في سفر فيسمع يا راشد يعني يا واجد الطريق المستقيم اومريضا فيسمع يا سالم فالتفاؤل بالامور المشروعة مشروع والطيرة منهي عنها والفرق بين الفأل والطيرة مع ان كل واحد منهما استدلال بالامارة على مآل الامر وعاقبته ان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية والطيرية فالكلمة الحسنة التي تجرى على لسان الانسان يمكن الاستدلال بها بخلاف طيران الطير وحركات البهائم فان ارواحها ضعيفة فلا يمكن الاستدلال بها على شئ من الاحوال ويروى ان النبي عليه السلام حول رداءه في الاستسقاء وذكر في الهداية انه كان تفاؤلا يعني قلب علينا الحال كما قلبنا رداءنا وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قلت يا رسول الله اني اسمع منك حديثا كثيرا انساه فقال ابسط رداءك فبسطته ففرق بيديه ثم قال ضمه فضممته فما نسيت شيأ بعده وهذا البسط والفرق والضم ليس الا تفاؤلا والا فالعلم ليس مما يسقط على الرداء ويمكن فيه الفرق والضم ولكن التفاؤل يحصل به يعني كما بسطت ردآئي توفيا لما يسقط فيه فكذلك اصغيت سمعي لما يقع فيه من الكلام وكما اعطيت شخصا كثيرا من الرزق يفرق بين اليدين فكذا اعطيته شيأ كثيرا من العلم وكما يؤمن بالضم من سقوط ما في الرداء كذلك يؤمن من خروج ما في السمع اونسيان ما في الخاطر فبعض الاوضاع يدل على بعض الاحوال كما ان بعض الاسماء يدل على بعض الامور كما حكى ان عمر رضي الله عنه قال لرجل ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال من اين قال من الحرقة قال اين تسكن قال في الحرة وهي ارض ذات حجارة سود كأنها احرقت فقال عمر ادرك اهلك فقد احترقوا فرجع فوجدهم قد احترقوا وأراد عمر رضي الله عنه الاستعانة برجل فسأله عن اسمه فقال ظالم بن سراق فقال تظلم انت ويسرق ابوك ولم يستعن ودل هذا على تبديل الاسماء القبيحة بالاسماء الحسنة فان في الاسماء الحسنة التفاؤل ونظير ذلك ما يفهم من قوله عليه السلام لا تمارضوا فتمرضوا يعني أن من اظهر المرض وقال انا مريض فهذا القول والفعل منه يجر المرض ويؤاخذ به * كفت پيغمبركه رنجوري بلاغ * رنج آرد تا بميرد چون چراغ * والله الهادي الى الحسنات وهو دافع السيئات (وقالوا) اى فرعون وقومه بعد ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات (مهما) اسم شرط يجزم فعلين كقولك مهما تفعل افعل كأنه قال ان لك لا نقدر على ان تفعل ما افعل فتقول له مهما تفعل افعل ومحله الرفع على الابتداء وخبره فما نحن لك بمؤمنين اى اى شئ وبالفارسية هرچيزكه (تأتنا به) تظهر لدينا وتحضره والضمير لمهما (من آية) بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم (لتسحرنا بها) اى لتسحر بتلك الاية اعيننا وتسكرها (فما نحن لك بمؤمنين) اى بمصدقين لك ومؤمنين بنبوتك (فارسلنا عليهم) روى ان القوم لما عالجهم موسى بالايات الاربع العصا واليد والسنين ونقص الثمرات فكفروا دعا وكان حديدا فقال يارب ان عبدك فرعون علا في الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم عبرة فأرسل الله عليهم عقوبة لجرائمهم (الطوفان) اى الماء الذي طاف بهم واحاط وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر اوسيل (والجراد) في التفسير الفارسي ملخ برنده وفي حياة الحيوان الجراد البري اذا خرج من بيضته يقال له الدبا فاذا بدت فيه الالوان واصفرت الذكور واسودت الاناث يسمى جرادا حينئذ وفي الحديث لا تقتلوا الجراد فانه جند الله الاعظم وهذا ان صح أراد به اذا لم يتعرض لافساد الزرع فان تعرض له جاز دفعه بالقتل وغيره ووقعت بين يدي النبي عليه السلام جرادة فاذا مكتوب على جناحيها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسع وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا وما فيها فقال النبي عليه السلام اللهم اهلك الجراد اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء فجاء جبرآئيل عليه السلام فقال انه قد استجيب لك في بعضه وعن حسن بن علي كنا على مائدة نأكل انا واخي محمد بن الحنفية وبنوا عمي عبد الله وقثم والفضل بن العباس فوقعت جرادة على المائدة فأخذها عبد الله وقال لي ما مكتوب على هذه فقلت سألت ابي أمير المؤمنين عن ذلك فقال سألت عنه رسول الله فقال مكتوب عليها انا الله لا اله الا انا رب الجراد ورازقها وان شئت بعثتها رزقا لقوم وان شئت بعثتها بلاء على قوم فقال عبد الله هذا من العلم المكنون وليس في الحيوان اكثر فسادا لما يقتاته الانسان من الجراد وأجمع المسلمون على اباحة اكله قال الاربعة يحل أكله سواء مات حتف أنفه او بذكاة أو باصطياد مجوسي اومسلم قطع منه شئ اولا والدليل على عموم حله قوله عليه

السلام أحلت لنا ميتتان ودمان الكبد والطحال والسمك والجراد واذا تبخر انسان بالجراد البري نفعه من عسر البول وقال ابن سينا اذا اخذ منها اثنا عشر ونزعت رؤسها واطرافها وجعل معها قليل آس يابس وشرب للاستسقاء نفعه واما الجراد البحري فهو من انواع الصدف كثير بساحل البحر ببلاد المغرب ويأكلونها كثيرا مشويا ومطبوخا ولحمها نافع للجذام (والقمل) في التفسير الفارسي ملخ بياده وقيل هو كبار القردان وهو جمع قراد يقال له بالتركي كنه مسلط على البعير وفي الامثال أسمع من قراد وذلك انه يسمع صوت اخفاف الابل من مسيرة يوم فيتحرك لها وقيل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقيل انه شئ يقع في الزرع ليس بجراد فيأكل السنبلة وهي غضة قبل ان تقوى فيطول الزرع ولا سنبل له وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد به القمل المعروف الذي يقع في بدن الانسان وثوبه واذا القيت القملة حية اورثت النسيان قال الجاحظ وفي الحديث اكل الحامض وسؤر الفار ونبذ القمل يورث النسيان واذا اردت ان تعلم هل المرأة حامل بذكر او انثى فخذ قملة واحلب عليها من لبنها في كف انسان فان خرجت من اللبن فهي جارية وان لم تخرج فهو ذكر وان حبس على انسان بوله فخذ قملة من قمل بدنه واجعلها في احليله فانه يبول من وقته والقمل المعروف يتولد من العرق والوسخ اذا اصاب ثوبا او ريشا او شعرا حتى يصير المكان عفنا قال الجاحظ وربما كان للانسان قمل الطباع وان تنظف وتعطر وبدل الثياب كما عرض لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام حين استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في لباس الحرير فاذن لهما فيه ولولا انهما كانا في حد ضرورة لما اذن لهما لما في ذلك من التشديد فيجوز لبس الثوب الحرير لدفع القمل لانه لا يقمل بالخاصية قال في انوار المشارق والاصح ان الرخصة لا تختص بالسفر انتهى وفي الواقعات المحمودية ان القمل يكون من البرودة ولذلك يكثر في الشتاء ولا يكون في الصيف قال السيوطي ولم يقع على ثيابه عليه السلام ذباب قط ولا آذاه القمل (والضفادع) جمع ضفدع مثل خنصر وهو الاشهر الصحيح من حيث اللغة والانثى ضفدعة وناس يقولون بفتح الدال كدرهم وانكره الخليل حيث قال ليس في الكلام فعلل الا اربعة احرف درهم وهجرع وهبلع وبلعم وهو اسم والضفادع انواع كثيرة ويكون من سفاد وغير سفاد فالذي من سفاد يبيض في البر ويعيش في الماء والذي من غير سفاد يتولد في المياه القائمة الضعيفة الجري ومن العفونات وغب الامطار الغزيرة حتى يظن انه يقع من السحاب لكثرة ما يرى منه على الاسطحة عقيب المطر والريح وليس ذلك عن ذكر وانثى وانما الله تعالى يخلقه في تلك الساعة من طباع تلك التربة وهي من الحيوانات التي لا عظام لها وفيها ما ينق وفيها ما لا ينق والذي ينق منها يخرج صوته من قرب اذنه وتوصف بحدة السمع اذا تركت النقيق وكانت خارج الماء واذا ارادت ان تنق ادخلت فكها الاسفل في الماء ومتى دخل الماء في فيها لا تنق وما اطرف قول بعض الشعراء وقد عوتب في كلامه

قالت الضفدع قولا * فسرته الحكماء * في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء

قال سفيان يقال انه ليس شئ اكثر ذكرا لله منه قال الزمخشري تقول في نقيقها سبحان الملك القدوس (روي) ان داود عليه السلام قال لاسبحن الله الليلة تسبيحا ما سبحه أحد من خلقه فنادته ضفدع من ساقية في داره يا داود اتفخر على الله تعالى بتسبيحك وان لي لسبعين سنة ما جف لي لسان من ذكر الله وان لي لعشر ليال ما طعمت خضراء ولا شربت ماء اشتغالا بكلمتين قال ما هما قالت يا مسبحا بكل لسان ومذكورا بكل مكان فقال داود في نفسه وما عسى ان اكون ابلغ من هذا وعن انس لا تقتلوا الضفادع فانها مرت بنار ابراهيم عليه السلام فحملت في افواهها الماء وكانت ترشه على النار وقال ابن سينا اذا كثرت الضفادع في سنة وزادت على العادة يقع الوباء عقيبه وفي الواقعات المحمودية تعبير الضفدع انه نقصان خفي فانه يذكر انه كان في الاصل كيالا فلاجل نقصانه في الكيل ادخل فيه ومن خواصه انه اذا أخذت امرأة ضفدع الماء وفتحت فاه وبصقت فيه ثلاث مرات ورمته الى الماء فانها لا تحبل ودمه اذا طلي به الموضع الذي نتف شعره لم ينبت ابدا وشحم الضفادع الاجامية اذا وضع على الاسنان قلعها من غير وجع قال القزويني ولقد كنت بالموصل ولنا صاحب في بستان بني مجلسا وبركة فتولدت فيها الضفادع وتأذى سكان المكان بنقيقها وعجزوا عن ابطاله حتى جاء رجل وقال اجعلوا طشتا على وجه الماء مقلوبا ففعلوا فلم يسمعوا لها نقيقا بعد ذلك (والدم) روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج واحد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وهي جمع ترقوة

وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق وهو موضع الرداء من المنكب ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منه قطرة مع انها كانت مختلطة ببيوت القبط فاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ ما لم يعهد مثله فقالوا هذا كنا نتمناه وما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا فلا والله لا نؤمن بك ياموسى فنقضوا العهد واقاموا على كفرهم شهرا فبعث الله عليهم الجراد بحيث وقع على الارض بعضه على بعض ذراعا فأكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منه شئ ففزعوا اليه عليه السلام كذلك فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الى النواحى التى جاء منها بعد أن اقام فى ارضهم سبعة ايام فلم يبق جرادة واحدة ثم نظروا فاذا فى بعض المواضع من نواحى مصر بقية كلأ وزرع فقالوا هذا يكفينا بقية عامنا هذا فلا والله لا نؤمن بك فسلط الله عليهم القمل فمكث فى ارضهم سبعة ايام فلم يبق لهم عودا اخضر ولحس جميع ما فى اراضيهم مما ابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها وينهشهم ويأكل شعورهم وحواجبهم واشفار عيونهم ومنعهم النوم والقرار وظهر بهم منه الجدرى قال الحدادى فى تفسيره هم اول من عذبوا بالجدرى وبقى فى الناس الى الآن ثم فزعوا اليه عليه السلام ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر قالوا وما عسى ربك ان يفعل بنا وقد اهلك كل شئ من نبات ارضنا فعلى اى شئ نؤمن بك اذهب فما استطعت ان تفعل فافعله ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى والى افواههم عند التكلم وكان بعضهم لا يسمع كلام بعض من كثرة صراخ الضفادع وكانوا اذا قتلوا واحدا منها خافوا ما حول محله حتى لا يستطيعون الجلوس فيه ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فأخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله عنهم بريح عظيمة نبذتها فى البحر فنقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم وآبارها وانهارها دما احمر عبيطا حتى كان يجتمع القبطى والاسرائيلى على اناء فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائيلى ماء على حاله ويمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فيه * قوم موسى شو بجو راين آب را * صلح كن بامن ببين مهتاب را * ثم ان فرعون اجهده العطش وكانوا يأتونه بأوراق الاشجار الرطبة فيمصها فتصير دما عبيطا او اجاجا وكانوا لا يأكلون ولا يشربون سبعة ايام الا الدم فقال فرعون اقسم بالهك ياموسى لئن كشفت عنا هذا الدم لنؤمنن لك فدعا فعذب ماؤهم فعادوا الكفرهم الى ان كان من امر الغرق ما كان (آيات مفصلات) حال من مفعول ارسلنا اى ارسلنا عليهم هذه الاشياء حال كونها آيات وعلامات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته وقيل معنى منفصلات مفرقات ومنفصلات بأن فصل بعضها عن بعض بزمان لامتحان احوالهم هل يعتبرون او يستمرون على المخالفة والعناد وما كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا (فاستكبروا) اى تعظموا عن الايمان بها (وكانوا قوما مجرمين) كروهى مجرم يعنى معاند در كفركه با وجود تظاهر آيات وتتابع آن ايمان نياوردند (ولما وقع عليهم الرجز) اى العذاب المذكور من الطوفان وغيره اى كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات (قالوا) فى كل مرة (ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) الباء صلة لادع وما مصدرية والمراد بالعهد النبوة اى ادع لنا ربك يكشف عنا العذاب بحق ما عندك من عهد الله تعالى وهو النبوة فان حق النبوة ومقتضاها أن يدعو النبى لأمته لدفع ما اصابهم من البلايا والمحن سميت النبوة عهدا للمبالغة فى كونها معهودا بها فانه تعالى لما بعثه رسولا واوصاه بتحمل اعباء الرسالة وميثاق التبليغ فقد جعلت النبوة مما اوصى به وعهده فجعلت نفس العهد للمبالغة فى كونها معهودا بها وفى التفسير الفارسى * بما عهد عندك بآنچه عهد كرده وآن عهد نزديك تست يعنى خداى تو باتو وعده كرده كه چون اورا بخوانى اجابت كند * فما موصولة عبر بها عما يدعو به المتضرع الى الله تعالى فى طلب حاجته والباء ايضا صلة لادع (لئن كشفت) اى باز برى وزائل كردانى (عنا الرجز) الذى وقع علينا (لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) الى موطن آبائهم وهو الارض المقدسة ولنطلقهم من التسخير والاعمال الشاقة (فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه) اى الى حد من الزمان معذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق والى أجل متعلق بقوله لما كشفنا وقوله هم بالغوه فى محل الجر على انه صفة لاجل

(اذاهم ينكثون) جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث من غير تأمل وتوقف والنكث بالفارسى
عهد شكستن (فانتقمنا منهم) الفاء لسببية النكث للانتقام والعقاب واريد بالانتقام نتيجته وهو الاهلاك
ومثله الغضب لان التشفى فى حقه تعالى محال قال ابن الشيخ الانتقام العقاب الواقع على مجازاة السيئة بالسيئة
وانما اسند الانتقام الى ذاته لان الانبياء وكل الاولياء كانوا فانين عما سوى الله باقين بالله فكان الله خليفتهم
فى اخذ الانتقام من اعدآئهم والمعنى فأردنا الانتقام منهم اى من فرعون وقومه لما اسلفوا من المعاصى
والجرآئم فان قوله تعالى (فاغرقناهم) عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما فاطلق اسم المسبب على
السبب تنبيها على ان الانتقام لم ينفك عن الارادة ويجوز أن يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية
كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ (فى اليم) اى فى البحر الذى لا يدرك قعره اوفى لجته ولجة البحر
معظم مائه قال الحدادى فى اليم اى فى البحر بلسان العبرانية وهى لغة اليهود وفى التفسير الفارسى فى اليم
دردرياى قلزم بنزديك مصر وذلك ان الله تعالى امر موسى ان يخرج بنى اسرآئيل فاستعار نسوة بنى اسرآئيل
من نساء آل فرعون حليهم وقلن ان لنا خروجا الى عيد فخرج بنى اسرآئيل فى اوّل الليل وهم ستمائة ألف
من رجل وامرأة وصبى فبلغ الخبر فرعون فركب ومعه ألف ألف ومائتا ألف فأدركهم فرعون حين طلعت
الشمس وانتهى موسى الى البحر فضرب البحر فانفلق اثنى عشر طريقا وكانت بنوا اسرآئيل اثنى عشر سبطا
فعبر كل سبط طريقا فاقبل فرعون ومن معه فدخلوا بعدهم من حيث دخلوا فلما صاروا جميعا فى البحر
امر الله البحر فالتطم عليهم فغرقوا (بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) تعليل للاغراق اى كان اغراقهم
بسبب تكذيبهم بالآيات التسع التى جاء بها موسى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين
عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بأن مدار
جميع ذلك تكذيب آيات الله والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة
على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها (واورثنا) ميراث داديم (القوم الذين) يعنى بنى اسرآئيل
والقوم مفعول اوّل لاورثنا (كانوا يستضعفون) اى يستضعفهم القبط ويقهرونهم ويستذلونهم بذبح الابناء
واستخدام النساء والاستعباد (مشارق الارض ومغاربها) مفعول ثان لاورثنا والارض ارض الشام
ومشارقها ومغاربها جهاتها الشرقية والغربية ملكها بنوا اسرآئيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا
فى نواحيها (التى باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب (وتمت كلمة ربك الحسنى) المراد
بالكلمة وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين وهو ما ذكره بقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
وتمامها مضيها وانتهاؤها الى الانجاز لان العدة بالشئ التزام لايقاعه بالعبارة واللسان وتمامها لا يكون
الا بوقوع الموعود فى الخارج والعيان (على بنى اسرآئيل بما صبروا) اى بسبب صبرهم على الشدائد التى
كابدوها من جهة فرعون وقومه (ودمّرنا) اى خربنا واهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من
العمارات والقصور اى ودمرنا الذى كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة
الكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر
كان والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذى كان يصنعه فرعون (وما كانوا يعرشون) اى يرفعون من الجنات اى
الكروم والاشجار قال فى زبدة التفاسير العرش سقف فى الكروم والاشجار واشارت الآية الى ان العزيز من اعزه
الله والذليل من اذله الله ومن صبر على مقاساة الذل فى الله توّجه بتاج العزة وجعل له حسن العاقبة والله تعالى
كما وعد لبنى اسرآئيل وانجز وعده فاستخلفهم فى مشارق الارض ومغاربها كذلك وعد لهذه الامة
كما قال تعالى فى سورة النور وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين
من قبلهم والمراد بالارض ارض الكفار من العرب والعجم والمراد بالذين من قبلهم بنوا اسرآئيل
وفى الحديث ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان ملك امتى سيبلغ ما زوى لى منها يقول
ان الله تعالى جمع وضم جميع هذه الارض ليلة المعراج اوفى غير ذلك الوقت فرأيت جميع آفاق الارض من
المشارق والمغارب ثم وعد أمته بأن الله تعالى يملأ الدنيا كلها عدلا وقسطا كما ملئت قبل ذلك جورا وظلما وعلت

المؤمنين جميع الارض هذا على تقدير حمل اللام فى الارض على الاستغراق وقيل اللام للعهد الخارجى كما اذا
قيل اغلق الباب اذا كان مشاهدا ومن للتبيين ولا دليل على جمع جميع الارض ولم يبلغ ملك امته جميع اجزآئها
فاى موضع من الارض وقع نظره عليه السلام عليه كان دار الاسلام وأى مكان كان محجوبا عنه كان دار الكفر
والله اعلم بحقيقة الحال ومنه الكرم والنوال واليه الرجوع والمآل (وجاوزنا ببنى اسرآئيل البحر) فاعل بمعنى
فعل يقال جاوز وجاز بمعنى واحد وجاوز الوادى اذا قطعه وجاوز بغيره البحر عبر به فالباء هنا معدية كالهمزة
والتشديد فكأنه قال وجزنا ببنى اسرآئيل البحر اى اجزناهم البحر وجوزناهم وبالفارسية وبكذرانيديم
بنى اسرآئيل را ازدريا بسلامت * والمراد بحر القلزم واخطأ من قال انه نيل مصر قال فى القاموس القلزم كقنفذ
بلد بين مصر ومكة قرب جبل الطور واليه يضاف بحر القلزم لانه على طرفه او لانه يبتلع من ركبه لان القلزمة
الابتلاع (روى) انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشورآء فصاموا شكرا لله تعالى (فأتوا) اى مروا (على قوم)
كانوا من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم وقيل كانوا من لخم وهو حى من اليمن ومنهم
كانت ملوك العرب فى الجاهلية وعن الزمخشرى انه قبيلة بمصر (يعكفون على اصنام لهم) اى يواظبون على
عبادتها ويلازمونها قال فى تاج المصادر العكوف * كرد جيزى درآمدن ودرجايى مقيم شدن يقال
عكفه حبسه وعكف عليه اقبل عليه مواظبا (قالوا) عند ماشاهدوا احوالهم (يا موسى اجعل لنا الها)
مثالا نعبده (كما لهم آلهة) يعبدونها والكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها
وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذى استقر هو لهم فالعائد محذوف وكانت اصنامهم تماثيل
بقر وهو اول شأن العجل (قال انكم قوم تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق حيث لم يذكر المفعول لبعد ما صدر
عنهم عن العقل بعد ماشاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى (ان هؤلاء) يعنى القوم الذين يعبدون تلك
التماثيل (متبر) اسم مفعول من باب التفعيل يقال تبره تتبيرا اى كسره واهلكه والمعنى مكسر ومهلك
(ماهم فيه) اى من الدين الباطل يعنى ان الله تعالى يهدم دينهم الذى هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم
ويجعلها رضاضا اى فتاتا قوله ماهم فيه مبتدأ ومتبر خبره ويجوز أن يكون ماهم فيه فاعل متبر لاعتماده على
المسند اليه (وباطل) اى مضمحل بالكلية (ما كانوا يعملون) من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى
الله تعالى فانه كفر محض (قال) موسى (اغير الله) غير المستحق للعبادة (أبغيكم) بحذف اللام اى ابغى لكم اى
اطلب لكم (الها) تمييز من غير او حال فانه مفعول أبغى والهمزة فيه للانكار والمنكر هو كون المبغى غيره تعالى
(وهو فضلكم على العالمين) اى والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وهى الآيات القاهرة والمعجزات
الباهرة فانها لم يحصل مثلها لاحد من العالمين قال الحدادى على عالمى زمانكم من القبط وغيرهم بعد ما كنتم
مستعبدين اذلاء وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه
تفضلا بأن قصدوا الى اخس شئ من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له تعالى (قال الحافظ) همايى جون
تو عالى قدر حرص استخوان حيفست * دريغا سايهء همت كه برنااهل افكندى * فتبا لمن لا يعرف
قدره ويعلق همته بما لا ينبغى له * خلق را نيست سيرت بدران * همه برسيرت زمانه روند * ثم ذكر
نعمة الانجاء ومايتبعه فقال تعالى (واذ انجيناكم من آل فرعون) اى واذكروا يا بنى اسرآئيل صنيعة الله تعالى
معكم فى وقت انجائكم وتخليصكم من ايدى آل فرعون باهلاكهم بالكلية ثم استأنف بيان ما انجاهم منه
فقال (يسومكم سوء العذاب) اى يبغونكم أشد العذاب وافظعه من سام السلعة اذا طلبها ثم ابدل منه وبين
فقال (يقتلون ابناءكم) اى يذبحونهم (ويستحيون نساءكم) اى يستبقونهن للاستخدام (وفى ذلكم) اى الانجاء
او سوء العذاب (بلاء) اى نعمة او محنة فان البلاء يطلق على كل واحد منهما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات (من ربكم) من مالك اموركم فان النعمة والنقمة كلتيهما منه سبحانه وتعالى (عظيم) لا يقادر قدره
تقدم الكلام على الانجاء وفضيلة عاشورآء فى سورة البقرة فليطلب ثمة والاشارة ان بنى اسرآئيل صفات
القلب كانت معذبة فى مصر القالب وصفاتها فلما خلصها الله تعالى من بحر الدنيا وفرعون النفس فأتوا على
قوم اى وصلوا الى صفات الروح يعكفون على اصنام لهم من المعانى المعقولة والمعارف الروحانية
فاستحسنوها وارادوا العكوف على عتبة عالم الارواح قالوا لموسى الوارد الربانى الذى جاوز بهم بحر الدنيا

يا موسى

ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة يشير الى انه لولا ان فضل الله ورحمته على العبد يثبته على قدم العبودية وصدق الطلب الى ان يبلغه الى المقصد الاعلى لكان العبد يركن الى كل شئ من خسائس الدنيا فضلا عن نفائس العقبى كقوله تعالى لسيد البشر عليه السلام ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا قال لهم موسى الوارد الربانى عند ركونهم الى الروحانية انكم قوم تجهلون قدر الله وعنايته معكم ان هؤلاء يعنى صفات الروح متبر ما هم فيه من الركون والعكوف على استجلاء المعانى المعقولة والمعارف الروحانية وباطل ما كانوا يعملون فى غير طلب الحق والوصول الى المعارف الربانية قال أغير الله ابغيكم الها اى انزلكم منزلا غير الوصول والوصال وهو فضلكم على العالمين من الحيوانات والجن والملك تفضيل العبور من الجسمانيات والروحانيات والوصول الى المعارف والحقائق الالهيات واذ أنجيناكم من آل فرعون يعنى من النفس وصفاتها يسومونكم سوء العذاب اى سوء عذاب البعد يقتلون أبناءكم اى يبطلون اعمالكم الصالحة التى هى متولدات من صفات القلب بآفة الرياء والعجب النفسانى ويستحيون نساءكم يعنى صفات القلب لاستخدام النفس وصفاتها وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم يعنى فكان فى استخدام صفات القلب للنفس وصفاتها بأن تعمل الصالحات رياء وسمعة لجلب المنافع الدنيوية لحظوظ النفس بلاء عظيم من ربكم نخلصكم منه لئلا تطلبوا غيره ولا تعبدوا سواه فلا تركنوا الى الروحانية والى المعقولات لكى تظفروا بمراتب الوصول ودرجات الوصال كذا فى التأويلات النجمية وعن بعض الكبار اول وصال العبد الحق هجرانه لنفسه واول هجران الحق العبد مواصلته لنفسه واول درجات القرب محو شواهد النفس واثبات شواهد الحق ومن طلب الدلالة فانها لا غاية لها ومن طلب الله عز وجل وجده باول خطوة يقصده بها (قال الحافظ) غرض ز مسجد وميخانه ام وصال شماست * جز اين خيال ندارم خدا گواه منست * قال بعض الصالحين عرضت على الدنيا بزينتها فاعرضت عنها ثم عرضت الاخرى بحورها وقصورها وزينتها فاعرضت عنها فقيل لى لو أقبلت على الاولى حجبناك عن الاخرى ولو أقبلت على الاخرى حجبناك عنا فها نحن لك وقسمتك فى الدارين تأتيك وقال احمد بن خضرويه رأيت رب العزة فى المنام فقال لى يا احمد كل الناس يطلبون منى الا ابا يزيد فانه يطلبنى وقال ابراهيم بن ادهم رأيت جبريل عليه السلام فى المنام وبيده قرطاس فقلت ما تصنع به قال اكتب اسماء المحبين فقلت اكتب تحتهم محب المحبين ابراهيم بن ادهم فنودى يا جبريل اكتبه فى اولهم (وواعدنا) الوعد عبارة عن الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها (موسى) اسم اعجمى لا اشتقاق فيه واما موسى الحديد فهو مفعل من اوسيت رأسه اذا حلقته او فعلى من ماس يميس اذا تبختر فى مشيه فسميت موسى لكثرة اضطرابها وتحركها وقت الحلق (ثلاثين ليلة) سى شبانه روز چون مدار حساب شهور عرب برؤية هلالست وآن بشب مرئى ميشود تاريخ را بشب مقيد كردو ثلاثين مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اى تمام او مكث ثلاثين قال ابن الشيخ الموعود يجب ان يكون من فعل الواعد ونفس الثلاثين ليس كذلك فكأنه قيل وواعدنا موسى ما يتعلق بثلاثين ليلة وهو منا انزال عند اتمام صوم الثلاثين ومن موسى صوم تلك المدة واتيان الطور والتوراة بتغيير عبارته فواعدنا ليس بمعنى وعدنا بل على بابه بناء على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد (وأتممناها بعشر) اى زدنا على تلك الثلاثين عشر ليال (فتم ميقات ربه) ما وقت له فى الوقت الذى ضرب له والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات وقت تقدر لان يقع فيه عمل من الاعمال وان الوقت ما يقع فيه شئ سواء تقدره مقدر لان يقع فيه ذلك الشئ ام لا (اربعين ليلة) حال من قوله ميقات ربه اى تم بالغا هذا العدد وقيل هو مفعول تم لانه بمعنى بلغ (روى) ان موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو ذو القعدة بتمامه ليكلمه ويوحى اليه ويكرمه بما يتم به امر نبوته فصامهن موسى عليه السلام على طريق المواصلة بين لياليهن ونهارهن وانما لم يجع فى تلك المدة وصبر ولم يصبر نصف يوم فى سفر الخضر حيث قال آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لان سفر الخضر سفر التأديب والامتحان والابتلاء فزاد البلاء على الابتلاء حتى جاع فى نصف يوم فى صحبة المخلوق وحضوره الجبل وسفره اليه سفر اللقاء وصحبة الحق فأنساه هيبة الموقف الطعام والشراب واغناه عن غيره ثم لما اتم الثلاثين وانسلخ الشهر انكر خلوف فيه اى كره ان يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتسوك بعود خرنوب وتناول شيأ من نبات الارض فمضغه

فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندى من ريح المسك ولذا كره التسوك عند الشافعى فى آخر نهار الصوم بناء على ان السواك يزيل الخلوف فأمر الله تعالى بأن يزيد عليها عشرة ايام من ذى الحجة ليعود فوه الى ما كان عليه فصام فتشرف بالوحى والتكليم يوم النحر كذا قال اهل التفسير وفيه ان الوحى والتكليم اذا كان يوم النحر يلزم ان لا يكون ايام الصوم اربعين كلا وهو مخالف للنص اللهم الا ان تعتبر الليالى او كان صوم يوم النحر مشروعا فى شريعته هكذا لاح بالبال ثم ان موسى عليه السلام لما اراد الانطلاق الى الجبل للمناجاة امره الله تعالى ان يختار سبعين رجلا من قومه من ذوى الحجى والعقل ليشهدوا له على ما يشاهدونه من كرامة الله تعالى اياه ففعل واستخلف هرون اخاه فى قومه كما قال تعالى (وقال موسى لاخيه هرون) قبل انطلاقه الى الجبل الذى امر بالعبادة فيه كما فى تفسير الحدادى وهرون عطف بيان (اخلفنى) كن خليفتى وقم مقامى (فى قومى) وراقبهم فيما يأتون ويذرون (واصلح) ما يحتاج الى الاصلاح من امورهم وسر فيهم السيرة الصالحة التى لا فساد فيها وثبتهم على ما اخلفهم عليه من الايمان واخلاص العبادة (ولا تتبع سبيل المفسدين) اى ولا تتبع من سألك الافساد ولا تطع من دعاك اليه وذلك ان موسى عليه السلام كان يشاهد كثرة خلافهم حالا بعد حال فأوصاه فى امرهم فان قيل ان هرون كان شريك موسى فى النبوة قال تعالى خبرا عن موسى واشركه فى امرى فكيف استخلفه قلنا المأموران بشئ لا ينفرد احدهما بفعله الا بأمر صاحبه فلذلك قال اخلفنى ولأن موسى كان اصلا فيها وهرون معيناله قال موسى فأرسله معى ردئا يصدقنى ولهذا كان هو المناجى على الخصوص والمعطى للالواح ولما امر بالذهاب الى فرعون سأل الله ان يشرك معه هرون ولما ذهب الى الطور للمناجاة خلفه فى قومه واستخلفه وهو موضع الاعتراض فى الظاهر ولكن لا اعتراض على الاكابر لان حركاتهم الظاهرة انما تنبعث من دواعى قلوبهم وتلك الدواعى الهامات واردة من الله تعالى لا صنع لهم فيها فمن عرف دورانهم بأمر الهى هان عليه التطبيق والتوفيق وسقط عنه الاعتراض على اصحاب التحقيق مع ان درجات الانبياء متفاضلة كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمن منع الرؤية عن موسى منع المناجاة عن هرون وكون هرون شريكه فى الامر الظاهر لا يقتضى ان يكون رديفه فى الامر الباطن فان لكل مقام رجالا * رموز مصلحت ملك خسروان دانند * كداى كوشه نشينى تو حافظا مخروش * انظر أن موسى عليه السلام استخلف هرون واعتمد عليه فى حفظ قومه فعبدوا العجل فى العشر الذى زيد على الثلاثين ورسولنا صلى الله عليه وسلم قال الله خليفتى على أمتى فثبتهم الله على الحق واعلم ان ذا القعدة وذا الحجة من الاشهر الحرم ويكفى شرفا لهما ان الله تعالى امر موسى بصومهما وجعلهما محل قبول الحاجات وميقات المناجاة وفى الحديث صيام يوم من الاشهر الحرم يعدل شهرا وصيام يوم من غير الاشهر الحرم يعدل عشرا وفى الحديث من صام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة تسعمائة سنة وقال كعب الاحبار اختار الله الزمان فأحبه اليه الاشهر الحرم وذو القعدة من الاشهر الحرم بغير خلاف وسمى ذا القعدة لقعودهم فيه عن القتال احتراما له فعلى السالك ان يتهيأ فيه لمناجاة ربه بالصوم الظاهرى والامساك الباطنى فان موسى روحه متشوف لنوال الوصال ومتطلب لرؤية الجمال والاشارة فى الآية ان الميعاد فى الحقيقة كان اربعين ليلة وانما اظهر الوعد ثلاثين ليلة لضعف البشرية ولئلا تستكثر النفس الاربعين وتسوّل له أن لا يقوى على ذلك فيداخله خوف البشرية فواعده ثلاثين ليلة ثم اتمها بالعشر وفيه ان للاربعين خصوصية فى استحقاق استماع الكلام للانبياء كما ان لها اختصاصا فى ظهور ينابيع الحكمة من قلوب الاولياء كقوله عليه السلام من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه قال اهل العرفان ان سر التربيع جارى فى الحقائق الكلية كتربيع العرش الاعظم والعناصر الاربعة والاركان الاربعة والاربعين الموسوية وكان بين خلق آدم ونفخ روحه اربع جمع من جمع الآخرة فاكمل الاشكال تأثيرا صورة التربيع فى الاحاد والاعشار والمئات والالوف كما اشار صلى الله عليه وسلم بقوله خير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعمائة (ولما جاء موسى لميقاتنا) اى لوقتنا الذى وقتناه وعيناه وحددناه له وهو تمام الاربعين اى اختص مجيئه بميقاتنا كما فى قولك أتيته لعشر خلون من الشهر فاللام للاختصاص وليست بمعنى عند والميقات بمعنى الوقت وقد سبق الفرق بينهما فى المجلس

المتقدم ان قيل لم وعده الله بالكلام فى الجبل وفوق العلى وتحت الثرى واحد عند حضرته وهو منزه عن الجهات قيل ان فى الجبل وصف الثبات والعلو والتفرد لان الارض ما استقرت بغير الجبال فأثبتها الحق بها واوتدها حكمة منه وعرض الامانة عليها لاتصافها بصفة التثبت والتمكن والتفرد والتعلى ولذلك فضل الجبال فى الامكنة وشرفها بمشهد الكلام وتعلق تجلى الجمال وعرض الامانة عليها وشرح الصدر المحمدى فيها ومناجاة موسى عليها فبدا من ذلك ان فى المقامات فاضلا ومفضولا قال حضرة الشيخ الشهير باقتاده افندى البروسوى خير الجماعة جماعة الارواح وجماعتهم فى الجبال والمواضع الخالية وعلامة مجيئهم انه لايذهب خضرة ذلك الموضع ونضارته فى الصيف والشتاء قال ونحن انما جئنا الى هذا المكان فى هذا الجبل بناء على مجيئهم يقول الفقير يعنى به موضع زاويته المنيفة فى مدينة بروسة فى سفح الجبل المعروف هنالك وقد زرته وزرت مرقده العالى فى داخل القلعة قدس الله سره وقال وهب جاء الى طور سيناء ومعه جبريل فتطهر وطهر ثوبه وانزل الله الظلمة على سبعة فراسخ وطرد عنه الشيطان وطرد عنه هوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهوآء ورأى العرش بارزا وسمع صرير القلم (وكلمه ربه) من غير واسطة وكيفية كما يكلم الملائكة وكان جبريل معه فلم يسمع ما كلمه ربه ولذا اخص باسم الكليم لاختصاصه بذلك من بين البشر فان سائر الانبياء عليهم السلام انما يكلمهم الله بواسطة الكتاب والملك فان قيل بأى شئ علم موسى انه كلام الله قيل لم ينقطع كلامه بالنفس مع الحق كما ينقطع مع المخلوق بل كلمه بمدد وحدانى غير منقطع شاهد نفسه بمنزلة الآلة عند الصانع والآلة يحركها الاستاذ كيف يشاء لانه ليس للآلة تصنع وتعمل وقيل علم انه كلام الحق ومنزه عن غيره بأنه سمع الكلام من الجوانب الستة فصارت جميع جوارحه كسمعه فصار الوجود كله سمعا فوجد لذة الكلام بوجوده كما وجدها بسمعه قال ابن الشيخ فى حواشيه كلامه تعالى صفة ازلية قائمة بذاته ليست من جنس هذه الحروف والاصوات وكما لا تبعد رؤيته تعالى مع ان ذاته ليست جسما ولا عرضا فكذلك لايبعد سماع كلامه مع كونه ليس من جنس الحرف والصوت انتهى وفى حل الرموز المؤمن فى الآخرة وجه محض وعين محض وسمع محض ينظر من كل جهة وبكل جهة وعلى كل جهة وكذا يسمع بكل عضو من كل جهة بغير جهة خاصة واذا شاهد الحق يشهده بكل وجه ليس فيه من الجهات ولا يحتجب سمعه وبصره بالجهات كما اشار سبحانه بقوله كنت سمعه وبصره والكامل الواصل له حكم الآخرة فى الدنيا كما قال سيد الواصلين موتوا قبل ان تموتوا وحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا انتهى يقول الفقير هذا ليس بمحل الجرح والانكار لان الله تعالى وان خلق حاسة السمع لادراك الاصوات لكن يجوز أن يدرك بحاسة ما يدرك بحاسة اخرى كما ذهب اليه علماء الكلام لان ذلك الادراك بمحض خلق الله تعالى من غير تأثير للحواس فلا يمتنع ان يخلق عقيب صرف الباصرة ادراك الاصوات مثلا فثبت ان كل عضو من الاعضاء الانسانية يجوز أن يخلق الله تعالى فيه ما خلق فى السمع من ادراك الاصوات ان قيل لم لم يكلم الله سائر الانبياء مشافهة الا موسى قيل لانه لم يكن لهم من الاعدآء ما لموسى كفرعون وهامان وقارون واليهود ولم يكن قوم أسوأ ادبا واقسى قلبا من قومه فخصه الله بكلامه الا ترى سحرة القبط آمنوا فى اول دعوته وكفر قوم من اليهود بعد مشاهدتهم معجزات كثيرة فأيده الله بكلامه ليتحمل به ما امتحن به من البلايا فى قومه يقول الفقير كون عدو موسى اقوى وأشد انما هو بالنسبة الى اعدآء الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قد ثبت ان فرعون آمن عند الغرق واما ابو جهل فلا بل اظهر العداوة عند النزع فاعتبر منه قوة حاله وعلو مقامه صلى الله عليه وسلم فى المكالمة والرؤية ليلة المعراج وفى الحديث ناجى موسى ربه بمائة الف وأربعين ألف كلمة فى ثلاثة ايام وصايا كلها كذا فى الوسيط وقال بعضهم كلم الله موسى اربعين يوما وليلة وهذا والله أعلم غير الاربعين المتقدمة على الوحى والتعليم وعن فضيل بن عياض قال حدثنى بعض اشياخى ان ابليس جاء الى موسى وهو يناجى ربه فقال الملك ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحال يناجى ربه قال ارجو منه ما رجوت من ابيه آدم وهو فى الجنة وكذا قال السدى لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس فى الارض حتى خرج من بين يدى موسى فوسوس اليه ان مكالمك شيطان يقول الفقير يرده ما سبق من ان الشيطان طرد عنه وقتئذ وهو الصحيح لان المقام لايسع الشيطان وانما سلطانه على اهل الملك دون ارباب الملكوت وفرق بينه وهو مناج فى الطور وبين آدم وهو معاشر فى الجنة فان قلت قوله تعالى فى سورة الحج وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى

الشيطان فى امنيته يدل على ان كل نبى مبتلى بذلك خصوصا وقت التلاوة وهى من انواع المناجاة قلت فرق بين التلاوة الظاهرة والمناجاة الباطنة الاترى الى قوله عليه السلام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل فاظنك بالشيطان المردود الى اسفل سافلين البعد هكذا لاح ببالى والله اعلم ولما سمع موسى كلام ربه غلب عليه الشوق الى رؤيته وقال هذه لذة الخبر فكيف لذة النظر مع ان الكل يعمل على شاكلته وشاكلة البشر وفطرته على طلب العلو والترقى اذا ظفر بشئ طلب ما هو اعلى منه ولا اعلى من تجلى الجمال وفيض الوصال فسأل الرؤية (وفى التفسير الفارسى) چون موسى كلام حق شنيد وازجام كلام ربانى جرعهٔ ذوق محبت چشيد فراموش كردكه اودر دنياست خيال بست كه درفردوس اعلاست وچون جنت جاى مشاهدهٔ لقاست (قال رب أرنى) ذاتك اى مكننى من رؤيتك (انظر اليك) ارك فالنظر بمعنى الرؤية الا ان المطلوب بقوله ارنى ليس ان يخلق الله تعالى رؤية ذاته المقدسة فى موسى حتى يلزم كون الشئ غاية لنفسه بأن يكون المعنى ارنى نفسك حتى اراك لانه فاسد بل المطلوب به ان يمكنه من رؤية ذاته المقدسة وتمكينه تعالى اياه من الرؤية سبب لرؤية موسى اياه تعالى فأطلق عليه اسم الرؤية المسببة عنه مجازا (روى) عن ابن عباس رضى الله عنه قال لما قال موسى عليه السلام أرنى انظر اليك كشف الحجاب وابرزله الجبل وقال انظر فنظر فاذا امامه مائة ألف نبى واربعة وعشرون ألف نبى محرمين ملبين كلهم يقول أرنى ارنى واعلم ان الاجساد تنمو بنماء الاقوات كذلك الاحوال تصفو بصفاء الاوقات فقوت جسدك ما غذيته من الطيبات وقوت روحك ما ربيت به من اقوات الطاعات فى اوقات الخلوات وكما صفت الاوانى جلت ما فيها من جواهر المعانى فاذا كان عين بصيرتك منطمسة وخيول همتك منحبسة فمالك والتطاول الى منازل قوم عيون قلوبهم منبجسة ومرائرهم لانوار معارفهم من جذوة الغيب مقتبسة فلا تدع بما ليس فيك وحسبك ما يعلم الله منك ويكفيك فينبغى لك ان تقف وقوف الاصاغر وتتأدب بآداب الاكابر هذا كليم الله موسى لما كان طفلا فى حجر تربية الحق سبحانه ما تجاوز حده بل قال رب انى لما انزلت الى من خير فقير فلما بلغ مبلغ الرجال ما رضى بطعام الاطفال بل قال رب ارنى انظر اليك وهو حجة اهل السنة والجماعة على جواز رؤية الله تعالى فان موسى اعتقد جوازها حين سألها واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله تعالى كفر ومن جوز ذلك على موسى او على احد من الانبياء فهو كافر كما فى التيسير قال حضرة الشيخ الكبير صدر الدين القنوى فى فك ختم الفص الداوودى من شأن الكمل ان كل ما هو متعذر الحصول لاحد من الخلق هو عندهم وبالنسبة الى كمال قابليتهم غير متعذر ولا يستحيل الا ان يخبرهم الحق باخبار مخصوص خارج من خواص المواد والوسائط فحينئذ يصدقون ربهم ويحكمون باستحالته وحصول ذلك لحال موسى فى طلب الرؤية على وجه مخصوص فلما اخبر بتعذر ذلك تاب وآمن انتهى (قال) الله تعالى وهو استئناف بيانى (لن ترانى) لم يقل لن تنظر الى كقوله انظر اليك لان المطلوب هى الرؤية التى معها ادراك لا النظر الذى هو عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئى لانه قد يتخلف عنه الادراك فى بعض الصور قال فى التفسير لن ترانى نتوانى ديد مرادر دنيا چه حكم ازلى برآن وجه واقع شده كه هر بشرى كه در دنيا بمن نظر كند بميرد وفى المدارك لن ترانى بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية (صاحب كشف الاسرار) كويدكه مقام موسى دران ساعت كه خطاب لن ترانى شنيد عالى بود ازان وقتكه كفت ارنى زيرا اين ساعت درعين مراد حق بود وآن وقت درعين مراد خود قائم بمراد حق بود كاملترست ازقيام بمراد خود * لن ترانى ميرسد ازطور موسى راجواب * هرچه آن ازدوست آيد سربنه كردن متاب * وهو دليل لنا ايضا لانه لم يقل ان ارى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لاخبر بأنه ليس بمرئى اذ الحالة حالة الحاجة الى البيان فهو لا يدل على امتناع رؤيته فى نفس الامر بل يدل على قصور الطالب عن رؤيته لتوقف الرؤية على حصول ما يستعد به الطالب لرؤيته وعدم حصول ذلك المعد فيه بعد فانه يجوز ان يبقى فيه حينئذ شئ من الحجاب المانع لرؤيته اياه لم يرتفع ذلك الحجاب بعد يقول الفقير هذا ما عليه اكثر اهل التفسير وهو ليس بمرضى عندى لان اتيان الطور لم يكن فى اوائل حاله عليه السلام بل كان ذلك نظير المعراج المحمدى بالنسبة الى مرتبته والتحقيق بعيد عن درك اهل التقليد وقد سألت حضرة شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامة عن قولهم فى قوله تعالى لن ترانى

اى بشريتك ووجودك فقال ان البشرية تنافى الرؤية وموسى عليه السلام انما سأل الرؤية بالنسبة الى ظاهر البشرية والوجود الكونى وهى لا تمكن ابدا بل لو تعلقت الرؤية بذات الله تعالى لتعلقت حالة الفناء فى الله واضمحلال حال البشرية فقلت يرد عليه ماوقع ليلة المعراج من الرؤية بعين الرأس فقال انه حبيب الله رأى ربه فى تلك الليلة بالسر والروح فى صورة الجسم ولاجسم هنالك لانه تجاوز فى سيره عن عالم الاجسام كلها بل عن عالم الارواح حتى وصل الى عالم الامر فقلت يرد عليه ان الانبياء والاولياء مشتركون فى الرؤية بالبصيرة حالة الفناء الكلى فلا فرق بين موسى ومحمد عليهما السلام فأى فائدة فى قوله لن ترانى وايضا فى عروجه عليه السلام الى مافوق العرش فان تلك الرؤية انما تحصل فى مقام العينية الجمعية القلبية لافى مقام الغيرية الفرقية القالبية فقال ان امر الرؤية وان كان محتاجا الى الانسلاخ التام عن الاكوان مطلقا الا ان الانسلاخ بالقلب والقالب مختص بنبينا عليه السلام فان موسى وكذا غيره من الانبياء عليهم السلام انما يرون بالانسلاخ حين كون قوالبهم فى عالم العناصر واما محمد صلى الله عليه وسلم فقد تجاوز عن عالم العناصر ثم عن عالم الطبيعة وذلك بالقلب والقالب جميعا فأنى يكون هذا لغيره فافهم جدا انتهى ماجرى بينى وبين حضرة الشيخ من السؤال والجواب وماتحاورناه فى المجلس الخاص المفتوح بابه للاحباب لا للاغيار وأهل الانكار والارتياب وقد كان ذلك كالقطرة من البحر الزاخر بالنسبة الى مايحوى به قلبه الحاضر قدس الله سره ورزقنى وجميع الاحباب شفاعته قال مرجع طريقتنا الجلوتية بالجيم حضرة الشيخ الشهير بافتاده البروسوى كما ان للانسان عينين فى الظاهر كذلك له عينان فى قلبه فاذا انفتحتا يشاهد بهما تجلى الصفات ولهما ايضا حدقتان لكنهما فى غاية اللطافة وانما قلنا يشاهد بهما تجلى الصفات لان تجلى الذات لا يشاهد الا بعين معنوية وراء عين القلب لا حدقة لها الا كما زعمت الملاحدة والعياذ بالله تعالى فان الممكن الحقيقى غير الواجب الحقيقى كيف والسالك الواصل اذا أفنى وجوده يصير معدوما والمعدوم لا يحكم عليه بشئ فضلا عن الحلول والاتحاد بل اذا عبر بالاتحاد يراد به التقرب التام على وفق رضاه تعالى كما يراد ذلك فى قولهم فلان متحد مع فلان اذ لا شك انهما شخصان مستقلان حقيقة ومعنى كونه معدوما ماذا ذلك انه يتلاشى ويغيب فى بحر الاستغراق وانوار التجلى بحيث يغيب عن نظره ماسوى الله تعالى حتى ينظر ولا يجد نفسه للتوجه التام الى جنابه والاعراض الكلى عماسوى الله تعالى كمن جعل نظاره الى جانب السماء لا يرى له الارض ومن نظر الى المشرق لا يرى له المغرب لا انه يعدم وجوده الخارجى ويضمحل والانبياء عليهم السلام وان تجلى لهم الذات الا ان تعين نبينا اوفق الكل حتى ان موسى لما سأل ربه التجلى عن تعين نبينا قال تعالى لن ترانى كذا اوله بعضهم وليس بشئ لانه عالم بمرتبة المصطفى صلى الله عليه وسلم فكيف يطلبها لخطاب موسى لن ترانى لقطع طمع قومه حيث قالوا ارنا الله جهرة لانه اذا خوطب بذلك فهم اولى به فهذا فى الحقيقة ايس بالنسبة الى موسى عليه السلام فانه قد نال سعادة التجلى مرارا واصطفاه برسالته وبكلامه الى هنا كلام افتاده افندى كما فى الواقعات المحمودية وقال الشيخ على دده فى اسئلة الحكم فان قلت ماالحكمة الربانية فى منعه الرؤية فى الموطن الدنيوى قيل لان الرؤية غاية الكرامة فى الدنيا وغاية الكرامة فيها لاكرم الخلق وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود الذى شاهد ربه ليلة المعراج بعينى رأسه على هذا فابحث وقيل لو اعطاه الرؤية بالسؤال لكانت الرؤية مكافأة لسؤاله والرؤية فضل لا مكافأة وهى ربانية لا مدخل للسؤال والتعمل فيها فهى امتنان محض من الله تعالى قال الامام الواحدى كون كلمة لن مفيدة لتأبيد النفى دعوى باطلة على أهل اللغة لا يشهد لصحتها كتاب معتبر ولا نقل صحيح ويدل على فساده قوله تعالى فى صفة اليهود ولن يتمنوه أبدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة ويقولون فيه يامالك ليقض علينا ربك ويا ليتها كانت القاضية اى الموت فالاخبار بأن موسى لا يرى الله لا يدل على انه لا يراه أبدا كما ذهبت اليه المعتزلة (قال المولى الجامى) جهان مرآت حسن شاهد ماست * فشاهد وجهه فى كل ذرات (قال الحافظ) چو مستعد نظر نيستى وصال مجوى * كه جام جم نكند سود وقت بى بصرى (ولكن انظر الى الجبل) اى لا تطلب النظر الى فانك لا تطيقه ولكن اجعل بينى وبينك ما هو اقوى منك وهو الجبل الذى بحضرتك قال الكاشفى هو اعظم جبل بمدين يقال له زبير وفى القاموس زبير كأمير الجبل الذى كلم الله عليه موسى صلى الله عليه وسلم وقال ابن الجوزى فى مرآة الزمان والاصح انما خوطب موسى على جبل الطور الذى يقرب بحر القلزم

فلما سمعت الجبال تعاظمت رجاء ان يتجلى لها وجعل زبير أو الطور يتواضع فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينها وخصه بالتجلى كذا فى عقد الدرر واللآلى (وفى المثنوى) اى خنك آنرا كه ذات نفسه * واى آن كز سركشى شد چون كه او * وقال اهل الاشارة ان موسى عليه السلام لما أراد الخروج الى الميقات جعل بين قومه وبين ربه واسطة بقوله لأخيه هرون اخلفنى فى قومى فلما سأله الرؤية جعل الله بينه وبينها واسطة وهى الجبل فقال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فقال ان لم اصلح لخلافتك دون اخيك فأنت لا تصلح لرؤيتى دون الجبل (فان استقر مكانه) اى سكن وثبت (فسوف ترانى) فسوف تطيق أن تنظر الىّ وان لم يستقر مكانه فانك لا تطيق النظر الىّ فان الجبل مع صلابته لما تأثر من التجلى ولم يطق ذلك بل اندك وتفتت وتلاشى فكيف يطيق الانسان الذى يدهش عند مشاهدة الامور الهائلة فكيف عند مشاهدة ذى العظمة والجلال المطلق الذى لا يوصف جلاله وكبرياؤه وهو دليل لنا ايضا لانه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشئ بما هو ممكن يدل على امكانه كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه الا ترى ان دخول الكفار الجنة لما استحال علقه بمستحيل قال حتى يلج الجمل فى سم الخياط والدليل على انه ممكن قوله جعله دكا ولم يقل اندك وما اوجده تعالى كان جائزا ان لا يوجد لانه مختار فى فعله ولانه تعالى ما آيسه من ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله انى اعظك ان تكون من الجاهلين حين سأل انجاء ابنه من الغرق (فلما تجلى ربه للجبل) ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره ومعنى ظهور عظمته واقتداره للجبل تعلقهما به وظهور أثرهما فيه وانما حمل على هذا المعنى لان ظهور ذاته للجماد غير معقول قال فى تفسير العيون كشف نوره من حجبه قدر ما بين الخنصر والابهام اذا جمعتهما اى اذا وضعت الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر وعن سهل ابن سعد الساعدى ان الله أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم وفى التفسير الفارسى يعنى ظاهر كرد نمايد از نور خود يا از نور عرش بمقدار سر سوفار سوزنى وقال الشيخ ابو منصور معنى التجلى للجبل ما قال الاشعرى انه تعالى خلق فى الجبل حياة وعلما ورؤية حتى رأى ربه وهذا ايضا فيه اثبات كونه مرئيا (جعله دكا) مصدر بمعنى المفعول اى صيره مدكوكا مفتتا واذا حل بالجبل ما حل مع عظم خلقه فما ظنك يا ابن آدم الضعيف كما فى تفسير الكواشى قال بعض الكبار جعل الله الجبل فدآء لموسى ولولا ان موسى كان مدهوشا لذاب كما ذاب الجبل قالوا عذب اذ ذاك كل ماء وافاق كل مجنون وبرئ كل مريض وزال الشوك عن الاشجار واخضرت الارض وازهرت وخمدت نيران المجوس وخرت الاصنام لوجوههن وانقطعت اصوات الملائكة وجعل الجبل ينهدم وينهال ويضطرب من تحت موسى حتى اندق كله فصار ذرات فى الهوآء والذر هو الذى يرى اذا دخل الشعاع فى الكوى تلك الكوة وفى بعض التفاسير صار لعظمته ستة اجبل وقعت ثلاثة بالمدينة احد وورقان ورضوى وثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء وفى تفسير الحدادى فصار ثمانى فرق اربع قطع منه وقعن بمكة ثور وثبير وحراء وغار ثور واربع قطع وقعن بالمدينة أحد وورقان ورضوى والمهراس وقال الحسن صار الجبل ثلاث فرق ساخت فرقة منه فى الارض وطارت فرقة فى البحر وطارت فرقة فوقعت بعرفات فهو شاحب مقشعر من مخافة الله تعالى (وفى التفسير الفارسى) عجب سريست كه كوه با آن عظمت تحمل ديدار نداشت ودل انسانرا بحكم ولكن ينظر الى قلوبكم) طاقت آن نظر هست نكته درين آنست كه تجلى بر كوه بنظر وهيبت بود وتجلى بر دل بنظر رحمت آن نظر كوه را ويران ساخت واين نظر دل را معمور سازد * والاشارة ان الجبل صورة الجسم الحجابى والجسم غير مستعد للتجلى ما لم يندك ويضمحل بالرياضة والفناء وانما التجلى للروح فى مقام القلب والجبل صورة التحيز الكونى والحصر الجسمانى ومشهد التجلى غير متحيز والسر فافهم وعليه فابحث كذا فى اسئلة الحكم (وخر موسى صعقا) اى سقط مغشيا عليه من هول ما رأى من عشية الخميس وهو يوم عرفة الى عشية يوم الجمعة وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقال قتادة ميتا وقول ابن عباس اظهر لان الله تعالى قال فلما افاق ولا يقال للميت أفاق من موته ولكن يقال بعث من موته كما قال فى حديث السبعين ثم بعثناكم من بعد موتكم (وفى المثنوى)

جسم خاك از عشق بر افلاك شد * كوه در رقص آمد وچالاك شد * عشق جان طور آمد عاشقا * طور مست وخر موسى صعقا *

قال حضرة الشيخ افتاده افندى قدس سره الجبل المذكور وان احترق ظاهره ولكن له وجود معنوى كان ذلك لعلا خالصا بانعكاس التجلى من موسى ولذلك رآه كاللعل وكالمه

وذلك الجبل يدخل الجنة وان كان من الدنيا بسبب كونه مظهر التجلى كما ان الكعبة ومسجد المدينة وبيت المقدس تدخل الجنة (فلما افاق) من صعقته قال المولى ابو السعود رحمه الله الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب (قال) تعظيما لما شاهده (سبحانك) اى تنزيها لك من أن أسالك بغير اذن منك (تبت اليك) اى من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن اومن السؤال فى الدنيا فانك انما وعدتها فى الآخرة (وانا اول المؤمنين) اى بعظمتك وجلالك اواول من آمن بانك لاترى فى الدنيا * اى كه زيك لمعه ات كوه بصد پاره شد * چه عجب ازمشت كل عاجز وبيچاره شد * قال وهب بن اسحق لما سأل موسى ربه الرؤية ارسل اليه الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق واحاطت بالجبل الذى عليه موسى اربعة فراسخ من كل جانب وامر الله عز وجل ملائكة السموات ان يعرضوا على موسى فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ثم امر الله ملائكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى فهبطوا عليه امثال الاسود ولهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة فى رأسه وجسده ثم قال لقد ندمت على مسألتى فهل ينجينى من مكانى الذى انا فيه شئ فقال له خير الملائكة ورأسهم ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم امر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى فهبطوا عليه امثال النسور لهم لجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كجلبة الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد نفسه وأيس من الحياة وقال له خير الملائكة مكانك ياابن عمران حتى ترى مالاتصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة فهبطوا ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية مرتفعة بالتسبيح والتقديس لايشبههم شئ من الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وارتعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له رئيس الملائكة اصبر ياابن عمران لما سألت فقليل من كثير ما أريت ثم امر الله ملائكة السماء الخامسة فهبطوا ولهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل اصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ياابن عمران مكانك حتى ترى بعض مالاتصبر عليه ثم امر الله ملائكة السماء السادسة فهبطوا وفى يد كل ملك منهم نار مثل النخلة الطويلة أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لايموت فى رأس كل ملك منهم اربعة اوجه فجعل يسبح موسى معهم وهو يبكى ويقول رب اذكرنى ولاتنس عبدك فقال كبير الملائكة ياابن عمران اصبر لما سألت ثم امر الله ان يحمل عرشه فى السماء السابعة وقال اروه اياه فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة الرب ورفعت ملائكة السموات جميعا أصواتهم يقولون سبحان الله القدوس رب العزة أبدا لايموت فاندك الجبل وكل شجرة كانت فيه وخر موسى على وجهه ليس معه روح فأرسل الله برحمته الروح فتغشاه وقلب الحجر الذى عليه موسى وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى ثم أقامه كما تقيم الام جنينها اذا وضعته فقام موسى يسبح الله تعالى ويقول آمنت بك رب وصدقت انه لايراك أحد فى الدنيا فيحيى من نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب وملك الملوك لايعدلك شئ ولا يقوم لك شئ تبت اليك الحمد لك لاشريك لك قال فى التيسير قد روى فى هذا احاديث فيها ذكر نزول الملائكة والتعنف على موسى بما سأل ولكن ليس ورودها على وجه يصح ولايجوز قبولها لانها لاتليق بحال الانبياء انتهى قال بعض المحققين من ارباب المكاشفة ان موسى عليه السلام طلب رؤية ذاته تعالى مع هوية نفسه حيث قال رب ارنى أنظر اليك مشيرا الى هويته بصيغة المتكلم فرده الله تعالى بقوله لن ترانى اى مع بقاء هويتك التى تخاطب بها ولكن انظر الى الجبل اى بذاتك وهويتك فان استقر مكانه ولم يكن فانيا فسوف ترانى بهويتك فلما تجلى ربه للجبل اى القى عليه من نوره فاضطرب بدنه من رهبته جعله دكا وخر موسى صعقا وفنى عن هويته فرأى الحق بعين الحق فلما أفاق قال سبحانك تبت الان من مسألة الرؤية مع بقاء الهوية وقال فى التأويلات النجمية ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه يعنى ولما حصل على بساط القرب تتابع عليه كاسات الشراب من صفو الصفات ودارت أقداح المكالمات وأثر فيه لذاذات الكلمات فطرب واضطرب اذ سكر من شراب الواردات وتساكر من سماع الملاطفات فى المخاطبات فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه وعند استيلاء سلطان الشوق وغلبات دواعى المحبة فى الذوق قال رب أرنى انظر اليك قيل هيهات أنت فى بعد

الانّيّة منكوب ويحجب جبل الانانية محجوب وانك اذا نظرت بك الىّ لن ترانى لانه لا يرانى الا من كنت له بصرا فبى يبصر ولكن انظر الى الجبل جبل الانانية فان استقر مكانه عند التجلى فسوف ترانى بيصر انانيتك فلما تجلى ربه للجبل جبل انانيته جعله دكا فانيا كان لم يكن وخرّ موسى صعقا بلا انانيّة وكان ما كان بعد ان بان ما بان فأشرقت الارض بنور ربها وجاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

قد كان ما كان سرّا لا ابوح به * فظنّ خيرا ولا تسأل عن الخبر

ولو لم يكن جبل انانية النفس بين موسى الروح وتجلى الرب لطاش فى الحال وما عاش ولولا القلب كان خليفته عند الفناء بالتجلى لما أمكنه الافاقة والرجوع الى الوجود فافهم جدا ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استعد بالتجلى ولا بالتحلى تفهم ان شاء تعالى فلما افاق من غشية الانانية بسطوة تجلى الربوبية قال موسى بلاهويته سبحانك تنزيها لك من خلقك واتصال الخلق بك تبت من انانيتى اليك الى هويتك بك وانا اول المؤمنين بانك لا ترى بالانانية ولا ترى الا بنور هويتك بك انتهى وقال القشيرى ولما جاء موسى مجيء المشتاقين ومجيء المغلوبين جاء موسى بلا موسى ولم يبق من موسى لموسى والاف آلاف رجال قطعوا مسافات وتحملوا مخافات فلم يذكرهم احد وهذا موسى خطى خطوات والى يوم القيامة يقرأ الصبيان ولما جاء موسى لميقاتنا باسطه الحق بالكلام فلم يتمالك ان قال رب ارنى انظر اليك فان غلبات الوجد استنطقته بكمال الوصلة من الشهود وقالوا لا يؤاخذ المغلوب بما يقول وقالوا انه لا يشكر ثم ينكر قال وأشد الخلق شوقا الى الحبيب اقربهم من الحبيب هذا موسى وقف فى محل المناجاة وحفت به الكرامات وكلمه بلا واسطة ولا جهات قال رب ارنى انظر اليك كانه غائب هو شاهد لكن ما ازداد القوم شربا الا ازدادوا عطشا ولا ازدادوا قربا الا ازدادوا شوقا وقال سأل موسى الرؤية بالكلام فأجيب لن ترانى بالكلام وامر المصطفى فى قلبه ما كان يرجوه من تحويل القبلة من ربه فقيل له قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها وقال انه سأل الله الرؤية فقال لن ترانى وقال للخضر هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا فصار جوابه لن من الحق ومن الخلق ليبقى موسى بلا موسى ويصفو موسى عن كل نصيب لموسى بموسى وانشد فى معناه فقيل

أبى ابينا نحن أهل منازل * ابدا غراب البين فينا ينعق

والبلاء الذى ورد عليه بقوله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا اشد من قوله لن ترانى لانه صريح فى الرؤية وفى اليأس راحة وقوله فان استقر مكانه فسوف ترانى هذا اطماع فيما منعه فلما اشتد توقعه جعل الجبل دكا وكان قادرا على امسالك الجبل لكنه قهر الاحباب وبه سبق الكتاب وفى قوله انظر الى الجبل بلاء شديد لموسى لانه منع عن رؤية مقصوده وأمر برؤية غيره ولو أمر بأن يغمض عينيه لا ينظر الى شئ بعده لكان الامر اسهل عليه ولكنه قيل له لن ترانى ولكن انظر الى الجبل ثم أشد من ذلك أن الجبل أعطى التجلى ثم امر موسى عليه السلام بالنظر الى الجبل الذى قدم عليه فى هذا السؤال وهذا اصعب شديد ولكن موسى رضى به وانقاد لحكمه وفى معناه أنشدوا

اريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما اريد لما يريد

وقيل بل هو لطف به حيث لم يصرح برده بل علله عونا له على صبره وقيل قد دنا اصبر قليلا قليلا ولما منع النظر رجع الى رأس الامر فقال تبت اليك ان لم تكن الرؤية التى هى غاية الرتبة من رأس الامر وهو التوبة ثم هذا اناخة لعقوق العبودية وشرطها أن لا تبرح عن محل الخدمة ان حال بينك وبين وجود القربة لان القربة حظ نفسك والخدمة حق ربك ولأن تكون بحق ربك أتم من ان تكون بحظ نفسك كذا فى تفسير التيسير نقلا عن القشيرى ذكر بعضهم أن رؤية الله تعالى ممكنة فى الدنيا قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى الرؤية فى الآخرة موعودة واما فى الدنيا وان كانت فى حيز الامكان لكنها غير موعودة ولم تجر عادة الله عليها انتهى وقد ذكرنا موانع الرؤية فى سورة البقرة وانواع الرؤية فى سورة الانعام وفى الواقعات المحمودية سأل بعض الكبار من العلماء وقال الذى لا زمان له ولا امكان فى اى مكان والادب فى السؤال أن يقال المنزه ذاته عن الزمان والمكان بأى وجه يطلب وبأى طريق يوجد ويوصل اليه وكذا الادب فى الجواب أن يقال من أراد رؤية جماله فلينظر فى قلوب أوليائه فان قلوبهم مظاهر ومرايا لجماله واعلم ان المعتزلة أنكروا رؤية الله تعالى حتى قال

صاحب الكشاف تشنيعا وتقبيحا وتضليلا لاهل السنة والجماعه ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من مصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة * لكنهم حمر لعمرى مؤكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

(وقال بعضهم جوابا عنهم)

عجبا لقوم ظالمين تلقبوا * بالعدل ما فيهم لعمرى معرفه
قد جاءهم من حيث لا يدرونه * تعطيل ذات الله مع نفى الصفه

(قال المولى ابراهيم الاروسقى)

رضينا كتاب الله للفصل بيننا * وقول رسول الله اوضح فاصل
وتحريف آيات الكتاب ضلالة * وليس بعدل رد نص الدلائل
وتضليل اصحاب الرسول وذمهم * وتصويب آراء النظام وواصل
ولو كان تكذيب الرسول عدالة * فأعدل خلق الله عاص بن وائل
فلولاك جار الله من فرقة الهوى * لكنت جديرا باجتماع الفضائل

(قال) الله تعالى لموسى حين قال تبت اليك وانا اول المؤمنين (ياموسى) ان منعتك الرؤية لصلاح حالك وبقاء ذاتك فلا تكن مغموما محزونا لذلك (انى اصطفيتك) اى اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك (على الناس) اى الموجودين فى زمانك وهرون وان كان نبيا واكبر منه سنا كان مأمورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع او على الناس جميعا لان الرسالة مع الكلام ولم يحصل هذا المجموع لغيره وانما قال على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد سمعوا كلامه تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى عليه السلام (برسالاتى) جمع الرسالة وهى فى الاصل مصدر بمعنى الارسال والمراد به هنا الشئ المرسل به الى الغير وهو اسفار التوراة جمع سفر بمعنى الكتاب يقال سفره اذا كتبه وألواح التوراة اسفار من حيث انها كتب فيها التوراة (وبكلامى) اى وبتكلمى اياك بلا واسطة وقيل المضاف محذوف اى وسماع كلامى وهذا رد قول من يقول ان السبعين الذين اختارهم موسى سمعوا كلام الله تعالى لان فى الآية بيان الاصطفاء وهو تنصيص على التخصيص واعلم ان كل نبى قد اصطفاه الله على الخلق بنوع اونوعين او أنواع من الكمال عند خلقته وركب فى ذرة طينته استعداده لظهور ذلك النوع من الكمال حين خمر طينة آدم بيده فاصطفى موسى بالرسالة والمكالمة دون نوح وكمال الرؤية مخصوص بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأمته حتى استدعى موسى لنيل مقام رؤية ربه فقال اللهم اجعلنى من امة احمد (روى) انه لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام يوم الطور كان على موسى جبة من صوف مخللة بالعيدان محزوم وسطه بشريط ليف وهو قائم على الجبل وقد اسند ظهره الى صخرة من الجبل فقال الله ياموسى انى قد اقمتك مقاما لم يقمه احد قبلك ولا يقومه احد بعدك وقربتك نجيا فقال موسى عليه السلام يارب فلم اقمتنى هذا المقام قال لتواضعك ياموسى فلما سمع موسى لذاذة الكلام من ربه نادى الهى أقريب فأناجيك ام بعيد فأناديك قال ياموسى انا جليس من ذكرنى وكان موسى عليه السلام بعدما كلمه الله تعالى لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات * وروى ان امرأته قالت له انا ايم منك اى كأنى بلا زوج منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها ساعة وقالت ادع الله ان يجعلنى زوجتك فى الجنة قال ذلك ان لم تتزوجى بعدى فان المرأة لآخر ازواجها وقيل ان الرجل اذا تكرر بالمرأة تزوجها فى الجنة وقيل انها تكون لاحسن ازواجها خلقا ومن خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم تحريم ازواجه اللاتى توفى عنهن على غيره ابدا (فخذ ما آتيتك) اى اعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين) على النعمة وفى التأويلات النجمية فخذ ما آتيتك يعنى ما ركبت فيك استعداده واصطفيتك به من الرسالة والمكالمة وكن من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سألت من الرؤية لان الشكر يستدعى الزيادة لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم والزيادة هى الرؤية لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة

وقال عليه السلام الزيادة هي الرؤية والحسنى هي الجنة (وكتبنا) ونوشتيم مايعنى قلم اعلى رافرموديم كه كتابت كرد يا جبريل را كفتيم كه بقلم ذكر امداد نهر النور نوشت (له) براى موسى (في الالواح) اى فى تسعة ألواح من الزمرد الاخضر وهو الاصح وفيها التوراة كنقش الخاتم طول كل لوح عشرة اذرع وفى القاموس اللوح كل صفيحة عريضة خشبا اوعظما جمعه ألواح (روى) ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر (من كل شئ) مما يحتاجون اليه من امور دينهم (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل من الجار والمجرور لانه فى محل النصب على انه مفعول كتبنا ومن مزيدة لا تبعيضية اى كتبنا له كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام قال مقاتل كتب فى الالواح انى انا الله الرحمن الرحيم لاتشركوا بى شيأ ولاتقطعوا السبيل ولاتزنوا ولاتعقوا الوالدين (فخذها) على اضمار القول عطفا على كتبنا اى فقلنا خذها اى الالواح (بقوة) بجد وعزيمة (وأمر قومك) اى على طريق الندب والحث على اختيار الافضل (يأخذوا) اى ليأخذوا (باحسنها) الباء زائدة فى المفعول به الاحسن العزائم والحسن الرخص يعنى ليعلموا ان ماهو عزيمة يكون ثوابه اكثر كالجمع بين الفرائض والنوافل والصبر بالاضافة الى الانتصار وغير ذلك قال قطرب اى بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر (سأريكم) يابنى اسرائيل (دار الفاسقين) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها ومنازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلاتفسقوا بمخالفة ما امرتم به من العمل بأحكام التوراة اوارض مصر وارض الجبابرة والعمالقة بالشام ومعنى الاراءة الادخال بطريق الايراث فعلى الاول يكون وعيدا وترهيبا وعلى الثانى وعدا وترغيبا وفى الآية اشارة الى ان طلب الآخرة كان احسن من طلب الدنيا كذلك طلب الله احسن من طلب الآخرة فعلى العاشق ان يختار الاحسن وقوله سأريكم دار الفاسقين يعنى الخارجين من طلب الآخرة فدارهم الجنة ودار الخارجين من طلب الآخرة الى طلب الله فى مقعد صدق عند مليك مقتدر (قال الحافظ)
سايه طوبى ودلجويى حور واب حوض * بهواى سر كوى تو برفت ازيادم * نيست برلوح دلم جزالف قامت دوست * جه كنم حرف دكر يادنداد استادم (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض) المراد بالآيات ما كتب فى ألواح التوراة من المواعظ والاحكام وغيرها من الآيات التكوينية التى من جملتها ماوعد اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لايكادون يتفكرون فيها ولايعتبرون بها لاصرارهم على ماهم عليه من التكبر والتجبر والمعنى سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا فلا ينتفعون بآياتى التنزيلية والتكوينية المنصوبة فى الانفس والآفاق ولايغتنمون بغنائم آثارها فلاتسلكوا يابنى اسرائيل مسلكهم فتكونوا امثالهم (بغير الحق) صلة للتكبر اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط قال ابن الشيخ لما كان التكبر مؤديا الى الحرمان من الانتفاع بالآيات المذكورة وتضييعها كان المقصود من الآية تحذير بنى اسرائيل عن التكبر المفضى الى ان يصرفهم الله عن التفكر فى الآيات والاهتداء بها حتى يأخذوا احكام التوراة بجد ورغبة انتهى فالآية متصلة بقصة بنى اسرائيل ويحتمل ان تكون كلاما معترضا خلال قصتهم اخبر به رسول الله انه حرم المتكبرين من أمته فهم معانى القرآن والتدبر فيها كما قيل ابى الله تعالى ان يكرم قلوب الظالمين بتمكينهم من فهم حكمة القرآن والاطلاع على عجائبه (ع) حيفست جنين كنج دران ويرانه. (وان يروا) يشاهدوا (كل آية) من الآيات كانت معجزة (لايؤمنوا بها) اى كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هى (وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا) اى لايتوجهون الى الحق ولايسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ (وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا) اى يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لايكادون يعدلون عنه لموافقته لأهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم (ذلك) اشارة الى ماذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشئ من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام على سبيل الغى (بأنهم) اى حاصل بسبب انهم (كذبوا بآياتنا) الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها وهى الآيات المنزلة والمعجزة (وكانوا عنها غافلين) لايتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل فالمراد بالغفلة عنها عدم التفكر والتدبر فيها عبر عن عدم تدبر الآيات بالغفلة عنها تشبيها للمعرض عن الشئ بمن غفل عنه (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) من اضافة المصدر الى مفعوله والفاعل محذوف اى ولقائهم الدار الآخرة (حبطت اعمالهم) اى ظهر بطلان اعمالهم التى كانوا عملوها

من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك فلا ينتفعون بها (هل يجزون) استفهام بمعنى النفي والانكار يعني لا يجزون (الا ما كانوا يعملون) اى الاجزاء ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي قال في التأويلات النجمية يعني لما حبطت اعمالنا عندهم من بعثة الانبياء وانزال الكتب واظهار المعجزات لتكبرهم عنها جازيناهم بأن حبطت اعمالهم عندنا لكبريائنا وغنانا عن أهل الشرك وشركهم نظيره قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وفي الآية ذم التكبر وانه من اعظم اوصاف البشر حجبا لانه يزيد في الانانية وما لعن ابليس وطرد الا للتكبر وصف بعض البلغاء متكبرا فقال كأن كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته وبلقيس احدى داياته وكأن يوسف لم ينظر الا بمقلته ولقمان لم ينطق الا بحكمته كأن الخضراء له عرشت والغبراء باسمه فرشت (وفى المثنوى)

اين تكبر زهر قاتل دانكه هست * ازمى برزهر شدان كيج مست * جون مى برزهر نوشد مدبرى * ازطرب يكدم بجنباند سرى * بعد يكدم زهر برجانش زند * زهردر جانش كند دادوستد * كر ندارى زهريش را اعتقاد * كرجه زهر آمد نكر درقوم عاد * جونكه شاهى دست يابد برشهى * بكشدش يابازدارد درجهى * وريابد خستهٔ افتاده را * مرهمش سازدشه وبدهد عطا * كه نه زهراست اين تكبر پس جرا * كشت شه رابى كناه وبى خطا * وين دكررا بى زخدمت جون نواخت * زين دوجنبش زهر راشايد شناخت * نردبان خلق اين ماومنيست * عاقبت زين نردبان افتادنيست * هركه بالاتر رود ابله ترست * كاستخوان اوبتر خواهد شكست * اين فروعست واصولش ان بود * كه ترفع شركت يزدان بود * جون نمردى ونكشتى زنده زو * ياغى باشى بشركت ملك جو * جون بدو زنده شدى ان خود ويست * وحدت محض است ان شركت كيست *

فعلى العاقل ان يزكى نفسه عن الكبر ويأخذ التواضع في طريق الحق ويخلص العمل لله تعالى فان من اخلص في العمل وان لم ينو ظهرت آثار بركته عليه وعلى عقبه الى يوم القيامة كما قيل انه لما اهبط آدم عليه السلام الى الارض جاءت وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره فيدعو لكل جنس بما يليق به فجاءت طائفة من الظباء فدعا لهن ومسح على ظهورهن فظهر فيهن نوافج المسك فلما رأى بواقيها ذلك قلن من اين هذا لكن فقلن زرنا صفى الله آدم فدعا لنا ومسح على ظهورنا فمضى البواقي اليه فدعا لهن ومسح على ظهورهن فلم يظهر لهن من ذلك شئ فقالوا قد فعلنا كما فعلتم فلم نر شيأ مما حصل لكم فقالوا أنتم كان عملكم لتنالوا كما نال اخوانكم واولئك كان عملهم لله من غير شوب فظهر ذلك في نسلهم وعقبهم الى يوم القيامة فظهر أن الخلق لا يجزون الا ما كانوا يعملون والجزاء لا بد وأن يكون من جنس العمل نسأل الله تعالى دفع الكسل ورفع الزلل (واتخذ قوم موسى من بعده) اى من بعد ذهابه الى الطور ومن لابتداء الغاية (من) للتبعيض (حليهم) جمع حلى كثدى وثدى وهو ما تزين به من الذهب والفضة واضافة الحلى اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها حين هموا بالخروج من مصر (عجلا) مفعول اول لقوله اتخذ لانه متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اى صيروه الها والعجل ولد البقر وأبو العجل الثور والجمع العجاجيل والانثى عجلة سمى عجلا لاستعجال بنى اسرائيل عبادته وكانت مدة عبادتهم له اربعين يوما فعوقبوا في التيه أربعين سنة فجعل الله تعالى كل سنة في مقابلة يوم (جسدا) بدل من عجلا اى جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه فان الجسد اسم لجسم له لحم ودم ويطلق على جثة لا روح لها (له خوار) اى صوت البقر وذلك أن موسى كان وعد قومه بالانطلاق الى الجبل ثلاثين يوما فلما تأخر رجوعه قال لهم السامرى رجل من قرية يقال لها سامرة وكان رجلا مطاعا من قوم موسى انكم اخذتم الحلى من آل فرعون فعاقبكم الله بتلك الجناية ومنع موسى عنكم فاجمعوا الحلى حتى أحرقها لعل الله يرد علينا موسى او ما ألوه الها يعبدونه وقد كان لهم ميل الى عبادة البقر منذ مروا على العمالقة التي كانوا يعبدون تماثيل البقر وذلك بعد عبور النهر وقد مرت قصته فجعل السامرى الحلى بعد جمعها في النار وصاغ لهم من ذلك عجلا لانه كان صائغا وألقى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وكان ذلك الفرس فرس الحياة ما وضع حافره في موضع الا اخضر وكان قد اخذ ذلك التراب عند فلق البحر أو عند توجهه الى الطور فانقلب ذلك الجسد لحما ودما وظهر فيه خوار وحركة ومشى فقال السامرى هذا الهكم واله موسى فعبدوه الا اثنى عشر ألفا من ستمائة ألف وقيل انه جعل ذلك

العجل مجوفا وجعل فى جوفه انابيب على شكل مخصوص وكان وضع ذلك التمثال على مهب الريح فكانت الريح تدخل فى تلك الانابيب فظهر منه صوت مخصوص يشبه خوار العجل فأوهم بنى اسرآئيل انه حى يخور فزفنوا حوله اى رقصوا نقل القرطبى عن الطرشوشى انه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرأون شيأ من القرءآن ثم ينشد لهم منشد شيأ من الشعر يرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال اولا قال مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واما الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامرى فلما اتخذوا عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وانما كان يجلس النبى عليه السلام مع اصحابه كأنما على رؤسهم الطير من الوقار فينبغى للسلطان ونوابه ان يمنعهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك والشافعى وابى حنيفة واحمد وغيرهم من ائمة المسلمين كذا فى حياة الحيوان قال فى نصاب الاحتساب هل يجوز له الرقص فى السماع الجواب لا يجوز ذكر فى الذخيرة انه كبيرة ومن اباحه من المشايخ فذلك للذى صارت حركاته كحركات المرتعش وهل يجوز السماع الجواب ان كان السماع سماع القرءآن اوالموعظة يجوز وان كان السماع سماع الغناء فهو حرام لان التغنى واستماع الغناء حرام ومن اباحه من مشايخ الصوفية فلمن تخلى عن الهوى وتحلى بالتقوى واحتاج الى ذلك احتياج المريض الى الدوآء وله شرآئط احداها ان لا يكون فيهم امرد والثانية ان لا يكون جميعهم الا من جنسهم ليس فيهم فاسق ولا اهل دنيا ولا امرأة والثالثة ان يكون نية القوال الاخلاص لا أخذ الاجرة والطعام والرابعة ان لا يجتمعوا لاجل طعام اونظر الى فتوح والخامسة لا يقومون الا مغلوبين والسادسة لا يظهرون الوجد الا صادقين قال الشيخ عمر بن الفارض فى القصيدة الموسومة بنظم الدر

اذا هام شوقا بالمناغى وهم أن * يطير الى اوطانه الاولية

يسكن بالتحريك وهو بمهده * اذا ناله ايدى المربى بهزة

قال الامام القاشانى فى شرحه اذا هام الولى واضطرب شوقا الى مركزه الاصلى ووطنه الاولى بسبب مناغاة المناغى وهم طائر روحه الى ان يطير الى عشه ووكره الاولى تهزه ايدى من يربيه فى المهد فيسكن بسبب التحريك من قلقه وهمه بالطيران والمقصود من ايراد هذا المعنى ان يشير الى فائدة الرقص والحركة فى السماع وذلك ان روح السامع يهم عند السماع ان يرجع الى وطنه المألوف ويفارق النفس والقالب فتحركه يدا الحال وتسكنه عما يهم به بسبب التحريك الى حلول الاجل المعلوم وذلك تقدير العزيز العليم انتهى (قال السعدى) مكن عيب درويش مدهوش ومست * كه غرقست ازان مى زند پا ودست * نكويم سماع اى برادر كه چيست * مكر مستمع رابدانم كه كيست * كراز برج معنى پرد طير او * فرشته فروماند از سير او * اكر مرد بازى ولهوست ولاغ * قوى تر شود ديوش اندر دماغ * چه مرد سماعست شهوت پرست * باواز خوش خفته خيزد نه مست (قال السروى) چون سماع آواز خوش سبب حركت شد حركت راسماع كفتند بطريق تسمية المسبب باسم السبب وچون كسى آوازى خوش شنود در وحالتى پيدا شود اين حالت را وجد كويند (وفى المثنوى) پس غذاى عاشقان آمد سماع * كه درو باشد خيال اجتماع * قوتى كيرد خيالات ضمير * بلكه صورت كردد از بانك صفير * واعلم ان الرقص والسماع حال المتلون لا حال المتمكن ولذا تاب سيد الطائفة الجنيد البغدادى قدس سره عن السماع فى زمانه فمن الناس من هو متواجد ومنهم من هو أهل وجد ومنهم من هو أهل وجود فالاول المبتدى الذى له انجذاب ضعيف والثانى المتوسط الذى له انجذاب قوى والثالث المنتهى الذى له انجذاب قوى وهو مستغن عن الدوران الصورى بالدوران المعنوى بخلاف الاولين ولا بد من العشق فى القلب والصدق فى الحركة حتى يصح الدوران والعلماء وان اختلفوا فى ذلك فمن مثبت ومن ناف لكن الناس متفاوتون والجواز للاهل المستجمع لشرآئطه لا لغيره قال حضرة الشيخ افتاده افندى قدس سره ليس فى طريقتنا رقص ولا فى طريق الشيخ الحاج بيرام ولى ايضا لان الرقص والاصوات كلها انما وضع لدفع الخواطر ولا شئ فى دفعها أشد تأثيرا من التوحيد ونبينا عليه الصلاة والسلام لم يلقن الا التوحيد (ذكر) ان عليا قال يوما لا أجد لذة العبادة يارسول الله فلقنه التوحيد ووصاه

ان لايكلم احدا بما ظهر له من آثار التوحيد فلما امتلأ باطنه من انوار التوحيد واضطر الى التكلم جاء الى بئر فتكلم فيها فنبت منها قصب فأخذه راع وعمل منه المزمار وكان ذلك مبدأ لعلم الموسيقى وقال وقد يقال ان رجلا يقال له عبد المؤمن سمع صوت الافلاك فى دورها فأخذ منه العلم الموسيقى ولذلك كان اصله اثنى عشر على عدد البروج ولكن صداها على طرز واحد فالانسان لقابليته الحق به زيادات كذا فى الواقعات المحمودية فقد عرفت من هذا البيان انه ليس فى الطريقة الجلوتية بالجيم دور ورقص بل توحيد وذكر قياما وقعودا بشرائط وآداب وانما يفعله الخلوتية بالخاء المعجمة على ما يتوارثون من اكابر اهل الله تعالى لكن انما يقبل منهم ويمدح اذا قارن شرائطه وآدابه كما سبق والا يرد ويذم وقد وجدنا فى زماننا اكثر المجالس الدورية على خلاف موضوعها فالعاقل يختار الطريق الاسلم ويجتنب عن القيل والقال وينظر الى قولهم لكل زمان رجال ولكل رجال مقام وحال قال الشيخ ابو العباس من كان من فقراء هذا الزمان آكلا لاموال الظلمة مؤثرا للسماع ففيه نزعة يهودية قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وقال الحاتمى السماع فى هذا الزمان لا يقول به مسلم ولا يقتدى بشيخ يعمل السماع وقد عرفت وشاهدت فى هذا الزمان ان المجالس الدورية يحضرها المردان الملاح والنساء وحضورهم آفة عظيمة فانهم والاختلاط بهم والصحبة معهم كالسم القاتل ولا شئ اسرع اهلاكا للمرء فى دينه من صحبتهم فانهم حبائل الشيطان ونعوذ بالله من المكر بعد الكرم ومن الحور بعد الكور انه هو الهادى الى طريق وصاله وكاشف القناع عن ذاته وجماله والموصل الى كماله بعد جماله وجلاله وهو الصاحب والرفيق فى كل طريق (الم يروا) آيا نديد ندوند انسنند (انه) اى العجل (لا يكلمهم) اى ليس فيه شئ من احكام الالوهية حيث لا يقدر على كلام ولا امر ولا نهى (ولا يهديهم سبيلا) اى ولا يرشدهم طريقا الى خير ليأتوه ولا الى شر لينتهوا عنه (اتخذوه) الها ولو كان الها لكلمهم وهداهم لان الاله لا يهمل عباده قوله اتخذوه تكرير للذم اى اتخذوه الها وحسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر (وكانوا ظالمين) اى واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم وفى التفسير الفارسى درلطائف قشيرى مذكورست كه چه دورست ميان امتى كه مصنوع خودرا برستند وامتى كه عبادت صانع خود كنند * آنراكه توساختى نسازد كارت * سازندهٔ توست دردوعالم يارب (ولما سقط فى ايديهم) كناية عن شدة ندمهم فان الذى يشتد ندمه وتحسره يعض يده مغموما فتصير يده مسقوطا فيها كأن فاه وقع فيها والمعنى ندموا على ما فعلوا من عبادة العجل غاية الندم وسقط مسند الى فى ايديهم (ورأوا انهم قد ضلوا) باتخاذ العجل الها اى تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كأنهم رأوه بأعينهم (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا) بانزال التوراة المكفرة (ويغفر لنا) بالتجاوز عن الخطيئة (لنكونن من الخاسرين) اززيانكاران وهلاك شدكان وما حكى عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع موسى عليه السلام اليهم كما ينطق به الآيات الواردة فى سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل فى موضع واحد (ولما رجع موسى) من جبل الطور (الى قومه) حال كونه (غضبان أسفا) اى شديد الغضب يقال آسفنى فأسفت اى اغضبنى فغضبت ومنه قوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم وهو يدل على انه عليه السلام كان عالما باتخاذهم العجل الها قبل مجيئه اليهم بسبب انه تعالى اخبره فى حال المكالمة بما كان من قومه من عبادة العجل (قال بئسما خلفتمونى من بعدى) اى ساء ما عملتم خلفى ايها العبدة بعد غيبتى وانطلاقى الى الجبل لانه يقال خلفه بما يكره اذا عمل خلفه ذلك وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم (أعجلتم امر ربكم) الهمزة للانكار أى اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق والا فعجل يتعدى بعن يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به الى ان يجيئ فالامر واحد الاوامر أو انه بمعنى المأمور به والعجلة العمل بالشئ قبل وقته ولذلك صارت مذمومة بخلاف السرعة فانها غير مذمومة لكونها عبارة عن العمل بالشئ فى اول وقته وفى التأويلات النجمية استعجلتم يا صفات الروح بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل أوانه من غير ان يأمر به ربكم وفيه اشارة الى ان ارباب الطلب واصحاب السلوك لا ينبغى ان يلتفتوا الى شئ من الدنيا ولا يتعلقوا بها فى اثناء الطلب والسلوك لئلا ينقطعوا عن الحق اللهم الا اذا قطعوا مفاوز النفس والهوى ووصلوا الى كعبة وصال

المولى فلهم ان يرجعوا الى الدنيا الدعوة الخلق الى المولى وتسليكهم فى طريق الدنيا والعقبى (وألقى الالواح) التى كانت فيها التورية من يده (وأخذ برأس أخيه) اى بشعر رأس هرون حال كونه اى موسى (يجره اليه) بطرف خود كشيد اورا بطريق معاتبه نه ازروى اهانت توهما انه قصر فى كفهم وهرون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بنى اسرآئيل (قال) اى هرون مخاطبا لموسى (ابن ام) بحذف حرف النداء واصله يا ابن امى حذفت الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة زيادة فى التخفيف لطوله باشتماله على اضافة بعد اضافة وكان هرون اخاه لأب وأم ولكنه ذكر الأم ليرفقه عليه اى يحمله على الرفق والشفقة وعلى هذا طريق العرب (ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت وسعى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا اقتلى (فلا تشمت بى الاعدآء) اى فلا تفعل بى ما يكون سببا لشماتتهم بى وبالفارسى پس شادمان مكردان بمن دشمنانرا وچنان مكن كه آرزوى ايشان حاصل شود از اهانت من * يقال شمت به يشمت شماتة من باب علم يعلم اذا فرح ببلية اصابت عدوه ثم ينقل الى باب الافعال للتعدية فالشماتة شادى كردن بمكروهى كه دشمن رارسد ويعدى بالباء والاشمات شادكام كردن دشمن كما فى تاج المصادر وشماتة العدو أشد من كل بلية فلذلك قيل والموت دون شماتة الاعدآء (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) اى معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة اوالنسبة الى التقصير والاشارة ان هرون القلب أخ موسى الروح والاعدآء النفس والشيطان والهوى والقوم الظالمون هم الذين عبدوا عجل الدنيا وهم صفات القلب يشير الى ان صفات القلب تتغير وتتلون بلون صفات النفس ورعوناتها ومن هنا يكون شنشنة الشطار من ارباب الطريقة ورعوناتهم وزلات اقدامهم ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما تتغير صفاته كما ان النفس لا تتغير من حيث هى هى عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية والملهمية والمطمئنة والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت المشومة الى طبعها وجبلتها سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (قال) موسى وهو استئناف بيانى (رب اغفر لى) اى ما فعلت بأخى من غير ذنب مقرر من قبله (ولأخى) اى ان فرط فى كفهم استغفر عليه السلام لنفسه ليرضى أخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتهم به ولأخيه للايذان بأنه محتاج الى الاستغفار حيث كان عليه ان يقاتلهم (وادخلنا فى رحمتك) بمزيد الانعام علينا بعد غفران ما سلف منا قال الحدادى اى فى جنتك (وأنت ارحم الراحمين) وأنت ارحم بنا منا على انفسنا ومن آبآئنا وأمهاتنا (حكى) انه اعتقل لسان فتى عن الشهادة حين اشرف على الموت فأخبروا النبى عليه السلام فدخل عليه وعرض الشهادة فاضطرب ولم يعمل لسانه فقال عليه السلام اما كان يصلى اما كان يزكى اما كان يصوم قالوا بلى قال فهل عق والديه قالوا نعم قال هاتوا بأمه فجاءت وهى عجوز عورآء فقال عليه السلام هلا عفوت عنه فقالت لا اعفو لانه لطمنى ففقأ عينى قال هاتوا بالحطب والنار قالت ما تصنع قال احرقه بالنار بين يديك جزآء لما عمل قالت عفوت عفوت أللنار حملته تسعة اشهر أللنار ارضعته سنتين فأين رحمة الأم فعند ذلك انطلق لسانه بالكلمة والنكتة انها كانت رحمة لا رحمانة فالقليل من رحمتها ما جوزت احراقه بالنار فالله الذى لا يتضرر بجناية العباد كيف يستجيز احراق المؤمن المواظب على كلمة الشهادة سبعين سنة وهو ارحم الراحمين (قال الحافظ) لطف خدا بيشتر از جرم ماست * نكتهٔ سربسته چه دانى خموش (وقال) دلا طمع مبراز لطف بى نهايت دوست * كه ميرسد همه را لطف بى نهايت او * قال بعض اهل التفسير ان قابيل لما قتل اخاه هابيل اشتد ذلك على آدم فقال الله تعالى يا آدم جعلت الارض فى امرك مرها فلتفعل ما تهوى بمكان ابنك قابيل فقال آدم عليه السلام يا ارض خذيه فأخذت الارض قابيل فقال قابيل يا ارض بحق الله ان تمهلينى حتى اقول قولى ففعلت فقال يا رب ان ابى قد عصاك فلم تخسف به الارض فقال الله تعالى نعم ولكنه ترك امرا واحدا وأنت تركت امرى وامر ابيك وقتلت اخاك فقال آدم ثانيا يا ارض خذيه فقال قابيل بحرمة محمد عليه السلام ان تمهلينى حتى اقول قولى ففعلت فقال يا رب ان ابليس ترك امرك وعادك ولم تخسف به الارض فما بالى تخسف بى الارض فأجاب الله تعالى مثل الاول فقال الهى أليس لك تسعة وتسعون اسما فقال الله تعالى بلى فقال أليس الرحمن الرحيم من جملة ذلك قال بلى قال ألست سميت نفسك رحمانا رحيما لكثرة الرحمة قال بلى قال يا رب ان اردت اهلاكى فأخرج

هذين الاسمين من بين اسمائك ثم اهلكني لان اخذ العبد بجريمة واحدة لا يكون رحمة فامر الله الارض حتى خلت سبيله ولم تهلكه فاعتبر اذا كانت رحمته بهذه المرتبة للكافر فما ظنك للمؤمن فينبغي للمقصر ان يرفع حاجته الى المولى و يستغفر من ذنبه الاخفى والاجلى كي يدخل في الرحمة التي هي الفردوس الاعلى (قال الحافظ) سياه نامه تر از خود كسى نمى بينم * چكونه چون قلم دود دل بسر نرود * وفي قوله تعالى رب اغفر لي الآية اشارة الى السر في الصفات لان المغفرة والرحمة من الصفات فيشير الى ان لموسى الروح ولاخيه هرون القلب استعداد القبول الجذبة الالهية التي تدخلهما في عالم الصفات وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين لان غيرك من الراحمين عاجز عن ادخال غيره في صفاته وانت قادر على ذلك لمن تشاء ويدل عليه قوله يدخل من يشاء في رحمته كذا في التأويلات النجمية (ان الذين اتخذوا العجل) اى الها واستمروا على عبادته كالسامرى واشياعه من الذين اشربوه في قلوبهم (سينالهم) اى في الآخرة (غضب) عظيم كائن (من ربهم) اى مالكهم لما ان جريمتهم اعظم الجرائم وافبح الجرائر والمراد بالغضب ههنا غايته وهي الانتقام والتعذيب لان حقيقة الغضب لا تتصور في حقه تعالى (وذلة في الحياة الدنيا) هي ذلة الاغتراب والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم والذلة التي اختص بها السامرى من الانفراد بالناس والابتلاء بلا مساس كما روى ان موسى عليه السلام هم بقتل السامرى فأوحى الله اليه لا تقتل السامرى فانه سخى ولكن اخرجه من عندك فقال له موسى فاذهب من بيننا مطرودا فان لك في الحياة اى في عمرك ان تقول لمن اراد مخالطتك جاهلا بحالك لا مساس اى لا يمسنى أحد ولا أمس أحدا وان مسه أحد حما جميعا في الوقت وروى ان ذلك موجود في اولاده الى الآن وايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف (وكذلك نجزى المفترين) على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا بعدهم (والذين عملوا السيئات) اية سيئة كانت (ثم تابوا) من تلك السيئات (من بعدها) اى من بعد عملها (وآمنوا) ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا بما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى (ان ربك من بعدها) اى من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان (لغفور) للذنوب وان عظمت وكثرت (رحيم) مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والاشارة ان الذين اتخذوا عجل الهوى الها يدل عليه قوله افرأيت من اتخذ الهه هواه سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا يعنى عبادة الهوى موجبة لغضب الله تعالى دل عليه قول النبي عليه الصلاة والسلام ما عبد في الارض اله ابغض على الله من الهوى وان عابد الهوى يكون ذليل شهوات النفس واسير صفاتها الذميمة من الحيوانية والسبعية والشيطانية ما دام يميل الى الحياة الدنيوية وكذلك نجزى المفترين يعنى وكذلك نجازى بالغضب والطرد والابعاد والذلة عباد الهوى المدعين الذين يفترون على الله انه اعطانا قوة لا تضر بنا عبادة الهوى والدنيا ومتابعة النفس وشهواتها والذين عملوا السيئات يعنى سيئات عبادة الهوى والدنيا والافتراء على الله تعالى ثم تابوا من بعدها وآمنوا بعبودية الحق تعالى وطلبه بالصدق ان ربك من بعدها اى من بعد ترك عبادة الهوى والرجوع الى طلب الحق لغفور رحيم يعنى يعفو عنهم تلك السيئات ويرحمهم بنيل القربات والكرامات كذا في التأويلات النجمية واعلم ان التوبة عند المعتزلة علة موجبة للمغفرة وعندنا سبب محض للمغفرة والتوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان المراد بها الرجوع عن المعصية واذا وصف بها البارى تعالى اريد بها الرجوع عن العذاب بالمغفرة والتوبة على ضربين ظاهر وباطن فالظاهر هو التوبة من الذنوب الظاهرة وهي مخالفات ظواهر الشرع وتوبتها ترك المخالفات واستعمال الجوارح بالطاعات والباطن هو توبة القلب من ذنوب الباطن وهي الغفلة عن الذكر حتى يتصف به بحيث لو صمت لسانه لم يصمت قلبه وتوبة النفس قطع علائق الدنيا والاخذ باليسير والتعفف وتوبة العقل التفكر في بواطن الآيات وآثار المصنوعات وتوبة الروح التحلي بالمعارف الالهية وتوبة السر التوجه الى الحضرة العليا بعد الاعراض عن الدنيا والعقبى * كرسيه كردى تو نامه عمر خويش * توبه كن زانها كه كردستى تو پيش * عمرا كر بكذشت بيخش اين دم است * آب توبش ده اكر او بى نم است * چون برارند از پشيمانى انين * عرش لرزد از انين المذنبين * والعبد اذا رجع عن السيئة واصلح عمله اصلح الله تعالى شأنه واعاد عليه نعمه الفائتة عن ابراهيم بن ادهم بلغنى ان رجلا من بنى اسرائيل ذبح عجلا بين يدى أمه فيبست يده

فبينما هو جالس اذ سقط فرخ من وكره وهو يتبصبص فأخذه ورده الى وكره فرحمه الله تعالى لذلك ورد عليه يده بما صنع فينبغى للمؤمن ان يسارع الى التوبة والعمل الصالح فان الحسنات يذهبن السيئات عن ابى ذر رضى الله عنه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله علمنى عملا يقربنى الى الجنة و يباعدنى عن النار قال اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فانها عشر امثالها قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فقلت يارسول الله لا اله الا الله من الحسنات قال هى احسن الحسنات * كار نيكو تر بدان جز ذكر نيست * والله الهادى (ولما سكت عن موسى الغضب) اى لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم والسكوت قطع الكلام وقطع الكلام فرع ثبوته وهو لا يتصور فى الغضب فلا يتصور قطعه ايضا فهو محمول على المعنى المجازى الذى هو السكون شبه الغضب بانسان يغرى موسى عليه السلام ويقول له ان اخاك قصر فى كف قومك عن الكفر فاستحق اهانتك وعقوبتك فخذ بشعر رأسه فجره الى نفسك وقل له كذا وكذا وألق ما فى يدك من الالواح ثم يقطع الاغراء و يترك الكلام ففيه استعارة مكنية وسكت قرينة الاستعارة قال الحدادى قيل معناه سكت موسى عن الغضب وهذا من المقلوب كما يقال ادخلت قلنسوة فى رأسى يريد ادخلت رأسى فى قلنسوة (اخذ الالواح) التى القاها وهو دليل على انها لم تتكسر حين القاها وعلى انه لم يرفع منها شئ كما ذهب اليه بعض المفسرين (وفى نسختها) اى والحال انه فيما نسخ فيها وكتب نقلا عن الاصل وهو اللوح المحفوظ فان النسخ عبارة عن نقل اشكال الكتابة وتحويلها من الاصل المنقول عنه فاذا كتبت كتابا من كتاب آخر حرفا بعد حرف قلت نسخت هذا الكتاب من ذلك الكتاب اى نقلته منه (هدى) اى بيان للحق وهو مبتدأ وفى نسختها خبره (ورحمة) للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح كائنة (للذين هم لربهم يرهبون) اى يخشون واللام فى لربهم لتقوية عمل الفعل المؤخر كما فى قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون يعنى انها دخلت جابرة للضعف العارض للفعل بسبب تأخره عن مفعوله وانما خص اهل الرهبة بالذكر لانهم هم المنتفعون بآيات الكتاب فالعبد اذا رغب الى الله بصدق الطلب والى الجنة بحسن العمل ورهب من اليم عذاب فرقته والانقطاع ومن دخول النار فقد اخذ بالخوف والرجاء ووصل بهما الى ما هو ى واعلم ان الخشية انما تنشأ عن العلم بصفات الحق سبحانه وعلامة خشية الله تعالى ترك الدنيا والخلق ومحاربة النفس والشيطان قالوا رهبوت خير من رحموت اى لان ترهب خير من ان ترحم وذلك لان التخلية قبل التحلية ومن الترهيبات ما حكى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه شبع مرة من خبز شعير فنام عن حزبه تلك الليلة فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت دارا خيرا لك من دارى اوجوارا خيرا لك من جوارى وعزتى وجلالى لو اطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب جسمك ولزهقت نفسك اشتياقا الى الفردوس الاعلى ولو اطلعت على نار جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الحديد بعد المنسوج قال الحسن البصرى الكلب اذا ضرب وطرد وجفى عليه وطرح له كسرة اجاب ولم يحقد على ما مضى وذلك من علامة الخاشعين فينبغى لكل مؤمن ان تكون فيه تلك الصفة (قال الحافظ) وفا كنيم وملامت كشيم وخوش باشيم * كه در طريقت ما كافريست رنجيدن * وفى الحديث من لم يخف الله خف منه قال الامام السخاوى معناه صحيح فان عدم الخوف من الله تعالى يوقع صاحبه فى كل محذور ومكروه (وفى المثنوى) لا تخافوا هست نزل خائفان * هست در خور از براى خائف آن * هركه ترسد مر ورا ايمن كنند * مر دل ترسنده را سا كن كنند * آنكه خوفش نيست چون گويى مترس * درس چه دهى نيست او محتاج درس (واختار موسى) الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشئ اذا اخذ خيره وخياره (قومه) اى من قومه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور وهو مفعول ثان (سبعين رجلا) مفعول اول (لميقاتنا) اى للوقت الذى وقتناه له وعيناه ليأتى فيه بسبعين رجلا من خيار بنى اسرائيل ليعتذروا عن ما كان من القوم من عبادة العجل فهذا الميقات ميقات التوبة لا ميقات المناجاة والتكليم وكان قد اختار موسى عليه السلام عند الخروج الى كل من الميقاتين سبعين رجلا من قومه وكانوا اثنى عشر سبطا فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال موسى ليتخلف منكم رجلان فانى انما امرت بسبعين فتنازعوا فقال ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد كالب و يوشع وذهب مع الباقين الى الجبل (فلما اخذتهم الرجفة) مما اجترأوا عليه من طلب الرؤية حيث قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله

جهرة والرجفة هى الارتعاد والحركة الشديدة والمراد اخذتهم رجفة الجبل فصعقوا منها اى ماتوا واكثر المفسرين على انهم سمعوه تعالى يكلم موسى يأمره بقتل انفسهم توبة فطمعوا فى الرؤية وقالوا ما قالوه ويرده قوله تعالى ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى كما ذهب اليه صاحب التيسير (قال) موسى (رب لوشئت اهلكتهم من قبل) اى حين فرطوا فى النهى عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها (واياى) ايضا حين طلبت منك الرؤية اى لوشئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا حينئذ اراد به تذكر العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق (أتهلكنا) الهمزة لانكار وقوع الاهلاك ثقة بلطف الله تعالى اى لاتهلكنا (بما فعل السفهاء) حال كونهم (منا) من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم اى لايليق بشأنك ان تهلك جما غفيرا بذنب صدر عن بعضهم الذى كان سفيها خفيف الرأى (ان هى) اى ما الفتنة التى وقع فيها السفهاء (الا فتنتك) اى محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فى الرؤية يقول الفقير هذا يدل على انهم سمعوا كلامه تعالى على وجه الامتحان والابتلاء لاعلى وجه التكرمة والاجلال وذلك لايقدح فى كون موسى عليه السلام مصطفى بالرسالة والكلام مع انه فرق كثير بين سماعهم وسماعه عليه السلام والله اعلم ودر فصل الخطاب مذكورست كه حق تعالى موسى عليه السلام رادر مقام بسط بداشت تا بكمال حال انس رسيده وازروى دلال بدين جراءت اقدام نمود ودلال درمرتبه محبوبيت است وحضرت مولوى قدس سره فرموده كه كستاخى عاشق ترك ادب نيست عين ادبست * كفت وكوى عاشقان دركاررب * جوشش عشقست نه ترك ادب * هركه كرد از جام حق يكجرعه نوش * نه ادب ماند درونه عقل وهوش (تضل بها) اى بسبب تلك الفتنة (من تشاء) ضلاله فيتجاوز عن حده بطلب ماليس له (وتهدى من تشاء) هدايته الى الحق فلا يتزلزل فى امثالها فيقوى بها ايمانه (انت ولينا) اى القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لاغير (فاغفر لنا) اى ما اقترفناه من المعاصى (وارحمنا) بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية قال ابن الشيخ المغفرة هى اسقاط العقوبة والرحمة ايصال الخير وقدم الاول على الثانى لان دفع المضرة مقدم على تحصيل المنفعة (وانت خير الغافرين) تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة وايضا كل من سواك انما يتجاوز عن الذنب اما طلبا للثناء الجميل اوللثواب الجزيل اودفعا للقسوة من القلب واما انت فتغفر ذنوب عبادك لا لاجل غرض وعوض بل بمحض الفضل والكرم فلاجرم انت خير الغافرين وارحم الراحمين وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام (واكتب لنا) اى اثبت وعين لنا وذكر الكتابة لانها ادوم (فى هذه الدنيا حسنة) حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفى الآخرة) اى واكتب لنا فى الآخرة ايضا حسنة وهى المثوبة الحسنى اوالجنة (انا هدنا اليك) تعليل لطلب الغفران والرحمة من هاد يهود اذا رجع اى تبنا ورجعنا اليك عما صنعنا من المعصية العظيمة التى جئناك للاعتذار عنها وعما وقع ههنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لاتقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عليه السلام يتضرع الى الله حتى احياهم وقد تقدم فى سورة البقرة (قال) استئناف بيانى كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه السلام فقيل قال (عذابى) عذاب من وصفت اوآنست كه (اصيب به) الباء للتعدية معناه بالفارسية ميرسانم (من اشاء) تعذيبه من غير دخل لغيرى فيه (ورحمتى) ورحمت من وصفت اوآنست كه (وسعت) فى الدنيا معناه رسيده است (كل شئ) المؤمن والكافر بل المكلف وغيره من كل ما يدخل تحت الشيئية وما من مسلم ولا كافر الا وعليه آثار رحمته ونعمته فى الدنيا فيها يتعيشون وبها يتقلبون ولكنها تختص فى الآخرة بالمؤمنين كما قال تعالى (فسأكتبها) اى اثبتها واعينها فى الآخرة (للذين يتقون) الكفر والمعاصى (ويؤتون الزكاة) خصها بالذكر لانها كانت اشق عليهم (والذين هم بآياتنا) جميعا (يؤمنون) ايمانا مستمرا فلا يكفرون بشئ منها قال ابن عباس رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية تطاول لها ابليس فقال انا شئ من الاشياء فأخرجه الله تعالى من ذلك بقوله فسأكتبها الخ فقالت اليهود والنصارى نحن نتقى ونؤتى الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فأخرجهم الله تعالى منها بقوله (الذين يتبعون الرسول) فى محل الجر على انه صفة للذين يتقون اوبدل منه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم الذى نوحى اليه كتابا مختصا به (النبى) اى صاحب المعجزة وقال البيضاوى انما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد (الامى) الذى لايكتب ولا يقرأ وكونه

عليه السلام اشيا من جملة معجزاته فانه عليه السلام لو كان يحسن الخط والقرآءة لصار متهما بأنه ربما طالع فى كتب الاولين والآخرين فحصل هذه العلوم بتلك المطالعة فلما اتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على علوم الاولين والآخرين من غير تعلم ومطالعة كان ذلك من جملة معجزاته الباهرة * نكار من كه بمكتب نرفت وخط ننوشت * بغمزه مسأله آموز صد مدرس شد * من كان القلم الاعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج الى تصوير الرسوم وقد وصف الله تعالى هذه الامة فى الانجيل امة محمد اناجيلهم فى صدورهم ولو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرائعه صلى الله عليه وسلم بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعداداتهم والام الاصل وعنده ام الكتاب (الذى يجدونه مكتوبا) باسمه وصفته (عندهم) متعلق بيجدون او بمكتوبا وكذا قوله (فى التوراة والانجيل) اللذين تعبد بهما بنوا اسرآئيل سابقا ولاحقا (وفى المثنوى) بيش ازانكه نقش احمد رونمود * نعت اوهر گبررا تعويذ بود * سجده مى كردند كاى رب بشر * درعيان آريش هرچه زودتر * نقش اومى كشت اندر راهشان * دردل ودر كوش درافواه شان * اين همه تعظيم وتفخيم ووداد * چون بديدندش بصورت برد باد * قلب آتش ديد در دم شد سياه * قلب را در قلب كى بودست راه * فان قيل الرحمة المذكورة لو اختصت بهم لزم ان لا تثبت لغيرهم من المؤمنين وليس كذلك اجيب بأن هذا الاختصاص بالاضافة الى بنى اسرآئيل الموجودين فى زمان النبى الامى ولم يؤمنوا به لا بالاضافة الى جميع ماعداهم (يأمرهم بالمعروف) اى بالتوحيد وشرآئع الاسلام (وينهاهم عن المنكر) اى عن كل مالا يعرف فى شريعة ولا سنة (ويحل لهم الطيبات) التى حرمت عليهم بشؤم ظلمهم كالشحوم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير فالمراد بالطيبات مايستطيبه الطبع ويستلذه وبالخبائث مايستخبثه الطبع ويتنفر منه فتكون الآية دليلا على ان الاصل فى كل مايستطيبه الطبع الحل وكل مايستخبثه الطبع الحرمة الا لدليل منفصل ويجوز ان يراد بهما ما طاب فى حكم الشرع وماخبث كالربا والرشوة ومدلول الآية حينئذ ان مايحكم الشرع بحله فهو حلال ومايحكم بحرمته فهو حرام ولاحكم لاستطابة الطبع واستخباثه فيهما (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) اى يخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص فى العمد والخطا من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وعدم الاكتفاء بغسله واحراق الغنائم وتحريم العمل يوم السبت بالكلية شبهت هذه التكاليف الشاقة بالحمل الثقيل وبالاغلال التى تجمع اليد الى العنق واصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله (فالذين آمنوا به) اى بنبوة الرسول النبى الامى واطاعوه فى اوامره ونواهيه (وعزروه) اى عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدآئه عنه (ونصروه) على اعدآئه فى الدين (واتبعوا النور الذى انزل معه) يعنى القرآن الذى ضياؤه فى القلوب كضياء النور فى العيون قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به انتهى فمعه متعلق بانزل حال من ضميره بتقدير المضاف اى انزل ذلك النور مصاحبا النبوته (اولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجليلة (هم المفلحون) اى الفائزون بالمطلوب الناجون من الكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما فى توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه السلام وبين الجواب وهو من قوله عذابى الى هنا فقد علم ان اتباع القرآن وتعظيم النبى عليه السلام بعد الايمان سبب للفوز والفلاح عند الرحمن ونصرته عليه السلام على العموم والخصوص فالعموم للعامة من اهل الشريعة والخصوص للخاصة من ارباب الطريقة واصحاب الحقيقة وهم الواصلون الى كمال انوار الايمان واسرار التوحيد بالاخلاص والاختصاص واعلم ان المقصود الالهى من ترتيب سلسلة الانبياء عليهم السلام هو وجود محمد صلى الله عليه وسلم فوجود الانبياء قبله كالمقدمة لوجوده الشريف فهو الخلاصة والنتيجة والزبدة واشرف الانبياء والمرسلين كما قال عليه السلام فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون وكذلك المقصود من الكتب الالهية السالفة هو القرآن الذى انزل على النبى عليه السلام فهو زبدة الكتب الالهية واعظمها ومصدق لما بين يديه لانه بلفظ قد اعجز البلغاء ان يأتوا بسورة

من مثله

من مثله و بمعناه جامع لما فى الكتب السالفة من الاحكام والآداب والفضائل متضمن للحجج والبراهين والدلائل وكذا المقصود من الامم السالفة هو هذه الامة المرحومة اعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم فهى كالنتيجة لما قبلها وهى الامة الوسط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وكذا المقصود من الملوك الماضية والسلاطين السالفة هو الملوك العثمانية فهم زبدة الملوك ودولتهم زبدة الدول حيث لا دولة بعدها لغيرهم الى ظهور المهدى وعيسى و يقاتلون من هم مبادى الدجال من الكفرة الفجرة من الافرنج والانكروس وغيرهم ولهم الجمعية الكبرى واليد الطولى والدولة العظمى فى الاقاليم السبعة واطراف البلاد من المغرب والمشرق ولم يعط هذا لواحد قبل دولتهم و يدل على هذه الجمعية كون اسم جدهم الاعلى عثمان فان عثمان رضى الله عنه جامع القرآن فهم مظاهر لاسم الحق كما كان عمر رضى الله عنه كذلك حيث انه لما اسلم قال يا رسول الله ألسنا على الحق قال عليه السلام والذى بعثنى بالحق نبيا كلنا على الحق قال انا والذى بعثك بالحق نبيا لا نعبد الله بعد اليوم سرا فاظهر الله الدين بايمانه فكان ظهور الدين مشروطا بايمانه فهذا اول الظهور ثم الى ان انتهى الى زمن الدولة العثمانية ولذلك يقاتلون على الحق فالسيف الذى بيدهم قد ورثوه كابرا عن كابر ومجاهدا عن مجاهد حكى ان عثمان الغازى جد السلاطين العثمانية انما وصل الى ما وصل برعاية كلام الله تعالى وذلك انه كان من اسخياء زمانه يبذل النعم للمترددين فثقل ذلك على اهل قريته وانعكس اليه ذلك وذهب ليشتكى من اهل القرية الى الحاج بكتاش اوغيره من الرجال فنزل فى بيت رجل قد علق فيه مصحف فسأل عنه فقالوا هو كلام الله تعالى فقال ليس من الادب ان نقعد عند كلام الله فقام وعقد يديه مستقبلا اليه فلم يزل الى الصبح فلما اصبح ذهب الى طريقه فاستقبله رجل وقال انا مطلبك ثم قال له ان الله تعالى عظمك واعطاك وذريتك السلطنة بسبب تعظيمك لكلامه ثم امر بقطع شجرة وربط برأسها منديلا وقال ليكن ذلك لواء ثم اجتمع عنده جماعة فجعل اول غزوته الى بلاجك وفتح بعناية الله تعالى ثم اذن له السلطان علاء الدين فى الظاهر ايضا فصار سلطانا ثم بعد ارتحاله صار ولده اورخان سلطانا فافتتح هو بروسة المحروسة بالعون الالهى فالدولة العثمانية من ذلك الوقت الى هذا الآن على الازدياد بسبب تعظيم كلام الله القديم وكما ان الله تعالى اظهر لطفه للاولين كذلك يظهره للآخرين وان كان فى بعض الاوقات يظهر القهر والجلال تأديبا وتنبيها فتحته لطف وجمال (قال السعدى) زظلمت مترس اى پسنديده دوست * كه ممكن بود كآب حيوان دروست * دل از بى مرادى بفكرت مسوز * شب آبستنست اى برادر بروز * والاشارة فى الآيات ان الله تعالى امتحن موسى عليه السلام باختيار قومه ليعلم ان المختار من الخلق من اختاره الله لا الذى اختاره الخلق وان لله الاختيار الحقيقى لقوله وربك يخلق ما يشاء و يختار وليس للخلق الاختيار الحقيقى لقوله ما كان لهم الخيرة ثم استخرج من القوم المختار ما كان موجبا للرجفة والصعقة والهلاك وهو سوء الادب فى سؤال الرؤية جهارا وكان ذلك مستورا عن نظر موسى متمكنا فى جبلتهم وكان الله المتولى للسرائر وحكم موسى بظاهر صلاحيتهم فاراه الله ان الذى اختاره يكون مثلك كقوله تعالى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى والذى تختاره يكون كالقوم فلما تحقق لموسى ان المختار من اختاره الله حكم بسفاهة القوم واظهر الاستكانة والتضرع والاعتذار والتوبة والاستغفار والاسترحام كما قال فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا وفيه اشارة اخرى الى ان نار شوق الرؤية كما كانت متمكنة فى قلب موسى بالقوة وانما ظهرت بالفعل بعد ان سمع كلام الله تعالى فان من اصطكاك زناد الكلام وحجر القلب ظهر شرر نار الشوق فاشتعل منه كبريت اللسان الصدوق وشعلت شعلة السؤال فقال رب ارنى انظر اليك كذلك كانت نار الشوق متمكنة فى احجار قلوب القوم فباصطكاك زناد سماع الكلام ظهر شرر الشوق فاشتعل منه كبريت اللسان ولما لم يكن اللسان لسان النبوة صعد منه دخان السؤال الموجب للصعقة والرجفة والسر فيه ان يعلم موسى وغيره ان قلوب العباد مختصة بكرامة ابداع نار المحبة فيها لئلا يظن موسى انه مخصوص به و يعذر غيره فى تلك المسألة فانها من غلبات الشوق تطرأ عند استماع كلام المحبوب ولذا قال عليه السلام ما خلق الله من بنى آدم من بشر الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه و بالاصبعين يشير الى صفتى الجمال والجلال وليس لغير الانسان قلب مخصوص بهذه الكرامة واقامة

القلب وازاغته فى أن يجعله مرءآة صفات الجمال فيكون الغالب عليه الشوق والمحبة لطفا ورحمته وفى أن يجعله مرءآة صفات الجلال فيكون الغالب عليه الحرص على الدنيا والشهوة قهرا وعزة فالنكتة فيه ان قلب موسى عليه السلام لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله لرؤية شعلة نار المحبة مقرونا بحفظ الأدب على بساط القرب بقوله رب أرنى أنظر اليك قدم عزة الربوبية وأظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية اللاهية فان نار الشوق تصاعدت بسوء الأدب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قدموا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهلا فاخذتهم الصاعقة بظلمهم فشتان بين صعقة موسى وصعقة قومه فان صعقته كانت صعقة اللطف مع تجلى صفة الربوبية وان صعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى عليه السلام ثابتا فى مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم وما صدر منهم من آثار صفة قهره فتنة واختبارا لهم فلما دارت كؤوس شراب المكالمات وسكر موسى بأقداح المناجاة زل قدمه على بساط الانبساط فقال ان هى الافتنتك تضل بها من تشاء اى تزيغ قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتهدى من تشاء اى تقيم قلب من تشاء باصبع صفة اللطف انت ولينا اى المتولى لامورنا والناصر فى هدايتنا فاغفر لنا ما صدر منا وارحمنا بنعمة الرؤية التى سألنا كها وأنت خير الغافرين اى خير من يستر على ذنوب المذنبين يعنى انهم يسترون الذنب ولا يعطون سؤلهم فأنت الذى تستر الذنب وتبدله بالحسنات وتعطى سؤل اهل الزلات واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة يعنى حسنة الرؤية كما كتبت لمحمد عليه السلام ولخواص امته هذه الحسنة فى الدنيا وفى الاخرة يعنى خصنا بهذه الفضيلة فى الدنيا والآخرة انا هدنا اليك رجعنا اليك فى طلب هذه الفضيلة بالسر لا بالعلانية وانت الذى تعلم السر والاخفى واجابهم الله تعالى سرا بسر واضمارا باضمار قال عذابى اصيب به من اشاء اى بصفة قهرى آخذ من اشاء وبقرآءة من قرأ من أساء اى من أساء فى الأدب عند سؤال الرؤية حيث قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة آخذهم على سوء ادبهم فادبهم بتأديب عذاب الفرقة ورحمتى وسعت كل شئ نعمة وايجادا وتربية فسأكتبها يعنى حسنة الرؤية والرحمة بها التى أنتم تسألونها للذين يتقون ويؤتون الزكاة يعنى يتقون بالله عن غيره ويؤتون من نصاب هذا المقام الزكاة الى طلابه والذين هم بآياتنا يؤمنون يعنى الذين هم يؤمنون بانوار شواهد الآيات لا بالتقليد بل بالتحقيق وهم خواص هذه الامة كما عرف أحوالهم وصرح أعمالهم بقوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى وفيه اشارة الى ان فى امته من يكون مستعد الاتباعه فى هذه المقامات الثلاثة وهى مقامات الرسالة والنبوة التى هى مشتركة بينه وبين الرسل والانبياء والمقام الامى الذى هو مخصوص به صلى الله عليه وسلم من بين الانبياء والرسل عليهم السلام ومعنى الأمى انه أم الموجودات واصل المكونات كما قال أول ما خلق الله روحى وقال حكاية عن الله لولاك لما خلقت الكون فلما كان هو اول الموجودات واصلها سمى أميا كما سميت مكة ام القرى لانها كانت مبدأ القرى واصلها وكما سمى ام الكتاب اما لانه مبدأ الكتب واصلها فاما اتباعه فى مقام الرسالة والنبوة فبان يأخذ ما آتاه الرسول وينتهى عما نهاه عنه كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فان الرسالة تتعلق باحكام الظاهر والنبوة تتعلق باحوال الباطن فللعوام شركة مع الخواص فى الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن ادّى حقوق احكام الرسالة فى الظاهر يفتح له بها أحوال النبوة فى الباطن من مقام تذبئة الحق تعالى بحيث يصير صاحب الاشارات والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية وربما يؤول حاله الى ان يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال كما قال عليه السلام علماء أمتى كانبياء بنى اسرآئيل يشير الى هذا القوم وذلك ان المتقدمين من بنى اسرآئيل فى زمن الانبياء عليهم السلام لما وصلوا الى مقام الانبياء أعطوا النبوة والله أعلم وكانوا مقررين لدين رسولهم حاكمين بالكتب المنزلة على رسلهم فكذلك هذا القوم كما قال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا الآية واما اتباعه فى مقام اميته صلى الله عليه وسلم فذلك مخصوص بأخص الخواص من متابعيه وهو انه صلى الله عليه وسلم رجع من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم بجذبات الوحى ازل فى مقام التوحيد ثم اختطف بانوار الهوية عن انانيته الى مقام الوحدة كما قال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد وكما قال ثم دنا فتدلى

فكان قاب قوسين او ادنى فقاب قوسين عبارة عن مقام التوحيد واو ادنى عن مقام الوحدة تفهم ان شاء الله تعالى فمن رجع بالسير فى متابعته من مقام البشرية الى ان بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات النبوة انزل فى مقام التوحيد ثم اختطف بانوار المتابعة عن انانيته الى مقام الوحدة فقد حظى بمقام امته صلى الله عليه وسلم وبقوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يشير الى انه مكتوب عندهم والا فهو مكنون عنده فى مقعد صدق يأمرهم بالمعروف وهو طلب الحق والنيل اليه وينهاهم عن المنكر وهو طلب ماسواه والانقطاع عنه ويحل لهم الطيبات اى القربات الى الله اوان الطيب هو الله ويحرم عليهم الخبائث وهى الدنيا ومايباعدهم عن الله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم يعنى اصرهم من العهد الذى كان بين الله تعالى وبين حبيبه صلى الله عليه وسلم بان لايصل احد الى مقام امته وحبيبته الاامته واهل شفاعته بتبعيته كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية وقال عليه السلام الناس يحتاجون الى شفاعتى حتى ابراهيم فكان من هذا العهد عليهم شدة واغلال تمنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع النبى عليه السلام عنهم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه اى وقروه باختصاص هذا المقام فانه مخصوص به من بين سائر الانبياء والرسل ونصروه بالمتابعة واتبعوا النور الذى انزل معه يعنى حين اختطف بانوار الهوية عن انانيته فاستفاد نور الوحدة فلم يبق من ظلمة انانيته شئ وكان نورا اصرفا فلما ارسل الى الخلق انزل معه نور الوحدة كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وكتاب مبين يعنى القرآن فامروا بمتابعة هذا النور ليقتبسوا منه نور الوحدة فيفوزوا بالسعادة الكبرى والنعمة العظمى اولئك هم المفلحون فى حجب الانانية الفائزون بنور الوحدة كذا فى التأويلات النجمية (قل) يا محمد (يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الكافة من الثقلين الى من وجد فى عصره والى من سيوجد بعده الى يوم القيامة بخلاف سائر الرسل فانهم بعثوا الى اقوامهم اهل عصرهم ولم تستمر شرائعهم الى يوم القيامة واليكم متعلق بقوله رسول وجميعا حال من ضمير اليكم قال الحدادى انى رسول الله اليكم كافة ادعوكم الى طاعة الله وتوحيده واتباعه فيما اوديه اليكم وفى آكام المرجان لم يخالف احد من طوائف المسلمين فى ان الله تعالى ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس والعرب والعجم فان قلت فى بعثة سليمان عليه السلام مشاركة له لانه ايضا كان مبعوثا الى الانس والجن وحاكما عليهما بل على جميع الحيوانات قلت ان سليمان لم يبعث الى الجن بالرسالة بل بالملك والضبط والسياسة والسلطنة لانه عليه السلام استخدمهم وقضى بينهم بالحق ومادعاهم الى دينه لان الشياطين والعفاريت كانوا يقومون فى خدمته وينقادون له مع انهم على كفرهم وطغيانهم كذا حققه والهى الاسكوبى قال ابن عقيل الجن داخلون فى مسمى الناس لغة وهو من ناس ينوس اذا تحرك قال الجوهرى وصاحب القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس اصله أناس جمع عزيز ادخل عليه ال (الذى) منصوب اومرفوع على المدح اى اعنى الله الذى او هو الذى (له ملك السموات والارض) مراوراست بادشاهى آسمانها وزمينها وتدبير وتصرف دران (لا اله الا هو) هيچ معبودى نيست مستحق عبادت جزاو • وهو بدل من الصلة التى قبله وفيه بيان لها لان من ملك العالم كان هو الاله المتفرد بالالوهية واسم هو ضمير غيبة وهو من اخص اسمائه تعالى اذ الغيبة الحقيقية انما هى له اذ لاتتصوره العقول ولا تحده الاوهام وهو اسم لحضرة الغيب الثانية التى هى اول تعينات الذات الذى هو برزخ جامع بين حكمى الاسم الباطن والظاهر وحيث تخفى فيه الواو فهو اسم لحضرة غيب الغيب وهى الحضرة الاولى من حضرات الذات وهو فاتحة الاسماء وام كتابها تنزل منزلة الالف من الحروف كذا فى ترويح القلوب لعبد الرحمن البسطامى قدس سره واعلم ان المقربين لايرون موجودا سوى الله تعالى فاذا قالوا هو اشاروا به الى الحق سبحانه سواء تقدم له مرجع اولا وتحقيقه فى حواشى ابن الشيخ فى سورة الاخلاص (يحيى ويميت) زيادة تقرير للالوهية لانه لايقدر على الاحياء والاماتة الا الذى لا اله الا هو قال الحدادى يحيى الخلق من النطفة ويميتهم عند انقضاء آجالهم لايقدر على ذلك احد سواه وقيل معناه يحيى الاموات للبعث ويميت الاحياء فى الدنيا (فآمنوا بالله ورسوله) الفاء لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه الصلاة والسلام (النبى الامى) مدح له عليه السلام ومعنى

الامى لايقرأ ولايكتب فيؤمن من جهته ان يقرأ الكتب وينقل اليهم اخبار الماضين ولكن يتبع لما يوحى اليه (الذى يؤمن بالله وكلماته) اى ما انزل عليه من اخبار سائر الرسل ومن كتبه ووحيه وانما وصفه به لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امر وابه والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به (واتبعوه) اى فى كل ما يأتى وما يذر من امور الدين (لعلكم تهتدون) علة للفعلين او حال من فاعليهما اى رجاء لاهتدائكم الى المطلوب او راجين له وفى تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغى والضلالة قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته لان طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه وعلى المقتفين اثره والمتابعين سنته قال الشيخ العارف الواصل الوارث الكامل محيى الدين بن العربى قدس سره فى بيان السنة والسنى الانسان لا يخلو ان يكون واحدا من ثلاثة بالنظر الشرعى وهو اما ان يكون باطنيا محضا وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالا وفعلا وهذا يؤدى الى تعطيل احكام الشرائع وقلب اعيانها وكل ما يؤدى الى هدم قاعدة من قواعد الدين او سنة من سننه ولو فى العادات كالاكل والشرب والوقاع فهو مذموم بالاطلاق عصمنا الله واياكم من ذلك واما ان يكون ظاهرا محضا متقلقلا بحيث ان يؤديه ذلك الى التجسيم والتشبيه نعوذ بالله منهما فى باب الاعتقادات او يكون معتمدا على مذهب فقيه من الفقهاء اصحاب علوم الاحكام المحجوبة قلوبهم بحب الدنيا عن معاينة الملكوت فتراه خائفا من الخروج عن مذهبه فاذا سمع سنة من سنن النبى عليه السلام يحيلها على مذهب فقيه آخر فيترك العمل بها ولو اوردت الف حديث مأثور فى فضائلها فيتصامم عن سماعها بل يسيئ الظن برواية المتقدمين من التابعين والسلف بناء على عدم ايراد ذلك الفقيه اياها فى كتابه فمثل ذلك ايضا ملحوق بالذم شرعا والى الله نفزع ونلتجئ من ان يجعلنا واياكم منهم واما ان يكون جاريا مع الشريعة على فهم اللسان حيث ما مشى الشارع مشى وحيث ما وقف وقف قدما بقدم حتى فى اقل شئ من الفضائل فى العبادات والعادات صارفا جل عنايته وباذلا كل مجهوده فى ان لا يفوته شئ من الافعال المحمدية فى عباداته وعاداته على حسب ما سنح له فى اثناء مطالعاته من كتب الاحاديث المعول عليها والتى فى اذنه من استاذه وشيخه المعتمد عليه ان لم يكن من اهل المطالعة فهذا هو الوسط وهو السنة والآخذ به هو السنى وبهذا يصح محبة الله له وحكى ان الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر قال راعيت جميع ما صدر عن النبى عليه السلام سوى واحد وهو انه عليه السلام زوج بنته عليا رضى الله عنه وكان يبيت فى بيتها بلا تكلف ولم يكن لى بنت حتى افعل كذلك وحكى عن سلطان العارفين ابى يزيد البسطامى قدس سره انه قال ذات يوم لاصحابه قوموا بنا حتى ننظر الى ذلك الذى قد شهر نفسه بالولاية قال فمضينا فاذا بالرجل قد قصد المسجد فرمى بزاقه نحو القبلة فانصرف ابو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا ليس بمأمون على ادب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه من مقامات الاولياء والصديقين وحكى عن احمد بن حنبل رحمه الله قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فعملت بالحديث وهو من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لى يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك فقلت من أنت قال جبريل عليه السلام وعن عابس بن ربيعة قال رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقبل الحجر الاسود ويقول انى لأعلم انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا انى رأيت رسول الله يقبلك ماقبلتك واتفق المشايخ على ان من ألقى زمامه فى يد كلب مثلا حتى لا يكون تردده بحكم طبعه ونفسه أقوم لقبول الرياضة ممن جعل زمامه فى حكم نفسه يسترسل بها حيث شاء كالبهائم فالواجب عليك ان تكون تابعا لا مسترسلا * سك أصحاب كهف روزى چند * پى مردم گرفت ومردم شد * فاذا اتبعت فاتبع سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم الذى آدم ومن دونه من الانبياء والاولياء تحت لوائه فاذا اتبعت واحدا من امته فلا تتبعه لمجرد كونه رجلا مشهورا بين الناس مقبولا عند الامراء والسلاطين بل كان الواجب عليك ان تعرف اولا الحق ثم تزن الرجال به وفيه قال باب العلم الربانى على رضى الله عنه من عرف الحق بالرجال حار فى متاهات الضلال بل اعرف الحق تعرف أهله وبقدر متابعتك للنبى صلى الله عليه وسلم تستحكم مناسبتك به وتتأكد علاقة المحبة بينك وبينه وبكل

ما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه او زيارة قبره او جواب المؤذن والدعاء له عقيبه كانت مستحقا لشفاعته قالوا ولو وضع شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم او عصاه او سوطه على قبر عاص انجا ذلك العاصي ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كانت فى دار انسان او بلدة لا يصيب سكانها بلاء ببركاتها وان لم يشعروا بها ومن هذا القبيل ماء زمزم والكفن المبلول به و بطانة استار الكعبة والتكفن بها قال الامام الغزالى رحمه الله واذا اردت مثالا من خارج فاعلم ان كل من اطاع سلطانا وعظمه فاذا دخل بلدته ورأى فيها سهما من جعبته او سوطاله فانه يعظم تلك البلدة واهلها فالملائكة يعظمون النبى صلى الله عليه وسلم فاذا رأوا ذخائره فى دار او بلدة او قبر عظموا صاحبه وخففوا عنه العذاب ولذلك السبب ينفع الموتى ان توضع المصاحف على قبورهم و يتلى عليهم القرءآن و يكتب القرءان على القراطيس وتوضع فى ايدى الموتى كذا فى الاسرار المحمدية قال فى الجلد الثالث من المثنوى ازانس فرزند مالك آمدست * كه بمهمانئ او شخصى شدست * اوحكايت كردكز بعد طعام * ديد انس دستارخوان ازرد فام * چركن آلوده وكفت اى خادمه * اندر افكن درتنورش يكدمه * درتنور پرزآتش درفكند * ان زمان دستارخوان راهوشمند * جمله مهمانان دران حيران شدند * انتظار دود كندورى بدند * بعد يكساعت بر آورد ازتنور * پاك واسپيد وازان اوساخ دور * قوم كفتند اى صحابى عزيز * چون نسوزيد ومنقا كشت نيز * كفت زانكه مصطفى دست ودهان * بس بماليد اندرين دستارخوان * اى دل ترسنده از نار وعذاب * باچنان دست ولبى كن اقتراب * چون جمادى راچنين تشريف داد * جان عاشق را چهاخواهد كشاد * اللهم اجعل حرقتنا محبته وارزقنا شفاعته (ومن قوم موسى) لما ذكر الله تعالى عبدة العجل ومن قالوا ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وهم الاشقياء اتبع ذكرهم بذكر اضدادهم السعداء فالمراد بالقوم بنوا اسرآئيل الموجودون فى زمن موسى عليه السلام (امة) اى جماعة (يهدون) راه مينمايند خلق را فالمفعول محذوف (بالحق) ملتبسين به اى محقين (وبه) اى بالحق (يعدلون) اى فى الاحكام الجارية بينهم وصيغة المضارع فى الفعلين لحكاية الحال الماضية والاشهر ان المراد بهذه الامة قوم ورآء الصين باقصى المشرق وذلك ان بنى اسرآئيل لما بالغوا فى العتو والطغيان بعد وفاة موسى ووفاة خليفته يوشع حتى اجترأوا على قتل انبيائهم ووقع الهرج والمرج تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم و بين اولئك الطاغين ففتح الله لهم وهم فى بيت المقدس نفقا فى الارض وجعل امامهم المصابيح لتضيئ لهم بالنهار فاذا امسوا اظلم عليهم النفق فنزلوا فاذا اصبحوا اضاءت لهم المصابيح فساروا ومعهم نهر من ماء يجرى واجرى الله تعالى عليهم ارزاقهم فساروا فيه على هذا الوجه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من ورآء الصين الى ارض باقصى المشرق طاهرة طيبة فنزلوها وهم مختلطون بالسباع والوحوش والهوام لا يضر بعضهم بعضا وهم متمسكون بالتوراة مشتاقون الى الاسلام لا يعصون الله تعالى طرفة عين تصافحهم الملائكة وهم فى منقطع من الارض لا يصل اليهم احد منا ولا احد منهم الينا امالان بين الصين و بينهم واديا جاريا من رمل فيمنع الناس من اتيانهم كما قال ابن عباس رضى الله عنه او نهرا من شهد كما قال السدى وانهم كبنى اب واحد ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل و يضحون بالنهار و يزرعون و يحصدون جميعا فيضعون الحاصل فى اماكن من القرية فيأخذ كل رجل منهم قدر حاجته و يدع الباقى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبرآئيل ليلة المعراج انى احب ان أرى القوم الذين اثنى الله عليهم بقوله ومن قوم موسى امة الآية فقال ان بينك و بينهم مسيرة ست سنين ذهابا وست سنين ايابا ولكن سل ربك حتى يأذن لك فدعا النبى عليه السلام وامن جبريل فاوحى الله تعالى الى جبريل انه اجب الى ماسأل فركب البراق فخطا خطوات فاذا هو بين اظهر القوم فسلم عليهم وردوا عليه سلامه وسألوه من انت فقال انا النبى الامى قالوا انت الذى بشر بك موسى عليه السلام واوصانا بان قال لنا من ادرك منكم احمد عليه الصلاة والسلام فليقرأ عليه منى السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى سلامه وقالوا فمن معك قال اوترون قالوا نعم قال هو جبريل قال فرأيت قبورهم على ابواب دورهم فقلت فلم ذلك قالوا اجدر ان نذكر الموت صباحا ومساء فقال ارى بنيانكم مستويا قالوا ذلك لئلا يشرف بعضنا على بعض ولئلا يسد احد على احد الريح والهوآء قال فمالى

لا ارى لكم قاضيا ولا سلطانا قالوا انصف بعضنا بعضا واعطينا الحق فلم نحتج الى قاض ينصف بيننا
قال فما لى ارى اسواقكم خالية قالوا نزرع جميعا ونحصد جميعا فيأخذ كل احد منا ما يكفيه ويدع الباقى
لاخيه فلا نحتاج الى مراجعة الاسواق قال فما لى ارى هؤلاء القوم يضحكون قالوا مات لهم ميت فيضحكون
سرورا بما قبضه الله على التوحيد قال فما لهؤلاء القوم يبكون قالوا ولد لهم مولود فهم لا يدرون على اى دين
يقبض فيغتمون لذلك قال فاذا ولد لكم ذكر فماذا تصنعون قالوا نصوم لله شكرا شهرا قال فالانثى قالوا نصوم
لله شكرا شهرين قال ولم قالوا لان موسى عليه السلام اخبرنا ان الصبر على الانثى اعظم اجرا من الصبر
على الذكر قال أفتزنون قالوا وهل يفعل ذلك احد لو فعل ذلك احد لحصبته السماء وخسفت به الارض من تحته
قال أفتربون قالوا انما يربى من لا يؤمن برزق الله قال أفتمرضون قالوا لا نمرض ولا نذنب انما تذنب امتك
فيمرضون ليكون ذلك كفارة لذنوبهم قال هل فى ارضكم سباع وهوام قالوا نعم تمر بنا ونمر بها ولا تؤذينا
ولا نؤذيها فعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم شريعته والصلوات الخمس عليهم وعلمهم الفاتحة وسورا
من القرآن قال الحدادى اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن يومئذ نزلت فريضة غير الصلاة
والزكاة فامرهم بالصلاة والزكاة وان يتركوا تحريم السبت ويجمعوا وامرهم ان يقيموا مكانهم فهم اليوم هنالك
حنفاء مسلمون مستقبلون قبلتنا يقول الفقير التجميع وهو بالفارسى نماز آدينه آمدن وكزاردن آن * انما شرع
بعد الهجرة فتناقض اول الكلام مع آخره وكذا امر القبلة واعل النبى عليه السلام علمهم اولا ما نزل بمكة
من الشرائع والاحكام ثم اكمل لهم الدعوة بطريق آخر فان المعراج بالروح والجسد معا وان حصل له عليه
السلام مرة واحدة بمكة وفى ليلته فرضت الصلاة على ما عليه الكل الا انه عليه السلام كان يصل جسده
الشريف فى لمحة الى حيث يصل اليه بصره وكان عنده القريب والبعيد على السواء هذا ما خطر بالضمير بعد
ما رأيت من اهل التفسير ما يتنافى الاول منه بالاخر والله هو العليم الخبير والاشارة فى الآية ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق يعنى خواصهم يهدون بالحق يرشدون الخلق بالكتاب المنزل بالحق على موسى عليه السلام
وبه يعدلون اى به يحكمون بين العوام وشتان بين امة امية بلغوا اعلى مراتب الروحانية بالسير فى متابعة النبى
الامى ثم اختطفوا عن الانانية روحانيتهم بجذبات انوار المتابعة الى مقام الوحدة التى هى مصدر وجودهم
فى بقاء الوحدة كما قال تعالى كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبالرجوع الى هذا المقام
سموا اميين فانهم رجعوا الى اصلهم الذى صدروا عنه ايجادا وبين امة كان نبيهم محجوبا بحجاب الانانية
عند سؤال الرؤية بقوله ارنى انظر اليك فاجيب لن ترانى لانك كنت بك لابى فانه لا يرانى الا من كان بى لا به
فاكون بصره الذى يبصر به وهذا مقام الامة الامية فلهذا قال موسى عليه السلام اللهم اجعلنى من امة احمد
شوقا الى لقاء ربه فافهم جدا كذا فى التأويلات النجمية * مصطفى را انبيا امت شدند * جمله در زير
لواء او بدند * پايۀ اين امت مرحومه بين * كى بقالوا بين ارباب اليقين * رفعتش بين الامم چون
آفتاب * درميان انجم اى عالى جناب * پيشه كن اى حق شرع اين نبى * تا نباشد فوت ازتو
مطلبى (وقطعناهم) اى قوم موسى لا الامة المذكورة منهم (اثنتى عشرة) ثانى مفعولى قطع لتضمنه معنى
التصيير والتأنيث للحمل على الامة او القطعة اى صيرناهم اثنتى عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض
(اسباطا) بدل منه ولذلك جمع لان مميز احد عشر الى تسعة عشر يكون مفردا منصوبا واسباطا جمع فلا يصلح
ان يكون مميزا له وهى جمع سبط والسبط من ولد اسحق كالقبيلة من ولد اسمعيل وهو فى الاصل ولد الولد (امما)
بدل بعد بدل جمع امة وهى بمعنى الجماعة والمحصر فرق بنى اسرائيل فى اثنتى عشرة فرقة لانهم تشعبوا من
اثنى عشر رجلا من اولاد يعقوب فانعم الله عليهم بهذا التقطيع والتمييز لتنتظم احوالهم ويتيسر عيشهم
وكانوا اقواما متباغضة متعصبة (واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه) اى طلبوا منه الماء حين استولى
عليهم العطش فى التيه الذى وقعوا فيه بسوء صنيعهم (ان) مفسرة لفعل الايحاء (اضرب بعصاك) كان عصاه
من آس الجنة وكان آدم حملها معه من الجنة الى الارض فتوارثها الانبياء صاغرا عن كابر حتى وصلت
الى شعيب فاعطاها موسى (الحجر) قد سبق فى البقرة على الاختلاف الواقع فيه (وقال فى التفسير الفارسى)
آن سنك راكه چون بتيه درآمدى با تو بسخن درآمدكه مرا برداركه ترا بكار آيم وتو برداشتى وحالا در توبره

داوى موسى عليه السلام عصا بران سنك زد (فانبجست) پس شكافته شدو كشاده كشت (منه) آزان سنك (اثنتا عشرة عينا) دوازده چشمه بعدد الاسباط قال الحدادى الانبجاس خروج الماء قليلا قليلا والانفجار خروجه واسعا وانما قال فانبجست لان الماء كان يخرج من الحجر فى الابتداء قليلا ثم يتسع فاجتمع فيه صفة الانبجاس والانفجار (قد علم كل اناس) كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط (مشربهم) اى عينهم الخاصة بهم وكان كل سبط يشربون من عين لا يخالطهم فيها غيرهم للعصبية التى كانت بينهم قال ابن الشيخ كان فى ذلك الحجر اثنتا عشرة حفرة فكانوا اذا نزلوا وضعوا الحجر وجاء كل سبط الى حفرته فحفروا الجداول الى اهلهم فذلك قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم اى موضع شربهم (وظللنا عليهم الغمام) اى جعلناها بحيث تلقى عليهم ظلها تسير فى التيه بسيرهم وتسكن باقامتهم لتقيهم حر الشمس فى النهار وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه (وانزلنا عليهم المن) الترنجبين قال فى القاموس المن كل طل ينزل من السماء على شجر او حجر و يحلو و ينعقد عسلا و يجف جفاف الصمغ كالشيرخشت والترنجبين (والسلوى) قال القزوينى وابن البيطار انه السمانى وقال غيرهما طائر قريب من السمانى (قال فى التفسير الفارسى) مرغى برشكل سمانى وان طائريست در طرف يمن از كنجشك بزركتر واز كبوتر خردتر * وانما سمى سلوى لان الانسان يسلو به عن سائر الادام وفى الحديث اطيب اللحم لحم الطير وفى الحديث ايضا سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء وسيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية و يدل على كون اللحم سيد الطعام ايضا قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل منه ما يكفيه (كلوا) اى قلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) اى مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى قال فى التفسير الفارسى * از پاكيزها آنچه بمحض عنايت روزى شما كرديم يعنى هرچه روزى ميرسد بخوريد و براى خود ذخيره منهيد پس ايشان خلاف كرده وذخيره مى نهادند همه متعفن ومتغير ميشد (وما ظلمونا) عطف على جملة محذوفة للايجاز اى فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) اذ لا يتخطاهم ضرره قال الحدادى اى يضرون انفسهم باستيجابهم عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا كلفة ولا مشقة فى الدنيا ولا حساب ولا تبعة فى العقبى (واذ قيل لهم) اى واذكر لهم بامحمد وقت قوله تعالى لاسلافهم (اسكنوا هذه القرية) منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهى بيت المقدس او اريحاء وهى قرية الجبارين بقرب بيت المقدس وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق (وكلوا منها) اى من مطاعمها وثمارها (حيث شئتم) اى من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد (وقولوا حطة) اى مسألتنا حطة ذنوبنا عنا فعلة من الحط كالردة من الرد والحط وضع الشئ من اعلى الى اسفل والمراد ههنا الحط المغفرة وحط الذنوب (وادخلوا الباب) اى باب القرية (سجدا) منحنين متواضعين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه ثم ان كان المراد بالقرية اريحاء فقد روى انهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه السلام بمن بقى من بنى اسرآئيل او بذرياتهم على اختلاف الروايتين فقصها كما مر فى سورة المائدة وان كان بيت المقدس فقد روى انهم لم يدخلوه فى حياة موسى فقيل المراد بالباب باب القبة التى كانوا يصلون فيها كذا فى الارشاد (نغفر لكم خطيئاتكم) ما سلف من ذنوبكم باستغفاركم وخضوعكم (سنزيد المحسنين) استئناف بيانى كأنه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد المحسنين احسانا وثوابا فالمغفرة مسببة عن الامتثال والاثابة محض تفضل (فبدل الذين ظلموا منهم) ما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه (قولا) آخر مما لا خير فيه روى انهم دخلوا زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة استخفافا بامر الله تعالى واستهزآء بموسى عليه السلام وعدولا عن طلب عفو الله تعالى ورحمته الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا الفانية الدنية (غير الذى قيل لهم) نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه (فارسلنا عليهم) اى على الذين ظلموا اثر ما فعلوا من غير تأخير والارسال من فوق كالانزال (رجزا من السماء) عذابا كائنا

منها والمراد الطاعون روى انه مات منهم فى ساعة واحدة اربعة وعشرون ألفا (بما كانوا يظلمون) بسبب ظلمهم
المستمر السابق واللاحق لا بسبب التبديل فقط كذا من لم يعرف قدر النعماء يقرع باب البلاء ايجرى عليه احكام
القضاء فامتحن بانواع المحن والوباء واعلم ان الذين ظلموا من بنى اسرائيل افسدوا عليهم النعمتين نعمة الدنيا
وهى المنّ والسلوى وغيرهما ونعمة العقبى وهى المغفرة والاثابة وبعد فوت زمان التدارك لا ينفع نفسا ايمانها
ولا تحسرها وندمها (حكى) ان اخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا فى ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا
الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فأقاما عليه ثلاثة
ايام كل يوم تخرج لهما دينارا فقال احدهما للآخر الى متى ننتظر هذه الحية الا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز
فنأخذه فنهاه اخوه وقال ما تدرى لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه فأخذ فأسا معه ورصد الحية حتى
خرجت وضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فبادرت الحية فقتلته ورجعت الى جحرها فدفنه اخوه
واقام حتى اذا كان الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شئ فقال يا هذه انى والله ما رضيت بما اصابك
ولقد نهيت أخى عن ذلك فهل لك ان تجعل الله بيننا لا تضرينى ولا أضرك وترجعين الى ما كنت عليه فقالت
الحية لا فقال ولم قالت لانى اعلم ان نفسك لا تطيب لى أبدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسى لا تطيب لك وانا اذكر
هذه الشجة كذا فى حياة الحيوان (قال فى المثنوى) بر گذشته حسرت آوردن خطاست *
باز نايد رفته ياد آن هباست * اللهم اجعلنا من المتيقظين قبل طلوع صبح الآخرة ولا تجعلنا غافلين عما
يهمنا من الامور الباطنة والظاهرة ووفقنا كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا وعن
بواطننا خبيرا (واسألهم) عطف على واذكر المقدر عند قوله واذ قيل والضمير البارز عائد الى اليهود المعاصرين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس المقصود من السؤال استعلام ما ليس معلوما للسائل لانه عليه السلام
كان قد علم هذه القصة من قبل الله تعالى بالوحى بل المقصود منه ان يحملهم الرسول صلى الله عليه وسلم
على ان يقرّوا بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى ومخالفتهم الانبياء على طريق التوارث من اسلافهم
وتقريعهم بذلك وان يظهر بذلك معجزة دالة على انه نبى حق اوحى اليه ما لا يعلم الا بتعليم اووحى فانه عليه
السلام لما كان أميا ولم يخالط اهل الكتب السابقة وبين هذه القصة على وجهها من غير زيادة ولا نقصان
تعين انه علم ذلك بالوحى فكان بيانها على ما وقعت معجزة ظاهرة من جملة معجزاته عليه السلام (عن القرية)
اى عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهى ايلة بين مدين والطور والعرب تسمى
المدينة قرية (التى كانت حاضرة البحر) اى قريبة منه مشرفة على شاطئه (اذ يعدون فى السبت) اى يتجاوزون
حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة واذ ظرف للمضاف المحذوف
(اذ تأتيهم حيتانهم) ظرف ليعدون والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان
لفظا ومعنى وكان على بن ابى طالب يقول سبحان من يعلم اختلاف النينان فى البحار الغامرات واضافتها
اليهم لان المراد بالحيتان الكائنة فى تلك الناحية (يوم سبتهم) ظرف لتأتيهم اى تأتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت
فالسبت هنا مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وفى التفسير الفارسى روز شنبة ايشان
فهو اسم لليوم (شرعا) جمع شارع من شرع عليه اذا دنا واشرف وهو حال من حيتانهم اى تأتيهم يوم سبتهم
ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل (ويوم لا يسبتون) اى لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم
المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اى لا سبت ولا مراعاة (لا تأتيهم) كما كانت
تأتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم فان الله تعالى قوى دواعيها الى الشروع فى يوم السبت معجزة لنبى ذلك
الوقت وابتلاء لتلك التى فصلت بين يوم السبت وغيره من الايام (كذلك نبلوهم) الكاف فى موضع النصب
بقوله نبلوهم اى مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم به
(بما كانوا يفسقون) اى بسبب فسقهم المستمر فى كل ما يأتون وما يذرون (واذ قالت) عطف على اذ يعدون
(أمة منهم) اى جماعة من صلحائهم الذين ركبوا فى عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول
لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتأثير مبالغة فى الاعذار وطمعا فى فائدة الانذار (لم تعظون)
چرا پند ميدهيد (قوما) گروهى راكه بى شبهه (الله مهلكهم) اى مستأصلهم ومطهر الارض منهم

(اومعذبهم عذابا شديدا) دون الاستئصال بالمرة والمفهوم من بقية الآية كون المراد عذاب الدنيا قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم لا انكارا لوعظهم ورضى بالمعصية منهم (قالوا) اى الوعاظ (معذرة الى ربكم) مفعول له اى نعظهم معذرة اليه تعالى والمعذرة اسم مصدر بمعنى العذر وهو بضم فسكون فى الاصل تحرى الانسان مايمحو به ذنوبه بأن يقول لم افعل اوفعلت لاجل كذا اوفعلت ولا اعود وهذا الثالث التوبة فكل توبة عذر بلا عكس وقيل المعذرة بمعنى الاعتذار يقال اعتذرت الى فلان من جرمى ويعدى بمن والمعتذر قد يكون محقا وغير محق كذا فى تاج المصادر (قال السعدى) كر بمحشر خطاب قهر كند * انبيا راچه جاى معذرت است * برده ازلطف كو بردار * كاشقيارا اميد مغفرت است (ولعلهم يتقون) عطف على معذرة اى ورجاء لأن يتقوا بعض التقاة ويتركوا المعصية لان قبول الحق الواضح يرجى من العاقل واليأس لا يحصل الا بالاهلاك وهذا صريح فى ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب اى ولعلكم (فلما نسوا ماذكروا به) اى تركوا ماذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسى للشئ واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شئ من تلك المواعظ اصلا فيكون من ذكر المسبب وارادة السبب (انجينا الذين ينهون عن السوء) اى خلصنا الذين ينهون عن الاصطياد وهم الفريقان المذكوران قال ابن عباس رضى الله عنه نزل والله بالمداهن مانزل بالمستحل وقال الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وانكر القول الذى ذكره عن ابن عباس وقال ماهلك الا فرقة لانه ليس شئ ابلغ فى الامر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وقد ذكرت الفرقة الثالثة الوعيد فقالت لم تعظون قوما الله مهلكهم اومعذبهم عذابا شديدا وقول الحسن اقرب الى ظاهر الآية كذا فى تفسير الحدادى (واخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء ومخالفة الامر (بعذاب بئيس) اى شديد وزنا ومعنى (بما كانوا يفسقون) متعلق بأخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اى اخذناهم بماذكر من العذاب بسبب تماديهم فى الفسق الذى هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا فى الغى فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عنه) اى تمردوا وتكبروا وأبوا عن ترك ما نهوا عنه فقدر المضاف اذ التكبر والاباء من نفس المنهى عنه لا يذم فهو كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم اى عن امتثال امر ربهم والعاتى هو شديد الدخول فى الفساد المتمرد الذى لا يقبل الموعظة (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) صاغرين اذلاء بعداء عن الناس فى القاموس خسأ الكلب كمنع طرده والكلب بعد والقردة جمع قرد بالفارسى بوزينه والانثى قردة وجمعها قرد مثل قربة وقرب والمراد بالامر هو الامر التكوينى لا القولى التكليفى لانهم لا يقدرون على قلب انفسهم قردة وتكليف العاجز غير معقول فليس ثمة قول ولا امر ولا مأمور حقيقة وانما هو تعلق قدرة وارادة بمسخهم نعوذ بالله تعالى روى ان اليهود امروا باليوم الذى امر نابه وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعنى بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كأنها المخاض والكباش البيض السمان تنتطح لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم فى سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج ويأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه خيطا الى خشبة فى الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع على تنوره فقال له انى ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ فى السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فكان اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهى وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فباعوا الدور والمساكن وخرجوا من القرية فضربوا الخيام خارجا منها او اقتسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم فخرجوا من ابوابهم وانتشروا لمصالحهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا لعل الخمر غلبتهم اوان لهم لشأنا من خسف اومسخ اورمى بالحجارة فعلوا الجدر فنظروا فاذا هم قردة اوصار الشبان قردة والشيوخ خنازير ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابهم

من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتى نسيبه فيشم ثيابه فيبكى ويقول له نسيبه ألم انهكم فيقول القرد برأسه بلى ودموعهم تسيل على خدودهم ثم ماتوا عن مكث ثلاثة ايام كما قال ابن عباس رضى الله عنه لم يعش ممسوخ قط اكثر من ثلاثة ايام وعليه الجمهور واما قوله عليه السلام فقدت أمة من بنى اسرآئيل لا يدرى مافعلت ولا اراها الا الفأر الا ترونها اذا وضع لها ألبان الابل لم تشربها واذا وضع لها ألبان غيرها شربتها وماروى ان النبى عليه السلام اتى بضب فأبى ان يأكله وقال لا ادرى لعله من القرون التى مسخت فالجواب عنهما ان ذلك كان قبل ان يوحى اليه ان الله لم يجعل لممسوخ نسلا فلما اوحى اليه زال عنه ذلك التخوف وعلم ان الضب والفأر ليسا مما مسخ فعند ذلك أخبرنا بقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن القردة والخنازير أهى مما مسخ فقال ان الله لم يهلك قوما او يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك وثبت النصوص باكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكره كذا فى حياة الحيوان وعن مجاهد وانما مسخت قلوبهم فقط وردت افهامهم كأفهام القردة وهذا قول تفرّد به عن جميع المسلمين يقول الفقير مسخ القلب مشترك بين عصاة جميع الامم وعادة الله تعالى فى النبوّة الاولى تعجيل عقوبة الدنيا على اقبح وجه وافظعه ولا عقوبة ادهى من تبديل الصورة الحسنة الانسانية الى صورة اخس الحيوانات وهى صورة القردة والخنازير القبيحة نعم مسخ القلب والمعنى سبب لمسخ القالب والصورة نعوذ بالله * وعن الحسن وايم الله ماحوت اخذه قوم فأكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل ذلك موعدا والساعة ادهى وامر قال انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل هل فى امتك خسف قال نعم قيل ومتى ذلك يارسول الله قال اذا لبسوا الحرير واستباحوا الزنى وشربوا الخمور وطففوا المكيال والميزان واتخذوا القينات والمعازف وضربوا بالدفوف واستحلوا الصيد فى الحرم * والاشارة ان القرية هى قرية الجسد الحيوانى على شاطئ بحر البشرية واهل قرية الجسد الصفات الانسانية وهى على ثلاثة اصناف منها صنف روحانى كصفات الروح وصنف قلبى كصفات القلب وصنف نفسانى كصفات النفس الامارة بالسوء وكل قد نهوا عن صيد حيتان الدواعى البشرية فى سبت محارم الله فصنف أمسك عن الصيد ونهى عنه وهو الصفات الروحانية وصنف امسك ولم ينه وهو الصفات القلبية وصنف انتهك الحرمة وهو الصفات النفسانية قال حضرة شيخنا العلامه ابقاه الله بالسلامه يوم طور النفس الامارة بالسوء يوم السبت لانقطاع اهله باتباع الطاغوت والجبت وشهره شهر المحرم لحرمانه من القربة والنيل والوصلة ونجمه القمر وفلكه فلك السماء الدنيا وآيته قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد انتهى وتتوفر الدواعى البشرية فى ماحرّم الله باغراء الشيطان وتزيينه لان الانسان حريص على مامنع ولا يرغب فيما لم يحرّم الله فمن كان الغالب عليه صفات الروح وقهر النفس وتبديل صفاتها بالتزكية والتحلية فانه من اهل النجاة وارباب الدرجات واصحاب القربات ومن كان الغالب عليه النفس وصفاتها فانه من اهل الهلاك وارباب الدركات واصحاب المباعدات (وفى المثنوى) نفس نونا مست وتازه است وقديد * دانكه روحت خانهٔ غيبى نديد * كه علامات زان ديدار نور * التجافى منك عن دار الغرور * واى انكه عقل اوماده بود * نفس زشتش نرو آماده بود * لاجرم مغلوب باشد عقل او * جز سوى خسران نباشد نقل او * وصف حيوانى بود برزن فزون * زانكه سوى رنك وبو دارد ركون (واذ تأذن ربك) بمعنى آذن مثل توعد بمعنى اوعد والايذان الاعلام وبمعنى عزم لان من عزم على الامر وصمم نيته عليه يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله وعزم الله تعالى على الامر عبارة عن تقرر ذلك الامر فى علمه وتعلق ارادته بوقوعه فى الوقت المقدر له والمعنى واذكر يا محمد لليهود وقت ايجابه تعالى على نفسه (ليبعثن) البتة (عليهم الى يوم القيامة) متعلق بقوله ليبعثن واللام فيه لام جواب القسم لان قوله واذ تأذن ربك جار مجرى القسم كعلم الله وشهد الله من حيث دلالته على تأكد الخبر المؤذن به (من يسومهم) السوم رنج بخشانيدن كذا فى تاج المصادر فالمعنى كسى كه بخشاند ايشانرا * (سوء العذاب) عذابا سيئا كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل مافعل ثم ضرب الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر قال الحدادى وفى هذه الآية دلالة على ان

اليهود لاترفع لهم راية عزالى يوم القيامة (ان ربك لسريع العقاب) يعاقبهم فى الدنيا (وانه لغفور رحيم) لمن تاب وآمن منهم وفى الآية اشارة الى ان الشيطان وهو المنظر الى يوم القيامة يبعث ليسوم الخلق سوء العذاب وهو الابعاد من القربة والاغراء فى الضلالة والاقعاد عن العبودية والاضلال عن الصراط المستقيم ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم فى الدنيا ويملى لهم ليزدادوا اثما هذا عقوبة فى الدنيا وهى توث العقوبة فى الآخرة. وانه لغفور يغفر ذنوب من يرجع اليه ويتوب اى الارواح والقلوب لو رجعت عن متابعة النفس وهواها وتابت الى الله واستغفرت لغفرلها لانه رحيم يرحم من تاب اليه وفيه معنى آخر انه لسريع العقاب اى يعاقب المؤمنين فى الدنيا بأنواع البلاء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ويوفقهم الى الصبر على ذلك ليجعله كفارة لذنوبهم حتى اذا خرجوا من الدنيا خرجوا أتقياء لايعذبون فى الآخرة وانه لغفور رحيم لهم فى الآخرة * لقى يحيى عيسى عليهما السلام فتبسم عيسى فى وجه يحيى فقال مالى اراك لاهيا كأنك آمن فقال الآخر مالى اراك عابسا كأنك آيس فقالا لانبرح حتى ينزل علينا الوحى فأوحى الله تعالى احبكما الى احسنكما ظنابى (قال السعدى) نه يوسف كه چندان بلا ديد وبند * چو حكمش روان كشت وقدرش بلند * كنه عفو كرد آل يعقوب را * كه معنى بود صورت خوب را * بكردار بدشان مقيد نكرد * بضاعات مزجات شان رد نكرد * زلطفت همى چشم داريم نيز * برين بى بضاعت ببخش اى عزيز * فينبغى للعاقل ان يحسن الظن بربه ولا يتكاسل فى باب العبادة فان السفينة لاتجرى على اليبس وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال دخلت جبانة البصرة فاذا انا بسعدون المجنون فقلت كيف حالك وكيف أنت قال يا مالك كيف يكون حال من امسى واصبح يريد سفرا بعيدا بلا اهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكى بكاء شديدا فقلت ما يبكيك قال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت والبلى لكن بكيت ليوم مضى من عمرى لايحسن فيه عمل ابكانى والله قلة الزاد وبعد المفازة والعقبة الكؤود ولا ادرى بعد ذلك اصير الى الجنة ام الى النار فسمعت منه كلام حكمة فقلت ان الناس يزعمون انك مجنون فقال وانت اغتررت بما اغتر به بنوا اسرائيل زعم الناس انى مجنون ومابى جنة ولكن حب مولاى قد خالط قلبى واحشائى وجرى بين لحمى ودمى وعظامى فأنا والله من حبه هائم مشغوف فقلت يا سعدون فلم لاتجالس الناس وتخالطهم فانشأ يقول

كن من الناس جانبا * وارض بالله صاحبا

قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا

كذا فى روض الرياحين لليافعى (وقطعناهم) اى فرقنا بنى اسرائيل (فى الارض) وجعلنا كل فرقة منهم فى قطر من اقطارها بحيث لا تخلو ناحية منها منهم تتميما لجزاء ادبارهم واعراضهم عن الحق حتى لا يكون لهم شوكة بالاجتماع ابدا (أمما) حال من مفعول قطعناهم اى حال كونهم جماعات او مفعول ثان لقطعنا باعتبار تضمنه معنى صيرنا (منهم الصالحون) صفة لأمما وهم المدينون بدين موسى (ومنهم دون ذلك) تقديره ومنهم ناس دون ذلك على ان دون ذلك صفة لموصوف محذوف مرفوع على الابتداء وقوله منهم خبر قدم عليه قال التفتازانى قد شاع فى الاستعمال وقوع المبتدأ والخبر ظرفين واستمر النحاة على جعل الاول خبرا والثانى مبتدأ بتقدير موصوف دون العكس وان كان ابعد من جهة المعنى والتأخير بالخبر اولى وكأنهم يرون المصير الى ان الحذف فى اوانه اولى انتهى وذلك اشارة الى الصلاح المدلول عليه بقوله الصالحون بتقدير المضاف ليصح المعنى اى ومنهم دون اهل ذلك الصلاح منحطون عنهم وهم كفرتهم وفسقتهم وجوز بمعنى اولئك فالاشارة الى الصالحين وقد ذكر النحويون ان اسم الاشارة المفرد قد يستعمل للمثنى والمجموع كذا فى حواشى سعدى چلبى (وبلوناهم) اى عاملناهم معاملة المبتلى المختبر (بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم حيث فتحنا عليهم تارة باب الخصب والعافية وتارة باب الجدب والشدائد (لعلهم يرجعون) ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه من الكفر والمعاصى فان كل واحد من الحسنات والسيئات يدعو الى الطاعة اما الحسنات فللترغيب فيها واما السيئات فللترهيب عن المعصية (قال الكاشفى) اشارا در نعمت شكر بايست كرد بطر واستغنا ظاهر كردند وكفتند ان الله فقير ونحن اغنياء ودر محنت صبرى بايست كرد آغاز ناسزا كردند وكفتند يد الله

مغلولة بر محك اختبار تمام عيار بيرون نيامدند * خوش بود كر محك تجربه آيد بميان * تاسيه روى شود هركه در وغش باشد * وفى التأويلات النجمية بلوناهم بالحسنات اى بكثرة الطاعات ورؤيتها والعجب بها كما كان حال ابليس والسيئات اى المعاصى ورؤيتها والندامة عليها والتوبة منها والخوف والخشية من ربهم كما كان حال آدم عليه السلام رجع الى الله تعالى وقال ربنا ظلمنا انفسنا (فخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) اى بدل سوء وهم الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم الذين خلفوا من اليهود الذين فرقهم الله فى الارض امما موصوفين بانهم منهم الصالحون ومنهم دون ذلك والخلف مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع يقال خلف فلان فلانا اذا كان خليفته وخلفه فى قومه خلافة اى قام مقامه فى تدبير احوال قومه قال ابن الاعرابى الخلف بفتح اللام الصالح وباسكان اللام الطالح ومنه قيل لردىء الكلام خلف وقال محمد بن جرير اكثر ما جاء فى المدح بفتح اللام وفى الذم بتسكينها وقد يحرك فى الذم ويسكن فى المدح قال واحسبه فى الذم مأخوذا من خلف اللبن اذا حمض من طول تركه فى السقاء حتى يفسد ومنه قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه وفسدت فكأن الرجل الفاسد مشبه به والحاصل ان كليهما يستعملان فى الشر والخير الا ان اكثر الاستعمال فى الخير بالفتح كذا فى تفسير الحدادى (ورثوا الكتاب) اى التوراة من اسلافهم يقرأونها ويقفون على ما فيها والميراث ما صار للباقى من جهة الهالك وهو فى محل الرفع على انه نعت لقوله خلف (يأخذون عرض هذا الادنى) استئناف اى يأخذون حطام هذا الشىء الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنو أى القرب سميت هذه الدار وهذه الحياة دنيا لدنوها وكونها عاجلة يقال دنوت منه دنوا اى قربت والدانى القريب اومن الدناءة يقال دنأ الرجل دناءة اى صار دنيا خسيسا لا خير فيه والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى فى الحكومات وعلى تحريف الكلام * قال الحدادى سمى متاع الدنيا عرضا لقلة بقائه كأنه يعرض فيزول قال الله تعالى هذا عارض ممطرنا يريدون بذلك السحاب (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه يقال غفر الله له ذنبه غطى عليه وعفا عنه قوله سيغفر اما مسند الى الجار والمجرور بعده وهو لنا واما الى ضمير الاخذ فى يأخذون كقوله اعدلوا هو اقرب اى سيغفر لنا اخذ العرض الادنى وفى التأويلات النجمية من شأن النفوس ان يجعلوا المواهب الربانية والكشوف الروحانية ذريعة العروض الدنيوية ويصرفوها فى تحصيل المال والجاه واستيفاء اللذات والشهوات ويقولون سيغفر لنا لانا وصلنا الى مقام ورتبة يغفر لنا مثل الزلات والخطيئات كما هو مذهب اهل الاباحة جهالة وغرورا منهم وفيه معنى آخر وهو انهم يقولون سيغفر لنا اذا استغفرنا منها وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) حال من فاعل يقولون اى يأخذون الرشى فى الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون انه تعالى لا يؤاخذنا بأخذ ما أخذناه من عرض الدنيا ويتجاوز عنه والحال انهم مصرون على اخذه عائدون الى مثله غير تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) اى العهد المذكور فى التوراة (أن لا يقولوا على الله الا الحق) عطف بيان للميثاق اى لا تفتروا على الله مثل القطع على المغفرة مع الاصرار على الذنب (ودرسوا ما فيه) وخوانده اند آنچه درومست واين حكم درو ديده اند * وهو معطوف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير اى أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا لما فيه ولذا ان تقول درسوا عطف على لم يؤخذ فالاستفهام التقريرى متعلق بهما (والدار الآخرة) ورستكارى سراى ديكركه عقابست (خير) بهترست از عرض دنيا (للذين يتقون) المعاصى والشرك واكل الحرام والافتراء على الله تعالى (أفلا تعقلون) تعلمون ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد (والذين) اى وخير ايضا للذين (يمسكون بالكتاب) اى يتمسكون به فى امور دينهم يقال مسك بالشىء وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذى جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة اى وسيلة وسببا لاكل اموال الناس وقال عطاء هم أمة محمد عليه السلام فالمراد بالكتاب القرآن (واقاموا الصلاة) من قبيل ذكر الخاص بعد ذكر العام للتنبيه على شرف الخاص وفضله فان اقامة الصلاة اعظم العبادات وأفضلها بعد الايمان فافردت بالذكر لعلو قدرها بالنسبة الى سائر انواع التمسكات * خانهٔ دين خويش راچو خدا * برستون نماز كرد بنا * بى شكى تاستون بجاى بود * خانهٔ دين حق بپاى بود

(انا لا نضيع اجر المصلحين) اى نعطيهم اجرهم فى القول والعمل (قال الكاشفى) مزدكار بصلاح ارند كان كردار خودرا بلكه تمام بديشان رسانيم والاصلاح اما اصلاح الظواهر واما اصلاح السرائر وذلك بالتقيد بالاعمال الظاهرة وتربية النفس الى ان تصلح لقبول فيض نور الله واعلم ان الغالب فى آخر الزمان ترك العمل بالقرآن ولقد خلف من بعد السعداء اشقياء اطمأنوا الى زخارف الدنيا قال الحسن رأيت سبعين بدريا كانوا فيما أحل الله اهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وكانوا بالبلاء أشد منكم فرحا بالرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا اخياركم قالوا اما هؤلاء من خلاق ولو رأوا اشراركم حكموا بأنهم ما يؤمنون بيوم الحساب اذا عرض عليهم الحلال من المال تركوه خوفا من فساد قلوبهم قال هرم لاويس اين تامرنى ان اكون فاوما الى الشأم فقال هرم كيف المعيشة بها قال اويس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة قال من قال * خانه پر گندم ويك جو نفرستاده بگور * غم مركت چوغم برك زمستانى نيست * وهذا الشك لا يزول الا بالتوفيق الخاص الالهى ولا بد من تربية المرشد الكامل فانه اعرف بمصالح النفس ومفاسدها * زمن اى دوست اين يك پند بپذير * برو فتراك صاحب دولتى كير (واذ نتقنا الجبل فوقهم) النتق قلع الشئ من موضعه والجبل هو الطور الذى سمع موسى كلام الله واعطى الالواح وهو عليه او جبل من جبال فلسطين او الجبل الذى كان عند بيت المقدس وفوقهم منصوب بنتقنا باعتبار تضمنه لمعنى رفعنا كانه قيل رفعنا الجبل فوق بنى اسرائيل بنتقه وقلعه من مكانه فالنتق من مقدمات الرفع وسبب لحصوله (كأنه ظلة) اى سقيفة وهى كل ما اظلك بالفارسية سايبان (وظنوا) اى تيقنوا (انه واقع بهم) اى ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به على تقدير عدم قبولهم احكام التوراة (روى) ان موسى عليه السلام لما اتى بنى اسرائيل بالتوراة وقرأها عليهم وسمعوا ما فيها من التكاليف الشاقة ابوا ان يقبلوها وتشددوا بما فيها فامر الله الجبل فانقطع من اصله حتى قام على رؤسهم بحيث حاذى معسكرهم جميعا ولم يبق منهم احد الا والجبل فوقه وكان معسكرهم فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على جانبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على جانبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت بها عنا العقوبة فقبلوها جبرا قيل كل من اتى بشئ جبرا ينكص على عقبيه حين يجد فرصة كذلك اهل التوراة لما قبلوها جبرا ما لبثوا حتى شرعوا فى تحريفها (خذوا) على اضمار القول اى قلنا خذوا (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو (واذكروا ما فيه) بالعمل ولا تتركوه كالمنسى (لعلكم تتقون) بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق وفى الآية اشارة الى ان الانسان لو وكل الى نفسه وطبيعته لا يقبل شيأ من الامور الدينية طبعا ولا يحمل اثقاله قطعا الا ان يعان على القبول والحمل بأمر ظاهر او باطن فيضطر الى القبول والحمل فالله تعالى اعان ارباب العناية حتى حملوا اثقال المجاهدات والرياضات وأخذوا ما آتاهم الله بقوة منه لا بقوتهم وارادتهم (وفى المثنوى) چشمها وگوشها را بسته اند * جز مر انها را كه از خود رسته اند * جز عنايت كه كشايد چشم را * جز محبت كه نشايد چشم را * جهد بى توفيق خود كس را مباد * درجهان والله اعلم بالرشاد * قال حضرة الشيخ افتاده افندى قدس سره مخاطبا لحضرة الهدايى ان كثيرا قد اجتهدوا ثلاثين سنة فلم يتيسر ما حصل لك فقال الهدايى ان بابنا الذى نخدم فيه اعلى مما خدموا فينبغى ان تكون لنا العناية بهذا القدر قدس سره حضرة الشيخ (يحكى) ان ابا يزيد البسطامى لم يأكل البطيخ الاخضر زمانا لعدم وقوفه على ان النبى عليه السلام بأى وجه قطعه والشمس التبريزى قال ان البسطامى كان فى الحجاب بسبب قصة البطيخ قال افتاده افندى كانه اراد ان قوة زهد البسطامى جعلته محجوبا ولكن التحقيق ان كلا منهما على الكمال غايته ان ابا يزيد البسطامى وصل من طريق الرياضة والشمس التبريزى وصل من طريق المعرفة والطرق الى الله كثيرة ولكن طريق الرياضة احكم واثبت فصاحب الزهد الغالب وان لم ينفتح له الطريق زمانا ولكنه اذا انفتح يكون دفعة وبذلك يقدر الحلاج على ضبطه لكماله فى الشريعة والطريقة فظهر حقيقة الحال على الاسلوب المذكور فعناية الله تعالى تهدى اولا الى القبول ثم الى الزهد والرياضة ثم الى العشق والحالة ثم الى عالم الحقيقة والطرق الى الله تعالى بعدد انفاس الخلائق فكل احد يصل الى الله تعالى من طريق وهى

غير متعينة وليست هي كما زعمها الناس اذ ليست على الاسلوب الظاهر قال الله تعالى وأتوا البيوت من ابوابها فالمراد بها الطريق المناسب لكل احد وطريق الوصول هو التقوى والذكر واعلم ان الكتب الالهية انما جاءت رحمة من الله تعالى وعناية وكذا الانبياء عليهم السلام فمن اتبعهم وقبل ما جاؤا به فقد نجا من العقبات وخرج من محبس هذا العالم وطار الى الملكوت الاعلى وللهمة تأثير عظيم (ذكر) ان في الهند قوما اذا اهتموا بشئ اعتزلوا عن الناس وصرفوا اهتمامهم الى ذلك الشئ فيقع على وفق اهتمامهم ومن هذا القبيل ما ذكر ان السلطان محمود غزا بلاد الهند وكانت فيها مدينة كلما قصدها مرض فسأل عن ذلك فقيل له ان عندهم جمعا من الهند اذا صرفوا اهتمامهم الى ذلك يقع المرض على وفق ما اهتموا فأشار اليه بعض اصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة لتشوش همتهم ففعل ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة فأنت أيها السالك بضرب طبول الذكر وجهره وتشوش همّ النفس وخواطرها الفاسدة تخلص مدينة القلب من يدها بعناية الله تعالى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من صلاته قال بصوته الاعلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير قال الشيخ ابو النجيب السهروردي المراد بقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي الجهر بالذكر وقال عمر النسفي والامام الواحدي في تفسيريهما الذكر من جملة الفرآئض واعلان الفرآئض اولى وأحب دفعا للتهمة والجهر يوقظ قلب الذاكر ويجمع همه الى الفكر ويصرف سمعه اليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط (وفي المثنوي) يادهان خويشتن راپاك كن * روح خودرا چابك وچالاك كن * ذكر حق پاكست چون پاكي رسيد * رخت بربندد برون آيد پليد * مى كريزد ضدها از ضدها * شب كريزد چون برافروزد ضيا * چون درآيد نام پاك اندر دهان * نى پليدى ماند ونى اندهان * قوله تعالى واذكروا ما فيه يتناول الذكر اللفظي والحفظ الظاهري وان كان العمدة هي العمل (كما قال سعدي) مراد از نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سورة مكتوب عامى متعبد پياده رفتست وعالم متهاون سوار خفته * ايقظنا الله واياكم من منام الغفلة والجهالة وختم عواقب امورنا بأحسن الخاتمة والحالة آمين (واذ أخذ ربك) اى واذكر يا محمد لبني اسرآئيل وقت أخذ ربك (من بني آدم) اى آدم واولاده كأنه صار اسما للنوع كالانسان والبشر والمراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا (من ظهورهم) بدل من بني ادم بدل البعض اى من اصلابهم وفيه تنبيه على ان الميثاق قد أخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات (ذريتهم) مفعول أخذ أى نسلهم قرنا بعد قرن يعني اخرج بعضهم من بعض كما يتوالدون في الدنيا بحسب الاصلاب والارحام والادوار والاطوار الى آخر ولد يولد (وأشهدهم على انفسهم) اى اشهد كل واحد من اولئك الذريات المخصوصين المأخوذين من ظهور آبائهم على نفسه لا على غيره تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من العبودية على الاختصاص وغير ذلك من احكامها (ألست بربكم) على ارادة القول اى قائلا ألست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير أن يكون لاحد مدخل في شأن من شؤونكم (قالوا) استئناف بياني كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا (بلى شهدنا) اى على أنفسنا بأنك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك والفرق بين بلى ونعم ان بلى اثبات لما بعد النفي اى أنت ربنا فيكون ايمانا ونعم لتقرير ما سبق من النفي اى لست بربنا فيكون كفرا وهذا تمثيل وتخييل نزل تمكينهم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل الآفاقية والانفسية وخلق الاستعداد فيهم منزلة الاشهاد وتمكينهم من معرفتها والاقرار بها منزلة الاعتراف فلم يكن هنالك اخذ واشهاد وسؤال وجواب وباب التمثيل باب واسع وارد في القرآن والحديث وكلام البلغاء قال الله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا اوكرها قالتا اتينا طائعين (ان تقولوا) مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اى فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا (يوم القيامة) عند ظهور الامر (انا كنا عن هذا) اى عن وحدانية الربوبية واحكامها (غافلين) لم ننبه عليه بدليل فانهم حيث جبلوا على الفطرة ومعرفة الحق في القوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك ولو لم تكن الآية على طريقة التمثيل بل لو اريد حقيقة الاشهاد والاعتراف وقد انسى الله تعالى بحكمته تلك الحال لم يصح قوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين كما في حواشي سعدي چلبي المفتي (او تقولوا انما اشرك آباؤنا) عطف على ان تقولوا واو لمنع

الخلق دون الجمع اى اخترعوا الاشراك وهم سنوه (من قبل) من قبل زماننا (وكنا) نحن (ذرية من بعدهم) لانهتدى الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل فاقتدينا بهم (أفتهلكنا) اى أتؤاخذنا فتهلكنا (بما فعل المبطلون) من آبائنا المضلين بعد ظهور أنهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبر والاستبداد بالرأى فان ماذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد بعد قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا (وكذلك) اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحله النصب على المصدرية اى مثل ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة (نفصل الآيات) المذكورة لا غير ذلك (ولعلهم يرجعون) وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور فالواوان ابتدائيتان ويجوز ان تكون الثانية عاطفة على مقدر مرتب على التفصيل اى وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها ومن المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ هذا والاكثر على ان المقاولة المذكورة فى الآية حقيقية لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من انه لما خلق الله ادم عليه السلام مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال ألست بربكم قالوا بلى فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وقد روى عن عمر رضى الله عنه انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل ففيم العمل يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج من ظهره عليه السلام ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما كان الظهر الاصلى ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض على نسب اخراج الكل اليه واما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهر أبيه من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعا كذا فى الارشاد وقال الحدادى فان قيل كيف يكون الميثاق حجة على الكفار منهم وهم لا يذكرون ذلك حين اخرجهم من صلب آدم قيل لما ارسل الله الرسل فأخبروهم بذلك الميثاق صار قول الرسل حجة عليهم وان لم يذكروا الا ترى ان من ترك من صلاته ركعة ونسى ذلك فذكرت له ذلك الثقات كان قولهم حجة عليه قال المولى ابو السعود على القول الثانى وهو ما ذهب اليه الاكثر من حقيقة المقاولة ان قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى وأشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب ان يكون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم فى الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا أيها الكفرة يوم القيامة انا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه فى دار التكليف والا لعملنا بموجبه انتهى (وقال الكاشفى) اى درويش اين آيت مركز عهد ازلست تا بخبران سر كوچه غفلت را متنبه سازد والا هوشمندان بيدار دل ازان سؤال وجواب غافل نيستند * نداى ألست همچنان شان بكوش * بفرياد قالوا بلى درخروش * در نفحات مذكورست كه على سهل اصفهانى را كفتند كه روز بلى را ياد دارى كفت چون ندارم كوئى دى بود شيخ الاسلام خواجه انصارى فرموده كه درين سخن نقص است صوفى را دى وفردا چه بود آن روز را هنوز شب در نيامده وصوفى در همان روزست * روزامروزاست اى صوفى وشان * كى بود ازدى وازفردا نشان * آنكه ازحق نيست غافل يكنفس * ماضى ومستقبل وحالست وبس * وسئل ذو النون رضى الله عنه عن سر ميثاق مقام ألست بربكم هل تذكره فقال كأنه الان فى اذنى واعلم ان لبعض ارواح الكمل تحقق الاتصاف بالعلم قبل تعينه بهذا المزاج الجزئى العنصرى فى مرتبة العين والخارج من جهة كلية الروحانية المتعينة قبله فى مرتبة النفس الكلى بنفس تعين الروح الالهى الاصلى فالروح الكلى الوصف والذات من ارواح الكمل يتعين فى كل مرتبة وعالم من المراتب والعوالم

التى يمر عليها عند النزول والهبوط الى مرتبة الحس الظاهر وعالم المزاج العنصرى الى حين اتصاله بهذه النشأة العنصرية تعينا يقتضيه حكم الروح الاصلى فى ذلك العالم وفى تلك المرتبة فيعلم حالتئذ اى حالة اذ تعين حين الاتصال بهذه النشأة العنصرية بما يعلم الروح الالهى الاصلى ماشاء الله ان يعلمه من علومه ومتى كشفت هذا السر عرفت سر قوله عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وسر قول ذى النون كما سبق وان شئت زيادة تحقيق هذا المقام فارجع الى مطالعة مفتاح الغيب للصدر القنوى قدس سره وقال فى التأويلات النجمية فى الاية اشارة الى ان اخذ المخلوقين يكون أخذ الشئ الموجود من الشئ الموجود وان أخذ الخالق تارة هو أخذ الشئ المعدوم من العدم كقوله خلقتك من قبل ولم تك شيأ وتارة هو أخذ الشئ المعدوم من الشئ المعدوم كقوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم فكان بنوا آدم معدومين وظهورهم معدومين وذرياتهم معدومين فأخذ بكمال قدرته ذرياتهم المعدومة الى يوم القيامة من ظهورهم المعدومة من بنى آدم المعدومين فأوجدهم الله فى تلك الحالة واعطاهم وجودا مناسبا لتلك الحالة فلما استخرج الله من ظهر آدم ذرات بنيه واستخرج من ظهورهم ذرات ذرياتهم المودعة فيها الى يوم القيامة والارواح فى تلك الحالة جنود مجندة فى ثلاثة صفوف الصف الاول ارواح السابقين والصف الثانى ارواح اصحاب الميمنة والصف الثالث ارواح اصحاب المشأمة تنورت الذرات بأنوار ارواحها ولبست تلك الذرات الموجودة بالوجود الربانى لباس الوجود الروحانى ولبست الاسماع والابصار والافئدة لباسا روحانيا ثم خاطبهم الحق بخطاب ألست بربكم فسمع السابقون بسمع نورانى روحانى خطابه وشاهدوا بأبصار نورانية جماله وأحبوه بافئدة روحانية ربانية نورانية بنور المحبة للقائه فأجابوه على المحبة فقالوا بلى أنت ربنا المحبوب والمعبود شهدنا اى شاهدنا محبوبيتك وربوبيتك فأخذ مواثيقهم ان لا يحبوا ولا يعبدوا الااياه وسمع اصحاب الميمنة بسمع روحانى خطابه وطالعوا بأبصار روحانية جلاله وآمنوا بأفئدة ربانية الهيبة فأجابوه على العبودية وقالوا بلى أنت ربنا المعبود سمعنا وأطعنا فأخذ مواثيقهم ان لا يعبدوا الااياه وسمع اصحاب المشأمة خطابه بسمع روحانى من وراء حجاب العزة وفى آذانهم وقر الغرة وعلى ابصارهم غشاوة الشقاوة وعلى افئدتهم ختم المحنة فأجابوه على الكلفة وقالوا بلى أنت ربنا سمعنا كرها فأخذ مواثيقهم على العبودية فالان يرجع التفاوت بين الخليقة فى الكفر والايمان الى تفاوت الاستعدادات الروحانية والربانية فافهم جدا ثم اعلم انه لا تجد ان الله تعالى ذكر انه كلم أحدا وهو بعد فى العدم الا بنى آدم فانه كلمهم وهم غير موجودين وأجابوه وهم معدومون ومون تجرى بالجود ماجرى لا بالوجود فهذا بدايتهم والى هذا تنتهى نهايتهم بأن يكون الله تعالى هو سمعهم وابصارهم وألسنتهم كما قال كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق والى هذا اشار الجنيد حين سئل ما النهاية قال الرجوع الى البداية انتهى كلام التأويلات النجمية باختصار وقد عرفت من هذا ان أهل الحقيقة جار فى هذا المسلك على حقيقته لان من غلب روحانيته على جسمانيته يرى الامر سهلا ولا يصعب عليه شئ خلافا لاهل الظاهر والمعتزلة انكروا هذه الرواية وقالوا ان البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم فتلك الذريات المأخوذة من ظهور بنى آدم لا يكون احد منهم عالما فاهما عاقلا الا اذا حصل له قدر من الجسامة والبنية اللحمية والدموية واذا كان كذلك فجموع تلك الاشخاص الذين خرجوا الى الوجود من اول تخليق آدم الى قيام الساعة لا تحويهم عرصة الدنيا فكيف يمكن ان يقال انهم حصلوا باسرهم دفعة واحدة فى صلب آدم فانظر الى هذا القول الضعيف والرأى السخيف ولو قلت لهم هل يستطيع الله ان يجعل السموات والارضين والجبال والشجر والماء فى بيضة من غير ان يزيد فى البيضة شيأ ومن غير ان ينقص من هذا شيأ لقالوا لا والعياذ بالله فعليك برعاية عهد ألست حتى ينكشف لك ما هو مستور عنك وعن امثالك وينجلى الغيب كالشمس فى مرءآة بالك فتنظر كيف الصورة والمعنى والظهور والخفاء (واتل) اقرأ يا محمد (عليهم) اى على اليهود (نبأ الذين الذى آتيناه آياتنا) اى خبره الذى له شأن وخطر فان النبأ خبر عن أمر عظيم ومعنى آتيناه آياتنا اى علمناه دلائل الوهيتنا ووحدانيتنا وفهمناه تلك الدلائل وفيه اقوال والانسب بمقام توبيخ اليهود بهتانهم انه أحد علماء بنى اسرآئيل كما فى الارشاد اوهو بلعم بن باعورا كما فى منهاج العابدين للامام الغزالى وقولهم انه من الكنعانيين الجبارين انما هو لكونه ساكنا فى دارهم والمرء ينسب الى منشأه ومولده كما هو اللائح فافهم والاسلم فى تقرير القصة ماذكره الحدادى فى تفسيره نقلا عن ابن عباس

وابن مسعود حيث قال كان عابدا من عبادبنى اسرآئيل وكان فى المدينة التى قصدها موسى عليه السلام وكان اهل تلك المدينة كفارا وكان عنده اسم الله الاعظم فسأله ملكهم ان يدعو على موسى بالاسم الاعظم ليدفعه عن تلك المدينة فقال لهم دينه ودينى واحد وهذا شئ لا يكون وكيف ادعو عليه وهو نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون وانا اعلم من الله ما اعلم وانى ان فعلت ذلك اذهبت دنياى وآخرتى فلم يزالوا به يفتنونه بالمال والهدايا حتى فتنوه فافتتن قيل كان لبلعم امرأة يحبها ويطيعها فجمع قومه هدايا عظيمة فأتوا بها اليها وقبلتها فقالوا لها قد نزل بنا ماترين فكلمى بلعم فى هذا فقالت لبلعم ان لهؤلاء القوم حقا وجوارا عليك وليس مثلك يخذل جيرانه عند الشدآئد وقد كانوا محسنين اليك وأنت جديران تكافئهم وتهتم بأمرهم فقال لها لولا انى اعلم ان هذا الامر من عند الله لاجبتهم فلم تزل به حتى صرفته عن رأيه فركب اتانا له متوجها الى الجبل ليدعو على موسى فما سار على الاتان الا قليلا فربضت فنزل عنها فضربها حتى كاد يهلكها فقامت فركبها فربضت فضربها فأنطقها الله تعالى فقالت يا بلعم ويحك اين تذهب الاترى الى هؤلاء الملائكة امامى يردوننى عن وجهى فكيف اريد ان تذهب لتدعو على نبى الله وعلى المؤمنين فخلى سبيلها وانطلق حتى وصل الى الجبل وجعل يدعو فكان لا يدعو بسوء الاصرف الله به لسانه على قومه ولا يدعو بخير الاصرف الله به لسانه الى موسى فقال له قومه يا بلعم انما أنت تدعو علينا وتدعو له فقال هذا والله الذى املكه وانطق الله به لسانى ثم امتد لسانه حتى بلغ صدره فقال لهم قد ذهبت والله منى الآن الدنيا والاخرة فلم يبق الا المكر والحيلة فسأمكر لكم واحتال حلوا النساء وزينوهن وأعطوهن الطيب وأرسلوهن الى العسكر وامروهن لا تمنع امرأة نفسها من رجل ارادها فانهم ان زنى منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا فلما دخلت النساء العسكر مرت امرأة منهم برجل من عظماء بنى اسرآئيل فقام اليها وأخذ بيدها حين اعجبته بحسنها ثم اقبل بها الى موسى وقال له انى لاظنك ان تقول هذه حرام قال نعم هى حرام عليك لا تقربها قال فوالله لانطيعك فى هذا ثم دخل بها قبة فوقع عليها فأرسل الله على بنى اسرآئيل الطاعون فى الوقت وكان فخاص بن العيزار صاحب امر موسى رجلا له بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع ذلك الرجل بالمرأة ماصنع فجاء والطاعون يجوس فى بنى اسرآئيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل على القبة فوجدهما متضاجعين فدفعهما بحربته حتى انتظمهما بها جميعا فخرج بهما يحملهما بالحربة رافعا بهما الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه واسند الحربة الى لحيته وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون من حينئذ عنهم فحسب من هلك من بنى اسرآئيل فى ذلك الطاعون فوجدهم سبعين ألفا فى ساعة من نهار وهو ما بين ان زنى ذلك الرجل بها الى ان قتل ثم ان موسى عليه السلام او فتاه يوشع بن نون حاربوا أهل تلك البلدة وغلبوهم وقتلوا منهم واسروا وأتوا بيلعم اسيرا فقتل فجاؤا بما قبل من العطايا الكثيرة وغنموها (فانسلخ منها) اى من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة والحية ولم يخطرها بباله اصلا (فأتبعه الشيطان) اتبع وتبع بمعنى واحد كاردف وردف والمعنى ان الشيطان كان وراءه طالبا الاضلاله وهو يسبقه بالايمان والطاعة لا يدركه الشيطان ثم لما انسلخ من الآيات لحقه وادركه (فكان) پس كشت آن داننده آيات اى فصار (من الغاوين) من زمرة الضالين الراسخين فى الغواية بعد ان كان من المهتدين والغى يذكر بمعنى الهلاك ويذكر بمعنى الخيبة وفى القاموس غوى ضل قال الامام الغزالى كان بلعم بن باعورا بحيث اذا نظر رأى العرش ولم يكن له الازلة واحدة مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة ولم يترك لولى من اوليائه حرمة واحدة فسلبه معرفته وكان فى اول امره بحيث يكون فى مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان اول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع نعوذ بالله من سخطه انتهى فلا يأمن السالك المحق مكر الله ولو بلغ اقصى مقامات الانبياء والمرسلين فلا يغلق على نفسه ابواب المجاهدات والرياضات ومخالفات النفس وهواها فى كل حال كما كان حال النبى عليه السلام والائمة الراشدين والصحابة والتابعين وائمة السلف والمشايخ المتقدمين ولا يفتح على نفسه التنعم والتمتع الدنيوى فى المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمركب والمسكن لانه كما ان لله تعالى فى مكامن الغيب للسعداء ألطافا خفية مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كذلك له فيها بلايا لهم فليحترز السالك الصادق بل البالغ الواصل والكامل الحاذق من ان يتعرض لتلك البلايا بالتوسع فى الدنيا والتبسط فى الاحوال

وتتبع الهوى كما فى التأويلات النجمية قال الكاشفى شيخ الاسلام فرموده تا باد تقدير از كجا بر آيد وچه بو العجبى
نمايد اكر از جانب فضل وزد زنار بهرام كبررا كمر عشقبازى برامدين كرداند واكر از طرف عدل وزد توحيد
بلعم را بر انداخته باسك خسيس برابرى دهد * اى برى ازصومعه بردير كبران افكنى * وين راكشى
ازبتكده سر حلقهٔ مردان كنى * چون وچرا دركار تو عقل زبون را كى رسد * فرمان ده مطلق توبى
حكمى كه خواهى آن كنى (ولو شئنا) رفعه (لرفعناه) الى منازل الابرار من العلماء (بها) اى بسبب تلك
الآيات وملازمتها وقال بعضهم هى صحف ابراهيم عليه السلام وكان بلعم قد قرأها او الكلمات التى اشتملت
على الاسم الاعظم (ولكنه اخلد الى الارض) اى مال الى الدنيا فلم نشأ رفعه لمباشرته لسبب نقيضه والاخلاد الى
الشئ الميل اليه مع الاطمئنان وعبر عن الدنيا بالارض لان ما فيها من العقار والرباع كلها ارض وسائر متاعها
مستخرج من الارض والاخلاد الى الارض كناية عن الاعراض عن ملازمة الآيات والعمل بمقتضاها
والكناية ابلغ من التصريح (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل
سافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى (فمثله) اى فصفته التى هى مثل فى الخسة والرذالة والمثل لفظ مشترك بين الوصف
وبين ما يضرب مثلا والمراد ههنا الوصف كذا فى البحر (كمثل الكلب) اى كصفته فى اخس احواله وهو
(ان تحمل عليه) اكر حمله كنى برو وبرانى اورا والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل
فى اشاعة فظاعة حاله (يلهث) اللهث ادلاع اللسان اى اخراجه بالنفس الشديد (او تتركه يلهث) اى يلهث دائما
سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له فان فى الكلاب طبعا لا تقدر على نفض الهواء السخن وجلب
الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس
الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء فكان الكلب دائم اللهث ضيق الحال فكذا هذا
الكافر ان زجرته ووعظته لم ينزجر ولم يتعظ وان تركته لم يهتد ولم يعقل فهو متردد الى ما لا غاية ورآء فى الخسة
والدناءة فانظر حب الدنيا وشؤمها ماذا يجلب للعلماء خاصة وفى الحديث من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد
من الله تعالى الا بعدا والنعمة انما تسلب ممن لا يعرف قدرها وهو الكفور الذى لا يؤدى شكرها وكان الكلب
لا يعرف الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف من الحقارة وانما الكرامة كلها عنده فى كسرة يطعمها او عراق
مائدة يرمى اليه سوآء تقعده على سرير ملك او فى التراب والقذر فكذا العبد السوء لا يعرف قدر الكرامة ويجهل
حق النعمة فينسلخ عن لباس الفضل والكرم ويرتدى بردآء القهر والمكر قال فى التأويلات النجمية فلا يغترن
جاهل مفتون بأن اتباع الهوى لا يضره فان الله تعالى حذر الانبياء عن اتباع الهوى واوعدهم عليه بالضلال
كقوله يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله
(قال الحافظ) مباش غره بعلم وعمل فقيه مدام * كه هيچكس زقضاى خداى جان نبرد (ذلك) اى ذلك
المثل السيىء (مثل القوم الذين كذبوا باياتنا) وهم اليهود وكان بلعم بعد ما اوتى آيات الله انسلخ منها ومال
الى الدنيا حتى صار كالكلب كذلك اليهود بعد ما اوتوا التوراة المشتملة على نعت الرسول صلى الله عليه وسلم
وذكر القرءآن المعجز وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به انسلخوا مما اعتقدوا فى حقه وكذبوه
وحرفوا اسمه (فاقصص القصص) پس بخوان برايشان اين خبررا والقصص مصدر سمى به المفعول كالسلب
واللام للعهد (لعلهم يتفكرون) راجيا تفكرهم تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ (ساء مثلا) ساء بمعنى بئس
ومثلا تمييز من الفاعل المضمر فى ساء مفسر له (القوم) مخصوص بالذم بتقدير المضاف لوجوب التصادق بينه
وبين الفاعل والتمييز اى ساء مثلا مثل القوم وبئس الوصف وصف القوم قال الحدادى وهذا السوء انما
يرجع الى فعلهم لا الى نفس المثل كانه قال ساء فعلهم الذى جلب اليهم الوصف القبيح فاما المثل فهو من الله
حكم وصواب (الذين كذبوا باياتنا) بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها (وانفسهم كانوا يظلمون) اى ما ظلموا
بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها (من يهد الله) اى يخلق فيه الاهتدآء (فهو المهتدى) لا غير كائنا
من كان وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية فى حصول الاهتدآء من غير تأثير لها فيه سوى كونها
دواعى الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله (ومن يضلل) بأن لم يخلق فيه الاهتدآء بل خلق الله فيه الضلالة
لصرف اختياره نحوها (فأولئك هم الخاسرون) اى الكاملون فى الخسران لا غير وفيه اشارة الى ان من

ادركته العناية ولحقته الهداية اليوم لم ينزل عن المراتب العلوية الى المدارك السفلية فهم الذين اصابهم رشاش النور الذى رش عليهم من نوره ومن خذله حتى اتبع هواه فأضله الهوى عن سبيل الله فهم الذين اخطأهم ذلك النور ولم يصبهم فوقعوا فى الضلالة والخسران وكان سفيان الثورى يقول اللهم سلم سلم كأنه فى سفينة يخشى الغرق ولما قدم البشير على يعقوب عليه السلام قال على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة وقيل مامن كلمة أحب الى الله تعالى ولا ابلغ عنده فى الشكر من ان يقول العبد الحمد لله الذى انعم علينا وهدانا الى الاسلام واياك ان تغفل عن الشكر وتغتر بما أنت عليه فى الحال من الاسلام والمعرفة والتوفيق والعصمة فانه مع ذلك لاموضع للامن والغفلة فان الامور بالعواقب قال بعض العارفين ان بعض الانبياء عليهم السلام سأل الله تعالى عن امر بلعم وطرده بعد تلك الآيات والكرامات فقال الله تعالى لم يشكرنى يوما من الايام على ما أعطيته ولو شكرنى على ذلك مرة لما سلبته فمن كان له جوهر نفيس يمكنه ان يأخذ فى ثمنه ألف ألف دينار فباعه بفلس أليس يكون ذلك خسرانا عظيما وغبنا فظيعا ودليلا بينا على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الرأى وقلة العقل فتيقظ حتى لا تذهب عنك الدنيا والآخرة وتنبه فان الامر خطير والعمر قصير وفى العمل تقصير والناقد بصير فان ختم الله بالخير اعمالنا وأقال عثراتنا فذلك عليه يسير اللهم حقق رجاء عبدك الفقير (ولقد ذرأنا) اى وبالله قد خلقنا قال فى القاموس ذرأ كجعل خلق والشئ كثر ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين (لجهنم) اى لدخولها والتعذيب بها وهى سجن الله فى الآخرة سميت جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر وهى تحتوى على حرور وزمهرير ففيها الحر والبرد على اقصى درجاتهما وبين اعلاها وقعرها خمس وسبعون مائة من السنين (كثيرا) كائنا (من الجن والانس) يعنى المصرين على الكفر فى علم الله تعالى فاللام فى لجهنم للعاقبة لان من علم الله ان يصر على الكفر باختياره فهو يصير من أهل النار والجن اجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة لها عقول وافهام وقدرة على الاعمال الشاقة وهى خلاف الانس سميت بذلك لاستجنانهم واستتارهم عن العيون يقال جنه الليل ستره والانس البشر كالانسان من آنس الشئ ابصره وقدم الجن على الانس لانهم اكثر عددا واقدم خلقا ولان لفظ الانس أخف بمكان النون الخفيفة والسين المهموسة فكان الاثقل اولى بأول الكلام من الاخف لنشاط المتكلم وراحته والاجماع على ان الجن متعبدون بهذه الشريعة على الخصوص وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين ولا شك انهم مكلفون فى الامم الماضية كما هم مكلفون فى هذه الامة لقوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وجمع الفريقين انما هو باعتبار استعدادهم الكامل الفطرى للعبادة والسعادة والا لم يصح التكليف عليهم فان قلت ما الحكمة فى أن الله تعالى جعل الكفار اكثر من المؤمنين قلت ليريهم انه مستغن عن طاعتهم وليظهر عز المؤمنين فيما بين ذلك لان الاشياء تعرف باضدادها والشئ اذا قل وجوده عز فان قلت ان رحمته غلبت غضبه فيقتضى الامر ان يكون اهل الرحمة أكثر من أهل الغضب وأهل الغضب تسع وتسعون وتسعمائة من كل ألف وواحد يؤخذ للجنة قلت هذه الكثرة بالنسبة الى بنى آدم وأما بالنسبة الى الملائكة وأهل الجنة فكثير لان بنى آدم قليل بالنسبة الى الملائكة والحور والغلمان فيكون أهل الرحمة اكثر من أهل الغضب وقيل اكثر الكفار بشارة للاخيار بكثرة الفداء لانه ورد فى الخبر الصحيح ان كل مؤمن يأخذ كافرا بناصيته ويرميه الى النار فداء عن نفسه وفى الحديث ان الله لما ذرأ لجهنم ماذرأ كان ولد الزنى ممن ذرأ لجهنم قال فى المقاصد حديث لايدخل الجنة ولد زنية ان صح فمعناه اذا عمل بمثل عمل ابويه واتفقوا على انه لا يحمل على ظاهره وقيل فى تأويله ايضا ان المراد به من يواظب الزنى كما يقال للشهود بنو الصحف وللشجعان بنوا الحرب ولاولاد المسلمين بنوا الاسلام واتفق المشايخ من أهل الوصول ان ولد الزنى لا يكون أهلا للولاية الخاصة (لهم قلوب) فى محل النصب على انه صفة اخرى لكثيرا (لا يفقهون بها) فى محل الرفع على انه صفة لقلوب اى لا يعقلون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله والقلب كالمرآة يصدأ من الانكار والغفلة وجلاؤه التصديق والانابة (قال السعدى) غبار هوا چشم عقلت بدوخت * سموم هوا كشت عمرت بسوخت * بكن سرمهٔ غفلت از چشم پاك * كه فردا شوى سرمه در چشم خاك (ولهم أعين لا يبصرون بها) اى لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار * دو چشم از پى صنع بارى

نكوست * زعيب برادر فرو كير ودوست (ولهم آذان لا يسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر
كذر كاه قران وپند ست كوش * به بهتان وباطل شنيدن مكوش (اولئك) الموصوفون بالاوصاف
المذكورة (كالانعام) مانند چهار پايانند فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر اوفى ان مشاعرهم
وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها والانعام جمع نعم بالتحريك وقد يسكن عينه وهى الابل
والشاة او خاص بالابل كذا فى القاموس (بل هم اضل) بل للاضراب وليس ابطالا بل هو انتقال من حكم وهو
التشبيه بالانعام الى حكم آخر وهو كونهم اضل من الانعام طريقا فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع
والمضار وتجهد فى جلبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك وهى بمعزل من الخلود وهم يتركون النعيم
المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم
ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفى الخبر كل شئ اطوع لله من بنى آدم * دريغ آدمى زادهٔ پر محل * كه باشد چو
انعام بل هم اضل (اولئك هم الغافلون) عن امر الآخرة وما اعد فيها للعصاة وفى الانسان جهة روحانية وجهة
جسمانية وقد ركب فيه عقل وشهوة فمن كان عقله غالبا على هواه كان افضل من الملائكة وان كان مغلوبا
للنفس والهوى كان اخس وارذل من البهائم (كما قيل فى هذا المعنى) بهرهٔ از ملكست هست ونصيبى
از ديو * ترك ديو پى كن وبكذر بفضيلت زملك * واعلم ان الله تعالى خلق الخلق اطوارا فخلق طورا منها للقرب
والمحبة وهم اهل الله وخاصته اظهارا للحسن والجمال وكانوا به يسمعون كلامه وبه يبصرون جماله وبه يعرفون
كماله وخلق طورا منها للجنة ونعيمها اظهارا للطف والرحمة فجعل لهم قلوبا يفقهون بها دلائل التوحيد والمعرفة
واعينا يبصرون بها آيات الحق وخلق طورا منها للنار وجحيمها وهم اهل النار اظهارا للقهر والعزة اولئك
كالانعام لا يحبون الله ولا يطلبونه بل هم اضل لانه لم يكن للانعام استعداد المعرفة والطلب وانهم كانوا
مستعدين للمعرفة والطلب فابطلوا الاستعداد الفطرى للمعرفة والطلب بالركون الى شهوات الدنيا وزينتها
واتباع الهوى فباعوا الآخرة بالاولى والدين بالدنيا وتركوا طلب المولى فصاروا اضل من الانعام لافساد
الاستعداد اولئك هم الغافلون عن الله وكمالات اهل المعرفة وعزتهم كما قال فى التأويلات النجمية قدس الله
سره (ولله الاسماء الحسنى) تأنيث الاحسن اى الاسماء التى هى احسن الاسماء واجلها لانها دالة على معانى
هى احسن المعانى واشرفها والمراد بها الالفاظ الدالة الموضوعة على المعانى المختلفة دل على ان الاسم غير
المسمى ولو كان هو المسمى لكان المسمى عدد الاسماء وهو محال قال الامام الغزالى الحق ان الاسم غير التسمية
وغير المسمى فان هذه ثلاثة اسماء متباينة غير مترادفة (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء واذكروه بها
وفى الحديث ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن
الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور
الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل
السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير
الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد
الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدئ المعيد المحيى المميت
الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر
الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال
والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى
الوارث الرشيد الصبور واستحسن المشايخ المتقدمون ان يبدأ اولا ويقول اللهم انى اسألك يا رحمن يا رحيم
الى آخره فيجيئ بجميع الاسماء بحرف النداء ثم يقول فى آخر الكل ان تصلى على محمد وآله وان ترزقنى وجميع
من يتعلق بى بتمام نعمتك ودوام عافيتك يا ارحم الراحمين كما فى الاسرار المحمدية قال عبد الرحمن البسطامى
فى ترويح القلوب ان العارفين يلاحظون فى الاسماء آلة التعريف واصل الكلمة والملامسة يطرحون منها
آلة التعريف لانها زائدة على اصل الكلمة ومن السر المكنون فى الدعاء ان تأخذ حروف الاسماء التى تذكرها
مثل قولك الكبير المتعال ولا تأخذ الالف واللام بل تأخذ كبير متعال وتنظر كم لها من الاعداد بالجمل الكبير

فتذكر

فتذكر ذلك العدد فى موضع خال من الاصوات بالشرائط المعتبرة عند اهل الخلوات لا تزيد على العدد ولا تنقص منه فانه يستجاب بذلك للوقت وهو الكبريت الاحمر بأذن الله تعالى فان الزيادة على العدد المطلوب اسراف والنقص منه اخلال والعدد فى الذكر بالاسماء كأسنان المفتاح لانها ان زادت او نقصت لا تفتح باب الاجابة البتة فافهم السر وحسن الدر واعلم انه لما كانت المقامات اللدنية ثلاثة مقام الاسلام ومقام الايمان ومقام الاحسان ومراتب الجنان المرتبة على الاحصاء لاهل الدين ثلاثا جنة الاعمال وجنة الميراث وجنة الامتنان لاجرم كانت انواع الاحصاء ثلاثة التعلق فى مقام الاسلام والتخلق فى مقام الايمان والتحقق فى مقام الاحسان فاحصاؤها بالتعلق فى مقام الاسلام هو ان يتطلب السالك آثار كل اسم منها فى نفسه وبدنه وجميع قواه واعضائه واجزائه وجزئياته فى جميع حالاته وهيئاته النفسانية والجسمانية وفى جملة تطوراته وأنواع ظهوراته فيرى جميع ذلك من احكام هذه الاسماء وآثارها فيقابل كل اثر بما يليق به كمقابلة الانعام بالشكر والبلاء بالصبر وغير ذلك فبمثل هذا الاحصاء يدخل جنة الاعمال التى هى محل ستر الاعراض الزائلة بالاعيان الثابتة الباقية وهى التى اخبر عنها ابراهيم الخليل عليه السلام بانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله واحصاؤها بالتخلق فى مقام الايمان يكون بتطلع الروح الروحانية الى حقائق هذه الاسماء ومعانيها ومفهوماتها والتخلق بكل اسم منها على نحو ما امر به من قوله عليه السلام تخلقوا بأخلاق الله بحيث يكون المتخلق هو عين ذلك الاسم اى ينفعل عنه ما ينفعل عن ذلك الاسم فبمثل هذا الاحصاء يدخل هذا المتخلق جنة الميراث التى هى اعلى من الجنة الاولى بل هى باطنها المنزل منها بمنزلة عالم الملكوت من عالم الملك وهى المشار اليها بقوله عليه السلام ما منكم من احد الا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاذا مات ودخل النار ورث منزله أهل الجنة وان شئتم فاقرأوا اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون واحصاؤها بالتحقق فى مقام الاحسان يكون بالتقوى والانخلاع عما قام بك اوظهر فيك من الصور والمعانى المتسمة بسمة الحدوث والاستتار بسجات الحضرة الحقية والاحتجاب بحجب استارها واعيانها (كما قال)

تسترت عن دهرى بظل جناحه ✽ بحيث ارى دهرى وليس يرانى

فلو تسأل الايام ما اسمى مادرت ✽ واين مكانى مادرين مكانى

فبمثل هذا الاحصاء يدخل المتحقق جنة الامتنان التى هى محل سر غيب الغيب المشار اليها بقوله عليه الصلاة والسلام ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واليها الاشارة ايضا بقوله تعالى ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وقال ابن ملك من احصاها اى من اطاق القيام بحق هذه الاسماء وعمل بمقتضاها بان وثق بالرزق اذا قال الرزاق وعلم ان الخير والشر من الله تعالى اذا قال الضار النافع فشكر على المنفعة وصبر على المضرة وعلى هذا سائر الاسماء وقيل معناه من عقل معانيها وصدقها وقيل معناه من عدها كلمة كلمة تبركا واخلاصا وقال البخارى المراد به حفظها وهذا هو الاظهر لانه جاء فى الرواية الاخرى من حفظها مكان من احصاها انتهى ولا يظن ان اسماء الله تعالى منحصرة فى هذا المقدار بل هى اشهر الاسماء ويجوز أن تتفاوت فضيلة اسماء الله تعالى بتفاوت معانيها كالجلال والشرف ويكون التسعة والتسعون منها تجمع انواع المعانى المنبئة عن الجلال لا يجمع ذلك غيرها فتختص بزيادة شرف ويدل على ان اسماء الله تعالى كثيرة قوله عليه السلام ما اصاب احدا هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى الا أذهب الله عنه كل همه وحزنه وابدل مكانه فرحا وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى اسألك بانك أنت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم دعا الله باسمه الاعظم الذى اذا سئل به اعطى واذا دعى به اجاب واعلم ان الاسم الله اعظم الاسماء التسعة والتسعين لانه دال على الذات الجامعة لصفات الالهية كلها حتى لا يشذ منها شئ وسائر الاسماء لا يدل احادها الا على آحاد المعانى من علم او قدرة او فعل وغيره ولانه اخص الاسماء اذ لا يطلقه احد على غيره لا حقيقة ولا مجازا وسائر الاسماء قد يسمى بها غيره كالقادر والعليم والرحيم وغيرها وقد جعل العلماء من خصائص

هذا الاسم انه ينسب جميع اسماء الحق اليه كما قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى قال حضرة شيخنا العلامه ابقاه الله بالسلامه فى بعض تحريراته واعلم ان الهوية الالهية السارية فى جميع المراتب تعينت اولا فى مرتبة الحياة تعين تلك المرتبة بالاولية الكبرى فتعينت نسبة عالم الغيب ثم فى مرتبة العلم تعينت تلك المرتبة ثانيا بالآخرية العظمى فتعينت نسبة عالم المعانى ثم فى مرتبة الارادة بصورة تلك المرتبة تعينت ثالثا بالظاهرية الاولى فتعينت نسبة عالم الارواح ثم فى مرتبة القدرة تعينت تلك المرتبة رابعا بالباطنية الاولى فتعينت نسبة عالم الشهادة هو الحى العليم المريد القدير وهو الاول والآخر والظاهر والباطن وبذلك السريان ظهرت الحقائق الاربع التى هى امهات جميع الحقائق والاسماء الالهية الكلية التى هى تسعة وتسعون او ألف وواحد وتلك الحقائق الكلية تعينت من دوران تعين الامهات الاربع فى عوالمها الاربعة فبضرب الاربعة فى الاربعة كانت ستة عشر ثم باعتبار الظهور والبطون صارت اثنين وثلاثين ثم باعتبار احدية جمع الجميع كانت ثلاثا وثلاثين ثم باعتبار دوران تعينها بعالم السمع ورتبة البصر ورتبة الكلام فيها صارت تسعة وتسعين ثم باعتبار أحدية جمع الجميع كانت مائة لذلك سن رسول الله عليه السلام فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين تسبيحة وثلاثا وثلاثين تحميدة وثلاثا وثلاثين تكبيرة ثم تمم المائة بقوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ثم كانت الفا باعتبار تعيناتها فى الحضرات الخمس من جهة الظهور والبطون حاصلة من ضرب المائة فى العشرة الكائنة من تلك الحضرات الخمس باعتبار ظواهرها و بواطنها ثم باعتبار احدية جمع الجميع كانت ألفا وواحدا فامهات الاسماء والحقائق سبع وكلياتها تسع وتسعون اوالف وواحد وجزئيات تلك الاسماء الحسنى لا تعد ولا تحصى انتهى باختصار (وذروا الذين يلحدون فى اسمائه) الالحاد واللحد الميل والانحراف عن القصد أى واتركوا الذين يميلون فى شأنها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لم يسم به نفسه ولم ينطق به كتاب سماوى ولا ورد فيه نص نبوى او بما يوهم معنى فاسدا وان كان له محمل شرعى كما فى قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه فان ابا المكارم وان كان عبارة عن المستجمع لصفات الكمال الا انه يوهم معنى لا يصح فى شانه تعالى وكذا ابيض الوجه وان كان عبارة عن تقدس ذاته عن النقائص المكدرة الا انه يوهم معنى فاسدا فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا اسماؤه حقيقة واما بأن يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن مانعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع الاسماء الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البعض (روى) ان رجلا من الصحابة دعا الله تعالى فى صلاته باسم الله وباسم الرحمن فقال رجل من المشركين أليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا الرجل يدعو ربين اثنين فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ادعوا الله اوادعوا الرحمن رغما لانوف المشركين فان تعدد الاسم لا يستلزم تعدد المسمى (سيجزون ما كانوا يعملون) اى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم فقوله وذروا الذين الخ معناه واتركوا تسمية الزائغين فيها بتقدير المضاف اذلا معنى لترك نفس الملحدين وقال بعض العلماء المراد بالاسماء الحسنى الصفات العلى فان لفظ الاسم قد يطلق على ما يسمونه الذات من صفاتها العظام يقال طار اسمه فى الآفاق اى انتشرت صفته ونعته فكأنه قيل ولله الاوصاف قال فى التأويلات النجمية ولله الاسماء الحسنى يشير الى ان اسم الله بمثابة اسم العلم للخلق وهو اسم ذاته تبارك وتعالى والباقى من الاسماء هو اسماء الصفات لانه قال ولله الاسماء الحسنى فاضاف الاسماء الى اسم الله واسماؤه كلها مشتقة من صفاته الا اسم الله فانه غير مشتق عندنا وعند الاكثرين لانه اسم الذات فكما ان ذاته تعالى غير مخلوق من شئ كذلك اسمه غير مشتق من شئ فان الاشياء مخلوقة فاسماء صفاته تعالى بعضها مشتق من الصفات الذاتية فهو غير مخلوق وبعضها مشتق من صفات الفعل فهو مخلوق لان صفات الذات كالحياة والسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة والارادة والبقاء قديمة غير مخلوقة وصفات الفعل مخلوقة تضاف اليه عند الايجاد فلما اوجد الخلق واعطاهم الرزق سمى خالقا ورازقا الا انه تعالى كان فى الازل قادرا على الخالقية والرازقية فقوله ولله الاسماء الحسنى اى الصفات الحسنى فادعوه بها اى فادعوا الله بكل اسم مشتق من صفة من صفاته بان تتصفوا وتتخلقوا بتلك الصفة فالاتصاف بها بالاعمال والنيات الصالحات كصفة الخالقية فان الاتصاف بها بان تكون منا كحته للتوالد

والتناسل

والتناسل بخلاف الخالق كما قيل لحكيم وهو يواقع زوجته ماتعمل قال ان تم فانسان والاتصاف بصفة الرازقية بان ينفق مارزقه الله على المحتاجين ولا يدخر منه شيأ وعلى هذا فقس البواقي واما التخلق بها فبالاحوال وذلك بتصفية مرءاة القلب ومراقبته عن التعلق بماسوى الله والتوجه اليه ليتجلى له بتلك الصفات فيتخلق بها وهذا التحقيق قوله كنت له سمعا وبصرا فبي يسمع وبي يبصر وذروا الذين يلحدون في اسمائه اى يميلون في صفاته اى لايتصفون بها وتسميته تعالى باسم لم يسم به نفسه ايضا من الالحاد كما يسمونه الفلاسفة بالعلة الاولى والموجب بالذات يعنون به انه تعالى غير مختار في فعله وخلقه وايجاده تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومن وصفه تعالى بوصف او بصفة لم يرد بها النص فايضا الحاد سيجزون ما كانوا يعملون يعني سيجزون الخذلان ليعملوا بالطبع والهوى ما كانوا يعملون بالالحاد في الاسماء والصفات انتهى كلام التأويلات (ع) بحيده شود بپاى هركس عملش (قال الحافظ) دهقان سالخورده چه خوش كفت با پسر * اى نور چشم من بجزاز كشته ندروى (وممن خلقنا) اعلم ان الله تعالى كما جعل من قوم موسى ائمة هادين مهديين كما قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون جعل من هذه الامة المرحومة ايضا كذلك فقال وممن خلقنا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او تقدير الموصوف ومابعده خبره اى وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا (امة) اى طائفة كثيرة (يهدون) الناس ملتبسين (بالحق) اى محقين او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة (وبه) اى وبالحق (يعدلون) اى يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها وعنه عليه الصلاة والسلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى والمراد لايخلو الزمان منهم وفي الحديث لاتقوم الساعة حتى لايقال في الارض الله الله قال الشيخ الكبير صدر الدين القنوى قدس سره اكده بالتكرار ولاشك ان لايذكر الله ذكرا حقيقيا وخصوصا بهذا الاسم الاعظم الجامع المنعوت بجميع الاسماء الا الذى يعرف الحق بالمعرفة التامة واتم الخلق معرفة بالله في كل عصر خليفة الله وهو كامل ذلك العصر فكأن يقول صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة وفي الارض انسان كامل وهو المشار اليه بانه العمد المعنوى الماسك وان شئت قلت الممسك لاجله فاذا انتقل انشقت السماء وكورت الشمس وانكدرت النجوم ونشرت الصحف وسيرت الجبال وزلزلت الارض وجاءت القيامة انتهى كلامه في الفكوك ورووا عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله في الارض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم وله اربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة واذا مات من الخمسة ابدل الله مكانه من السبعة واذا مات من السبعة ابدل الله مكانه من الاربعين واذا مات من الاربعين ابدل الله مكانه من الثلاثمائة واذا مات من الثلاثمائة ابدل الله مكانه من العامة يدفع الله بهم البلاء عن هذه الامة والواحد المذكور في هذا الحديث هو القطب وهو الغوث ومكانه ومكانته من الاولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها به يقع صلاح العالم ورووا عن ابي الدرداء انه قال ان لله عبادا يقال لهم الابدال لم يبلغوا مابلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم اربعون رجلا على مثل قلب ابراهيم لايموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشأ من يخلفه واعلم انهم لايسبون شيأ ولا يلعنونه ولايؤذون من تحتهم ولايحقرونه ولايحسدون من فوقهم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا لاتدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم انما قلوبهم تصعد في السقوف العلى ارتياحا الى الله تعالى في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون انتهى كلامه في روض الرياحين للامام اليافعي رحمه الله تعالى واعلم ان اهل الحق انما نالوا ما نالوا بهدايتهم للناس وعدلهم فيما بين الخلق بعد ما كانوا مهديين وعادلين في انفسهم وروى عن عبد الله بن المبارك انه كان يتجر ويقول لولا خمسة ما تجرت السفيانان وفضيل وابن السماك وابن علية ليصلهم فقدم سنة فقيل له قد ولى ابن علية القضاء فلم يأته ولم يصله بشئ فأتاه ابن علية فلم يرفع رأسه اليه ثم كتب اليه ابن المبارك

يا جاعل العلم له بازيا * يصطاد اموال المساكين

احتلت للدنيا ولذاتها * بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعدما * كنت دواء للمجانين
اين رواياتك فى سردها * لترك ابواب السلاطين
ان قلت اكرهت فذا باطل * زل حمار العلم فى الطين

فلما وقف اسماعيل بن علية على الابيات ذهب الى الرشيد ولم يزل به الى ان استعفاه من القضاء فاعفاه ونعم ماقيل
ابو حنيفة قضا نكرد وبمرد * تو بميرى اكر قضا نكنى (وقيل)
اعدل تكن من صروف الدهر ممتنعا * فالصرف ممتنع للعدل فى عمر

والعدل من اسماء الله تعالى ومعناه العادل وهو الذى يصدر منه فعل العدل المضاد للجور والظلم ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله وحظ العبد من العدل لا يخفى واول ما عليه من العدل فى صفات نفسه هو أن يجعل الشهوة والغضب اسير بن تحت اشارة العقل والدين ومهما جعل العقل خادما للشهوة والغضب فقد ظلم نفسه هذا جملة عدله فى نفسه وتفصيله مراعاة حدود الشرع كله وعدله فى كل عضو أن يستعمله على الوجه الذى اذن الشرع فيه واما عدله فى اهله وذويه ثم فى رعيته ان كان من اهل الولاية فلا يخفى وربما ظن ان الظلم هو الايذاء والعدل هو ايصال النفع الى الناس وليس كذلك بل لو فتح الملك خزائنه المشتملة على الاسلحة والكتب وفنون الاموال ولكن فرق الاموال على الاغنياء ووهب الاسلحة للعلماء وسلم اليهم القلاع ووهب الكتب للاجناد واهل القتال وسلم اليهم المساجد والمدارس فقد نفع ولكنه قد ظلم وعدل عن العدل اذ وضع كل شئ فى غير موضعه اللائق به ولو آذى المريض بسقى الادوية والحجامة والفصد بالاجبار عليه وآذى الجناة بالعقوبة قتلا وقطعا وضربا كان عادلا لانه وضعها فى موضعها وحظ العبد دينا من هذا الوصف انه لا يعترض على الله تعالى فى تدبيره وحكمه وسائر افعاله وافق مراده اولم يوافق لان كل ذلك عدل وهو كما ينبغى وعلى ما ينبغى ولو لم يفعل ما فعله لحصل منه امر آخر هو اعظم ضررا مما حصل كما ان المريض لو لم يحتجم ابصر ضررا يزيد على الم الحجامة وبهذا يكون الله تعالى عدلا والايمان يقطع الانكار والاعتراض ظاهرا وباطنا وتمامه ان لا يسب الدهر ولا ينسب الاشياء الى الفلك ولا يعترض عليه كما جرت به العادة بل يعلم ان كل ذلك اسباب مسخرة وانها رتبت ووجهت الى المسببات احسن ترتيب وتوجيه باقصى وجوه العدل واللطف كذا فى المقصد الاقصى فى شرح معانى اسماء الله الحسنى للامام الغزالى عليه رحمة الملك المتعالى (والذين كذبوا بآياتنا) اضافة الآيات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اى بآياتنا التى هى معيار الحق ومصداق الصدق والعدل (سنستدرجهم) اى سنقربهم البتة الى الهلاك على التدريج واصل الاستدراج اما الاستصعاد وهو النقل من سفل الى علو درجة درجة واما الاستنزال وهو النقل من علو الى سفل كذلك والانسب هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب (من حيث لا يعلمون) صفة لمصدر الفعل المذكور اى سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اكرام من الله تعالى وتقريب منه اولا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان يتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهما كافى الغى الى ان تحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال واشنعها مده خود در افريب از زنك وبويم * كه هست از خنده من كريه آميز (قال الحافظ) بمهلتى كه سپهرت دهد زراه مرو * تراكه كفت كه اين زال زال دستان كفت (واملى لهم) الاملاء اطالة مدة احدهم بابقائه على ماهو عليه وعدم الاستعجال فى مؤاخذته قال المولى ابو السعود عطف على سنستدرجهم غير داخل فى حكم السين لما ان الاملاء وهو عبارة عن الامهال والاطالة وليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل فى نفسه شيأ فشيأ بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره واحكامه لانفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير (ان كيدى متين) اى ان أخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان قال سعدى جلبى المفتى الاولى ان يقول سماه كيدا لنزوله بهم من حيث لا يشعرون والكيد الاخذ بخفية وقال الحدادى الكيد هو الاضرار بالشئ من حيث لا يشعر به قال فى الحكم العطائية خف من وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه ان يكون ذلك استدراجا لك قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال سهل رضى الله عنه فى معنى هذه الآية

نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابو العباس ابن عطاء يعنى كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة وقال الشيخ ابو القاسم القشيرى رحمه الله الاستدراج تواتر المنة بغير خوف الفتنة الاستدراج انتشار الذكر دون خوف المكر الاستدراج التمكن من المنية والصرف عن البغية الاستدراج تعليل برجاء وتأميل بغير وفاء الاستدراج ظاهر مضبوط وسر بالاغيار منوط انتهى ومن وجوه الاستدراج ان يجهل المريد بنفسه ويحق ربه فيسيئ الادب باظهار دعوى اوتورط فى بلوى فتتوخر العقوبة عنه امهالا له فيظنه اهمالا فيقول لوكان هذا سوء ادب لقطع الامداد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن من قطع المدد عنه من حيث لا يشعر الامنع المزيد لكان قطعا لان من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان وكان احمد بن حنبل رضى الله عنه يوصى بعض اصحابه ويقول خف من سطوة العدل وارج رقة الفضل ولا تأمن مكره ولو ادخلك الجنة وقع لابيك آدم ماوقع فان قلت ما الحكمة فى امهال الله العصاة فى الدنيا قلت ليرى العباد ان العفو والاحسان احب اليه من الاخذ والانتقام وليعلموا شفقته وبره وكرمه وان رحمته سبقت غضبه وامهاله تعالى من اخلاق كرمه وجوده وقيل يمهل من يشاء حكمة ليأخذ الظالم اخذ عزيز مقتدر ويعجل عقوبة من يشاء رحمة منه وتخفيفا بالنسبة الى عذاب الآخرة فعلى العاقل ان يخاف من المكر الالهى ويرى الفقر والانكسار نعمة واكراما فان الله تعالى يحب الفقراء وهو عند المنكسرة قلوبهم وحال الدنيا ليس على القرار تسلب كما تهب وتهب كما تسلب ونعم ماقيل * زمانه به نيك وبد آبستن است * ستاره گهى دوست وگه دشمن است (اولم يتفكروا مابصاحبهم من جنة) روى انه عليه الصلاة والسلام كان كثيرا ما يحذر قريشا عقوبة الله تعالى ووقائعه النازلة فى الامم الماضية فقام ليلا على الصفا وجعل يدعوهم الى عبادة الله تعالى قبيلة قبيلة يا بنى فلان يا بنى فلان الى الصباح يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت والهمزة للانكار والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر وما اما استفهامية انكارية فى محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم وامانافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار والجنة بناء نوع من الجنون ودخول من يدل على انه ليس به نوع من انواع الجنون والمعنى اكذبوا بالآيات ولم يتفكروا فى اى شئ من جنون ما كائن بصاحبهم اوفى انه ليس بصاحبهم شئ من جنة حتى يؤديهم التفكر فى ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الآيات فالتصريح بنفى الجنون للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع مافيه من الايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة الجنة وقد كانوا يسمونه قبل اظهار النبوة محمدا الامين صلى الله تعالى عليه وسلم (ان هو) اى ماهو عليه السلام (الانذير مبين) اى مبالغ فى الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة فى الاعذار (اولم ينظروا) الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اى اكذبوا بها ولم ينظروا نظر تأمل واستدلال (فى ملكوت السموات والارض) فيما تدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة فيعلموا انه لم يخلقهما عبثا ولم يترك عباده سدى قال بعضهم ملكوت السموات النجوم والشمس والقمر وملكوت الارض الصخور والجبال والشجر والملكوت الملك العظيم من الملك كالرهبوت من الرهب زيدت التاء للمبالغة يقال له ملكوت العراق اى الملك الاعظم متعلق به (وما خلق الله) عطف على ملكوت اى وفيما خلق الله (من شئ) بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها اى من جليل ودقيق مما يقع عليه اسم الشئ من الاجناس التى لا يمكن حصرها اى ان كل فرد فرد من الموجودات محل للنظر والاعتبار والاستدلال على الصانع ووحدانيته كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا فى ان الشأن عسى ان يكون الشأن قد اقترب اجلهم لعلهم يموتون عن قريب فما لهم لا يسارعون الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مجيئ الموت ونزول العذاب * زان پيش كاجل

فراوسد تنك * وايام عنان ستاند از جنك * برمركب فكر خويش نه زين * مردانه درآى در ره دين (فبأى حديث) هو فى اللغة الجديد وفى عرف العامة الكلام (بعده) اى بعد القرآن (يؤمنون) ذالم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان وليس بعده كتاب منزل ولا نبى مرسل وهو قطع لاحتمال ايمانهم ونفى له بالكلية والباء متعلقة بيؤمنون (من يضلل الله) هركرا كمراه كرداند خداى تعالى و بقرآن نكرود (فلا هادى له) پس هيچ راه نماينده نيست كه اورا براه آرد (ويذرهم) بالياء والرفع على الاستئناف اى وهو تعالى يتركهم (فى طغيانهم) فى مجاوزتهم الحد فى كفرهم (يعمهون) حال من مفعول يذرهم اى حال كونهم مترددين ومتحيرين فى القاموس العمه محركة التردد فى الضلال والتحير فى منازعة او طريق اوان لا يعرف الحجة وفى الآية حث على التفكر ودلالة على ان العاقل لو تفكر بالعقل السليم من آفات الوهم والخيال والتقليد والهوى فى حال النبى صلى الله عليه وسلم واخلاقه وسيره فضلا عن معجزاته لتحقق عنده انه النبى الصادق وان ما يدعوه اليه كله حق وصدق وانه لينجو بهذا التفكر من النار كما اخبر الله تعالى عن حال اهل النار بقوله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير وفى قوله تعالى اولم ينظروا الخ اشارة الى ان المكونات على نوعين نوع منها ما خلق من غير شئ وهو الملكوت الذى هو باطن الكون والكون به قائم وهو قائم بيد القدرة كقوله تعالى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ ونوع منها ما خلق من شئ وهو الملك الذى هو ظاهر الكون فكما ان النظر الى الملك بحس البصر فالنظر الى الملكوت بالعقل والقلب فنظر ارباب العقول فيه يفيد رؤية الآيات والاستدلال بها على معرفة الخالق واثبات الصانع ونظر اصحاب القلوب فيه يفيد شهود شواهد الغيب بالولوج ليصير ايمانه ايقانا بل عيانا كقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وهذه الاراءة سنة آلهية قديمة للحق سبحانه يرى بها كل من جعله نبيا ووليا ناسوت لعالم وملكوته وجبروته ولاهوته سوآء كان عالما صغيرا او عالما كبيرا ولا تزال تلك السنة باقية الى يوم القيامة مادام لم ينقطع السير والسلوك الى الحق سبحانه فلولا ها النوع الانسان لكان كسائر الحيوان الا ان الله الرحمن من بها على نوع الانسان وسار وسلك بها من شاء من اهل عنايته الى قبل الملك المنان حتى ترقى عن جميع الاكوان ونال الشهود والعيان ووصل الى الحق المحسان واتاه كمال الايقان وتمام الاحسان ثم جاء نبيا ووليا لارشاد الاخوان فقام بالحكمة والبيان وبين الاسلام والايمان ودعا الى الله الحليم الحنان وبشر بالجنان وانذر بالنيران فمن اجاب نال اللطف والاحسان ومن لم يجب خسر خسرانا مبينا وقال عليه الصلاة والسلام عن عيسى لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالولوج لاصحاب القلوب والمشاهدة والنظر لارباب العقول والاستدلال كذا فى التأويلات النجمية مع مزيج من كلام شيخنا العلامة احياه الله بالسلامة * روزى امام ابو حنيفه رحمه الله در مسجد نشسته بود جماعتى از زنادقه در آمدند وقصد هلاك او كردند امام كفت يك سؤال را جواب دهيد بعد از ان تيغ ظلم را آب دهيد كفتند مسئله چيست كفت من سفينه ديدم پر باركران برروى دريا روان بى آنكه هيچ ملاحى محافظت ميكرد كفتند اين محالست زيرا كه كشتى بى ملاح بريك نسق رفتن محال باشد كفت سبحان الله سير جمله افلاك وكواكب ونظام عالم علوى وسفلى از سير يك سفينه عجيبترست همه ساكت كشتند واكثر مسلمان شدند (قال الحافظ الشيرازى) در حشمت سليمان هركس كه شك نمايد * برعقل ودانش او خندند مرغ وماهى (يسألونك عن الساعة) اى عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة فيها كالنجم فى الثريا وسميت القيامة ساعة لوقوعها بغتة اولكون الحساب الواقع فيها يتم وينقضى فى ساعة يسيرة لانه تعالى لا يشغله شان عن شأن اولانها على طولها عند الله تعالى كساعة من الساعات عند الخلق واصلها ساعة قيام الناس من الاجداث فلما غلبت نعمت فاستغنت عن الاضافة (روى) ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هى وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى قد استأثر بعلمها فنزلت (ايان مرساها) ايان ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام محله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر اى متى ارساؤها اى اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمى من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا فى الشئ الثقيل كما فى قوله تعالى والجبال ارساها ولما كان اثقل الاشياء على الخلق هو الساعة سمى الله تعالى وقوعها وثبوتها بالارساء ومحل الجملة النصب

بنزع الخافض فانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كأنه قيل يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها (قل انما علمها) لم يقل انما علم وقت ارسائها لان المقصد الاصلى من السؤال نفسها باعتبار حلولها فى وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها ولذلك اضاف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها (عند ربى) خاصة قد استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (لا يجليها) اى لا يظهر امرها من التجلية وهو اظهار الشئ والتجلى ظهوره (لوقتها) اى فى وقتها فاللام للتأقيت كاللام فى قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس (الا هو) والمعنى انه تعالى يخفيها على غيره اخفاء مستمرا الى وقت وقوعها ولا يظهرها الا فى ذلك الوقت الذى وقعت فيه بغتة بنفس الوقوع لا بالاخبار عنها لكون اخفائها ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كاخفاء الاجل الخاص الذى هو وقت الموت كتم الله تعالى وقت قيام الساعة عن الخلق ليصير المكلف مسارعا الى التوبة والطاعة فى جميع الاوقات فانه لو علم وقت قيام الساعة لتقاصر الخلق عنها واخروها وكذلك اخفى ليلة القدر ليجتهد المكلف فى العبادة فى ليالى الشهر كلها واخفى ساعة الاجابة من يوم الجمعة ليكون المكلف مجدا فى الدعاء فى جميع ساعاته (ثقلت فى السموات والارض) اى كبرت وشقت على اهلهما من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت على اهلهما خوفا من شدائدها وما فيها من الاهوال ومن جملة اهوالها فناء من فى السموات والارض وهلاكهم وذلك ثقيل على القلوب (لا تأتيكم الا بغتة) الا فجأة على غفلة فتقوم والرجل يسقى ماشيته والرجل يصلح حوضه والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه والرجل يهوى لقمة فى فمه فما يدرك ان يضعها فى فمه (يسألونك كأنك حفى عنها) اى عالم بها من حفى عن الشئ اذا بالغ فى السؤال عنه ومن استقصى فى تعلم الشئ وبالغ فى السؤال عنه لزمه ان يستحكم علمه به ويعلمه باقصى ما يمكن ويكون ماهرا فى العلم فلذلك كنى بقوله تعالى كأنك حفى عنها عن كونه عليه السلام عالما بها باقصى ما يمكن والتعدية بعن مع كونه بمعنى العالم وهو يتعدى بالباء لكونه متضمنا لمعنى بليغ فى السؤال عنها حتى احكمت علمها والجملة التشبيهية فى محل النصب على انها حال من الكاف اى يسألونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفى عنها اى مبالغ فى العلم بها (قل انما علمها عند الله) الفائدة فى اعادته رد المعلومات كلها الى الله تعالى فيكون التكرار على وجه التأكيد والتمهيد للتعريض بجهلهم بقوله (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها رأسا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسألونك جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنها ذريعة الى القدح فى رسالتك (قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا) اى جلب نفع ولا دفع ضر فمن لا يعلم ان نفعه فى اى الاشياء ومضرته فى ايها كيف يعلم وقت قيام الساعة واللام متعلق باملك قال سعدى جلبى المفتى والظاهر انه متعلق بنفعا ولا ضرا (الا ما شاء الله) ان املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكننى منه ويقدرنى عليه فالاستثناء متصل اولكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ فى اظهار العجز عن علمها (ولو كنت اعلم الغيب) اى جنس الغيب (لاستكثرت من الخير) اى لجعلت المال والمنافع كثيرا على ان يكون بناء استفعل للتعدية كما فى نحو استذله (وما مسنى السوء) من كيد العدو والفقر والضر وغيرها (ان انا الا نذير وبشير) اى ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شأنى ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التى لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصى (لقوم يؤمنون) اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اى نذير للكافرين اى الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اى فى اى وقت كان ففيه ترغيب للكفرة فى احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان قال الحدادى فى تفسيره فى الآية دلالة على بطلان قول من يدعى العلم بمدة الدنيا ويستدل بما روى ان الدنيا سبعة الاف سنة لانه لو كان كذلك لكان وقت قيام الساعة معلوما واما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار الى السبابة والوسطى فمعناه تقريب الوقت لا تحديده كما قال تعالى فقد جاء اشراطها اى مبعث النبى عليه السلام من اشراطها انتهى يقول الفقير وراية عمر الدنيا

وردت من طرق شتى صحاح لكنها لا تدل على التحديد حقيقة فلا يلزم ان يكون وقت قيام الساعة معلوما لاحد
ايا من كان من ملك او بشر وقد ذهب بعض المشايخ الى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرف وقت الساعة
باعلام الله تعالى وهو لا ينافى الحصر فى الآية كما لا يخفى وفى صحيح مسلم عن حذيفة قال اخبرنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما هو كائن الى ان تقوم الساعة وفى الحديث ان لله ديكا جناحاه موشيان بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت
جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب وقوآئمه فى الارض السفلى ورأسه مثنى تحت العرش فاذا كان السحر
الاعلى خفق بجناحيه ثم قال سبوح قدوس ربنا الله لا اله غيره فعند ذلك تضرب الديكة اجنحتها وتصيح فاذا
كان يوم القيامة قال الله تعالى ضم جناحك وغض صوتك فيعلم أهل السموات والارض ان الساعة قد اقتربت
ومن اشراط الساعة كثرة السبى والتسرى وذلك دليل على استعلاء الدين واستيلاء المسلمين الدال على التراجع
والانحطاط اذا بلغ الامر كماله ومنها كون الغنم دولا يعنى اذا كان الاغنياء واصحاب المناصب يتداولون بأموال
الغنيمة ويمنعون عنها مستحقيها وكون الزكاة مغرما يعنى يشق عليهم اداء الزكاة ويعدونها غرامة وكون
الامانة مغنما يعنى اذا اتخذ الناس الامانات الموضوعة عندهم مغانم يغتنمونها ومن الامانة الفتوى والقضاء
والامارة والوزارة وغيرها فاذا آتوها الى غير اهاليها كما ترى فى زماننا فانتظر الساعة وفى رواية عن ابى هريرة
لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعا ولا تقوم الساعة الا على شرار الخلق فان قيل قد ورد
فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قيل معناه
الى قريب قيام الساعة لان قريب الشئ فى حكمه واعلم ان القيامة ثلاث حشر الاجساد والسوق الى المحشر
للجزآء وهى القيامة الكبرى وموت جميع الخلائق وهى الوسطى ولا يعلم وقته يقينا الا الله تعالى وانما يعلم
بالعلامات المنقولة عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا بعضا منها وموت كل احد وهى الصغرى وفى
الحديث من مات فقد قامت قيامته (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر يوما احوال جهنم فقال واحد من
الاصحاب رضى الله عنه ادع لى يا رسول الله ان ادخل فيها فتعجبوا من قوله فقال عليه الصلاة والسلام انه يريد
ان يكون صاحب القيامة الكبرى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره نحن لا نعرف حقيقة
مراده عليه السلام الا انا نوجهه بان يريد ان يشاهد القيامة الكبرى بان يصل الى مرتبة يتجلى فيها معنى قوله
تعالى كل شئ هالك الا وجهه فان السالك اذا جاوز عن مرتبة الطبيعة والنفس والروح والسر يغيب عنه
ماسوى الله تعالى فلا يرى له غير الله تعالى فاضمحلال ماسواه وفناؤه هو القيامة الكبرى وهذه مرتبة عظمى
لا يصل اليها الا اهل العناية (قال الحافظ) عنقا شكار كس نشود دام بازچين * كانجا هميشه باد بدستست
دام را * فعلى العاقل الاجتهاد وبذل المجهود ليترقى الى ما ترقى اليه أهل الخير والجود * بال بكشا
وصفير از شجر طوبى زن * حيف باشد چو تو مرغى كه اسير قفسى * كاروان رفت وتو در راه كمين كاه
بخواب * وه كه بس بيخبرى ز ين همه بانك جرسى (ونعم ما قيل) عاشق شو ار نه روزى كار جهان سر آيد *
نا خوانده نقش مقصود از كارگاه هستى * نسال الله تعالى ان يوفقنا لما يحب ويرضى ويداوى هذه القلوب
المرضى وهو المعين على كل حال وفى كل حين (هو) اى الله تعالى (الذى) اى العظيم الشأن الذى (خلقكم)
جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل فى ذلك بوجه من الوجوه (من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام
فكما ان النفوس خلقت من نفس واحدة هى نفس آدم فكذا الارواح خلقت من روح واحد هو روح محمد
صلى الله عليه وسلم فكان هو ابا الارواح كما كان آدم ابا البشر لقوله عليه السلام انما انا لكم كالوالد لولده
وقوله اول ما خلق الله روحى فان اول كل نوع هو المنشأ منه ذلك النوع من الحيوان والنبات * گر بصورت
من ز آدم زاده ام * من بمعنى جد جد افتاده ام (وجعل) انشأ (منها) اى من جنس تلك النفس الواحدة
(زوجها) حوآء او من جسدها لما روى ان الله تعالى خلق حوآء من ضلع من اضلاع آدم عليه الصلاة والسلام
والاول هو الانسب اذ الجنسية هى المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية (ليسكن) تلك النفس والتذكير
باعتبار المعنى يعنى آدم (اليها) اى الى الزوج وهى حوآء اى ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا
للازدواج (فلما تغشاها) لم يقل تغشتها اعتبارا آدم ايضا والتغشى والتغشية التغطية بالفارسى چيزى
بر كسى پوشانيدن * كنى به عن الجماع لان الرجل يغطى المرأة ويسترها حال الوقاع لاستعلائه عليها (حملت حملا

(خفيفا) في مبادي الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب فانتصاب حملا على المصدرية او حملت محمولا خفيفا وهو ما في البطن من النطفة ونفس الجنين فانتصابه على المفعول به كقوله حملت زيدا وهو الظاهر والمشهور ان الحمل بالفتح ما كان في البطن او على رأس الشجر وبالكسر ما كان على ظهر انسان او على الدابة (فمرت به) اى فاستمرت به كما كان قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت ولم تكترث بحملها فمرت من المرور بمعنى الذهاب والمضى لا من المر بمعنى الاجتياز والوصول يقال مر عليه وبه يمر مرا اى اجتاز ومر يمر مرا ومرورا اى ذهب واستمر مثله والسين فيه للطلب التقديري كما في استخرجته (فلما اثقلت) اى صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها (دعوا الله) اى آدم وحوآء عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا اليه تعالى (ربهما) اى مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء ومتعلق الدعاء محذوف اى دعواه تعالى في ان يؤتيهما ولدا صالحا ووعدا بمقابلته الشكر وقالا (لئن آتيتنا صالحا) اى ولدا سوى الاعضاء او صالحا في امر الدين (لنكونن من الشاكرين) لك على هذه النعمة المجددة ووجه دعائهما بذلك ان آدم رأى حين اخذ الميثاق على ذريته ان منهم سوى الاعضاء وغير السوى وان منهم التقى وغير التقى فسألا ان يكون هذا الولد سوى الاعضاء او تقيا نقيا عن المعصية فلما اعطاهما صالحا شكرا لانهما لبسا بحيث يعدان من انفسهما بذلك ثم لا يفعلان ذلك يقال ان حوآء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى ويقال ولدت لآدم في خمسمائة بطن ألف ولد ثم شرع في توبيخ المسلمين بقوله (فلما آتاهما صالحا) اى فلما اعطى اولادهما المشركين البالغين مبلغ الولد ولدا صالحا سوى الاعضاء (جعلا) اى جعل هذان الابوان (له) اى لله تعالى (شركاء فيما آتاهما) بان سميا اولادهما بعبد العزى وعبد مناف ونحو ذلك وسجد اللاصنام شكرا على هذه النعمة والاظهر تقرير ابى السعود حيث قال في تفسيره فلما آتاهما صالحا اى لما آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا جعلا اى جعل اولادهما له تعالى شركاء فيما آتاهما اى فيما اتى اولادهما من الاولاد ففي الكلام حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والالزم نسبتهما اى آدم وحوآء الى الشرك وهما بريئان منه بالاتفاق ويدل على الحذف المذكور صيغة الجمع في قوله تعالى (فتعالى الله) پس برترست خداى تعالى وپاك (عما يشركون) اى عن اشراكهم وهو تسميتهم المذكورة ولو كان المراد بالآية آدم وحوآء لقال عما يشركان (ايشركون) به تعالى (ما لا يخلق شيأ) اى لا يقدر على ان يخلق شيأ من الاشياء اصلا ومن حق المعبود أن يكون خالقا لعابده (وهم يخلقون) عطف على ما لا يخلق بمعنى الاصنام وايراد الضمير بن بجمع العقلاء مبنى على اعتقاد الكفار فيها ما يعتقدونه في العقلاء وكانوا يصورونها على صورة من يعقل ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفى الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها (ولا يستطيعون لهم) اى لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم (نصرا) اى نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة (ولا انفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كما اذا اراد أحد أن يكسرها او يلطخها بالالواث والارواث قال الحدادى وكانوا يلطخون افواه الاصنام بالخلوف والعسل وكان الذباب يجتمع عليها فلا تقدر على دفع الذباب عن انفسها (وان تدعوهم) أيها المشركون (الى الهدى) الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم (لا يتبعوكم) الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله (سوآء عليكم) أيها المشركون (أدعوتموهم) اى الاصنام (ام انتم صامتون) ساكتون اى مستوى عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية ولم يقل ام صمتم لرعاية رؤوس الآى (ان الذين تدعون من دون الله) اى تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم آلهة (عباد امثالكم) اى مماثلة لكم من حيث انها مملوكة لله تعالى مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضر وقال الحدادى سماها عبادا لانهم صوروها على صورة الانسان (فادعوهم) في جلب نفع وكشف ضر (فليستجيبوا لكم) صيغته صيغة الامر ومعناه التعجيز (ان كنتم صادقين) في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه (ألهم) اى للاصنام (ارجل يمشون بها) حتى يمكن استجابتهم لكم والاستجابة من الهيا كل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها محرك حياة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شئ من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة ووصف الارجل بالمشى بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف (ام لهم ايد يبطشون بها) ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والبطش الاخذ بقوة والمعنى بل ألهم ايد يأخذون بها ما يريدون اخذه وبل

للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه (ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها) قدم المشى لانه حالهم فى انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله ام لهم اعين الخ مع ان الكل سوآء فى انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلرعاية المقابلة بين الايدى والارجل واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الآذان واظهر عينا واثرا ثم ان الكفار كانوا يخوفونه عليه السلام بآلهتهم قائلين نخاف ان يصيبكم بعض آلهتنا بسوء فقال الله تعالى (قل ادعوا) أيها المشركون (شركاءكم) واستعينوا بهم فى عداوتى (ثم كيدون) فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهى أنتم وشركاؤكم فالخطاب فى كيدون للاصنام وعبدتها (فلا تنظرون) فلا تمهلون ساعة فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه * اكرهردوجهانم خصم كردند * نترسم چون نكهبانم تو باشى (ان وليى الله الذى نزل الكتاب) تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق انفهاما جليا وقوله وليى بثلاث ياآت الاولى ياء فعيل وهى ساكنة والثانية لام الفعل وهى مكسورة ادغمت فيها الياء الاولى والثالثة ياء الاضافة وهى مفتوحة والولى هنا بمعنى الناصر والحافظ اضيف الى ياء المتكلم والمعنى ان الذى يتولى نصرتى وحفظى هو الذى اكرمنى بتنزيل القرآن وايحائه الى وايحاء الكتاب اليه يستلزم رسالته لا محالة (وهو يتولى الصالحين) اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم لا يخذلهم فضلا عن انبيائه (والذين تدعون) يا عبدة الاصنام (من دونه) اى متجاوزين الله تعالى ودعاءه ومضمون هذه الآية ذكر اولا لتقريع عبدة الاصنام وذكرهنا اتماما لتعليل عدم مبالاته بهم فلا تكرار (لا يستطيعون نصركم) فى امر من الامور (ولا انفسهم ينصرون) اذا نابتهم نائبة (وان تدعوهم) اى الاصنام (الى الهدى) الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم من الكيد وغيره (لا يسمعوا) اى دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا بخلاف التوجه الى روحانية الانبياء والاولياء وان كانوا مخلوقين فان الاستمداد منهم والتوسل بهم والانتساب اليهم من حيث انهم مظاهر الحق ومجالى انواره ومرآئى كمالاته وشفعاؤه فى الامور الظاهرة والباطنة له غايات جليلة وليس ذلك بشرك أصلا بل هو عين التوحيد ومطالعة الانوار من مطالعها ومكاشفة الاسرار من مصاحفها (قال الصائب) مشو بمرك زامداد اهل دل نوميد * كه خواب مردم آكاه عين بيداريست (وتراهم) الرؤية بصرية والخطاب لكل واحد من المشركين اى وترى الاصنام أيها الرآئى رأى العين (ينظرون اليك) حال من المفعول اى يشبهون الناظر الى اليك ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها تصوير من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه (وهم لا يبصرون) حال من فاعل ينظرون اى والحال انهم غير قادرين على الابصار وهو بيان عجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وقيل ضمير الفاعل فى تراهم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير المفعول للمشركين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا اى وترى المشركين يا محمد ينظرون اليك بأعينهم وهم لا يبصرونك ببصائرهم اى كما أنت عليه فهم غائبون عنك فى الحقيقة الآن يقروا بالتوحيد وصدق الرسالة ذكر ان السطر الاول من خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام كان بسم الله الرحمن الرحيم والسطر الثانى لا اله الا الله والسطر الثالث محمد رسول الله فلما ادخله جبريل فى اصبعه لم يقدر اصحابه ان يروه فتضرعوا فقال قولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فلما قالوه رأوه وسره انه احاطته المهابة فلما اشتغلوا بالتوحيد حصل لهم الاستعداد والقدرة (وحكى) ان السلطان محمود الغازى دخل على الشيخ الربانى ابى الحسن الخرقانى قدس سره لزيارته وجلس ساعة ثم قال يا شيخ ما تقول فى حق ابى يزيد البسطامى فقال الشيخ هو رجل من رآه اهتدى واتصل بسعادة لا تخفى فقال محمود وكيف ذلك وابوجهل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتصل بالسعادة ولم يتخلص من الشقاوة فقال الشيخ فى جوابه ان اباجهل ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما رأى محمد بن عبد الله يتيم ابى طالب حتى لو كان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لخرج من الشقاوة ودخل فى السعادة ثم قال الشيخ ومصداق ذلك قول الله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب يورث ذلك فمن رأى ابا يزيد بهذه العين فاز بالسعادة * براى ديدن روى تو چشم ديكرم باشد * كه اين چشمى كه من دارم جمالت را نمى شايد * وفى الحديث طوبى لمن رآنى ولمن رأى من رآنى ولمن رأى من رأى من رأى من رآنى كما فى الرسالة

العلية للكاشفى (وفى المثنوى) كفت طوبى من رآنى مصطفى * والذى يبصر لمن وجهى راى *
چون چراغى نور شمعى را كشيد * هركه ديد آنرا يقين آن شمع ديد * همچنين تا صد چراغ ازنقل شد *
ديدن آخر لقاى اصل شد * خواه نوراز واپسين بستان بجان * هيچ فرقى نيست خواه ازشمع دان *
وظهر من هنا أن رؤية الاولياء ايضا انما تفيد اذا كانت بالبصيرة ثم ان الرؤية تتناول ما فى اليقظة وما فى المنام
قال بعضهم فى قوله عليه السلام من رآنى فقد رأى الحق من رآنى مطلقا اى سوآء كانت الرؤية فى اليقظة اوفى
المنام فقد رأى الرسول الحق وقال بعضهم من رانى فى المنام فقد رأى الرؤيا الصادقة لا الرؤيا التى يلعب بها
الشيطان قال الشيخ الاكمل فى شرح المشارق المنام الحق هو الذى يريه الملك الموكل على الرؤيا فان الله تعالى
قد وكل بالرؤيا ملكا يضرب من الحكمة والامثال وقد اطلعه الله سبحانه على قصص ولد آدم من اللوح المحفوظ
فهو ينسخ منها ويضرب لكل قصة مثلا فاذا نام يمثل له تلك الاشياء على طريق الحكمة لتكون بشارة له
اونذارة اومعاتبة ليكونوا على بصيرة من امرهم كذا قيل انتهى واعلم ان جميع الانبياء معصومون من ان يظهر
شيطان بصورهم فى النوم واليقظة لئلا يشتبه الحق بالباطل يقول الفقير اصلحه الله القدير سمعت من حضرة
شيخى المتفرد فى زمانه بعلمه وعرفانه ان الشيطان لا يتمثل ايضا بصور الكمل من الاولياء الكرام كقطب الوجود
فى كل عصر فانه مظهر تام للهدى سار فيه سر النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا فعلى العاقل
ان يترك القيل والقال ويدع الاعتراض بالمقال والحال ويستسلم لامر الله الملك المتعال الى ان يبلغ مبلغ الرجال
و يتخلص من مكر الشيطان البعيد عن ساحة العز والاجلال ويكون هاديا بعد كونه مهديا ان كان ذلك امرا
مقضيا اللهم اهدنا الى رؤية الحق وارنا الاشياء كما هى وخلصنا من الاشتغال بالمناهى والملاهى انك انت الجواد
لكل صنف من العباد منك المبدأ واليك المعاد (خذ العفو) روى انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل ما الاخذ
بالعفو فقال لا ادرى حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تعطى من حرمك وتصل من قطعك
وتعفو عن ظلمك وان تحسن الى من اساء اليك * هركه زهرت دهد بدوده قند * وانكه ازتو بردبدو بيوند *
والعفو من اخلاقه تعالى قال سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن اخلاق النبى عليه السلام قالت
اما تقرأ القرءآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله القرءآن وانما ادبه بالقرءآن بمثل قوله تعالى خذ العفو
وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وبقوله واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وبقوله فاعف عنهم
واصفح وغير ذلك من الآيات الدالة على مكارم اخلاقه (وأمر بالعرف) بالجميل المستحسن من الافعال لانها
قريبة من قبول الناس من غير نكير قال فى التيسير قالوا فى العرف تقوى الله صلة الارحام وصون اللسان عن
الكذب ونحوه وغض البصر عن المحارم وكف الجوارح عن المآثم (واعرض عن الجاهلين) ولا تكافئ
السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغضض عما يسوءك منهم وذلك لانه ربما اقدم بعض الجاهلين
عند الترغيب والترهيب على السفاهة والاذى والضحك والاستهزآء فلهذا السبب امر الله تعالى حبيبه
فى آخر الآية بتحمل الاذى والحلم عن جفائهم فظهر بهذا ان الآية مشتملة على مكارم الاخلاق فيما يتعلق بمعاملة
الناس معه ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الاسواق ولا يجزى السيئة بالسيئة
ولكن يعفو ويصفح كذا فى الكواشى روى انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب
والغضب فنزل قوله تعالى (واما) كلتان ان التى هى للشرط وما التى هى صلة زآئدة (ينزغنك) النزغ والنخس
الغرز يقال نزغه طعن فيه ونزغ بينهم افسد واغرى ووسوس ونخس الدابة غرز مؤخرها اوجنبها بعود ونحوه (من
الشيطان نزغ) اى نازغ كرجل عدل بمعنى عادل وشبهت وسوسته للناس واغرآؤه اهم على المعاصى بغرز
السائق لما يسوقه والمعنى واما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعترآء غضب اونحوه
(فاستعذ بالله) فالتجئ اليه تعالى من شره واعتصم (انه) تعالى (سميع) يسمع استعاذتك به قولا (عليم) يعلم
تضرعك اليه قلبا فى ضمن القول اوبدونه فيعصمك من شره قال فى البحر وختم بهاتين الصفتين لان الاستعاذة التى
تكون باللسان لا تجدى الا باستحضار معناها فالمعنى سميع للاقوال عليم بما فى الضمائر واختلفوا هل المراد
الشيطان او القرين فقط والظاهر انه فى حقنا القرين قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين وفى حق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابليس اما نحن فلان الانسان لا يؤذيه من الشياطين

الا ما قرن به وما بعده فلا يضره شيأ والعاقل لا يستعيذ ممن لا يؤذيه واما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فان
قرينه قد أسلم فلا يستعيذ منه فالاستعاذة حينئذ من غيره وغيره يتعين ان يكون ابليس او أكابر جنوده لانه
قد ورد فى الحديث ان عرش ابليس على البحر الاخضر وجنوده حوله واقربهم اليه اشدهم بأسا ويسأل كلا منهم
عن عمله واغوائه ولا يمشى هو الا فى الامور العظام والظاهر ان امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اهم
المهمات عنده فلا يؤثر به غيره من ذريته كما ورد ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى فقلت
اعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت العنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم اردت اخذه والله لولا
دعوة اخينا سليمان لاصبح موثقا يلعب به ولدان اهل المدينة والدعوة قوله رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى
لاحد من بعدى وانما لم يشده ولم يأخذه لان التسخير التام مختص بسليمان عليه السلام فان قلت لم يمنع ابليس
عن النبى صلى الله عليه وسلم كما منع به عن السماء الشياطين قلت ان الله تعالى جعل اكثر الاشياء كذلك يمنع بها
ولا يمنع عنها ألا ترى ان الليل يمنع النهار والنهار يمنع الليل ولا يمنع عنهما النور والظلمة وكذلك احياء الموتى لعيسى
عليه السلام ولم يمنع عنه الموت وايضا المانع الشياطين عن السماء ظنوا انهم لا يقدرون على محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فسلطهم عليه ثم عصمه منهم ليعلموا انه ليس بايديهم شئ وقال النيسابورى اراد ان يظهر لخلقه ان
غيره مقهور غير معصوم ولا قاهر الا الله تعالى وعن بعض العلماء ان الخطاب فى قوله واما ينزغنك وان كان
للنبى عليه السلام الا ان المراد امته وتشريع الاستعاذة لهم يقول الفقير حفظه الله القدير يعضده ما قال بعض
الاولياء من امته وهو ابو سليمان الدارانى قدس سره ما خلق الله خلقا اهون على من ابليس لولا ان الله امرنى ان
أتعوذ منه ما تعوذت منه ابدا وما قال البعض الآخر حين قيل له كيف مجاهدتك للشيطان وما الشيطان نحن قوم
صرفنا هممنا الى الله فكفانا من دونه فاذا كان هذا حال الولى فما ظنك بحال النبى ويدل عليه ايضا كلمة ان الدالة
على عدم الجزم واعلم ان الغضب لغير الله من نزغات الشيطان وانه بالاستعاذة يسكن (روى) انه صلى الله عليه وسلم
رأى رجلا يخاصم اخاه قد احمر وجهه وانتفخت اوداجه من الغضب فقال عليه السلام انى لاعلم كلمة لو قالها
لذهب عنه ما يجد لو قال اعوذ بالله من الشيطان لذهب عنه ما يجده وفى الحديث ان الغضب من الشيطان وان
الشيطان من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ (وفى المثنوى) چون ز خشمم آتش
تو در دلها زدى * مايه نار جهنم آمدى * آتشت اينجا چو آدم سوز بود * آنچه ازوى زاد
مردافروز بود * آتش تو قصد مردم ميكند * نار كزوى زاد بر مردم زند * اين سخنهاى چو مار
وكژدمست * ماروكژدم گشت وميگيرد دمت * خشم تو تخم سعير دوزخست * هين بكش اين
دوزخت راكين فخست * وفى الحديث لما اراد الله ان يخلق لابليس نسلا وزوجة ألقى عليه الغضب
فطارت منه شظية من نار فخلق منها امرأته كذا فى حياة الحيوان والاشارة خذ العفو أى تخلق بخلق الله فان
العفو من اخلاقه تبارك وتعالى وأمر بالعرف اى بالمعروف وهو طلب الحق تعالى لانه معروف العارفين
وأعرض عن الجاهلين يعنى عن كل ما يدعوك الى غير الله وعمن يطلب ماسوى الله فان الجاهل هو الذى
لا يعرف الله ولا يطلبه والعالم من يطلبه ويعرفه واما ينزغنك من الشيطان نزغ فى طلب غير الله فاستعذ بالله
من غير الله بان تفر الى الله وتترك ماسواه انه سميع يسمع القول والاجابة لما تدعو اليه عليم بما ينفعك ويضرك
فيسمع ما ينفعك دون ما يضرك كذا فى التأويلات النجمية (ان الذين اتقوا) اى اتصفوا بوقاية انفسهم
عما يضرها (اذا مسهم طائف من الشيطان) ادنى لمة منه وهى الوسوسة والمس والطائف اسم فاعل من طاف
يطوف اذا دار حول الشئ كأنها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اى
ألم فالطائف بمعنى الجائى والنازل وفى الصحاح طيف الخيال مجيئه فى النوم وطيف من الشيطان وطائف
منه لمم منه والخيال فى الاصل اسم بمعنى التخيل وارتسام الصورة فى محل القوة المتخيلة ويطلق على نفس تلك
الصورة وطيفه نزوله فى محل المتخيلة (تذكروا) اى ما امر به ونهى عنه وقال المولى ابو السعود اى
الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه (فاذاهم) بسبب ذلك التذكر (مبصرون) مواقع الخطأ ومكايد الشيطان
فيحترزون عنها ولا يتبعونه فيها (واخوانهم) اى اخوان الشياطين وهم المتمكنون فى الغى المعرضون عن
وقاية انفسهم عن المضار فضمير اخوانهم للشيطان والجمع لكون المراد به الجنس (يمدونهم فى الغى) اى يكون

الشياطين مدد الهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه والغى الضلال (ثم لا يقصرون) اى لا يمسكون عن الاغواء حتى يردونهم بالكلية يقال اقصر عن الشئ اذا كف عنه وانتهى فعلى العاقل مباعدة أهل الطغيان ومجانبة وسوسة الشيطان (حكى) ان بعض الاولياء سأل الله تعالى ان يريه كيف يأتى الشيطان ويوسوس فأراه الحق تعالى هيكل الانسان فى صورة بلور وبين كتفيه خال اسود كالعش والوكر فجاء الخناس يتحسس من جميع جوانبه وهو فى صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء من بين الكتفين فادخل خرطومه قبل قلبه فوسوس اليه فذكر الله تعالى فخنس وراءه ولذلك سمى بالخناس لانه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر فى القلب ولهذا السر الالهى احتجم صلى الله تعالى عليه وسلم بين كتفيه وأمر بذلك ووصاه جبريل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لانه يجرى وسوسته مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام اشارة الى عصمته عليه السلام من وسوسته لقوله عليه السلام اعانني الله عليه فاسلم اى بالختم الالهى ايده به وخصه وشرفه وفضله بالعصمة الكلية فأسلم قرينه وما اسلم قرين آدم فوسوس اليه لذلك واعلم ان اصل الخواطر اثنان ما يكون بالقاء الملك وما يكون بالقاء الشيطان والفرق ان كل ما يكون سببا للخير بحيث يكون مأمون الغائلة اى الآفة فى العاقبة ولا يكون سريع الانتقال الى غيره ويحصل بعده توجه تام الى الحق ولذة عظيمة مرغبة فى العبادة فهو ملكى وبالعكس شيطانى قال بعضهم قد يلبس الشيطان ويرى الباطل فى صورة الحق فاجمع المشايخ على ان من كان قوته من الحرام لا يفرق بين الخواطر الملكية والشيطانية بل منهم من قال من كان قوته غير معلوم لا يفرق بينهما (وفى المثنوى) طفل جان از شير شيطان باز كن * بعد ازانش با ملك انباز كن * تا تو تاريك وملول وتيره * دانكه با ديو لعين همشيره * لقمه كونور افزود وجمال * آن بود آورده از كسب حلال * چون ز لقمه تو حسد بينى ودام * جهل وغفلت زايد آنرا دان حرام * زايد از لقمه حلال اندر دهان * ميل خدمت عزم رفتن آن جهان * قال حضرة شيخنا الفريد امده الله بالمزيد فى كتاب اللائحات البرقيات الملك الموكل بأمر الله على قلوب أهل الحق يلقى اليهم الحق دآئما فاذا امسهم طائف من الشيطان فيذكرهم بذلك الطائف الشيطانى فهم يتذكرون ويبصرون ويمحون والشيطان المتسلط بخذلان الله على صدور أهل الباطل يلقى اليهم الباطل دآئما فاذا امسهم طائف من الرحمن فينسيهم ذلك فهم لا يتذكرون ولا يبصرون ولا يمحون فالشأن الرحمانى دآئما ارآءة الحق حقا والباطل باطلا والشأن الشيطانى ارآءة الحق باطلا والباطل حقا وهذا هو السر والحكمة فى كون عباد الرحمن هادين ومهديين وعباد الشيطان ضالين ومضلين لان الارآءة الاولى هى الهداية بعينها والثانية هى الاضلال بعينه والاضلال لا بد من انه يستلزم الضلال كما ان الهداية لا بد من انها تستلزم الاهتداء انتهى كلامه قال فى التأويلات النجمية ان الذين اتقواهم ارباب القلوب والتقوى من شأن القلب كما قال عليه الصلاة والسلام التقوى ههنا واشار الى صدره والتقوى نور يبصرون به الحق حقا والباطل باطلا فلذا قال اذا امسهم طائف من الشيطان اى اذا طاف حول القلب التقى النقى نوع طيف من عمل الشيطان يراه القلب بنور التقوى ويعرفه فيتذكر انه يفسده ويكدر صفاءه ويقسيه فيجتنبه ويحترز منه فذلك قوله تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى يعنى النفوس اخوان القلب فان النفس والقلب توأمان ولدا من ازدواج الروح والقالب فالقلب يمد النفس فى الطاعة ولولا ذلك ما صدر من القلب معصية لانه جبل على الاطمئنان بذكر الله وطاعته ثم لا يقصرون لا يسأم كل واحد منهما من فعله ولا يدع ما جبل عليه لئلا يأمن ارباب القلوب من كيد النفوس ابدا ولا يقنط ارباب النفوس المسرفين على انفسهم من رحمة الله من اصلاح احوال قلوبهم (واذا لم تأتهم) اى اهل مكة (بآية) من القرآن عند تراخى الوحى او بآية مما اقترحوه كقولهم أحى لنا فلانا الميت يكلمنا ويصدقك فيما تدعونا اليه ونحو ذلك (قالوا لولا اجتبيتها) اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه اى جمعه فالمعنى هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا كسائر ما تقرأه من القرآن فانهم يقولون كله افك او هلا ميزتها واصطفيتها عن سائر مهماتك وطلبتها من الله تعالى فيكون الاجتباء بمعنى الاصطفاء (قل) ردا عليهم (انما اتبع) اى ما افعل الاتباع (ما يوحى الى من ربى) لست بمختلق للآيات ولست بمقترح لها (هذا) القرآن (بصائر من ربكم) بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب اخبر عن المفرد بالجمع لاشتماله على سور وآيات (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) اذ هم المقتبسون

من انواره والمغتنمون من آثاره والجملة من تمام القول المأمور به وفى الآية اشارة الى انه كما ان النبى يتبع الوحى الالهى كذلك الولى يتبع الالهام الربانى فلا قدرة على تزكية النفوس الا بالوحى والالهام وايضا لولم يتبع الهدى لكان اهل هوى غير صالح للارشاد وخائنا والخائن لا يكون امينا على اسرار النبوة والولاية وعن بعض اهل العلم قال كنت بالمصطبة واذا برجلين يتكلمان فى الخلوة مع الله تعالى فلما ارادا ان ينصرفا قال احدهما للآخر تعال نجعل لهذا العلم ثمرة ولا يكون حجة علينا فقال له اعزم على ماشئت فقال عزمت على ان لا آكل ما للمخلوق فيه صنع قال فتبعتهما وقلت انا معكما فقالا على الشرط قلت على اى شرط شرطتما فصعدا جبل لكام ودلانى على كهف وقالا تعبد فيه فدخلت فيه وجعل كل واحد منهما يأتينى بما قسم الله تعالى وبقيت مدة ثم قلت الى متى اقيم ههنا اسير الى طرطوس وآكل من الحلال وأعلم الناس العلم وأقرأ القرآن فخرجت ودخلت طرطوس واقمت بها سنة واذا انا برجل منهما قد وقف على وقال يا فلان خنت فى عهدك ونقضت الميثاق اما انك لو صبرت كما صبرنا لوهب لك ما وهب لنا فقلت ما الذى وهب لكما قال ثلاثة اشياء طى الارض من المشرق الى المغرب بقدم واحد والمشى على الماء والحجبة اذا شئنا ثم احتجب عنى فقلت بالذى وهب لكما هذا الحال الا ماظهرت لى فقد شويت قلبى فظهر وقال سل فقلت هل لى الى ذلك الحال عودة فقال هيهات لا يؤمن الخائن (قال الحافظ) وفا مجوى زكس ورسخن نمى شنوى * بهرزه طالب سيمرغ وكيميا باش * وفى الحكاية اشارة الى ان الله تعالى يمن على من يشاء (حكى) ان الشيخ جوهر المدفون فى عدن كان مملوكا فعتق وكان يبيع ويشترى فى السوق ويحضر مجالس الفقراء ويعتقدهم وهوامى فلما حضرت وفاة الشيخ الكبير سعد الحداد المدفون فى عدن قالت له الفقراء من يكون الشيخ بعدك قال الذى يقع على رأسه الطائر الاخضر فى اليوم الثالث من موتى عند ما يجتمع الفقراء فلما توفى اجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة ايام فلما كان اليوم الثالث وفرغوا من الذكر والقرآن قعدوا ينتظرون ما وعدهم الشيخ واذا بطائر اخضر وقع قريبا منه فبقى كل واحد من كبار الفقراء يترجى ذلك و يتمناه فبينماهم كذلك اذا بالطائر قد طار ووقع على رأس الشيخ جوهر ولم يكن يخطر له ولا لاحد من الفقراء ذلك فقام اليه الفقراء ليزفوه الى زاوية الشيخ ويترلوه منزلة المشيخة فبكى وقال كيف اصلح للمشيخة وانا رجل سوقى وانا لا اعرف طريق الفقراء وآدابهم وعلى تبعات وبينى وبين الناس معاملات فقالوا له هذا امر سماوى ولا بدلك منه والله يتولى تعليمك فقال امهلونى حتى امضى الى السوق وابرأ من حقوق الخلق فامهلوه فذهب الى دكانه ووفى كل ذى حق حقه ثم ترك السوق ولزم الزاوية ولازمه الفقراء فصار جوهرا كاسمه (قال الحافظ) طالب لعل وگهر نيست وگرنه خورشيد * همچنان درعمل معدن وكانست كه بود (وقال) گوهر پاك ببايدكه شود قابل فيض * ورنه هرسنك وگلى لؤلؤ ومرجان نشود * ولما عظم سبحانه وتعالى شأن القرآن بقوله هذا بصائر للناس اردفه بقوله (واذا قرئ القرآن) الذى ذكرت شؤونه العظيمة (فاستمعوا له) استماع قبول وعمل بما فيه فان شانه يوجب الاستماع مطلقا ولما فى الافتعال من التصرف والسعى والاعمال فى ذلك الفعل فرقوا بين المستمع والسامع بان المستمع من كان قاصدا للسماع مصغيا اليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد اليه فكل مستمع سامع من غير عكس (وأنصتوا) اى واسكتوا فى خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع والفرق بين الانصات والسكوت ان الانصات مأخوذ فى مفهومه الاستماع والسكوت فلا يقتصر فى معناه على السكوت بخلاف السكوت (لعلكم ترحمون) اى تفوزون بالرحمة التى هى اقصى ثمراته قال ابن عباس رضى الله عنه كان المسلمون قبل نزول هذه الآية يتكلمون فى الصلاة ويأمرون بحوائجهم ويأتى الرجل الجماعة وهم يصلون فيسألهم كم صليتم وكم بقى فيقولون كذا فانزل الله تعالى هذه الآية وامرهم بالانصات عند الصلاة بقراءة القرآن لكونها اعظم اركانها استدل الامام ابو حنيفة بهذه الآية على ان انصات المقتدى واجب وان قراءة الامام قراءة المأموم فلا يقرأ خلف الامام سواء اسر الامام ام جهر لانه تعالى اوجب عليه امرين الاستماع والانصات فاذا فات الاستماع بقى الانصات واجابوا وجه الاستدلال ان المراد بالانصات المأمور به وان كان هو النهى عن الكلام لا عن القراءة لكن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب على ان جماعة من المفسرين قالوا ان الآية نزلت فى الصلاة خاصة حين كانوا يقرأون القرآن خلفه عليه السلام وجعله الحدادى فى تفسيره

اصح قال فى الاشباه اسقط ابو حنيفة القرآءة عن المأموم بل منعه منها شفقة على الامام دفعا للتخليط عليه كما يشاهد بالجامع الازهر انتهى فقرآءة المأموم مكروهة كراهة التحريم وهو الاصح كما فى شرح المجمع لابن ملك قال على رضى الله عنه من قرأ خلف الامام فقد اخطأ الفطرة اى السنة (يحكى) ان جماعة من اهل السنة جاؤا الى ابى حنيفة رضى الله عنه ليناظروه فى القرآءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكننى مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة الى اعلمكم لأناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم فقالوا نعم قال والمناظرة معه مناظرة لكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا نعم قال وان ناظرته والزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لأنا رضينا به اماما فكان قوله قولنا فقال ابو حنيفة فنحن لما اخترنا الامام فى الصلاة كانت قرآءته قرآءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالالزام قال الفقهاء المطلوب من القرآءة التدبر والتفكر والعمل به ولا يحصل ذلك الا بالاستماع والانصات فيجب على المؤتم ذلك وهو كالخطبة يوم الجمعة لما شرعت وعظا وتذكيرا وجب الاستماع ليحصل فائدتها لا ان يخطب كل لنفسه بخلاف سائر الاركان لانها شرعت للخشوع ولا يحصل لهم الخشوع الا بالسجود معه والركوع اعلم ان ظاهر النظم الكريم يقتضى وجوب الاستماع والانصات عند قرآءة القرآن فى الصلاة وغيرها وعامة العلماء على استحبابها خارج الصلاة كما فى التفاسير قال الحدادى ولا يجب على القوم الانصات لقرآءة كل من يقرأ فى غير الصلاة وقال الحلبى رجل يكتب الفقه وبجنبه رجل يقرأ القرآن ولا يمكن للكاتب الاستماع فالاثم على القارئ لقرآءته جهرا فى مواضع اشتغال الناس باعمالهم وعلى هذا لو قرأ على السطح فى الليل جهرا والناس نيام يأثم كذا فى الخلاصة صبى يقرأ فى البيت واهله مشغولون بالعمل يعذرون فى ترك الاستماع ان افتتحوا العمل قبل القرآءة والافلا وكذا قرآءة الفقه عند قرآءة القرآن ولو كان القارئ فى المكتب واحدا يجب على المارين الاستماع وان اكثر وبقع الخلل فى الاستماع لا يجب عليهم ويكره للقوم ان يقرأوا القرآن جملة لتضمنها ترك الاستماع والانصات وقيل لا بأس به والاصل فيه ان الانصات والاستماع للقرآن فرض كفاية على ما حققه الحلبى فى الشرح الكبير قال فى القنية ولا بأس باجتماعهم على قرآءة الاخلاص جهرا عند ختم القرآن ولو قرأ واحد واستمع الباقون فهو اولى ورجل يكتب من الفقه او يكرر منه وغيره يقرأ القرآن لا يلزمه الاستماع لان النبى عليه السلام دخل على اصحابه وهم فى المسجد حلقتان حلقة فى مذاكرة الفقه وحلقة فى قرآءة القرآن وجلس فى حلقة مذاكرة الفقه ولو لزم الاستماع لما فعل ذلك وفيه اشارة الى فضيلة الفقه ومذاكرته * علم دين فقهست وتفسير وحديث * هركه خواند غير ازين كردد خبيث * قال فى نصاب الاحتساب قرآءة القرآن فى القبور تكره عند ابى حنيفة وعند محمد لا تكره ومشايخنا اخذوا بقول محمد لكن لا يقرأ جهرا اذا كان اهل المصيبة مشتغلين بالناس فان القرآءة جهرا عند قوم مشاغيل مكروهة ثم اعلم انه يدخل فى الآية الخطبة لانها ملتبسة بقرآءة القرآن فنعمل بظاهره فى حق قرآءة القرآن وفى حق الخطبة بطريق الاحتياط اثباتا للحرمة بدليل فيه شبهة فيسمع الخطبة وينصت وان صلى الخطيب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لان ذلك جزء من الخطبة فنعمل فيه ما نعمل فى الباقى الا اذا قرأ صلوا عليه فيصلى المستمع سرا اى فى نفسه وقلبه ولا يحرك لسانه لانه توجه عليه امران صلوا عليه وقوله انصتوا فيصلى فى نفسه وينصت بلسانه حتى يكون آتيا بهما واختلفوا فى البعيد عن المنبر والاحوط السكوت اقامة لفرض الانصات وان تعذر الاستماع ولان فيه تشبها بالمستمعين ولان صوت كلامه قد يبلغ الصفوف التى امامه فيشغلهم ويمنعهم عن استماع الخطبة قال فى التاتارخانية اذا شرع الخطيب فى الدعاء لا يجوز للقوم رفع الايادى ولا ان يكون بلسانه وكذا الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام باللسان جهرا فان فعلوا اثموا ويجوز بالقلب ويجب على العلماء منعهم فان لم يمنعوا اثموا وقال فى نصاب الاحتساب ولا يتكلم حال الخطبة وان كان امرا بمعروف اونهيا عن منكر ولو لم يتكلم لكن اشار بيده او بعينه حين رأى منكرا الصحيح انه لا بأس به وفى الحديث اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت اى تكلمت بما لا ينبغى قال النووى فيه نهى عن جميع انواع الكلام لان قوله انصت اذا كان لغوا مع انه امر بمعروف فغيره من الكلام اولى وانما طريق النهى هنا الانكار بالاشارة وفى قوله والامام يخطب اشعار بان هذا النهى انما هو فى حال الخطبة وهو مذهب الشافعى وقال ابو حنيفة يجب الانصات بخروج

الامام لقوله عليه السلام (اذا خرج الامام فلا صلاة ولا كلام) اى مطلقا سوآء خطب اولم يخطب والترجيح للمحرم وقالا لا بأس بالكلام اذا خرج الامام قبل ان يخطب واذا فرغ قبل ان يشتغل بالصلاة لان التكلم بما لا اثم فيه انما كره للاستماع اذ الكلام يخل بفرض استماعها فالقصر على حال الخطبة اذ لا استماع قبلها وبعدها وفى القنية الكلام فى خطبة العيدين غير مكروه لان خطبة العيدين سنة وخطبة الجمعة شرط لصحة الصلاة بخلاف خطبة العيدين لقوله عليه السلام يوم العيد من شاء منكم ان يخرج فليخرج) والحاصل انه اذا خرج الامام حرم كلام الناس والنافلة اما الفائتة فلا كراهة فى قضائها وقت الخطبة نص عليه فى النهاية وكذا التسبيح ونحوه جائز بالاتفاق قال فى الاشباه خرج الخطيب بعد شروعه متنفلا قطع على رأس الركعتين يعنى ان صلى ركعة ضم اليها اخرى وسلم كما فى الكافى وان كان شرع فى الشفع الثانى اتمه كما فى الاختيار ولو كان شرع فى سنة الجمعة يتمها اربعا على الصحيح كما فى الاشباه وغيره وعبارة الخروج واردة على عادة العرب لانهم يتخذون للامام مكانا خاليا تعظيما لشأنه فيخرج منه حين اراد الصعود الى المنبر واما القاطع عن الصلاة والكلام فى ديارنا فهو قيام الامام للصعود قال فى التأويلات النجمية الانصات شرط فى حسن الاستماع وحسن الاستماع شرط فى الاسماع والاشارة انصتوا بألسنتكم الظاهرة لتسمعوا له بآذانكم الظاهرة وانصتوا بألسنتكم الباطنة لتسمعوا بآذانكم الباطنة لعلكم ترحمون بالاستماع بالسمع الحقيقى وهو قوله كنت له سمعا فبى يسمع فمن سمع القرآن بسمع بارئه فقد سمع من قارئه وهذا سر الرحمن علم القرآن (قال المولى الجامى)

عجب نبود كه از قرآن نصيبت نيست جز حرفى * كه از خرشيد جز كرمى نبيند چشم نابينا (واذكر) يا محمد (ربك) ويجوز أن يكون المراد جميع الخلق والذكر طرد الغفلة ولذا لا يكون فى الجنة لانها مقام الحضور الدائم (فى نفسك) وهو الذكر بالكلام الخفى فان الاخفاء ادخل فى الاخلاص واقرب من الاجابة وهذا الذكر يعم الاذكار كلها من القرآءة والدعاء وغيرها كما قال فى الاسرار المحمدية ليس فضل الذكر منحصرا فى التهليل والتسبيح والتكبير والدعاء بل كل مطيع لله فى عمل فهو ذاكر (تضرعا) مصدر واقع موقع الحال من فاعل اذكر اى متضرعا ومتذللا والضراعة الخضوع والذل والاستكانة يقال تضرع الى الله اى ابتهل وتذلل والابتهال الاجتهاد فى الدعاء واخلاصه قال بعض العارفين بالله الصلاة أفضل الحركات والصوم أفضل السكنات والتضرع فى هيا كل العبادات يحل ما عقدته الافلاك الدائرات

لولم ترد نيل ما ارجو وأطلبه * من فضل جودك ما علمتنى الطلبا

(وخيفة) بكسر الخاء اصلها خوفة قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ماقبلها اى وحال كونك خائفا قال ابن الشيخ وهذا الخوف يتناول خوف التقصير فى الاعمال وخوف الخاتمة وخوف السابقة فان ما يكون فى الخاتمة ليس الا ما سبق به الحكم فى الفاتحة ولذلك قال عليه السلام جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة انتهى يقول الفقير هذا بالنسبة الى ان يكون المراد بالخطاب فى الآية هو الامة والا فالانبياء بل وكل الاولياء آمنون به من خوف الخاتمة والفاتحة نعم لهم خوف لكن من نوع آخر يناسب مقامهم ولما كان اكمل احوال الانسان ان يظهر عزة ربوبية الله وذلة عبودية نفسه امر الله بالذكر ليتم المقصود الاول وقيده بالتضرع والخيفة ليتم المقصود الثانى * اى خنك آنرا كه ذلت نفسه * واى آن كز سركشى شد چون كه او *

(ودون الجهر من القول) صفة لمحذوف هو الحال اى ومتكلما كلاما هو دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر فمن ام فى صلاة الجهر ينبغى له ان لا يجهر جهرا شديدا بل يقتصر على قدر ما يسمعه من خلفه قال فى الكشف لا يجهر فوق حاجة الناس والا فهو مسيئ والفرق بين الكراهة والاساءة هو ان الكراهة افحش من الاساءة ولما رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمر رضى الله عنه يقرأ رافعا صوته فسأله فقال اوقظ الوسنان وأطرد الشيطان قال عليه السلام اخفض من صوتك قليلا واتى ابا بكر رضى الله عنه فوجده يقرأ خافضا صوته فسأله فقال قد اسمعت من ناجيت فقال عليه السلام ارفع من صوتك قليلا وقد جمع النووى بين الاحاديث الواردة فى استحباب الجهر بالذكر والواردة فى استحباب الاسرار به بان الاخفاء افضل حيث خاف الرياء او تأذى المصلون او النائمون والجهر افضل فى غير ذلك لان العمل فيه اكثر ولان فائدته تتعدى الى السامعين ولانه يوقظ قلب الذاكر ويجمع همه الى الفكر ويصرف سمعه اليه ويطرد النوم ويزيد فى النشاط

وبالجملة ان المختار عند الاخيار ان المبالغة والاستقصاء فى رفع الصوت بالتكبير فى الصلاة ونحوه مكروه والحالة الوسطى بين الجهر والاخفاء مع التضرع والتذلل والاستكانة الخالية عن الرياء جائز غير مكروه باتفاق العلماء كذا فى انوار المشارق وقد سبق من شارح الكشاف ان الشيخ المرشد قد يأمر المبتدئ برفع الصوت لتنقلع من قلبه الخواطر الراسخة فيه (بالغدو والآصال) متعلق باذكر اى اذكره فى هذين الوقتين وهما البكرات والعشيات فان الغدو جمع غدوة وهى ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والآصال جمع اصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب والعشى والعشية من صلاة المغرب الى العتمة وخص هذان الوقتان لان فيهما تتغير احوال العالم تغيرا عجيبا يدل على ان المؤثر فيه هو الاله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة القاهرة فكل من شاهد هذه التغيرات ينبغى له ان يذكر المؤثر فيها بالتضرع والابتهال والخوف من تحويل حاله الى سوء الحال وقيل الغدو والآصال عبارتان عن الليل والنهار اكتفى عن ذكرهما بذكر طرفيهما والمراد بذكره تعالى فيهما المواظبة عليه بقدر الامكان (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله تعالى امر اولا بان يذكر ربه على وجه يستحضر فى نفسه معانى الاذكار التى يقولها بلسانه فان المراد بذكر الله فى نفسه ان يذكره تعالى عارفا بمعانى ما يقول من الاذكار ثم اتمه بقوله ولا تكن من الغافلين للدلالة على ان الانسان ينبغى له ان لا يغفل قلبه عن استحضار جلال الله تعالى وكبريائه وفى الحديث الا انبئكم بما هو خير لكم وأفضل من ان تلقوا عدوكم فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم ذكر الله اى ما هو خير لكم مما ذكر ذكر الله سبحانه لان ثواب الغزو والشهادة فى سبيل الله حصول الجنة والذاكر جليس الحق تعالى كما قال انا جليس من ذكرنى والجليس لا بد ان يكون مشهودا فالحق مشهود الذاكر وشهود الحق أفضل من حصول الجنة ولذلك كانت الرؤية بعد حصول الجنة وكمال تلك النعمة والذكر المطلوب من العبد أن يذكر الله باللسان ويكون حاضرا بقلبه وروحه وجميع قواه بحيث يكون بالكلية متوجها الى ربه فتنتفى الخواطر وتنقطع احاديث النفس عنه ثم اذا داوم عليه ينتقل الذكر من لسانه الى قلبه ولا يزال يذكر بذلك حتى يتجلى له الحق من وراء استار غيوبه فينور باطن العبد بحكم واشرقت الارض بنور ربها وبعده الى التجليات الصفاتية والاسمائية ثم الذاتية فيفنى العبد فى الحق فيذكر الحق نفسه بما يليق بجلاله وجماله فيكون الحق ذاكرا ومذكورا وذلك بارتفاع الثنوية وانكشاف الحقيقة الاحدية كذا فى شرح الفصوص لداود القيصرى فى الكلمة اليونسية * چون تجلى كرد اوصاف قديم * پس بسوزد وصف حادث را كليم * واعلم ان من اشتغل باسم من الاسماء وداوم فيه فلا ريب ان يحصل بينه وبين سر هذا الاسم المشتغل به وروحه بعناية الله تعالى وفضله مناسبة ما بقدر الاشتغال ومتى قويت تلك المناسبة وكملت بحسب قوة الاشتغال وكماله يحصل بينه وبين مدلوله من الاسماء الحقية بواسطة هذه المناسبة الحاصلة مناسبة بقدرها قوة وكمالا ومتى بلغت الى حد الكمال ايضا هذه المناسبة الثانية الحاصلة بينه وبين هذا الاسم بجود الحق سبحانه وعطائه يحصل بينه وبين مسماه الحق تعالى مناسبة بمقدار المناسبة الثانية من جهة القوة والكمال لان العبد بسبب هذه المناسبة يغلب قدسه على دنسه ويصير مناسبا لعالم القدس بقدر ارتفاع حكم الدنس فحينئذ يتجلى الحق سبحانه له من مرتبة ذلك الاسم بحسبها وبقدر استعداده ويفيض عليه ما شاء من العلوم والمعارف والاسرار الالهية والكونية حسبما يقتضيه الوقت ويسعه الموطن وتستدعيه القابلية فيطلع بعد ذلك على ما لم يطلع عليه قبله فيحصل له العلم والمعرفة بعد الجهل والغفلة كذا فى حواشى تفسير الفاتحة لحضرة شيخنا الاجل امدنا الله بمدده الى حلول الاجل واتفق المشايخ والعلماء بالله على ان من لا ورد له لا وارد له وانقطاعه عن بعض ورده بسبب من الاسباب سوى السفر والمرض والهرم والموت علامة البعد من الله تعالى والخذلان فينبغى لمن كان له ورد ففاته ذلك ان يتداركه ويأتى به ولو بعد اسبوع ومن هنا تقتضى الصوفية التهجد مع انه ليس من الفرائض والسر فى هذا ان المراد من الاوراد بل من سائر العبادات تغيير صفات الباطن وقمع رذائل القلب وآحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وانما يترتب الاثر على المجموع واذا لم يكن يعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب والتوالى انمحى الاثر الاول ايضا ولهذا السر قال صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله ادومها وان قل اى العمل قال ابن الملك وانما كان العمل الذى يداوم عليه أحب لان النفس تألف به ويدوم بسببه الاقبال

على الله تعالى ولهذا ينكر أهل التصوف ترك الاوراد كما ينكرون ترك الفرآئض انتهى قال بعض العلماء بالله لايستقر الورد الا جهول يعني بحق ربه وحظ نفسه ووجه وصوله اليهما ان الوارد يوجد في الدار الآخرة على حسب الورد اذ جاء في الحديث ان الله تعالى يقول ادخلوا الجنة برحتي وتقاسموها بأعمالكم والورد ينطوى بانطواء هذه الدار فيفوت ثوابه بحسب فواته اذ هو مرتب عليه واولى مايعتنى به عند العقلاء الاكياس مالا يخاف وجوده اذ تذهب فائدته بذهابه فاذا تعلقت نفسك بعدم طلب الثواب فقل لها الورد هو طالب ذكره منك اذ هو حق العبودية وان ركنت الى طلب العوض فقل والوارد أنت تطلبينه منه لامن حظ نفسك واين ماهو طالبه منك من واجب حقه مما هو مطلبك منه من غرضك وحظك فطب نفسا بالعمل لمولاك وسلم له فيما به يتولاك فقد قالوا كن طالب الاستقامة ولاتكن طالب الكرامة فان نفسك تهتز وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولأن تكون بحق ربك اولى لك من ان تكون بحظ نفسك (قال الحافظ) صحبت حور نخواهم كه بود عين قصور * باخيال تواكر باد كرى بردازم * قال في التأويلات النجمية واذكر ربك في نفسك اى اذكره بالافعال والاخلاق والذات في نفسك بان تبدل افعال نفسك بالاعمال التى امر الله بها وتبدل اخلاقها باخلاق الله وتفنى ذاتها في ذات الله وهذا كما قال وان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسى وهو سر قوله فاذكروني اذكركم ألا ترى ان الفراش لما ذكر الشمعة في نفسه بافناء ذاته في ذاتها كيف ذكرته الشمعة بابقائه ببقائها على ان تلك الحضرة منزهة عن المثل والمثال تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول التضرع من باب التكلف اى بداية هذا الذكر بتبديل افعال النفس باعمال الشريعة تكون بالتكلف ظاهرة ووسطه بالتخلق باخلاق الله وبآداب الطريقة يكون مخفيا باطنا ونهايته بافناء ذاتها في ذاته بأنوار الحقيقة تكون منهيا عن جهر القول بها وهذا حقيقة قوله عليه السلام افشاء سر الربوبية كفر بالغدو والآصال يشير الى غدو الازل وآصال الابد فان الذكر الحقيقي والمذكور الحقيقي هو الذاكر الحقيقي والذاكر والمذكور في الحقيقة هو الله الازلي الابدى لانه تعالى قال في الازل فاذكروني اذكركم ففي الازل ذكرهم لما خاطبهم وكان هو الذاكر والمذكور على الحقيقة على أنا نقول ماذكره الاهو وهذا حقيقة قول يوسف بن حسين الرازي ماذكر احد الله الا الله ولهذا قال تعالى ولاتكن من الغافلين الذين لايعلمون ان الذاكر والمذكور هو الله في الحقيقة انتهى مافي التأويلات النجمية (ان الذين) قال الكاشفي آورده اندكه كفار مكه تعظيم ميكردند از سجده نمودن مرخدا را وتنفر نموده ميكفتند (أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) حق سبحانه وتعالى ميفرمايد اى محمد اكر كافران از سجود من سركشى ميكنند بدرستى آنانكه (عند ربك) اى الملائكة المقربين لديه قرب الشرف والمكانة لاقرب المسافة والمكان (لايستكبرون) كردن نمى كشند (عن عبادته) بل يؤدونها حسبما امروا به (ويسبحونه) اى ينزهونه عن كل مالايليق بجناب كبريائه (وله) تقديم الجار على الفعل للحصر (يسجدون) اى يخصونه بغاية العبودية والتذلل لايشركون به شيأ وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قرآءتها واعلم ان السجدة نهاية الخضوع وانما شرعت في موضع جبر النقصان كسجود السهو وفي موضع لمخالفة الكفار والموافقة للمسلمين (قال الكاشفي) سجدۀ تلاوت چهارده موضع است درقرآن واختلاف در دوموضع است يكى در آخر سورۀ حج بمذهب امام شافعى وامام احمد سجده هست و بمذهب امام اعظم نيست ودوم درسورۀ ص بمذهب امام اعظم هست لان النبي عليه السلام قرأ سورة ص وسجد وبمذهب باقى ائمه نه لان المذكور فيها ركوع لاسجود واختلف في موضع السجود في فصلت فعند على رضى الله عنه هو قوله (ان كنتم اياه تعبدون) وبه اخذ الشافعي وعند عمر وابن مسعود رضى الله عنهما هو قوله لايسأمون فأخذنا به احتياطا فان تأخير السجدة لازم لاتقديمها ونزد امام اعظم سجدۀ تلاوت برخواننده وشنونده درنماز وغير نماز واجبست درحال واكر فوت شود قضا لازمست وبمذهب ائمۀ ديكر سنت وقضا لازم نه ويكره تأخير السجدة من غير ضرورة ويستحب ان يقوم القاعد فيكبر ويسبح تسبيح الصلاة ويكبر ويقوم ثم يقعد لكون الخرور فيه اكمل قوله تسبيح الصلاة اى يقول سبحان ربى الاعلى ثلاثا وهو الاصح وقيل يقول خضعت للرحمن فاغفرلى يارحمن وقيل يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك وطاعتك وهو مختار صاحب الاسرار المحمدية ويروى فيه عن نفسه سماع هاتف يأمره بالدعاء بذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجود التلاوة سجد وجهى للذى خلقه وصوره فاحسن

صورته وشق سمعه وبصره بحوله وقوته بتوالهام اراثم يقول فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم اكتب لى بها عندك اجرا وضع عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلت من عبدك داود عليه الصلاة والسلام قال ابن فخر الدين الرومى ان قرأ سجدة سبحان ضم اليها ماذكره سبحانه وتعالى عن الطائفة الساجدين واستحسن عنهم بقوله سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا وان قرا آية التنزيل اوالاعراف قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذبك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ الم السجدة قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة كتابك وان قرأ سجدة والنجم قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وكذا فى غيره قال المولى اخى چلبى وان لم يذكر فيها شيأ اجزأه لانها لاتكون اقوى من السجدة الصلاتية ويستحب للسامع ان يسجد مع التالى ولايرفع رأسه قبله لانه بمنزلة امامه ويشترط نية السجود للتلاوة لا التعيين حتى لو كان عليه سجدات متعددة فعليه ان يسجد عددها وليس له ان يعين ان هذه السجدة لآية كذا وهذه لآية كذا ويستحب للتالى اخفاؤها اذا لم يكن السامع متهيئا للسجود تحرزا عن تأثيمه واذا كان متهيئا يستحب له ان يجهر حثاله على العبادة قال الامام الخبازى فى حواشى الهداية يستحب ان يصلى على النبى عليه السلام كلما ذكر ولا تستحب السجدة كلما تلت تلك الآية اذا كان المجلس واحدا والفرق ان الرسول عليه السلام محتاج والرب عز وجل غير محتاج قال الامام محمد بن العربى قدس سره فى روح القدس له اعلم ان لاشئ انكأ على ابليس من ابن آدم فى جميع احواله فى صلاته من سجوده لانه خطيئته فكثرة السجود وتطويله يحزن الشيطان وليس الانسان بمعصوم من ابليس فى صلاته الافى سجوده لانه حينئذ يذكر الشيطان معصيته فيحزن فيشتغل بنفسه عنك ولهذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول ياويلتى امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فأبيت فلى النار فالعبد فى سجوده معصوم من الشيطان غير معصوم من النفس فخواطر السجود كلها امار بانية اوملكية اونفسية وليس للشيطان عليه من سبيل فاذا قام من سجوده غابت تلك الصفة عن ابليس فزال حزنه فاشتغل بك انتهى كلامه يقول الفقير فيه اشارة الى ان الشيطان انما أبى عن السجود لاستكباره فكل من استكبر عنه كالكفار كان الشيطان قرينه فى جميع احواله وكل من تواضع فسجد كالمؤمنين اعتزل عنه الشيطان فى تلك الحال لافى جميع الاحوال الاان يزكى نفسه عن رذيلة الكبر فحينئذ يتخلص فى جميع احواله ويكون من العباد المخلصين * زينت تو پس كر بندكى * تاج تو در سجده سر افكندكى * شرم تو باد اكه بيالا و پست * سجدهٔ طاعت بردش هرچه هست * تو كنى از سجدهٔ اوسركشى * بهكه از ين شيوه قدم دركشى * شيخ الاسلام فرموده سريكه در وسجود نيست سفچه ايست وكفى كه در وجود نه كفچه (ونعم ماقال) شرف نفس بجودست وكرامت بسجود * هركه اين هر دونداند عدمش به زوجود * قال فى التأويلات النجمية ان الذين عند ربك يعنى الذين افنوا افعالهم واخلاقهم وذواتهم فى اوامر الله واخلاقه وذاته فبا بقوا عند أنفسهم وانما بقوا ببقاء الله عنده لايستكبرون عن عبادته لان الاستكبار من اخلاقهم وقد افنوها فى اخلاقه فما بقى لهم الاستكبار فكيف يستكبرون عن عبادته وقد افنوا افعالهم فى اوامر الله وهى عبادته فاعمالهم قائمة بالعبادة لابالفعل وهم فى حال الفناء عن انفسهم والبقاء بالله يسبحونه اى ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وعن ان يكون هو العبد او العبد اياه بل هو هو كما كان فى الازل لم يكن شيأ مذكورا وله يسجدون فى الوجود والعدم من الازل والابد سجدوا لله من الازل فى العدم منقادين مسخرين قابلين لاحكام القدرة فى الايجاد للوجود وسجدوا له الى الابد فى الوجود بذل الموجود منقادين مسخرين قابلين لاحكام القدرة فى تصاريف الاعدام والايجاد والابقاء

تمت سورة الاعراف بالرحم والراف مع مايتعلق بها من التفسير والتأويل على وجه عديل سوى من غير تطويل وذلك فى العشر الاول من صفر الخير المنتظم فى سلك شهور سنة احدى ومائة وألف من هجرة من له العزو الشرف ويتلوها سورة الانفال وقد حان الاغتنام بغنائمها بعون الله الملك العزيز القوى المتعال

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون وقيل مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسألونك عن الانفال) اى عن حكم الغنائم فالسؤال استفتائى ولهذا عدى بكلمة عن لا استعطائى كما يقال سألته درهما لان السؤال قد يكون لاقتضاء معنى فى نفس المسئول فيتعدى اذ ذاك بعن كما قال (سلى ان جهلت الناس عنى وعنهم) وقد يكون لاقتضاء مال ونحوه فيتعدى اذ ذاك الى المفعولين كالمثال المذكور والنفل الزيادة وسميت الغنيمة به لانها عطية من الله زائدة على ماهو الاجر فى الجهاد من الثواب الاخروى وعلى ما اعطاه لسائر الامم حيث لم يحل لهم الغنائم وكانت تنزل نار من السماء فتأكلها والنافلة من الصلاة ما زاد على الفرض ويقال لولد الولد نافلة لانه زيادة على الولد ويطلق على ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه من الغنم (روى) ان المسلمين اختلفوا فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم والى من تصرف ومن الذين يتولون قسمتها أهم المهاجرون أم الانصار أم هم جميعا فنزلت فضمير يسألون لاصحاب بدر لتعينهم حال نزول الآية فلا حاجة الى سبق الذكر صريحا والمعنى يستفتونك فى حكم الانفال (قل الانفال لله والرسول) اى امرها وحكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول كيفما امر به من غير ان يدخل فيه رأى احد قال الحدادى اضافة الغنائم الى الله على جهة التشريف لها واضافتها الى الرسول لانه كان بيان حكمها وتدبيرها اليه (فاتقوا الله) اى اذا كان امر الغنائم لله ورسوله فاتقوا الله تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى (واصلحوا ذات بينكم) ذات البين هى الاحوال التى تقع بين الناس كما ان ذات الصدور هى المضمرات الكائنة فيها وذات الاناء هى ما حل فيه من الطعام والشراب ولما كان ما حل فى الشئ ملابسا له قيل انه صاحب محله وذوه مثل ان يقال اسقنى ذا انائك اى الماء الذى فيه اى واصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وذلك لان المقاتلة قالوا لنا الغنائم وارادوا ان لا يواسوا الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات قال عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا فجعله لرسوله فقسمه بين المسلمين على السواء (واطيعوا الله ورسوله) بتسليم امره ونهيه (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالاوامر الثلاثة والمراد بالايمان كماله فان اصل الايمان لا يتوقف على التحلى بمجموع تلك الامور كلها بل يتحقق بمجرد الطاعة بقبول ما حكم الله ورسوله به والاعتقاد بحقيته والمعنى ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلاث واعلم ان كثرة السؤال توجب الملال ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ووأد البنات والمنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ففى الحديث فوائد منها النهى عن عقوق الوالدين لانه من الكبائر وانما اقتصر على الام اكتفاء بذكر احدهما كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه او لان حقها اكثر وخدمتها اوفر وفيه نهى عن وأد البنات وهو فعل الجاهلية كان الواحد منهم اذا ولد له ابن تركه واذا ولد له بنت دفنها حية وانما حملهم على ذلك خوف الاملاق ودفع العار والانفة عن انفسهم واراد بالمنع الامتناع عن اداء ما يجب ويستحب وبهات الاقدام على اخذ ما يكره ويحرم وفيه نهى عن المقاولة بلا ضرورة وقصد ثواب فانها تقسى القلوب وفيه نهى عن كثرة السؤال قال ابن ملك يجوز أن يراد به سؤال اموال الناس وان يراد به سؤال الانسان عما لا يعنيه وفيه نهى عن اضاعة المال وهى انفاقه فى المعاصى والاسراف به فى غيرها كالاسراف فى النفقة والبناء والملبوس والمفروش وتمويه الاوانى والسيوف بالذهب قال فى التأويلات النجمية فلما اكثروا السؤال قال عليه السلام ذرونى ما تركتكم فانه انما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم ومن كثرة سؤالهم قوله تعالى يسألونك عن الانفال وانما سألوا ليكون الانفال لهم فقال على خلاف ما تمنوا قل الانفال لله والرسول يعملان فيها ما شاء آلا كما شئتم لتتأدبوا ولا تعترضوا على الله والرسول بطريق السؤال وتكونوا مستسلمين لاحكامهما فى دينكم ودنياكم ولا تحرصوا على الدنيا الدنية لئلا تشوبوا اعمالكم الدينية بالاغراض الدنيوية فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم اى اتقوا بالله عن غير الله وأصلحوا ما بينكم من الاخلاق الرديئة والهمم الدنيئة وهى الحرص على الدنيا والحسد على الاخوان وغيرهما من الصفات الذميمة التى يحجب بها نور الايمان عن القلوب واطيعوا الله ورسوله بالتسليم لاحكامهما والائتمار بأوامرهما والانتهاء عن نواهيهما ان كنتم مؤمنين تحقيقا لا تقليدا فان المؤمن الحقيقى هو الذى

كتب الله بقلم العناية فى قلبه الايمان وايده بروح منه فهو على نور من ربه (وفى المثنوى) بود كبرى در زمان بايزيد * گفت اورا يك مسلمان سعيد * كه چه باشد كر تو اسلام آورى * تا بيابى صد نجات وسرورى * گفت اين ايمان اگر هست اى مريد * آنكه دارد شيخ عالم بايزيد * من ندارم طاقت ان تاب آن * كان فزون آمد ز كوششهاى جان * گرچه در ايمان ودين ناموقنم * ليك در ايمان او بس مؤمنم * مؤمن ايمان اويم در نهان * گرچه مهرم هست محكم در دهان * باز ايمان گر خود ايمان شماست * نى بدان ميلستم ونى مشتهاست * آنكه صد ميلش سوى ايمان بود * چون شمارا ديد زان فاتر شود * زانكه نامى بيند ومعنيش نى * چون بيابا مفازه گفتنى * اللهم اجعلنا متحققين بحقائق الايمان واوصلنا الى درجات العرفان والاحسان (انما المؤمنون) اى انما الكاملون فى الايمان المخلصون فيه (الذين اذا ذكر الله) عندهم (وجلت قلوبهم) من هيبة الجلال وتصور عظمة المولى الذى لا يزال وهذا الخوف لازم لاهل كمال الايمان سواء كان ملكا مقربا او نبيا مرسلا او مؤمنا تقيا نقيا وهذا بخلاف خوف العقاب فانه لا يحصل بمجرد ذكر الله بل بملاحظة المعصية وذكر عقاب الله انتقاما من العصاة واين من يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه ممن ينزع بمجرد ذكره من غير أن يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه واعلم ان شأن نور الايمان ان يرق القلب ويصفيه عن كدورات صفات النفس وظلماتها ويلين قسوته فيلين الى ذكر الله ويجد شوقا الى الله وهذا حال أهل البدايات واما حال أهل النهايات فالطمأنينة والسكون بالذكر ولما جاء قوم حديثوا عهد بالاسلام فسمعوا القرآن كانوا يبكون ويتأوهون فقال ابو بكر رضى الله عنه هكذا كنا فى بداية الاسلام ثم قست قلوبنا يشير بذلك الى نهايته فى الاطمئنان (واذا تليت) قرئت (عليهم آياته) اى آيات الله يعنى القرآن امرا ونهيا وغير ذلك (زادتهم) اى تلك الآيات والاسناد مجازى (ايمانا) اى يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين قال الفاضل التفتازانى وتبعه المولى ابو السعود فى تفسيره ان نفس التصديق مما يقبل الزيادة والنقصان للفرق الظاهر بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات وبين يقين الامة ولهذا قال امير المؤمنين على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد من التصديقات وما قامت عليه ادلة كثيرة (قال الكاشفى) در حقايق سلمى مذكورست كه ببركت تلاوت نور يقين در باطن ايشان ظاهر كردد وزيادتى طاعت بر ظاهر ايشان هويدا شود ودر بحر الحقايق فرموده كه ايمان حقيقى نوريست كه بقدر سعت روزنهٔ دل در وى مى تابد پس چون قرآن برارباب قلوب خوانند روزنهٔ دل ايشان ببركت قرائت كشاده تر كردد ونور ايمان بيشتر در وى افتد پس در نور جمال مستغرق كردند (وعلى ربهم) مالكهم ومدبر امورهم خاصة (يتوكلون) يفوضون امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه قال فى التأويلات النجمية على ربهم يتوكلون لا على الدنيا وأهلها فان من شاهد بنور الايمان جمال الحق وجلاله فقد استغرق فى بحر تجلى من شهود الحق بحيث لا يتفرغ لغيره ويرى الاشياء مضمحلة تحت سطوات جلاله فيكون توكلهم عليه لا على غيره * هركه او در بحر مستغرق شود * فارغ از كشتى واز زورق شود * غرقهٔ دريا بجز دريا نديد * غير دريا هست بروى ناپديد * ولما ذكر اولا من الاعمال الحسنة اعمال القلوب من الخشية والوجل عند ملاحظة عظمة الله تعالى وجلاله والاخلاص والتوكل عقب بافعال الجوارح التى هى العيار عليها كالصلاة والصدقة فقال (الذين يقيمون الصلاة) بوضوئها وركوعها وسجودها فى مواقيتها وهو مرفوع على انه نعت للموصول الاول (ومما رزقناهم) اعطيناهم من الاموال (ينفقون) فى طاعة الله وانما خص الله الصلاة والزكاة لعظم شأنهما وتأكيد أمرهما (اولئك) الجامعون لاعمال القلب والقالب (هم المؤمنون) ايمانا (حقا) لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه الاعمال الصالحة (لهم درجات) كائنة (عند ربهم) اى كرامة وزلفى وعلو مرتبة وقيل درجات عالية فى الجنة على قدر أعمالهم قال فى انوار المشارق الدرجة ان كانت بمعنى المرقاة فجمعها درج وان كانت بمعنى المرتبة والطبقة فجمعها درجات (ومغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) وروزى بزرك صافى باشد از كدا كتساب وخالى از خوف حساب لا ينتهى ولا ينقطع كارزاق الدنيا قال فى القاموس رزقا كريما كثيرا وقولا كريما سهلا لينا واكرمه وكرّمه عظمه

ونزهـه امام قشـيرى قدس سره فرموده كه رزق كريم آنست كه مرزوق را ازشهود رازق بازندارد
نوزروزى ده بروزى وايمان * ازسبب بكذر مسبب بين عيان * ازمسبب ميرسد هر خير وشر *
نيست زاسباب ووسائط اى پدر * اصل بيندديده چون اكمل بود * فرع بيندديده چون احول بود *
قال فى المجالس المحمودية اعلم ان الصلاة اعظم الاعمال القالبية والصدقة خير العبادات المالية وروى ان فاطمة
اعطت قميصا عليا ليشترى لها ما اشتهاه الحسن فباعه بستة دراهم فسأله سائل فاعطاه اياها فاستقبله رجل
ومعه ناقة فاشتراها على المدة بستين دينارا ثم استقبله رجل فاشترى منه الناقة بستين دينارا وستة دراهم
ثم طلب بائع الناقة ليدفع له ثمنها فلم يجده فعرض القصة على النبى عليه السلام فقال عليه السلام اما السائل
فرضوان واما البائع فميكائيل واما المشترى فجبرائيل وفى الحديث يأتى يوم القيامة اربعة على باب الجنة
بغير حساب الحاج الذى حج البيت بغير افساد والشهيد الذى قتل فى المعركة والسخى الذى لم يلتمس بسخاوته
رياء والعالم الذى عمل بعلمه فيتنازعون فى دخول الجنة اولا فيرسل الله جبرائيل ليحكم بينهم بالعدل فيقول
للشهيد مافعلت فى الدنيا حتى تريد ان تدخل الجنة اولا فيقول قتلت فى المعركة رضى الله تعالى فيقول عمن
سمعت ان من قتل فى سبيل الله يدخل الجنة فيقول من العلماء فيقول احفظ الادب ولا تتقدم على معلمك
ثم يسأل الحاج والسخى كذلك ثم يقول لهما احفظا الادب ولا تتقدما على معلمكما ثم يقول العالم الهى أنت تعلم
انى ماحصلت العلم الا بسخاوة السخى وأنت لا تضيع اجر المحسنين فيقول الله صدق العالم يارضوان افتح الباب
وادخل السخى اولا وفى ذلك اشارة الى ان المراد بالعالم هو الذى يعمل بعلمه فان الانصاف من شأنه اذ الانصاف
لا يحصل الا بصلاح النفس ولا يمكن ذلك الا بالعمل فلا يغتر أهل الهوى من علماء الظاهر بذلك فان كون العلم
المجرد منجيا مذهب فاسد فان العالم الفاجر اشد عذابا من الجاهل بل العالم هو الذى يعمل بعلمه ويصل
الى العرفان بتصفية القلب ولا شك ان كون المذكورين فى الآية مؤمنين حقا بسبب خدمتهم لله تعالى
بأنفسهم واموالهم وتجردهم عن العلائق البدنية والمالية وبقائهم مع الله تعالى وايثارهم له على جميع ماسواه
حتى على انفسهم فمن آثر الحق على ماسواه فقد وصل الى اقصى مراداته فلا جرم ان الله تعالى يدبر امره ويقضى
حاجاته (كما اخرجك ربك) المراد باخراج الله تعالى اياه كونه سببا آمرا له بالخروج وداعيا اليه فان جبريل
عليه السلام اتاه وامره بالخروج (من بيتك) فى المدينة (بالحق) حال من مفعول اخرجك اى اخرجك ملتبسا
بالحق وهو اظهار دين الله وقهر اعداء الله والكاف فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال
وهى قسمة غنائم بدر بين الغزاة على السواء من غير تفرقة بين الشبان المقاتلين وبين الشيوخ الثابتين تحت
الرايات كحال اخراجك يعنى ان حالهم فى كراهتهم لما رأيت فان فى طبع المقاتلة شيأ من الكراهة لهذه القسمة
مع كونها حقا كحالهم فى كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) اى والحال
ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد قال سعدى چلبى المفتى الظاهر
ان المراد هى الكراهة الطبيعية التى لا تدخل تحت القدرة والاختيار فلا يرد انها لا تليق بمنصب الصحابة
رضى الله عنهم (روى) ان عير قريش اى قافلتهم اقبلت من الشأم وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا
منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وكان فى السنة الثانية من الهجرة فاخبر جبريل رسول الله
باقبالها فأخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا سمعه ابو سفيان فاستأجر ضمضم
ابن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وامره ان يأتى قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد اعترض لعيركم فادركوها
فلما بلغ أهل مكة هذا الخبر نادى ابو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم
واموالكم اى تداركوها ان اصابها محمد لن تفلحوا ابعدها ابدا وقد رأت عاتكة اخت العباس بن عبد المطلب
قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا فقالت لاخيها انى رأيت عجبا كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة
من الجبل ثم حلق بها اى رمى بها الى فوق فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها
العباس صديقا له يقال له عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وذكرها عتبة لابنته ففشا الحديث فقال ابو جهل للعباس
يا ابا الفضل مارضى رجالكم ان يتنبأوا حتى تنبأت نساؤكم فخرج ابو جهل بأهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير
اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب

الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فتتسامع بجميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اغضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى عليه السلام اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم ام النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد أقبل يريد صلى الله عليه وسلم بذلك ان تلقى النفير وجهاد المشركين آثر عنده وانفع للمؤمنين من الظفر بالعير لما فى تلقى النفير من كسر شوكة المشركين واظهار الدين الحق على الأديان كلها فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا الكلام فى اتباع مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قام سيد الخزرج سعد بن عبادة فقال انظر فى امرك وامض فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنوا اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فتبسم رسول الله ثم قال اشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار أى بينوا الى ما فى ضميركم فى حق نصرتى ومعاونتى فى هذه المعركة وذلك لان الانصار كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة العقبة ان ينصروه ما دام فى المدينة واذا خرج منها لا يكون عليهم معاونة ونصرة فأراد عليه السلام ان يعاهدهم على النصرة فى تلك المعركة ايضا فقام سعد بن معاذ فقال فكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم فالمعنى اخرجك ربك من بيتك لان تترك التوجه الى العير وتؤثر عليه مقاتلة النفير فى حال كراهة فريق من اصحابك ما آثرته من محاربة النفير (يجادلونك فى الحق) الذى هو تلقى النفير لايثارهم عليه تلقى العير (بعد ما تبين) منصوب بيجادلونك وما مصدرية اى يخاصمونك بعد تبين الحق وظهوره لهم باعلامك انهم ينصرون ايناما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا ان الخروج لمقاتلة النفير لنستعد ونتأهب نحن قال ذلك انما قال كراهة لاخراجه عليه الصلاة والسلام من المدينة وكراهتهم القتال (كأنما يساقون الى الموت) الكاف فى محل النصب على الحالية من الضمير فى لكارهون اى مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل (وهم ينظرون) حال من ضمير يساقون اى والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة وروى انهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ليس فيهم الا فارسان الزبير والمقداد ولهم سبعون بعيرا وست ادرع وثمانية اسياف وكان المشركون اكثر عددا وعددا بالاضعاف * والاشارة ان الله تعالى اخرج المؤمنين الذين هم المؤمنون حقا من اوطان البشرية الى مقام العندية بجذبات العناية كما اخرجك ربك من بيتك اى من وطن وجودك بالحق اى بمجيء الحق من تجلى صفات جماله وجلاله وان فريقا من المؤمنين لكارهون اى القلب والروح يعنى للفناء عند التجلى فان البقاء محبوب والفناء مكروه على كل ذى وجود يجادلونك اى الروح والقلب فى الحق اى مجيء الحق من بعد ما تبين مجيئه لكراهة الفناء كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون يعنى كأنهم ينظرون الى الفناء ولا يزول البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت كذا فى التأويلات النجمية (وفى المثنوى)

شير دنيا جويد اشكارى وبرك * شير مولى جويد آزادى ومرك * جونكه اندر مرك بيند صد وجود * همجو بروانه بسوزاند وجود * كل شىء هالك جز وجه او * جون نه در وجه اوهستى مجو * هركه اندر وجه ما باشد فنا * كل شىء هالك نبود جزا * زانكه در الاست اوازلا كذشت * هركه در الاست او فانى نكشت * واعلم انه كما لا اعتراض على الانبياء فى وحيهم وعباراتهم كذلك لا اعتراض

على الاولياء فى الهامهم واشاراتهم وان السعادة فى العمل والاخذ باياتهم والوجود وان كان محبوبا بالاهل الوجود لكن الفناء محبوب لاهل الشهود فعلى السالك ان ينقطع عن جميع اللذات الدنيوية ويطهر نفسه عن لوث الاغراض الدنية ويكون الرسول وأمره أحب اليه من نفسه الى ان ينفد عمره (روى) البخارى عن عبدالله بن هشام انه قال كنا مع النبى عليه السلام وهو آخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله انت أحب الى من كل شئ الا نفسى فقال صلى الله عليه وسلم لا والذى نفس محمد بيده حتى اكون أحب اليك من نفسك اى لا يكون ايمانك كاملا حتى تؤثر رضاى على رضى نفسك وان كان فيه هلاكك فقال عمر الآن والله انت أحب الى من نفسى فقال الآن يا عمر يعنى صار ايمانك كاملا قال ابن ملك والمراد من هذه المحبة محبة الاختيار لا محبة الطبع لان كل احد مجبول على حب نفسه اشد من غيرها انتهى قوله محبة الاختيار وهو ان يختار رضى النبى عليه السلام على رضى نفسه فالمراد هو الايثار كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فكما ان هذا الايثار لا يقتضى عدم احتياج المؤثر كذلك ايثار رضى الغير لا يستدعى ان تكون المحبة له اشد من كل وجه هذا ولكن فوق هذا كلام فان من فنى عن طبيعته ونفسه بل عن قالبه وقلبه فقد فنى عن محبتها ايضا وتخلص من الاثنينية ووصل الى مقام المحبوبية الذى لا غاية ورآءه رزقنا الله واياكم ذلك بفضله وكرمه (واذ يعدكم الله) اى اذكروا أيها المؤمنون وقت وعد الله تعالى اياكم (احدى الطائفتين) اى الفريقين احداهما ابو سفيان مع العير والاخرى ابو جهل مع النفير (انها لكم) بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اى يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك على املاكهم وتتصرفون فيها كيف شئتم (وتودون) عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اى تحبون (ان غير ذات الشوكة تكون لكم) من الطائفتين لا ذات الشوكة وهى النفير ورئيسهم ابو جهل وهم ألف مقاتل وغير ذات الشوكة هى العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورئيسهم ابو سفيان ولذلك يتمنونها والشوكة الحدة اى السلاح الذى له حدة كسنان الرمح والسيف ونصل السهم مستعار من واحدة الشوك والشوك نبت فى طرفه حدة كحدة الابرة (ويريد الله) عطف على تودون منتظم معه فى سلك التذكير اى اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين ووداد تكم لادناهما وقوله تعالى (ان يحق الحق) اى يثبته ويعليه (بكلماته) بأمره لكم بالقتال (ويقطع دابر الكافرين) اى آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين (ليحق الحق ويبطل الباطل) اللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اى لهذه الغاية الجليلة وهى اظهار الدين الحق وابطال الكفر فعل ما فعل لا لشئ آخر وليس فيه تكرار اذ الاول مذكور لبيان تفاوت ما بين الارادتين ارادة الله وارادة المؤمنين والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول صلى الله عليه وسلم على اختيار التوجه الى ذات الشوكة ونصره عليها وقطع دابر المشركين ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد أن لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل (ولو كره المجرمون) اى المشركون ذلك اى احقاق الحق وابطال الباطل (اذ تستغيثون ربكم) اى اذكروا وقت استغاثتكم وهى طلب الفوز والنصر والعون وذلك انهم لما علموا انه لابد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اى رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز ما وعدك فهذه الاستغاثة كانت من النبى عليه السلام ومن المؤمنين واسناد الفعل الى الجماعة لا ينافى كونه من النبى عليه السلام لانه دعا وتضرع والمؤمنون كانوا يؤمنون (فاستجاب لكم) اى اجاب عطف على تستغيثون داخل معه فى حكم التذكير (انى) بأنى (ممدكم بألف من الملائكة مردفين) اى جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم حتى صار والثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف (وما جعله الله) عطف على مقدر أى فأمدكم الله بانزال الملائكة عيانا وما جعل ذلك الامداد لشئ من الاشياء (الا بشرى لكم) اى الا للبشارة لكم بأنكم تنصرون فهو استثناء مفرغ من اعم العلل (ولتطمئن به) اى

بالامداد (قلوبكم) فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وفى قصر الامداد عليه اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه ولو بعثهم الله بالمحاربة لكان يكفى ملك واحد فان جبريل اهلك بريشة واحدة من جناحه سبعا من مدآئن قوم لوط وأهلك بصيحة واحدة جميع بلاد ثمود قال الحدادى وهذا القول اقرب الى ظاهر الآية وقيل نزل جبرآئيل فى خمسمائة من الملائكة على الميمنة وفيها ابو بكر رضى الله عنه ونزل ميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على بن ابى طالب رضى الله عنه فقاتلوا وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الاحزاب ويوم حنين وروى ان رجلا قال تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدى قبل ان يصل اليه سيفى (وما النصر) اى حقيقة النصر على الاطلاق (الا) كائن (من عند الله) من غيران يكون فيه شركة من جهة الاسباب فان امداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها ونعم ما قيل

النصر ليس باجناد مجندة * لكنه بسعادات وتوفيق

(ان الله عزيز) لا يغالب فى حكمه ولا ينازع فى أقضيته (حكيم) يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة واعلم ان للملائكة امدادا فى كل جيش حق وان لم يكونوا مرئيين ومشاهدين بحسب ابصارنا وهم فى الحقيقة اشارة الى القوى الروحانية الغالبة فانها اذا ظهرت فى وجود المجاهد بالجهاد الاكبر لا يقابلها شئ من القوى الانفسية الشريرة المغلوبة وكذا ما كان مظاهرها من كفار الظاهر وانما العمدة هى اليقين والاطمئنان (روى) ان بنى اسرآئيل اعطوا السكينة وهى ريح ساكنة تخلع قلب العدو بصوتها رعبا اذا التقى الصفان وهى معجزة لانبيائهم وكرامة لملوكهم وللسكينة معنيان آخران احدهما شئ من لطائف صنع الحق يلقى على لسان محدث الحكمة كما يلقى الملك الوحى على قلوب الانبياء مع ترويح الاسرار وكشف السر وثانيهما ما انزل على قلب النبى عليه السلام وقلوب المؤمنين وهو شئ يجمع نورا وقوة وروحا يسكن اليه الخائف ويتسلى به الحزين وقد ورثه المجاهدون فى سبيل الله بعدهم الى قيام الساعة وانما لا يظهر فى بعض الاحيان والوقائع لحكمة اخفاها الله عن الغافلين * هر خلل كندر عمل بينى زنقصان دلست * رخنه كاندر قصر بينى از قصور قيصرست * وكل عصر على التنزل بالنسبة الى ما قبله ولهذا لا يظهر النصر فى بعض السرايا بل يقال يا أيها الكفرة اقتلوا الفجرة قيل لعلى رضى الله عنه ما بال خلافة عثمان مع خلافتك كانت متكدرة بخلاف خلافة الشيخين قال كنت انا وعثمان من اعوانهما وأنت وامثالك من اعواننا فعلى المجاهدين ان يستغيثوا ربهم ويتضرعوا اليه كما تضرع الاصحاب رضى الله عنهم ومن يليهم اهل الله تعالى ليظهر نصره * دعاى ضعيفان اميدوار * زبازوى مردى به آيد بكار

الا يا أيها المرء الذى فى عسره اصبح * اذا اشتد بك الامر فلا تنس ألم نشرح

واعلم ان اصدق المقال قول الله تعالى وقول رسوله وقد وعد وامتد فعليك بقوة الايمان واليقين قال الشيخ محيى الدين بن العربى قدس سره فى وصايا الفتوحات ولقد ابتلى عندنا رجل من اعيان الناس بالجذام نعوذ بالله منه وقال الاطباء بأسرهم لما ابصروه وقد تمكنت العلة فيه ما لهذا المرض دوآء فرآه شيخ من أهل الحديث يقال له سعد السعود وكان عنده ايمان بالحديث عظيم فقال له يا هذا لم لا تطيب نفسك فقال له الرجل ان الاطباء قالوا ليس لهذه العلة دوآء فقال سعد السعود كذبت الاطباء والنبى عليه السلام احذق منهم وقد قال فى الحبة السودآء انها شفاء من كل دآء وهذا الدآء الذى نزل بك من جملة ذلك ثم قال على بالحبة السودآء والعسل فخلط هذا بهذا وطلى بهما بدنه كله ووجهه ورأسه الى رجليه وألعقه من ذلك وتركه ساعة ثم انه غسل فانسلخ من جلده ونبت له جلد آخر ونبت ما كان قد سقط من شعره وبرئ وعاد الى ما كان عليه فى حال عافيته فتعجب الاطباء والناس من قوة ايمانه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رحمه الله يستعمل الحبة السودآء فى كل دآء يصيبه حتى فى الرمد اذا رمدت عينه اكتحل بها فبرئ من ساعته انتهى كلام الشيخ فقد عرفت ان الاطمئنان وقوة الايمان يجلب للمرء ما يهواه بعناية الملك المنان لكنه قليل اهله خصوصا فى هذا الزمان والله المعين (اذ يغشيكم النعاس) قال جماعة من المفسرين لما امر الله النبى عليه السلام بالمسير الى الكفار سار بمن معه حتى اذا كان قريبا من بدر لاقى رجلين فى الطريق فسألهما هل مرت بكما العير قالا نعم مرت بنا ليلا

وكان بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من المسلمين فاخذوا الرجلين وكان احدهما عبدا للعباس ابن عبد المطلب يقال له ابو رافع والآخر عبدا لعقبة بن ابى معيط يقال له اسلم كانا يسقيان الماء فدفع اسلم الى اصحابه يسألونه واخذ هو يسأل ابا رافع عمن خرج من أهل مكة فقال مابقى بها احد الا وقد خرج فقال عليه السلام تأتى مكة اليوم بافلاذ كبدها ثم قال هل رجع منهم احد قال نعم ابى بن شريق فى ثلاثمائة من بنى زهرة وكان خروجهم لمكان العير فلما اقبلت العير رجع فسماه النبى عليه السلام الاخنس حين خنس بقومه ثم اقبل على اصحابه وهم يسألون اسلم وكان يقول لهم خرج فلان وفلان وابو بكر يضربه بالعصا و يقول له كذبت أتجبن الناس فقال عليه السلام (ان صدقكم ضربتموه وان كذبكم تركتموه) فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عرف امرهم فساروا حتى نزلوا الى كثيب اعفر أى فى تل من الرمل الاحمر تسوخ فيه الاقدام اى تدخل وتغيب على غير ماء بالجانب الاقرب من المدينة من الوادى ونزل المشركون بجانبه الابعد من المدينة الاقرب الى مكة والوادى بينهما ثم باتوا ليلتهم تلك وناموا ثم استيقظوا وقد أجنب اكثرهم وغلب المشركون على ماء بدر وليس معهم ماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال أنتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم اولياء الله وفيكم رسوله وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما سبقكم المشركون الى الماء وغلبوكم عليه وما ينتظرون الا ان يضعفكم العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا فاشفقوا فأنزل الله عليهم المطر ليلا حتى سال الوادى وامتلأ من الماء فاغتسل المسلمون وتوضأوا وشربوا وسقوا دوابهم وبنوا على عدوته اى جانبه حياضا واشتد الرمل وتلبدت بذلك ارضهم واوحل ارض عدوهم حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وتهيأوا للقتال من الغد فذلك قوله تعالى اذ يغشيكم النعاس اى اذكروا أيها المؤمنون وقت جعل الله النعاس وهو اول النوم قبل ان يثقل غاشيا لكم ومحيطا وملقى عليكم (امنة منه) منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اى يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا من الله تعالى لا كلالا واعياء فيتحد الفاعلان لان الامن فعل النعاس قال فى التأويلات النجمية يشير الى ان النعاس فى المعركة عند مواجهة العدو والامن منه بدل الخوف انما هو من تقليب الحال الى ضده بامر التكوين كما قال تعالى للنار يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فكانت كذلك قال للخوف كن امنا على محمد واصحابه فكان انتهى وعن ابن مسعود رضى الله عنه النعاس عند القتال امن من الله تعالى وهو فى الصلاة من الشيطان قال الحسن ان للشيطان ملعقة ومكحلة فلعقته الكذب ومكحلته النوم عند الذكر (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) اى بذلك الماء يعنى المطر من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) اى وسوسته وتخويفه اياكم من العطش ويقال اراد بالرجز الجنابة التى اصابتهم بالاحتلام فان الاحتلام انما يكون من رجز الشيطان اى تخييله ووسوسته ولذلك قال بعضهم من كتب اسم عمر على صدره لم يحتلم فان الشيطان كان يفر منه ويسلك فجا غير الفج الذى اقبل هو منه (وليربط على قلوبكم) الربط الشد والتقوية وعلى صلة والمعنى وليربط قلوبكم ويشدها ويقويها بجعلها واثقة بلطف الله تعالى وكرمه وجيئ بكلمة على للايذان بان قلوبهم امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها (ويثبت به) اى بذلك الماء (الاقدام) حتى لا تسوخ فى الرمل ويجوز ان يكون الضمير للربط فان الاقدام انما تثبت فى الحرب بقوة القلب وتمكن الصبر والجرأة فيه * دلا در عاشقى ثابت قدم باش * كه در اين ره نباشد كار بى اجر * وبمثل الصدق والصبر وارتباط القلب وثبات الاقدام سادت الصحابة الكرام من عداهم الى يوم القيام ولا فضل لاحد على احد الا بالديانة والتقوى قال الزهرى قدمت على عبد الملك بن مروان قال من اين قدمت يا زهرى قلت من مكة قال فمن خلفت فيها يسود أهلها قال قلت عطاء بن رباح قال فمن العرب ام من الموالى قلت من الموالى قال بم سادهم قلت بالديانة والرواية قال ان أهل الديانة والرواية ينبغى ان يسودوا الناس قال فمن يسود أهل اليمن قلت طاووس بن كيسان قال فمن العرب ام من الموالى قلت من الموالى قال فبم سادهم قلت بما ساد به عطاء قال من كان كذلك ينبغى ان يسود الناس قال فمن يسود أهل مصر قلت يزيد بن ابى حبيب قال فمن العرب ام من الموالى قلت من الموالى فقال كما قال فى الاولين ثم قال فمن يسود أهل الشام قلت مكحول

الدمشقى

الدمشقى فقال من العرب ام من الموالى قلت من الموالى عبد لبنى اعتقته امرأة من هذيل فقال كما قال ثم قال فمن يسود اهل الجزيرة قلت ميمون بن مهران قال من العرب ام من الموالى قلت من الموالى فقال كما قال ثم قال فمن يسود اهل خراسان قلت الضحاك بن مزاحم فقال من العرب ام من الموالى قلت من الموالى فقال كما قال ثم قال فمن يسود أهل البصرة قلت الحسن بن ابى الحسن قال من العرب ام من الموالى قلت من الموالى قال ويلك فمن يسود أهل الكوفة قلت ابراهيم النخعى قال من العرب ام من الموالى قلت من العرب قال ويلك يا زهرى فرجت عنى والله ليسودن الموالى على الاكابر حتى يخطب لها على المنابر وان العرب تحتها قال قلت يا امير المؤمنين انما هو امر الله ودينه فمن حفظه ساد ومن ضيعه سقط وفى الآية بيان نعمة الماء وان الخوف من العطش وكذا من الجوع من الشيطان ووسوسته فان المرء اذا كان قوى التوكل يستوى عنده الفقد والوجود والله تعالى من اسمه الخالق والرازق قالوا وللاسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة الى الماء ما ليس لغيره من السباع ولا يأكل من فريسة غيره واذا شبع من فريسة تركها ولم يعد اليها واذا امتلأ بالطعام ارتاض ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب فينبغى للمؤمن ان لا يكون أدون من الاسد فى هذه الصفات

على المرء ان يسعى لتحسين حاله * وليس عليه ان يساعده الدهر

والله تعالى قد سن الاعانة باعانته للمؤمنين فالمؤمن الكامل يساعد المؤمن حسب الطاقة (وحكى) ان فيروز ابن يزدجرد بن بهرام من آل ساسان لما ملك عدل وانصف ولما مضى سبع سنين من ملكه ولم ينزل من السماء مطر أرسل الى كل بلد بان يقسم طعام كل بلد بين الاغنياء والفقراء واذا مات فقير من الجوع قتل من الاغنياء رجلا بدلا منه (قال الحافظ) توانكرا دل درويش خود بدست آور * كه مخزن زر وكنج درم نخواهد ماند * اللهم احفظنا من الجهل والكسل الى حلول الاجل (اذ يوحى ربك الى الملائكة) الوحى القاء المعنى الى النفس من وجه خفى والمعنى اذكر يا محمد وقت ايحائه تعالى الى الملائكة (انى معكم) مفعول يوحى اى بالامداد والتوفيق فى امر التثبيت فليس القصد ازالة الخوف كما فى لا تحزن ان الله معنا اذ لا خوف للملائكة من الكفار حتى يقال لهم انى معكم فلا تخافوهم وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة انما هو من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة من تلك الحيثية كما فى امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم والتثبيت عبارة عن الحمل على الثبات فى مواطن الحرب والجد فى مقاساة شدائد القتال (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) اى سأقذف فى قلوبهم المخافة من المؤمنين وهو تلقين للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قيل قولوا لهم قولى سألقى الخ (فاضربوا) أيها المؤمنون فلا دلالة فى الآية على قتال الملائكة (فوق الاعناق) اعاليها التى هى المذابح او الرؤوس قال الحدادى وانما امر الله بضرب الاعناق لان اعلى جلدة العنق هو المقتل (واضربوا منهم كل بنان) البنان فى اللغة هو الاصابع وغيرها من الاعضاء التى بها يكون قوام الانسان وحياته والمقصود اضربوهم فى جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل الوجه ان يراد بها المدافعة والمقاتلة وكذا قال التفتازانى (ذلك) الضرب والقتل والعقاب واقع عليهم (بانهم) اى بسبب انهم (شاقوا الله ورسوله) اى خالفوا وغالبوا من لا سبيل الى مغالبته اصلا قال ابن الشيخ معنى شاقوا الله شاقوا اولياء الله واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا من المتشاقين فى شق خلاف شق الآخر كما ان المحادة ان يصير أحدهما فى حد غير حد الآخر وفى الآية اشارة الى ان كل سعادة وشقاوة تحصل للعبد فى الدنيا والآخرة يكون للعبد فيها مدخل بالكسب (ومن يشاقق الله ورسوله) اى ومن يخالف اولياء الله ورسوله (فان الله شديد العقاب) له قال الحدادى اما اظهار التضعيف فى موضع الجزم فى قوله يشاقق الله فهو لغة أهل الحجاز وغيرهم يدغم احد الحرفين فى الآخر لاجتماعهما من جنس واحد كما قال تعالى فى سورة الحشر ومن يشاق الله بقاف واحدة (ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار) قوله ذلكم خبر مبتدأ محذوف وقوله وان الخ معطوف عليه وقوله فذوقوه اعتراض والضمير لما فى ضمن المشار اليه من العقاب والتقدير حكم الله ذلكم اى ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وانما قال فى عذاب الدنيا فذوقوه لان الذوق يتناول اليسير من الشئ فكل ما يلقى الكفار من ضرب اوقتل اواسر اوغيرها فى الدنيا فهو بالنسبة الى ما اعد لهم فى الآخرة

بمنزلة ذوق المطعوم بالنسبة الى اكله قال فى التأويلات النجمية فذوقوه اى ذوقوا العاجل منه صورة ومعنى اما صورة فبالقتل والاسر والمصائب والمكروهات واما معنى فبالبعد والطرد عن الحضرة وتراكم الحجب وموت القلب وعمى البصيرة وضعف الروح وقوة النفس واستيلاء صفاتها وغلبة هواها وما يبعده عن الحق ويقربه الى الباطل وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال سوى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوفهم وقدموا راياتهم فوضعوها مواضعها فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بعير له يدعو الله ويستغيث فهبط جبريل عليه السلام فى خمسمائة على ميمنتهم وميكائيل عليه السلام فى خمسمائة على ميسرتهم فكان الملك يأتى الرجل من المسلمين على صورة رجل ويقول له دنوت من عسكر المشركين فسمعتهم يقولون والله لئن حملوا علينا لانثبت لهم ابدا وألقى الله فى قلوب الكفرة الرعب بعد قيامهم للصف فقال عتبة بن ربيعة يا محمد أخرج الينا اكفاءنا من قريش نقاتلهم فقام اليهم بنوا عفراء من الانصار عوذ ومعوذ أمهم عفراء وابوهم الحارث فمشوا اليهم فقالوا لهم ارجعوا وأرسلوا الينا اكفاءنا من بنى هاشم فخرج عليهم حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث فقال على مشيت الى الوليد بن عتبة ومشى الىّ فضربته بالسيف اطرت يده ثم بركت عليه فقتلته فقام شيبة ابن ربيعة الى عبيدة بن الحارث فاختلفا بضربتين ثم ضرب عبيدة ضربة اخرى فقطع ساق شيبة ثم قام حمزة الى عتبة فقال أنا اسد الله وأسد رسوله ثم ضربه حمزة فقتله فقام ابوجهل فى اصحابه يحرضهم يقول لا يهولنكم مالقى هؤلاء فانهم عجلوا فاستحقوا ثم حمل هو بنفسه ثم حمل المسلمون كلهم على المشركين فهزموهم بأذن الله تعالى وفى حق هؤلاء السادات ورد (اطلع الله على أهل بدر) يعنى نظر اليهم بنظر الرحمة والمغفرة (فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم) المراد به اظهار العناية بهم واعلاء رتبتهم لا الترخيص لهم فى كل فعل كما يقال للمحبوب اصنع ماشئت فعلى العاقل ان يقتفى بأثرهم فى باب المجاهدة مطلقا (قال الحافظ) درره نفس كزو سينهٔ ما بتكده شد * تير آهى بكشاييم وغزايى بكنيم * وقال فى حق اهل الجزع * ترسم كزين چمن نبرى آستين كل * كز كلشنش تحمل خارى نميكنى * اللهم اجعلنا من الصابرين (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا) لقيه اى رآه (زحفا) الزحف الدبيب يقال زحف الصبى زحفا من باب فتح اذا دب على استه قليلا قليلا سمى به الجيش الدهم المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف وذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس اليه فى غاية البطئ وان كانت فى نفس الامر فى غاية السرعة ونصبه على انه حال من مفعول لقيتم بمعنى زاحفين نحوكم والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل (فلا تولوهم الادبار) فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم فى العدد وتساووهم عدل عن لفظ الظهور الى لفظ الادبار تقبيحا لفعل الفار وتشنيعا لانهزامه والتولية جعل الشئ يلى غيره وهو متعد الى مفعولين وولاه دبره اذا جعله اليه (ومن يولهم يومئذ دبره) اى ومن يجعل ظهره اليهم وقت اللقاء والقتال فضلا عن الفرار فيومئذ هنا بمعنى حينئذ لان اليوم وان كان اسما لبياض النهار اذا اطلق لكنه اذا قرن به فعل لا يمتد يراد به مطلق الوقت (الا متحرفا لقتال) اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى أهم من هؤلاء واما بالفر للكر بأن يخيل لعدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده اومع من فى المكمن من اصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها يقال انحرف وتحرف اذا مال من جانب الى جانب آخر والحرف الطرف والجانب وانتصابه على الحالية والتقدير ومن يولهم ملتبسا بحال من الاحوال أية حال كانت الا فى حال كذا (او متحيزا الى فئة) اى منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين قريبة او بعيدة لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو فالانهزام حرام الا فى هاتين الحالتين فان كل واحدة منهما ليست انهزاما فى الحقيقة بل من قبيل التهيؤ والتقوى للحرب فمن ولى ظهره لغير أحد هذين الغرضين (فقد باء) اى رجع (بغضب) عظيم كائن (من الله) تعالى (ومأواه) فى الآخرة (جهنم) اى بدل ما اراد بفراره ان يأوى اليه من مأوى ينجيه من القتل والمأوى المكان الذى يأوى اليه الانسان اى يأتيه (وبئس المصير) اى المرجع جهنم وهذا الوعيد وان كان بحسب الظاهر متناولا لكل من يولى دبره وقت ملاقاة الكفار الا انه مخصوص بما اذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين لقوله تعالى فى آخر هذه السورة الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بأذن الله قال ابن عباس رضى الله عنه من فر من ثلاثة

لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر أى ارتكب المحرم وهو كبيرة الفرار من الزحف (وفى المثنوى) اين چنين
هوشى كه ازموشى بريد * اندران صف تيغ چون خواهد كشيد * چالش است آن خره خوردن
نيست اين * تا بو برمالى بخوردن آستين * كار هر نازك دلى نبود قتال * كه كريزد از خيالى چون
خيال * كار تركانست نى تركان برو * جاى تركان هست خانه خانه شو * وعد بعض العلماء الكبائر
الى سبعين منها الفرار من الجيش فى الغزو اذا كان مثلا اوضعفا وكل ما كان شنيعا بين المسلمين وفيه هتك
حرمة الله والدين فهى كبيرة تسقط العدالة فى الشهادة فعلى العاقل ان يقدم على الحرب بقلب جرئ ويعلم ان
الجبن لا يؤخر أجله وان الاقدام على القتال لا يعجل موته ويتشبه الغازى فى اوان المقاتلة بأصناف من الخلق
فيكون كقلب الاسد لا يجبن ولا يفر كان الاسد مقدام غير جبان وكرار غير فرار وفى كبر النمر بالفارسية پلنك
لا يتواضع للعدو وفى شجاعة الدب يقاتل بجميع جوارحه وفى حملة الخنزير لا يولى دبره اذا حمل اى لا يعرض
وجهه عما توجه اليه وفى اغارة الذئب اذا يئس من وجه اغار من وجه آخر والاغارة بالفارسية يغما كردن
وفى حمل السلاح الثقيل كالنملة تحمل اضعاف وزن بدنها وفى الثبات كالحجر لا يزول عن مكانه وفى الصبر كالحمار
وفى الوفاء كالكلب لو دخل سيده النار يتبعه وفى التماس الفرصة والظفر كالديك ويكون فى الصف ساكتا
كالمصلى الخاشع ويكون فى متابعة امير العسكر كمتابعة المأموم امامه فى الصلاة اى لا يخالفه أصلا ويغطى
نفسه بالسلاح كتغطية البكر نفسها بالثياب اذا زفت اى ارسلت الى الزوج وفى تكثير قليل سلاحه وماله
كالمرآئى اذا قل ماله وعبادته ويكون فى المكر والحيلة اذا هزمه العدو اى غلب عليه كالثعلب اذا اضطره الكلب
فان مدار الحرب على الخداع وفى التبختر والخيلاء بين الصفين كالعروس وفى الخفة فى تحريف القتال من جانب
الى آخر كالصبى وفى صياحه اذا صاح بالعدو كالرعد وهو اسم ملك على قول وفى سوء ظنه اى فى الحذر عما يهلكه
فى جميع احواله كالغراب الابقع وهو الذى فيه سواد وبياض وفى حراسته والاحتراز عن المكاره كالكركى
وهو طير معروف لازوردى اللون يشابه اللقلاق فى الهيئة بالفارسية كلنك ومن الحيوان الذى لا يصلح
الا بريس لان فى طبعه الحرس والتحارس بالنوبة والذى يحرس يهتف بصوت خفى كأنه ينذر بانه حارس فاذا
قضى نوبته قام الذى كان نائما يحرس مكانه حتى يقضى كل ما يلزمه من الحراسة قال القزوينى والكركى لا يمشى
على الارض الا باحدى رجليه ويعلق الاخرى وان وضعها وضعها خفيفا مخافة ان تخسف به الارض كذا
فى حياة الحيوان * والاشارة أيها القلوب المؤمنة اذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها
فلا تنهزموا من سطوات النفوس وغلبات صفاتها بل اثبتوا بالصبر عند صدمات النفوس فان الصبر عند
الصدمة الاولى كما روى ان النبى عليه السلام اتى على امرأة تبكى على صبى ميت لها فقال اتقى الله واصبرى
فقالت وما تبالى على مصيبتى فلما ذهب عليه السلام قيل لها انه رسول الله فأخذها مصيبة مثل موت صبيها
فجاءت بابه تستعذره وتقول لم اعرفك يا رسول الله فقال عليه السلام الصبر عند الصدمة الاولى الصدم ضرب
الشئ الصلب بمثله والصدمة مرة منه يعنى الصبر المأجور عليه صاحبه ما كان عند فجأة المصيبة وحدتها
لانه اذا طالت الايام عليه صار الصبر أيسر له ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة يعنى الا
قلبا ينحرف ليهيئ اسباب القتال مع النفس اوراجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها اوالى ولاية الشيخ يستمد
منها الى الحضرة الربانية فى قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة والرياضة فقد باء بغضب من الله يعنى بطرد
وابعاد منه ومأواه جهنم وبئس المصير اى مرجعه جهنم البعد عن الحضرة ونار القطيعة وبئس المرجع والمعاد
(فلم تقتلوهم) اى ان افتخرتم بقتل الكفار يوم بدر فاعلموا انكم لم تقتلوهم بقوتكم وقدرتكم (ولكن الله قتلهم)
بنصره كم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم (روى) انه لما طلعت قريش من العقنقل وهو الكثيب الذى
جاؤا منه الى الوادى قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك
ما وعدتنى فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلى رضى الله عنه اعطنى
من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه اى قبحت فما من المشركين احد الا اصاب
عينيه ومنخريه وفمه تراب فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا من المعركة غالبين
غانمين أقبلوا على التفاخر يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت والظاهر ان قوله فلم تقتلوهم رجوع

الى بيان بقية قصة بدر والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مرّ من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك كأنه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم أنتم كما هو مختار المولى ابى السعود فى تفسيره (وما رميت) يا محمد حقيقة (اذ رميت) صورة والا لكان اثر الرمى من جنس آثار الافاعيل البشرية (ولكن الله رمى) اى بما هو غاية الرمى فأوصل اجزاء تلك القبضة الى عيون جميع المشركين حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم فصورة الرمى صدرت منه عليه السلام الا ان اثرها انما صدر من الله تعالى اذ ليس فى وسع البشر أن يرمى كفا من الحصباء فى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين الا ويصيبها منه شئ واللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه كاطلاق المؤمن على المؤمن الكامل قال فى التأويلات النجمية ان الله نفى عن الصحابة القتل بالكلية واحاله الى نفسه لانه تعالى كان مسبب اسباب القتل من امداد الملائكة والقاء الرعب فى قلوب الكفار وتقوية قلوب المؤمنين وغير ذلك فالفعل يحال الى السبب كقولهم القلم يكتب مليحا والكاتب يكتب مليحا وهو المسبب للكتابة (قال فى المثنوى) هرچه خواهد ان مسبب آورد * قدرت مطلق سببها بردرد * از مسبب ميرسد هر خير وشر * نيست زاسباب ووسائط اى پدر * اين سببها بر نظرها پرده است * كه نه هر ديدار صنعش را سزاست * ديده بايد سبب سوراخ كن * تا حجب را بركند از بيخ وبن * تا مسبب بيند اندر لامكان * هرزه داند جهد وا كساب ودكان * والفرق فيما بين النبى عليه السلام وبين الصحابة رضى الله عنهم ان الله تعالى نفى القتل عن الصحابة بالكلية وأحاله الى نفسه فجعلهم سببا للقتل وهو المسبب وما نفى الرمى عن النبى عليه السلام بالكلية بل اسند اليه الرمى ولكن نفى وجوده بالكلية فى الرمى واثبته لنفسه تعالى اى وما رميت بك اذ رميت ولكن رميت بالله وذلك فى مقام التجلى فاذا تجلى الله لعبد بصفة من صفاته يظهر على العبد منه فعلا يناسب تلك الصفة كما كان من حال عيسى عليه السلام لما تجلى الله له بصفة الاحياء كان يحيى الموتى بأذنه اى به وهذا كقوله تعالى كنت له سمعا وبصرا الحديث فلما تجلى الله للنبى عليه السلام بصفة القدرة كان قد رمى به حين رمى وكان يده يد الله فى ذلك كما كشف القناع عن هذه الحقيقة فى قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم واعلم ان الله اسند القتل الى داود عليه السلام فى قوله وقتل داود جالوت وفرق كثير بين عبد اضيف فعله الى نفسه والعبد محل الآفات والحوادث وبين عبد اضيف فعله الى الله تعالى والله منزه عن الآفات والحوادث * ما رميت اذ رميت گفت حق * كار ما بر كارها دارد سبق * گر بپرانيم تيران فى زماست * ما كمان وتير اندازش خداست * تا نشد مغلوب كس اين سر نيافت * گر تو خواهى آن طرف بايد شتافت (وليبلى المؤمنين منه) اى ليعطيهم من عنده تعالى ونعم عليهم (بلاء حسنا) اى عطاء جميلا ونعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات غير مشوبة بمقاساة الشدائد والمكاره والبلاء يطلق على النعمة وعلى المحنة لان اصله الاختبار وهو كما يكون بالمحنة لاظهار الصبر يكون بالنعمة ايضا لاظهار الشكر والاختبار من الله تعالى اظهار ما علم كما علم لا تحصيل علم ما لم يعلم لانه تعالى منزه عنه واللام متعلقة بمحذوف مؤخر أى وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة والاجر العظيم فعل ما فعل لا لشئ غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اى ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلى المؤمنين قال ابن الشيخ والظاهر ان بلاء اسم مصدر ليبلى اى ليبليهم ابلاء حسنا والمتبادر من عبارة القاضى انه حمله على نفس الشئ المبلو به على طريق اطلاق المصدر على المفعول حيث قال ولينعم عليهم نعمة عظيمة (قال الكاشفى) در حقائق سلمى از امام جعفر صادق رضى الله عنه نقل ميكند كه بلاء حسن آنست كه ايشانرا از نفوس ايشان فانى كرداند وبعد از فناء هويت خودشان باقى سازد امام قشيرى كويد بلاء حسن آنست كه مبتلى مشاهده كند مبلى را در عين بلا * چو دانستى كه اين درد نوازشيست * ز رنج خويشتن مى باش خرم * كراو زهرت دهد بهتر ز شكر * ور او زخمت نهد بهتر كه مرهم (ان الله سميع) لاستغاثتهم ودعائهم (عليم) بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم والايهان سست كردن والنعت موهون كذا فى تاج المصادر والوهن الضعف والكيد المكر والحيلة والحرب وفى الآية

اشارة الى ان التأثير من الله تعالى والعبد آلة فى البين فينبغى للمرء ان لا يعجب بنفسه وعمله ولذا قال الله تعالى فلم تقتلوهم واظهر منته عليهم والعجب استعظام العمل الصالح من غير ذكر التوفيق قال المسيح عليه السلام يا معشر الحواريين كم من سراج قد اطفأته الريح وكم من عابد قد افسده العجب واعلم ان الناس فى العجب ثلاثة اصناف صنف هم معجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله تعالى عليهم منة فى افعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص واللطف وتلك الشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون المنة بكل حال وهم المستقيمون لا يعجبون بشئ من الاعمال وذلك لبصيرة اكرموا بها وتأييد خصوا به والصنف الثالث المخلطون وهم عامة أهل السنة تارة يتنبهون فيذكرون منة الله تعالى وتارة يغفلون فيعجبون وذلك لمكان الغفلة العارضة والفترة فى الاجتهاد والنقص فى البصيرة فحق للعاقل ان يرى حقارة عمله وقلة مقداره من حيث هو وان يرى ان منة الله عليه اشرف من قدر عمله واعظم من جزائه وان يحذر على فعله من ان يقع على وجه لا يصلح لله تعالى ولا يقع منه موقع الرضى فتذهب عنه القيمة التى حصلت له ويعود الى ما كان فى الاصل من الثمن الحقير من دراهم اودوانق ومثاله ان العنقود من العنب او الاضبارة من الريحان تكون قيمته فى السوق دانقا فاذا اهداه واحد الى الملك دستجة فوقع منه موقع الرضى يهب له على ذلك ألف دينار فصار ماقيمته حبة بألف دينار فاذا لم يرضه الملك ورده عليه رجع الى قيمته الخسيسة من حبة اودانق فكذلك ما نحن فيه قال وهب كان فيمن قبلكم رجل عبد الله سبعين سنة يفطر من سبت الى سبت فطلب من الله حاجة فلم يقض فاقبل على نفسه وقال لو كان عندك خير قضيت حاجتك فأنزل الله تعالى ملكا فقال يا ابن آدم ساعتك التى ازريت بنفسك فيها خير من عبادتك التى مضت (ونعم ما قال الحافظ الشيرازى) درراه ما شكسته دلى ميخرند وبس * بازار خودفروشى ازان سوى ديكرست * اللهم اجعلنا من أهل التوفيق ومن السالكين بطريق التحقيق (ان تستفتحوا) الخطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج الى بدر تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين واكرم الحزبين وأفضل الدينين وروى ان اباجهل قال يوم بدر اللهم انصر أفضل الفريقين واحقهما بالنصر اللهم اينا اقطع للرحم وأفسد للجماعة فأهلكه دعا على نفسه لغاية حماقته فاستجاب الله دعاءه حيث ضربه ابناء عفراء عوذ ومعاذ ولجهز عليه ابن مسعود رضى الله عنه فالمعنى ان تستنصروا يا أهل مكة لأعلى الجندين (فقد جاءكم الفتح) حيث نصر أعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم فى المجئ اوفقد جاءكم الهزيمة والقهر والخزى فالتهكم فى نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله (وان تنتهوا) عن الكفر ومعاداة الرسول (فهو) اى الانتهاء (خير لكم) اى من الحراب الذى ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيرية فى المفضل عليه هو التهكم (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصره (ولن تغنى) اى لن تدفع ابدا (عنكم فئتكم) اى جماعتكم التى تجمعونهم وتستغيثون بهم (شيئا) اى من الاغناء فنصب شيأ على المصدر اومن المضار فنصبه على المفعولية (ولو كثرت) فئتكم فى العدد (وان الله مع المؤمنين) اى ولان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة فعل ذلك وفى الآية اشارة الى ان النجاة فى الايمان والاسلام والتسليم لامر الله الملك العلام وان غاية الباطل هو الزوال والاضمحلال وان ساعده الامهال (قال الحافظ) اسم اعظم بكند كار خوداى دل خوش باش * كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود * واعلم ان المحاربة مع الاولياء الكرام كالمحاربة مع الانبياء العظام وكل منهم منصور على اعدآئه لان الله معهم وهو لا ينساهم ولا يتركهم بحال (حكى) ان دانيال عليه السلام طرح فى الجب والقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتتبصبص اليه فاتاه رسول فقال يا دانيال فقال من أنت قال انا رسول ربك اليك ارسلنى اليك بطعام فقال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره

وإذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن امان

واصطد بها العنقاء فهى حبالة * واقتد بها الجوزآء فهى عنان

وحكى الماوردى فى كتاب ادب الدنيا والدين ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوما فى المصحف فخرج له قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف وانشأ يقول

اتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقني الوليد

فلم يلبث اياما حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على سور بلده جزم القاضي ابو بكر في الاحكام في سورة المائدة بتحريم اخذ الفأل من المصحف ونقله القرافي عن الطرطوشي واقره واباحه ابن بطة من الحنابلة وقال بعضهم بكراهته كذا في حياة الحيوان للامام الدميري والاشارة في الآية ان تستفتحوا ابواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ماسوى الله تعالى في طلب التجلي فقد جاءكم الفتح بالتجلي فان الله تعالى متجلي في ذاته ازلا وابدا فلا تغيرله وانما التغير في احوال الخلق فانهم عند انغلاق ابواب قلوبهم الى الله محرومون من التجلي وعند انفتاح ابوابها محفوفون به وان تنتهوا اى عن غيرالله في طلب الله فهو خير لكم مماسواه وان تعودوا الى الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها وزخارفها والى ماسوى الله تعالى نعد الى خذلانكم الى انفسكم وهواها ودواعيها وغلبات صفاتها ولن تغني عنكم فئتكم شيأ اى تقوم لكم الدنيا والآخرة ومافيهما مقام شئ من مواهب الله وألطافه ولو كثرت يعني وان كثرت نعم الله من الدنيوية والاخروية فلا توازي شيأ مما انعم الله على أهل الله وخاصته وان الله بأصناف ألطافه مع المؤمنين بهذه المقامات وطالبيها ليبلغهم اليها بفضله ورحمته لابجوالهم وقوتهم كذا في التأويلات النجمية (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا) بحذف احدى التاءين اى لاتتولوا والتولي الاعراض وبالفارسية روى بكردانيدن (عنه) اى عن الرسول ولم يقل عنهما لان طاعة الله انما تكون بطاعة رسوله (وأنتم تسمعون) اى والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم وتصديق (ولا تكونوا) بمخالفة الامر والنهي (كالذين قالوا سمعنا) على جهة القبول (وهم لا يسمعون) للقبول وانما سمعوا به للرد والاعراض عنه كالكفار الذين قالوا سمعنا وعصينا وكالمنافقين الذين يدعون السماع والقبول بألسنتهم ويضمرون الكفر والتكذيب (قال في المثنوي) نيست راجه خوانده جه ناخوانده * هست پاى او بكل درمانده * كرسرش جنبد بسير بادرو * تو بسر جنبانيش غره مشو * آن سرش كويد سمعنا اى صبا * پاى اوكويد عصينا خلنا (ان شر الدواب) اى شر مايدب على الارض فلفظ الدابة محمول على معناه اللغوى اوشر البهائم فهو محمول على معناه العرفي والبهيمة كل ذات اربع من حيوانات البر والبحر (عند الله) اى في حكم قضائه (الصم) الذين لا يسمعون الحق (البكم) الذين لا ينطقون به (الذين لا يعقلون) الحق عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ماميزوا به وفضلوا لاجله وانما وصفهم بعدم العقل لان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدى بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال (قال السعدي) بهائم خموشند وكويا بشر * پراكنده كوى ازبهائم بتر * بنطق است وعقل آدمى زاده فاش * چوطوطى سخن كوى ونادان مباش (ولو علم الله فيهم خيرا) شيأ من جنس الخير الذى من جملته صرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى (لأسمعهم) سماع تفهم وتدبر ولو قفوا على حقيقة الرسول واطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيأ من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم لذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة قال ابن الشيخ عبر عن عدم استقرار الخير فيهم بعدم علم الله تعالى بوجوده فيهم لان كل ماوقع واستقر يجب ان يعلم الله تعالى بحصوله ووجوده فعدم علم الله تعالى بوجود الشئ من لوازم عدمه في نفسه فعبر باللازم عن الملزوم فقيل لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم مقام ان يقال لو كان فيهم خير لأسمعهم لكونه ابلغ في الدلالة على انعدام الخير فيهم لان نفي لازم الشئ نفي لنفس ذلك الشئ ببينة فيكون ابلغ من نفي نفس ذلك الشئ (ولو أسمعهم) سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية (لتولوا) عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط اوارتدوا بعد ماصدقوه وصاروا كان لم يسمعوه اصلا (وهم معرضون) اى لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم لعنادهم وفيه اشارة الى ان من قدرله الشقاوة فانه يتولى عن المتابعة في اثناء السلوك ويعرض عن الله وطلبه ويقبل على الدنيا وزخارفها واعلم ان الانسان خلق في احسن تقويم قابلا للتربية والترقي مستعدا لكمال لا يبلغه الملك المقرب فهو في بدء الخلقة دون الملك وفوق الحيوان فبتربية الشريعة يصير فوق الملك فيكون خير البرية وبمخالفة الشريعة ومتابعة الهوى يصير دون الحيوان فيكون شر البرية فيؤول حال من يكون خيرا من الملك

الى ان يكون شر الدواب فعلى العاقل ان لا يخالف امر الرسول وشريعته فان الحيوان يستسلم لامره فكيف بالانسان (حكى) انه جاء رجل فى بعض اسفاره صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه كان لى حائط فيه عيشى وعيش عيالى ولى فيه ناضحان والناضح البعير الذى يستسقى عليه فمنعانى انفسهما وحائطى ومافيه فلا نقدر ان ندنو منهما فنهض النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى اتى الحائط فقال لصاحبه افتح قال امرهما عظيم قال افتح فلما حرك الباب اتيا ولهما جلبة فلما انفرج الباب نظرا الى النبى عليه السلام وبركا ثم سجدا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤوسهما ثم دفعهما الى صاحبهما وقال استعملهما واحسن اليهما فقال القوم تسجد لك البهائم افلا تأذن لنا فى السجود لك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان السجود ليس الا للحى القيوم ولو أمرت احدا ان يسجد لاحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها وكل ما امر به النبى عليه السلام اونهى عنه ففيه حكمة ومصلحة ولست بمأمور بالتفتيش عنها وانما يلزم عليك الاطاعة والانقياد فقط أفترضى لنفسك ان تصدق ابن البيطار فيما ذكره فى العقاقير والاحجار فتبادر الى امتثال ما امرك به ولا تصدق سيد البشر صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يخبر عنه وتتوانى بحكم الكسل عن الاتيان بما امر به اوفعل وانت تحقق انه عليه السلام مكاشف من العالم بجميع الاسرار والحكم كما اخبر عن نفسه وقال فعلمت علم الاولين والآخرين ولما اخرجك الله من صلب آدم فى مقام ألست رددت الى اسفل السافلين ثم منه دعيت لترتفع بعدك وكسبك الى اعلى عليين حيث ما قدر لك على حسب قابليتك ولا يمكنك ذلك الا بأمرين احدهما بمحبته صلى الله عليه وسلم وبان تؤثر حبه على نفسك وأهلك ومالك والثانى بمتابعته صلى الله عليه وسلم فى جميع ما امر به ونهى عنه وبذلك تستحكم مناسبتك به وبكمال متابعتك يحصل لك الارتفاع الى اوج الكمال ومن علامات المحبة حب القرآن وحب تلاوته والا كان من المعرضين عن سلوك طريقته صلى الله عليه وسلم ومن تمام محبته ايثار الفقر والزهد فى الدنيا * كين جهان جيفه است ومردار ورخيص * برچنين مردار چون باشم حريص *

اللهم اعصمنا من المهالك واجعلنا من السالكين الى خير المسالك (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) اى اجيبوا الله ورسوله بان تطيعوهما (اذا دعاكم) اى الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى ودعاؤه بامر الله فهو دعاء الله تعالى ولذا وحد الفعل (لما يحييكم) اللام بمعنى الى اى الذى يحييكم وهو أنواع منها العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

وقال * جاهلى كان بعلم زنده نشد * ميتش دان ومسكنش مدفن * از جنازه نشان جنازه او * جامهاى تنش بجاى كفن * وفى الخبر ان الله تعالى ليحيى القلب الميت بالعلم كما يحيى الارض الميتة بوابل المطر والعلوم الدينية الشرعية هى التفسير والحديث والاصول والفقه والفرائض * علم دين فقه است وتفسير وحديث * هركه خواند غير ازين كردد خبيث * ومنها العقائد والاعمال فانها تورث الحياة الابدية فى النعيم الدائم ومنها الجهاد فانه سبب البقاء اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم كما فى قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة ومنها الشهادة فان الشهداء احياء عند ربهم سواء كانوا مقتولين بسيف الكفار او بسيف الرياضات الشاقة والمجاهدات القوية * دانه مردن مرا شيرين شداست * بل هم احياء پى من امداست

اقتلونى يا ثقاتى لائما * ان فى قتلى حياتى دائما

فالموت هو الفناء عن الكل والحياة هو البقاء بنور الله تعالى (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال فى القاموس كل ما حجز بين شيئين فقد حال بينهما وهو تمثيل لغاية قربه من العبد وهو أقرب الى قلبه منه لان ما حال بينك وبين الشئ فهو أقرب الى الشئ منك وتنبيه على انه مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها قال على رضى الله عنه اللهم اغفر لى ما أنت أعلم به منى اوحث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين القلب بالموت اوغيره من الآفات فكأنه قيل بادر الى تكميل النفوس وتصفية القلوب باجابة الرسول المبعوث من علام الغيوب قبل فوات الفرصة فانها قد تفوت بان يحدث الله اسبابا لا تمكن العبد معها من تصريف القلب فيما شاؤه من اصلاح امره فيموت غير مستجيب لله ورسوله

ويحتمل ان يكون المراد بالحيلولة تصوير تملكه تعالى قلب العبد وغلبته عليه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ولا يمكنه من امضائها على حسب ارادته فيحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وكان عليه السلام يقول كثيرا يامقلب القلوب والابصار ثبت قلبى على دينك ويبدل بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة در كشف الاسرار فرموده كه علما دل را پاينده ولمن كان له قلب اشارت بدانست وعرفا دل را كم كنند يحول بين المرء وقلبه عبارت از انست در بدايت از دل نا چار است ودر نهايت حجاب ديد ارست * زين پيش همى ديدمش اندر دل خويش * دل نيز حجاب بود برداشت زپيش * فالله تعالى يحول بتجلى صفاته بين المرء وقلبه يعنى اذا تجلى الله على قلب المرء يحول بسطوات انوار جماله وجلاله بين مرءآة قلبه وظلمة اوصافه (وانه) اى واعلموا ايضا ان الله تعالى (اليه) تعالى لا الى غيره (تحشرون) تبعثون وتجمعون فيجازيكم على حسب اعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا الى طاعة الله وطاعة رسوله وبالغوا فى الاستجابة لهما واعلم ان الاستجابة لله بالسرائر وللرسول بالظواهر وايضا الاستجابة لله اجابة الارواح للشهود واستجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للمشاهدة واجابة الخفى للفناء فى الله والاستجابة للرسول بالمتابعة فى الاقوال والاحوال والافعال (وروى) انه عليه السلام مر على ابى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال ألم تخبر فيما أوحى الى استجيبوا الله وللرسول * واختلف العلماء فى جواز قطع الصلاة لاجابة الداعى فقال بعضهم انه مختص باستجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز قطع الصلاة لاجابة غيره لان قطعها ابطال لها وابطال العمل حرام وقال بعضهم يجوز لكل مصل ان يقطع صلاته لأمر لا يحتمل التأخير كما اذا خاف ان يسقط احد من سطح او تحرقه النار او يغرق فى الماء وجب عليه ان يقطع الصلاة وان كان فى الفريضة كذا فى غنية الفتاوى ويجيب فى صلاة النافلة دعاء امه دون نداء ابيه اى يقطع الصلاة ويقول لبيك مثلا وذلك لان مشقة الام وتحملها التعب من الولد اكثر ولذا ورد الجنة تحت اقدام الامهات معناه ان التواضع للامهات سبب دخول الجنة وقال بعض المشايخ الاب يقدم على الام فى الاحترام والام فى الخدمة حتى لو دخلا عليه يقوم للاب واجابة الدعوة من قبيل الخدمة غالبا قال الطحاوى مصلى النافلة اذا ناداه احد أبويه ان علم انه فى الصلاة وناداه لا بأس بان لا يجيبه وان لم يعلم يجيب واما مصلى الفريضة اذا دعاه احد أبويه فلا يجيب مالم يفرغ من صلاته الا ان يستغيثه لشئ فان قطع الصلاة لا يجوز الا لضرورة وكذا الافطار فى صوم النفل فانه اذا الح عليه احد بالافطار يجوز قبل الزوال واما اذا كان بعده فلا يفطر الا اذا كان فى ترك الافطار عقوق الوالدين او احدهما كذا فى شرح التحفة والوقاية واما فى صوم القضاء فيكره الافطار مطلقا كذا فى الزاهدى ثم اعلم ان استجابة الرسول يدخل فيها بطريق الاشارة استجابة الاولياء العلماء الادباء الامناء لانهم الورثة وطريقهم طريقة النبى عليه السلام ولابد لمن اراد الوصول الى الله تعالى من صحبة مرشد كامل عارف بالمقامات والمراتب وقبول ما دعا اليه سواء كان محبوبا له اولا فان هذا ليس طريق العقل بل طريق الكشف والالهام * كر درسرت هواى وصالست حافظا * بايدكه خاك دركه اهل نظر شوى * واهل الطريقة ثلاثة عباد ومريدون وعارفون فطريق العباد كثرة الاعمال والتجنب من الزنى والضلال وطريق المريدين تخليص الباطن من الشوائب والنفور عن المشغلات وطريق العارفين تخليص القلب لله وبذل الدنيا والآخرة فى طلب رضاه اللهم اجعلنا من المستجيبين للدعوة الحقة وأذقنا من حلاوة الاسرار المحققة آمين (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) قال الحدادى فى تفسيره نزلت فى عثمان وعلى رضى الله عنهما اخبر الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم بالفتنة التى تكون بسببهما انها ستكون بعدك تلقاها اصحابك تصيب الظالم والمظلوم ولا تكون للظلمة وحدهم خاصة ولكنها عامة فاخبر النبى عليه السلام بذلك اصحابه فكان بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم من الفتن بسبب على وعثمان رضى الله عنهما مالا يخفى على احد انتهى والمعنى لا تختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل تعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد (واعلموا ان الله شديد العقاب) ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه وفيه

تحذير من شدة العقوبة لمن اهاج الفتن وفى الحديث الفتنة راتعة فى بلاد الله واضعة خطامها فالويل لمن اهاجها وفى بعض الاخبار الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها (قال السعدى) ازان همنشين تا توانى كريز كه مر فتنه خفته را كفت خيز * قال القرطبى فان قيل قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وكل نفس بما كسبت رهينة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا يوجب ان لا يؤاخذ احد بذنب غيره وانما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب فالجواب ان الناس اذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على من رآه ان يغيره فان سكت عليه فكلهم عاص هذا بفعله وهذا برضاه وقد جعل الله فى حكمه وحكمته الراضى بمنزلة العامل فانتظم فى العقوبة قاله ابن العربى انتهى قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى شرح الاربعين حديثا واحيانا تظهر سلطنة العمل الفاسد فيسرى حكمها فى حال ذى العمل الصالح فيتضرر بذلك وان لم يتعد الضرر الى اعماله والاشارة الى ذلك قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا الآية وليس هذا بمخالف للاصل المترجم عنه بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فان هذا الاثر لا يقع ولا يسرى بحكم ما به امتاز الصالح من الطالح بل بموجب ما به يثبت الاتحاد والاشتراك بينهما وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى لسان غلبته حكم ما به الامتياز وايضا فهو الحق من حيث صدوره من جنابه وحدانى كلى شامل لا تخصيص فيه بل التخصيص من القوابل المتأثرة وهذا عام فى الشر والخير ففى الشر ما ذكر فى قوله تعالى واتقوا فتنة الآية وفى الخير ما اشار اليه عليه السلام فى الحديث المذكور فى حق الذين يجتمعون لذكر الله وكون الحق يباهى بهم الملائكة و يقول أشهدكم انى قد غفرت لهم وقول بعض الملائكة ان فيهم فلانا ليس منهم وانما اتاهم لحاجة فيقول الحق سبحانه وتعالى وله قد غفرت هم القوم لا يشقى جليسهم فهذا اثر عموم الحكم من جهة الحق وكليته واثر صلاح الحال الفاسد بمجاورة ذى الحال والعمل الصالح والحضور معه فتذكر انتهى كلام القنوى (وفى المثنوى) اى خنك آن مرد كز خود درسته شد * در وجود زنده پيوسته شد * واى آن زنده كه با مرده نشست * مرده كشت وزندكى ازوى بجست * حق ذات پاك الله الصمد * كه بود به مار بد از يار بد * مار بد جانى ستاند از سليم * يار بد آرد سوى نار مقيم * والاشارة فى الآية واتقوا يا ايها الواصلون فتنة يعنى ابتلاء النفوس بشئ من حظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يعنى لا تصيب تلك الفتنة النفوس الظالمة فقط بل تصيب ظلمتها الارواح النورانية والقلوب الربانية فتجذبهما من حظائر القدس ورياض الانس الى حضائض صفات الانس كما قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واعلموا ان الله شديد العقاب فيعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ما سواه كذا فى التأويلات النجمية (واذكروا) أيها المهاجرون (اذ انتم قليل) اى وقت كونكم قليلا فى العدد (مستضعفون) خبر ثان اى مقهورون تحت ايدى قريش (فى الارض) اى ارض مكة (تخافون) خبر ثالث (ان يتخطفكم الناس) التخطف الاخذ والاستلاب بسرعة وهم كانوا يخافون ان يخرجوا من مكة حذرا من ان يستلبهم كفار قريش ويذهبوا بهم (فآواكم) اى جعل لكم مأوى ترجعون اليه وهو المدينة دار الهجرة (وايدكم بنصره) على الكفار (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم التى لم تكن حلالا للامم السالفة (لعلكم تشكرون) هذه النعم قال الجنيد قدس سره كنت عند السرى وانا ابن سبع سنين و بين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى يا غلام ما الشكر فقلت ان لا تعصى الله بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال ابكى على هذه الكلمة * واعلم ان الدولة العثمانية التى هى آخر الدول الاسلامية كانت على الضعف فى الاوائل وأهلها قليلون مستضعفون تحت ايدى فارس والروم حتى قواهم الله بالعدد والعدد ونصرهم على اعدائهم فكانوا يستفتحون من مشارق الارض ومغاربها و يأوون الى الاماكن فى الاقطار الى ان آل الامر الى ما آل فكل ذلك نعم جسيمة وستعود هذه الحال الى ما كانت عليه فى الابتداء فان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا وما ذلك الا بالغرور والكفران وادعاء الاستحقاق من غير برهان (قال السعدى) ترا آنكه چشم ودهان داد وكوش * اكر عاقلى در خلافش مكوش * مكن كردن از شكر منعم مپيچ * كه روزى پسين سر بر آرى بهيچ * ثم اعلم ان الروح والقلب فى بدء الخلقة وتعلقهما بالقالب وكذا صفاتهما مستضعفون من غلبات النفس لاعواز التربية بألبان آداب الطريقة وانعدام جريان احكام الشريعة عليهم

الى اوان البلوغ والتربية فى هذه المدة للنفس وصفاتها لاستحكام القالب لحمل اعباء تكاليف الشريعة وهما
اعنى الروح والقلب يخافون ان تستلبهم النفس وصفاتها ويغتالهم الشيطان واعوانه فآواكم الى حظائر
القدس وايدكم بنصره بالواردات الربانية ورزقكم من الطيبات اى من المواهب الطاهرة من لوث الحدوث
لعلكم تشكرون فتستحقون المزيد * شكر نعمت نعمتت افزون كند * كفر نعمت از كفت بيرون كند *
والعمدة قلة الاكل وكثرة الشكر والطاعة ويقال اربع فى الطعام فريضة ان لا يأكل الا من الحلال وان يعلم
انه من الله تعالى وان يكون راضيا وان لا يعصى الله مادامت قوة ذلك الطعام فيه واربع سنة ان يسمى الله
فى الابتداء وان يحمد الله فى الانتهاء وان يغسل يديه قبل الطعام وبعده وان يثنى رجله اليسرى وينصب اليمنى
على الجلوس واربع آداب ان يأكل مما يليه وان يصغر اللقمة وان يمضغها مضغا ناعما وان لا ينظر الى لقمة غيره
واثنان دوآء ان يأكل ماسقط من المائدة وان يلعق القصعة واثنان مكروهان ان يشم الطعام وان ينفخ فيه
ولا يأكل حارا حتى يبرد فان اللذة فى الحار والبركة فى البارد فعلى العاقل السعى فى طلب مرضاة الله تعالى
بتحصيل القوت الحلال وكثرة شكر المنعم المفضال ولله على العبد نعم ظاهرة وباطنة والطاف جلية وخفية
(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) أصل الخون النقص كما ان أصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد
الامانة لتضمنه اياه فانك اذا خنت الرجل فقد ادخلت عليه النقصان (روى) انه عليه السلام حاصر بنى قريظة
احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا
من الشام فأبى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فأبوا وقالوا ارسل الينا ابالبابة بن عبد المنذر
وكان مناصحا لهم لان عياله وماله كانت فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ماترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى
حلقه بالذبح اى ان حكم سعد فيكم ان تقتلوا صبرا فلا تنزلوا على حكمه يقال فلان مقتول صبرا اذا صار
محبوسا على القتل حتى يقتل قال ابولبابة فمازالت قدماى من مكانهما حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله
وذلك لانه عليه السلام اراد منهم ان ينزلوا على حكم سعد ويرضوا بما حكم فيهم وهو صرفهم عنه فنزلت هذه
الآية فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب
الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله
لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه عليه السلام فحله فقال ان من تمام توبتى
ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزئك الثلث ان تتصدق به
(وتخونوا اماناتكم) فيما بينكم اى لا تخونوها فهو مجزوم معطوف على الاول (وأنتم تعلمون) انكم تخونون
يعنى ان الخيانة توجد منكم عن عمد لا عن سهو ولما نهى عن الخيانة نبه على ان الداعى اليها انما هو حب المال
والاولاد ألا ترى ان ابالبابة انما حمله على مافعل ماله وأهله وولده الذين كانوا فى بنى قريظة لانه انما ناصحهم
لاجلهم وخان المسلمين بسببهم فقال (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) الفتنة قد تطلق على الآفة
والبلاء وقد تطلق على الابتلاء والامتحان فالمعنى على الاول انما اموالكم واولادكم اسباب مؤدية الى الوقوع
فى الآفة التى هى ارتكاب المعصية فى الدنيا والوقوع فى عقاب الآخرة وعلى الثانى انها اسباب لوقوع العبد
فى محن الله تعالى واختباره حيث يظهر من اتبع الهوى ممن آثر رضى المولى (وان الله عنده اجر عظيم)
لمن آثر رضى الله وراعى حدوده فيهم فأنيطوا اى علقوا هممكم بما يؤديكم اليه ولا يحملنكم حبهما
على الخيانة احد انطاكى فرموده كه حق سبحانه وتعالى مال وفرزند را فتنه كفت تا از فتنه بكسوريم
ومايبوسته فتنه را زيادت ميخواهيم * جوان وبيركه دربند مال وفرزندند * نه عاقلند كه طفلان
ناخردمندند * قال بعض السلف كل ماشغلك عن الله سبحانه من مال وولد فهو مشؤم عليك واما ما كان
من الدنيا يقرب من الله ويعين على عبادته فهو المحمود بكل لسان المحبوب لكل انسان (قال فى المثنوى)
جيست دنيا از خدا غافل بدن * نى قماش ونقره وميزان وزن * مال را كز بهر دين باشى حمول *
نعم مال صالح خواندش رسول * آب در كشتى هلاك كشتى است * آب اندر زير كشتى پشتى است *
جونكه مال وملك را از دل براند * زان سليمان خويش جز مسكين نخواند * وفى الحديث ان العبد
اذا قال لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله من عصى ربه فعلى العاقل ان لا يشتغل بسب الدنيا ولعنها بل يلوم

نفسه واعتمها فى حب الدنيا قال ابو يزيد قدس سره جمعت فكرى واحضرت ضميرى ومثلت نفسى واقفا بين يدى ربى فقال لى يا ابا يزيد بأى شئ جئتنى قلت يارب بالزهد فى الدنيا قال يا ابا يزيد انما كان مقدار الدنيا عندى مثل جناح بعوضة ففيم زهدت منها فقلت الهى وسيدى استغفرك من هذه الحالة جئت بالتوكل عليك قال يا ابا يزيد ألم اكن ثقة فيما ضمنت لك حتى توكلت على قلت الهى وسيدى استغفرك من هاتين الحالتين جئتك بالافتقار اليك فقال عند ذلك قبلناك فهذه حال العارفين بالله تعالى وفوا عهودهم فى طلبه فجعلهم الله امناء لاسراره واعلم ان الخيانة على انواع فالفرائض والسنن اعمال ائتمن الله تعالى عليها عباده ليحافظوا على اداءها فى اوقاتها برعاية حدودها وحقوقها فمن ضيعها فقد خان الله تعالى فيها والوجود وما يتبعه من الاعضاء والقوى امانات والاهل والاولاد والاموال امانات والاماء والعبيد وسائر الخدم امانات والسلطنة والوزارة والامارة والقضاء والفتوى وما يلحقها امانات وفى الحديث من قلد انسانا عملا وفى رعيته من هو اولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين (قال السعدى) كسى راكه باخواجه تست جنك * بدستش جرا ميدهى جوب وسنك * سك آخركه باشد كه خوانش نهند * بفرماى تا استخوانش دهند * وفى الحديث انا ثالث الشريكين ما لم يخن احدهما صاحبه فاذا خان خرجت من بينهما وجاء الشيطان ففى كل ذلك يلزم العبد أن يكون امينا غير خائن والا فقد تعرض لسخط الله تعالى ونعوذ بالله منه قال ابن عباس رضى الله عنه كلب امين خير من صاحب خاون وكان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم وكان شديد المحبة لهم فخرج فى بعض منتزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فاكلا وشربا ثم اضطجعا فوثب الكلب عليهما فلما رجع الحارث الى منزله وجدهما قتيلين فعرف الامر (فانشد يقول)

وما زال يرعى ذمتى ويحوطنى * ويحفظ عرسى والخليل يخون

فيا عجبا للخل يحلل حرمتى * ويا عجبا للكلب كيف يصون

والاشارة فى الآية يا أيها الذين آمنوا اى يا أيها الارواح والقلوب المنورة بنور الايمان المستعدة بسعادات العرفان لا تخونوا الله فيما آتاكم من المواهب فتجعلوها شبكة الدنيا واصطياد أهلها والرسول بترك السنة والقيام بالبدعة وتخونوا اماناتكم فالامانة هى محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات يشير الى ان ارباب القلوب واصحاب السلوك اذا بلغوا الى اعلى مراتب الطاعات والقربات ثم التفتوا الى شئ من الدنيا وزينتها وخانوا الله بنوع من التصنع وخانوا الرسول بالتبدع وترك التتبع تعدى الخيانة وآفاتها الى الامانة التى هى المحبة فتسلب منهم بالتدريج فيكون لهم ركونهم الى الدنيا وسكونهم الى جمع الاموال حرصا على الاولاد وأنتم تعلمون انكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى بالاولى واعلموا انما اموالكم واولادكم التى تعرضون عن الله لها فتنة يختبركم الله بها لكى يتميز الموافق من المنافق والصديق من الزنديق فمن اعرض عن الدنيا وما فيها صدق فى طلب المولى وان الله عنده اجر عظيم فمن ترك ما عنده فى طلب ما عند الله يجده عنده اوان الله عنده اجر عظيم والعظيم هو الله فى الحقيقة فيجد الله تعالى كذا فى التأويلات النجمية (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله) اى فى كل ما تأتون وتذرون (يجعل لكم) بسبب ذلك (فرقانا) هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل اونصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين كما قال تعالى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان واراد به يوم عز المؤمنين وخذلان الكافرين (ويكفر عنكم سيئاتكم) اى يسترها والفرق بين السيئة والخطيئة ان السيئة قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانه من الخطأ (ويغفر لكم) ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها (والله ذو الفضل العظيم) اى عظيم الفضل على عباده وهو تعليل لما قبله وتنبيه على ان وعد الله لهم على التقوى تفضل واحسان لانه مما يوجب التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل وفى الآية امور * الاول التقوى وهو فى مرتبة الشريعة ما اشير اليه بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وفى مرتبة الحقيقة ما اشير اليه بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته * متقى آنست كه حق سبحانه وتعالى را وقايه خود كرفته باشد درذات وصفات وافعال وفعل او در افعال حق فانى شده باشد وصفات او در صفات حق مستهلك كشته * كم شده جون سايه نور آفتاب * باجو بوى كل دراجزاى كلاب * قال ابن المبارك سألت الثورى من الناس فقال العلماء قلت من الاشراف قال المتقون قلت من الملوك قال الزهاد قلت من الغوغاء قال القصاص الذين

يستأكلون اموال الناس بالكلام قلت من السفلة قال الظلمة * الثانى ان التقوى اسندت الى المخاطبين وجعل الفرقان الى الله تعالى فالله تعالى اذا اراد بالعبد خيرا اصطفاه لنفسه وجعل فى قلبه سراجا من نور قدسه يفرق به بين الحق والباطل والوجود والعدم والحدوث والقدم ويتبصر به عيوب نفسه كما حكى عن احمد بن عبد الله المقدسى قال صحبت ابراهيم بن ادهم فسألته عن بداية امره وما كان سبب انتقاله من الملك الفانى الى الملك الباقى فقال لى يا اخى كنت جالسا يوما فى اعلى قصر ملكى والخواص قيام على رأسى فأشرفت من الطاق فرأيت رجلا من الفقراء جالسا بفناء القصر وبيده رغيف يابس فبله بالماء واكله بالملح الجريش وانا انظر اليه الى ان فرغ من اكله ثم شرب شيأ من الماء وحمد الله تعالى واثنى عليه ونام فى فناء القصر فألهمنى الله سبحانه وتعالى الفكر فيه فقلت لبعض مماليكى اذا قام ذلك الفقير فأتنى به فلما استيقظ من نومه قال له الغلام يا فقير ان صاحب هذا القصر يريد أن يكلمك قال بسم الله وبالله وتوكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقام معه ودخل علىّ فلما نظر الىّ سلم علىّ فرددت عليه السلام وامرته بالجلوس فجلس فلما اطمأن قلت له يا فقيرا كلت الرغيف وأنت جائع فشبعت قال نعم قلت وشربت الماء على شهوة فرويت قال نعم قلت ثم نمت طيبا بلا هم وغم فاسترحت قال نعم فقلت فى نفسى وانا اعاتبها يا نفس ما اصنع بالدنيا والنفس تقنع بما رأيت وسمعت فعقدت التوبة مع الله تعالى فلما انصرم النهار واقبل الليل لبست مسحا من صوف وقلنسوة من صوف وخرجت حافيا سائحا الى الله تعالى وهذه احدى الروايتين فى بداية امره * والثالث ان المغفرة فضل عظيم من الله تعالى فلا بد للمرء من حسن الظن بالله تعالى فانها ليست بمقطوعة قيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انى اعلمك خمس كلمات هن عماد الدين مالم تعلم ان قد زال ملكى فلا تترك طاعتى * همه تخت وملكى بذير دزوال * بجز ملك فرمانده لا يزال * ومالم تعلم ان خزآئنى قد نفدت فلا تهتم برزقك * دردا آنرقسمت مانقطه تسليم * لطف آنچه تو انديشى وحكم آنچه تو فرمايى * ومالم تعلم ان عدوك قد مات يعنى ابليس فلا تأمن مفاجأته ولا تدع محاربته * بكاسر برآريم ازين عاروننك * كه با او بصلحيم وباحق بجنك * ومالم تعلم انى قد غفرت لك فلا تعب المذنبين * مكن بنامه سياهى ملامت من مست * كه آكه است كه تقدير برسرش چه نوشت * ومالم تدخل جنتى فلا تأمن مكرى * زاهد ايمن مشو ازبازئ غيرت زنهار * كه ره از صومعه تادير مغان اين همه نيست * فعلى العاقل ان يجتهد الى آخر العمر كى يكفر الله عنه سيئات وجوده الفانى ويستره بأنوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم لمن تجاوز عما عنده راغبا فيما عند الله والفضل العظيم هو البقاء بالله بعد الفناء فيه كما فى التأويلات النجمية (واذ يمكر بك الذين كفروا) تذكير لمكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم قال ابن اسحق لما رأوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة واصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج اصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا انهم قد نزلوا دارا واصابوا سعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا انه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له فى دار الندوة وهى الدار التى بناها قصى ابن كلاب بمكة وكانت قريش لا تقضى امرا الا فيها وسميت دار الندوة لانهم ينتدون فيها اى يجتمعون للمشاورة والندى والندوة والنادى مجلس القوم ومتحدثهم فان تفرق القوم عنه لا يسمى نديا كما لا يسمى الظرف كاسا اذا لم يكن فيه شراب فتشاوروا فى امر النبى عليه السلام منهم عتبة وشيبة ابنا ابى ربيعة وابو جهل وابو سفيان والنضر بن الحارث وابو البخترى بن هشام وابى بن خلف وزمعة بن الاسود وغيرهم من الرؤساء والاكابر فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ كبير عليه ثياب اطمار فجلس بينهم فقالوا مالك يا شيخ دخلت فى خلوتنا بغير اذننا فقال انا رجل من اهل نجد قدمت مكة فاراكم حسنة وجوهكم طيبة روائحكم فأحببت ان اسمع حديثكم فأقتبس منكم خيرا فدخلت وان كرهتم مجلسى خرجت وما جئتكم الا انى سمعت باجتماعكم فاردت ان احضر معكم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقالوا هذا رجل لا بأس عليكم منه فتكلموا فيما بينهم فبدأ عمرو بن هشام فقال اما انا فأرى ان تأخذوا محمدا فتجعلوه فى بيت تسدون عليه بابه وتشدون عليه وثاقه وتجعلون له كوة تدخلون عليه طعامه وشرابه فيكون محبوسا عندكم الى ان يموت فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقالوا صدق والله الشيخ ثم تكلم ابو البخترى فقال ارى ان تحملوه على بعير فتشدوا وثاقه عليه ثم تخرجوه من ارضكم حتى يموت او يذهب حيث شاء فقال ابليس بئس الرأى تعمدون الى رجل افسد

جماعتكم ومعه منكم طائفة فتخرجوه الى غيركم فيأتيهم فيفسد منهم ايضا جماعة بما يرون من حلاوة كلامه وطلاقة لسانه وتجتمع اليه العرب وتستمع الى حسن حديثه ثم ليأتينكم بهم فيخرجكم من دياركم ويقتل اشرافكم فقالوا اصدق والله الشيخ فتكلم ابو جهل فقال ارى ان يجتمع من كل بطن منكم رجل ويأخذون السيوف فيضربونه جميعا ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يدرى قومه من يأخذونه ولا يقومون على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال ابليس صدق والله هذا الشاب وهو أجودكم رايا القول قوله لا ارى غيره فتفرقوا على رأيه فنزل جبرائيل عليه السلام فاخبر النبى بذلك وامره ان لا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه وامره بالهجرة الى المدينة فبيت عليا رضى الله عنه على مضجعه وخرج هو مع ابى بكر الصديق رضى الله عنه الى الغار والمكر حيلة وتدبير فى اهلاك احد وافساد امره بطريق الخفية بحيث لا يعلم المرء ذلك الا عند وقوعه والمعنى اذكر يا محمد وقت مكرهم بك (ليثبتوك) بالوثاق والحبس فان اثبات الشئ وتثبيته عبارة عن الزامه بموضع ومن شد فقد اثبت لانه لا يقدر على الحركة والمراد ما قال عمرو بن هشام (او يقتلوك) اى بسيوفهم المختلفة وهو ما قال ابو جهل (او يخرجوك) اى من مكة من بين اظهرهم الى غيرهم وهو ما قال ابو البخترى (ويمكرون ويمكر الله) اى يرد مكرهم عليهم والمكر وأمثاله لا يسند اليه تعالى الا على طريق المقابلة والمشاكلة ولا يحسن ابتداء لتضمنه معنى الحيلة والخدعة وهى لا تليق بعظمة الله تعالى (والله خير الماكرين) لا يعبأ بمكرهم عند مكره قال الحدادى لانه لا يمكر الا بحق وصواب ومكرهم باطل وظلم واعلم ان للخلق مكرا وللحق مكرا فمكر الخلق من الحيلة والعجز ومكر الخالق من الحكمة والقدرة فمكر الخلق مع مكر الحق باطل زاهق ومكر الحق حق ثابت (قال الحافظ) سحر با معجزه پهلو نزند ايمن باش * سامرى كيست كه دست از يد بيضا ببرد (وقال آخر) صعوه كو با عقاب سازد جنك * دهد از خون خود برش رارنك * قال ابو العيناء كانت لى خصماء ظلمة فشكوتهم الى احمد بن ابى دؤاد وقلت قد تظاهروا فصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق ايديهم فقلت لهم مكر فقال ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فقلت هم كثير فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله * هركرا اقبال باشد رهنمون * دشمنش كردد بزودى سرنكون * وجد فى وقائع الاسكندر مكتوبا بالذهب اذا كان الله هو غاية الغايات فالمعرفة به اجل العبادات واذا كان الموت حقا فالركون الى الدنيا غرور واذا كان القدر حقا فالحرص على الدنيا باطل واذا كان الغدر فى النفوس طبعا فالثقة بكل احد عجز واذا كان الله عدلا فى احكامه فعقوبات الخلق بما كسبت ايديهم ولما قصد ابو جهل اضرار النبى عليه السلام بالقتل قتله الله فى بدر وازال شره عن المسلمين وذلك عدل محض منه تعالى فانظر الى قريش حيث شاهدوا الآيات العظام من جهة النبى عليه السلام فما زادوا الا كفرا وعنادا وعداوة فهم اشد الناس فى ذلك ولو رأى اليوم واحد من الكفرة كرامة لولى امسك عن الاذى بل سارع الى التبجيل كما حكى ان بعض سلاطين الكفار استولى على بعض المسلمين بسفك دمائهم ونهب اموالهم واراد ان يقتل فقراء بعض المشايخ فاجتمع به الشيخ ونهاه عن ذلك فقال لهم السلطان ان كنتم على الحق فاظهروا لى آية فأشار الشيخ الى بعر الجمال هنالك فاذا هى جواهر تضيئ واشار الى كيزان الارض فارغة من الماء فتعلقت فى الهواء وامتلأت ماء وافواهها منكسة الى الارض ولا يقطر منها قطرة فدهش السلطان من ذلك فقال له بعض جلسائه لا يكبر هذا فى عينك فانه سحر فقال له السلطان ارنى غير هذا فامر الشيخ بالنار وامر الفقراء بالسماع فلما عمل فيهم الوجد دخل بهم الشيخ الى النار وكانت نارا عظيمة ثم خطف الشيخ ولد السلطان ودار به فى النار ثم غاب به ولم يدر أين ذهبا والسلطان حاضر فبقى متفجعا على ولده فلما كان بعد ساعة ظهرا وفى احدى يدى ابن السلطان تفاحة وفى الاخرى رمانة فقال له السلطان اين كنت فقال كنت فى بستان فأخذت منه هاتين الحبتين وخرجت فتحير السلطان من ذلك فقال له جلساء السوء وهذا ايضا عمل بصنعة باطلة فقال السلطان عند ذلك كل ما تظهره لا اصدق به حتى تشرب من هذه الكأس واخرج له كأسا مملوءة سما تقتل القطرة منه فى الحال فأمر الشيخ بالسماع حتى وصل اليه الحال فاخذ الكأس حينئذ وشرب جميع ما فيها فتمزقت ثيابه التى عليه فالقوا عليه ثيابا اخرى فتمزقت كذلك ثم اخرى مرارا عديدة ثم ترشح عرقا وبقيت الثياب بعد ذلك ولم تتقطع فاعتقده السلطان وعظمه وبجله ورجع عن ذلك القتل والافساد ولعله اسلم والله اعلم (واذا تتلى)

(روى) ان النضر بن الحارث من بنى عبد الدار كان يختلف تاجرا الى فارس والروم والحيرة فيسمع اخبار رستم واسفنديار واحاديث العجم واشترى احاديث كليلة ودمنة وكان يمر باليهود والنصارى فيراهم يقرأون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ويقرأ القرءآن فطفق يقعد مع المستهزئين وهو منهم ويقرأ عليهم اساطير الاولين اى ماسطروه فى كتبهم من اخبار الامم الماضية واسمائهم وكان يزعم انها مثل ما يذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من قصص الاولين فقال تعالى واذا تتلى (عليهم) اى على النضر ومتابعيه (آياتنا) القرءآنية (قالوا سمعنا) هذا الكلام (لونشاء لقلنا مثل هذا) وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد وكيف لا ولو استطاعوا شيأ من ذلك فما الذى كان يمنعهم من المشيئة وقد تحداهم عشر سنين فما استطاعوا معارضته مع فرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا فى باب ما يتعلق بالفصاحة والبيان فلما تحقق افحامهم دعتهم شدة المكابرة والعناد الى ان علقوا معارضته بمشيئتهم (ان) ما (هذا الا اساطير الاولين) اى ماسطره الاولون من القصص جمع اسطورة وهى المسطورة المكتوبة وفى التأويلات النجمية قالوا قد سمعنا وما سمعوا على الحقيقة فانها قرءآن يهدى الى الرشد كما سمعت الجن وانهم سمعوا اساطير الاولين ولهذا قالوا ما قالوا فانهم يقدرون على ان يقولوا اساطير الاولين ولكن لا يقدرون على ان يقولوا مثل القرءآن لان القرءآن كلام الله وصفته القديمة وما يقولون هو كلام المحدث المخلوق فلا يكون مثل القرءآن فى الصورة والمعنى والحقيقة والاسرار والانوار ولا يقدر على مثله الخلائق كلهم كما قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرءآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (وفى المثنوى) چون كتاب الله برآمد هم بران * اين چنين طعنه زدند آن كافران * كه اساطيراست وافسانه نژند * نيست تعميق وتحقيقى بلند * كودكان خرد فهمش ميكنند * نيست جز امر پسند ونا پسند * ذكر يوسف ذكر زلف پرخمش * ذكر يعقوب وزليخا وغمش * ظاهراست وهر كسى پى ميبرد * كو بيان كه كم شود در روى خرد * كفت اكر آسان نمايد اين بتو * اينچنين يك سوره كواى سخت رو * جنيان وانسيان واهل كار * كو يكى آيت ازين آسان بيار (واذ قالوا) اى واذكر وقت قول النضر ومتابعيه (روى) انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال النبى صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال (اللهم) بارخدايا (ان كان هذا) القرءآن (هو) ضمير فصل لا محل له من الاعراب (الحق) المنزل (من عندك) ومعنى الحق بالفارسية راست ودرست (فامطر علينا حجارة) نازلة (من السماء) عقوبة علينا كما امطرتها على قوم لوط واصحاب الفيل (او ائتنا بعذاب اليم) سواه مما عذب به الامم والمراد به التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وحاشاه قيل نزل فى النضر بن الحارث بضع عشرة آية فحاق به ماسأل من العذاب يوم بدر فانه عليه السلام قتل يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا وهم طعيمة بن عدى وعقبة بن ابى معيط والنضر بن الحارث وكان قد اسره المقداد بن الاسود فانظر انه من غاية ضلالته وجهالته قال ما قال ولم يقل بدلا عنه اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه ومتعنا به واجعله شفاء قلوبنا ونوّر به صدورنا وامثال هذا فكيف يمن يكون هذا حاله ان يكون مثل القرءآن مقاله (وما كان الله) مريدا (ليعذبهم وانت فيهم) لان العذاب اذا نزل عم ولم يعذب امة الا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها وفيه تعظيم للنبى عليه السلام وحفظ لحرمته وقد ارسله الله تعالى رحمة للعالمين والرحمة والعذاب ضدان والضدان لا يجتمعان قيل ان الرسول عليه السلام هو الامان الاعظم ما عاش ودامت سنته باقية والآية دليل على شرفه عليه السلام واحترامه عند الله حيث جعله سببا لامان العباد وعدم نزول العذاب وفى ذلك ايماء الى ان الله تعالى يرفع عذاب قوم لاقترانهم بأهل الصلاح والتقى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره جميع الانتظام بوجوده الشريف فانه مظهر الذات وطلسم العوالم حتى قيل فى وجه عدم ارتحال جسده الشريف من الدنيا مع ان عيسى عليه السلام قد عرج الى السماء بجسده انه انما بقى جسمه الطاهر هنا لاصلاح عالم الاجساد وانتظامه (قال الشيخ العطار قدس سره) خويشتن را خواجه عرصات كفت * انما انا رحمة مهداة كفت * رزقنا الله شفاعته (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) المراد استغفار من بقى فيهم من المؤمنين المستضعفين الذين لا يستطيعون المهاجرة عنهم وقيل معناه وفى اصلابهم من يستغفر وقيل معناه وفيهم من يأول امره الى الاستغفار من الكفر قال امير المؤمنين

على المرتضى رضى الله عنه كان فى الارض امانان فرفع احدهما وبقى الآخر فاما الذى رفع فهو رسول الله واما الذى بقى فالاستغفار وقرأ بعده هذه الآية وفى نفائس المجالس المؤمن الصادق فى ايمانه لايعذبه الله فى الآخرة لان نبيه يكون فيهم يوم القيامة واقسم الله سبحانه ان لايعذب امته مادام هو بينهم والصدق فى التوبة يؤدى الى النجاة وهو الندم مع الاقلاع لا باللسان فقط واستغفار العوام من الذنوب واستغفار الخواص من رؤية الاعمال دون رؤية المنة والفضل واستغفار الاكابر من رؤية شئ سوى الله * گفت حق امرزش از من مى طلب * كان طلب مرعفورا باشد سبب * ازپى زهركناه اربشنوى * هست استغفار ترياق قوى (وما لهم ان لايعذبهم الله) اى اى شئ حصل لهم فى انتفاء العذاب عنهم يعنى لاحظ لهم فى ذلك وهم معذبون لامحالة بعد زوال المانع والموجب لامهالهم وهما الامران المذكوران وكيف لايعذبون (وهم) اى والحال انهم (يصدون) يمنعون الرسول والمؤمنين (عن المسجد الحرام) اى عن طواف الكعبة شرفها الله كما وقع عام الحديبية ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فرد الله عليهم بقوله (وما كانوا اولياءه) اى مستحقين ولاية امر المسجد الحرام مع شركهم (ان اولياؤه الا المتقون) من الشرك الذين لايعبدون فيه غيره (ولكن اكثرهم لايعلمون) ان لاولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد بأكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وفى التأويلات ان اولياؤه الا المتقون فيه اشارة الى ان الولى هو المتقى بالله عما سواه ولكن اكثرهم لايعلمون اى ولكن الاكثرين من الاولياء لايعلمون انهم أهل الولاية وبه يشير الى ان بعض الاولياء يجوز ان يعلم انه ولى ولكن الاكثرين من الاولياء لايعلمون انهم اولياء الله (وما كان صلاتهم) اى دعاء المشركين (عند البيت) اى بيت الله وهو الكعبة (الا مكاء) صفيرا من مكا يمكو مكوا ومكاء اذا صفر وقال الجزائرى المكاء طائر ابيض يكون فى الحجاز يصفر فسمى تصويته باسمه (وتصدية) تصفيقا وهو تصويت اليدين بضرب احداهما على الاخرى واصلها احداث الصدى وهو مايسمع من رجع الصوت فى الامكنة الخالية الصلبة يقال صدى يصدى تصدية وكان تقرب المشركين الى الله بالصفير والتصفيق يفعلونهما عند البيت مكان الدعاء والتسبيح وبعدونهما نوعا من العبادة والدعاء لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كانت قريش يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون فساق الآية لتقرير استحقاقهم العذاب وعدم ولايتهم المسجد فانها لاتليق بمن هذه صلاته وقال مقاتل كان النبى عليه السلام اذا صلى فى المسجد قام رجلان من بنى عبد الدار عن يمينه ورجلان عن يساره فيصفرون كما يصفر المكاء ويصفقون بأيديهم ليخلطوا على النبى عليه السلام صلاته وقرآنه وكانوا يفعلون كذلك بصلاة من آمن به ويريدون انهم يصلون ايضا فالمراد بالصلاة على هذا التقدير هى المأمور بها (فذوقوا العذاب) اى عذاب القتل والاسر يوم بدر ويقال اراد بهذا انه يقال لهم يوم القيامة فذوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) اعتقادا وعملا فالكفر والمعصية سبب للوقوع فى العذاب والتوبة والاستغفار وسيلة الى فيض الرحمة من الوهاب وهى صابون الاوزار فحيث لاتوبة ولا طهارة كما ان كل مسلم لايصلح لأن يلى امر مسجد القلب وانما يليق بولايته من كان فارغا من الشواغل معرضا عن العلائق طاهرا من العيوب والله تعالى لايعذب اولياءه بعد ادخالهم جنات التجليات العالية والاذواق والحالات المتوالية فانهم تخلصوا من الوجود المضاف الى النار المشابه للحطب ومابقى فيهم غير النور الالهى المضيئ فى بيت القلب الحقانى وانما يعذب بعدله من لم يستعد للرحمة ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا ليخلصه من ذلك اللوث فالاقتداء بالنبى عليه السلام وقبول ماجاء به من الاحكام والشرائع مؤد الى الخلاص وسبب للتصفية فعليك بالاختيار والاجتناب فانهما فرضان وحقيقة التقوى عبارة عن كليهما وبالاحتماء يصح المريض ومعالجة القلوب المرضى اولى من كل امر وأهم من كل شئ للعبد العاقل وذلك بالتقوى واحياء سنة خير الورى وفى الحديث من احيى سنتى فقد احيانى ومن احيانى فقد احبنى ومن احبنى كان معى فى الجنة يوم القيامة وفى الحديث ايضا من حفظ سنتى اكرمه الله باربع خصال المحبة فى قلوب البررة والهيبة فى قلوب الفجرة والسعة فى الرزق والثقة بالدين فان فاتت صحبة الرسول فقد تيسرت صحبة سنته وصحبة من احب سنته وذلك ماض الى يوم القيامة ولصحبة الكبار واقتران المتقين تأثير عظيم ولاستماع كلام الحق والرسول نفع تام ولكن

العمدة توفيق الله وهدايته نسأل الله تعالى ان يصحح اغراضنا ويكثر صالحات اعمالنا واعواضنا ويؤيدنا بنور الكتاب والسنة ويشرفنا بالمقامات العالية فى الجنة (ان الذين كفروا) نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من اشراف قريش يطعم كل واحد منهم عسكر الكفار كل يوم عشر جزر وهو جمع جزور وهو البعير ذكرا كان او انثى الا ان لفظه مؤنث تقول هذه الجزور وان اردت ذكرا (ينفقون اموالهم) على عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم (ليصدوا) اى يمنعوا الناس (عن سبيل الله) اى دين الله واتباع رسوله لانه طريق ثوابه والخلود فى جنته لمن سلكه على ما امر به واللام فى ليصدوا لام الصيرورة وهى لام العاقبة والمآل (فسينفقونها) بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم وهو انفاق بدر والثانى اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد بأن يكون ينفقون للاستمرار التجددى ويكون السين فى قوله فسينفقونها للتأكيد لا للتسويف فيتحد الانفاقان الا ان مساق الاول لبيان غرضهم من الانفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته (ثم تكون) تلك الاموال (عليهم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود ولما كانت عاقبة انفاقها حسرة فى قلوبهم جعلت ذوات الاموال كأنها عين الحسرة للمبالغة قال الحدادى والحسرة مأخوذة من الكشف يقال حسر رأسه اذا كشفه والحاسر كاشف الرأس فيكون المعنى ثم يكشف لهم عن ذلك ما يكون حسرة عليهم (ثم يغلبون) آخر الامر وان كانت الحرب بينهم سجالا قبل ذلك (والذين كفروا) وأصروا على الكفر (الى جهنم يحشرون) اى يساقون لا الى غيرها (ليميز الله) اللام متعلقة بيحشرون او يغلبون والميز بالفارسية جدا كردن (الخبيث) فريق الكفار (من الطيب) فريق المؤمنين (ويجعل) الفريق (الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) اى يجمعهم ويضم بعضهم الى بعض حتى يتراكموا ويتزاحموا فالركم ليس عبارة عن الجمع مطلقا بل هو الجمع بين الاشياء بحيث يتراكب بعضها فوق بعض ومنه السحاب المركوم (فيجعله فى جهنم) كله (اولئك) الفريق الخبيث (هم الخاسرون) الكاملون فى الخسران لانهم خسروا اموالهم وانفسهم والاشارة ان الله تعالى خلق الروح نورانيا علويا وخلق النفس ظلمانية سفلية ثم اشرك بينهما وجعل رأس مالهما الاستعداد الفطرى القابل للترقى والكمال فى القربة والمعرفة والخسارة والنقصان فى التجر فآمن وجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله وطلبه وبلغ مبلغ الرجال البالغين فقد ربح روحه ونفسه جميعا ومن آمن بالله ورسوله لكن وجد منه العصيان ومخالفة الشريعة فقد ربح روحه وخسر نفسه ومن لم يؤمن بالله ورسوله وكفر بهما فقد خسر روحه ونفسه جميعا قيل دخل على الشبلى قدس سره فى وقت وفاته وهو يقول يجوز فقيل له ما معنى قولك يجوز فقال خلق الله الروح والنفس واشرك بين الروح والنفس فعملا واتجرا سنين كثيرة فخوسبا فاذا هما قد خسرا وليس معهما ربح فقد عزما على الافتراق وانا اقول شركة لا ربح فيها يجوز أن يقع بين الشريكين افتراق (قال السعدى) كوس رحلت بكوفت دست اجل * اى دو چشمم وداع سر بكنيد * اى كف ودست وساعد وبازو * همه توديع يكدكر بكنيد * برمن افتاده مرك دشمن كام * آخر اى دوستان حذر بكنيد * روزكارم بشد بنادانى * من نكردم شما حذر بكنيد * فعلى العاقل ان يجتهد قبل مجيء الفوت ويربح فى تجارته ببذل النفس والمال والطيب من الاموال ما يبذل فى طلب الله على الطالبين والخبيث ما يلتفت اليه الطالب من غير حاجة ضرورية فيشغله عن الله وطلبه فيكون قاطع طريقه وروى ان الله تعالى يضم الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيها فى جهنم ويعذب اربابها كقوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وروى ان ابا سفيان استأجر ليوم احد ألفين من العرب على محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب اى صار جيشا وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا وفى القاموس سبعة مثاقيل فانظر الى الكفار وجسارتهم على الانفاق لغرض فاسد وهو الصد عن سبيل الله واقل من القليل من المسلمين من يبذل ماله ولو قليلا لجذب القلوب والوصول الى رضى المحبوب فلا بد للمرء من قطع النفس عن مألوفها وهو حب المال ومن كلمات الجنيد قدس سره ما اخذنا التصوف عن القال والقيل لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رجل يا رسول الله اى الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من قال رجل معتزل فى شعب من

الشهاب يبدر به ويدع الناس من شره وفيه دليل على فضل العزلة وهى مستحبة عند فساد الزمان وتغير الاخوان وتقلب الاحوال ووقوع الفتن وتراكم المحن كما فعله جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وقد كان النبى عليه السلام عند تقلب الاحوال واختلاف الرجال وكثرة القيل والقال يأمر بالاعتزال وملازمة البيوت وكسر السيوف واتخاذها من العراجين والخشب قال الامام الغزالى ان السلف الصالح اجمعوا على التحذر من زمانهم واهله وآثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا بها ولا شك انهم كانوا بصدد النصح وان الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان بل ادهى وامر (قال الحافظ) تو عمر خواه وصبورى كه چرخ شعبده باز * هزار بازى ازين طرفه تر برانكيزد

ان دام هذا ولم يحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

اللهم اجعلنا من الصابرين (قل للذين كفروا) اللام للتعليل اى لاجلهم والمراد ابو سفيان واصحابه (ان ينتهوا) عن معاداة الرسول بالدخول فى الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) من ذنوبهم قبل الاسلام (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنة الاولين) الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر انتقمنا منهم واهلكناهم فليتوقعوا مثل ذلك وانشد بعضهم

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف * ثم انتهى عما اتاه واقترف

لقوله قل للذين كفروا * ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

(وقاتلوهم) وكارزار كنيد اى مؤمنان بأهل كفر (حتى) الى ان (لا تكون) نوجد منهم (فتنة) اى شرك يعنى مشركى نماند ازوثنى وأهل كتاب (ويكون الدين كله لله) وتضمحل الاديان الباطلة امابهلاك أهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم (وان تولوا) اى أعرضوا عن قبول الحق (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغلب من نصره وفى الآية حث على الجهاد وفى الحديث موقف ساعة فى سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الاسود وعن معاذ بن جبل قال عهد الينا رسول الله فى خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنا على الله تعالى من عاد مريضا او خرج مع جنازة او خرج غازيا فى سبيل الله او دخل على امام يريد بذلك تعزيره وتوقيره اوقعد فى بيته فسلم وسلم الناس منه وعن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حاجا فمات كتب الله له اجر الحاج الى يوم القيامة ومن خرج معتمرا فمات كتب الله له اجر المعتمر الى يوم القيامة ومن خرج غازيا فمات كتب الله له اجر الغازى الى يوم القيامة فعلى العاقل ان يجتهد فى احياء الدين بما امكن له من الاسباب ويتوقع النصرة الموعودة من رب الارباب ولا يلتفت الى مخلوق مثله فانهما سيان فى باب العجز خصوصا اذا كان استمداده من الفسقة كما يفعل ولاة الزمان فانه لا يجيئ خير لاهل الخير من اهل الشر والعدوان ونعم ما قيل * دركار دين زمردم بى دين مدد مخواه * ازماه منخسف مطلب نور صبحگاه * ثم ان حقيقة النصرة ان ينصرك الله تعالى على نفسك التى هى اعدى عدوك بقهر هواها وقمع مشتهاها فان انفتاح باب الملك فى الانفس سبب وطريق لانفتاح باب الملك فى الآفاق وكذا الملكوت * دوستى نفس رابكذار وبكذار ازهوس * همچو مردان طالب حق باش بى جوياى نفس * والاشارة وقاتلوا كفار النفوس والهوى بسيف الصدق حتى لا تكون النفس والهوى آفة مانعة لكم عن الوصول الى عالم الحقيقة ويكون الدين لله ببذل الوجود وفقد الموجود لنيل الجود فان انتهوا اى النفوس عن معاملاتها وتبدلت عن اوصافها وطاوعت القلوب والارواح وصارت مأمورة مطمئنة تحت الاحكام فان الله بما يعملون فى عبوديته وصدق طلبه بصير لا يخفى عليه تغيرها وقطميرها فيجازيهم على قدر مساعيهم وان اعرضوا عن الحقوق واقبلوا الى الشهوات والحظوظ فاعلموا أيها القلوب والارواح ان الله مولاكم فى الهداية وناصركم على قهر النفوس وقمع الهوى نعم المولى الذى هو وليكم لتهتدوا به اليه ونعم النصير فى دفع ما يقطعكم عنه وناصركم فى الوصول اليه واعلم ان النور الذى هو حقائق ما يستفاد من معانى الاسماء والصفات جند القلب الذى يقابل النفس والهوى والشيطان ونحو ذلك كما ان الظلمة التى هى معانى ما يستفاد من الهوى والعوائد الردية جند النفس التى به تتقوى آثارها والحرب بينهما سجال فاذا اراد الله ان ينصر عبده

على ماطلب منه امده بجنود الانوار فكلما اعترته ظلمة قام اليها نورفأذهبها وقطع عنه موادّ الظلم والاغيار فلم يبق للهوى مجال ولا للشهوة والاخلاق الذميمة مقال ولا حال كذا فى التأويلات النجمية وفى شرح الحكم العطائية نسأل الله سبحانه ان يمدنا بما امدبه اخياره و يفيض علينا من سجال فيضه انواره

(تم الجزء التاسع فى اواسط شهر ربيع الاول من سنة ألف ومائة وواحدة و يتلوه الجزء العاشر وهو هذا)

(واعلموا) أيها المؤمنون (انما) حق ماهذه ان تكتب منفصلة عن انّ لكونها موصولة كما فى قوله تعالى ان ماتوعدون لآت لكنها كتبت متصلة اتباعا للرسم اى الذى (غنمتم) اخذتموه وأصبتموه من الكفار قهرا وغلبة والغنم الفوز بالشئ واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان قالوا اذا دخل الواحد والاثنان دار الحرب مغيرين بغير اذن الامام فأخذوا شيأ لم يخمس لان الغنيمة هو المأخوذ قهرا وغلبة لا اختلاسا وسرقة هذا عند ابى حنيفة و يخمس عند الشافعى (من شئ) حال من عائد الموصول اى ماغنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضى المغنومة والآية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (فان لله خمسه) مبتدأ خبره محذوف اى حكمه ثابت فيما شرعه الله و بينه لعباده ان خمسه لله او خبر مبتدأ محذوف اى فالحكم ان لله خمسه والخمس بالفارسية پنج يك (وللرسول ولذى القربى) اعاد اللام فى لذى القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم فى سهم النبى صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه الصلاة والسلام وهم بنوا هاشم وبنوا المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل واعلم انه عليه السلام هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان لعبد مناف اربعة بنين هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل وكان لهاشم ولدان عبد المطلب واسد وكان لعبد المطلب عشرة بنين منهم عبد الله وابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب والحارث وزبير فكلهم ومايتفرع منهم هاشميون لكونهم من اولاد هاشم وعبد مناف هو ابن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وكل من كان من ولد النضر فهو قرشى دون ولد كنانة ومن فوقه فقريش قبيلة ابوهم النضر وانما خص ذووا قرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنى هاشم وبنى المطلب لانهم لم يفارقوه عليه السلام فى جاهلية ولا فى اسلام فكانت قرابتهم قرابة كاملة وهى القرابة نسبا وتواصلا فى حال العسر واليسر فأعطوا الخمس واما بنوا عبد شمس وبنوا نوفل فمع مساواتهما بنى المطلب فى القرب حرموا الخمس لان قرابة نوفل بالتواصل والتناصر لم تنضم الى قرابتهم النسبية (واليتامى) جمع يتيم وهو الصغير المسلم الذى مات ابوه يصرف اليه سهم من الخمس اذا كان فقيرا (والمساكين) جمع مسكين وهو الذى اسكنه الضعف عن النهوض لحاجته اى أهل الفاقة والحاجة من المسلمين (وابن السبيل) اى المسافر البعيد عن ماله (قال الكاشفى) ومسافران مسلمانان يا قومى كه بر مسلمانان نزول كنند واعلم ان اللام فى الآية لام الاستحقاق لخمس الغنيمة فاقتضى الظاهر ان تكون المصارف ستة اقسام لكن الجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم وافتتاح الكلام باسمه تعالى على طريق التبرك لا لان لله نصيبا من الخمس فان الدنيا والآخرة كلها له سبحانه فلا يسدس خمس الغنيمة بان يصرف سهم منها الى الله تعالى بصرفه الى عمارة الكعبة ان كانت قريبة والا فالى مسجد كل بلدة ثبت فيها الخمس كما ذهب اليه البعض او بضمه الى سهم الرسول كما ذهب اليه الآخر وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط بوفاته لان الانبياء لا يورثون قال ابن الشيخ لانه عليه السلام لم يخلفه احد فى الرسالة فلا يخلفه فى سهمه هذا عند الامام الاعظم واما الشافعى فيصرف سهمه عليه السلام الى مصالح المسلمين ومافيه قوة الاسلام وكذا سقط سهم ذوى القربى بوفاته عليه السلام فلا يعطى لهم لاجل قرابتهم بل يعطى لفقرهم وكان عليه السلام يعطيهم غنيهم وفقيرهم لقرابتهم لا لفقرهم حتى كان يعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله والحاصل ان ذوى القربى اسوة لسائر الفقراء اى يدخلون فيهم و يقدمون على غيرهم ولا يعطى اغنياؤهم وفى شرح الآثار عن ابى حنيفة ان الصدقات كلها اى فرضها ونفلها جائزة على بنى هاشم والحرمة كانت فى عهد النبى عليه السلام لوصول خمس الخمس اليهم فلما سقط ذلك بموته حلت لهم الصدقة قال الطحاوى وبالجواز نأخذ ولما سقط السهمان وهما سهم الرسول وسهم ذوى القربى

لخمس الغنيمة اليوم يجعل ثلاثة اقسام ويصرف الى ثلاثة اصناف اليتامى والمساكين وابناء السبيل وتقسم الاخماس الاربعة بين الغانمين للفارس سهمان وللراجل سهم وفي حياة الحيوان ان الفيل يتماثل به وراكبه يرضخ له اكثر من راكب البغل وفي التحفة هذه الثلاثة مصارف الخمس عندنا لا على سبيل الاستحقاق حتى لو صرفت الى صنف واحد منهم جاز (ان كنتم آمنتم بالله) متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقطعوا اطماعكم منه واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية ووجه دلالته عليه انه تعالى انما امر بالعلم بهذا الحكم ليعمل به لان العلم بمثل هذا المعلوم ليس مما يقصد لنفسه بل انما يقصد للعمل به (وما انزلنا) اي وبما انزلناه (على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والنصر على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم الكل انتظاما حقيقيا (يوم الفرقان) ظرف لانزلنا اي يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل بنصر المؤمنين وكبت الكافرين (يوم التقى الجمعان) اي المسلمون والكفار وهو بدل من الظرف الاول * وآن روز جمعه بود هفدهم رمضان درسنهٔ ثانيه ازهجرت وهو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال المشركين لاعلاء الحق والدين (والله على كل شئ قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم (اذ انتم) نازلون (بالعدوة الدنيا) اي في شفير الوادي الادنى من المدينة وهو بدل ثان من يوم الفرقان (وهم) اي وعدوكم نازلون (بالعدوة القصوى) اي في جانبها الابعد منها وهو الجانب الذي يلي مكة والعدوة شط الوادي اي جانبه وشفيره وسميت بذلك لانها عدت ما في الوادي من ماء عن ان يتجاوز اي منعته والدنيا من دنا يدنو دنوا والقصوى من قصا المكان يقصو قصوا اذا بعد والقياس القصيا بقلب الواو ياء كالدنيا الا ان واوها بقيت على حالها كواو القود (والركب) جمع راكب مثل صحب وصاحب والراكب هو راكب البعير خاصة كما ان الفارس من على الفرس والمراد بالركب هنا العير اي القافلة المقبلة المتوجهة من الشام او قوادها وهم ابو سفيان واصحابه وكانوا جمعا على البعير (اسفل منكم) اي نازل في مكان اسفل من مكانكم وكانوا بقرب ساحل البحر بينهم وبين المسلمين ثلاثة اميال واسفل وان كان منصوبا على الظرفية وافعل وقع خبر المبتدأ الا انه في الحقيقة صفة لظرف مكان محذوف والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وضعف حال المسلمين ولهذه الفائدة ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى فورد النظم على هذا الوجه الدال على القوة والضعف ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا (ولو تواعدتم) انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم (لاختلفتم في الميعاد) دروعدهٔ خود درا هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم (ولكن) ما اختلفتم وما تخلفتم عن القتال بل جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد (ليقضي الله) ليتم الله (امرا كان مفعولا) حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه جعل ما اقتضت الحكمة ان يفعل مفعولا لقوة ما يستدعي ان يفعل (ليهلك من هلك عن بينة) بدل من ليقضي قال سعدي چلبي المفتي الظاهر والله اعلم ان عن هنا بمعنى بعد كقوله تعالى عما قليل ليصبحن نادمين انتهى والمعنى ليكون هلاك من شارف الهلاك بعد مشاهدة بينة واضحة الدلالة على ان الدين المرضي عند الله تعالى هو الاسلام لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له عند الله تعالى معذرة وحجة في عدم تحليه بحلية الاسلام (ويحيى من حي عن بينة) اي يعيش من يعيش عن حجة شاهدها حتى يقوى يقينه ويكمل ايمانه فان وقعة بدر كانت من الآيات الواضحة الدالة على حقية الاسلام فمن كفر بعد مشاهدتها كان مكابرا معاندا عادلا عن الحق الذي وضحت حقيته والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة قال سعدي چلبي المراد هو الاستمرار على الحياة بعد وقعة بدر فيظهر صحة اعتبار معنى المشارفة في الحياة ايضا (وان الله لسميع عليم) اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين وصفي السميع والعليم لاشتمال كل واحد من الكفر والايمان على القول والاعتقاد نقلست كه حضرت پيغمبر صلى الله عليه وسلم دران شب كه روزش جنگ بدر واقع شده بود درواقعه ديد لشكر قريش رادر غايت قلت وذلت تأويل فرمود كه دوستان غالب ودشمنان مغلوب خواهند شد مؤمنان بعد از استماع اين رؤيا وتعبير آن بغايت مسرور وفرحان شدند وحق سبحانه وتعالى تذكار آن نعمت ميفرمايد

ومكويد (اذ يريكهم الله) اى اذكر يا محمد وقت اراءة الله المشركين اياك (فى منامك) مصدر ميمى بمعنى النوم (قليلا) حال من المفعول الثانى اى حال كونهم قليلا والاراءة بصرية تتعدى الى اثنين (روى) عن مجاهد انه قال ارى الله تعالى كفار قريش لنبيه صلى الله عليه وسلم فى منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رؤيا النبى حق والقوم قليل فكان ذلك سببا لقوة قلوبهم (ولو اراكهم كثيرا لفشلتم) اى لجبنتم وتأخرتم عن الصف قال الحدادى الفشل هو الضعف مع الوجل (ولتنازعتم فى الامر) اى امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار والتنازع ان يحاول كل واحد من الاثنين ان ينزع صاحبه عما هو عليه (ولكن الله سلم) اى أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر (واذ يريكموهم) الضميران مفعولا يرى وفاعل الاراءة هو الله تعالى والمعنى بالفارسية وانرا ياد كنيد اى صحابه كه بنمود خداى تعالى دشمنانرا بشما (اذ التقيتم فى اعينكم) حال كونهم (قليلا) وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين قال اراهم مائة مع انهم كانوا الفا او تسعمائة وخمسين تثبيتا لهم وتقوية لقلوبهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم فانها وحى لا خلف فيه اصلا (ويقللكم فى اعينهم) حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وهو مثل يضرب فى القلة اى قلتهم بحيث يشبعهم جزور واحد قللهم فى اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يبالغوا فى الاجتهاد والاستعداد والتأهب والحذر ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم قال فى التأويلات النجمية ويقللكم فى اعينهم لانهم ينظرون اليكم بالابصار الظاهرة لا يرون كثرة معنا كم وقوة قلوبكم ومددكم من الملائكة فانهم عمى البصائر والقلوب ولئلا يفروا من القتال كما فر ابليس لما راى مدد الملائكة وهو قد جاء مع الكفار فى صورة سراقة فقالوا له اين تفر فقال لهم انى ارى ما لا ترون (ليقضى الله امرا كان مفعولا) كرره لاختلاف الفعل المعلل به وهو الجمع بين الفريقين على الحالة المذكورة فى الاول وتقليل كل واحد من الفريقين فى عين الآخر فى الثانى (والى الله ترجع الامور) كلها يصرفها كيف يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وفيه تنبيه على ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يكون وسيلة الى سعادة الآخرة ومؤديا الى مرضاة الرحمن وفى الآيات اشارات منها ان اركان الاسلام خمسة وهى غنائم دينية لكن التوحيد اعلى من الكل ولذا كان خمسا راجعا الى الله تعالى وباقى الاخماس حظ الجوارح فعلى العاقل ان يحرز غنائم العبادات وما يتعلق بالمعارف والكمالات التى تتحقق بها السعادات ليكون الروح والجوارح كلاهما محظوظين غير محرومين وفى التأويلات النجمية ما غنمتم عند رفع الحجب من انوار المشاهدات واسرار المكاشفات فلكم اربعة اخماس تعيشون بها مع الله وتكونوا بها عن الاغيار * دلندو بشد باهر ذو الجلال * كه نباشد كشف راز حق حلال * ولا تنفقوا اكثر من خمسها فى الله مخلصا وللرسول متابعا ولذى القربى يعنى الاخوان فى الله مواصلا واليتامى يعنى أهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين يعنى الطالبين الصادقين اذا امسكوا بأيدى الارادة أذيال ارشادكم وابن السبيل يعنى الصادر الوارد من اهل الصدق والارادة من اغيار جانب كل طائفة منهم على حسب صدقهم وارادتهم وطلبهم واستعدادهم واستحقاقهم مؤديا حقوقهم لله وفى الله وبالله فى متابعة رسول الله وقانون سيرته وسنته * ومنها ان الله تعالى كما جمع بين الفريقين بحيث لو تركهم على حالهم لما اجتمعوا ليظهر عز الاسلام وذل الكفر كذلك جمع بين الارواح والنفوس فى هذه الهيا كل والقوالب بحيث لو تركهما على حالهما وهما على تلك الضدية واختلاف الطبيعة لما اجتمعت ليحصل الارواح فى مقعد صدق والنفوس مع الملائكة المقربين كما قال فادخلى فى عبادى بعد ما كانت محبوسة فى سجن الدنيا والاجساد فى جنات النعيم وأعلى عليين بعد ما كانت فى اسفل سافلين هذا بالنسبة الى السعداء المخلوقين للقصبات والقربات واما الاشقياء المذروؤون لجهنم فعلى خلاف ذلك وقد خلق الله الاستعداد للترقى والتنزل ولله على الناس الحجة البالغة (قال الكاشفى) در ترجمه شفا مذكورست كه كوهر شب انكه فروز عقل راهبيست انجه در حقهٔ سينهٔ دوستان مى سپارند در استين دشمنان تر دامن نيز مى نهند ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حى عن بينة يعنى بارقهٔ نور عقل اكر از جانب عنايت وتوفيق لامع شود دوستان بدان مهتدى كردند واكر از طرف قهر وخذلان

استضاءت بذرد سبب اختطاف ابصار بصائر دشمنان شود يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا * كرت صورت حال بد بانكوست * نكار بدء دست تقدير اوست * ومنها ان من سنة الله ان يرى النبى عليه السلام حقائق الاشياء حقا وصدقا وهو يخبرهم ثم يراها ارباب الصورة فى الظاهر بضدها ابتلاء واختبارا للمؤمن والمنافق فالمؤمن يثبت على ايمانه بتصديق النبى عليه السلام وتسليمه فى اقواله واعماله واحواله من غير اعتراض فيزيده الله ايمانا مع ايمانه والمنافق تزل قدمه وتشوش حاله بالاعتراض ويزيد نفاقه على النفاق وعماه على العمى والى الله ترجع الامور فحال المؤمن وامره يرجع الى رضاه وحال المنافق وامره يرجع الى سخطه والرضى والسخط من آثار لطفه وقهره يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد وقس على هذا الهامات الاولياء واحوالهم مع معتقديهم ومنكريهم فان الاختبار والابتلاء سنة قديمة وكم ترى من الصوفية من يزعم انه يحب فلانا ويعتقده وطريقته حقا فاذا جاء سطوة القهر بارآءة ماهو غير ملائم لطبعه نكص على عقبيه واتخذه غرضا الطعنه وتشنيعه واين هو من المحبة وهو مقام عال يجتمع عنده اللطف والقهر والجمال والجلال فلا تشوش صاحبه من الاحوال العارضة المرئية فى صورة التنزل والتدلى ولذا كثر ارباب الصورة وقل اصحاب المعنى ويكفى لكل مرشد كامل واحد ممن يلزم طريقته ويتبع هداه (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) اى حاربتم جماعة كافرة لان اللقاء مما غلب فى الحرب والقتال وهم ما كانوا يحاربون الا الكفار (فاثبتوا) وقت لقائهم وقتالهم ولا تنهزموا وفى الحديث لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا وانما نهى عن تمنى لقاء العدو لما فيه من صورة الاعجاب والوثوق بالقوة ولانه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو وتحقيرهم وهذا يخالف الاحتياط كما قالوا فى آداب المناظرة انه ينبغى ان لا يحسب المناظر الخصم حقيرا اى صغيرا ذليلا لان استحقار الخصم ربما يؤدى الى صدور الكلام الضعيف من المناظر لعدم المبالاة فيكون سببا لغلبة الخصم الضعيف عليه فيكون الضعيف قويا والقوى ضعيفا والشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم فعلى العاقل ان يسأل العفو والعافية فانه لا يدرى ما يفعل به * اول شكسته باش كه اوج سرير ملك * يوسف پس از مجاورت قعر چاه يافت (واذكروا الله كثيرا) اى فى تضاعيف القتال ومواطن الشدة بالتكبير والتهليل وغيرهما وادعوه بنصر المؤمنين وخذلان الكافرين كالذين قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (لعلكم تفلحون) اى تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لا يشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدآئد ويقبل اليه بالكلية فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه فى حال من الاحوال وعلى ان ذكر الله تعالى له تأثير عظيم فى دفع المضار وجلب المنافع * تو بهر حالى كه باشى روز وشب * يك نفس غافل مباش از ذكر رب * در خوشى ذكر تو شكر نعمتست * در بلاها التجا با حضرتست * قال بعض الحكماء ان لله جنة فى الدنيا من دخلها طاب عيشه وهى مجالس الذكر وفى الحديث ان لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فاذا اتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رآئدهم الى السماء الى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون ربنا اتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول الله تبارك وتعالى غشوهم رحمتى فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم قال فى انوار المشارق وكما يستحب الذكر يستحب الجلوس فى حلق اهله والعادة جرت فى حلق الذكر بالعلانية اذ لم يعرف فى كر الدهور حلقة ذكر اجتمع عليها قوم ذاكرون فى انفسهم فالذكر برفع الصوت اشد تأثيرا فى قمع الخواطر الراسخة على قلب المبتدى وايضا يغتنم الناس باظهار الدين بركة الذكر من السامعين فى الدور والبيوت ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته خصوصا فى مواضع الازدحام بين الغافلين من العوام لتنبيه الغافلين وتوفيق الفاسقين وفى بعض الفتاوى لو ذكر الله فى مجلس الفسق ناويا انهم يشتغلون بالفسق وانا اشتغل بالذكر فهو افضل كالذكر فى السوق افضل من الذكر فى غيره وحضور مجلس الذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس السوء وقد نهى عن ان يجلس الانسان مجلسا لا يذكر الله فيه ولا يصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويكون ذلك المجلس حسرة عليه يوم القيامة وفى الحديث من جلس مجلسا كثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان فى مجلسه ذلك فعلى العاقل ان يكون رطب اللسان بالذكر والدعاء والاستغفار دآئما خصوصا فى الاوقات المباركة (روى)

ان النبي عليه السلام بعث بعثا الى نجد فغنموا واسرعوا وقال رجل ما رأينا بعثا أفضل غنيمة وأسرع رجعة فقال النبي عليه السلام (الا ادلكم على قوم أفضل غنيمة واسرع رجعة الذين شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله حتى تطلع الشمس ثم يصلون ركعتين ثم يرجعون الى اهاليهم وهي صلاة الاشراق وهو اول وقت الضحى وذلك بعد ان تطلع الشمس ويصلي ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة ذكر في شرح المصابيح ان في قوله ثم قعد يذكر الله تعالى دلالة على ان المستحب في هذا الوقت انما هو ذكر الله تعالى لا القرآءة لان هذا وقت شريف وان للمواظبة للذكر فيه تأثيرا عظيما في النفوس وقال في المنية ناقلا عن جمع العلوم ومن وقت الفجر الى طلوع الشمس ذكر الله تعالى اولى من القرآءة ويؤيده ماذكره في القنية من ان الصلاة عن النبي عليه السلام والدعاء والتسبيح أفضل من قرآءة القرآن في الاوقات التي نهي عن الصلاة فيها وعن النبي صلى الله عليه وسلم (الا ادلكم على ساعة من ساعات الجنة الظل فيها ممدود والرزق فيها مقسوم والرحمة فيها مبسوطة والدعاء مستجاب قالوا بلى يارسول الله قال مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس) قال علي المرتضى رضي الله عنه مر النبي عليه السلام بعائشة رضي الله عنها قبل طلوع الشمس وهي نائمة فحركها برجله فقال قومي لتشاهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين ان الله يقسم ارزاق العباد بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس واختلف في ان التهليل والتسبيح ونحوهما بمجرد القلب أفضل او باللسان مع حضور القلب احتج من رجح الاول بان عمل السر أفضل واحتج من رجح الثاني بان العمل فيه اكثر فاقتضى زيادة والصحيح هو الثاني ذكره النووي في شرح مسلم والذكر الكثير ربما كان بصفاء القلب فصفاء القلب جنة العارف في الدنيا فانه يجاوز بذكر الله تعالى عن جحيم النفس الامارة وهاويتها فيترقى الى نعيم الحضور قال ابو بكر الفرغاني كنت اسقط في بعض الايام عن القافلة فقلت يارب لو علمتني الاسم الاعظم فدخل علي رجلان وقال احدهما للآخر الاسم الاعظم ان تقول يا الله ففرحت به فقال ليس كما تقول بل بصدق اللجأ اي الالتجاء والاضطرار كما يقول من كان في لجة البحر ليس ملجأ غير الله واعلم ان الجهاد من اعظم الطاعات ولذلك لا يجتمع غبار المجاهد مع دخان جهنم وبخطوة من المجاهد يغفر ذنب وباخرى تكتب حسنة ولكن ينبغي للمجاهد ان يصحح نيته ويثبت في مواطن الحرب فان بثبات القلب والقدم يتبين اقدار الرجال كما كان للصديق رضي الله عنه حين صدمته الوجيعة بوفاة رسول الله حين قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت ويجتنب عن الظلم وارتكاب المعاصي فان الغلبة على الاعدآء بالقوة القدسية والتأييد الالهي لا بالقوة الجسمانية وكثرة العدد والعدد الا ترى الى الله تعالى كيف ايد المؤمنين بالملائكة في غزوة بدر مع قلتهم وكثرة الكافرين فالذين جاهدوا في سبيل الله بالتقى والصبر والثبات فقد غلبوا على الاعدآء ووصلوا الى الدرجات * كه شتاب چوصرصركه قرار چو كوه * كه نشيب كبوتركه فراز عقاب * واستعرض الاسكندر جنده فتقدم اليه رجل بفرس اعرج فامر باسقاطه فضحك الرجل فاستعظم ضحكه في ذلك المقام فقال له ما اضحكك وقد اسقطتك قال العجب منك قال كيف قال تحتك آلة الهرب وتحتي آلة الثبات ثم تسقطني فاعجب بقوله واثبته ثم اعلم ان الفئة الباغية ظاهرة كالطائفة الكافرة والجماعة الفاجرة وباطنة كطائفة القوى النفسانية وجماعة النفس الامارة فكما ان المؤمن مأمور بالثبات عند ظهور الفئة الباغية الظاهرة فكذلك مامور بالثبات عند ظهور الفئة الباغية الباطنة بالمجاهدات والجهاد مع الكفار جهاد أصغر والجهاد مع النفس جهاد اكبر والاكبر افضل من الاصغر ولذلك يكون القتيل في الاكبر صديقا وفي الاصغر شهيدا فالصديق فوق الشهيد كما قال الله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدآء والخلاص من ظلمات الخلقية والفوز بانوار الذكر الذي الاشتغال به من اكبر انواع الجهاد واسرع قدم في الوصول الى رب العباد نسأل الله تعالى ان يحققنا بحقائق الذكر والتوحيد (واطيعوا الله ورسوله) في كل ما تأتون وما تذرون خصوصا في امر الجهاد وثبات القدم في معركة القتال (ولا تنازعوا) باختلاف الآرآء كما فعلتم ببدر واحد (فتفشلوا) جواب للنهي يقال فشل اي كسل وضعف وتراخى وجبن (وتذهب ريحكم) بالنصب عطف على جواب النهي اي تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى ويقال لها

ريح النصرة وروى انه حاصر المدينة قريش وغطفان وبنوا قريظة وبنوا النضير يوم الخندق فهبت ريح الصبا شديدا فقلعت خيامهم واراقت قدورهم وهربوا فقال عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والصبا بفتح الصاد وبالقصر ريح تهب من المشرق والدبور هى ما يقابل الصبا فى الهبوب يعنى الريح مأمورة تجيئ تارة للنصرة وتارة للاهلاك (وفى المثنوى) جمله ذرات زمين وآسمان * لشكر حقند گاه امتحان * بادرا ديديكه باعادان چه كرد * ابرا ديديكه باطوفان چه كرد (واصبروا) على شدائد الحرب وقتال المشركين ولا تولوهم الادبار (ان الله مع الصابرين) بالنصرة والكلاءة ومايفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هى من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هى من حيث الامداد والاعانة (ولا تكونوا) أيها المؤمنون (كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير اى القافلة المقبلة من الشأم (بطرا) مفعول له اى افتخارا بآثار الاصول من الآباء والامهات واشرا وهو مقابلة النعمة بالتكبر والخيلاء (ورئاء الناس) ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابى سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم من اصحاب محمد ومن نهبهم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها اى اتوا بدرا ولكن سقوا كأس المنايا بدل كأس الخمور وناحت عليهم النوائح مكان تغنى القيان فنهى المؤمنون ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بالتقوى والاخلاص لان النهى عن الشئ مستلزم للامر بضده (ويصدون عن سبيل الله) عطف على بطرا بتأويل المصدر أى وصدا ومنعا للناس عن دين الله المؤدى الى الجنة والثواب (والله بما يعملون محيط) فيجازيهم عليه وفيه تهديد على الاعمال القبيحة خصوصا ماذكر فى هذه الآية من البطر والرئاء وهو اظهار الجميل وابطان القبيح وهو من الصفات المذمومة للنفس وحكى عن بعض الصالحين انه قال كنت ليلة فى وقت السحر فى غرفة لى على الطريق اقرأ سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيأ فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى ثوابا ولا اراها اثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا انا قد سمعنا مناديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت فى منامى فقلت لم فعلتم ذلك فقال مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها وفى الحديث ان النار وأهلها يعجون من أهل الرياء اى يتضرعون ويرفعون الصوت قيل يارسول الله وكيف تعج النار قال من ضر الناس الذين يعذبون بها فويل للمرآئى فى عمله ومن الرياء التزيى بزى القوم تصنعا ودوران البلاد تفرجا والتباهى بذلك على الاخوان كما يفعله اكثر المتسمين بالصوفية فى هذا الزمان فان مقصودهم ليس التقليد بلباس القوم تبركا مع التحقق بمعانيهم فهم محرومون من انوار المعرفة واسرار الحقيقة خارجون عن دائرة الطريقة (قال الحافظ) مدعى خواست كه آيد بتماشا كه راز * دست غيب آمد وبرسينه نامحرم زد * فعلى العاقل اخلاص العمل وهو ارادة التقرب الى الله تعالى وتعظيم امره واجابة دعوته سوآء كان من العبادات المالية او البدنية وفى التاتارخانية لو افتتح الصلاة خالصا لله تعالى ثم دخل فى قلبه الرياء فهو على ما افتتح والرياء انه لو خلا عن الناس لا يصلى ولو كان مع الناس يصلى فاما لو صلى مع الناس يحسنها ولو صلى وحده لا يحسن فله ثواب اصل الصلاة دون الاحسان ولا رياء فى الصوم الا ان يكون مراده من الرياضة اصفرار الوجه وهزال البدن ليظنه الناس رجلا صالحا متقيا مريدا للآخرة فانظر الى تعبه لاجل الناس ولو كان له عقل صحيح وفكر ثاقب لما فعل هذا وفى مثل هذا قالوا اخف حلما من عصفور وقال حسان بن ثابت الانصارى

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم * جسم البغال واحلام العصافير

وما الدنيا لحقيق بطلبها العاقل بعمله ويضيع عمره الى حلول اجله وعن ابى الدرداء رضى الله عنه ان النبى عليه السلام مر بدمنة قوم فيها سخلة ميتة فقال مالاهلها فيها حاجة قالوا يا نبى الله لو كان لاهلها فيها حاجة مانبذوها قال فوالله الدنيا اهون على الله من هذه السخلة على اهلها (قال السعدى) وكرم اندوده باشد نحاس * توان خرج كردن بر ناشناس * منه آب زرجان من بر پشيز * كه صراف دانا نگيرد بچيز * چه قدر

آورد بندهٔ خورد پس * كه ز برقبا دارد اندام پس * نسأل الله تعالى ان يعصمنا من الزلل فى مسالك الدين و يوصلنا الى رضاه فى كل قول وعمل وهو المعين آمين بجاه النبى الامين (واذ زين لهم الشيطان اعمالهم) آورده اند كه چون قريش از مكه برون آمده بحوالى منزل بنى كنانه رسيدند بجهت كيفيت قديمى كه ميان ايشان بود انديشه ناك شده خواستند باز كردند ابليس بصورة سراقة بن مالك مهتر كنانه بود برآمد برايشان ملاقات نمود وكفت شما نيكو حمايتى ميكنيد برويد من ضامن كه از بنى كنانة ضرر بشما نرسد ومن نيز طريق رفاقه مرعى دارم پس ابليس باجمعى ازشياطين همراه ايشان روى بيدر آوردند حق سبحانه وتعالى ازين قصه خبر ميدهد والمعنى واذكر يا محمد وقت تزيين الشيطان اعمال كفار مكة فى معاداة المؤمنين وغيرها ودر حقائق سلمى فرموده كه قوة ايشانرا بنظر ايشان در آورد تا اعتماد بدان كردند (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) فانكم كثير وهم قليل قوله لكم خبر لا غالب اى لا غالب كائن لكم واليوم منصوب بما تعلق به الخبر ومن الناس حال من الضمير فيه والمراد من الناس المؤمنون (وانى جار لكم) اى مجيركم من بنى كنانة ومعين لكم فمعنى الجار المجير الحافظ الذى يدفع عن صاحبه انواع الضرر كما يدفع الجار عن جاره تقول العرب انا جارلك من فلان اى حافظ لك من مضرته فلا يصل اليك منه مكروه وقال فى القاموس الجار المجاور والذى اجرته من ان يظلم والمجير واجاره انقذه (فلما تراءت الفئتان) اى تلاقى الفريقان يوم بدر (قال الكاشفى) پس آن هنكام كه بديدند هر دو كروه لشكر يكديكر را (نكص على عقبيه) رجع القهقرى وهو اصل معنى النكوص لان الغالب فيمن يفر من موضع القتال ان يرجع قهقرى لخوفه من جهة العدو وقوله على عقبيه حال مؤكدة لان رجوع القهقرى انما يكون على العقبين واين عبارتست ازهزيمت كردن بمكر وحيله آورده اند كه چون روز بدر ملائكه فرود آمدند ابليس ايشانرا ديده روى بفرار نهاد دران محل دست بردست حارث ابن هشام بود حارث كفت اى سراقه درچنين حال ما را فرو ميكذارى ابليس دست بر سينهٔ او زد (وقال انى برئ منكم) من بيزارم ازنزديك شما (انى ارى مالا ترون) من نزول الملائكة للامداد فقال الحارث وما نرى الا جعاشيش أهل يثرب والجعشوش الرجل القصير (انى اخاف الله) من ان يصيبنى بمكروه من الملائكة أو يهلكنى على ان يكون الوقت هو الوقت المعلوم الذى انظر اليه (والله شديد العقاب) لمن يخاف منه وقد صدق الكذاب انه يخاف من شدة عذاب الله فان عقابه لو وقع عليه لتلاشى ولذلك كان يفر من ظل عمر رضى الله عنه وما سلك فجا الا وسلك الشيطان فجا آخر لئلا يقع عليه عكس نور ولاية عمر فيحرقه وقد علم الشيطان انه من المعذبين المعاقبين وانما خوفه من الله من شدة عقابه لانه يعلم انه لا نهاية لشدة عقابه والله قادر على ان يعاقبه بعقوبة اشد من الاخرى وفيه اشارة الى ان خوفه من الله يدل على انه غير منقطع الرجاء منه كذا فى التأويلات النجمية * نقلست كه منهزمان بدر بعد ازرجوع بمكه سراقه را پيغام دادند كه لشكر ما را تو منهزم ساختى سراقه سوكند ياد كرد كه تا هزيمت شما نشنيدم ازعزيمت شما وقوف نيافتم پس همه را معلوم شد كه آن شيطان بوده كه خودرا برصورت سراقه نموده فان قيل كيف يجوز ان يتمكن ابليس من ان يخلع صورة نفسه و يلبس صورة سراقة ولو كان قادرا على ان يجعل نفسه فى مثل صورة انسان لكان قادرا على ان يجعل غيره انسانا قيل اذا صحت هذه الرواية فالجواب ان الله خلق ابليس فى صورة سراقة والله تعالى قادر على خلق انسان فى مثل صورة سراقة ابتداء فكان قادرا على ان يصور ابليس فى مثل صورة سراقة كما فى تفسير الحدادى وقال القاضى ابو يعلى ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور وانما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات وضربا من ضروب الافعال اذا فعله او تكلم بها نقله الله تعالى من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى انه قادر على قول اذا قاله اوفعل اذا فعله نقله الله تعالى من صورته الى صورة اخرى بجرى العادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها من صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقضت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل بالجملة فكيف ينقل نفسها قال والقول فى تشكيل الملائكة مثل ذلك والذى روى ان ابليس تصور فى صورة سراقة بن مالك وان جبريل تمثل فى صورة دحية وقوله تعالى فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا محمول على ما ذكرنا وهو أنه اقدره الله تعالى على قول قاله فنقله الله تعالى من صورته الى صورة اخرى كذا فى آكام المرجان ونظر فيه والهى الاسكوبى بأن من قال تمثل جبريل

عليه السلام وتصورا بليس عليه مايستحق ليس مراده انهما احدثا تلك الصورة والمثال من قدرتهما نفسهما بل باقدار الله اياهما على التصور والتمثل كيف شا آ ولا منافاة بين القولين غاية ما فى الباب ان العمل من طريق ما اقدره الله به من الاسباب المخصوصة انتهى يقول الفقير ان الملائكة والشياطين من قبيل الارواح اللطيفة وللارواح التصور بانواع الصور كما ان للاجسام التلون بألوان الالبسة وكل ذلك باقدار الله تعالى فى الحقيقة لكن هذا المعنى صعب المسلك فلا يهتدى الى دركه الا الانبياء والاولياء المكاشفون عن حقيقة الامر والله اعلم ثم ان من عادة الشيطان ان يقعم من اطاعه ورطة الهلاك ثم يتبرأ منه (حكى) ان عابدا عبد الله فى صومعته دهرا طويلا فولدت لملكهم ابنة فأنف الملك ان يمسها الرجال فاخرجها الى صومعته واسكنها معه كيلا يعرف احد مكانها ويستخطبها منه فكبرت الابنة فحضر ابليس على صورة شيخ وخدعه بها حتى واقعها الزاهد واحبلها فلما ظهر بها الحبل رجع اليه فقال له انك زاهدنا وانها لو ولدت يظهر زناك فتصير فضيحة فاقتلها قبل الولادة وأعلم والدها انها قد ماتت فيصدقك فتنجو من العذاب والشين فقتلها الزاهد فجاء الشيطان الى الملك فى زى العلماء فاخبره بصنع الزاهد بابنته من الاحبال والقتل وقال ان اردت ان تعرف حقيقة ما اخبرتك فانبش قبرها وشق بطنها فان خرج منها ولد فهو مصداق مقالى وان لم يخرج فاقتلنى ففعل الملك ذلك فاذا الامر كما قال فأخذ الزاهد وأركبه الابل وحمله الى بلده فصلبه فجاءه الشيطان وهو مصلوب فقال له انك زنيت بامرى وقتلت نفسا بامرى فآمن بى انجك من عذاب الملك فأدركته الشقاوة فآمن به فهرب الشيطان منه ووقف من بعيد فقال الزاهد نجنى فقال الشيطان انى اخاف الله رب العالمين فعلى العاقل الحذر من كيده (وفى المثنوى) آدمى رادشمن پنهان بسيست * آدمى باحذر عاقل كسيست * واعلم ان الشيطان اذا ظفر بالسالك يغره بالقوة والكمال والبلوغ الى مرتبة الرجال وانه لا يضره التصرف فى الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعه فى نفى الرياء والعجب كما هو طريقة اهل الملامة قال بعض ارباب الحقيقة يجوز ان تظهر لنفسك ما يوجب نفى دعواها من مباح مستبشع او مكروه لم يمنع دواء اهلة العجب لا محرما متفقا عليه انتهى فليكن هذا على ذكر منك فان صوفية الزمان قد تجاوزوا الحلال الى الحرام وتركوا العهود بينهم وبين المشايخ الكرام ولم يعرفوا ان السلامة فى الاخذ بالكتاب وسنة النبى عليه السلام والتأدب بآداب وضعها الخواص من الانام لمن يطلب الدخول الى حرم اسرار الله الملك العلام (قال الحافظ) درراه عشق وسوسهٔ اهرمن بسيست * هش دار وكوش دل بپيام سروش كن (اذ) منصوب باذكر (يقول المنافقون) من اهل المدينة من الاوس والخزرج (والذين فى قلوبهم مرض) من قريش كانوا قد اسلموا ولم يهاجروا لعدم قوة اسلامهم ولمنع اقربائهم اياهم من الهجرة فلما خرجت قريش الى بدر اخرجوهم معهم كرها ولما رأوا قلة عدد المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا الاهل مكة (غرهؤلاء) يعنون المؤمنين (دينهم) اذ خرجوا مع قلة عددهم وعددهم لحرب قريش مع كثرتهم وشوكتهم ولم يشكوا بل قطعوا بأن قريشا تغلبهم لانهم زهاء الالف والمؤمنون ثلاثمائة وبضعة عشر فقال الله تعالى جوابا لهم (ومن) هركه (يتوكل على الله) اى ومن يسلم امره الى الله تعالى ويثق به وبقضائه (فان الله عزيز) غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل (حكيم) يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول وتحار فى فهمه الباب الفحول (روى) ان الحجاج بن يوسف سمع ملبيا يلبى حول البيت رافعا صوته بالتلبية وكان اذ ذاك بمكة فقال على بالرجل فاتى به اليه فقال ممن الرجل قال من المسلمين فقال ليس عن الاسلام سألتك قال فمم سألت قال سألتك عن البلد قال من اهل اليمن قال كيف تركت محمد بن يوسف يعنى اخاه قال تركته عظيما جسيما لباسا ركابا خراجا ولاجا قال ليس عن هذا سألتك قال فمم سألت قال سألتك عن سيرته قال تركته ظلوما غشوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق فقال له الحجاج ما حملك على هذا الكلام وانت تعلم مكانه منى قال الرجل اترى مكانه منك اعز منى بمكانى من الله وانا وافد بيته وزائر نبيه وقاضى دينه ومتبع دينه فسكت الحجاج ولم يحر جوابا وانصرف الرجل من غير اذن فتعلق باستار الكعبة وقال اللهم بك اعوذ وبك ألوذ اللهم فرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة فانظر الى هذا الرجل كيف اظهر الحق ولم يخف من المخلوق خصوصا من الحجاج الذى كان اظلم خلق الله فى زمانه حتى كسر الاعراض وسفك الدماء وفعل ما فعل الى حيث يضيق نطاق البيان عنه فلما توكل على الله واستجار به نصره الله

وهو بانفراده على الحجاج وهو مع جمعه لان الصحيح السالم وهو المؤمن غالب على السقيم المبتلى وهو المنافق والحجاج كان من منافقى هذه الامة واعلم ان مرض القلوب على نوعين نوع منه الشك فى الايمان والدين وحقيقته فذلك مرض قلوب الكفار والمنافقين والثانى ميلها الى الدنيا وشهواتها وملاحظة الحظوظ النفسانية وهو مرض قلوب المسلمين والاشارة فيه ان المعالجة لما يكون فى قلوب الكفار والمنافقين بالايمان والتصديق واليقين وان ما توافى مرضهم فهم من الهالكين ومعالجة مرض قلوب المسلمين بالتوبة والاستغفار والزهد والطاعة والورع والتقوى وان ما توافى مرضهم فهم من اهل النجاة من النار بعد العذاب وشفاعة الانبياء ور بما يؤدى مرضهم بترك المعالجة والاحتماء الى الهلاك وهو الكفر الا ترى الى حال بعض المسلمين من اهل مكة لما تركوا العلاج وانقطعوا عن الطبيب وهو النبى عليه السلام وما احتموا عن الغذاء المخالف وهو قولهم غرّ هؤلاء دينهم هلكوا مع الهالكين ظاهرا وباطنا فعلى العاقل تحصيل حسن الحال قبل حلول الاجل وهو انما يكون بصحبة واصل الى الله عز وجل والله تعالى يجود على الخلق عامة فكيف على العقلاء والعشاق (قال الحافظ) عاشق كه شد كه يار بحالش نظر نكرد * اى خواجه درد نيست وكرنه طبيب هست * (وقال آخر) مكو اصحاب دل رفتند وشهر عشق شد خالى * جهان پر شمس تبريزاست ومردى كو چو مولانا * اللهم وفقنا لما تحب وترضى وسهل علينا مداواة هذه القلوب المرضى (ولو ترى) يا محمد حال الكفرة اى لو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) اى حين تقبض اعوان ملك الموت ارواح الكفار ببدر فالملائكة فاعل يتوفى (يضربون) اى حال كون الملائكة يضربون بمقامع من حديد كلما ضربوا التهب النار منها (وجوههم) اى ما اقبل من اعضائهم (وادبارهم) اى ما ادبر منها (وذوقوا) اى يضربون ويقولون ذوقوا بعد السيف فى الدنيا (عذاب الحريق) اى العذاب المحرق الذى هو مقدمة عذاب الآخرة فهو فعيل بمعنى مفعل يقال حرقه بالنار واحرقه وحرّقه فاحترق وتحرّق وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حدود البيان اى لرأيت امرا فظيعا لا يكاد يوصف (ذلك) المذكور من الضرب والعذاب واقع (بما قدمت ايديكم) اى بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى فاليد عبارة عن النفس الدراكة عبر عنها باسم اغلب آلاتها فى اكتساب الافعال (وان الله ليس بظلام للعبيد) محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم فلا يجازى اهل الايمان بجهنم وعذابها وانما يجازى اهل الكفر والنفاق والارتداد بظلمهم على انفسهم وسر التعبير عن نفى التعذيب بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا عند اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مرّ فى سورة آل عمران فان قلت ظلام اخص من ظالم لانه للمبالغة المقتضية للتكثير ولا يلزم من نفى الاخص نفى الاعم قلت المراد بكثرة الظلم كثرته باعتبار كثرة متعلقه فان لفظ العبيد يدل على الكثرة فيكون ما اصابهم من الظلم كثيرا نظرا الى كثرتهم فالمنفى عن كل واحد منهم اصل الظلم فالمعنى انه تعالى لا يظلم احدا من عبيده وايضا انه اذا نفى الظلم الكثير انتفى القليل لان الذى يظلم انما يظلم للانتفاع بالظلم فاذا ترك كثيره مع زيادة نفعه فى حق من يجوز عليه النفع والضر كان لقليله مع قلة نفعه اترك وايضا ان الظلام للنسبة كما فى بزاز وعطار اى لا ينسب اليه ظلم البتة (كدأب آل فرعون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى عادة كفار قريش فى كفرهم وعنادهم كعادة آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال واصل الدأب فى اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب فى كذا اى يداوم عليه ويواظب ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته وآل الرجل الذين يرجعون اليه باوكد الاسباب ولهذا يقال لقرابة الرجل آل الرجل ولا يقال لاصحابه آله والمقصود هنا كدأب فرعون وآله اى اتباعه (والذين من قبلهم) اى من قبل آل فرعون كقوم نوح وثمود وعاد وغيرهم من اهل الكفر والعناد (كفروا بآيات الله) تفسير للدأب والآيات هى دلائل التوحيد المنصوبة فى الانفس والآفاق او معجزات الانبياء على الاطلاق (فاخذهم الله بذنوبهم) اى عاقبهم الله تعالى بسبب كفرهم وسائر معاصيهم (ان الله قوى شديد العقاب) لا يغلبه فى دفعه شئ (ذلك) اى ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك (بان الله) اى بسبب انه تعالى (لم يك) فى حد ذاته واصله يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها بحرف اللين من حيث كونها حرف غنة فكما يحذف

حرف اللين حال الجزم حذفت النون الساكنة ايضا للتخفيف لكثرة استعمال فعل الكون ولم يحذف فى نحو لم يصن ولم يخن لقلة استعمالهما بالنسبة الى لم يكن وكثرة الاستعمال تستدعى التخفيف (مغيرا نعمة انعمها) اى لم ينبغ له سبحانه ولم يصح فى حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة انعم بها (على قوم) من الاقوام اى نعمة كانت جلت اوهانت (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الاعمال والاحوال التى كانوا عليها وقت ملابستهم للنعمة ويتصفوا بما ينافيها سوآء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة اوقريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة الاصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبى عليه السلام بالبينات غيروها الى أسوأ منها واسخط حيث كذبوه عليه الصلاة والسلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوآئل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال وقال الحدادى اطعمهم الله من جوع وآمنهم من خوف وارسل اليهم رسولا منهم وأنزل عليهم كتابا بألسنتهم ثم انهم غيروا هذه النعم ولم يشكروها ولم يعرفوها من الله فغير الله ما بهم واهلكهم وعاقبهم ببدر (وان الله سميع عليم) اى وبسبب ان الله تعالى يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها (كدأب آل فرعون) تكرير للتأكيد (والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم) وعطف قوله تعالى (واغرقنا آل فرعون) على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبرآئيل على الملائكة (وكل) من غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) انفسهم بالكفر والمعاصى حيث عرضوها للهلاك اوواضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق والاشارة ان فرعون وقومه اختصوا بالاستغراق فى بحر الهلاك عن غيرهم لادعاء فرعون الربوبية واقرار قومه وتصديقهم اياه بها وهذا غاية فساد جوهر الروحانية باستيلاء الصفات النفسانية وكل ممن كفر بالله وكذب بآياته كانوا ظالمى انفسهم لافساد استعدادهم وان لم يبلغوا فى الظلم والكفر ما بلغ فرعون وقومه فعليك بمحافظة الاستعداد الفطرى واكثار الشكر عليه واياك وشؤم المعاملات السيئة المؤدية الى الافساد والاهلاك ولا يحملك العناد على مخالفة الحق وعدم قبوله فانه لا ينبغى لأحد خصوصا للسلاك * كسى راكه پندار درسر بود * مپندار هرگز كه حق بشنود * قال الامام الغزالى قدس سره ان النعمة انما تسلب ممن لا يعرف قدرها واقنع فى هذا الباب بمثال ملك يكرم عبد الله فيخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه منه ويجعله فوق سائر حجابه وخدامه ويامره بملازمة بابه ثم يامر أن يبتنى له فى موضع آخر القصور وتوضع له الاسرة وتنصب له الموآئد وتزين له الجوارى ويقام له الغلمان حتى اذا رجع من الخدمة اجلس هنالك ملكا مخدوما مكرما وما بين حال خدمته الى ملكه ولا يتم الاساعة من نهار او اقل فان ابصر هذا العبد بجانب باب الملك سائسا للدواب يأكل رغيفا اوكلبا يمضغ عظما فجعل يشتغل عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله عليه ولا يلتفت الى ما له من الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السائس ويمد يده ويسأله كسرة من رغيفه اويزاحم الكلب على العظم ويعظمهما ويعظم ما هما فيه أليس الملك اذا نظر اليه على مثل هذه الحالة يقول هذا السفيه لم يعرف حق كرامتنا ولم يرقدر اعزازنا اياه بخلعنا والتقرب الى حضرتنا مع ما صرفنا اليه من عنايتنا وامرناله من الذخائر وضروب الايادى ما هذا الاساقط عظيم الجهل قليل التمييز اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا فهذا حال العالم اذا مال الى الدنيا والعابد اذا اتبع الهوى فعليك أيها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف نعم الله تعالى عليك واحذر من ان تكون النعمة نقمة والولاء بلاء والعزذلا والاقبال ادبارا واليمين يسارا فان الله تعالى غيور (وفى المثنوى) هركه شد مرشاه را اوجامه وار * هست خسران بهر شاهش اتجار * هركه با سلطان شود اوهمنشين * بر درش شستن بود حيف وغبين * دست بوسش چون رسيد از پادشاه * كر كزيند بوس پا باشد كناه * كرچه سر بر پانهادن خدمتست * پيش آن خدمت خطا وزلتست * شاه راغيرت بود برهركه او * بركزيند بعد ازانكه ديد او * والمقصود ان من عرف الله وعرف قدر نعمته عليه ترك الالتفات الى الدنيا بل الى الكونين فان الله اجل من كل شئ وذكره أفضل من كل ذكر وكلام (وحكى) ان سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والدواب من الوحوش والانعام والجن والانس وسائر الحيوانات عن يمينه ويساره فمر بعابد من

عباد بنى اسرآئيل فقال والله يا بن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما فسمع ذلك سليمان فقال لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما اعطى ابن داود فان ما اعطى بن داود يذهب والتسبيحة تبقى فهذا ارشاد عظيم لمن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وتوجه الى الحضرة العليا فارغا عن شواغل الدنيا (ان شر الدواب) اى شر ما يدب على الارض ويتحرك من الحيوانات (عند الله) اى فى حكمه وقضائه (الذين كفروا) اى اصروا على الكفر ورسخوا فيه (فهم لا يؤمنون) فلا يتوقع منهم ايمان لكونهم من اهل الطبع وجعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل عن مجانستهم واثماهم من جنس الدواب ومع ذلك هم شر من جميع افرادها كما قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل * دريغ آدمى زادهٔ پر محل * كه باشد چو انعام بل هم اضل (الذين عاهدت منهم) بدل من الموصول الاول بدل البعض للبيان او للتخصيص اى الذين اخذت منهم عهدهم فمن لابتدآء الغاية (ثم ينقضون عهدهم) الذى اخذته منهم عطف على عاهدت (فى كل مرة) من مرات المعاهدة (وهم لا يتقون) اى يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سيئة الغدر ولا يبالون فيه من العار والنار وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينوا عليه عدوا فنقضوا العهد واعانوا اهل مكة يوم بدر بالسلاح ثم قالوا انسينا واخطأنا ثم عاهدهم مرة اخرى فنكثوا ومالأوهم عليه يوم الخندق اى ساعدوا وعاونوا وذلك انهم لما رأوا غلبة المسلمين على المشركين يوم بدر قالوا انه هو النبى الموعود بعثه فى آخر الزمان فلا جرم يتم امره ولا يقدر أحد على محاربته ثم انهم لما رأوا يوم احد ما وقع من نوع ضعف المسلمين شكوا وقد كان احترق كبدهم بنار الحسد من ظهور دينه وقوة امره فركب كعب بن اسد سيد بنى قريظة مع اصحابه الى مكة ووافقوا المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدى ذلك الى غزوة الخندق وفيه ذم بطريق الاشارة للذين عاهدوا الله على ترك المعاصى والمنكرات ثم نقضوا العهد مرة بعد اخرى * نه مارا در ميان عهد وفا بود * جفا كردى وبدعهدى نمودى * هنوزت ار سر صلحست باز آى * كزان محبوبتر باشى كه بودى (فاما تثقفنهم) تثقفه كسمعه صادفه او اخذه وظفر به او ادركه كما فى القاموس واما مركبة من ان للشرط وما للتأكيد اى فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (فى الحرب) اى فى تضاعيفها (فشرد) فرق قال الكاشفى پس پيره كردان ومتفرق ساز (بهم) اى بسبب قتلهم (من خلفهم) مفعول شرد أى من وراءهم من الكفرة من اعدائك والتشريد الطرد وتفريق الشمل وتبديد الجمع يعنى ان صادفت هؤلاء الناقضين فى الحرب فافعل بهم واوقع فيهم من النكاية والقهر ما يضطرب به حالهم ويخاف منك امثالهم بحيث يذهب عنهم بالكلية ما يخطر ببالهم من مناصبتك اى معاداتك ومحاربتك (لعلهم يذكرون) اى لعل المشردين وهم من خلفهم يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعون عن النقض او عن الكفر * نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دگر مرغ بيند اندر بند * پند گير از مصائب دگران * تا نگيرند ديگران زتو پند (واما تخافن) تعلمن فالخوف مستعار للعلم (من قوم) من المعاهدين (خيانة) نقض عهد فيما سيأتى بما لاح لك منهم من علامات الغدر (فانبذ اليهم) اى فاطرح اليهم عهدهم حال كونك (على سوآء) اى ثابتا على طريق سوى فى العداوة بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة فلا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة أصلا فالجار متعلق بمحذوف وهو حال من النابذ او على استوآء فى العلم بنقض العهد بحيث يستوى فيه اقصاهم وادناهم فهو حال من المنبوذ اليهم او تستوى فيه أنت وهم فهو حال من الجانبين (ان الله لا يحب الخائنين) تعليل للامر بالنبذ على طريقة الاستئناف كأنه قيل لم امرتنا بذلك ونهيتنا عن المحاربة قبل نبذ العهد فاجيب بذلك ويحتمل ان يكون طعنا على الخائنين الذين عاهدهم الرسول عليه السلام كأنه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم واعلم ان النبذ انما يجب على الامام اذا ظهرت خيانة المعاهدين بامارات ظنية واما اذا ظهر انهم نقضوا العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة الى نبذ العهد كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم فى ذمة النبى عليه السلام ولما امر الله بنبذ العهد والتصريح به قبل المحاربة خطر بالبال ان يقال كيف نوقظ العدو ونعلمهم بطرح العهد اليهم قبل المحاربة مع انهم ان علموا ذلك اما ان يتأهبوا للقتال ويستجمعوا اقصى ما يمكن لهم من اسباب التقوى والغلبة او يفروا ويتخلصوا وعلى

التقديرين يفوت المقصود وهو الانتقام منهم اما يكفى لصحة المحاربة معهم بغير نبذ العهد اليهم واعلامهم به ظهور امارات الخيانة منهم فازاح الله تعالى هذا المحذور بقوله (ولا يحسبن) اى لا يظنن (الذين كفروا) وهو فاعل وللمفعول الاول محذوف اى انفسهم حذف هربا من تكرار ذكرهم (سبقوا) مفعول ثان اى فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم ويدخل فيمن لم يظفر به يوم بدر وغيره من معارك القتال من الذين آذوه عليه السلام وبالغوا فى عصيانه (انهم لا يعجزون) تعليل للنهى على سبيل الاستئناف المبنى على تقدير السؤال اى لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم على ان همزة أعجز لوجود المفعول على فاعلية أصل الفعل وهو العجز كما تقول ابخلته اذا وجدته بخيلا يقال اعجزه الشئ اذا فاته واعجزت الرجل اذا وجدته عاجزا وفى الآية تهديد للنفوس التى اجترأت على المعاصى وهى فى الحقيقة مجترئة على الله تعالى وعن السرى السقطى رضى الله عنه قال كنت يوما اتكلم بجامع المدينة فوقف على شاب حسن الشباب فاخر الثياب ومعه اصحابه فسمعنى اقول فى وعظى عجبا لضعيف يعصى قويا فتغير لونه وانصرف فلما كان الغد جلست فى مجلسى واذا به قد اقبل فسلم وصلى ركعتين وقال يا سرى سمعتك بالامس تقول عجبا لضعيف كيف يعصى قويا فما معناه قلت لا اقوى من الله ولا اضعف من العبد وهو يعصيه * كرچه شاطر بود خروس بجنك * چه زند پيش باز روين چنك * فنهض وخرج ثم اقبل من الغد وعليه ثوبان ابيضان وليس معه احد فقال يا سرى كيف الطريق الى الله فقلت ان اردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل وان اردت الله فاترك كل شئ سواه تصل اليه وليس الا المساجد والخراب والمقابر فقام وهو يقول والله لا سلكت الا اصعب الطرق وولى خارجا فلما كان بعد ايام اقبل الى غلمان كثير فقالوا ما فعل احمد بن يزيد الكاتب فقلت لا اعرف الا رجلا جاءنى من صفته كذا وكذا وجرى لى معه كذا وكذا ولا اعلم حاله فقالوا بالله عليك متى عرفت حاله فعرفنا ودلنا على داره فبقيت سنة لا اعرف حاله ولا اعرف له خبرا فبينما انا ذات ليلة بعد العشاء الاخيرة جالس فى بيتى اذا بطارق يطرق الباب فاذنت له فى الدخول فاذا بالفتى عليه قطعة من كساء فى وسطه واخرى على عاتقه ومعه زنبيل فيه نوى فقبل بين عينى وقال يا سرى اعتقك الله من النار كما اعتقتنى من رق الدنيا فاومأت الى صاحبى ان امض الى اهله فاخبرهم فمضى فاذا زوجته قد جاءت ومعها ولده وغلمانه فدخلت وألقت الولد فى حجره وعليه حلى وحلل وقالت له يا سيدى ارملتنى وأنت حى وايتمت ولدك وأنت حى قال السرى فنظر الى فقال يا سرى ما هذا وفاء ثم اقبل عليها وقال والله انك لثمرة فؤادى وحبيبة قلبى وان هذا ولدى لأعز الخلق على غير أن هذا السرى اخبرنى ان من اراد الله قطع كل ما سواه ثم نزع ما على الصبى وقال ضعى هذا فى الاكباد الجائعة والاجساد العارية وقطع قطعة من كسائه فلف فيها الصبى فقالت المرأة لا ارى ولدى فى هذه الحالة وانتزعته منه فحين رآها قد اشتغلت به نهض وقال ضيعتم على ليلتى بينى وبينكم الله وولى خارجا وضجت الدار بالبكاء فقالت ان عاد يا سرى وسمعت له خبرا فأعلمنى فقلت ان شاء الله فلما كان بعد ايام اتتنى عجوز فقالت يا سرى بالشونيزية غلام يسألك الحضور فمضيت فاذا به مطروح تحت رأسه لبنة فسلمت عليه ففتح عينيه وقال يا سرى ترى تغفر تلك الجنايات فقلت نعم قال أيغفر لمثلى قلت نعم قال انا غريق قلت هو منجى الغرقى قال على مظالم فقلت فى الخبر انه يؤتى بالتائب يوم القيامة ومعه خصومه فيقال لهم خلوا عنه فان الله تعالى يعوضكم فقال يا سرى معى دراهم من لقط النوى اذا انا مت فاشتر ما احتاج اليه وكفنى ولا تعلم اهلى لئلا يغيروا كفنى بحرام فجلست عنده قليلا ففتح عينيه وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم مات فأخذت الدراهم فاشتريت ما يحتاج اليه ثم سرت نحوه فاذا الناس يهرعون فقلت ما الخبر فقيل مات ولى من اولياء الله نريد أن نصلى عليه فجئت فغسلته ودفناه فلما كان بعد مدة وفد أهله يستعلمون خبره فاخبرتهم بموته فأقبلت امرأته باكية فاخبرتها بحاله فسألتنى ان اريها قبره قلت اخاف ان تغيروا اكفانه قالت لا والله فأريتها القبر فبكت وامرت باحضار شاهدين فأحضرا فأعتقت جواريها ووقفت عقارها وتصدقت بمالها ولزمت قبره حتى ماتت رحمة الله عليهما * فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ * كه كار عشق ز ما اين قدر نمى آيد * (واعدوا) وآماده سازيد اى مؤمنان (لهم) اى لقتال الكفار وهيئوا لحرابهم (ما استطعتم) اى ما استطعتموه حال كونه (من قوة) من كل ما يتقوى به فى الحرب كائنا ما كان من خيل وسلاح وقسى وغيرها والحصر المستفاد من تعريف الطرفين فى قوله عليه السلام الا ان القوة الرمى من قبيل حصر الكمال لان الرمى اكمل افراد

مايتقوى به فى الحرب (روى) ان سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه رمى يوم احد ألف سهم مامنها سهم الاورسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك ابى وامى يا سعد * كره بعض العلماء تفدية المسلم بأبويه المسلمين قالوا انما فداه عليه السلام بأبويه لانهما كانا كافرين قال النووى الصحيح انه جائز مطلقا لانه ليس فيه حقيقة الفدآء وانما هو تلطف فى الكلام واعلام بمحبته وفى الحديث فضيلة الرمى والدعاء لمن فعل خيرا وجاء فى الحديث ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه الذى يحتسب فى صنعته الخير والمهدى له والرامى به وفى الحديث من شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة ومن رمى بسهم فى سبيل الله فبلغ العدو اولم يبلغ كان له كعتق رقبة مؤمنة كانت له فدآء من النار عضوا بعضو وفى الحديث من مشى بين الغرضين كان له بكل خطوة حسنة والغرض بفتح الغين المعجمة والرآء بعدهما الضاد المعجمة هو مايقصده الرماة بالاصابة وفى الحديث كل شئ ليس من ذكر الله تعالى فهو لهو الا اربع خصال مشى الرجل بين الغرضين وتأديب فرسه وملاعبة أهله وتعليم السباحة * رمى برسه كونه است رمى ظاهر به تير وكمان ورمى باطن به تير آه در صبحگاه از كمان خضوع ورمى سهام حظوظ از دل وتوجه بحق وفراغت از ماسوى (قال الحافظ) نيست برلوح دلم جز الف قامت دوست * چه كنم حرف دكر يادنداد استادم * واعلم ان صاحب المجاهدة الباطنة يتقوى على قتال النفس وهوا بذكر الله تعالى فهو القوة فى حقه (ومن رباط الخيل) فعال بمعنى مفعول كلباس بمعنى ملبوس فرباط الخيل بمعنى خيل مربوطة كما قيل جرد قطيفة بمعنى قطيفة جرد أضيف العام الى الخاص للبيان او التخصيص كخاتم فضة وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ويقال ان الجن لاتدخل بيتا فيه فرس ولا سلاح وفى الحديث من نقى شعيرا لفرسه ثم جاء به حتى يعلفه كتب الله له بكل شعيرة حسنة والفرس يرى المنامات كبنى آدم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الفرس يقول اذا التقت الفئتان سبوح قدوس رب الملائكة والروح ولذلك كان اهم فى الغنيمة سهمان وفى الحديث عليكم باناث الخيل فان ظهورها حرز وبطونها كنز وفى الحديث من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا به وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى كفة حسناته قال موسى للخضر أى الدواب احب اليك قال الفرس والحمار والبعير لان الفرس مركب اولى العزم من الرسل والبعير مركب هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام والحمار مركب عيسى وعزير عليهما السلام وكيف لا احب شيأ احياه الله تعالى بعد موته قبل الحشر واعلم ان الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهو ما اتخذ فى سبيل الله وقتل عليه اعدآء الله وفرس للانسان وهو مايلتمس بطنه وهو ستر من الفقر وفرس للشيطان وهو مايقامر عليه ويراهن (ترهبون به) حال من فاعل أعدوا اى حال كونكم مرهبين مخوفين بالاعداد (عدو الله وعدوكم) وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد فى العداوة وفيه اشارة الى ان المجاهد الباطنى يرهب بالذكر والمراقبة اعدى العدو وهو النفس والشيطان (وآخرين من دونهم) اى ترهبون به ايضا عدوا آخرين من غيرهم من الكفرة كاليهود والمنافقين والفرس ومنهم كفار الجن فان صهيل الفرس يخوفهم (لاتعلمونهم) العلم بمعنى المعرفة لتعديته الى مفعول واحد ومتعلق المعرفة هو الذات اى لاتعرفونهم بأعيانهم ولو كان النسب كالعلم لكان المعنى لاتعرفونهم من حيث كونهم اعدآء (الله يعلمهم) اى يعرفهم لاغيره تعالى فان قلت المعرفة تستدعى سبق الجهل فلا يجوز اسنادها الى الله تعالى قلت المراد بالمعرفة فى حقه تعالى مجرد تعلق علمه بالذوات دون النسب مع قطع النظر عن كونها مجهولة قبل تعلقه بها ودلت الآية على ان الانسان لايعرف كل عدو له * آدمى راد شمن پنهان بسيست * آدمى باحذر عاقل كسيست (وما) شرطية (تنفقوا من شئ) لاعداد العتاد قل او جل (فى سبيل الله) الذى اوضحه الجهاد (يوف اليكم) اى جزاؤه كاملا (وأنتم لاتظلمون) بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة مايستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه تعالى (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بفرس يجعل كل خطوة منه اقصى بصره فسار وسار معه جبريل عليه السلام فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا شيئا عاد كما كان فقال يا جبريل

من هؤلاء قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما انفقوا من شئ فهو يخلفه وفى الحديث من اعان مجاهدا فى سبيل الله او غارما فى عسرته او مكاتبا فى رقبته اظله الله فى ظله يوم لاظل الاظله (قال الحافظ) احوال گنج قارون كايام داد بر باد * باغنچه باز گوييد زر وا نهان ندارد (وقال ايضا) چه دوزخى چه بهشتى چه ادمى چه ملك * بمذهب همه كفر طريقتست امساك (وان جنحوا) الجنوح الميل ومنه الجناح لان الطائر يميل به الى اى جهة شاء ويعدى باللام والى اى مال الكفار (للسلم) للصلح والاستسلام بوقوع الرهبة فى قلوبهم بمشاهدة مالكم من الاستعداد واعتاد العتاد (فاجنح لها) اى للسلم والتأنيث لحمله على نقيضه الذى هو الحرب وهى مؤنثة اولكونه بمعنى المسالمة اى المصالحة (وتوكل على الله) اى لاتخف من ابطان مكرهم فى الصلح فان الله يعصمك (انه هو السميع) فيسمع ما يقولون فى خلواتهم من مقالات الخداع (العليم) فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم فى نحرهم والآية عامة لاهل الكتاب وغيرهم والامر فى قوله فاجنح للاباحة والامر فيه مفوض لرأى الامام وليس يجب عليه ان يقاتلهم ابدا اولان يسعفهم الى الصلح عند طلبهم ذلك ابدا بل يبنى الامر على ما فيه صلاح المسلمين فاذا كان للمسلمين قوة فلا ينبغى ان يصالحهم وينبغى ان يحاربهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية وان رأى المصلحة فى المصالحة ومال اليها لايجوز ان يصالحهم سنة كاملة الا اذا كانت القوة والغلبة للمشركين فحينئذ جازله ان يصالحهم عشر سنين ولاتجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام فعل كذلك ثم انهم نقضوا العهد قبل تمام المدة وكان ذلك سببا لفتح مكة (وان يريدوا) اى الذين يطلبون منك الصلح (ان يخدعوك) باظهار الصلح لتكف عنهم (فان حسبك الله) فان محسبك الله وكافيك من شرورهم وناصرك عليهم يقال احسبنى فلان اى اعطانى حتى اقول حسبى (هو الذى ايدك بنصره) اى قواك بامداد من عنده بلا واسطة سبب معلوم مشاهد (وبالمؤمنين) من المهاجرين والانصار ثم انه تعالى بين كيف ايده بالمؤمنين فقال (وألف بين قلوبهم) و پيوند افكند بدوستى ميان دلهاى ايشان * مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لايكاد يأتلف فيهم قلبان وكان اذا لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنها قبيلته حتى يدركوا ثاره فكان دأبهم الخصومة الدائمة والمحاربة ولاتتوقع بينهم الالفة والاتفاق ابدا فصاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة هذا من ابهر معجزاته عليه السلام (قال الكاشفى) اوس وخزرج صد وبيست سال درميان ايشان تعصب وستيزه بود وهمواره بقتل وغارت هم اشتغال مى نمودند حق تعالى ببركت تو دلهاى ايشانرا الفت داد * يك حرف صوفيانه بگويم اجازتست * اى نور ديده صلح به از جنگ آورى (لوانفقت ما فى الارض جميعا) اى لتأليف ما بينهم (ما ألفت بين قلوبهم) اى تناهت عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم جميع ما فى الارض من الاموال والذخائر لم يقدر على التأليف والاصلاح (ولكن الله ألف بينهم) قلبا وقالبا بقدرته الباهرة فانه المالك للقلوب فيقلبها كيف يشاء (انه عزيز) كامل القدرة والغلبة لايستعصى عليه شئ مما يريده (حكيم) يعلم كيفية تسخير ما يريده واعلم ان التودد والتألف والموافقة مع الاخوان من ائتلاف الارواح وفى الحديث المؤمن الف مألوف ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف وفى الحديث مثل المؤمنين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى المؤمنان الا استفاد احدهما من صاحبه خيرا وقال ابو ادريس الخولانى لمعاذ انى احبك فى الله فقال ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لايفزعون ويخاف الناس وهم لايخافون وهم اولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال المتحابون فى الله قيل لو تحاب الناس وتعاطوا المحبة لاستغنوا بها عن العدالة فالعدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لاتوجد المحبة وقيل طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض فى البعض لانهم لما تحابوا فى الله تواصوا بمحاسن الاخلاق ووقع القبول لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ والاخ بالاخ ولهذا المعنى امر الله تعالى باجتماع الناس فى كل يوم خمس مرات فى المساجد من اهل كل درب وكل محلة وفى الجامع فى الاسبوع مرة من اهل كل بلد وانضمام اهل السواد الى البلدان فى الاعياد فى جميع

السنة مرتين واهل الاقطار من البلدان فى العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الالفة والمودة بين المؤمنين وفى الحديث الان مثل المؤمنين فى توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى (قال السعدى) بنى آدم اعضاى يكديكرند * كه در آفرينش زيك جوهرند * چو عضوى بدرد آورد روزكار * دكر عضوها رانماند قرار * والتألف والتودد يؤكد الصحبة والصحبة مع الاخيار مؤثرة جدا بل مجرد النظر الى اهل الصلاح يؤثر صلاحا والنظر فى الصور يؤثر اخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه كدوام النظر الى المحزون يحزن ودوام النظر الى المسرور يسر وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير فى الحيوان والنبات والجماد والماء والهوآء يفسدان بمقارنة الجيف والزروع تنقى من انواع العروق فى الارض والنبات لموضع الافساد بالمقارنة واذا كانت المقارنة مؤثرة فى هذه الاشياء ففى الصور الشريفة البشرية اكثر تأثيرا وقيل سمى الانسان انسانا لانه يأنس بما يراه من خير اوشر والتألف والتودد مستجلبان للمزيد وانما العزلة والوحدة تحمد بالنسبة الى اراذل الناس وأهل الشر فاما أهل العلم والصفاء والوفاء والاخلاق الحميدة فتغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كما ان محبتهم من محبة الله تعالى والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع فالصوفى مع غير الجنس كائن بائن ومع الجنس كائن معاين والمؤمن مرءاة المؤمن اذا التقى مع اخيه يستشف من ورآء اقواله واعماله واحواله تجليات آلهية وتعريفات وتلويحات من الله الكريم خفية غابت عن الاغيار وادركها أهل الانوار كذا فى عوارف المعارف يقول الفقير اصلحه الله القدير سمعت من بعض العلماء المتورعين والمشايخ المتزهدين ممن له زوجتان متباغضتان انه قال قرأت هذه الآية وهى قوله تعالى هو الذى ايدك الى آخرها على ماء فى كوز ونفثت فيه ثم اشربته اياهما فوقع التودد والالفة بينهما بأذن الله تعالى وزال التباغض والتنافر الى الآن (يا أيها النبى) المخبر عن الله تعالى المرتفع شأنه (حسبك الله) اى كافيك فى جميع امورك (ومن اتبعك من المؤمنين) الواو بمعنى مع اى كفاك وكفى اتباعك ناصرا كقولك حسبك وزيدا درهم او عطف على اسم الله تعالى اى كفاك الله والمؤمنون والكافى الحقيقى هو الله تعالى واسناد الكفاية الى المؤمنين لكونهم اسبابا ظاهرة لكفاية الله تعالى والآية نزلت بالبيدآء فى غزوة بدر قبل القتال تقوية للحضرة النبوية وتسلية للصحابة رضى الله عنهم فالمراد بالمؤمنين الانصار وقال ابن عباس رضى الله عنه نزلت فى اسلام عمر رضى الله عنه فتكون الآية مكية كتبت فى سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم روى انه اسلم مع النبى عليه السلام ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضى الله عنه فكمل الله الاربعين باسلامه فنزلت وكان صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم اعز الاسلام وفى رواية ايد الاسلام باحد الرجلين اما بابى جهل بن هشام واما بعمر بن الخطاب وكان دعاؤه بذلك يوم الاربعاء فاسلم عمر رضى الله عنه يوم الخميس وكان وقتئذ ابن ست وعشرين سنة وسبقه حمزة بن عبد المطلب بالاسلام بثلاثة ايام او بثلاثة أشهر (روى) انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قام ابو جهل بن هشام وكان يكنى فى الجاهلية بابى الحكم لانهم يزعمون انه عالم ذو حكمة ثم كناه النبى عليه السلام بابى جهل وغلبت عليه كنيته وكان خال عمر لان ام عمر اخت ابى جهل لان ام عمر بنت هشام بن المغيرة والد ابى جهل فابو جهل خال عمر او لان ام عمر بنت عم ابى جهل وعصبة الام اخوال الابن فلما قام خطب فقال يا معشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه احلامكم وزعم انكم واباءكم وآلهتكم فى النار فهل من رجل يقتل محمدا وله على مائة ناقة حمرآء وسودآء وألف اوقية من فضة فقام عمر بن الخطاب وقال اتضمن ذلك يا ابا الحكم فقال نعم يا عمر فأخذ عمر بيد ابى جهل ودخلا الكعبة وكان عندها صنم عظيم يسمونه هبل فتحالفا عنده واشهدا على انفسهما هبل فانهم كانوا اذا ارادوا امرا من سفر أو حرب او سلم او نكاح لم يفعلوا شيأ حتى يستأمروا هبل ويشهدوه عليهم وتلك الاصنام التى كانت حوله كانت ألف صنم وخمسمائة صنم ثم خرج عمر متقلدا سيفه متنكبا كنانته اى واضعا لها فى منكبه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبى عليه السلام مختفيا مع المؤمنين فى دار الارقم رضى الله عنه تحت الصفا يعبدون الله تعالى فيها ويقرأون القرآن فلما اتى الى البيت الذى هم فيه قرع الباب فنظر اليه رجل من خلال الباب فرآه متوشحا سيفه فرجع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فزع فقال

يارسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه ولم يرد الاسفك الدم وهتك الارض فقال حمزة فائذن له فان جاء يريد خيرا بذلناله وان جاء يريد شرا اقتلناه بسيفه فاذن له فى الدخول فلما رآه النبى عليه السلام قال ما انت منتهى يا عمر حتى ينزل الله بك قارعة ثم اخذ بساعده او بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وانتهره فارتعد عمر رهيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجلس فقال اعرض على الاسلام الذى تدعو اليه فقال النبى عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة وضرب النبى عليه السلام صدر عمر بيده حين اسلم ثلاث مرات وهو يقول اللهم اخرج ما فى صدر عمر من غل وأبدله ايمانا ونزل جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر ولما اسلم قال المشركون لقد انتصف القوم منا وقيل له رضى الله عنه ما تسمية النبى عليه السلام لك بالفاروق قال لما اسلمت والنبى عليه السلام واصحابه مختفون قلت يارسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى فقلت ففيم الاختفاء والذى بعثك بالحق ما بقى مجلس كنت اجلس فيه بالكفر الا اظهرت فيه الاسلام غير هائب ولا خائف والله لا نعبد الله سرا بعد اليوم فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه المسلمون وعمر رضى الله عنه امامهم معه سيف ينادى لا اله الا الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد ثم صاح مسمعا لقريش كل من تحرك منكم لامكنن سيفى منه ثم تقدم امام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف والمسلمون ثم صلوا حول الكعبة وقرأوا القرءآن جهرا وكانوا قبل ذلك لا يقدرون على الصلاة عند الكعبة ولا يجهرون بالقرءآن فسماه النبى عليه السلام الفاروق لانه فرق الله به الحق والباطل وجاء بسند حسن ان اول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب وكان عمر شديدا من حيث مظهريته للاسم الحق وجاء ما ترك الحق لعمر من صديق

لما لازمت النصح والتحقيقا * لم يتركا فى الوجود صديقا

قال اسماعيل بن حماد بن ابى حنيفة كان لنا جار طحان رافضى ملعون وكان له بغلان سمى احدهما ابا بكر والآخر عمر فرمحه ذات ليلة احد البغلين فقتله فاخبر جدى ابو حنيفة فقال انظروا فانى اخال ان البغل الذى اسمه عمر هو الذى رمحه فنظروا فكان كما قال واستأذن عمر رضى الله عنه فى العمرة فأذن له عليه السلام وقال يا اخى لا تنسنا من دعائك قال ما احب ان لى بقوله يا اخى ما طلعت عليه الشمس وجاء اول من يصافحه الحق عز وجل عمر بن الخطاب واول من يسلم عليه وجاء لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب وجاء ان الله تعالى ايدنى باربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبرائيل وميكائيل عليهما السلام واثنين من أهل الارض ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فكانا بمنزلة الوزيرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه الصلاة والسلام يشاورهما فى الامور كلها وفيهما نزل وشاورهم فى الامر وجاء انه كان فيما مضى قبلكم من الامم محدثون المحدث بفتح الدال المشددة هو الذى يلقى فى نفسه الشئ فيخبر به فراسة ويكون كما قال وكأنه حدثه الملأ الاعلى وهذه منزلة جليلة من منازل الاولياء فانه ان كان فى امتى هذه فهو عمر بن الخطاب لم يرد النبى عليه السلام بقوله ان كان فى امتى التردد فى ذلك فان امته أفضل الامم فاذا وجد فى غيرها محدثون ففيها اولى بل اراد به التأكيد لفضل عمر كما يقال ان يكن لى صديق فهو فلان يريد بذلك اختصاصه بكمال الصداقة لا نفى سائر الاصدقاء وقد قيل فى فضيلة عمر

له فضائل لا تخفى على احد * الا على احد لا يعرف القمرا

وجاء انه يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك والفج طريق واسع وفيه دليل على علو درجة عمر رضى الله عنه حيث لا يقدر الشيطان ان يسلك طريقا فيه عمر والطريق واسع فكيف يتصور ان يجرى منه مجرى الدم كما يجرى فى سائر الخلق وفيه تنبيه على صلابته فى الدين واستمرار حاله على الحق المحض وكان نقش خاتم ابى بكر نعم القادر الله وكان نقش خاتم عمر كفى بالموت واعظا يا عمر وكان نقش خاتم عثمان آمنت بالله مخلصا وكان نقش خاتم على رضى الله عنه الملك لله وكان نقش خاتم ابى عبيدة بن الجراح الحمد لله هذا هو النقش الظاهر المضاف الى البدن واما نقش الوجود ونفسه (فقد قيل) كرت صورت حال بد يا نكوست * نكاريدۀ دست تقدير اوست (وقيل) نقش مستورى ومستى نه بدست من وتست * آنچه سلطان ازل كفت بكن آن كردم * نسأل الله تعالى ان يحفظ نقش ايماننا فى لوح القلب من مس

يد الشك والريب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب واجعلنا من اهل الايقان الذين قلت فيهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان فما نقشه قبضة جمالك لا يطرأ عليه محو من جلالك وان تطاول الزمان وامتد عمر الانسان (يا أيها النبى) يارفيع القدر (حرض المؤمنين على القتال) اى بالغ فى حثهم على قتال الكفار ورغبهم فيه بوعد الثواب او التنفيل عليه والتحريض على الشئ ان يحث الانسان غيره ويحمله على شئ حتى يعلم منه انه ان تخلف عنه كان حارضا اى قريبا من الهلاك فتكون الآية اشارة الى ان المؤمنين لو تخلفوا عن القتال بعد حث النبى عليه السلام اياهم على القتال لكانوا حارضين مشرفين على الهلاك والحث انما يكون بعد الاقدام بنفسه ليقتدى القوم به ولهذا كان النبى عليه السلام اذا اشتدت الحرب اقرب الى العدو منهم كما قال على رضى الله عنه كنا اذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون احد أقرب الى العدو منه قال السلطان سليم فاتح مصر * كرلشكر عدو بود ازقاف تابقاف * بالله كه هيچ روى نمى تابم ازمصاف * چون آفتاب ظلمت كفر ازجهان برم * كاهى چوصبح تيغ برون آرم ازغلاف * وفى الآية بيان فضيلة الجهاد والالماوقع الترغيب عليه وفى الحديث ما جميع اعمال العباد عند المجاهدين فى سبيل الله الا كتل خطاف اخذ بمنقاره من ماء البحر (ان يكن منكم) أيها المؤمنون (عشرون صابرون) فى معارك القتال (يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) بيان للالف وهذا القيد معتبر فى المائتين ايضا كما ان قيد الصبر معتبر فى كل من المقامين (بانهم قوم لا يفقهون) متعلق بيغلبوا اى بسبب انهم قوم جهلة بالله وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله واعلاء لكلمته وابتغاء لمرضاته وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع الشهوات وخطوات الشيطان واثارة نائرة البغى والعدوان فيستحقون القهر والخذلان وهذا القول وعد كريم منه تعالى متضمن لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة فى ثلاثين راكبا فلقى اباجهل فى ثلاثمائة راكب فهزمهم فثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ الله هذا الحكم بقوله (الآن خفف الله عنكم) ففرض على الواحد ان يثبت لرجلين قال ابن عباس رضى الله عنهما من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر اى ارتكب المحرم وهو كبيرة الفرار من الزحف قال الحدادى وهذا اذا كان للواحد المسلم من السلاح والقوة ما لكل واحد من الرجلين الكافرين كان فارا واما اذا لم يكن لم يثبت حكم الفرار (وعلم ان فيكم ضعفا) اى ضعف البدن قال التفتازانى فى تقييد التخفيف بقوله الآن ظاهر الاستقامة لكن فى تقييد العلم به اشكال توهم انتفاء العلم بالحادث قبل وقوعه والجواب ان العلم متعلق به ابدا اما قبل الوقوع فبأنه سيقع وحال الوقوع بانه يقع وبعد الوقوع بانه وقع وقال الحدادى وعلم فى الازل ان فى الواحد منكم ضعفا عن قتال العشرة والعشرة عن قتال المائة والمائة عن قتال الالف (فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق ايضا ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا (والله مع الصابرين) بالنصر والتأييد فكيف لا يغلبون وما نشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر دلت الآية على ان من صبر ظفر فان الصبر مطية الظفر * صبر و ظفر هر دو دوستان قديمند * صبر كن اى دل كه بعد ازان ظفر آيد * از چمن صبر رخ متاب كه روزى * باغ شود سبز و شاخ گل ببر آيد * قال السلطان سليم الاول * سليمى خصم سه دل چه داند اين حالت * كه از ظهور الهيست فتح لشكر ما * قال فى التأويلات النجمية فى قوله تعالى باذن الله يعنى ان الغلبة والظفر ليس من قوتكم لانكم ضعفاء وانما هو بحكم الله الازلى ونصره واما الاقوياء وهم محمد عليه السلام والذين معه اشداء على الكفار لقوة توكلهم ويقينهم وفقه قلوبهم لا يفر واحد منهم من مائة من العدو كما كان حال النبى عليه السلام ومن معه من اهل القوة على ما قال ابن عباس بن عبد المطلب شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلم افارقه ورسول الله على بغلة بيضاء فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق النبى عليه السلام يركض بغلته قبل الكفار وانا آخذ بلجام بغلته اكفها ارادة ان لا يسرع وابو سفيان آخذ بركاب رسول الله فلما كان رسول الله ومن معه صابرين اولى قوة لم يفروا مع القوم (قال السلطان سليم) سيمرغ جان ما كه رميدست از دوكون * منت خدا راكه بجان رام مصطفاست * وفى ترجمة وصايا الفتوحات المكية آدمى ازجهت انسانيت مخلوقست برهلع و بر دلى واما ازروى ايمان مخلوقست برقوت وشجاعت واقدام ودرروايت

آمده است ازبعضى ازصحابهٔ رسول الله عليه السلام رسول اورا خبرداده بودكه تووالى شوى در مصر وحكم كنى وقتى قلعه را حصاركرده بودند وآن صحابى نيزدرميان بودسائرا صحابرا كفت مرادركفهٔ منجنيق نهيد وسوى كفار درقلعه اندازيد چون من آنجارسم قتال كنم ودرحصار بكشايم چون ازسبب اين جرأت برسيدند كفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مراخبرداده است كه درمصر والى شوم وهنوزنشدم يقين ميدانم كه نميرم تاوالى نشوم فهم كن كه قوت ايمان اينست والاازروى عرف معلومست كه چون كسى رادر كفهٔ منجنيق نهند و بيند ازند حال اوچه باشد پس دل مؤمن قوى ترين دلهاست * ألا انما الانسان غمد لقلبه ولاخيرفى غمد اذالم يكن نصل وجاء فى دعاء النبى عليه السلام اللهم انى اعوذبك من الشك فى الحق بعد اليقين واعوذبك من الشيطان الرجيم واعوذبك من شر يوم الدين قال بعضهم العمل سعى الاركان الى الله والنية سعى القلوب الى الله تعالى والقلب ملك والاركان جنوده ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك (ما كان) ماصح وما استقام (لنبى) من الانبياء عليهم السلام (أن يكون له اسرى) اى يثبت له فكان هذه تامة واسرى جمع اسيركرحى جمع جريح واسارى جمع الجمع (روى) انه عليه السلام اتى يوم بدر بسبعين اسيرافيهم العباس وعقيل بن ابى طالب فاستشارفيهم فقال ابو بكرهم قومك واهلك استبقهم لعل الله يهديهم الى الاسلام وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك من ديارك وقاتلوك فاضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليامن عقيل وحمزة من العباس فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابابكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لاتذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه بان قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم اطلقتموهم بان تأخذوا من كل اسير عشرين اوقية والاوقية اربعون درهما فى الدراهم وستة دنانير فى الدنانير الاان يستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفدآء ويدخل منا الجنة سبعون وفى لفظ ويستشهد مناعدتهم فاستشهدوا يوم احد بسبب قولهم هذا واخذهم الفدآء فنزلت الآية فى فدآء اسارى بدر فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يارسول الله اخبرنى فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفدآء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه قال فى السيرة الحلبية اسرى بدر منهم من فدى ومنهم من خلى سبيله من غير فدآء وهو ابو العاص ووهب بن عمير ومنهم من مات ومنهم من قتل وهو النضر بن الحارث وعقبة بن ابى معيط (حتى يثخن فى الارض) يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى اهله وحتى لانتهاء الغاية فدل الكلام على ان له ان يقدم على الاسر والشد بعد حصول الاثخان وهو مشتق من الثخانة وهى الغلظة والكثافة فى الاجسام ثم استعير فى كثرة القتل والمبالغة فيه لان الامام اذا بالغ فى القتل يكون العدو كشئ ثقيل يثبت فى مكانه ولا يقدر على الحركة يقال اثخنه المرض اذا اضعفه واثقله وسلب اقتداره على الحركة (تريدون عرض الدنيا) استئناف مسوق للعتاب اى تريدون حطامها باخذكم الفدآء وسمى المال عرضا لقلة لبثه فمنافع الدنيا وما يتعلق بها لا ثبات لها ولا دوام فصارت كأنها تعرض ثم تزول والخطاب لهم لالرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجلة اصحابه فان مراد ابى بكر كان اعزاز الدين وهداية الاسارى وفيه اشارة الى ان اخذ الفدآء من اسارى المشركين ما كان شيمة للنبى عليه السلام ولا لسائر الانبياء فانه رغبة فى الدنيا ومن شيمة النبى عليه السلام انه قال مالى وللدنيا * كين جهان جيفه است ومردار ورخيص * برچنين مردارچون باشم حريص *

وانما رغب فيها بعضهم بعد ان شاورهم بامر الله تعالى اذأمره بقوله وشاورهم فى الامر (والله يريد الآخرة) يريد لكم ثواب الآخرة الذى لامقدار عنده للدنيا ومافيها قال سعدى چلبى المفتى لعل المراد والله اعلم والله يرضى فاطلق الارادة على الرضى على سبيل المشاكلة فلا يرد أن الآية تدل على عدم وقوع مراد الله تعالى خلاف مذهب أهل السنة (والله عزيز) يغلب اولياؤه على اعدآئه (حكيم) يعلم بما يليق بكل حال ويخصها به كما امر بالاثخان ومنع عن الافتدآء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فدآء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين قال بعضهم دلت الآية على ان الانبياء مجتهدون لان العتاب الذى

فيما لا يكون فيما صدر عن وحى ولا فيما كان صوابا وانه قد يكون خطأ ولكن لا يتركون عليه بل ينبهون على الصواب (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ فى اجتهاده وان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهى وفى التأويلات النجمية لولا كتاب الله سبق باستبقاء هؤلاء الاسارى ليؤمن بعضهم ويؤمن اولاد بعضهم وذراريهم (لمسكم) اى لاصابكم (فيما اخذتم) اى لاجل ما اخذتم من الفداء (عذاب عظيم) لا يقادر قدره روى انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان وفيه دليل على انه لم يكن احد من المؤمنين ممن حضر بدرا الا احب اخذ الفداء غيرهما قال عبد الله بن عمر ما نزل بالناس امر فقال الناس وقال عمر الا نزل القرءآن على نحو ما قال عمر وفى الحديث ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وقد وافق الوحى فى مواضع منها ما فى هذه القصة ومنها انه قال يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغيرة فقال لهن عمر عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن (فكلوا مما غنمتم) روى انهم امسكوا عن الغنائم فقال تعالى قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتموه * از آنچه غنيمت كرفته ايد وفديه از ان جمله است (حلالا) حال من المغنوم وفائدته ازاحة ما وقع فى نفوسهم من عدم حل المغنوم بسبب تلك المعاتبة فان من سمع العتاب المذكور وقع فى قلبه اشتباه فى امر حله (طيبا) الطيب المستلذ ووصف الحلال بذلك على التشبيه فان المستلذ ما لا يكون فيه كراهية فى الطبع وكذا الحلال ما لا يكون فيه كراهية فى الدين (واتقوا الله) اى فى مخالفة امره ونهيه (ان الله غفور رحيم) فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه (قال الكاشفى) رحيم مهربانست كه غنيمت بر شما حلال كرده وبر امم ديكر حرام بوده * كما قال ابن عباس رضى الله عنه كانت الغنائم حراما على الانبياء فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت تنزل نار من السماء فتأكله ولله تعالى عنايات لهذه الامة لا تحصى (روى عن النبى عليه السلام انه قال لآدم ليلة المعراج أنت خير الناس لان الله تعالى قد فعل معك ستة اشياء خلقك بيده واكرمك بالعلم واسجد لك ملائكته ولعن من لم يسجد لك وكرمك بامرأة مثل حوآء وأباح لك الجنة بحذافيرها فقال لا بل أنت خير الناس لانه اعطاك ستة اشياء لم يعطها احدا غيرك جعل شيطانك مسلما وقهر عدولك واعطاك زوجة مثل عائشة تكون سيدة نساء الجنة واحيى جميع الانبياء لاجلك وجعلك مطلعا على سرآئر امتك وعامل امتك بستة اشياء اولها اخرجنى من الجنة بمعصية واحدة ولا يخرج امتك من المسجد بالمعصية ونزع منى الحلة ولم ينزع الستر من امتك وفرق عنى زوجتى ولا يفرق عن امتك ازواجهم ونقص من قامتى ولا ينقص من قامتهم وفضحنى بقوله وعصى آدم وستر على امتك وبكيت مائتى سنة حتى غفر لى ويغفر لامتك بعذر واحد (قال السعدى) محالست اكر سر برين در نهى * كه باز آيدت دست حاجت تهى * بضاعت نياوردم الا اميد * خدايا زعفوم مكن نااميد * وينبغى للمؤمن ان يأخذ الحذر فان عتاب الله تعالى اذا كان بهذه المرتبة فى صورة الخطأ فى الامور الاجتهادية فما ظنك فى عتابه بل بعقابه فى الامور العمدية المخالفة لكتاب الله تعالى ألا ترى ان الهدهد لما خالف سليمان فى الغيبة استحق التهديد والزجر والعقوبة فانك ان خالفت امر سلطانك تستحق العقوبة فان انت واظبت على الخدمة والطاعة اقبت عذرك وفى القصة بيان لزوم البكاء عند وقوع الخطأ لان النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضى الله عنه بكيا قيل ان النار تقرب يوم القيامة فيشفع النبى صلى الله عليه وسلم بالانصراف فلا تنصرف حتى يأتى جبريل بقدح من الماء ويقول اضرب به على وجهها فيضرب به فتنفر النار فيقول يا جبرآئيل من ابن هذا الماء فيقول انه من دموع العصاة (وفى المثنوى) تا نكريد ابر كى خندد چمن * تا نكريد طفل كى جوشد لبن * طفل يك روزه همى داند طريق * كه بكريم تا رسد دايه شفيق * تو نمى دانى كه دايهٔ دايكان * كم دهد بى كريه شير او رايكان * چون بر آرند از پشيمانى انين * عرش لرزد از انين المذنبين (يا أيها النبى) من الالقاب المشرفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى يا ايها المخبر عن الله وعن احكامه (قل لمن فى ايديكم من الاسرى) جمع اسير روى انها نزلت فى العباس بن عبد المطلب عم النبى عليه السلام وكان اسير يوم بدر وكان احد العشرة الذين ضمنوا اطعام من خرج من مكة لحماية العير وكان يوم بدر قد خرج بعشرين اوقية من ذهب ليطعم بها الكفار فوقع القتال قبل ان يطعم بها وبقيت العشرون

اوقية معه فاخذت منه فى الحرب فكلم النبى عليه السلام فى ان يحتسب العشرين اوقية من فدآئه فابى وقال اماشئ خرجت تستعين به علينا فلا اتركه لك فكلفه ان يفدى نفسه بمائة اوقية زآئدا على فدآء غيره لقطع الرحم وكلفه ان يفدى ايضا ابنى اخويه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث كل واحد باربعين اوقية فقال يا محمد تركتنى اى صيرتنى اتكفف قريشا مابقيت والتكفف هو ان يمد كفه يسأل الناس يعنى غنم المسلمون مالى ومابقى لى شئ حتى افدى نفسى وابنى اخوى فقال فأين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل يعنى زوجته وقت خروجك من مكة وقلت لها انى لاادرى مايصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم وهم ابناؤه فقال العباس ومايدريك قال اخبرنى به ربى قال أشهد أنك صادق وان لا اله الا الله وانك رسول الله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى امرك فاما اذ اخبرتنى بذلك فلا ريب والآية وان نزلت فى حق العباس خاصة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب اى قل للعباس وعقيل وغيرهما من الاسارى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) ايمانا واخلاصا هذا الشك بالنسبة الينا كما فى قوله عليه السلام ان كنت تعلم فى دعاء الاستخارة فان معناه ان تعلق علمك وارادتك فلما كان تعلق هذا العلم مشكوكا بالنسبة الى العبد عبر عن هذا المعنى بمجازى هكذا سمعته من حضرة شيخنا العلامه ابقاه الله بالسلامه (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) من الفدآء (ويغفر لكم والله غفور رحيم) قال العباس فأبدلنى الله خيرا مما اخذ منى لى الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب اى يتجر فى عشرين ألف درهم واعطانى سقاية زمزم ما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة انجزلى احد الوعدين وانا ارجو ان ينجزلى الوعد الثانى اى انتظر المغفرة من ربى فانه لا خلاف فى وعد الكريم * خلاف وعده محالست كز كريم آيد * لئيم اگر نكند وعده وفا شايد المغفرة (وان يريدوا) يعنى الاسرى (خيانتك) اى نقض ماعاهدوك عليه من الاسلام بالارتداد على دين آبائهم (فقد خانوا الله من قبل) بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فى الازل (فأمكن منهم) اى اقدر عليهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فيمكنك منهم ايضا يقال امكنه من الشئ وامكنه منه اى اقدره عليه فتمكن منه (والله عليم) فيعلم مافى نياتهم ومايستحقونه من العقاب * بر وعلم يك ذره پوشيده نيست * كه پيدا و پنهان بنزدش يكيست (حكيم) يفعل كل مايفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة وفى بعض الروايات ان العباس كان قد اسلم قبل وقعة بدر ولكن لم يظهر اسلامه لانه كان له ديون متفرقة فى قريش وكان يخشى ان اظهر اسلامه ضياعها عندهم وانما كلفه النبى عليه السلام الفدآء لانه كان عليه ظاهرا لا له ولما كان يوم فتح مكة وقهرهم الاسلام اظهر اسلامه ولم يظهر النبى عليه السلام اسلام العباس رقبابه كيلا يضيع ماله عند قريش وكان قد استأذن النبى عليه السلام فى الهجرة فكتب اليه ياعم اقم مكانك الذى أنت فيه فان الله تعالى يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة فكان كذلك وفى الآية بيان قدرة الله تعالى وان مريد الخلاص من يد قهره فى الدنيا والآخرة لا يجد اليه سبيلا الا بالايمان والاخلاص فهو القادر القوى الخالق وماسواه العاجز الضعيف المخلوق وفى الخبر ان النبى عليه السلام قال ان الله تعالى قال قل للقوى لا يعجبنك قوتك فان اعجبتك قوتك فادفع الموت عن نفسك وقل للعالم لا يعجبنك علمك فان اعجبك فاخبرنى متى اجلك وقل للغنى لا يعجبنك غناك فان اعجبك فاطعم خلقى غدآء واحدا وفى الآية اشارة الى ان النفوس المأسورة التى اسرت فى الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذكر عليها والظفر بها ان اطمأنت الى ذكر الله والعبودية والانقياد تحت احكامه يؤتها الله نعيم الجنة ودرجاتها وهى خير من شهوات الدنيا ونعمها وزينتها فان الدنيا ونعمها فانية والجنة ونعمها باقية وخيانة النفس التجاوز عن حد الشريعة والطريقة يقال ان متابعة سبعة اصناف اورثت سبعة اشياء الاول ان متابعة النفس اورثت الندامة كما قال تعالى فى قتل قابيل هابيل فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فأصبح من النادمين والثانى ان متابعة الهوى اورثت البعد كما قال لبلعام واتبع هواه فمثله كمثل الكلب يعنى فى البعد والخساسة والثالث ان متابعة الشهوات اورثت الكفر كما قال تعالى واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا يعنى الكفر والرابع ان متابعة فرعون اورثت الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة كما قال تعالى واتبعوا امر فرعون الى قوله فأوردهم النار والخامس ان متابعة القادة الضالة اورثت الحسرة كما قال تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا الى قوله كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار والسادس ان محبة النبى عليه السلام اورثت

المحبة كما قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله والسابع ان متابعة الشيطان اورثت جهنم كما قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين (ان الذين آمنوا) بالله تعالى وبمحمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن (وهاجروا) اوطانهم وهى مكة حبا لله ولرسوله (وجاهدوا بأموالهم) بأن صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج (وانفسهم) بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض فى المهالك ولعل تقديم الاموال على الانفس لان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا وأتم دفعا للحاجة حيث لا تتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال هكذا فى تفسير الارشاد يقول الفقير اصلحه الله القدير وجه التقديم عندى ان المال من توابع النفس والوجود وتوابعها اقدم منها فى البذل وفى الآية اسلوب الترقى من الادنى الى الاعلى ولذا قال سادات الصوفية قدس الله اسرارهم بذل المال فى مقابلة توحيد الافعال وبذل الوجود فى مقابلة توحيد ذات المعبود (فى سبيل الله) متعلق بجاهدوا وقيد لنوعى الجهاد والمراد بسبيل الله الطريق الموصل الى ثوابه وجنانه ودرجاته وقرباته وهو انما يكون موصلا بالاخلاص فبذل المال والنفس بطريق الرياء لا يوصل الى رضى الله ذى العظمة والكبرياء اللهم اجعلنا من الذين جاهدوا فى سبيلك لا فى سبيل غيرك قال الشيخ المغربى قدس سره * كل توحيد نرويد ز زمينى كه درو * خار شرك وحسد وكبر وريا وكين است (والذين آووا) النبى والمهاجرين معه اى اعطوهم المأوى وانزلوهم ديارهم بالمدينة والايواء الضم (ونصروا) اى نصروهم على اعدائهم واعانوهم بالسيف على الكفار فالاول فى حق المهاجرين والثانى فى حق الانصار والانصار كالعلم للقبيلتين الاوس والخزرج ولهذا جازت النسبة الى لفظ الجمع حيث قالوا الانصارى نسبة الى الانصار وسموا الانصار لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وواحد الانصار نصير كشريف واشراف قال السلطان سليم الاول * شاهنشه ان كدا كه بود خاك راه او * آزاد بندهٔ كه كرفتار مصطفاست * آن سينه شاد كز غم اوساخت دل حزين * وآن جان عزيز كز پى ايثار مصطفاست (اولئك) الموصوفون بما ذكر من النعوت الفاضلة (بعضهم اولياء بعض) فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اى اولى بميراث بعض من الاجانب والحاصل ان التوارث فى الابتداء بالهجرة والنصرة لا بمجرد القرابة فكان المهاجر يرثه اخوه الانصارى اذا لم يكن بالمدينة ولى مهاجرى ولا توارث بينه وبين قريبه المسلم غير المهاجرى واستمر امرهم كذلك الى ان فتحت مكة فسقطت فرضية الهجرة ثم توارثوا بالقرابة فالاولياء جمع ولى كصديق واصدقاء والولى من الولى بمعنى القرب والدنو فكأنه قيل بعضهم اقرباء بعض لا قرابة بينهم وبين من لم يؤمن ولا بين من آمن ولم يهاجر كما قال تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا) كسائر المؤمنين (مالكم من ولايتهم من شئ) اى من توليهم فى الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم (حتى يهاجروا) ولما بين تعالى ان حكم المؤمن الذى لم يهاجر انقطاع الولاية بينه وبين المؤمنين وتوهم انه يجب ان يتحقق بينهم التقاطع التام لتحققه بينه وبين الكفار ازال هذا الوهم بقوله (وان استنصروكم فى الدين) اى ان طلب منكم المؤمنون الذين لم يهاجروا النصرة (فعليكم النصر) اى فوجب عليكم نصرهم على من يعاديهم فى الدين (الا على قوم) منهم (بينكم وبينهم ميثاق) اى الا اذا كان من يعاديهم ويحاربهم من الكفار بينهم وبينكم عهد موثق فحينئذ يجب عليكم الوفاء بالعهد وترك المحاربة معهم ولا يلزمكم نصر الذين آمنوا ولم يهاجروا عليهم بل الاصلاح بينهم على وجه غير القتال (والله بما تعملون بصير) فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) آخر فى الميراث منطوق الآية اثبات الموالاة بين الكفار والكفار ليسوا بمخاطبين بفروع الايمان فالمراد منه بطريق المفهوم المخالف نهى المسلمين عن موالاتهم وموارثتهم وايجاب المباعدة بينهم ان وجد بينهم قرابة نسبية لان الموالاة بين الكفار مبنية على التناسب فى الكفر كما انها بين المؤمنين مبنية على التناسب فى الايمان فكما لا مناسبة بين الكفر والايمان من حيث ان الاول ظلمة والثانى نور فكذا لا مناسبة بين اهلهما فان الكافر عدو الله والمؤمن ولى الله فوجب التقاطع وازالة الوصلة من غير الجنس (قال الحافظ) نخست موعظهٔ پير صحبت اين پندست * كه از مصاحب ناجنس احتراز كنيد (الا) اى ان لا (تفعلوه) اى ما امرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم بعضا حتى فى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن) تامة (فتنة فى الارض)

اى تحصل فتنة عظيمة فيها وهى ضعف الايمان وظهور الكفر (وفساد كبير) فى الدارين وفيه اشارة الى مساعدة طالب النصرة باى وجه كان فان تركها يؤدى الى الخسران وارتفاع الامان وفى الحديث انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة الظالم بنهيه عن الظلم وفى فتاوى قاضى خان اذا وقع النفير من قبل الروم فعلى كل من يقدر على القتال ان يخرج الى الغزو اذا ملك الزاد والراحلة ولا يجوز له التخلف الا بعذر بين انتهى وكما انه لا كلام فى فضيلة الاعانة والامداد كذلك لا كلام فى الهجرة الى ما يقوم به دين المرء من البلاد (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى ما نزل بالمسلمين من توالى الاذى عليهم من كفار قريش مع عدم قدرته على اتقاذهم مما هم فيه قال لهم تفرقوا فى الارض فان الله سيجمعكم قالوا الى اين تذهب قال ههنا واشار بيده الى جهة الحبشة وفى رواية قال لهم اخرجوا الى ارض الحبشة فان بها ملكا عظيما لا يظلم عنده احد وهى ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه يقول الفقير اصلحه الله القدير سمعت من حضرة شيخى العلامة ابقاه الله بالسلامه انه قال لو كان لى مال لهاجرت من قسطنطينية الى ارض الهند لانه لا فائدة فى الاقامة مع سلطان لا غيرة له اصلا من جهة الدين ثم ذكر تورع سلطان الهند وهذا الكلام مطابق للشريعة والطريقة وقد قال بعض الكبار ان الاولياء لا يقيمون فى بلاد الظلم وجاء فى الحديث من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابيه خليل الله ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام فهاجر الى الحبشة ناس من مخافة الفتنة وفرارا الى الله تعالى بدينهم منهم من هاجر الى الله باهله ومنهم من هاجر بنفسه وهى الهجرة الاولى فمن آمن بان طالب الله تعالى حق واجب هاجر من غير الله فهاجر من افعاله القبيحة الطبيعية الى الافعال الحسنة الشرعية ومن الاوصاف الذميمة الى الاخلاق الحميدة ومن الوجود المجازى الى الوجود الحقيقى وبذل ماله ونفسه فى طلب الحق وترك كل باطل هو غير الحق (قال السيد البخارى قدس سره) هست تاج عارفان اندرجهان از چار ترك * ترك دنيا ترك عقبا ترك هستى ترك ترك * وفى الحديث كان فيما كان قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعا وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو لها فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التى اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفى رواية فأوحى الله الى هذه ان تباعدى والى هذه ان تقربى فان قلت الظاهر من الحديث انه قبلت توبة ذلك الرجل وهذا مخالف لما ثبت فى الشرع من ان حقوق العباد لا تسقط بالتوبة قلنا اذا تاب ظالم لغيره وقبل الله توبته يغفر له ذنب مخالفة امر الله ومابقى عليه من حق العبد فهو فى مشيئة الله ان شاء ارضى خصمه وان شاء اخذ حقه منه والحديث من القسم الاول وعلى تقدير الارضاء لا يكون ساقطا ايضا الا خذه عوضه من الله وفى الحديث استحباب ان يفارق التائب موضع الذنب والمساعدين ويستبدل منهم صحبة أهل الصلاح اللهم اجعلنا من المهاجرين وألحقنا بعبادك الصالحين (والذين آمنوا) بجميع ما يجب ان يؤمن به اجمالا وتفصيلا (وهاجروا) اوطانهم تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبا لمرضاة الله (وجاهدوا) الكفار والمجاهدة والجهاد باكسى كارزار كردن درراه خداى (فى سبيل الله) هو دين الاسلام والاخلاص الموصلان الى الجنة ودرجاتها (والذين آووا) اى ضموا المؤمنين الى انفسهم فى مساكنهم ومنازلهم وواسوهم يقال اوى بيت منزلى واليه اويا نزلته بنفسى وسكنته واويته وآويته انزلته والمأوى المكان فالايواء بالفارسية جايكاه دادن (ونصروا) اى اعانوهم على اعدآئهم فالموصول الاول عبارة عن المهاجرين الاولين والثانى عن الانصار كما سبق (اولئك هم المؤمنون) ايمانا (حقا) لانهم حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق فالآية الاولى مذكورة لبيان حكمهم وهو أنهم يتوارثون ويتولى بعضهم بعضا فى الميراث وهذه الآية مذكورة لبيان ان الكاملين فى الايمان منهم هم المهاجرون الاولون

والانصار لا غيرهم فلا تكرار (لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) اى واسع كثير يطعمهم الله تعالى فى الجنة طعاما يصير كالمسك رشحا ولا يستحيل فى اجوافهم نجوا وهو ما يخرج من البطن من ريح اوغائط ثم ألحق بهم فى الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال (والذين آمنوا من بعد) اى من بعد الهجرة الاولى (وهاجروا) بعد هجرتكم (وجاهدوا معكم) فى بعض مغازيكم (فاولئك منكم) اى من جملتكم أيها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ألحقهم الله بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا فى الايمان والهجرة (روى) ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آخى بين المهاجرين والانصار فكان المهاجر يرثه اخوه الانصارى دون قريبه الغير المهاجر وان كان مسلما فنسخ الله تعالى ذلك الحكم بقوله (وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) آخر منهم فى التوارث من الاجانب (فى كتاب الله) اى فى حكمه (ان الله بكل شئ عليم) ومن جملته ما فى تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة * نه در احكام اوست چون وچرا * نه در افعال اوچگونه وچند * اعلم ان المهاجرين الاولين من حيث انهم اسسوا قاعدة الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من الانصار يدل عليه قوله عليه السلام لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار فان المراد منه اكرام الانصار بان لارتبة بعد الهجرة أعلى من نصرة الدين والمهاجرون على طبقات منهم من هاجر معه عليه السلام اوبعد هجرته قبل صلح الحديبية وهو فى سنة ثنتين من الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة وهم أهل الهجرة الثانية ومنهم ذو هجرتين هجرة الى الحبشة وهجرة الى المدينة وكانت الهجرة الى المدينة بعد ان هاجر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضا على المؤمن المستطيع ليكون فى سعة امر دينه ولينصر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى اعلاء كلمة الله فلما فتح مكة اعلمهم بان الهجرة المفروضة قد انقطعت وانه ليس لاحد بعد ذلك ان ينال فضيلة الهجرة وان ينازع المهاجرين فى مراتبهم واما الهجرة التى تكون من المسلم لصلاح دينه الى مكة اوالى غيرها فانها باقية ابد الدهر غير منقطعة وفى الحديث لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد دينى وفى الحديث من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن مات باحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة (وروى) الامام فى الاحياء ان النبى عليه الصلاة والسلام لما عاد الى مكة استقبل الكعبة وقال انك خير ارض الله واحب بلاد الله الى ولولا انى اخرجت منك ما خرجت فما هو محبوب للنبى عليه السلام محبوب لامته ايضا فالاقامة بمكة مع الوفاء بحق المقام أفضل كيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة وللقاصر عن القيام بحق الموضع ترك الاقامة فان بعض العلماء كرهها لذلك (حكى) ان عمر بن عبد العزيز وامثاله من الامراء كان يضرب فسطاطين فسطاطا فى الحل وفسطاطا فى الحرم فاذا اراد ان يصلى او يعمل شيأ من الطاعات دخل فسطاط الحرم رعاية لفضل المسجد الحرام واذا اراد ان يأكل او يتكلم اوغير ذلك خرج الى فسطاط الحل ومقدار الحرم من قبل المشرق ستة اميال ومن الجانب الثانى اثنا عشر ميلا ومن الجانب الثالث ثمانية عشر ميلا ومن الجانب الرابع اربعة وعشرون ميلا هكذا قال الفقيه ابو جعفر وكما ان للاماكن الشريفة والبقاع المنيفة قدرا وحرمة عند الله تعالى وعند الناس فكذا القلوب الصافية لاهل الكمالات الوافية بل خطرها اعظم * مسجدى كان درد رون اولياست * خانهٔ خاص حقست آنجا خداست * نيست مسجد جز درون سروران * آن مجازست اين حقيقت اى جوان * وفى قوله تعالى فاولئك منكم اشارة الى ان كل سالك صادق سلك طريق الحق من المتأخرين على قدم الايمان والهجرة والجهاد الحقيقى فهو من المتقدمين لانه ليس عند الله صباح ولا مساء فالواصلون كلهم كنفس واحدة وهم متبرئون من الزمان والمكان استوى عندهم الامس واليوم والغد والقرب والبعد والعلو والسفل ولهذا قال عليه السلام امتى كالمطر لايدرى أولهم خير أم آخرهم وعد المتأخرين من اخوانه وقال واشوقاه الى لقاء اخوانى هذا وكان الحسن اذا قرأ سورة الانفال قال طوبى لجيش قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبارزهم اسد الله وجهادهم طاعة الله ومددهم ملائكة الله وثوابهم رضوان الله نسأل الله تعالى ان يوفقنا لصالحات الاعمال وحسنات الاقوال والاحوال وان يجعلنا مشغولين بطاعة الله فى كل آن وحال

تمت سورة الانفال بفضل الله المتعال فى اواخر شهر ربيع الآخر من شهور سنة ألف ومائة وواحد

(سورة التوبة مائة وثلاثون آية وهى مدنية)

● (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ●

انما ترك التسمية اول برآءة لعدم المناسبة بين الرحمة التى تدل عليها البسملة والتبرى الذى يدل عليه اول برآءة ورده فى الفتوحات بانها جاءت فى اوآئل السور المبدوءة بويل قال واين الرحمة من الويل وقال فى التأويلات النجمية الحكمة فى ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فى اول سورة برآءة وكتابتها فى سورة النمل ليعلم انها آية مكررة فى القرآن واكثر ما انزلت فى اوآئل السور لتكون فاصلة بين السورتين ولتكون كل سورة متوجة بتاج اسم الله تعالى وصفة جماله وجلاله فحيث نزلت كتبت وحيث لم تنزل لم تكتب فلما لم تنزل فى اول برآءة ما كتبت فى اولها ونزلت فى اول النمل واثنائها فكتبت فى الموضعين جميعا اه * درترجمة اسباب نزول از بستان فقيه ابو الليث نقل ميكندكه ثقات مشايخ بعنعنه ازذى النورين رضى الله عنه روايت كردكه كاتب خاتمه يسألونك عن الانفال وفاتحه برآءة من الله من بودم حضرت مصطفى عليه الصلاة والسلام ميان اين دو سوره املاء بسم الله نفرمودند كذا فى تفسير الكاشفى وهو موئيد لكلام التأويلات وقال حضرة الشيخ الاكبر والمسك الاذفر قدس سره الاطهر اعلم ان بسملة سورة برآءة هى التى فى سورة النمل فان الحق سبحانه اذا وهب شيأ لم يرجع فيه ولا يرده الى العدم فلما خرجت رحمة برآءة وهى البسملة وحكم التبرى من اهلها برفع الرحمة الاختصاصية عنهم ووقف الملك بها لا يدرى اين يضعها فان كل امة من الامم الانسانية اخذت رحمتها بايمانها قال تعالى اعطوا هذه البسملة للبهائم التى آمنت بسليمان عليه السلام وهى لا يلزمها ايمان الا برسولها فلما عرفت قدر سليمان وآمنت به اعطيت من الرحمة الانسانية حظا وهو بسم الله الرحمن الرحيم الذى سلب من المشركين فلما وسعت الرحمة الرحمانية كل شئ فى الوجود الكونى اقيمت الباء فى برآءة مقامها الا انها من حروف آية الرحمة والامان لان كل شئ فى الوجود الكونى لا يخلو من رحمة الله عامة او خاصة انتهى واعلم ان الاستعاذة واجبة على كل من شرع فى قرآءة القرآن سوآء ابتدأ من اوآئل السور او من اجزآئها مطلقا ولو اراد بها افتتاح الكتب والدرس كما يقرأ التلميذ على الاستاذ لا يتعوذ ثم ان البسملة لابد منها فى اول الفاتحة مطلقا وفى اول كل سورة ابتدئت بها سوى برآءة فانها لا تسمية فى اولها اجماعا والقارئ مخير فى التسمية وعدمها فيما بين اجزاء السور سوى اجزآء برآءة فانه لا بسملة فى اجزآئها ايضا كذا فى شرح الشاطبية للجعبرى (برآءة من الله ورسوله) اى هذه برآءة مبتدأة من جهة الله ورسوله واصلة (الى الذين عاهدتم) أيها المسلمون (من المشركين) فمن لابتدآء الغاية والى لانتهاء الغاية متعلقان بمحذوف كما تقول هذا كتاب من فلان الى فلان اى واصل منه اليه وليست كلمة من صلة برآءة كما فى قولك برئت من فلان والبرآءة من الله انقطاع العصمة ونقض العهد ولم يذكر ما تعلق به البرآءة كما فى ان الله برئ من المشركين اكتفاء بما فى حيز الصلة واحترازا عن تكرر لفظة من ولما كانت المعاهدة غير واجبة بل مباحة مأذونة وكان الاتفاق للعهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب اليهم مع ان مباشرة امرها انما تتصور من المسلمين لا من الله تعالى وان كانت باذن الله تعالى بخلاف البراءة فانها واجبة اوجبها الله تعالى وامر منوط بجناب الله تعالى كسائر الاوامر غير متوقفة على رأى المخاطبين والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين فانه منبوذ اليهم والعهد العقد الموثق باليمين وقد كانوا عاهدوا مشركى العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله واتفاق الرسول فنكثوا الا بنى ضمرة وبنى كنانة فأمر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر كما قال تعالى (فسيحوا) اى فقولوا لهم سيحوا وسيروا (فى الارض اربعة اشهر) مقبلين مدبرين آمنين من القتال غير خائفين من النهب والغارة والسيح والسياحة الذهاب فى الارض والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس فى سيروا ونظائره وزيادة فى الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشأنهم للحرب او تحصين الاهل والمال او تحصيل الحرب اوغير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها والمراد بالاشهر الاربعة هى الاشهر الحرم التى علق القتال بانسلاخها هى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان السورة نزلت فى شوال سنة تسع من الهجرة بعد فتح مكة فانه كان فى السنة الثامنة منها امروا بان لا يتعرضوا للكفار تلك المدة صيانة للاشهر الحرم عن القتال فيها

ثم نسخ وجوبها لينفكروا ويعلموا ان ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على الاسلام ولئلا ينسبوا المسلمين الى الخيانة ونقض العهد على غفلة المعاهدين وقيل هي عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى سنة الفتح عتاب بن اسيد الوقوف بالناس فى الموسم واجتمع فى تلك السنة فى الوقوف المسلمون والمشركون فلما كانت سنة تسع بعث ابا بكر رضى الله عنه اميرا على الموسم فلما خرج منطلقا نحو مكة اتبعه عليا رضى الله عنه راكب العضباء ليقرأ هذه السورة على أهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الارجل منى وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الارجل منها سيدهم او واحد من رهطه وعترته فبعث عليا ازاحة للعلة لئلا يقولوا هذا خلاف ما نعرفه فينا فى العهد والنقض فلما دنا على سمع ابو بكر الرغاء وهو صوت ذوات الحوافر فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير أم مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية من اول هذه السورة ثم قال امرت بأربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده وقال الحدادى كان الحج فى السنة التى قرأ على رضى الله عنه فيها هذه السورة فى العاشر من ذى القعدة ثم صار الحج فى السنة الثانية فى ذى الحجة وكان السبب فى تقديم الحج فى سنة العهد ما كان يفعله بنوا كنانة فى النسيئ وهو التأخير انتهى فعلى هذا كان المراد بالاشهر الاربعة من عشر ذى القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول كما ذهب اليه البعض (واعلموا انكم) بسياحتكم فى اقطار الارض فى العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول (غير معجزى الله) اى لا تفوتونه بالهرب والتحصين قال فى ربيع الابرار غير معجزى الله سابقى الله وكل معجز فى القرءآن سابق بلغة كنانة (وان الله) اى واعلموا انه تعالى (مخزى الكافرين) اى مذلكم فى الدنيا بالقتل والاسر وفى الآخرة بالعذاب وما يحصل لكم من الافتضاح والاخزآء هو الاذلال بما فيه فضيحة وعار قال القشيرى قطع لهم مدة على وجه المهلة على انهم ان اقلعوا عن الضلال وجدوا فى المآل ما فقدوا من الوصال وان ابوا الا التمادى فى الحرمة والجريمة انقطع ما بينهم وبينه من العصمة ثم ختم الآية بما معناه ان اصررتم على قبيح آثاركم مشيتم الى هلاككم بقدمكم وسعيتم فى عاجلكم فى اراقة دمكم وحصلتم فى آجلكم على ندمكم فما خسرتم الا فى صفقتكم

تبدلت وتبدلنا واخسرنا * من ابتغى عوضا يسعى فلم يجد

ففى الآية دعوة الى الصلح والايمان بعد الحراب والكفران فمن كفر وعصى فقد خاصم ربه فجاء الندم فى تأخيره التوبة والاستغفار وعدم مبالاته بمباغتة قهر الملك الجبار قال بعض العرفاء ان شئت ان تصير من الابدال فحول خلقك الى بعض خلق الاطفال ففيهم خمس خصال لو كانت فى الكبار لكانوا ابدالا لا يهتمون للرزق (قال الصائب) فكر آب ودانه دركنج قفس بى حاصلست * زير جرخ انديشه روزى جرا باشد مرا * ولا يشكون من خالقهم اذا مرضوا * حافظ ازجور تو حاشا كه بنالد روزى * كه ازان روزكه دربند توأم دلشادم * ويأكلون الطعام مجتمعين * اكر خواهى كه يابى ملك ودولت * بخور شاها بدرويشان نعمت * واذا تخاصموا تسارعوا الى الصلح قال السلطان سليم الاول * خواهى كه كنج عشق كنى لوح سينه را * ازدل بشوى آينه سان كرد كينه را * واذا خافوا جرت عيونهم بالدموع (وفى المثنوى) سوزمهر وكريه ابرجهان * جون همى دارد جهان را خوش دهان * آفتاب عقل را درسوزدار * جشم را جون ابر اشك افروزدار * جشم كريان بايدت جون طفل خرد * كم خوران نانرا كه نان آب تو برد * واشارت الآية الكريمة الى النفوس المتمردة المشركة التى اتخذت الهوى الها وعبدت صنم الدنيا فانها نهادنها الروح والقلب فى اوان الطفولية وعاهداها على ان لا يجاهداها ولا يقاتلاها الى حد البلوغ وهى ايضا لا تتعرض لهما الى استكمال القالب واستوآء القوى البشرية التى بها تحمل حمل الامانة واعباء اركان الشريعة وظهور كمال العقل الذى به يستعد لقبول الدعوة واجابتها وبه يعرف الرسل ومعجزاتهم وبه يثبت الصانع ويرى تعبده واجبا

لاداء شكر نعمة الله وان الله ورسوله برئ من تلك المعاهدة بعد البلوغ فانه اوان نقض عهد النفوس مع القلوب والارواح لان النفس قبل البلوغ كانت تتصرف فى المأكول والمشروب والملبوس لتربية القالب ودفع الحاجة الماسة غالبا وذلك لم يكن مضرا جدا للقلب والروح فاما بعد البلوغ فزادت فى تلك التربية بالمأكول والمشروب والملبوس الضرورى لاجل الشهوة ولما ظهرت الشهوة شملت آفتها المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح واشتعلت نيرانها بوما فوما وفيها مرض القلب والروح وبعثت الانبياء لدفع هذا المرض وعلاجه كما قال عليه السلام بعثت لدفع العادات وترك الشهوات وفى قوله فسيحوا فى الارض اربعة اشهر اشارة الى ان للنفوس فى ارض البشرية سيرا وسياحة لتكميل الاوصاف الاربعة من النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية التى تتولد بازدواج الروح العلوى الروحانى المفرد والقالب السفلى المركب من العناصر الاربعة فالنباتية تولد الماء والحيوانية تولد الريح والشيطانية تولد النار والانسانية تولد التراب فلتكميل هذه الصفات ارخيت ازمة النفوس فى مراتع الدنيا ونعيمها الى البلاغة ثم قال واعلموا يعنى نفوس اهل السعادة انكم غير معجزى الله اى لا تعجزونه ان ينزعكم عن المراتع الدنيوية ويمتعكم بالمنافع الاخروية وان الله مخزى الكافرين يعنى مهلك اهل الشقاوة فى تيه الغفلات والشهوات كذا فى التأويلات النجمية (واذان من الله ورسوله) الاذان بمعنى الايذان كالاعطاء بمعنى الاعطاء اى هذا اعلام واصل منهما (الى الناس) كافة المؤمنين والكافرين ناكثين اوغيرهم فالاذان عام والبراءة خاصة بالناكثين من المعاهدين والجملة عطف على قوله براءة (يوم الحج الاكبر) منصوب بما يتعلق به الى الناس وفيه قولان * احدهما انه يوم العيد فانه يتم فيه اركان الحج كطواف الزيارة وغيره ويتم فيه معظم افعاله كالنحر والرمى وغيرهما واعلام البراءة كان فيه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وروى ان عليا رضى الله عنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء الى الجبانة فجاء رجل فاخذ بلجامها وسأله عن يوم الحج الاكبر فقال هو يومك هذا خل سبيلها * والثانى انه يوم عرفة لقوله عليه الصلاة والسلام الحج عرفة حصر النبى عليه السلام افعال الحج فى الوقوف بعرفة لانه معظم افعاله من حيث ان من ادرك الوقوف بعرفة فقد ادرك الحج ومن فاته الوقوف فاته الحج ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولاجتماع المسلمين والمشركين فى ذلك اليوم وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله وبعده فعظم ذلك اليوم فى قلوب جميع الطوائف والملل وورد أن الوقفة يوم الجمعة تعدل سبعين حجة وهو الحج الاكبر (ان الله) اى بأن الله والباء صلة الاذان حذفت تخفيفا (برئ من المشركين) اى من عهدهم الذى نقضوه فالمراد بالمشركين المعاهدون الناكثون (ورسوله) قال المفسرون هو مرفوع معطوف على المستكن فى برئ او منصوب على ان الواو بمعنى مع اى برئ معه منهم او مجرور على القسم ولا تكرير فى ذكر برئ لان قوله براءة اخبار بثبوت البراءة وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين كما قال اولا الى الذين عاهدتم (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) اى فالتوبة (خير لكم) فى الدارين من الاقامة على الكفر والغدر (وان توليتم) اى اعرضتم عن التوبة (فاعلموا انكم غير معجزى الله) غير سابقين ولا فائتين اى لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا فى الدنيا وبالفارسية شمانه عاجز كنند كانيد خدا را يعنى تواند كه ازو كريزيد يا باو ستيزيد (وبشر الذين كفروا بعذاب اليم) فى الآخرة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر التبشير فى مقام الانذار تهكم بهم وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال كنت مع على رضى الله عنه حين بعثه رسول الله بالبراءة الى مكة فقيل لابى هريرة بماذا كنتم تنادون قال كنا ننادى انه لا يدخل الجنة الا مؤمن ولا يحجن هذا البيت بعد هذا العام مشرك ولا عريان ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله الى اربعة اشهر فاذا مضت اربعة اشهر فان الله برئ من عهد المشركين ورسوله (الا الذين عاهدتم من المشركين) استدراك اى استثناء منقطع من النبذ السابق الذى اخر فيه القتال اربعة اشهر كأنه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين فى المسارعة الى قتلهم بل اتموا اليهم عهدهم (ثم) للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادى المدة (لم ينقصوكم شيأ) من شروط العهد ولم ينكثوا وينقص يتعدى الى اثنين فكم مفعول اول وشيأ مفعول ثان والى واحد فشيأ منصوب على المصدرية اى شيأ من النقصان (قال الكاشفى) پس ايشان

كم نكردند چيزى ازعهدها شما يعنى نشكستند پيمان شمارا (ولم يظاهروا) لم يعاونوا (عليكم احدا) من اعدائكم كما عدت بنوا بكر على خزاعة حلفاء النبى عليه السلام فظاهرتهم قريش بالسلاح (فاتموا اليهم عهدهم) عدى أتموا بالى لتضمنه معنى فأدّوا اى فأدّوه اليهم تاما كاملا (الى مدتهم) ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضى الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم (روى) ان بنى ضمرة وهم حى من بنى كنانة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عند البيت وكان بقى لهم من عهدهم تسعة اشهر فأتم عليه الصلاة والسلام اليهم عهدهم (ان الله يحب المتقين) تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفى والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا (قال الحافظ) وفا وعهد نكو باشد ار بياموزى * وكرنه هركه تو بينى ستمكرى داند * قال الشيخ النصرابادى للمتقى علامات اربع حفظ الحدود وبذل المجهود والوفاء بالعهود والقناعة بالموجود قيل فى الترجمة * متقى را بود چهار نشان * حفظ احكام شرع اول آن * ثانيا آنچه دست رس باشد * برفقيران وبى كسان باشد * عهد را با وفا كند پيوند * هرچه باشد بدان شود خرسند * واعلم ان الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الوصال والحج الاصغر يوم الوصول الى كعبة القلب وزيارة كعبة الوصال وطوافها حرام على مشركى الصفات الناسوتية لانها تميل الى غير الله وتركن الى ماسواه فلا تطوف الناسوتية حول كعبة اللاهوتية الابعد فنائها وفناؤها انما يكون بالجذبات الالهية فاذا تداركت العناية الازلية العبد يخاطب يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك اما فى حال الحياة واما فى وقت الوفاة ولكل اجل كتاب اماترى الى سحرة فرعون كيف قالوا انا الى ربنا المنقلبون وفى حديث المعراج ثم ذهبت الى الجنة فرأيت رضوان خازنها فلما رآنى فرح بى ورحب بى وأدخلنى الجنة وأرانى فيها من العجائب ما وعد الله فيها لاوليائه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ورأيت فيها درجات أصحابى ورأيت فيها الانهار والعيون وسمعت فيها صوتا وهو يقول آمنا برب العالمين فقلت ما هذا الصوت يارضوان قال هم سحرة فرعون وسمعت صوتا آخر وهو يقول لبيك اللهم فقلت من هو قال ارواح الحجاج وسمعت التكبير فقال هؤلاء الغزاة فسمعت التسبيح فقال هؤلاء الانبياء ورأيت قصور الصالحين ثم بلغت الى سدرة المنتهى وسميت المنتهى لان علم الخلائق ينتهى اليها ثم تخلف عنى جبريل فقلت له اتتركنى وحيدا فقال يا اكرم الخلق على الله ما جاوز هذا المكان احد قبلك ولا يجاوز بعدك فاذا نادانى ربى فقال لى ادن منى يا محمد فلم ازل ادنو وهو يقول ادن ألف كرة حتى قربت منه كما قال تعالى فكان قاب قوسين او ادنى وما من مرة الا نومن ربى الاقضى لى فيها حاجة ثم وقفت فقطرت على لسانى قطرة كانت احلى من العسل وابرد من الثلج فعلمت علم الاولين والآخرين وقال لى يا محمد قد جعلت الاسلام حلوا فى قلوب امتك حتى احبوه وجعلت الكفر مرا فى قلوبهم حتى ابغضوه يقول الفقير ومنه يعرف ان الله تعالى جعل الكفر حلوا فى قلوب امة الدعوة حتى احبوه وجعل الايمان مرا فى قلوبهم حتى ابغضوه فحب الايمان من الجذبة الالهية والعناية الازلية وبه اتقى المؤمن من الكفر ثم من العصيان ثم من الجهل ثم من رؤية ماسوى الله والميل اليه فيا أهل الايمان ادركتكم العناية العامة ويا أهل العرفان جذبتكم الهداية الخاصة فقوموا واشكروا الله تعالى على ما انعم عليكم وأوصله من كمال كرمه اليكم وقد نص على انه يحب المتقين فتارة تكون محبا وهو محبوب وتارة تكون محبوبا وهو محب ومقام المحبوبية اعلى المقامات ولو كان فوقه ما هو اعلى منه لما قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حبيب الله فعليك أيها العاقل بالرجوع الى المولى قبل تمام المدة وهو حلول الاجل وقبل ان تكتنفك الموانع من الجبن والكسل وطريق الاختيار مقبولة دون طريق الاضطرار فان اقبلت فلك سعادة الوقت وان اعرضت فلك الشقاوة والمقت نسأل الله تعالى ان يهدينا الى طريق الرضى ويقيل عثرتنا فيما مضى آمين (فاذا انسلخ) اى انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده (الاشهر الحرم) وانفصلت عما كانت مشتملة عليه سائرة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكأنه انسلخ عما فيه ووصف الاشهر بالحرم وهى جمع حرام لان الله تعالى حرم فيها القتال وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم التى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها لا الاشهر الدائرة فى كل سنة وهى رجب

وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم لان نظم الآية يقتضى توالى الاشهر المذكورة وهذه ليست كذلك لان ثلاثة منها سرد وواحد فرد (فاقتلوا المشركين) الناكثين ابدا الآباد فهذه الآية ناسخة لكل آية فى القرآن فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على ايذائهم على وفق ما اجمع عليه جمهور العلماء (حيث وجدتموهم) ادركتموهم فى حل اوحرم (وخذوهم) اى ائسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) الحصر المنع والمراد اما حبسهم ومنعهم عن التبسط والتقلب فى البلاد اومنعهم عن المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) اى كل ممر ومجتاز يجتازون منه فى اسفارهم وانتصابه على انه ظرف لاقعدوا اى ارصدوهم فى كل مكان يرصد فيه وارقبوهم حتى لا يمروا به وهذا امر لتضييق السبيل عليهم فليس معناه حقيقة القعود (قال الكاشفى) بسته كردانيد برايشان راهها تامنتشر نشوند دربلاد وقرى (فان تابوا) عن الشرك بالايمان حسبما اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن بقية العبادات لكونهما رئيسى العبادات البدنية والمالية (فخلوا سبيلهم) فدعوهم وشأنهم لا تتعرضوا لهم بشئ مما ذكر قال القاضى فى تفسيره فيه دليل على ان تاركى الصلاة ومانعى الزكاة لا يخلى سبيلهم انتهى وعن ابى حنيفة رحمه الله ان من ترك الصلاة ثلاثة ايام فقد استحق القتل قال الفقهاء الكافر اذا اكره على الاسلام فأجرى كلمة الاسلام على لسانه يكون مسلما فاذا عاد الى الكفر لا يقتل ويجبر على الاسلام كما فى هدية المهديين للمولى اخى جلبى وفيه ايضا كافر لم يقر بالاسلام الا انه اذا صلى مع المسلمين بجماعة يحكم باسلامه وبلا جماعة لا وان صام اوحج اوأدى الزكاة لا يحكم باسلامه فى ظاهر الرواية وفى اخرى انه ان حج على الوجه الذى يفعله المسلمون فى الاتيان بجميع الاحكام والتلبية وشهود كل المناسك يصير مسلما (ان الله غفور رحيم) تعليل للامر بتخلية السبيل اى فخلوهم فان الله يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر لان الايمان يجب ما قبله اى يقطعه كالحج ويثيبهم بايمانهم وطاعتهم واعلم ان الله تعالى امر فى هذه الآية بالجهاد وهو أربعة انواع جهاد الاولياء بالقلب بتحليته بالاخلاق الحميدة وجهاد الزهاد بالنفس بتزكيتها عن الاوصاف الرذيلة وجهاد العلماء باظهار الحق خصوصا عند سلطان جائر وامام ظالم وجهاد الغزاة ببذل الروح * بهرروز مرك اين دم مرده باش * تاشوى باعشق سرمد خواجه تاش * كشته ومرده به پيشت اى قمر * به كه شاه زندكان جاى دكر * فالقتل اماقتل النفوس المشركة بالسيف الظاهر ولما قتل النفوس العاصية بالسيف الباطن وقتلها فى نهيها عن هواها ومنعها عن مشتهاها واستعمالها على خلاف طبعها وضد طبيعتها قيل للحسين بن على رضى الله عنه اى الجهاد أفضل قال مجاهدتك هواك ووصى رجل ولده فقال يا بنى اعص هواك والنساء واصنع ماشئت وقوله تعالى حيث وجدتموهم يشير الى قتلها فى الطاعة والمعصية فقتلها فى الطاعة بملازمتها ومداومتها عليها وفطامها عن مشاربها فيها واعجابها وتخليصها لها كما قال فى القصيدة الشهيرة بالبردة

وراعها وهى فى الاعمال سائمة * وان هى استحلت المرعى فلا تسم

اى راع النفس فى اشتغالها بالاعمال عما هو مفسد ومنقص للكمال من الرياء والعجب والغفلة والضلال وان عدت النفس بعض التطوعات حلوا واعتادت به وألفته فاجتهد فى ان تقطع نفسك عنه واشتغل بما هو أشق عليها لان اعتبار العبادة انما هو بامتيازها من العادة فان تابوا ورجعوا الى الله اى رجعت النفوس عن هواها الى طلب الحق تعالى واقاموا الصلاة وداومت على العبودية والتوجه الى الحق وآتوا الزكاة اى تركت عن اوصافها الذميمة فخلوا سبيلهم عن مقاساة الشدائد بالرياضات والمجاهدات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية هى الرجوع الى البداية كما فى التأويلات النجمية يقول الفقير ظهر من هذا ان السالك وان بلغ الى غاية المراتب ونهاية المطالب فهو متقيد فى اطلاقه بربقة الشريعة والعمل باحكامها بحيث لو انخلع عن الاحكام والاداب كان ملحدا سيئ الادب مطرودا عن الباب مهجورا عن حريم قرب رب الارباب فالشريعة الشريفة محك لكل سالك مبتدى ولكل واصل منتهى يظهر بها صدق الطلب وخدمة الشكر وفى الكتب الكلامية ولا يصل العبد مادام عاقلا بالغا الى حيث يسقط الامر والنهى لعموم الخطابات الواردة فى التكاليف واجماع المجتهدين على ذلك اللهم اجعلنا من المتقيدين بوثاق عبوديتك والمراعين لحقوق ربوبيتك

(وان احد) رفع بفعل يفسره مابعده لابالابتداء لان ان من عوامل الفعل (من المشركين) الذين امرتك
بقتالهم (استجارك) اى طلب منك الامان والجوار بعد انسلاخ الاشهر الحرم (فأجره) فآمنه ولاتسارع الى
قتله (حتى يسمع) اى الى ان يسمع اوليسمع (كلام الله) اى القرآن فيماله وماعليه من الثواب والعقاب استدل
الاشعرى بهذه الآية الى انه يجوز أن يسمع الكلام القديم الذى هو صفة الله تعالى ومنعه الشيخ ابومنصور فمعنى
حتى يسمع كلام الله يسمع مايدل عليه كما يقال سمعت علم فلان فان حقيقة العلم لاتسمع بل سمعت خبرا دالا على
علمه وكما يقال انظر الى قدرته تعالى اى الى مايدل على قدرته تعالى والتفصيل فى كتب الكلام (ثم ابلغه) بعد
استماعه له ان لم يؤمن (مأمنه) اى مسكنه الذى يأمن فيه وهو دار قومه وبعد ازان باومقاتله نماى (ذلك) يعنى
الامر بالاجارة وابلاغ المأمن (بأنهم) اى بسبب انهم (قوم لايعلمون) ماالاسلام وماحقيقته اوقوم جهلة فلابد
من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولايبقى لهم معذرة اصلا ومن ههنا قال الفقهاء حربى أسلم فى دار الحرب
ولايعلم بالشرآئع من الصوم والصلاة ونحوهما ثم دخل دار الاسلام لم يكن عليه قضاؤها ولايعاقب عليه
اذامات ولوأسلم فى دار الاسلام ولم يعلم بالشرآئع يلزمه القضاء واعلم كما ان الكفار قوم لايعلمون احكام الله فكذا
النفس وصفاتها قوم لايعلمون الله والطافه فلايقبلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيرغبون فيها وقد امهل الله
تعالى بفضله ليرجع العبد اليه والى طاعته (روى) انه كان فى بنى اسرآئيل شاب قد عبدالله عشرين سنة ثم عصاه
عشرين سنة ثم نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال الهى اطعتك عشرين سنة وعصيتك
عشرين سنة فان رجعت اليك تقبلنى فسمع هاتفا من ورآء البيت ولم ير شخصا وهو يقول احببتنا فاحببناك
وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك وينبغى للعبد ان يسارع الى التوبة والاستغفار
فان توبة الشاب احسن من توبة الشيخ فان الشاب ترك الشهوة مع قوة الداعى اليها والشيخ قد ضعفت شهوته وقل
داعيه فلايستويان (قال السعدى) قحبهٔ پير ازنابكارى چه كند توبه نكند * لانه لارغبة فى مجامعتها
فانها تؤدى الى موت الفجأة وشحنهٔ معزول ازمردم ازارى لانه لاولاية له على الناس * جوان كوشه
نشين شيرمرد راه خداست * كه پير خود نتواند زكوشهٔ برخاست

شيخ كبيرله ذنوب * تعجز عن حملها المطايا
قد بيضت شعره الليالى * وسودت قلبه الخطايا

يامن يأتى عليه عام بعد عام وقد غرق فى بحر الخطايا وهام يامن يشاهد الآيات والعبر كلما توالت عليه الاعوام
والشهور ويسمع الآيات والسور ولاينتفع بمايسمع ولا يمارى من عظائم الامور ماالحيلة فمن سبق عليه
الشقاء فى الكتاب المسطور فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ومن لم يجعل الله له نورا
فماله من نور اللهم اجعلنا من المتلذذين بحسن خطابك والمستسعدين بقرب جنابك والمتصفين بمعرفة آيات
صفاتك والواصلين الى اسرار ذاتك انك أنت الفياض (كيف) فى محل النصب على التشبيه بالحال والظرف
والاستفهام انكارى لابمعنى انكار الواقع كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله بل بمعنى انكار الوقوع (يكون)
من الكون التام (للمشركين) هم الناكثون والمعنى على اى حال يوجد لهم (عهد) معتدبه (عندالله
وعندرسوله) يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة ولايتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا اى
مستنكر مستبعد أن يكون لهم عهد يجب الوفاء به (الاالذين) استدراك من النفى المفهوم من الاستفهام
المتبادر شموله لجميع المعاهدين اى لكن الذين (عاهدتم) يعنى بنى ضمرة وبنى كنانة (عندالمسجد الحرام) نزديك
مسجد حرام يعنى درحديبيه كه قريب است بمكهٔ معظمه والتعرض لكون المعاهدة عندالمسجد الحرم لزيادة بيان
اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى (فما استقاموا لكم
فاستقيموا لهم) والفاء لتضمنه معنى الشرط وماامامصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف اى
فاستقيموا لهم بوفاء اجلهم مدة استقامتهم لكم فى وفاء العهد فلم ينقضوه كمانقض غيرهم واماشرطية منصوبة
المحل على الظرفية الزمانية اى اى زمان استقاموا لكم فى عهدهم فاستقيموا لهم بالوفاء اومرفوعة على الابتداء
والعائد محذوف اى اى زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه (ان الله يحب المتقين) لنقض العهد
تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان المحافظة على العهد من لوازم التقوى وفى الحديث لكل غادر لواء يوم

القيامة يعرف بقدر غدره قال فى شرح الشهاب المراد باللوآء التشهير يعنى يفتضح الغدار يوم القيامة بقدر غدره (وفى المثنوى) سوى لطف بى وفايان هين مرو * كان بل ويران بود نيكو شنو * نقض ميثاق وعهود ازا حمقيست * حفظ ايمان ووفا كار تقيست (كيف) يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله عليه الصلاة والسلام (وان يظهروا عليكم) اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم (لا يرقبوا فيكم) اى لا يراعوا فى شأنكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل فى مطلق الرعاية (الا) اى حلفا اوقرابة وقيل الال اسم عبرى بمعنى الاله قال الازهرى ايل من اسماء الله تعالى بالعبرانية فجاز أن يكون معرب ال اى لا يراعوا حق الله تعالى (ولا ذمة) اى عهدا حقا يعاقب على اغفاله واضاعته مع ماسبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق يعنى ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروطة بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها (يرضونكم بأفواههم) استئناف بيانى كأنه قيل باى وجه لا يراعون الحلف او القرابة فكيف يقدمون على عدم المراعاة فأجيب بانهم يرضونكم بافواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء للافواه للايذان بان كلامهم مجرد ألفاظ يتفوهون بها من غير أن يكون لها مصداق فى قلوبهم (وتأبى قلوبهم) ما تتفوه به افواههم يعنى ان ألسنتهم تخالف قلوبهم ومافى بواطنهم من الضغائن ينافى ما اظهروه بالسنتهم من وعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فهم انما يقولون كلاما حلوا مكرا وخديعة وفى الحديث المكر والخديعة فى النار يعنى اربابهما وفى الحديث اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع وهى جمع بلقعة وهى الارض القفر التى لاشئ فيها وامرأة بلقعة اذا كانت خالية من كل خير والمعنى يفتقر الحالف ويذهب ماله وجاهه فينبغى للعاقل ان لا يجعل عادته ان يحلف فى كل صغير وكبير فانه ربما يحلف كاذبا فيستحق العقوبة (ورد) ان البياع الحلاف اذا كان كاذبا فى يمينه يكون ثمن ما باعه اشد حرمة من لحم الخنزير (واكثرهم) اى اكثر المشركين (فاسقون) خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون فى الكفر ليست لهم عقيدة تمنعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء والاحدوثة ما يتحدث الناس فى حقه من المثالب والمعايب يقول الفقير ذكر عند حضرة شيخى العلامه ابقاه الله بالسلامه مروءة بعض اهل الذمة فقال انه من آثار السعادة الازلية ويرجى ان ذلك يدعوه الى الايمان والتوحيد ويصير عاقبته الى النجاة والفلاح (وفى المثنوى) من نديدم درجهان جست وجو * هيچ اهليت به ازخوى نكو * در بى خوباش وباخوش خوش نشين * چون نديدى روغن كل رابيين * پس بدانكه صورت خوب ونكو * باخصال بد نيرزد يك طسو * ور بود صورت حقير ونابذير * چونكه خلقش نيك شد درپاش مير * وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا بوصية جامعة لمحاسن الاخلاق فقال يا معاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح واياك ان تسب حكيما او تكذب صادقا او تطيع آثما او تعصى اماما عادلا او تفسد ارضا اوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك ادب الله عباده ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب كذا فى العوارف اعلم ان النفس خلقت من السفليات وجبلت ميالة الى الدنيا وشهواتها ولذا تهاوالى الجفاء والغدر والرياء والنفاق وقد عاهدها الله يوم الميثاق على الصدق والاخلاص فهى مادامت حية باقية على صفاتها الذميمة لا يمكنها العبودية الخالصة من شوب الطمع فى المقاصد الدنيوية والاخروية فاذا تنورت بالانوار المنعكسة من تجلى صفات الجمال والجلال لمرآة القلب تفنى عن اوصافها المخلوقة وتبقى بالانوار الخالقية فيثبتها الله بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فتسلم من نقض العهد والمسجد الحرام اشارة الى مقام الوصول الذى هو حرام على اهل الدنيا والآخرة وهو مقام اهل الله وخاصته نسأل الله الوصول الى هذا المقام المكين والدخول فى هذا الحرم الامين قال بعضهم

الزم الصدق والتقى * واترك العجب والريا * واغلب النفس والهوى * ترزق السؤل والمنى

فعلى العاقل المجاهدة مع النفس ورعاية العهود والحقوق ومجانبة الفسوق والعقوق قال الشبلى قدس سره عقدت وقتا ان لا آكل الا من الحلال فكنت ادور فى البرارى فرأيت شجرة تين فمددت يدى اليها لآكل فنادتنى الشجرة احفظ عليك عقدك لا تأكل منى فانى ليهودى يقول الفقير فى هذه الحكاية شيئان الاول ظهور الكرامة وهو تكلم الشجرة والثانى تذكيرالله تعالى اياه عقده وذلك بسبب صدقه فى ارادته واخلاصه فى طلبه فمن اراد ان يصل الى هذه الرتبة فليحافظ وقته وليراقب فان فى المراقبة حصول المطالب عصمنا الله واياكم من تجاوز الحد والخروج عن الطريق وشرفنا بالوقوف فى حد الحق والثبات فى طريق التحقيق (اشتروا بآيات الله) يعنى المشركين الناقضين تركوا الآيات الآمرة بالايفاء بالعهود والاستقامة فى كل امر واخذوا بدلها (ثمنا قليلا) اى شيأ حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم التى اتبعوها (فصدوا) اى عدلوا وأعرضوا من صد صدودا فيكون لازما اومنعوا وصرفوا غيرهم من صده عن الامر صدا فيكون متعديا (عن سبيله) اى دينه الموصل اليه اوسبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه ويحصرونهم (انهم ساء ما كانوا يعملون) اى بئس العمل عملهم المستمر فما المصدرية مع مافى حيزها فى محل الرفع على انها فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وقيل ان اباسفيان بن حرب جمع الاعراب واطعمهم ليصدهم بذلك عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليحملهم على نقض العهد الذى كان بينهم و بين رسول الله فنقضوه بسبب تلك الاكلة ففاعل اشتروا الاعراب والثمن القليل هو ما اطعمهم ابوسفيان يقول الفقير هذا جارى الى الان فان بعض اهل الهوى والظلم يضيف بعض اهل الطمع والمداهنة ممن يعد من اعيان القوم ليشهدوا له عند السلطان او القاضى بالحق والعدل فيشترون بآيات الله ثمنا قليلا هو الضيافة لهم (لا يرقبون) اى لا يراعون ولا يحفظون (فى مؤمن) اى فى شأنه وحقه (الا) اى حلفا وحق قرابة (ولا ذمة) اى عهدا هذا ناعى عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار (واولئك) الموصوفون بما عدّ من الصفات السيئة (هم المعتدون) المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة (فان تابوا) عن الكفر وسائر العظائم (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) اى التزموا اقامتهما واعتقدوا فرضيتهما (فاخوانكم) اى فهم اخوانكم (فى الدين) متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اى لهم مالكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان ومتى لم توجد هذه الثلاثة لا تحصل الاخوة فى الدين ولا عصمة الدماء والاموال (ونفصل الآيات) اى نبين الايات المتعلقة باحوال المشركين الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتى الكفر والايمان (لقوم يعلمون) اى مافيها من الاحكام و يتفكرونها و يحافظون عليها (وان نكثوا) عطف على قوله تعالى فان تابوا اى وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا (أيمانهم من بعد عهدهم) الموثق بها واظهروا ما فى ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل (وطعنوا فى دينكم) عابوه وقدحوا فيه بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا) پس بكشيد (ائمة الكفر) اى فقاتلوهم فوضع الظاهر موضع الضمير للاشارة الى علة وجوب مقاتلتهم اى للايذان بانهم صاروا بذلك ذوى رياسة وتقدم فى الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بائمتهم رؤساؤهم كابى سفيان والحرث بن هشام وابى جهل بن هشام وسهل بن عمرو وعكرمة بن ابى جهل واشباههم وتخصيصهم بالذكر ليس لنفى الحكم عما عداهم بل لان قتلهم اهم من حيث انهم هم المعتدون فى الشرارة ويدعون اتباعهم الى الافعال الباطلة كانه قيل فقاتلوا من نكث الوفاء بالعهود لاسيما ائمتهم والرؤساء منهم واصل ائمة أأممة جمع امام نحو مثال وامثلة (انهم لا أيمان لهم) اى على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على ألسنتهم فالمراد بالايمان المثبتة لهم بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم ما اظهروه من الايمان وبالمنفية ما هو ايمان على الحقيقة فانهم اذا لم يراعوها فلا وجود لها فى الحقيقة ولا اعتبار بها الا ان ما لم يترتب عليه احكامه ولوازمه فهو فى حكم المعدوم وهو تعليل لاستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا لانهم لا ايمان لهم حتى تعقدوا معهم عقدا آخر (لعلهم ينتهون) متعلق بقوله فقاتلوا اى قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اى ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التى يرتكبونها لا ايصال الاذية كما هو ديدن المؤذين والاذية هو المكروه اليسير اقول فيه اشارة الى ان الفاعل ينبغى ان يكون له غرض صحيح شرعى فى فعله كدفع المضرة فى قتل القملة والنملة واشباههما لا لارادة التشفى والانتقام وايصال الاذى والآلام للغرض اوالغيره ولكن هذا على ذكر من

الصوفية المتخاطين فى كل الامور والساعين فى طريق الفناء الى يوم ينفخ فى الصور قال الحدادى فى الآية بيان ان اهل العهد متى خالفوا شيأ مما عاهدوهم عليه فقد نقضوا العهد واما اذا طعن واحد منهم فى الاسلام فان كان شرط فى عهودهم ان لايذكروا كتاب الله ولايذكروا محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز ولا يفتنوا مسلما عن دينه ولا يقطعوا عليه طريقا ولايعينوا اهل الحرب بدلالة على المسلمين فانهم اذا فعلوا ذلك فقد برئت منهم ذمة الله وذمة رسول الله فان فعلوا شيأ من هذه الاشياء حل دمهم وان كان لم يشرط ذلك عليهم فى عهودهم وطعنوا فى القرآن وشتموا النبى عليه الصلاة والسلام ففيه خلاف من الفقهاء قال اصحابنا يعزرون ولا يقتلون واستدلوا بما روى انس بن مالك ان امرأة يهودية اتت النبى عليه السلام بشاة مسمومة ليأكل منها فجئ بها وقيل له اقتلها فقال لا ولحديث عائشة رضى الله عنها فان الله عزوجل يحب الرفق فى امره كله فقالت يارسول الله الم تسمع ماقالوا فقال بلى قد قلت عليكم ولم يقتلهم النبى عليه السلام بذلك وذهب مالك الى ان من شتم النبى عليه السلام من اليهود والنصارى قتل الا ان يسلم انتهى مافى تفسير الحدادى قال ابن الشيخ فى الآية دليل على ان الذمى اذا طعن فى الاسلام اى عابه وازدراه جاز قتله لانه عوهد على ان لايطعن فى الدين فاذا طعن فقد خرج عن الذمة وعند ابى حنيفة يستتاب الذمى بطعنه فى الدين ولا ينقض عهده بمجرد طعنه مالم يصرح بالنكث انتهى قال المولى اخى چلبى فى هدية المهديين الذمى اذا صرح بسبه عليه السلام اوعرض اواستخف بقدره اووصفه بغير الوجه الذى كفر به فلا خلاف عند الشافعى فى قتله ان لم يسلم لانه لم يعط له الذمة اوالعهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ان اباحنيفة والثورى واتباعهما من اهل الكوفة قالوا لا يقتل لان ماهو عليه من الشرك اعظم لكن يعزر ويؤدب وقيل لايسقط اسلام الذمى الساب قتله لانه حق النبى عليه السلام وجب عليه لهتكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به عليه السلام فلم يكن رجوعه الى الاسلام مسقطاله كمالم يسقط سائر حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل اوقذف واذا كنا لانقبل توبة المسلم فلان لانقبل توبة الكافر اولى كما فى الاسرار والحاوى فالمختار ان من صدر منه مايدل على تخفيفه عليه السلام بعمد وقصد من عامة المسلمين يجب قتله ولاتقبل توبته بمعنى الخلاص من القتل وان اتى بكلمتى الشهادة والرجوع والتوبة لكن لومات بعد التوبة اوقتل حدا مات ميتة الاسلام فى غسله وصلاته ودفنه ولو أصر على السب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولايصلى عليه ولايكفن بل تستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار والفرق بين من سب الرسول وبين من سب الله على مشهور القول باستتابته ان النبى عليه السلام بشر والبشر من جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والبارى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحقهم المعرة بجنسه واعلم انه قد اجتمعت الامة على ان الاستخفاف بنبينا وباى نبى كان من الانبياء كفر سواء فعله فاعل ذلك استحلالا ام فعله معتقدا بحرمته ليس بين العلماء خلاف فى ذلك والقصد للسب وعدم القصد سواء اذلايعذر احد فى الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان اذا كان عقله فى فطرته سليما فمن قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اسود او يتيم ابى طالب اوزعم ان زهده لم يكن قصدا بل لكمال فقره ولو قدر على الطيبات اكلها ونحو ذلك يكفر وكذا من عيره برعاية الغنم اوالسهو اوالنسيان والسحر اوبالميل الى نسائه اوقال لشعره شعير بطريق الاهانة وان اراد بالتصغير التعظيم لايكفر ومن قال جن النبى ساعة يكفر ومن قال اغمى عليه لايكفر (وحكى) عن ابى يوسف انه كان جالسا مع هرون الرشيد على المائدة فروى عن النبى عليه السلام انه كان يحب القرع فقال حاجب من حجابه انالا احبه فقال لهرون انه كفر فان تاب واسلم فيها والا فاضرب عنقه فتاب واستغفر حتى امن من القتل ذكره فى الظهيرية قالوا هذا اذا قال ذلك على وجه الاهانة اما بدونها فلا كما فى الخانية ولو قال رجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل يلحس اصابعه الثلاث فقال الآخر اين بى ادبيست فهذا كفر والحاصل انه اذا استخف سنة اوحديثا من احاديثه عليه السلام يكفر ولو قال لو كانت الصلاة زائدة على الاوقات الخمسة اوالزكاة على خمسة دراهم والصوم على شهر لا افعل منها شيأ يكفر ولو قال لآخر صل فقال الآخر ان الصلاة عمل شديد الثقل يكفر ولو صلى رجل فى رمضان لافى غيره فقال اين خود بسيارست يكفر ولو ترك الصلاة متعمدا ولم ينو القضاء ولم يخف عقاب الله فانه يكفر ولو قال عند مجئ شهر رمضان آمد آن ماه كران اوجاء الضيف الثقيل يكفر ومن

اشارات للآيات ان الطعن فى الدين هو الانكار على مذهب السلوك والطلب وائمة الكفر هم النفوس كما ان ائمة
الايمان هم القلوب والارواح والنفوس لا وفاء لهم بالعهد على طلب الحق تعالى وترك ما سواه فلا بد من جهادهم
حق جهادهم كى ينتهوا عن طبيعتهم وعما جبلوا عليه من الامارية بالسوء (الا تقاتلون قوما) آيا كارزار
نميكنيد با كروهى كه (نكثوا) بشكنند (ايمانهم) التى حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم
فعاونوا بنى بكر على خزاعة (قال الكاشفى) ديكر از عهدها ميان پيغمبر وقريش آن بود كه حلفا يكديكر را
نرنجانند وبر قتال ايشان با يكديكر مظاهره نكنند قريش بنى بكر را كه حلفاء ايشان بودند بسلاح ومرد مدد
دادند با بنى خزاعه كه حلفاى رسول بودند جنك كردند (وهموا) وقصد كردند مشركان (باخراج الرسول) حين
تشاوروا فى امره بدار الندوة فيكون نعيا عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا
باخراجه من المدينة (وهم بدأوكم) اى بدأوا نقض العهد بالمعاداة والمقاتلة (اول مرة) لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة فما يمنعكم ان
تعارضوهم وتصادموهم (أتخشونهم) اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم (فالله احق ان تخشوه)
فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره وقوله فالله مبتدأ خبره احق وان تخشوه بدل من الله اى خشية احق من
خشيتهم فان تخشوه فى موضع رفع ويجوز أن يكون فى موضع نصب او جر على الخلاف اذا حذف حرف الجر
وتقديره بان تخشوه اى احق من غيره بان تخشوه (ان كنتم مؤمنين) فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قال
فى التأويلات النجمية اتخشون فوات حظوظ النفس فى اجتهادها وخشية فوات حقوق الله والوصول اليه
اولى ان كنتم مؤمنين بالوصول اليه (قاتلوهم) كارزار كنيد با مشركان (يعذبهم الله بايديكم) يعنى بشمشيرهاى
شما مقتول شوند (ويخزهم) ورسوا سازد شان بمقهوريت ومغلوبيت (وينصركم عليهم) اى يجعلكم جميعا غالبين
عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب (ويشف) شفا بخشند (صدور قوم مؤمنين) ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة
قال ابن عباس رضى الله عنهما هم بطن من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب (قال الحافظ) آنكه بيرانه
سرم صحبت يوسف بنواخت * اجر صبريست كه در كلبه احزان كردم (ويذهب) وببرد خداى تعالى بنصرت شما
بر كفار (غيظ قلوبهم) اندوه دلهاء آنانرا كه بواسطه اذاء كفار ملول بودند ولقد انجز الله ما وعدهم به على اجمل
ما يكون (ويتوب الله على من يشاء) كلام مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة
فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم مثل ابى سفيان وعكرمة بن ابى جهل وسهيل بن عمرو وغيرهم
(والله عليم) بما كان وما سيكون (حكيم) لا يفعل ولا يأمر الا على وفق الحكمة (ام حسبتم) آيا مى پنداريد اى
مؤمنان وام منقطعة والمعنى بل احسبتم ومعنى بل الاضراب عن امرهم بالقتال الى توبيخهم على الحسبان
(ان تتركوا) مهملين غير مأمورين بالجهاد (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) اى والحال انه لم يتبين الخلص
وهم الذين جاهدوا من غيرهم وفائدة التعبير عن عدم التبين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبين من حيث
كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب قال الحدادى وكان الله تعالى قد علم قبل امرهم بالقتال من لا يقاتل ممن يقاتل
ولكنه يعلم ذلك غيبا واراد العلم الذى يجازى عليه وهو علم المشاهدة لانه يجازيهم على علمهم لا على علمه فيهم
انتهى وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين (ولم يتخذوا)
عطف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة اى ولما يعلم الله الذين لم يتخذوا (من دون الله) متعلق بالاتخاذ ان ابقى على
حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير (ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) اى بطانة وصاحب سر وهو الذى
تطلعه على ما فى ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول قال ابو عبيدة كل شئ ادخلته فى شئ وليس
منه فهو وليجة تكون للواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد (والله خبير بما تعملون) اى بجميع اعمالكم لا يخفى عليه
شئ منها فيعلم غرضكم من الجهاد هل فيه اخلاص او هو مشوب بالعلل كاحراز الغنيمة او جلب الثناء او نحو
ذلك (قال السعدى) منه آب زر جان من بر پشيز * كه صراف دانا نكيرد بچيز * زر اندود كانرا باتش برند *
پديد آيد آنكه كه مس يا زرند * وفى الآية حث على الجهاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرباط يوم فى سبيل
الله محتسبا من غير شهر رمضان افضل عند الله واعظم اجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم

فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم اجرا من عبادة ألفى سنة صيامها وقيامها فان رده الله الى اهله سالما لم يكتب عليه سيئة ألف سنة ويكتب له الحسنات ويجرى له اجر الرباط الى يوم القيامة وفى الحديث من آمن بالله وبرسوله واقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد فى سبيل الله اوجلس فى ارضه التى ولد فيها قالوا أفلا نبشر الناس قال ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة وفى الحديث المجاهد من جاهد نفسه لله تعالى جاهدوا اهوآءكم كما تجاهدون اعدآءكم اشجع الناس اقهرهم لهواه كم عاقل اسيرهواه عليه امير عبد الشهوات اذل من عبد الرق ان المرآة لاتريك خدوش وجهك مع صداها وكذلك نفسك لاتريك عيوب نفسك مع هواها وفى الآية بيان ان المؤمن المخلص يجتنب عن الكافر والمنافق ولا يتخذهما صاحبى سر (روى) عن شداد بن اوس وعبادة بن الصامت قالا بينما كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال هل فيكم غريب يعنى أهل كتاب قلنا لا يارسول الله فامر بغلق الباب فقال ارفعوا ايديكم فقولوا لا اله الا الله فرفعنا ايدينا ساعة ثم وضع رسول الله يده ثم قال الحمد لله اللهم انك بعثتنى بهذه الكلمة وامرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة انك لا تخلف الميعاد ثم قال ابشروا فان الله قد غفر لكم اقول هذا التلقين تلقين خاص قد توارثه الخواص من لدنه عليه السلام الى هذا اليوم ولم يطلعوا عليه العوام ولم يفشوا اسرارهم الى الاجانب فان ذلك من الخيانة وكذا ولاية المؤمن للكافر ومحبته له من الخيانة وما الاختلاط الا من محبة الكفر والعياذ بالله تعالى من ذلك (ما كان للمشركين) نزلت الآية فى جماعة من رؤساء قريش اسروا يوم بدر فيهم العباس عم النبى عليه السلام فاقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله فعيروهم بالشرك وجعل على رضى الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع رحمه وعون المشركين عليه واغلظ القول له فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال له على وهل لكم من محاسن قال نعم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحاج فقال الله تعالى ردا ما كان للمشركين اى ماصح وما استقام على معنى نفى الوجود والتحقق لا نفى الجواز كما فى قوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ماوقع وما تحقق لهم (ان يعمروا) عمارة معتدا بها (مساجد الله) اى المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامرها اولان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حاله بخلاف سائر المساجد اذ ليس فى نواحيها اختلاف الجهة قيل لعكرمة لم تقرأ مساجد وانما هو مسجد واحد قال ان الصفا والمروة من شعائر الله اى شيأ من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذى هو أفضل افراد الجنس على ان تعريف الجمع بالاضافة للجنس فالآية على هذا الوجه كناية عن عمارة المسجد على وجه آكد من التصريح بذلك ذكر فى القنية ان اعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد الشوارع فانها اخف مرتبة حتى لايعتكف فيها اذا لم يكن لها امام معلوم ومؤذن ثم مساجد البيوت فانه لا يجوز الاعتكاف فيها الا للنساء انتهى وهذه المساجد هى المساجد المجازية واما المساجد الحقيقية فهى القلوب الطاهرة عن لوث الشرك مطلقا (كما قال من قال) مسجدى كان درددرون اولياست * خانهٔ خاص حقست آنجا خداست * نيست مسجد جز درون سروران * آن مجازست اين حقيقت اى جوان * ولهذا يعبر عن هدم المسجد بهدم قلب المؤمن (شاهدين على انفسهم بالكفر) اى باظهار آثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت للعبادة فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان أبوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن وقال السدى شهادتهم على انفسهم بالكفر ان اليهودى لوقيل له ما انت قال يهودى ويقول النصرانى هو نصرانى ويقول المجوسى هو مجوسى اوقولهم نعبد الاصنام ليقربونا الى الله زلفى وهو حال من الضمير فى يعمروا اى محال ان يكونوا ماسموه عمارة عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة فى شئ (اولئك) الذين يدعون عمارة المسجد ومايضاهيها من اعمال البر مع ماهم من الكفر (حبطت) تباه وباطل شده است بواسطهٔ كفر (اعمالهم) التى يفتخرون بها وان كانت من جنس طاعة المسلمين (وفى النار هم خالدون) لكفرهم ومعاصيهم قال القاضى عياض انعقد الاجماع على ان الكفار لاتنفعهم اعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم

ولا بتخفيف عذاب لكن بعضهم يكون اشد عذابا من بعض بحسب جرائمهم وذكر الامام الفقيه ابو بكر البيهقى انه يجوز أن يراد مما ورد فى الآيات والاخبار فى بطلان خيرات الكفار انهم لا يتخلصون بها من النار ولكن يخفف عنهم مايستوجبونه بجنايات ارتكبوها سوى الكفر ووافقه المازرى قال الواحدى دلت الآية على ان الكفار ممنوعون من عمارة مسجد المسلمين ولو أوصى لم تقبل وصيته وهو مجمع عليه بين الحنفية ويمنع من دخول المساجد فان دخل بغير اذن مسلم استحق التعزير وان دخل باذنه لم يعزر والاولى تعظيم المساجد ومنعها منهم (انما يعمر مساجد الله) شامل للمسجد الحرام وغيره (من آمن بالله) وحده والايمان بالرسول داخل فى الايمان بالله لما علم من تقارنهما وعدم انفكاك احدهما عن الآخر فى مثل الشهادة والاذان والاقامة (واليوم الآخر) بما فيه من البعث والحساب والجزاء (واقام الصلاة) مع الجماعة واكثر المشايخ على انها واجبة وفى الحديث صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا والجماعة فى التراويح أفضل وكل ما شرع فيه الجماعة فالمسجد فيه أفضل فثواب المصلين فى البيت بالجماعة دون ثواب المصلين فى المسجد بالجماعة (وآتى الزكاة) اى الصدقة المفروضة عن طيب نفس وقرن الزكاة بالصلاة فى الذكر لما ان احداهما لا تقبل الا بالاخرى اى انما تستقيم عمارتها من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية (ولم يخش) فى امور الدين (الا الله) فعمل بموجب امره ونهيه غير آخذه فى الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلى من الامور المخوفة كالظلمة والسباع المهلكة والدواهى العظيمة فهو لا يقدح فى الخشية من الله اذ الخشية من الله ارادة ناشئة من تصور عظمة الله واحاطة علمه بجميع المعلومات وكمال قدرته على مجازاة الاعمال مطلقا وهذا الخوف الجبلى لا يدخل تحت القصد والارادة (فعسى اولئك) پس آن كروه شايد (ان يكونوا من المهتدين) الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية فى معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع بأعمالهم التى يحسبون انهم لها محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بأنهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم * جايى كه شير مردان درمعرض عتابند * روباه سيرتانرا آنجاچه تاب باشد * وديكرمنع مومنانست ازاغترار باعمال خويش وبران اعتماد نمودن * كما قال الحدادى كلمة عسى من الله واجبة والفائدة فى ذكرها فى آخر هذه الآية ليكون الانسان على حذر من فعل ما يحبط ثواب عمله * هركه بعمل مغرورست زفيض ازل مهجورست * مباش غره بعلم وعمل كه شد ابليس * بدين سبب زدربار كاه عزت دور * واعلم ان عمارة المساجد تعم انواعا منها البناء وتجديد ما انهدم منها وفى الحديث سبع يجرى للعبد اجرهن وهو فى قبره بعد موته من تعلم علما اوكرى نهرا او حفر بئرا او غرس نخلا او بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته وفى الحديث من بنى مسجدا لله تعالى اعطاه الله بكل شبر أو بكل ذراع اربعين ألف ألف مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ فى الجنة فى كل مدينة ألف ألف بيت فى كل بيت ألف ألف سرير على كل سرير زوجة من الحور العين فى كل بيت اربعون ألف مائدة على كل مائدة اربعون الف قصعة فى كل قصعة أربعون ألف ألف لون من طعام ويعطى الله له من القوة حتى يأتى على تلك الازواج وعلى ذلك الطعام والشراب ذكره الزندوستى فى الروضة فان خرب المسجد وتعطل اوخربت المحلة ولا يصلى فيه احد صار المسجد ميراثا للورثة الباقى عند محمد وقال ابو يوسف هو على حاله مسجد وان تعطل ولو أرادوا ان يجعلوا المسجد مستغلا والمستغل مسجدا لم يجز يقول الفقير من الناس من جعل المسجد اصطبل الدواب اومطمورة الغلة اونحوه وكذا الكتاب ونحوه من محال العلم والعبادات وقد شاهدناه فى ديار الروم والعياذ بالله تعالى قال على رضى الله عنه ست من المروءة ثلاث فى الحضر وثلاث فى السفر فاما اللاتى فى الحضر فتلاوة كتاب الله وعمارة مسجد الله واتخاذ الاخوان فى الله واما اللاتى فى السفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح فى غير معاصى الله ذكره الخطيب فى الروضة ومنها اى كنسها وتنظيفها قال الحسن مهور الحور العين كنس المساجد وعمارتها وفى الحديث نظفوا افنيتكم ولا تشبهوا باليهود بجمع الاكباء اى الكناسات فى دورها وفى الحديث غسل الانا وطهارة الفنا يورثان الغنى فاذا كان الامر فى طهارة الفناء وهو فناء البيت والدكان ونحوهما هكذا فما ظنك فى تنظيف

المسجد والكتاب ونحوهما ومنها تزيينها بالفرش قال بعضهم اول من فرش الحصير في المساجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصى وهو بالفارسية سنك ريزه اى في زمنه صلى الله عليه وسلم وذلك ان المطر جاء ذات ليلة فأصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل يأتي بالحصباء في ثوبه فيبسطها تحته ليصلي عليها فلما قضى رسول الله الصلاة قال ما احسن هذا البساط ثم امران يحصب جميع المسجد فمات قبل ذلك فحصبه عمر رضي الله عنه وفي الاحياء اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من عد المعروف في زماننا من فرش المساجد بالبسط الرقيقة وقد كان يعد فرش البوارى في المسجد بدعة كانوا الآخرون ان يكون بينهم وبين الارض حائل انتهى قال الفقهاء يستحب له ان يصلي على الارض بلا حائل اوما تنبته كالحصير والبوريا لانه اقرب الى التواضع وفيه خروج عن خلاف الامام مالك فان عنده يكره السجود على ماليس من جنس الارض ولا بأس بان يصلي على اللبود وسائر الفرش اذا كان المفروش رقيقا بحيث يجد الساجد تمكنه من الارض وقد روى انه عليه السلام سجد على فروة مدبوغة ولا بأس بتبييض المسجد بالجص اوبالتراب الابيض ذكر ان الوليد بن عبد الملك انفق على عمارة مسجد دمشق في تزيينه مثل خراج الشام ثلاث مرات (وروى) ان سليمان بن داود عليهما السلام بنى مسجد بيت المقدس وبالغ في تزيينه حتى نصب الكبريت الاحمر على رأس القبة وكان ذلك اعز مايوجد في ذلك الوقت وكان يضيئ من ميل وكانت الغزالات يغزلن في ضوئه من مسافة اثنى عشر ميلا وكان على حاله حتى خربه بخت نصر ونقل جميع مافيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى ارض بابل وحمل مائة ألف وسبعين عجلة * ومنها تعليق القناديل في المساجد واسراج المصابيح والشموع وفي الحديث من علق قنديلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى ينكسر ذلك القنديل كما في الكشف وقال انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له مادام في ذلك المسجد ضوؤه وكان سليمان عليه السلام امر باتخاذ ألف وسبعمائة قنديل من الذهب في سلاسل الفضة (ذكر) ان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا جاءت العتمة يوقد فيه سعف النخل فلما قدم تميم الداري المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد واوقدت فقال صلى الله عليه وسلم نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كان لي بنت لانكحتها هذا وفي كلام بعضهم اول من جعل في المسجد المصابيح عمر بن الخطاب ويوافقه قول بعضهم والمستحب من بدع الافعال تعليق القناديل فيها يعني المساجد واول من فعل ذلك عمر بن الخطاب فانه لما جمع الناس على ابي بن كعب رضي الله عنه في صلاة التراويح علق القناديل فلما راها علي كرم الله وجهه تزهر قال نورت مسجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب ولعل المراد تعليق ذلك بكثرة فلا يخالف ماتقدم عن تميم الداري وعن بعضهم قال امرني المأمون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد فلم ادر ما اكتب لانه شئ لم اسبق اليه فاريت في المنام اكتب فان فيه انسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله تعالى عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك قال بعضهم لكن زيادة الوقود كالواقع ليلة النصف من شعبان و يقال لها ليلة الوقود ينبغي ان يكون ذلك كتزيين المساجد ونقشها وقد كرهه بعضهم والله اعلم الكل من انسان العيون في سيرة النبي المأمون قال الشيخ عبد الغني النابلسي في كشف النور عن اصحاب القبور ما خلاصته ان البدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع تسمى سنة فبناء القباب على قبور العلماء والاولياء والصلحاء ووضع الستور والعمائم والثياب على قبورهم امر جائز اذا كان القصد بذلك التعظيم في اعين العامة حتى لا يحتقروا صاحب هذا القبر وكذا ايقاد القناديل والشمع عند قبور الاولياء والصلحاء من باب التعظيم والاجلال ايضا للاولياء فالمقصد فيها مقصد حسن ونذر الزيت والشمع للاولياء يوقد عند قبورهم تعظيما لهم ومحبة فيهم جائز ايضا لا ينبغي النهي عنه ومنها الدخول والقعود فيها والمكث والعبادة والذكر ودراسة العلوم ونحو ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما الا ادلكم على ماهو خير لكم من الجهاد قالوا بلى قال ان تبنوا مسجدا فيتعلم فيه القرءآن والفقه في الدين اوالسنة كما في الاسرار المحمدية * ومنها صيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش و يقال حديث الدنيا في المسجد وفي مجلس العلم وعند الميت وفي المقابر وعند الاذان وعند تلاوة القرءآن يحبط ثواب عمل ثلاثين سنة وفي الحديث قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره قال

الامام القشيرى قدس سره عمارة المساجد التى هى مواقف العبودية لاتاتى الابتخريب اوطان البشرية فالعابد يعمر المسجد بتخريب أوطان شهوته والزاهد بعمره بتخريب أوطان ملاحظته ولكل منهم صنف مخصوص وكذلك رتبهم بالايمان مختلفة فايمان من حيث البرهان وايمان من حيث البيان وايمان من حيث العيان وشتان ما بينهم انتهى كلامه نسأل الله الغفار ان يجعلنا من العمار والزوار (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) روى ان المشركين قالوا القيام على السقاية وعمارة المسجد الحرام خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفتخرون بالحرم ويستكبرون به من اجل انهم اهله وعماره فأنزل الله هذه الآية (قال الكاشفى) آورده اند كه بعض از أهل حرم درجاهليت زمرهٔ حاج را نبيذ زبيب با عسل وسويق ميداد ندو درزمان حضرت صلى الله عليه وسلم منصب سقايت بعباس تعلق داشت ومتصدئ عمارة مسجد الحرام شيبة بن طلحة بودروزى اين هردو بامرتضى على بمقام مفاخرت درآمده عباس بسقايت وشيبه بعمارت مباهات نمودند على باسلام وجهاد مفتخرمى بودحق سبحانه وتعالى بتصديق على آيت فرستاد (وروى النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله فقال رجل ما ابالى ان لا اعمل بعد أن أسقى الحاج وقال آخر ما ابالى ان لا اعمل عملا بعد ان أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتما فزجرهم عمر رضى الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه فدخل فأنزل الله هذه الآية والمعنى اجعلتم أيها المشركون اوالمؤمنون المؤثرون للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام فى الفضيلة وعلو الدرجة (كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله) السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالجثث فلابد من تقدير مضاف فى احد الجانبين اى اجعلتم اهلهما كمن آمن او أجعلتموهما كايمان من آمن فان السقاية والعمارة وان كانتا فى انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما بأهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله تعالى (لا يستوون عند الله) اى لا يساوى الفريق الاول الثانى من حيث اتصاف كل واحد منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوى بين الوصفين الاولين وبين الآخرين لان المدار فى التفاوت بين الموصوفين (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى الكفرة الظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون فى الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب (الذين آمنوا) استئناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستوآء وضلال المشركين وظلمهم (وهاجروا) من أوطانهم الى رسول الله (وجاهدوا فى سبيل الله) العدو فى طاعة الله (بأموالهم) ببذل كردن مالهاء خود بمجاهدان وتهيهٔ اسباب قتال ايشان (وانفسهم) درباختن نفسهاء خود درمعارك حرب اى هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجليلة (أعظم درجة عند الله) اى اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ماعداها من الكمالات التى من جملتها السقاية والعمارة قال الحدادى وانما قال أعظم وان لم يكن للكفار درجة عند الله لانهم كانوا يعتقدون ان لهم درجة عند الله وهذا كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا (واولئك) المنعوتون بتلك النعوت (هم الفائزون) المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كأن فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثانى فهو لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد (يبشرهم ربهم) فى الدنيا على السنة الرسل (برحمة) عظيمة (منه) هى النجاة من العذاب فى الآخرة (ورضوان) خشنودى كامل ازيشان (وجنات) اى بساتين عالية (لهم فيها) اى فى تلك الجنات (نعيم مقيم) نعم لا نفاد لها (خالدين فيها) اى فى الجنات (ابدا) تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد اذ قد يراد به المكث الطويل (ان الله عنده اجر عظيم) اى ثواب كثير فى الجنة لاقدر عنده لاجور الدنيا در كشف الاسرار فرموده كه رحمت براى عاصيانست ورضوان براى مطيعان وجنت براى كافهٔ مؤمنان رحمت را تقديم كرد تا أهل عصيان رقم ناامیدی بر صفحات أحوال خود نكشند كه هرچند كناه عظيم بود رحمت ازان اعظم است * كنه ما رون زحد وشمار * عفوت افزونتر از كناه همه * قطرهٔ زاب رحمت تو بس است * شستن نامهٔ سياه همه * اعلم انه كما ان الكفار بالكفر الجلى لا يساوون المؤمنين فى اعمالهم وطاعاتهم كذلك المشركون بالشرك الخفى لا يساوون المخلصين فى احوالهم ومقاماتهم فالزهد والتصوف والتعرف والتعبد المشوبة بالرياء والهوى

والاغراض

والاغراض لاثمرة لها عند اهل الطلب لانها خدمة فاسدة كبذر فاسد * دنياداری وآخرت مى طلبى * اين ناز بخانه بدر بايد كرد * قيل لا تطمع فى المنزلة عند الله وأنت تريد المنزلة عند الناس وفرقوا بين الخادم والمتخادم بان المتخادم من كانت خدمته مشوبة بهواه فلا يراعى واجب الخدمة فى طرفى الرضى والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى وبحب المحمدة والثناء من الخلق والخادم من ليس كذلك قال السرى الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما فى الدنيا ويجمع هذه الحظوظ المالية والجاهية حب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء وجاء فى الاثر لا يزال لا اله الا الله يدفع عن العباد سخط الله مالم يبالوا بما نقص من دنياهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين (روى) ان عابدا من بنى اسرائيل راودته ملكة عن نفسه فقال اجعلوا الى ماء فى الخلاء اتنظف به ثم صعد أعلى موضع فى القصر فرمى بنفسه فأوحى الله تعالى الى ملك الهوآء ان الزم عبدى قال فلزمه ووضعه على الارض وضعا رفيقا فقيل لابليس الا اغويته قال ليس لى سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله فهذا هو الجهاد فى الله وثمرته الخلاص من الهلاك مطلقا قال العلماء بالله ينبغى للمريد أن يكون له فى كل شئ نية لله تعالى حتى فى اكله وشربه وملبوسه فلا يلبس الا لله ولا يأكل الا لله ولا ينام الا لله وقد ورد فى الخبر من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك الاذفر ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة فالمريد ينبغى ان يتفقد جميع اقواله وافعاله ولا يسامح نفسه ان تتحرك بحركة او تتكلم بكلمة الا لله تعالى وفى الاخير من الآيات اشارة الى من جاهد النفس وبذل الوجود والموجود جميعا فانه اعظم قربة فى مقام العندية من النفوس المتمردة ومن وصل الى مقام العندية فالله يعظم اجره اى يجده فى مقام العندية فافهم واسأل ولا تغفل عن حقيقة الحال (يا أيها الذين آمنوا) سبب نزولها انه لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بالهجرة الى المدينة كان من الناس من يتعلق به زوجته وولده واقاربه فيقولون ننشدك الله ان لا تروح وتدعنا الى غير شئ فنضيع بعدك فيرق لهم ويدع الهجرة فقال الله تعالى أيها المؤمنون (لا تتخذوا آباءكم واخوانكم) الكفرة بمكة (اولياء) يعنى اين كروه بدوستى مكيريد (ان استحبوا الكفر) اى اختاروه (على الايمان) عدى استحب بعلى لتضمنه معنى اختار وحرص (ومن يتولهم منكم) وهركرا ازشما ايشانرا دوست داردبعنى اين عمل ازيشان پسندد ومن للجنس لا للتبعيض (فاولئك) المتولون (هم الظالمون) بوضعهم الموالاة فى غير موضعها كأن ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قال الامام الصحيح ان هذه السورة انما نزلت بعد فتح مكة فكيف يمكن حمل هذه الآية على ايجاب الهجرة والحال ان الهجرة انما كانت واجبة قبل فتح مكة والاقرب ان تكون هذه الآية محمولة على ايجاب التبرى من اقربائهم المشركين وترك الموالاة معهم باتخاذهم بطانة واصدقاء بحيث يفشون اليهم اسرارهم ويؤثرون المقام بين اظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ويدل عليه قوله تعالى ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون اى المشركون مثلهم قال الحدادى انما جعلوا ظالمين لموالاة الكفار لان الراضى بالكفر يكون كافرا (قال الكاشفى) چواين آيت آمد متخلفان ازهجرت كفتندكه حالا مادرميان قبائل وعشائر خوديم وبمعاملات وتجارات اشتغال نموده اوقات ميكذرانيم چون عزيمت هجرت كنيم بالضرورة قطع پدر وفرزند بايد كرد تجارت ازدست برود بى كسى وبى مالى بمانيم آيت ديكر آمدكه (قل) يا محمد للذين تركوا الهجرة (ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم) اى اقرباؤكم من المعاشرة وهى المخالطة (واموال اقترفتموها) اى اكتسبتموها واصبتموها بمكة وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين (وتجارة) اى امتعة اشتريتموها للتجارة والربح (تخشون كسادها) بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة فى ايام الموسم (ومساكن ترضونها) اى منازل تعجبكم الاقامة فيها لكمال نزاهتها من الدور والبساتين (أحب اليكم من الله ورسوله) اى من طاعة الله وطاعة رسوله بالهجرة الى المدينة (وجهاد فى سبيله) اى واحب اليكم من الجهاد فى طاعة الله والمراد الحب الاختيارى المستتبع لاثره الذى هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلى الذى لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة (فتربصوا) اى انتظروا وجواب للشرط (حتى يأتى الله) تا بيارد خداى تعالى (بامره) هى عقوبة عاجلة او آجلة وهو وعيد لمن آثر حظوظ نفسه على مصلحة دينه (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن

الطاعة فى موالاة المشركين اى لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفى الآية الكريمة وعيد شديد لا يتخلص منه الا اقل قليل فانك لو تتبعت اخوان زماننا من الزهاد الورعين لوجدتهم يتعيرون ويتحزنون بفوات احقر شئ من الامور الدنيوية ولا يبالون بفوات اجل حظ من الحظوظ الدينية فان محصول الآية ان من آثر هذه المشتهيات الدنيوية على طاعة الرحمن فليستعد لنزول عقوبة آجلة اوعاجلة ولينظر أن ما آثره من الحظوظ العاجلة هل يخلص من الاهوال والدواهى النازلة اللهم عفوك وغفرانك يا ارحم الراحمين (قال الكاشفى) اى عزيز مرد بايد كه ابراهيم وار روى از كون بكرداند * فانهم عدو لى الا رب العالمين مال را بذل مهمان وفرزند را قصد قربان وخود را فداى آتش سوزان كند تا در روى دعوئ دوستى صادق باشد * آنكس كه ترا شناخت جانرا چه كند * فرزند وعيال وخانرا چه كند * آورده اندكه حضرت صلى الله عليه وسلم فرموده است كه لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ماله وولده والناس اجمعين قال ابن ملك المراد به نفى كمال الايمان وبالحب الحب الاختيارى مثلا لو أمر رسول الله مؤمنا بان يقاتل الكافر حتى يكون شهيدا او امر بقتل ابويه واولاده الكافرين لأحب ان يختار ذلك لعلمه ان السلامة فى امتثال امره عليه السلام وان لا يخير كان المريض ينفر بطبعه عن الدواء ولكن يميل اليه ويفعله لظنه ان صلاحه فيه كيف ونبينا عليه السلام اعطف علينا منا ومن آبائنا واولادنا لانه عليه السلام يسعى لنا لا لغرض قال القاضى ومن محبته عليه السلام نصرة سنته والذب اى المنع والدفع عن شريعته * از حضرت شيخ الاسلام قدس سره منقولست كه احمد ابن يحيى دمشقى روزى پيش مادر و پدر نشسته بود قصهٔ قربان اسماعيل از قرآن بديشان ميخواندند كفتند اى احمد از پيش ما برخيز و ترا در كار خدا كرديم برخاست وكفت الهى اكنون جز ترا ندارم روبكعبه نهاد بعد از ان كه بيست وچهار موقف ايستاده بود قصد زيارت والدين كرد چون بدمشق آمد و بدر سراى خود رسيد در بجنبانيد مادر آواز داد كه من على الباب جواب داد كه انا احمد ابنك مادرش كفت پيش از ين ما را فرزندى بود و را كار خدا كرديم احمد ومحمود را باما چه كار * ما هرچه داشتيم فداى تو كرده ايم * جانرا اسير بند هواى تو كرده ايم * ما كرده ايم ترك خود وهر دوكون نيز * وينها كه كرده ايم براى تو كرده ايم * وهذا لما أن المهاجرين كانوا يكرهون الموت فى بلدة هاجروا منها وتركوها لله تعالى لئلا ينقص ثواب الهجرة اذ فى العود نقض العمل الا ان يكون لضرورة دون اختيار قال فى التأويلات أصل الدين هو محبة الله تعالى وان صرف استعداد محبة الله فى هذه الاشياء المذكورة فيه فسق وهو الخروج من محبة الخالق الى محبة المخلوق وان من آثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد أبطل الاستعداد الفطرى لقبول الفيض الالهى واستوجب الحرمان وادركه القهر والخذلان فتربصوا حتى يأتى الله بأمره اى بقهره والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن حسن الاستعداد يعنى لا يهديهم الى حضرة جلاله وقبول فيض جماله بعد ابطال حسن الاستعداد * وعن بشر بن الحارث رضى الله عنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا بشر أتدرى لم رفعك الله تعالى على اقرانك قلت لا يا رسول الله قال باتباعك لسنتى وخدمتك الصالحين ونصحك لاخوانك ومحبتك لاصحابى وأهل بيتى هو الذى بلغك منازل الابرار اقول المحبة الخالصة باب عظيم لا يفتح الا لاهل القلب السليم وتأثيرها غريب وامرها عجيب نسأل الله تعالى سبحانه ان يجعلنا من الذين آثروا حب الله وحب رسوله على حب ما سواهما آمين (لقد نصركم الله) اى بالله قد اعانكم يا أصحاب محمد على عدوكم واعلاكم عليهم مع ضعفكم وقلة عددكم وعددكم (فى مواطن كثيرة) من الحروب وهى مواقعها ومقاماتها جمع موطن وهو كل موضع اقام به الانسان لأمر والمراد بها واقعات بدر والاحزاب وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة (ويوم حنين) عطف على محل فى مواطن بحذف المضاف فى احدهما اى وموطن يوم حنين ليكون من عطف المكان على المكان اوفى ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ليكون من عطف الزمان على الزمان واضيف اليوم الى حنين لوقوع الحرب يومئذ بها فيوم حنين هى غزوة حنين ويقال لها غزوة هوازن ويقال لها غزوة اوطاس باسم الموضع الذى كانت به الواقعة فى آخر الامر وحنين واد بين مكة والطائف (اذ أعجبتكم كثرتكم) چون بشكفت آورد شمارا اى سرتكم كثرة عددكم ووفور عددكم والاعجاب هو السرور بالتعجب وهو بدل من يوم حنين وكانت الواقعة فى حنين بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا عشرة آلاف منهم ممن شهد

فتح مكة من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وهم أهل مكة سموا بذلك لانه عليه السلام اطلقهم يوم فتح مكة عنوة ولم يقيدهم بالاسار وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف سوى الجم الغفير من امداد سائر العرب (روى) انه عليه السلام فتح مكة فى اواخر رمضان وقد بقيت منه ثلاثة ايام وقيل فتحها لثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان ومكث فيها الى ان دخل شوال فغدا يوم السبت السادس منه خارجا الى غزوة حنين واستعمل على مكة عتاب بن اسيد يصلى بهم ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه وحين فتحت مكة اطاعه عليه الصلاة والسلام قبائل العرب الا هوازن وثقيفا فان اهلهما كانوا طغاة مردة فخافوا ان يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وظنوا انه عليه السلام يدعوهم الى الاسلام فثقل ذلك عليهم فحشدوا وبغوا وقالوا ان محمدا لاقى قوما لا يحسنون القتال فاجمعوا امرهم على ذلك فاخرجوا معهم اموالهم ونساءهم وابناءهم وراءهم فحملوا النساء فوق الابل وراء صفوف الرجال ثم جاؤا بالابل والغنم والذرارى وراء ذلك كى يقاتل كل منهم عن اهله وماله ولا يفرّ أحد بزعمهم فساروا كذلك حتى نزلوا باوطاس وقد كان عليه السلام بعث اليهم عينا ليتجسس عن حالهم وهو عبد الله بن ابى حدرد من بنى سليم فوصل اليهم فسمع مالك بن عوف امير هوازن يقول لاصحابه أنتم اليوم اربعة آلاف رجل فاذا لقيتم العدو فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا جفون سيوفكم فوالله لا تضربون بأربعة آلاف سيف شيأ الا فرج فاقبل العين الى النبى عليه السلام فاخبره بما سمع من مقالتهم فقال سلمة بن سلامة الوقشى الانصارى يارسول الله لن نغلب اليوم من قلة معناه بالفارسية مامروز از قلت لشكر مغلوب نخواهم شد * فساءت رسول الله كلمته وقيل ان هذه الكلمة قالها ابو بكر رضى الله عنه وقيل قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام صاحب التفسير الكبير وهو بعيد لانه عليه السلام كان فى اكثر الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا واسبابها قال ابن الشيخ فى حواشيه الظاهر ان القول بها لا ينافى التوكل على الله ولا يستلزم الاعتماد على الاسباب الظاهرة فان قوله لن نغلب اليوم من قلة نفى للقلة والعجاب بالكثرة والمعنى ان وقعت مغلوبية فلا مر آخر غير القلة فركب صلى الله عليه وسلم بغلته دلدل ولبس درع داود عليه السلام التى لبسها حين قتل جالوت ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلما كان بحنين وانحدروا فى الوادى وذلك عند غبش الصبح يوم الثلاثاء خرج عليهم القوم وكانوا كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه وكانوا رماة فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذرارى فأكب المسلمون فتنادى المشركون ياحماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا وحملوا عليهم فأدركت المسلمين كلمة الاعجاب اى لحقهم شؤم كلمة الاعجاب فانكشفوا ولم يقوموا لهم مقدار حلب شاة وذلك قوله تعالى (فلم تغن عنكم شيأ) پس دفع نكرد از شما ان كثرت شما * والاغناء اعطاء ما تدفع به الحاجة اى لم تعطكم تلك الكثرة مما تدفعون به حاجتكم شيأ من الاغناء (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) اى رحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اى لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه (قال الشاعر)

كأن بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

اى حبالة صيد (ثم وليتم) الكفار ظهوركم (مدبرين) اى منهزمين لا تلوون على احد يقال ولى هاربا اى ادبر فالادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال (روى) انه بلغ فلهم اى منهزمهم مكة وسر بذلك قوم من أهل مكة واظهروا الشماتة حتى قال اخو صفوان بن امية لامه ألا قد ابطل الله السحر اليوم فقال له صفوان وهو يومئذ مشرك اسكت فض الله فاك اى اسقط اسنانك والله لأن يربنى من الربوبية اى يملكنى ويدبر امرى رجل من قريش احب الى من ان يربنى رجل من هوازن ولما انهزموا بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن حرب بن عبد المطلب آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين ويقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا ليس بشعر لانه لم يقع عن قصد وانما قال انا ابن عبد المطلب ولم يقل انا ابن عبد الله لان العرب كانت تنسبه صلى الله عليه وسلم الى جده عبد المطلب لشهرته ولموت عبد الله فى حياته فليس من الافتخار بالآباء الذى هو من عمل الجاهلية وقال الخطابى انه عليه السلام انما قال انا ابن عبد المطلب لا على سبيل الافتخار ولكن ذكرهم عليه السلام بذلك رؤيا رآها عبد المطلب ايام حياته وكانت القصة مشهورة عندهم فعرّفهم بها وذكرهم اياها وهى احدى دلائل نبوته عليه السلام وقصة الرؤيا

على ما فى عقد الدرر واللآلى ان عبد المطلب جد النبى عليه السلام بينما هو نائم فى الحجر انتبه مذعورا قال العباس فتبعته وانا يومئذ غلام اعقل ما يقال فأتى كهنة قريش فقال رأيت كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهرى ولها اربعة اطراف طرف قد بلغ مشارق الارض وطرف قد بلغ مغاربها وطرف قد بلغ عنان السماء وطرف قد جاوز الثرى فبينا انا انظر عادت شجرة خضراء لها نور فبينا انا كذلك قام على شيخان فقلت لاحدهما من أنت قال انا نوح نبى رب العالمين وقلت للآخر من أنت قال انا ابراهيم خليل رب العالمين ثم انتبهت قالوا ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك نبى يؤمن به اهل السموات واهل الارض ودلت السلسلة على كثرة اتباعه وانصاره لتداخل حلق السلسلة ورجوعها شجرة يدل على ثبات امره وعلو ذكره وسيهلك من لم يؤمن به كما هلك قوم نوح وستظهر به ملة ابراهيم والى هذا وقعت اشارة النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب كأنه يقول انا ابن صاحب تلك الرؤيا مفتخرا بما فيها من علم نبوته وعلو كلمته انتهى (روى) انه عليه السلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته حيث لم يخف اسمه فى تلك الحال ولم يخف الكفار على نفسه وما ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يارب ائتنى بما وعدتنى وقال للعباس وكان صيتا جهورى الصوت صح بالناس يروى من شدة صوته انه اغير يوما على مكة فنادى واصباحاه فأسقطت كل حامل سمعت صوته وكان صوته يسمع من ثمانية اميال فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة وهم أهل بيعة الرضوان يا أصحاب سورة البقرة وهم المذكورون فى قوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون وكانوا يحفظون سورة البقرة ويقولون من حفظ سورة البقرة وآل عمران فقد جد فينا فكروا عنقا واحدا اى جماعة واحدة يعنى دفعة وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى (ثم أنزل الله سكينته على رسوله) اى رحمته التى تسكن بسببها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام قبل ذلك ايضا (وعلى المؤمنين) شامل للمنهزمين وغيرهم فعاد المنهزمون وظفروا (وانزل جنودا لم تروها) اى بأبصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم البياض على خيول بلق وكان يراهم الكفار دون المؤمنين فنظر النبى عليه السلام الى قتال المشركين فقال هذا حين حمى الوطيس والوطيس حجارة توقد العرب تحتها النار يشوون عليها اللحم وهو فى الاصل التنور وهذه من الكلمات التى لم تسمع الا منه صلى الله عليه وسلم وحمى الوطيس كناية عن شدة الحرب ثم نزل عن بغلته وقيل لم ينزل بل قال يا عباس ناولنى من الحصباء اوانخفضت بغلته حتى كادت بطنها تمس الارض ثم قبض قبضة من تراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة وهو اعظم من انقلاب العصا حية لان ابتلاعها لحبالهم وعصيهم لم يقهر العدو ولم يشتت شمله بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى بخلاف هذا الحصى فانه اهلك العدو وشتت شمله وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان فقال له جبريل عليه السلام لقد لقنت الكلمات التى لقنها الله موسى يوم فلق البحر واختلفوا فى عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا وفى قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك والقاء الرعب فى قلوب المشركين (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر والسبى (وذلك) اى ما فعل بهم مما ذكر (جزاء الكافرين) فى الدنيا ولما هزم الله المشركين بوادى حنين ولوا مدبرين ونزلوا باوطاس وبها عيالهم واموالهم فبعث رسول الله رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وامره على جيش الى اوطاس فسار اليهم فاقتتلوا وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم وهرب اميرهم مالك بن عوف فأتى الطائف وتحصن بها واخذوا أهله وماله فيمن اخذ وقتل امير المؤمنين ابو عامر ثم انه عليه السلام اتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم فأتى الجعرانة وهو موضع بين مكة والطائف سمى المحل باسم امرأة وهى ريطة بنت سعد وكانت تلقب بالجعرانة وهى المرادة فى قوله تعالى كالتى نقضت غزلها فاحرم منها بعمرة بعد ان قام بها ثلاث عشرة ليلة وقال اعتمر منها سبعون نبيا وقسم بها غنائم حنين واوطاس وكان السبى ستة آلاف

رأس والابل أربعة وعشرين ألفا والغنم اكثر من اربعين ألفا واربعة آلاف اوقية فضة وتألف اناسا فجعل يعطي الرجل الخمسين والمائة من الابل ولما قسم مابقي خص كل رجل اربع من الابل واربعون شاة فقال طائفة من الانصار بالعجب ان اسيافنا تقطر من دمائهم وغنائمنا ترد عليهم فبلغ ذلك النبي عليه السلام فجمعهم فقال يامعشر الانصار ماهذا الذي بلغني عنكم فقالوا هو الذي بلغك وكانوا لا يكذبون فقال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي وكنتم اذلة فأعزكم الله بي وكنتم اما ترضون ان ينقلب الناس بالشاء والابل وتنقلبون برسول الله الى بيوتكم فقالوا بلى رضينا يارسول الله والله ماقلنا ذلك الا محبة لله ولرسوله فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم (ثم يتوب الله من بعد ذلك) از پس اين جنك (على من يشاء) ان يتوب عليه منهم لحكمة تقتضيه اى يوفقه للاسلام (والله غفور) يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي (رحيم) يتفضل عليهم ويثيبهم (روى) ان ناسا منهم جاؤا رسول الله وبايعوه على الاسلام وقالوا يارسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا فقال عليه السلام ان عندى ماترون ان خير القول اصدقه اختاروا اماذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ماكنا نعدل بالاحساب شيأ هو جمع حسب وهو مايعد من المفاخر كنوا بهذا القول عن اختيار ماسبي منهم من الذرارى والنسوان على استرجاع الاموال فان ترك الذرارى والنسوان فى ذل الاسر واختيار استرجاع الاموال عليها يفضى الى الطعن فى احسابهم وينافى المروءة فقام النبي عليه السلام فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرد فشأنه اى فيلزم شأنه وليفعل ماطاب له ومن لافليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال عليه السلام انا لاندرى لعل فيكم من لايرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم لوفد هوازن مافعل مالك بن عوف قالوا يارسول الله هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اخبروه انه ان اتانى مسلما رددت عليه اهله وماله واعطيته مائة من الابل فلما بلغه هذا الخبر نزل من الحصن مستخفيا خوفا ان تحبسه ثقيف اذا علموا الحال وركب فرسه وركضه حتى اتى الدهناء محلا معروفا وركب راحلته ولحق برسول الله فادركه بالجعرانة واسلم فرد عليه اهله وماله واستعمله عليه السلام على من اسلم من هوازن وكان مالك بن عوف بعد ذلك ممن افتتح عامة الشأم ثم فى القصة اشارات منها ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الواقعة كانوا فى غاية الكثرة والقوة فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين فلما تضرعوا فى حال الانهزام الى الله تعالى قواهم حتى هزموا عسكر الكفار وذلك يدل على ان الانسان متى اعتمد على الدنيا فاته الدين ومتى اطاع الله ورجح الدين على الدنيا آتاه الله الدين والدنيا على احسن الوجوه وكما ان اكثر الاسباب الصورية وان كان مدارا للفتح الصورى لكنه فى الحقيقة لايحصل الا بمحض فضل الله فكذا كثرة الاعمال والطاعات وان كانت سببا للفتح المعنوى لكنه فى الحقيقة ايضا لايحصل الا بخصوص هداية الله تعالى فلا بد من العجز والافتقار والتضرع الى الله الغفار (قال الحافظ) تكيه برتقوى ودانش درطريقت كافريست * راهرو كرصد هنردارد توكل بايدش * ومنها ان المؤمن لايخرج من الايمان وان عمل الكبيرة لانهم قد ارتكبوا الكبيرة حيث هربوا وكان عددهم اكثر من عدد المشركين فسماهم الله تعالى مؤمنين فى قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وذلك لان حقيقة الايمان هو التصديق القلبي فلا يخرج المؤمن عن الاتصاف به الا بما ينافيه ومجرد الاقدام على الكبيرة لغلبة شهوة اوغيرة جاهلية اوعار أوكسل اوخوف خصوصا اذا اقترن به خوف العقاب ورجاء العفو والعزم على التوبة لاينافيه (قال الحافظ) بپوش دامن عفوى بزلت من مست * كه آب روى شريعت بدين قدر نرود * (وقال السعدى) برده ازروى لطف كو بردار * كه اشقيارا اميد مغفرتست * ومنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينهزم قط فى موطن من المواطن واما ماروى عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه مررت برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهزما فمنهزما حال من سلمة لامن النبي عليه السلام قال القاضى عبد الله بن المرابط من قال ان نبي الله عليه السلام هزم فى بعض غزواته يستتاب فان تاب فبها ونعمت والاقتل فانه نسب اليه مالا يليق بمنصبه وألحق به نقصا وذلك لايجوز عليه اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقد اعطاه الله تعالى

من الشجاعة ورباطة الجاش مالم يعط احدا من العالمين فكيف يتصوّر الانهزام فى حقه * شاهى وملائكه سپاهست * خلق توعظيم وحق كواهست * ومنها ان ذا القعدة شهر شريف ينبغى ان يعرف قدره ويجاهد المرء فيه نفسه وهو الثلاثون يوما التى واعد الله فيها موسى عليه السلام وامره ان يصومها حتى يجيئ بعدها الى طور المناجاة والمكالمات والمشاهدات قال كعب الاحبار رضى الله عنه اختار الله الزمان فاحبه اليه الاشهر الحرم وذو القعدة من الاشهر الحرم بلا خلاف وسمى ذا القعدة لقعودهم فيه عن القتال وعن قتادة قال سألت انسا كم اعتمر النبى عليه السلام قال اربعا عمرة الحديبية فى ذى القعدة حيث صدّه المشركون وعمرة من العام القابل حيث صالحهم وعمرة الجعرانة اذ قسم غنيمة اراها حنين قلت كم حج قال واحدة ومعناه بعد الهجرة الى المدينة فانه صلى الله عليه وسلم قد حج قبلها كما فى عقد الدرر واللآلى وكذا قال صاحب الروضة وفى السنة التاسعة حج ابو بكر رضى الله عنه بالناس وفى العاشرة كانت حجة الوداع ولم يحج النبى عليه السلام بعد الهجرة سواها وحج قبل النبوّة وبعدها حجات لم يتفق على عددها واعتمر بعد الهجرة اربع عمر وفى هذه السنة مات ابراهيم ابن النبى عليه السلام وفى الحادية عشرة فانه صلى الله عليه وسلم انتهى اللهم اختم لنا بالخير واجعل لنا فى رياض انسك مبوّأ ومنزلا وفى حظائر قدسك مستقرا ومقاما وموئلا (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) النجس بفتحتين مصدر بمعنى النجاسة وصفوا بالمصدر مبالغة كأنهم عين النجاسة يجب الاجتناب عنهم والتبرى منهم وقطع مودّتهم قال الحدادى سمى المشرك نجسا لان الشرك يجرى مجرى القذر فى انه يجب تجنبه كما يجب تجنب النجاسات اولانهم لا يتطهرون من الجنابة والحدث ولا يجتنبون عن النجاسة الحقيقية فهم ملابسون لها غالبا فحكم عليهم بانهم نجس بمعنى ذوى نجاسة حكمية وحقيقية فى اعضائهم الظاهرة اوأنهم نجس بمعنى ذوى نجاسة فى باطنهم حيث تنجسوا بالشرك والاعتقاد الباطل فعلى هذا يحتمل ان يكون نجس صفة مشبهة كحسن فيجوز ترك تقدير المضاف (فلا يقربوا المسجد الحرام) الفاء سببية اى فلا يقربوه بسبب انهم عين النجاسة فضلا عن ان يدخلوه فان نهيهم عن اقترابه للمبالغة فى نهيهم عن دخوله قال فى التبيان اى لا يدخلوا الحرم كله وحدود الحرم من جهة المدينة على ثلاثة اميال ومن طريق العراق على سبعة اميال ومن طريق الجعرانة على تسعة اميال ومن طريق الطائف على تسعة اميال ومن طريق جدّه على عشرة اميال انتهى (بعد عامهم هذا) وهو السنة التاسعة من الهجرة التى حج فيها ابو بكر رضى الله عنه اميرا وكانت حجة الوداع فى السنة العاشرة هذا هو الظاهر الذى عليه الامام الشافعى واما على مذهب الامام الاعظم فالمراد من الآية المنع من الدخول حاجا ومعتمرا فالمعنى لا يحجوا ولا يعتمروا بعد هذا العام ويدل عليه قول على رضى الله عنه حين نادى ببرآءة الالا يحج بعد عامنا هذا مشرك فلا يمنع المشرك عنده من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد قال فى الاشباه فى احكام الذمى ولا يمنع من دخول المسجد جنبا بخلاف المسلم ولا يتوقف دخوله على اذن مسلم عندنا ولو كان المسجد الحرام ثم قال فى احكام الحرم ولا يسكن فيه كافر وله الدخول فيه انتهى يقول الفقير لعل الحكمة فى ان الجنب المسلم يمنع من دخول المسجد دون الجنب الكافر ان ماهو عليه الكافر من الشرك والخبث القلبى والجنابة المعنوية أعظم من حدثه الصورى فلا فائدة فى منعه نعم اذا كان عليه نجاسة حقيقية يمنع لانا مأمورون بتطهير المساجد عن القاذورات ولذا قالوا بحرمة ادخال الصبيان والمجانين فى المساجد حيث غلب تنجيسهم والافيكره كما فى الاشباه هذا فلما منعوا من قربان المسجد الحرام قال اناس من تجار بكر بن وآئل وغيرهم من المشركين بعد قرآءة على هذه الآية ستعلمون يا أهل مكة اذا فعلتم هذا ماذا تلقون من الشدّة ومن اين تأكلون اما والله لنقطعن سبلكم ولا نحمل اليكم شيأ فوقع ذلك فى انفس أهل مكة وشق عليهم وألقى الشيطان فى قلوب المسلمين الحزن وقال لهم من اين تعيشون وقد نفى المشركون وانقطعت عنكم الميرة فقال المسلمون قد كنا نصيب من تجاراتهم فالآن تنقطع عنا الاسواق والتجارات ويذهب عنا الذى كنا نصيبه فيها فأنزل الله تعالى قوله (وان خفتم عيلة) اى فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارزاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه او من تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليكم مدرارا اكثر من خيرهم وميرهم ووفق أهل تبالة وجرش واسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض (ان شاء) ان يغنيكم

قيده بالمشيئة مع ان التقييد بها ينافى ماهو المقصود من الآية وهو ازالة خوفهم من العيلة لفوآئد الفائدة الاولى ان لا يتعلق القلب بتحقق الموعود بل يتعلق بكرم من وعد به ويتضرع اليه فى نيل جميع المهمات ودفع جميع الآفات والبليات والثانية التنبيه على ان الاغناء الموعود ليس يجب على الله تعالى بل هو متفضل فى ذلك لا يتفضل به الا عن مشيئته وارادته والثالثة التنبيه على ان الموعود ليس بموعود بالنسبة الى جميع الاشخاص ولا بالنسبة الى جميع الامكنة والازمان (ان الله عليم) بمصالحكم (حكيم) فيما يعطى ويمنع (قال الكاشفى) حكم كننده است بتحقيق آمال ايشان اكردرى در بند د يكرى بكشايد * كمان مدارا كرضايم تو بكذارى * كه ضايع نكذارد مسبب الاسباب * براى من در احسان اكر تو در بندى * درى دكر بكشايد مفتح الابواب * روى عن الشيخ ابى يعقوب البصرى رضى الله عنه قال جعت مرة فى الحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتنى نفسى ان اخرج الى الوادى لعلى اجد شيأ ليسكن به ضعفى فخرجت فوجدت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكأن قائلا يقول لى جعت عشرة ايام فآخرها يكون حظك سلجمة مطروحة متغيرة فرميت بها فدخلت المسجد فقعدت فاذا برجل جاء فجلس بين يدى ووضع قطرة وقال هذه لك قلت كيف خصصتنى بها فقال اعلم انا كنا فى البحر منذ عشرة ايام فاشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا نذرا ان خلصنا الله ان يتصدق بشئ ونذرت انا ان خلصنى الله ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصرى من المجاورين وانت اول من لقيته قلت افتحها فاذا فيها كعك سميذ مصرو لوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقى الى صبيانك هدية منى اليهم وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يسير اليك منذ عشرة ايام وانت تطلبه من الوادى (قال الصائب) فكر آب ودانه در كنج قفس بى حاصلست * زير چرخ انديشهٔ روزى چرا باشد مرا * وفى الآية اشارة الى ان الله تعالى قد رفع قلم التكليف عن الانسان الى ان يبلغ استكمال القالب ففى تلك المدة كانت النفس وصفاتها يطفن حول كعبة القلب مستمدة من القوى العقلية والروحانية وبهذا يظفرن بمشتهياتهن من الدنيا ونعيمها حتى صار تعبد الدنيا دأبهن والاشراك بالله طبعهن وبذلك تكامل القالب واستوت اوصاف البشرية الحيوانية عند ظهور الشهوة بالبلوغ ثم اجرى الله عليهم قلم التكليف ونهى القلب عن اتباع النفوس وامره بقتالها ونهاها عن تطوافها لئلا تنجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس والاوصاف الذميمة فلما منعت النفس عن تطوافها بحوالى القلب خاف القلب من فوات حظوظه من الشهوات بتبعية النفس فاغناه الله عن تلك الحظوظ بما يفتح عليه من فضل مواهبه من الواردات الربانية والشواهد والكشوف الرحمانية وفى قوله ان شاء اشارة الى ان ما عند الله لا ينال الا بمشيئة الله كذا فى التأويلات النجمية (قال الحافظ) سكندر را نمى بخشند آبى * بزور وزر ميسر نيست اين كار (قاتلوا) بكشيدى اى مؤمنان وكارزار كنيد (الذين) با آنانكه (لا يؤمنون بالله) كما ينبغى فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فايمانهم بالله كلا ايمان (ولا باليوم الآخر) كما ينبغى فان اليهود ذهبوا الى نفى الاكل والشرب فى الجنة والنصارى الى اثبات المعاد الروحانى فعلمهم باحوال الآخرة كلا علم فكذا ايمانهم المبنى عليه ليس بايمان والمؤمن الكامل هو الذى يصف الله تعالى بما يليق به فيوحده و ينزهه ويثبت المعاد الجسمانى والروحانى كليهما والنعيم الصورى والمعنوى ايضا فان لكل من الجسم والروح حظا من النعيم يليق بحاله ويناسب لمقامه (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) اى ماثبت تحريمه بالوحى المتلو وهو الكتاب اوغير المتلو وهو السنة وذلك مثل الدم والميتة ولحم الخنزير والخمر ونظائرها (ولا يدينون دين الحق) يجوز ان يكون مصدر يدينون وان يكون مفعولا به ويدينون بمعنى يعتقدون ويقبلون والحق صفة مشبهة بمعنى الثابت واضافة الدين اليه من قبيل اضافة الموصوف الى صفته واصل الكلام ولا يدينون الدين الحق وهو دين الاسلام فانه دين ثابت نسخ جميع ماسواه من الاديان وعن قتادة ان الحق هو الله تعالى والمعنى ولا يدينون دين الله الذى هو الاسلام فان الدين عند الله الاسلام (من الذين اوتوا الكتاب) من التوراة والانجيل وهو بيان للذين لا يؤمنون (حتى) للغاية (يعطوا) اى يقبلوا ان يعطوا فان غاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله (الجزية) فعلة من جزى دينه اذا قضاه سمى مايعطيه المعاهد مما تقرر عليه بمقتضى عهده جزية لوجوب قضائه عليه اولانها تجزى عن الذمى اى تقضى

وتكنى عن القتل فانه اذا قبلها يسقط عنه القتل (عن يد) حال من الضمير فى يعطوا اى عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه اوعن يد مطيعة غير ممتنعة اى منقادين مطيعين فاذا احتيج فى اخذها منهم الى الجبر والاكراه لا يبقى عقد الذمة بل يعود حكم القتل والقتال فالاعطاء عن يد كناية عن الانقياد والطوع يقال اعطى فلان بيده اذا استسلم وانقاد وعلاقة المجاز أن من ابى وامتنع لا يعطى بيده بخلاف المطيع اوعن غنى ولذلك قيل لم تجب الجزية على الفقير العاجز عن الكسب اوعن انعام عليه فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم اوعن يد قاهرة مستولية عليهم وهى يد الآخذ فعن سببية كما فى قولك يسمنون عن الاكل والشرب اى يبلغون الى غاية السمن وحسن الهيئة بسبب الاكل والشرب (وهم صاغرون) اى اذلاء وذلك بان يأتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه اى بجيبه ويجر ويقال له اد الجزية ياذمى اوياعدو الله وان كانوا يؤدونها واعلم ان الكفار ثلاثة انواع نوع منهم يقاتلون حتى يسلموا اذ لا يقبل منهم الا الاسلام وهم مشركوا العرب والمرتدون اما مشركوا العرب فلأن النبى عليه السلام بعث منهم فظهرت المعجزات لديهم فكفرهم يكون افحش واما المرتدون فلأنهم عدلوا عن دين الحق بعد اطلاعهم على محاسنه فيكون كفرهم اقبح فالعقوبة على قدر الجناية وفى وضع الجزية تخفيف لهم فلم يستحقوه ونوع آخر يقاتلون حتى يسلموا اويعطوا الجزية وهم اليهود والنصارى والمجوس اما اليهود والنصارى فبهذه الآية واما المجوس فبقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم وآكلى ذبائحهم والنوع الثالث منهم الكفرة الذين ليسوا مجوسا ولا اهل كتاب ولا من مشركى العرب كعبدة الاوثان من الترك والهند ذهب ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله الى جواز اخذ الجزية منهم لجواز اجتماع الدينين فى غير جزيرة العرب وهم من غير العرب ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما فى كل شهر درهم هذا اذا كان فى اكثر الحول صحيحا اما اذا كان فى اكثره اونصفه مريضا فلا جزية عليه وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما فى كل شهر درهمان وعلى الغنى ثمانية واربعون درهما فى كل شهر اربعة دراهم ولا شئ على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان اوزمن اومقعد اواعمى اوصبى اوامرأة اوراهب لا يخالط الناس وانما لم توضع عليهم الجزية لان الجزية شرعت زجرا عن الكفر وحملا له على الاسلام فيجرى مجرى القتل فمن لا يعاقب بالقتل وهم هؤلاء لا يؤاخذ بالجزية لان الجزية خلف من القتال وهم ليسوا باهله فاذا حصل الزاجر فى حق المقاتلة وهم الاصل انزجر التبع قال الحدادى اما طعن الملحدة كيف يجوز اقرار الكفار على كفرهم باداء الجزية بدلا من الاسلام فالجواب انه لا يجوز أن يكون اخذ الجزية منهم رضى بكفرهم وانما الجزية عقوبة لهم على اقامتهم على الكفر واذا جاز امهالهم بغير الجزية للاستدعاء الى الايمان كان امهالهم بالجزية اولى انتهى فعلى الولاة والمتسلمين ان لا يتعدوا ماحد الله تعالى فى كتابه فان الظلم لا يجوز مطلقا ويعود وباله على الظالم بل يسرى الى غيره ايضا وفى الحديث خمس بخمس اذا اكل الربا كان الخسف والزلزلة واذا جار الحكام قحط المطر واذا ظهر الزنى كثر الموت واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا تعدى على اهل الذمة كانت الدولة لهم كذا فى الاسرار المحمدية لابن فخر الدين الرومى * جمله دانند اين اكر تو نكروى * هرچه مى كاريش روزى بدروى * يقول الفقير رأينا من السنة الرابعة والتسعين بعد الالف الى هذا الآن وهى السنة الاولى بعد المائة والالف من استيلاء الكفار على البلاد الرومية وعلى البحر الاسود والابيض مالم يره احد قبلنا ولا يدرى احد ماذا يكون غدا والامر بيد الله تعالى وذلك بسبب الظلم المفرط على اهل الاسلام واهل الذمة الساكنين فى تلك الديار فعاد الصغار والذل من الكفار الى المسلمين الكاذبين فصاروا هم صاغرين والعياذ بالله تعالى وليس الخبر كالمعاينة نسأل الله تعالى اللحوق بأهل الحق والدخول فى الارض المقدسة ثم ان مما حرم الله على اهل الحق الدنيا ومحبتها فان حب الدنيا رأس كل خطيئة والكفار لما قصروا انظارهم على الدنيا واخذوها بدلا من الآخرة وضعت عليهم الجزية وجزية النفس الامارة معاملاتها على خلاف طبعها لتكون صاغرة ذليلة تحت احكام الشرع وآداب الطريقة فلا بد من جهادها وتذليلها ليعود العز والدولة الى طرف الروح (وفى المثنوى) آنچه در فرعون بود اندر تو هست * ليك اژدرهات محبوس چهست * آتشت راهيزم فرعون نيست * زانكه چون فرعون اورا

عون نيست * فهذه حال النفس فلابد من قهرها الى أن تفنى عن دعواها واسناد العز اليها وعند ذلك تكون فانية مطمئنة مستسلمة لامر الله منقادة مسخرة تحت حكمه (وقالت اليهود عزير ابن الله) يقرأ بالتنوين على ان عزير مبتدأ وابن خبره ولم يحذف التنوين اذا ابن الاول مبتدأ وان ما بعده خبره وليس بصفة وعزير بن شرحيا از نسل يعقوب است از سبط لاوى وچهاردهم پشت بهرون بن عمران ميرسد وهو قول قد ما تهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود وفى البحر وتذم طائفة او تمدح بصدور ما يناسب ذلك من بعضهم (روى) ان بخت نصر البابلى لما ظهر على بنى اسرائيل قتل علماءهم ولم يبق فيهم احد يعرف التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره فلم يقتله وذهب به الى بابل مع جملة من اخذه من سبايا بنى اسرائيل فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل بدير هرقل على شط دجلة فطاف فى القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق فلما رأى خراب القرية وهلاكها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها قالها تعجبا لاشكا فى البعث فالقى الله تعالى عليه النوم ونزع منه الروح وبقى ميتا مائة عام وامات حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله تعالى عنه العيون فلم يره احد ثم انه تعالى احياه بعد ما اماته مائة سنة واحيى حماره ايضا فركب حماره حتى اتى محلته فانكره الناس وانكر هو ايضا الناس ومنازله فتتبع اهله وقومه فوجد ابناء له شيخا ابن مائة سنة وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فوجد من دونهم عجوزا عمياء مقعدة اتى عليها مائة وعشرون سنة كانت امة لهم وقد كان خرج عزير عنهم وهى بنت عشرين سنة فقال لهم انا عزير كان الله اماتنى مائة سنة ثم بعثنى قالت العجوز ان عزيرا كان مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله يرد الى بصرى حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحت وأخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فاطلق رجلها فقامت صحيحة فنظرت فقالت اشهد انك عزير وقال ابنه كان لابى شامة مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير قال السدى والكلبى لما رجع عزير الى قومه وقد احرق بخت نصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق بكى عزير على التوراة فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة فى صدره فقال لبنى اسرائيل ياقوم ان الله بعثنى اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه ثم ان رجلا قال ان أبى حدثنى عن جدى ان التوراة جعلت فى خابية ودفنت فى كرم كذا فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها حرفا فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة فى قلب رجل الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود المتقدمون عزير ابن الله (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا أب اولان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها (ذلك) اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين (قولهم بافواههم) اى ليس فيه برهان ولا حجة وانما هو قول بالفم فقط كالمهمل قال الحدادى معناه انهم لا يتجاوزون فى هذا القول عن العبارة الى المعنى اذ لا برهان لهم لانهم يعترفون ان الله لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون ان له ولدا (يضاهئون) اى يضاهى ويشابه قولهم فى الكفر والشناعة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا (قول الذين كفروا من قبل) اى من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله (قاتلهم الله) دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك فهو من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللازم لتعذر ارادة الحقيقة ويجوز أن يكون تعجبا من شناعة قولهم من قطع النظر عن العلاقة المصححة للانتقال من المعنى الاصلى الى المعنى المراد (انى يؤفكون) كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال أنه لا سبيل اليه اصلا والاستفهام بطريق التعجب (اتخذوا) اى اليهود (احبارهم) اى علماءهم جمع حبر بالكسر وهو أفصح ويسمى العالم حبرا لكثرة كتابته بالحبر او لتحبيره المعانى او بالبيان الحسن وغلب فى علماء اليهود من اولاد هرون (ورهبانهم) اى اتخذوا النصارى علماءهم جمع راهب وهو الذى تمكنت الرهبة والخشية فى قلبه وظهرت آثارها فى وجهه ولسانه وهيئته وغلب فى عباد النصارى واصحاب الصوامع منهم (اربابا من دون الله) اى كالارباب فهو من باب التشبيه البليغ والمعنى اطاعوا علماءهم وعبادهم فيما امروهم به طاعة العبيد للارباب فحرموا ما احل الله وحللوا ما حرم الله وفى الحديث ان محرم الحلال كمحلل الحرام اى ان عقوبة محرم الحلال

كعقوبة محال الحرام وذلك كفر محض ومثاله أن من اعتقد ان اللبن حرام يكون كمن اعتقد ان الخمر حلال ومن اعتقد أن لحم الغنم حرام يكون كمن اعتقد أن لحم الخنزير حلال (والمسيح ابن مريم) عطف على رهبانهم اى اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وجمع اليهود والنصارى فى ضمير اتخذوا الأمن اللبس (وما امروا) اى والحال ان اولئك الكفرة ما امروا فى التوراة والانجيل وبادئ العقل (الاليعبدوا الها واحدا) عظيم الشأن هو الله تعالى ويطيعوا امره ولايطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل عبادته فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة واما اطاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهى فى الحقيقة اطاعة الله تعالى (لااله الاهو) صفة ثانية لالها (سبحانه عما يشركون) ما مصدرية اى تنزيها له عن الاشراك به فى العبادة والطاعة (يريدون) اى يريد اهل الكتابين (أن يطفئوا) يخمدوا (نور الله) اى يردوا القرءآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع التى من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة (بأفواههم) بأقاويلهم الباطلة الخارجة منها من غير أن يكون لها مصداق تنطبق عليه واصل تستند اليه حسبما حكى عنهم (ويأبى الله الأأن يتم نوره) انما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفى اى لا يريد الله شيأ من الاشياء الا اتمام نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام (ولو كره الكافرون) جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة كلتاهما فى موقع الحال اى لا يريد الله الا اتمام نوره ولو لم يكره الكافرون ذلك بل ولو كرهوا اى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى فى الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشئ اذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه اولى * چراغى راكه ايزد برفروزد * كسى كش پف كند سبلت بسوزد * (هو الذى) اى الذى لا يريد شيأ الا اتمام نوره ودينه هو الذى (أرسل رسوله) ملتبسا (بالهدى) اى القرءآن الذى هو هدى للمتقين (ودين الحق) اى الدين الحق وهو دين الاسلام (ليظهره) اى ليغلب الرسول (على الدين كله) اى على اهل الاديان كلهم فالمضاف محذوف اوليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة واللام فى ليظهره لاثبات السبب الموجب للارسال فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعا ولام العلة عقلا لان افعال الله تعالى ليست بمعللة بالاغراض عند الاشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة فنزل ترتب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له (ولو كره المشركون) ذلك الاظهار ووصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله قال ابن الشيخ وغلبة دين الحق على سائر الاديان تكون على التزايد ابدا وتتم عند نزول عيسى عليه السلام لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى نزول عيسى ويهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام وقيل ذلك عند خروج المهدى فانه حينئذ لايبقى احد الادخل فى الاسلام والتزم اداء الخراج وفى الحديث لايزداد الامر الاشدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا مهدى الا عيسى بن مريم ومعناه لا يكون احد صاحب المهدى الا عيسى بن مريم فانه ينزل لنصرته وصحبته والمهدى الذى من عترة النبى عليه السلام امام عادل ليس بنبى ولا رسول والفرق بينهما ان عيسى هو المهدى المرسل الموحى اليه والمهدى ليس بنبى موحى اليه وايضا ان عيسى خاتم الولاية المطلقة والمهدى خاتم الخلافة المطلقة وكل منهم ما يخدم هذا الدين الذى هو خير الاديان وأحبها الى الله تعالى وعن بعض الروم قال كان سبب اسلامى انه غزانا المسلمون فكنت اساير جيشهم فوجدت غزاة فى الساقة فأسرت نحو عشرة نفر وحملتهم على البغال بعد أن قيدتهم وجعلت مع كل واحد منهم رجلا موكلا به فرأيت فى بعض الايام رجلا من الاسرى يصلى فقلت للموكل به فى ذلك فقال لى انه فى كل وقت صلاة يدفع الى دينارا فقلت وهل معه شئ قال لا ولكنه اذا فرغ من صلاته ضرب بيده الى الارض ودفع لى ذلك فلما كان الغد لبست ثوبا خلقا وركبت فرسا دونا وسرت مع الموكل لأتعرف صحة ذلك فلما دنا وقت صلاة الظهر اومى الى أن يدفع لى دينارا حتى اتركه يصلى فأشرت اليه انى لا آخذ الا دينارين فأومى برأسه نعم فلما فرغ من صلاته رأيته قد ضرب بيده الى الارض فدفع الى منها دينارين فلما كان وقت العصر اشار كالمرة الاولى فأشرت اليه انى لا آخذ الا خمسة دنانير فأشار الى بالاجابة فلما فرغ من صلاته فعل كفعله الاول فدفع الى خمسة دنانير فلما كان وقت المغرب اشار كذلك فقلت لا آخذ الا عشرة فأجابنى فلما صلى فعل كما تقدم فدفع الى عشرة

فلما نزلنا واصطنا دعوت به وسألته عن خبره وخبرته فى رجوعه الى بلاد الاسلام فاختار الرجوع فاركبته بغلا ودفعت له زادا وحملته بنفسى على البغل فقال اماتك الله تعالى على احب الاديان اليه فوقع فى قلبى من ذلك الوقت الاسلام فعلى المؤمن المخلص أن يعظم الرسول الذى ارسله الله بهذا الدين الحق وقد عظمه الله ورفع ذكره وكتب اسمه على صفحات الكون قال بعض الشيوخ دخلت بلاد الهند فوصلت الى مدينة رأيت فيها شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشرة فاذا كسرت خرجت منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة هندية واهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا الغيث ويتضرعون عندها فحدثت بهذا الحديث ابا يعقوب الصياد فقال لى ما أستعظم هذا كنت بالايلة فاصطدت سمكة مكتوب على اذنها اليمنى لا اله الا الله وعلى اليسرى محمد رسول الله فقذفت بها الى الماء وانما قذف بها احتراما لها لما عليها من اسم الله تعالى واسم رسوله عليه السلام شهباز هواى قاب قوسين * رشد زنو آشيان كونين وفى الحديث لا تجعلونى كقدح الراكب اى لا تنسونى فى حالة الشدة والرخاء ولا تذكرونى كصنيع الراكب مع قدحه المعلق فى مؤخر رحله اذا احتاج اليه من العطش استعمله واذا لم يحتج اليه تركه وقيل لا تجعلونى فى آخر الدعاء فان اللائق أن يذكر اسمه الشريف اولا وآخرا ويجعل الدعاء له عنوان الادعية * هرچند شد آخرين مقدم * شد برهمه نور تو مقدم * جعلنا الله واياكم من خدام عتبة بابه والمتقربين بكل وسيلة الى عالى جنابه (يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار) اى علماء اليهود وهم من ولد هرون (والرهبان) وهم اصحاب الصوامع من النصارى جمع راهب وقد سبق (ليأكلون اموال الناس بالباطل) يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرآئع والتخفيف والمسامحة فيها ويوهمون الناس أنهم حذاق مهرة فى تأويل الاية وبيان مراد الله تعالى منها يقول الفقير وهكذا يفعل المفتون الماجنون والقضاة الجائرون فى هذا الزمان يفتون على مراد المستفتى طمعا لماله ويقضون بمرجوح الاقوال بل على خلاف الشرع ويرون ان اهم فى ذلك سندا قويا قاتلهم الله وانما عبر عن الاخذ بالاكل مع ان المذموم منهم مجرد اخذها بالباطل اى بطريق الارتشاء سوآء اكلوا ما اخذوه اولم يأكلوا بناء على ان الاكل معظم الغرض من الاخذ (ويصدون) اى يمنعون الناس (عن سبيل الله) عن دين الاسلام او يعرضون عنه بأنفسهم بأكلهم الاموال بالباطل (والذين يكنزون الذهب والفضة) اى يجمعونهما ويحفظونهما سوآء كان ذلك بالدفن اوبوجه آخر والكنز فى كلام العرب هو الجمع وكل شئ جمع بعضه الى بعض فهو مكنوز يقال هذا جسم مكتنز الاجزاء اذا كان مجتمع الاجزاء وسمى الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى وسميت فضة لانها تنفض اى تتفرق ولا تبقى وحسبك بالاسمين دلالة على فنائهما وانه لا بقاء لهما يقال لما اخرج آدم عليه السلام من الجنة بكى له كل شئ فيها الا شجرة العود والذهب والفضة فقال الله تعالى لو كان فى قلوبكم رأفة لبكيتم من خوفى ولكن من قسا قلبه احرقته بالنار وعزتى وجلالى لا يصاغ منكم حلقة ولا دينار ولا درهم ولا سوار الا شديد النار وانت يا شجرة العود لا تبرحى فى النار والاحزان الى يوم القيامة ثم المراد بالموصول مايعم الكثير من الاحبار والرهبان وغيرهم من المسلمين الكانزين الغير المنفقين وهو مبتدأ خبره فبشرهم (ولا ينفقونها فى سبيل الله) اى لا ينفقون منها اى لا يؤدون زكاتها ولا يخرجون حق الله منها فحذف من وأريد اثباتها بدليل قوله تعالى فى آية اخرى خذ من اموالهم صدقة وقال عليه السلام فى مائتى درهم خمسة دراهم وفى عشرين مثقالا من الذهب نصف مثقال ولو كان الواجب انفاق جميع المال لم يكن لهذا التقدير وجه كما فى تفسير الحدادى وانما قيل ولا ينفقونها مع أن المذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة وقيل الضمير يعود على الاموال او على الكنوز المدلول عليها بالفعل او على الفضة لكونها اقرب فاكتفى ببيان احدهما عن بيان الآخر لعلم بذلك كقوله تعالى واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها وكذا الكلام فى قوله عليها الآتى (فبشرهم بعذاب اليم) وضع الوعيد لهم بالعذاب موضع البشارة بالتنعم لغيرهم (يوم) منصوب بعذاب (يحمى عليها فى نار جهنم) يقال حميت النار اى اشتدت حرارتها اى يوم توقد النار الحامية اى الشديدة الحرارة على تلك الدنانير والدراهم وعليها فى موضع رفع لقيامه مقام الفاعل (فتكوى) پس داغ كرده شود (بها) بدان دينارها ودرمهاى سوزان (جباههم وجنوبهم وظهورهم) وانما تكوى هذه الاعضاء دون غيرها لان الغنى اذا رأى الفقير الطالب للزكاة كان يعبس جبهته

واذا بالغ فى السؤال يعرض عنه بجنبه واذا بالغ يقوم من موضعه و يولى ظهره و لم يعطه شيأ غالبا اولان مقصود الكانز من جمع المال لما كان طلب الوجاهة بالغنى تعلق الكى بأعلى وجهه وهو الجبهة ولما قصد به ايضا التنعم بالمطاعم الشهية التى ينتفخ بها جنباه و بالملابس البهية التى يلقيها على ظهره تعلق الكى بالجنوب والظهور ايضا (هذا ما كنزتم) اى يقال لهم حين الكى فى ذلك اليوم هذا ما جمعتم فى دار الدنيا (لانفسكم) اى لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها (فذوقوا ما كنتم تكنزون) اى وبال كنزكم فما مصدرية والمضاف محذوف لان المعنى المصدرى ليس بمذوق وانما يذاق وباله وعذابه وانما ذاقوه فى الآخرة لانهم فى الدنيا فى منام الغفلة عن الآخرة والنائم لايذوق ألم الكى فى النوم وانما يذوقه عند الانتباه والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا * مردمان غافلند ازعقبى * همه كويا بخفتكان مانند * ضرر غفلتى كه مى ورزند * چون بميرند آنكهى دانند * درامالى ظهير الدين لواحى مذكوراست كه اكر ديكران خزينه مال كنند تو خزينه اعمال كن واكر ديكران كنوز اعراض فانيه جويند تو رموز اسرار باقيه جوى * يكدرم كان دهى بدرويشى * بهتر از كنجهاى مذخرست * زانچه دارى تمتعى بردار * كان ذكر روزى كسى دكرست وفى الحديث مامن صاحب كنز لايؤدى زكاته الا احمى عليه فى نار جهنم فتجعل صفائح فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار ومامن صاحب ابل لايؤدى زكاتها الا بطح لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها واخفافها اى ترفع يديها وتطرحهما معا على صاحبها كلما مضى عليه آخرها رد عليه اولها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار ومامن صاحب غنم لايؤدى زكاتها الا بطح لها بقاع قرقر تطأه بأظلافها وتنطحه بقرونها ليس فيها جماء ولا منكسر قرنها كلما مضى عليه آخرها رد عليه اولها حتى يقضى الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار واعلم ان الزكاة شكر لنعمة المال كما أن الصوم والصلاة والحج شكر لنعمة الاعضاء ولذا صارت صلاة الضحى شكر النعمة ثلاثمائة وستين مفصلا فى البدن وهى اى الزكاة تمليك خمسة دراهم فى مائتين للفقير المسلم لله تعالى ولرضاه فالتمليك رجاء للعوض ليس بزكاة وعائل يتيم لو أطعمه من زكاته صح خلافا لمحمد لوجود الركن وهو التمليك وهذا اذا سلم الطعام اليه واما اذا لم يدفع اليه فلا يجوز لعدم التمليك وهذا ايضا اذا لم يستخدمه فلو دفع شيأ من زكاته الى خادمه الغير المملوك رجاء للعوض وهو خدمته له لم يكن لله تعالى وهذا غافل عنه اكثر الناس ولو انفق على اقاربه بنية الزكاة جاز الا اذا حكم عليه بنفقتهم قالوا الافضل فى صرف الزكاة أن يصرفها الى اخوته ثم اعمامه ثم اخواله ثم ذوى الارحام ثم جيرانه ثم اهل سكنه ثم اهل مصره والفرق بين الزكاة وصدقة الفطر أنه لا يجوز دفع الزكاة لذمى بخلاف صدقة الفطر ولا وقت لها ولصدقة الفطر وقت محدود يأثم بالتأخير عن اليوم الاول قال الفقهاء افتراض الزكاة عمرى وقيل فورى وعليه الفتوى فيأثم بتأخيرها وترد شهادته اى رجل يستحب له اخفاؤها فقل الخائف من الظلمة حتى لايعلموا كثرة ماله اى رجل غنى عند الامام فلا تحل له فقير عند محمد فتحل له فقل من له دور يستغلها ولا يملك نصابا فمن كان له دار لاتكون للسكنى ولا للتجارة وقيمتها تبلغ النصاب يجب بها صدقة الفطر دون الزكاة ولو اشترى زعفرانا ليجعله على كعك التجارة لازكاة فيه ولو كان سمسما وجبت والفرق ان الاول مستهلك دون الثانى والملح والحطب للطباخ والحرض والصابون للقصار والشب والقرظ للدباغ كالزعفران والعصفر والزعفران للصباغ كالسمسم كذا فى الاشباه ثم المعتبر فى الذهب والفضة الوزن وجوبا وأداء لا الذى يروج بين الناس من ضرب الامير وجاز دفع القيمة فى زكاة وكفارة غير الاعتاق وعشر ونذر واذا قال الناذر على أن اتصدق اليوم بهذا الدرهم على هذا الفقير فتصدق غدا بدرهم آخر على غيره يجزئه عندنا ولا تؤخذ الزكاة من تركته بغير وصية وان أوصى اعتبرت من الثلث والمريض اذا خاف من ورثته يخرجها سرا عنهم (ان عدة الشهور) العدة مصدر بمعنى العدد أى ان عدد الشهور التى تتعلق بها الاحكام الشرعية من الحج والعمرة والصوم والزكاة والاعياد وغيرها وهى الشهور العربية القمرية التى تعتبر من الهلال الى الهلال وهى تكون مرة ثلاثين يوما ومرة تسعة وعشرين ومدة السنة القمرية ثلاثمائة واربعة وخمسون يوما وثلث يوم دون الشهور الرومية والفارسية التى تكون تارة ثلاثين يوما وتارة احدا وثلاثين ومدة السنة الشمسية ثلاثمائة

وخمسة

وخمسة وستون يوما وربع يوم وللشمس اثناعشر برجا تسير في كلها في سنة والقمر في كل شهر وهي حمل ثور جوزآء سرطان اسد سنبلة ميزان عقرب قوس جدى دلو حوت واصطلحوا على أن جعلوا ابتداء السنة الشمسية من حين حلول مركز الشمس نقطة رأس الحمل الى عودها الى تلك النقطة لان الشمس اذا حلت هناك ظهر في النبات قوة ونشو ونماء وتغير الزمان من رثاثة الشتاء الى نضارة الربيع واعتدل الزمان في كيفيتي الحر والبرد ولما كانت السنة عند العرب عبارة عن اثنى عشر شهرا من الشهور القمرية وكانت السنة القمرية اقل من السنة الشمسية بمقدار وبسبب ذلك النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل كان الحج والصوم والفطر يقع تارة في الصيف واخرى في الشتاء ولما كانت عند سائر الطوائف عبارة عن مدة تدور فيها الشمس دورة تامة كانت اعيادهم وصومهم تقع في موسم واحد أبدا (عند الله) اى في حكمه وهو ظرف لقوله عدة (اثناعشر) خبر لان (شهرا) تمييز مؤكد كما في قولك عندى من الدنانير عشرون دينارا (في كتاب الله) صفة لاثناعشر والتقدير اثناعشر شهرا مثبتة في كتابه وهو اللوح المحفوظ وانما قال في كتاب الله لان كثيرا من الاشياء توصف بأنها عند الله ولا يقال انها في كتاب الله (يوم خلق السموات والارض) ظرف منصوب بما تعلق به قوله في كتاب الله اى مثبتة في كتاب الله يوم خلق السموات والارض اى منذ خلق الاجرام اللطيفة والكثيفة وانما قال ذلك لان الله تعالى اجرى الشمس والقمر في السموات يوم خلق السموات والارض فبلغ عدد الشهور اثناعشر من غير زيادة اولها المحرم وآخرها ذوالحجة وانما خصت باثنى عشر لانهم كانوا ربما جعلوها ثلاثة عشر وذلك انهم كانوا يؤخرون الحج في كل عامين من شهر الى آخر ويجعلون الشهر الذى أنسأوا فيه اى اخر واملغى فتكون تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ويكون العام الثاني على ما كان عليه الاول سوى ان الشهر الملغى في الاول لا يكون في العام الثاني وعلى هذا تمام الدورة فيستدير حجهم في كل خمس وعشرين سنة الى الشهر الذى بدئ منه ولذا خرج الحساب من ايديهم وربما يحجون في بعض السنة في شهر ويحجون من قابل في غيره الى ان كان العام الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصادف حجهم ذا الحجة فوقف بعرفة يوم التاسع واعلمهم ببطلان النسئ كما سيجيء وهذه الشهور قد نظمها بعضهم بقوله * چون محرم بگذرد آيد بزد توصفره پس ربيعين وجمادين ورجب آيد بير بازشعبانست وماه صوم وعيد وذى القعد * بعد ازان ذى الحجه نام ماهها آيد بسر اما المحرم فسمى بذلك لانهم كانوا يحرمون القتال فيه حتى ان احدهم كان يظفر بقاتل ابيه اوابنه فلا يكلمه ولا يتعرض له واما صفر فسمى بذلك لخلوهم من الطعام وخلو منازلهم من الزاد ولذلك كانوا يطلبون الميرة فيه ويرحلون لذلك يقال صفر السقاء اذا لم يكن فيه شئ والصفر الخالى من كل شئ كذا في التبيان وقال في شرح التقويم سمى بذلك لخلوه عن التحريم الذى كان في المحرم واما الربيعان فسميا بذلك لان العرب كانت تربع فيهما لكثرة الخصب فيهما والربيع عند العرب اثنان ربيع الشهور وربيع الازمنة اما ربيع الشهور فهو شهران بعد صفر أى ربيع الاول وربيع الآخر بتنوين ربيع على أن الاول صفته وكذا الآخر والاضافة غلط واما ربيع الازمنة فهو ايضا اثنان الربيع الاول وهو الذى تأتى فيه الكمأة والنور ويسمونه ربيع الكلأ والربيع الثاني وهو الفصل الذى تدرك فيه الثمار فربيعا الشهور لا يقال فيهما الاشهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر ليمتازا عن الربيعين في الازمنة واما الجماديان فسميا بذلك لان الماء كان يجمد فيهما لشدة البرد فيهما كذا في التبيان وقال في شرح التقويم جمادى الاولى بضم الجيم وفتح الدال فعالى من الجمد بضم الجيم والميم وسكون الميم لغة فيه وهو المكان الصلب المرتفع الخشن وانما سمى بذلك لان الزمان في اول وضع هذا الاسم كان حارا والامكنة في الصلابة والارتفاع والخشونة من تأثير الحرارة وجمادى الآخرة تالية للشهر المتقدم في المعنى المذكور قال ابن الكمال جمادى الاولى والآخرة فعالى كحبارى والدال مهملة والعوام يستعملونها بالمعجمة المكسورة ويصفونها بالاول فيكون فيها ثلاث تحريفات قلب المهملة معجمة والفتحة كسرة والتأنيث تذكيرا وكذا جمادى الآخرة يقولون جمادى الآخر بلا تاء والصحيح الآخرة بالتاء او الاخرى وهما معرفتان من اسماء الشهور فادخال اللام في وصفهما صحيح وكذا ربيع الاول وربيع الآخر في الشهور واما ربيع الازمنة فلا ربيع الاول باللام انتهى واما رجب فسمى بذلك لان العرب في الجاهلية كانوا يعظمونه ويتركون فيه القتال والحرب يقال رجبته بالكسر اى عظمته والترجيب التعظيم وكانو

يسمونه رجب مضر وهو اسم قبيلة لكونهم اشد تعظيماله من بقية العرب ولذلك قال عليه السلام فيه رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وانما وصف رجب بقوله الذي للتأكيد اولبيان ان رجب الحرام هو الذي بينهما الا ماكانوا يسمونه رجب على حساب النسيء او يسمون رجب وشعبان رجبين فيغلبون رجب عليه وربما يقال شعبانان تغليباله على رجب واما شعبان فسمي بذلك لانهم كانوا يتفرقون و يتشعبون من التشعيب وهو التفريق واما رمضان فسمي بذلك لشدة الحر الذي كان يكون فيه حتى ترمض الفصال كما قيل للشهر الذي يحج فيه ذوالحجة قال في شرح التقويم الرمض شدة وقع الشمس على الرمل وغيره وسبب تسمية هذا الشهر بهذا الاسم ان العرب كانت تسمي الشهور بلوازم الازمنة التي كانت الشهور واقعة فيها وكانت اللوازم وقت التسمية ههنا رمض الحر أي شدته انتهى وقيل سمي رمضان لانه ترمض فيه الذنوب رمضا اى تغفر وكان مجاهد يكره أن يقول رمضان و يقول لعله اسم من اسماء الله فالوجه أن يقال شهر رمضان لما روى لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله تعالى على ما في التيسير قال في التلويح العلم هوشهر رمضان بالاضافة ورمضان محمول على الحذف للتخفيف ذكره في الكشاف وذلك لانه لوكان رمضان علما لكان شهر رمضان بمنزلة انسان زيد ولا يخفى قبحه ولهذا كثر في كلام العرب شهر رمضان ولم يسمع شهررجب وشهرشعبان على الاضافة انتهى قال المولى حسن جلبي قد يمنع القبح بأن الاضافة البيانية شائعة عرفا فلامجال لاستقباحها بعد أن تكون مطردة انتهى واماشوال فسمي بذلك لانه يشول الذنوب اى يرفعها ويذهبها لانه من شال يشول اذا رفع الشيء ومن ذلك قولهم شالت الناقة بذنبها اى رفعته اذا طلبت الضراب كذا في التبيان وقال في شرح التقويم هو من الشول وهو الخفة من الحرارة في العمل والخدمة وانما سمي بذلك لخروج الانسان فيه عن مخالفة النفس الامارة وقمع شهواتها اللذين كانا في الانسان في رمضان باطلاق طوع المستلذات والمشتهيات فعند خروجه عن ذلك كان يجد خفة في نفسه و يستريح واماذوالقعدة فسمي بذلك لانهم كانوا يقعدون فيه لكثرة الخصب فيه او يقعدون عن القتال قال في شرح التقويم انما سمي هذا الشهر بهذا الاسم لانه زمان يحصل فيه قعود مكة والقعدة بفتح القاف وسكون العين المهملة قال ابن ملك قولهم ذوالقعدة وذوالحجة يجوز فيهما فتح القاف والحاء وكسرهما لكن المشهور في القعدة الفتح وفي الحجة الكسر واماذوالحجة فسمي بذلك لانهم كانوا يحجون فيه وقال في كتاب عقد الدرر واللآلي في فضائل الايام والشهور والليالي تكلم بعض اهل العلم على معاني اسماء الشهور فقال كانت العرب اذا اراوا السادات تركوا العادات وحرموا الغارات قالوا المحرم واذا مرضت ابدانهم وضعفت اركانهم واصفرت الوانهم قالوا صفر واذا نبتت الرياحين واخضرت البساتين قالوا ربيعين واذا قلت الثمار و برد الهواء وانجمد الماء قالوا جاديين واذاماجت البحار وجرت الانهار ورجبت الاشجار قالوا رجب واذا تشعبت القبائل وانقطعت الوسائل قالوا شعبان واذا حر الفضاء ورمضت الرمضاء قالوا رمضان واذا ارتفع التراب وكثر الذباب وشالت الابل الاذناب قالوا شوال واذا رأوا التجار قعدوا من الاسفار والممالك والاحرار قالوا ذوالقعدة واذا قصدوا الحج من كل فج وكثر العج والثج قالوا ذوالحجة انتهى (منها) اى من تلك الشهور الاثنى عشر (اربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم والحرم بضمتين جمع الحرام اى اربعة اشهر حرم يحرم فيها القتال جعلت انفس الاشهر حرما لكونها ازمنة لحرمة ما حل فيها من القتال وهو من قبيل اسناد الحكم الى ظرفه اسناد امجازيا واجزاء الزمان وان كانت متشابهة في الحقيقة الا انه تعالى له أن يميز بعض الامور المتشابهة بمزيد حرمة لم يجعلها في البعض الآخر كما ميز يوم الجمعة و يوم عرفة بحرمة لم يجعلها في سائر الايام حيث خصهما بعبادة مخصوصة تميزا بها عن سائر الايام وكذا ميز شهر رمضان عن سائر الشهور بمزيد حرمة لم يجعلها لسائر الشهور وميز بعض ساعات الليل والنهار بأن جعلها اوقاتا لوجوب الصلاة فيها وكما ميز الاماكن والبلدان وفضلها على سائرها كالبلد الحرام والمسجد الحرام نخص الله تعالى بعض الاوقات و بعض الاماكن بمزيد التعظيم والاحترام فلا بعد في تخصيص بعض الاشهر بمزيد الحرمة بأن جعل انتهاك المحارم فيها اشد واعظم من انتهاكها في سائر الاشهر و يضاعف فيها السيئات بتكثير عقوباتها و يضاعف فيها الحسنات بتكثير مثوباتها وفي اسئلة الحكم فضل الاشهر والايام والاوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والامم بعضها على بعض

لتبادر النفوس وتسارع القلوب الى ادراكها واحترامها وتتشوق الارواح الى احيائها بالتعبد فيها ويرغب الخلاق فى فضائلها واما تضاعف الحسنات فى بعضها فمن المواهب اللدنية والاختصاصات الربانية وفى الاسرار المحمدية ان الله تعالى اذا احب عبدا استعمله فى الاوقات الفاضلات بفواضل الاعمال الصالحات واذا مقته والعياذ بالله شتت همه واستعمله بسيئ الاعمال وأوجع فى عقوبته واشد لمقته بحرمان بركة الوقت وانتهاك حرمته فليبذل المريد كل وسعه حتى لا يغفل عنها اى عن الاوقات الفاضلة فانها موسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل عن فضائل الاوقات لم تنجح دع التكاسل تغنم فقد جرى مثل * كه زاد راهروان چستيست وچالاكى واتفق اهل العلم على افضلية شهر رمضان لانه انزل فيه القرآن ثم شهر ربيع الاول لانه مولد حبيب الرحمن ثم رجب لانه فرد اشهر الحرم ثم شعبان لانه شهر حبيب الرحمن مقسم الاعمال والآجال بين شهرين عظيمين رجب ورمضان ففيه فضل الجوار بين العظيمين ليس لغيره ثم ذو الحجة لانه موطن الحج والعشر التى تعادل كل ليلة منها ليلة القدر ثم المحرم شهر الانبياء عليهم السلام ورأس السنة وأحد الاشهر الحرم ثم الاقرب الى افضل الاشهر من وجوه (ذلك) اى تحريم الاشهر الاربعة المعينة هو (الدين القيم) المستقيم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما حتى احدث النسيء فغيروا (فلا تظلموا فيهن انفسكم) بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن قال فى التبيان قال فى الاثنى عشر منها فوحد الضمير لانه للكثرة وقال فى الاربعة فيهن لجمع الضمير لانه للقلة وسببه ان الضمير فى القلة للمؤنث يرجع بالهاء والنون وفى الكثرة يرجع بالهاء والالف للفرق بين القلة والكثرة والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وخلال الاحرام يعنى ان هذه الاشهر الاربعة خصت بالنهى عن ظلم النفس فيها مع أن الظلم حرام فى كل وقت لبيان ان الظلم فيها اغلظ كأنه قيل فلا تظلموا فيهن خصوصا انفسكم (وقاتلوا المشركين كافة) مصدر كف فان مصدر الثلاثى قد يجيء على فاعلة نحو عافية ومعناه معنى كل وجميع وهو منصوب على الحال اما من الفاعل وهو الواو فالمعنى قاتلوا جميعا المشركين اى مجتمعين على قتالهم متعاونين متناصرين ومن التعاون الدعاء بالنصرة اذ هو سلاح معنوى كما ان السيف سلاح صورى فمن تأخر ودعا فقلبه مجتمع بمن اقدم وغزا اذ التفرق الصورى لا يقدح فى الاجتماع المعنوى (كما قال الحافظ) درراه عشق مرحلة قرب وبعد نيست * مى بينمت عيان ودعاى فرستمت (كما يقاتلونكم كافة) كذلك اى مجتمعين واما من المفعول فالمعنى قاتلوا المشركين جميعا اى بكليتهم ولا تتركوا القتال مع بعضهم كما أنهم يستحلون قتال جميعكم واما منهما معا نحو ضرب زيد عمرا قائمين فان المصدر عام للتثنية والجمع فجميع المؤمنين يقاتل جميع الكافرين ويجوز أن يكون منصوبا على الظرف اى فى الحل والحرم وفى جميع الازمان فى الاشهر الحرم وفى غيرها والى الابد فان الجهاد مستقر الى آخر الزمان (واعلموا ان الله مع المتقين) اى معكم بالنصر والامداد فيما تباشرون من القتال وانما وضع المظهر موضعه مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بأنه المدار فى النصر كذا فى الارشاد وقال القاضى هى بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم فان السلاح والدعاء لا ينفذان الا بالتقوى على مراتبها فكلمة التقوى هى كلمة الشهادة وبها يقى المؤمن نفسه وماله وعياله من التعرض فى الدنيا ومن العذاب فى العقبى ثم انها اذا قارنت بشرائطها الظاهرة والباطنة يحصل تقوى القلب وهو التخلى عن الاوصاف الذميمة ثم يحصل تقوى السر وهو التخلى عما سوى الله فمن كان لله كان الله له بالنصرة والامداد واعلم أن السيف سيفان سيف ظاهر وهو سيف الجهاد الصورى وسيف باطن وهو سيف الجهاد المعنوى فبالاول تنقطع عروق الكفرة الظاهرة الباغية وبالثانى عروق القوى الباطنة الطاغية والاول بيد مظهر الاسم الظاهر وهو السلطان وجنوده والثانى بيد مظهر الاسم الباطن وهو القطب وجنوده فنسأل الله تعالى أن ينصر سلطاننا بالاسم الممد والناصر والمعين ويخذل اعداءنا بالاسم المنتقم والقهار وذى الجلال وقد قال السعدى دعاى ضعيفان اميدوار * زبازوى مردى به آيد بكار * فى الآية حث على المجاهدة مع الاعداء وفى الحديث القتل فى سبيل الله مصمصة اى مطهرة غاسلة من الذنوب يقال مصمص الاناء اذا جعل فيه الماء وحركه ومضمضه كذلك عن الاصمعى كذا فى تاج المصادر وفى الحديث ان ابواب الجنة تحت ظلال السيوف يعنى كون المجاهد فى القتال

بحيث يعلوه سيوف الاعدآء سبب الجنة حتى كأن ابوابها حاضرة معه اوالمراد بالسيوف سيوف المجاهد هذا
كناية عن الدنو من العدو فى الضراب لانه اذا دنامنه كان تحت ظل سيفه حين رفعه ليضربه وانما ذكر السيوف
لانها اكثر سلاح العرب ومن التقوى الاحتراز عن الرياء والسمعة فى حضور معارك الحروب ومحافل الدعاء
قال خسرو دهلوى * غازئ رسمى كه بغارت رود * هست چو حاجى كه تجارت رود * آنكه غزاخواني
وجوبي رضا * كرغرضى هست نباشد غزا * روبغزادل غرض آلوده واى * جهد خودست
اين نه جهاد خداى * والاشارة ان عدة الشهور اى تعديد عدة الشهور عند الله فى الازل اثناعشر شهرا
فى كتاب الله فى علم الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم يعنى اقتضت الحكمة الالهية الازلية
ان يكون من الشهور يوم خلق السموات والارض اربعة اشهر حرم اى يعظم انتهاك المحارم فيها بأشد مما يعظم
فى غيرها بل هى اشهر الطاعات والعبادات محرمة فيها الشواغل الدنيوية والحظوظ النفسانية على الطلاب
وفيه اشارة الى ان ايام الطالب واوقات عمره ينبغى أن تصرف جملتها فى الطلب فان لم يتيسر له ذلك فثلثها
والافنصفها وان لم يكن فمحرم صرف ثلثها فى غير الطلب ولا يفلح من نقص من صرف الثلث شيأ فى الطلب
اذ لابد له من صرف بعض عمره فى تهيئ معاشه ومعاش اهله وعياله ومن استغنى عن هذا المانع فمحرم عليه
صرف لحظة من عمره فى غير الطلب وتوابعه كما قال ذلك الدين القيم اى المستقيم يعنى من صرف شيأ من عمره
فى شئ غير طلب الحق ما استقام دينه بل فيه اعوجاج بقدر ذلك فافهم جدا ثم قال فلا تظلموا فيهن انفسكم اى
فى ثلث العمر لان الاربعة هى ثلث الاثنى عشر يعنى ان صرفتم شيأ من ثلث اعماركم المحرم فى شئ من المصالح
الدنيوية فقد ظلمتم انفسكم باستيلائها على القلوب والارواح عند غلبات صفاتها لانه مهما يكون صرف
اكثر العمر فى الدنيا ومصالحها واستيفاء الحظوظ النفسانية تكون النفس غالبة على القلب والروح
فتخالفهما وتنازعهما بجميع صفاتها الذميمة وتميل الى الدنيا وشهواتها وتعبد هواها فتكون مشركة
بالله فلهذا قال وقاتلوا المشركين كافة اى قلوبكم وصفاتها وارواحكم وصفاتها كما يقاتلونكم كافة
اى النفوس وصفاتها جميعا ومقاتلة النفوس بمخالفتها وردعها عن هواها وكسر صفاتها ومنعها عن شهواتها
وشغلها بالطاعات والعبادات واستعمالها فى المعاملات الروحانية والقلبية وجملتها التزكية عن الاوصاف الذميمة
والتحلية بالاخلاق الحميدة ثم قال واعلموا ان الله مع المتقين وهم القلوب والارواح المتقية عن الشرك يعنى
عن الالتفات لغير الله ولو لم يكن الله معهم بالنصر والتوفيق لما اتقوا وانما اتقوا بالله عما سواه كذا فى التأويلات
النجمية (انما النسئ) مصدر نسأه اى اخره كمس مسيسا كانت العرب اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه
وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد (قال الكاشفى) آورده اندكه
طباع اهل جاهليت بقتل وغارت مستأنس شده بود ودرماههاى حرام قتال نميكردند وچون سه ماه متصل
حرام بود بتنك آمده كفتند ماسه ماه بى دربى تاراج وغارات تحمل نداريم قلس كنانى صوتى برانكيخت
ودرموسم ندا كردكه يامعشر العرب خداى شمارا درين محرم حلال كردانيد وحرمت اوراتاخير كرد بماه
صفر مردمان قول اوراقبول نمودند بازسال ديكر منادى فرمودكه خداى تعالى درين سال محرم حرام
ساخت وصفر حلال كردوكاه بودى كه دراثناى محاورات بايشان ماه حرام نوشتى وحرمت اوراتاخير كردندى
بماهى بعد ازوواورا حلال داشتندى ودرسالى چهارماه حرام ميداشتند اما اختصاص اشهر حرم فروكذشتند
بمجرد عدد رااعتبار كردندى واين عمل رانسئ مى كفتند حق سبحانه وتعالى فرمود انما النسئ اى انما تأخير
حرمة شهر الى شهر آخر (زيادة) افزونيست (فى الكفر) لانه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر
مضموم الى كفرهم وبدعة زائدة على بدع سائر الكفار (يضل) على بناء المفعول من اضل (به) بدين عمل وهو
النسئ (الذين كفروا) والمضل هو الله تعالى اى يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه اوالرؤساء
فالموصول عبارة عن الاتباع اى الاتباع يضلون به باضلال الرؤساء اوالشيطان فانه مظهر الاسم المضل يقول
الفقير سمعت من حضرة شيخنا العلامه ابقاه الله بالسلامه ان الشيطان والنفس والضلال امر واحد فى الحقيقة
لكن الاول بحسب الشريعة والثانى بحسب الطريقة والثالث بحسب الحقيقة فلكل مقام تعبير لا يناسب تعبير
المقام الآخر (يحلونه) اى الشهر المؤخر فالضمير الى النسئ المدلول عليه بالنسئ (عاما) من الاعوام ويحرمون

مكانه شهرا آخر ما ليس بحرام (ويحرمونه) اى يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم
باعتبار احلالهم له فى العام الماضى (عاما) آخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم (ليواطئوا) المواطأة
عبارة عن الموافقة والاجتماع على حكم اى ليوافقوا (قال الكاشفى) تاموافق سازند وتمام كنند (عدة
ما حرم الله) اى عدد ما حرمه من الاشهر الاربعة فانهم كانوا يقولون الاشهر الحرم اربعة وقد حرمنا اربعة اشهر
(فيحلوا ما حرم الله) اى يتوصلوا بهذه الحيلة الى احلال الشهر الذى حرمه الله بخصوصه من الاشهر المعينة
فهم وان راعوا احد الواجبين وهو نفس العدد الا انهم تركوا الواجب الآخر وهو رعاية حكم خصوص الشهر
(زين لهم سوء اعمالهم) اى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس والمزين هو الله تعالى فى الحقيقة
او الشيطان او النفس على تفاوت المراتب (والله لا يهدى القوم الكافرين) هداية موصلة الى المطلوب البتة
وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد أعرضوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا فى تيه الضلال * در ينابيع
آورده كه جاهلان عرب در سالى چهار ماه حرام ميداشتند وخلق را ازدست وزبان خود ايمن ميساختند
مؤمنان مؤدب بدان نسق آوردند كه درهمه ماهها ازضرر خود راسالم دارند وايذا وآزار خلق بزبان ودست
فروكذارند كه مجازات اضرار همان اضرارست ومكافات آزار آزار * آزار دل خلق مجو بى سببى *
تا رنكشند يار بى نعمتى * بر مال وجمال خويشتن تكيه مكن * كان را بشبى برند واين رابه تبى *
يقول الفقير سامحه الله القدير بلغت مسامحات الناس فى هذا الزمان الى حيث تساوت عندهم الاشهر الحرم
وغيرها اما ترى اليوم فى شهر رمضان الذى جعله الله شهر هذه الامة المرحومة وفضله على سائر الشهور كيف
لا يبالون من ارتكاب المحرمات فيه وامسكوا عنها فى النهار بسبب نوم اوغيره من الموانع البشرية واكبوا عليها
فى الليالى فوا أسفا على غربة هذا الدين وزوال انوار اليقين ومن الله التوفيق الى الاعمال المرضية خصوصا
فى الاوقات الفاضلة نهارا اوليالى ثم ان النسىء المذكور وقعت اليه الاشارة فى قوله عليه السلام لاعدوى
ولا هامة ولا صفر اما العدوى فهو اسم من الاعداء كالدعوى من الادعاء وهو مجاوزة العلة من صاحبها الى
غيره وكانت العرب فى الجاهلية تعتقد ان الامراض تعدى بطبعها من غير اعتقاد تقدير الله لذلك فالمعنى ليس
نفى سراية العلة فان السراية والتعدية واقعة بل اضافتها الى العلة من غير ان يكون ذلك بفعل الله تعالى
ويدل عليه قوله عليه السلام لا يورد ممرض على مصح والممرض صاحب الابل المريضة والمصح صاحب الابل
الصحيحة والمراد النهى عن ايراد الابل المريضة على الصحيحة وهو من باب اجتناب الاسباب التى هى سبب البلاء
اذا كان فى عافية منه فكما انه مأمور أن لا يلقى نفسه فى الماء اوفى النار أو يدخل تحت ما اشرف على الانهدام
ونحوه مما جرت العادة بأنه يهلك اويؤذى فكذلك مأمور بالاجتناب عن مقاربة المريض كالمجذوم
والقدوم على بلد الطاعون فان هذه كلها اسباب المرض والتلف والله تعالى هو خالق الاسباب ومسبباتها
ففى الامر بالاجتناب صيانة للمؤمن الضعيف يقينه لئلا يعتقد التأثير من الاسباب اى عند وقوع البلاء
او يعتقد ان السراية كانت بالطبع لا بقضاء الله تعالى وقدره واما اذا قوى التوكل على الله والايمان بقضائه
وقدره فتجوز مباشرة بعض هذه الاسباب كما ورد ان النبى عليه السلام اكل مع مجذوم وقال بسم الله ثقة بالله
توكلا على الله ونظيره ما روى عن خالد بن الوليد وعمر رضى الله عنهما من شرب السم وانما لم يؤثر فيهما لانهما
انما شرباه فى مقام الحقيقة لا ببشريتهما وانما أثر فى النبى عليه السلام بعد تنزله الى حالة بشرية وذلك ان ارشاده
عليه السلام كان فى عالم التنزل غير أن تنزله كان من مرتبة الروح وهى اعدل المراتب ولم يؤثر فيه حتى
مضى عليه اثنتا عشرة سنة فلما احتضر تنزل الى ادنى المراتب لان الموت انما يجرى على البشرية فلما تنزل الى تلك
المرتبة اثر فيه فليفهم هذا المقام فانه من مزالق الاقدام واما قوله ولا هامة بالتخفيف ففيه تأويلان احدهما
ان العرب كانت تتشاءم بالهامة وهى الطير المعروف من طير الليل وقيل هى البومة كانت اذا سقطت على دار
احدهم قالوا نعت اليه نفسه او بعض أهله هذا تفسير مالك بن انس والثانى ان العرب كانت تعتقد أن روح
القتيل الذى لم يؤخذ بثاره تصير هامة فتنشر جناحيها عند قبره وتصيح اسقونى اسقونى من دم قاتلى فاذا اخذ
بثاره طارت وقيل كانوا يزعمون ان عظام الميت اذا بليت تصير هامة ويسمونها الصدى بالفارسية كوف
وتخرج من القبر وتتردد وتأتى الميت بأخبار أهله وهذا تفسير اكثر العلماء وهو المشهور ويجوز ان يكون المراد

النوعين وانه عليه السلام نهى عنهما جميعا وفى فتاوى قاضى خان اذا صاحت الهامة فقال احد يموت رجل قال بعضهم يكون ذلك كفرا وكذا ورجع فقال ارجع لصياح العقعق كفر عند بعضهم واما قوله ولا صفر ففيه تأويلان ايضا الاول ان الجاهلية كانت تعتقد أن فى الجوف حية يقال لها الصفر تعض كبد الانسان عضا اذا جاع والثانى ان المراد تأخيرهم تحريم المحرم الى صفر وهو النسيئ الذى كانوا يفعلونه ويجوز ان يكون المراد هذا والاول جميعا وان الصفرين جميعا باطلان لا اصل لهما وقيل كانوا يتشاءمون بصفر فنفاه النبى عليه السلام بقوله ولا صفر (يحكى) ان بعض الاعراب اراد السفر فى اول السنة فقال ان سافرت فى المحرم كنت جديرا ان احرم وان رحلت فى صفر خشيت على يدى ان تصفر فاخر السفر الى شهر ربيع الاول فلما سافر مرض ولم يحظ بطائل فقال ظننته من ربيع الرياض فاذا هو من ربيع الامراض وكانت وقعة صفين بين على ومعاوية غرة صفر سنة سبع وثلاثين قيل لذلك احترز عن صفر قال فى روضة الاخبار ذهب الجمهور الى ان القعود فى صفر اولى من الحركة * عن النبى عليه السلام من بشرنى بخروج صفر ابشره بالجنة انتهى يقول الفقير هذا الحديث لا يدل على مدعاه وهو اولوية القعود فى صفر فان النبى عليه السلام انما قال كذلك شغفا بشهر ولادته ووفاته وحبا لدخوله فان الانبياء والاولياء يستبشرون بالموت لكونه تحفة لهم وينتظرون زمانه اذ ليس انتقالهم الا الى جوار الله تعالى وفى الحديث لا تسافروا فى محاق الشهر ولا اذا كان القمر فى العقرب وكان على يكره التزوج والسفر اذا نزل القمر فى العقرب وهو اسناد صحيح قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى ان نحوسة الايام قد ارتفعت عن المؤمنين بشرف نبينا عليه السلام واما ما نقل عن على من انه عد سبعة ايام فى كل شهر نحسا فعلى تقدير صحة النقل محمول على نحوسة النفس والطبيعة فليست السعادة والشقاوة الا سعادتهما وشقاوتهما فاذا تخلصتا من الشقاوة لم يبق نحوسة انتهى قال فى عقد الدرر واللآلى وكثير من الجهال يتشاءم من صفر وربما ينهى عن السفر والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهى عنها وكذا التشاؤم بيوم من الايام كيوم الاربعاء وايام العجائز فى آخر الشتاء وكذا التشاؤم أهل الجاهلية بشوال فى النكاح فيه خاصة وقد قيل ان طاعونا وقع فى شوال فى سنة من السنين فمات فيه كثير من العرائس فتشاءم بذلك أهل الجاهلية وقد ورد الشرع بابطاله قالت عائشة رضى الله عنها تزوجنى رسول الله فى شوال وبنى بى فى شوال فاى نسائه كان احظى عنده منى فتخصيص الشؤم بزمان دون زمان كصفر أو غيره غير صحيح وانما الزمان كله خلق الله تعالى وفيه تقع اعمال بنى آدم فكل زمان اشتغل فيه المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه وكل زمان اشتغل فيه بمعصية الله فهو مشؤم عليه فالشؤم فى الحقيقة هو المعصية كما قال ابن مسعود رضى الله عنه ان كان الشؤم فى شئ ففيما بين اللحيين يعنى اللسان وفى الحديث الشؤم فى ثلاث فى المرأة والدار والفرس وتفسيره ان شؤم المرأة اذا كانت غير ولود وشؤم الدار جار السوء فان المرء يتأذى به كما جاء فى الحديث ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فان الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحى بجار السوء وشؤم الفرس اذا لم يغز عليه فى سبيل الله فان الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للانسان وفرس للشيطان فاما الذى للرحمن فما اتخذ فى سبيل الله وقوتل عليه اعداؤه واما الذى للانسان فهو الذى يرتبطها يلتمس بطنها فهو ستر من الفقر واما الذى للشيطان فهو ما روهن عليه وقومر (يا أيها الذين آمنوا) شروع فى بيان غزوة تبوك وهى ارض بين الشام والمدينة ويقال لها غزوة العسرة ويقال لها الفاضحة لانها اظهرت حال كثير من المنافقين وروى انه عليه السلام لما فتح مكة وغزا هوازن وثقيفا بحنين واوطاس وحاصر الطائف وفتحها واتى الجعرانة واحرم بها للعمرة واعتمر ثم اتى المدينة فامر بالخروج الى غزوة الروم قبل الشأم وذلك فى شهر رجب سنة تسع بلغه عليه السلام ان الروم قد جمعت له جموعا كثيرة بالشأم وانهم قدموا مقدماتهم الى البلقاء المحل المعروف وقيل للروم بنوا الاصفر لانهم ولد روم بن العيص بن اسحق نبى الله عليه الصلاة والسلام وكان يسمى الاصفر لصفرة به فقد ذكر العلماء باخبار القدماء ان العيص تزوج بنت عمه اسمعيل فولدت له الروم وكان به صفرة فقيل له الاصفر وقيل الصفرة كانت بابيه العيص وكان ذلك فى زمان عسرة من الناس وجدب فى البلاد وشدة من الحر حين طابت ثمار المدينة وأينعت واستكملت ظلالها وطالت المسافة بينهم وبين العدو فشق عليهم الخروج فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ايها المؤمنون (ما لكم) استفهام فى اللفظ وانكار وتوبيخ فى المعنى (اذا قيل لكم) من طرف رسول الله الآمر بامر الله (انفروا فى سبيل الله) بيرون رويد درراه خداى تعالى

وجهاد كنيد ومعناه بالعربية اخرجوا الى الغزو ويقال نفر القوم ينفرون نفرا ونفيرا اذا خرجوا الى مكان مصلحة توجب الخروج والقوم الذين يخرجون يقال لهم النفير واستنفر الامام الناس لجهاد العدو أى طلب منهم الخروج الى الغزو وحثهم عليه (اثاقلتم) اصله تثاقلتم وهو ماض لفظا مضارع معنى لانه حال من مالكم (الى الارض) متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد والمعنى اى سبب وغرض حصل لكم واستقر اذا قيل لكم ذلك كنتم متثاقلين اى مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قريب وكرهتم مشاق السفر والجهاد المستتبعة للراحة الخالدة فالارض هى الدنيا وشهواتها وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم (ارضيتم) باستفهام التوبيخ آيا راضى شديد وخوشدل كشتيد (بالحياة الدنيا) ولذاتها من الثمار والظلال (من الآخرة) اى بدل الآخرة ونعيمها فكلمة من بمعنى البدل كما فى قوله تعالى جعلنا منكم ملائكة اى بدلكم (فما متاع الحياة الدنيا) اى فما التمتع بها وبلذائذها (فى الآخرة) اى فى جنب الآخرة (الا قليل) اى مستحقر لا يعتد به لان متاع الدنيا فان معيوب ومتاع الآخرة باق مرغوب روى انه عليه السلام قال والله ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه فى اليم فلينظر بم يرجع (الا) كلمتان ان للشرط ولا للنفى اى ان لم (تنفروا) تخرجوا الى الغزو (يعذبكم) اى الله تعالى (عذابا اليما) وجيعا الابدانكم وقلوبكم اى يهلككم بسبب فظيع كقحط وظهور عدو (ويستبدل) بكم بعد اهلاككم (قوما غيركم) اى قوما مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس (ولا تضروه) اى الله تعالى بترك الجهاد (شيأ) اى لا يقدح تثاقلكم فى نصرة دينه اصلا فانه الغنى عن كل شئ فى كل شئ (والله على كل شئ قدير) فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين واعلم ان البطالة تقسى القلب كما جاء فى الحديث * زيرا مرد بايد بشغل معاد مشغول باشد يا بشغل معاش از وجه مباح تا در شغل دين فضل وثواب مى ستاند ودر شغل معاش خانه را آبادان مى دارد پس چون نه باين شغل مشغول شود ونه بآن بى كار ماند واز بى كارى سياه دل وسخت طبع شود * فلا بد من الحركة فان البركات فى الحركات الحضرية والسفرية والسفر على نوعين سفر الدنيا وسفر الآخرة وفى كليهما مشقة وان كان الثانى اشق وفى الحديث السفر قطعة من العذاب * بعض مشايخ كفته اندكه اكرنه آنستى كه لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم نشايد كردانيدن من كفتمى السقر قطعة من السفر وپيغمبر عليه السلام سفر را پارهٔ از دوزخ كفت از مرك نكفت زيراكه در مرك رنج تن باشد رنج دل نبود ودر سفر رنج دل وتن باشد وحجاج كفتى كه اكرنه شادى بخانه آمدن بودى كه مسافر چون بخانه رسد همه رنج سفر فراموش كند من مردمانرا نكشتمى بسفر عذاب دادمى * ومن سفر الدين الخروج الى الغزو وفى الحديث لغدوة فى سبيل الله وهو الذهاب فى اول النهار اوروحة وهو الذهاب فى آخره خير من الدنيا وما فيها يعنى ان فضل الغدوة والروحة فى سبيل الله وثوابهما خير من نعيم الدنيا بأسرها لانه زائل ونعيم الآخرة باق وحق الجهاد أن ينوى نصرة الدين بقهر اعداء الله وبذل النفوس فى رضاء تعالى ويكثر ذكره تعالى ويكف عن ذكر النساء والاولاد والاموال والموطن فهو يفتره فالجهاد بهذا الوجه افضل الاعمال على مرتضى رضى الله عنه * كويدكه معصيت غازيان زيان ندارد وطاعت مخنثان سود ندارد ودعاى مخنث نشنوند ونماز خر خواره نپذيرند * فعلى المرء ان يغتنم ايام حياته ويجتهد فى تحصيل مرضاة ربه وفى الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ شبه النبى عليه السلام المكلف بالتاجر والصحة والفراغ برأس المال لانهما من اسباب الارواح ومقدمات نيل النجاح فمن عامل الله تعالى بامتثال اوامره يربح كما قال تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ومن عامل الشيطان باتباعه يضيع رأس ماله ولا ينفعه ندم باله وفى امتثال امر الله عاقبة حميدة اذرب شئ تكرهه النفس كالجهاد وهو عند الله محبوب فبترك الراحة واختيار المشقة ينال العبد امانيه الدنيوية والاخروية والتوفيق اليه من الله تعالى وليس كل احد من لا يبالى بانتقاص دنياه اذا كان التكامل فى طرف دينه (قال الحافظ) خام را طاقت پروانهٔ پرسوخته نيست * نازكانرا نرسد شيوهٔ جان افشانى * ثم اعلم انه كما ان الله تعالى يستبدل بذوات ذواتا اخر كذلك يستبدل بصفات صفات أخر فالذاهب خلف مشتهياته والتابع لهواه فى كل حركاته وسكناته يهلك فى وادى الطبيعة والنفس ولا يصل الى مقامات رجال عالم القدس والانس ولا يتفق له معهم الصحبة فى مقالهم ومقامهم وحالهم اذ بينهما

يون بعيد من حيث ان صفاته صفات النفس واحواله احوال الطبيعة وصفاتهم صفات الروح واخلاقهم
اخلاق الله ولذا يحشر كثير من الناس فى صورة صفاته الغالبة المذمومة الا ان يتداركه الله تعالى بفضله
ويكسوه كسوة الوجود الانسانى على الحقيقة (الا تنصروه) ان لم تنصروا محمدا فى غزوة تبوك (فقد نصره الله)
فسينصره الله كما نصره (اذ أخرجه الذين كفروا) اى تسببوا لخروجه بان هموا بقتله والا فهو عليه السلام
انما خرج باذن الله تعالى وامره لا باخراج الكفرة اياه (ثانى اثنين) حال من ضميره عليه السلام اى احد اثنين
من غير اعتبار كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد
مطلقا لا الثالث والرابع خاصة والاثنان ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ هما فى الغار) بدل من
اذ أخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب فى اعلى ثور وثور جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة
وقال فى التبيان على فرسخين او نحوهما وفى القاموس ويقال له ثور أطحل واسم الجبل اطحل نزله ثور بن عبد
مناة فنسب اليه وفى انسان العيون وانما قيل للجبل ذلك لانه على صورة الثور الذى يحرث عليه وتحرير القصة
انه لما ابتلى المسلمون باذى الكفار اذن صلى الله عليه وسلم لهم فى الهجرة وقال انى رأيت دار هجرتكم ذات نخيل
بين لابتين وهما الحرتان وقال انى لأرجو أن يؤذن لى فى الهجرة اليها فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابى انت قال
نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه عند هجرته فلم يتخلف الا هو وعلى وصهيب ومن كان محبوسا
او مريضا او عاجزا عن الخروج فابتاع ابو بكر بعد هذا المقال النبوى راحلتين بثمانمائة درهم فحبسهما فى داره
يعلفهما الخبط اعداد الذلك والخبط محركة ورق ينفض بالمخابط ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق او غيره ويجن
بالماء فتوجره الابل اى تأكله فكانتا عنده قريبا من ثلاثة اشهر لان الهجرة كانت فى ذى الحجة ومهاجرته عليه
السلام كانت فى ربيع الاول ولما رأت قريش قوة امر رسول الله حيث بايعه الاوس والخزرج وصار له انصار
فى القبائل والاقطار خافوا من ان يخرج ويجمع الناس على حربهم وقد وقعوا فيما خافوا منه ولو كان بعد حين
ونعم ما قيل * اذا ادبر الامر كان العطب فى الحيلة * فاجتمعوا فى دار الندوة ليتشاوروا فى امره عليه
السلام ودار الندوة هى اول دار بنيت بمكة كانت منزل قصى بن كلاب وكانت جهة الحجر عند مقام الحنفى
الآن وكان لها باب للمسجد وقيل لها دار الندوة لاجتماع الندوة وهى الجماعة فيها وكان ذلك اليوم يسمى يوم
الزحمة لانه اجتمع فيه اشراف بنى عبد شمس وبنى نوفل وبنى عبد الدار وبنى اسد وبنى مخزوم وغيرهم
ممن لا يعد من قريش ولم يتخلف من أهل الرأى والحجى احد وكانت مشاورتهم فى يوم السبت فقد سئل صلى الله
عليه وسلم عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة قالوا ولم يا رسول الله قال ان قريشا ارادوا ان يمكروا فيه
وجاء اليهم ابليس فى صورة شيخ نجدى وقال أنا من أهل نجد وانما قال ذلك لان قريشا قالوا لا يدخلن معكم
فى المشاورة احد من أهل تهامة لان هواهم كان مع محمد فعند ذلك قالوا هو من أهل نجد لا من مكة فلا يضركم
حضوره معكم وعند المشورة قال بعضهم بالحبس وبعضهم بالنفى كما بين فى تفسير قوله تعالى واذ يمكر بك الذين
كفروا فى سورة الانفال فنعه ابليس واتفقت آراؤهم على قول ابى جهل وهو ان يخرجوا اليه من كل قبيلة
من قريش شابا جليدا اى قويا بسيف صارم ويقتلوه فيتفرق دمه فى القبائل بحيث لا يقدر بنو اعبد مناف
على حرب قومهم جميعا فيرضون بالدية واستحسن الشيخ النجدى هذا الرأى وتفرقوا عن تراض فلما امسى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فاخبره بمكر قريش وامره بمفارقة مضجعه تلك الليلة فلما علم ما يكون
منهم قال لعلى رضى الله عنه نم على فراشى واتشح بردآئى هذا الحضرمى فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم
وكان عليه السلام يشهد العيدين فى ذلك الردآء وكان طوله اربعة اذرع وعرضه ذراعين وشبرا وهل كان
اخضر او احمر بدل للثانى قول جابر رضى الله عنه كان يلبس ردآء احمر فى العيدين والجمعة وفى سيرة الحافظ
الدمياطى وارتد بردآئى هذا الاحمر والحضرمى منسوب الى حضرموت التى هى القبيلة او البلدة باليمن كان
عليه السلام يتسجى بذلك البرد عند نومه وانما امر عليا رضى الله عنه ان يضطجع على فراشه ليمنعهم سواد
على عن طلبه حتى يبلغ هو وصاحبه الى ما امره الله ان يبلغا اليه فلما مضى عتمة من الليل اى الثلث الاول منه
اجتمعوا على باب رسول الله وكانوا مائة فجعلوا يتطلعون من شق الباب ويرصدون متى ينام فيثبون عليه
فيقتلونه فخرج عليه السلام عليهم وهم بيابه وقرأ قوله تعالى يس والقرآن الحكيم الى قوله فاغشيناهم فهم

لا يبصرون

لا يبصرون فأخذ الله ابصارهم عنه عليه السلام فلم يبصروه حتى خرج من بينهم وعن النبى عليه السلام انه ذكر فى فضل يس انها اذا قرأها خائف أمن او جائع شبع او عارى كسى او عاطش سقى او سقيم شفى وعند خروجه عليه السلام اخذ حفنة من تراب فذرها عليهم فاتاهم آت فقال ما تنتظرون قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك رجلا منكم الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب فدخلوا على على فقالوا له يا على ابن محمد فقال لا ادرى اين ذهب وكان قد انطلق الى بيت ابى بكر باشارة جبرائيل عليه السلام فلما دخل عليه قال قد اذن لى فى الخروج فقال ابو بكر الصحبة يارسول الله بابى انت اى اسالك الصحبة قال نعم فبكى ابو بكر سرورا ولله در القائل

ورد الكتاب من الحبيب بانه * سيزورنى فاستعبرت اجفانى
هجم السرور على حتى انه * من فرط ما قد سرنى ابكانى
ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين من فرح ومن احزان

قال ابو بكر فخذ بابى انت احدى راحلتى هاتين فانى اعددتهما للخروج فقال عليه السلام نعم بالثمن وذلك لتكون هجرته عليه السلام الى الله بنفسه وماله والا فقد انفق ابو بكر رضى الله عنه على رسول الله اكثر ماله فعن عائشة رضى الله عنها ار بعين ألف درهم وفى رواية ار بعين ألف دينار وهى الناقة القصوى او الجدعاء وقد عاشت بعده عليه السلام وماتت فى خلافة ابى بكر واما ناقته عليه السلام العضباء فقد جاء ان ابنته فاطمة رضى الله عنها تحشر عليها ثم استأجر رسول الله وابو بكر رجلا من بنى الديل وهو عبد الله بن اريقط ليدلهما على الطريق للمدينة وكان على دين قريش فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار جبل ثور بعد ثلاث ليال ان يأتى بالراحلتين صباح الليلة الثالثة فمكث عليه السلام فى بيت ابى بكر الى الليلة القابلة فخرجا الى طرف الغار وجعل ابو بكر يمشى مرة امام النبى ومرة خلفه فسأله رسول الله عن ذلك فقال يارسول الله أذكر الرصد فاكون أمامك وأذكر الطلب فاكون خلفك لا كون فداءك فمشى عليه السلام ليلته على اطراف اصابعه اى لئلا يظهر اثر رجليه على الارض حتى حفيت رجلاه فلما رآهما ابو بكر قد حفيتا حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فأنزله وفى رواية كانت قدما رسول الله قد قطرتا دما ويشبه أن يكون ذلك من خشونة الجبل والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك ولعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه قوله فمشى ليلته اوانه عليه السلام ذهب الى جبل حنين فناداه اهبط عنى فانى اخاف أن تقتل على ظهرى فاعذب فناداه جبل ثور الى يارسول الله وكان الغار معروفا بالهوام فلما اراد رسول الله دخوله قال له ابو بكر مكانك يارسول حتى استبرئ الغار فدخل واستبرأه وجعل يسد الجحرة بثيابه خشية أن يخرج منها شئ يؤذيه اى رسول الله فبقى جحر وكان فيه حية فوضع رضى الله عنه عقبه عليه ثم دخل رسول الله فجعلت تلك الحية تلسعه وصارت دموعه تتحدر فتفل رسول الله على محل اللدغة فذهب ما يجده وقال بعضهم والسر فى اتخاذ رافضة العجم اللباد المفضض على رؤسهم تعظيما للحية التى لدغت ابا بكر فى الغار وذلك لانهم يزعمون ان ذلك على صورة تلك الحية ولما دخل رسول الله وابو بكر الغار أمر الله شجرة وهى التى يقال لها القتاد وقيل ام غيلان فنبتت فى وجه الغار فسترته بفروعها ويقال انه عليه السلام دعا تلك الليلة الشجرة وكانت أمام الغار فأقبلت حتى وقفت على باب الغار وانها كانت مثل قامة الانسان وقال الحدادى وكان عليه السلام مر على ثمامة وهى شجرة صغيرة ضعيفة فامر أبا بكر ان يأخذها معه فلما صار الى باب الغار امره أن يجعلها على باب الغار وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها نسجا مترا كما بعضه على بعض كنسج اربع سنين كما قال فى القصيدة البردية

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

اى ظنوا ان الحمام ما وكر وما باض على باب الغار الذى فيه خير البرية وظنوا ان العنكبوت لم تنسج ولم تحم اى لم تطف من حام حوله اى طاف ودار فهو من قبيل علفتها تبنا وماء باردا (وقال المولى الجامى) شد دوسه تارى كه عنكبوت تنيد * بردران غار برده دار محمد * وقد نسج العنكبوت ايضا على نبى الله داود عليه السلام لما طلبه جالوت ونسج ايضا على عورة سيدنا زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب وهو اخو الامام محمد الباقر وعم جعفر الصادق وقد كان يوسف بن عمر الثقفى امير العراقين من قبل هشام بن عبد

الملك صلبه عريانا للخروج عليه وذلك فى سنة ست وعشرين ومائة واقام مصلوبا اربع سنين وقيل خمس سنين فلم تر عورته وقيل بطنه الشريف ارتخى على عورته فغطاها ولا مانع من وجود الامرين وكانوا عند صلبه وجهوه الى غير القبلة فدارت خشبته التى عليها الى أن صار وجهه الى القبلة ثم احرقوا خشبته وجسده رضى الله عنه قال العلماء ويكفى للعنكبوت شرفا نسجها على الغار ونهى النبى عليه السلام يومئذ عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جنود الله تعالى (قال فى المثنوى) جمله ذرات زمين وآسمان * لشكر حقند كاه امتحان * واما قوله عليه السلام العنكبوت شيطان فاقتلوه وفى لفظ العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فان صح فلعله صدر قبل وقعة الغار فهو منسوخ وعن على طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيوت يورث الفقر وهذا لا يقدح فى شرفها وذكر فى حياة الحيوان ان ما تنسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها ومن خواصها انها اذا وضع نسجها على الجراحة الطرية فى ظاهر البدن حفظها بلا ورم ويقطع سيلان الدم اذا وضع عليه والعنكبوت التى تنسج على الكنيف اذا علقت على المحموم يبرأ قاله ابن زهير وامر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار وباضتا وبارك عليه السلام على الحمامتين وانحدرتا فى الحرم وهل حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين اولا ففيه اختلاف والظاهر انه ليس من نسلهما لانه روى فى قصة نوح عليه السلام انه بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الارض ووقعت بوادى الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءته فمسح عنقها وطوقها طوقا ووهب لها الحمرة فى رجليها واسكنها الحرم ودعا لها بالبركة وذكر أن حمام مكة اظلته عليه السلام يوم فتحها فدعا لها بالبركة وكان المسيح عليه السلام يقول لاصحابه ان استطعتم أن تكونوا بلهاء فى الله مثل الحمام فافعلوا وكان يقال انه ليس شئ ابله من الحمام انك تأخذ فرخه من تحته فتذبحه ثم يعود الى مكانه ذلك فيفرخ فيه ومن طبعه انه يطلب وكره ولو ارسل من ألف فرسخ يحمل الاخبار ويأتى بها من المسافة البعيدة فى المدة القريبة كما قال فى المغرب الحمام بأرض العراق والشام تشترى بأثمان غالية وترسل من الغايات البعيدة بكتب الاخبار فتؤديها وتعود بالاجوبة قال الجاحظ لولا الحمام لما عرف بالبصرة ما حدث بالكوفة فى بياض يوم واحد واليه الاشارة فى اشعار البلغاء (كما قال المولى جلال الدين قدس سره فى المثنوى) رقعه كر بر پر مرغى دوختى * پر مرغ ازتف رقعه سوختى (وقال السلطان سليم الاول يعنى فاتح مصر) مرغ چشم من كه پروازش بجز سوى تو نيست * بسته ام ازاشك صد جا نامهٔ شوقش ببال * وقال فى حياة الحيوان اتخاذ الحمام للبيض والفراخ وللانس ولحمل الكتب جائز بلا كراهة واما اللعب بها والتطير والمسابقة فقيل يجوز لانه يحتاج اليها فى الحرب لنقل الاخبار والاصح كراهيته فان قامر بالحمام ردت شهادته * ولما فقد المشركون رسول الله شق عليهم ذلك وخافوا وطلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اى الذين يقفون الاثر فى كل وجه ليقفوا اثره فوجد الذى ذهب الى جبل ثور وهو علقمة بن كرز (اسلم عام الفتح) اثره انتهى الى الغار فقال ههنا انقطع الاثر ولا ادرى اخذ يمينا ام شمالا ام صعد الجبل وكان عليه السلام شثن الكفين والقدمين يقال شثنت كفه شثنا وشثونة خشنت وغلظت فهو شثن الاصابع بالفتح كذا فى القاموس فاقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم فلما انتهوا الى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم اى حاجتكم الى الغار ان عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد ولو دخل لما نسج ذلك العنكبوت وتكسر البيض وعندما حاموا حول الغار حزن ابو بكر رضى الله عنه خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (اذ يقول) بدل ثان اوظرف ثان والقائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) وهو ابو بكر الصديق رضى الله عنه ولذلك قالوا من انكر صحبة ابى بكر فقد كفر لانكاره كلام الله تعالى وكذا الروافض اذا كانوا يسبون الشيخين اى ابابكر وعمر رضى الله عنهما ويلعنونهما يكفرون واذا كانوا يفضلون عليا عليهما يكونون مبتدعين والمبتدع صاحب الكبيرة والبدعة الكبيرة كما فى هدية المهديين وعن ابى بكر رضى الله عنه انه قال لجماعة ايكم يقرأ سورة التوبة قال رجل انا اقرأ فلما بلغ الى قوله اذ يقول لصاحبه الآية بكى رضى الله عنه وقال انا والله صاحبه (لا تحزن) ولم يقل لا تخف لان حزنه على رسول الله يغفله عن حزنه على نفسه وهذا النهى تأنيس وتبشير له كما فى قوله تعالى له عليه السلام ولا يحزنك قولهم وبه يرد ما زعمته الرافضة ان ذلك كان غضبا من ابى بكر وذما له لان حزنه ان كان طاعة فالنبى

عليه السلام لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا انه معصية كذا فى انسان العيون (ان الله معنا) بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية التى لا تحوم حولها شائبة من الحزن وماهو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد مافيه من المتبوعية فى الامر المباشر وتأمل الفرق بين قوله عليه السلام ان الله معنا و بين قول موسى عليه السلام ان معى ربى كيف تجده دقيقا والله الهادى (روى) ان المشركين لما طلعوا فوق الغار وعلوا على رؤسهما اشفق ابو بكر على رسول الله عليه السلام فقال عليه السلام ماظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وذكر أن ابابكر لما قال للنبى عليه السلام لوأن احدهم نظر الى قدميه لا بصرنا قال له النبى عليه السلام لوجاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار فاذا هو قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة وفى الآية دلالة على علو طبقة الصديق وسابقة صحبته وهو ثانى رسول الله فى عالم الارواح حين خرج من العدم وثانيه حين خرج مهاجرا وثانيه فى الغار وثانيه فى الخلافة وثانيه فى القبر بعد وفاته وثانيه فى انشقاق الارض عنه يوم البعث وثانيه فى دخول الجنة كما قال عليه السلام اما انك ياابابكر اول من يدخل الجنة من امتى وقال ايضا الا ابشرك قال بلى بابى انت وامى قال ان الله عزوجل يتجلى للخلائق يوم القيامة ويتجلى لك خاصة وروى ان ابابكر عطش فى الغار فقال عليه السلام اذهب الى صدر الغار فاشرب فانطلق ابو بكر الى صدر الغار فوجد ماء احلى من العسل وابيض من اللبن وأذكى رآئحة من المسك فشرب منه فقال عليه السلام ان الله امر الملك الموكل بانهار الجنة أن يخرق نهرا من جنة الفردوس الى صدر الغار لتشرب ياابابكر قال ابو بكر يارسول الله ولى عند الله هذه المنزلة فقال عليه السلام نعم وافضل والذى بعثنى بالحق نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان عمل سبعين نبيا (فأنزل الله سكينته) امنته التى تسكن عندها القلوب (وقال الكاشفى) رحمت خودرا كه سبب آرامش است (عليه) اى على النبى عليه السلام فالمراد بها مالا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه وهو الاظهر اذ هو المنزعج وكان رسول الله ساكنا وعلى طمأنينة من امره واليه اشار الشيخ فريد الدين العطار قدس سره * خواجه اول كه اول يار اوست * ثانى اثنين اذهما فى الغار اوست * چون سكينه شد زحق منزل برو * كشت مشكلها عالم حل برو * وقال سعدى چلبى المفتى فى حواشيه بل الاول هو الاظهر المناسب للمقام وانزال السكينة لا يلزم أن يكون لرفع الانزعاج بل قد يكون لدفعه كما سبق فى قصة حنين والفاء للتعقيب الذكرى انتهى وفى مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما (وايده) اى قوى النبى عليه السلام (بجنود لم تروها) وهم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين ليعينوه على العدو والجملة معطوفة على نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعنى جعل الله الشرك مقهورا مغلوبا ابدا الى يوم القيامة اودعوتهم الى الكفر يعنى دعوت كفررا كه ازايشان صادرمى شد خوار وبيقدار ساخت (وكلمة الله) اى التوحيد أو الدعوة الى الاسلام وهى بالرفع على الابتداء (هى) ضمير فصل لدفع توهم انه قد يفوق غير كلمة الله (العليا) الى يوم القيامة وهو خبر المبتدأ وجعل الله ذلك بأن اخرج رسوله من بين الكفرة وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين وهو ضعيف لانه يشعر بأن كلمة الله كانت سفلى ثم صارت عليا وليس كذلك بل هى عالية فى نفسها ابدا وفى مناظرات المكى لو قال احد وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله وقطع ولم يقل وكلمة الله هى العليا كان كافرا ان كان عمدا (والله عزيز) وخداى تعالى عاليست عزيز كنداهل توحيدرا (حكيم) فى امره وتدبيره وحكمه (قال الكاشفى) داناست خوار سازد اهل كفررا مقصود از ايراد قصه غار دراثناء غزوة تبوك آنست كه اكر شما اى كارهان جهاد يارى نكنيد پيغمبر مرا من اورا يارى كنم چنانچه دران محل كه بااو يك كس بيش نبود تمام صناديد قريش بقصد او برخاستند من يارى كردم وازميان دشمنش بسلامت بيرون آوردم پس مفتاح نصرت بقبضهٔ منست وما النصر الا من عند الله * يارى ازوى جوى نه از خيل وسپاه * رازبامن كوى نى بامير وشاه * هركرا يارى كنم برتر شود * هركرا دورافكنم ابتر شود * وتمام القصة انه لما انصرف قريش من الغار وايسوا منهما ارسلوا لاهل السواحل ان من اسرأ وقتل احدهما كان له مائة ناقة وفى رواية مائتان ومكثا فى الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله ابن ابى بكر وهو غلام يعرف يأتيهما حين يختلط الظلام ويخبرهما بما وعاه من اخبار اهل مكة ويدلج

من عندهما بخبر فيصبح مع قريش بمكة كانت فى بيته وكان عامر بن فهيرة مولى ابى بكر يرعى لابى بكر اغناما له نهاره ثم يروح عليهما فيحلبها لهما وكانت اسماء بنت ابى بكر تأتيهما اذا امست بطعامهما وشرابهما فلما طلع صبح الليلة الثالثة اتى الدليل بالراحلتين فركباهما وانطلقا نحو المدينة وانطلق معهما عامر بن فهيرة رديفا لابى بكر وانزل الله عليه وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال زيد بن اسلم جعل الله له مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار رضى الله عنهم ولما خرج من مكة التفت اليها و بكى وقال انى لاخرج منك وانى لاعلم انك احب بلاد الله و اكرمها على الله ولولا ان اهلك اخرجونى ما خرجت وهو يدل على ان مكة افضل من سائر البلاد وفى الحديث من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام والحسنة فيها بمائة ألف حسنة والكلام فى غير ماضم اعضاءه الشريفة من ارض المدينة والا فذلك افضل بقاع الارض بالاجماع حتى من العرش والكرسى ذكران الطوفان موج تلك التربة المكرمة عن محل الكعبة حتى ارساها بالمدينة فهى من جملة ارض مكة ولما سمع سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى ان الكفار جعلوا فيهما ان قتلا اواسرا مائة ناقة ركب خلفهما حتى ادركهما فى طريق الساحل فصاح وقال يا محمد من يمنعك منى اليوم فقال عليه السلام يمنعنى الجبار الواحد القهار ونزل جبرائيل وقال يا محمد ان الله يقول لك قد جعلت الارض مطيعة لك فأمرها بما شئت فقال عليه السلام ياارض خذيه فأخذت ارجل جواده الى الركب فقال يا محمد الامان فقال عليه السلام ياارض اطلقيه فأطلقته فقال عاهد سبع مرات ثم نكث العهد وكلما نكث تغوص قوائم فرسه فى الارض وفى السابعة تاب توبة صدق ورجع الى مكة وصار لا يرى واحدا من طلابه عليه السلام الاردّه يقول اختبرت الطريق فلم ارأحدا وقصة نزوله المدينة مذكورة فى السير (انفروا) اى اخرجوا ايها المؤمنون مع النبى عليه السلام الى غزوة تبوك قال فى تاج المصادر النفير والنفور بسفر بيرون شدن (خفافا وثقالا) جمع خفيف وثقيل اى حال كونكم شبانا وشيوخا اوفقراء واغنياء اوركبانا ومشاة اواصحاء ومرضى اوعزبا ومتأهلين اوخفافا مسرعين خارجين ساعة استماع النفير وثقالا بعد التروية فيه والاستعداد له اومقلين من السلاح ومكثرين منه اونشاطا وغير نشاط اى خفت عليكم الحركة اوثقلت اومشاغيل وغير مشاغيل اومهازيل وسمانا اواقوياء وضعفاء ياغريبان وكدخدايان كما فى الكاشفى وهذا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقى قال المولى ابو السعود اى على اى حال كان من يسر أو عسر بأى سبب كان من الصحة والمرض اوالغنى والفقر اوقلة العيال وكثرتهم اوغير ذلك مما ينتظمه مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة فى الجملة وعن ابن ام مكتوم أعلى ان انفر فقال عليه السلام نعم فرجع الى اهله فلبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله تعالى ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضى الله عنه نسخت بقوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية * سلمى ميكويد سبك روحان بارتكاب طاعات وگرانان از مباشرت مخالفات امام قشيرى ميفرمايدكه خفاف آنانندكه از بند شهود ماسوى آزادند وثقال ايشانندكه بقيد تعلقات مقيدانند وفى بحر الحقائق انفروا ايها الطلاب فى طلب الحق خفافا مجردين عن علائق الاولاد والاهالى منقطعين عن عوائق الاموال والاملاك وثقالا متمولين ومتاهلين وايضا خفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية * يعنى خفاف مجذوبانند از كشش عنايت براه سلوك وثقال سالكانند بپرورش متوجه جذبهٔ حقانى شده هرد وطائفه دراهند امايكى ببال كشش مى پردبى مشاهدهٔ ماسوى راطى ميكند * مردعارف چون بدان پرمى پرد * دردمى ازنه فلك مى بگذرد * سيرزاهد دردمى يك روزه راه * سيرعارف هرزمان تاتخت شاه (وجاهدوا) وجهاد كنيد والجهاد فى الاصطلاح قتال الكفار لتقوية الدين كما فى شرح الترغيب المنذرى وهو المراد بما فى خالصة الحقائق نقلا عن اهل الحكمة الجهاد بذل المجهود وقتال المتمردين حملا لهم على الاسلام ومنعا لهم عن عبادة الاصنام واعلم أن الجهاد لا ينافى كونه عليه السلام نبى الرحمة وذلك انه مأمور بالجهاد مع من خالفه من الامم بالسيف ليرتدعوا عن الكفر وقد كان عذاب الامم المتقدمة عند مخالفة انبيائهم بالهلاك والاستئصال فاما هذه الامة فلم يعاجلوا بذلك كرامة لنبيهم عليه السلام ولكن يجاهدوا بالسيف وله بقية بخلاف العذاب المنزل وقد روى ان قوما من العرب قالوا يارسول الله افنانا السيف فقال ذلك ابقى لآخركم كذا فى ابكار الافكار

(بأموالكم) بمالهاء خودكه تهيه زاد وسلاح كنيد (وانفسكم) وبنفسها خودكه مباشر كارزار كرديد فهو ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه واعوازالآخر حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزى مكانه من حاله على عكس حاله وفى التأويلات النجمية وانما قدم انفاق المال فى طلب الحق على بذل النفس لان بذل النفس مع بقاء الصفات الذميمة غير معتبر وهى الحرص على الدنيا والبخل بها فأشار بانفاق المال الى ترك الدنيا وفى الحديث تعس عبد الدينار وعبد الدرهم قوله تعس بفتح العين وكسرها عثر أوهلك اولزمه الشر اوسقط لوجهه او انكب وهودعاء عليه اى اتعسه الله وانما دعا عليه السلام على عبد الدينار والدرهم لانه حرص على تحصيل المال من الحرام والحلال وبخل بالانفاق فى سبيل الملك الخلاق فوقف على متاع الدنيا الفانى وترك العمل لنعيم الآخرة الباقى (قال السلطان ولد قدس سره) بكذار جهان راكه جهان ان تونيست * وين دم كه همى زنى بفرمان تونيست * كرمال جهان جمع كنى شاد مشو * ورتكيه بجان كنى جان آن تونيست * (فى سبيل الله) هذا اللفظ عام يقع على كل عمل خالص لله تعالى سلك به طريق التقرب الى الله تعالى باداء الفرائض والنوافل وانواع الطاعات واذا اطلق فهو فى الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه كما فى شرح الترغيب يقول الفقير نعنى فى سبيل الله اى فى الطريق الموصل الى الجنة والقربة والرضى وهو أن لا يكون بهوى وغرض وان كان حصول الجنة كما فى المفاتيح (حكى) انه كتب واحد الى يوسف بن اسباط وهو من متقدمى الصوفية ان نفسى تنازعنى الى الغزو فما تقول فيه فكتب فى الجواب لأن ترد نفسك عن هواها خير من ان تقتل اوتقتل فى المعركة (وحكى) انه لما نادى قتيبة بن مسلم من بلدة بخارى ليفتحها فانتهى الى جيحون اخذ الكفار السفن حتى لا يعبر جيش المسلمين عليها فقال قتيبة اللهم ان كنت تعلم انى ما خرجت الا للجهاد فى سبيلك ولاعزاز دينك ولوجهك فلا تغرقنى فى هذا البحر وان خرجت لغير هذا فأغرقنى فى هذا البحر ثم ارسل دابته فى جيحون فعبره مع اصحابه باذن الله تعالى (روى) ان بعضهم رأى ابليس فى صورة شخص يعرفه وهو ناحل الجسم مصفر اللون باكى العين محقوقف الظهر فقال له ما الذى أنحل جسمك قال صهيل الخيل فى سبيل الله ولو كان فى سبيلى لكان احب الى قال له فما الذى غير لونك فقال تعاون الجماعة عن الطاعة ولو تعاونوا على المعصية لكان احب الى قال فما الذى ابكى عينك قال خروج الحاج اليه لا لتجارة اقول قد قصدوه وأخاف ان لا يخيبهم فيحزننى ذلك وفى الصحيحين عن ابى سعيد رفعه قيل يا رسول الله اى الناس أفضل فقال رسول الله مؤمن يجاهد بنفسه وماله قالوا ثم من قال مؤمن فى شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره (ذلكم) اى ما ذكر من النفير والجهاد (خير لكم) من القعود وترك الامداد فان قيل ما معنى كون الجهاد خيرا من تركه والحال انه لا خير فى تركه اجيب بان معناه ان ما يستفاد من الجهاد من ثواب الآخرة خير مما يستفيده القاعد عنه من الراحة وسعة العيش والتنعم بهما كما قال فى البحر الخيرية فى الدنيا بغلبة العدو ووراثة الارض وفى الآخرة بالثواب ورضوان الله تعالى قال سعدى چلبى وفى الترك خير دنيوى فيه الراحة (ان كنتم تعلمون) الخير علمتم انه خير لان فيه استجلاب خير الدنيا وخير الآخرة وفى خلافه مفاسد ظاهرة وفى بحر الحقائق ترك الدنيا وبذل النفس خير لكم فى طلب الحق من المال والنفس ان كنتم تعلمون قدر طلب الحق وعزة السير اليه فان الحاصل من المال والنفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال انتهى قال فى زبدة التفاسير عن انس رضى الله عنه ان اباطلحة رضى الله عنه قرأ سورة براءة فاتى على هذه الآية انفروا خفافا وثقالا فقال اى بنى جهزونى فقال بنوه رحمك الله قد غزوت مع النبى عليه السلام حتى مات ومع ابى بكر وعمر رضى الله عنهما حتى ماتا فنحن نغزو عنك فقال لا جهزونى فغزا بحرا فمات فى البحر فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة ايام فدفنوه فيها ولم يتغير يقول الفقير وذلك لان اجساد الانبياء والاولياء والشهداء لا تبلى ولا تتغير لما ان الله تعالى قد نقى ابدانهم من العفونة الموجبة للتفسخ وبركة الروح المقدس الى البدن كالاكسير ثم ان الناس صنفان ارباب رخصة وأصحاب عزيمة ولله در اصحاب العزيمة فى مسابقتهم ومسارعتهم فعليك بطريقتهم وسيرتهم وهذه الآية الكريمة متعلقة بمرتبة النفس واصلاحها فان النفس مجبولة على حب المال وفى بذله تزكيتها عن هذه الرذيلة فمن علم ان الغنى والفقر من الله تعالى وآمن بالقدر ايمانا عيانيا هان عليه البذل ولم يبق عنده مقدار للمال كما ان من علم ان الموت

بالاجل وان المرء لا يموت قبل حلول ذلك الاجل لا يفر من محاربة العدو وحفظ المال وامساكه انما يحسن لاجل الانفاق وقت الحاجة والافكنزه مذموم * كويندكه نافع مولاى عبد الله بن عمر رضى الله عنه كه استاد امام شافعى بود دروقت مردن كفت اين جايكه را بكنيد بكندند بيست هزار درم درسبو پى بديد آمد كفت آنكاه كه ازجنازه من باز آمده باشيد بدرويش دهيد اورا كفتند ياشيخ چون تو كسى درم نهد كفت بحق اين وقت تنك كه زكوة وى بركردن من نيست وهركز عيالان خود را بدهن نداشتم لكن هركاه كه مرا آرزوىى بودى آنچه بدان آرزو بايستى دادن درسبو افكندمى تا اكر مرا اشتهى پيش آيد بدر مغلظه نبايد رفتن كذا فى شرح الشهاب وفى هذه الحكاية امور الاول ان من كان اماما للناس ومقتدى فى الدين لا ينبغى له ان يدخر ويكنز المال طمعا وحرصا لان الناس على دين ملوكهم (وقد قيل) شيخ چون مائل بمال آيد مريد او مباش مائل دينار هركز مالك ديدار نيست والثانى ان من غلبت عليه شهوته فمنع طبيعته عن مقتضاها بامساك ماله عن الصرف لهارجاء بذله لخير منه فقد جاهد مع نفسه وطبيعته امامع نفسه فلانه ما كتم المال لاجل الكنز بل لاجل البذل لانفع شئ فى وقت ما واما مع طبيعته فلانه منعها من مقتضاها وراضها ومثل هذا هو الجهاد الاكبر والثالث ان عرض الاحتياج على اللئيم ملوم مذموم شرعا وطريقة ولذا من جاع واحتاج فكتمه عن الناس واقبل الى الله تعالى كان على الله ان يفتح له رزق سنة والشكاية من الحبيب الى الحبيب عين التوحيد والى غيره شرك تعلق به الوعيد فعلى العاقل ان يختار طريق اصحاب الصفة فانهم كانوا مع الحق وفى معاونته دائما ببذل اموالهم ان منعوا وانفسهم ان منعوا الان مالا يدرك كله لا يترك كله فكل مأمور بمقدار طاقته وليست الطاعة الا بقدر الطاقة هذا هو اللائح بالبال والله اعلم بحقيقة الحال نسأل الله سبحانه ان يوفقنا البذل المجهود وترك ملاحظة المفقود ويوصلنا الى جنابه انه هو المروم والمقصود (لو كان) اورده اندكه چون حضرت صلى الله عليه وسلم مردانرا بغزوه تبوك اشارت فرمود ايشان سه فرقه شدند جمعى مسارعت نمودند وفرمانرا بسمع اطاعت شنودند وآن اكابر مهاجرين وانصار بودند وبعضى ضعفاء مؤمنان كران آمد فرمان خدا وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم برهواى نفس اختيار كردند وبرخى دستورى اقامت وتخلف طلبيدند وانها منافقان بودند ودرشان ايشان نازل شدكه * لو كان يا محمد ما دعوتهم اليه فاسم كان محذوف دل عليه ماقبله (عرضا قريبا) العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اى غنما سهل المأخذ قريب المنال (وسفرا قاصدا) ذا قصد وتوسط بين القريب والبعيد ففاعل بمعنى ذى قصد كلابن وتامر بمعنى ذى لبن وذى تمر وسمى السفر سفرا لانه يسفر اى يكشف عن اخلاق الرجال (لاتبعوك) فى الخروج طمعا فى المال وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط (ولكن بعدت عليهم الشقة) اى المسافة الشاقة التى تقطع بمشقة (وسيحلفون بالله) السين للاستقبال اى سيحلف المتخلفون عن الغزو اذا رجعت اليهم من غزوة تبوك وقد صنع كما اخبر فهو من جملة المعجزات النبوية (لو استطعنا) اى قائلين لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا (لخرجنا معكم) اى الى الغزاة فقوله بالله متعلق بسيحلفون وقوله لخرجنا ساد مسد جوابى القسم والشرط جميعا لان قولهم لو استطعنا فى قوة بالله لو استطعنا فيكون بالله قسما (يهلكون انفسهم) بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع جمع بلقع وبلقعة وهى الارض القفر التى لا شئ بها والمرأة البلقعة الخالية من الخير يعنى من حلف عمدا كذبا لاجل الدنيا وزيادة المال وبقاء الجاه فقد تعرض لزوال مافى يده من المال والجاه وبزواله يفتقر وتخرب داره من البركة وفى الحديث اليمين الكاذبة منفقة للسلعة) اى سبب لنفاقها ورواجها فى ظن الحالف (ممحقة للكسب) اى سبب لمحق بركة المكسوب وذهابها اما بتلف يلحقه فى ماله او بانفاقه فى غير ما يعود نفعه اليه فى العاجل او ثوابه فى الآجل اوبقى عنده وحرم نفعه او ورثه من لا يحمده (والله يعلم انهم لكاذبون) اى فى مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا (عفا الله عنك لم اذنت لهم) لام لم ولام لهم متعلقتان بالاذن لاختلافهما فى المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستأذنين اى لاى سبب اذنت لهم فى التخلف حين اعتلوا بعللهم واعلم ان قوله تعالى لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك دل على ان قوما تخلفوا عن اتباعه عليه السلام لان لولا تنفاء الجواب لانتفاء الشرط وقوله عفا الله

عنك لم أذنت لهم دل على ان ذلك التخلف كان باذن رسول الله والعفو يستدعى سبق الخطأ وهذا الخطأ ليس من قبيل الذنب بل من ترك الاولى والافضل الذى هو التأنى والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال فقوله عفا خبر يعنى دركذار بند خداى ازتو وقوله لم أذنت لهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى وانما قدم الله العفو على العتاب تصديقا وتحقيقا لقوله تعالى ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله لم اذنت لهم ماكان على وجه العتاب حقيقة بل كان على اظهار لطفه به وكمال رأفته فى حقه كما فى التأويلات النجمية قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما فعلت كما فى الارشاد ويجوز ان يكون انشاء كما قال الكاشفى فى تفسيره عفا الله عنك * دعاء له است حق سبحانه وتعالى بيغمبر خود را ميفرمايد كه عفو كناد از تو خداى وعادت مردم مى باشد كه دعا كنند كسى را بعفو ورحمت ومغفرت بى وقوع خطايى از وى چنانچه مثلا يكى تشنه را آب دهد واو در جواب ميكويد غفر الله لك يا در جواب عاطس ميكويد يرحمك الله انتهى اقول ولقد اصاب فى تفسيره واجاد فى تقريره فان خطأ النبى عليه السلام وسهوه ونسيانه ليس من قبيل خطأ الامة وسهوهم ونسيانهم فالاولى للمتأدب ان يسكت عما يشين بحاله اولا يليق بكماله (حتى يتبين لك الذين صدقوا) اى فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال اومن جهة البدن اومن جهتهما معا (وتعلم الكاذبين) فى ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى والافضل وحتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام تقديره لم سارعت الى الاذن لهم وهلا اخرتهم وتأنيت الى ان يتبين الامر وينجلى اولينبين كما هو قضية الجزم فحتى بمعنى الى او بمعنى اللام ولا يجوز ان يتعلق باذنت لان ذلك يوجب ان يكون اذن لهم الى هذه الغاية اولاجل التبين وهذا لا يعاتب عليه واعلم ان الآية الاولى اشارت الى ان من كان مطلوبه الدنيا وزينتها يجدله مساعدا ومصاحبا كثيرا ومن كان مطلوبه الحق والوصول اليه لا يجدله من اقتاوموافقا الا اقل من القليل لصعوبة الانقطاع عن الحظوظ والامانى (وفى المثنوى)

حفت الجنه بمكروهاتنا * حفت النيران من شهواتنا

يعنى جعلت الجنة محفوفة بالاشياء التى كانت مكروهة لنا وجعلت النار محاطة بالامور التى كانت محبوبة لنا واتيان الحظوظ أسهل من تركها ولذا ترى الرجل يدخل النار بألف درهم ولا يدخل الجنة بدرهم واحد والآية الاخيرة افادت التحرى والتأنى فى الامور وفى حديث انس رضى الله عنه ان رجلا قال للنبى أوصنى فقال النبى عليه السلام خذ الامر بالتدبير فان رأيت فى عاقبته خيرا فأمضه وان خفت غيا فأمسك والعجلة صفة من صفات الشيطان (روى) انه لما رأى خلقة آدم من الطين قبل ان ينفخ فيه الروح عجل فى امره وقال وعزة ربى ان جعل هذا خيرا وفضله على فلا اطيعه وان جعلنى خيرا منه لاهلكنه فلما نفخ فيه الروح وامر الملائكة وابليس بالسجود له عجل ابليس بالاباء لاظهار العداوة والسعى فى هلاكه على ماعزم عليه اولا ولم يتأن وينظر فى امره واما التأنى فمن اوصاف الرحمن ولذا خلق السموات والارض فى ستة ايام وان كان قادرا على ان يخلقها فى مقدار طرفة عين فعلى العاقل العمل بالتأنى والافضل والجهاد الى آخر العمر وحلول الاجل كيلا يكون من المتخلفين قال شقيق ان الله تعالى اظهر هذا الدين وجعل عزه فى الجهاد فمن اخذ منه حظه فى زمانه كان كمن شاهده كله وشارك من مضى قبله من الغزاة ومن تبطأ عنه فى زمانه فقد شارك المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثمهم وعارهم والتبطؤ والتخلف انما هو من الكسل الطبيعى البدنى ومن كان له حظ روحانى يجد فى نفسه المسارعة الى الخيرات (وفى المثنوى) هر كرانى وكسل خود از تنست * جان زخفت جمله در پريدنست * اللهم اعصمنا من الكسل فى باب الدين واعنا انك أنت المعين (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) فى (ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن ان يستأذنوك فى التخلف وحيث استأذنك هؤلاء فى التخلف كان مظنة للتأنى فى امرهم بل دليلا على نفاقهم وعلة عدم الاستئذان الايمان كما ان علة الاستئذان عدم الايمان بناء على قاعدة ان تعليق الحكم بالوصف يشعر بعلية الوصف له (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالانتظام فى زمرة المتقين وعدة لهم باجزال الثواب واشعار بان ماصدر عنهم معلل بالتقوى (انما يستأذنك) فى التخلف (الذين لا يؤمنون بالله

والیوم الآخر) قال فی التبیان کان الاستئذان فی ذلک الوقت علامة النفاق قیل کانوا تسعة وثلاثین رجلا (وارتابت قلوبهم) عطف علی الصلة والماضی للدلالة علی تحقق الریب والریب شک مع اضطراب القلب ودل علی ان الشاک المرتاب غیر مؤمن (فهم) حال کونهم (فی ریبهم) وشکهم المستقر فی قلوبهم (یترددون) ای یتحیرون فان التردد دیدن المتحیر کما ان الثبات دیدن المستبصر (ولو ارادوا الخروج) یدل علی ان بعضهم قالوا عند الاعتذار کنا نرید الخروج لکن لم نتهیأ له وقد قرب الرحیل بحیث لا یمکننا فکذبهم الله وقال لو ارادوا الخروج معک الی العدو فی غزوة تبوک (لأعدوا له) ای للخروج فی وقته (عدة) ای اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغیر ذلک مما لا بد منه للسفر (ولکن کره الله انبعاثهم) ولکن ما ارادوه لما انه تعالی کره نهوضهم للخروج لما فیه من المفاسد الآتیة والانبعاث برانکیخته شدن کما فی التاج فلکن للاستدراک من المقدم وفی حواشی سعدی چلبی الظاهر ان لکن ههنا للتأکید انتهی (فثبطهم) ای حبسهم بالجبن والکسل فتثبطوا عنه ولم یستعدوا له والتثبیط صرف الانسان عن الفعل الذی یهم به (وقیل اقعدوا مع القاعدین) الذین شأنهم القعود وملازمة البیوت وهم الزمنی والمرضی والعمیان والنساء والصبیان ففیه ذم لهم وظاهره یخالف قوله تعالی انفروا خفافا وثقالا فلذا حملوه علی التمثیل بان یشبه القاء الله تعالی فی قلوبهم کراهة الخروج بامر آمر امرهم بالقعود ثم بین سر کراهته تعالی لانبعاثهم فقال (لو خرجوا فیکم) درمیان شما ای مخالطین لکم (ما زادوکم) ای ما اورثوکم شیأ من الاشیاء (الا خبالا) ای فسادا وشرا کالتجبین وتهویل امر الکفار والسعی للمؤمنین بالنمیمة وافساد ذات البین واغراء بعضهم علی بعض وتحسین الامر لبعضهم وتقبیحه للبعض الآخر لیتخلفوا وتفترق کلمتهم فهو استثناء مفرغ من اعم العام الذی هو الشیء فلا یلزم ان یکون فی اصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم خبال وفساد ویزید المنافقون ذلک الفساد بخروجهم فیما بینهم لان الزیادة المستثناة انما هی الزیادة بالنسبة الی اعم العام لا بالنسبة الی ما کان فیهم من القبائح والمنکرات وفی البحر قد کان فی هذه الغزوة منافقون کثیر ولهم لا شک خبال فلو خرج هؤلاء لالتأموا فزاد الخبال انتهی (ولأوضعوا خلالکم) ای لسعوا بینکم واسرعوا بالقاء ما یهیج العداوة او ما یؤدی الی الانهزام والایضاع تهییج المرکوب وحمله علی الاسراع من قولهم وضع البعیر وضعا اذا اسرع واوضعته انا اذا حملته علی الاسراع والمعنی لأوضعوا رکائبهم بینکم علی حذف المفعول والمراد به المبالغة فی الاسراع بالنمائم لان الراکب اسرع من الماشی والخلال جمع خلل وهو الفرجة بین الشیئین وهو بمعنی بینکم منصوب علی انه ظرف اوضعوا (یبغونکم الفتنة) حال من فاعل اوضعوا ای حال کونهم باغین ای طالبین الفتنة لکم وهی افتراق الکلمة (وفیکم) ودرمیان شما (سماعون لهم) ای نمامون یسمعون حدیثکم لاجل نقله الیهم فاللام للتعلیل اوفیکم قوم ضعفة یسمعون للمنافقین ای یطیعونهم فاللام لتقویة العمل لکون العامل فرعا کقوله تعالی فعال لما یرید (والله علیم بالظالمین) علما محیطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فیما مضی وما یأتی منهم فیما سیأتی وهو شامل للفریقین السماعین والقاعدین (لقد ابتغوا) ای طلب هؤلاء المنافقون (الفتنة) تشتیت شملک وتفریق اصحابک عنک (من قبل) ای قبل غزوة تبوک یعنی یوم احد فان ابیا انصرف یوم احد مع ثلاثمائة من اصحابه وبقی النبی علیه السلام مع سبعمائة ممن خلص المؤمنین وقد تخلف بمن معه عن تبوک ایضا بعد ما خرج النبی علیه السلام الی ذی جدة اسفل من ثنیة الوداع وکذا ابتغوا الفتنة فی حرب الخندق حیث قالوا یا أهل یثرب لا مقام لکم فارجعوا وفی لیلة العقبة ایضا حیث ألقوا شیأ بین قوائم ناقة رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم باللیل حتی تنفر وتلقی النبی علیه السلام عن ظهرها وایضا وقف اثنا عشر رجلا من المنافقین علی ثنیة الوداع لیلة العقبة لیفتکوا به علیه السلام فاخبره الله بذلک وسلمه منهم والفتک ان یأتی الرجل صاحبه وهو غار غافل حتی یشد علیه فیقتله (وقلبوا لک الامور) تقلیب الامر تصریفه من وجه الی وجه وتردیده لاجل التدبیر والاجتهاد فی المکر والحیلة یقال للرجل المتصرف فی وجوه الحیل حول قلب ای اجتهدوا ودبروا لک الحیل والمکاید ورددوا الآراء فی ابطال امرک (حتی جاء الحق) ای النصر والتأیید الالهی (وظهر امر الله) غلب دینه وعلا شرفه (وهم کارهون) والحال انهم کارهون لذلک ای علی رغم منهم (وقال الکاشفی) وایشان ناخواهانند نصرت ودولت ترا اما چون خدای تعالی می خواهد کراهت ایشانرا اثری نیست * چون ترا اندر حریم قرب خود ره داده شاه * از نفیر برده دار و طعن دربان غم مخور *

انظر الى مافى هذه الآيات من تقبيح حال المنافقين وتسلية رسول الله والمؤمنين و بيان كون العاقبة للمتقين ولن يزال الناس مختلطا مخلصهم بمنافقهم من ذلك الوقت الى هذا الحين لكن من كان له نية صادقة صالحة يختار فراق أهل الهوى والرياء اجمعين لان صحبة غير الجنس لاتزيد الاتشويشا وتفرقة فى باب الدين وكسلا فى عزيمة أهل اليقين فاجهد ان لاترى الاضداد ولا تجاورهم فكيف ان تعاشرهم وتخالطهم باسكين (وفى المثنوى) چون ببندى تو سركوزه نهى * درميان حوض ويا جوى تهى * تاقيامت آن فرود آيد بيست * كه دلش خاليست دروى بادهست * ميل بادش چون سوى بالابود * ظرف خودرا هم سوى بالا كشد * بازآن جانها كه جنس انبياست * سوى ايشان كش كشان چون سايه هاست * جان هامان جاذب قبطى شده * جان موسى جاذب سبطى شده * معدهٔ خركه كشد دراجتذاب * معدهٔ آدم جذوب كندم آب * ثم فى قوله تعالى ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ذم للنمام والنميمة وهى كشف مايكره كشفه يقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة قال عبد الله بن المبارك ولد الزنى لايكتم الحديث قال الامام الغزالى اشاربه الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنى وفى حديث المعراج قلت لمالك ارنى جهنم فقال لاتطيق على ذلك قلت مثل سم الخياط فقال انظر فنظرت فرأيت قوما على صورة القردة قال هم القتاتون اى النمامون وفرق بعضهم بين القتات والنمام بان النمام هو الذى يتحدث مع القوم والقتات هو الذى يتسمع على القوم وهم لايعلمون ثم ينم كذا فى شرح المصابيح (روى) ان الحسن البصرى جاء اليه رجل بالنميمة وقال ان فلانا وقع فيك فقال له الحسن متى قال قال اليوم قال اين رأيته قال فى منزله قال ما كنت تصنع فى منزله قال كانت له ضيافة قال ماذا أكلت فى منزله قال كيت وكيت حتى عدد ثمانية ألوان من الطعام فقال الحسن ياهذا قدوسع بطنك ثمانية ألوان من الطعام اماوسع حديثا واحدا قم من عندى يا فاسق وفيه اشارة الى ان النمام ينبغى ان يبغض ولا يوثق بصداقته (وذكر) ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه وأخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطأت فى الزيارة واتيتنى بثلاث جنايات بغضت الى اخى وشغلت قلبى الفارغ واتهمت نفسك الامينة كذا فى الروضة والاحياء وهذا عادة الاخوان خصوصا فى هذا الزمان سامحهم الله الملك الديان فعلى العاقل حفظ اللسان وحفظ الجوارح من مساوى الكلام وانواع الآثام فان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا (ومنهم) اى من المنافقين (من يقول) لك يا محمد (ائذن لى) فى القعود عن غزوة تبوك (ولاتفتنى) من فتنه يفتنه اوقعه فى الفتنة كفتنه وافتتنه يلزم ويتعدى كما قال فى تاج المصادر الفتون والفتن دوفتنه افكندن وفتنه شدن والمعنى لاتوقعنى فى الفتنة وهى المعصية والاثم يريد انى متخلف لامحالة اذنت اولم تأذن فائذن لى حتى لااقع فى المعصية بالمخالفة اولاتلقنى فى الهلكة فانى ان خرجت معك هلك مالى وعيالى لعدم من يقوم بمصالحهم (ألا) بدانكه (فى الفتنة) اى فى عينها ونفسها واكمل افرادها (سقطوا) لافى شئ مغايرلها وهى فتنة التخلف ومخالفة الرسول وظهور النفاق يعنى انهم وقعوا فيمازعموا انهم محترزون عنه فالفتنة هى التى سقطوا فيها الاما احترزوا عنه من كونهم مأمورين بالخروج الى غزوة تبوك (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اى جامعة للمنافقين وغيرهم من الكفار يوم القيامة من كل جانب اى انهم يدخلون جهنم لامحالة لان الشئ اذا كان محيطا بالانسان فانه لايفوته كما فى الحدادى اوجامعة لهم الآن لاحاطة اسبابها من الكفر والمعاصى وقيل تلك المبادى المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هى النار بعينها ولكن لايظهر ذلك فى هذه النشأة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية فى النشأة الآخرة وقس عليها الاعمال والاخلاق المرضية ألاترى ان دم الشهيد يتشكل بصورة المسك فلا يفوح منه الا المسك كما ورد فى الشرع وقال بعضهم هذه الاية نزلت فى جد بن قيس من المنافقين دعاه النبى عليه السلام الى الخروج الى العدو وحرضه على الجهاد (فقال له ياجد بن قيس هل لك فى جلاد بنى الاصفر) يعنى طوال القد منهم فان الجلاد من النخل هى الكبار الصلاب (تتخذ منهم سرارى ووصفاء فقال جد ائذن لى فى القعود ولاتفتنى بذكر نساء الروم فانه قد علمت الانصار انى رجل مولع بالنساء) اى مفرط فى التعلق بهن (فأخشى ان ظفرت ببنات الاصفر أن لااصبر عنهن فاواقعهن قبل القسمة فاقع فى الفتنة والاثم) فلما سمع النبى عليه السلام قوله اعرض عنه وقال اذنت لك ولم يقبل الله تعالى عذر جد وبين انه قد وقع فى الفتنة

بمخالفة النبي عليه السلام والمراد بني الاصفر الروم وهم جيل من ولد روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام والوجه في تسمية الروم بني الاصفر أن ملوك الروم انقضوا في الزمان الاول فبقيت منهم امرأة فتنافسوا في الملك حتى وقع بينهم شر عظيم فاتفقوا على ان يملكوا اول من اشرف عليهم فجلسوا مجلسا لذلك وأقبل رجل من اليمن معه عبد له حبشي يريد الروم فابق العبد فأشرف عليهم فقالوا انظروا في اي شئ وقعتم فزوجوه تلك المرأة فولدت غلاما فسموه الاصفر فخاصمهم المولى فقال صدق انا عبده فارضوه فلذلك قيل للروم بنوا الاصفر لصفرة لون هذا الولد لكونه مولدا بين الحبشي والمرأة البيضاء وفي الروض قيل لهم بنوا الاصفر لان عيصو بن اسحق كان به صفرة وهو جدهم وقيل ان الروم بن عيصو هو الاصفر وهو أبوهم وامه نسمة بنت اسماعيل عليه السلام وليس كل الروم من ولد بني الاصفر فان الروم الاول فيما زعموا من ولد يونان بن يافث بن نوح عليهم السلام انتهى وقيل قيل لهم بنوا الاصفر لان جدهم روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم تزوج بنت ملك الحبشة فجاء لون ولده بين البياض والسواد فقيل له الاصفر وقيل لاولاده بنوا الاصفر وقيل لان جيشا من الحبشة غلب على ناحيتهم في وقت فوطئ نساءهم فولدت اولادا اصفرا بين سواد الحبشة وبياض الروم (حكى) عن بعض العارفين انه رأى النبي عليه السلام في المنام فقال يارسول الله اني اريد ان اتوجه الى الروم فقال عليه السلام الروم لابد خله المعصوم فاختلج في صدره ان في الروم العلماء والصلحاء والاولياء اكثر من ان يحصى ثم تتبع فوجد ان المراد من المعصوم الانبياء واما هؤلاء فيسمون المحفوظين الكل من انوار المشارق وثبت في الصحيح انه لا يبقى مسلم وقت قيام الساعة لكن يكون الروم وهم قوم معروف اكثر الكفرة في ذلك الوقت كما كانوا اليوم اكثرهم ثم ان القعود عن الغزو من بخل الرجل وهو من اذم الصفات قال ابراهيم بن ادهم اياك والبخل قيل وما البخل قال اما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون الرجل شحيحا بماله واما الذي عند أهل الآخرة فهو الذي يبخل بنفسه عن الله تعالى ألا وان العبد اذا جاد بنفسه لله تعالى أورث قلبه الهدى والتقى واعطاه السكينة والوقار والعلم الراجح والعقل الكامل فعلى العاقل الجود بماله ونفسه في الجهاد الاصغر والاكبر حتى ينال الرضى من الله تعالى والجود من امدح الصفات (وحكى) عن ابي جهيم بن حذيفة قال انطلقت يوم تبوك اطلب عمي ومعي ماء اردت ان اسقيه ان كان به رمق فرأيته ومسحت وجهه فقلت له اسقيك الماء فاشار براسه نعم فاذا رجل يقول آه من العطش فأومى برأسه ان اذهب اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك قال نعم فلما دنوت منه سمعت صوتا يقول آه من العطش فاشار الي ان اذهب به اليه فذهبت فاذا هو ميت فرجعت بالماء الى هشام فاذا هو ميت فرجعت الى عمي فاذا هو ميت كذا في خالصة الحقائق (قال الحافظ الشيرازي) فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ * كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد (قال السعدى) اكر كنج قارون بچنك آورى * نماند مكر آنچه بخشى برى (ان تصبك) في بعض غزواتك (حسنة) ظفر وغنيمة كيوم بدر (تسؤهم) تلك الحسنة اى تورثهم يعني المنافقين مساءة وحزنا لفرط حسدهم وعداوتهم لك (وان تصبك) في بعضها (مصيبة) جراحة وشدة كيوم احد أو قتل وهزيمة على ان يكون المراد بالخطاب المؤمنين كما يدل عليه مابعد الآية من ايراد ضمائر المتكلم مع الغير والامن قال ان النبي عليه السلام هزم في بعض غزواته يستتاب فان تاب فبها ونعمت والاقتل لانه نقص ولا يجوز ذلك عليه خاصة اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته كما في هدية المهديين نقلا عن القاضي عبد الله بن المرابط (يقولوا قد اخذنا امرنا) احتياط كار خود را (من قبل) اى من قبل اصابة المصيبة يعني دور انديشى كرديم وبدين حرب نرفتيم (ويتولوا) اى يدبروا عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم (وهم فرحون) بما صنعوا من الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا من الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا (قل) بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد (لن يصيبنا) ابدا (الا ما كتب الله) في اللوح المحفوظ (لنا) اللام للتعليل اى لاجلنا من خير وشر وشدة ورخاء لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وامور العباد لا تجرى الا على تدبير قد احكم وابرم (هو مولانا) ناصرنا ومتولى امورنا (وعلى الله) وحده وهو من تمام الكلام المأمور به ويجوز أن يكون ابتداء كلام من الله تعالى (فليتوكل المؤمنون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادى العالية والمعنى ان حق العبد أن يتوكل على مولاه ويبتغي رضوانه ويعتقد انه لن يصيبه شئ من الاشياء

الا ماقدر له * بيرما كف خطا برقلم صنع نرفت * افرين برنظر باك خطا پوشش باد * وفى الحديث ان العبد لا يبلغ حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه (قل) للمنافقين (هل تربصون بنا) التربص التمكث مع انتظار مجيئ شئ خيرا كان اوشرا والباء للتعدية واحدى التاءين محذوفة اذ الاصل تتربصون والمعنى ماتنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) اى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما من حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم فى الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال بأعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة والمعنى فما تفرحون الا بما نلنا مما هو احسن العواقب وحرمانكم من ذلك فأين أنتم من التيقظ والعمل بالحزم كما زعمتم وفى الحديث يضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرج الا ايمانا بالله وتصديقا برسوله ان يدخله الجنة اويرجعه الى منزله الذى خرج منه نائلا مانال من اجر أو غنيمة * دولت اكرمدد دهد دامنش آروم بكف * كر بكشد زهى طرب ور بكشد زهى شرف (ونحن نتربص بكم) أحد السوأيين من العواقب (ان يصيبكم الله) انكه برساند خداى تعالى بشما (بعذاب من عنده) كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة من الصيحة والرجفة والخسف وكون العذاب من عند الله عبارة عن عدم كونه بايدى العباد (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل بسبب الكفر (فتربصوا) الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ماهو عاقبتنا (انا معكم متربصون) ماهو عاقبتكم فاذا لقى كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا مايسرنا ولا نشاهد الا مايسوؤكم وفى الحديث مثل المؤمن مثل السنبلة تحركها الريح فتقوم مرة وتقع اخرى ومثل الكافر مثل الارزة لا تزال قائمة حتى تنقعر أى تنقطع يقال قعر الشجرة قلعها من أصلها فانقعرت والارزة شجر يشبه الصنوبر يكون بالشام وبلاد الارمن وقيل هو شجر الصنوبر يعنى مؤمن راعيش خوش نبود شادى باغم ونعمت باشدت ودرستى با بيمارى وچنين بسيار بماند وكافر تن درست ودل خوش بود لكن بيك كرت بسر اندر آيد وهلاك شود * وفى الحديث من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة يعنى ان الولى وهو المؤمن المطيع ينصره الله تعالى فيكون الله ناصره فمن عادى من كان الله ناصره فقد بارز بمحاربة الله وكل كافر ومنافق فهو مهين الاولياء واهانتهم بذر محصوله الهلاك والاستئصال قصه عاد وثمود از بهر چيست * تا بدانى كه انبيا را نازكيست * اين نشان خسف وقذف وصاعقه * شد بيان عزنفس ناطقه * جمله حيوانرا پى انسان بكش * جمله انسانرا بكش از بهر هش * هش چه باشد عقل كل هوشمند * هوش جزئى هش بود امانژند * وقد ذم الله المنافقين بتغير الحال وعدم مواطأة الحال بالمقال وفى الحديث لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وفى الحديث طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره وفى الحديث من شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر ومن كان ذا وجهين فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار كما فى ابكار الافكار (قل) جوابا لجد بن قيس من المنافقين وهو قد استأذن فى التخلف عن غزوة تبوك وقال اعينك بمالى (انفقوا) أيها المنافقون أموالكم فى سبيل الله حال كونكم (طوعا) اى طائعين من قبل انفسكم (أو كرها) اوكارهين مخافة القتل كما فى الحدادى وقال فى الارشاد طوعا اى من غير الزام من جهته عليه السلام ولا رغبة من جهتكم اوهو فرضى لتوسيع الدائرة انتهى اى فلا يخالفه قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون كما سيأتى (لن يتقبل منكم) يحتمل ان يكون المراد منه انه عليه السلام لا يقبله منهم بل يرد عليهم ما يبذلونه اوانه تعالى لا يقبله منهم ولا يثيبهم عليه قوله انفقوا امر فى معنى الخبر أى انفقتم وذلك لان قوله لن يتقبل منكم يأبى عن حمله على معناه الظاهر اذ لا وجه لان يؤمر بشئ ثم يخبر بأنه عبث لا يجدى نفعا بوجه ما (روى) انه لما اعتذر من الخروج لامه ولده عبد الله رضى الله عنه وقال له والله لا يمنعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجه ولده فلما نزلت الآية قال له ألم اقل لك فقال له اسكت بالكع فوالله لانت اشد على من محمد ثم علل رد انفاقهم بقوله (انكم كنتم قوما فاسقين) اى كافرين فالمراد بالفسق ماهو الكامل منه لا الذى هو دون الكفر (كما قال الكاشفى) بدرستى كه شما هستيد كروهى بيرون رفتكان از دائرة اسلام ونفقة كافر قبول نيست * فالتعليل هنا بالفسق وفيما بعده بالكفر حيث قال الا انهم كفروا بالله واحد روى انه تاب من النفاق وحسنت توبته ومات فى خلافة عثمان رضى الله عنه (ومامنعهم ان تقبل

منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله) استثناء من اعم الاشياء اى مامنعهم من قبول نفقاتهم منهم شئ من الاشياء الا كفرهم فالمستثنى المفرغ مرفوع المحل على انه فاعل منع وقوله ان تقبل مفعوله الثانى بنزع الخافض او بنفسه فانه يقال منعت الشئ ومنعت فلانا حقه ومنعته من حقه وقال ابو البقاء ان تقبل فى موضع نصب بدلا من المفعول فى منعهم (ولا يأتون الصلاة) ونمى آيند بنماز جماعت وهو معطوف على كفروا (الا وهم كسالى) اى لا يأتونها فى حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين (قال الكاشفى) مكر ايشان كاهلان تند بنمازى آيند بكسالت وكراهت نه بصدق وارادت والكسالى جمع كسلان كما يقال سكارى وسكران قال البغوى كيف ذكر الكسل فى الصلاة ولا صلاة لهم أصلا قيل الذم واقع على الكفر الذى يبعث على الكسل فان الكفر مكسل والايمان منشط (ولا ينفقون الا وهم كارهون) قال ابن الشيخ الرغبة والنشاط فى اداء العبادات متفرعة على رجاء الثواب بها وخوف العقاب على تركها المتفرعين على الايمان بما جاء به النبى عليه السلام من عند الله والمنافق لا يؤمن بذلك فلا يرجو ثواب الآخرة ولا يخاف عقابها فيكون كسلان فى اتيان الصلاة وكارها للانفاق لزعمه انهما اتعاب للبدن وتضييع للمال بلا فائدة وفيه ذم الكسل قيل من دام كسله خاب امله قال ابو بكر الخوارزمى

لا تصحب الكسلان فى حالاته * كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

(وفى المثنوى) كرهزاران طالبند وبك ملول * از رسالت بازمى ماند رسول * كى رسانند آن امانت را بتو * تا نباشى پيش شان راكع دوتو (فلا تعجبك) الاعجاب استحسان على وجه التعجب من حسنه (قال الكاشفى) پس بايد كه ترا بشكفت نيارد خطاب با آن حضرت است ومراد امت اند مؤمنان را ميفرمايد كه متعجب نكردانند شمارا (اموالهم) اى اموال المنافقين (ولا اولادهم) فان ذلك وبال عليهم واستدراج لهم كما قال (انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) ضمير بها راجع الى الاموال دون الاولاد والمعنى ليعذبهم بالتعب فى جمعها والوجل فى حفظها او الكره فى انفاقها ويجوز أن يرجع اليهما معا بناء على ان الاولاد ايضا اسباب للتعذيب الدنيوى من حيث انهم ان عاشوا يبتلى اصولهم بمتاعب تربيتهم وتحصيل اسباب معاشهم من المأكل والمشارب والملابس وان ماتوا يبتلى اصولهم بحسرة فراقهم فان من أحب شيأ كان تألمه على فراقه شديدا يقول الفقير ان قلت ان المؤمن والكافر يشتركان فى هذا التعب والحسرة فما معنى تخصيص الكافر اى المنافق قلت نعم الا ان المؤمن اخف حالا لايمانه وامله ثواب الآخرة وصبره على الشدائد فيكون التعذيب بتربية الاولاد وحسرة فراقهم كلا تعذيب بالنسبة اليه (وتزهق) أصل الزهوق خروج الشئ بصعوبة (أنفسهم وهم كافرون) اى فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة نه مال ايشان را دست كيرد ونه فرزند بفرياد رسد * وفى ارادة الله زهوق انفسهم على الكفر لينا لوا وباله اشارة الى جواز الرضى بكفر الغير وموته عليه اذا كان شريرا مؤذيا ينتقم الله منه اى من غير استحسان واستجازة كما قال الفقهاء اذا دعا على ظالم اماتك الله على الكفر او قال سلب الله عنك الايمان اودعا عليه بالفارسية خدا جان تو بكافرى بستاند فهذا لا يكون كفرا اذا كان لا يستحسنه ولا يستجيزه ولكن تمنى ان يسلب الله الايمان منه حتى ينتقم الله منه على ظلمه وايذائه الخلق واعلم ان الطاعة فى العبودية بثلاثة انواع بالمال والبدن والقلب أما بالمال فهو الانفاق فى سبيل الله وفى الحديث من جهز غازيا ولو بسلك ابرة غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ومن جهز غازيا ولو بدرهم اعطاه الله سبعين درجة فى الجنة من الدر والياقوت وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بفرس يجعل كل خطوة منه اقصى بصره فسار ومعه جبريل فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما انفقتم من شئ فهو يخلفه واما بالبدن فهو القيام بالاوامر والنواهى والسنن والآداب المستحسنة المستحبة واما بالقلب فهو الايمان والصدق والاخلاص فى النية فالطاعة بالمال والبدن لا تقبل عند اعوازطاعة القلب كطاعة المنافقين وطاعة القلب عند اعواز الطاعة بالمال والبدن مقبولة لقوله عليه السلام نية المؤمن ابلغ من عمله فالقربة لا تقبل

الاعلى حقيقة الايمان وهو شرط اقامة الطاعات المالية والبدنية وفى الحديث ان اعطاء هذا المال فتنة وامساكه فتنة وذلك لان انفاقه على طريق الرياء اوبالمنة والاذى فتنة وكذا امساكه اذ فى الامساك ملامة وذلالة بل ضلالة وفى الحديث ان لكل امة فتنة وان فتنة امتى المال * حقيقت فتنه آنست كه هر چيزى كه آن مرورا ازدين ورشد مشغول داردانراكه ازتوفيق محرومست وانراكه مواقفست اكرپادشاه دنياشود آن پادشاهى اورا ازدين مشغول ندارد (وفى المثنوى) چيست دنيا ازخدا غافل بدن * نى قماش ونقره وميزان وزن * مال راكز بهردين باشى حمول * نعم مال صالح خواندش رسول * آب دركشتى هلاك كشتى است * آب اندر زير كشتى پشتى است * چونكه مال وملك را ازدل براند * زان سليمان خويش جز مسكين نخواند * ومعاويه زنى را رشيد كه على راديدۀ كفت بلى كفت چه كونه مردى بود على كفت لم يبطره الملك ولم تعجبه النعمة وعمر بن الخطاب رضى الله عنه كو بندكه هركه مال اورا نفريبد هيچ جادوبى ودبوى اورا نفريبد ومردى پيغمبرا صلى الله عليه وسلم كفت مرا چارۀ بياموزكه ديو مرا نفريبد كفت دوستى مال دردل مداروباهيچ زن نامحرم خالى مباش كذا فى شرح الشهاب * مكن تكيه برملك وجاه وحشم * كه پيش ازتوبودست وبعد ازتوهم (ويحلفون) اى المنافقون (بالله) يحتمل ان يتعلق بيحلفون ويحتمل ان يكون من كلامهم (انهم لمنكم) اى لمن جملة المسلمين (وماهم منكم) لكفرقلوبهم (ولكنهم قوم يفرقون) اى يخافون منكم ان تفعلوا بهم ماتفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤكدونه بالايمان الفاجرة يقال فرق كفرح اى فزع والفرق بفتحتين الفزع (لو يجدون) اكر بيابند وايثار صيغة الاستقبال فى الشرط وان كان المعنى على المضى لافادة استمرار عدم الوجدان (ملجأ) اى مكانا حصينا يلجأون اليه من رأس جبل اوقلعة اوجزيرة مفعل من لجأ اليه يلجأ اى انضم اليه ليتحصن به (اومغارات) هى الكهوف الكائنة فى الجبال الرفيعة اى غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم جمع مغارة وهى مفعلة اسم للموضع الذى يغور فيه الانسان اى يغيب ويستتر (اومدخلا) هو السرب الكائن تحت الارض كالبئر اى نفقا يندسون فيه وينجحرون اوقوما يمكنهم الدخول فيما بينهم يحفظونهم منكم كما فى الحدادى وهو مفتعل من الدخول اصله مدتخل قال ابن الشيخ عطف المغارات والمدخل على الملجأ من قبيل عطف الخاص على العام لتحقيق عجزهم عن الظفر بما يتحصنون فيه فان الملجأ هو المهرب الذى يلتجئ اليه الانسان ويتحصن به من اى نوع كان (لولوا) اى لصرفوا وجوههم واقبلوا (اليه) اى الى احد ماذكر (وهم يجمحون) اى يسرعون اسراعا لايردهم شئ كالفرس الجموح لئلا يجتمعوا معكم ويتبعدوا عنكم والجموح النفور باسراع يقال فرس جموح اذا لم يرده لجام والمعنى انهم وان كانوا يحلفون لكم انهم منكم الا انهم كاذبون فى ذلك وانما يحلفون خوفا من القتل لتعذر خروجهم من بلادهم ولواستطاعوا ترك دورهم واموالهم والالتجاء الى بعض الحصون اوالغيران التى فى الجبال اوالسروب التى تحت الارض لفعلوه تستراعنكم واستكراها لرؤيتكم ولقائكم وفيه بيان لكمال عتوهم وطغيانهم واشارة الى ان المنافق يصعب عليه صحبة المخلص فان الجنس الى الجنس يميل لا الى خلافه (قال السعدى فى كتاب الكلستان) طوطى راباز اغى همقفس كردند ازقبح مشاهدۀ اومجاهده برده مى كفت اين چه طلعت مكروهست وهيأت ممقوت ومنظر ملعون وشمائل ناموزون ياغراب البين ياليت بينى وبينك بعد المشرقين * على الصباح بروى توهركه برخيزد * صباح روز سلامت برومسا باشد * بداخترى چوتودرصحبت توبايستى * ولى چنانكه توبى درجهان كجا باشد * عجبترانكه غراب هم ازمحاورت طوطى بجان آمده بودلاحول كنان ازكردش كيتى همى ناليد ودستهاى تغابن بريكديكر همى ماليدوميكفت اين چه بخت نكونست وطالع دون وايام بوقلمون لايق قدر من آنستى كه بازاغى دردبوارباغى خرامان همى رفتمى * پارسارابس اين قدر زندان * كه بودهم طويله رندان * تاچه كنه كرده ام روز كارم بعقوبت آن درسلك صحبت چنين ابلهى خودرأى وناجنس ويافه دراى بچنين بند بلا كرده است * كس نيايد بپاى ديوارى * كه بران صورتت نكاركنند * كرترادر بهشت باشد جاى * ديكران دوزخ اختيار كنند * اين مثل براى ان آوردم تابدانى كه صدچندانكه دانا ازنادان نفرتست نادانرا ازدانا وحشتست قيل اضيق السجون معاشرة الاضداد وقال الاصمعى دخلت على الخليل وهو جالس على الحصير الصغير فاشار الى بالجلوس فقلت اضيق

عليك فقال مه ان الدنيا بأسرها لاتسع متباغضين وان شبرا بشبر يسع المتحابين قال بعضهم الصديق الموافق خير من الشقيق المخالف فعلى العاقل ان يراعى جانب الآفاق والانفس بقدر الامكان ويجتهد فى اصلاح الظاهر والباطن فى كل زمان ويجانب الاعداء وان ادعوا انهم من جملة الاخوان ومن الاعداء النفس وصفاتها وهى تدعى انها على سيرة الروح والقلب والسر ومحبتها وليست كذلك لان منشأ هذه عالم الامر والارواح ومنشأ تلك عالم الخلق والاشباح فلابد من اصلاحها وازالة اخلاقها الرديئة لتكون لائقة بصحبة الروح ويحصل بسببها انواع الذوق والفتوح (ومنهم) اى من المنافقين (من يلمزك) ان يعيبك فان اللمز والهمز العيب واللامز كالهامز واللماز واللمزة كالهماز والهمزة بمعنى العياب وقيل اللامز هو من يعيبك فى وجهك والهامز من يعيبك بالغيب (فى الصدقات) اى فى شأن الزكاة ويطعن عليك فى قسمتها جمع صدقة من الصدق يسمى بها عطية يراد بها المثوبة لا التكرمة لان بها يظهر صدقه فى العبودية كما فى الكرمانى والآية نزلت فى ابى الجواظ المنافق حيث قال ألا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل (فان اعطوا منها) بيان لفساد ازهم وانه لامنشأله سوى حرصهم على حطام الدنيا اى ان اعطوا من تلك الصدقات قدر ما يريدون (رضوا) بما اعطوه وماوقع من القسمة واستحسنوها (وان لم يعطوا منها) ذلك المقدار بل اقل مما طمعوا (اذا هم يسخطون) اى يفاجئون السخط دلت اذا الفجائية على انهم اذا لم يعطوا فاجأ سخطهم ولم يمكن تأخره لما جبلوا عليه من محبة الدنيا والشره فى تحصيلها وفى التأويلات النجمية النفاق تزيين الظاهر باركان الاسلام وتعطيل الباطن عن انوار الايمان والقلب المعطل عن نور الايمان يكون من نتائجه الكفر بحب الدنيا فلا يرضى الا بوجدان الدنيا ويسخط بفقدها (قال السعدى) نكند دوست زينهار ازدوست * دل نهادم برآنچه خاطر اوست * كر بلطفم بنزد خود خواند * ور بقهرم براند اوداند (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) اى ما اعطاهم الرسول من الصدقات طيبى النفوس به وان قل وذكر الله تعالى للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه السلام كان بأمره سبحانه فلا اعتراض عليه لكون المأمور به موافقا للحكمة والصواب (وقالوا حسبنا الله) اى كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا فان جميع ما اصابنا انما هو تفضل منه سواء كان لكسبنا مدخل فيه اولم يكن (سيؤتينا الله من فضله) صدقة اخرى (ورسوله) فيعطينا منها اكثر مما اعطانا اليوم (انا الى الله راغبون) ان يغنينا من فضله والآية بأسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره ولتذهب فيه النفس كل مذهب ممكن اى لكان خيرا لهم * زيرا كه رضا بقسمت سبب بهجت است وجزع دران موجب محنت سلمى از ابراهيم ادهم نقل ميكندكه هركه بقضا در خرسند شد ازغم وملال بازرست * وضا بداده بده وزجبين كره بكشا * كه برمن وتو در اختيار نكشادست * ودرين معنى فرموده است * بشنو اين نكته كه خود در ازغم آزاده كنى * خون خورى كر طلب روزئ ننهاده كنى * يقال اذا كان القدر حقا كان السخط حمقا ولما قدم سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه مكة بعد ما كف بصره قيل له انت مجاب الدعوة لم لا تسأل رد بصرك فقال قضاء الله تعالى احب الى من بصرى قيل لحكيم ما السبب فى قبض الكف عند الولادة وفتحه عند الموت فانشد

ومقبوض كف المرء عند ولادة * دليل على الحرص المركب فى الحى

ومبسوط كف المرء عند وفاته * يقول انظروا انى خرجت بلا شئ

(حكى) ان نباشا تاب على يد ابى يزيد البسطامى قدس سره فسأله ابو يزيد عن حاله فقال نبشت عن ألف فلم أر وجوههم الى القبلة الا رجلين فقال ابو يزيد مساكين اولئك تهمة الرزق حولت وجوههم عن القبلة فعلى العاقل التوكل على الله والاعتماد بوعده فان الله كاف لعبده ومن وجد الله فقد ما دونه لان فقدان الله فى وجدان ماسواه ووجدانه فى فقدان ماسواه ومن وجده رضى به ويقول سيؤتينا الله من فضله ما نحتاج اليه فى كمال الدين ونظام الدنيا انا الى الله راغبون لا الى الدنيا والعقبى وما فيهما غير المولى (روى) ان عيسى عليه السلام مر بقوم يذكرون الله تعالى فقال لهم ما الذى حملكم عليه قالوا الرغبة فى ثواب الله فقال اصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون الله تعالى فقال لهم ما الذى حملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله تعالى فقال اصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بذكر الله فسألهم عن سببه فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة فى الثواب

بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بالالفاظ الدالة على صفات قدسه وعزته قال أنتم المتحققون وفى هذا المعنى (قال الحافظ) بدرم روضه جنت بدو گندم بفروخت * ناخلف باشم اگر من بجوى نفروشم (انما الصدقات) اى جنس الزكوات المشتملة على الانواع المختلفة من النقدين وغيرهما سميت الزكاة صدقة لدلالتها على صدق العبد فى العبودية كما فى الكافى وذكر فى الازاهير ان تركيبها يدل على قوة فى الشئ قولا وفعلا وسمى بها ما يتصدق به لان بقوته يرد البلاء وقيل لان اول عامل بعثه صلى الله عليه وسلم لجمع الزكاة رجل من بنى صدق بكسر الدال وهم قوم من كندة والنسبة اليهم صدفى بالفتح فاشتقت الصدقة من اسمهم (للفقرآء والمساكين) اى مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا تتجاوزهم الى غيرهم من المناقين والفقير من له شئ دون نصاب والمسكين من لا شئ له وهو المروى عن ابى حنيفة وقيل بالعكس وفائدة الخلاف تظهر فى الوصية للفقير او المسكين (والعاملين عليها) الساعى فى جمعها وتحصيلها فيعطى العامل مما فى يده من مال الزكاة بقدر عمله فقيرا كان او غنيا او هاشميا فلو ضاع ذلك المال لم يعط شيأ وكذا لو أعطى المالك بنفسه زكاته الى الامام لا يستحق العامل شيأ وفى التبيين لو استغرقت كفاية الزكاة لا يزاد على النصف لان التنصيف عين الانصاف (والمؤلفة قلوبهم) وهم طائفة مخصوصة من العرب لهم قوة واتباع كثيرة منهم مسلم ومنهم كافر قد اعطوا من الصدقة تقريرا على الاسلام او تحريضا عليه او خوفا من شرهم (وفى الرقاب) اى وللصرف فى فك الرقاب اى فى تخليصها من الرق بان يعان المكاتبون بشئ منها على اداء بدل كتابتهم لا للرقاب فان المكاتب لا يستحق المال ولا يملكه بل يملكه مولاه وكذا مال المديون يملكه الدائن فالعدول عن اللام للدلالة على ان استحقاق الاربعة الاخيرة ليس لذواتهم اى لكونهم مكاتبا ومديونا ومجاهدا ومسافرا حتى يتصرفوا فى الصدقة كيف شاؤا كالاربعة الاول بل لجهة استحقاقهم كفك الرقبة من الرق وتخليص الذمة من مطالبة من له الحق والاحتياج الى ما يتمكن به من الجهاد وقطع المسافة ووجه الدلالة أن فى قد تستعمل لبيان السبب كما يقال عذب فلان فى سرقة لقمة اى بسببها والمراد مكاتب غيره ولو غنيا فيعطى ما عجز عنه فيؤدى الى عتقه والرقاب جمع رقبة وهى يعبر بها عن الجملة وتجعل اسما للمملوك (والغارمين) اى الذين تدينوا لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم والغارم والغريم وان كان يطلق كل واحد منهما على من له الدين الا ان المراد بالغارم فى الآية الذى عليه الدين وان المديون قسمان الاول من اذان لنفسه فى غير معصية فيعطى له من الزكاة ما يفى بدينه بشرط ان لا يكون له من المال ما يفى بدينه وان كان له ذلك فلا يعطى والثانى من اذان فى المعروف واصلاح ذات البين فانه يعطى من مال الزكاة ما يقضى به دينه وان كان غنيا واما من اذان فى معصية او فساد فانه لا يعطى له شئ منها وعن مجاهد أن الغارم من احترق بيته او ذهب السيل بماله او اذان على عياله (وفى سبيل الله) اى فقرآء الغزاة عند أبى يوسف وهم الذين عجزوا عن اللحوق بجيش الاسلام لفقرهم اى اهلاك النفقة او الدابة او غيرهما فتحل لهم الصدقة وان كانوا كاسبين اذ الكسب يقعدهم عن الجهاد فى سبيل الله وسبيل وان عم كل طاعة الا انه خص بالغزو اذا اطلق وعند محمد هو الحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) اى المسافر الكثير السير المنقطع عن ماله سمى به لملازمته الطريق فكل من يريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به المسافة يعطى من الصدقة قدر ما يقطع به تلك المسافة سوآء كان له فى البلد المنتقل اليه مال اولم يكن وهو متناول للمقيم الذى له مال فى غير وطنه فينبغى ان يكون بمنزلة ابن السبيل وللدائن الذى مديونه مقر لكنه معسر فهو كابن السبيل كما فى المحيط (فريضة من الله) مصدر لما دل عليه صدر الآية لان قوله تعالى انما الصدقات للفقرآء فى قوة ان يقال فرض الله لهم الصدقات فريضة (قال الكاشفى) حق سبحانه وتعالى براى اين جماعت فرض كرده است زكات را فريضة فرض كردنى من الله ثابت از نزديك خداى تعالى (والله عليم) بأحوال الناس ومراتب استحقاقهم (حكيم) لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التى من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها * حق تعالى جون در قسمت كشاد * هر كسى را هر جه مى بايست داد * نيست واقع اندران قسمت غلط * بنده را خواهى رضا خواهى سخط * واعلم ان سهم المؤلفة قلوبهم ساقط باجماع الصحابة لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله وأعلى كلمته استغنى عن ذلك كما قال

عمر رضى الله عنه فى زمن خلافة ابى بكر رضى الله عنه الاسلام اعز من ان يرشى عليه فان ثبتم على الاسلام بغير رشوة فبها والا فبيننا وبينكم السيف فبقيت المصارف السبعة على حالها فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم بل لو صرف الى شخص واحد منهم جاز فان اللام فى للفقرآء لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم كما يقال الخلافة لبنى العباس وميراث فلان لقرابته اى ليست الخلافة لغيرهم لا أنها بينهم بالسوية فاللام لام الاختصاص لا التمليك لعدم جواز التمليك للمجهول قال مشايخنا من اراد ان يتصدق بدرهم يشترى فقيرا واحدا او يعطيه ولا يشترى به فلوسا ويفرقها على المساكين كما فى المحيط وكذلك الافضل فى الفطر أن يؤدى صدقة نفسه وعياله الى واحد كما فعله ابن مسعود كما فى التمرتاشى وكره دفع نصاب او اكثر الى فقير غير مديون اما اذا كان مديونا او صاحب عيال او اذا فرق عليهم لم يخص كلا منهم نصاب فلا يكره كما فى الاشباه وقوله كره اى جاز مع الكراهة اما الجواز فلأن الادآء يلاقى الفقر لان الزكاة انما تتم بالتملك وحالة التمليك المدفوع اليه فقير وانما يصير غنيا بعد تمام التمليك فيتأخر الغنى عن التمليك ضرورة فيجوز واما الكراهة فلان الانتفاع به صادف حال الغنى ولو صادف حال الفقر لكان اكمل وندب دفع ما يغنى عن السؤال يومه لقوله عليه السلام أغنوهم عن المسألة والسؤال ذل فكان فيه صيانة المسلم عن الوقوع فيه ولا يسأل من له قوت يومه لان فى السؤال ذلا ولا يحل للمسلم ان يذل نفسه وبغير الاحتياج تكدى والتكدى حرام ثم اعلم ان الاوصاف التى عبر بها عن الاوصاف المذكورة وان كانت تعم المسلم والكافر الا ان الاحاديث خصتها بالمسلم منهم وقال ابو حفص لا يصرف الى من لا يصلى الا احيانا والتصدق على الفقير العالم أفضل من الجاهل وصدقة التطوع يجوز صرفها الى المذكورين وغيرهم من المسلم والذمى والى بناء المساجد والقناطر وتكفين الميت وقضاء دينه ونحوها لعدم اشتراط التمليك فى التطوع وان اريد صرف الفرض الى هذه الوجوه صرف الى الفقير ثم يؤمر بالصرف اليها فيثاب المزكى والفقير ولو قضى دين حى اى من مال الزكاة وان كان بأمره جاز كأنه تصدق على المديون فيكون القابض كالوكيل له فى قبض الصدقة وان كان بغير أمره يكون متبرعا فلا يجوز من زكاة ماله ولا تصرف الزكاة الى مجنون وصبى غير مراهق الا اذا قبض لهما من يجوز له قبضها كالاب والوصى وغيرهما وتصرف الى مراهق يعقل الاخذ كما فى المحيط قال فى مجمع الفتاوى جملة ما فى بيت المال أربعة أقسام الاول الصدقات وما ينضم اليها تصرف الى ما قال الله تعالى انما الصدقات للفقرآء والمساكين الآية والثانى الغنائم تصرف الى اليتامى والمساكين وابن السبيل والثالث الجزية والخراج تصرف الى ما فيه صلاح دار الاسلام والمسلمين نحو سد الثغور والمقاتلة وعطياتهم وسلاحهم وكراعهم ويصرف الى امن الطريق والى اصلاح القناطر وكرى الانهار والى ارزاق الولاة والقضاة والائمة والمؤذنين والقرآء والمحتسبين والمفتين والمعلمين والرابع ما اخذ من تركة الميت اذا مات بلا وارث او الباقى من فرض الزوج او الزوجة اذا لم يترك سواه يصرف الى نفقة المرضى وادويتهم وعلاجهم ان كانوا فقرآء والى نفقة من هو عاجز عن الكسب انتهى والاشارة انما الصدقات اى صدقات الله كما قال عليه السلام ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة يتصدق بها على من يشاء من عباده والفقرآء هم الاغنياء بالله الفانون عن غيره الباقون به وهذا حقيقة قوله عليه الصلاة والسلام الفقرآء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة وهو سر ما قال الواسطى الفقير لا يحتاج الى الله وذلك لانه غنى به والغنى بالشئ لا يحتاج اليه والمساكين وهم الذين لهم بقية أوصاف الوجود لهم سفينة القلب فى بحر الطلب وقد خرقها خضر المحبة وكان ورآءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا والعاملين عليها وهم ارباب الاعمال كما كان الفقرآء والمساكين اصحاب الاحوال والمؤلفة قلوبهم وهم الذين تتألف قلوبهم بذكر الله الى الله المتقربون اليه بالتباعد عما سواه وفى الرقاب وهم المكاتبون قلوبهم عن رق الموجودات تحررا بالعبودية موجدها والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم والغارمين وهم الذين استقرضوا من مراتب المكونات أوصافها وطباعها وخواصها وهم محبوسون فى سجن الوجود بقروضهم وانهم فى استخلاص ذممهم عن القروض بردها فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص من حبس الوجود وفى سبيل الله وهم الغزاة المجاهدون فى الجهاد الاكبر وهو الجهاد مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل وهم المسافرون عن أوطان الطبيعة والبشرية السائرون الى الله على اقدام الشريعة والطريقة بسفارة الانبياء والاولياء فريضة من الله اى هذا السير والجهاد ورد القرض والحرية عن رق

الموجودات وتألف القلوب الى الله واستعمال اعمال الشريعة والتمكن والافتقار الى الله طلبا للاستغناء به امر واجب على العباد من الله وهذه الصدقات من المواهب الربانية والالطاف الالهية للطالبين الصادقين امر أوجبه الله تعالى فى ذمة كرمه لهم كما قال تعالى ألا من طلبنى وجدنى والله عليم بطالبه حكيم فيما يعاونهم على الطلب للوجدان كما قال تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا كذا فى التأويلات النجمية فعلى السالك الفناء عن أوصاف الموجودات والحرية عن رق الكائنات وعرض الافتقار الى هذه النفحات والصدقات (ومنهم) اى من المنافقين كالجلاس بن سويد واحزابه (الذين يؤذون النبى) بان يقولوا فى حقه ما يتأذى به الانسان (ويقولون) اذا قيل لهم من قبل بعضهم لا تفعلوا هذا الفعل فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فتفتضحوا (هو) اى النبى عليه السلام (اذن) يسمع كل ما قيل له يعنى انا نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة اى صاحبها وانما سموه اذنا مبالغة فى وصفه باستماعه كل ما يقال وتصديقه اياه حتى صار بذلك كأنه نفس الاذن السامعة يريدون بذلك انه ليس له ذكاء ولا بعد غور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع فيسمع كلام المبلغ اولا فيتأذى منه ثم اذا وقع الانكار او الحلف والاعتذار يقبله ايضا صدقا كان او كذبا وانما قالوه لانه عليه السلام كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فظن اولئك انه عليه السلام انما يفعله لقلة فطنته وقصور شهامته (قل) هو (اذن خير لكم) من اضافة الموصوف الى صفته كرجل صدق والمعنى نعم انه اذن لكنه نعم الاذن فان من يسمع العذر ويقبله خير ممن لا يقبله لانه انما ينشأ من الكرم وحسن الخلق سلم الله تعالى قول المنافقين فى حقه عليه السلام انه اذن الا انه حمل ذلك القول على ما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة (يؤمن بالله) تفسير لكونه اذن خير لهم اى يقربه لما قام عنده من الادلة الموجبة له فيسمع جميع ما جاء من عنده ويقبله وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى (ويؤمن للمؤمنين) اى يسلم لهم قولهم ويصدقهم فيما اخبروا به لما علم من خلوصهم وصدقهم ولاشك ان ما اخبر به المؤمنون الخلص يكون حقا فن استمعه وقبله يكون اذن خير واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وهو ايمان الامان من الخلود فى النار الذى هو نقيض الكفر بالله فانه يعدى بالباء حملا للنقيض على النقيض فيقال آمن بالله ويؤمنون بالغيب وبين الايمان بمعنى التصديق والتسليم والقبول فانه يعدى باللام مثل وما أنت بمؤمن لنا اى بمصدق (ورحمة) عطف على اذن خير أى وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة (للذين آمنوا منكم) اى للذين اظهروا الايمان منكم وهم المنافقون حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم فى ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم (قال الكاشفى) يعنى نه انست كه بقول شما دانا يست صدق وكذب شمار اميد اندامارده ازروى كارشما برنمى دارد وازروى رحمت باشما رفق ميمايد * فالواجب على المؤمن الاقتداء بالرسول المختار فى التحفظ عن كشف الاسرار والتحقق بالاسم الستار (والذين يؤذون رسول الله) بالقول او الفعل (لهم عذاب أليم) عذابى دردناك در آخرت بسبب ايذا آنه فانه قد تبين انه عليه السلام خير ورحمة لهم فأذاه مقابلة لاحسانه بالاساءة فيكون مستوجبا للعذاب الشديد وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم يأتون المؤمنين فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم فقال تعالى (يحلفون بالله لكم) أيها المؤمنون انهم ما قالوا ما نقل اليكم مما يورث اذية النبى عليه السلام (ليرضوكم) بذلك (والله ورسوله احق ان يرضوه) بالتوبة وترك الطعن والعيب والمبالغة فى باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما قبول عذرهم وعدم تكذيبهم فهو ستر عيوبهم لا عن رضى بما فعلوا وضمير يرضوه الى الله فافراده للايذان بان رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وهما متلازمان فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر لعدم انفكاك الآخر أو الى الرسول فان الكلام فى أذاه وارضاه وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على ان ارضاء الرسول ارضاء الله فاكتفى بذكر ارضائه عليه السلام عن ذكر ارضائه تعالى كما فى قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اكتفى بذكر حكم الرسول للتنبيه على ان حكم الرسول حكم الله او الى الله والرسول باستعارته لاسم الاشارة الذى يشار به الى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور ولا يقال اى حاجة الى الاستعارة بعد التأويل لانا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التأويل لما ان الضمير لا يتعرض الا لذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من أوصافه التى من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة قال

الحدادى لم يقل رضوهما لانه يكره الجمع بين ذكر اسم الله وذكر اسم رسوله فى كناية واحدة كما روى ان رجلا قام خطيبا عند النبى عليه السلام فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال عليه السلام بئس الخطيب أنت هلا قلت ومن يعص الله ورسوله قال فى ابكار الافكار انما اراد بذلك تعليم الادب فى المنطق وكراهة الجمع بين اسم الله واسم غيره تحت حرف فى الكناية لانه يتضمن نوعا من التسوية (قال السعدى) متكلم را تا كسى عيب نكيرد سخنش صلاح نپذيرد * مشو غره بر حسن گفتار خويش * بتحسين نادان و پندار خويش * وفى الحديث لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان قال الخطابى وهذا ارشاد الى الادب لان الواو للجمع والتشريك وثم للعطف مع الترتيب والتراخى فارشدهم عليه السلام الى تقديم مشيئة الله على مشيئة من سواه ومن هذا قال النخعى يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز أعوذ بالله ثم بك ويقال لولا الله ثم فلان لفعلت كذا ولا يقال لولا الله وفلان وانما يقال من يطع الله ورسوله لان الله تعبد العباد بأن فرض عليهم طاعة رسول الله فاذا اطيع رسول الله فقد اطيع الله بطاعة رسوله (ان كانوا مؤمنين) اى صادقين فيما اظهروه من الايمان فليرضوا الله ورسوله بالطاعة واخلاص الايمان فانهما أحق بالارضاء (ألم يعلموا) اى اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظمة مع علمهم بسوء عاقبتهم (انه) اى الشأن (من) شرطية معناها بالفارسية هركس كه (يحادد الله ورسوله) خلاف كند با خداى تعالى وبا رسول او واز حد دركذراند والمحادة با كسى حرب با خلاف كردن * كما فى تاج المصادر مفاعلة من الحد وهو الطرف والنهاية وكل واحد من المتخالفين والمتعاندين فى حد غير حد صاحبه (فان له) بالفتح على انه مبتدأ حذف خبره اى فحق ان له (نار جهنم خالدا فيها ذلك) العذاب الخالد (الخزى العظيم) الخزى الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهى ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الاشهاد بظهورها ولحوق العذاب الخاص بهم واعلم ان كل نبى اوذى بما لا يحيط به نطاق البيان وكان النبى عليه السلام اشدهم فى ذلك كما قال ما اوذى نبى مثل ما اوذيت ولما كانت الاذية سبب التصفية كان المعنى ماصفى نبى مثل ماصفيت واما قوله عليه السلام حين قسم غنائم الطائف فقال بعض المنافقين بعدم العدل من يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله رحمة الله على اخى موسى لقد اوذى بأكثر من هذا فصبر فيحتمل ان يكون بالنسبة الى ذلك الوقت وقد زاد أذاه الى آخر العمر كيفية واشتد كيفية هذا هو اللائح بالبال فاذا كان الانبياء عليهم السلام مبتلين بالاذية والنفى من البلد والقتل فما ظنك بالاولياء الكرام وهم احوج منهم الى التصفية لان قدس الانبياء أغلب وبواطنهم انور وسرائرهم اصفى قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره وانما كان الحسن مسموما والحسين مذبوحا رضى الله عنهما بسبب ان كمال تعينهما كان بالشهادة وكان النبى عليه السلام قادرا على تخليصهما بالشفاعة من الله تعالى ولكنه رأى كمالهما فى مرتبتهما راجحا على الخلاص حتى انه عليه السلام دفع قارورتين لواحدة من الازواج المطهرة وقال اذا اصفر ما فى احداهما يكون الحسن شهيدا بالسم واذا احمر ما فى الاخرى يكون الحسين شهيدا بالذبح فكان كذلك فعلى العاقل الاطاعة والتسليم وتحمل الاذى من كل منافق لئيم فان الله تعالى مع المؤمن المتقى اينما كان فاذا كان الله معه وكاشف عن ذلك هان عليه الابتلاء لمشاهدته المبتلى على كل حال فى فرح وترح (وفى المثنوى) هركجا باشد شه مارا بساط * هست صحرا كر بود سم الخياط * هركجا كه يوسفى باشد چو ماه * جنت است او كرچه باشد قعر چاه *

(يحذر المنافقون ان تنزل عليهم) اى على المؤمنين (سورة تنبئهم) اى تخبر تلك السورة المؤمنين (بما فى قلوبهم) اى قلوب المنافقين من الشرك والنفاق فتفضحهم وتهتك عليهم استارهم فالضميران الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكك عند ظهور الامر ويجوز ان تكون الضمائر كلها للمنافقين فالمعنى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم اى فى شأنهم فان ما نزل فى حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبيئها اياهم مع انها معلومة لهم وان الحذر وعندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع أنفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال فان قلت كيف يحذر المنافقون نزول الوحى الكاشف عن نفاقهم مع انهم ينكرون نبوته عليه السلام فكيف يجوزون نزول الوحى عليه قلت ان بعض المنافقين كانوا يعلمون النبوة

لكنهم كانوا يكفرون عند أهل الشرك عنادا او حسدا وبعضهم كانوا شاكين مترددين فى امره صلى الله تعالى عليه وسلم والشاك يجوز نزول الوحى فيخاف ان ينزل عليه ما يفضحه وقال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله يذكر كل شئ ويقول انه بطريق الوحى يكذبونه ويستهزئون به بان يقولوا فيما بينهم على وجه الاستهزاء به عليه السلام انا نحذر ونخاف ان ينزل عليه ما يفضحنا ولذلك قيل (قل استهزئوا) اى افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد يعنى استهزاء مكنيد كه جزا خواهيد يافت وجزا آنست كه براى تفضيح شما (ان الله مخرج) اى من القوة الى الفعل اومن الكمون الى البروز (ما تحذرون) اى ما تحذرونه من انزال السورة اوما تحذرون اظهاره من مساويكم ومن هذا سميت هذه السورة الفاضحة لانها فضحت المنافقين وتسمى ايضا الحافرة لانها حفرت عن قلوب المنافقين (ولئن سألتهم) عما قالوا بطريق الاستهزاء (ليقولن انما كنا نخوض) فى الكلام ونتحدث كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث (ونلعب) كما يلعب الصبيان (روى) انه عليه الصلاة والسلام كان يسير فى غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول عليه السلام ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصوره وهيهات هيهات يحسب محمد أن قتال بنى الاصفر معه اللعب والله لكأنهم يعنى الصحابة غدا مفرقون فى الجبال فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يانبى الله لا والله ما كنا فى شئ من امرك ولا من امر اصحابك انما كنا نخوض ونلعب فلما انكروا ماهم فيه من الاستهزاء والتخفيف امر الله تعالى رسوله فقال (قل) يا محمد على طريق التوبيخ غير ملتفت الى اعتذارهم (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) عقب حرف التقرير بالمستهزأ به اشارة الى تحقق الاستهزاء وثبوته فانه فرق بين ان يقال تستهزئ بالله وبين ان يقال ابالله تستهزئ فان الاول يقتضى الانكار على ملابسة الاستهزاء والثانى يقتضى الانكار على ايقاع الاستهزاء فى الله (لا تعتذروا) لا تشتغلوا بالاعتذار فانه معلوم الكذب بين البطلان والاعتذار عبارة عن محو أثر الذنب قال فى التبيان أصل الاعتذار القطع يقال اعتذرت اليه اى قطعت ما فى قلبه من الموجدة (قد كفرتم) الكفر باذى الرسول والطعن فيه (بعد ايمانكم) اى بعد اظهاركم له فانهم قط لم يكونوا مؤمنين ولكن كانوا منافقين (ان نعف) اكر عفو كنيم (عن طائفة منكم) لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الاذية والاستهزاء (نعذب طائفة بأنهم) اى بسبب انهم (كانوا مجرمين) مصرين على الاجرام وهم غير التائبين اومباشرين له وهم غير المجتنبين واعتذر النبى عليه السلام لمن قال ألا تقتلهم لظهور كفرهم بقوله أكره ان تقول العرب قاتل أصحابه بل يكفيناهم الله بالدبيلة اى بالداهية وفى الآيات اشارات الاولى ان المنافقين وان اعتقدوا نزول الوحى على النبى عليه السلام واعتقدوا نبوته لكن لم ينفعهم مجرد الاعتقاد والاقرار باللسان فى ثبوت الايمان مع ادنى شك داخلهم ولم ينفعهم الحذر مع القدر وهذا تحقيق قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد وفى هدية المهديين من قال آمنت بجميع الانبياء ولا اعلم آدم نبى أم لا يكفر ومن لم يعرف ان سيدنا محمدا عليه السلام خاتم الرسل لا نسخ لدينه الى يوم القيامة لا يكون مؤمنا والثانية ان اظهار اللطف والرحمة بلا سبب محتمل ولكن اظهار القهر والفرق لا يكون الا بسبب جرم من المجرمين كما قال بانهم كانوا مجرمين (وفى المثنوى) چونكه بدكردى بترس ايمن مباش * زانكه تخمست وبروياند خداش * چندگاهى او بپوشاند كه تا * آيدت زان بد پشيمان وحيا * بارها پوشد پى اظهار فضل * باز كيرد از پى اظهار عدل * تاكه اين هردو صفت ظاهر شود * آن مبشر كردد اين منذر شود * والثالثة ان الاستهزاء بالله وبرسوله وبالآيات القرآنية كفر والاستهزاء استحقار الغير بذكر عيوبه على وجه يضحك قولا أو فعلا وقد يكون الاستهزاء بالاشارة والايماء وبالضحك على كلامه اذا تخبط فيه او غلط اوعلى صنعته ونحو ذلك وهو حرام بالاجماع معدود من الكبائر عند البعض كما قال علاء الدين التركستانى فى منظومته العادة لكبائر الذنوب وهى سبعون

ويل لمن من الانام يسخر * مقامه يوم الجزاء سقر

وفى الحديث ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم فى الآخرة باب من الجنة فيقال له هلم هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم فيجئ بغمه وكربه فاذا جاء اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان أحدهم ليفتح له الباب من ابواب الجنة فيقال له هلم فما يأتيه من الاياس وفى الحديث ثلاثة لا يستخف بهم

الامنافق ذوالشيبة فى الاسلام وذوالعلم وامام مقسط كما فى الترغيب والترهيب للامام المنذرى وانما خص هذه الثلاثة لان أوصافهم راجعة الى أوصاف الله تعالى فذوالشيبة حصل له كبرالسن والبارى له الكبرياء والعالم اتصف بصفة العلم والامام المقسط اتصف بصفة العدل وهما من صفات الله تعالى ايضا فمن اجلال الله تعالى واكرامه اجلال هذه الثلاثة واكرامهم ومن استخفافه استخفافهم وفى الحديث ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما بين الاقوام الجهال لايعرفون حقه * كفت پيغمبركه باابن سه كروه * رحم آريد دستكير يد ازز كوه * انكه اوبعد ازعزيزى خوارشد * وان توانكرهم كه بى دينارشد * وان سوم ان عالمى كاندرجهان * مبتلا كرددميان ابلهان * زانكه ازعزت بخوارى آمدن * همچوقطع عضو باشد ازبدن * عضوكردد مرده كزتن وابريد * نوبريده جنبد اما نى مديد * ومن تعظيم الرسول تعظيم اولاده (قيل) ركب زيد بن ثابت رضى الله عنه فدنا ابن عباس رضى الله عنه ليأخذ ركابه فقال لا يا ابن عم رسول الله فقال هكذا امرنا ان نفعل بكبرآئنا فقال زيد أرنى يدك فأخرجها اليه فقبلها فقال هكذا امرنا ان نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اولاده المعنوية من اقتدى به قولا وفعلا وحالا فتعظيمه تعظيم الرسول وتحقيره تحقيره فعليك التعظيم والتبجيل (المنافقون) مردان منافق كه سيصد نفر بودند (والمنافقات) وزنان منافقه كه صدوهفتاد بودند (بعضهم من بعض) اى متشابهون فى النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشئ الواحد بالشخص (يأمرون بالمنكر) اى بالكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) اى عن الايمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ماسبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين (ويقبضون أيديهم) اى عن الانفاق فى سبيل الله وعن الصدقة وعن كل خير فان قبض اليد كناية عن الشح اوعن رفعها للدعاء والمناجاة كما فى الكاشفى (نسوا الله) صاروا غافلين عن ذكره وتركوا امره حتى صار كالنسى عندهم ذكر الملزوم وهو النسيان واريد اللازم وهو الترك لان النسيان ليس من الافعال الاختيارية فلا يذم عليه (فنسيهم) فتركهم من لطفه وفضله لامن قهره وتعذيبه وفسر النسيان ايضا بالمعنى المجازى الذى هو الترك لانه محال فى حقه تعالى (ان المنافقين هم الفاسقون) الكاملون فى التمرد والفسق الذى هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير (وعدالله المنافقين والمنافقات) الوعد يستعمل فى الخير بمعنى الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها وفى الشر بمعنى الاخبار بايصال المضرة قبل وقوعها يقال وعدته خيرا ووعدته شرا فاذا اسقط الخير والشر قالوا فى الخير الوعد والعدة وفى الشر الايعاد والوعيد وقد أوعده وتوعده اى وعده العقاب (والكفار) اى المجاهرين (نارجهنم) وهى من اسماء النار تقول العرب للبئر البعيدة القعر جهنام فيجوز أن يكون جهنم مأخوذة من هذا اللفظ لبعد قعرها (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوتا هاله فأتاه جبريل فقال عليه السلام ماهذا الصوت ياجبرآئيل قال هذه صخرة هوت من شفير جهنم منذ سبعين عاما فهذا حين بلغت قعرها فاحب الله ان يسمعك صوتها فما رؤى رسول الله ضاحكا ملئ فيه حتى قبضه الله (خالدين فيها) اى مقدرا خلودهم فيها (هى حسبهم) عقابا وجزآء ولاشئ ابلغ من تلك العقوبة ولايمكن الزيادة عليها (ولعنهم الله) اى ابعدهم من رحمته وأهانهم وهو بيان لبعض ماتضمنه الخلود فى النار فان النار المخلد فيها مع كونها كافية فى الايلام تتضمن شدآئد أخر من اللعن والاهانة وغيرهما (ولهم عذاب مقيم) لاينقطع والمراد به ماوعدوه وهو الخلود فى نارجهنم ذكر بعده تأكيدا له لان الخلود والدوام بمعنى واحد (كالذين من قبلكم) اى أنتم أيها المنافقون مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة (كانوا اشد منكم قوة) يعنى بتن ازشما قوى تر بودند (واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم) اى تمتعوا بنصيبهم من ملاذ الدنيا سمى النصيب خلاقا لانه مشتق من الخلق بمعنى التقدير ونصيب كل واحد هو الخير المقدر له (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) الكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى استمتاعا كاستمتاعهم وليس فى الآية تكرار لان قوله فاستمتعوا بخلاقهم ذم للاولين بالاشتغال بالحظوظ الفانية وذمهم بذلك تمهيد لذم المخاطبين بسلوكهم سبيل الاولين وتشبيه حالهم بحالهم (وخضتم) اى دخلتم فى الباطل وشرعتم فيه (كالذى) اى كالفوج الذى (خاضوا) ويجوز ان يكون اصله الذين حذفت النون تخفيفا (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة من المشبهين والمشبه بهم والخطاب لرسول الله اولكل من يصلح للخطاب (حبطت اعمالهم) التى كانوا

يستحقون

يستحقون بها الاجور لو قارنت الايمان مثل الانفاق فى وجوه الخير وصلة الرحم وغير ذلك اى ضاعت و بطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر (فى الدنيا والآخرة) امافى الآخرة فظاهر واما فى الدنيا فلأن ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس ترتيبه عليها على طريق المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج (واولئك) الموصوفون بحبوط الاعمال فى الدارين (هم الخاسرون) الكاملون فى الخسران فى الدارين الجامعون لمباديه واسبابه طرا فانه قد ذهبت رؤوس اموالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسرانا (قال السعدى) قيامت كه بازار مينو نهند * منازل باعمال نيكو نهند * بضاعت بجند انكه آرى برى * اكر مفلسى شرمسارى برى * كه بازار جند انكه آكنده تر * تهى دست رادل برا كنده تر (ألم يأتهم) اى المنافقين (نبأ الذين من قبلهم) اى خبرهم الذى له شأن وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير اى قد أتاهم خبر الامم السالفة وسمعوه فليحذروا من الوقوع فيما وقعوا (قوم نوح) اغرقوا بالطوفان وهو بدل من الذين (وعاد) اهلكوا بريح صرصر (وثمود) اهلكوا بالرجفة والصيحة (وقوم ابراهيم) اهلك نمرود ببعوضة واهلك اصحابه بالهدم (واصحاب مدين) اى واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة ومدين هو مدين بن ابراهيم نسبت القرية اليه (والمؤتفكات) الظاهر انه عطف على مدين وهى قريات قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل (أتتهم) اى جميع من تقدم من المهلكين (رسلهم بالبينات) اى بالحجج والبراهين فكذبوهم فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) اى لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب (قال الصائب) جرا زغير شكايت كنم كه همجو حباب * هميشه خانه خراب هواى خويشتنم * فعلى العاقل ان لا يغتر بالقوة والاولاد والاموال فان كلها فى معرض الزوال (قال الحافظ) بيال و پر مرو از ره كه تير پرتابى * هوا كرفت زمانى ولى بخاك نشست * يعنى لا تغتر بقدرتك وقوتك البدنية والدنيوية ولا تخرج بسببها عن الصراط المستقيم فان حالك مشابه لحال السهم فانه وان علا على الهوآء زمانا لكنه يسقط على الارض فآخر كل علو هو السفل وآخر كل قدرة هو العجز فلا بد من تدارك الامر بالتوبة والاستغفار قبل نزول ما نزل بالقوم الاشرار قال بعض الصالحين خرجت الى السوق ومعى جارية حبشية فاجلستها فى مكان وقلت لها لا تبرحى حتى اعود اليك فذهبت ثم عدت الى المكان فلم اجدها فيه فانصرفت الى منزلى وانا شديد الغضب عليها فجاءتنى وقالت لى يا مولاى لا تعجل على فانك اجلستنى بين قوم لا يذكرون الله تعالى فخشيت ان ينزل بهم خسف وانا معهم فقلت ان هذه امة قد رفع عنها الخسف اكراما لنبيها محمد صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفع عنها خسف المكان فما رفع عنها خسف القلوب يا من خسف بمرفته وقلبه وهو فى غفلته من بلائه وكربه بادر الى جيتك ودوائك قبل موتك وفنائك وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والناس حوله ايها الناس استحيوا من الله حق الحياء فقال رجل يا رسول الله انا لنستحيى من الله فقال من كان منكم مستحييا فلا يبيتن ليلة الا واجله بين عينيه وليحفظ البطن وما وعى والرأس وما حوى وليذكر الموت والبلى وليترك زينة الدنيا قال الله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام ولو شئت ان ازينكما بزينة علم فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكنى ازوى عنكما وكذلك افعل باوليائى وليس ذلك لهوانهم على ولكن ليستكملوا حظهم من كرامتى * مكو جاهى از سلطنت بيش نيست * كه ايمن تراز ملك درويش نيست * فقد تقرر حال اهل الدنيا وحال اهل الآخرة فالعاقل يعتبر ويتبصر الى ان يموت ويقبر (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) اى بعضهم على دين بعض فى الحق اى متفقون فى التوحيد وبعضهم معين بعض فى امر دينهم ودنياهم وبعضهم موصل بعض الى الدرجات العالية بسبب التربية وتزكية النفس وهم المرشدون فى طريق الله تعالى (يأمرون بالمعروف) اى جنس المعروف الشامل لكل خير ومنه الايمان والطاعة ويهيج بعضهم بعضا فى طلب الله وهو المعروف الحقيقى كما قال فأحببت ان اعرف (وينهون عن المنكر) اى جنس المنكر المنتظم لكل شر ومنه الكفر والمعاصى التى تقطع العبد عن الله من الدنيا وغيرها (ويقيمون الصلاة) فلا يزالون يذكرون الله تعالى ويديمون مراقبة القلب

وحضوره مع الله بحيث لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهم ارباب المكاشفة واصحاب القلوب وهذا بمقابلة ماسبق من قوله نسوا الله (ويؤتون الزكاة) بمقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم فهم يؤدون الزكاة الواجبة بل ينفقون مافضل عن كفافهم الضرورى ويطهرون انفسهم عن محبة الدنيا بالانفاق (ويطيعون الله ورسوله) اى فى كل امر ونهى وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة قال فى التأويلات النجمية يشير الى الاخلاص فى معاملتهم فان المنافقين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ولكن لا يطيعون الله ورسوله فى ذلك وانما يطيعون النفس والهوى رعاية لمصالح دنياهم (اولئك) الموصوفون بهذه الاوصاف المكريمة (سيرحمهم الله) اى يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة وينجيهم من العذاب الاليم سوآء كان عذاب النار اوعذاب البعد من الملك الجبار بالادخال الى الجنة والايصال الى القربة والوصلة وعن بعض اهل الاشارة سيرحمهم الله فى خمسة مواضع عند الموت وسكراته يهوّن عليهم سكرات الموت ويحفظ ايمانهم من الشيطان وفى القبر وظلماته ينور قبورهم ويحفظهم من عذاب القبر وعند قرآءة الكتاب وحسراته يؤتيهم كتابهم بيمينهم ويمحو سيئاتهم من كتابهم كيلا يتحسروا على سيئاتهم وعند الميزان وندامته يثقل موازينهم وعند الوقوف بين يدى الله وسؤاله يسهل عليهم جوابهم ولا يؤاخذهم بعيوبهم وفى الحديث من صلى صلاة الفجر هان عليه الموت وغصته ومن صلى صلاة الظهر هان عليه القبر وضمته ومن صلى صلاة العصر هان عليه سؤال منكر ونكير وهيبته ومن صلى صلاة المغرب هان عليه الميزان وخفته ومن صلى صلاة العشاء هان عليه الصراط ودقته (ان الله عزيز) تعليل للوعد اى قوى قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه ذو النعمة لمن يطيعه (حكيم) فى احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية حكم للمؤمنين بالجنة فى مقابلة تصديقهم واقرارهم وللمحسنين بالوصلة فى مقابلة طلبهم فى جميع الحال رضى الله وتركهم ماسواه وحكم للكافرين والمنافقين بالنار لانكارهم وتكذيبهم الانبياء وعبادتهم للاوثان والاصنام (وعد الله المؤمنين والمؤمنات) اى وعدهم وعدا شاملا لكل واحد منهم على اختلاف طبقاتهم فى مراتب الفضل كيفا وكما والوعد عبارة عن الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها (جنات) جمع جنة وهى الحديقة ذات النخل والشجر (تجرى من تحتها) اى اشجارها وغرفها (الانهار) انهار الماء والعسل والخمر واللبن (خالدين فيها) اى مقدرا خلودهم ودوامهم فيها فكل واحد من المؤمنين فائز بهذه الجنات لامحالة (ومساكن طيبة) اى وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش وفى الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر (فى جنات عدن) هى ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبى عليه السلام عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاث النبيون والصديقون والشهدآء طوبى لمن دخلها روى ان الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غير واسطة وجعلها له كالقلعة للملك وجعل فيها الكثيب مقام تجلى الحق سبحانه وفيها مقام الوسيلة مقام المصطفى صلى الله عليه وسلم وغرس شجرة طوبى بيده فى جنة عدن واطالها حتى علت فروعها سور جنة عدن ونزلت مظللة على سائر الجنات كلها وليس فيها كمامها ثمر الا الحلى والحلل لباس اهل الجنة وزينتهم زآئدة فى الحسن والبهاء لها اختصاص فضل لكونها خلقها الله بيده وهى اجمع الحقائق الجنانية نعمة واتمها بركة فانها اصل لجميع اشجار الجنة كآدم عليه السلام لما ظهر منه من البنين ومافى الجنة نهر الا وهو يجرى من اصل تلك الشجرة وهى محمدية المقام وهى فى دار النبى عليه السلام يقال عدن بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن لمستقر الجواهر (ورضوان من الله) اى وشئ يسير من رضوانه تعالى (اكبر) واعظم من الجنان ونعيمها لانه مبدأ لجميع السعادات ومنشأ تمام الكمالات * محققان راه وعارفان آگاه را در كاه وبيگاه جز رضاى حضرت الله مطلوبى نيست * يكى مى خواهد از تو جنت وحور * يكى خواهد كه از دوزخ شود دور * وليكن ما نخواهيم ان وآن جست * مراد ما همين خشنودى تست * چو تو خشنود كشتى در دو عالم * همين مقصود بس والله اعلم (قال الحافظ) صحبت حور نخواهم كه بود عين قصور * باخيال تو اگر با دگرى پردازم روى انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون مالنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا (ذلك) المذكور من النعيم والرضى

(هو الفوز العظيم) دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شئ من نعيم الآخرة الا بمثابة جناح البعوض قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء قال يحيى بن معاذ الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والآخرة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال ايضا فى الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى الجنة قيل وما هى قال معرفة الله تعالى وهى الجنة المعنوية قال ابو يزيد البسطامى حلاوة المعرفة الالهية خير من جنة الفردوس واعلى عليين لو فتحوا الى ابواب الجنان الثمانى واعطونى الدنيا والآخرة لم تعدل انينا وقت السحر فعلى العاقل الاجتهاد والتوجه الى الحضرة العليا والاعراض عن الدنيا والفوز بالمطلب الاعلى والمقصد الاسنى نسأل الله الدخول الى حرم الوصول (يا ايها النبى) اعلم ان الله تعالى خاطب الانبياء عليهم السلام باسمائهم الشريفة مثل يا آدم و يا نوح و يا موسى و يا عيسى وخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم بالالقاب الشريفة مثل يا ايها النبى ويا ايها الرسول وذلك يدل على علو جنابه عليه السلام مع ان كثرة الالقاب والاسماء تدل على شرف المسمى ايضا قال ابو الليث فى آخر سورة النور عند قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اى لا تدعوا محمدا صلى الله عليه وسلم باسمه ولكن وقروه وعظموه وقولوا يا رسول الله و يا نبى الله و يا ابا القاسم وفى الآية بيان توقير معلم الخير فامر الله تعالى بتوقيره وتعظيمه وفيه معرفة حق الاستاذ وفيه معرفة حق اهل الفضل اه اقول ولذا يطلق على اهل الارشاد عند ذكرهم ألفاظ دالة على تعظيمهم على اى لغة كانت لانه اذا ورد النهى عن التصريح باسماء الآباء الصورية لكونه سوء ادب فما ظنك بتصريح اسماء الآباء المعنوية والمعنى يا ايها المبلغ عن الله او المخبر أو يا صاحب علو المكانة والزلفى لان لفظ النبى ينبئ عن الانباء والارتفاع (جاهد الكفار) اى المجاهرين منهم بالسيف والجهاد عبارة عن بذل الجهد فى صرف المبطلين عن الكفر وارشادهم الى الحق (والمنافقين) بالحجة واقامة الحدود فانهم كانوا كثيرى التعاطى للاسباب الموجبة للحدود ولا تجوز المحاربة معهم بالسيف لان شريعتنا تحكم بالظاهر وهم يظهرون الاسلام و ينكرون الكفر (واغلظ عليهم) اى على الفريقين جميعا فى ذلك واعنف بهم ولا ترفق ٭ هست نرمى آفت جان سمور ٭ وزدرشتى ميبرد جان خارپشت ٭ قال عطاء نسخت هذه الآية كل شئ من العفو والصفح لان لكل وقت حكما (ومأواهم جهنم) جملة مستأنفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله (وبئس المصير) اى بئس الموضع موضعهم الذى يصيرون اليه ويرجعون والفرق بين المرجع والمصير ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع وفى الحديث (اوصيك بتقوى الله فانها رأس امرك) يعنى اصل الطاعة وهو الخوف من الله تعالى فان المرء لا يميل الى الطاعة ولا يرغب عن المعصية الا بالتقوى فاذا غرس شجرة التقوى فى القلب تميل اطراف الانسان الى جانب الحسنات ولا يقدم على ارتكاب السيئات (وعليك بالجهاد فانه رهبانية امتى) الرهبانية الخصال المنسوبة الى الرهبان من التعبد فى الصوامع والغيران وترك اكل اللحم والطيبات ولبس الخشن من الثياب فقد افاد النبى عليه السلام ان الثواب الذى يحصل للامم السالفة بالرهبانية يحصل لهذه الامة المرحومة بالغزو وان لم يترهبوا بل رب آكل ما يشتهيه خير من صائم نبت حب الدنيا فيه (قال السعدى) خورنده كه خيرى برآيد زدست ٭ به ازصائم الدهر دنيا پرست ٭ قال الاوزاعى خمس كان عليها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لزوم الجماعة واتباع السنة وعمارة المسجد وتلاوة القرآن والجهاد فى سبيل الله وفى الحديث افضل رجال امتى الذين يجاهدون فى سبيل الله وافضل نساء امتى اللاتى لا يخرجن من البيوت الا لامر لا بد لهن منه وفى الحديث اتقوا اذى المجاهدين فى سبيل الله فان الله تعالى يغضب لهم كما يغضب للرسل و يستجيب لهم كما يستجيب للرسل وفى الحديث اذا اخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم دل هذا على ان ترك الجهاد والاعراض عنه والسكون الى الدنيا خروج من الدين وكفى بهذا اثما وذنبا مبينا وفى الآية اشارة الى القلب الذى له نبأ من مقام الانبياء يأمره بالجهاد مع كفار النفس وصفاتها وهذا مقام المشايخ يجاهدون مع نفوسهم ونفوس مريدهم كما قال عليه السلام الشيخ فى قومه كالنبى فى امته (قال فى المثنوى) گفت پيغمبر كه شيخى رفته پيش ٭ چون نبى باشد ميان قوم خويش ٭ فامر بالجهاد مع كافر النفس وصفاتها بسيف الصدق فجهاد النفوس بمنعها عن شهواتها واستعمالها فى عمل الشريعة على خلاف

الطبيعة والنفوس بعضها كفار لم يسلموا اى لم يستسلموا للمشايخ فى تربيتها لجهادها بالدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبعضها منافقون وهم الذين ادعوا الارادة والاستسلام للمشايخ فى الظاهر ولم يعرفوا اجماعا هدوا عليه لجهادها بالزامها مقاساة شدآئد الرياضات فى التزكية على قانونها ممتثلة اوامر الشيخ ونواهيه ولو يرى عليها الاباء والامتناع فلا ينفعها الا التشديد والغلظة كما قال تعالى واغلظ عليهم فالواجب ان يبالغ فى مخالفتها ومؤاخذتها فى احكام الطريقة فان فاءت الى امر الله فهو المراد والا استوجبت لما خلقت له ومأواهم جهنم اى مرجعهم جهنم البعد ونار القطيعة وبئس المصير مرجعهم كذا فى التأويلات النجمية فعلى السالك ان يجاهد مع هواه اولا فان السلطان يلزم عليه ان يحارب البغاة الذين فى مملكته ثم الذين وراءهم من الكفار نسأل الله تعالى ان يقوينا وينصرنا على القوم الكافرين ايا ما كانوا (يحلفون بالله ما قالوا) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصارى للجلاس اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمير فبلغ ذلك رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل قبل ان يتفرقوا بهذه الآية وصيغة الجمع فى قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم لرضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل (ولقد قالوا كلمة الكفر) هى ما حكى آنفا (وكفروا بعد اسلامهم) اى واظهروا ما فى قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) الهم بالشئ فى اللغة مقاربته دون الوقوع فيه اى قصدوا الى ما لم يصلوا الى ذلك من قتل الرسول وذلك ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه عليه السلام من تبوك على ان يفتكوا به فى العقبة التى هى بين تبوك والمدينة فقالوا اذا اخذ فى العقبة دفعناه عن راحلته الى الوادى فاخبر الله تعالى رسوله بذلك فلما وصل الجيش الى العقبة نادى منادى رسول الله ان رسول الله يريد ان يسلك العقبة فلا يسلكها احد واسلكوا بطن الوادى فانه اسهل لكم واوسع فسلك الناس بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة فلما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا وسلكوا العقبة وامر عليه السلام عمار بن ياسر رضى الله عنه ان يأخذ بزمام الناقة يقودها وامر حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ان يسوقها من خلفها فبينماهما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فرجع اليهم ومعه محجن فجعل يضرب به وجوه رواحلهم وقال اليكم اليكم يا اعداء الله اى تنحوا عن رسول الله وتنحوا فهربوا وفى رواية انه عليه السلام خرج بهم فولوا مدبرين فعلموا انه عليه السلام اطلع على مكرهم فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع حذيفة يضرب الناقة فقال عليه السلام هل عرفت احدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم ملثمين والليلة مظلمة فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء اليه اسيد بن حضير رضى الله عنه فقال يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان اسهل من سلوك العقبة فقال أتدرى ما اراد المنافقون وذكر له القصة فقال يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن ان يقتل الرجل الذى هم بهذا فان احببت بين باسمائهم والذى بعثك بالحق لا ابرح حتى اتيك برؤسهم فقال انى اكره ان يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا اظهره الله بهم اقبل عليهم يقتلهم فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا باصحاب فقال عليه السلام أليس يظهرون الشهادة ودعا عليهم رسول الله فقال اللهم ارمهم بالدبيلة وهى سراج من نار يظهر بين اكتافهم حتى ينجم من صدورهم وفى لفظ شهاب من نار يقع على نياط قلب احدهم فيهلكه (وما نقموا) قال فى القاموس نقم الامر كرهه اى وما كرهوا وما عابوا وما انكروا شيأ من الاشياء (الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى غاية ما يكون من شدة العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم اى استغنوا وكثرت اموالهم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى (قال سعدى چلبى) يجوز ان يكون زيادة الالفين شنقا اى تكرما لانهم كانوا يعطون الدية ويتكرمون بزيادة عليها ويسمونها شنقا انتهى وهذا الكلام من قبيل قولهم مالى عندك ذنب الا احسانى اليك اى ان كان ثمة ذنب فهذا هو تهكم بهم وتوبيخ

وقيل

وقيل الضمير فى اغناهم للمؤمنين اى غاظهم اغناؤه للمؤمنين كذا قال ابن عبد السلام (فان يتوبوا) عما هم عليه من الكفرة والنفاق (يك) ذلك التوب (خيرا لهم) فى الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلاس يارسول الله لقد عرض الله علىّ التوبة والله لقد قلت وصدق عامر بن قيس فتاب جلاس وحسنت توبته (وان يتولوا) اى استمروا على ما كانوا عليه من التولى والاعراض عن الدين (يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا) بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات (والآخرة) بالنار وغيرها من افانين العقاب (وما لهم فى الارض) مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما نفى بقوله تعالى (من ولى) دوستى كه دست كيرد (ولا نصير) ونه يارى كه عذاب ايشان بازدارد اى ينقذهم من العذاب بالشفاعة والمدافعة فالعاصى لا ينجو من العذاب وان كان سلطانا ذا منعة الا بالاستغفار من الذنوب واخلاص التوحيد والتوجه الى علام الغيوب (حكى) عن محمد بن جعفر انه قال كنت مع الخليفة فى زورق فقال الخليفة انا واحد وربى واحد فقلت له اسكت يا امير المؤمنين لو قلت ما قلت مرة اخرى لنغرق جميعا قال لم قلت لانك لست بواحد انما انت اثنان الروح والجسد من الاثنين الاب والام فى الاثنين الليل والنهار بالاثنين الطعام والشراب مع الاثنين الفقر والعجز والواحد هو الله الذى لا اله الا هو وقال حكيم لاصحاب الجنة ثلاثة اشياء يدخلون بها الجنة قول لا اله الا الله محمد رسول الله والاستغفار من الذنوب والندم عليها وتحميد الله تعالى فى الدنيا وان اول ما يقولون اذا دخلوا الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن اى حزن القبر والكتاب والنيران ان ربنا الغفور للذنوب والمعصية شكور لقليل العمل والطاعة وفى الحديث امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله (قال المولى الجامى) دلت آينهٔ خداى نماست * روى آينهٔ تو تيره چراست * صيقلى وارصيقلى ميزن * باشد آينه آت شود روشن * صيقل آن اكرنه آكاه * نيست جز لا اله الا الله * وفى قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اشارة الى ان بعض المريدين عند استيلاء النفوس وغلبة هواها وظفر الشيطان بهم شأنهم ان ينكروا على مشايخهم ويقولوا فى حقهم كلمة الكفر اى كلمة الانكار والاعتراض ويعرضوا عنهم بقلوبهم بعد الارادة والاستسلام فاذا وقف المشايخ على احوال ضمائرهم وخلل الارادة فى سرائرهم يحلفون بالله انهم ما قالوا وما انكروا وهموا بما لم ينالوا يعنى وهم بعضهم ان يثبت لنفسه مرتبة الشيخوخة قبل اوانها ويظهر الدعوة الى نفسه وان لم ينلها وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله اى وما انكروا على الشيخ وخرجوا من امره الا كون الشيخ غنى بلبان فضل الله عن حلمة الولاية ليروا آثار الرشد على انفسهم فلم يحتملوا لضيق حوصلة الهمة فزين لهم الشيطان سوء اعمالهم فأصمهم بذلك واعمى ابصارهم فان يتوبوا يرجعوا الى ولاية الشيخ بطريق الالتجاء يك خيرا لهم بأن يتخلصوا من غيرة الولاية وردها فانها مهلكة ويتمسكوا بحبل الارادة فانها منجية وان يتولوا اى يعرضوا عن ولاية الشيخ يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة بعد رد الولاية فان مرتد الطريقة اعظم ذنبا من مرتد الشريعة قال الجنيد لو أقبل صديق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله فأما عذابه فى الدنيا فبسلب الصدق والرد عن باب الطلب وارخاء الحجاب وذله وتقوية الهوى وتبديل الاخلاص بالرياء والحرص على الدنيا وطلب الرفعة والجاه واما عذابه فى الآخرة فباشتعال نيران الحسرة والندامة على قلبه المعذب بنار القطيعة وهى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير يشير الى ان من ابتلى برد ولاية شيخ كامل ولو امتلأت الارض بالمشايخ وارباب الولاية وهو تمسك بذيل ارادتهم غير ان شيخه رده لا يمكن لاحدهم اعانته واخراجه من ورطة الرد الا ما شاء الله كما فى التأويلات النجمية (ومنهم) اى من المنافقين (من عاهد الله) المعاهدة المعاقدة واليمين (لئن آتانا) اى الله تعالى (من فضله) از فضل خود مالى (لنصدقن) اى لنؤتين الزكاة وغيرها من الصدقات وأصله لنتصدقن ادغمت التاء فى الصاد والمتصدق معطى الصدقة وسميت صدقة لدلالتها على صدق العبد فى العبودية (ولنكونن من الصالحين) قال ابن عباس رضى الله عنه يريد الحج نزلت فى ثعلبة ابن حاطب الانصارى كان ملازما لمسجد رسول الله ليلا ونهارا وكان يلقب لذلك حمامة المسجد وكانت جبهته كركبة البعير من كثرة السجود على الارض والحجارة المحماة بالشمس ثم جعل يخرج من المسجد كلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفجر بالجماعة من غير لبث واشتغال بالدعاء فقال له عليه السلام يوما مالك صرت تعمل

عمل المنافقين بتجيل الخروج فقال يارسول الله انى فى غاية الفقر بحيث لى ولامرأتى ثوب واحد وهو الذى على وانا اصلى فيه وهى عريانة فى البيت ثم اعود اليها فأنزعه وهى تلبسه فتصلى فيه فادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه السلام ويحك يا ثعلبة وهى كلمة عذاب وقيل كلمة شفقة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال عليه السلام اما ترضى ان تكون مثل نبى الله فوالذى نفسى بيده لو شئت ان تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت واشار الى علم الكيمياء ولكن اعرف ان الدنيا حظ من لا حظ له وبها يغتر من لا عقل له فراجعه وقال يارسول الله والذى بعثك بالحق نبيا لو دعوت الله ان يرزقنى مالا لأودين كل ذى حق حقه فقال عليه السلام اللهم ارزق ثعلبة مالا ثلاث مرات فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها ازقة المدينة فنزل واديا حتى فاتته الجماعة لا يصلى بالجماعة الا الظهر والعصر ثم نمت وكثرت فتنحى مكانا بعيدا حتى انقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه وادى اى وادى واحد بل يسعه اودية وصحارى فخرج بعيدا فقال عليه السلام ياويح ثعلبة فلما نزل قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة استعمل النبى عليه السلام رجلين على الصدقات رجلا من الانصار ورجل من بنى سليم وكتب لهما الصدقة واسنانها وامرهما ان يأخذاها من الناس فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله الله صلى الله عليه وسلم فيه الفرآئض فقال ماهذه الاجزية ماهذه الا أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيى وذلك قوله تعالى (فلما آتاهم) الله تعالى المال (من فضله) وكرمه (بخلوا به) اى منعوا حق الله منه (وتولوا) اى اعرضوا عن طاعة الله والعهد معه (وهم معرضون) وهو قوم عادتهم الاعراض فلما رجعا قال لهما رسول الله قبل ان يكلماه ياويح ثعلبة مرتين فنزلت فركب عمر رضى الله عنه راحلته ومضى الى ثعلبة وقال ويحك يا ثعلبة هلكت قد انزل الله فيك كذا وكذا فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعنى ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه لا لانه تاب عن النفاق بل للحوق العار من عدم قبول زكاته مع المسلمين فقال عليه السلام هذا اى عدم قبول صدقتك عملك اى جزآء عملك اراد قوله هذه جزية امرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى خلافة عثمان رضى الله عنه قال الحدادى لم يقبل منه عثمان صدقته انتهى (فأعقبهم) اى جعل الله عاقبة فعلهم ذلك فالمعنى على تقدير المضاف اى اعقب فعلهم (نفاقا) راسخا (فى قلوبهم) وسوء اعتقاد يقال اعقبه الله خيرا اى صير عاقبة امره ذلك خيرا ويقال اكلت سمكة واعقبتنى سقما اى صيرت تلك الاكلة او السمكة عاقبة امرى سقما (الى يوم يلقونه) اى الى يوم موتهم الذى يلقون الله عنده دل على تأبيد نفاقهم وان البخل ومنع حق الله تعالى مما اعطاه اياه يؤدى الى ان يموت وهو منافق ولا يثبت له حكم الاسلام أبدا نعوذ بالله كابليس ترك له امرا واحدا فطرده عن بابه وضرب وجهه بعبادته ثمانين ألف سنة ولعنه الى يوم الدين وأعدله عذابا اليما أبد الآبدين (قال الحافظ) زاهد أيمن مشو از بازى غيرت زنهار كه ره از صومعه تا دير مغان اين همه نيست (بما اخلفوا الله ما وعدوه) بسبب اخلافهم ماوعدوه من التصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) اى لكونهم مستمرين على الكذب فى جميع المقالات التى من جملتها وعدهم المذكور (ألم يعلموا) اى من عاهد والله والاستفهام للتقرير اى قد علموا (ان الله يعلم سرهم) اى ما اسروه فى انفسهم من العزم على الاخلاف ولم يتكلموا به سرا ولا جهرا (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من تسمية الزكاة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه والتناجى با يكديكر راز كردن يقال نجاه نجوى وناجاه مناجاة ساره والنجو السر كالنجى (وان الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شئ من الاشياء فكيف يجترئون على ما هم عليه من النفاق والعزم على الاخلاف * مكن انديشة عصيان چو ميدانى كه ميداند * مبين در روى اين وآن چو ميدانى كه مى بيند * وفى الآيات اشارات * منها ان من نذر نذرا فيه قربة نحو أن يقول ان رزقنى الله الف درهم فعلى ان اتصدق بخمسمائة لزمه الوفاء به ومن نذر ما ليس بقربة او بمعصية كقوله نذرت ان ادخل الدار او قال لله على ان اقتل فلانا اليوم فحنث يلزمه الكفارة وهى عتق رقبة او اطعام عشرة مساكين او كسوتهم فالواجب واحد من هذه الثلاثة والعبد مخير فيه فان عجز عن احد هذه الاشياء الثلاثة صام ثلاثة ايام متتابعات وان علق النذر بشرط يريد وجوده نحو ان يقول ان قدم فلان او ان قدمت من سفرى او ان شفى

الله مريضى اوقضى دينى فلله على صيام اوصدقة اوان ملكت عبدا اوهذا العبد فعلى ان اعتقه يلزمه الوفاء بما نذر لانه نذر بصيغته وليس فيه معنى اليمين وان علقه بشرط لا يريد وجوده كقوله ان كلمت فلانا اودخلت الدار فعلى صوم سنة يجزئه كفارة يمين والمنذور اذا كان له اصل فى الفروض اى واجب من جنسه لزم الناذر كالصوم والصلاة والصدقة والاعتكاف ومالا اصل له فى الفروض فلا يلزم الناذر كعيادة المريض وتشييع الجنازة ودخول المسجد وبناء القنطرة والرباط والسقاية وقرآءة القرآن ونحوها والاصل فيه ان ايجاب العبد معتبر بايجاب الله تعالى تحصيلا للمصلحة المعلقة بالنذر والنذر الغير المعلق لا يختص بزمان ومكان ودرهم وفقير بخلاف المعلق فلو قال الناذر على أن اتصدق فى هذا اليوم بهذا الدرهم على هذا الفقير فتصدق غدا بدرهم آخر على غيره اجزأه عندنا ولا يجزئه عند زفر واعلم ان المساجد الثلاثة المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى لكونها ابنية الانبياء عليهم السلام لها فضيلة تامة ولهذا قال الفقهاء لو نذر أن يصلى فى احد هذه الثلاثة تعين بخلاف سائر المساجد فان من نذر ان يصلى فى احدها له ان يصلى فى الآخر * ومنها ان النفاق عبارة عن الكذب وخلف الوعد والخيانة الى ما ائتمن كما ان الايمان عبارة عن الصدق وملازمة الطاعة لان الله تعالى خلق الصدق فظهر من ظله الايمان وخلق الكذب فظهر من ظله الكفر والنفاق وفى الحديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان يعنى من يحدث عالما بأنه كذب وتعهد عازما على عدم الوفاء وينتظر الامانة للخيانة ولعل هذا يكون فى حق من اعتاد بهذه الخصال لا فى حق من ندرت منه كما هو مذهب البخارى وبعض العلماء ومذهب الجمهور على ان هذه الخصال خصال المنافقين وصاحبها شبيه لهم فاطلاق اسم المنافق عليه على سبيل التجوز تغليظا كما ان الله تعالى قال ومن كفر مكان ومن لم يحج لكمال قبحه قال صاحب التحفة ليس الغرض ان آية المنافق محصورة فى الثلاث بل من ابطن خلاف ما اظهر فهو من المنافقين واعلم ان المنافقين صنفان صنف معلنوا الاسلام ومسروه فى بدء الامر وذلك لغلبة صفات النفاق وقوتها فى النفس وصنف معلنوا الاسلام ومسروه فى بدء الامر الى ان استعملوا هذه الصفات المستكنة فى النفس فيظهر بالفعل كما كان بالقوة وذلك لضعفها فى النفس فيعقبهم النفاق الى الابد بالشكوك الواقعة فى قلوبهم وهم عن هذا النوع من النفاق غافلون وهم يصومون ويصلون ويزعمون انهم مسلمون قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج فضلناهم يقول الفقير سامحه الله القدير هذا الكلام بالنسبة الى ذلك الوقت ولو انه رأى وزرآء آل عثمان ووكلاءهم فى هذا الزمان لوجدهم ارجح من كل منافق لانه بلغ نفاقهم الى حيث اخذوا الرشوة من الكفار ليسامحوهم فى مقاتلتهم ومحاربتهم خذلهم الله ودمرهم * ومنها ذم البخل والحرص على الدنيا وفى الحديث ثلاثة لا يحبهم الله ورسوله وهم فى لعنة الله والملائكة والناس اجمعين البخيل والمتكبر والاكول وفى الحديث ويل للاغنياء من الفقرآء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا عليهم فيقول الله تعالى بعزتى وجلالى لأبعدنهم ولأقربنكم (قال الحافظ)

كنج قارون كه فرو ميرود ازقهر هنوز * خوانده باشى كه هم ازغيرت درويشانست * وفى الحديث ما جبل ولى لله الا على السخاء واجود الاجواد هو الله تعالى الا ترى انه كيف خلع خلعة الوجود على عامة الكائنات مجانا وانعم عليهم انواع النعم الظاهرة والباطنة اى حيث منع الخلق عن المهالك كالشهوات لا بخلا بل شوقا الى اللذات الباقية (الذين) رفع على الذم اى المنافقون هم الذين (يلمزون) قال فى القاموس اللمز العيب والاشارة بالعين ونحوها اى يعيبون ويغتابون (المطوعين) اى المتطوعين المتنفلين (من المؤمنين) حال من المطوعين (فى الصدقات) متعلق بيلمزون (روى) ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم حين اراد الخروج الى غزوة تبوك يحث الناس على الانفاق والاعانة فى تجهيز العسكر فكان اول من جاء بالصدقة ابو بكر الصديق رضى الله عنه جاء بجميع ماله اربعة آلاف درهم فقال له رسول الله هل أبقيت لاهلك شيأ قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنصف ماله فقال له عليه السلام هل أبقيت لاهلك شيأ قال النصف الثانى فقال ما بينكما ما بين كلاميكما ومنه يعرف فضل ابى بكر على عمر رضى الله عنه وأنفق عثمان بن عفان رضى الله عنه نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها فانه جهز عشرة آلاف أنفق عليها عشرة آلاف دينار وصب فى حجر النبى عليه السلام الف دينار واعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرسا وعند ذلك قال صلى الله

عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض وفى الحديث سألت ربى ان لايدخل النار من صاهرته او صاهرنى وقد كان عليه السلام زوج بنته رقية من عثمان فماتت بعد ماخرج رسول الله الى بدر فلما رجع من بدر زوجه ام كلثوم ولذا سمى عثمان بذى النورين ولما ماتت ام كلثوم قال عليه السلام لوكان عندى ثالثة لزوجتكها وجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بأربعة آلاف درهم فقال عليه السلام بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت فبارك الله له حتى بلغ ماله حين مات وصولحت احدى نسائه الاربع عن ربع ثمنها على ثمانين ألف درهم ونيف فكان ثمن ماله اكثر من ثلاثمائة ألف وعشرين ألفا وفى رواية جاء باربعين اوقية من ذهب ومن ثمة قيل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف كانا خزانتين من خزائن الله فى الارض ينفقان فى طاعة الله تعالى وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر والوسق ستون صاعا بصاع النبى عليه السلام وهو اربعة امداد وكل مدّ رطل وثلث رطل بالبغدادى عند ابى يوسف والشافعى والرطل مائة وثلاثون درهما وعند ابى حنيفة كل مد رطلان وبعثت النساء بكل مايقدرن عليه من حليهن وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع من تمر وقال يارسول الله بت ليلتى كلها اجر بالجرير على صاعين اما احدهما فامسكته لعيالى واما الآخر فأقرضته ربى فأمره رسول الله ان ينثره فى الصدقات فطعن فيهم المنافقون وقالوا ماأعطى عبد الرحمن وعاصم الارياء وسمعة وان اباعقيل جاء ليذكر بنفسه ويعطى من الصدقة بأكثر مما جاء به وان الله لغنى عن صاع ابى عقيل فأنزل الله هذه الآية (والذين لايجدون الاجهدهم) عطف على المطوعين اى ويلمزون الذين لايجدون الاطاقتهم من الصدقة قال الحدادى عابوا المكثر بالرياء والمقل بالاقلال يقال الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضم الطاقة وقيل الجهد فى العمل والجهد فى القوة (فيسخرون منهم) عطف على يلمزون اى يستهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الاخير كأبى عقيل (سخر الله منهم) اى جازاهم على سخريتهم فيكون تسمية جزاء السخرية سخرية من قبيل المشاكلة لوقوعه فى صحبة قوله فيسخرون منهم (ولهم) اى ثابت لهم (عذاب اليم) على كفرهم ونفاقهم * اى كه دارد نفاق اندر دل * خار بادش خليده اندر حلق * هركه سازد نفاق پيشه خويش * خوار كردد بنزد خالق وخلق * قال الحدادى ولما نزلت هذه الآية اتى المنافقون الى رسول الله وقالوا يارسول الله استغفر لنا فكان عليه السلام يستغفر لقوم منهم على ظاهر الاسلام من غير علم منه بنفاقهم وكان اذا مات احد منهم يسألون رسول الله الدعاء والاستغفار لميتهم فكان يستغفر لهم على انهم مسلمون فأعلمه الله انهم منافقون واخبر أن استغفاره لا ينفعهم فذلك قوله تعالى (استغفر لهم اولا تستغفر لهم) خرج الكلام مخرج الامر ومعناه الشرط اى ان شئت استغفر لهم وان شئت لاتستغفر فالامران متساويان فى عدم النفع الذى هو المغفرة والرحمة (ان تستغفر لهم سبعين مرة) قوله مرة انتصب على المصدر اى سبعين استغفارة او على الظرف اى سبعين وقتا وتخصيص السبعين بالذكر اما لتأكيد نفى المغفرة لان الشئ اذا بولغ فى وصفه اكد بالسبع والسبعين وهذا كما يقول القائل لوسألتنى حاجتك سبعين مرة لم أقضها لا يريد انه اذا زاد على السبعين قضى حاجته فالمراد التكثير لا التحديد (فلن يغفر الله لهم ذلك) اى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة فى الاستغفار ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل (بأنهم) اى بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله) اى كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق فى قوله تعالى (والله لا يهدى القوم الفاسقين) فان الفسق فى كل شئ عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اى لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التى عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على مايوصل اليه فهى متحققة لامحالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وفيه اشارة الى ان استغفار النبى عليه السلام لاحد من غير استغفاره لنفسه لا ينفعه فاليأس من المغفرة وعدم قبول استغفاره ليس لبخل من الله ولا لقصور فى النبى عليه الصلاة والسلام بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها كما قال المولى جلال الدين فى شرح الهيا كل المحال لايدخل تحت قدرة قادر ولا يلزم من ذلك النقص فى القادر بل النقص فى المحال حيث لايصلح لتعلق القدرة انتهى ومنه يعرف معنى قول العرفى الشيرازى * ذات تو قادر ست بايجاد هر محال * الا بافريدن جون تو يكانه * وفى عبارته سوء ادب كما لا يخفى واعلم ان من كفرهم وفسقهم سخريتهم فى امر الصدقات ولو كان لهم ايمان واصلاح لبالغوا فى الانفاق وجدوا فى البذل كالمخلصين

وفى التأويلات النجمية قلب المؤمن منور بالايمان وروحه متوجه الى الحق تعالى فالحق يؤيد روحه بتأييد نظر العناية وتوفيق العبودية فيسطع من الروح نور روحانى مؤيد بنور ربانى فتنبعث منه الخواطر الرحمانية الداعية الى الله تعالى بأعمال موجبة للقربة من الفرائض والنوافل فتارة تكون الاعمال بدنية كالصوم والصلاة وتارة تكون تلك الاعمال مالية كالزكاة والصدقة فيتطوع بالصدقة فضلا عن الزكاة وفى الحديث ان النافلة هدية المؤمن الى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها وقلب المنافق مظلم بظلمات صفات النفس لعدم نور الايمان وروحه متوجه الى الدنيا وزخارفها بتبعية النفس الامارة بالسوء مطرود بالخذلان لان قرينه الشيطان فيتأثر بالخذلان ومقارنة الشيطان يصعد من النفس ظلمة نفسانية تمنع القلب من قبول الدعوة واجابة الرسل واتباع الاوامر واجتناب النواهى بالصدق وتنبعث منه الخواطر الظلمانية النفسانية وبذلك يمتنع عن اداء الفرائض فضلا عن النوافل والتطوعات ويهزأ بمن يفعل ذلك روى ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فأراه اياه فى المنام فلما رأى عظمته غشى عليه فلما أفاق قال الهى من الذى يقدر أن يملأ كفته من الحسنات فقال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى املأتها بتمرة وروى ان الحسن مرّ به نخاس ومعه جارية جميلة فقال للنخاس أترضى فى ثمنها بدرهم أو درهمين قال لا قال فاذهب فان الله يرضى فى الحور العين بالفلس والفلسين (قال السعدى) بدنيا توانى كه عقبى خرى * بخرجان من ورنه حسرت خورى * واعلم ان النوافل مقبولة بعد اداء الفرائض والافهى من علامات اهل الهوى (فرح المخلفون) المخلف ما يتركه الانسان خلفه والمتخلف الذى تأخر بنفسه والمراد المنافقون الذين خلفهم النبى عليه السلام بالمدينة حين الخروج الى غزوة تبوك بالاذن لهم فى القعود عند استئذانهم (بمقعدهم) مصدر ميمى بمعنى القعود متعلق بفرح اى بقعودهم وتخلفهم عن الغزو (خلاف رسول الله) ظرف للمصدر اى خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا فالخلاف بمعنى خلف كما فى قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا يقال أقام زيد خلاف القوم اى تخلف عنهم بعد ذهابهم ظعن أولم يظعن ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة لفرح اى فرحوا لاجل مخالفتهم اياه عليه السلام بأن مضى هو للجهاد وتخلفوا عنه (وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله) ايثارا للدعة والخفض اى الراحة وسعة العيش على طاعة الله مع ما فى قلوبهم من الكفر والنفاق وفى ذكر الكراهة بعد الفرح الدال عليها تعريض بالمؤمنين الذين بذلوا اموالهم وانفسهم فى سبيل الله وآثروا تحصيل رضاه تعالى وفى قوله كرهوا مقابلة معنوية مع فرح لان الفرح من ثمرات المحبة (وقالوا) اى قال بعضهم لبعض تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او قالوا للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا لهم عن المعروف فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهة الجهاد ونهى الغير عن ذلك (لا تنفروا) اى لا تخرجوا (فى الحر) فانه لا تستطاع شدته وكانوا دعوا الى غزوة تبوك فى وقت نضج الرطب وهو أشد ما يكون من الحر وقول عروة بن الزبير ان خروجه عليه السلام لتبوك كان فى زمن الخريف لا ينافى وجود الحر فى ذلك الزمن لان اوائل الخريف وهو الميزان يكون فيه الحر وكان ممن تخلف عن مسيره معه صلى الله عليه وسلم ابو خيثمة ولما سار عليه السلام اياما دخل ابو خيثمة على اهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشتين لهما فى حائط قد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيأت طعاما فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر وابو خيثمة فى ظل وماء بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا ادخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله فهيئا الى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحلها واخذ سيفه ورمحه ثم خرج فى طلب رسول الله حتى ادركه (قال الحافظ) ملول ازهمرهان بودن طريق كاردانى نيست * بكش دشوارئ منزل بياد عهد آسانى (وقال) مقام عيش ميسر نميشود بى رنج * بلى بحكم بلا بسته اند حكم ألست (وقال) من ازديار حبيبم نه ازديار غريب * مهيمنا بعزيزان خود رسان باشم (قل) ردا عليهم وتجهيلا (نار جهنم اشد حرا) من هذا الحر وقد آثرتموها بهذه المخالفة فما لكم لا تحذرونها (لو كانوا يفقهون) اى يعلمون انها كذلك لما خالفوا وفى الحديث ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من اجزاء نار جهنم وبيانه انه لو جمع حطب الدنيا فأوقد كله حتى صار نارا لكان الجزء الواحد من اجزاء نار جهنم الذى هو من سبعين جزأ اشد من حر نار الدنيا وفى الخبر لما اهبط

آدم عليه السلام مضى جبرائيل الى مالك واخذ منه جمرة لآدم فلما تناولها احرقت كفه فقال ماهذه يا جبرائيل
قال جمرة من جهنم غسلتها سبعين مرة ثم آتيتها اليك فألق عليها الحطب واخبز وكل ثم بكى آدم وقال كيف تقوى
اولادى على حرّها فقال له جبرائيل ليس لها على اولادك المطيعين من سبيل كما ورد فى الحديث تقول جهنم
للمؤمن جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى ومن كان مع الله لا يحرقه شئ ألا ترى الى حال النبى عليه السلام
ليلة المعراج كيف تجاوز عن كرة الاثير ولم يحترق منه شعر وكانت النار بردا وسلاما على ابراهيم عليه السلام
(فليضحكوا) ضحكا (قليلا) فى الدنيا وهو اشارة الى مدة العمر وعمر الدنيا قليل فكيف عمر من فى الدنيا فانه اقل
من القليل (وليبكوا) بكاء (كثيرا) فى الآخرة فى النار (جزاء) مفعول له للفعل الثانى اى ليبكوا جزاء (بما كانوا
يكسبون) من فنون المعاصى وهذا لفظ امر ومعناه خبر أى يضحكون قليلا ويبكون دائما وانما اخرج فى صورة
الامر للدلالة على تحتم وقوع الخبر به فان امر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به (روى) ان اهل
النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وفى الحديث يرسل الله البكاء على اهل النار
فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى ترى وجوههم كهيئة الاخدود ويجوز ان يكون الضحك
كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام يعنى فردا ايشانرا
غمى باشد بى فرح واوهى بى سرور فيكون وقت الضحك والبكاء فى الآخرة ويجوز ان يكون وقتهما فى الدنيا
اى هم لما هم عليه من الخطر مع رسول الله وسوء الحال بحيث ينبغى ان يكون ضحكهم قليلا وبكاؤهم من اجل
ذلك كثيرا نحو قوله عليه السلام لامته لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا قال ابن عمر رضى الله عنهما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم فقال اكثروا ذكر
هاذم اللذات قلنا وما هاذم اللذات قال الموت (قال الصائب) برغفلت سياه دلان خنده ميزند * غافل مشو
زخنده دندان نماى صبح * ومرّ الحسن البصرى بشاب وهو يضحك فقال له يا بنى هل مررت على الصراط فقال لا
فقال هل تدرى الى الجنة تصير ام الى النار قال لا قال ففيم هذا الضحك فما رؤى الفتى بعد ذلك يضحك (قيل) لما
فارق موسى الخضر عليهما السلام قال اياك واللجاجة ولا تكن مشاء الا لحاجة ولا ضاحكا من غير عجب كان وابك
على خطيئتك يا ابن عمران قال محمد بن واسع اذا رأيت رجلا فى الجنة يبكى ألست تتعجب من بكائه قال بلى قال
فالذى يضحك فى الدنيا ولا يدرى الى م يصير هو اعجب منه وعن وهب بن منبه انه قال ان زكريا عليه السلام فقد
ابنه يحيى عليه السلام فوجده مضطجعا على قبر يبكى فقال يا بنى ما هذا البكاء قال أخبرتنى أمى ان جبريل اخبرك
ان بين الجنة والنار مفازة ذات لهب لا يطفئ حرّها الا الدمع فقال زكريا ابك يا بنى ابك وعن كعب الاحبار أنه
قال ان العبد لا يبكى حتى يبعث الله اليه ملكا فيمسح كبده بجناحه فاذا فعل ذلك بكى وعن انس قال ثلاثة اعين
لا تمسها النار عين فقئت فى سبيل الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله وعين دمعت من خشية الله وفى الحديث
لأن ادمع دمعة من خشية الله احب الىّ من ان أتصدق بألف دينار وفى التوراة يا ابن آدم اذا دمعت عيناك فلا
تمسح الدموع بثوبك ولكن امسحها بكفك فانها رحمة قال العلماء البكاء على عشرة انواع بكاء فرح وبكاء حزن
وبكاء رحمة وبكاء خوف مما يحصل وبكاء كذب كبكاء النائحة لانها تبكى لشجو غيرها وجاء تخرج النائحة من قبرها
يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من جرب وضعت يدها على رأسها تقول واويلاه وتنبح كما
ينبح الكلب وبكاء موافقة بأن يرى جماعة يبكون فيبكى مع عدم علمه بالسبب وبكاء المحبة والشوق وبكاء الجزع
من حصول ألم لا يحتمله وبكاء الجور والضعف وبكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب قاس واما التباكى فهو
تكلف البكاء وهو نوعان محمود ومذموم والاول ما يكون لاستجلاب رقة القلب والثانى ما يكون لاجل الرياء
والسمعة كما فى انسان العيون والحاصل ان طالب الآخرة ينبغى له تقليل الضحك وتكثير البكاء ولا يغفل عن الموت
ولقاء الجزاء فانه كم ضاحك وكفنه عند القصار (قال الحافظ) ديد آن قهقهه كبك خرامان حافظ * كه زسر
پنجه شاهين قضا غافل بود (فان رجعك الله) من الرجع المتعدى دون الرجوع اللازم يقول رجع رجوعا اى
انصرف ورجع الشئ عن الشئ اى صرفه ورده كارجعه والمعنى فان ردك الله من غزوة تبوك (الى طائفة منهم)
الطائفة من الشئ القطعة منه وضمير منهم الى المنافقين المتخلفين فى المدينة دون المتخلفين مطلقا منافقا كان
او مخلصا فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقى من المنافقين لان منهم من مات

ومنهم من غاب عن البلد ومنهم من تاب ومنهم من لم يستأذن وعن قتادة انهم كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم ما قيل (فاستأذنوك للخروج) معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه وهى تبوك (فقل لن تخرجوا معى ابدا) اى لا تأذن لهم بحال وهو اخبار فى معنى النهى للمبالغة وكذا قوله (ولن تقاتلوا معى عدوا) من الاعداء (انكم) تعليل لما سلف اى لانكم (رضيتم بالقعود) اى عن الغزو وفرحتم بذلك (اول مرة) هى الخرجة الى غزوة تبوك وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هى كبرى امرأة او اولى مرة (فاقعدوا) من بعد (مع الخالفين) اى المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان فى الخالفين تغليب الذكور على الاناث فان قيل كانت اعمال المنافقين من الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد مقبولة عند النبى عليه السلام وان لم تكن مقبولة عند الله تعالى فكان النبى عليه السلام يقول نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فما الحكمة فى ان الله تعالى امر النبى عليه السلام بأن لا يقبل من المتخلفين اعمالهم من الخروج معه والقتال مع العدو وغير ذلك قلنا ان الحكمة فى ذلك والله اعلم ان المنافقين لما كانوا يظهرون الاسلام والائتمار بأوامر النبى عليه السلام مع ما كانوا يضمرون من الكفر والنفاق كانت اعمالهم مقبولة عند النبى عليه السلام وسرائرهم موكولة الى الله تعالى طمعا فى انابتهم ورجوعهم من النفاق الى الوفاق فلما اظهروا ما اضمروا ردت اليهم اعمالهم فكان الحكم بالظاهر ايضا فافهم قال العلماء اخرجهم الله تعالى من ديوان الغزاة ومحا اساميهم من دفتر المجاهدين وأبعد محلهم من محفل صحبة النبى صلى الله عليه وسلم عقوبة لهم على تخلفهم لما فيه من الاهانة واظهار نفاقهم وبيان انهم ليسوا ممن يتقوى به الدين ويعز الاسلام كالمؤمنين الخلص نسأل الله تعالى صحبة الدين وصحبة اهل الدين الى يوم الدين روى ان زيد بن حارثة كان لخديجة اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله فجاء ابوه يريد شراءه منه فقال عليه السلام ان رضى بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرقبة مع صحبة احب الخلق الى الحق احب الى من الحرية مع مفارقته فقال عليه السلام اذا اختارنا اخترناه فأعتقه وزوجه ام ايمن وبعدها زينب بنت جحش (قال الحافظ) كدايىء درجانان بسلطنت مفروش * كسى زساية اين در بآفتاب رود * والمنافقون لما لم يكن لهم استعداد لهذه الصحبة الشريفة فارقوه عليه السلام فى السفر والحضر لان كل امرئ يصبو الى من يجانس وقدم ناس الى مكة وقالوا قدمنا الى بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم فى يومين قيل كيف قالوا الحق خيارنا بخياركم وشرارنا بشراركم فألف كل شكله (قيل)

واذا الرجال توسلوا بوسيلة * فوسيلتى حبى لآل محمد

(قال الكاشفى) جهاد كار مردان مرد مبارزان ميدان نبرداست ازهر تردامنى اين كار نيايد ونامردى درد مبارزت معركة مجاهدت رانشايد * بابرو همچون زنان رنكى وبوئى بيش كير * ياچو مردان اندر آى وكوى درميدان فكن (قال السعدى) ندهد هوشمند روشن راى * بفرومايه كارهاى خطير * بوريا باف اكرچه بافنده است * نبرندش بكاركاه حرير * ومن بلاغات الزمخشرى لا تصلح الامور الا بأولى الالباب والارحاء لا تدور الا على الاقطاب جمع قطب وهو وتد الرحى (ولا تصل) يا محمد (على احد منهم) اى من المنافقين وهو صفة لاحد (مات) صفة اخرى ويجوز أن يكون منهم حالا من الضمير فى مات كذا فى تفسير ابى البقاء (ابدا) ظرف للنهى اى لا تدع ولا تستغفر لهم أبدا وهو الاظهر وقيل منصوب بمات على ان يكون المعنى لا تصل على احد منهم ميت مات ابدا بأن مات على الكفر فان من مات على الكفر ميت أبدا وان احياءه للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحى وكان حذيفة رضى الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يوما انى مسر اليك سرا فلا تذكرنه انى نهيت ان اصلى على فلان وفلان وعد جماعة من المنافقين ولما توفى رسول الله كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته اذا مات الرجل ممن يظن انه من اولئك اخذ بيد حذيفة فناداه الى الصلاة عليه فان مشى معه حذيفة صلى عليه عمر وان انتزع يده من يده ترك الصلاة عليه (ولا تقم على قبره) اى ولا تقف عند قبره للدفن اوللزيارة والدعاء وكان النبى عليه السلام اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له (انهم كفروا بالله ورسوله) تعليل للنهى على ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل فى حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله وبرسوله مدة حياتهم (قال الحافظ)

بآب زمزم وكوثر سفيد نتوان كرد * كليم بخت كسى راكه بافتند سياه (وقال السعدى) توان پاك كردن زژنك آينه * وليكن نيايد زسنك آينه (وماتوا وهم فاسقون) اى متمردون فى الكفر خارجون عن حدوده (روى) عن ابن عباس ان رئيس المنافقين عبد الله بن ابى بن سلول دعا رسول الله عليه السلام فى مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويصلى عليه اذا مات ويقوم على قبره ثم انه ارسل اليه عليه السلام يطلب منه قميصه ليكفن فيه فأرسل اليه القميص الفوقانى فرده فطلب الذى يلى جلده فقال عمر رضى الله عنه تعطى قميصك للرجس النجس فقال عليه السلام ان قميصى لا يغنى عنه من الله شيأ وارجو من الله تعالى ان يدخل به ألف فى الاسلام وذلك ان المنافقين كانوا لا يفارقون ابن ابى فلما رأوه يطلب منه عليه السلام قميصه يتبرك به ويرجو أن ينفعه القميص فى دفع عذاب الله وجلب رحمته وفضله أسلم ألف من الخزرج وانما قال عليه السلام ان قميصى لا يغنى لعدم الاساس الذى هو الايمان ومثله انما يؤثر عند صلاح المحل ويدل عليه قوله عليه السلام ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فان الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحى بجار السوء وماروى الارض المقدسة لا تقدس احدا انما يقدس المرء عمله وقد ثبت ان عبد الله بن انيس رضى الله عنه لما قتل سفيان بن خالد الهذلى ووضع بين يديه عليه السلام دفع اليه عصا كانت بيده وقال تخصر بهذه فى الجنة اى توكأ عليها فكانت تلك العصا عنده فلما حضرته الوفاة أوصى اهله ان يجعلوها بين جلده وكفنه ففعلوا وثبت انه عليه السلام حلق رأسه الشريف بمعمر بن عبد الله فأعطى نصف شعر رأسه لابى طلحة وفرق النصف الآخر بين الاصحاب شعرة وشعرتين فكانوا يتبركون بها وينصرون ماداموا حاملين اياها ولذا قال فى الاسرار المحمدية لو وضع شعر رسول الله أو عصاه اوسوطه على قبر عاص لنجا ذلك العاصى ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كان فى دار انسان اوبلدة لا يصيب سكانها بلاء ببركته وان لم يشعروا به ومن هذا القبيل ماء زمزم والكفن المبلول به وبطانة استار الكعبة والتكفن بها وكتابة القرآن على القراطيس والوضع فى ايدى الموتى انتهى أقول ان قلت قد ثبت ان فى خزانة السلاطين خصوصا فى خزانة آل عثمان شيأ مما يتبرك به من خرقة النبى عليه السلام وغيرها ورأيناهم قد لا ينصرون ومعهم شئ من لوآئه عليه السلام ويصيب بلدتهم آفات كثيرة قلت ذلك لهتكهم الحرمة ألا ترى ان مكة والمدينة كان لا يدخلهما طاعون فلما هتك السكان حرمتهما دخلهما والله الغفور فلما مات ابن ابى انطلق ابنه وكان مؤمنا صالحا الى النبى عليه السلام ودعاه الى جنازة أبيه فقال له عليه السلام ما اسمك قال الحباب بن عبد الله فقال عليه السلام أنت عبد الله بن عبد الله ان الحباب هو الشيطان اى اسمه كما فى القاموس ثم قال صل عليه وادفنه فقال ان لم تصل عليه يارسول الله لا يصلى عليه مسلم أنشدك الله ان لا تشمت بى الاعداء فأجابه عليه السلام تسلية له ومراعاة لجانبه فقام ليصلى عليه فجاء عمر رضى الله عنه فقام بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلى عليه وقال اتصلى على عدو الله القائل كذا يوم كذا وكذا وكذا وعدّ ايامه الخبيثة فنزلت الآية واخذ جبرائيل عليه السلام بثوبه وقال لا تصل على احد منهم مات ابدا فأعرض عن الصلاة عليه وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضى الله عنه فان الوحى كان ينزل على وفق قوله فى آيات كثيرة منها هذه الآية وهو منصب عال ودرجة رفيعة له فى الدين فلذا قال عليه السلام فى حقه لو لم ابعث لبعثت نبيا يا عمر وقال انه كان فيما مضى قبلكم من الامم محدثون فانه ان كان فى أمتى هذه فانه عمر بن الخطاب رضى الله عنه والمحدث بفتح الدال المشددة هو الذى يلقى فى نفسه الشئ فيخبر به فراسة وهى الاصابة فى النظر ويكون كما قال وكانه حدثه الملأ الاعلى وهذه منزلة جليلة من منازل الاولياء ولم يرد النبى عليه السلام بقوله ان كان فى أمتى التردد فى ذلك لان أمته افضل الامم واذا وجد فى غيرها محدثون ففيها اولى بل اراد به التأكيد لفضل عمر كما يقال ان يكن لى صديق فهو فلان يراد به اختصاصه بكمال الصداقة لا نفى سائر الاصدقاء وقد قيل فى فضيلة عمر رضى الله عنه

له فضائل لا تخفى على احد * الا على احد لا يعرف القمرا

كذا فى شرح المشارق لابن ملك فان قيل كيف يجوز ان يقال انه عليه السلام رغب فى ان يصلى عليه بعد ان علم انه كافر مات على الكفر وان صلاته عليه دعاء له بالمغفرة وقد منعه الله من ان يستغفر للمشركين واعلمه انه لا يغفر للكفار وايضا الصلاة عليه ودفع قميصه اليه توجب اعزازه وهو مأمور باهانة الكفار فالجواب ان الخبيث

لما طلب منه ان يرسل اليه قميصه الذى يمس جلده الشريف ليدفن فيه غلب على ظنه انه قد تاب عن نفاقه وآمن لان ذلك الوقت وقت توبة الفاجر وايمان الكافر فلما رأى منه اظهار الاسلام وشاهد منه هذه الامارات الدالة على اسلامه غلب على ظنه انه صار مسلما فرغب فى ان يصلى عليه فلما أتى جبريل وأخبره بأنه مات على كفره ونفاقه امتنع من الصلاة عليه وقيل نزلت الآية بعد ماصلى ولبث يسيرا فماصلى بعد ذلك على منافق ولاقام على قبره واما دفع القميص اليه فذكروا فيه وجوها * منها ان العباس عم النبى عليه السلام لما أخذ اسيرا يوم بدر ولم يجدوا له قميصا يساوى قده وكان رجلا طويلا كساه عبد الله قميصه فهو عليه السلام انما دفع اليه قميصه مكافأة لاحسانه ذلك لا اعزازا له * ومنها انه تعالى امره ان لا يرد سائلا حيث قال واما السائل فلا تنهر فالضنة بالقميص وعدم ارساله سيما وقد سئل فيه مخل بالكرم * ومنها انه لعله اوحى اليه انك ان دفعت اليه قميصك صار ذلك حاملا لدخول الف نفر من المنافقين فى الاسلام ففعل ذلك بناء عليه والله اعلم بحقيقة الحال وما علينا الا القبول وطى المقال وهو الهادى الى طريق التحقيق (ولا تعجبك) الاعجاب شكفتى نمودن وخوش آمدن خطاب بآن حضرتست وهر ادامت اند يعنى در عجب ندارد شمارا (اموالهم واولادهم) الضمير للمنافقين (قال الكاشفى) مالهاء منافقان اگرچه بسيارست وفرزندان ايشان كه قوى وباقند ارند وتقديم الاموال فى امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعزمنها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لابد منه لكل احد من الآباء والامهات والاولاد فى كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاد فى ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم فى الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية (انما يريد الله) بما متعهم به من الاموال والاولاد (ان يعذبهم بها فى الدنيا) بسبب جمع مال ومحافظت آن پيوسته در رنج باشند وبراى رونق احوال اولاد وتهيه اسباب ايشان همواره محنت ومشقت كشند (وتزهق انفسهم) الزهوق برآمدن جان اى تخرج ويموتوا (وهم كافرون) اى كافرون بسبب اشتغالهم بالتمتع بها والالهاء عن النظر والتدبر فى العواقب * درويشى ميكفت اغنيا اشقى الاشقيا اند مال دنيا جمع ميكنند بانواع پريشانى وزحمت ونكاه ميدارند باصناف بليت ومشقت وميكذارند بصد هزار حسرت * در اول چو خواهى كنى جمع مال * بسى رنج برخويش بايد كماشت * پس از بهر آن تا بماند بجاى * شب وروز مى بايدت پاس داشت * وزين جمله آن حال مشكلترست * كه آخر بحسرت ببايد كذشت * واعلم ان هذه الآية مرت فى هذه السورة الكريمة مع التغاير فى بعض الالفاظ فالتكرير لتأكيد النصيحة بها والاعتناء بشأنها تنبيها على ان هذه النصيحة مما لا ينبغى ان يذهل السامع عنها وان الناصح لابد له ان يرجع اليها فى اثناء كلامه دائما ولاسيما اذا تباعد احد الكلامين عن الآخر بناء على ان الابصار طامحة اى مرتفعة ناظرة الى الاموال والاولاد وان النفوس مغتبطة اى متمنية انهما حريصة عليهما والاموال والاولاد وان كانت نعمة فى حق المؤمنين فانها نقمة فى حق المنافقين لكونها شاغلة لقلوبهم عن الله وطلبه وأشد عذاب القلوب من الحجاب ومن عذب بالحجاب فقد حرم من الايمان كما قال تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون اى مستوروا القلوب بحجاب حب الاموال والاولاد كما فى التأويلات النجمية وفى الحديث الدنيا محفوفة باللذات والشهوات فلا تلهينكم شهوات الدنيا ولذاتها عن الآخرة فانه لادنيا لمن لا آخرة له ولا آخرة لمن لادنيا له يعمل فيها بطاعة الله تعالى يعنى ان المؤمن يتزود لآخرته بالعبادات المالية (واذا انزلت سورة) من القرآن (ان آمنوا بالله) ان مصدرية حذف منها الجار اى بأن آمنوا بالله (وجاهدوا مع رسوله) لاعزاز دينه واعلاء كلمته (استأذنك اولوا الطول منهم) اى ذووا الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا من المنافقين قال الحدادى الطول فى الحقيقة هو الفضل الذى يتمكن به من مطاولة الاعداء قال الرازى فى سورة النساء اصل هذه الكلمة من الطول الذى هو خلاف القصر لانه اذا كان طويلا ففيه كمال وزيادة كما انه اذا كان قصيرا ففيه قصور ونقصان وسمى الغنى ايضا طولا لانه ينال به من المرادات مالا ينال عند الفقر كما انه ينال بالطول مالا ينال بالقصر انتهى (وقالوا ذرنا) دعنا (نكن مع القاعدين) اى الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر (رضوا) اى المنافقون (بأن يكونوا مع الخوالف) اى مع النساء المتخلفات فى البيوت والحى بعد ازواجهن

جمع خالفة فالتاء للتأنيث وقد يقال الخالفة الذى لاخير فيه فالتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية لا للتأنيث واول الوجه فى تسمية من لاخير فيه من الرجال خالفة لكونه غير مجيب الى مادعى اليه من المهمات (وطبع على قلوبهم) ومهرنهاده شده بردلهاء ايشان * قال الحدادى معنى الطبع فى اللغة جعل الشئ كالطابع نحو طبع الدينار والدرهم قال فى المصادر والتركيب يدل على نهاية ينتهى اليها الشئ حتى يختم عندها ويقاس على هذا طبع الانسان وطبيعته وطباعه اى سجيته التى جبل عليها وخص القلب بالختم لانه محل الفهم ولذا قال (فهم لا يفقهون) مافى الايمان بالله وطاعته فى اوامره ونواهيه وموافقة الرسول والجهاد من السعادة ومافى اضداد ذلك من الشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه) بالله وبما جاء من عنده تعالى اى آمنوا كما آمن هو عليه السلام اذ لاشك ان زمان ايمان المؤمنين ما كان مقارنا لزمان ايمان الرسول فهو كقوله تعالى وأسلمت مع سليمان اى اسلام سليمان اى اسلمت كما اسلم سليمان (جاهدوا باموالهم وانفسهم) لكن لم يختل امر الجهاد بتخلفهم لانه قد جاهد من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا (واولئك) وآن كروه (لهم) بواسطة نعوتهم المذكورة (الخيرات) اى منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى العقبى ويجوز أن يكون معناه الزوجات الحسان فى الجنة وهن الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة وخيرات العابدين هى الحسنات فهى متعلقة بأعمالهم وخيرات العارفين مواهب الحق تعالى فهى متعلقة بأحوالهم (واولئك هم المفلحون) اى الفائزون بالمطلوب لامن حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قريب (أعد الله لهم) اى هيأ لهم فى الآخرة (جنات) جمع جنة وهى البستان الذى فيه اشجار مثمرة (تجرى من تحتها) اى من اسافل ارضها اومن تحت اشجارها اومن تحت القصور والغرف لا تحت الارض (الانهار) جمع نهر وهو مسيل الماء سمى به لسعته وضيائه وفى الحديث فى الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشقق الانهار منها بعد وقيل النهر واحد ويجرى فيه الخمر والماء والعسل واللبن لا يخالط بعضها بعضا وقال بعضهم الجارى واحد ويختلف باختلاف الامنية (خالدين فيها) اى مقدرا خلودهم فى تلك الجنات الموصوفة (ذلك) اشارة الى مافهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى (الفوز العظيم) الذى لافوز وراءه فازوا بالجنة ونعيمها ونجوا من النار وجحيمها وفى الحديث من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وفى الخبر من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة فقد اشترط فى هذا القول الاخلاص ولا يكون الاخلاص الا بمنعه من الذنوب والا فليس بمخلص ويخاف ان يكون ذلك القول عنده عارية والعارية تسترد منه والاخلاص من صفات القلب وتحليته بالاوصاف الحميدة انما هى بعد تزكية النفس عن الرذائل قال فى التأويلات النجمية الخلاص من حجب النفس وصفاتها هو الفوز العظيم لان عظم الفوز على قدر عظم الحجب ولا حجاب اعظم من حجاب النفس والفوز منها يكون فوزا عظيما انتهى (وفى المثنوى) جمله قرآن شرح خبث نفسهاست * بنكر اندر مصحف آن خبث نجاست * هين مرو اندر پى نفس چو زاغ * كو بكورستان برد نى سوى باغ * نفس اكر چه زيركست وخرده دان * قبله اش دنياست اورا مرده دان * وفى الحديث (ان فى الجنة مائة درجة) المراد بالمائة هنا الكثرة وبالدرجة المرقاة (اعدها الله للمجاهدين فى سبيله) وهم الغزاة او الحجاج او الذين جاهدوا انفسهم لمرضاة ربهم (كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والارض) وهذا التفاوت يجوز ان يكون صوريا وأن يكون معنويا فيكون المراد من الدرجة المرتبة فالاقرب الى الله تعالى يكون ارفع درجة ممن دونه (فان سألتم الله فاسألوه الفردوس) وهو بستان فى الجنة جامع لانواع الثمر (فانه اوسط الجنة) يعنى اشرفها (واعلى الجنة) قيل فيه دلالة على أن السموات كرية فان الاوسط لا يكون اعلى الا اذا كان كريا وان الجنة فوق السموات تحت العرش قال الامام الطيبى النكتة فى الجمع بين الاوسط والاعلى انه أراد بأحدهما الحسى وبالاخر المعنوى وأقول يحتمل أن يكونا حسيين لان كونهما أحسن وازين مما يحس (وفوقه عرش الرحمن) هذا يدل على انه فوق جميع الجنان (ومنه تفجر) أصله تتفجر فحذف احدى التاءين (انهار الجنة) وهى اربعة مذكورة فى قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى المراد منها اصول أنهار الجنة كذا فى شرح المشارق لابن ملك نسأل الله سبحانه الرفيق الاعلى والنظر الى وجهه الابهى وجماله الاسنى (وجاء

(المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) من عذر فى الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له فالمعذر اسم فاعل من باب التفعيل او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين فيكون اسم فاعل من باب الافتعال والاعتذار قد يكون بالكذب وقد يكون بالصدق وذلك لان الاعتذار عبارة عن الاتيان بما هو فى صورة العذر سوآء كان للمعتذر عذر حقيقة اولم يكن والاعراب سكان البوادى من العرب لا واحد له والعرب خلاف العجم وهم سكان الامصار او عام والعربة ناحية قرب المدينة واقامت قريش بعربة فنسبت العرب اليها وهى باحة العرب وباحة دار ابى الفصاحة اسمعيل عليه السلام كما فى القاموس والمراد بالمعذرين أسد وغطفان واستأذنوا فى التخلف حين الخروج الى غزوة تبوك معتذرين بالجهد اى ضيق العيش وكثرة العيال اورهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طى على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنينى الله عنكم واختلفوا فى انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة والظاهر الثانى ويدل عليه كلام القاموس حيث قال قوله تعالى وجاء المعذرون بتشديد الذال المكسورة هم المعتذرون الذين لهم عذر وقد يكون المعذر غير محق فالمعنى المقصرون بغير عذر انتهى اقول وعلى كل حال لا يثبت النفاق اذ المقصر وهو المعتذر للفتور والكسل لا يكون كافرا وان كان مذموما وقد اضطرب كلام المفسرين هنا فعليك بضبط المبنى واخذ المعنى (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيبوا ولم يعتذروا ولم يستأذنوا فى القعود فظهر انهم كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان والطاعة قال فى انسان العيون وجاء المعذرون وهم الضعفاء والمقلون من الاعراب ليؤذن لهم فى التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة وجرأة على الله ورسوله وقد عناهم الله بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله انتهى (سيصيب الذين كفروا منهم) اى من الاعراب او من المعذرين وعلى كل تقدير فمن تبعيضية لا بيانية اذ ليس كلهم كفرة وقد علم الله تعالى ان بعض الاعراب سيؤمن وان بعض المعذرين يعتذر لكسله لا لكفره (عذاب أليم) بالقتل والاسر فى الدنيا والنار فى الآخرة قال فى التأويلات النجمية الخلق ثلاث طبقات الاولى المعذرون وهم المقصرون المعترفون بتقصيرهم وذنوبهم التائبون عن ذنوبهم المتداركون بالرحمة والمغفرة والثانية القاعدون وهم الكاذبون الكذابون الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله من الكافرين والمنافقين المتداركون بالخذلان والعذاب الاليم كما قال وقعد الذين الآية والثالثة المؤمنون المخلصون الصادقون الناصحون ولكن فيهم اهل العذر واليه الاشارة بقوله تعالى (ليس على الضعفاء) نيست برنا توانان وعاجزان كالهرمى والزمنى جمع هرم بكسر الرآء وهو كبير السن وجمع زمن وهو المقعد (ولا على المرضى) ونه بربيماران ومعلول جمع مريض (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) لفقرهم كمزينة وجهينة وبنى عذرة (حرج) اثم فى التخلف والتأخر عن الغزو ثم انه تعالى شرط فى انتفاء الحرج عنهم شرطا معينا فقال (اذا نصحوا لله ورسوله) قال ابو البقاء العامل فيه معنى الكلام اى لا يخرجون حينئذ والنصح اخلاص العمل من الغش يقال نصح الشئ اذا خلص ونصح له فى القول اذا كلمه بما هو خير محض له والناصح الخالص (وفى الحديث الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة) ذكرها ثلاث مرات قيل هذا الكلام مدار الاسلام لان النصيحة هى ارادة الخير معناه عماد الدين النصيحة كما يقال الحج عرفة اى عماده (قالوا لمن يا رسول الله قال لله) معنى نصيحته تعالى الايمان به واخلاص العمل فيما امر به (ولرسوله) نصيحته تصديقه بكل ما علم مجيئه به واحياء طريقه (ولكتابه) نصيحته الاعتقاد بأنه كلام الله والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه وفى الحقيقة هذه النصائح راجعة الى العبد (ولائمة المسلمين) نصيحتهم اطاعتهم فى المعروف وتنبيههم عند الغفلة (وعامتهم) نصيحة عامة المسلمين دفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم بقدر الوسع كذا فى شرح المشارق لابن ملك فمعنى الآية ان المتخلفين من اصحاب الاعذار لا اثم عليهم فى تخلفهم اذا اخلصوا الايمان لله ولرسوله وامتثلوا امرهما فى جميع الامور ومعظمها ان لا يفشوا ما سمعوه من الاراجيف فى حق الغزاة وان لا يثيروا الفتن وان يسعوا فى ايصال الخير الى المجاهدين ويقوموا باصلاح مهمات بيوتهم ويسعوا فى ايصال الاخبار السارة من بيوتهم اليهم (ما على المحسنين من سبيل) استئناف مقرر لمضمون ما سبق اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن زآئدة لعموم النفى ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله فى سلك

المحسنين وقد اشتهر أن تعليق الحكم على الوصف المناسب يشعر بعلية الوصف له (والله غفور رحيم) يشير الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر فان الانسان محل التقصير والعجز فلا يسعه الا العفو (وفى المثنوى) شمس هم معدة زمين را كرم كرد * تا زمين باقى حدثها را بخورد * جزو خاكى كشت ورست ازوى نبات * هكذا يمحوا لاله السيئات * اى كه من زشتم خصالم جمله زشت * چون شوم كل چون مرا او خاركشت * نو بهار حسن كل ده خار را * زينت طاوس ده آن مار را (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) عطف على المحسنين اى ليس شئ ثابتا على المحسنين ولا على الذين اذا ما أتوك چون بيامدند بسوى تو ودر خواست كردند لتحملهم تا ايشانرا دستورى دهى ويا خود بجرب برى وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن الخنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عميرة وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فنغزو معك فقال عليه السلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو امقرن كمحدث وكانوا سبعة اخوة كلهم صحبوا النبى عليه السلام وليس فى الصحابة سبعة اخوة غيرهم كذا فى تفسير القرطبى (قلت لا اجد ما احملكم عليه) حال من الكاف فى اتوك باضمار قد اى اذا ما اتوك قائلا لا اجد وما عامة لما سألوه عليه السلام وغيره مما يحمل عليه عادة من النفقة والظهر وفى ايثار لا اجد على ليس عندى من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كانه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده (تولوا) جواب اذا كشتند از پيش تو (واعينهم تفيض) اى تسيل بشدة (من الدمع) از اشك يعنى اشك از ديدهاى ايشان ميريخت واسناد الفيض الى العين مجازى كسال الميزاب والاصل يفيض دمعها اعدل الى هذه الصور للدلالة على المبالغة فى فيضان الدمع كان العين كلها دمع فياض (حزنا) نصب على العلية والعامل تفيض لا يقال فاعل الفيض مغاير لفاعل الحزن فكيف نصب لانا نقول ان الحزن يجوز اسناده الى العين مجازا فيقال عين حزينة وعين مسرورة (ان لا يجدوا) ان مصدرية بتقدير لام متعلقة بحزنا اى لئلا يجدوا (ما ينفقون) فى شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك (قال الكاشفى) ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم ايشانرا زاد وتوشه ومركب داده همراه بردند (انما السبيل) بالمعاتبة (على الذين يستأذنونك) فى التخلف (وهم اغنياء) واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم (رضوا) استئناف تعليل لما سبق كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا (بأن يكونوا مع الخوالف) اى النساء رضى بالدناءة وايثار الدعة (وطبع الله على قلوبهم) ومهر نهاد خداى تعالى از خذلان بر دلهاى ايشان حتى غفلوا عن وخامة العاقبة (فهم) بسبب ذلك (لا يعلمون) ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلا كما لم يعلموا بخساسة شانه آجلا قال ارسطو الارتقاء الى السؤدد صعب والانحطاط الى الدناءة سهل وسئل عيسى عليه السلام اى الناس اشرف فقبض قبضتين من تراب ثم قال اى هذين اشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب واكرمهم عند الله اتقاهم فالعلو والشرف فى التقوى واختيار المجاهدة على الراحة والحزن والبكاء على الفرح والسرور وفى الحديث اقرب الناس الى الله يوم القيامة من طال حزنه وعطشه وجوعه وقال حكيم الدنيا سوق الآخرة والعقل قائد الخير والمال رداء التكبر والهوى مركب المعاصى والحزن مقدمة السرور (قال الصائب) هر محنتى مقدمهٔ راحتى بود * شد همزبان حق چو زبان كليم سوخت * وقد ذم الله تعالى اهل النفاق بالفرح والاستهزاء ومدح اهل الاخلاص بالحزن والبكاء وأدى ضحك اولئك الى البكاء الكثير وبكاء هؤلاء الى الضحك الوفير (وفى المثنوى) تا نكريد ابر كى خندد چمن * تا نكريد طفل كى جوشد لبن * هركجا آب روان سبزه بود * هركجا اشك روان رحمت بود * باش چون دولاب نالان چشم تر * تا زصحن جان بررويد خضر * ثم ان الله تعالى انما يمنع المرء عن مراده ليستعدله ويزداد شوقه الا ترى الى النبى عليه السلام كيف قال لا اجد ما احملكم عليه عزة وترفعا واستغناء ودلالا كما قال تعالى لموسى عليه السلام عند سؤاله بقوله رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ليزيد بهذا المنع والتعزز شوق موسى عليه السلام فكان منع النبى عليه السلام عنهم من هذا القبيل فزادهم الشوق والحرص على الغزو فلما غلب الشوق وزاد الطلب اعطوا مأمولهم واجيب سؤالهم كما سبق وهذه حال الصورة وقس عليها حال المعنى فكما ان الفرخ فى عالم الصورة لا يقدر على الطيران قبل نبات الجناح وهو من

الشعر فكذا العاشق لا يقدر على الطيران فى عالم المعنى قبل وجود الجناح وهو من العلم والعمل والشوق الى المولى والتوجه الى الحضرة العليا وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جعفر بن ابى طالب ملكا يطير فى الجنة ذا جناحين يطير بهما حيث شاء مخضوبة قوادمه بالدماء قال الامام المنذرى وكان جعفر قد ذهبت يداه فى سبيل الله يوم موته فابدله الله بهما جناحين فمن اجل ذا سمى جعفر الطيار قال السهيلى ما ينبغى الوقوف عليه فى معنى الجناحين انهما ليسا كما يسبق الى الوهم على مثل جناحى الطائر وريشه لان الصورة الآدمية اشرف الصور واكملها وفى قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته تشريف لها عظيم وحاش لله من التشبيه والتمثيل ولكنها عبارة عن صورة ملكية وقوة روحانية اعطيها جعفر كما اعطيتها الملائكة وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام واضمم يدك الى جناحك فعبر عن العضد بالجناح توسعا وليس ثمة طيران فكيف بمن اعطى القوة على الطيران مع الملائكة أخلق به اذن بوصف الجناح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية وقد قال اهل العلم فى اجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من اجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة واحتجوا بقوله تعالى اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع فكيف تكون كاجنحة الطير على هذا ولم ير طائر له ثلاثة اجنحة ولا اربعة فكيف بستمائة جناح كما جاء فى صفة جبريل فدل على انها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر ولا ورد ايضا فى بيانها خبر فيجب علينا الايمان بها ولا يفيدنا اعمال الفكر فى كيفيتها علما وكل امرئ قريب من معاينة ذلك فاما ان يكون من الذين تنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون واما ان يكون من الذين تقول لهم الملائكة وهم باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون كذا فى فتح القريب والله يهدى كل مريب

(تم الجزء العاشر فى اليوم الثانى من ذى الحجة المنتظم فى سلك شهور سنة احدى ومائة وألف وذلك فى دار الواقعة ببلدة بروسة حماها الله والحمد لله تعالى)

(الجزء الحادى عشر من الثلاثين وهو قوله تعالى)

(يعتذرون) اى يعتذر المنافقون (اليكم) فى التخلف وكانوا بضعة وثمانين رجلا والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والآية نزلت قبل وقوع الاعتذار ولذا (قال الكاشفى) القاء اعتذار خواهد كرد منافقان بسوى شما (اذا رجعتم) من غزوة تبوك منتهين (اليهم) وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بأن مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر بالاعتذار قبل الرجوع اليها (قل) يا محمد والتخصيص لما ان الجواب من وظيفته عليه السلام (لا تعتذروا) اى لا تفعلوا الاعتذار لانه (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم فى اعتذاركم لانه (قد نبأنا الله من اخباركم) اى اعلمنا بالوحى بعض اخباركم المنافية للتصديق وهو ما فى ضمائركم من الشر والفساد (وفى المثنوى) ازمنافق عذر رد آمد نه خوب * زانكه درلب بود آن نى درقلوب * كذب چون خس باشد ودل چون دهان * خس نكردد در دهان هركز نهان (وسيرى الله عملكم) فيما سيأتى (ورسوله) أتتوبون عن الكفر والنفاق ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة (ثم تردون) يوم القيامة (الى عالم الغيب) وهو ما غاب عن العباد (والشهادة) وهو ما علمه العباد (فينبئكم) عند ردكم اليه ووقوفكم بين يديه (بما كنتم تعملون) اى بما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وايثارها عليها للايذان بانهم ما كانوا عالمين فى الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ حين يرونها على صورها الحقيقية (سيحلفون بالله لكم) تأكيد لمعاذيرهم الكاذبة القائلين والله ما قدرنا على الخروج ولو قدرنا عليه لما تخلفنا (اذا انقلبتم) اى انصرفتم من الغزو (اليهم) وهم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما (لتعرضوا عنهم) اعراض صفح وهو الاعراض عن الذنب وتتركوا لومهم وتعنيفهم (فاعرضوا عنهم) لكن لا اعراض رضى كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت وتحقير (انهم رجس) اى كالنتن الذى يجب الاجتناب عنه وفيهم رجس روحانى وقال فى التبيان اى نجس وعملهم قبيح لا يتطهرون بالتقريع (ومأواهم) اى مصيرهم (جهنم) من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعى الاجتناب وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب (جزاء) اى يجزون جزاء (بما كانوا يكسبون) فى الدنيا من فنون السيئات (يحلفون) به تعالى (لكم) براى شما (لترضوا عنهم) بحلفهم الكاذبة ولتستديموا

عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) المتمردين فى الكفر فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه والمقصود من الآية نهى المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه وآكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن كما فى الارشاد روى ان النبى عليه السلام حين قدم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم وفيه اشارة الى هجر المنافق والمصر على ذنبه الى ان يتوب قال محمد الباقر رضى الله عنه اوصانى ابى زين العابدين رضى الله عنه فقال لا تصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم فى الطريق لا تصحبن فاسقا فانه يبيعك بأكلة فما دونها فقلت يا ابت ومادونها قال يطمع فيها ثم لا ينالها ولا تصحبن البخيل فانه يقطع بك احوج ماتكون اليه ولا تصحبن كذابا فانه بمنزلة السراب يبعد عنك القريب ويقرب منك البعيد ولا تصحبن احمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك وقد قيل عدو عاقل خير من صديق احمق ولا تصحبن قاطع رحم فانى وجدته ملعونا فى كتاب الله تعالى فى ثلاثة مواضع ثم فى الآيات بيان ان الاعتذار الباطل مردود على صاحبه وان كان قبول العذر من اخلاق الكرام فى نفس الامر (وفى المثنوى) عذر احمق بدتر از جرمش بود * عذر نادان زهر هر دانش بود * وبيان ان اليمين الكاذبة لترويج عذره وغرضه باطلة ومذمومة بل رب يمين صادقة لا يتجاسر عليها من هو بصدد التقوى حذرا من ابتذال اسم الله تعالى فلا بد من ضبط اللسان وفى الحديث لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به بأس وبيان ان المنافقين رجس اى جعلوا على طينة خبيثة غير طيبة ولذا كسبوا بخباثة تلك الطينة اعمالا خبيثة واوصافا ذميمة وبها صاروا مستحقين للنار مطلقا اى صورية وهى نار جهنم ومعنوية وهى نار القطيعة والهجران من الله تعالى ومن الرسول عليه السلام والمؤمنين اجمعين شبلى ديدزنى را كه مى كريد وميكويد ياويلاه من فراق ولدى شبلى كريست وكفت ياويلاه من فراق الاخدان زن كفت چرا چنين ميكويى شبلى كفت تو كريه ميكنى بر مخلوقى كه هر آينه فانى خواهد شد من چرا كريه نكنم بر فراق خالقى كه باقى باشد * فرزند ويار چونكه بميرند عاقبت * اى دوست دل مبند بجز حى لا يموت * فعلى العاشق المهجور ان يبكى من الم الفراق ويبالغ فى الوجد والاشتياق لعل الله تعالى يزيل البين من البين ويجعله بعد غمه وهمه قرير العين ويرضى عنه كما رضى عن الابرار والمقربين ولا يسخط عليه الى ابد الآبدين (الاعراب) جمع اعرابى كما ان العرب جمع عربى والمجوس جمع مجوسى واليهود جمع يهودى بحذف ياء النسبة فى الجمع والفرق بين العرب والاعراب ان العرب صنف خاص من بنى آدم سواء سكن البوادى ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادى فالعرب أعم وقيل العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى والاعراب اهل البدو فيكونان متباينين اى اصحاب البدو (اشد كفرا ونفاقا) من اهل الحضر لان اهل البدو تشبه الوحوش من حيث انهم مجبولون على الامتناع عن الطاعة والانقياد لان استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم يزيدهم قساوة لقلوبهم وهى تستتبع التكبر والفخر والطيش عن الحق ولان من لم يدخل تحت تأدب مؤدب ولم يخالط اهل العلم والمعرفة ولم يستمع كتاب الله ومواعظ رسوله كيف يكون مساويا لمن أصبح وأمسى فى صحبة اهل العلم والحكمة مستمعا لمواعظ الكتاب والسنة ولذا ورد فى الحديث اهل الكفور اهل القبور الكفور جمع كفر وهى القرية لسترها الناس والمعنى ان سكان القرى بمنزلة الموتى لا يشاهدون الامصار والجمع وفى الفردوس الاعلى يريد بها القرى البعيدة عن الامصار ومجتمع اهل العلم لكون الجهل عليهم أغلب وهم الى البدع اسرع (قال فى المثنوى) ده مروده مرد را احمق كند * عقل را بى نور وبى رونق كند * قول پيغمبر شنو اى مجتبى * كور عقل آمد وطن در روستا * وان شئت ان تعرف الفرق بين اهل الحضر والبادية فقابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية قال فى الارشاد هذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده كما فى قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ ليس كل الاعراب كما ذكر على ما ستحيط به خبرا (قال الكاشفى) مراد بنو تميم وبنو اسد وغطفان واعراب حوالى مدينه اندنه تمام اهل باديه بلكه اين جمع مخصوص (واجدر ان لا يعلموا) اى أحق وأولى ان لا يعلموا (حدود ما انزل الله على رسوله) اى حدود العبادات والشرائع المنزلة من الله تعالى على رسوله فرائضها وسننها وذلك لكونهم أبعد عن استماع القرآن والسنن ولذلك تكره امامة الاعرابى فى الصلاة كما فى الحدادى قال العلماء اذا كان الامام يرتكب المكروهات فى الصلاة كره الاقتداء به وينبغى

للناظر وولى الامر عزله كما فى فتح القريب (والله عليم) بأحوال كل من اهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب قال فى التأويلات النجمية ان فى عالم الانسان بدوا وهو نفسه وحضرا وهو قلبه كما ان فى عالم الصورة بدوا وحضرا والاعراب اشارة الى النفس وهواها وهو الكفر والنفاق لها ذاتى كما ان الايمان للقلب ذاتى من فطرة الله التى فطر الناس عليها فيحتمل ان يصير القلب كافرا بسراية صفة النفس اليه فيتلون بلون النفس (وفى المثنوى) اندك اندك آب را دزدد هوا * وين چنين دزدد هم احمق ازشما * كرميت را دزدد وسردى دهد * همچنان كوزبر خود سنكى نهد * كما يحتمل ان تصير النفس مؤمنة لسراية صفة القلب فتتلون بلون القلب * مكوز نهار اصل عود چوبست * ببين دودش چه مستثنى وخوبست * يعنى بسبب مجاورة كلاب وذلك مشهور والنفس تكون اشد كفرا ونفاقا من القلب وان كان كافرا كما ان القلب يكون أشد ايمانا من النفس وان كانت مؤمنة واجدر يعنى النفس وصفاتها أولى من القلب ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله اى من الواردات النازلة على الارواح فان الروح بمثابة الرسول فى عالم الصورة والله عليم حكيم فى ان يجعل بعض النفس الكافرة مؤمنة وبعض القلب المؤمن كافرا (ومن الاعراب) اى ومن جنس الاعراب الذى نعت بنعت بعض افراده (من يتخذ ما ينفق) من المال اى يعدّ ما يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به صورة (مغرما) مصدر بمعنى الغرامة والغرم وهو ما ينوب الانسان فى ماله من ضرر لغير جناية ومن لا يؤمن بالله واليوم الاخر ولا يرجو على انفاقه فى سبيل الله ثوابا ولا يخاف على تركه عقابا فلا جرم يعد ما أنفقه غرامة وضياع مال بلا فائدة وانما ينفق رياء او تقية (ويتربص بكم الدوائر) والتربص الانتظار والدوائر جمع دائرة وهى ما يدور حول الانسان من المصائب والآفات ومعنى تربص الدوائر انتظار المصائب بأن تنقلب دولة المسلمين بموت الرسول صلى الله عليه وسلم وغلبة الكفار عليهم فيتخلصوا من الانفاق يقول الفقير وهذا النفاق موجود الآن ألا ترى الى بعض المتسمين بسمة الاسلام كيف يتمنى ظهور الكفار ليتخلص من الانفاق والتكاليف السلطانية ولذا يتصدق الاكرها خلصه الله وايانا من كيد النفس والشيطان وجعله الله وايانا من المتحققين بحقيقة الايمان (عليهم دائرة السوء) برايشان باد كردش روزكار بد ايشان منقلب شود فهو دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين والسوء بالفتح مصدر ساء نقيض سر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذاتا كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهى من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت فى الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها (والله سميع) لما يقولون عند الانفاق مما لا خير فيه (عليم) بما يضمرونه من الامور الفاسدة التى من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر (ومن الاعراب) اى من جنسهم على الاطلاق كما فى الارشاد من اسد وجهينة وغفار واسلم كما فى التبيان (من يؤمن بالله واليوم الآخر) قال فى الروضة سمع اعرابى قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فانقبض ثم سمع ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر فقال الله اكبر هجانا الله ثم مدحنا (ويتخذ ما ينفق) اى ينفقه فى سبيل الله (قربات) اى سبب قربات وذرائع اليها وهى ثانى مفعولى يتخذ (عند الله) صفتها قال الحدادى اى يتخذ نفقته فى الجهاد تقربا الى الله تعالى فى طلب المنزلة عنده والثواب والجمع باعتبار انواع القربات اوافرادها وفيه اشارة الى الحديث القدسى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا (وصلوات الرسول) اى وسائل اليها وسببها فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق وهو من يأخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق اى معطى الصدقة عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه كما فعله عليه السلام حين قال اللهم صل على آل ابى اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء (الا) كلمة تنبيه (انها) اى النفقة المدلول عليها بما ينفق والتأنيث باعتبار الخبر (قربة) عظيمة (لهم) اى سيقربهم الله بهذا الانفاق اذا فعلوه وهو شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه من كون ما ينفقونه فى سبيل الله سبب قربات وتصديق لرجائهم (سيدخلهم الله فى رحمته) وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة والسين لتحقيق الوعد لانها فى الاثبات بمنزلة لن فى النفى (وقال الكاشفى) زود باشد كه درآرد خداى تعالى ايشانرا در بهشت خودكه محل نزول رحمتست (ان الله غفور) آمرزنده است هر متصد قانرا (رحيم) مهربانست برمتقربان واعلم ان فضل الصدقة والانفاق لا يخفى على احد حكى انه وقع القحط فى بنى اسرائيل فدخل فقير سكة من السكك وكان فيها بيت غنى فقال تصدقوا

على لاجل الله فأخرجت اليه بنت الغنى خبزا حارا فاستقبله الغنى فقال من دفع اليك هذا الخبز فقال ابنة من
هذا البيت فدخل وقطع يد ابنته اليمنى فحوّل الله حاله فافتقر ومات فقيرا ثم ان شابا غنيا استحسن الابنة لكونها
حسناء فتزوجها وادخلها داره فلما جن الليل احضرت مائدة فمدت اليد اليسرى فقال الغنى سمعت ان الفقراء
يكونون قليلى الادب فقال مدى يدك اليمنى فمدت اليسرى ثانيا وثالثا فهتف بالبنت هاتف اخرجى يدك اليمنى
فان الرب الذى اعطيت الخبز لاجله ردّ عليك يدك اليمنى فأخرجت يدها اليمنى بأمر الله تعالى واكلت كذا فى روضة
العلماء ففى الحكاية ان من آتاه الله تعالى نعمة فلم يؤدّ شكرها عوقب بزوالها ألا ترى الى بلعم لم يشكر نعمة
الاسلام فقبضه الله على ملة الكفر كما فى منهاج العابدين فان من طلب رضى الله تعالى فى كل فعل وترك جبر
الله كسره وان الاكل باليسرى خلاف الادب فان الشيطان يأكل بيساره الان يكون معذورا بسبب من
الاسباب (وفى المثنوى) كفت پيغمبركه دائم بهر پند * دو فرشته خوش منادى ميكنند * كاى
خدايا منفقانرا سيردار * هر درمشان راعوض ده صد هزار * اى خدايا ممسكانرا درجهان * تو
مده الا زيان اندر زيان * آن درم دادن سخى را لايق است * جان سپردن خود سخاى عاشق است * نان
دهى از بهر حق نانت دهند * جان دهى از بهر حق جانت دهند * هركه كاردكرد انبارش تهى *
ليكش اندر مزرعه باشد بهى * وانكه درانبار ماندو صرفه كرد * اسپش وموش وحوادثهاش خورد *
قيل مامنع مال من حق الا ذهب فى باطل اضعافه قال على رضى الله عنه فرض فى اموال الاغنياء اقوات
الفقراء فما جاع فقير الا بما منع غنى والله سائلهم عن ذلك (والسابقون الاولون من المهاجرين) والمراد قدماء
الصحابة وهم الذين سبقوا الى الايمان وصلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وكان اول من اسلم خديجة رضى الله عنها
وعليه الجمهور (والانصار) اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين
آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير كما سيأتى وانما مدح السابقين لان السابق امام للتالى والفضل
للمتقدم (والذين اتبعوهم باحسان) اى ملتبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من
الفريقين وقيل المراد بهم جميع الصحابة من المهاجرين والانصار فانهم سابقون الى الاسلام بالنسبة الى سائر
المسلمين فمن بيانية والتابعون هم اهل الايمان الى يوم القيامة (رضى الله عنهم) خبر للمبتدأ اى رضى عنهم بقبول
طاعتهم وارتضاء اعمالهم (ورضوا عنه) بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية (واعدلهم) وآماده كرد خداى
تعالى مر ايشانرا (جنات تجرى تحتها الانهار) بستانها كه ميرود درزير درختان آن جويها القراء يقرأون
تحتها الانهار فى هذا الموضع بغير من الا ابن كثير فانه يقرأ من تحتها كما هو فى سائر المواضع (خالدين فيها)
مقدرا خلودهم فى تلك الجنات (ابدا) من غير انتهاء فهو لاستغراق المستقبل كما ان الازل لاستغراق الماضى
ولاستعمالهما فى طول الزمانين جدا قد يضافان الى جمعهما فيقال ابد الآباد وازل الآزال واما السرمد
فلاستغراق الماضى والمضارع (ذلك) اشارة الى مافهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل
الكرامة العظمى (الفوز العظيم) الذى لافوز وراءه واعلم انه عليه السلام اوحى اليه وهو ابن اربعين سنة
فى مكة فبايعه جماعة من الناس فعدا عليهم كفار قريش فظلموهم ليردوهم الى ما كانوا عليه فأمرهم النبى عليه
السلام بالهجرة الى ارض الحبشة وملكها وهو النجاشى فخرجوا نحوا من ثمانين رجلا من رجب من السنة
الخامسة من النبوة وهذه هى الهجرة الاولى ثم بايعه فى كل واحدة من العقبتين جمع من الانصار وكانت بيعة
العقبة الاولى فى سنة احدى عشرة من النبوة وبيعة العقبة الثانية فى السنة الثانية عشرة ولما انصرف اهل
العقبة الثانية الى المدينة بعث عليه السلام معهم مصعب بن عمير ليفقه اهلها ويعلمهم القرآن فأسلم خلق كثير
منهم وسمى اهل المدينة انصارا مع ان المهاجرين ايضا نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم نصروه عليه
السلام والذين هاجروا اليهم من المؤمنين لما جاؤهم آووهم ونصروهم ثم اجتمعوا جميعا على نصرته صلى الله
عليه وسلم فى الغزوات ثم هاجر عليه السلام الى المدينة فى السنة الرابعة عشرة من النبوة وهى الهجرة الثانية
واما تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة فهو وقع يوم الثلاثاء من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من
مقامه بالمدينة وفى هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى فى شهر رمضان فى تاسع عشره وكانت غزوة الحديبية
فى سنة ست من الهجرة وفيها وقعت بيعة الرضوان قيل اجمع اصحابنا على ان افضل هذه الامة الخلفاء الاربعة

ثم السبعة الباقون الى تمام العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل بيعة الرضوان بالحديبية وفى السابقون وجوه اخر السابقون اى الذين سبقت لهم العناية الازلية كما قال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاولون فى سبق العناية لهم وايضا السابقون فى الخروج من العدم الاولون عند الخروج وهم أهل الصف الاول فى عالم الارواح اذ كانت الارواح صفوفا كالجنود المجندة وايضا السابقون فى الخروج من صلب آدم عند اخذ ذرات ذرياته من صلبهم الاولون عند استماع خطاب ربهم وايضا السابقون الاولون عند تخمير طينة آدم بيده اربعين صباحا بمماسة ذراتهم بيد القدرة وباستكمال تصرف القدرة فى كمال الاربعين وايضا السابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى حضرة الربوبية على اقرانهم الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال واعلم ان هذا السبق مخصوص بالنبى عليه السلام وامته كما اخبر بقوله نحن الآخرون السابقون اى الآخرون خروجا فى الصورة السابقون دخولا فى المعنى قال فى فتح القريب نحن الآخرون فى الزمان والوجود واعطاء الكتاب والاولون يوم القيامة اى بالفضل ودخول الجنة وفصل القضاء فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم انتهى فالسبق اما بالقدم واما بالهم والثانى هو المرجح المقدم (يحكى) عن ابى القاسم الجنيد قدس سره قال كنت ابكر الجامع فاسمع قد سبقت يا ابا القاسم فاقدم الوقت فى الجمعة الثانية فأسمع قد سبقت يا ابا القاسم فلم ازل كذلك حتى اصلى الصبح فى الجامع فسمعت قد سبقت يا ابا القاسم فسألت الله ان يعرفنى من يسبقنى مع بكورى فهتف بى هاتف من زاوية المحراب الذى سبقك هو الذى يخرج آخر الناس فصليت الجمعة ثم جلست الى العصر فصليت بجماعة ثم جلست الى ان خرج الناس وفى آخرهم شيخ هم اى كبير فتعلقت به فقلت له يا شيخ متى تحضر للجماعة قال وقت الزوال قلت فبأى شئ تسبقنى فقد دلت عليك فقال يا ابا القاسم انا اذا خرجت من الجامع نويت ان بقيت الى يوم مثله حضرت الجامع قال فعرفت ان السبق بالهم لا بالقدم (قال فى المثنوى) اول فكر آخر آمد درعمل * خاصه فكرى كو بود وصف ازل * دل بكعبه ميرود درهر زمان * جسم طبعى دل بگيرد زامتنان * اين درازو كوتهى مرجسم راست * چه دراز وكوته انجاكه خداست * چون خدا مرجسم را تبديل كرد * رفتنش بى فرسخ وبى ميل كرد (وممن حولكم) خبر مقدم لقوله منافقون اى حول بلدتكم يعنى المدينة (من الاعراب) من أهل البوادى وقد سبق الفرق بينه وبين العرب (منافقون) وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن اهل المدينة) قوم (مردوا على النفاق) خوكرده اندواقامت على نموده برنفاق نادر منافق ماهر شده اند والمرود على الشئ التمرن عليه والمهارة فيه باعتياده والمدينة اذا اطلقت اريد بها دار الهجرة التى فيها بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره وقبره من مدن بالمكان اذا أقام به فتكون الميم اصلية والجمع مدن بضم الدال واسكانها ومدائن بالهمزة أو من دان اذا أطاع والدين الطاعة فتكون الميم زائدة والجمع مداين بلا همز كمعايش بالياء ولها اسماء كثيرة منها طابة وطيبة بفتح الطاء وسكون الياء لخلوهما من الشرك اولطيبها بسا كنيها الآمنين ودعتهم اولطيب عيشهم فيها اولكونها طاهرة التربة اومن النفاق وفى الحديث تنفى الناس اى شرارهم كما ينفى الكير خبث الحديد وفى الحديث ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها تدخل بلا اعوجاج والمراد بالمدينة جميع الشأم فانها من الشأم خص المدينة بالذكر اتشريفها فعلى هذا تكون المدينة شامية كما ذهب اليه ابن ملك قال النووى ليست شامية ولا يمانية بل هى حجازية وقال الشافعى مكة والمدينة يمانيتان (لا تعلمهم) بيان لقوله مردوا على النفاق اى بلغوا من المهارة فى النفاق الى حيث خفى نفاقهم عليك مع كمال فطنتك وقوة فراستك فالمراد لا تعرف حالهم ونفاقهم (نحن نعلمهم) منافقين ونطلع على اسرارهم ان قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا (سنعذبهم) السين للتأكيد (مرتين) روى انه عليه السلام قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والعذاب الثانى عذاب القبر وفى بعض الآثار ان المنافق يسأل اربعين يوما فلا يقدر على الجواب ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما فى قوله تعالى فارجع البصر كرتين اى كرة بعد اخرى (ثم يردون) يوم القيامة (الى عذاب عظيم) هو عذاب النار وبحقيقت عذاب عظيم بعد ازايشانست ازدركاه عزت ومحجوبيت ايشان ازنور لقا رؤيت وهيچ عذابى ازنكبت حرمان ومشقت هجران بزركتر نيست * از فراق تلخ ميكويى سخن

❁ هرچه خواهى كن وليكن آن مكن * تلخ تر از زهر هجران هيچ نيست * در فراق غير بيچاپيچ نيست * صد
هزاران مرك تلخ از شوق تو * نيست مانند فراق روى تو * جور دوران وهر آن رنجى كه هست * سهلتر از بعد حق
وغفلتست * از فراق اين خاكها شوره شود * جمله ذوق از فراق غوره شود (وآخرون) اى ومن اهل المدينة
قوم آخرون (اعترفوا) اقروا (بذنوبهم) التى هى تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار
المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا أنفسهم على سوارى
المسجد عند ما بلغهم ما نزل فى المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره فدخل المسجد اولا فصلى
ركعتين حسب عادته الكريمة ورآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله واقسموا
ان لا يطلقوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقهم فقال عليه السلام وانا اقسم ان لا احلهم حتى أومر
فيهم فنزلت فأطلقهم واعذرهم (خلطوا عملا صالحا) هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازى
السابقة وما لحق من الاعتراف بذنوبهم فى التخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك (وآخر سيئا) هو
ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا فيدخل فيه التخلف عن غزوة تبوك وتبديل الواو بالباء حيث لم يقل
بآخر يؤذن بكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به وهو ابلغ فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضى ايراد الماء على
اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما
بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به قال الحدادى يقال خرجوا الى الجهاد مرة وتخلفوا مرة
فجمعوا بين العمل الصالح والعمل السيء كما يقال خلط الدنانير والدراهم اى جمعهما وخلط الماء واللبن
اى احدهما بالآخر (عسى الله ان يتوب عليهم) ان يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم (ان الله غفور
رحيم) يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها
للاطماع الذى هو من أكرم الاكرمين ايجاب واى ايجاب قال الحدادى وانما ذكر لفظ عسى ليكون الانسان
بين الطمع والاشفاق فيكون ابعد من الاتكال والاهمال * چون بدى كاهر ادانى * كشت جانى پشيمانى *
ورندانى كاهرا كه بدست * آن نشان شقاوت ابدست * اعلم ان بعض النفوس منافق وبعضها
كافر وبعضها مؤمن فالمنافق منها كالصفة الحيوانية من الشهوات فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب
على النفس بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية بحيث تنزع عنها الشهوة
بل تكون مغلوبة والكافر منها كالصفة البهيمية فى طلب الاغتذاء من طلب المأكول والمشروب فانها لا تتبدل
بضدها وهو الاستغناء عن الاكل والشرب لحاجة الجسد الى الغذاء بدل ما يتحلل من الجسد والمؤمن منها
كالصفة السبعية والشيطانية من الغضب والكبر والعداوة والخيانة فانها تحتمل ان تتبدل بأضدادها من الحلم
والتواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور الاسلام وترشح نور الايمان على القلب وانشراح
الصدر بنور ربها وهذه الصفات وغيرها من صفات النفس اذا لم تتبدل بالكلية اولم تكن مغلوبة بأنوار صفات
القلب ففيها بعض النفاق كما جعل النبى عليه السلام الكذب والخيانة وخلف الوعد والغدر من النفاق فقال اربع
من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد أخلف واذا عاهد
غدر ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها فعلى العاقل ان يجتهد بأحكام الشريعة
وآداب الطريقة الى ان يحصل الخلاص من النفاق بالكلية ثم ان الاعتراف بالخطيئة ميراث للمؤمن من ابيه
آدم عليه السلام روى انه بكى على ذنبه مائتى سنة حتى قبل الله توبته وغفر ذنبه ولذا قالوا ينبغى للتائب ان يكثر
البكاء والتذلل عند التوبة ويصلى على النبى عليه السلام فانه شفيع لكل نبى وولى ولذا توسل به آدم الى الله
تعالى حيث قال الهى بحق محمد أن تغفر لى ويستغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات ومعنى الاستغفار سؤال العبد
ربه ان يغفر له ذنوبه ومعنى مغفرته لذنوب عباده ان يسترها عليهم بفضله ولا يكشف امورهم لخلقه ولا يهتك
سترهم ومن شرط التوبة ان لا يتعمد ذنبا فان وقع منه بسهو أو خطأ فهو معفو عنه بفضل الله تعالى (قال
الحافظ) جايى كه برق عصيان برادم صفى زد * مارا چكونه زيبد دعوى بى كناهى (خذ) يا محمد (من
اموالهم) اى من اموال هؤلاء المتخلفين المعترفين بذنوبهم (صدقة) حال كونك (تطهرهم) اى عما تلطخوا به
من اوضار التخلف (وتزكيهم بها) اى تنمى بتلك الصدقة واخذها حسناتهم وترفعهم الى مراتب المخلصين

روى انه لما حلهم النبى عليه السلام من وثاقهم وتاب الله عليهم راحوا الى منازلهم وجاؤا بأموالهم كلها وقالوا
يارسول الله هذه أموالنا خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا فكره النبى عليه السلام ذلك فنزلت هذه الآية
فأخذ رسول الله ثلث أموالهم لتكمل به توبتهم ويكون جاريا مجرى الكفارة لتخلفهم فهذه الصدقة ليست
الصدقة المفروضة فانها لا تؤخذ هكذا وقيل هذا كلام مبتدأ نزل لايجاب أخذ الزكاة من الاغنياء عليه
وان لم يتقدم ذكراهم كقوله انا انزلناه فى ليلة القدر لدلالة الحال على ذلك والمعنى خذ من أموال اغنياء المسلمين
صدقة اى زكاة وسميت بها لدلالتها على صدق العبد فى العبودية واليه ذهب اكثر الفقهاء قال فى الاختيار
من امتنع عن اداء الزكاة أخذها الامام كرها ووضعها موضعها لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة وفى الاشباه
المعتمد فى المذهب عدم الاخذ كرها قال فى المحيط ومن امتنع من اداء الزكاة فالساعى لا يأخذ منه كرها
ولو أخذ لا يقع عن الزكاة لكونها بلا اختيار ولكن يجبره بالحبس ليؤدى بنفسه انتهى قال فى المبسوط
وما يأخذ ظلمة زماننا من الصدقات والعشور والجزية والخراج والجبايات والمصادرات فالاصح ان يسقط جميع
ذلك عن ارباب الاموال اذا نووا عند الدفع التصدق عليهم وقيل علم من يأخذه بما يأخذ شرط فالاحوط
ان يعاد (وصل عليهم) اى ادع لهم بالخير والبركة واستغفر لهم (ان صلاتك سكن لهم) تسكن اليها نفوسهم
وتطمئن بها قلوبهم فهو فعل بمعنى مفعول كالنقض بمعنى المنقوض (والله سميع) باعترافهم (عليم) بندامتهم
قال فى الكافى الصلاة على الميت مشروعة بقوله تعالى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله عليه السلام
صلوا على كل بر وفاجر روى ان آدم عليه السلام لما توفى أتى بحنوط وكفن من الجنة ونزلت الملائكة فغسلته
وكفنته فى وتر من الثياب وحنطوه وتقدم ملك منهم فصلى عليه وصلت الملائكة خلفه وفى رواية قال ولده شيث
لجبريل عليه السلام صل عليه فقال له جبريل تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة ثم اقبروه
ثم ألحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث الذى هو وصيه معهم فلما فرغوا قالوا له هكذا فاصنع بولدك واخوتك
فانها سنتكم ومنه يعلم ان الغسل والتكفين والصلاة والدفن واللحد من الشرائع القديمة وقال بعضهم صلاة
الجنازة من خصائص هذه الامة ولا منافاة لانه لا يلزم من كونها من الشرائع القديمة أن تكون معروفة لقريش
اذ لو كانت كذلك لفعلوا ذلك وفى كلام بعضهم كانوا فى الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون
عليهم وهو أن يقوم ولى الميت بعد أن يوضع على سريره فيذكر محاسنه كلها ويثنى ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن
روى أن النبى عليه السلام لما قدم المدينة وجد البراء بن معرور رضى الله عنه قدمات فذهب رسول الله
واصحابه فصلى على قبره وكبر فى صلاته اربعا فصلاة الجنازة فرضت فى السنة الاولى من الهجرة على ما قالوا ومن
انكر فرضية صلاة الجنازة كفر كما فى القنية وههنا ابحاث الاول أن غسل الميت شريعة ماضية والنية لا تشترط
لصحة الصلاة عليه وتحصيل طهارته وانما هى شرط لاسقاط الفرض عن ذمة المكلفين اى بغسله فان غسل
الميت فرض كفاية فاذا تركوا اثموا فبنية الغسل يسقط الفرض عن ذمة الغاسل وغيره فيقول نويت الغسل
لله تعالى وانما يغسل الميت لانه يتنجس بالموت كسائر الحيوانات الدموية الا أنه يطهر بالغسل كرامة له ولو وجد
ميت فى الماء فلا بد من غسله لان الخطاب بالغسل توجه لبنى آدم ولم يوجد منهم فعل وقيل لان الميت اذا
فارقته الروح وارتاح من شدة النزع انزل فوجب على الاحياء غسله كما فى أسئلة الحكم يقول الفقير فيه نظر
لانه انما يجب الاغتسال بالمنى اذا كان بشهوة عند الحنفية ولم يوجد فى الميت اللهم الا ان يحمل على مذهب
الشافعى فان المنى عنده كيفما كان يوجب الاغتسال حتى لو حمل حملا ثقيلا فخرج منه المنى يجب عنده وينبغى
ان يكون المغسول مسلما تام البدن او اكثره وفى حكمه النصف مع الرأس فلا يغسل الكافر والنصف بلا رأس
وأن يكون الغاسل يحل له النظر الى المغسول فلو ماتت امرأة فى السفر يممها ذو رحم محرم منها وان لم يوجد
لف أجنبى على يده خرقة ثم يممها وان ماتت أمة يممها أجنبى بغير ثوب وكذا لو مات رجل بين النساء يممته ذات
رحم محرم منه اوأمته بغير ثوب ولو مات غير المشتهى او المشتهاة غسله الرجل والمرأة وعن ابى يوسف ان
ان الرضيعة يغسلها ذو الرحم وكره غيره ولا يغسل زوجته وتغسل زوجها الا اذا ارتفعت الزوجية بوجه ويستحب
ان يكون الغاسل اقرب الى الميت فان لم يعلم فأهل الورع والامانة وان يوضع الميت عند الغسل بموضع خال من
الناس مستور رعنهم لا يدخله الا الغاسل ومن يعينه كما فى السيرة الحلبية ولو اختلط موتى المسلمين وموتى الكفار

فمن كانت عليه علامة المسلمين صلى عليه ومن كانت عليه علامة الكفار ترك ومن لم يكن عليه علامة والمسلمون اكثر غسلوا وكفنوا وصلى عليهم وينوون بالصلاة والدعاء للمسلمين دون الكفار ويدفنون فى مقابر المسلمين وان كان الفريقان سوآء اوكانت الكفار اكثر لم يصل عليهم ويغسلون ويكفنون ويدفنون فى مقابر المشركين ومن استهل بعد الولادة غسل وسمى وصلى عليه والا غسل فى المختار وأدرج فى خرقة ولا يصلى عليه ولومات لمسلم قريب كافر غسله غسل النجاسة ولفه فى خرقة وألقاه فى حفرة أودفعه الى أهل دينه قال القهستانى لا يجب غسل كافر أصلا وانما يباح غسل كافر غير حربى له ولى مسلم كما فى الجلابى والشهيد لا يغسل ويغسل الشهيد الجنب عنده خلافا لهما واذا انقطع الحيض والنفاس فاستشهدت فعلى هذا الخلاف واذا استشهدت قبل الانقطاع تغسل على الاصح ولومات بغير قتل ولوفى المعركة غسل ولوقتل برجم اوقصاص أوتعزير أوافتراس سبع أوسقوط بناء اوغرق أوطلق أونحوها غسل بلاخلاف كما لوقتل لبغى أوقطع طريق غسل فى رواية ولا يصلى عليه فى ظاهر الرواية وعند ابى حنيفة فى الصلاة على المصلوب روايتان ولوقتل نفسه خطأ يصلى عليه بلاخلاف ولوتعمد فالاصح لا يصلى عليه لانه لاتوبة له والصلاة شفاعة والثانى أن الصلاة على الميت فرض كفاية عند العامة ووقتها وقت حضوره ولذا قدمت على سنة المغرب كما فى الخزانة وفى الحديث اسرعوا بالجنازة وأهل مكة فى غفلة عن هذا فانهم غالبا يجيئون بالميت بعد الظهر أو وقت التسبيح فى السحر وقد يكون مات قبل هذا الوقت بكثير فيضعونه عند باب الكعبة حتى يصلى العصر اوالصبح ثم يصلى عليه كما فى المقاصد الحسنة يقول الفقير وأهل كل بلدة فى غفلة عن هذا فى هذا الزمان سامحهم الله تعالى وتجوز صلاة الجنازة حين طلوع الشمس واستوآئها وغروبها بلا كراهة ان حضرت فى هذه الاوقات وان حضرت قبلها اخرت ويقوم الامام حذآء الصدر لانه محل العلم ونور الايمان ويكبر ويثنى اى يقول الامام والمؤتم والمنفرد سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك قوله وجل ثناؤك لم يذكر فى الاحاديث المشهورة فلم يأت به مصلى الفرض ولا بأس للمتنفل باتيانه به لان النفل مبنى على التوسيع فيجوز فيه مالا يجوز فى الفرض قال الحلبى الاولى تركه الافى صلاة الجنازة ثم يكبر ويصلى على النبى عليه السلام بما يحضره كما فى الجلابى اوبما يصلى به فى الفرض كما فى المستصفى فيقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد والمعنى اللهم صل على محمد صلاة كاملة كما دل عليه الاطلاق وقوله وعلى آل محمد من عطف الجملة اى وصل على آله مثل الصلاة على ابراهيم وآله فلا يشكل بوجوب كون المشبه به اقوى كما هو المشهور كما فى القهستانى ثم يكبر ويدعو للميت اولكل مسلم لوحيا ويسن الدعاء المعروف اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان وخص هذا الميت بالرحمة والغفران والروضة والرضوان اللهم ان كان محسنا فزد فى احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه برحمتك يا ارحم الراحمين كما فى عيون الحقائق وفى الصبى والمجنون لا يستغفر لهما لعدم ذنبهما بل يقول اللهم اجعله لنا فرطا واجعله لنا اجرا وذخرا واجعله لنا شافعا مشفعا اى مقبول الشفاعة ومن لم يحسن قال اللهم اغفرلى ولوالدى ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات برحمتك يا ارحم الراحمين وروى انه صلى الله عليه وسلم لما ادرج فى اكفانه ووضع على سريره ثم وضع على شفير قبره المنور وذلك يوم الثلاثاء دخل عليه ابو بكر رضى الله عنه مع نفر من المهاجرين والانصار بقدر ما يسع البيت وذلك بعد ما بويع له بالخلافة وصلى على النبى عليه السلام بأربع تكبيرات وضمن صلاته هذا الدعاء وهو اللهم انا نشهد انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما انزل الله عليه ونصح لامته وجاهد فى سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته فاجعلنا الهنا ممن تبع القول الذى انزل معه واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فانه كان بالمؤمنين رؤفا رحيما لا نبتغى بالايمان به بدلا ولا نشترى به ثمنا ابدا وانما خصوا هذا الدعاء بالذكر لانه الذى يليق به صلى الله عليه وسلم ومن ثمة استشاروا كيف يدعون له فأشير بمثل ذلك ثم يكبر ويسلم تسليمتين عن يمين وشمال بنية من ثمة الا الميت غير رافع صوته مثل سائر الصلوات ويسن خفض الثانية ويرسل بعد الرابعة يديه لانه ليس بعدها ذكر والركن هو التكبيرات الاربع واما الثناء والصلاة والدعاء والسلام فسنن كما فى الجلابى ولا يرفع يديه

الا فی التکبیر الاول لانه شرع بین کل تکبیرتین ذکر مقدر فاذا فرغ منه علم انه جاء اوان الآخر قال فی الاشباه لو قرأ الفاتحة فی صلاته علی الجنازة ان قصد الثناء والدعاء لم یکره وان قصد القرآءة کره انتهی واذا ادرك الامام فی الصلاة وقد سبق ببعض تکبیراتها ینتظر تکبیرة اخری فیتابع الامام فیها ثم یأتی بما سبق به بعد سلام الامام متوالیا وعند ابی یوسف والشافعی لا ینتظر بل یکبر ویشرع معه واما اذا ادرك بعد الرابعة لا یکبر عندهما لفوات الصلاة علیه ویکبر عند ابی یوسف فاذا سلم الامام قضی ثلاث تکبیرات ولو کان حاضرا وقت التحریمة ولم یکبر مع الامام للافتتاح فهو لا ینتظر تکبیر الامام بل یشرع ویکبر ولو اجتمعت الجنائز یصلی علیهم دفعة واحدة کذا فی المحیط والصلاة علی الکبیر افضل من الصلاة علی الصغیر کما فی المضمرات والثالث ما الحکمة فی عدم فرض الرکوع والسجود فی صلاة الجنازة قیل لان صلاة الجنازة دعاء وثناء واستشفاع للمیت والرکوع والسجود خاص بالتعبد لله تعالی من غیر واسطة اختص به الملة المحمدیة لان السجدة کانت تجوز لتعظیم المخلوق فی الملة السالفة ونحن نهینا عن الرکوع والسجود لغیر الله تعالی وقیل لان المیت اعترض بین المصلی وبین الله تعالی فلو امر بالرکوع والسجود لتوهم الاعدآء والجهلة انه للمیت کما توهم الشیطان من سجود الملائکة انه لآدم علیه السلام فأبی حسدا وعصی جهلا وان کان ساجدا متعبدا قبل ذلك فافتتن بجهله وحسده باحتجابه عن کون المسجود له فی الحقیقة هو الحق وقالب آدم بمنزلة المحراب (قال الجامی) ای آنکه بقبلهٔ بتان روست ترا * بر مغز چرا حجاب شد پوست ترا * دل در پی این وآن نه نیکوست ترا * یکدل داری بست یك دوست ترا (وقال غیره) ازان محراب ابروو مکردان * اکر در مسجدی وردر خراباتی * والرابع انه یستحب جعل الصفوف فی الصلاة علی المیت ثلاثة وفی الحدیث ما من مسلم یموت فیصلی علیه امة یبلغون ثلاثة صفوف الا غفر الله له قال الطبرانی فی معجمه الامة اربعون الی المائة وجاء التصریح بالعدد فی حدیث مسلم وهو ما من مسلم یصلی علیه اربعون الا شفعوا فیه اما سر تثلیث الصفوف فلان ذلك من باب التوسع فی الرجاء کأنهم یقولون جئناك بثلاثة صفوف شافعین فلا تردنا خائبین وهذا مثل تکثیر الخطی الی المساجد فانه یستحب تقصیر الخطی فی المشی الی المسجد لانه یکتب له بکل خطوة حسنة ویحط عنه سیئة ویرفع له درجة فهو من باب التوسع فی الرجاء واذا استحب جعل الصفوف ثلاثة فالظاهر انهم فی الفضیلة سوآء ولا مزیة حینئذ للصف المقدم لانهم مأمورون بالتأخر وقال الحلبی افضل صفوف الجنازة آخرها بخلاف سائر الصلوات فان الصف الاول اعلم بحال الامام فتکون متابعته اکثر وثوابه أوفر وعن ابی سعید الخدری رضی الله عنه عن النبی علیه السلام انه قال اول زمرة تدخل المسجد هم اهل الصف الاول وان صلوا فی نواحی المسجد کما فی خالصة الحقائق واما سر الاربعین فلانه لم یجتمع قط اربعون الا وفیهم عبد صالح کما فی اسئلة الحکم وتحصل الشفاعة بأقل الامرین من الثلاثة الصفوف والاربعین کما فی فتح القریب والمستحب هو الاول کما سبق والخامس ان فی الدعاء والاستغفار نفعا للمیت ویصل ثواب جمیع القرب الیه بدنیا کان او مالیا کالصدقة والعتق والصلاة والصیام والحج والقرآءة واجمع المسلمون علی ان قضاء الدین یسقط عن ذمة المیت التبعة وینفعه ذلك حتی لو کان من اجنبی او من غیر ترکته واجمعوا علی ان الحی اذا کان له علی المیت حق من الحقوق فاحله منه ینفعه ویبرأ منه کما یسقط من ذمة الحی قال ابن الملك اعلم ان جعل الانسان ثواب عمله لغیره صلاة کان او صدقة اوغیرهما جائز عند اهل السنة خلافا للمعتزلة لهم ان الثواب هو الجنة ولا قدرة للانسان علی تملیکها ولنا انه علیه السلام ضحی بکبشین أملحین احدهما لنفسه والاخر عن أمته المؤمنین فالاعتراض علی الشارع باطل اذ العبادة انواع بدنیة محضة کالصلاة فالنیابة لا تجوز فیها لان الغرض منها وهو اتعاب النفس الامارة لا یحصل ونوع منها مالیة محضة کالزکاة فالنیابة فیها تجوز لان الغرض منها وهو اغناء الفقیر یحصل بالنیابة لکن لا تؤخذ من ترکته بغیر وصیة ونوع منها مرکبة منهما کالحج فمن حیث انه متعلق بالبدن لا تجوز فیه النیابة عند الاختیار ومن حیث انه متعلق بالمال جاز فیه النیابة عند الاضطرار وهو العجز الدائم عن ادآئه هذا فی الحج الفرض واما فی النفل فالنیابة جائزة مع القدرة لان فی النفل سعة قال فی فوائد الفتاوی الاولی ان یوصی باسقاط صلاة عمره بعد البلوغ وان صلاها بغیر ترك لاحتمال الفساد او النقصان فی ارکانها انتهی واذا اوصی رجل ان یطعم عنه ولیه لصلاة الفائتة بعد موته فالوصیة جائزة ووجب تنفیذها من ثلث ماله

يعطى عن كل مكتوبة نصف صاع من الحنطة وفى صوم النذر كذلك ولا يجوز ان يصوم عنه الولى كالا يجوز صلاته له لقوله عليه السلام لا يصوم ولا يصلى احد عن احد قال القهستانى والقياس انه لا يجوز الفدآء عن الصلاة واليه ذهب البلخى كما فى قاضى خان والاستحسان ان يجوز الفدآء عنهما اما فى الصوم فلورود النص واما فى الصلاة فلعموم الفضل ولذا قال محمد انه يجزى بها ان شاء الله تعالى وينبغى ان يفدى قبل الدفن وان جاز بعده وقال فى الاشباه اذا اراد الفدية عن صوم ابيه اوصلاته وهو فقير يعطى منوين من الحنطة فقيرا ثم يستوهبه ثم يعطيه وهكذا وذلك بعد ان يسقط من عمره اثنتى عشرة سنة ويسقط من عمرها تسعة لان اقل مدة بلوغ الرجل اثنتا عشرة سنة ومدة بلوغ المرأة تسع سنين كما ذكره فى الوقاية فى آخر كتاب الحجر ومما ينبغى ان يعلم ان المعتبر فى الطعام للصلاة قدر الطعام دون عدد المساكين حتى لو اعطى مسكينا واحدا فى يوم واحدا كثر من نصف صاع من البر يجوز ولا يجوز ذلك فى كفارة الصوم والظهار لان المعتبر فيهما عدد المسكين كذا فى شرح النقاية وكره دفع نصاب او اكثر الى فقير غير مديون لان الانتفاع به صادف حال الغنى ولو صادف حال الفقر لكان اكمل فلو كان مديونا اوصاحب عيال لا يكره لانه لا يكون به غنيا (الم يعلموا) الاستفهام للتقرير اى الم يعلم اولئك التائبون (ان الله هو يقبل التوبة) الصحيحة الخالصة (عن عباده) المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن قال الحدادى قبول التوبة ايجاب الثواب عليها (ويأخذ الصدقات) اى جنس الصدقات صدقاتهم وصدقات غيرهم اراد به اخذ النبى عليه السلام والائمة بعده لان اخذهم لا يكون الا بأمر الله وكان الله هو الآخذ قال البيضاوى يقبلها قبول من يأخذ شيأ ليؤدى بدله ففيه استعارة تبعية لان الآخذ حقيقة هو الرسول عليه السلام لا من عينه لا اخذها والصدقات جمع صدقة تطلق على الواجب والتطوع وغلب على افواه العامة تسمية الواجب من الماشية صدقة ومن النبات عشرا ومن النقود زكاة كما فى فتح القريب (وان الله هو التواب) اى المتجاوز عن تاب وهو الذى يرجع بالانعام على كل مذنب رجع الى التزام الطاعة وفى التأويلات النجمية هو التواب هو الموفق للتوبة بلطفه وكرمه ولولا توفيقه ما تاب مذنب قط كما لا يتوب ابليس لعدم التوفيق (وفى المثنوى) جز عنايت كه كشايد چشم را * جز محبت كه نشاند خشم را * جهد بى توفيق خود كس رامباد * درجهان والله اعلم بالرشاد (الرحيم) من مات على التوبة ورحمة الله على العباد ارادة الانعام عليهم ومنع الضرر عنهم ويجوز ان يرجع ضمير الم يعلموا الى غير التائبين من المؤمنين فالآية اذا ترغيب للعصاة فى التوبة والصدقة (وقل) لهم بعد ما بان لهم شأن التوبة (اعملوا) ما شئتم من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب (فسيرى الله عملكم) فانه لا يخفى عليه خيرا كان اوشرا تعليل لما قبله وتأكيد للترغيب والترهيب والسين للتأكيد (ورسوله والمؤمنون) فى الخبر لو ان رجلا عمل فى صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى انه تعالى لا يخفى عليه عملهم كما رأيتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقى فالامر ظاهر وان اريد بها مآلها من الجزآء خيرا اوشرا فهو خاص بالدنيوى من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها (وستردون) اى بعد الموت (الى عالم الغيب والشهادة) قدم الغيب على الشهادة لسعة عالمه وزيادة خطره وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيب ما يسترونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحدة على ابلغ وجه وآكده لا لايهام ان علمه تعالى بما يسرون اقدم منه بما يعلنون كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شئ وتحققه فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة قال فى التأويلات النجمية وستردون باقدام اعمالكم الى الله الذى هو عالم بما غاب عنكم وغبتم عنه فأما ما غاب فهو نتائج اعمالكم من الخير والشر وجزآؤها فانها لم تغب عنكم زدتم فى الخير وما عملتم شرا واما ما غبتم عنه فهو التقدير الازلى والحكمة فيما جرى به القلم من اعمال الخير والشر وعالم بما تشاهده العيون والقلوب فى الملك والملكوت (فينبئكم) عقيب الرد الذى هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيامة (بما كنتم تعملون) قبل ذلك فى الدنيا والمراد بالتنبئة الاظهار لما بينهما من الملابسة فى انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اى يظهر لهم على رؤوس الاشهاد ويعلمهم اى شئ شنيع كانوا يعملونه

فى الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء انتهى فعلى العاقل ان يسعى فى طريق الاعمال الصالحة ويجتنب عن ارتكاب الافعال الفاضحة كيلا يفتضح عند الله وعند الرسول وكافة المؤمنين قال فى التأويلات النجمية ان لعمل الحسن وخلوصه نورا يصعد الى السموات بقدر قوة صدقه واخلاصه فالله تعالى يراه بنور الوهيته وروح الرسول عليه السلام يراه بنور نبوته وارواح المؤمنين يرونه بنور ايمانهم فاستعلاء ذلك بصفائه وضوئه يكون على قدر علو همة المحسن وخلوص نيته وصفاء طويته وان لعمل المسيء ظلمة تصعد الى السموات بقدر قوة غفلته وخباثة نفسه فالله تعالى يراها وروح رسوله وارواح المؤمنين وفى الحديث تصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصوم وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطعون به الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يدى الرب جل جلاله ويشهدون بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدى وانا الرقيب على ما فى نفسه انه لم يردنى بهذا العمل ولا اخلصه لى وانا اعلم بما اراد بعمله غر الادميين وغركم ولم يغرنى وانا علام الغيوب المطلع على ما فى القلوب لا تخفى على خافية ولا تعزب عنى عازبة على بما كان كعلمى بما لم يكن وعلمى بما مضى كعلمى بما بقى وعلمى بالاولين كعلمى بالآخرين اعلم السر واخفى فكيف يغرنى عبدى بعمله وانما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وانا علام الغيوب عليه لعنتى وتقول الملائكة السبعة او الثلاثة الآلاف المشيعون يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فيقول اهل السماء عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين (قال السعدى) وكرسيم اندوده باشد نحاس * توان خرج كردن برنا شناس * منه آب زرجان من بر پشيز * كه صراف دانا نكيرد بچيز * اعلم ان الاقلام كتبت على الالواح احوال العالم كلها من السرائر والظواهر ثم سلمت الالواح للخزنة وجعل لكل شئ خزائن ووكلت عليها حوافظ وكوالئ كما قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه فتستنسخ السفرة من الخزنة والحفظة من السفرة فللاعمال كلها مخازن تقسم منها وتنتهى اليها وغاية خزائن الاعمال الصالحة سدرة المنتهى فعلم من هذا ان الحفظة مطلعون على اعمال العباد قلبية كانت او قالبية وليسوا بمطلعين على المقبول منها وغير المقبول الا بعد العرض والرفع فكل عمل مضبوط مجزى به فان اخفاء العبد عن الخلق لا يقدر على اخفائه عن الله تعالى وعن الملائكة (قال السعدى) در بسته زروى خود بمردم * تا عيب نكسترند ما را * در بسته چه سود عالم الغيب * داناى نهان واشكارا (وآخرون) عطف على آخرون قبله اى ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين (مرجون) قرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وعلى ان يكون اصله مرجيون بالياء والباقون مرجأون بالهمزة يقال ارجيته وارجأته بالياء والهمزة اذا اخرته والنسبة الى المهموز مرجئى كمرجعى لا مرج كعط والى غير مرجى بياء مشددة عقيب الجيم وهم المرجئة بالهمزة والمرجية بالياء مخففة كما فى القاموس والمرجئة قوم لا يقطعون على اهل الكبائر بشئ من عفو او عقوبة بل يرجئون الحكم فى ذلك اى يؤخرونه الى يوم القيامة كما فى المغرب والمعنى مؤخرون (لامر الله) فى شأنهم اى حتى ينزل الله فيهم ما يريد (اما يعذبهم) ان بقوا على ما هم عليه من الحال وهو عدم المسارعة الى التوبة والاعتذار دون النفاق فانهم كانوا غير مخلصين (واما يتوب عليهم) ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة فى محل النصب على الحالية اى منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم فان قلت اما للشك والله تعالى منزه عنه اذ هو عالم بما يصير اليه امرهم قلت الترديد راجع الى العباد والمعنى ليكن امرهم عندكم بين الخوف والرجاء وقال ابو البقاء اذا كانت اما للشك جاز ان يليها الاسم وجاز ان يليها الفعل فان كانت للتخيير وقع الفعل بعدها وكانت معه ان كقوله اما ان تلقى (والله عليم) بأحوالهم (حكيم) فيما فعل بهم من الارجاء وغيره والآية نزلت فى ثلاثة نفر من المتخلفين وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العمرى وهلال بن امية كانوا من اهل بدر ومياسير ومع ذلك تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال كعب بن مالك انا افره اهل المدينة جملا فتى شئت لحقت العسكر فتأخر اياما وايس بعدها من اللحوق بهم فندم على ما صنعه وكذلك صاحباه ولكن لم يفعلوا ما فعله ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السوارى واظهار الغم والجزع فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية ونهى الناس ان يجالسوهم او يؤاكلوهم او يشاربوهم وامرهم باعتزال نسائهم وارسالهن الى اهاليهن فجاءت امرأة هلال تسأل ان تأتيه

بطعامه فانه شيخ كبير فاذن لها فى ذلك خاصة وجاء رسول من الشام الى كعب برغبة فى اللحاق بهم فقال كعب بلغ من خطيئتى الى ان طمع فى المشركون قال فضاقت على الارض بما رحبت وبكى هلال ابن امية حتى خيف على بصره فجعل ناس يقولون هلكوا ان لم ينزل الله لهم عذرا وآخرون يقولون عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامر الله اما يعذبهم واما يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد ما مضى خمسون يوما بقوله لقد تاب الله على النبى الى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية اخر الله تعالى امرهم مدة ثم بين توبتهم على اجمل الوجوه حيث قرن توبتهم بتوبته تعالى على النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار وعلم منه ان الهجران للتربية جائز ولو فوق ثلاثة ايام الاترى الى الاصحاب كيف قطعوا سلامهم وكلامهم من اولئك الثلاثة الى ان بلغ الكتاب اجله وان اخلاص النية وتفويض الامور الى الله تعالى سبب لرحمة الله تعالى وان البكاء ايضا مدار لقبول التوبة واخلاص الحال فلا بد من الاستغفار والبكاء على الاوزار حكى عن بعض اصحاب فتح الموصلى قدس سره قال دخلت يوما على فتح فوجدته يبكى وقد خالطت دموعه صفرة فقلت له بالله عليك ياسيدى هل بكيت الدم فقال والله لولا انك اقسمت على بالله عز وجل ما اخبرتك بكيت الدمع وبكيت الدم فقلت على م بكيت الدمع قال على تخلفى عن حق الله تعالى قلت فعلى م بكيت الدم قال على الدموع ان لا تصح لى اى لاتقبل منى قال فلما توفى رأيته فى المنام فقلت مافعل الله بك قال غفرلى وقربنى ربى وقال يافتح بكيت كل هذا البكاء على ماذا فقلت يارب على تخلفى عن حقك قال والدم لم بكيته قلت يارب على الدموع ان لاتصح لى قال يافتح فما اردت بهذا كله وعزتى وجلالى لقد صعد الى حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ومافيها خطيئة فهذه حال اكابر اولياء الله تعالى يسيئون الظن بأنفسهم ويجتهدون فى الله وان علموا العفو والمغفرة ووقف الفضيل فى بعض حجاته ولم ينطق بشئ فلما غربت الشمس قال واسوأتاه وان عفوت يقول الغفير وهذا كلام حق فان من الفضاحة العصيان ومن الفضاحة ايضا بقاء اثره الدنيوى بعد الغفران الاترى ان عتقاء جهنم لايسترحون يوم القيامة وان دخلوا الجنة الى ان يمحوالله تعالى ما كتب على جباههم من الاثر (قال الحافظ) هرچند كه هجران ثمر وصل برآرد * دهقان ازل كاشكه اين تخم نكشتى (وقال السعدى) بسا نام نيكوى پنجاه سال * كه يك نام زشتش كند پايمال * وفى الآية اشارة الى ان الحكمة الالهية اقتضت اقدام بعض النفوس على الذنوب وتأخير توبتهم وهم مترددون بين الخوف والرجاء ولهم فيما بين ذلك تربية ليطيروا بجناحى الخوف والرجاء الى ان يصلوا الى مقام القبض والبسط الى ان يبلغوا سرادقات الانس والهيبة ثم ليطيروا بجناحى الانس والهيبة الى قاب قوسى السير والتجلى اوادنى الوحدة والله عليم بتربية عباده حكيم بمن يصلح للقرب والقبول وبمن يصلح للبعد والرد كذا فى التأويلات النجمية (والذين اتخذوا مسجدا) اى ومن المتخلفين عن غزوة تبوك المنافقون الذين اتخذوا مسجدا قبا وهو بضم القاف ويذكر ويقصر قرية قرب المدينة على نصف فرسخ منها كما فى التبيان اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة وقدم قبا نزل فى بنى عمرو بن عوف وهم بطن من الاوس على كلثوم بن الهدم وكان شيخ بنى عمرو بن عوف وهل كان اسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم الى قبا اوبعده فيه اختلاف فلما نزل وذلك فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول قال عمار بن ياسر رضى الله عنه مالرسول الله بد من ان يجعل له مكان يستظل به اذا استيقظ ويصلى فيه فجمع حجارة فاسس رسول الله مسجدا واستتم بنيانه عمار فعمار اول من بنى مسجدا لعموم المسلمين وكان مسجد قبا اول مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه جماعة ظاهرين اى آمنين وبعد تحوله عليه السلام الى المدينة وذلك فى يوم الجمعة بعد ان لبث فى قبا بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس اوبضع عشرة ليلة وهو المنقول عن البخارى اواربعة عشر يوما وهو المنقول عن مسلم كان يأتيه يوم السبت ماشيا وراكبا ويصلى فيه ثم ينصرف وفى الحديث من توضأ واسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قبا فصلى فيه له اجر عمرة كما فى السيرة الحلبية فهذا المسجد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار بمعاونة بنى عمرو بن عوف نشاء الله تعالى كما عليه الاكثرون وفى الحديث من بنى مسجدا لايريد به رياء ولاسمعة بنى الله له بيتا فى الجنة قال القرطبى هذه المسألة ليست على ظاهرها من كل الوجوه وانما معناه بنى له ثوابه بناء اشرف واعظم وارفع لان اجور الاعمال متضاعفة وان الحسنة بعشر امثالها وهذا كما قال فى التمرة انها تزاد حتى تكون مثل الجبل

ولكن هذا التضعيف انماهو بحسب ما يقترن بالفعل من الاخلاص فان بنى على غير الاخلاص اوعلى وجه غير مرضى فلا ثواب له ولا يعبأ الله به وان كان فى ظاهر الشرع له حكم المساجد من الاحترام والتعظيم وغير ذلك وكذا الربط والخوانق والقناطر والمطاهر وكل بناء فهو مشروط بذلك قاله فى شرح الالمام قال النووى يدخل فى هذا الحديث من عمر مسجدا اقد استهدم واذا اشترك جماعة فى عمارة مسجد فهل يحصل لكل منهم بيت فى الجنة كمالو أعتقد جماعة عبدا مشتركا بينهم فانهم يعتقون من النار ويجوزون العقبة لقوله تعالى وما ادراك ما العقبة فك رقبة وقد فسر النبى عليه السلام فك الرقبة بعتق البعض والقياس الحاق المساجد بالعتق لان فيه ترغيبا وحملا للناس على انشاء المساجد وعمارتها وهل يمكن الكافر من بناء المسجد فذهب بعضهم الى ان الصحيح جوازه لقوله عليه السلام ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر كما فى تفسير البغوى قال الواحدى عند قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله دلت الآية على ان الكفار ممنوعون من عمارة مسجد المسلمين ولو أوصى لم تقبل وصيته انتهى قال سعدى چلپى المفتى عدم قبول وصيته مجمع عليه بين اصحابنا الحنفية انتهى ولا يصير الكافر ببناء المسجد مسلما وان عظمه حتى يأتى بالشهادتين بخلاف المسلم اذا اتى كنيسة واعتقد تعظيمها فانه يكفر لان الكفر يحصل بمجرد النية والاسلام لا يحصل الا بالتلفظ بالشهادتين كما فى فتح القريب يقول الفقير سامحه الله القدير علم منه ان بعض القبط فى الديار الرومية ممن اظهر الاسلام رأيناهم يصلون ويصومون كصلاة المخلصين وصيامهم ثم انهم يدخلون كنائس النصارى فى مواسمهم فهم مرتدون بذلك ولا تصح الصلاة على موتاهم ان ماتوا على تلك الحالة لانه لا شك فى تعظيمهم الكنائس وموافقتهم النصارى فى افعالهم فى ايامهم ولياليهم المعهودة فلا نتوقف فى كفرهم واما تلفظهم بالشهادة فهو بحسب العادة ولا يغنى عنهم ذلك شيأ فى اعتقادهم وبعض المعاصرين من العلماء يتوقفون فى كفرهم جهلا العياذ بالله تعالى ثم نرجع ونقول ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا ذلك المسجد حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا أنصلى فى مربط حمار لامرأة عمرو وذلك لانه كانت امرأة تربط فيه حمارها وقيل كان مكان مسجد قبا محلا يجفف فيه التمر لكلثوم ابن هدم رضى الله عنه ما فبنوا مسجدا آخر فى قبا على قصد الفساد وتفريق جماعة المؤمنين وان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وفى الحدادى انهم بنوه باذن النبى عليه السلام اقول هذا يخالف سوق القصة كما لا يخفى وبعيد ان يأذن رسول الله قبل اشارة الله فى ذلك وقصة ابى عامر الراهب انه كان من اشراف قبيلة الخزرج تنصر فى الجاهلية وترهب ولبس المسوح وكان ماهرا فى علم التوراة والانجيل (قال الكاشفى) وپيوسته نعت وصفت سيد عالم براهل مدينه مى خواند چون آن حضرت بمدينه هجرت فرمود اهل آن خطه شيفتهٔ جمال وكمال وى شده وأز صحبت ابو عامر برميدند وبرواى اونكردند * باوجود لب جان بخش تواى آب حيات * حيفم آيد سخن از چشمهٔ حيوان كفتن * فحسده وعاداه لانه زالت به عليه السلام رياسته وقال له لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك فلم يزل يقاتل معه عليه السلام الى ان تقاتل معه يوم هوازن فلما انهزمت هوازن خرج الى الشام (قال الكاشفى) بنزد هرقل كه ملك روم بود درفت وى خواست ازروم عسكر ولشكر ساز كرده بجنك مسلمانان آيد نامه نوشت بمنافقان چون ثعلبه بن حاطب وامثال اوكه شما در مقابلهٔ قبا در محلهٔ خويش براى من مسجدى بسازيد كه چون من بمدينه آيم انجا بافادهٔ علم اشتغال نمايم ايشان مسجدى ساختند وحضرت پيغمبر چون عازم غزوهٔ تبوك شد بانيان مسجد آمده كفتند يارسول الله ما براى ضعيفان وبيماركان وباريكى وتاريكى مسجدى ساخته ايم والتماس داريم كه دران مسجد نماز كزارى وغرض ايشان آن بودكه بواسطهٔ نماز آن حضرت مهم خودرا استحكام دهند چنانچه در مثنويست * مسجد اصحاب مسجد را نواز * تا مهى تاشب دمى با ما بساز * تاشود شب ازجمالت همچو روز * اى جمالت آفتاب جان فروز * اى دريغا كان سخن ازدل بدى * تامراد آن وتو حاصل شدى * قال فى السيرة الحلبية كانوا يجتمعون فيه ويعيبون النبى عليه السلام ويستهزئون به فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا لاتيناكم فصلينا لكم فيه فلما رجع من تبوك اتوه فسألوه اتيان مسجدهم فدعا عليه السلام بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله هذه الآية فقال والذين اتخذوا مسجدا (ضرارا) مفعول له اى مضارة للمؤمنين (قال الكاشفى) براى ضرر مؤمنان وستيزهٔ ايشان (وكفرا) وتقوية للكفر الذى

يضعرونه (وتفريقا بين المؤمنين) الذين كانوا يجتمعون فى مسجد قبا فانهم ارادوا ببنائهم المسجد صرف بعض الجماعة اليه وتفريق كلمة المؤمنين (وارصادا) اى ترقبا وانتظارا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) اى من قبل اتخاذ هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب اى لاجله حتى يجيء فيصلى فيه ويظهر على رسول الله وقد سبق حضوره فى الوقائع كلها لمن متعلق بحارب او باتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان يظهر هؤلاء النفاق بالتخلف (وليحلفن) والله ليحلفن فهو جواب قسم مقدر (قال الكاشفى) وهر آينه سوكند ميخورند چون كسى كو يد چرا اين مزكت ساختيد (ان) نافية (اردنا) اى ما اردنا ببناء هذا المسجد (الا الحسنى) الا الخصلة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم ذلك ولما نزلت هذه الاية واعلمه الله بخبرهم وما هموا به دعا اى رسول الله الوحشى قاتل حمزة وجماعة معه فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا اسراعا وأخذوا سعفا من النخل وأشعلوا فيه النار وذلك بين المغرب والعشاء وهدموه الى الارض وامر النبى عليه السلام ان يتخذ كناسة يلقى فيها القمامة والجيف ثم بعد زمان اعطاه صلى الله عليه وسلم لثابت بن ارقم يجعله بيتا فلم يولد فى ذلك البيت مولود قط وحفر فيه بقعة فخرج منها الدخان ومات ابو عامر بالشام وحيدا غريبا وذلك انه عليه السلام لما قدم المدينة اقبل اليه ابو عامر فقال ما هذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر وانا عليها فقال عليه السلام انك لست عليها قال بلى ولكنك ادخلت فى الحنيفية ماليس فيها فقال عليه السلام ما فعلت ذلك ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال عليه السلام آمين فسماه اباعامر الفاسق مكان الراهب فمات كافرا بقنسرين وهى بكسر القاف وتشديد النون المفتوحة أو المكسورة اسم بلدة فى الشام ومع هذه الخباثة كان له ولد صالح يقال له ابو حنظلة استشهد يوم احد فغسلته الملائكة عليهم السلام (قال السعدى)

هنر بنماى اكر دارى نه كوهر * كل از خارست وابراهيم از آزر *

وفى الآية اشارة الى ان أهل الطبيعة اتخذوا من بلد النفس مسجدا ضرارا لارباب الحقيقة وكفرا بأحوالهم كانهم اتخذوا بستان القلب مسجدا يذكرون الله فيه ويطلبونه وهذا وصف مدعى الطلب الكاذبين فى دعواهم المتشبهين بزى ارباب الصدق والطلب وتفريقا بين المؤمنين الطالبين الصادقين باظهار الدعوى من غير المعنى اى يفرقون بين الاخوان فى الله فى طلب أنواع الحيل تارة بطلب صحبة معهم ومرافقتهم فى الاسفار وتارة بذكر البلدان وكثرة النعم فيها وطيب هوائها وكرم اهلها وأرادتهم لهذه الطائفة لينزعوهم عن خدمة المشايخ وصحبة الاخوان وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ليوقعوهم فى بلاء صحبة الاباحية من مدعى الفقر والمعرفة وهم يحاربون الله بترك دينه وشريعته ورسوله بترك متابعته واحياء سنته وليحلفن لهم ان أردنا الا الحسنى فيما دعوناكم اليه والله يشهد انهم لكاذبون فيما يدعون ويحلفون كذا فى التأويلات النجمية (لاتقم) يا محمد للصلاة (فيه) اى فى مسجد هؤلاء المنافقين (ابدا) قال سعدى المفتى اى لا تصل فيه عبر بالقيام عن الصلاة كما فى قولهم فلان يقوم الليل ومنه الحديث الصحيح من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (لمسجد) مسجد قبا واللام للابتداء او القسم (اسس) التأسيس احكام أس البناء وهو اصله يعنى اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا (على التقوى) قال فى التبيان اى بنيت حدوده ورفعت قواعده على طاعة الله وفى الحدادى لوجه الله وعلى ههنا للمصاحبة بمعنى مع كما فى قوله تعالى وآتى المال على حبه كما فى حواشى سعدى المفتى (من اول يوم) من ايام وجوده وتأسيسه متعلق باسس وكلمة من الجارة اذا كانت للابتداء تجر المكان كثيرا كما فى قولك جئت من البصرة وقد تجر الزمان ايضا عند الكوفيين كما فى هذه الآية فالمعنى منذ اول يوم بنى لان منذ لابتداء الغاية فى الزمان تقول ما رأيته منذ شهر وقال الرضى من فى الآية بمعنى فى وذلك كثير فى الظروف ويقال اراد بالمسجد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والاول اشهر وأوفق للقصة اذ المسجد بقبا فالموازنة بينهما اولى من الموازنة بين ما بقبا وما بالمدينة قال الحدادى لا يمتنع ان يكون المراد بالمسجد الذى أسس على التقوى كلا المسجدين مسجد النبى عليه السلام ومسجد قبا (احق ان تقوم فيه) اى اولى ان تصلى فيه فان قيل لم قال الله تعالى أحق ان تقوم فيه مع ان المفاسد الاربع المذكورة بقوله ضرارا وكفرا وتفريقا وارصادا تمنع جواز قيامه فى الآخر والجواب ان الكلام مبنى على النزول والمعنى لو فرضنا

جواز القيام فى مسجد الضرار لكان القيام فى مسجد التقوى احق واولى لكونه على قاعدة محكمة فكيف والقيام فيه باطل لكونه مبنيا الاغراض فاسدة ويجوز ان يقال أحق ليس للتفضيل بل بمعنى حقيق كما قال المولى ابو السعود والمراد بكونه احق كونه حقيقا به اذ لا استحقاق فى مسجد الضرار رأسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله فى نفسه او الافضلية فى الاستحقاق المتناول ما يكون باعتبار زعم البانى ومن يتابعه فى الاعتقاد وهو الانسب بما سيأتى (فيه) اى فى المسجد المؤسس على التقوى (رجال) يعنى الانصار جملة مستأنفة مبينة لأحقيته لقيامه عليه السلام فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل (يحبون ان يتطهروا) من الانجاس والاخباث مطلقا بدنية كانت او عملية كالمعاصى والخصال الذميمة (والله يحب المطهرين) اى يرضى عن المتطهرين ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه روى ان هذه الآية لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط قالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا فيه رجال يحبون ان يتطهروا وفى كلام بعضهم اول من استنجى بالماء ابراهيم عليه السلام والاستنجاء مسح موضع النجو اى ما خرج من البطن وهو فى الاصل اعم منه ومن غسله كما فى المغرب فيطهر موضع النجو بثلاثة امداد فان لم يجد فبالاحجار فان لم يجد فبكفه ولا يستنجي بما سوى الثلاثة لانه يورث الفقر والمقصود التنقية فلو حصل بالواحد كفاه ولو لم يحصل بالثلاثة زاد ولا يستنجي من النوم والريح فانه بدعة وليس على المستحاضة استنجاء لكل صلاة بلا بول وغائط كما فى النوازل واستعمال المنشفة ادب وذلك قبل ان يقوم وبعد الغسل ليزول اثر الماء المستعمل بالكلية وكان الانصار يتبعون الماء اثر البول ايضا وعن بعضهم ان المراد التطهر من الجنابة فلا ينامون عليها وفى الحديث (ثلاثة لا تقربهم الملائكة) المراد بالملائكة هنا هم الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الحفظة فانهم لا يفارقونه على اى حال من الاحوال وقال بعض العلماء المراد بالملائكة غير الحفظة وغير ملائكة الموت وقيل اراد لا تحضره الملائكة بخير (جيفة الكافر) المراد بها ذاته حيا وميتا لان الكافر نجس بعيد من الرحمة فى الحياة وبعد الموت (والمتضمخ) بالضاد والخاء المعجمتين اى المتلطخ المتدهن بالخلوق بفتح الخاء المعجمة طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من انواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة وقال ابو عبيدة عند العرب هو الزعفران وحده ووجه النهى عن الخلوق لما فيه من الرعونة والتشبه بالنساء والنهى عن الخلوق مختص بالرجال دون النساء كما فى المفاتيح (والجنب) الجنابة لغة البعد وسمى الانسان جنبا لانه نهى ان يقرب مواضع الصلاة ما لم يتطهر وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل (الا ان يتوضأ) وهذا فى حق كل من اخر الغسل لغير عذر اولعذر اذا امكنه الوضوء فلم يتوضأ وقيل لم يرد بالجنب من اصابته جنابة فأخر الاغتسال ولكنه الجنب الذى يتهاون بالغسل ويتخذ تركه عادة لان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينام وهو جنب ويطوف على نسائه بغسل واحد وفى الشرعة وينام بعد الوطئ نومة خفيفة فانه اروح للنفس لكن السنة فيه ان يتوضأ اولا وضوءه للصلاة ثم ينام كما فى شرح ابن السيد على قال فى فتح القريب المراد بالوضوء الشرعى بلا خلاف وفى رواية شعبة اغسل ذكرك ثم توضأ وارقد هذا هو الصحيح يعنى الامر بغسل الذكر ثم الوضوء ومن نام ولم يتوضأ فليستغفر الله تعالى ولو اراد العود اى من غير نوم فليتوضأ اى ليتنظف بغسل الذكر واليدين فليس المراد بالوضوء الشرعى المشهور كما ذهب اليه المالكية كما فى شرح المشارق والوضوء يطلق على غسل اليدين كما فى قوله عليه السلام الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر واذا توضأ وضوءه للصلاة واراد ان ينام فهل الاولى ان ينوى رفع الحدث الاصغر او ينوى سنة العود اورفع الجنابة او ما اصابه من الاعضاء المغسولة الظاهر الاول ليكون عبادة مستقلة او مخففة للحدث بزوال احد الحدثين كذا فى فتح القريب وفيه ايضا اختلف فى علة الوضوء فقيل لانه يخفف الحدث وقيل ليبيت على احدى الطهارتين خشية ان يموت فى نومه ذلك لان الملائكة لا تدخل بيتا فيه جنب فبزوال ذلك بالوضوء ومذهب الشافعى ومالك استحباب الوضوء للجنب قبل النوم لانه عليه السلام كان يفعل ذلك

وعن بعض المالكية لاتسقط العدالة بتركه لاختلاف العلماء فيه وقال بعضهم فى الاية يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم روى ان جابرا قال استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قيل ام ملدم فأمر بها عليه السلام الى أهل قبا فلقوا منها مالا يعلمه الا الله فشكوا اليه عليه السلام فقال ان شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا اوتفعل ذلك قال نعم قالوا فدعها وقد جاء ان حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوما كان له برآءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وعن عائشة رضى الله عنها لما قدمت المدينة اخذتها الحمى فسبتها فقال عليه السلام لاتسبيها فانها مأمورة ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتهن اذهبها الله تعالى عنك قالت علمنى قال قولى اللهم ارحم جلدى الرقيق وعظمى الدقيق من شدة الحريق ياام ملدم ان كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعى الرأس ولاتنتنى الفم ولاتأكلى اللحم ولاتشربى الدم وتحولى عنى الى من اتخذ مع الله الها آخر فقالتها فذهبت عنها ولما استوخم المهاجرون هوآء المدينة ولم يوافق امزجتهم فرض كثير منهم وضعفوا تشوقوا الى مكة المكرمة ولذا نظر عليه السلام يوما الى السماء لانها قبلة الدعاء وقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة وبارك لنا فى مدها وصاعها وصححها لنا ثم انقل وباءها الى مهيعة اى الجحفة وهى قرية قريبة من رابغ محل احرام من يجئ من جهة مصر حاجا وكان سكانها اذ ذاك يهودا ودعاؤه عليه السلام ان يحبب اليهم المدينة انما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه ومن ثم جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها انها سألت رجلا بحضور النبى عليه السلام قدم المدينة من مكة فقال له كيف تركت مكة فذكر لها من اوصافها الحسنة فاغرغرت منه عينا رسول الله عليه السلام وقال لاتشوقنا يافلان * قتنهادرا نجمن بيداشود ازسوز من * چون مرادر خاطر آيد مسكن ومأواى دوست * وفى اسئلة الحكم ان الختان للتطهر لانه يوجب المحبة الالهية كما قال تعالى والله يحب المطهرين فيحصل الاحتراز والتطهر من البول بالختان قال الفقهاء الاقلف يجب عليه ايصال الماء الى القلفة اذ لاحرج فيه وفى الحديث اتقوا البول فان عامة عذاب القبر من البول فانه اول مايحاسب به العبد فى القبر كما فى الترغيب اعلم ان مسجد المنافقين اشارة الى مزبلة النفس والمسجد المؤسس على التقوى اشارة الى مسجد القلب وهو قد اسس على العبودية والطاعة والاقرار بالوحدانية من اول يوم الميثاق عند خطاب ألست بربكم وجواب قالوا بلى واهله متطهرون عن الصفات الذميمة والاخلاق اللئيمة بل عن دنس الوجود ولوث الحدوث والله يحب المتطهرين الفانين عن وجودهم الباقين بالله ولولا محبته اياهم ماوفقهم للتطهير فتطهرهم مطلقا اثر من آثار محبة الله لهم (قال الحافظ) طهارت ارنه بخون جكر كند عاشق * بقول مفتى عشق اش درست نيست نماز (وفى المثنوى) روى ناشسته نبيند روى حور * لاصلاة كفت الابالطهور * وهو بالفتح مصدر بمعنى التطهير ومنه مفتاح الصلاة الطهور واسم لما يتطهر به كذا فى المغرب (افمن اسس بنيانه) جملة مستأنفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار وهمزة الاستفهام للانكار والفاء للعطف على مقدر والتأسيس احكام اس البناء وهو اصله والبنيان مصدر كالغفران اريد به المفعول اى المبنى والمعنى ابعد ما علم حالهم فمن اسس بنيان مسجده اذ الكلام فيه ويؤيده اسس على التقوى (وقال الكاشفى) آيا هر كس كه اساس افكند بناى دين خودرا (على تقوى من الله) المراد بالتقوى درجتها الثانية التى هى التقوى عن كل مايؤثم من فعل اوترك فيكون غير منصرف كحبلى فلا تنوين فيه اذا وقرئ بالتنوين على ان يكون الفه للالحاق كالف ارطى (ورضوان) وطلب مرضاته بالاشتغال بالطاعة (خير) اطلاق خير على معتقد اصحاب مسجد الضرار من اعتقاد الاشتراك فى الخيرية (امن اسس بنيانه) والمعنى اى الفريقين خير واحق بالمصاحبة والصلاة معهم من أسس بناء مسجده مريدا به تقوى الله وطاعته وهم اهل مسجد قبا امن اسس بنيان مسجده على النفاق والكفر وتفريق المؤمنين وارصاد كافر شأنه كيد المسلمين وتوهين امر الدين وترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا واختلافهما وصفا واضافة (على شفا جرف هار) شفا الشئ بالقصر طرفه وشفيره وتثنيته شفوان والجرف بالضم والاسكان وهما لغتان الارض التى جرفت السيول اصلها اى حفرته واكلته والهارى المتصدع المشرف على السقوط يقال هار الجرف يهور ويهير اذا انشق من خلفه وهو ثابت بعد مكانه فهو هار فهارى مقلوب هاير نقلت لامه الى مكان العين كما فعل فى شاك اصله شايك

فصار هارى فاعل كقاضى قال ابو البقاء اصله هاور او هاير ثم اخرت عين الكلمة فصارت بعد الرآء وقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها ثم حذفت لسكونها وسكون التنوين فوزنه بعد القلب فالع وبعد الحذف فال وعين الكلمة واو اوياء يقال تهور البناء وتهير (فانهار به فى نار جهنم) يقال هار البناء هدمه فانهار والانهيار ريحيده شدن كما فى تاج المصادر وفاعل انهار ضمير البنيان وضمير به للمؤسس البانى اى تساقط بنيانه وتناثر به اى بصاحبه فى النار قال قتادة ذكر لنا انه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار قال الحدادى كان من بنى على جانب نهر صفته ماذكرنا انهار بناؤه فى الماء فكذلك بناء اهل النفاق مسجد الشقاق كبناء على جرف جهنم يهور باهله فيها (والله لايهدى القوم الظالمين) اى لانفسهم او الواضعين للاشياء فى غير موضعها اى لايرشدهم الى مافيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موصلا لامحالة واما الدلالة على مايرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه والظلم فى الحقيقة وضع عبادة الدنيا ومحبتها والحرص فى طلبها فى موضع عبادة الله تعالى ومحبته والصدق فى طلبه (لايزال بنيانهم الذى بنوا) البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذى صلته فعله للايذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على اوهن قاعدة واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اى لايزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما (ريبة فى قلوبهم) اى سبب ريبة وشك فى الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم فى مجمع على حياله يظهرون فيه مافى قلوبهم من آثار الشرك والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون فى ذلك ويلقى بعضهم الى بعض ماسمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا فى الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به ماكان فى قلوبهم من الشر والفساد وتضاعفت آثاره واحكامه (الا ان تقطع) من التفعل بحذف احدى التائين اى الا ان تتقطع (قلوبهم) قطعا وتتفرق اجزاء بحيث لايبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال محله النصب على الظرفية اى لايزال بنيانهم ريبة فى كل وقت من الاوقات او كل حال من الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها واما مادامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم الى الموت ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او فى القبور بالبلى او فى النار (والله عليم) وخداى تعالى داناست بتأسيس بنا وايشان كه بجه نيت بوده (حكيم) فيما حكم وامر من هدم مسجدهم واظهار نفاقهم اعلم ان فى الآيتين المذكورتين اشارات منها ان صفاء الطوية وحسن الاعتقاد كالاساس فى باب الاعمال فكما ان البناء لايقوم على الماء بل يقوم على الارض الصلبة كذلك الاعمال لاتقوم الا على محكم الاعتقاد وهو الباعث على اخلاص العمل الذى هو ارادة التقرب الى الله تعالى وتعظيم امره واجابة دعوته وضده النفاق وهو التقرب الى الخلق من دون الله تعالى واما اخلاص طلب الاجر فهو ارادة نفع الآخرة بعمل الخير وضده الرياء وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الآخرة سوآء اراده من الله او من الناس لان الاعتبار فى الرياء بالمراد لا بالمراد منه فعلى العاقل ان يجعل اساس دينه على الاعتقاد الصحيح والاخلاص والتقوى حتى يكون كشجرة اصلها ثابت وفرعها فى السماء ومنها ان المنافقين بنوا مسجدا للصلاة صورة فهم انما بنوا متحدثا لهم حقيقة ومحلا لمحذورات اقوالهم وافعالهم ولذا كان حريا بالقاء الجيف فيه بعد الهدم فتمتعوا قليلا ثم وقعوا فى النار جميعا كما قال تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم فكما ان من جالسهم فى مجالسهم القذرة العذرة شقى شقاوة حقيقية كذلك من جالس الصديقين والعارفين فى مجالسهم المطهرة وانديتهم المقدسة سعد سعادة ابدية وتظهر طهارة اصلية وقد قال عليه السلام انهم القوم لايشقى بهم جليسهم فالمراد السامع او الجالس لان المجالسة والسماع ينتجان عن المحبة قال عليه السلام المرء مع من احب وهنا سر صوفى يريد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة فى الدنيا بالطاعة والادب الشرعى وفى الآخرة بالمعاينة والقرب المشهدى ومنها انهم ارادوا ببنيانهم مكرا وخديعة وغفلوا عن مكر الله تعالى بهم ولذا افتضحوا * مكر حق سرچشمهٔ اين مكرهاست * قلب بين اصبعين كبرياست * آنكه سازد در دلت مكر وقياس * آتشى داند زدن اندر پلاس * ومنها ان من كانت شقاوته اصلية ازلية فهو لايزداد بما ابتلاه الله تعالى به الا ضلالا وغيظا وانكارا والعاقل يختار فضوح الدنيا لانه اهون من فضوح الآخرة * از ين هلاك مينديش وباش مردانه * كه اين هلاك بود موجب خلاص ونجات * ومنها ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذب الناس عن النار وعن الوقوع فيها ولذا هدم مسجد الضرار اذ لو تركه على حاله لعاد الضرر على العامة بنزول البلية وهى نار معنى ولافتتن به بعض الناس والفتنة الدينية سبب للنار حقيقة فأهل الفساد والشر لا يقرون على ماهم عليه بل ينكر عليهم اشد الانكار بهتك اعراضهم واخراجهم من مساكنهم ان مست الحاجة الى الاخراج وكذا هدم بيوتهم ومنازلهم ذكر فى فتاوى ابى الليث رجل بنى رباطا للمسلمين على ان يكون فى يده مادام حيا فليس لاحد ان يخرجه من يده مالم يظهر منه امر يستوجب الاخراج من يده كشرب الخمر فيه وما اشبه ذلك من الفسق الذى ليس فيه رضى الله لان شروط الوقف يجب اعتبارها ولا يجوز تركها الا للضرورة وقال فى نصاب الاحتساب فاذا كان الخانقاه يخرج من يد بانيه لفسقه فكيف يترك فى الخانقاه فاسق او مبتدع مثل الحديدية الذين يلبسون الحديد لان الحديد حلية اهل النار سوآء اتخذ خاتما او حلقة فى اليد او فى الاذن او فى العنق او غير ذلك ومثل الجوالقية الذين يلبسون الجوالق والكساء الغليظ ويحلقون اللحية وكلاهما منكر فأما الاول فلانه لباس شهرة وقد نهى عنه واما الثانى فلانه من فعل الافرنج وفيه تغيير خلق الله تعالى والتشبه بالنساء ومثل القلندرية الذين يقصون الشعور حتى الحاجب والاهداب وفيهم (يقول الحافظ) قلندرى نه بريشست وموى يا ابرو * حساب راه قلندر بدانكه موى بموست * كذشتن از سر مو در قلندرى سهلست * چو حافظ آنكه ز سر بكذرد قلندر اوست * وقس عليهم سائر فرق اهل البدعة وفى الحديث لقد هممت ان آمر رجلا يصلى بالناس وانظر الى اقوام يتخلفون عن الجماعة فأحرق بيوتهم وهذا يدل على جواز احراق بيت الذى يتخلف عن الجماعة لان الهم على المعصية لا يجوز من الرسول عليه السلام لانه معصية فاذا علم جواز احراق البيت على ترك السنة المؤكدة فما ظنك فى احراق البيت على ترك الواجب والفرض عصمنا الله واياكم من الاقوال والافعال المنكرة (ان الله اشترى) روى ان الانصار لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا او اربعة وسبعون من اهل المدينة قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترطت لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ واشترطت لنفسى ان تمنعونى ما تمنعون منه انفسكم واموالكم قال فاذا فعلنا ذلك فمالنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل اى لا نفسخه ولا ننقضه * آن بيع راكه روز ازل با تو كرده ايم * اصلا دران حديث اقاله نميرود * فنزلت ان الله اشترى (من المؤمنين) لا من المنافقين والكافرين فانهم غير مستعدين لهذه المبايعة قال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن والله ما على وجه الارض مؤمن الا وقد دخل فى هذه البيعة وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة المالية قال ابن ملك فى شرح المشارق المبايعة من جهة الرسول عليه السلام هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته (انفسهم) نفسهاى ايشانرا كه مباشر جهاد شوند * فالمراد بالنفس هو البدن الذى هو المركب والآلة فى اكتساب الكمالات للروح المجرد الانسانى (واموالهم) ومالهاى ايشانرا كه درراه نفقه كنند * فالمال الذى هو وسيلة الى رعاية مصالح هذا المركب (بأن لهم الجنة) بآنكه مر ايشانرا باشد بهشت * اى باستحقاقهم الجنة فى مقابلتها وهو متعلق باشترى ودخلت الباء هنا على المتروك على ما هو الاصل فى باء المقابلة والعوض ولم يقل بالجنة مبالغة تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم فان قيل كيف يشترى احد ملكه بملكه والعبد وماله لمولاه قيل انما ذكر على وجه التحريض فى الغزو يعنى * اى بنده از تو بذل كردن نفس ومال واز من عطاء ادن بهشت بى زوال * ففيه تلطف للمؤمنين فى الدعاء الى الطاعة البدنية والمالية وتأكيد للجزآء كما قال تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فذكر الصدقة بلفظ القرض للتحريض على ذلك والترغيب فيه اذ القرض يوجب رد المثل لا محالة وكان الله تعالى عامل عباده معاملة من هو غير مالك فالاشترآء استعارة عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم وأموالهم التى بذلوها فى سبيله واثابته اياهم بمقابلتها الجنة فالله تعالى بمنزلة المشترى والمؤمن بمنزلة البائع وبدنه وأمواله بمنزلة المبيع الذى هو العمدة فى العقد والجنة بمنزلة الثمن الذى هو الوسيلة وانما لم يجعل الامر على العكس بأن يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليدل على أن المقصد فى العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون فى مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بأنفسهم وأموالهم وعن جعفر الصادق

رضى الله عنه انه كان يقول يا ابن آدم اعرف قدر نفسك فان الله عرفك قدرك لم يرض أن يكون لك ثمن غير الجنة (وفى المثنوى) خويش را نشناخت مسكين آدمى * از فزونى امد وشد در كمى * خويشتن را آدمى ارزان فروخت * بود اطلس خويش را بر دلق دوخت (قال الكاشفى) نفس مايه شر وشور است ومال سبب طغيان وغرور واين دو ناقص معيوب را در راه خدا كن وبهشت باقى مرغوب را بستان * سنك بينداز وكهر مى ستان * خاك زمين مى ده وزر مى ستان * در عوض فانى خوار وحقير * نعمت پاكيزه باقى بكير * وفى التفسير الكبير حكى فى الخبر ان الشيطان يخاصم ربه بهذه الآية ويحتج بالمسألة الشرعية فى البيع اذا اشترى المشترى متاعا معيوبا برده الى البائع يقول يارب أنت اشتريت نفوسهم وأموالهم فنفوسهم وأموالهم كلها معيوبة ترد لى عبادك بشرعك وعدلك يكونوا معى حيث اكون فيقول الله تعالى أنت جاهل بشرعى وعدلى وفضلى اذا اشترى المشترى متاعا بكل عيب فيه بفضله وكرمه لا يجوز رده فى شرعى فى مذهب من المذاهب فيخسأ الشيطان خجلا طريدا مخذولا (وفى المثنوى) كالهٔ كه هيچ خلقش ننكرد * از خلاقت آن كريم آنرا خرد * هيچ قلبى پيش حق مردود نيست * زانكه قصدش از خريدن سود نيست * پس حق سبحانه وتعالى ما را خريده وبعيوب ما دانا اميد است كه از دركاه كرم ردنكند ودر نفحات الانس از ابوذر بورجانى نقل ميكند كه * تو بعلم ازل مرا ديدى * ديدى آنكه بعيب بخريدى * تو بعلم آن ومن بعيب همان * ردمكن آنچه خود پسنديدى (يقاتلون فى سبيل الله) استئناف لبيان البيع الذى يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم وأموالهم بالجنة فقيل يقاتلون فى سبيل الله يعنى در راه خدا وطلب رضاى او * وهو بذل منهم لانفسهم وأموالهم الى جهة الله تعالى وتعريض لهما للهلاك وقال الحدادى فيه بيان الغرض لاجل اشترائهم وهو ان يقاتلوا العدو فى طاعة الله انتهى اقول هل الافعال الالهية معللة بالاغراض اولا فيه اختلاف بين العلماء فانكره الاشاعرة واثبته اكثر الفقهاء لان الفعل الخالى عن الغرض عبث والعبث من الحكيم محال وتمامه فى التفاسير عند قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (فيقتلون) پس كاهى مى كشند دشمنانرا * فهم الغزاة فلهم الجنة (ويقتلون) وكاهى كشته ميشوند در دست ايشان فهم الشهداء فلهم الجنة قال فى الارشاد هو بيان لكون القتال فى سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل فى سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد فى الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف بأحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين اولم توجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما فى كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبنى للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة فى الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت فى سبيل الله بل بكونه احب اليهم من السلامة واختار الحسن هذه القراءة لانه اذا قرئ هكذا كان تسليم النفس الى الشراء اقرب وانما يستحق البائع تسليم الثمن اليه بتسليم المبيع وانشد الاصمعى لجعفر رضى الله عنه

اثامن بالنفس النفيسة ربها * وليس لها فى الخلق كلهم ثمن
بها تشترى الجنات ان انا بعتها * بشئ سواها ان ذلكم غبن
اذا ذهبت نفسى بشئ اصيبه * فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن

وانشد ابو على الكوفى

من يشترى قبة فى عدن عالية * فى ظل طوبى رفيعات مبانيها
دلالها المصطفى والله بائعها * ممن اراد وجبريل مناديها

واعلم ان من بذل نفسه وماله فى طلب الجنة فله الجنة وهذا هو الجهاد الاصغر ومن بذل قلبه وروحه فى طلب الله فله رب الجنة وهذا هو الجهاد الاكبر لان طريق التصفية وتبديل الاخلاق اصعب من مقاتلة الاعداء الظاهرة فالقتل اما قتل العدو الظاهر واما قتل العدو الباطن وهو النفس وهواها (وعدا) مصدر مؤكد

لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا اذ الجنة يستحيل وجودها فى الدنيا فمضمون الجملة السابقة ناصبه قال سعدى المفتى لان معنى اشترى بأن لهم الجنة وعدهم الله على الجهاد فى سبيله (عليه) حال من قوله (حقا) لانه لو تأخر عنه لكان صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا وأصله وعدا حقا اى ثابتا مستقرا عليه تعالى (قال الكاشفى) حقا ثابت وباقى حكمه خلاف نيست در آن (فى التوراة والانجيل والقرآن) متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اى وعدا مثبتا مذكورا فى التوراة والانجيل كما هو مثبت مذكور فى القرآن يعنى أن الوعد بالجنة للمقاتلين فى سبيل الله من هذه الامة مذكور فى كتب الله المنزلة وجوز تعلقه باشترى فيدل على أن اهل التوراة والانجيل ايضا مأمورون بالقتال موعودون بالجنة (ومن اوفى بعهده من الله) من استفهام بمعنى الانكار وأوفى افعل تفضيل وقوله من الله صلته اى لا يكون احد وافيا بالوعد والعهد وفاء الله بعهده ووعده لانه تعالى قادر على الوفاء وغيره عاجز عنه الا بتوفيقه اياه كما فى التأويلات النجمية (فاستبشروا) الاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد وأوقد والفاء لترتيب الاستبشار على ما قبله اى فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل (ببيعكم) مع ان الابتهاج به باعتبار اداءه الى الجنة لان المراد ترغيبهم فى الجهاد الذى عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشراء لان ذلك من قبل الله لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم قال الحدادى ببيعكم انفسكم من الله فانه لا مشترى ارفع من الله ولا ثمن اعلى من الجنة وقوله تعالى (الذى بايعتم به) انكه مبايعه كرديد بآن * لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفانى بالباقى ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى (وذلك) اى الجنة التى جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم (هو الفوز العظيم) الذى لا فوز اعظم منه قال الحدادى اى النجاة العظيمة والثواب الوافر لانه نيل الجنة الباقية بالنفس الفانية ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذى امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا فى نفسه واعلم ان الخلق كلهم ملك الله وعبيده * وان الله يفعل فى ملكه وعبيده ما يريد * لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * ولا يقال لم يرد ولم لا يكون * ومع هذا قد اشترى من المؤمنين انفسهم لنفاستها لديه احسانا منه * ثم اعلم ان الاجل محكوم ومحتوم * وان الرزق مقسوم ومعلوم * وان من اخطأ لا يصيب * وان سهم المنية لكل احد مصيب * وان كل نفس ذائقة الموت * وان ما قدر ازلا لا يخشى من الفوت * وان الجنة تحت ظلال السيوف * وان الرى الاعظم فى شرب كؤوس الحتوف * وان من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار * ومن انفق دينارا كتب بسبعمائة دينار وفى رواية بسبعمائة الف دينار * وان الشهداء حقا عند الله من الاحياء * وان ارواحهم فى جوف طيور خضر تتبوأ من الجنة حيث تشاء * وان الشهيد يغفر له جميع ذنوبه وخطاياه * وانه يشفع فى سبعين من اهل بيته واولاده * وانه آمن يوم القيامة من الفزع الاكبر * وانه لا يجد كرب الموت ولا هول المحشر * وانه لا يحس بألم القتل * وان الطاعم النائم فى الجهاد افضل من الصائم القائم فى سواه * ومن حرس فى سبيل الله لا تبصر النار عيناه * وان المرابط يجرى له اجر عمله الصالح الى يوم قيامه * وان ألف يوم لا تساوى يوما من ايامه * وان رزقه يجرى عليه كالشهيد أبدا لا يقطع * وان رباط يوم خير من الدنيا وما فيها * وانه يأمن من فتنة القبر وعذابه * وان الله يكرمه فى القيامة بحسن مآبه * الى غير ذلك واذا كان الامر كذلك * فيتعين على كل عاقل التعرض لهذه الرتبة وصرف عمره فى طلبها والتشمير للجهاد * عن ساق الاجتهاد * والنفير الى ذوى العناد * من كل العباد * وتجهيز الجيوش والسرايا * وبذل الصلات والعطايا * واقراض الاموال لمن يضاعفها ويزكيها * ودفع سلع النفوس من غير مماطلة لمشتريها * وان ينفر فى سبيل الله خفافا وثقالا * ويتوجه الى جهاد اعداء الله ركبانا ورجالا * حتى يخرجوا الى الاسلام من اديانهم * او يعطوا الجزية صغرة بايمانهم * او تستلب نفوسهم من ابدانهم * وتجتذب رؤوسهم من تيجانهم * فجموع ذوى الالحاد مكسرة * وان كانت بالتعداد مكثرة * وجيوش اولى العناد مدبرة مدمرة * وان كانت عقولهم مقدمة مدبرة * وعزمات رجال الضلال مؤنثة مصغرة * وان كانت ذواتهم مذكرة مكبرة * ألا ترى ان الله تعالى جعل كل مسلم يغلب منهم اثنين * وللذكر من العقل مثل حظ الانثيين * فوجب علينا ان نطير اليهم وننفر عليهم رجالا وفرسانا * ونجهد فى خلاص اسير ومكروب * واغتنام كل خطير ومحبوب *

ونبيد بايدى الجلاد حماة الشرك وانصاره * ونصول بالنصول الحداد على دعاة الكفر انهتك استاره * ونتطهر بدماء المشركين والكفار * من ارجاس الذنوب وانجاس الاوزار * هنالك فتحت من الجنة ابوابها * وارتفعت فرشها ووضعت اكوابها * وبرزت الحور العين عربها واترابها * وقام الجلاد على قدم الاجتهاد خطابها * فضربوا ببيض المشرفية فوق الاعناق * واستعذبوا من المنية مر المذاق * وباعوا الحياة الفانية بالعيش الباق * فوردوا من مورد الشهادة موردا لم يظمأوا بعده ابدا * وربحت تجارتهم فكانوا اسعد السعدا * اولئك فى صفقة بيعهم هم الرابحون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون * اليك اللهم نمدأكف الضراعة ان تجعلنا منهم * وأن لاتحيد بنا عند قيام الساعة عنهم * وان ترزقنا من فضلك شهادة ترضيك عنا * وغفر الذنب الذى انقض الظهر وعنى * وقبولا لنفوسنا اذعرضناها رحمة منك وتفضلا ومنا * وحاشى كرمك ان نأوب بالخيبة عما رجوناه واملنا * وانت ارحم الراحمين * وعن الشيخ عبد الواحد بن زيد قدس سره قال بينما نحن ذات يوم فى مجلسنا هذا قد تهيأنا للخروج الى الغزو وقد امرت اصحابى بقرآءة آيتين فقرأ رجل فى مجلسنا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنه اذ قام غلام فى مقدار خمس عشرة سنة اونحو ذلك وقد مات ابوه وورثه مالا كثيرا فقال يا عبد الواحد بن زيد ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فقلت نعم حبيبى فقال انى اشهدك انى قد بعت نفسى ومالى بأن لى الجنة فقلت له ان حد السيف أشد من ذلك وأنت صبى وانى اخاف عليك ان لاتصبر وتعجز عن ذلك فقال ياعبد الواحد أبايع الله بالجنة ثم اعجز اشهد الله انى قد بايعته اوكما قال رضى الله عنه قال عبد الواحد فتقاصرت الينا انفسنا وقلنا صبى يعقل ونحن لانعقل فخرج من ماله كله وتصدق به الافرسه وسلاحه ونفقته فلما كان يوم الخروج كان اول من طلع علينا فقال السلام عليك ياعبد الواحد فقلت وعليك السلام ربح البيع ان شاء الله ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا اذا نمنا حتى اذا انتهينا الى دار الروم فبينما نحن كذلك اذا به قد اقبل وهو ينادى واشوقاه الى العيناء المرضية فقال اصحابى لعله وسوس هذا الغلام واختلط عقله فقلت حبيبى وما هذه العيناء المرضية فقال قد غفوت غفوة فرأيت كأنه قد أتانى آت فقال لى اذهب الى العيناء المرضية فهجم بى على روضة فيها نهر من ماء غير آسن واذا على شاطئ النهر جوار عليهن من الحلل مالا اقدر أن اصفه فلما رأيننى استبشرن بى وقلن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن افيكن العيناء المرضية فقلن لانحن خدمها واماؤها امض امامك فمضيت امامى فاذا انا بنهر من لبن لم يتغير طعمه فى روضة فيها من كل زينة فيها جوار لما رأيتهن افتتنت بحسنهن وجمالهن فلما رأيننى استبشرن وقلن والله هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن افيكن العيناء المرضية فقلن وعليك السلام ياولى الله نحن خدمها واماؤها فتقدم امامك فتقدمت فاذا انا بنهر من خمر وعلى شط الوادى جوار أنسيننى من خلفت فقلت السلام عليكن افيكن العيناء المرضية فلن لانحن خدمها واماؤها امض امامك فمضيت فاذا انا بنهر آخر من عسل مصفى امامى فوصلت الى خيمة من درة بيضاء وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلى والحلل مالا اقدر ان اصفه فلما رأتنى استبشرت بى ونادت من الخيمة ايتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم قال فدنوت من الخيمة ودخلت فاذا هى قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت فلما رأيتها افتتنت بها وهى تقول مرحبا بك ياولى الله قد دنا لك القدوم علينا فذهبت لاعانقها فقالت مهلا فانه لم يأن لك ان تعانقنى لان فيك روح الحياة وأنت تفطر الليلة عندنا ان شاء الله تعالى فانتبهت ياعبد الواحد ولاصبر لى عنها قال عبد الواحد فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحمل الغلام فعددت تسعة من العدو قتلهم وكان هو العاشر فمررت به وهو يتشحط فى دمه وهو يضحك ملئ فيه حتى فارق الدنيا ولله در القائل

يامن يعانق دنيا لابقاء لها * يمسى ويصبح مغرورا واغترارا
هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق فى الفردوس ابكارا
ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها * فينبغى لك ان لاتأمن النارا

(التائبون) قال الزجاج هو مبتدأ خبره مضمر والمعنى التائبون الى آخر الآية من اهل الجنة كالمجاهدين فما قبل هذه الآية فيكون الوعد بالجنة حاصلا للمجاهدين وغيرهم من المؤمنين وان لم يجاهدوا اذا كانوا غير

معاندين ولا قاصدين لترك الجهاد والمراد التائبون عن الشرك والنفاق وكل معصية صغيرة كانت او كبيرة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد يراد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة والرحمة وهي واجبة على الفور ويتقدمها معرفة الذنب المرجوع عنه انه ذنب وعلامة قبولها اربعة اشياء ان يقطع عن الفاسقين ويتصل بالصالحين بالتردد الى مجالسهم الشريفة اينما كانوا وان يقبل على جميع الطاعات اذ الرجوع اذا صح من القلب ترى الاعضاء تنقاد لما خلقت له كالشجرة اذا صلح اصلها اثمر فرعها وأن يذهب عنه فرح الدنيا اذ المقبل على الله لا يفرح بشئ مما سواه وكان عليه السلام متواصل الاحزان دائم الفكر وأن يرى نفسه فارغا عما ضمن الله له يعنى الرزق مشتغلا بما امر الله تعالى قال الله تعالى يا ابن آدم خلقتك من تراب ثم من نطفة ولم يعيق خلقك من العدم افيعيينى رغيف اسوقه لك فى حين وجودك فاذا وجدت هذه العلامات وجب على الناس ان يحبوه فان الله قد احبه ويدعوا له ان يثبته الله على التوبة ولا يعيروه بذنوبه ويجالسوه ويكرموه وليحذر التائب من نقض العهد والرجوع الى المعصية يحيى بن معاذ كفت يك كناه بعد از توبه قبيحتر است از هفتاد كناه پيش از توبه قال القشيرى قدس سره التائبون اصناف فمن راجع يرجع عن زلته الى طاعته ومن راجع يرجع عن شهود نفسه الى شهود لطفه ومن راجع يرجع عن الاحسان بنفسه وابناء جنسه الى الاستغراق بحقائق ربه (العابدون) الذين عبدوا الله تعالى مخلصين له * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * والعبادة عبارة عن الاتيان بفعل يشعر بتعظيم الله تعالى * كويند امام اعظم رحمه الله * بيست سال بوضوء شب نماز روز كزارد وهركز پهلو برزمين ننهاد وجامه خواب نداشت وسر برهنه نشست وپاى دراز نكرد وفى الحديث ان ابغض الخلق الى الله الصحيح الفارغ وقال القشيرى قدس سره العابدون الخاضعون لله بكل وجه الذين لا يسترقهم كرائم الدنيا ولا يستعبدهم عظائم العقبى فلا يكون العبد عبد الله على الحقيقة الا بعد تجرده عن كل حادث (الحامدون) اى المثنون عليه بالآئه الشاكرون له على نعمائه المادحون له بصفاته واسمائه وعمم بعضهم الحمد فأوجبه على النعم الدينية والدنيوية وكذا على الشدائد والمصائب فى الدنيا فى اهل اونفس اومال لانها نعم بالحقيقة بدليل انها تعرض العبد لمثوبات جزيلة حتى ما يقاسيه الاطفال عند الموت من الكرب الشديد ترجع فائدته الى الولى الصابر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله على ما ساء وسر كما فى منهاج العابدين ومما ينبغى ان يعلم ان التوفيق للتوحيد نعمة عظيمة من الله تعالى فليقل المؤمن دائما الحمد لله على دين الاسلام وتوفيق الايمان قال مجاهد فى تفسير قوله تعالى اليس الله بأعلم بالشاكرين يعنى بالشاكرين على التوحيد فاذا عرفت هذا فلا يغرنك قول من قال ان نفى الدين وكذا الاسلام والايمان ليس بنعمة فكيف يحمد عليه وقال القشيرى الحامدون هم الذين لا اعتراض لهم على ما يحصل بقدرته ولا انقباض لهم عما يجب من طاعته (السائحون) عن ابن عباس رضى الله عنه كل ماذكر فى القرآن من السياحة فهو الصيام وفى الحديث سياحة امتى الصوم قال الشاعر تراه يصلى ليله ونهاره * يظل كثير الذكر لله سائحا * اى صائما وشبه الصوم بالسياحة لانه عائق عن الشهوات كالسائح لا يتوسع فى استيفاء ما يميل اليه طبعه لان الصوم رياضة نفسانية يتوسل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت كان السائح يصل الى مالم يعرفه ولم يره وقال بعض العرفاء النكتة ان السياح يسيح فى الارض فأى بلد استطاب المقام فيه اقام واذا لم يستطب خرج منه الى بلد آخر فكذا الصائم اذا دخل الجنة يقال له ادخل من اى باب شئت واى غرفة وقصر استطبتها فانزلها فيسيح فى قصور الجنة ومنازلها اين ماشاء كالسياح فى الارض وقال الحسن السائحون الذين صاموا عن الحلال وأمسكوا عن الحرام وههنا والله اقوام رأيناهم يصومون عن الحلال ولا يمسكون عن الحرام والله ساخط عليهم وقال القشيرى هم الصائمون عن شهود غير الله المكتفون من الله بالله وقال فى التاويلات النجمية السائحون السائرون الى الله بترك ما شغلهم عنه وقال عطاء المراد الغزاة فى سبيل الله يقطعون المنازل والمراحل الى ان يصلوا الى ديار الكفرة فيجاهدوهم وقال عكرمة هم طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد ورحل جابر رضى الله عنه من المدينة الى مصر لحديث واحد ولذا لا يعد احد كاملا الا بعد رحلته ولا يصل الى مقصوده الا بعد هجرته وقالوا كل من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف عن قلبه القناع فهو فى هذا الشأن سبط لا اب له دعى لا نسب له (الراكعون الساجدون) فى الصلاة وانما كنى بالركوع والسجود عن الصلاة لكون جهة العبادة

اظهر فيهما بالنسبة الى باقى اركان الصلاة فان هيئتى القيام والقعود قد يؤتى بهما على وفق العادة بخلاف
الركوع والسجود فانهما ليسا من الهيئات الطبيعية الموافقة للعادة فلا يؤتى بهما الا على سبيل العبادة
فكان لهما مزيد اختصاص بالصلاة وقال القشيرى الراكعون الخاضعون لله فى جميع الاحوال بخمودهم
تحت سلطان التجلى وفى الخبر ان الله اذا تجلى لشئ خضع له والساجدون بنفوسهم فى الظاهر على بساط
العبودية وبقلوبهم فى الباطن عند شهود الربوبية وقال فى التأويلات النجمية الراكعون الراجعون عن مقام
القيام بوجودهم الى القيام بوجودهم الساجدون الساقطون عن هم على عتبة الوحدة بلاهم * چون تجلى
كرد اوصاف قديم * پس بسوزد وصف حادث را كليم * (الآمرون بالمعروف) اى بالايمان والطاعة
(والناهون عن المنكر) اى عن الشرك والمعاصى وقال الحدادى المعروف هو السنة والمنكر هو البدعة قال ابن
ملك عند قوله عليه السلام وكل بدعة ضلالة يعنى كل خصلة جديدة اتى بها ولم يفعلها النبى عليه السلام ضلالة
لان الضلالة ترك الطريق المستقيم والذهاب الى غيره والطريق المستقيم الشريعة خص من هذا الحكم البدعة
الحسنة كما قال عمر رضى الله عنه فى التراويح نعمت البدعة قال العلماء البدع خمس واجبة كنظم الدلائل
لرد شبه الملاحدة وغيرهم ومندوبة كتصنيف الكتب وبناء المدارس ونحوها ومباحة كالبسط فى ألوان
الاطعمة وغيرها ومكروهة وحرام وهما ظاهران انتهى يقول الفقير البناء اما لدرس العلم الظاهر واما لتعليم
علم الباطن فاذا كان بناء المدارس من البدعة الحسنة فليكن بناء الخانقاه منها ايضا بل بناء الخانقاه اشرف
لشرف معلومه فمن قال انه ليس فى مكة والمدينة خانقاه فما هذه الخوانق فى البلاد الرومية وغيرها ونهى عن
الخانقاه والتردد اليه لجمعية الذكر واصلاح الحال بالخلوة والرياضة فانما قاله من جهله وحماقته ونهى عن ضلالته
وشقاوته فهو ليس بآمر بالمعروف ولا ناه عن المنكر بل بالعكس كما لا يخفى ولقد كثر أمثال هذا المنكر الطاعن
فى هذا الزمان مع انهم لا حجة لهم ولا برهان والله المستعان وقال القشيرى الآمرون والناهون هم الذين
يدعون الخلق الى الله تعالى ويحذرونهم عن غير الله يتواصون بالاقبال على الله وترك الاشتغال بغير الله ثم انه
انما دخلت الواو الجامعة بين الآمرون والناهون للدلالة على انهما فى حكم خصلة واحدة لا يعتبر احدهما
بدون الآخر وعلى هذا فثامن الاوصاف هو قوله والحافظون وواوه واو الثمانية وقيل الصفة الثامنة هى قوله
والناهون وواوه واو الثمانية وذلك ان العرب اذا ذكروا اسماء العدد على سبيل التعداد يقولون واحد اثنان ثلاثة
اربعة خمسة ستة سبعة ثم يدخلون الواو على الثمانية ويقولون وثمانية تسعة عشرة للايذان بأن الاعداد قد تمت
بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام وان الثامن ابتداء تعداد آخر قال القرطبى هى لغة فصيحة
لبعض العرب وعليها قوله ثيبات وابكارا وقوله وثامنهم كلبهم وقوله وفتحت ابوابها لان ابواب الجنة ثمانية واليه
ذهب الحريرى فى درة الغواص وغيره من العلماء وقال النسفى فى تفسيره المسمى بالتيسير لا اصل لهذا القول عند
المحققين فليس فى هذا العدد ما يوجب ذلك والاستعمال على الاطراد كذلك قال الله تعالى الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر بغير واو وقال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين الآية بغير واو
فى الثامنة (والحافظون لحدود الله) اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه وقال
القشيرى هم الواقفون حيث وقفهم الله الذين يتحركون اذا حركهم ويسكنون اذا سكنهم ويحفظون مع الله
انفاسهم ثم انه لما كانت التكاليف الشرعية غير منحصرة فيما ذكر بل لها اصناف واقسام كثيرة لا يمكن
تفصيلها وتبيينها الا فى مجلدات ذكر الله تعالى سائر اقسام التكاليف على سبيل الاجمال بقوله والحافظون
لحدود الله والفقهاء ظنوا ان الذى ذكروه فى بيان التكاليف واف وليس كذلك لان افعال المكلفين قسمان
افعال الجوارح وافعال القلوب وكتب الفقه مشتملة على شرح اقسام التكاليف المتعلقة بأعمال الجوارح
واما التكاليف المتعلقة بأعمال القلوب فليس فى كتبهم منها الا قليل نادر وبعض مباحثها مدونة فى الكتب
الكلامية والبعض الآخر منها فصله الامام الغزالى وامثاله فى علم الاخلاق ومجموعها مندرج فى قوله تعالى
والحافظون لحدود الله شيخ احمد غزالى برادرش امام محمد غزالى كفت جمله علم ترا بدو كلمه آورده ام التعظيم لامر
الله والشفقة على خلق الله قال الحدادى وهذه الصفة من اتم ما يكون من المبالغة فى وصف العباد بطاعة الله
والقيام بأوامره والانتهاء عن زواجره لان الله تعالى بين حدوده فى الامر والنهى وفيما ندب اليه فرغب اليه

اوخير فيه وبين ماهو الاولى فى مجرى موافقة الله تعالى فاذا قام العبد بفرائض الله تعالى وانتهى الى ماأراد الله منه كان من الحافظين لحدود الله كما روى عن خلف بن ايوب انه أمر امرأته ان تسئل عن ارضاع ولده فى بعض الليل وقال قد تمت له السنتان فقيل له لو تركتها حتى ترضعه هذه الليلة قال فأين قوله تعالى والحافظون لحدود الله (وبشر المؤمنين) يعنى هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام واعلى ذلك رؤية الله تعالى فى دار السلام واعلم ان كل عمل له جزاء مخصوص يناسبه كالصوم مثلا جزآؤه الاكل والشرب كما قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية وقس على هذا باقى الاعمال واجتهد فى تحصيل حسن الحال وفقنا الله واياكم الى اسباب مرضاته (ما كان للنبى والذين آمنوا) بالله وحده اى ماصح لهم وما استقام فى حكم الله تعالى وحكمته (ان يستغفروا) اى يطلبوا المغفرة (للمشركين) به سبحانه (ولو كانوا) اى المشركون (اولى قربى) اى ذوى قرابة لهم (من بعد ما تبين لهم) اى ظهر للنبى عليه السلام والمؤمنين (انهم) اى المشركين (اصحاب الجحيم) اى اهل النار بأن ماتوا على الكفر أونزل الوحى بأنهم يموتون على ذلك (روى) انه لما مرض ابو طالب وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد مضى عشر سنين من بعثته عليه السلام وبلغ قريشا اشتداد مرضه قال بعضهم لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا امر محمد فى قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا الى ابى طالب فليأخذ لنا على ابن اخيه وليعطه منا فانا والله ما نأمن ان يسلبوا امرنا وفى رواية انا نخاف ان يموت هذا الشيخ فيكون مناشئ اى قتل محمد فتعيرنا العرب ويقولون تركوه حتى اذا مات عمه تناولوه فمشى اليه اشرافهم منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وامية بن خلف وابو سفيان فانه اسلم ليلة الفتح فأرسلوا رجلا فاستأذن لهم على ابى طالب فقال هؤلاء اشراف قومك يستأذنون عليك قال ادخلهم فدخلوا عليه فقالوا يا ابا طالب انت سيدنا وكبيرنا وقد حضرك ماترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا وبين ابن اخيك فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث اليه عليه السلام ابو طالب فجاء ولما دخل عليه السلام على ابى طالب وكان بين ابى طالب وبين القوم فرجة تسع الجالس فخشى ابو جهل ان يجلس النبى عليه السلام فى تلك الفرجة فيكون ارق منه فوثب لعنه الله فجلس فيها فلم يجد عليه السلام مجلسا قريبا الى ابى طالب فجلس عند الباب فقال ابو طالب لرسول الله عليه السلام يا ابن اخى هؤلاء اشراف قومك اعطهم ماسألوك فقد انصفوك سألوا ان تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال عليه السلام ارأيتكم ان اعطيتكم ماسألتم فهل تعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب ويدين لكم بها العجم اى يطيع ويخضع فقال ابو جهل نعطيكها وعشرا معها فما هى قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه فصفقوا بأيديهم ثم قالوا سلنا يا محمد غير هذه الكلمة فقال لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ماسألتكم غيرها ثم قال بعضهم لبعض والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيأ مما تريدون فامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا وعند ذلك قال عليه السلام اى عم فأنت فقلها اشهد لك بها عند الله فقال والله يا ابن اخى لولا مخافة العار عليك وعلى بنى ابيك من بعدى وان تظن قريش انى انما قلتها خوفا من الموت لقلتها فلما ابى عن كلمة التوحيد قال عليه السلام لا ازال استغفر لك مالم انه عنه وذلك لغلبة همته على مغفرته لانه كان يحفظه عليه السلام وينصره ولما مات نالت قريش من رسول الله من الاذى مالم تكن تطمع فيه فى حياة ابى طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبى عليه السلام التراب فدخل بيته والتراب على رأسه فقام اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكى ورسول الله يقول لها لا تبكى يا بنية فان الله مانع اباك فبقى عليه السلام يستغفر لابى طالب من ذلك الوقت الى وقت نزول هذه الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن ابويه ايهما اقرب به عهدا فقيل له أمك آمنة فقال هل تعلمون موضع قبرها الى آتيه فاستغفر لها فان ابراهيم عليه السلام استغفر لابويه فقال المسلمون ونحن ايضا نستغفر الله لآبائنا واهلينا فانطلق رسول الله وذلك فى سنة الفتح فانتهى الى قبر أمه فى الابواء منزل بين مكة والمدينة وذلك انه عليه السلام ولد بعد أن توفى ابوه عبد الله ودفن بالمدينة لما انه قد خرج اليها لحاجة فأدركه الموت هنالك وكان عليه السلام مع امه آمنة فلما بلغ ست سنين خرجت آمنة الى اخوالها بالمدينة تزورهم ثم رجعت به الى مكة فلما كانت

بالابوآء توفيت هنالك وقيل دفنت بالحجون ويمكن الجمع بينهما بأنها دفنت اولا بالابوآء ثم نقلت من ذلك المحل الى مكة كما فى السيرة الحلبية فلما جلس عليه السلام عند قبر امه ناجى طويلا ثم بكى بكاء شديدا فبكينا لبكائه وقلنا يارسول الله ما الذى ابكاك قال استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى فاستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وانزل على الآيتين آية ما كان للنبى وآية وما كان استغفار ابراهيم قال بعضهم لا مانع من تكرر سبب النزول فيجوز ان تنزل الآيتان لما استغفر لامه ولما استغفر لعمه يقول الفقير سامحه القدير فيه بعد لانه ان سبق النزول لاستغفار أمه فكيف يبقى النبى عليه السلام على استغفار عمه وقد ثبت ان هذه السورة الكريمة من آخر القرآن نزولا وكذا العكس ومن ادعى الفرق بين الاستغفارين فعليه البيان (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه) بقوله واغفر لأبى اى بأن توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين (الاعن موعدة) استثناء مفرغ من اعم العلل اى لم يكن استغفاره لأبيه آزر ناشئا عن شئ من الاشياء الاعن موعدة (وعدها) ابراهيم (اياه) اى اباه بقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربى بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره (فلما تبين له) اى لابراهيم بأن اوحى اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بأن مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله (انه عدو لله) فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت (تبرأ منه) اى تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب (ان ابراهيم لأواه) لكثير التأوه وهو ان يقول الرجل عند التضجر والتوجع آه من كذا او يقول آوه بالمد والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية والاواه الخاشع المتضرع وقيل انه كلما ذكر تقصيرا او ذكر له شئ من شدائد الآخرة كان يتأوه اشفاقا واستعظاما كما قال كعب الاواه هو الذى اذا ذكرت عنده النار قال آه وقيل معناه الموقن بلغة الحبشة الا ان من قال لا يجوز أن يكون فى القرآن شئ غير عربى قال هذا موافق للعربية بلغة الحبشة والملائم انه كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب لانه ذكر فى معرض التعليل لاستغفاره لابيه المشرك والمعنى انه مترحم متعطف ولفرط رحمته ورأفته كان يتعطف لابيه الكافر (حليم) صبور على الاذية ولذلك كان يحلم على ابيه ويتحمل اذاه ويستغفر له مع صعوبة خلقه وغلظ قلبه وقوله لارجمنك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استغفر لعمه وهو مشرك كما استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه المشرك ثم نهى عن الاستغفار للكافر نزلت هذه الاية لبيان عذر من استغفر لسلفه المشركين قبل المنع عنه وهو قوله تعالى (وما كان الله ليضل قوما) اى ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجرى عليهم احكامه (بعد اذهداهم) للاسلام (حتى يبين لهم) بالوحى صريحا اودلالة (ما يتقون) اى يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به وفيه دليل على ان العاقل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل (ان الله بكل شئ عليم) اى انه تعالى عليم بجميع الاشياء التى من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل معرفته فبين لهم ذلك كما فعل ههنا (ان الله له ملك السموات والارض) من غير شريك له فيه * واحد اندر ملك اورا يار نى * بندكانش را جزاو سالار نى * نيست خلقش را دكركس مالكى * شركتش دعوى كند جز هالكى (يحيى ويميت) اى يحيى الاموات ويميت الاحياء اى يوجد الحياة والموت فى الارض والاجساد وقلوب الامم (وما لكم من دون الله) اى حال كونكم متجاوزين ولايته ونصرته (من ولى ولا نصير) لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وضمن ذلك التبرى منهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الامنه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبرأوا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه بقى ههنا ان الجم الغفير من العلماء ذهبوا الى ان النبى عليه السلام مر على عقبة الحجون فى حجة الوداع فسأل الله ان يحيى امه فأحياها فآمنت به وردها الله تعالى اى روحها قال فى انسان العيون لا يقال على ثبوت هذا الخبر وصحته التى صرح بها غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا الى من طعن فيه كيف ينفع الايمان بعد الموت ولا يعترض لانا نقول هذا من جملة خصوصياته صلى الله عليه وسلم وفى كلام القرطبى قد احيى الله تعالى على يده جماعة من الموتى فاذا ثبت ذلك فما يمنع ايمان ابويه بعد احيائهما ويكون زيادة فى كرامته وفضيلته ولو لم يكن احياء ابويه نافعا لايمانهما وتصديقهما لما احييا كما ان رد الشمس لو لم يكن نافعا فى بقاء الوقت لم ترد والله اعلم انتهى يقول الفقير قد اشبعنا الكلام فى ايمان ابوى النبى عليه السلام وكذا ايمان عمه ابى طالب وجده عبد المطلب بعد

الاحياء في سورة البقرة عند قوله تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم فارجع اليه وجاء ان عبد المطلب رفض في آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنى وان لا يطوف بالبيت عريان كذا في كلام سبط ابن الجوزي وقال في ابكار الافكار في مشكل الاخبار ان عبد المطلب قد كان يتعبد في كثير من احواله بشريعة ابراهيم عليه السلام ويتمسك بسنن اسمعيل عليه السلام ولم ينكر نبوة محمد عليه السلام اذ لم يكن قد بعث في ايامه ولا يقطع بكفر من مات في زمن الفترة فلم يكن حكمه حكم الكفار المشركين الذين شهد النبي عليه السلام بأنهم فحم في جهنم انتهى قال في السيرة الحلبية منع الاستغفار لامه عليه السلام انما يأتي على القول بأن من بدل دينه اوغيره اوعبد الاصنام من اهل الفترة معذب وهو قول ضعيف مبني على وجوب الايمان والتوحيد بالعقل والذي عليه اكثر اهل السنة والجماعة ان لا يجب ذلك الا بارسال الرسل ومن المقرر أن العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل عليه السلام وان اسمعيل انتهت رسالته بموته كبقية الرسل لان ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم وان اهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم وان غيروا او بدلوا او عبدوا الاصنام والاحاديث الواردة بتعذيب من ذكر اومن بدل اوغير اوعبد الاصنام مؤولة اوخرجت مخرج الزجر للحمل على الاسلام ثم رأيت بعضهم رجح أن التكليف بوجوب الايمان بالله تعالى وتوحيده اي بعدم عبادة الاصنام يكفي فيه وجود رسول دعا الى ذلك وان لم يكن الرسول مرسلا لذلك الشخص بأن لم يدرك زمنه حيث بلغه انه دعا الى ذلك اوامكنه علم ذلك وان التكليف بغير ذلك من الفروع لا بد فيه من ان يكون ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص وقد بلغته دعوته وعلى هذا فمن لم يدرك زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ولا زمن من قبله من الرسل معذب على الاشراك بالله بعبادته الاصنام لانه على فرض ان لا تبلغه دعوة احد من الرسل السابقين الى الايمان بالله وتوحيده ولكنه كان متمكنا من علم ذلك فهو تعذيب بعد بعث الرسل لا قبله وحينئذ لا يشكل ما اخرجه الطبراني في الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مابعث الله نبيا الى قوم ثم قبضه الا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم ولعل المراد المبالغة في الكثرة والا فقد اخرج الشيخان عن انس رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط اي حسبي بعزتك وكرمك واما بالنسبة لغير الايمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعثة رسول اليهم فأهل الفترة وان كانوا مقرين بالله الا انهم اشركوا بعبادة الاصنام فقد حكى الله عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ووجه التفرقة بين الايمان والتوحيد وغير ذلك ان الشرائع بالنسبة للايمان بالله والتوحيد كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع الشرائع عليه هذا وقد جاء انهم اي اهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فقد اخرج البزار عن ثوبان ان النبي عليه السلام قال اذا كان يوم القيامة جاء اهل الجاهلية يحملون اوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل الينا رسولا ولم يأتنا لك امر ولو أرسلت الينا رسولا لكنا اطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم ان امرتكم بأمر أن تطيعوني فيقولون نعم فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فينطلقون حتى اذا رأوها فرقوا ورجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع ان ندخلها فيقول ادخلوها داخرين فقال النبي عليه السلام لودخلوها اول مرة كانت عليهم بردا وسلاما قال الحافظ ابن حجر فالظن بآله صلى الله عليه وسلم يعني الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان اكراما للنبي عليه السلام لتقر عينه ونرجو أن يدخل عبد المطلب الجنة في جماعة من يدخلها طائعا الا اباطالب فانه ادرك البعثة ولم يؤمن به بعد أن طلب منه الايمان انتهى كلامه ولعله لم يذهب الى مسألة الاحياء ولذا قال ما قال في حق ابي طالب * ناامیدم مکن از سابقهٔ لطف ازل * تو چه دانی که پس پرده که خوبست وکه زشت (لقد تاب الله على النبي) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه وهذا الاذن وان صدر عنه عليه السلام وحده الا انه اسند الى الكل لان فعل البعض يسند الى الكل لوقوعه فيما بينهم كما يقال بنو فلان قتلوا زيدا وهذا الذنب من قبيل الزلة لان الانبياء معصومون من الكبائر والصغائر عندنا لان ركوب الذنوب مما يسقط حشمة من يرتكبها وتعظيمه من قلوب المؤمنين والانبياء يجب

ان يكونوا مهابين موقرين ولذا عصموا من الامراض المنفرة كالجذام وغيره فليس معنى الزلة انهم زلوا عن الحق الى الباطل ولكن معناها انهم زلوا عن الافضل الى الفاضل وانهم يعاتبون به لجلال قدرهم ومكانتهم من الله تعالى كما قال ابو سعيد الخراز قدس سره حسنات الابرار سيئات المقربين وقال السلمى ذكر توبة النبى عليه السلام لتكون مقدمة لتوبة الامة وتوبة التابع انما تقبل التصحيح بالمقدمة وقال فى التأويلات النجمية التوبة فضل من الله ورحمة مخصوصة به لينعم بذلك على عباده فكل نعمة وفضل يوصله الله الى عباده يكون عبوره على ولاية النبوة فمنها يفيض على المهاجرين والانصار وجميع الامة فلهذا قال لقد تاب الله على النبى (والمهاجرين والانصار) يدل عليه قوله عليه السلام ماصب الله فى صدرى شيأ الا وصببته فى صدر ابى بكر رضى الله عنه والانصار جمع نصير كشريف واشراف اوجمع ناصر كصاحب واصحاب وهم عبارة عن الصحابة الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل المدينة وهو اسم اسلامى سمى الله تعالى به الاوس والخزرج ولم يكونوا يدعون بالانصار قبل نصرتهم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قبل نزول القرآن بذلك وحبهم واجب وهو علامة الايمان وفى الحديث آية المؤمن حب الانصار وحب الانصار آية الايمان وآية النفاق بغض الانصار كذا فى فتح القريب والمهاجرون افضل من الانصار كما يدل عليه قوله عليه السلام لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار قال ابن الملك المراد منه اكرام الانصار فانه لارتبة بعد الهجرة اعلى من نصرة الدين انتهى وباقى الكلام سبق عند قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية فارجع الى تفسيرها (الذين اتبعوه) اى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بأمر من اوامره (فى ساعة العسرة) اى وهو الزمان الذى وقع فيه غزوة تبوك فانه قد اصابتهم فيها مشقة عظيمة من شدة الحر وقلة المركب حتى كانت العشرة تعتقب على بعير واحد ومن قلة الزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير ومن قلة الماء حتى شربوا الفظ وهو ماء الكرش عن عمر رضى الله عنه خرجنا فى قيظ شديد واصابنا فيه عطش شديد حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه (قال الكاشفى) وبرطوبات اجواف وامعاء آن دهن تر ميساختند * ولذلك سميت غزوة العسرة وسمى من جاهد فيها بجيش العسرة وهذه صفة مدح لاصحاب النبى عليه السلام باتباعهم اياه فى وقت الشدة ومع ذلك فقد كانوا محتاجين الى التوبة فاظنك بغيرهم ممن لم يقاس ما قاسوه (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) اى يميل قلوب طائفة منهم عن الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن هموا ان ينصرفوا فى غير وقت الانصراف من غير ان يؤذن لهم فى ذلك لشدة ما اصابتهم فى تلك الغزوة لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما ظهر على قلوبهم فتاب الله عليهم وفى كاد ضمير الشأن وجملة يزيغ فى محل النصب على انها خبر كاد وخبر كاد اذا كان جملة لابد ان يكون فيه ضمير يعود على اسمها الا اذا كان اسمها ضمير الشان فحينئذ لا يجب ان يكون فيه ضمير يعود الى اسمها (ثم تاب عليهم) اى تجاوز عن ذنبهم الذى فرط منهم وهو تكرير للتأكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة (قال الحافظ) مكن زغصه شكايت كه درطريق طلب * براحتى نرسيد آنكه زحمتى نكشيد * (انه) اى الله تعالى (رؤف رحيم) استئناف تعليل فان صفة الرأفة والرحمة من دواعى التوبة والعفو ويجوز ان يكون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثانى عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والآخر للواحق ومن كمال رحمته ارسال حبيبه واظهار معجزاته (روى) انهم شكوا النبى عليه السلام عسرة الماء فى غزوة تبوك فقال ابو بكر رضى الله عنه يارسول الله ان الله تعالى عودك فى الدعاء خيرا فادع الله لنا قال اتحب ذلك قال نعم فرفع عليه السلام يديه فلم يرجعهما حتى ارسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه وتلك السحابة لم تتجاوز العسكر وروى انهم نزلوا يوما فى غزوة تبوك على غير ماء بفلاة من الارض وقد كادت عناق الخيل والركاب تقع عطشا فدعا عليه السلام وقال ابن صاحب الميضاة قيل هو ذا يارسول الله قال جئنى بمضأتك فجاء بها وفيها شئ من ماء فوضع اصابعه الشريفة عليها فنبع الماء بين اصابعه العشر واقبل الناس واستقوا وفاض الماء حتى رووا ورووا خيلهم وركابهم وكان فى العسكر من الخيل اثنا عشر ألف فرس ومن الابل خمسة عشر الف بعير والناس ثلاثون ألفا وفى رواية سبعون قال السلطان سليم الاول من الخواقين العثمانية * كوثر نمى زچشمهٔ احسان رحمتش * آب حيات قطرهٔ ازجام مصطفاست * روى انهم

لما اصابهم فى غزوة تبوك مجاعة قالوا يارسول الله لو أذنت لنا نحرنا نواضحنا وادّهنا فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله ان فعلت فنى الظهر ولكن ادعهم بفضل ازوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله ان يجعلها فى ذلك فقال عليه السلام نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل ازوادهم فجعل الرجل يأتى بكف من ذرة ويجيء الآخر بكف من تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير فدعا عليه السلام بالبركة ثم قال خذوا فى اوعيتكم فأخذوا حتى ماتركوا فى العسكر وعاء الاملأوه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك الا وقاه الله النار (قال الشيخ المغربى قدس سره) كل توحيد نرويد ززمينى كه درو * خار شرك وحسد وكبر وريا وكين است *

والاشارة فى الآية لقد تاب الله على النبى اى نبى الروح بمنزلة النبى يأخذ بالهام الحق حقائق الدين ويبلغها الى امته من القلب والنفس والجوارح والاعضاء فالمعنى افاض الله على نبى الروح ومهاجرى صفاته الذين هاجروا معه من مكة الروحانية الى المدينة الجسدانية والانصار من القلب والنفس وصفاتها وهم ساكنوا مدينة الجسد فيوضات الرحمة الذين اتبعوا الروح ساعة رجوعه الى عالم العلو بالعسرة اذهم نشأوا فى عالم السفل يعسر عليهم السير الى عالم العلو من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق من النفس وصفاتها وهواها فان ميلها طبعا الى عالم السفل ثم تاب عليهم بافاضة الفيض الربانى لتعليهم عن طبعهم انه بهم رؤف رحيم ليجعلهم باكسير الشريعة قابلين للرجوع الى عالم الحقيقة كذا فى التأويلات النجمية (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) اى وتاب الله على الثلاثة الذين اخر أمرهم ولم يقطع فى شأنهم بشئ الى ان نزل فيهم الوحى وهم كعب بن مالك الشاعر ومرارة بن الربيع العنبرى وهلال بن امية الانصارى يجمعهم حروف كلمة مكة وآخر اسماء آبائهم عكه (حتى اذا ضاقت عليهم الارض) غاية للتخفيف اى اخر أمرهم الى ان ضاقت عليهم الارض (بما رحبت) اى برحبها وسعتها لاعراض الناس حتى عن المكالمة معهم ولو بالسلام ورده وكانوا يخافون ان يموتوا فلا يصلى النبى عليه السلام ولا المؤمنون على جنازتهم وهو مثل لشدة الحيرة كأنه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار (وضاقت عليهم انفسهم) اى امتلأت قلوبهم بفرط الوحشة والغم بحيث لم يبق فيها ما يسع شيأ من الراحة والانس والسرور عبر عن الراحة والسرور بضمير عليهم حيث قيل ضاقت عليهم تنبيها على ان انتفاء الراحة والسرور بمنزلة انتفاء ذواتهم (وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه) اى علموا وأيقنوا ان لا ملاذ ولا خلاص من سخطه تعالى الا الى استغفاره فظنوا بمعنى علموا لانه تعالى ذكر هذا الوصف فى معرض المدح والثناء وذا لا يكون الا مع علمهم بذلك وقوله ان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن مقدر ولا مع ما فى حيزها خبر ان ومن الله خبر لا وان مع ما فى حيزها سادّ مسادّ مفعولى ظنوا والاستثناء من العام المحذوف اى وعلموا ان الشان لا التجاء من سخط الله الى احد الا اليه قال بعض المتقدمين من تظاهرت عليه النعم فليكثر الحمد لله ومن كثرت همومه فليكثر الاستغفار واعلم ان من توغل فى بحر التوحيد بحيث لا يرى فى الوجود الا الله لم يلتجئ الا الى الله فالفرار ليس الا اليه على كل حال واما المظاهر والمحال فليست الا اسبابا (وفى المثنوى) كرچه سايه عكس شخص است اى پسر * هيچ از سايه تانى خورد بر * هين زسايه شخص را مى كن طلب * در مسبب رو كذر كن از سبب (ثم تاب عليهم) اى وفقهم للتوبة (ليتوبوا) ليرجعوا عن المعصية واعلم ان ههنا امورا ثلاثة التوفيق للتوبة وهو ما دل عليه قوله ثم تاب ونفس التوبة وهو ما دل عليه قوله ليتوبوا وقبول الله تعالى اياها وهو ما دل عليه قوله وعلى الثلاثة وانما عطف الامر الاول على الثالث بكلمة ثم لكونه اصل الجميع مقدما على الامر الثالث بمرتبتين فتكون كلمة ثم للتراخى الرتبى ويجوز أن يكون المعنى ثم تاب عليهم اى انزل قبول توبتهم ليتوبوا اى ليصيروا من جملة التوابين ويعدوا منهم فتكون كلمة ثم على اصل معناها لان انزال القبول متفرع على نفس القبول المذكور بقوله وعلى الثلاثة (ان الله هو التواب الرحيم) اى المبالغ فى قبول التوبة لمن تاب وان عاد فى اليوم مائة مرة المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لافانين العقاب * كر لطف تو يارى نمايد زنخست * هم توبه شكسته است وهم پيمان سست * چون توبه نامد پذيرفتن تست * تا تو نپذيرى نبود توبه درست *

روى ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه السلام عن الحسن انه قال بلغنى انه كان لأحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفنى

الاظلالك

الاظلال وانتظار ثمارك اذهب فانت فى سبيل الله ولم يكن لا آخر الا اهله فقال يا اهلاه مابطأنى ولا خلفنى الا الضن بك فلا جرم والله انى لا كابدن المفاوز حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فركب ولحق ولم يكن لا آخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفسى ماخلفنى الا حب الحياة لك والله لا كابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده ولحق به عليه السلام وعن ابى ذر الغفارى ان بعيره ابطأ فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا * راه نزديك وبماندم سخت دير * سير كشتم زين سوارى سير سير * فقال صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن اباذر فقال الناس هو ذاك فقال عليه السلام رحم الله اباذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده ومنهم من بقى ولم يلحق به عليه السلام وهم الثلاثة وكان كعب شهد بيعة العقبة وهلال ومرارة شهدا بدرا قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم جئته وسلمت عليه فرد على كالمغضب بعد ماذكرنى وقال ياليت شعرى ماخلف كعبا فقيل له ماخلفه الا حسن برديه والنظر فى عطفيه قال ما اعلم الا فضلا واسلاما وقال ماخلفك عنى الم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت ماخلفنى عنك عذر وانما تخلفت بمجرد الكسل وقلة الاهتمام فقال عليه السلام قم عنى حتى يقضى الله فيك وكذا قال لصاحبيه ونهى عن كلامهم فاجتنبهم الناس ولم يكلمهم أحد من قريب ولا بعيد فاما الرجلان فمكثا فى بيوتهما يبكيان وأما كعب فكان يحضر الصلاة مع المسلمين ويطوف فى الاسواق فلا يكلمه أحد منهم قال كعب وبينما انا امشى بسوق المدينة اذا نبطى من انباط الشأم ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلنى على كعب ابن مالك فطفق اى جعل الناس يشيرون له حتى اذا جاءنى دفع الى كتابا من ملك غسان الى وهو الحارث بن ابى شمر وكان الكتاب ملفوفا فى قطعة من الحرير فاذا فيه امابعد فانه قد بلغنى ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا بضيعة ذل فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأته وهذا ايضا من البلاء فتيممت اى قصدت به التنور فسجرته به اى ألقيته فيه والانباط قوم يسكنون البطائح بين العراقين قال حتى اذا مضت اربعون ليلة جاءنى رسول من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تعتزل امرأتك فقلت أطلقها ام ماذا قال لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل الى صاحبى وهما هلال ومرارة بمثل ذلك فقلت لامرأتى الحقى باهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر فجاءت امرأة هلال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان هلالا شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه فقال عليه السلام لا ولكن لا يقربك وقالت والله انه مابه حركة الى شئ والله مازال يبكى منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا فمضى بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسون ليلة من حين النهى عن الكلام قال كعب فلما كان صلاة الفجر صبح تلك الليلة سمعت صوتا من ذروة جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر

ابشروا يا قوم اذ جاء الفرج * افرحوا يا قوم قد زال الحرج

مى دمد دركوش هر غمكين بشير * خيز اى مدبر ره اقبال كير * اى در بن حبس ودر بن كند وشيش * هين كه تا كس نشنود رستى خمش * جون كنى خامش كنون اى يارمن * كز بن هر مو برآمد طبل زن *

فخررت ساجدا وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعلم بتوبة الله علينا فلما جاءنى الرجل الذى سمعت صوته يبشرنى وهو حمزة بن عمرو الاوسى نزعت ثوبى فكسوته اياهما ببشراه والله ما املك غيرهما يومئذ بعيد نيست كه صد جان بمژده بستانند * برين بشارت دولت كه عن قريب آمد * واستعرت من ابن عمى ابى قتادة ثوبين فلبستهما وكان المبشر لهلال بن امية اسعد بن سعد ولمرارة بن ربيع سلكان بن سلامة قال كعب انزل الله توبتنا على نبيه حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضى الله عنها وكانت ام سلمة محسنة فى شأنى معينة فى امرى فقال عليه السلام يا ام سلمة تيب على كعب قالت أفلا ارسل اليه فأبشره قال اذا يحطم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليلة حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر اعلم بتوبة الله علينا قال فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانى الناس فوجا فوجا يهنئونى بالتوبة يقولون ليهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحوله الناس فقام الى طلحة بن عبد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى والله ماقام الى رجل من المهاجرين غيره ولا انساها لطلحة وذلك لانه عليه السلام كان آخى بينهما حين قدم المدينة قال فلما سلمت على رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور وكان عليه السلام اذا سرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر قال السلطان سليم الاول من السلاطين العثمانية * كر آكهى زمعنى والشمس والضحى * تعريف ماه روى دلاراى مصطفاست * بنكر بچرخ وكوكبة لشكر نجوم * كانها فروغ كوهر والاى مصطفاست * فلما جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم قال ابشر يا كعب بخير يوم مامرّ عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وهى لقد تاب الله الى قوله وكونوا مع الصادقين فقلت يارسول الله ان من توبتى أن انخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله قال امسك عليك بعض مالك فهو خيرلك وعن ابى بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه * توبه كردم حقيقت باخدا * نشكنم تاجان شدن ازتن جدا * واعلم ان فى قصة هؤلاء الثلاثة اشارة الى ان الهجران بين المسلمين اذا كان فيه صلاح لدين المهجور لا يحرم هجره حتى يزول ذلك وتظهر توبته وكذا اذا كان المهجور مذموم الحال لبدعة اوفسق اونحوهما فانه لايحرم الهجران الى ظهور التوبة لانه لحق الله لما كان فى جانب الدين فيجوز فوق ثلاثة ايام ولا يجوز الزيادة على الثلاثة فيما كان بينهم من الامور الدنيوية وحظوظ النفس وانما عفى عنه فى الثلاثة لان الآدمى مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك فعفى عن الهجر فى الثلاثة ليذهب ذلك العارض فعلى العاقل ان يسارع الى تحصيل الاخوة فى الله ويجتنب عن التحاسد والتباغض والتدابر * هيچ رحمى نه برادر ببرادر دارد * هيچ شوقى نه پدر را بپسر مى بينم * دختران را همه جنكست وجدل بامادر * پسران را همه بدخواه پدر مى بينم (يا أيها الذين آمنوا) قولا وتصديقا (اتقوا الله) فيما لايرضاه (وكونوا مع الصادقين) فى كل شأن من الشؤون اى القائلين بالحق العاملين به ومع الصادقين فى معنى من الصادقين اوفى الصادقين لان مع للمصاحبة وفى للوعاء ومن للتبعيض فاذا كانوا فى جهتهم فهم على المعانى الثلاثة اى كونوا فى جملة الصادقين ومصاحبين لهم اولبعضهم وفى الآية دليل على فضل الصدق وعلو درجته وحث عليه قال بعض اهل المعرفة من لم يؤد الفرض الدائم لم يقبل منه الفرض الموقت قيل ما الفرض الدائم قال الصدق * از كجا فى بكم وكاستى * ازهمه غم برستى كر راستى * راستى خويش نهان كس نكرد * بر سخن راست زيان كس نكرد * وفى الحديث التجار يحشرون يوم القيامة فجارا الا من اتقى وبرّ وصدق الفجار جمع فاجر وهو المنبعث فى المغانى والمحارم سماهم فجارا لما فى البيع والشرآء من الايمان الكاذبة والغبن والتدليس والربا الذى لايتحاشاه احدهم ولذا قال فى تمام الحديث الامن اتقى اى الكذب وبرّ فى يمينه اى صدق وصدق فى حديثه وقيل الامن خاف الله فلا يترك اوامره ولا يفعل المناهى وبرّ اى أحسن فلا يؤذى احدا ولا يوصل ضررا الى احد وصدق فى ثمن المتاع فلم ينفق سلعته بالحلف الكاذب مثل ان يقول للمشترى اشتريت هذا بمائة درهم والله ولم يشتره بها بل اقل منها اوبالحلف الكاذب يمحق الله البركة من الثمن وفى الحديث ان اطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا ائتمنوا لم يخونوا واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يمدحوا واذا كان عليهم لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا فالصدق فى كل الاحوال ممدوح وصاحبه محمود فى الدنيا والآخرة * دانى زچه رو سرو روان سر سبزست * پيوسته چرا بوستان سر سبزست * چون مذهب اوست راستى درهمه وقت * بر طرف چمن هميشه زان سر سبزست * ثم ان مطلب العارفين فى الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية قال احمد بن الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى قدس سرهما انى قد غبطت بنى اسرآئيل قال باى شئ قلت بثمانمائة سنة من العمر حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالاوتار قال ماظننت الا وقد جئت بشئ والله ما يريد منا ان تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق فى عشرة ايام نال مانا له ذلك فى عمره الطويل انتهى فرب عمر اتسعت آماده وقلت امداده كاعمار بنى اسرآئيل اذا كان الواحد منهم يعيش الفا ونحوها ولم يحصل له شئ مما حصل لهذه الامة مع كثرة اعمارها ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده كعمر من فتح عليه من هذه الامة فوصل الى عناية الله بلمحة كما قال الامام الغزالى قدس سره فى منهاج العابدين منهم من يقطع هذه العقبات فى سبعين سنة ومنهم من يقطعها فى عشرين سنة ومنهم من يقطعها فى عشر سنين ومنهم من يحصل له فى سنة ومنهم من يقطعها فى شهر بل فى جمعة بل فى ساعة كسحرة موسى (حكى) ان رابعة البصرية كانت

امة كبيرة يطاف بها فى سوق البصرة لا يرغب فيها احد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم فأعتقها فاختارت هذا الطريق فأقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها علماء البصرة وقرآؤها لعظم منزلتها وفى التأويلات النجمية كونوا مع الصادقين الذين صدقوا يوم الميثاق فيما اجابوا الله عند خطاب ألست بربكم قالوا بلى وصدقوا الله على ما عاهدوه عليه أن لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيأ من مقاصد الدنيا والآخرة ويتجردوا عن كل حادث حتى عن الجسم (وفى المثنوى) جوهر صدقت خفى شد در دروغ * همچو طعم روغن اندر طعم دوغ * آن دروغت اين تن فانى بود * راستت آن جان ربانى بود * يقول الفقير اصلحه الله القدير كتب الى حضرة الشيخ قدس سره فى بعض مكاتيبه الشريفة وقال عليكم بالصدق مطلقا نية وعملا وهو يرجع الى الاخلاص جدا بأن لا يكون للعبد أصلا باعث فى الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل الصدق ويجوز أن يسمى كاذبا ودرجاته لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق فى بعض الامور دون بعض فان كان صادقا فى الجميع فهو الصديق حقا والصادق والمخلص بالكسر من باب واحد وهو التخلص من شوآئب الصفات النفسانية مطلقا والصديق والمخلص بالفتح من باب واحد وهو التخلص ايضا من شوآئب الغيرية والثانى اوسع فلكا واكثر احاطة فكل صديق ومخلص بالفتح صادق ومخلص بالكسر من غير عكس ثم ذيل كلاما طويلا يتضمن تأويل سورة الانشراح رزقنا الله ذوق كلامه وألحقنا به فى مقامه ثم الصادقون هم المرشدون الى طريق الوصول فاذا كان السالك فى جملة احبابهم ومن زمرة الخدام فى عتبة بابهم فقد بلغ بهمتهم وتربيتهم ونوبتهم الى مراتب فى السير الى الله وترك ما سواه قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر ان لم تجر أفعالك على مراد غيرك لم يصح لك انتقال عن هواك ولو جاهدت نفسك عمرك فاذا وجدت من يحصل فى نفسك حرمته فاخدمه وكن ميتا بين يديه يصرفك كيف يشاء لا تدبير لك فى نفسك معه تعش سعيدا مبادرا لامتثال ما يأمرك به وينهاك عنه فان أمرك بالحرفة فاحترف عن أمره لا عن هواك وان امرك بالقعود قعدت عن امره لا عن هواك فهو أعرف بمصالحك منك فاسع يا بنى فى طلب شيخ يرشدك ويعصم خواطرك حتى تكمل ذاتك بالوجود الالهى وحينئذ تدبر نفسك بالوجود الكشفى الاعتصامى كذا فى مواقع النجوم (وفى المثنوى) چون گزيدى پير نازك دل مباش * سست ورزيده چو آب وگل مباش * چون گرفتى پير هن تسليم شو * همچو موسى زير حكم خضر رو * شيخ را كه پيشوا ورهبرست * گر مريدى امتحان كرد او خرست * نسأل الله تعالى أن يحفظنا من زيغ الاعتقاد ويثبتنا فى طريق اهل الرشاد (ما كان لاهل المدينة) اى ماصح وما استقام لهم والمدينة علم بالغلبة لدار الهجرة كالنجم للثريا اذا أطلقت فهى المرادة وان اريد غيرها قيد والنسبة اليها مدنى ولغيرها من المدن مدينى للفرق بينهما كما فى انسان العيون قال الامام النووى لا يعرف فى البلاد اكثر اسماء منها ومن مكة وفى كلام بعضهم لها نحو مائة اسم منها دار الاخيار ودار الابرار ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح والبارة وطابة وطيبة لطيب العيش بها ولان لعطر الطيب بها رائحة لا توجد فى غيرها وترابها شفاء من الجذام ومن البرص بل ومن كل داء وعجوتها شفاء من السم وقد خص الله تعالى مكة والمدينة بأنهما لا يخلوان من اهل العلم والفضل والدين الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وهى اى المدينة تخرب قبل يوم القيامة بأربعين عاما ويموت اهلها من الجوع (ومن حولهم من الاعراب) باديه نشينان كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم (قال الكاشفى) وتخصيص اهالى مدينه وحوالى بجهت قرب بوده ومعرفت ايشان بخروج آن حضرت عليه السلام بطرف تبوك (ان يتخلفوا عن رسول الله) عند توجهه الى الغزو واذا استنفرهم واستنصرهم كما فى حواشى ابن الشيخ وهذا نهى ورد بلفظ النفى للتأكيد (ولا) ان (يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) الباء للتعدية فقولك رغبت عنه معناه اعرضت عنه فعدى بالباء فاذا قلت رغبت بنفسى عنه كانك قلت جعلت نفسى راغبة عنه فالمعنى اللغوى فى الآية ولا يجعلوا انفسهم راغبة ومعرضة عن نفسه عليه السلام وحاصل المعنى لا يصرفوا انفسهم عن نفسه الكريمة اى عما ألقى فيه نفسه من شدآئد الغزو واهوالها ولا يصونوها عما لا يصون عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده فانه لا ينبغى ان يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ورغد العيش ورسول الله فى الحر والمشقة قال الحدادى لا ينبغى أن يكونوا بأنفسهم آثر وأشفق عن نفس محمد

صلى الله عليه وسلم بل عليهم ان يجعلوا انفسهم وقاية للنبى عليه السلام لما وجب له من الحقوق عليهم بدعائه اياهم الى الايمان حتى اهتدوا به ونجوا من النار (ذلك) اى وجوب المتابعة فان النهى عن التخلف امر بضده الذى هو الامر بالمتابعة والمشايعة (بأنهم) اى بسبب انهم اذا كانوا معه عليه السلام (لا يصيبهم ظمأ) اى عطش يسير (ولا نصب) ولا تعب ما فى ابدانهم (ولا مخمصة) اى مجاعة ما (فى سبيل الله) واعلاء كلمته (ولا يطأون) ولا يدوسون بأرجلهم وحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم (موطئا) دوسا فهو مصدر كالموعد اومكانا على ان يكون مفعولا (يغيظ الكفار) بخشم آرد كافرانرا اى لا يبلغون موضعا من أراضى الكفار من سهل اوجبل يغيظ قلوبهم مجاوزة ذلك الموضع فان الانسان يغيظه ان يطأ ارضه غيره والغيظ انقباض الطبع برؤية ما يسوءه والغضب قوة طلب الانتقام (ولا ينالون) ونيابند فان النيل بالفارسية يافتن (من عدو) من قبلهم (نيلا) بمعنى الميل على ان يكون مفعولا به اى اى آفة محنة كالقتل والاسر والهزيمة والخوف (الا كتب لهم به) اى بكل واحد من الامور المعدودة قوله الا كتب فى محل النصب على انه حال من ظمأ وما عطف عليه اى لا يصيبهم ظمأ ولا كذا ولا كذا فى حال من الاحوال الا فى حال كونه مكتوبا لهم بذلك (عمل صالح) وحسنة مقبولة اى استوجبوا به الثواب الجزيل (وقال الكاشفى) يعنى بهريك ازينها كه بديشان رسد مستحق ثواب شوند * ابن عباس كويد بهر ترسى كه ازدشمن بدل ايشان رسد هفتاد درجه مى نويسند * هذا ما يدل عليه عامة التفاسير وقال ابن الشيخ فى حواشيه يقال نال منه اذا أزراه ونقصه وصرح بنيل شئ مما يتأذى الكفار من نيله وهذا المعنى غير المعنى الاول كما لا يخفى (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما فى حق الكفار فلانه سعى فى تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون * سفيها نرا بود تأديب نافع * جنونرا شربت چوب ست دافع * واما فى حق المؤمنين فلانه صيانة لهم من سطوة الكفار واستيلائهم (ولا ينفقون) فى الجهاد (نفقة صغيرة) نفقة اندك ولو تمرة اوعلاقة سوط اونعل فرس (ولا كبيرة) ونه نفقة بزرك مثل ما انفق عثمان وعبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنهما فى جيش العسرة وقد سبق عند قوله تعالى الذين يلمزون المطوعين الآية فى هذه السورة (ولا يقطعون) اى لا يجتازون فى مسيرهم الى ارض الكفار مقبلين ومدبرين (واديا) من الاودية وهو فى الاصل كل منفرج من الجبال والآكام ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى يدى اذا سال ثم شاع فى الارض على الاطلاق (الا كتب لهم) اى اثبت لهم فى صحائفهم ذلك الذى فعلوه من الانفاق والقطع (ليجزيهم الله) بذلك متعلق بكتب (احسن ما كانوا يعملون) مفعول ثان ليجزيهم وما مصدرية اى ليجزيهم جزاء احسن اعمالهم بحذف المضاف فان نفس العمل لا يكون جزاء * در ينابيع فرموده كه اكر غازى راهزار طاعت باشد ويكى ازهمه نيكوتر بود حق تعالى ازا ثواب عظيم دهد ونهصد ونود ونه بطفيل آن قبول كند وهريك رابرابر آن ثوابى ارزانى دارد تا كرم او بنسبت مجاهدان برهمه ظاهر شود ففى الجهاد فضائل لا توجد فى غيره وهو حرفة النبى عليه السلام وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال مر رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذب فأعجبته فقال لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ولن افعل حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله فقال لا تفعل فان مقام احدكم فى سبيل الله افضل من صلاته سبعين عاما ألا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة قوله فواق ناقة وهو ما بين رفع يدك عن ضرعها وقت الحلبة ووضعها وقيل هو ما بين الحلبتين وفى الحديث دلالة على ان الجهاد والتصدى له افضل من العزلة للعبادة وقال فى فتح القريب ياهذا ليت شعرى من يقوم مقام هذا الصحابى فى عزلته وعبادته وطيب مطعمه ومع هذا قال النبى عليه السلام لا تفعل وأرشده الى الجهاد فكيف لواحد منا ان يتركه مع اعمال لا يوثق بها مع قلتها وخطايا لا ينجى معها لكثرتها وجوارح لا تزال مطلقة فيما منعت منه ونفوس جامحة الا عما نهيت عنه ونيات لا يتحقق اخلاصها وتبعات لا يرجى بغير العناية خلاصها (قال الحافظ) كارى كنيم ورنه خجالت برآورد * روزيكه رخت جان بجهان دكركشيم * واعلم ان المتخلف بعذر اذا كانت نيته خالصة يشارك المجاهد فى الاجر والثواب كما روى انه عليه السلام لما رجع من غزوة تبوك قال ان اقواما خلفناهم بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر يعنى يشاركونا

فى استحقاق الثواب لكونهم معنانية وانما تخلفوا عنا للعذر ولولاه لكانوا معنا ذوا نا قال ابن الملك ولا يظن منه التساوى فى الثواب لان الله قال فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما انتهى يقول الفقير أصلحه الله القدير هذه الآية مطلقة ساكتة عن بيان العذر وعدمه وقد قيدها الحديث المذكور ولا بعد فى ان يشترك المجاهد والمتخلف لعذر فى الثواب بل تأثير الهمة أشد ورب نية خير من عمل ولهذا شواهد لا تخفى على اولى الالباب والاشارة ما كان لاهل المدينة مدينة القلب وأهلها النفس والهوى ومن حولهم من الاعراب اعراب الصفات النفسانية والقلبية ان يتخلفوا عن رسول الله عن رسول الروح اذ هو راجع الى الله وسائر اليه ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه اى عن بذل وجودهم عند بذل وجوده بالفناء فى الله ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ من ماء الشهوات ولا نصب من انواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى سبيل الله فى طلب الله ولا يطأون موطئا مقاما من مقامات الفناء يغيظ الكفار كفار النفس والهوى ولا ينالون من عدو عدو الشيطان والدنيا والنفس نيلا اى بلاء ومحنة وفقرا وفاقة وجهدا وهما وحزنا وغيرذلك من اسباب الفناء الا كتب لهم به عمل صالح من البقاء بالله بقدر الفناء فى الله ان الله لا يضيع اجر المحسنين الفانين فى الله فيبقيهم بالله ليعبدوه على المشاهدة لان الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ولا ينفقون نفقة من بذل الوجود صغيرة ولا كبيرة الصغيرة بذل وجود الصفات والكبيرة بذل وجود الذات فى صفات الله تعالى وذاته ولا يقطعون واديا من اودية الدنيا والآخرة والنفس والهوى والقلب والروح الا كتب لهم بقطع كل واحد من هذه الاودية قربة ومنزلة ودرجة كما قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ليجزيهم الله بالبقاء والفناء عن انفسهم احسن ما كانوا يعملون اى احسن مقام كانوا يعملون العبودية فى طلبه لان طلبهم على قدر معرفتهم ومطمح نظرهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق عقولهم وفهومهم كما قال اعددت لعبادى الصالحين الحديث كما فى التأويلات النجمية (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) اللام لتأكيد النفى اى ما صح وما استقام لهم ان ينفروا اى يخرجوا جميعا لنحو غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يثبطوا جميعا فان ذلك مخل بأمر المعاش (فلولا نفر) پس چرا بيرون نرود * فلولا تحضيضية مثل هلا وحرف التحضيض اذا دخل على الماضى يفيد التوبيخ على ترك الفعل والتوبيخ انما يكون على ترك الواجب فعلم منه ان الفعل واجب وأن قوله فلولا نفر معناه الامر بالنفير وايجابه (من كل فرقة منهم طائفة) اى من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ودلت الآية على الفرق بين الفرقة والطائفة بأن الفرقة اكثر من الطائفة لان القياس ان ينتزع القليل من الكثير والطائفة تتناول الواحد فما فوقه (ليتفقهوا فى الدين) ليتكلفوا الفقاهة فى الدين ويتجشموا مشاق تحصيلها والفقه معرفة احكام الدين (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وذكر الانذار دون التبشير لانه اهم والتخلية بالمعجمة اقدم من التحلية بالمهملة (لعلهم يحذرون) ارادة ان يحذر قومهم عما ينذرون منه وفى الآية دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على الناس بالتصدر والترأس والتبسط فى البلاد بالملابس والمراكب والعبيد والاماء كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان فينبغى ان يطلب المتعلم رضى الله والدار الآخرة وازالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال واحياء الدين وابقاء الاسلام فان بقاء الاسلام بالعلم ولا يصح الزهد والتقوى بالجهل * علم آمد دليل آكاهى * جهل برهان نقص وكراهى * بيش ارباب دانش وعرفان * كى بود اين تمام وآن نقصان * وينبغى لطالب العلم ان ينوى به الشكر على نعمة العقل وصحة البدن وسلامة الحواس عملا بقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وينبغى لطالب العلم ان يختار الاستاذ الاعلم والاورع والاسن بعد التأمل التام كما اختار ابو حنيفة رضى الله عنه حمادا قال دخلت البصرة فظننت ان لا اسأل عن شئ الا اجبت عنه فسألونى عن اشياء لم يكن عندى جوابها فحلفت على نفسى ان لا افارق حمادا فصحبته عشرين سنة وما صليت قط الا ودعوت لشيخى حماد مع والدى وفى انفاس الاساتذة الصالحين ودعوات الرجال الكاملين تأثيرات عجيبة كما حكى ان ابا ابى حنيفة ثابتا اهدى الفالوذج لعلى بن ابى طالب يوم النيروز ويوم المهرجان فدعا له ولأولاده بالبركة وكان ثابت يقول انا فى بركة دعوة صدرت من على رضى الله عنه حتى كان يفتخر اولاده العلماء بذلك فاذا وجد الطالب الاستاذ العالم العامل

فعليه ان يختار من كل علم احسنه وانفعه فى الآخرة فيبدأ بفرض العين وهو علم ما يجب من اعتقاد وفعل وترك ظاهرا وباطنا ويقال له علم الحال اى العلم المحتاج اليه فى الحال قال العز بن عبد السلام العلم الذى هو فرض لازم ثلاثة أنواع الاول علم التوحيد فالذى يتعين عليك منه مقدار ما تعرف به اصول الدين فيجب عليك اولا ان تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه باسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل فى نعته فربما تعتقد شيأ فى صفاته يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا والنوع الثانى علم السر وهو ما يتعلق بالقلب ومساعيه فيفترض على المؤمن علم احوال القلب من التوكل والانابة والخشية والرضى فانه واقع فى جميع الاحوال واجتناب الحرص والغضب والكبر والحسد والعجب والرياء وغير ذلك وهو المراد بقوله عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة اذ لو أريد بالعلم فيه التوحيد فهو حاصل ولو اريد به الصلاة فيجوز ان يتأهل اشخص وقت الضحى ويموت قبل الظهر فلا يستقيم العموم المستفاد من لفظ كل واما غيرهما فلا يظهر فلم يبق الا المعاملة القلبية اذ فرضية علمها متحققة فى كل زمان ومكان فى كل شخص والنوع الثالث علم الشريعة وهو ما يجب عليك فعله من الواجبات الشرعية فيجب عليك علمه لتؤديه على جهة الشرع كما امرت به وكذا علم كل ما يلزمك تركه من المناهى الشرعية لتتركه وذلك شامل للعبادات والمعاملات فكل من اشتغل بالبيع والشراء وايضا بالحرفة فيجب عليه علم التحرز عن الحرام فى معاملاته وفيما يكسبه فى حرفته واما حفظ ما يقع فى بعض الاحايين ففرض على سبيل الكفاية والعلوم الشرعية خمسة الكلام والتفسير والحديث والفقه واصول الفقه قال فى عين المعانى المراد بقوله ليتفقهوا فى الدين علم الآخرة لاختصاصه بالانذار والحذر به وعلم الآخرة يشمل علم المعاملة وعلم المكاشفة اما علم المعاملة فهو العلم المقرب اليه تعالى والمبعد عنه ويدخل فيه اعمال الجوارح واعمال القلوب واما علم المكاشفة فهو المراد فيما ورد فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى اذ غيره تبع للعمل لثبوته شرطا له فاذا افرغ علما وعملا ساغ ان يشرع فى فروض الكفاية كالتفسير والاخبار والفتاوى غير متجاوز الى نوادر المسائل ولا مستغرق مشتغل عن المقصود وهو العمل ويجوز أن يتعلم من علم النجوم قدر ما يعرف به القبلة واوقات الصلاة ويتعلم من علم الطب قدر ما يمكن بمعرفته تداوى الامراض قال فى الاشباه تعلم العلم يكون فرض عين وهو بقدر ما يحتاج اليه لدينه وفرض كفاية وهو ما زاد عليه لنفع غيره ومندوبا وهو التبحر فى الفقه وعلم القلب وحراما وهو علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وعلوم الطبائعيين والسحر ودخل فى الفلسفة المنطق ومن هذا القسم علم الحروف والموسيقى ومكروها وهو أشعار المولدين من الغزل والبطالة ومباحا كاشعارهم التى لاسخف فيها قال عصلى الخناوى لم ار فى كتب اصحابنا القول بتحريم المنطق ولا يبعد أن يكون وجهه ان يضيع العمر وايضا ان من اشتغل به يميل الى الفلسفة غالبا فكان المنع منه من قبيل سد الذرائع والافليس فى المنطق ما ينافى الشرع انتهى قال القهستانى ذكر فى المهمات للاسنوى لا يستنجى بما كتب عليه علم محترم كالنحو واحترز بالمحترم عن غيره من الحكميات مثل المنطق انتهى قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى مواقع النجوم ولا يكثر مما لا يحتاج اليه فان التكثير مما لا حاجة فيه سبب فى تضييع الوقت على ما هو أهم وذلك ان من لم يعول على ان يلقى نفسه فى درجة الفتيا فى الدين لان فى البلد من ينوب عنه فى ذلك لا يتعين عليه طلب الاحكام كلها اذ هو فى حق الغير طلب فضول العلم انتهى فعلى العاقل ان يتعلم قدر الحاجة ويشتغل بالعمل وفى الحديث من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذى نفسى بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الارض والارض تستغفر له ويمسى ويصبح مغفورا له وشهدت له الملائكة بأنه من عتقاء الله من النار وفى نشر العلم والارشاد به فضائل ايضا قال عليه السلام لمعاذ ابن جبل رضى الله عنه حين بعثه الى اليمن لأن يهدى الله بك رجلا خير لك مما تطلع عليه الشمس والعلماء ورثة الانبياء فكما انهم اشتغلوا بالابلاغ والارشاد كذلك ورثتهم فكل مرشد من الورثة ينبغى ان يكون غرضه اقامة جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه بتكثير اتباعه وقد قال انى مكاثر بكم الامم قال فى العوارف الصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فافادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء فى علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هى علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه

فى الدين قال الله تعالى فلولا نفر الآية فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احياء المنذر بماء العلم والاحياء رتبة الفقيه فى الدين فصار الفقه فى الدين من اكمل الرتب واعلاها وهو علم العالم الزاهد فى الدنيا المتقى الذى يبلغ رتبة الانذار بعلمه فورد الهدى والعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا وانتقل من قلبه الى القلوب ومن نفسه الى النفوس ولا يدرك المرء هذا العلم بالتمنى بل بالجد والطلب ألا ترى الى الجنيد قيل له بم نلت ما نلت فقال بجلوسى تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة واشار الى درجة فى داره * هر كنج سعادت كه خدا داد بحافظ * از يمن دعاى شب وورد سحرى بود * وفى الاية تحريض للمؤمنين على الخروج من الاوطان لطلب العلم النافع ورحل جابر من المدينة الى مصر لحديث واحد ولذا لم يعد احد كاملا الا بعد رحلته ولا وصل مقصده الا بعد هجرته وقيل

سافر تجد عوضا عمن تفارقه * وانصب فان اكتساب الجد فى النصب

فالاسد لولا فراق الخيس ما فرست * والسهم لولا فراق القوس لم يصب

(سعدى) جفا نبرده چه دانى تو قدر يار * تحصيل كام دل بتكاپوى خوشترست * قال فى التأويلات النجمية الاشارة فى الاية ان الله تعالى يندب خواص عباده الى رحلة الصورة والمعنى فأما رحلة الصورة ففى طلب اهل الكمال الكاملين المكملين الواصلين الموصلين كاندب موسى الى الرحلة فى طلب الخضر عليهما السلام واما رحلة المعنى فكما كان حال ابراهيم عليه السلام قال انى ذاهب الى ربى فهو السير من القالب وصفاته الى القلب وصفاته ومن القلب الى الروح وصفاته ومن الروح الى التخلق با خلاق الله بقدم فناء اوصافه وهو السير الى الله ومن اخلاق الله الى ذات الله بقدم فناء ذاته بتجلى صفات الله وهو السير بالله ومن انانيته الى هويته ومن هويته الى الوهيته الى ابد الآباد وهو السير بالله من الله الى الله تعالى وتقدس انتهى باختصار (يا أيها الذين آمنوا) أقروا بالله وبوحدانيته وصدقوا بحضرة صاحب الرسالة وحقانيته (قاتلوا الذين) كارزار كنيد آنانكه (يلونكم) الولى القرب والدنو (من الكفار) اى قاتلوا من نحوكم ويقربكم من العدو وجاهدوا الاقرب فالاقرب ولا تدعوا الاقرب وتقصدوا الابعد فيقصد الاقرب بلادكم واهاليكم واولادكم وفيه انهم اذا أمنوا الاقرب كان اهم محاربة الابعد واعلم ان القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ولذا حارب عليه السلام قومه اولا ثم انتقل الى غزو سائر العرب ثم انتقل عنهم الى غزو الشأم وكذا الصحابة رضى الله عنهم لما فرغوا من امر الشأم دخلوا العراق وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم مالم يضطرهم أهل ناحية اخرى وقد وقع امر الدعوة ايضا على هذا الترتيب فانه عليه السلام امر اولا بانذار عشيرته فان الاقرب أحق بالشفقة والاستصلاح لتأكد حقه واختلفوا فى أفضل الاعمال بعد الفرائض فقال الشافعى رضى الله عنه الصلاة افضل اعمال البدن وتطوعها أفضل التطوع وقال احمد لا اعلم شيأ بعد الفرائض أفضل من الجهاد لانه كان حرفة النبى عليه السلام وقال أبو حنيفة ومالك لا شئ بعد فروض الاعيان من اعمال البر أفضل من العلم لان الاعمال تبتنى عليه ثم الجهاد وبلغ من علم أبى حنيفة رحمه الله الى أن سمع فى المنام انا عند علم أبى حنيفة بعد ما قيل أين أطلبك يا رسول الله وفى الحديث اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم واهل الجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل والجهاد سبب البقاء اذ لو تركه الناس لغلبهم العدو وقتلهم وفيه الحياة الدائمة فى الآخرة لانه سبب الشهادة التى تورث تلك الحياة والشهداء احياء غير اموات (وفى المثنوى) پس زيادتها درون نقصهاست * مر شهيد انرا حيات اندر فناست (وليجدوا فيكم غلظة) اى شدة وصبرا على القتال قال فى القاموس الغلظة مثلثة ضد الرقة وهذا الكلام من باب لا ارينك ههنا فانه وان كان على صورة ان ينهى المتكلم نفسه عن رؤية المخاطب ههنا الا ان المراد نهى المخاطب عن ان يحضر ههنا فكذا الآية فانها على صورة امر الكفار بأن يجدوا من المؤمنين غلظة لكن المعنى على امر المؤمنين بأن يعاملوا الكفار بالغلظة والخشونة على طريق الكناية حيث ذكر اللازم وأريد الملزوم (وفى المثنوى) هر پيمبر سخت رو بد در جهان * يكسواره كفت بر جيش شهان * رو نكردانيد از ترس وغمى * يك تنه تنها بزد بر عالمى * كوسفندان كر برونست از حساب * انبهشان كى بترسد ان قصاب * قيل للاسكندر فى عسكر دارا ألف ألف مقاتل

فقال ابن القصاب لا تهوله كثرة الاغنام والعرب تقول الشجاعة وقاية والجبن مقتلة فاعتبروا بأن من يقتل مدبرا اكثر ممن يقتل مقبلا (قال السعدى) آنكه جنك آرد بخون خويش بازى ميكند * روزميدان وآنكه بكريزد بخون لشكرى (ونعم ماقيل) زهرهٔ مردان ندارى چون زنان درخانه باش * ور بميدان ميروى ازتير باران برمكرد * واعلم أن السلاطين والوزرآء والوكلاء بالنسبة الى العسكر كالقلب بالنسبة الى الاعضاء فكما أن القلب اذا صلح صلح الجسد كله فكذا الرئيس اذا ثبت وأظهر الشجاعة ثبت الجيش كله * بهرام كفت هرآنكه سرتاج دارد بايدكه دل ازسر بردارد هرآنكه باى نهد درنكارخانهٔ ملك يقين كه مال وسر وهرچه هست دربازد (واعلموا ان الله مع المتقين) بالحراسة والاعانة والمراد بالمعية الولاية الدآئمة وأدخل مع على المتقين مع اختصاصه بالمتبوع لكونهم المباشرين للقتال ووضع المظهر موضع المضمر اى معكم اشارة الى علة النصرة وهى التقوى كأنه قيل واعلموا أن نصرة الله معكم بسبب تقواكم بالتوحيد والاسلام والايمان والطاعة عن الاشراك والكفر والنفاق والعصيان فى مرتبة الشريعة وبالله عن جميع ماسوى الله فى مرتبة الحقيقة لامع الكفار المشركين المنافقين العاصين وان اعطاهم لوازم القتال مكرا واستدراجا كما أعطاكموها كرما واحسانا وبقدر تقواكم بالحق عن الخلق يسخر الله لكم الخلق وبقدر تسخيركم لله قواكم النفسانية يسخر الله لكم الكفار وبقدر تسخيركم لله قواكم الروحانية يسخر الله لكم المؤمنين قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى مواقع النجوم اعلم يابنى ان الله جل ثناؤه لما أراد ان يرقى عبده الخصوصى الى المقامات العلية قرب منه اعداءه حتى يعظم جهاده لهم ويشتغل بمحاربتهم اولا قبل محاربة غيرهم من الاعدآء الذين هم منه أبعد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين الآية وحظ الصوفى وكل موفق من هذه الآية ان ينظر فيها الى نفسه الامارة بالسوء التى تحمله على كل محظور ومكروه وتعدل به عن كل واجب ومندوب للمخالفة التى جبلها الله عليها وهى اقرب الكفار والاعدآء اليه فاذا جاهدها وقتلها اوأسرها فحينئذ يصح له ان ينظر فى الاغيار على حسب ما يقتضيه مقامه وتعطيه منزلته فالنفس أشد الاعدآء شكيمة واقواهم عزيمة فجهادها هو الجهاد الاكبر ومعنى الجهاد مخالفة هواها وتبديل صفاتها وحملها على طاعة الله (وفى المثنوى) اى شهان كشتيم ماخصم برون * ماند ازوخصم بتردر اندرون * قد رجعنا من جهاد الاصغريم * اين زمان اندرجهاد اكبريم * سهل شيرآن دانكه صفها بشكند * شيرآن آنكه خودرا بشكند * وللنفس سفان ماضيان تقطع بهما رقاب صناديد الرجال وعظمائهم وهما شهوتا البطن والفرج وشهوة البطن اقوى وأشد من شهوة الفرج لانه ليس لها تأييد الا من سلطان شهوة البطن * زان ندارى ميوهٔ مانند بيد * كآب رورردى بى نان سيد * فما ملئ وعاء شر من بطن ملئ بالحلال هذا اذا كان القوت حلالا فكيف اذا كان حراما فالطعام والاكثار منه قاطع عن الطريق وعن عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين جوعوا بطونكم وعطشوا اكبادكم لعل قلوبكم ترى الله تعالى وكذا الكلام وكذا التأذى بأذى الانام فعليه بالصبر وان لا يجدهم مؤذين لانه موحد فيستوى عنده المسيء والمحسن فى حقه بل ينبغى ان يرى المسيء محسنا وكذا المنام قال بعض العلماء من سهر أربعين ليلة خالصا كوشف بملكوت السموات ايقظنا الله واياكم من رقدة الغفلة انه مجيب الدعوة (واذاما) كلمة ماصلة مؤكدة لارتباط الجزآء بالشرط (انزلت سورة) من سور القرآن وعددها مائة واربع عشرة بالاجماع والسورة طائفة من كلامه تعالى (فمنهم) اى المنافقين (من يقول) لاخوانه انكارا واستهزآء (ايكم) مبتدأ ومابعده خبره (زادته هذه) السورة (ايمانا) مفعول زادته وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين وفيه اشارة الى ان الاستهزآء من علامات النفاق وامارات الانكار ثم اجاب الله تعالى عن انكارهم واستهزآئهم من يعتقد زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحى والعمل به فقال (فأما الذين آمنوا) بالله تعالى وبما جاء من عنده (فزادتهم ايمانا) هذا بحسب المتعلق وهو مخصوص بزمان النبى عليه السلام واما الآن فالمذهب على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وانما تتفاوت درجاته قوة وضعفا فانه ليس من يعرف الشئ اجمالا كمن يعرفه تفصيلا كما ان من رأى الشئ من بعيد ليس كمن يراه من قريب فصورة الايمان هو التصديق القلبى اجمالا وتفصيلا وحقيقته الاحسان الذى هو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وحقيقة الاحسان مرتبة كنت سمعه وبصره التى هى قرب النوافل وفوقها مرتبة قرب الفرآئض

المشار اليه بقوله سمع الله لمن حمده والحاصل ان من اعتقد الكعبة اذا رآها من بعيد قوى يقينه ثم اذا قرب منها كمل ثم اذا دخل ازداد الكمال ولا تفاوت فى اصل الاعتقاد (وهم يستبشرون) بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية (واما الذين فى قلوبهم مرض) اى كفر وسوء عقيدة قال الحدادى سمى الله النفاق مرضا لان الحيرة فى القلب مرض القلب كما ان الوجع فى البدن مرض البدن يقول الفقير كل منهما مؤدى الى الهلاك اما المرض الظاهر فالى هلاك الجسم واما المرض الباطن فالى هلاك الروح فلا بد من معالجة كل منهما بحسب ما يليق به (فزادتهم رجسا الى رجسهم) اى كفرا بها مضموما الى الكفر وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك والفرق بين الرجس والنجس ان الرجس اكثر ما يستعمل فيما يستقذر عقلا والنجس اكثر ما يستعمل فيما يستقذر طبعا (وماتوا وهم كافرون) اى واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه بين الله تعالى ان بنزول سورة من السماء حصل للمؤمنين امران زيادة الايمان والاستبشار وحصل للمنافقين امران مقابلان لهما زيادة الرجس والموت على الكفر وفى الحديث ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين يعنى ان من آمن بالقرآن وعظم شأنه وعمل به يرفع الله درجته فى الآخرة ويرزقه عزة وشرفا ومن لم يؤمن به اولم يعمل به اولم يعظم شأنه خذله الله فى الدنيا والآخرة (اولا يرون) الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اى لا ينظر المنافقون ولا يرون (انهم يفتنون فى كل عام) من الاعوام بالفارسية درهر سالى (مرة اومرتين) والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اى يبتلون بأصناف البليات من المرض والشدة وغير ذلك مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدى رب العزة فيؤدى الى الايمان به تعالى (ثم لا يتوبون) عطف على لا يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ (ولاهم يذكرون) والمعنى اولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولاهم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة قال فى التأويلات النجمية هذه الفتنة موجبة لانتباه القلب الحى وقلوبهم ميتة والقلب الميت لا يرجع الى الله ولا يؤثر فيه نصح الناصحين كما قال انك لا تسمع الموتى وقال لينذر من كان حيا (وفى المثنوى) ورنكويى عيب خود بارى خمش * از نمايش ازدغل خود را مكش * كرتو نقدى يافتى مكشا دهان * هست دررة سنكهاى امتحان * كفت يزدان ازولادت تا بحين * يفتنون كل عام مرتين * امتحان بر امتحانست اى پدر * هين بكمتر امتحان خود را مخر * ماهيان ابحر نكذاردبرون * خاكيان ابحر نكذارد درون (واذا ما انزلت سورة) بيان لاحوالهم عند نزولها فى محفل تبليغ الوحى كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه (نظر بعضهم الى بعض) المراد بالنظر النظر المخصوص الدال على الطعن فى تلك السورة والاستهزاء بها اى تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية (هل يراكم من احد) اى قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لينصرفوا من المسجد والمجلس مظهرين انهم لا يضطربون عند استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون (ثم انصرفوا) عطف على نظر بعضهم والتراخى باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المؤمنين اى انصرفوا جميعا عن محفل الوحى خوفا من الافتضاح والمعنى يقول بعضهم لبعض هل يراكم من احد من المؤمنين ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم اقاموا فيه وثبتوا حتى يفرغ عليه السلام من خطبته ثم انصرفوا (صرف الله قلوبهم) اى عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية اودعائية (بانهم) اى بسبب انهم (قوم لا يفقهون) لسوء الفهم اولعدم التدبر وفى التأويلات النجمية ليس فقه القلب فان فقه القلب من امارات حياة القلب وهو نور يهتدى به الى الحق كما ان الجهل ظلمة يقيم عندها ولا يدرى ماذا يفعل اللهم اجعلنا من المتدبرين والمتذكرين والمعتبرين قال بعض العلماء اصحاب القلوب من الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها وصنف اجسادهم اجساد بنى آدم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف فى ظل الله تعالى يوم لا ظل الا ظله وعن ابى بكر الوراق رحمه الله انه قال للقلب ستة اشياء حياة وموت وصحة وسقم ويقظة ونوم فحياته الهدى ونومه الضلالة وصحته الصفاء وعلته العلاقة ويقظته الذكر ونومه الغفلة (وفى المثنوى) هر صباحى چون سليمان آمدى * خاضع اندر مسجد اقصى شدى * نوكياهى رسته ديدى اندرو * پس بكفتى نام ونفع خود بكو * توچه دارويى وجه نامت چيست * تو زيان كه ونفعت بركيست * پس بكفتى هر كياهى فعل ونام * كه من آنرا جانم واين را حمام *

پس سليمان ديد اندر گوشهٔ * نو گياهى رسته همچون خوشهٔ * گفت نامت چيست بر گو بى دهان *
نام من خروب اى شاه جهان * گفت فعلت چيست واز تو چه رود * گفت من رستم مكان ويران شود *
من كه خروبم خراب منزلم * من خرابى مسجد وآب وگلم * پس سليمان آن زمان دانست زود *
كه اجل آمد سفر خواهد نمود * گفت تا من هستم اين مسجد يقين * در خلل نايد ز آفات زمين *
پس خرابى مسجد ما بيگمان * نبود الا بعد مرگ ما بدان * مسجدست آن دل كه جسمش ساجدست *
يار بد خروب هر جا مسجدست * يار بد چون رست در تو مهر او * هين از و بگريز وكم كن گفت وگو *
بر كن از بيخش كه گر سر بر زند * مر ترا ومسجدت را بر كند (لقد جاءكم) يحتمل ان يكون الخطاب
للعرب والعجم جميعا فالمعنى بالله قد جاءكم ايها الناس (رسول) اى رسول عظيم الشان والرسول انسان
بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ الاحكام (من انفسكم) اى من جنسكم آدمى مثلكم لا من الملائكة ولا من
غيرهم وذلك لئلا ينفروا عنه ويمتنعوا من متابعته ويقولوا لا طاقة لنا بمتابعته لانه ليس من جنسنا يؤيده قوله تعالى
قل انما انا بشر مثلكم وقوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اذ لفظ المؤمنين عام
لكل مؤمن من كل صنف فيكون معنى من انفسهم اى من جنسهم لان الملك وكذا الجن لعدم جنسيته ولكونه
غير مدرك بالحواس الخمس لا ينتفع به فاحتاج الى واسطة جنسية ذى جهتين جهة التجرد لتمكن الاستفاضة
من جانب القدس وجهة التعلق لتمكن الافاضة الى جانب الخلق وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ومنه يظهر
انه لكمال لطافته يمكن ان يستفيض منه الجن ايضا لكونهم اجساما لطيفة ولذا دعاهم دعوة البشر * مشعله
افروز شب خاكيان * سمع سرا پردهٔ افلاكيان * ويحتمل ان يكون الخطاب للعرب خاصة فالمعنى بالله قد جاءكم
ايتها العرب رسول عربى مثلكم وعلى لغتكم وذلك اقرب الى الالفة وابعد من اللجاجة واسرع الى فهم الحجة
فان الارشاد لا يحصل الا بمعرفة اللسان (حكى) ان اربعة نفر عجمى وعربى وتركى وروى وجدوا فى طريق
درهما فاختلفوا فيه ولم يعرف ولم يفهم واحد منهم مراد الآخر فسأل منهم رجل آخر يعرف الالسنة فقال
للعربى ايش تريد وللعجمى چه ميخواهى مثلا وعلم ان مراد الكل ان يأخذوا بذلك الدرهم عنبا فأخذ العارف
الدرهم منهم واشترى لهم عنبا فارتفع الخلاف من بينهم وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم وافضلكم من
النفاسة وبالفارسية عزيزشدن وشئ نفيس اى خطير وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن
عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب وفى كلاب يجتمع نسب ابيه وأمه لان امه آمنة بنت وهب بن
عبد مناف بن زهرة بن كلاب وبنوا هاشم افضل القبائل الى اسماعيل عليه السلام من جهة الخصال الحميدة
وكلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر واجمع النسابون على ان قريشا انما تفرقت عن فهر فهو جماع
قريش وانما سمى فهر قريشا لانه كان يقرش اى يفتش عن حاجة المحتاج فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون
اهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا والرفادة اطعام الحاج ايام الموسم حتى يتفرقوا فان
قريشا كانت على زمن قصى تخرج من اموالها فى كل موسم شيأ فتدفعه الى قصى فيصنع به طعاما للحاج
يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد حتى قام بها ولده عبد مناف ثم بعد عبد مناف ولده هاشم ثم بعد هاشم
ولده عبد المطلب ثم ولده ابو طالب وقيل ولده العباس ثم استمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء
بعده ثم استمر ذلك فى الخلفاء الى ان انقرضت الخلافة من بغداد ثم من مصر وعن انس بن مالك رضى الله عنه
حب قريش ايمان وبغضهم كفر وفى الحديث عالم قريش يملأ طباق الارض علما وعن الامام احمد رحمه الله
هذا العالم هو الشافعى لانه لم ينتشر فى طباق الارض من علم علماء قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم
الامام الشافعى ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف وهو الجد التاسع للشافعى
رحمه الله وفى الحديث انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلها نكاح وذلك لانه
لا يجيئ من الزنى ولى فكيف نبى والاشارة فيه الى نفاسة جوهره فى اصل الخلقة لانه اول جوهر خلقه الله
تعالى وعن ابى هريرة انه عليه السلام سأل جبريل عليه السلام فقال يا جبريل كم عمرك من السنين فقال
يا رسول الله لست اعلم غير ان فى الحجاب الرابع نجما يطلع فى كل سبعين ألف سنة مرة رأيته اثنين وسبعين ألف
مرة فقال عليه السلام يا جبريل وعزة ربى انا ذلك الكوكب ولما خلق الله آدم جعل نور جبينه فى ظهره فكان

يلمع فى جبينه ثم انتقل الى ولده شيث الذى هو وصيه والثالث من ولده وكانت حوآء تلد ذكرا وانثى معا ولم تلد
ولدا منفردا الا شيث كرامة لهذا النور ثم انتقل الى واحد بعد واحد من اولاده الى أن وصل الى عبد المطلب
ثم الى ابنه عبد الله ثم الى آمنة وكان عليه السلام علة غائية لوجود كل كون فوجوده الشريف وعنصره
اللطيف أفضل الموجودات الكونية وروحه المطهر امثل الارواح القدسية وقبيلته أفضل القبائل ولسانه خير
الألسنة وكتابه خير الكتب الآلهية وآله واصحابه خير الآل وخير الاصحاب وزمان ولادته خير الازمان وروضته
المنورة أعلى الاماكن مطلقا والماء الذى نبع من أصابعه الشريفة أفضل المياه مطلقا ثم بعده الافضل ماء
زمزم لانه غسل منه صدره عليه السلام ليلة المعراج ولو كان ماء أفضل منه لم يغسل به صدره عليه السلام
ثم ان فى قوله لقد جاءكم اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم هدية عظيمة من الله تعالى وتحفة جسيمة ولا يعرض
عن هدية الله تعالى الا الكافرون والمنافقون قال حضرة الشيخ العطار قدس سره * خويشتن را خواجهٔ
عرصات گفت * انما انا رحمة مهداة گفت (عزيز عليه ما عنتم) العزيز الغالب الشديد وكلمة
ما مصدرية والعنت الوقوع فى امر شاق وأشق الامور دخول النار والجملة من الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر
صفة رسول والمعنى شاق شديد عليه عنتكم اى ما يلحقكم من المشقة والألم بترك الايمان فهو يخاف عليكم سوء
العاقبة والوقوع فى العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة (قال الكاشفى) وبعضى برلفظ عزيز وقف
كرده اند آنرا صفة رسول دانند ومعنى عليه ما عنتم برين فرود آرند كه بروست آنچه بكنيد از گناه يعنى اعتذار
آن بروست در روز قيامت بشفاعت تدارك آن خواهد نمود ودرين معنى گفته اند * نماند بعصيان كسى
در گرو * كه دارد چنين سيدى پيش رو * اگر دفترت از گنه پاك نيست * چو او عذر خواهت بود
باك نيست (حريص عليكم) اى على ايمانكم وصلاح احوالكم اذ من البين انه عليه السلام ليس حريصا
على ذواتهم والحرص شدة الطلب للشئ مع اجتهاد فيه كما فى تفسير الحدادى (بالمؤمنين) متعلق بقوله (رؤف
رحيم) قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة مع ان مقام المدح يقتضى الترقى من الفاضل
الى الافضل محافظة على الفواصل وقدم بالمؤمنين على متعلقه وهو رؤف ليفيد الاختصاص اى لا رأفة
ولا رحمة الا بالمؤمنين واما الكفار فليس له عليهم رأفة ولا رحمة قال فى التأويلات النجمية بالمؤمنين رؤف رحيم
لتربيتهم فى الدين المتين بالرفق كما قال عليه السلام ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه بالرفق وبالرحمة يعفو عنهم
سيئاتهم كما امره الله تعالى بقوله فاعف عنهم واصفح وفى قوله بالمؤمنين رؤف رحيم فى حق نبيه عليه السلام
وفى قوله لنفسه تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم دقيقة لطيفة شريفة وهى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما كان
مخلوقا كانت رأفته ورحمته مخلوقة فصارت مخصوصة بالمؤمنين لضعف الخلقة وان الله تعالى لما كان خالقا
كانت رأفته ورحمته قديمة فكانت عامة للناس اتوة خالقيته كما قال ورحمتى وسعت كل شئ فمن تداركته الرأفة
والرحمة الخالقية من الناس كان قابلا للرأفة والرحمة النبوية لانها كانت من نتائج الرأفة والرحمة الخالقية كما
قال فبما رحمة من الله لنت لهم انتهى كلام التأويلات قال بعض الحكماء ان الله تعالى خلق محمدا اى روحه وجعل
له صورة روحانية كهيئته فى الدنيا فجعل رأسه من البركة وعينيه من الحياء واذنيه من العبرة ولسانه من الذكر
وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضى وصدره من الاخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة وكفيه
من السخاوة وشعره من نبات الجنة وريقه من عسل الجنة ألا ترى انه تفل فى بئر رومة فى المدينة وكان ماؤها
زعاقا فصار عذبا ولما اكمله بهذه الصفات ارسله الى هذه الامة روى انه لما مات ابو طالب ونالت قريش من النبى
عليه السلام ما لم تكن نالته منه فى حياته خرج الى الطائف وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقى من قريش
من قرابته وعترته خصوصا من عمه ابى لهب وزوجته ام جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب
يقولون له انت الذى جعلت الآلهة الها واحدا فجعل ابو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول اتقتلون رجلا
ان يقول ربى الله وكان خروجه فى شوال سنة عشر من النبوة وحده وقيل معه مولاه زيد بن حارثة رضى الله
عنه يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا وان يناصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه
وكان ثقيف اخواله عليه السلام فلما انتهى الى الطائف عمد الى اشراف ثقيف وكانوا اخوة ثلاثة فجلس اليهم
وكلمهم فيما جاءهم به فقال احدهم هو يقطع ثياب الكعبة ولا يسرقها وقال آخر ما وجد الله احدا يرسله غيرك

وقال له الثالث والله لا اكلمك ابدا لئن كنت رسولا من عند الله كما تقول لانت اعظم خطرا اى قدرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى ان اكلمك فقام عليه السلام من عندهم مأيوسا وقال لهم اكتموا على وكره ان يبلغ قومه ذلك فيشتد امرهم عليه وقالوا له عليه السلام اخرج من بلدنا وسلطوا عليه سفهاءهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر عليه السلام بين الصفين دقوا رجليه بالحجارة حتى ادموهما وشجوا رأس زيد فلما خلص ورجلاه يسيلان دما عمد الى بستان فاستظل فى شجرة كرم ودعا بقوله اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى ان لم يكن لك غضب على فلا ابالى ثم انطلق عليه السلام وهو مهموم حتى اتى بقرن الثعالب وهو ميقات اهل نجد واليمن وبينه وبين مكة يوم وليلة فأرسل الله تعالى جبريل ومعه ملك الجبال فقال ان شئت اطبقت على ثقيف هذين الجبلين فقال عليه السلام بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيأ وعند ذلك قال له عليه السلام ملك الجبال انت كما سماك ربك رؤف رحيم (وفى المثنوى) بندكان حق رحيم وبردبار * خوى حق دارند در اصلاح كار * مهربان بى رشوتان يارى كران * درمقام سخت ودرروز كران * اى سليمان درميان زاغ وباز * حلم حق شوباهمه مرغان بساز * اى دوصد بلقيس حلمت رازبون * كه اهد قومى انهم لا يعلمون * صدهزاران كيمياحق آفريد * كيميايى همچو صبر آدم نديد * نسأل الله سبحانه ان يلحقنا بأهل الحلم والكرم ويزكينا من سوء الاخلاق والشيم (فان تولوا) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى ان اعرضوا عن الايمان بك وقبول نصحك ولم يتبعوك (فقل حسبى الله) كافينى فانه يكفيك معرتهم اى المساءة التى تلحقك من قبلهم ويعينك عليهم وفيه اشارة الى ان تبليغ الرسالة من النبى عليه السلام كان موجبا القربه الى الله وقبوله اياه فلما بلغ رسالته فقد حصل على القبول من الله وقربته ان قبلوا وان اعرضوا (لا اله الا هو) كالدليل على ما قبله يقول الفقير اصلحه الله القدير هذه الكلمة الطيبة فى حكم لا اله الا الله لان الضمير عائد الى المذكور من لفظ الجلالة وكون هو ضميرا لا ينافى كونه اسما لان المضمرات من قبيل الاسماء فما اشتهر بين الصوفية السالكين من الذكر به بناء على كونه اسما ولما كان وجود الكون موهوما ووجود الحق محققا معلوما صح ان يشار به الى الله تعالى سيما اطلق لعدم المزاحم فى الحقيقة والذكر به مناسب للمبتدئ لكونه فى حال الغيبة فاذا ترقى الترقى الكلى فلا يشار به اى بهو الا الى الهوية المطلقة نسأل الله التوفيق للوصول الى مراتب التحقيق (عليه توكلت) اى وثقت فلا ارجو ولا اخاف الا منه والتوكل اعتماد القلب على الله وسكونه وعدم اضطرابه لتعلقه بالله تعالى (وهو رب العرش العظيم) بروردكار عرش بزرك مراد ملك عظيم است يا عرش كه قبله دعاومكان ملائكه باشد اشارة بكمال قدرت وحفظ حق تعالى راست يعنى ان خدايى كه عرش رابدان همه عظمت كه هست هزار ركن داود وبروايتى سيصد هزار قاعده وازقاعده تا قاعده سيصد هزار سال راه همه آن علو از حافات وصافات بقدرت كامله نكاه ميدارد قادرست كه مرا از شر حاسدان در بناه آرد كه حافظ بند كان وناصر مرافكندكان اوست * ازو خواه يارى كه يارى ده اوست * بدو التجا كن كه ابنها ازوست * كسى راكه اوآورد در بناه * چه غم دارد از فتنهٔ كينه خواه * قال الحدادى رب العرش العظيم اى خالق السرير العظيم الذى هو اعظم من السموات والارض وانما خص العرش بذلك لانه اذا كان رب العرش العظيم مع عظمته كان رب ما دونه فى العظم وقيل انما خص العرش تشريفا للعرش وتعظيما لشأنه واعلم ان العناصر والافلاك مرتبة فالارض ثم الماء ثم الهواء ثم النار ثم فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل ثم فلك الثوابت ثم فلك الافلاك ويسمى الفلك الاعظم وهو محيط بجميع الاجسام من الفلكيات والعناصر ليس وراءه شئ لا خلاء ولا ملاء وكل محيط من الافلاك والعناصر يماس المحاط الذى يليه فى الترتيب المذكور لاستحالة الخلاء وجملة هذه الاجرام من الافلاك والعناصر وما فيها يطلق عليها اسم العالم قال بعض اهل التحقيق خلق الله العرش لاظهار شرف محمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وهو مقام تحت العرش ولان العرش معدن كتاب الابرار لقوله تعالى ان كتاب الابرار لفى عليين وايضا العرش مرءآة الملائكة يرون الآدميين واحوالهم منه كى يشهدوا عليهم يوم القيامة فان عالم المثال والتمثال فى العرش كالاطلس

فى الكرسى قال حضرة شيخنا قدس سره فى الرسالة العرفانية التى صنفها فى سنة تسع وثمانين بعد الالف العرش العظيم هو الانسان الكبير والعرش الكريم هو الانسان الصغير فظاهر العرش العظيم والانسان الكبير على التبدل والتغير وباطنهما على الدوام والثبات وباطن العرش الكريم والانسان الصغير على التبدل والتغير وظاهرهما على الدوام والثبات انتهى اجمالا يقول الفقير المباهى بالانتساب الى ذلك السيد الخطير لعل مراده رضى الله عنه ان باطن العرش العظيم هو العرش المحيط الذى يقال له الملكوت وظاهره ما تحته من الاجرام ويقال له عالم الكون والفساد فظاهر العرش لكونه عالم الكون والفساد على التبدل والتغير وباطنه وهو العرش نفسه على حاله بخلاف العرش الكريم الذى هو الانسان فان ظاهره من اول عمره الى آخره على الثبات وباطنه على التغير لان قلبه لايخلو عن الافكار والتقلبات والله تعالى رب العرش العظيم ورب العرش الكريم فى الظاهر والباطن والاول والآخر هذا وقد ذكر فى فضائل هاتين الآيتين اللتين احداهما لقد جاءكم الآية والاخرى فان تولوا الآية ان ابابكر بن مجاهد المقرى رحمه الله اتى اليه ابوبكر الشبلى قدس سره فدخل عليه فى مسجده فقام اليه فتحدث اصحاب ابن مجاهد بحديثهما وقالوا انت لم تقم لعلى بن عيسى الوزير وتقوم للشبلى فقال الا اقوم لمن يعظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى يا ابابكر اذا كان فى غد فسيدخل عليك رجل من اهل الجنة فاذا دخل فأكرمه قال ابن مجاهد فلما كان بعد ذلك بليلتين رأيت النبى عليه السلام فقال لى يا ابابكر اكرمك الله كما اكرمت رجلا من اهل الجنة قلت يا رسول الله بم استحق الشبلى هذا منك فقال هذا رجل يصلى خمس صلوات يذكرنى اثر كل صلاة ويقرأ لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة وذلك منذ ثمانين سنة أفلا اكرم من فعل هذا كذا فى عقد الدرر واللآلى وفيه ايضا حكى عن بعض الصالحين انه حصل له ضيق شديد فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له يا فلان لاتغتم ولاتحزن اذا كان الغد ادخل على على بن عيسى الوزير فأقرئه منى السلام وقل له بعلامة انك صليت على عند قبرى اربعة آلاف مرة يدفع لك مائة دينار عينا فلما أصبح ذهب اليه وقص عليه الرؤيا فاغرورقت عينا على بن عيسى بالدموع وقال صدق الله ورسوله وصدقت انت يا رجل هذا شىء ما كان علم به الا الله ورسوله يا غلام هات الكيس فأحضره بين يديه فاخرج منه ثلاثمائة دينار وقال هذه المائة التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه المائة الاخرى بشارة وهذه المائة الاخرى هدية لك فخرج الرجل من عنده ومعه ثلاثمائة دينار وقد زال همه وغمه ومنّ الله على الوزير المذكور فترك الوزارة وعلو الرياسة وظلم السلطنة وعظمة الجبابرة وذهب الى مكة وجاور فيها ببركة ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وتخصيصه بارسال ذلك الرجل لما سبق له فى علم الله تعالى بما يؤول امره اليه من الخير وحسن الخاتمة * خدايا بحق بنى فاطمه * كه برقول ايمان كنم خاتمه * وعن ابى رضى الله عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم مانزل القرآن على الا آية آية وحرفا حرفا ماخلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة واعلم ان الاحاديث التى ذكرها صاحب الكشاف فى اواخر السورة وتبعه القاضى البيضاوى والمولى ابو السعود رحمهم الله من اجلة المفسرين قد اكثر العلماء القول فيها من مثبت ومن ناف بناء على زعم وضعها كالامام الصغانى وغيره والذى لاح لهذا العبد الفقير سامحه الله القدير ان تلك الاحاديث لاتخلو اما ان تكون صحيحة قوية او سقيمة ضعيفة اومكذوبة موضوعة فان كانت صحيحة قوية فلا كلام فيها وان كانت ضعيفة الاسانيد فقد اتفق المحدثون على ان الحديث الضعيف يجوز العمل به فى الترغيب والترهيب فقط كما فى الاذكار للنووى وانسان العيون لعلى بن برهان الدين الحلبى والاسرار المحمدية لابن فخر الدين الرومى وغيرها وان كانت موضوعة فقد ذكر الحاكم وغيره أن رجلا من الزهاد انتدب فى وضع الاحاديث فى فضل القرآن وسوره فقيل له لم فعلت هذا فقال رأيت الناس زهدوا فى القرآن فاحببت ان ارغبهم فيه فقيل له ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار اى فليتخذ يقال تبوأ الدار اتخذها مباءة اى مسكنا ومنزلا ولفظه امر ومعناه خبر يعنى فان الله بوأ مقعده اى موضع قعوده منها فقال انا ما كذبت عليه انما كذبت له كما فى شرح الترغيب والترهيب المسمى بفتح القريب اراد أن الكذب عليه يؤدى الى هدم قواعد الاسلام وافساد الشريعة والاحكام وليس كذلك الكذب له فانه للحث على اتباع

شريعته واقتفاء اثره فى طريقته قال الشيخ عزالدين بن عبد السلام الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود
محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب حرام فان امكن التوصل اليه بالكذب دون الصدق
فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان ذلك المقصود واجبا فهذا ضابطه
انتهى (قال الشيخ سعدى) خردمندان كفته اند دروغ مصلحت آميز به از راست فتنه انكيز (وقال اللطيفى)
دروغى كه جان ودلت خوش كند * به از راستى كان مشوش كند * وبالجملة المرء مخير فى هذا الباب
فان شاء عمل بتلك الاحاديث بناء على حسن الظن بالاكابر حيث اثبتوها فى كتبهم خصوصا فى صحف التفاسير
الجليلة وظاهر انهم لايضعون حرفا الا بعد التصفح الكثير وان شاء ترك العمل بها وحرم من منافع جمة
ولا محاجة معه وربما يتفق المحدثون على صحة بعض الاحاديث ولا صحة له فى نفس الامر فان الانسان مركب
من السهو والنسيان وحقيقة العلم عند الله الملك المنان ولذا قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر
قد يظهر من الخليفة الآخذ الحكم من الله ما يخالف حديثا ما فى الحكم فيتخيل انه من الاجتهاد وليس كذلك
وانما هذا الامام لم يثبت عنده من جهة الكشف ذلك الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ولو ثبت الحكم به وان كان
طريق الاسناد العدل عن العدل فالعدل ليس بمعصوم من الوهم الذى هو مبدأ السهو والنسيان ولا من النقل
على المعنى الذى هو مبدأ التأويلات والتحريفات فمثل هذا يقع من الخليفة اليوم انتهى فهذا كلام حق بلا مرية
وليس وراء عبادان قرية بقى ههنا شئ وهو أن بعض المتقدمين جعل القرآن اثلاثا فالثلث الاول ينتهى عند
قوله فى سورة التوبة وقعد الذين كذبوا الله ورسوله والثلث الثانى عند قوله فى سورة العنكبوت الا بالتى
هى احسن وعند العامة الثلث الاول ينتهى عند قوله تعالى وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون وهو منتهى
الجزء العاشر ولعل الاول قول تحقيقى والثانى تقريبى والله اعلم بالصواب * يقول الفقير سمى الذبيح اسماعيل حقى
شرفه الله سبحانه بأعالى التجليات والترقى وغفر ذنب وجوده وجاوزبه عن انيانه واحسن الى آبائه وامهاته
واعقابه وذرياته قد كنت اصمم حين ما باشرت هذا الامر الخطير النبيه * وهو هذا الجمع المسمى بالالهام الذى لا شك
فيه * بروح البيان فى تفسير القرآن ان اطويه فى مجلدا ومجلدين ان ساعدنى الحين الى الحين فلما جاء بحمد
الله بعض منه بما حواه من فنون المعرفة كبير الحجم والمقدار رأيت ان اجعله اثلاثا فختمت
الدفتر الاول عند تمام سورة التوبة الجليلة الآثار وذلك فى احدى البلاد الثلاث
المسماة ببروسة المحروسه فى الدار المشروطة لى المشهورة بدار السيد محمد
سبزى المدرس المأنوسه يوم الاحد وهو العشر العاشر من الثلث الاول
من السدس الثانى من النصف الاول من العشر الثانى
من العشر الاول من العقد الثانى من الالف الثانى
من الهجرة النبوية فلله الحمد على نعمة الاتمام
ولرسوله أفضل الصلاة والسلام
ولآله وأصحابه أكمل
التحيات والاكرام

حمد لله روز يكشنبه وهم ماه صفر * چون نخستين دفتر از روح البيان فارغ شدم
حقيا تاريخ وى كردم بحرف جوهرى * حاليا از جلد اول فارغ البال آمدم

تم

(يقول الفقير المدين * محمد بن اسماعيل شهاب الدين)

اعلم ارشدك المولى * الى ما هو خير لك وأولى * ان طبع هذا الكتاب قد تكرر * ومن المعلوم ان ما يكرر يحرر * اذ بحصول التكرير * يزداد تحرى التحرير * ويتدارك ما سبق النظر اليه * ويسحب ذيل السهو عليه * فكان له في هذه الكرة اليد الطولى * وللآخرة خير لك من الاولى * وقد كنت ختمت هذا الجزء ثمة بما سأقصه * واتلوه عليك ههنا وانصه * وهو قولى

حمدا لمن له الحمد فى الاولى والاخره * وشكرا لما اولى من الانعم الفاخره * وصلاة وسلاما على خاتم رسله الكرام * وعلى آله وصحبه بدور التمام * وبعد فلما ان منّ الله عز وجل * بكمال طبع هذا الجزء الاول * من كتاب التفسير الجليل الشان * المسمى بروح البيان * للفاضل الكامل * العالم العامل * المنتهى الى اعلى درجات الترقى * ابى الفداء اسماعيل الملقب بحقى * روّح الله روحه * ونوّر ضريحه * وكنت قد نزهت فى روض حدآئق حسنه الحدق * وضممت قوام غصنه المورق الى آخر الورق * وفزت من وصله * بفرعه واصله * مع كونى لم آل جهدا فى تعليل مزاج طبعه وتصحيحه * منذ عنيت بعلاج تهذيبه وتنقيحه * حتى جاء بديع المثال * سالما من النقص والاعتلال * مصونا عن شوآئب التحريف والغلطات * محفوظا من معايب التصحيف والسقطات * حسن الوضع * جميل الطبع * قد بهرت بدآئعه قلائد البهرمان * وانتظمت فرآئده عقد الجيد الزمان * عنّ لى ان انبه على ما كان من المحاسن فيه * لتعتنى طلابه بالمبادرة الى ارتشاف جريال فيه * فقلت واجدت * وأنشأت مؤرخا وأنشدت

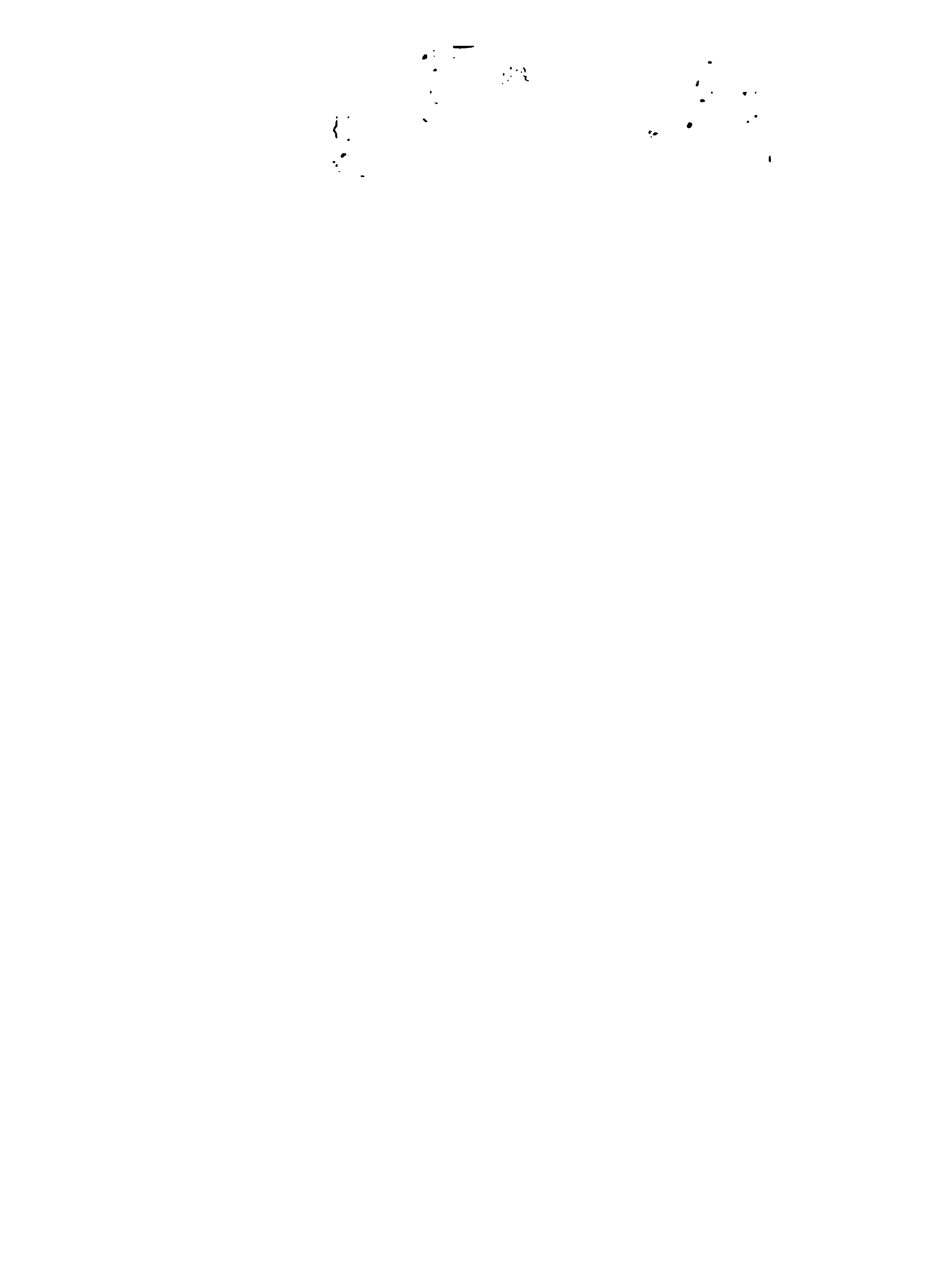
ان هذا التفسير فرد الزمان * لا يحاكيه مذ تفرّد ثانى
هو درزها يتيما وأنى * للتفاسير زهو يتم الجمان
باله مفردا اتى بفريد * فيه تبيان نظم آى المثانى
جل عن مشبه له ونظير * وعلا شانه على كل شان
رق طبعا وراق معناه وضعا * وارتقى فى الكمال اعلى مكان
قال اذ قيل كم نا كيف تزهو * بمعالى من ألف واللمعانى
ان تكن قد زهت بحق سواها * فبحقى ازهو وذاك كفانى
ولقد قلت للتفاسير طرا * اذ حكاه منهن قاص ودانى
انت مثل الاجساد وهى جماد * وهو روح والروح ذو الحيوان
لو تحلى الاجساد اذ أرخوه * لتحلت بكنز روح البيان

٩٤ ٢١٤ ٧٩ ٨٦٨

١٢٥٥

وقد تم طبعه الآن فى دار الطباعة الباهره * الكائنة ببولاق مصر المحروسة القاهره * لتسع بقين من ذى الحجة الحرام * سنة اربع وستين ومائتين بعد الالف من هجرة خاتم الرسل الكرام * صلى الله وسلم عليه * وعلى آله وصحبه المنتمين اليه * ما لاح بدر بتمام وازدهى * والى غاية كماله انتهى

امين



<36614654880017

